إندونيسيا..

مؤتمر القمة الإسلامي ملف خاص

أسرع طريقة لتحسين المنزل. طريقة فيشر

FSJ5102MBK عصارة / خلاط
الشرعتان مع القذف الأوتوماتيكي للنفايات تجعل العصر أسهل مما كان عليه سابقاً وعاء زجاجي سعة ٨ ملل كأس عصير سعة ملل وزجاجة ميبي تبرسد دبتم الات هذا الخلاط مهيّ بمسحب فولتاج مزدوج (١٢٧/٢٢ فولت)

FSM8600CM خلاط/مطحنة قهوة
عمليه بلمسة زر واحده مع وعاء سعة ٧ ملل تعطيك الراحه التي تتوقعها أما الأداة الاضافية لطحنة القهوة فهي إضافة خاصة كلها في تصميم مدمج صُمّم خصيصاً ليوفر المساحه

FHM20E مضارب يدوي
ثلاث سرعات للمزج من أجل تعدد استعما وحافق من معدن لايصدأ يخرج بكبسة زر الى حجرة لتحريز سهل

FJB500EK مصنع طعام
الشرعتان مع وطيفه "فلاش" تجعل هذا الموديل ساحر المطبخ الحقيقي، وبذلك يساعدك على العصر، الخلط، التفريق، الفرم، الجمع والعجن كما تريدين مهيّ بمسحب فولتاج مزدوج (١٢٧/٢٢ فولت)

FKM1350EK جهاز لتحضير الطعام
محرك قوى يعمل التشريح والتقطع وحتى العجن يتم بسرعة وسهولة في عملية تشغيل تدفق متواصل أما الحجرة المبيتة للملحقات فإنها تجعل التحرين سهلاً أيضاً مهيّ بمسحب فولتاج مزدوج (١٢٧/٢٢ فولت)

FSK1500 توستر اوتوماتيكي
ضابط تحميص بخمسة أوضاع وفتحات واسعة جدا من أجل قطع أكبر تصميم مدمج وصينية فتات لراحة في التنظيف والتحرين أيضاً

FGR903PGK طباخ غاز
مجموعة ديلوكس أكثر عرضاً بالا كبير مهيّ بموقت، سيخ دوار و لأي اسلوب في الطهي مهيّ ب مزدوج (١٢٧/٢٢ فولت)

FGC8300P غاز طاولة
مشعلان مع شواية يمكن تحويرها لتصبح مشعل ثالث وتشغيل بزر الكهربائي يحتوي على غطاء من معدن لايصدأ لسهولة التنظيف وعلى حامل يدوي

FMG5500 مفرمة لحم
محرك قوي ١٢ واط وقاطع مبيت للدائرة الكهربائية وأربعة قواطع إضافية - ناعم - متوسط - خشن وللكبة مفتاح "فلاش" لراحة زائدة وعلبة للملحقات وشريط الكهرباء لتحرين أسهل

العدد ٣٣٨ السنة الثلاثون يناير ١٩٨٧

SY02

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 338 Jan. 1987 P. O. Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: NITA 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

القتلة البيض ص١٢٤ دورة الحياة والموت النباتية ص١٣٧ جمالية الخط الكوفي ص١٨٠

■ حديث الشهر
الاسلام والسلام ....
ـ د . محمد الرميحي ٨
■ صورة (قصيدة)
ـ خالد سعود الزيد ١٧
■ الوحدة والتنوع في العالم الإسلامي
ـ د . عبد العزيز كامل ١٨
■ العلوم وطموحات المستقبل في الأقطار العربية .
ـ د . محمد عبد السلام ٢٠
■ الإسلام والتراث الإسلامي
ـ د . محمد أحمد خلف الله ٣٠
■ جراح المستقبل بين مبضع الليزر واسحات فوق الصوتية .
ـ د . عامر هشام جعفر ٦٠
■ فهد الدويري ناقداً
ـ سالم عباس خدادة ٧٢
■ الديون الخارجية للعالم الإسلامي
ـ د . رمزي زكي ٧٤
■ المناقشة : الشريعة والناس
ـ فهمي هويدي ٨٣
■ مفهوم غريب للجهاد
ـ د . محمد عمارة ٨٦
■ حيلة وحيلة
ـ د . عبدالسلام العجيلي ٩٤
■ فواصل من دفتر الأرض (قصيدة)
ـ د . محمود الشلبي ٩٨
■ السلطان (قصة)
ـ قصي الشيخ عسكر ١٢٠
■ الجنوبي المسافر (قصيدة)
ـ د . عبده بدوي ١٢٣
■ القتلة البيض
ـ د . محمد نبهان سويلم ١٢٤
■ ا... لات في حياتنا الثقافية .
ـ د . سيد حامد النساج ١٣٣
■ دورة الحياة والموت النباتية . هل تؤدي إلى فك أسرار الشيخوخة الإنسانية ؟
ـ بدور عبد الكريم ١٣٧
■ أيها المرضى . لا مبرر للخوف .
ـ د . ابراهيم أبو طاحون ١٥٠
■ حصان طروادة جديد
ـ د . فهمي جدعان ١٥٤
■ التجربة الأخيرة (قصة مترجمة)
ـ ابراهيم عبدالله العلو ١٧٤
■ جمالية الخط الكوفي
ـ عبد اللطيف هاشم ١٨٠

د. فؤاد زكريا

د. إمام عبدالفتاح إمام

صورة الغلاف

ما أروع مشهد النساء والفتيات في إندونيسيا - وهن يؤدين الصلاة في المساجد في حجابهن الأبيض كأنهن موجات من الملائكة (ص ٣٦)

استطلاعات ومقابلات

■ أندونيسيا (سلاملك مكة)
- سليمان مظهر ٣٦

■ وجها لوجه :
- د. فؤاد زكريا
- د. إمام عبد الفتاح إمام ٦٤

■ الجزائر ، ربع قرن من التنمية
- أبو المعاطي أبو النجا ١٠٠

■ الرياض مدينة زرقاء اليمامة
- صادق علي .. ١٦٤

الجزائر ، ربع قرن من التنمية ص ١٠٠

مدينة زرقاء اليمامة ص ١٦٤

أبـواب ثابتـــة :

■ عزيزي القارىء . . . 7
■ أقوال ٨١
■ حكايات شرق وغرب . ٩١
■ منتدى العربي .
ـ قضية الاكتفاء الذاتي والإرادة القومية
ـ د . فهد الفانك ١٤٢
ـ تعقيبات : تعقيب على مرض عربي اسمه الطاعة
ـ كمال محمود علي . . ١٤٦
ـ تعقيب على التعقيب للدكتور فؤاد زكريا . . ١٤٧
■ الحديد في العلم والطب ١٥٩
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٦٢
■ حضارات سادت ثم بادت .
حضارة كنسوس في كريت
ـ إعداد يوسف رعبلاوي ١٨٨
■ جمال العربية
صفحة لغة : افتح ياسمسمْ
ـ محمد خليفة التونسي ٢١٤
صفحة شعر : هكذا غنى الأبناء .
الشريف الرضي يرثي أمه ٢١٦
■ الكلمات المتقاطعة . . ٢١٨
■ مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر . تأملات في الجريمة
ـ د . محمود الذوادي . . . ٢١٩
ـ من المكتبة العربية : الشرقاوي ورؤية جديدة في كتاب عن خامس الخلفاء الراشدين .
ـ فاروق خورشيد ٢٢٤
ـ مكتبة العربي : مختارات . ٢٢٨
■ مسابقة العربي الثقافية ٢٣٠
■ حل مسابقة العدد ٣٣٥ . . . ٢٣٢
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٣٤
■ حوار القراء ٢٣٦

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ ترويض الإرادة بين اتهامات التسلط أو التنازل .
ـ ريم الكيلاني ١٩٤
■ مساحة ود : بحثا عن حلم
ـ محمود عبد الوهاب . . ١٩٩
■ المضادات الحيوية سلاح ذو حدين
ـ وفاء طه ناجي ٢٠٠
■ هو . . هي ٢٠٤
■ من الحياة : أين ولدي ؟
ـ منير نصيف ٢٠٦
■ طبيب الأسرة :
من وحي الشتاء ، الدفء والدفايات
ـ د . حسن فريد أبو غزالة ٢١٠

عزيزي القارئ

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

أهلاً .. ضيوف الكويت

في هذا العدد نلتقي معك في أكثر من مناسبة تاريخية ، ففي أواخر هذا الشهر يلتقي رؤساء دول وحكومات ست وأربعين دولة إسلامية ، وممثلو المنظمات الإسلامية وحركات التحرير على أرض الكويت ، بدعوة كريمة من أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح ، لعقد مؤتمر القمة الإسلامي الخامس هذه المناسبة التاريخية التي تشهدها الكويت ، وقد أعدت لها عدتها ، تنبع من حرص أمير الكويت على العمل الإسلامي ، وتضامن المسلمين ، فلقد كان هاجس هذا الرجل القائد المسلم منذ زمن طويل فيما وصل إليه المسلمون من فرقة ، وكان عمله الدؤوب هو محاولة وضع أسلوب لمواجهة الخلافات التي تنشأ ، ليحول دون تطورها إلى مواجهة مسلحة ، أو ليضع حداً لأي مواجهة قائمة ، وفق معايير الإسلام وقواعده ، ولقد وفقه الله تعالى إلى تقديم ذلك الاقتراح التاريخي في مؤتمر القمة الإسلامي الثالث في الطائف ، بإنشاء محكمة عدل إسلامية ، يرتضيها المسلمون حكماً ، ومصلحاً ، وقاضياً ، في كل المنازعات بينهم

وعندما يصلك ـ عزيزي القارىء ـ هذا العدد تكون الكويت قد استعدت للترحيب بضيوفها من الأقطار الإسلامية المختلفة ، واضعة نصب عينيها تماسك المسلمين ، ووحدة كلمتهم ، ونجاح مؤتمرهم المرتقب

ومن جميل الصدف أن تدخل « العربي » بهذا الشهر في العام الثلاثين من عمرها ، بعد أن قدمت لقرائها ـ في الوطن العربي والعالم الإسلامي ـ حصيلة ثقافية وفكرية عزيزة ، عاقدة العزم على استمرار المسيرة وتجددها

بهذه المناسبة أيضاً تهديك العربي خريطة تبين انتشار المسلمين في شتى قارات العالم وبلدانه حرصا على عادتها السنوية ومساهمة منها في الترحيب بالمؤتمر الاسلامي الخامس

فأهلاً بضيوف الكويت ، وكلنا أمل ورجاء في تحقيق أهداف هذا المؤتمر التاريخي المهم

المحرر

العربي - العدد 338 - يناير 1987

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

على أرض الكويت وبدعوة من أميرها الشيخ جابر الأحمد ينعقد في أواخر هذا الشهر - يناير ١٩٨٧م - المؤتمر الخامس لرؤساء الدول الإسلامية ، في أجواء عربية وإسلامية ودولية بالغة التعقيد ، سواء أكان ذلك على الجانب السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي

ولعل هذا المؤتمر الخامس يكون فرصة طيبة لتجاوز مرتبة الموعظة الحسنة بين المسلمين ، والدعوات الطيبات فقط ، إلى تحليل الواقع العالمي ، وانعكاساته على الدول والشعوب الإسلامية ، وتحويل الرغبة المشروعة في التضامن بين المسلمين الى برنامج عمل ، تتكامل فيه الجهود ، وتحدد به الأولويات ، بعد أن تقطعت أوصال الأمة ، وانتهكت حرماتها ، وهددت أوطانها .

إنشـــاء محكـمـة عدل إسلامية ضرورة لمواجهة المشكلات التي يـلجأ البعض لحلها بواسطـة العنـف والحـرب

● سمو الشيخ حابر الاحمد ودعوة كريمة تسع من حرص امير الكويت على العمل الاسلامي وتصامن المسلمين

إن فكرة تجمع الدول والشعوب الإسلامية في منظمة تسعى لترسيخ التعاون بينها ، فتوحّد مواقفها تجاه الغير ، وتحل المشكلات السياسية والاقتصادية التي تواجهها ، فكرة عظيمة ونبيلة ، تستمد عظمتها ونبلها من عظمة الإسلام الخالد الذي قاوم على مر القرون ـ وبخاصة الأخيرة ـ محاولات دءوبة لإطفاء نوره ، سواء بالغزوات الاستعمارية أو الايديولوجية . وكان من الطبيعي أن يقوم المجتمع الإسلامي ـ بعد أن تخلصت معظم الشعوب الإسلامية من نير الاستعمار المباشر وغير المباشر ، وشرعت في دخول معركة التنمية ـ بالدعوة إلى مثل هذا التجمع في بداية السبعينيات ، وهي نفس الفترة التي أخذ فيها الاستعمار القديم يستبدل بثيابه ثيابا جديدة ، ظاهرها الرحمة وباطنها فيه العذاب ، هادفا إلى الإيقاع بين الشعوب ، ومستنزفا طاقاتها

ولم يكن غريبا أن يتبلور هذا التجمع العالمي للمسلمين حول قضية هي في مكان القلب من قضايا المسلمين اليوم ، فقد تنادى المسلمون بالدعوة الى مؤتمر ، بعد أن قامت عناصر صهيونية في ٢١ آب (أغسطس) من عام ١٩٦٩م بإضرام حريق في المسجد الأقصى ، أولى قبلتي المسلمين ، مما ألهب مشاعرهم ، ودفعهم الى اجتماع رؤساء الدول الإسلامية في سبتمبر من ذلك العام في الرباط ، وتواصلت إثره الاجتماعات ، سواء على مستوى وزراء خارجية الدول الإسلامية التي بلغ عددها تقريبا واحدا وعشرين اجتماعا عاديا وطارئاً أو على مستوى رؤساء الدول الذي تكتمل حلقته الخامسة في مؤتمر الكويت

دعوة لقيام محكمة عدل إسلامية :

□ بعد المؤتمر الأول لرؤساء الدول الإسلامية ظهر إلى الوجود أول تنظيم دولي إسلامي ، هو منظمة المؤتمر الاسلامي التي أخذت على عاتقها تطوير العمل الإسلامي المشترك وتنظيمه ، وقد جاءت أهداف المنظمة ومبادئها منسجمة مع المطالب العالمية في السلم والتعاون العالمي ، ودعم كفاح الشعوب الإسلامية ، للمحافظة على كرامتها واستقلالها ، وتعزيز التعاضد بين أعضاء المنظمة من جهة ، وبينهم وبين المجتمع الدولي المحب للسلام والساعي الى الأمن والنماء من جهة أخرى

ومن المؤمل أن تتم خطوة إيجابية كبيرة في استكمال مؤسسات المؤتمر

□ لقد مجد الإسلام العقل، وعلينا استخدامه لتطوير حياة الناس.

في الملتقى الخامس في الكويت ، وذلك بإعلان إنشاء محكمة عدل إسلامية ، تقدم باقتراح إنشائها سمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح في أثناء انعقاد المؤتمر الثالث للمنظمة في المملكة العربية السعودية في يناير ١٩٨١ ، لأن سموه يدرك الأهمية البالغة لمثل هذه المؤسسة ، وقيامها بين الدول الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية الحرجه . وقد تمت الدراسات الأولية لهذه الفكرة الرائدة ، وفي حالة إقرارها نهائيا ستصبح الكويت مقرا لها

منجزات أخرى :

□ في مسيرة منظمة المؤتمر الإسلامي التي أصبح اعضاؤها حوالي ست وأربعين دولة منجزات أخرى على مستوى إنشاء المؤسسات ، وقد بلغ مجموع المؤسسات التابعة للمنظمة ست عشرة مؤسسة ، منها البنك الإسلامي للتنمية ، ووكالة الأنباء الإسلامية الدولية ، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ومجمع الفقه الإسلامي ، واللجنة الإسلامية للهلال الدولي ، وإحدى عشرة مؤسسة أخرى موزعة على عواصم الدول الإسلامية

وحلال ست عشرة سنة مضت على ظهور العمل الإسلامي المشترك الى الوحود تطورت منظمة المؤتمر الاسلامي بمؤسساتها الى الحد الدي أصبحت فيه قوة على المستوى الدولي ، فأصوات الدول الاسلامية تقارب ثلث أصوات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكتلتها في المنظمات الدولية لا يمكن تجاهلها ، كما أن المنظمة ـ كمنظمة ـ قد حاولت بذل مساع حميدة في القضايا التي تمس المسلمين ، وقد تكللت بعض هذه المساعي بالنجاح ، وصادف بعضها التعويق

وخلال الست عشرة سنة الماضية فرضت على بعض الدول الإسلامية منازعات وخلافات ، من التبسيط والاختزال ردها إلى عامل واحد ، لكن يمكن القول ان أغلبها كان مصدره الاستعمار بأشكاله المختلفة ، القديمة والجديدة ، فقد كان استعمار الدول الاسلامية ـ أو معظمها ـ من قبل دول غربية متعددة ، حملت وتحمل كل منها ثقافتها وعقيدتها ولغتها ، وثبّتت تلك الدول الاستعمارية حدودا إقليمية وعرقية ، وفرضت نمط حياة وأنشطة اقتصادية ، وشجعت على ازدياد التوتر والعنف بين الدول الإسلامية ، سواء كانت في دائرتها الإسلامية العربية ، أو في الدائرة الأوسع ، وهي الاسلامية الدولية

ولعل أهم ما يواجه الدول الإسلامية اليوم بجانب القضية الرئيسية التي تنادى المسلمون لنصرتها ، وهي قضية الأرض والوطن الفلسطيني ، هي مشكلة النزاع المسلح بين الجارتين المسلمتين ، العراق وايران ، والتدخل السوفيتي في افغانستان ، لعل هذه الدوائر الثلاث ذات الأهمية القصوى إقليميا ودوليا من أهم ما يواجه منظمة المؤتمر الاسلامي في هذه الفترة .

الإســـــلام الـيـــوم :

□ لعلي لا أتفق مع كثيرين في اعتبار حركة المسلمين اليوم حركة « صحوة » أو « تجديد » أو « يقظة أصوليّة »، فتلك مفاهيم غربية ، أطلقها بعضهم عندما أعادوا اكتشاف الإسلام ، وتشبث بعضنا بها نظرا لانبهاره بالشكل فقط ، فالاسلام موجود منذ زمن طويل ، وهو يشكل اليوم ـ كما شكل بالأمس البعيد ـ أحد مكونات الانسانية الثقافية والأخلاقية والروحية الكبرى

وعودة قصيرة فقط الى التاريخ الحديث نعرف منها أن آحر محاولات الغرب لحصار الإسلام في عقر داره ـ كما اعتقدوا ـ هو سلسلة الارساليات التبشيرية التي طوّقت جزيرة العرب في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن ، لكننا نلتفت حولنا اليوم فلا نجد تلك الارساليات ، لقد احتفت وبقي الاسلام ، بدون تنظيرات وبدون تعابير الصحوة واليقظة ، إن هذا الدين الحنيف المتسامح يغذي المؤمنين به على مر العصور بغذاء محدول من الصبر والمقاومة والايمان بالله الواحد القهار

وعندما يقف الإسلام اليوم قويا شامخا بين قوى متصارعة ومتنافسة مثل الرأسمالية والاشتراكية بأشكالها المحتلفة والمتدرحة فإنه يعني في حوهره أنه هيكل متفرد بداته ، قادر ليس على البقاء فقط ولكنه قادر أيضا على الاستجابة لمتطلبات العصر دون إفراط أو تفريط

إن الوحدة الاسلامية ، والتوحيد الرباني ، والاجتهاد الانساني ، حلقات ثلاث متكاملة ، فوحدة المسلمين تتجلي في توجههم الى قبلة واحدة ، هي الكعبة المشرفة ، وفي صومهم شهرا واحدا ، هو رمضان الكريم ، وتوجه من استطاع منهم إلى تجمع سنوي عظيم ، هو الحج الى بيت الله في أيام معلومات ، لقد فهم المسلمون اختلاف مناهج دعوة الأنبياء السابقين لمحمد ﷺ ـ رغم رفعهم لراية التوحيد ـ على أنه مظهر من مظاهر مسايرة التشريع للتطورات المستجدة ، كما اتجه الاجتهاد الفكري إلى إكمال كل ذلك عن طريق التدليل على قدرة الانسان على تنمية فضائله الحوهرية ، حيث مداد العلماء خير من دماء الشهداء

إن من الخصائص الاسلامية الكبرى التنوع في إطار الوحدة ، فالنص

الاسلامي واحد ، إلا أن تفسير الفقهاء له يمكن أن يتنوع حسب الاجتهادات التي تختلف باختلاف الظروف والبيئات ، شرط ألا يخرج عن جوهر النص وقواعده . من هذا المنطلق نمت وتطورت في الاسلام مذاهب فقهية متنوعة ، ولولا الترك الجزئي ـ وأسبابه متعددة ـ لمسار تطور الأحكام الشرعية حتى كادت تنحصر في بعض البيئات في قضايا الأحوال الشخصية ، لأصبح لدينا اليوم اجتهاد متطور ، معايش للعصر ، مندمج في سلوك متقارب . والملفت للنظر أن الشريعة الاسلامية رغم محدودية استخدامها عبر العصور الأخيرة هي أحد العناصر الرئيسية التي هيأت للأمة الاسلامية أن تحافظ على كيانها

إن شمولية الاسلام وتسامحه اللذين مكّناه من الاستمرار والانتشار في السابق في الأطراف الشرقية للأمة الاسلامية وكذلك في الأطراف الغربية حري به اليوم في إطار مبادىء الاسلام العظيمة وثوابته الكبرى أن يدفع بالمسلمين لتمثل هذا التراث ، والاجتهاد بدأب على طريق تآخي المثل الأعلى مع الواقع المعاش ، ورفع الواقع المعاش إلى المثل الأعلى

الواقع والتصور :

□ الواقع يقول لنا على الصعيد العملي ان هناك ثورة تقنية وعلمية على ظهر كوكبنا ، وأن هذه الثورة قد امتدت إلى أقصى أطراف المعمورة ، والواقع يقول لنا أيضا اننا كمسلمين دولا وشعوبا ننتمي إلى العالم الثالث بفقره ومرضه ، وتخلف وسائل إنتاجه ، وتخلف علاقاته الاجتماعية ، إن لم يكن على نطاق القيم ففي واقع الممارسة . والواقع يقول لنا ان تعليمنا محدود ، وثرواتنا منهوبة ، وطاقاتنا مهدورة ، واننا كدول إسلامية ، قد وصلنا إلى المسرح الدولي فوجدناه معدًا قبلنا بقوانينه ، وعلاقاته ، ومؤسساته ، وان اللاعبين على هذا المسرح عليهم أن يتحركوا بناء على تلك القوانين والقواعد التي لم نشارك في صياغتها ، فهي ثمرة التاريخ الأوربي في الغالب .

لذلك وجب علينا أن نستخدم العقل الذي مجّده الاسلام ، وحث على احترامه ، نستخدمه كي نطور واقعا جديدا منطقيا ، فنحن لا نستطيع أن نفلت فجأة وفي مرة واحدة من قواعد المسرح المعدّ !

مخطط
تطور
جزد
العـ
بالإرس
التبش
لمرت
وبقي الإ
صهلد
والمسا
أتقت

مقر المؤتمرات الذي سيشهد تجمع القمة الاسلامية في الكويت

وكمثال ـ شئنا أم أبينا ـ فإننا مازلنا نلتزم بالحدود التي فرضها التقسيم الحديث للدول ، بكل قواعدها الدولية والقانونية ، لكن هناك أمورا يمكن أن نتعايش معها ، وأخرى يجب أن نحكّم عقولنا فيها ، فالنزاعات المسلحة بين الدول الاسلامية ـ مهما كانت أسبابها ـ هي نزاعات تضعف الأمة من جهة ، وتقوي أعداءها ، والاسلام ـ كمفاهيم وشرائع ـ قادر على تقديم نموذج لحل هذه النزاعات ، بل قادر على أن يكون عاملا قويا لبناء تلاحم حقيقي سياسي وتنموي ، وإذا كان الأخير ممكنا ـ وهو في طور النمو من خلال مؤسسات اقتصادية ومالية ـ فإننا نرجو أن يتحقق الهدف الأول (السياسي) من خلال محكمة العدل الاسلامية

دين سلم :

□ أسباب الصراعات بين الدول الاسلامية متباينة ، منها ما هي متوارثة من أيام الاستعمار ، فرضها علينا ورحل ، وأخرى وجدت نتيجة لتدخل خارجي واضح أو خفي في مناطق إسلامية استراتيجية ، وغيرها

اتجة عن آلام ومشاكل التغيرات الداخلية ، إلا أن المشكلات الدولية بين
لدول الاسلامية ـ في رأينا ـ أشد خطورة وأكثر عمقا ، ويمكنها أن تعصف
التكاتف الاسلامي نفسه

وإذا لاحظنا أن الانسانية ـ رغم النكبات ـ تتقدم نحو مزيد من
لتضامن والتعاون ، وأن الأسباب المبررة للجوء إلى العنف ـ من منظور
ولي ـ تتضاءل فحريٌ بالمسلمين ـ والاسلام دين التوحيد والسلام ـ أن
قودوا هذا التوجه ويبدءوا بأنفسهم ، فالاسلام دين سلم ، وتحية
لمسلمين بينهم هي السلام ، والاسلام كوحي إلهي حق ، يسعى إلى تأمين
حياة الانسان المؤمن ، وينظم علاقاته مع الآخرين على أساس سلمي ،
القتال ليس مرخصا به إلا إذا كان لدرء مظلمة ، ولا تعلن الحرب وجوبا
لا إذا كانت دفاعا عن الذات ، وللقتال في الاسلام قواعده الأخلاقية
لمعروفة ، كما أن العدوان أو المبادرة بالقتال ـ دون سبب صحيح ـ
حرمان وهناك قواعد إسلامية عظيمة كوجوب السلم في نطاق العدل ،

□ مازلنا ـ كدول إسلامية ـ جزءًا من العالم الثالث ، والمطلوب بذل كثير من الجهود للقضاء على فجوة التخلف ، ولمواكبة عصر التقدم التقني.

وتحريم المعاملة بالمثل في نطاق الظلم ، وتغليب الرحمة تأكيدا لصالح
الجماعة ، وهي مبادىء لو تمثلناها اليوم لحل الوفاق بديلا عن الصراع ،
والوئام بديلا عن الخصام وإذا كان كل ذلك مطلوبا بين أمة الاسلام
والأمم الأخرى فهو أكثر إلحاحا أن يتمثل بين مختلف الدول الاسلامية
اليوم .

عمران المجتمع الاسلامي :

□ إذا كانت القضية الأكثر إلحاحا اليوم بين الدول الاسلامية هي
إحلال التفاهم والحوار بدلا من الصراع في مجموعة القضايا العالقة بين
دولها ، فالقضية الأخرى التي تليها في الأهمية هي واقع عمران المجتمع

نزاعات مسلحة بين الدول الاسلامية تضعف الأمة وتقوّى أعداءها

الاسلامي الذي ينتمي - كله تقريبا - إلى ما تصالحنا على تسميته بالعالم الثالث ، والذي مازالت علاقاته الاقتصادية مرتبطة بالمركز الغربي الذي شكل سطوة الاستعمار القديم أو الجديد ورغم الجهود التي بذلت في الست عشرة سنة الأخيرة منذ قيام منظمة المؤتمر الاسلامي في الاطار الاقتصادي ، وعلى الرغم من الجهود الخيرة التي بذلتها صناديق التمويل والاعمار في الدول القادرة ماليا على التمويل ، فإن الواقع الاقتصادي وتطويره يحتاج إلى بذل المزيد من الجهود ، فهناك دول إسلامية تضربها المجاعة ، وأخرى تتزايد ديونها الخارجية عاما بعد عام مع تناقص في القدرة على السداد ، كما أن جهود بعضها التنموية في التعليم والتدريب وتطوير البنية التحتية مازالت في بداياتها الأولية أو تكاد هذا العبء العمراني الثقيل لا يحتاج فقط إلى مال وبشر ، وإنما يحتاج قبل ذلك إلى طرق تفكير جديدة ، وأولويات تتركز على العلم والعمل كمنطلق لاعمار ذاتي ، وتحتاج كذلك إلى تعاون المتكافئين ، وليس منة المتبرعين ، تعاون يحرك الوعي الجماعي بالخطر المحدق ، ويصب الجهود لخدمة الانسان الذي كرّمه الله سبحانه وتعالى

وبعـــــد ،

إن أنظار الشعوب الاسلامية معلقة بمؤتمر القمة الاسلامي الخامس على أرض الكويت ، والطموح الكبير في أن يقدم هذا المؤتمر مبادىء لحل المشكلات الرئيسية الدنيوية التي تواجه المسلمين اليوم ، في إطار من الروح الاسلامية السمحة ، وأن يبدأ بتضميد جراح الأمة الاسلامية الآن ، وحل الصراعات الجانبية التي هلك فيها الحرث والنسل ، والتي تنبيء - إن استمرت - بشرٍّ عظيم لقد بدأ شيء جديد غير مسبوق من الدبلوماسية والعلاقات بين الأمم في إطار منظمة المؤتمر الاسلامي ، قد يكون من الحيف تحميلها ما لا طاقة لها به ، لكن البذرة موجودة ، والآمال كبيرة ، وإذا كان للمسلمين إسهام حضاري منتظر فليبدءوا بأنفسهم . □

صورة

شعر : خالد سعود الزيد

مــثــلٌ قـــد تجـــسَّـــدا   وقـــديـــمٌ تحـــدَّدا
وحـــديـــدٌ حُـــدورُهُ   صـــاربـــاتٌ بـــلا مـــدى
أرضُـــهُ أو ســـمـــاؤُهُ   مثـلما الـصـوتُ والـصـدى
مـــا تـــرى مـــن تـــمـــاوُتِ   مُـــطْلَـــقـــاً أوْ مُـــقـــيَّـــدا
لـــيس شـــيءٌ كـــمـــثـــلِهِ   جمـــع الحُـــسْـــنِ مُـــفْـــردا
حُـــشِـــدَ الـــكـــونُ كـــلُّه   فـــيـــه حـــشْـــداً مُحَـــدَّدا
واســـتـــدارَ الـــزمـــانُ في   ذاتـــه ، مـــثـــلما بـــدا
مُـــسْـــتَـــمِـــدّاً وَمُـــعْـــطِـــيـــاً   واحـــدٌ ، إنْ تـــعَـــدَّدا
غـــايـــة مـــا ســـمـــا لهـــا   قَـــبْـــلَهُ مـــنْ تمـــجَّـــدا
صـــورةٌ لـــن تَـــرى لهـــا   مَـــثـــلاً قـــد تـــردَّدا
كـــان مـــن قـــبـــلُ أحمـــدا   وأتـــاهـــا مُحـــمَّـــدَا

الوحدة والتنوع في العالم الإسلامي

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

وصف الله تعالى البيت الحرام بقوله : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين . » (آل عمران ٩٦ ـ ٩٧)

وكان أول ما انزل من القرآن على المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ النبي الخاتم ـ قوله تعالى : « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » (العلق ١ ـ ٥)

وبالحج والقرآن والايمان بالرسالة سلوكا وعقيدة وشريعة ، تحددت أبرز معالم الوحدة في الاسلام فلنتناولها بشيء من التفصيل .

القرآن والرسول

والقرآن الكريم ، هو الكتاب المنزل الوحيد الذي يستطيع المسلمون من سن مبكرة أن يحفظوه عن ظهر قلب ، وأبناء الاسلام هم التصوير الحي لقول الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (الحجر ٩) ولقوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر » (القمر ١٧)

والقرآن الكريم ، هو الكتاب الذي تواتر توثيقه ، من وقت أن أنزله الله على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فكتبه أصحابه وحفظه منهم من استطاع ، وطبقوه والوحي ينزل ، فكان عندهم العلم والعمل .

يقول الامام ابن كثير في مقدمة تفسيره : قال ابو عبدالرحمن السلمي (وهو من كبار التابعين الحافظين لكتاب الله) : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا (أي من الصحابة) انهم كانوا يستقرءون من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

وجمع ذو النورين ـ الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ المسلمين على المصحف الجامع ، بعد أن انتشر الصحابة في الأمصار ، بدلا من اعتماد كل منهم على ما كتب بيده ، أو حفظ بذاكرته فكان عمله توثيقا

كتابيا جامعا وهذا العمل التوثيقي في الاجتماع على أصل واحد ، عصم القرآن ، كما عصم أبو بكر الاسلام بحروب الردة ، وصان كيان الدولة والوحدة الاسلامية والتقت بالعمليتين وحدة الارادة ووحدة العبادة

والقرآن للمسلم كتاب الحياة ، والأمر الالهي الاول « اقرأ » مازال قائما كان أمرا للمصطفى وهو أمر لكل مسلم من بعده وهو أمر يلتقي مع فطرة الانسان ، والفطرة دين ، والدين فطرة ، والله تعالى يقول « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين » (الروم ٣٠ - ٣١)

والقرآن عقيدة وشريعة وأخلاق وقصص عقيدة هي التوحيد والايمان بما أنزل الله من كتاب ، وشريعة فيها إجمال ما يتغير - كالنظم السياسيه والاقتصادية - وتفصيل ما لا يتغير كالعبادات ، وأخلاق هي مستوى التعامل ، الذي صوره الرسول في حياته فكان تصوير الاخلاق بالأسوة والكلمة قال تعالى واصفا رسوله « وإنك لعلى خلق عظيم » (القلم ٤) وقال مخاطبا المؤمنين « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (الأحزاب ٢١) ، وقصص قال الله تعالى فيه « لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (يوسف ١١١)

وبهذا دعا القرآن الى التوحيد والوحدة ، والى العمل الصالح في هذه الدنيا ، والايمان بعقيدة الجزاء الناس جميعا عباد الله ، وهم في الانسانية اخوة ، جاءوا من نفس واحدة « يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » . (النساء ١)

والتوحيد نداء دائم للوحدة ، والصلاة تعبير دائم يومى عنها الفرائض الخمس ، الاستعداد لها ، طريقة أدائها ، ثواب الاجتماع عليها ، كونها تلخص الاسلام كله ففيها التوحيد ، وهي صلاة ، ولا طعام ولا شراب عند ادائها ففيها من الصوم نصيب ، وفيها تقديم جزء من الوقت وهو الحياة ، وهذه روح الزكاة ، وفيها التوجه الى البيت الحرام ، وهذا نصيبها من الحج وتذكير دائم به ، وفيها الاجتماع على هدف والانتظام من أجله ، وحسن القيادة والاتباع ، وتصويب الخطأ اذا كان من الامام والفتح عليه اذا سها وهو يتلو ، فهي ليست اتباعا دون وعي ولكنها اتباع يقظ وتعاون وتناصح

والزكاة رباط روحي واقتصادي بين الغني والفقير ، والصوم مساواة في أداء العبادة لكل قادر عليها ، وتأكيد لروح الوحدة الاسلامية على امتداد العصور والاقطار يؤديها كل مسلم في موطنه أو مقامه

وفي هذا تختلف عن الحج حيث يجتمع الحجيج من كل فج عميق ليؤدوا مناسكها معا ونقف فيها عند أمور اساسية
١ - المساواة في الملبس بالاحرام
٢ - تضاف وحدة المكان الى وحدة الملبس في الطوف بالبيت العتيق والسعي بين الصفا والمروة

واذا كان الطواف تعبيراً عن الحب ، وصورة لحركة الكون والكون كله في طواف دائم ، تراه في المجموعة الشمسية كما تراه في الذرة ، فان السعي تعبير عن الحركة من أجل هدف ، كان الحصول على الماء ، والحياة حب وحركة

٣ - ثم تضاف وحدة الزمان الى وحدة المكان والملبس وذلك في يوم عرفات وهو ذروة الحج هنا الوحدة الشاملة الكاملة في أروع صورها ، حيث يتلاقى المسلمون - ضيوف الرحمن - على غير أرحام تصلهم ، ولا وحدة لسان أو لون ولكنها العقيدة التي يحسون بها أقوى من كل الفوارق وهو مشهد يتكرر كل عام ، مشهد مفتوح لكل قادر عليه وان كان على المسلم القادر أن يؤديه - فريضة - وفي العمر مرة هذه أضخم لوحة يرسمها المؤمنون بأجسادهم حول البيت العتيق وفي عرفات

بين الوحدة والتنوع

ولقد جاء الاسلام من أول أمره مشيرا الى مظاهر التنوع البشري والطبيعي ، مع وحدة الحياة والاحياء الانساني فالارض هي وطن الانسان كل الانسان « والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنحل ذات الأكمام ، والحبُّ ذو العصف والريحان » (الرحمن ١٠ - ١٢) واذا رجعت الى سورة الرحمن - كمثال - رأيت أوصافا للكون كله سمائه وأرضه ، بره وبحره ، دنياه واخراه ، عمله وحسابه ، وتحس الوصف دعوة مفتوحة الى عمران الحياة

وجاء اختلاف الألسنة والألوان مظهرا لقدرة الله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف السنتكم والوانكم ، ان في ذلك لآيات للعالمين » (الروم ٢٢)

وشأن البشر في اختلافهم شأن مظاهر الكون الأخرى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » (فاطر ٢٧ - ٢٨)

فهناك اشارات الى عوالم وعلوم الطبيعة الجوية والنبات والجيولوجيا ، والأجناس والحيوان والتربة والأرض ، وتأمل كيف جاء لفظ « مختلف » ثلاث مرات في الأيتين وجاء لفظ « العلماء » مرة واحدة كان عليهم - وهم جميع متعاونون - أن يدرسوا مظاهر الاختلاف هذه ، ويضعوا لكل منها علومها ومناهجها دون أن يغيب عن أنظارهم « وحدة الخلق » و « توحيد الخالق » هل نقول وحدة المعرفة في تعدد مظاهرها ، وتنوع آفاقها ؟ هنا الوحدة في التنوع ، والتنوع في اطار الوحدة

من عروبة الحضارة الاسلامية الى عالميتها

بهذه المفاهيم الأساسية قام الاسلام كان في أول أمره « جزءا » من العروبة ، دعوته الاولى في مكة ، وقاعدته الاولى في المدينة ، ومنها انتشر حتى عمر الجزيرة العربية في العهد النبوي ، واهتزت الجزيرة بعد وفاة الرسول ، ثم استقرت الدولة ، وانطلقت الى آفاق جديدة بدءا من عهد الخلافة الراشدة

نعم ان الرسول بعث برسائله الى الملوك والحكام من حوله يدعوهم الى الاسلام ، فمنهم من رد ردا كريما ، ومنهم من علته الغرور وكان اصطدام الاسلام بما حوله من عهد النبوة ولكن المواقع الكبرى جاءت بعد رحيله ، وكانت خطوط المقاومة الرئيسية الى شمال قاعدة الاسلام في المدينة ، في الشمال الشرقي حيث الفرس ، وفي الشمال الغربي حيث الروم

اذن عبر الاسلام حدود العروبة الى أرض حضارات جديدة ، وأصبح العرب بعض الاسلام ، بعد أن كان الاسلام بعض العرب ، وانتشرت العربية مع الاسلام والقرآن ، ولنذكر أن العرب هم أول من حمل أمانة الاسلام ايمانا ونشرا وجهادا والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين على رسول عربي في أم القرى العربيه ودار الهجرة وما حولها ومن هنا كان الرباط الوثيق والمقدس بين العروبة والاسلام والقرآن

وان اختيار الزمان والمكان والرسول واللسان أمور تتعلق في الاسلام بارادة الله ، لا بارادة البشر ، والاسلام كما هو كرامة وتكريم فهو مسئولية وعطاء والانتساب الى امة الاسلام تحكمه ثلاثة أركان تجمعها الآية الكريمة

« كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » (آل عمران ١١٠) والكرامة في الاسلام بالتقوى والتقوى عقيدة وعمل

وبالفهم السمح لاختلاف الالسنة والألوان والبيئات والقدرات ، وتغير المكان وتعاقب الزمان ومتغيرات الحياة ، خرج الاسلام من الجزيرة العربية الى العالم أو هكذا ينبغي أن يكون

ولا نستطيع أن ننكر دور القبيلة في الحياة العربية ، ولا ان نتنكر له فمن قديم عرفت الجزيرة العربية عرب الشمال والجنوب العدنانيين والقحطانيين وعندما هاجروا في الجزيرة من موطن الى موطن حملوا معهم روابطهم ومن الممكن أن تتعايش الروابط ، ومن الممكن أن تتصارع ، من الممكن أن تصبح وحدات منظمة تتحرك مع القيادة

الى أهداف الاسلام ومن الممكن أن تصبح قوى ضاغطة يستعين بها المتنافسون على السلطة ، وتتحول الروابط الى « عصبيات » ضيقة وجامحة ، تشتعل بها نيران الحروب ، ويتحول بها بأس المسلمين الى التنازع ورغم التحذير الالهي « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، ان الله مع الصابرين » (الانفال ٤٦) وقد حمل عرب الجزيرة بعض هذه العصبيات حتى عبرت معهم البحر المتوسط الى الاندلس واندفعت شرقاً الى وسط آسيا وكان لها أثرها في تمزيق وسقوط دول اسلامية ، وقيام أخرى

وجاءت عصبيات أخرى من الأقطار المفتوحة ، منهم من رضي الاسلام دينا ، ومن كان هواه مع قومه ، ومنهم من ظل على دينه ورأى في الاسلام قوة غازية عليه أن يقاومها ويطردها من الديار

ولم يقتصر الامر على العصبيات العرقية واللغوية والقومية ، وانما امتد الى العصبيات المذهبية ونستطيع أن نرجع ـ كنموذج ـ الى كتاب الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م لنرى صورة عن الحياة العقلية والمذهبية للاسلام حتى في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي واعتقاد كل فرقة من الفرق التي زادت على السبعين أنها على حق وأنها الفرقة الناجية

واذا كان كثير من هذه الفرق قد طواها التاريخ ، أو نبت بعدها جديد ، أو تعايش بعضها مع بعض في ظل الاخاء الاسلامي ، فان أخطر ما يعانيه الاسلام هو أن يتحول الحوار بين الفرق الاسلامية الى صراع مسلح ، أو تحاول احداها فرض آرائها بالقوة على من يعيشون في ظل دولتها ، وتقوم بتصدير مبادئها الى ما وراء حدودها

خطورة الفرق الاسلامية هو التحول من رأي عقلي الى صراع سياسي وعسكري وأبرز نماذجه المعاصرة وأشدها ضراوة الحرب بين ايران والعراق ، والصراعات المذهبية في لبنان

وهذه المشكلات العسكرية المذهبية أو الدينية ليست مقتصرة على الوطن العربي والاسلامي فهي من أمراض العصر هذا العصر الذي أصبح العنف فيه لغة دولية ومن أمثلته الصراع الايرلندي البريطاني وهو في جوهره صراع بين البروتستانتية والكاثوليكية الصراعات المذهبية في الهند ، الصراع بين شمال السودان وجنوبه ، الصراع بين الأتراك والأرمن ، حركات العنف في أكثر من قطر اسلامي

ومن الصراع الى التعايش

ولكن الذي نود الوقوف عنده ان الكثير من جوانب الاختلاف العرقي واللغوي والمذهبي في أوروبا التي قامت بينها الحروب قرونا ، قد استطاع القوم هناك أن يتخطوها الى صور جديدة من التعاون ، وأحلت الحروب والمعاهدات مكانها لسوق أوروبية مشتركة ، وبرلمان أوروبي ، وتعاون علمي وتقني ، يحدون فيه منافسة خطيرة من اليابان ومن حولها دول في الشرق الاقصى ، ونحن بمقاييسهم مازلنا نعيش في مرحلة الصراعات المذهبية ، والقوميات الضيقة ، دون أن نصعد بجهودنا الى تحديات العصر الذي نعيش فيه

المثلث الحضاري

ولنحاول الان تحديد المؤثرات التي تزيد من شقة الخلاف في العالم الاسلامي المعاصر

أولا المواريث الحضارية السابقة للاسلام في الأقطار التي انتشر فيها فالصورة ـ أو الصور ـ في افريقيا تختلف عن آسيا ، والاثنتان تختلفان عن صورة الوطن العربي

ثانيا المؤثرات الاسلامية ذاتها بمدارسها واتجاهاتها المختلفة

ثالثا الحضارة الغربية ، وقد استطاعت منذ القرن السادس عشر أن تحيط بالعالم الاسلامي ، وتحرمه من أهم موارده الضخمة في العالم الجديد ، وأن تجعل الحضارة الانسانية أوروبية المصدر ، وأن تغزو العالم الاسلامي والافريقي والاسيوي ، هذا مع تعدد مدارسها بين الاقتصاد الحر والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية ، واتجاهاتها الفكرية والدينية من نشر المسيحية بكنائسها المتعددة الى نشر الالحاد ، ومن محاولات نشر اساليبها في الادارة والحكم والنظم السياسية والاقتصادية وفي هذا كله وجد العالم الاسلامي نفسه أمام غزو كاسح وتجاذب وتنافر تعددت معه المواقف

لقد شبهنا المؤثرات الثلاثة الأساسية بأضلاع مثلث. ولكن أين يقف العالم الاسلامي ؟ أفي داخل المثلث أم خارجه ؟ واذا كان داخله ، فالى أي الاضلاع أقرب ؟ واذا كان خارجه فالى أي اتجاه يسير ؟

وتستطيع - هندسيا - ان تضع الدول الاسلامية داخله ، والبعض خارجه ، وفرق بين أن يحصرك المؤثر ، أو تتحكم أنت في مساره ، وتسيره به ومعه.

واتصور الوضع الأسلم ، الذي يكفل للعالم الاسلامي اقترابا من وحدته وتعاونا في مساره أن يحسن الاختيار من التراث القديم ومن شريعة الاسلام (ولا أقول العقيدة لانها ليست اختيارا) ومن منجزات العالم الحديثة.

والاختيار ليس مجرد تراكم أو تجاور ، وإنما هو في ذاته تمهيد لابداع جديد ، ولنبدأ من نقطة وسط المثلث ، ترى كل ما حولها ويؤمن الواقف فيها ان الاضلاع الثلاثة حوله ليست حوائط أو أسوارا حاجزة ، وانما فيها أبواب ونوافذ تطل على الأعماق اذا كانت ماضيا وعلى الافاق الجديدة اذا كانت حاضرا وغدا.

المثلث يتحرك

ومع التزود من المصادر الثلاثة يكون المسار بحيث يصبح المثلث كأنه رأس سهم متحرك الى الغد ، دون أن ينفرط نظامه أو تتكسر أضلاعه.

هنا يبدو الابداع في صورة من أجمل صوره. يمكن ان يحتفظ كل قطر اسلامي بخصوصيته الحضارية ، من تراثه القديم ، وافادته وعطائه الاسلامي ، وتعامله مع العالم الحديث ، وفيه حشد من المراكز الحضارية. ولكن هذه الخصوصية لا تنمي الوحدة الكبرى التي تنتظم العالم الاسلامي.

ولتكن الاستراتيجية الكبرى كما يلي: تقوية عوامل الوحدة والتقارب وتعايش الفروق الحضارية بحيث لا تصبح - بتقويتها - قوى تنافر وتباعد تحطم روابط الوحدة ، وكذلك: لا تكون روابط الوحدة قوى ضاغطة تحول دون نمو الخصوصيات الحضارية وهي بطبيعتها في الفروع لا في الأصول.

نداء من المسجد الحرام

ان القرآن الكريم يصف البيت الحرام بقوله «ومن دخله كان آمنا» (آل عمران: ٩٧) ذلك لان له مكانة تعلو على الفروق والخلافات والجدال.

فهل نستطيع أن نأخذ من هذه الحرمة قبسا - مجرد قبس - نهديه الى الحركة العلمية الاسلامية ؟ مجرد تأمين للأنشطة العلمية وتوثيق لروابطها وحرية تتوفر للعلماء في الحركة والاتصال والبحث ، بعيدة عن تيارات السياسة وعواصفها. ونجني من ذلك الكثير ، فاذا نجحت التجربة أمكن تطبيقها على مجالات أخرى. وبهذا تتسع دوائر التعاون ، ويزداد تدرب الأجيال الجديدة على الاخاء والسماحة والحوار العقلاني. وفي هذا كله عود على تكوين صورة جديدة للعالم الاسلامي في وحدته الكبرى وتعدد خصوصياته الحضارية وتعايش الوحدة مع التنوع □

« اللطائف في صنع الكنافة والقطائف »

● الكنافة والقطائف من الأكلات المشهورة في شهر رمضان ، حتى أن الامام جلال الدين السيوطي قد ألف كراسا عنونه (اللطائف في صنع الكنافة والقطائف). ويروى أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من قدمت له الكنافة والقطائف في رمضان ، إذ أن معاوية كان مشهورا بأنه أكول ، وقد شكا ذلك إلى طبيبه محمد بن اثال فأشار عليه أن يأكل الكنافة والقطائف فصار يأكلها في السحور ليرتاح من الجوع الشديد الذي كان يشعر به طوال أيام رمضان.

العلم وطموحات المستقبل في الأقطار العربية

بقلم : الدكتور محمد عبد السلام*

« تتوقف نهضة الأمم وتطورها على مدى اهتمامها بتطور العلوم الأساسية ، ونشاط مراكز البحث العلمي ، ورعاية العلماء وتشجيعهم ، فدون مراكز بحث وعلماء لا أمل في نهضة عربية علمية »

كل أمة تغفو فتكبو ، ثم تصحو فتنهض ، هكذا حال أمم شتى اعتراها الوهن ، وأثخنت جسدها الجراح ، فما بال أمتنا قد طال سباتها ، وأصبحت جسدا مسجى في غرفة الإنعاش ؟ نريد سريعا (حقنة الحياة) ، لنتدارك آخر قطرات الدم في الوريد قبل الجفاف ، فهل نحن فاعلون ؟

ليس العرب أمة ضئيلة صغيرة ، فهم قد اقتربوا في تعدادهم من ٢٠٠ مليون نسمة تقريبا ، وهذا العدد يكاد يعادل سكان الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي ، ويكاد يكون ضعف سكان اليابان ويقدر الدخل القومي العربي حسب الإحصاءات العالمية لعام ١٩٨٣ بأكثر من ٤٠٠ بليون دولار ، بينما لم تتجاوز مدخولات الصين مثلا ٣٠٠ بليون دولار وبينما ينفق العرب أكثر من ٥٠ بليون دولار سنويا على نظامهم الدفاعي ، فميزانية الدفاع في الصين لاتتجاوز ٢٥ بليون دولار وفي مجال العلوم والحضارة كان للعرب تاريخ مجيد مشرف ، وإن حاول البعض طمس هذا الدور الإنساني العظيم ، وتجاهل الانجازات العربية الإسلامية في

---

* عالم ، فيزيائي ، باكستاني ، نال جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٧٩م أسس المركز الدولي للفيزياء النظرية في تريستي بإيطاليا خصيصا ليجمع فيه كثيرا من علماء العالم الثالث ، وهو يتبع منظمة (اليونسكو) العالمية ، والوكالة الدولية للطاقة الذرية

يعمل في المركز ٣٧٦ عالما عربيا ، وحوالي ١٢٩٥ عالما من بلدان العالم الثالث ، ويتلقى ٥١ عالما - يعملون في هذا المركز - دعما ماليا من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، وجامعة قطر ، لمتابعة أبحاثهم العلمية

الرياضيات ، والفيرياء ، والطب ، والأحياء ، فلن يستطيعوا أن ينكروا حقيقة أن العرب هم أول من أعطى للعلوم منهجيتها الحديثة ، في أساليب الملاحظة ، والتجريب ، والتدقيق ، يقول مؤرخ العلوم الكبير « جورج سارتون » « إن أهم الانجازات العلمية في القرون الوسطى كانت انبعاث تلك الروح التجريبية التي يعزى الفضل فيها إلى مسلمي القرن الثاني عشر »

أسباب التخلف .

لو أخذنا في الحسبان ـ في عصرنا الحاضر ـ تلك الأعداد الضخمة من العلماء العرب ، والمسلمين المهاجرين ، والعاملين في الولايات المتحدة ، وأوربا ، وماقدموه ، ويقدمونه من انتاج لايمكن تجاهله في مجالات الطب ، والرياضيات ، والفيرياء ، والكيمياء ، لأدركنا اليوم مدى التأخر والتقهقر العلمي في بلادنا العربية والإسلامية ، ولاكتشفنا عاملا بيّنا طارئا ، يجب تصحيحه ، وعلاجه

نستطيع أن نقول إن وراء هذا التخلف ثلاثة أسباب

أولها افتقارنا إلى خطة قومية ، ملتزمة وحاسمة ، تسعى إلى اكتساب المعرفة ، والتوسع في مجالاتها ، كما حصل في اليابان مثلا إثر استعادة الامبراطور « ماتساشيتو » للسلطة عام ١٨٦٩ ، وقضائه على النظام العسكري والقبلي الذي كان سائدا إبان حكم «الشوجان »

لقد كانت إحدى مبادىء الحكم الجديد الخمسة تتضمن العمل على تشجيع اكتساب المعرفة والعلوم ، بشتى الطرق والوسائل ، من أجل رفعه اليابان وتقدمها والسبب الثاني هو إبعاد العلماء عن مشاريعهم ، مكافة المشاريع العلمية في بلادنا لايديرها العلماء أنفسهم ، ولا يشرفون عليها ، كما أننا لم نقم بأي جهد يذكر من أجل استدعاء الباحثين العلميين المتازين ، أو الإبقاء عليهم ، ليشكل تواجدهم النواة الأولى في جامعاتنا ، ومعاهد أبحاثنا

وثالث هذه الأسباب عدم وجود خطة واضحة للاعتماد على النفس في مجال التقنية ، وافتقارنا إلى خطة للتطور العلمي ، فليست هناك ـ حتى الآن ـ سياسة علمية واضحة في هذا المضمار

بهذا نستطيع القول أن الضعف الذي نعانيه علميا وتقنيًا يرجع ـ أساسا ـ إلى افتقارنا إلى الالتزام القومي الشديد بالسعي وراء العلوم ، والتقنية قد يكون لنا سياسة خارجية محددة ، وخطة اقتصادية واضحة في التصدير والاستيراد ، وقد يكون لنا سياستنا الخاصة بنا في الدفاع والتسليح ، لكن للأسف ـ ليس لدينا ـ حتى الآن ـ خطة معلنة لاكتساب المعرفة ، والتقدم العلمي

ومن مظاهر هذا التعتيم الحضاري خلو الساحة العربية من أي جهد تمويلي مسؤول على المستويين الحكومي والخاص ، فليس لدينا مؤسسات علمية عامة أو خاصة ، ومازلنا نعتبر العلوم نشاطا هامشيا في حياتنا ، ولم نحاول أن نحدث مثقفينا البارزين ، أو نغريهم بمناصب رفيعة تليق بسمعتهم العلمية ، كذلك لم نعط ـ ضمن خططنا المستقبلية للتقدم العلمي ، حتى العسكرية منها ـ أية أولوية من أجل بناء جيش قوي لأمتنا

التعامل مع العلماء .

وعن مدى أهمية هذه الخطة وخطورتها نستطيع أن نستذكر تاريخ أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ونستلهمه ، تلك « الأكاديمية » التي أنشأها بطرس الأكبر قبل قيام الثورة الروسية ، وأوكل إليها مسؤولية زيادة عدد أعضائها ، وإغرائهم بشتى الطرق ، حتى أصبحت مطمح كل البارزين في كافة العلوم داخل الاتحاد السوفياتي ، وأصبحت تضم اليوم أكثر من ربع مليون عالم وباحث ، يعملون في المعاهد والمؤسسات التابعة لها ، ويحظى هؤلاء الأعضاء بكافة الامتيازات التشجيعية التي كفلها لهم النظام السياسي في بلدهم ، تلك الامتيازات التي يحسدهم عليها الآخرون

وكما يقول (الأكاديمي) الروسي « مالكيف » « لقد تحقق ذلك تقريبا عام ١٩٤٥ ، حينما انهار الاقتصاد الوطني بعد الحرب ، عندئذ قرر « ستالين » ضرورة تجنيد كافة المتفوقين ـ من رجال ونساء ـ في المجالات العلمية المختلفة ، متجاوزا بذلك كل العوائق (البيروقراطية) و (الروتينية) ، حيث أعلن حينئذ

عن زيادة أجور العلماء والباحثين العاملين في (الأكاديمية) والمعاهد التابعة لها إلى ثلاثة أضعاف ، وقد جاءت تلك الزيادة للعلماء دون الأطباء والمهندسين

وربما تكون هناك بعض المشاكل في طريق التقدم العلمي داخل الاتحاد السوفياتي ، أو بلدان الكتلة الشرقية ، لكن الرعاية والنفقات ليست ـ حتما ـ ضمن هذه المشاكل

كيفية إدارة المشاريع العلمية .

إن الانجازات العلمية تعتمد ـ أساسا ـ على النخبة المتعلمة ، وعلى الأفراد المتفوقين ، ومايجب أن نفعله هو أن نبحث عن هؤلاء ، ونجلبهم بكافة الوسائل ، والاغراءات ، وبالشروط الميسرة ، المقبولة من جانبهم ، لكي نحتفظ بهم ، ونبقيهم بين ظهرانينا هذا ما يجب أن نوفره ، وندركه ، قبل أن نبحث عن عصر نهضة جديد للعلوم في بلادنا

إن العلماء أنفسهم يجب أن يديروا هذه المشاريع ولو نظرنا إلى كيفية إدارة هذه المشاريع في « اسرائيل » لذكرنا قول البروفسور « ديشاليت » ، مدير معهد وايزمن في القدس ، أمام إحدى لجان الأمم المتحدة ، حين سئل عن سياسة « اسرائيل » العلمية فأجاب قائلا « لدينا سياسة بسيطة للتقدم العلمي ، تشتمل على عنصرين اثنين ، أولهما أن العالم دائما على حق ، ويفضل أن يكون شابا ، وثانيهما منح هذا العالم مطلق الحرية في الحركة والسفر ، وحتى الهجرة في سبيل متابعة أبحاثه ودراسته ، لكن نحتفظ لنا بشرط واحد عليه قبل سفره ، وهو ضرورة اقترانه بفتاة يهودية ، قبل مغادرته ، فهي التي سترجعه إلى وطنه حتما ، فضلا عن احتفاظنا له بوظيفة مفتوحة حتى عودته »

هذه العقلية البسيطة المتفائلة يؤكد « ديشاليت » عددا من القناعات ، والحقائق العالمية ، الضرورية ، والحاسمة أيضا ، من أجل تقدم العلوم في العالم .

ليس للعلم وطن :

هذا القول يؤكد ضرورة إدارة العلماء لمشاريعهم وإشرافهم عليها ، واستبعاد كافة العقول المتحجرة المترمتة عنها ، كما يعني أيضا ضرورة التواصل الحي مع الدوائر العلمية العالمية ، فليس للعلم هوية واحدة أو وطن واحد ، لذا يجب الخروج من عزلتنا العلمية ، ووضع حد لهذا الاعتكاف المزمن ، فليس معقولا أبدا أن نجد معظم أقطارنا العربية والإسلامية تقتصر عضويتها على أربعة أو خمسة اتحادات عالمية ، باستثناء مصر التي تشارك في حوالي ١٥ اتحادا علميا عالميا ، كما أنه من المخجل حقا ألايوجد على أرضنا العربية أو الإسلامية مركز عالمي واحد للأبحاث العلمية ، لقد نظمت أقطارنا بعض المؤتمرات العلمية العالمية ، لكنها قليلة جدا ، أما السفر والترحال من أجل المشاركة في المؤتمرات العلمية فلا يزال ينظر إليه ـ في وطننا العربي والإسلامي ـ على أنه مضيعة للمال والوقت   وليست هذه هي العزلة الوحيدة التي يعاني منها علماؤنا ، بل هناك عزلة أخرى عن أخلاقيات العلوم العالمية ، فالفجوة مازالت واسعة بين الطريقة التي تدار بها مشاريعنا العلمية ، وطريقة التسيير الذاتي لهذه المشاريع بأيدي العلماء أنفسهم ، كما يحدث مثلا في الاتحاد السوفياتي

كذلك مازالت أقطارنا تفتقر إلى الأنظمة المتطورة للجمعيات العلمية ، والمؤسسات المستقلة ، ذات المستوى الجيد ، وليس لدينا منظمات علمية مستقلة ، تشرف عليها جهات مستقلة فعلا وتمولها وكذلك هناك خطأ (أكاديمي) في جامعاتنا ، فهي لاتركز على ضرورة الأبحاث ، ولا تحرص عليها ، كما هو الحال في الجامعات الأمريكية مثلا ، ثم ليس هناك معاهد أبحاث موجودة في الحرم الجامعي ، أو حتى إعطاء مِثل هذه المعاهد حق الارتباط والتبعية للجامعات   وهكذا يحرم شابنا المتعلم من فرصة التواصل العلمي مع هذه المعاهد ، ومن فرصة اللقاء مع النخبة البارزة العاملة في هذه المعاهد ، والاحتكاك بهم ، والاستفادة منهم ، فهناك حاجة ملحة إلى رابطة علمية ، تضم كافة الأقطار العربية والإسلامية ، حتى ولو لم يكن الجو السياسي متوفرا في الوقت الحاضر

- إن هذه الرابطة العلمية الواسعة كانت موجودة فعلا في تاريخنا القديم ، وفي عصوره الذهبية الرائعة ، حيث نجد علماءنا المسلمين في آسيا الوسطى كالبيروني وابن سينا يكتبون أبحاثهم باللغة

العربية ، وحيث نجد العالم الفيزيائي ابن الهيثم ينتقل بكل حرية من بلده (البصرة) والتي كانت تحت الحكم العباسي إلى مصر ، ويلقى في البلاط الفاطمي كل حفاوة وتكريم ، رغم تنافس الطامين (الفاطمي والعباسي) آنذاك ، ومثل هذا ماكان يلقاه في بغداد من تقدير واحترام ، فللعلم حرمة وقداسة أينما كان ، وحيثما حل ، بغض النظر عن الخلافات السياسية ، والدينية ، والطائفية التي كانت في ذلك الوقت من تاريخنا القديم أشد عنفا وحدة من صراعاتنا ، وصراعاتنا الحالية ، في تاريخنا المعاصر

إن تشكيل أية رابطة عربية للعلوم يتطلب قرارا واعيا ، واعترافا صريحا بهذا المفهوم الحضاري الانساني للعلوم ، من العلماء أنفسهم قبل حكوماتهم إن طبقة العلماء في الوطن العربي والاسلامي مازالت تشكل فئة صغيرة متواضعة ، ومازالت جهودهم ونشاطاتهم العلمية ـ إذا ماقورنت بالانجازات العلمية للدول المتقدمة ـ قليلة ، فعلى العلماء أن يعملوا معا ، كيد واحدة ، وإلا تفرق أثرهم وجهدهم ، وأصبح الموقف حرجا ومن أجل دعم هذا الاتجاه لا نستطيع أن نحلم فنرى حكوماتنا تصدر المراسيم الشجاعة الحاسمة من أجل حماية علمائنا ، ومنحهم الحصانة الكاملة لفترة ربع قرن قادم ، نرى خلالها تشكيل تلك الرابطة العلمية لكل العلماء العرب والمسلمين ، ونراهم يعاملون كفئة لها حصانتها وحمايتها ، بعيدا عن كل الصراعات الطائفية ، والسياسية ، والدينية ، كما كنا قديما في عصورنا الذهبية العابرة

العقلية العلمية والتقنية .

أما الملاحظة الأخرى الهامة ـ حول هذا الموضوع ـ فهي تتعلق بقضية النقل العلمي المصاحب للنقل التقني ، فهنالك كثير من الحكومات العربية تزعم أنها تشجع على احتواء هذه التقنية ، عن طريق استيراد التصاميم ، والآلات ، والأجهزة الفنية ، وأحيانا بعض المواد الخام ، وقد ظهر فشل هذا المسعى ، ومدى عبثيته حين نقد البروفيسور « اولدهام » من معهد الأبحاث التابع لجامعة « ساسكس »خطأ هذا الأسلوب ، أثناء حضوره لأحد المؤتمرات العلمية التابعة للأمم المتحدة ، لقد كان « اولدهام » يعمل في (هونج كونج) كعالم (جيوفيزيائي) ، وأثناء عودته إلى (هونج كونج) زار « اسرائيل » ، وقد جعلته هذه الزيارة الخاطفة يدرك مدى اتساع الفجوة بين « اسرائيل » ، « وهونج كونج » ، فكلاهما شعبان من المهاجرين ، ويكاد يكون التشابه متقاربا من حيث عدد السكان والموارد الاقتصادية ، لكن (هونج كونج) حريصة جداً على اكتساب التقنية ، بينما « اسرائيل » ـ إضافة إلى اكتساب التقنية ـ حريصة على التقدم العلمي ، وعلى تطوير منجزات علمية وربما يكون (أولدهام) قد أغفل بعض العوامل الأخرى التي ساعدت « اسرائيل » في هذا المضمار العلمي ، لكنه يبقى على حق حين أوضح التناقض بين العلم والتقنية

توصيات لازمة

نحن بحاجة إلى خطة مطلقة معلنة ، تنتهج سياسة توسعية شاملة في العلوم ، وإلى سياسة واضحة للاعتماد على النفس في مجال التقنية القائمة على العلم ، كما يجب أن نؤكد هذه الخطة ، ونلتزم بأن التحول العلمي يجب أن يكون مصاحبا ـ في نفس الوقت ـ للتحول التقني ، ومن خلال خطة قومية ملتزمة كهذه يمكن توفير التدريب اللازم في المستقبل القريب ، لجيل كامل من شبابنا المتحضر في حقول العلم والتقنية ، وعن العدد المطلوب تأهيله علميا في بلادنا نورد هذا المثال من بريطانيا للمقارنة يقوم مجلس الأبحاث العلمية هناك بتوفير أكثر من خمسة آلاف منحة سنويا ، للحصول على الدكتوراة ، بالإضافة إلى خمسة آلاف منحة أخرى تمنحها المعاهد المتخصصة (كمعهد الأبحاث الطبية ومعهد الأبحاث الزراعية) ، كما أن هناك أكثر من ألف منحة للدراسات والأبحاث لما بعد الدكتوراة في بريطانيا ، ذلك البلد الذي لايزيد عدد سكانه عن ربع سكان الوطن العربي

كذلك يجب أن نفكر ـ على المدى البعيد ـ بإنشاء معاهد أبحاث راقية ، ذات كفاءة ، تكون تابعة لأنظمتناالجامعية ومرتبطة بها ، كما يجب أن يمنح المدرسون الجامعيون الفرصة والتعويض الكاملين لتكريس نصف وقتهم للبحث العلمي ، ذلك البحث الذي سيقرر ـ فيمابعد ـ وضعهم الجامعي

والمهني ، كما هو الحال في الجامعات العالمية ، كما يجب أيضا أن نغير من طريقتنا الشكلية لإدارة العلوم ، وكيفية الإشراف عليها ، فالعلوم للعلماء المجتهدين ونذكر بضرورة قيام مؤسسات علمية تنفق عليها بسخاء أطراف رسمية حكومية وجهات خاصة أيضا حتى يمكن ضمان توفير العديد من المنح الدراسية ، وإعطاء الفرص التعليمية لعلمائنا الشباب

ويجب التأكد من أن كافة مشاريعنا العلمية ذات طابع عالمي ، تعطي وتأخذ ، مع توفير التمويل اللازم مهما بلغت النفقات ، وذلك من أجل الحفاظ على تواصلنا النشط مع القنوات العلمية العالمية ، وأن تكون مشاريعنا جزءا مكملا للعلوم الإنسانية ، بالإضافة إلى توفير حرية الحركة ، والأمن ، والقضاء على العوائق - مهما كانت - من أجل خلق هذه الرابطة العلمية الموحدة

نحن مدعوون لدخول باب المعرفة ، والتسلح بالعلم ، فنحن أمة حباها الله بالإيمان ، وحثها على طلب العلم في كثير من آياته يجب أن نخوض بحر العلم ليس لأن العلم أصبح يعني - اليوم - القوة ، والأداة الرئيسية للتقدم الاجتماعي والعسكري ، بل لأننا أعضاء في هذا المجتمع الدولي الكبير ، لم نقدم له جديدا كباقي الأمم ، لهذا نشعر نظرات الاحتقار تطاردنا كالسياط من أمم أخرى سبقتنا - للأسف - في المجال العلمي في العصر الحديث وفي هذا المجال نورد قول أحد الفائزين الأوروبيين بجائزة نوبل في الفيزياء « هل تظنون أنه حق علينا أن نبقى نقدم العون والغوث والطعام والحياة لشعوب لم تقدم للمعرفة الإنسانية شيئا يذكر ؟»

وحتى لو لم يكن قد قال ذلك فإن الحرج يعترينا ، ويخدش حياءنا ، وكرامتنا ، عند زيارتنا لأي مستشفى ، وعند مشاهدة الأدوية المتقدمة ، والأدوات الطبية المتطورة من أجل إنقاذ الإنسان ، ونحن لم نقدم شيئا منذ اكتشاف (السلين) حتى يومنا هذا

إن جميع هذه الإنجازات الطبية المعاصرة لم تشارك بصنعها - للأسف - يد عربية أو إسلامية واحدة يجب أن تكون أهدافنا كبيرة ، وطموحة ، وواضحة ، بحيث نجاري - على الأقل - بريطانيا مع نهاية هذا القرن إن الله قد وعدنا بأن لا يضيع عمل عامل منا

مناهج المدارس :

إن افتقارنا الى البيانات والإحصاءات الدقيقة حول نسبة طلبة القسم العلمي في الوطن العربي والإسلامي يجعلنا لانجرح بتوصيات دقيقة حول هذا الموضوع الحساس ، ومع ذلك يبقى الانطباع العام بأن معدل الطلبة المسجلين في القسم العلمي لا يتجاوز الثلث أو الربع بالنسبة للمعدل العالمي في البلدان المتقدمة ، ففي الصين واليابان مثلا تعتبر المناهج العلمية مادة إلزامية لكافة صفوف المرحلة الثانوية ، وكذلك الحال في الاتحاد السوفيتي حيث تعتبر المواد العلمية كالفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات موادا إلزامية لجميع الطلاب حتى سن «١٦» ، بما في ذلك طلبة المعاهد الرياضية ، والموسيقية ، وحتى معاهد الحياكة للفتيات وحسب معلوماتنا فليس هناك بلد عربي أو إسلامي واحد ينتهج هذا الأسلوب التربوي الصحيح وهذا يوضح النسبة القليلة لأعداد الطلبة العلميين في بلادنا ، وهنا يأتي الدور التشجيعي حكوميا وأسريا ، لدفع أبنائنا للدراسات العلمية ، في كافة المراحل ، وعلى المستويين الثانوي والجامعي ولعل نظرة واحدة على تجارب غيرنا من الأمم الناهضة قد يلهمنا الطريق الصحيح ، من أجل الانبعاث النهضوي الشامل لأمتنا العربية والإسلامية ، ولعل التجربة اليابانية خير مثال على ذلك

دروس من التجربة اليابانية :

في عام ١٨٦٩ استولى الامبراطور « ماتساشيتو » على السلطة ، بعد قرون مظلمة من الصراعات والنزاعات الداخلية على يد القادة العسكريين « الشوجان » ، وكانت اليابان طوال هذه الفترة المظلمة التي امتدت إلى أكثر من ثلاثة قرون تعيش في عزلة تامة عن العالم ، حيث كانت السياسة اليابانية القديمة تتعمد محاربة المد الأوروبي الدخيل وخاصة الإرساليات التبشيرية ، ولكن مع بداية القرن التاسع

عشر بدأ النفوذ الأوروبي يتصاعد عالميا ، وبدأت اليابان تتأثر بذلك ، فأبرمت الاتفاقات الاقتصادية مع أميركا أولا ، ثم مع بعض الدول الأوروبية كبريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا ، وهولندا وهكذا بدأت العلاقة تنمو تدريجيا ، وتنسق بذلك السياسة القديمة للمجتمع الياباني وعندما وصل الامبراطور إلى السلطة كان همه الأوحد هو فك هذه العزلة القاتلة عن بلاده ، ثم احتواء المعرفة العالمية ، واكتسابها بشتى الطرق ، والوسائل وعندما قررت اليابان استيراد التقنية الأوروبية ، والعلوم الحديثة ، كان ذلك بناء على خطة مرحلية ، بدأتها بمسح شامل للصناعات الهندسية في أوروبا وأميركا ، ثم خطت الخطوة الثانية باستدعاء الخبراء والعلماء الأجانب ، ثم بدأت بعد ذلك بإرسال البعثات التعليمية إلى الخارج ، وبعدها تم إنشاء الجامعات والكليات الصناعية بهيئات تعليمية أجنبية ، ثم تلا ذلك إنشاء معاهد الأبحاث ، وقد تأكد ذلك على لسان رئيس وزراء اليابان في عام ١٨٨٦ حين قال « إن الطريق الوحيد لصيانة قوتنا القومية والحفاظ على مصلحة شعبنا هو العلم ، فبدونه ليس هناك ازدهار لأي أمة من الأمم »

« ومن أجل مستقبل مزدهر ، ومن أجل أن نلحق بركب الأمم المتقدمة ، فليس أمامنا إلا أن نتسلح بالمعرفة ، ونطور من أسلوب أبحاثنا العلمية » وقد بدأت التقنية الحديثة تصل إلى اليابان لتساهم في تطوير صناعة المناجم ، وصناعة النسيج ، وبدأ الاهتمام بالتعليم الصناعي والفني ، وتم إنشاء العديد من الكليات والمعاهد الصناعية ، حيث يتلقى الدارسون على أيدي مدرسيهم الأجانب بعض المواد التطبيقية ، كالهندسة والزراعة والطب والجيولوجيا ، جنبا إلى جنب مع المواد الأساسية ، كالرياضيات والفيزياء والأحياء

لقد تم إنشاء كلية الهندسة في عام ١٨٧٣ ، وكان الهدف من وراء ذلك إعداد الكوادر اليابانية ، لوضع التصاميم والخطط اللازمة لتنفيذ سياسة التوسع العمراني والصناعي ، وتم إرسال الكثير من الخريجين إلى أوروبا لمواصلة تعليمهم ، لكي يباشروا بعد ذلك تدريس الجيل الثاني من إخوتهم اليابانيين . واستطاعت اليابان خلال عقدين من الزمان عن طريق مؤسساتها العلمية ومعاهد الأبحاث أن تكون ندا لأوروبا وأميركا مع نهاية القرن التاسع عشر

إن التقدم العلمي والتقني كان العامل الحاسم وراء ذلك الازدهار وتثبيت ، وبروز اليابان كقوة عسكرية عظمى في الشرق الأقصى لقد استطاعت اليابان عام ١٨٩٥ أن تهزم الصين ، وبعد ذلك بعشر سنوات في عام ١٩٠٥ استطاعت أن تهزم روسيا ، مسجلة بذلك أول هزيمة لدولة أوروبية على يد دولة خارج الحدود الأوروبية في العصر الحديث ، وبدأت اليابان مع نهاية القرن الماضي عصر الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب ، ثم بدأت بتصنيع المركبات وبناء السفن والتوسع في صناعة المناجم ، ومع بداية القرن العشرين تحولت كافة الصناعات الثقيلة لاستغلال الطاقة الكهربائية

وتأسس معهد الأبحاث الفيزيائية والكيميائية عام ١٩١٧ على غرار المعهد الامبراطوري الألماني الذي تأسس عام ١٨٨٧ ، وكان الخطوة الحاسمة على طريق التطور الذاتي للأبحاث العلمية اليابانية

وأخذت معظم البحوث اليابانية وقتها تتخذ اتجاها مغايرا للبحوث الأوروبية ، فقد تركز معظمها على التقنية العسكرية ، وفي الثلاثينيات من عصرنا الحاضر نمت القوة العسكرية اليابانية بشكل كبير جدا ، وبسرعة قياسية هائلة ، فقد استطاعت اليابان أن تضم إليها مقاطعة (منشوريا) ، واستغلت نشوب الحرب الأهلية عام ١٩٣٢ في الصين لتعلن الحرب عليها وتحتل معظم المدن الصينية الكبرى ، بما فيها العاصمة بكين وشنغهاي ونانكين لقد كرست اليابان كل العلوم والتقنية لأغراضها العسكرية ، فقد صدر مرسوم التعبئة القومية عام ١٩٣٨ ، وتم إنشاء التعبئة للعلوم سنة ١٩٤٠ ، وقد استطاع العالم الياباني « يوكاوا » أن يقدم إنجازا علميا في الفيزياء في فترة الثلاثينيات ، وكان أول ياباني يفوز بجائزة نوبل للعلوم ، رغم أن أبحاثه في تلك الفترة العسكرية كانت تمثل الاستثناء وليس القاعدة ، ثم جاء الهجوم المباغت عام ١٩٤٢ على (بيرل هاربر) ليحطم الأسطول الاميركي المتواجد هناك ، ثم دخلت أميركا الحرب ، وكانت الهزيمة المعروفة للعسكرية اليابانية ، وفي عام ١٩٤٥ كانت اليابان أمة مهزومة انحدرت قوتها الانتاجية إلى العشر ، وظهرت مخاوف من انتشار

المجاعة والأوبئة لكنها استطاعت مرة ثانية أن تقف على قدميها ، عن طريق تحسين النظام الزراعي وتحسين نوعية الأسمدة والحبوب و« ميكنة » الزراعة ، وقد أدى ذلك - فيما بعد - إلى زيادة الطاقة الانتاجية للبلاد ، الأمر الذي أدى أيضا إلى نمو القطاع الصناعي في الستينيات

وكما حدث في الماضي اعتمدت اليابان على استيراد التقنية العربية مرة أخرى ، لكن لاستغلالها في الصناعات المدنية ، وبخلاف التجربة السابقة فقد انفردت الشركات الخاصة بتمويل المشاريع العلمية الجديدة ، واكتفت الحكومة بدور الإشراف والمراقبة ، مع وضع القوانين التي تحد من ملكية الأجانب للمؤسسات الوطنية اليابانية ، كان التطبيق الجريء للتقنية هو المحور الأساسي للنمو الصناعي الهائل ، ثم عادت الحكومة لتساهم من جديد فأنشأت مؤسسات علمية للأبحاث منها وكالة العلوم والتقنية عام ١٩٥٦م ، ومجلس العلوم والتقنية عام ١٩٥٩ ،

وقد تفرع عن تلك الوكالات العديد من مختبرات الأبحاث ، كمعهد أبحاث الطاقة الذرية سنة ١٩٥٦ ، والمركز القومي لعلوم الفضاء عام ١٩٦٤ ،

ورغم أن التقارير الدولية تزعم أن اليابان تعاني بعض الصعوبات في بعض مجالات التطور العلمي ، إلا أن هذا لا ينفي حقيقة أن اليابان هي إحدى الدول الست المتقدمة في العالم ، جنبا الى جنب مع الاتحاد السوفياتي ، وأميركا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وألمانيا الغربية وتأتي اليابان في المركز الثالث بالنسبة لقيم المبالغ والنفقات المخصصة للبحث العلمي بعد أميركا والاتحاد السوفياتي ، وكذلك بالنسبة لعدد العاملين في الأبحاث العلمية

يلاحظ المراقبون بأنه رغم هذا الزخم العلمي الهائل فإن الاختراعات اليابانية أقل مما يجب ، وللتغلب على ذلك تحاول اليابان جاهدة تطوير الأبحاث المتعلقة بالطاقة النووية في المجالين الانشطاري والاندماجي معا ، وتطوير الأقمار الصناعية لاستخدامها في مجالات الاتصال والارصاد الجوية فما الذي حول اليابان من دولة فقيرة تعاني من الانقسامات ، والنزاعات الدموية الداخلية ، الى دولة عصرية متقدمة ؟ وهل يمكن اعتبار اليابان أنموذجا يمكن تقليده والاستفادة منه ؟ أم أن التجربة اليابانية هي محض تكريس ذاتي للشخصية اليابانية المتميزة ؟

طرفة في عالم جاد

لاشك أن العوامل الذاتية الكامنة في صلب أمة تلعب دورا قياديا في قضية التطور الاجتماعي والحضاري ، لكنها ستبقى هامشية الطابع إذا لم تأخذ منهجية العلوم الإنسانية المتطورة وبعد هذا السرد التاريخي الجاد عن تجربة جادة نورد هذه الطرفة في إحدى لجان المؤتمر الإسلامي المنعقد عام ١٩٧٣ تقدمت باكستان بفكرة إنشاء مؤسسة إسلامية علمية على غرار مؤسسة (فورد) حجما وتمويلا ، وبرأسمال قدره « ١٠٠٠ » مليون دولار ، وبعد ثماني سنوات من التمحيص والتدقيق والدراسة جاءت البشرى بالإعلان عن مولدها ، لكن بتعديل بسيط تقهقر الرقم الموعود من ١٠٠٠ مليون إلى ٥٠ مليونا !

نورد هذه الطرفة دون (رتوش) ، ودون شماتة ، لعل سذاجتها تدفعك أيها القارىء العربي - اذا لم تكن قد ضحكت بعد - الى قراءة هذه الدراسة مرة أخرى وبطريقة مجهرية □

الماء من أنت ؟

● يقول الأديب الحالم انطوان دي سانت اكزو بيري « أيها الماء ليس لك طعم ، ولا رائحة ، وليس بالامكان وصفك كم يتلذذون باحتسائك وهم لا يعلمون من أنت من المستحيل القول بأنك ضروري للحياة ، لأنك الحياة ذاتها »

الإسلام والتراث الإسلامي

بقلم . الدكتور محمد احمد خلف الله

« التراث الاسلامي ليس مقدسا ولا ملزما ونحن نملك حق تعديله ، نأخذ منه ما يوافقنا ونرفض منه ما لا يتفق معنا والقول بغير ذلك تعسف وتزمت لا معنى له »

الموضوع ، هو موضوع الساعة ، وبخاصة عندما تتحدد هذه الخدمة بنصرة القراء لمواضع أقدامهم ، عندما يأخذون في الاستجابة لتلك الدعوة التي تأخذنا من كل جانب ، وهي الدعوة الى العودة الى الشريعة الاسلامية عند ممارستنا للحياة

الاسلام والتراث الاسلامي عنصران متغايران وواو العطف التي تقع بين العنصرين هي المؤشر الذي يشير الى هذه المغايرة ، من حيث أننا نعلم جميعا من دراساتنا اللغوية أن العطف يقتضي المغايرة

التراث الاسلامي إذن غير الاسلام . على الرغم من أن العلاقة بينهما علاقة عضوية ، من حيث انه لا يمكن أن يوجد تراث إسلامي من غير أن يكون هناك إسلام

إن الاسلام هو المحور الأصيل الذي يدور من حوله التراث

والاسلام - فيما نعلم جميعا - هو الديانة السماوية التي أوحى بها الله سبحانه وتعالى الى النبي العربي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وطلب إليه أن يبلغها الناس ويبينها لهم . وأن يدعوهم الى الايمان بها وممارسة الحياة على أساس منها

والتراث الاسلامي - فيما يجب أن نعلم - هو ماورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم في تفاعلها مع الإسلام باعتباره ديانة سماوية

بين الدين والتراث

والتغاير بين الاسلام والتراث الاسلامي ، يكاد ينحصر في مقالنا هذا في أمرين اثنين

الأول هو المصدر الذي صدر عنه كل من الاسلام والتراث الاسلامي

الثاني القوة التي يملكها كل من الاسلام والتراث الاسلامي في إلزام الناس إلزاما دينيا بممارسة حياتهم اليومية وحياتهم العامة على أساس مما جاء به ، أو جاء فيه

ومصدر الاسلام فيما نعلم جميعا هو المولى سبحانه وتعالى ، وهو باعتباره ديانة سماوية لايمكن أن يكون إلا وضعا إلهيا ومن هنا كانت له قداسته

إن العقل البشري لا يمكن أن يضع دينا ، والذي يملكه العقل البشري هو أن يفسر هذا الدين ويبين

للناس حسب تفاعله معه واستجابته له

وضع الدين من حق الله وحده ، والذين يذهبون إلى غير ذلك يكونون من المعتدين على حقوق الله

ومصدر التراث الاسلامي ـ حسب ماسبق من قول ـ هو العقل البشرى ، العقل الذي تفاعل مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية

والتفاعل مع الاسلام ليس يلزم أبدا أن يكون موقفا مع الاسلام ـ فقد يكون موقفا ضد الإسلام ـ ومع ذلك نعتبره من التراث الاسلامي باعتباره من ردود الأفعال مع الاسلام

ونحن حين نقول بذلك إنما نمضي مع سنة من سنن القرآن الكريم فقد سجل القرآن الكريم أقوال المخالفين للاسلام والمنكرين له والرافضين دعوته ، وجعلها من القرآن الكريم ، ونقرؤها نحن اليوم على انها من القرآن الكريم

ليس يلزم في التراث الاسلامي أن يكون كله موقفا مع الاسلام ، ومن هنا كان من حقنا ان نعد منه المواقف التي جاءت ضد الاسلام ، أو المواقف التي ناقشت الاسلام مناقشة عقلية

والالحاد على هذا الاساس جزء من التراث الاسلامي ، إنه موقف فكري ناجم عن التفاعل مع عنصر أو أكثر من عناصر الإسلام ، انه رد فعل ، وليس فعلا

وإنه من هنا لا يمكن أن يدخل التراث الاسلامي في دائرة التقديس إن التراث الاسلامى غير مقدس

المقدس في الاسلام هو ماجاء عن الله سبحانه وتعالى ، ويلحق به ماكان من بيان رسول الله ﷺ له البيان العملي والبيان القولي

أما غير ذلك فليس مقدسا

غير ملـــزم .

هذا ماكان من أمر المصدر أما مايكون من أمر قوة الالزام الديني التي يملكها كل من الاسلام والتراث الاسلامي ، فنراها على الوجه التالي

الذي يملك قوة الإلزام الديني هو مايكون دينا ، هو مايكون مقدسا أما غير الدين فيملك قوة إلزام أخرى هي الالزام الأدبي

وقوة الالزام الديني تقتضي الخضوع لأوامر الدين من حيث أنها أوامر إلهية أما قوة الالزام الأدبي فلا تقتضي الخضوع من حيث انها أوامر بشرية تحتمل الخطأ والصواب ، وقوة الإلزام فيها تدور مع المصلحة ، أو مع ماتملك من قوة وصل الأبناء بالآباء والأجداد

إنه من هنا يجب التمييز بين ماهو من الدين ، وماهو من تراث الآباء والأجداد ، وعلى أساس من هذا التمييز نتحدد موقفا من الالزام والالتزام

الشريعة والتشريع

والآن ننتقل الى كيفية التعامل مع كل من الاسلام والتراث الاسلامي حين ندعى لممارسة الحياة على اساس من الشريعة الاسلامية

والخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها في سبيل هذا التعامل ، هي التمييز بين الشريعة الاسلامية والتشريع الاسلامي ، من حيث ان الشريعة الاسلامية يمكن حصرها فيما يكون مصدره وحي الله الى النبي العربي محمد بن عبدالله ﷺ ، وبيان رسول الله ﷺ لهذا الوحي أي يمكن حصر الشريعة بما فيه نص صريح واضح قطعي الدلالة ، وارد مورد التكليف

اما التشريع فلا يمكن حصره فيما فيه نص من حيث انه يتجاوز ذلك الى مالا نص فيه وهذا الذي لم يرد فيه نص هو الذي يكون محل الاجتهاد أي هو الذي يجتهد العقل البشري في وضع المعايير والموازين له

والقدماء من علماء أصول الفقه قد ذهبوا الى أن مصادر التشريع أربعة الكتاب والسنة وهما النص ، والاجماع والقياس وهما الاجتهاد

والقدماء من علماء أصول الدين قد ذهبوا إلى أن الاسلام الموحى به من الله سبحانه وتعالى ، والمبين بسنة النبي عليه الصلاة والسلام هو عقيدة وشريعة ، وذهبوا أيضا إلى أن الشريعة قسمان قسم هو العبادات ، وقسم هو المعاملات

ونحن لن نتجاوز ما قال به علماء أصول الفقه من حيث مصادر التشريع ، ولا ماقال به علماء أصول الدين من حيث التقسيم ، عندما نتحدث عن كيفية

التعامل مع الاسلام والتراث الاسلامي ، أو التعامل مع التشريع الاسلامي الذي ندعى الى ممارسة حياتنا اليومية وحياتنا العامة على أساس منه

وبادىء ذي بدء يجب أن نقرر أن ماكان مصدره النص لا ينسخه ولا يغيره أو يبدله إلا نص آخر صادر عن الذي صدر عنه النص الأول أي صادر عن الله سبحانه وتعالى ، ومبين بسنة رسول الله ﷺ

إن الذي صدر عنه النص هو الذي يملك حق تعديله كما يجب ان نقرر أن ماكان مصدره اجتهادات العقول البشرية يمكن أن تلغيه وتستبدل به غيره العقول البشرية ، اعتمادا على نفس الأصل التشريعي وهو أن الذي وضع التشريع هو الذي يستطيع تعديله وإلغاءه

وأعتقد أن المسألة قد وضحت تماما في ذهن القاريء ، وأنه يسلم بأن العقل البشري يستطيع التعامل مع ماكان مصدره الاجتهاد ، وما يمكن تسميته بالتراث الاسلامي مما لم يرد فيه نص ، بتعديله أو تغييره

إننا قد ورثنا هذا اللون من الثقافة عن الأسلاف ، وأصبح بهذا الميراث ملكا لنا ، ومن حقنا ـ الذي لا يصح أن يدور في شأنه جدل أو حوار ـ أن نتصرف فيما نملك تصرف المالك ، وألا يحول بيننا وهذا التصرف أي حائل

إن الشرط الذي يجب توفره هو أن يكون هذا التصرف لحساب المصلحة العامة ، أما حين يكون على حساب المصلحة ، فإنه يصبح من قبيل السفه ، وعندئذ يجب أن نحول بين السفيه وإلحاق الضرر بالمصلحة العامة

حقنا في التصرف فيما ورثناه عن السلف من تراث إسلامي حق لامشاحة فيه ، ولايصح أبدا أن يكون محل جدل أو حوار

ولقد قال علماء أصول الفقه من قبل إن الاجماع ينسخ الاجماع ، وقالوا شيئا آخر هو تغير الاحكام بتغير الأزمان أي أن لكل زمان شأنه في تحديد المصلحة التي تليق والتي لا تليق ، وأنه من حق العقل البشري أن يجتهد في وضع حكم جديد يتلاءم والعصر الذي نبتت فيه المسائل التي لا نص في شأنها

إننا نملك هذا التراث الاسلامي ، ونملك في الوقت ذاته حق تعديله ، وليس لأحد مهما يكن شأنه أن يحول بيننا واستخدام هذا الحق

وما نسميه اليوم بالقانون الوضعي هو نفس ماكان يسميه القدماء بالفقه الاسلامي ، وبخاصة فيما لم يرد فيه نص قطعي الدلالة

لا اجتهاد مع نص

هذا هو الموقف فيما نجم عن اجتهادات العقول البشرية فيما لا نص فيه ، وفيما نسميه بالتراث الاسلامي ، أما كيفية التعامل فيما مصدره الوحي ، وفيما نسميه بالاسلام من حيث هو ديانة سماوية ، فإن موقفنا منه هو التالي

لا حق لنا ـ من حيث الأصل ـ في إدخال أي تعديل أو تغيير فيما جاء به الوحي عن الله سبحانه وتعالى ، من حيث ان الذي وضع هذا النص هو الذي يملك حق نسخه أو تعديله

ولقد كان من الممكن ـ لو لم يكن الاسلام آخر الأديان السماوية ، ولو لم يكن محمد ﷺ خاتم الانبياء ـ أن يدخل الله سبحانه وتعالى نسخا وتعديلا في الاسلام الأمر الذي وقع بالنسبة للأديان السماوية الأخرى ، والذي وقع بالنسبة للاسلام أيام نزول القرآن

لقد كان هناك نسخ ، وتدرج في التشريع ، كما كان هناك من قبل استبدال بعض العناصر الدينيه في الأديان السابقة ، بعناصر جديدة وردت في الاسلام

لاحق لنا في إدخال أي تعديل على الحكم الذي ورد فيه نص صريح قطعي الدلالة وارد مورد التكليف ، وهذا هو الأصل التشريعي

لكن هذا لن يحول بيننا وأن ندرس القضية على أساس آخر كي نمكن لها في عقل القاريء الكريم

الأساس الآخر هو قدرة العقل البشري في إدخال التعديلات ، فهل يستطيع ذلك أو هو غير قادر على ذلك أصلا ؟

وسوف نمضي في ذلك على أساس مما ذهب اليه علماء أصول الدين من أن الاسلام عقيدة وشريعة ، ومن أن الشريعة عبادات ومعاملات

١ ـ لا احتهاد من العقول البشرية فيما يخص المعتقدات من حيث أنها من الغيبيات ـ ولم يكن عقل النبي ﷺ يستطيع دلك ـ فما بالنا بالعقول الأخرى

وقد مصى القرآن الكريم على أن الغيب مما حص الله سبحانه وتعالى به نفسه وطلب القرآن الكريم الى النبي ﷺ أن يقول للمعارضة « لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء »

لا عمل للعقل البشري مع المعتقدات الدينية من حيث هي غيبيات ، ومرجعه في ذلك ليس إلا النص الذي جاء به الوحي من السماء

يملك العقل البشري تفسير النص وتوضيحه ، لكنه لا يملك ابدا حق نسخه أو تعديله

إن موقف العقل البشري من ميدان المعتقدات هو التسليم بها كما جاء بها النص ، ثم الايمان أو عدم الايمان ، مع تحمل المسئولية

وعلى ذكر المسئولية ، يحسن بنا أن ننبه الى أن التكليف بالايمان لا يكون إلا عندما يكون الانسان عاقلا بالغا رشيدا ، أي عندما يكون أهلا لتحمل المسئولية ، وقادرا على حمل المسئولية

إنه من هنا نستطيع القول بأن الحرية الدينية مكفولة تماما مع الاسلام فالإنسان هو الذى ينظر ويفكر ويتدبر ويختار ، وعلى أساس من هذا الاختيار تكون مسئوليته أمام الله يوم القيامه ، يوم لاتغني نفس عن نفس شيئا ، ويوم لا تزر وازرة وزر أخرى من أجل هذه الحرية الدينية التي كفلها الاسلام للانسان ، لا يصح ان تكون هناك تبعية دينيه « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم » صدق الله العظيم

٢ ـ ولا اجتهاد للعقول البشرية مع التشريع المسمى بالعبادات ، من حيث ان هذه العبادات هي حق الله على عباده حقه الذي فرضه هو وأوجبه على الناس

ولقد حدد الله سبحانه وتعالى الكيفية التي تؤدي بها كل عبادة فرضها على الناس ولقد بين النبي ﷺ هذه العبادات للناس ـ بينها بيانا عمليا وبيانا قوليا ـ كي يؤديها الناس على خير وجه

فالعبادات من حيث الزمان تؤدي في أوقاتها المحدده وذلك واضح تماما في الصلاة ، وفي الصوم ، وفي الحج

والعبادات من حيث المكان تؤدى في الأمكنة المخصصه لها وذلك واضح بصفة خاصة في عبادة الحج ، وفي التوجه نحو الكعبه في الصلاة

وكذلك الحال في العدد من مثل عدد الركعات في الصلاة ، وعدد الأيام في الصوم ، وفي الحج

وليس على العقول البشريه إلا الالتزام بما فرضه الله وأوجبه على الناس بالكيفية التي حددها لهم ، وبينها لهم رسول الله ﷺ

إن الذي فرض هو الذي يملك حق التعديل ، ولقد كان رسول الله ﷺ يسمى ما أضافه للعبادات من زيادات بالسنه تمييزا لها عن الفرض

٣ ـ إن المجال الوحيد الذي يمكن ان يكون للعقل احتهاد فيه هو مجال المعاملات ، من حيث هي علاقة بين الناس بعضهم ببعض أو بعضهم بالحيوانات والمزروعات والأشياء

وعمل العقل هنا قد تحقق من قبل فيما لا نص فيه ونستطيع نحن في عصرنا هذا ان نحققه ، فكل جديد لم يرد في شأنه نص ، من حقنا ان نضع له الأحكام أو المعايير والموازين من حقنا أن نضع له قانونا او لائحة ، وليس يلزم في ذلك أبدا أن نأخذ بأقوال للقدماء

ان الجديد في ايامنا هذه هو من مستلزمات حياتنا ، وليس من حق احد أن يفرض علينا مستلزمات حياة غير حياتنا

ليس فيما لم يرد فيه نص مشكلة ـ لا عند القدماء الذين اجتهدوا ، ولا عندنا ـ في حالة استخدامنا لحقنا في التشريع لكل جديد

إن المشكلة التي فرضت نفسها على القدماء هي نفس المشكلة التي تفرض نفسها علينا اليوم ما العمل حين يتجاوز الزمن النص ، وحين يعمل الزمن عمله في تغيير المصالح التي تتطلب تغيير الاحكام ؟

هل نتمسك بالنص مع تغير المصلحة بفعل

الرمس ، أو نتمسك بالمصلحه ونصع تشريعا جديدا ؟

وفي مثل هده الحالة الأخيرة ماهو شأن النص الذي أصبح لايمثل مصلحة ؟

العقل قبل النقل :

لقد مصى بعص علماء أصول الفقه من أمثال الفقيه الحنبلي الطوفي ، إلى أنه ادا عجر العقل البشري المؤمن عن التوفيق بين النص والمصلحة تقدم المصلحة اي يوصع تشريع جديد يتلاءم والمصلحة

وحجته في دلك ان الله سبحانه وتعالى قد راعى مصلحة عباده في تشريع المعاملات ، وهدا يقتصي ان تكون المصلحه العامة هي الأساس في وصع التشريعات

وكي تتصح الصوره في دهن القارىء ، يصرب له المثل التالي الدي فعل الرمن فيه فعله ، وجعل الاستمساك بالنص فيه اصرار بالصالح العام

التشريع السماوي في غنائم الحرب وردت فيه نصوص من أهمها ماورد في سوره الأنفال - « واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولدي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير »آيه ٤٠ والنص واضح تماما في كيفية قسمه الغنائم بين الله ورسوله وبقية المقاتلين

ونظام قسمة الغنائم قد قام على اساس من النظم القتالية التي كان معمولا بها يومداك ، وهي ان يكون القتال تطوعا ، وان يكون التجهير للقتال من شأن الجند الدين يقاتلون

في ايامنا هده جاء الرمن بجديد ، وتغيرت نظم القتال ، وأصبح الاستمساك بالنظم القديمة مما يضر

الجند الان مجبرون على الخدمة الوطنية ، وليسوا بالمتطوعين المختارين وتجهير المقاتلة بالمعدات العسكرية ليس من شأن الجند وانما هو من شأن الدولة ، من حيث ان الأفراد يعجرون عن الحصول على هده المعدات القتالية التي تعجر بعص الدول عن دفع أثمانها للحصول عليها ، كالطائرات ، والدبابات ، والاساطيل والصواريخ وما الى دلك

إن المصلحة اليوم في الأخد بهدا الجديد ، والا ضاع الجند وضاع معهم الوطن وضاع الاسلام أيضا

والاخد بالجديد يقتضي تعديل نظام توريع الغنائم ، ومعنى هدا عدم الأخد بالنظام القديم ، ومعناه أيضا إخراج آية الغنائم من ميدان الممارسة

إن الدولة هي التي تأخد اليوم الغنائم وهو العدل ، إنها التي تنفق على الحرب من ألفها إلى يائها ومن حقها أن تأخد بعض ما أنفقت

وليست هده هي المسألة الوحيدة التي اتى الرمن فيها بجديد ، والتي يتطلب فيها الجديد عدم إعمال بعض التشريعات المساوية

لقد أتى الزمان بجديد في مسائل الرق ، ولقد ساهم القرآن الكريم في العمل من اجل تحرير العبيد ، ولقد اصبح الناس اليوم أحرارا او كادوا ، واقتصى هدا تعديل بعض التشريعات ، وبخاصة بعد النص على ان تكون الكفارة عن الدنب فك رقبة ، أو التحرير عن طريق المكاتبة

وكدلك الحال بالنسبه الى جريمه الزنا التي لا يمكن اثباتها اليوم عن طريق الشهود الدين يرون العملية رأي العين

ان فن المعمار اليوم يحول بين الشهود ورؤية واقعة الزنا ، من حيث ان البنايات اليوم تشتمل على شقق تغلق بالمفتاح ، وكل شقة تشتمل على غرف تقفل بالمفتاح ، وليس في طاقة اي شاهد أن يجتار هده الحواجز ليرى رأي العين ، ثم يشهد بما رأى

وهكدا نجد مع الجديد الدي جاء به الرمن ما يدفع الى تغيير الاحكام بتغير الأزمان ، كما قال علماء الأصول

آفاق للاجتهاد .

وليس كل جديد يأتي به الزمن يوقف عمل بعض الايات القرآنية الكريمة ، وانما هناك جديد يعمل على العكس من ذلك ، ويفتح لنا باب فهم الآيات الكريمة ـ للاستفادة منها ـ على مصراعيه

إن تقدم العلم واختراع التقنية قد مكنا الانسان من السيطرة على الطبيعة ، ومن استثمار الموارد الطبيعية لخير البشرية على افضل وجه ممكن

ونضرب في ذلك المثل التالي الخاص بتسخير البحر للانسان ، حيث يقول الله تعالى « وهو الذى سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه الخ »

فنحن اليوم ندرك من معاني هذه الآية أكثر مما كان يدرك الاقدمون ، ونستفيد من تسخير البحر اكثر مما كان يستفيد الاقدمون ، وذلك بفضل العلم والتقنية

انا نستفيد من العلم والتقنية في صيد البحر واكل اللحم الطري اكثر مما كان يستفيد الاقدمون

وإننا نستخرج من الحلي ، ونصنع منها الاشكال الكثيرة ، بفضل العلم والتقنية اكثر مما كان يفعل الاولون

والحال مع المواخر اظهر وأبين من كل ما تقدم ، فبفضل العلم والتقنية تستخدم المواخر في شتى المجالات ، تستخدم في نقل الركاب والبضائع ، وفي الأعمال الحربية وفي الغوص الى قاع البحار

إن ما يأتي به الزمن مما يغير بعض الأحكام لاقبل لأحد بمواجهته ، وليس أمامنا إلا التسليم به والاستفادة منه

* * * *

وننهي هذه الكلمة بالتركيز على ان الاسلام هو الدين الذي جاء من عند الله ، وان مصدره على هذا الاساس هو الله سبحانه وتعالى ، وان عمل الرسول ﷺ كان تبليغه الناس ، وتوصيحه لهم ، ودعوتهم الى الايمان به ، وممارسة الحياة على اساس منه

والدين مقدس باعتباره وضعا إلهيا ، وملزم للناس إلزاما دينيا

اما التراث الاسلامي فهو الألوان الثقافية التي ورثناها عن الأقدمين ، والتي أنتجها عقولهم البشرية ، والتي قد تتفق مع الاسلام وقد تختلف معه

إن التراث الاسلامي وضع بشري ، ومن هنا لم يكن مقدسا ، وكان الالتزام بما فيه التزاما أدبيا ليس غير

وانه من حقنا أن نتعامل معه كما نتعامل مع كل موروث أصبح ملكا لنا □

● كان الحطيئة الشاعر من أكثر الشعراء الذين ذموا البخل ، ومن العجيب أنه كان معروفا بهذه النقيصة . وقد عرف عنه هجاؤه لأضيافه يروى أن رجلا يدعى ابن حمامة مر بالحطيئة يوما وهو جالس بفناء بيته ، فقال له السلام عليك ، فقال الحطيئة قلت ما لاينكر ، فقال ابن حمامة إني قد خرجت من عند أهلي بغير زاد ، فقال الحطيئة ما ضمنت لأهلك قراك ، فقال أفتأذن لي أن اتي ظل بيتك فأتفيأ به ؟ قال الحطيئة دونك الجبل يفيء عليك ، قال أنا ابن الحمامة فقال الحطيئة انصرف وكن ابن أي طائر شئت

● قال عمر بن عبدالعزيز « اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك ، وهو التوحيد ، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك ، وهو الكفر ، فاغفر لي ما بينهما »

انڈونیشیا

« سلاملك مكة » أو الصالة الأمامية للمدينة المقدسة اسم يعرفه ويتمنى أن يزوره في سومطره كل مسلم من بين ١٥٠ مليون يدينون بالاسلام في الأرخبيل الاندونيسي ، بجرره التي تتجاوز ١٣٦٦٠ حزيرة . ومن لا يسعده الحظ بهذه الزيارة فإنه يتوجه مع آلاف الحجيج ليقف عند عتبات أول مسجد أقامه أولياء الله التسعة في جزيرة حاوه ، أشهر جزر أندونيسيا التي يسكنها خمس عدد المسلمين في العالم الاسلامي

أمام لوحة محفورة بدقة على أحد جدران قصر السلطان « حليمة الله عبد الرحمن هامنجوبونو التاسع » في العاصمة القديمة « يوجياكرتا » بقلب جزيرة جاوة الأندونيسية » وقفنا نستمع الى الدليل وهو يحكي قصة اللوحة ويقول

نحن مسلمون ولكن في أعماقنا ظلال من الهندوكية التي كان يؤمن بها أجدادنا وهم يحكون أن « بوديستا » كان ملكا طاغية من « الساندوا » ، وكان يطل شامخا في زهو من فوق عرشه،وقد امتلأت رأسه بهدير صاخب وكأنه يقول لنفسه « أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض أنا أعلى من جميع الكائنات أنا الكل في الكل أفعل ما أريد وأصنع كل ما يخطر لي لأني أنا حقيقة الحقيقة أنا بوديستا »

واقترب منه رجل صالح ، ينصحه أن يخفف من غلوائه ويهديه الى الطريق السوي ولكن الطاغية دفعه في خشونة وزراية وضرب رأسه بقوة وهو يهتف في سخرية

ـ اغرب عن وجهي أسرع امض في طريقك عليك اللعنة

والتفت إليه الرجل المقدس وهو مسطوح على الأرض ينزف دما ، وقال في صوت هادئ

ـ الحق الحق أقول لك سأذهب سريعا أما انت فستبقى ولسوف تهيم على وجهك في الأرض حتى يغفر لك الرب الذي في السماء وحتى تدرك أن هناك من هو أكبر منك وأعظم وأن تدرك مكتوب فوق رأسك الذي تشمخ به على العالمين !

ومنذ تلك اللحظة ، انصبت اللعنة على بوديستا ، فقد أسلم الرجل الروح وارتفع سريعا أما هو فقد بقي طويلا طويلا جدا لمئات كثيرة من السنين يتمنى أن يموت ولا يستطيع

والتقى آخر الأمر برجل نزل بالبلاد قادما من الأرض المقدسة ، هو أول الدعاة المسلمين ، وأحد أولياء الله التسعة المشهورين ، فاقترب منه متوسلا

ـ أيها الرجل الصالح أريد أن أموت وقد بلغت من الكبر عتيا ولكني مقدر على ألا أموت حتى أتمكن من قراءة ما هو مكتوب فوق رأسي فهلا استطعت أن ترسلني الى الموت ؟

وأحنى الولي الصالح رأس بوديستا وقرأ ما هو مكتوب ثم قال يخاطبه

ـ سأقرأ وعليك أن تردد خلفي الله اكبر الله اكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

وعندما قالها بوديستا من أعماق قلبه انتهت عذاباته واستطاع أن يموت !

خمس العالم الاسلامي

قال لنا الدليل وهو يشير الى لوحة بوديستا إذ يحني رأسه أمام الولي الصالح ويردد الشهادتين

ـ لهذا فإن من عادتنا في جاوه حين يحضر أحدنا الموت ، رجلا كان أو امرأة ، وحتى يستطيع أن يسلم الروح في سلام ، أن نهمس في أذنه بالشهادتين

وتلك حقيقة يؤمن بها أهل جاوه أكثر الجزر الأندونيسية ازدحاماً بالسكان إذ تضم أكثر من ٦٥٪ من مجموع سكان البلاد ، البالغ عددهم ١٦٥ مليون نسمة ، وتعتبر بلادهم خامس دول العالم من حيث عدد السكان بعد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة

والأرخبيل الأندونيسي الذي تتناثر جزره الزبرجدية الخضراء في أحضان المحيطين الهادي والهندي على امتداد خط الاستواء ، يشكل جسراً بين
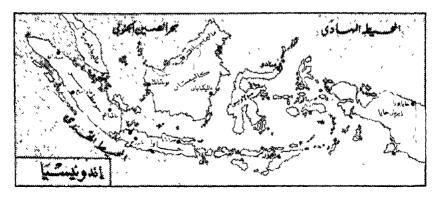
● خريطة الأرخبيل الاندونيسي وجزره الرئيسية التي تشكل جسرا بين المحيطين الهادي والهندي حيث يعيش أكبر تجمع اسلامي في العالم

المحيطين يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٦٠٠٠كم كما يشكل جسراً آخر بين قارتي آسيا شمالا واستراليا جنوبا لمسافة ٢١٠٠كم

تامان ميني

ولكن هل تستطيع أن ترى أندونيسيا كلها مع اتساعها الشاسع في يوم واحد ؟!

الاجابة المنطقية تقول إن ذلك في حكم المستحيل ومع ذلك فقد فعلناها وشهدنا كل انحاء الأرخبيل جزره ومدنه وبيوته وناسه ومزارعه ومظاهر ثقافته وأزيائه وتقاليده في جولة واحدة !!

حدث ذلك ونحن نطل من نوافذ (التلفريك) الكهربائي الذي دار بنا فوق « تامان ميني » وتعني « الروضة المصممة لأندونيسيا الجميلة » !

تعال بنا نحلق فوق أندونيسيا المصغرة

المشهد العام تعرضه خريطة طبيعية واسعة تصور الارخبيل كله ، ممتدا في بحيرة صناعية على هيئة « ماكيت » لجزر أندونيسيا ، تحيط بها ساحة عرض شاسعة في روضة مساحتها ١٢٠ هكتارا تضم ٢٧ مبنى ، كل منها يمثل محافظة من مجموع المحافظات التي تتشكل منها الجمهورية ، وتتركز فيها نماذج حية تمثل أشكال البيوت الأصلية التقليدية لمختلف المناطق والعشائر والجزر وكل بيت من البيوت مزين بديكورات تعبر عن المظاهر الثقافية والأثرية والأزياء الشعبية ، يرتديها رجال ونساء وأطفال من كل عشيرة أو قبيلة ، وهم يمثلون كيف تسير الحياة وكيف تجري التقاليد والأعراف ، مع عروض لمختلف الوان الثقافة والموسيقا والفن الشعبي

ونطل الى الخريطة الطبيعية تحتنا

إن أكبر الجزر في الجزء الغربي هي سومطرة ، يليها كالمنتان وهي القسم الأندونيسي الذي يشكل أكثر من ثلثي جزيرة بورنيو ثم تأتي بعد ذلك جزيرة جاوه أما باقي الجزر فهي سلاويسي ، وايريان جايا ومجموعات أخرى من الجزر الصغيرة أبرزها جزر لومبوك وبالي وتيمور ومولوك

أكثر ما يلفت النظر هو تباين أعراق السكان ، وتعدد أشكال المباني التقليدية في مختلف مناطق البلاد والتي تتباين حسب القبائل والعشائر في الجزر المتناثرة

وهنا في « تامان ميني » نستطيع أن نلتقي بنماذج حية من كل لون من هذه الألوان

قال لنا مرافقنا ونحن ندور بين المباني التقليدية ونتعرف على أبناء كل إقليم

نحن أمة تنتمي أصولها من الناحية العرقية الى الجنس الملايوي ولكن هذا لا يمنع من وجود مجموعات عنصرية متعددة تصل الى حوالي ٣٠٠ قومية ، أهمها الصينيون الذين يعتبرون من اكبر الاقليات في البلاد فقبل قيام الجمهورية الأندونيسية ، ومنذ القدم ، استوطنت الجزر امم متباينة القوميات والمجتمعات كل منها تشكل وحدة تضامنية ذات شخصية خاصة متميزة بمنطقتها ولغتها وفنونها وعاداتها وتقاليدها وفنها المعماري

إن جميع الديانات الكبرى في العالم لها معتنقوها في

• ثلاث لقطات لمسيرة المسلمين الصلاة في مسجد الاستقلال وتلاوة القرآن أمام مسجد يوجياكرتا وتوزيع الزكاة في معهد فايلان

أندونيسيا فالدين الاسلامي يحظى بحوالي ٩٠٪ من مجموع الشعب الأندونيسي وينتشرون في جميع انحاء البلاد ، ويبلغ البروتستانت والكاثوليك حوالي ٦٪ اما الهندوكيون فيوجدون بوجه خاص في جزيرة بالي وتبلغ نسبتهم ٢٪ من السكان ، ويقدر البوذيون بحوالي ١٪ ، اما الباقي وهم حوالي ١٪ فمن القبائل اللادينية أغلبهم في كالمنتان بجزيرة بورنيو

ومع ذلك ، وبرغم كل هذا التباين في المجتمع والعقيدة فإن الدولة تضمن حسب نص الدستور حرية كل مواطن في اعتناق أي دين وممارسة العبادة وفق تعاليمه وتقدر الدولة كل الاديان وتحترمها دون تفرقة او تمييز ، مع تسامح ديني يترافق مع منع جميع أشكال الدعاية ضد الأديان

مع وزير الشئون الدينية

احسسنا بكل ذلك ونحن نلتقي بالناس في الشوارع والمكاتب والبيوت والمساجد والمزارع والحقول والاسواق

الوجوه متشابهة الملامح ، ولكن الطيبة والحب والتعاطف والوداعة هي طابع الجميع ، مهما اختلفت اللهجات والسمات ، وأينما كانت العقائد والديانات

هذه الصورة بدت لنا واضحة حين التقينا بالحاج منور شاذلي وزير الشئون الدينية ـ وكان قبل سنوات سفيرا لاندونيسيا في دولة الكويت ـ قال الوزير

الحقيقة ان كل دولة في عالمنا المعاصر ، لها قاعدتها الدستورية كأساس لدولتها قاعدة تنبع من مبادىء حياة شعبها والأساس الذي قامت عليه دولة اندونيسيا هي « البانتشاسيلا » والتي تقوم على خمسة مبادىء

الربانية المتفردة ، والانسانية العادلة ، والوحدة التي لا تتجزأ ، والمشاركة الشعبة الموجهة بالحكمة والشورى ، والعدالة الاجتماعية لكل افراد الشعب

ويوضع أساس الربانية المتفردة في المرتبة الأولى من الاسس والمبادىء الخمسة ، وهو اعلان واعتراف من كل مواطن بأن الحرية التي نالها إنما كانت بفضل الله ورحمته

وسأل الوزير والمسلمون ما هو موقفهم من تلك المبادىء ؟

يجيب المسألة لها تاريخ فحين انعقدت جلسات لجنة الاعداد لاعلان الاستقلال عام ١٩٤٥ ووصلت في مناقشتها الى موضوع الدولة القادمة ، وقع خلاف عميق بين ممثلي التيارات الاسلامية والتيارات غير الاسلامية وقد اراد اصحاب الاتجاه اللااسلامي ان يجعلوا العلمانية اساس الدولة ورفض المسلمون بشدة وأصروا على أن يكون الاسلام هو أساس الدولة ووصلت المفاوضات الى طريق مسدود وظهرت في الأفق احتمالات رفض الاستقلال أساسا من جانب المعارضين ورأي ممثلو المسلمين أن يرضوا بمبادىء البانتشاسيلا اساسا ، اعتقادا منهم أنه اذا انعقد مجلس تأسيسي منتخب فسيكون بامكانهم إنجاح هدفهم باتخاذ الاسلام دينا للدولة وهكذا تم تجنيب الشعب والبلاد مخاطر الفرقة والتنازع والصراع

ثم هناك مسألة هامة كيف يمكن أن يعترض المسلمون على المبادىء الخمسة ، وما من مبدأ منها إلا ويؤكده الاسلام ويفسره ؟ فهل هناك ربانية متفردة مثل التوحيد في الاسلام ؟ وهل هناك إنسانية أروع مما ارساه الاسلام ؟ وهل هناك تمسك بالشورى ابلغ مما نص عليه الاسلام ؟ وهل هناك عدالة اجتماعية أنقى وأعظم مما جاء به الاسلام ؟

ذلك هو ما قاله الوزير اما الذي لم يقله صراحة وسمعناه في شبه همس ، فهو أن الاف الجزر التي تشكل الجمهورية متباعدة عن بعضها البعض في مساحات شاسعة ، وأغلبها يزخر بالثروات الطبيعية ولا يدين أهلها بالاسلام وكل هؤلاء معرضون للوقوع تحت إغراءات الانفصاليين والاستعماريين والمبشرين الذين يستهدفون الانفصال على الأطراف المتباعدة وكان هؤلاء يصورون للأهالي أن إعلان الدولة جمهورية إسلامية سيفقدهم حقوقهم الدينية ، ويعرضهم للاضطهاد والاكراه على دخول الاسلام بالقوة وهكذا كان لابد من نزع الفتيل المفجر ، واحتذاب السكان تحت مظلة واحدة يلتقي حولها الجميع

فوضى الدعوة والتبشير

نقلب صفحات تقرير عنوانه « الوجه الاسلامي لاندونيسيا » قدمه لنا مدير الشئون الدينية الحاج عبدالقادر باسلامه ونقرأ

عانت الجزر الأندونيسية تحت نير الاستعمار الاسباني والبرتغالي والهولندي لأكثر من ٣٥٠ سنة ، تخللتها فترات ثارت فيها مخاوف المسلمين نتيجة الجهود المدعومة للمبشرين بين أوساط المسلمين بطرق

الحاج ماور شادلي وزير الشئون الدينية
لديث عن البانتشاسيلا

ماليب متطرفه ، بالاضافة الى رواسب من النمط
سياسي لعهود الاستعمار ، وأخطاء غير محسوبة
واقب من بعض ابناء البلاد
وحدث في هذه الفترة أن ظهرت حركة باطنيه ،
ول تحاول إحياء ما كان قد اندثر من الهندوكية
اوية وقد تجرأت هذه الحركات على إبراز نفسها
مطالبه بالاعتراف بها ككيان ديني مستقل ،
معاملتهم على قدم المساواة مع الأديان الأخرى .

كما لجأ بعض المبشرين الكاثوليك الى الدعوة
ينهم بطريقة فيها شبهة استغلال بؤس الغير
حاجته ، لابتزاز عقيدته والعمل على ارتداده عن
ه ، في سبيل حفنة أرز أو زجاجة دواء أو قطعة
اش ، مما أثار موجه من السخط والغضب
لذلك قررت الحكومة حفاظا على الأمن والنظام ،
لحد من هذه الفوضى ، منع ممارسة الدعوة الى دين
الأديان مع أشخاص اعتنقوا دينا آخر من قبل

رر وزير الشئون الدينية عام ١٩٧٨ عالم شاه منع
ستخدام وسائل الاغراء واستغلال حالات البؤس
لفاقة والعوز لدى الآخرين باستخدام التفوق
مادي ، كما منع توزيع المنشورات والمطبوعات
روجه لدين من الأديان بين من يتبعون دينا مخالفا

كذلك منع اقتحام البيوت في غيبة رجالها باعتبار أن
لك يعتبر جنحة يعاقب عليها مرتكبها حسب قوانين
عقوبات

سومطرة وعجل الجاموس

وننطلق الى سومطرة حيث كانت بداية انتشار
الاسلام في المنطقة كلها
على متن طائرة « اجاروda » وصلنا الى « بادانج »
العاصمة الاقليمية لسومطرة الغربية مدينة وديعة
هادئة تبدو وكأنها تنهض من سبات عميق على فجر
ندى يستعد لاستقبال الشروق ، مع نسمة رخية طيبة
ينعم بها اكثر من ربع مليون من السكان ، تنطق
سيماهم بالطيبة وتسع وجوههم بالرضا ، وتتميز
تصرفاتهم بالكرم ، وهم ينطلقون في الشوارع
الواسعة الى اعمالهم ومتاجرهم واسواقهم ، يسير
أكثرهم على الاقدام ، ويستقل بعضهم « الدوكار »
التي تجرها الخيول ، أو يركبون الدراجات الهوائية
ذات المظلة والمقاعد الخلفية التي تتسع لشخصين
هؤلاء السكان هم بعض جماعات « مينانج كابو »
المزارعين البارعين والحرفيين المتميزين والتجار
الاكفاء ، والذين جعلوا مدينتهم ذات طابع معماري
فريد يؤكد عراقتها ، ويحكي عن وقائع تاريخ
حافل ، ويتحدث عن ثقافة صوفيه ممعنة تعطيها نكهة
روحيه حالمة
والحقيقة ان أول ما يلفت النظر في بادانج وماحولها
من مناطق سومطرة الغربية ، هو ذلك الطراز الفريد
من المباني فأطراف الاسقف العليا المتيبدة
أفاريزها من قشور جوز الهند ، أقيمت على هيئة قرنين
مدببين وهذا الشكل المميز انما هو تعبير عن تكريم
مجتمعات المينانج لعجل جاموس،يحكون انه كان سبب
انتصارهم على جيرانهم الجاويين !
تحكي الاسطورة أن غزاة من جزيرة جاوة تحدوا
أهل سومطرة الغربيه في مصارعة للثيران ، وجاءوا
معهم بثور ضخم صعب المراس يعرفون أنه لا يمكن
أن يغلب لهذا فقد أثار دهشتهم أن يجدوا
السومطريين وقد جاءوا الى حلبة المصارعة بعجل
جاموس صغير ليبارز الثور الضخم وعندما ظهر
العجل على الحلبة لم يلتفت إليه الثور وأهمله فهو
مجرد عجل لا يستحق الاهتمام ولكن العجل الذي
كانوا قد تركوه جائعا لعشرة أيام وربطوا نصلا حادا
بين قرنيه ، اندفع مسرعا الى الثور ظنا منه أنه أمه ،
وانحنى بلهفة الجائع ليلتهم ضرعها وبينما العجل
يحك رأسه بحثا عن الضرع ، انغرس النصل الحاد
بقوة في بطن الثور الذي سقط مضرجا في دمائه
وانتصر السومطريون ومن أجل أن يحتفلوا

● مدرجات زراعة الارز المحدودة في سومطرة حيث يتبع السكان وسائل الزراعة التقليدية على طريقة « اقلع واحرق »

بهذا النصر الذي رد الحاويين حائثين الى حريتهم ، أطلقوا على انفسهم اسم « ميانج كابو » وتعني « العجل المنصور » كما خلدوا ذكرى انتصارهم بأن شيدوا سقوف بيوتهم على شكل جبهة عجل الجاموس بقرنيه المدببين !

اقلع واحرق

لم تكن تلك هي زيارتنا الأولى لسومطرة ، فقد سبقتها جولة زرنا خلالها مدينة « ميدان » بأقصى الشمال الشرقي ، كما زرنا باليمبانج ولامبونج في أقصى الجنوب الشرقي ، وهي كلها تشكل مراكز الثقل لاقتصاديات اندونيسيا فهنا منابع وحقول النفط التي يستخرج منها ثلاثة أرباع إنتاج البلاد من الذهب الأسود ، الذي جعلها عضوا عاملا نشطا في منظمة الأوبك.

وإذا كانت الجزر الاندونيسية تضم اكثر من ٣٠٠ بركان بعضها خامد منذ القدم وبعضها مايزال نشطا حتى الآن ، فإن سومطرة وحدها يبرز على سطحها تسعون بركانا منها ١٥ بركانا نشطا ، واذا كانت ظاهرة البراكين تنتج عادة تربة خصبة وبحيرات وينابيع حاره ، مع وفرة في الزراعة والانتاج الزراعي ، وما يتبع ذلك من زيادة في كثافة السكان والعمران كما يحدث في جزيرة جاوه الا ان ذلك لا ينطبق كثيرا على جزيرة سومطرة فهنا لا تتميز اللافا البركانية بمواد ومعادن تزيد من خصوبة الأرض ، حيث تسود التربة الحمراء ، الا في بعض المناطق مثل منطقة الباتاك الشمالية حول بحيرة توبا ومنطقة مرتفعات ميانج كابو في الغرب ومن هنا فان التربة تعجز عن زراعة الارز والمحصولات المماثلة بشكل واسع ، وتحتفظ السفوح والمرتفعات بالغابات الطبيعية ولمواجهة فقر الخصوبة والحاجة الى مزيد من زراعة المحاصيل الغذائية ، فقد اتبع السكان وسائل الزراعة التقليدية على طريقة « اقلع واحرق » فلجأوا الى اقتلاع اشجار الغابات واحراقها في الفترات التي تسبق هطول الأمطار ، حتى تتغذى الأرض بالخصوبة مع تنظيم طرق الحرث والري ، وأمكن بذلك زيادة المساحة المزروعة لتنتج المزيد من حاصلات الحبوب والتبغ والبن والمطاط والشاي والكاكاو والأرز وزيت النخيل ، الى جانب الثروة الخشبية الطائلة من التاك والنامو والموجي والخيزران وانواع اخرى كثيرة من انتاج الغابات على ان ابرز ما تتميز به سومطرة هو ثراؤها بالمعادن مثل القصدير والبوكسيت والذهب والفضة والفحم ، بالاضافة الى الانتاج الوفير من النفط والغاز الطبيعي واليوريا والمخصبات وقد شهدنا ذلك بصورة واضحة في باليمبانج ، كما زرنا مصانع الاسمنت في جريسك وبادانج حيث ادخلت تحسينات كبيرة على الأفران من أجل مزيد من الانتاج بطاقة تصديرية كبيرة

كان ذلك بعض ما شهدناه ، ونحن نخترق سومطرة خلال جولتنا التي رافقنا فيها الدكتور فوزان المحمدي نائب رئيس الجامعة الاسلامية الحكومية ، والتي بدأناها من بادانج ثالثة كبرى المدن في سومطرة

على بعد ستة كيلومترات من وسط بادانج ـ المركز الاقليمي لجماعات ميانج كابو ـ نجد انفسنا وسط الميناء الصاخب المزدحم في « تيلوك بايور » ، وعبر بعيد منه نجد المتحف حيث أجمل المعروضات من الصناعات اليدوية ونعبر النهر الذي يقطع المدينة لنقف عند المعبد الصيني فوق التل المطل على المحيط في مشهد رائع بديع

ونبتعد قليلا في الطريق الساحلي على الخليج الى تابان ثم الى المناطق الداخلية لنصل الى « سونجاي نو » المدينة الرئيسية في قلب المنطقة وعند « جونج توجو » نقف امام بحيراتها الزرقاء الصافية ونطل الى اخر اراضي الاحتياب في سومطرة الجنوبية ، حيث تمرح الفيلة والنمور والفهود والاورانج أوتان ، حيث لا تزال تعيش القبائل اللادينية من عبدة الأرواح ، مثل جماعات كوبو وساكاي ، التي تتجول بين المستنقعات وتصطاد الطيور وتأكل لحوم القردة

ونصل في النهاية الى مدينة « بوكيتنجي » التي تبرز وسط الخضرة الجبلية على ارتفاع ٩٢٠ مترا فوق سطح البحر هذه المدينة هي العاصمة القديمة لعشائر « الميانج كابو » الجو بارد مشمس والناس يتميزون باللطف والطيبة والسوق مكان ممتع لشراء المصنوعات والهدايا والصناعات التقليدية وهو يزدحم بالمزارعين والحرفيين والبائعين والمشترين دون ارتفاع اصوات أو مساومة عند البيع والشراء !

سلاملك مكة

لعل أبرز ما لفت نظرنا خلال جولتنا هو مدى الحرص والتمسك بالتعاليم الدينية والروحية في سومطرة وعرفنا الكثير عن مسيرة الاسلام من اللواء المهندس ارور انس محافظ سومطرة العربية ومن
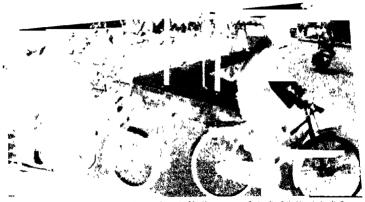
● الدراجات الهوائية والنارية هي وسيلة المواصلات الرئيسية التي يستخدمها الجميع وخاصة الطالبات عند العودة من المدرسة

خلال حديثنا مع مرافقنا الدكتور فوزان المحمدي أثناء زيارتنا للجامعة الاسلامية الحكومية والتي اقيمت سنة ١٩٦٦ وتضم كليات اصول الدين والشريعة والتربية والاداب والدعوة الاسلامية

كانت سومطرة اول جزر اندونيسيا اسلاما ، بحكم موقعها على الطريق التجاري بين الهند وفارس وشبه جزيرة العرب من ناحية ، وبين الصين وما يليها شرقا من ناحية اخرى وكان التجار الهندوس قبل ذلك يترددون على تلك البلاد فنقلوا اليها طابعهم الهندوكي ولكن ما لبث التجار العرب المسلمون القادمون من شبه الجزيرة العربية ان نجحوا في نشر دينهم بالجزيرة عن طريق الموعظة الحسنة ، بالقول والسلوك والعلاقات الاجتماعية

كانت أول المناطق التي وصل اليها الاسلام في العام ٥٥ الهجري (٦٧٤م) في عهد الخلفاء الراشدين هي شواطىء سومطرة الشمالية ، وأول مملكة إسلامية قامت في اندونيسيا وفي منطقة جنوب شرق اسيا كلها هي مملكة بيرلاك عام ٨٤٠م (٢٢٦ هـ) في شمال سومطرة ، وأول ملوكها هو السلطان علاء الدين سيد مولانا عبدالعزيز شاه وبعد مملكة بيرلاك قامت عام ١٢٠٥ (٦٠٢ هـ) مملكة « آتشيه » الاسلامية التي ترسخت علاقاتها ببلاد العرب وتوطدت فيها أحكام الشريعة الاسلامية ، وكان أول ملوكها السلطان جيهان شاه الذي قدم الى سواحل أتشيه داعيا الى الاسلام ، واستطاع أن يدخل الكثيرين في هذا الدين ، وتزوج أميرة من أهالي البلاد ، فرحبوا به ملكا عليهم وتلقب بلقب « سري بدوكا سلطان »

وقد لقبت منطقة آتشيه بلقب « سلاملك مكة » أي الصالة الأمامية لمكة وعلى يد دولة آتشيه وطوال سنين كثيرة كان انتشار الاسلام منها منتظما ومكثفا يكاد يعم كل مناطق سومطرة باستثناء مناطق عشائر « الباتاك » وعشائر أخرى تنصرت فيما بعد أو بقيت على معتقداتها البدائية الأولى

أما عشائر « مينانج كابو » في غرب سومطرة فقد كانت مملكتهم تسيطر في القرن الخامس عشر على جزء من الجزيرة يقع شمالي خط الاستواء وجنوبيه وبرغم أنها كانت قديما معقلا من معاقل الهندوكية ، إلا ان الاسلام وجد فيها أشياعا كثيرة ، رغم العقبات التي وضعت في سبيل تقدم الدين الجديد ومع هذه الحقيقة كان تأصل الاسلام في نفوس عشائر المينانج كابو أقوى منه في نفوس السواد الأعظم من السكان وكانت مقاومتهم لجهود المستعمرين والمبشرين عنيفة شديدة ولعل تلك المقاومة هي بعض الدوافع التي جعلت الاسلام في سومطرة العربية متأصل الجذور ، وكانت وراء ذلك التمسك الشديد بالتعاليم الدينية والروحية

أساليب التعليم الديني

من أبرز ما شهدناه في هذا المجال بعض صور التعليم الديني التي تتمثل في ذلك العدد الكبير من المدارس والمعاهد الأهلية التي ينفق عليها الأهالي من خلال المؤسسات والجمعيات الخيرية الاسلامية وتتميز كلها بميزة خاصة هي تدريس العلوم الاجتماعية والسياسية والقومية الى جانب التعليم الديني والاهتمام بقراءة وتجويد القرآن كما افتتحت عام ١٩٨٤ اكاديمية علوم القرآن التي اقيمت على نفقة الأهالي وبعائض ميزانية مسابقة تلاوة القرآن ، ويدرس فيها التفسير والفقه والشريعة والحديث وعلوم القرآن واللغة العربية

في باداتج شهدنا أكثر من اسلوب للتعليم

●
منطقة من ار
٣٨٥٠ مت
ثمة
أعلى

● مقر المؤتمر التاريخي في باندونج يحمل اسم « جيدونج ميرديكا » حيث أول انطلاقة لتضامن الشعوب الافريقية الآسيوية

● جانب من صور زعماء مؤتمر باندونج في قاعة المتحف بينهم نهرو وعبد الناصر وشواين لاي

● أعلام دول مؤتمر التضامن الآسيوي الافريقي ما تزال ترفرف داخل القاعة وما تزال آلة التصوير السينمائي قائمة في مكانها ذكرى لانعقاد المؤتمر

الديني . وهو ما يجري ايضا في مختلف انحاء اندونيسيا الاسلوب الأول ما يقدم عبر المدارس العمومية الحكومية والأهلية . حيث نجد مادة تعليم الدين اجبارية في جميع مراحل التعليم ويقوم المعلمون من خلال مناهج إضافية بتطوير لتعليم الديني عبر اداء صلاة الجمعة وإحياء ذكريات المناسبات الدينية اما الاسلوب الثاني فمنشأه المدارس الدينية ، ويضطلع بها وزارة الشئون الدينية بجانب المؤسسات الأخرى في المجتمع ابرز المعاهد تسمى « البسانترين » حيث يفرض على الطلاب الاقامة في الداخلية ، ويستقل كل معهد منها بنسخه وكل نسخ بطريقته ، ومواد الدراسة دينية تماما الى جانب اللغة العربية وعلومها وكلمة بيسانترين تعني مكان إعداد « السانتري » اي رجل الدين وهو نظم في (داخلية) المعهد في اكواخ تسمى بوندوك في هذه المعاهد يعد الطالب ليصبح عالما ملتزما بالاسلام سلوكا وانضباطا ، وهذا كان له دور كبير من الكفاح ضد الاستعمار والنمط المتبع في مباني البسانترين يتركز على المسجد ومنزل الشيخ والاكواخ والمباني المستحدثة المعدة لسكن الطالب ، ومدة التعليم غير محدودة حسب نظام النظام الحر ، ويمكن للطالب أن ينهي دراسته في خمس سنوات او عشرين . لا بأس !

نموذج اخر للاهتمام بالتعليم الديني للفتيات شهدناه في سومطرة الغربية

ففي سنة ۱۹۲۳ أسست اول مدرسة للبنات سميت بالمدرسة الدينية بقيادة الزعيمة « رانكايورحمة » ، وبعد فترة من الزمن تطورت المدرسة واشتهرت في معظم المناطق الاندونيسية وفي بلاد اخرى مجاورة كسنغافورة وماليزيا ، حيث تفد الطالبات للدراسة في معاهدها

الصورة كما شهدناها ورافقتنا أثناءها الدكتورة « اثانيه صالح » مديرة المعاهد ، تعطي دليلا رائعا على الجهود الأهلية التي تعتمد على الجهد الذاتي قالت لنا الدكتورة اثانية إن المعاهد الدينية للبنات لا تحصل على أي مساعدة من الحكومة ، ولهذا واجهتنا مشكلات كثيرة عندما نحلى بعض من يقدمون المعونة او اعتداءا عليها فالمعاهد تعتمد على نوعين من المساعدات وفيما يتعلق بالمصاريف الادارية ومستحقات المدرسات والأدوات المدرسية واحتياجات الطالبات من الغذاء والأدوية والكتب وغير ذلك من المصاريف المماثلة يكون أكثرها على حساب أولياء أمور الطالبات،الا اذا كانت الطالبة من أسرة فقيرة فتخفف عنها المصروفات او تعطى لها الفرصة للدراسة مجانا أو تتولى المعاهد توظيفهن في اوقات الفراغ اما المصدر الثاني فيقوم على جمع التبرعات من المحسنين سواء في داخل البلاد او خارجها وانتم ترون هذا المسجد الذي مازال تحت الانشاء قد تولت نفقاته احدى المحسنات من المملكة العربية السعودية

ان مثل هذا الجهد يحتاج الى دعم المحسنين من بلدان العالم الاسلامي القادرة . والى معونات مادية تساعد الأهالي على القيام بهذه الخدمة التعليمية الروحية من اجل تقدم الاسلام في هذه البلاد

الى باندونج

الان عودة الى جاوه ورحلة اخرى من عمق التاريخ في مدينة كانت نقطة انطلاق لابرز مظاهر تضامن الشعوب هي مدينة باندونج

وباندونج هي المدينة التي جمعت كل قمم العالم الصانع بين الشرق والغرب ، من خلال اختيارها مقرا لأول مؤتمر تاريخي يضع اللبنة الرئيسية لحركة عدم الانحياز فيها التقى رؤساء ۲۹ دولة افريقية واسيوية ، من بينها تسع دول عربية ، من ابرزهم جمال عبدالناصر وسوكارنو ونهرو وشواين لاي ، من ۱۸ الى ۲٥ ابريل ۱۹٥٥ ، في اول ظاهرة سياسية عبرت عن بروز الشعوب والامم النامية في كل من اسيا وافريقيا على الساحة الدولية . وتكريس ولادة « الافرو اسيوية » كظاهرة معادية للاستعمار

ونحن نأتي الان - وبعد ثلاثين سنة - لندخل المقر الذي عقد فيه المؤتمر ونشهد لقاءات قمم التضامن الاسيوي الافريقي ثم لنطوف ونجول وندور بين معالم المدينة فاتما لنسبر اغوار الماضي القريب ، ونعيش حاضر المدينة التي يقول اهلها أنها تعج بالكثير من الذكريات التاريخية لمناهضة الاستعمار

مقر المؤتمر الذي يحمل اسم « جيدونج ميرديكا » أي مبنى الاستقلال ، احتفظت به أندونيسيا وجعلت منه متحفا ومنارة لانطلاقة الشعوب الافريقية والاسيوية ، وقفنا في القاعة الكبرى نستعيد الذكريات ونتأمل أعلام الدول التسعة والعشرين التي مازال ترفرف حول القاعة وأمام المنصة وكأننا نسمع صوت عبدالناصر - أول صوت لزعيم عربي في المجتمع الدولي - يجلجل « باسم شعب فلسطين الذي طرد من وطنه ليحتل مكانه شعب دخيل فرض عليه فرضا وكل هذا حدث على مرأى من هيئة

● وجوه معبرة للجيل الجديد في نظرات كلها الأمل في مستقبل مشرق بعيدا عن المعاناة التي يعيشون

الامم المتحدة ، بل تساعدتها وموافقتها إنما نقولها بصوت عال لقد استيقظ في الشعوب وعي جديد لا يمكن معه وقف تيار القومية والنهوض وإنما لطالب الدول الافريقية والاسيوية أن تعلن تأييدها لحق الشعب العربي في الجزائر ومراكش وتونس في تقرير المصير والاستقلال وإننا لنطالب بتصفية الاستعمار وننددد بأساليب الضغط السياسي التي تلجأ إليها بعض الدول الكبرى مستخدمة فيها الدول الصغيرة كأداة لتحقيق أغراضها »

في احدى قاعات المتحف عرضت صور الرؤساء الذين شاركوا في المؤتمر ، مع كل مانشر وصدر بعد ذلك من قرارات خلال المؤتمرات المتعاقبة لحركة التضامن الآسيوي الافريقي والتي أعلنت في المقر الذي اتخذ ايضا مركزا للدراسات للشئون الافريقية والآسيوية والدول النامية

ويا لها من مبادىء وقرارات وآه لو أخذها العالم فعلا على محمل الجد ولكن هيهات !

إن الناس في باندونج لا ينسون أبدا أحداث المؤتمر التاريخي ، والشوارع التي تحيط بالمقر مازالت تحمل - وبالعربية - أسماء عبدالناصر ونهرو والمدقان اللذان يقومان على الجانب الآخر من الطريق الرئيسي « امرواسيا جالان » مازال يحمل صور الرؤساء سواء أثناء انعقاد المؤتمر أو بينما الزعماء يسيرون مشيا على الاقدام الى المقر من أماكن إقامتهم في فندقي هومان وبريجر أو من الفيلات غير البعيدة عن المدينة

كلية التكنولوجيا

على ان باندونج ، ويسمونها المدينة الزاهرة ، عاصمة جاوة الغربية سكانها المليونين ، التي يمتد تاريخها الى القرن الرابع عشر حين كانت جزءا من مملكة باجاجاران ،والتي عرفت باسم « باريس جاوة -

● اندونيسيا « سلاملك مكة »

لا تكتفي بأن تعيش فقط على ما اكتسبت من شهرة في عالم السياسة ، فقد صنعت لنفسها أيضا عوالم جديدة في ميادين المسرح والموسيقا والغناء والعلوم والتقنية وصناعة الطائرات

في المدينة ٢٧ من الكليات والمعاهد العليا والمراكز العلمية المتخصصة ، أبرزها جامعة باجاجاران ، وكلية باندونج للعلوم التكنولوجية التي حصل منها الرئيس سوكارنو على شهادة الهندسة عام ١٩٢٦

في زيارة سريعة لكلية التكنولوجيا التقينا بعدد من الطلاب والطالبات الذين يبلغ عددهم عشرة آلاف ، إذ يقبل سنويا حوالي ١٥٠٠ طالب وطالبة يوزعون على ٢٣ قسما لجميع التخصصات التقنية .

لعل أبرز مالفت نظرنا مسجد سليمان التابع للكلية الذي أقيم ليكون جسرا بين التعليم الجامعي والتعليم الديني ، على أمل توثيق العلاقة بين التقنية والدين . المسجد أقامه عام ١٩٦٤ « مركز إرشاد الأمة » الذي يقوم بالأنشطة الدينية ، ثم تحول ليصبح ملكا للمجتمع والطلاب الذين يتولون جميع شئونه الادارية ، وهو ليس مخصصا فقط لأداء الصلوات ، إنما يقوم بمهمة التعليم الديني للطلاب بعد انتهائهم من دروسهم الاكاديمية في الكلية ، ويتولى التدريس علماء متخصصون في مختلف العلوم الدينية بلا مقابل ، كما يقوم المركز بنشر المطبوعات الدينية ونشرها وتشارك الطالبات الطلاب في كل نشاطات الكلية والمسجد والتعاونيات من خلال لقاءات واجتماعات مشتركة

المشهد المثير هنا - كما في جميع مساجد اندونيسيا - هو أداء النساء والفتيات من مختلف الأعمار للصلاة بالحجاب ، حيث يخصص لهن الصف الخلفي الذي يمتلىء عن آخره بصاحبات الزي الأبيض وهن يؤدين الصلاة وكأنهن موجات من الملائكة . . تلك صورة ما أروعها عند أداء صلاة التراويح في شهر رمضان

قالت لنا « ميني نورنا ماواتي » « وكماليا ارتيني » الدارستان بالكلية . « الى جانب الجامعات الحكومية وعددها ثمانية ، قامت مبادرات أهلية لانشا جامعات أهلية عمومية أو دينية ، وانشأت وزار الشئون الدينية حوالي ١٤ جامعة حكومية إسلامية مختلف العواصم الاندونيسية عدد كلياتها ٨٥ كلية بالاضافة الى كليات الجامعات الاسلامية الأهل وعددها ٧٥ كلية المهم أنه في جميع الجامعـ والكليات توجد مساجد يؤم أخرامها الطلا والطالبات والمدرسون بشكل منتظم ، سواء ا

● مع التوسع في صناعة الطائرات لم يعد مصنع نورتاينو يكتفي بسد الاحتياجات المحلية بعد ان انهالت عليه طلبات الاستيراد من الدول المجاورة (الصورة العليا)

الصلوات المكتوبة أو صلاة الجمعة أو المحاضرات والاحتفالات بالمناسبات الدينية

عالم الفنون

أما الفنون في باندونج فقد التقينا بها أول الامر في قاعة الفندق ففي ركن القاعة في أكثر الفنادق توجد فرقة موسيقية تعزف على الآلات الموسيقية وأبرزها العود الشرقي وتنتشر الأغاني العربية وهي تعرف في أندونيسيا باسم « كصيداهان » تحويرا من كلمة قصيدة وتعتمد الفرقة عادة على ثمانية أو عشرة دفوف يصحب النقر عليها إنشاد جماعي من قبل فتيات في شكل (كورس)

فرق الموسيقا والكورس هنا لها أساس نابع من مجتمع القرية ، وهي الركيزة الرئيسية في كل الأقاليم فالفلاحون المرهقون بعد يوم عمل شاق في الحقول يجتمعون في المساء فلا يخفف عنهم إلا الموسيقا والغناء على أنغام آلاتهم التقليدية التي تعتمد في الغالب على أوان نحاسية وبرونزية وطبول ودفوف وآلات مختلفة الاشكال مصنوعة من البامبو وسر استخدام البامبو هو أنه يزرع في كل مكان وهو يصحب الناس في كل أعمالهم ويرتبط بحياة كل يوم فهم يبنون بيوتهم من البامبو السقوف والجدران والأرضية والاثاث وادوات الطبخ كما أن فراشهم مصنوع من البامبو وأطراف البامبو عندما تكون صغيرة مادة لذيذة يأكلها الصغار والكبار

وعندما يموت الأندونيسي فإنه يحمل على نعش من البامبو ، بل يدفن أيضا في قبر جدرانه من البامبو

لهذا فان أول ما تسمعه عندما يبدأ عزف الفرقة الموسيقية هو أنغام على أدوات البامبو سواء في النفخ أو الدق أو التحريك وهي كلها تسمى « اوركسترا أو حلوبح »

ذلك هو الانطباع الرئيسي لما شهدناه ونحن نحضر حفلا موسيقيا تقليديا في « سوبح أو حلوبح » كل أعضائه من الفتيان والفتيات الصغار يقدمون عزفهم ورقصهم وأناشيدهم بطريقة مثيرة

وقد عرفنا أنهم تدربوا وتخصصوا في مدرسة خاصة للفنون الموسيقية تسمى « مدرسة باك أوجو »

في جاوة الغربية كلها بما في ذلك باندونج عاصمة الصونديين نجد جميع انواع الفنون كالرقص والتمثيل وكلها تسمى « الوايانج » ، عروض الوايانج تتباين بين ألعاب الدمى الخاصة وخيال الظل والرقص التقليدي والتمثيليات المسرحية وتاريخ « الوايانج »

الوافد أساسا من الهند القديمة،يحكى بأن رواد الدعوة الاسلامية الاوائل في جاوة استعانوا بألعاب الوايانج بعد أن بدلوا الروايات التي تستعرضها في تمثيلياتها وشخصياتها الهندوكية بأفكار أخرى قائمة على الدعوة الاسلامية والتوجيهات الدينية

تعال نذهب الى « جالان باريسان » نتفرج على العرض المسرحي المسمى « يانج جوليك » وهو مسرح خيال الظل انه نوع من الفن التقليدي حيث تخصص النحاتون والصناع والحرفيون المهرة في باندونج في صناعة وجوه العرائس الخشبية وأقنعة « الماريونيت » على أشكال مهرجين من الرجال والنساء بعد أن كانت هذه الاقنعة من قبل تمثل رؤوس البقر والجاموس وهؤلاء الصانعون لم يتخصصوا فقط في صناعة العرائس بل أيضا في صناعة أعمدة السيوف وتزيين أنصالها بالتماثيل المرصعة والمزخرفة بالأحجار الكريمة

« والوايانج أورانج » نوع آخر من الفنون شاهدناه على مسرح « رومنتانج سيانج » إنه عبارة عن رقصات تقليدية موروثة عن الثقافة والأساطير الهندوكية وأغلب المسرحيات الراقصة من هذا النوع تعتمد على حكايات الرامايانا (الامير راما وروحته سيتا) والمهابهاراتا والصراع بين الخير والشر وتقدم العروض مصحوبة بموسيقا وغناء هو من أجمل ما يقدم في هذا الميدان وقد يقدم الراقصون والراقصات الهواة عروضهم وهم يلبسون الأقنعة على مسارح الشوارع والأرصفة لامتاع الناس ودون أي مقابل مادي ولكنهم يفضلون العمل في الليل في عروض على مسارح متخصصة تدفع لهم أجورا مجزية

أما « الوايانج كوليت » فهو نوع آخر من العروض المسرحية الوثيقة الارتباط بالدين ، وهو من أشهر مسارح الظل في أندونيسيا وهو يقدم على طريقة « القراجوز » الشرقي من خلال راوية يجلس خلف ستار تنعكس عليه أضواء شموع أو سراج زيتي ، ثم يحرك بيديه خلال الظلام مجموعات من العرائس المصنوعة من الجلد ، يحكى من خلالها قصة الحياة

لم نعرف هذا النوع الا حين وجدنا زحاما كبيرا أو مجموعات من الناس كبارا وصغارا يلتفون حول هذا اللاعب الفنان كان اللاعب خلف الستار يزرع شجرة الحياة في ساق شجرة موز تتحرك عليها الدمى ممثلة الأرض وناسها وهو يحرك ضوء السراج وكأنه الشمس لتظهر أحداث التمثيلية التي تنعكس ظلالا تتحرك على الـ[illegible]

صوته فهي تارة حربية وتارة مبهجة ، ممثلا في بعض الأحيان أصوات معارك وصراعات بين الخير والشر حتى يكون النصر في النهاية للخير

صناعة الطائرات

في باندونج أتيحت لنا فرصة لزيارة مصنع « نورتانيو » للطائرات ، أحد مفاخر النهضة في أندونيسيا صناعة الطائرات لها قصة بدايتها عام ١٩٧٦ فقد كانت الحاجة ماسة الى وسائل للنقل الجوي بين جزر الارخبيل المستلقية على اتساع المحيط والمتباعدة عن بعضها البعض لمسافات بعيدة ، وليس أهم من الاعتماد على النفس في هذا الإنجاز الكبير وتقرر إقامة مصنع لطائرات النقل الخفيف بالاعتماد على خبرات فنية تقنية يقودها الدكتور المهندس يوسف بحر حبيبي ، الذي وضع تخطيط المشروع وتولى تنفيذه وادارته وكانت البداية بتجميع طائرات (كاسا ١١٢) بترخيص من المصنع الأم باسبانيا ، وهي طائرة حمولتها ١٩ راكبا أو طنان من البضائع ثم بدأت عمليات التطور بتصميم جديد رفع حمولة الطائرة الى ٤٠ راكبا لتبدأ مهمتها في حركة الطيران الداخلي الخفيف تمهيدا لتصعيد مجالاتها الى النقل الاقليمي ثم النقل الدولي

قال لنا المهندس محمد شولحي مدير العلاقات العامة للشركة وهو يصحبنا في جولة داخل المصانع ، سنتعرض خلالها مختلف أنواع الطائرات وهي تحت التجميع والتصنيع

لم تكن المهمة سهلة ومع هذا فخلال أربعة أعوام من إنشاء المصنع جرى التعاقد لتصنيع طائرات أكبر حمولة بترخيص من شركة بوما الفرنسية ، تبعها تصنيع الهليوكبتر (باس ٣٣٢) ومع التوسع في الصناعة وتطورها لم تعد تكتفي بسد الحاجة المحلية ، إذ بدأت الشركة تصنع الطائرات وتصدرها تلبية للطلبات التي انهالت عليها من الدول المجاورة وعلى رأسها تايلند ومن أجل إعداد الكوادر المدربة لمزيد من الانتاج تم التوقيع على اتفاقية تعاون بين إدارة المصنع وبين كلية باندونج لعلوم التكنولوجيا في قطاع علوم الملاحة الجوية ، لدعم برامج صناعة الطائرات وتخريج الفنيين المدربين وأعلن الدكتور حبيبي تصميمه على أن تكون الطائرات المنتجة في أندونيسيا على أعلى مستوى من الانتاج العالمي ، بعد أن تم الحصول على تراخيص إنتاج من أمريكا والمانيا العربية وفرنسا وحتى يونيو ١٩٨١ كانت الشركة قد أنتجت وصدرت ٧٢ طائرة من مختلف الأنواع

بعد هذه النهضة الكبيرة بدأت الشركة تطور نفسها بانتاج الطائرات الهليوكبتر الحربية والطائرات القتالية لتزويد سلاح الجو الأندونيسي بالطائرات المنتجة محليا ثم كان أبرز أنواع الانتاج هو صناعة طائرات (بويج) الأمريكية بالاضافة الى تصنيع قطع غيار الطائرات بعد أن تم التعاقد مع (جنرال الكتريك) لتصنيع التوربينات والموتورات والقطع الفنية التي تحتاج الى خبرة عالية من التقنية

ونستطيع إدراك مدى التطور الكبير في هذه المصانع عندما نعلم أن عدد العاملين ارتفع من ٥٠٠ موظف عام ١٩٧٦ ليصل الى ١٣ الف موظف في العام الاخير وأن هناك عقودا لتصنيع ٢٥٩ طائرة لعدد من الدول بينها المملكة العربية السعودية

وهو أمر يعبر بغير شك عن تطور ونجاح كبير في ميدان الصناعة والتقدم والتنمية في اندونيسيا

معهد فابيلان

إن تنمية الانسان تقوم في الاساس على التربية والتعليم ولقد شاهدنا نموذجا رائعا لهذه التنمية خلال زيارتنا لمعهد فابيلان الأهلي على مسافة ٢٠ كيلومترا الى الشمال من يوجياكرتا

المعهد أسسه عام ١٩٦٥ الحاج همام جعفر وكان عمره وقتها ٢٦ سنة وشاركه في ذلك اخوه وزوجته ـ وهو مازال حتى الآن يتولى ادارته وقد أقام المعهد على جزء من أرض صغيرة كان يملكها ، ثم جرى التوسع بعد ذلك حتى بلغت المساحة التي أقيمت عليها بقية أجنحة المعهد وأقسامه حوالي ٥٠ ألف متر مربع ، يحيط بها مساحة أخرى مزروعة جعل ريعها للصرف على الطلاب والطالبات الذين يفلحونها لانتاج كل الخضراوات والمواد الغذائية الاستهلاكية اللازمة للمعهد

يقوم عند مدخل المعهد مسجد قديم مشيد على النمط التقليدي ، تم بناؤه عام ١٨٠٠ حيث يمارس فيه الطلاب والطالبات وأهالي قرية فابيلان الصلوات ويتلقون الدروس الدينية وتجري الاحتفالات الاسلامية ومسابقات تلاوة القرآن الكريم الى اليسار من المسجد نجد قاعة جلست عند نافذتها الواسعة أربع فتيات في ردائهن الابيض وبين أيديهن دفاتر للتسجيل ، وحين نسأل عن مهمتهن نعرف أنهن يتولين تسلم زكاة المال تماما كما يتسلمون زكاة الفطر خلال أيام رمضان المبارك وقالت لنا

إحداهن انا نسجل في هذه السجلات كل ما يصلنا من الزكاة وأسماء من يقدمونها ثم نتولى توزيعها على الفقراء

ونظر الى الناحية المقابلة ، فنجد طوابير النساء والصغار كل منهم يحمل كيسا ، بينما يجلس عدد من الطلاب على افريز مرتفع يكيلون كميات الأرز التي اشتريت بأموال الزكاة ويوزعونها على المستحقين

يقول لنا وكيل المعهد الذي كان يرافقنا قبل أيام من حلول العيد يبدأ الناس أفرادا وجماعات في اخراج زكاة الأبدان وزكاة الاموال ، ولا يزال كثير من الناس يقومون بذلك بأنفسهم ، أو يقدمونها لمن يعرفون فيه الاستحقاق ولكن بعض المناطق والجماعات ـ كما نفعل هنا ـ تنظم هذا العمل حيث تجمع الزكاة والصدقات ثم توزع على المستحقين بطريقة تتيح لهم أن يشقوا بها طريقهم للعمل والكسب وفي عيد الاضحى وبعد أداء الصلاة يتم نحر الاضاحي وتوزيع لحومها على الفقراء المستحقين الذين قد لا يجدون اللحوم في عامهم إلا في هذه الفرصة ونحن لا ننسى في هذه المناسبة دور الايتام والعجزة إذا تخصص لهم حصصهم من لحوم الاضاحي

إلى يوجياكرتا

انطلقنا الى العاصمة القديمة يوجياكرتا في وسط جاوة ويوجياكرتا مدينة عامصة عتيقة تخرق الذاكرة عبر بساط الريح ، ويصعب الإلمام بتاريخها الشامخ وهي احدى المناطق الثلاث ذات الوضع الخاص ضمن محافظات أندونيسيا (الاثنتان الاخريان هما العاصمة جاكرتا وأتشيه في سومطرة الشمالية) وهي احدى أهم المراكز الثقافية القديمة حيث السهل الأخضر الخصيب الذي كان خلال القرنين ١٦ و١٧ مقرا لامبراطورية ماتارام الجاوية التي ورثت عنها يوجياكرتا الحالية اروع معالمها

يوجياكرتا الان يحكمها كاقليم خاص السلطان همنجو بونو التاسع وقد برز تاريخها الحديث عام ١٧٥٥ عندما فقد المستعمرون الهولنديون صبرهم تحت ضربات الثوار المتوالية ، فكان أن لجأوا إلى تقسيم السلطنة الكبرى إلى مقاطعتين صغيرتين تحت الحكم الذاتي ، إحداهما سوراكرتا والثانية يوجياكرتا وعين الهولنديون الأمير مانجوكوجي للجلوس على عرش السلطنة تحت اسم همنجوبونو الأول ، وهو الجد الأكبر للسلطان التاسع الحالي الذي يحمل نفس الاسم

قصر الشهادتين

قصر السلطان الكبير في قلب المدينة يسمونه (كراتون) ، ويطلقون عليه في بعض الأحيان قصر السكاتين

هل سمعت من قبل عن السكاتين ؟

الاسم غريب ولكنه في الواقع تحريف باللسان الجاوي من كلمة الشهادتين هذا الاسم اطلق على الساحة الواسعة امام قصر السلطان،والى يسار مسجد الشهادتين تمتد ساحة هي عبارة عن حديقة خضراء يحيط بحوافها ٦٣ شجرة وهي رمز لسنوات عمر النبي محمد (ﷺ) ، وفي الصدر المواجه للقصر تقوم شجرتان ضخمتان عن يمين وشمال وهما الرمز لشهادتي ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

وهنا وقبل وصول الاسلام كانت الساحة تستغل في اقامة المراسم التقليدية إذ تخرج الأدوات الملكية مثل الخناجر والرماح والعربة الملكية والأدوات الموسيقية والطبول لتنظيمها وحين جاء عصر الدعاة الرواد ، وهم أولياء الله التسعة ، ونشطوا من أجل تقديم الدعوة الاسلامية ، تحول الاحتفال السابق ليصبح مجالا للدعوة الى النطق بالشهادتين لكل من جاء لدخول الاسلام وكانت قمة البرنامج في هذه المراسم هي الاحتفال بالمولد النبوي ولكن مع مرور الزمن تحولت الساحة لتصبح معرضا وسوقا يعج بأجنحة الباعة والعارضين من المنتجين والتجار والحرفيين وفي قمة البرنامج يحضر السلطان الى ساحة المسجد في مراسم تقدم خلالها تلال الارز المطبوخ وقد غرست فيها اللحوم والاسماك كوليمة سلطانية للجماهير وفي ذلك الوقت تصدح موسيقا (الجاملان) تعزفها جوقتان من العازفين على أدوات موسيقية من مخلفات عصر مملكة ماجاباهيت الهندوكية ومن مخلفات عصر الأولياء

وندخل قصر كراتون القصر نموذج للفن التقليدي الذي تختلط فيه معالم الفنون الهندوكية والجاوية القديمة مع فنون المعمار الحديثة بديكوراته ونقوشه وزخارفه وساحته وقاعاته،والاعمدة المقامة على النسق الهندي الجاوي التي كانت تصور الفخامة الملكية منذ انشائه عام ١٩٥٥ واستمر نفس الطابع عندما تم استكماله عام ١٩٥٧ ولكن الواضح انه كان قائما قبل هذين التاريخين في عهد مملكة متارام ، إذ يلاحظ ان التاريخ المنقوش على البوابة الداخلية للقصر هو عام ١٦٨٢ ، كما ان المدخل يزدان على

● ن الباتيك من أبرز صناعات المنسوجات ويحتل مكانا متقدما في لائحة الصادرات الى خارج اندونيسيا (الصورة الى اليسار) .

حاسيه بتمثالين كل منهما على شكل رأس حية يشى حولها الجسد حتى الذيل

إن أهم معالم القصر هو ردهة الساحة الرئيسية حيث تتصدرها المقصورة ذات الأعمدة الذهبية . وهي مثل أعلب الردهات الداخلية عباره عن قاعه مفتوحة بأعمدتها الخشبية المزخرفة والمموهة بالذهب هنا كان السلطان يستقبل الضيوف الملكيين حيث تقام عروض المسرح والرقص التقليدي التي يقدمها راقصون مدربون تدريبا خاصا تليق بالقصر كمركز للنشاط الديني في الاحتفالات الاسلامية الرئيسية الثلاث المولد النبوي وعيد الفطر وعيد الأضحى

إن هذا القصر الان لم يعد يحتفظ بمكانته السلطانية ، ولكن هذا لا يمنع من أنه مايزال معرضا للاسلحه السلطانية ومجموعات العرائس الجلدية المزخرفة ، والعربة السلطانية ، وأدوات الموسيقا ، والمعروضات الأخرى من الهدايا المقدمة للسلاطين من الضيوف الملكيين في الماضي القريب

ديماك مزار الحجيج

الى الشمال من يوجياكرتا تقع مدينه سمارانج وتعتبر المنطقة المحيطة بالمدينة منطلقا لنشر الدعوة الاسلامية في جاوة في القرن ١٣ على يد الدعاة الذين اشتهروا بلقب أولياء الله التسعة حيث كانوا يبدأون مهمتهم ببناء تلك المساجد

على مسافه ٢٠ كيلومترا شمال شرقي سمارانج تقع مدينة ديماك هنا يوجد أول مسجد أقامه هؤلاء الأولياء ويعتبره المسلمون رمزا لنهضة الاسلام في جاوة ومسجد ديماك يؤمه المسلمون في أندونيسيا حجيجا ، على أمل أن يكون حجهم إليه تمهيدا للانطلاق الى موسم الحج الكبير في عرفات ومكة وبالمسجد ظاهرة غريبة وهي أن أحد أعمدته السامقة متخذة من نفايات الأخشاب المحورة ، أتى به من ماجاهات عاصمة الامبراطورية الهندوكية المهارة

نظرة الاحترام والتقدير للمسجد الأثري ليست نابعة فقط من أن الأولياء الدعاة كانوا يعقدون فيه اجتماعاتهم الدوريه للتشاور في شئون الدعوة ودراسة التقارير المقدمة عن ممارسات الدعوة في جميع أنحاء البلاد

يتحدثون هنا عن ديماك باهتمام كبير وهم يتذاكرون قيام أول مملكة إسلامية في جاوة ، وأول ملوكها رادين باتاه (أو عبد الفتاح) وكان حصيفا حكيما في إدارة المملكة ، فلم يقتصر على استشارة علماء الدين في القضايا الكبرى فقط ، بل في سياسة نشر الدين بين أوساط الشعب الذي كان يعتنق الهندوكية وفي ذكرهم لازدهار الاسلام في ديماك يقولون ان الملك عبدالفتاح (رادين باتاه) ونتيجة تشاوره المستمر مع الأولياء الدعاة ، كان يفرق في الأمور عبر الاسلامية بين ما هو بالغ التعارض وبين ما هو بسيط لا يضير فالأمور التي تتعارض أساسا مع تعاليم الاسلام لا يتردد في القضاء عليها قضاء مبرما أما الأمور البسيطة فإنه يتركها مؤقتا ولذلك لم يغير من عادات الشعب وتقاليده طفرة واحدة وكان ذلك وراء نجاح الدعوة ، وهو ما اعترف به المؤرخون العالميون من أمثال أرنولد توينبي وتوماس أرنولد

على بعد كيلومترين من ديماك توجد مقبرة « سونان كالي جاقا » أحد الاولياء التسعة الرواد والى الشرق في « بوناتيه قدوس » تقوم مئذنة تحمل نفس الاسم ، أقيمت بالقرب من المسجد المسمى مسجد « قدوس » الذي يمتاز بنمطه الخليط بين الفن المعماري الاسلامي والهندوكي وتمثل المئذنة التي يعتبرها الحجيج مزاراً لهم رمزا للدعوة الاسلامية المبكرة في جاوة

القرية التي أسلمت

على مسافة بضعة كيلومترات على الطريق بين معبد « بور وبودور » ومدينة يوجياكرتا ، توقفنا عند قرية بانجوريو الواقعة في دائرة « كاريباوان » وكان المختار واسمه « بري هارسيو » قد دعانا لزيارة قريته التي وصفها لنا وزير الشئون الدينية عند لقائنا معه في جاكرتا ، حيث عرّفنا بهذا المختار الداعية الى الاسلام

كنا نعرف كما قال لنا الوزير أن هذا المختار هو إمام وخطيب أكبر مساجد المنطقة ، وأنه كان لسنوات قليلة ماضية قسيسا ومبشرا للدين المسيحي ، ولكنه آمن بالاسلام واستطاع بجهوده الذاتية أن يقوم بالدعوة للدين الجديد الذي آمن به ، وتحولت قريته كلها (٢٥٠٠٠ نسمة) على يديه الى الاسلام

ودخلنا القرية ، وشاركنا مع الأهالي في أداء صلاة التراويح - وكنا في رمضان - حيث لم تكن مساحة المسجد تكفي للمصلين والمصليات ، فافترشوا

● سري هارسيو امام وخطيب مسجد قرية باتحوريو وكان من قبل قسيسا واستطاع بجهوده الذاتية أن يقنع أهل القرية بدخول الاسلام

الساحة الأمامية كلها لأداء الصلاة برغم هبوط الامطار غزيرة في ذلك المساء

والتقينا بالناس وبالمختار الامام وسمعنا منهم الكثير

في هذه المنطقة لم يكن عدد المسلمين يتجاوز ١٥ / والآن اصبح سكانها كلهم مسلمين ١٠٠ / فعندما امن قسيسهم بالاسلام استغرب الناس هذا التحول وبدأوا يناقشونه ويستمعون اليه ، وحين اقتنعوا بما كان يشرحه لهم من فضائل الاسلام وتعاليمه واقتنعوا بها ، راحوا يعلنون إسلامهم بين يديه

وسألته كيف آمن بالاسلام وهو الذي كان قسيسا مبشرا يدعو الناس الى المسيحية ؟

قال : لقد آمنت بالاسلام بعد ان تعمقت في دراسة القرآن الكريم وما جاء فيه من تشريعات وحقائق ، وأدركت أن ما كنا نتصوره من أن المسيح هو ابن الله أوهو الإله نفسه غير صحيح ووجدت في الاسلام النور الهادي والنموذج العظيم للحياة الانسانية السليمة التي تقود الانسان على طريق الخير وبدأت أدرس ما هو متاح لي من كتب التفسير فتفتحت أمامي آفاق الايمان وآليت على نفسي أن أسهم مع الدعاة المسلمين في الدعوة الى الاسلام ، وكانت قريتي بالطبع هي أول ساحة أبذل فيها جهدي بقدر ما مكنني الله

والواقع أني لم اكتف بالمعهد الديني الذي أقمته في القرية ، بل عملت على إقامة تسعة مساجد صغيرة في كل منطقة ، وكنت ألقي فيها الدروس الدينية دون أن أحمل الناس عبء الانتقال للاستماع الى ما أقول

في خطبة الجمعة لم أكن أتكلم أبدا عن مساويء العقائد والديانات الأخرى ، ولكني كنت أتناول فضائل الدين الجديد لم ألجأ أبدا الى الهجوم والتشويه والتحطيم لما كان الناس يؤمنون به ، ولكني عملت على فتح العيون على ما نزل به الدين الحق بأسلوب بسيط محبب الى النفوس ، لا ألجأ فيه الى الاكراه أو الضغط بل أتبع الكلمة الطيبة والقدوة الحسنة

كنت أدرك أن الناس سيتعرضون لضغوط شديدة من المبشرين ومن المسيحيين من سكان المناطق المجاورة ، بل اني انا نفسي تعرضت لضغوط شديدة من اخوتي التسعة ، ولكني استطعت بحمد الله أن أقنع اثنين من أشقائي بدخول الاسلام ، فوقفا بجانبي وكانا عونا لي في مواجهة الضغوط التي كان يتعرض لها سكان القرية الذين رفضوا كل ما كان المبشرون يلوحون لهم به من أغذية وتسهيلات في المعيشة والحمدلله أن السكان قد امتلأوا قناعة بدينهم الجديد ، ولم يتذبذب إيمانهم أبدا

ولكن لي همسة تصل إلى حد الرجاء ، أريد أن أطرحها فكما ترون أن أهل القرية فقراء ، ولكنهم متمسكون بدينهم الذي اقتنعوا به ، ومع هذا فإن أشد ما اخشاه مع الضغوط التي يتعرضون لها ، أن ينخدعوا بما يدخله الآخرون في روعهم من أن دخولهم الاسلام لم يفدهم شيئا صحيح أن الأهالي يدركون بحق بأن الأمر ليس مجال مساومة ، وأن الاسلام سيفتح لهم الطريق الى الجنة ورضاء الله ، إلا أنهم يتمنون أن تخفف عنهم أعباء الحياة التي يعيشونها ، وأبرز ما يعانيه سكان القرية هو صعوبة حصولهم على مياه الشرب ، فمصادر الماء موجودة ولكنها بعيدة عن متناول أيديهم ، وهم يطمحون أن تمد شبكة أنابيب لتوصيل المياه اليهم ، وهو أمر نستطيع بالجهود الذاتية أن نحققه ولاشك أن هناك من القادرين من يستطيع ان يتبرع باقامة هذه الشبكة من الأنابيب ، وهو أمل لو تعلمون كبير

ودعنا نقول ان تحقيق الأمل يملكه الكثيرون في أقطار وطننا العربي ، أفرادا وجماعات ومؤسسات ونحن نعرف أنهم سيفعلون
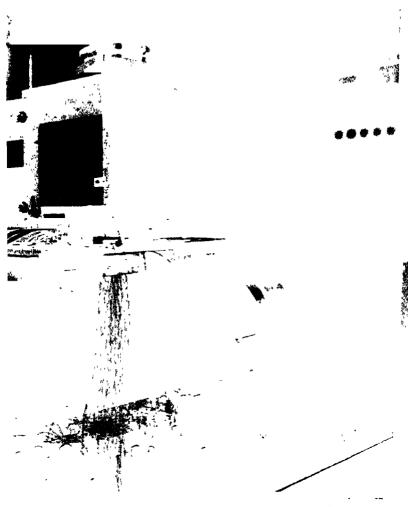
جرّاح المستقبل بين مبضع الليزر والموجات فوق الصوتية

بقلم : الدكتور عامر هشام جمعة

الاسلامي ...
المؤتمر العلمي ...
فريدة في بابها ، لمحاولتها الاجابة ...
مازلت لأذكره بالنص .. ماذا لو كان ...
(الشيخ الرئيس) حاسب آلي - كمبيوتر ؟ ، وقبل ا
اعمل فكري في الاجابة قال صاحب الدراسة « بلا
شك سيكون بيته أكبر مركز طبي في العالم كما ستكو
غرفته مكتبة طبية مركزية ، كذلك كتابه « القانون
اذ سيعد عند ذاك الاطار العام المستخدم في ارجا
المعمورة ، لاحتوائه على مسارات واضحة لكل
البرامج الطبية » .

تمر بخاطري امية الباحث في توفر الكمبيوتر لعا
الجليل ابن سينا اد اتصفح كتاب « التصريف ل
عجز عن التأليف » للجراح العربي ابو القا
الزهراوي - ت ٤١٤هـ/ ١٠١٣م - حيث ضم
صورا مخطوطة لنماذج أجهزته الجراحية التي ك
يستعملها في طبه تشخيصا وعلاجا ، فماذا لو حص
هذا العالم الجراح على تقنية العصر الحاضرة ،
أشعة ليزر وموجات موق صوتية وأخرى صادمة

إن التطور التقني الماثل الذي نعيش وا
الحاضر يعكس نتائجه في مختلف أوجه الح
المعاصرة .. وإذا كان هناك علم لا يمكن أن يكت
دون تجريب علمي ومختبري وبالتالي دون أجه
تقنية فهو علم الطب بفروعه التشخيص

والعلاجية الأساسية والسريرية ، والأمثلة في العمل كثيرة ومتعددة ، بل أكاد أجزم أن التطور الصحي الذي أحرزته المراكز العلمية العالمية،ممثلا بانخفاض معدلات الوفيات،وازدياد متوسط العمر للافراد،جاء مترامنا مع تطور العلاقة ايجابيا بين الطب بفروعه والتقنية بأنواعها بما وفرت من سهولة ودقة وجودة وحرية لعقل الطبيب في تيسير سبل المعالجة والمداواة

ولن نأخذ من فروع الطب الكثيرة الا الجراحة فهي علم وعمل فكم هو نصيب الجراح من أجهزة تقنية وكم هو نصيب المريض بعد ذلك من عافية وصحة وكيف هو حال جراح المستقبل مع تقنية المستقبل ؟

أشعة الليزر . المبضع البديل

لقد عرفت اشعة الليزر منذ فترة ليست طويلة في عمر الزمن حيث استطاع العلماء من زيادة قدرة الضوء عن طريق تخفيض وتحفيز الاشعاع ، فكانت القدرة الناتجة عن ذلك تخلق حرارة عالية تكفي بدورها لقطع النسيج الحي أو تبخيره وما ذاك الا في مجال الطب بينما تبقى استخدامات وتطبيقات هذه الدرجة الحرارية العالية الناتجة من أشعة الليزر كثيرة وعظيمة

ولو سرنا عبر مجالات العلوم الطبية لتقدير امكانية استخدام اشعة الليزر فيها تشخيصا وعلاجا ،لوجدنا ان الطب الحديث يستخدم الليزر في طب العيون ، والانف والاذن والحنجرة ، وطب الأمراض الجلدية ، والامراض الصدرية والهضمية والبولية ، اضافة الى علوم العمل الجراحي العام والدقيق بما فيه عمل جراحة الجملة العصبية وما بدايات استخدام الاطباء لأشعة الليزر في مجالات عملهم الا في سنة ١٩٧٠م ولكنها مسيرة التطور تصنف تحديد دائم وهكذا كان لأشعة الليزر أنواع عديدة يستخدم بعضها في مجالات الطب كنوع NDYAG ، CO LASER ، ARGON LASER ، LASER HELIUM NEON LASER ، فاذا سلطنا

أشعة الليزر على زلال البيض مثلا سينتج عن ذلك تخثر منطقة سطحية محدودة دون تأثير على المناطق الاخرى المجاورة أو الداخلية مما يعني أن لأشعة الليزر تأثيراتها الموضعية التي لا تتجاوز في قطرها نفس قطر الشعاع الساقط ، وبحيث لا تزيد في عمقها عن سنتمتر واحد ، حيث يعتمد عمق التخثر الحاصل مثلا على القدرة المعطاة للشعاع المستخدم،ودون تأثير ضار على المناطق المجاورة بطبيعة الحال

ولكن ماذا عن سقوط أشعة الليزر على الأنسجة الحيوانية ؟ لقد أثبتت التجارب المختبرية الدقيقة وباستعمال نوع (NDYAG LASER) أن تسليط الأشعة على مثل هذه الأنواع من الأنسجة الحية يؤدي الى تبخير السوائل من خلاياها ، مما يؤدي الى جفاف الأنسجة وفقدان الخلايا لعوامل استمرار الحياة وبذلك كان تركيز علماء الجراحة على الاستفادة من الحرارة العالية والناتجة من استخدامات الليزر في فتح جلد غطى عضوا معينا لغرض مداواته جراحيا وفتح عضو في جهاز جسمي لتطبيبه وبذلك عرفت أجهزة الليزر الجراحية ومباضع الليزر الجراحية الخاصة في معالجة أمراض الاعضاء التي تزداد فيها أوعية الدم كثافة ، حيث ان حرارة الليزر لا تقتصر على فتح العضو وتسهيل شؤون العملية الجراحية،وايقاف النزف من عضو يغزر نزف الدم منه اثناء العملية لاسباب تشريحية طبيعية وعرفت استخدامات الليزر في مداواة بعض الأورام السرطانيه حيث تصيب اعضاء الجسم فالحرارة العالية الناتجة من زيادة قدرة الضوء عن طريق تحفيز الاشعة كفيلة بسلب الخلية حياتها فتقتل الخلية السرطانية الخبيثة

ولابد من الاشارة الى أن تأثيرات اشعة (NDYAG LASER) تختلف حسب قدرتها ، ففي المجال ٢٠ - ٤٠ واط يحدث تأثر للاشعة في الانسجة،وان امتصاصها من قبل النسيج يؤدي الى توليد طاقة حرارية تصل الى عمق ٥ ملم تقريبا حيث،ينتج عن هذه الحرارة تبخر الماء من الانسجة وانكماشها مؤدية الى تخثر الدم في أوعيته ، وفي المجال ٦٠ - ٨٠ تتبخر

السوائل من الانسجة السطحية حيث تتطلب هذه الانسجة حرارة كبيرة جدا فلا تبقى قدرة كافية للتأثير على الانسجة العميقة

وموجات فوق الصوت كذلك

ومختبرات الطب التشخيصية وردهاته الجراحية العلاجية لا تزال مفتوحة على نوع من الاجهزة مدهش في نتائجه،حيث يستند اساسا على مبدأ الموجات التي تزيد في ترددها عن ٢٠,٠٠٠ ذبذبة في الثانية الواحدة مما يتعذر سماعه من الاذن البشريه فهي موجات فوق صوتية غير مسموعة ولكنها ذات قابليه للاحتراق السحي والعضوي مما له استخداماته وفوائده في الطب والجراحة

فامكان أطباء الجراحة اليوم الاستغناء عن عدد كبير من العمليات الجراحية اللازمة لاستخراج حصى الكلى مثلا ودلك باستخدام جهاز مسطار الكلى المجهز بمعدات خاصة لتفتيت الحصى والتقاطه وما هذه المعدات الا مسار خاص يدخل عبر قناة المطار لتسليط الأمواج فوق الصوتية على الحصاة المتموضعة في نسيج الكلى،فتتفتت لتطرح خارج الجسم فيعافى المريض ويشفى

واذا تموضعت الحصاة في حالب من حالبي الانسان فان الجراح اليوم يستطيع في صالة عملياته ادخال المطار الخاص عبر المثانة ليصل الى الحالب ثم الى مكان الحصاه فتتكفل الموجات فوق الصوتية بتفتيتها وتخليص الجسم من اثارها الضارة

وبعيدا عن مبضع الجراح تمكن العلماء مؤخرا من تطوير اسلوب في معالجة مرضى حصى الكلى ودلك بتوليد ما اصطلح عليه بالموجات الصادمة حيث انتجت الأجهزة المناسبه لذلك واستعملت في بعض المراكز الطبية بنجاح على ما يقرب من ١٠٠٠ حالة مرضية وبعيدا عن النظريات العلمية التفصيلية المعتمدة في عمل مثل هذه الأجهزة الدقيقة التكوين ، نلخص المبدأ العلمي لجهاز تفتيت الحصى بواسطة الموجات الصادمة

لقد أصبح معروفا أن قوانين الأمواج الصادمة التي يمكن توليدها من نبضات كهربائية تحت الماء ، يمكن استخدامها عمليا عن طريق جهازنا المذكور حيث توجه هذه الأمواج بواسطة عاكس اهليلجي لتسلط مباشرة على الحالب حيث تتموضع الحصى أو على الكلى دات الحصاة

ولم ينس الجراحون استخدام جهاز الأشعة السينية ذي المحورين في تحديد مكان الحصاة في الحالب أو في الكلى

فاذا سقطت الأمواج الصادمة على المناطق الحدية نسيج ـ حصاة ـ نسيج ـ فان قسما منها ينعكس،ويؤثر القسم الاخر على الحصاة بواسطة الضغط الكبير الذي يعادل نصعة (كيلو بار) فيفتت الحصاة المقصودة الى أجزاء صغيرة جدا حيث لاتتحمل الحصاة مهما كان تركيبها الكيماوي قوة الضغط المسلط عليها والذي يستمر لمدة ٠,٥/٠ من الميكروثانية

ولا تسل عن تأثير أمواج الصدم على باقي نسيج الكلى فلا تؤثر الموجة الصادمة في النسيج الصحيح حيث المرونة والليونة التي تكفل تجاوز الصدم وموجاته

وجهاز تفتيت الحصى الكلويه على دلك يتألف من اقسام عديدة حيث قسم توليد الأمواج الصادمة اما أجزاء توليد الأمواج الصادمة فتضم العاكس الاهليجي وقطب تفريغ الشحنات الكهربائية،ومولد الصدمات حيث يتم تفريغ الشحنات الكهربائية ضمن العاكس الاهليجي

وتأتي الطاقة اللازمة لدلك من مولد الأمواج الصادم الذي يعمل بدورة بواسطة فاحم خاص

انها فصول من قصة الطب التقنية فكـ علينا أن نستوعب أفكار التقنية الحديثة واستخداماتها لصحة الانسان ؟ وكم علينا ان نسعى لتطوير العقـ التقني عند ناشئتنا وشبابنا ؟ فالعصر الحديـ عصر العلم وعصر التكنولوجيا وهي نشأ لمستقبل الانسان في عالم الغد

وجهاً لوجه
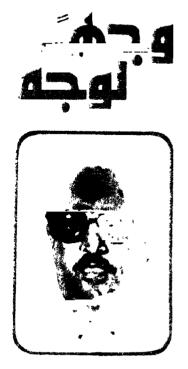
د. فــؤاد زكـريـا ـ د. إمام عبدالفتاح إمام

■ الكتابة السياسية عمل فلسفى يختلف فى الشكل فقط .

■ اختلاف منهج التفكير جعل من فلاسفة الشرق أنبياء !

■ الهدف الاساسي للكاتب هو تنوير العقول وتطهيرها من الاخطاء .

■ المقالات طلقات سريعة والكتب مدفعية ثقيلة والمهم توحيد الهدف .

الحوار بين اثنين من أساتذة الفلسفة من جيلين مختلفين . د إمام عبد الفتاح امام يحاور الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا ، واحد من ألمع المفكرين العرب وأكثرهم ثورية فى الفكر والسياسة فى آن معا ، تشهد على ذلك كتاباته الفلسفية عن « نيتشه » و « اسبينوزا » ودراسته لجمهورية افلاطون الخ ، وكذلك آراؤه النقدية فى السياسة والاجتماع عمل رئيسا لقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس لسنوات طويلة ، وهو يعمل الآن رئيسا لقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة الكويت

والدكتور إمام عبد الفتاح إمام من جيل تال ،كان استاذا مساعداً للفلسفة الحديثة والمعاصرة بكلية الآداب بجامعة عين شمس ، ويعمل الآن بجامعة الكويت ، وهو من الباحثين الذين يعملون على نشر الفلسفة الهيجلية تأليفا وترجمة ، لأنه يؤمن بأهمية الدور الذى تلعبه هذه الفلسفة العقلانية فى مجتمعنا العربى ، وهو لهذا يشرف على مكتبة كاملة للدراسة الهيجلية هى « المكتبة الهيجلية » التي أصدرت اكثر من خمسة عشر كتابا فى حقل الدراسات الهيجلية ، فضلا عن مقالاته ودراساته الاخرى

الواقع أننى لم أرد لهذا اللقاء أن يكون مواجهة ـ فالمواجهة هنا بالغة الصعوبة ـ بقدر ما أردت له أن يكون ضرباً من « المحاكمة » العلنية التى توضع فيها بنود الاتهام وحيثيات الدفاع أمام القارىء ، ثم يترك له وحده إصدار الحكم فى نهاية اللقاء

والسبب الذى جعلنى ألجأ الى تلك الطريقة أننى أمام مفكر ثائر ـ هو الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا ـ وهو بطبيعته جموح متمرد تصعب مواجهته ، ومن ثم فقد اعتقدتُ بأن طرح شبكة من « الاتهامات » قد تجعلنا نتغلب على هذه الصعوبة ، ونواجه هذا الثائر المتمرد ، لنبقى معه بعض الوقت مستمتعين بجلسة فكرية بقدر ما تسمح به صفحات المجلة ، وسوف أكتفى بثلاثة اتهامات رئيسية وبعض التفريعات القليلة

الفلسفة والسياسة

ـ الاتهام الأول ، ويطرحه المشتغلون بالفلسفة ، وهم يتهمونك بأنك طلقت الفلسفة لصالح السياسة ، لاسيما فى الفترة التى تركت فيها مصر ، وقضيتها فى الكويت لأكثر من عشر سنوات ، لم يصدر لك فيها سوى دراستين فى « الحوليات » التى تصدر عن كلية الآداب بجامعة الكويت ، الأولى عن « شجرة المعرفة عند ديكارت » ، والثانية عن « الجذور الفلسفية للبنائية » ، بالاضافة الى ترجمة « حكمة الغرب » لبرتراند رسل ، لكن هذه الأعمال الفلسفية الضئيلة لا تقاس بالنشاط السياسى الواسع سواء عن طريق المقالات والدراسات فى الصحف ، أو أحاديث الاذاعة أو المحاضرات والندوات ، فحقل السياسة الواسع قد استوعب جميع اهتماماتك ، وطغت أنشطته على نشاطك الفلسفى فما رأيك فى هذا الاتهام ؟

O قد يكون الاتهام في ظاهره صحيحاً ، وله ما يبرره شكلاً ، من حيث ان مجمل النشاط الذى أقوم به يتجه نحو معالجة مشكلات سياسية واجتماعية الخ ، بينما الجانب الفلسفي الأكاديمي ربما أصبح أقل اهمية في هذه الفترة التي نتحدث عنها. ولكني أريد أولاً أن أصحح ما قيل عن أن المسألة لا تزيد عن بحثين. فأنا أعتقد أن هناك عدداً من البحوث أكثر من ذلك بكثير ، ولا أريد أن أضرب أمثلة ، ولكن يكفي أن أتحدث مثلاً عن بحثي الأخير عن « الاستشراق »

- أنا أتحدث عما نشر فعلا

O لا بأس. هناك بحث قبل ذلك عن « مستقبل الأصولية الاسلامية » وقد نشر فعلا ، وبحث آخر عن « العقل العربي والتوجه المستقبلي » وغيرهما. هناك مالا يقل عن عشرة بحوث ، وكلها تنتمي إلى المجال الفلسفي الأكاديمي بشكل أو بآخر ، يضاف الى ذلك كتاب كتب في هذه الفترة ، وأعني به كتاب « التفكير العلمي » ، وآخر عن « الحقيقة والوهم في الحركة الاسلامية المعاصرة » ، وثالث عن « الصحوة الاسلامية في ميزان العقل »

- أظن أن الكتاب الأول قد كُتب ، أو على الأقل تمّ إعداده ، قبل مجيئك إلى الكويت ، وإن كان قد نشر بعد ذلك ؟

O ربما بعض العناصر قد كتبت فعلا ، ولكن نوع المشكلات التي عولجت كتبتها أثناء وجودي في الكويت

وعلى كل حال فهذا رد من حيث « الشكل » كما سبق أن ذكرت ، لكن إذا تناولنا المسألة من حيث المضمون ، فأنا أريد أن أقول إني في الواقع كنت أعمل بالفلسفة في الحالتين ، كل ما في الأمر أن هناك اختلافا في الموضوع الذى يتجه إليه عملي في الفلسفة. هل هو موضوع فلسفي أكاديمي ، أم أنه موضوع فلسفي ولكنه مطبق على مشكلات أكثر عينية وأكثر واقعية من المشكلات الأكاديمية ؟ بمعنى آخر أنا عندما أكتب مقالا مثلاً عن « الحكم العسكرى » ، أو عن « مشكلة تطبيق الشريعة » وما شابه ذلك ، فإن عنوان هذه الموضوعات يوحي بأننا نناقش مشكلات سياسية أو دينية فحسب ، لكن المضمون وطريقة المعالجة « فلسفية » ، ولولا أنني « فلان » صاحب هذا التكوين الفلسفي ، وهذه الخلفية الطويلة في ميدان الفلسفة ، ما كان من الممكن أن يأخذ أي مقال أكتبه هذا الشكل الذى يتخذه ، ولهذا فأنا أريد أن أصحح صيغة « الاتهام » فأجعله يقول: ان هناك اختلافا في الموضوع الذى أصبح يتجه إليه عملي الفلسفي ، لكنه في الحالتين عمل فلسفي. وسأضرب لك مثلا على الفكرة التي أطرحها ، البحث الطويل الذى كتبته بعنوان « مستقبل الأصولية الاسلامية » وكان ردا على مقالات الزميل الدكتور حسن حنفي.

وهنا لا بد أن أشير إلى تجربة طريفة مررتُ بها وتستحق التنويه. فعندما نشر الزميل الدكتور حسن حنفي مقالاته اعجب بها عدد كبير جدا من أصدقائي اشد الاعجاب ، وسمعت منهم تعليقات كثيرة فيها إشادة بهذه المقالات ومدى أهميتها... الخ. ثم كتبت بعد ذلك بحثي ووزعته عليهم بشكل خاص. فإذا بنفس الناس الذين كانوا معجبين أشد الاعجاب بالمقالات الأصلية يكتشفون أنها مليئة بالتناقض ، ويصدرون عليها حكما مضادا تماماً. وبالمناسبة مجموعة كبيرة من هؤلاء الاصدقاء كانوا من صفوة المثقفين ومنهم حملة دكتوراه... الخ. وما أريد أن أصل إليه هو أنه لعدم وجود المنهج الفلسفي عندهم فقد انساقوا وراء هذه المقالات عندما نشرت ، ثم اكتشفوا فيما بعد نقاط الضعف فيها بفضل التحليل الفلسفي ، والمنهج الفلسفي الذى اتبع في نقدها. هذه التجربة تبين الفرق الأساسي بين منْ يكتب في هذه الأمور بمنهج فلسفي ، وبخلفية فلسفية قوية ، وبين من يكتب أو يقرأ بالمناهج العادية حتى ولو كان مثقفا على مستوى عال !

ماذا يريد المفكر ؟

- أنا لا أنكر أهمية استخدام المنهج الفلسفي والتحليل الفلسفي في معالجة مشكلات سياسية ودينية... الخ

لكن هذا كله شيء ، والاضافة الأكاديمية للمكتبة الفلسفية شيء آخر مختلف أتم الاختلاف « كجمهورية افلاطون » مثلاً

● هذا صحيح ، ولكن تأكد أن هناك صعوطاً في الطرف الآخر ممن يلحون من أجل المزيد من هذه الاعمال

ـ أعرف أن هناك كثيرين تسعدهم هذه الأعمال وتهمهم أكثر من معرفة « افلاطون » لكن على كل حال أين تحدك نحن في الجانبين » ؟

○ أود منك أن تقارن مثلا تأثير كتابي الأخير « كم عمر الغضب » بتأثير أي كتاب فلسفي اخر أصدرته لدى الجمهور الذي يصل إليه ثم علينا أن نتساءل ما هو هدف المفكر الذي يعمل بالفلسفة في نهاية الأمر ؟ هدفه تنوير عقول الناس هذا هدف أساسي للمفكر ، أن يستطيع الوصول إلى عقول الناس ويساعد على تنويرها وتطهيرها من كثير من الأخطاء ، وتفتيحها على مشكلات لم تكن منتبهة إليها ، وتحليل الأمور بشكل لا يستطيع الانسان العادي أن يصل إليه ، فإذا كان هناك عمل تشعر أنه يستطيع أن يصل إلى عدد كبير من الناس ، ويؤدي هذه الوظيفة التي ربما لا يؤديها نفس التعمق والتخصص الأكاديمي ، ولكن يقابل هذا انتشار كمي واسع ، أليس هذا شيئاً يستحق الاهتمام ؟

ـ هذه مسألة لا جدال فيها ولكن هناك فارقاً واسعا جداً بين « بقاء الاثنين » فكتاب مثل « كم عمر الغضب » ، أو المقالات السياسية ، على الرغم من أنها تضيء نقاطاً بالغة الأهمية في حياتنا السياسية ، فإنها « محددة » بالفترة الزمانية التي تعالجها ، بمعنى أن هذا الكتاب بعد مرور فترة من الزمن ، وانكشاف الفترة الناصرية كلها ، لن يكون له نفس الوزن القوي الذي له الآن ، أي أن كشفه للقوة الخافية التي يظللها تعتيم قوي هو الآن أمر بالغ الأهمية ، لكنها أهمية مرهونة بوقتها

○ هذا الكتاب ، لا يدور حول الفترة الناصرية وحدها ، بل الساداتية ايضا

ـ فلنقل الفترة الناصرية الساداتية ولنجمعهما معا الآن على الأقل ـ لكن ما أقصده هو أن الكتاب مرهون بفترة معينة ، أما كتابك « الموقف الطبيعي فهو عملية تنوير مستمرة لا تتقيد عند

الدكتور فؤاد زكريا في لقاء المواجهة مع الدكتور امام

زمنية معنية ، وما يقال عن هذا الكتاب يقال أيضا عن « دراسة لجمهورية أفلاطون » ، وعن « اسبينوزا » ، وعن « نيتشه » ، و « التفكير العلمي » الخ فهذه كتب أكاديمية تقوم بنفس عملية التنوير التي أشرتم إليها لكن على مدى أطول ، فهي « باقية » ، لأنها لا ترتبط بلحظة زمنية معينة ، وليس فيها « ومضة » أو « فرقعة » الكتابات السياسية التي يحو صوؤها بعد حين

○ أنا مسلم بهذا ، وطبعاً هذه الأعمال الأكاديمية الأبقى ، لكن ، كما سبق أن ذكرت ، تلح على كر مشكلات معينة في أوضاع محددة ، ويجد المفكر رم نفسه ، في وطننا العربي المعاصر ، مستمرا ا وهناك أمور لا تحتمل التأخير ، ولا تحتمل أن ، أمامها محايداً أو صامتا ، خصوصاً إذا كنت تعلم لك جمهوراً وقراءً فتجد نفسك مدفوعاً إلى حدام فكرك ومنهجك الفلسفي لايضاح الأمور يعرض على الناس بغموض متعمد ، أو بغش اع أو مغالطات الخ تجد أنك بالفعل مدفوع الكتابة ولا تملك أن تقف صامتاً ، أو أن تقضي ات في عمل أكاديمي في الوقت الذي يتعرض فيه لك لأخطار عاجلة وسريعة ولا تحتمل التأخير تطيع أن أقول ان شكلا من أشكال الشعور احب والالتزام ، هو الذي يدفعني إلى معالجة هذه ضوعات السياسية وثق أنه لو استقرت الأوضاع لا بحيث لم تعد مستمرة كما هي الآن ، فسوف هر إلى السطح ما لدى الآن من حنين قوي للأعمال كاديمية .

طلقات السريعة والمدفعية الثقيلة

ـ نحن في انتظار هذه الأعمال الأكاديمية التي ستكون بالغة الأهمية للمشتغلين بالفلسفة بصفة خاصة ، فأنا أشبه مقالاتك السياسية « بالطلقات السريعة » في حين أن الكتب والأعمال الأكاديمية أشبه « بالمدفعية الثقيلة »

○ المهم أن كلا منهما موجه نحو هدف واحد ، وهو تنوير عقول الناس ولكن بطريقتين مختلفتين فالكتاب الأكاديمي يقرؤه جمهور ، صحيح أنه أكثر ثقافة ، لكنه أضيق نطاقاً بكثير ، وعندما تشعر بالالتزام تجد أنك مضطر إلى مخاطبة هذه الجماهير الواسعة لكي تحد ـ ولو قليلا ـ من تأثير تلك المؤامرة الرهيبة التي تدار ضد عقل الانسان العربي بشكل عام في السنوات الأخيرة

الاستهلاك والابداع الفكري

ـ الاتهام الثاني وهو ليس خاصاً بك وحدك . في الواقع ، وانما هو يمتد ليشمل أساتذة الفلسفة جميعاً ، وربما غيرهم من أساتذة الجامعات العربية الذين يقولون لطلابهم بصفة مستمرة اننا في الشرق لا ننتج شيئا وإنما نستهلك منتجات الحضارة الغربية دون أن نشارك في إنتاجها ، ولا نسهم فيها ـ بشيء إيجابي ـ والسؤال الآن وماذا يفعل هؤلاء الأساتذه إذن ؟ أليسوا هم أنفسهم مستهلكين لفكر الغرب ، ألسنا نستورد كأساتذة فلسفة فكر الغرب كما نستورد صناعاته ـ عندما نتحدث عن الوجودية ، والبرجماتية والماركسية ، « ومناهج العلم » الخ ؟

○ أود أولاً أن أقول إني لستُ من أنصار القسمة الحادة للحضارات ، فأنا أعتقد أن هناك مساراً صحيحاً للحضارة الانسانية يحمل الراية ـ في كل مرحلة من مراحله ـ مجتمع معين أو مجموعة معينة من الأمم ، وكل إنجاز في هذه الحضارة البشرية يحمل في داخله باقي الانجازات التي سبقته منذ فجر التاريخ . صحيح أن الحضارة الغربية الآن في موقع الصدارة والقيادة ، لكن ما أنجزته هذه الحضارة كان يستحيل

أن يتحقق لولا إنجازات البشر قبل ذلك ، بداية بالانسان الذى عرف كيف يستخدم النار استخداماً نافعاً ، أو الذى يمسك بحجر بسيط ليحوّله الى أداة تنفعه فى عمله ـ ابتداء من هذه الانجازات الذاتية البسيطة حتى عصر النهضة الأوربية ـ كل ذلك ساهم فى توصيل الحضارة الأوروبية الى ماهى عليه الآن . لذلك فإن تقسيم الحضارة البشرية إلى حضارة عربية وغير عربية مرفوض ـ أوْ لا بد على الأقل أن نخفف من حدة هذا التقسيم . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فان هذا بالضبط ما كان يقال عن المسلمين أيـام كانوا متأثرين بالحضارة اليونانية . بالطبع كان للمسلمين إنجازاتهم وابداعهم فى مجالات كثيرة كالشعر مثلا ، فلم يتأثروا بحضارات سابقة لكنهم كانوا فيه مبدعين ، لكن فى ميدان الفلسفة ، فى قمة العصر الذى كانوا يعتبرونه عصرا ذهبيا للحضارة الاسلامية ، كان المسلمون يعيشون عالة ـ بمعنى من المعانى ـ على الفكر اليونانى ، ويبدو لى أننا فى مجال الفلسفة بالذات لنا عذر عندما نسير فى نفس الاتجاه الذى سارت فيه الفلسفة العربية ، لأنه يبدو أن الفكر الفلسفى الغربى كان مبدعا ، وكان الغرب منذ البداية هو الذى يحمل لواء هذا النوع من النشاط الانسانى الذى نسميه « بالفلسفة » . طبعا كانت هناك فلسفات أخرى شرقية ، ولكن شكل الفلسفة كما نعرفه ، القائم على العقل والمنطق . الخ هو الى حد بعيد ظاهرة غربية . فنحن المشتغلين بالفلسفة ربما كان لنا بعض العذر ، وعذرنا هنا أقوى من عذر المشتغلين بالفن أو العلم مثلا ، لأن الظاهرة نفسها التى تخصصنا فيها هى ظاهرة غربية الى حد بعيد . ثم هناك شيء آخر أود أن أضيفه ، وهو أن هذه الظاهرة هى ضريبة التخلف التى لا بد من دفعها ، نحن لا بد أن نعترف أننا تخلفنا فى ميادين كثيرة ، فالضريبة التى تدفعها طالما أنك متخلف هى أن تدور بفكرك فى إطار خارج عنك ، والى أن نستطيع أن نسدد هذه الضريبة ويصبح لنا فكرنا الخاص ، فلا بد أن نظل الى حد ما فى فلك خارج عنا ، مع السعى الدائم فى اتجاه تحقيق الاستقلال الفكرى

ـ بمناسبة التقسيمات ، يقال أيضاً انه إذا ظهر مفكر فى الغرب أطلق عليه لقب فيلسوف ، أما إذا ظهر المفكر فى الشرق فانه يطلق عليه لفظ « نبيّ » هل تعتقد أن هذه القسمة صحيحة ؟ !

○ إذا صحّ هذا الكلام فهو ينطبق على فترات زمنية بعيدة جداً ، لأنه إذا كان الكلام عن الأنبياء فأنا أتصور أن هذا بدأ معظمه قبل عصر الفلسفة ، وجزء ضئيل منه تشابك مع القرون الأولى من الفكر الفلسفى معظمه عند اليونان وبعد ذلك انتهى الأمر

ـ مثلا فى القرن السادس قبل الميلاد وفى نفس الفترة التى ظهرت فيها الفلسفة اليونانية ظهر مفكرون فى الشرق مثل كنفوشيوس فى الصين ، وزرادشت فى فارس ، وبوذا فى الهند . الخ واطلق عليهم لقب « أنبياء » لا فلاسفة ، وعلى ارائهم « ديانات » وليس مذاهب فلسفية ؟

○ أريد أن أقول إن هذا التصنيف يصحّ قديما لكنه لا ينطبق على العصر الحديث . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فينبغى علينا ألا ننسى أن عددا كبيرا من الفلاسفة فى أوروبا طوال العصر الوسيط كان يطلق عليهم لقب « قديس »

ـ ربما لأنهم كانوا من رجال الكنيسة ، أعنى من رجال الدين أصلا ؟ !

○ نعم كانوا من رجال الدين ، ولكن إطلاق لقب « قديس » عليهم ، وهو لقب يقترب جدا من لقب « النبى » عندنا ، يعنى أن اللقب ليس مقتصرا على المفكر فى الشرق . فهؤلاء هم الذين نعترف بهم كفلاسفة فى الغرب فى تلك الفترة . لكن ربما قلنا ان الاختلاف الأساسى بين الشرق والغرب هو اختلاف فى « منهج التفكير » . فالمفكر فى الغرب يقدم لك الآراء والأفكار التى يطرحها لكى تناقشها وتنقدها وتفندها إذا شئت ، أعنى أنه يقدم لك الأفكار وهو يضعها « موضع الاختبار » . أما فى الشرق فالمفكر يقدّم أفكاره ، فى الأعم الأغلب ، لكى تقبلها على

أنها شيء غير قابل للنقاش ، وغير مطروح أمام عقول الناس لكي يعملوا به مايشاؤون

ـ هذا هو ، في الواقع ، الاختلاف الاساسي بين المنهجين ، وهو الذي جعل الحكماء الشرقيين أقرب الى طابع الأنبياء ، وهو الذي اعطى في الوقت نفسه ميزة التفوق الفلسفي للغرب

○ هل يعني ذلك ان هناك عقلية عربية لها « طبيعة خاصة » بمعنى أنها تفكر بطريقة معينة فتنتج فلسفة ، وهناك عقلية شرقية ذات طبيعة مختلفة ؟

ـ أعتقد ان هذه القسمة مرفوضة ، فكيف نفسر اذن طريقة الفلسفةالعربية التي استمرت على هذا النحو قرونا طويلة "

○ الواقع ان القول بأن هناك طبيعة معينة لشعب ما مسأله مرفوضة كما قلت ، بل نحن نفر منها لأنها لوصحت لكان معنى ذلك ان نغلق أبوابنا ونمضي الى حال سبيلنا ! لكن ، كما نعلم ، اذا تجاوزنا فكرة « الفطرة » أو الطبيعة فلا بد أن نبحث عن عوامل اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أدت الى اتخاذ هذا النهج او ذاك في التفكير وهذه مشكلة معقدة غاية التعقيد ، وفيها اجتهادات كثيرة وان كنا لم نشعر بأن أيًا منها قد حل المشكلة بشكل حاسم لماذا ؟ لأن الحديث يدور في الغالب حول فترات قديمة مجهولة الى حد كبير ، لم تترك لنا آثارا كافية لكي نصدر عليها حكما فمن بين هذه الاجتهادات على سبيل المثال من يفسر هذا الطابع ـ طابع الفكر السلطوي الذي ساد الشرق والذي لا يطرح نفسه كفكر قابل للمناقشة المنطقية ، وقابل للتفنيد والاعتراض ـ هناك من يفسر هذا الطابع بأوضاع سياسية استبدادية كانت سائدة في الشرق ، ويربطون بين الظاهرتين على أساس ان ظاهرة الاستبداد السياسي تولد الميل الى التفكير بالسلطة وتولد الميل الى فرض الآراء فرضا ، بل أكثر من ذلك تؤدي الى تصوير العقيدة نفسها كما لو كانت سلطة مفروضة على الانسان ، وتتحول صورة الالهة الى تصحيم لصورة الحاكم المستبد ، واظن أن هذا ينطبق على كثير من العقائد الشرقية القديمة

المبادىء والتطبيقات

ـ هناك اتهام ثالث موجه إليك ، يتلخص في أنك تتحدث في بعض الأحيان كما لو كانت الاشتراكية هي الحل الوحيد لدول العالم الثالث ، وأنا أعتقد أن في مثل هذا التعميم مغالاة شديدة ، لأن الاشتراكية ، في رأيي ، عبارة عن علاج لمرض فاذا لم أكن مريضاً فلماذا أتناول الدواء ؟ خذ مثلاً الدول النفطية ذات العائد البترولي الضخم والعدد السكاني القليل ، هل هذه الدول يتحتم عليها تطبيق الاشتراكية ؟ أم أن المسألة « موضة » للعصر لا بد من السير في ركابها ؟ ثم ألسنا نجد عدداً من الدول التي طبقت الاشتراكية قد ازدادت فقرا على فقر ؟

○ أولا ، أرجو ألا نخلط بين التطبيقات المريضة وبين المبدأ ، فهناك أنظمة كثيرة تتشدق بكلمة الاشتراكية ، ولكنها أبعد ما تكون عنها وثانيا لابد أن أقول ان الأمثلة التي ضربتها كلها أمثلة منتقاة بذكاء ، ولكنها « هدّامة » ، وهي هدامة بمعنى ان المراد منها هو ارباكنا فقط فيما يتعلق بالمبدأ العام الذي تحدثنا عنه ، لأنك اخترت مجموعة من البلاد حتى المصنفون الاقتصاديون يحارون في تصنيفها هل هي تندرج ضمن دول العالم الثالث أم لا ؟ مثلا اذا اخذت مؤشرات مثل متوسط دخل الفرد ، أو متوسط الدخل القومي ، فستجد أنها تقف لتناطح أرقى الدول في العالم الأول بل تفوق العالم الثاني بكثير ومعنى ذلك أن هناك مشكلة في تصنيف الدول النفطيه القليلة السكان الواسعة الثراء لكن عندما نتحدث عن العالم الثالث فنحن نتحدث عن

العالم الثالث بمواصفاته التقليدية ، أعني مجتمعات قليلة الموارد كثيرة السكان ، فيها تخلف عام في مختلف الميـادين ، تخلف تعـليمي وصحي واقتصـادي وتنموي الخ ممثل هذه المجتمعات هي التي أعنيها عندما أقول إنه لا علاج لمشكلات العالم الثالث الا بشكل من أشكال الاشتراكية وأنا في هذه الحالة متفتح جدا ، لا أريد أن أفرض شكلا معيناً او تجربة معينة ، وأنا مؤمن إيماناً كاملا بهذا الحل ، واذا كان لديك بديل آخر أرجو أن تخبرني به !

آخر الرجال المحترمين !

ـ هناك في النهاية عتاب من شباب مصر موجه اليك! فقد سمعت من أحد الشبان المصريين أنهم يطلقون عليك لقب « آخر الرجال المحترمين . وعندما سألته ما الذي تقصدونه بهذا الوصف ، أجاب بأن المفكر « فلان » باع نفسه للسلطة ، والأديب « علان » لا رجاء فيه ، ومفكر ثالث غير مواقفه ، ولا أمل عندهم الا في الدكتور فؤاد زكريا المفكر ـ ومن هنا كان « آخر الرجال المحترمين » ـ ولهذا السبب أيضا تراهم يعتبون عليك بقاءك خارج مصر هذه الفترة الطويلة ، ألا يجعلك ذلك تفكر في العودة الى مصر ؟

○ اولا أنا سعيد باللقب الذي أطلق عليّ ، واعتز جدا به ، وان كنت امل ألا أكون آخر الرجال المحترمين ـ لأن في الجيل الجديد علامات وبشائر تدل على أن تراث الرجال المحترمين لا بد أن يستمر ! أما بالنسبة للعودة إلى مصر فأنا أعتقد طبعا أنهم على حق في جانب ، ولكنهم ليسوا على حق في جانب آخر أريد أن أقول اننا لا بد أن نفرق بين الهجرة الى بلد أجنبي مثل أمريكا أو استراليا ، والسفر الى بلد عربي فالكويت تفصلها عن مصر مسافة تقطعها بالطائرة في وقت أقل بكثير مما تقضيه عندما تنتقل من القاهرة الى الاسكندرية يعني أنت في أي بلد عربي كما لو كنت في ضاحية من الضواحي مع سرعة وسهولة المواصلات الحديثة ومن ناحية أخرى فان وضع المفكر الموجود في بلد عربي يختلف عن وضع المفكر المهاجر ، لانه أولا في الوطن العربي يكتب في قضايا عربية وباللغة العربية وهناك اتصال قوي بين أي قطر عربي والاقطار الأخرى ، لأن الحواجز هنا قليله جدا ، وأستطيع أن اقول لك من تجربتي التي عشتها بنفسي أن كثيراً من الأعمال التي كتبتها هنا في الكويت انتشرت بشكل أوسع بكثير من الأعمال التي كتبتها في مصر ، حتى أنني اجد جمهوراً كبيرا ـ في رحلات كثيرة قمت بها في الاردن وسوريا أو المغرب بـاقتبس مقالات لي كتبت في صحف يوميه وكنت أتصور أنها لن تصل الى هؤلاء الناس على الاطلاق ربما ابعد لأن الصحف الكويتية عالية المستو وواسعة الانتشار في البلاد العربيه ، وتقرأ باهتمام خصوصا في البلاد التي تعاني من مشكلة حرية الصحافه والتي تعتبر صحافتها المحلية عبارة عن نشرات حكومية فقط ولهذا فانني اجد أن الكتا التي أكتبها تصل الى الناس كما تصل أيضا الى الشبا في مصر ومن ثم تنتفي مشكلة التباعد الجسدي لكني أؤكد لك أن هذا التباعد لم يمنعني على الاط من التفكير في مشكلات مصر بكل دقيقة ، بالعكس ربما زادت حالة التباعد هذه من ا الانسان ببلده ومن وضوح الرؤية بالنسبة لـ يتعلق بالأحداث التي تدور في مصر ، لأن لـ مصادر للمعلومات أوسع ، ومن ثم تستطيع أن لبلدك خدمة لا يستهان بها

وهكذا أنهيت الحديث مع مفكرنا « الثائر » تحول الى مفكر عاية في « الوداعة » عندما راوده الى الوطن ومشكلاته ، وبعد أن هزه تعبير الشباب له بأن « آخر الرجال المحترمين » !

■ بوسعك أن تسحق الانسان ، لكنك لا تستطيع أن تهزمه

أرنست هيمنجواي

فهد الدويري ناقداً..

بقلم : سالم عباس حداده*

سنة الحياة هي التجديد والتغيير الى الأفضل . وكل جديد له معارضون ملتصقون بالقديم ، إما خوفا من الجديد ، أو اتباعا للمألوف ، وكل جيل يأتي بمجدديه . فكيف طرح الدويري المجدد آراءه في الحياة والمجتمع من خلال تجديد الأدب في نهاية الاربعينيات وبداية الخمسينيات ؟

عرف القراء فهد الدويري (١٩٢١) كاتبا في القصة ، وأدب الرحلات ، والمقالات الاجتماعية ، أما خطواته النقدية فذلك ما يجهله الكثيرون حتى الذين كتبوا عن فهد لم يولوا هذا الجانب ما يستحقه من اهتمام ، فالدكتور محمد حسن عبدالله في كتابه (الحركة الأدبية والفكرية في الكويت) عرض لاحدى لمساته عندما تناول النقد الأدبي في الكويت ، أما الأستاذ خالد سعود الزيد فقد قام بعمل جليل حين جمع تراث الرجل في كتابيه (أدباء الكويت في قرنين ، الجزء الثاني) ، و (شيخ القصاصين الكويتيين فهد الدويري حياته وآثاره) إلا أن الباحثين المذكورين ـ على الرغم من جهودهما المشكورة ـ لم يمنحا هذه الزاوية ـ زاوية النقد في حياة هذا الفنان ـ ما يفي بحقه فيها . وهي زاوية تبرز وعيه المبكر بكثير من القضايا الأدبية التي راح يدفع بها إلى الصحافة محركا الجو الأدبي ، دافعا به إلى رحاب التجديد

بدأ فهد يحذر من المظاهر المادية التي أخذت تهجم على الحياة في الكويت ، بسبب تدفق النفط الذي بدأ تصديره عام ١٩٤٦ ، وطالب الأدباء بالظهور في ميدان الأدب ، والاسهام في النهضة الفكرية ـ كما جاء في مجلة البعثة (يونيو ١٩٤٨) ـ ويبدو أن هناك من لم يوافق الكاتب في آرائه ، وممن أثارته تلك الآراء الشاعر عبدالمحسن الرشيد الذي كتب قصيدة ضمنها رده ، مطلعها

لمن أصوغ أناشيدي وأوراقي
وليس في القوم من يصغي لألحاني ؟

لكن الدويري الواعي بأبعاد القضية التي طرحها رد على هذا الشاعر بمقالة عاب فيها الركود الأدبي . وضمنها اعترافه بأن للظروف والأحوال القدرة على تشجيع الأدب أو إضعافه ، إلا أن ذلك ـ كما يرى ـ (ليس سببا كافيا لهذا الركود الذي نحن فيه ، وعلينا ان نواجه الحقائق فنعترف صراحة أننا لا نملك إنتاجا أدبيا له قيمة يصح أن نباهي بها) ، ثم يخاطب الرشيد قائلا (والكويت ـ رعاك الله ـ ياشاعرنا كأي بلد يجتاز فترة انتقال عقلي ، لن ترضي الأدباء والكتاب ، لأنها ما تزال في طريق الوعي حتى الآن ، ولتضع نصب عينيك ـ أنت وإخوانك من شعراء الوطن وكتابه ـ أنكم الضحايا على مذبح الفكر والفن ، فلتنزعوا من رؤوسكم فكرة اغتنام التبجيل والثناء ، لأنكم لبنات في الصرح الأدبي لا يجب أن تسألوا عن البدل والمقابل فيما تقدمون من غذاء عقلي لمواطنيكم ، ولا يجوز أن يصدكم عن الأدب والمساهمة فيه فئة يزعمون انها لا تعي ما تقولون في هذه الأيام ، واعلموا أن جيل المستقبل سوف يقدر للمجيد منكم حقه) ، *إلا أن عبدالمحسن الرشيد عاد فكرر رأيه*

* شاعر وكاتب من الكويت ، حاصل على (ماجستير) في الآداب

المطروح في قصيدته السالفة الذكر ، وهو يرى أن الأدب لن يزدهر ويسمو في بيئة تخيم عليها الأمية ، وتظللها الرغبات المادية ، ولا يستطيع الأديب أن يصور ما في نفسه بصدق وإخلاص

لكن فهدا لم يقف عند هذا الحد من حث الشعراء والأدباء على الظهور في ميدان الأدب ، وإنما انتقل إلى تحديد الطريق التي يريد لهم أن يسلكوها لتحقيق وجودهم الأدبي ، فكتب مقالة بعنوان (الترديد والتجديد) في نفس المجلة المذكورة عام ١٩٤٩م يقول فيها (ان اكثر كتابنا وشعرائنا قد أمضوا نصف القرن الأخير في تكرار ما قاله الأولون ، يرددون معانيهم ذاتها ، ويقلدون أساليبهم عينها ، ولا يخرجون عن دائرة تفكيرهم ابدا ، حتى أنهم لم يتركوا لنا نحن شيئا نكرره ولم يبقوا لنا ما نقلده) ويأتي صدى هذه المقالة قويا ، فنطالع مقالة ليعقوب عبدالعزيز الرشيد ، بعنوان (الترديد والتجديد) في مجلة الكويت عام ١٩٥٠م تناول فيها قضية التجديد في الأدب ، ويرد على الدويري مدعما رأيه من طالب بترك الأدب القديم كاتب يبغض العرب ولغتهم وهو سلامة موسى ، وتلك فكرته منذ حين تقريبا ، ويبدو جليا أن يعقوب لم يعالج قضية التجديد كما عالجها فهد ، ثم وضع فهد النقاط على الحروف في رده الذي جاء بعنوان (مهلا ياصاحبي) ، حيث نفى اتباعه لسلامة موسى ، ورأى أن اهم شروط خلود الأدب هو الابداع ، ثم خاطب الرشيد قائلا (فلو أنشأت حضرتك مقامات كمقامات الحريري لما التفتنا إليها ، إن اليوم غير الأمس ، ومفاهيم الماضي تختلف كل الاختلاف عن مفاهيم الحاضر) ثم بين فهد أن الأمم لا تستطيع أن تتنكر لتراثها ، لكن على أن يكون التراث منطلقا للتجديد لا للتقليد ، لأن التقليد هو الجمود الذي يقتل ، بل هو الموت الذي لا بعث بعده

ويلح هذا الأديب على الابتكار في الأدب ، وقد جاء ذلك في مقالة (بين التقليد والابتكار) في مجلة الرائد أكتوبر ١٩٥٢م حيث طالب بتجاوز النماذج المرسومة ، وإطلاق اللغة من قيودها ، فالأدب الأصيل هو الذي (لا يقف عند نماذج معينة طال عليها القدم ، يبتهل إليها ويستوحيها ، ويبكي عليها ويستبكيها ، بل إن الأدب الأصيل ، المعرق في الأصالة ، هو الذي لا يكف عن ابتكار النماذج الأدبية ، فهو متجدد دائما ، متطور أبدا ، فدعوة الكاتب أو الشاعر إلى أن يلتزم محاكاة القوالب الموروثة ، كدعوة الحر الطليق إلى دخول السجن ، ثم يهاجم التقليديين ويعيب عليهم اجترار ما نظمه القدماء ، حتى جاءت أساليبهم كثوب ضم سبعين رقعة ، ايات قرآنيه كريمة ، وأحاديث نبوية ،

وألف مثل وحكمه ، وأطلال من الشعر ، لا رابط بينها إلا ادوات العطف والدويري يشير هنا إلى الوحدة في العمل الأدبي ، وهي دعوة جديدة على الساحة الأدبية في الكويت ، وقد سبق له أن مهد لهذا المقياس النقدي خلال نقد تطبيقي لاحدى قصائد الشاعر أحمد العدواني وهي قصيدة (راس حمار) ،

ففي مجال عرضه لهذه القصيدة يلاحظ إشادته بترابط أبياتها خلال انتهاجها الأسلوب القصصي ، يقول في مقالة نشرت في مجلة البعثة يناير ١٩٥٢ (وعنصر القصة او الوقائع المترابطة يلزم وحدة القصيد إذا كان شعرا ، وتتبع الحوادث وتقييدها إذا كان نثرا

والعربيون يأخذون على شعرنا ونثرنا انه لا يتقيد بهذه الحدود ، وإنما يقوم على الاسلوب القوي ، وروعة المعاني المفردة ووحدة البيت فقط ، بحيث يصبح بالامكان التغيير في قصيدة عربية تقديما وتأخيرا وحذفا دون أن يطرأ على القصيدة أي تغيير) ، لكنه يأخذ على العدواني وضوح عنوان القصيدة وضوحا يفضح مضمونها منذ البداية ، ويرى ان العنوان يجب يكون مثيرا وليس كاشفا لموضوع القصيدة فيقول (كان اعتراضي على رائعتك أنك عنونتها بما يفضح فكرتها ، لقد سميتها (رأس حمار) فما كدنا نقرأ البيتين الأولين حتى أدركنا القصد وعرفنا الخلاصة) ، ومع أن ناقدا آخر هو عبدالعزيز الصرعاوي عقب على رأي فهد ، ورأى أن الكشف عن النهاية في الشعر يختلف عن الكشف ذاته في القصة ، وانتهى إلى صحة عنونة الشاعر لقصيدته

إلا أن العدواني ـ كما ثبت ذلك فعلا ـ قد اقتنع بنظر الدويري ، لأنه عند نشر القصيدة المذكورة في ديوانه (أجنحة العاصفة) قد اكتفى بكلمة (...) عنوانا لها ، ليزيد من مساحة إيحائها

بقلم . الدكتور رمزي زكي

تمثل ديون العالم الإسلامي ٢٣ بالمائة من إجمالي ديون العالم الثالث ، سدّد عنها من الفوائد ما قدره ٨ مليارات من الدولارات في عام واحد . ونتيجة لعبء الديون وقعت دول العالم الإسلامي في تناقض بين حل مشكلة التنمية والديون ، ورغم ذلك فإن هناك تصوراً لحل هذا التناقض يناقشه الكاتب في هذا المقال

تنتمي مجموعة الدول الإسلامية إلى العالم الثالث ، وهي تضم دولاً تتوزع على ثلاث مناطق في خريطة العالم ، هي الشرق الأوسط ، وأفريقيا ، والشرق الأدنى يصل عدد سكانها تقريبا إلى ٧٢٠ مليون نسمة أي ما يمثل ١٥٪ من إجمالي سكان العالم ، كما تصل مساحة أراضيها الى حوالي ١٨٪ من مساحة المعمورة وتبلغ نسبة صادراتها الى إجمالي الصادرات العالمية حوالي ٩٪ ، بينما تمثل وارداتها ٧,٢ من إجمالي الواردات العالمية ، وذلك في عام ١٩٧٨ ، وبينما تتكون صادراتها أساساً من المواد الخام والأولية ، فان وارداتها تتوزع على جبهة عريضة من مختلف السلع والخدمات ، وتتفاوت الدول الاسلامية فيما بينها تفاوتاً كبيرا ، من حيث درجات التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، ومن حيث طبيعة هيكلها الانتاجي ، ومن حيث ما تزخر به من مواد وثروات طبيعية وبشرية ومالية ، بل ومن حيث طبيعة المشكلات الاقتصادية الملحة التي تواجهها ، ومع ذلك فهي تشارك مجموعة دول العالم الثالث فيما تكابده من أزمات وصعاب تعترض سبيلها في اقامة حياة أفضل لشعوبها

ولعل أزمات الديون الخارجية التي تواجهها مجموعة الدول الاسلامية ، هي خير مثال على مشاركتها هموم العالم الثالث ومشكلاته الأساسية فالشطر الأعظم من هذه الدول يدخل في عداد الدول المدينة ، والاستثناء الوحيد هنا هو حالة الدول العربية النفطية (السعودية ، الكويت ، قطر ، الامارات) . كما أن الآثار والنتائج الخطيرة التي نجمت عن تفاقم الديون الخارجية لدول العالم الثالث ، هي نفسها الآثار والنتائج التي تعاني منها الآن مجموعة الدول الاسلامية

وطبقا للبيانات التي نشرها البنك الدولي ، فقد وصلت الديون الخارجية لهذه الدول الى حوالي ١٩٠ مليون دولار في عام ١٩٨٤ ، وهذا الرقم يعادل نحو ٢٣٪ من إجمالي مديونية دول العالم الثالث التي بلغت في نفس هذا العام حوالي ٨٢٨ مليون دولار ، على انه تجدر الاشارة هنا ، الى ان الرقم الفعلي لديون العالم الثالث يزيد عن هذا الرقم ، ذلك ان بيانات البنك الدولي تستبعد من ارقام المديونية الخارجية بعض عناصر الديون المهمة ، مثل الديون العسكرية (التي عادة لا تعلن عنها بيانات) والالتزامات تجاه صندوق النقد الدولي ، والديون الخاصة التي لم تضمنها الحكومات ، فضلا عن الديون الخارجية التي تدفع بالعملة المحلية ، وبناء عليه ، فاننا لو ادخلنا بعين الاعتبار هذه الديون المستبعدة ، فربما يصل الرقم الفعلي لديون العالم الاسلامي الى ٢٠٠ مليون دولار أو أكثر

أهم ملامح صورة الديون

واذا شئنا الآن ان نرسم صورة سريعة عن الديون الخارجية لمجموعة الدول الاسلامية ، فان الجدول رقم (١) الذي يوضح حجم المديونية الخارجية وأعباءها في عام ١٩٨٤ ، ساعدنا كثيرا في رسم هذه الصورة وتحديد أدق معالمها ، وبالتأمل في هذا الجدول يمكننا أن نرصد المعالم الأساسية التالية

هناك تسع دول من مجموعة الدول الاسلامية هي الجزائر ، وأندونيسيا ومصر ، وتركيا ، وماليزيا ، ونيجيريا ، والمغرب ، وباكستان ، ونيجيريا ، تستأثر الشطر الأعظم من ديون مجموعة هذه الدول ، حيث بلغت ديونها حوالي ١٤٥,٢ مليون دولار في عام ١٩٨٤ ، وهو ما يعادل اكثر من ثلاثة أرباع (حوالي ٧٧٪) من إجمالي ديون هذه الدول . أما النسبة الباقية فتتوزع على باقي الدول وعددها ٣٥ دولة

يلاحظ من أرقام الجدول ، أن هناك دولاً نفطية ، مثل اندونيسيا والجزائر ، ونيجيريا ، وعُمان ، تدخل في عداد الدول النامية ، وقد وصل إجمالي ديونها في عام ١٩٨٤ حوالي ٦٧,٦ مليون دولار ، اي ما نسبته ٣٦٪ من إجمالي مديونية هذه الدول

تبلغ اجمالي الفوائد التي دفعتها مجموعة الدول الاسلامية على ديونها الخارجية في عام ١٩٨٤ حوالي ٩,١ مليون دولار ، واذا علمنا ان إجمالي الفوائد التي دفعتها مجموعة دول العالم الثالث على ديونها الخارجية في نفس هذا العام حوالي ٤٠,٩ مليون دولار ، فان ذلك يعني ان الفوائد التي دفعتها مجموعة الدول الاسلامية تمثل ٢٢,٣٪ من جملة الفوائد التي دفعها العالم الثالث

وبالتأمل في الجدول المذكور يتضح كيف تنامت الفوائد على نحو فلكي خلال الفترة ما بين ١٩٧٠ - ١٩٨٤ ، سواء من حيث الحجم ، أو من حيث متوسط معدل النمو السنوي ، وكل الدول التي يشملها الجدول تشير الى ما يشبه الانفجار في هذا النوع من المدفوعات

جدول رقم (١)

الصورة العامة للديون الخارجية وأعبائها لمجموعة الدول الاسلامية في عام ١٩٨٤

الدولة	إجمالي الديون الخارجية مليون دولار	مدفوعات الفوائد على الديون الطويلة الأجل - مليون دولار		معدل خدمة الدين (٪ من حصيلة الصادرات)	
	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤
الامارات	-	-	-	-	-
الأردن	٣١٩٦	٢	١١٧	١٤,٨	٣,٦
البحرين	-	-	-	-	-
تونس	٤٣٠١	-	-	-	-
الحرائر	١٣٨١١	١٠	١٢٩١	٣,٨	٣٣,٦
حيبوتي	-	-	-	-	-
السعودية	-	-	-	-	-
السودان	٦٦٦١	١٣	٦٥	١٠,٦	٣١,٦
سوريا	٣٠٧٥	٦	٨٣	١١	١٢,٩
الصومال	١٣٨٤	-	٣	٢,١	٢٨,٩
العراق	-	-	-	-	-
غمان	١٥٢٥	-	٨٦	-	٤,٦
قطر	-	-	-	-	-
الكويت	-	-	-	-	-
لبنان	٤٣٩	١	١٣	-	-
ليبيا	-	-	-	-	-
مصر	٢٣٢٠٦	-	٦٩٨	-	٣٤,١
المعرب	١٠١٦٩	-	٤٩٤	-	-
موريتانيا	١٢٨٣	-	٢٣	٣,١	١٠,٠
اليمن / ش	١٩٥٧	-	١٦	-	٢٦,٦
اليمن / ج	١٣٣٧	-	١٢	-	٢٢,٠
أفعانستان	-	-	-	-	-
سحلاديش	٥٦٤٤	-	٧٥	-	١٤,٢
الكاميرون	٢٦٢٨	٥	١٦٤	٣,٩	١٤,٥
تشاد	١١٤	-	١	٣,٩	١,٧
حرر القمر	-	-	-	-	-
بوركينافاسو	٤٣٣	-	٧	٦,٢	-
حابون	٩٤٥	-	٧٠	-	-
عيبيا	١٢٣٤	٤	٢١	-	-
عيبيا بيساو	١٩٧٧	٩	١٤٨	٢٤,١	٣٥,٩
أندونيسيا	٣٢٤٨٠	٤٥	١٩٠٠	١٣,٨	١٩,٠
بيس	٦٤٤	-	١٧	٢,٣	-

الدولـــة	إجمالي الديون الخارجية مليون دولار	مدفوعات الفوائد على الديون الطويلة الأجل ـ مليون دولار		معدل خدمة الدين (٪ من حصيلـــة الصـــادرات)	
	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤	١٩٧٠	١٩٨٤
إيـــــران	-	-	-	-	-
ماليزيـــا	١١٨٤٦	-	٩٥٨	-	-
ملاديـــف	-	-	-	-	-
مـــلاوي	٨٨٥	٣	٣٢	٧,٢	-
البحـــر	٩٤٥	-	٢٧	-	-
بروـــوي	-	-	-	-	-
باكستـــان	١٦٦٦٥	٧٧	٣١٧	٢٣,٧	٢٧,١
السنغـــال	٢٠٢٦	٢	٥٣	٣,٨	-
سيراليـــون	٤٤٦	٢	٤	٩,٩	٧,٢
تركيـــا	٢٢٢٦٧	٤٥	١٠٩٣	٢٢,٧	٢٣,٨
أوغـــدا	١٠١٦	٤	٣٢	٢,٧	-
نيجيريـــا	١٩٧٤٢	٢٨	١٢٨٢	٧	٢٩,٩
المجموع	١٨٩٢٧٢	-	٧٥٥٣	-	-

ويعـود ذلك الارتفـاع في اسعـار الفـائـده اعلى القروض وتعويمها ، فضلا عن نمـو احجام الـديون نفسها

ولو دققنا النظر اكثر في تفـاصيل عبء الفـوائد المدفوعة فسوف يسترعي النظر ، أن هناك ست دول هي نيجيريا ، وتـركيا ، وأندونيسيا ، ومـاليزيـا ، ومصر ، قد دفعت ٧,٢ بلايين دولار ، وهو ما يمثل حوالي ٧٧٪ من إجمالي الفوائد التي دفعتها مجموعة الـدول الاسلاميـه (٩,١ بـلايين دولار) في عـام ١٩٨٤

وفيما يتعلق بمعدل خـدمة الـدين ، أي نسبة مـا تستأثر به مدفوعات الفـوائد والأقسـاط من إجمالي حصيلة صادرات السلع والخدمات ، فسوف نجد أن ثمة تباينا شديدا فيما بين هذه الدول ، فهناك طائفة منها تصل فيها هذا المعدل الى ٣٠٪ وأكثر ، وتلك هي حالة الجزائر ، ومصـر ، وغينيا ، والسـودان وهناك دول يتراوح فيها هذا المعدل فيما بين ٢٠٪ و ٣٠٪ وتلك هي حالة نيجيريا ، وباكستان ، واليمن الجنـوبي ، واليمن الشمالي ، والصـومال وهـناك طائفه ثالثه من الدول يتراوح فيها هذا المعدل فيما بين ١٠٪ و ٢٠٪ ، مثـل أنـدونيسيـا ، وسـوريـا ، وبنجلاديش ، والكاميرون ، وموريتانيا أمـا أقل معدلات خدمه الدين فتوجد في الأردن ، وعُمان ، وسيراليون ، وتشاد وغيرها

والـواقع ان هـذا النمو الكبير الذي حدث في احجام تلك الديون واعبائها خلال الخمس عشرة سنه الأخيرة يعود الى ما شاب الاقتصاد الرأسمالي العالمي من فوضى واضطراب واضحين خلال هذه الفترة ، وتأثر مجموعة الدول الاسلامية بذلـك ، فضلا عن أخـطاء السياسـات الاقتصاديـة التي انتهجتها هـذه الدول ، فمنذ مطلع العقد السابع الماضي دب ركود اقتصادي واضح في غالبية الدول الرأسمالية الصناعيا المستـوردة لصادرات هـذه الـدول من المـواد الخا، والأوليه ، وانهيار نظام النقد الدولي بعد اتحاد الولايات المتحدة الأمريكية قرارها المنفرد بوقف قابلية تحويل الدولار الى ذهب في أغسطس ١٩٧١ ، وتعويم سـ الدولار ، والمضاربة على الـذهب ، وارتفاع أسعـ الفائدة في أسواق النقد الدولية ، وتزايد نزعة الحمـ

بالدول الصناعية ، واندلاع تصحيح شديد في الاقتصاد العالمي

نمو الديون وانخفاض الصادرات

في خضم هذا العالم المضطرب انخفضت حصيلة صادرات الدول النامية ، ومعها بطبيعة الحال مجموعة الدول الاسلامية ، باستثناء الدول النفطية ، هذا في السوق الذي اتجهت فيه اسعار وارداتها نحو الارتفاع ، ومن هنا كانت ازمة موازين مدفوعاتها ، حيث اتجه العجز فيها نحو التزايد بشكل سريع ، وآنذاك استطاع الاقتصاد الرأسمالي ان يخلق آليات التكيف مع هذا الوضع المتأزم ، وهي الآليات التي استهدفت العمل على نقل الموارد المالية من بلاد الفائض الى بلاد العجز ، فمعد ان تمكن الاقتصاد الرأسمالي العالمي من اعادة تدوير الفوائض النفطية ، وبعد ان ثبت قدرة سوق اليورو دولار الاوروبية على خلق السيولة بكميات هائلة ، ساد تمكن التوسع في السيولة الدولية ، حتت راحت السوق التجارية الدولية النشاط ، بعد أن تمردت على قواعد العمل المصرفي التقليدية ، وقواعد الاحتراس المالي المعروفة ، راحت تتسابق فيما بينها في منح القروض للدول النامية باسعار فائدة مرتفعة ، سعياً وراء تحقيق ارباح خيالية ، دون مراعاة لمقدرة هذه الدول على السداد مستقبلا

ومن ناحية اخرى استسهلت مجموعة الدول النامية هذا النوع من الاقتراض لمواجهة العجز في موازين مدفوعاتها ، ووقعت في وهم كبير ، مؤداه ، أنه بالامكان الاستمرار في التنمية ، وزيادة مستوى المعيشة من خلال الاعتماد المتزايد على التمويل الخارجي ، ودون أن تهتم بتعبئة مدخراتها المحلية ، معتقدة في ذلك انه لن تظهر مشكلات للسداد في الاجل الطويل ، واستمرت هذه الدول تقترض بمعدل نمو سنوي لا يقل عن ٢٠٪ ، وكان من جراء ذلك حدوث تشويه واضح في هيكل ديونها الخارجية ، حيث ارتفع النصيب النسبي للديون المصرفية في اجمالي مديونية هذه الدول ، وهي ديون ـ كما نعلم ، باهظة التكاليف حيث تتسم بقصر آجالها ، وبارتفاع أسعار فائدتها ، وبضآلة فترة السماح فيها ، وكان من الطبيعي والحال هذه ان ترتفع مدفوعات خدمة هذه الديون ، فما بالنا اذا علمنا أن الفوائد التي دفعتها مجموعة الدول الاسلامية عن ديونها الخارجية في عام ١٩٧٠ كانت تقل عن نصف مليار دولار ، بينما ارتفعت هذه الفوائد الى حوالي ٨ مليارات في عام ١٩٨٤ ، واذا أدخلنا في الحسبان مدفوعات الأقساط على هذه الديون فان الصورة تزداد قتامة

ان هستيريا الاقراض التي حدثت في السبعينيات ، قد ادت الى التخفيف من حدة الركود الاقتصادي في الدول الرأسمالية الصناعية ، حيث ارتبط منح هذه القروض بزيادة صادرات هذه الدول الى البلاد المقترضة ، وبذلك خففت من حدة مشكلات البطالة والتضخم فيها ، وهذا ما يدعونا للقول ، بأن النمو المفرط الذي حدث في الائتمان الدولي كان عبارة عن محاولة لزيادة الطلب الكلي الفعال على النطاق العالمي من خلال ضخ المزيد من النقود ، في محاولة لمواجهة ازمة الكساد الاقتصادي في الراسمالية العالمية ، بيد انه لما كانت ازمة الرأسمالية العالمية حاليا ، وهي أزمة هيكلية وليست دورية ، وأنها ذات امد طويل ، فان هذه المحاولة لتسيير عبء الافراط في الائتمان الدولي ، سرعان ما سيفقدت فاعليتها ، وبدلا من ان تصبح حلا للازمة ، اصبحت جزءا منها .

ففي اغسطس عام ١٩٨٢ ، توقفت كبريات الدول المدينة عن دفع اعباء ديونها الخارجية (المكسيك ، البرازيل ، الأرجنتين) من جراء النمو الهائل الذي حدث في تلك الأعباء ، وكان توقفها عن الدفع يعني افلاس البنوك الدائنة لها (ومعظمها بنوك امريكية) ، هنالك دب ذعر واضح في الدوائر المالية الدائنة ، وسارعت الولايات المتحدة الأمريكية ـ ومعها صندوق النقد الدولي وبنك التسويات الدولية ـ لمواجهة الموقف ، فأعطت هذه الدول مزيدا من القروض ، واعادت جدولة بعض ديونها ، المهم أنه بعد ذلك التاريخ انكمش معدل نمو الائتمان المصرفي بشكل حاد ، بعد أن اعادت البنوك التجارية النظر في سياستها الائتمانية ، وصبح من المتعذر على الدول المدينة ـ ومنها مجموعة الدول الاسلامية ـ أن تحصل على حاجتها من الائتمان الدولي ، الا بعد أن ترضخ لشروط الدائنين ، وبالذات لشروط صندوق النقد الدولي ، وهي شروط كما نعلم مجحفة وخانقة ،

وتعرض البلاد المدينة للاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ومنذ ذلك التاريخ (١٩٨٢) دخلت أزمة المديونية الخارجية مرحلة جديدة

نتائج نمو الديـــون

وعلى أية حال ، فقد تمخضت أزمة الديون الخارجية المستحقة على مجموعة الدول الاسلامية ومعها دول العالم الثالث عن نتائج وخيمة ، وبخاصة في السنوات الاخيرة ، حيث ادى التطور المفزع الذي حدث في أرقام هذه الديون وأعبائها الى ارهاق اقتصادي شديد لهذه الدول ، فقد ادى ارتفاع أعباء خدمة الديون (الاقساط + الفوائد) الى التهام النسبة الكبرى من حصيلة صادرات السلع والخدمات (انظر الجدول رقم ١) ، كما أن تلك الأعباء تمثل الان نسبة مهمة من الناتج القومي الاجمالي ، مما يعني ارتفاع نصيب الأجانب من الدخل القومي المتحقق في هذه الدول ، وقد وصل معدل خدمة الدَين الى مستوى حرج في بعض الدول الاسلامية ، مثل مصر ، الجزائر ، الصومال ، السودان ، غينيا ، بساو ، وتركيا ، اليمن الشمالي الى آخره ، وزاد من حرج الموقف عدم نمو حصيلة الصادرات ، وتعرضها للتقلب والتدهور تحت تأثير موجة الركود العالمي ، ومن ناحية ثانية اضطرت الدول المدينة الى ان تستنزف جانبا كبيرا من احتياطاتها النقدية ، وهو أمر عرّض الجدارة الائتمانية لها للاهتزاز في اسواق النقد الدولية ، ومن هنا زادت امامها صعوبات الاقتراض ، وكل ذلك ترافق بأخطاء السياسات الاقتصادية الداخلية ، وبضعف الاهتمام بزيادة المدخرات المحلية ، وبرشيد استخدامات النقد الأجنبي

على أن أخطر ما تمخض عن تلك الديون ، بعد وصولها الى هذا المستوى الحرج ، هو تهديد قدرة الدول على المحافظة على استيراد احتياجاتها الضرورية الغذائية ، والاستهلاكية ، والوسيطة ، وهو أمر عانت منه أشد معاناة الدول الاسلامية والنامية الأشد فقراً ، الواقعة في أفريقيا ، فمع أزمات النقد الأجنبي التي صاحبت أزمة الديون ، لم تعد تلك الدول قادرة على أن توائم بين دفع الأعباء المتزايدة لديونها ، وبين الاستمرار في تمويل تلك الواردات بما يحافظ على الحدود الدنيا أو المعقولة للاستهلاك والانتاج المحليين ، وزاد من صعوبة الموقف تدهور أسعار الصرف لهذه البلاد ، وهروب الأموال للخارج ، وارتفاع معدلات التضخم المحلي ، وتدهور معدلات النمو الاقتصادي وزيادة البطالة ، وانخفاض مستوى المعيشة ، وكل ذلك عرض النظم السائدة بهذه البلاد لضغوط واضطرابات شديدة

ومع وجود عجز حقيقي عن الوفاء بأعباء الديون ، ومع عدم القدرة على الحصول على المزيد من القروض الخارجية والمعونات الاقتصادية ، اضطر عدد كبير من هذه الدول (السودان ، ملاوي ، النيجر ، أوغندا) الى طلب اعادة الجدولة لديونها الخارجية ، والدخول في مفاوضات مع الدائنين لتأجيل الدفع ، والرضوخ لشروط صندوق النقد الدولي ومن المعلوم ، ان تشخيص صندوق النقد الدولي لأزمات موازين مدفوعات هذه البلاد يقوم على رؤية غير صحيحة ، وهي ان العجز في هذه الموازين ناجم عن وجود افراط في حجم الطلب الداخلي ، وانه من الممكن من خلال تخفيض عرض النقود ، والغاء الدعم السلعي ، وتخفيض سعر الصرف للعملة المحلية ، والغاء الرقابة على الواردات ، وتحجيم الاستثمار العام ان تستعيد هذه البلاد توازنها الداخلي والخارجي ، وتقلل من حاجتها للاستدانة الخارجية ، والواقع أن كثيرا من الدراسات والبحوث قد أثبتت أن أزمة موازين مدفوعات تلك البلاد ترجع الى حالة التبعية التي تعاني منها ، فهي تعود الى تأثير مجموعة من العوامل الخارجية التي لا تستطيع التحكم فيها (مثل حصيلة الصادرات بسبب الركود الاقتصادي العالمي وارتفاع أسعار الفائدة على القروض ، وزيادة أسعار الواردات ، وارتفاع سعر الدولار عالمياً الى آخره) كما أن كثيرا من الدول المدينة ، وان كانت تتسم بافراط في استهلاكها الترفي لبعض الفئات الاجتماعية الا انها تعاني من مشكلات عويصة في ندرة المواد الغذائية والضرورية . والاصرار على « روشتة » صندوق النقد الدولي قد أدت الى سياسات انكماشية صارمة .

حماية التنمية من غول الديون

ان التناقص الرئيسي الذي أصبحت تواجهه مجموعة الدول الاسلامية والنامية المدينة ، يتمثل في كيفية حل أزمة الديون وأزمة التنمية ، فمع أعباء الديون والرضوخ للشروط التي يفرضها الدائنون ، أصبح يعني ايقاف التنمية ، وتدهور مستوى المعيشة من أجل الوفاء بعبء الدين

وقد صرح عدد كبير من رؤساء الدول المدينة ، بأن عبء المديونية الخارجية أصبح أمراً لا يطاق ، وان الشروط التي يطلبها الصندوق والدائنون لم تعد مقبولة ، وأنهم قد وصلوا في قبولها الى آخر مدى ممكن ، وأنه من الضروري الحرص على مواصلة التنميه ، وتحقيق التقدم الاقتصادي الاجتماعي لشعوبهم

ولقد أعلنت الدول المدينه في المؤتمرات والمحافل الدولية عدة مطالب وأماني لتخفيف أعباء الديون لمواصلة الجهد التنموي ، وكان أهم هذه المطالب والأماني ما يلي

١ - ان المسئولية مشتركة بين الدائنين والمدينين
٢ - تخفيض أسعار الفائدة الحقيقية على الديون
٣ - وضع حدود معقولة لخدمة الديون
٤ - ضرورة تعديل شروط صندوق النقد الدولي
٥ - وجود آليات تكفل مساعدة الدول المدينة
٦ - تشجيع نفاذ صادرات الدول المدينة الى الدول الدائنة
٧ - المعاملة الخاصة للدول الأفريقية الفقيرة

وقد ترددت هذه المقترحات والأماني في اعلان قرطاج لمجموعة الدول الأمريكية اللاتينية ، وفي مؤتمر القمة الأفريقي الذي انعقد في أديس أبابا في يوليو ١٩٨٦ ، وفي قمة هراري لمجموعة دول عدم الانحياز في سبتمبر ١٩٨٦ ، ومع ذلك لم تلق هذه الأماني والمطالب أية آذان مصغية .

وليس هناك ما يدعونا لكي نتفاءل بامكان قبول هذه المقترحات والأماني ، وعلى ذلك نعتقد أن مشكلة الديون الخارجية سوف تستمر على النحو الذي سارت عليه في الآونة الأخيرة (حصار المدينين والضغط عليهم لدفع الديون) ، ولسوف تسوء أحوال البلاد المدينة ، وتسير من سيء الى أسوأ ، ما لم تبذل تلك البلاد جهوداً واعية وخلاقة ، لوقف افتراس غول الديون للجهد التنموي لمستوى معيشة السكان في هذه البلاد

الاعتماد على الذات

وهنا نرى أن الحل يجب أن يكون من خلال استراتيجية الاعتماد على الذات بشقيها الجماعي والمحلي ، أما عن الشق الجماعي ، فيتمثل في ضرورة تطوير دعم أشكال التعاون الاقتصادي بين مجموعة الدول الاسلامية فيما بينها ، وبين مجموعة دول العالم الثالث الذي ينتمون اليه ، وهناك أشكال عديدة في هذا الخصوص منها

* الاسراع بتكوين نادٍ للمدينين على غرار نادي الدائنين (نادي باريس) ، تكون مهمته وضع أسس ومعايير جماعية للمفاوضات مع الدائنين ، تحافظ على مصالح المدينين ، وتربط حل مشكله الديون بمواصلة عملية التنمية ، ورفع مستوى معيشة السكان
* دعم وتطوير اتحادات منتجي المواد الأولية
* زيادة التبادل التجاري والتعاون النقدي فيما بين هذه البلاد من غير وسيط ثالث
* تسهيل نقل التقنية الموجودة داخل هذه البلاد
* توحيد المواقف تجاه المشكلات الاقتصادية العالمية (نظام النقد الدولي ، الشركات المتعددة الجنسية ، المنظمات الاقتصادية الدولية)
* تشجيع استثمار الفوائض المالية للدول النفطية داخل هذه البلاد

أما على المستوى الداخلي ، فلا مفر أمام هذه البلاد ، لحل مأزق الديون ومعضلة التنمية الا باعادة ترتيب الديار من الداخل ، وذلك من خلال اعادة النظر في نهج التنمية وتوجهاتها ، والعمل على زيادة المدخرات المحلية (لتقليل فجوة الموارد المحلية) وترشيد استخدامات النقد الأجنبي (لتقليل فجوة العملات الأجنبية) وفرض الرقابة على الصرف وتشجيع الجهد الاستثماري المنتج ، في القطاعين العام والخاص ، ودعم قطاع الصادرات والقطاع المنتج لبدائل الواردات ، بيد أن تنفيذ ذلك يتطلب دوراً فاعلاً ومؤثراً للدولة في قيادة حركة النشاط الاقتصادي □

أنا.. إلم

الأمير جابر الأحمد

الملك فهد

الملك حسين

■ **الخطاب الالهي موجه إلى المسلمين جميعا ، عليهم أن يترجموه إلى حياة نابضة بالتقدم والخير**

من خطاب أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح
بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري

■ **إذا ما حللنا الأوضاع بالنسبة لموقف أمريكا وعبر أمريكا سنجد أن مرد هذه التصرفات كلها نوع من عدم الاكتراث بالأمة العربية ، والانسان العربي ، والامعان في اتخاذ مواقف وسياسات فيها تحد لكل مشاعر الوطن العربي ، وهذا شيء نحن ـ العرب ـ مسؤولون عنه قبل أي جهة أخرى ، لأن ما نعيشه واقع مؤلم**

الملك حسين بن طلال

■ **في تاريخ الأمم والشعوب أيام تسطر على جبين الزمن أمجادا ، تحمل معان سامية ، وقيم أصيلة ، هي دائما مشاعل التوجه إلى المستقبل وأحسب أننا نعيش اليوم واحدا من هذه الأيام الخالدة**

من كلمة أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة
في افتتاح الجسر الذي يربط السعودية بالبحرين

■ **إن هذا الجسر هو من منجزات القرن العشرين**

خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز

■ **العلم والمعرفة والآداب أسلحة المستقبل ، وغذاء حقيقي لأي مجتمع يريد لنفسه النهوض والتقدم**

راشد عبدالعزيز الراشد
وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ـ الكويت ـ
عند افتتاح معرض الكتاب العربي الثاني عشر

■ **حين يتوقف الكاتب عن لعب دور الضمير في مجتمعه ، عليه أن يعترف أنه اختار إما التنكر الكامل لنفسه ، وإما الانسحاب إلى موقع المسجل لحدث ولىّ ، أو موقع طبيب شرعي ، يتعامل مع جثة هامدة !**

وول سوينكا
الحائز على جائزة نوبل في الاداب لسنة ١٩٨٦

العربي - العدد 338 - يناير 1987

بقلم : فهمي هويدي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الشريعة والناس

لا نحسب أن سوء الفهم وحده هو المسئول عن « تلغيم » العلاقة بين الشريعة والناس وبنفس القدر فانه يظل من غير الانصاف أن نحمل طرفا بذاته كامل تلك المسئولية ، من قبيل ما فعل احد شيوخ الازهر الكبار « الشيخ محمد مصطفى المراغي » عندما أشار الى الفقهاء بأصابع الاتهام . في مذكرة شهيرة له حول اصلاح الأزهر ، قدمها في سنة ١٩٢٨ ، حيث قال

ان « الأمة المصرية » تركت الفقه الاسلامي ، لأنها وجدته ـ بحالته التي أوصلها اليه الفقهاء ـ غير ملائم ولو أنها وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان ، وبدل العرف والعادة ، وراعى الضرورات والحرج لما تركته الى غيره »

ووجه قلة الانصاف هنا أن الفقهاء ليسوا هم المتهم الأوحد في القضية ، وأكاد أقول انهم أيضا ليسوا المتهم الأول ذلك ان اثارة تلك النقطة ترتب سؤالا آخر هو ما الذي جعل الفقهاء يقفون في الجانب المعطل للمسيرة ، لا المعين على تقدمها ؟ هل هم الذين تخلوا عن مسئولياتهم ، أم انهم تخلوا عنها حينا ، وحيل بينهم وبين أدائهم لتلك المسئولية في أحيان أخرى ثم من يكون هذا المجهول الذي أحلنا اليه الاستعمار ؟ الحكام ؟ أم انها مسيرة التطور التي نحت هؤلاء عن مكانهم ، كما يحلو للبعض ان يفسر الظواهر الاجتماعية والفكرية ؟ أم انها الشريعة ذاتها ، التي لم تتمتع بالمرونة الكافية التي تمكنها من ملاحقة عجلة التقدم المتسارعة ؟

لانريد أن نشغل طويلا بالاسباب ، فذلك بحث آخر ، فضلا عن أن محاولة الاجابة عن السؤال الأخير هي موضوعنا الذي نحاول أن نستجلي جوانبه ما نريد أن نلفت النظر اليه في البداية هو أن الفقهاء ليسوا هم الذين صنعوا الأزمة . وفي أسوأ الفروض فانهم كانوا شركاء فيها جرى ، ولم يكونوا الفاعلين الوحيدين وقد نذهب الى أن ما يسمى بالجمود أو التزمت قد عطل تطور الفقه وتقدمه ، الا انه عند امعان النظر ـ لم يخل من فائدة ، ربما لم تكن مقصودة ولا واردة في حينها ، ذلك ان هذا الجمود قد حمى الفقه من الترخص والابتذال ، في عصور لم يكن للفقهاء ـ ولا الشريعة ـ فيها حول ولا طول ، وكان كل المطلوب منهم هو مشاركة خطا السلاطين « والمرونة » في الاستجابة لرغباتهم وأهوائهم ، أو في مسايرة كل ما جاء باسم التحديث والمعاصرة ! وهو خطر يتبدى بأكثر ما يكون في حالات الضعف التي يفتقد فيها الذين يتصدون لامور الفتوى لشروط الاجتهاد ولا يتمكنون من عدته وآلته

وهنا قد يهمنا التنبيه الى أمرين

الأول ان عصور الضعف والتدهور لا تطل على

الواقع فجأة وبلا مقدمات ، لكنها جماع اسباب عديدة وامراض مختلفة تصيب جسد الأمة وتقتل خلاياها الحية والفاعلة ، واحدة تلو الأخرى ، حتى يتمكن الداء من الجسد ، ويهزمه في نهاية الأمر وحجم الهزيمة لايرتبط فقط بطبيعة الجراثيم التي تسري في الجسم ، ولكنه وثيق الصلة أيضا بحالة الضعف أو المناعة لدى الجسم ذاته

الأمر الثاني ، ان تأثير التدهور والانحطاط لايصيب جانبا دون الأخر ، وانما يمتد ذلك الأثر ليشمل الواقع بمختلف اطرافه وعناصره،وبالتالي فان التدهور الفقهي مرتبط بالتدهور الثقافي العام والاثنان وثيقا الصلة بحالة التراجع الشاملة ـ سمها الانحطاط ان شئت ـ التي يعاني منها الواقع

ان العلاقة بين الشريعة والناس تصبح متينة وحميمة ، وتتبدى في أكثر أطوارها صحة وايجابية ، في مراحل الازدهار العقلي ، بينما تنعقد تلك العلاقة وتصاب بالجفاف واليبس وربماالضمور أيضا في عصور الجزر والانحسار

من هنا فلعلنا لانجاوز الحقيقة كثيرا ، ان قلنا ان جمود الفقهاء يعد أحد اعراض المرض الذي يسري في جسد الأمة ، وليس سببا له خارج تلك الدائرة ، فلا أحد ينكر أن ثمة التباسا في التعامل مع الشريعة دخل على عقول كثيرين ، لاسباب متنوعة

فالمصدر الالهي للشريعة ، جعلها البعض في دائرة منفصلة عن البشر ، أو فوقهم ودهب عديد من المستشرقين الى اعتبار الشريعة أمرا مثاليا يعنى بالقيم الدينية والاخلاقية التي ترتجى في حياة الناس . ولا تنطبق على الواقع بالضرورة من هؤلاء المستشرقين جولد زيهر واندرسون وشاخت ولولسون ، الذين وضعوا الشريعة في مرتبة القانون الطبيعي ، الذي هو جماع المثل العليا والقيم الاساسية في حياة الانسان فنحن نجد واحداً مثل المستشرق نوسل ج كولسون ـ استاذ القوانين الشرقية في جامعة لندن ـ يقرر في كتابه حول تاريخ القانون الاسلامي ان انقطاع الوحي بوفاة الرسول ﷺ جعل الشريعة الاسلامية بما تحقق لها من كمال التعبير والبيان ثابتة غير قابلة للتغيير واصبح على المجتمع ان يتطلع الى ما تمثله من معايير مثالية وصحيحة الى الابد وهو في كتاب آخر (التعارض والقضاء في الفقه الاسلامي) يخصص فصلا للتنازع بين النزعة المثالية والنزعة الواقعية في مسيرة الفقه الاسلامي ويبرز الوجه ذاته

وهذا المعنى نجده في كتابات العديد من الباحثين والمثقفين العرب،الأمر الذي دعا احد كبار فقهاء زماننا ـ الشيخ الدكتور محمد مصطفى شلبي الذي كان يرأس قسم الشريعة في جامعتي الاسكندرية وبيروت ـ الى محاولة نقض هذه الفكرة في كتاب مهم بعنوان الفقه الاسلامي بين المثالية والواقعية

وربما أسهم في الالتباس أيضا الفهم الخاطىء الذي حملت به القاعدة الشرعية القائلة بأن « الشريعة حاكمة لامحكومة » الامر الذي دعا البعض الى استقبالها باعتبارها « قانونا » يقضي بأن الشريعة لاعلاقة لها بالواقع ، فهي تحكمه وتمضي قرارها فيه بصرف النظر عن ظروف ذلك الواقع ساعد على شيوع ذلك الفهم ان هناك ممارسات تمت منطلقة من ذلك الاعتبار تطبيق النص الشرعي بتجاهل تام لحقائق الواقع ، مما قدّم الشريعة فيصورة المتحكمة لا الحاكمة وليست بعيدة عن أذهاننا ـ على سبيل المثال ـ تجربة تطبيق حد السرقة على ذوي الحاجة والجياع في بعض مجتمعاتنا الاسلامية الفقيرة الأمر الذي لايقره نقل ولا عقل

وغني عن البيان أن تلك القاعدة التي نحن بصددها يقصد بها أن تكون الشريعة هي الحكم والفيصل فيما يختلف عليه ، أو يستجد من أمور ، اعمالا للنص القرآني « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » (النساء ـ ٥٩) ومن الخطأ الجسيم أن تقرأ العبارة بحسبانها دعوة الى تطبيق الأعمى للنصوص الشرعية دون نظر أو اعتبار للزمان أو المكان أو أعراف الناس أو عوائدهم واحوالهم

ولا نستبعد أن يكون لتأثير التراث الكنسي الغربي دوره في هذا الصدد حيث التفرقة قائمة بين اللاهوت والناسوت وحيث للدين رجال ومؤسسة ورهبانية ، ومدارج ليست في متناول كل الناس ، الأمر الذي استمر على النحو الذي يعرفه الكثيرون في العصور الوسطى ، حيث استقر في اليقين العام ان مفاتيح السماء بأيدي رجال الدين الذين باشروا سلطانا تراوح بين تلقي اعترافات المذنبين وصكوك الغفران في الآخرة

ان الناس هم موضوع الشريعة ، ومدارها ومعاؤها ،والتكاليف ليست« فرامانات » أو مراسيم الهية لايملك المتلقون اراءها الا الانصياع والامتثال ، أيا كان الأمر ، والطريق الموصل بين الشريعة والناس يعد من أوسع الابواب وأكثرها ثراء في الفقه الاسلامي،حتى عرف الفقيه الحق بأنه من أدرك النصوص، وادرك الواقع ، وانزل كلا منهما على الآخر ، واشترط في المجتهد اضافة الى العلم العريض معرفة الناس حتى ذكر ابن القيم في « اعلام الموقعين » أن المجتهد اذا افتقد هذا الشرط ، فإنه يفسد أكثر مما يصلح وذهب الى أن معرفة الفقيه بالناس ينبغي أن تتجاوز الأحوال والعوائد الى معرفة « مكر الناس وخداعهم وحيلهم » - ونبه القرآن في « الأحكام » الى اهمية أن يكون الفقيه محيطا بلغة العامة ومصطلحاتهم ، حتى يصبح أقرب ما يكون الى خطابهم

وما كان لهذا الفقيه أن يقطع شوطه البعيد في ذلك الاتجاه دون سند قوي من نصوص القرآن والسنة ودون معرفة عميقة بمكنون الشريعة ومقاصدها واذا كان القرآن قد بدأ بحمد الله في فاتحته فانه اختتم بسورة « الناس » في منتهاه وهذا المحور الاساسي (الله - الناس) كان له مردوده وانعكاساته العديدة على ساحة الفكر الاسلامي ، يدخل في ذلك مختلف القواعد الشرعية التي اسست على التوجيهات القرآنية الداعية الى التيسير على الناس ورفع الحرج والمشقة عنهم ، واجتهاد الاصوليين في مسألة المصالح ، وذهاب البعض الى تفضيلها على النصوص ان حدث التعارض بينهما ، وتقدير قاعدة تغير الاحكام بتغير الأزمنة والامكنة وعوائد الناس ، ثم ذلك الدور الهام الذي يلعبه « العرف » في التشريع الاسلامي

هذه العناوين - التي نرجو أن تتاح لنا فرصة الغوص وراء كل منها - ظلت موضوعات للاجتهاد والجدل الخصب بين أجيال الفقهاء وطبقاتهم قرنا بعد قرن ، حتى تكونت لدينا في صددها حصيلة معرفية ضخمة ، أغنت علم أصول الفقه ، ووضعت بين أيدي الباحثين المسلمين مفاتيح بالغة الاهمية للاستدلال والاستنباط ، مما يبعث دفئا مستمرا في العلاقة بين الشريعة والناس

حسبنا هنا تأمل « العرف » ، الذي يجسد تلك العلاقة الحميمة في أحلى صورها ، اذ به لاتصبح الشريعة مجرد تلقين هابط من السماء وانما تستمد بعض منابعها من الأرض ويتجاوز الناس دور المستقبل (بكسر الباء) والمتلقي ، الى دور المرسل والمؤثر ، مما يدحض مقولات الزاعمين بانفصال الشريعة عن الخلق ، وتحليقها في آفاق المثالية المجردة

ولا يخلو كتاب لأصول الفقه من مبحث حول العرف ، بعدما أخذ مكانه ضمن مصادر التشريع الاسلامي يستقل حينا ، ويتداخل مع المصلحة والضرورة في حين آخر وربما كان كتاب الشيخ محمد مصطفى شلبي الذي أشرنا اليه هو من أفضل الكتابات المعاصرة التي تناولت هذا الموضوع « بتفصيل وافاضة يليه في ذلك كتاب استاذنا الشيخ عبد الوهاب خلاف « علم اصول الفقه »

ففي سورة « الاعراف » آية جامعة موجهة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (١٩٩)

والعفو يطلق في اللغة على خالص الشيء وجيده وقيل خذ الفضل من أموال الناس (قبل نزول آية الزكاة) ، والعرف المعني هنا هو ما تعارفه الناس من الخير

وأخذا بهذه القاعدة ، فقد وجدنا لرسول الله احاديث نهى فيها عن أشياء نهيا عاما ، ولما وجد لقومه عادات تخالفها في بعض أفرادها ، استثنى موضع العادة ورخص فيه من ذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان قد نهى عن بيع ما ليس عند الانسان في قوله (يا حكيم بن حزام لاتبع ما ليس عندك) ، ولما قدم الى المدينة ووجدهم يتعاملون « بالسلم » وهو نوع من بيع ما ليس عند الانسان اقرهم عليه بعد أن نظمه ويذكر البخاري عن ابن عباس أن النبي عندما وجدهم في المدينة يسلمون في

الثمار السنة والسنتين أقر دلك ، واشترط ان يتم « في كيل معلوم ، ووزن معلوم الى أجل معلوم »

على هذا النهج مضى الصحابة الدين عاشوا رحلة الفتوحات واختلاط المسلمين بغيرهم ، فأقروا الصالح من أعراف الأقوام الأخرين وأفادوا منها ، ومن هذا الباب تم تدوين الدواوين التي كانت معروفة في بلاد الروم وفارس ، وضربت النقود وتم التأريخ بالهجرة ، وطبق نظام الخراج والجزية الذي كان يعمل به كسرى أنو شروان ملك فارس

ولهذا قال العلماء ، العرف شريعة محكمة والمعروف عرفا كالمشروط شرطا والثابت بالعرف كالثابت بالنص والف ابن عابدين رسالة سماها « نشر العرف فيما بني على الاحكام من العرف » . واستدل العلماء في دلك بالحديث النبوي « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » (رواه أحمد في مسنده)

وقد بنى الامام مالك كثيرا من أحكامه على عمل أهل المدينة وذاع هذا النهج عن المالكية ، حتى ظهر في الاندلس والمغرب « فقه العمل » ، وعرف العمل الفاسي (نسبة الى فاس) ، والسوسي نسبة الى (سوسة) وعند الاحناف احكام كثيرة مبنية على العرف فالعرف هو الحكم اذا اختلف متداعيان ولابينة لاحدهما ، واذا لم يتفق الرجحان على المقدم والمؤخر والمنقول يصح وقفه اذ جرى به العرف وللشافعي مذهبان قديم وجديد ، من جراء انتقاله من بغداد الى مصر وتغييره لبعض الاحكام لتغير العرف في البلدين

وغني عن البيان أن العرف المعتبر هنا هو « الحميد » الذي لايتعارض مع النظام العام ، وبالتعبير المعاصر ، وهو العام وليس الخاص ، وهو ما لايهدر النصوص الشرعية الاساسية □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

●

ماذا يقول العرب في الماء ؟

● يقول الثعالبي في كتابه فقه اللغة وسر العربية « إذا كان الماء نتنا لا يشربه أحد فهو (آسن) ، وإذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو (أجاج) ، وإذا كان فيه شيء من العذوبة ويشربه الناس فهو (شريب) ، أما إذا كان دون ذلك في العذوبة ولا يشربه الناس إلا عند الضرورة أو قد تشربه البهائم فهو (شروب) ، وإذا كان الماء عذبا فهو (فرات) ، وإذا كان سهلا سائغا متسلسلا في الحلق من طيبه فهو (سلسل وسلسال) ، وإذا جمع بين الصفاء والعذوبة والبرودة فهو (زلال) وهذا قليل من كثير مما أورده الثعالبي في باب الماء

مفهوم غريب للجهاد!

بقلم : الدكتور محمد عمارة

« ليس الجهاد هو تكفير الناس ، واكراههم بالعصي والخناجر ، فالجهاد كما شرعه رب العزة ، وأوضحه ديننا الحنيف ، وشيوخ فقهنا ، يتسع لمعان أكثر سلا وفهما ، لجوهر الدين ، ومعناه ، وغايته »

لأمر ما ـ وهو ليس عبثا ـ توحد في لغتنا العربية المصدر والأصل في « الجهاد » و« الاجتهاد » ، فكلاهما يعني بذل أقصى الجهد ، واستفراغ الوسع في تعيين الموقف الحق ، ونصرته بمختلف السبل والأدوات الحقة ، وفي مختلف الميادين ، وعلى جميع الجبهات

واذا كان ذلك واضحا ، وشهيرا ، ومتفقا عليه في باب « الاجتهاد » ، فانه صحيح أيضا في تحديد الاسلام للمراد من مصطلح « الجهاد » ، رغم ما يثيره البعض حول هذا المصطلح من غموض ، وابهام يقف به ، عند معنى « القتال » ، أو يعطيه أبعادا تدخل به نطاق « العدوان » !

في (التعريفات) للجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ ـ ١٣٤٠-١٤١٣م) نجد معنى « الجهاد » هو الدعاء الى الدين الحق ، أما (معجم ألفاظ القرآن الكريم) فانه يذكر أن أكثر ما ورد الجهاد في القرآن ورد مرادا به بذل الوسع في نشر الدعوة الاسلامية والدفاع عنها

لاقهر ولا اكراه

ولقد ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية ، عندما كان « الاجتهاد » ابداعا حضاريا شاملا ، وعندما كان الجهاد » اجتهادا ، بكل السبل والأدوات ، وعلى مختلف الجبهات ، لحماية هذا البناء الحضاري ، وتمكينه من الاشعاع ، كي يكون المنارة الجاذبة الهادية الى صراط الاسلام المستقيم

والذين يدركون ما يعنيه مصطلح « الايمان » في فكر الاسلام ، وكيف أنه تصديق بالقلب يبلغ مرتبة اليقين ، يعلمون أن ثمرة هذا « الايمان » لابد أن تكون « القدوة » التي تجتذب الغير الى هدى الاسلام ، وأن القوة والقهر والاكراه قد تضيف الى الأمة المؤمنة « منافقين » ، لكنها لايمكن أن تضيف الى هذه الأمة « مؤمنا » يعمر قلبه بالتصديق البالغ اليقين ، ولذلك قال شارع الاسلام في كتابه المبين (لاإكراه في الدين)

وهذه « القدوة » ، التي هي ثمرة « الايمان »

وترحمانه ، كما تكون سلوكا فرديا سويا ، تكون تحصرا وابداعا حضاريا ، يترحم عن السلوك الجماعي للامة في ميادين الابداع المختلفة ، فيفعل في عقول الأحرين وقلوبهم مالا تفعله أدوات القهر ، ووسائل القسر ، وعتاد الحرب والقتال ، لاسيما والمطلوب هو الاقتناع والايمان ، وليس استسلام المنافقين ، وطاعة المقهورين

والذين يظرون في مبحث الجهاد في تراثنا العربي الاسلامي ـ وخاصة في عصر ازدهار حضارتنا العربية الاسلامية ـ سيجدون هذه المعاني واضحة ، وليس عليها اختلاف كبير

لكن عصر التراجع والتخلف والجمود قد اغلق باب « الاجتهاد » ، على حين كانت السلطة والدولة في المجتمع الاسلامي قد غدت احتكارا للترك والمماليك ، فاختل التوازن ما بين « القلم و « السيف » ، وبين « العقل » و « القوة » ، وعندما غاب الاجتهاد وبقيت « القوة » التي سميت خطأ « الجهاد » ، شاعت في ذلك العصر تلك المفاهيم التي وقفت بفريضة الجهاد الاسلامية عند « الحرب » و « القتال » ، فانفتح على المسلمين باب الانحراف في فهم المضمون الحقيقي لفريضة « الجهاد »

مفهوم عجيب غريب

وفي عصرنا الحديث ، اذا نحن ذهبنا نتصفح مذاهب اعلام اليقظة الاسلامية في معنى « الجهاد » وجدنا للاستاذ أبو الأعلى المودودي (١٣٢١-١٣٩٩هـ-١٩٠٣-١٩٧٩م) في هذا الامر مذهبا « جديدا » ، بل لانغالي اذا قلنا انه مذهب « غريب » و « عجيب » ، والأغرب والأعجب هو شيوع هذا المذهب لدى كثير من فصائل المد الاسلامي المعاصر ، وخاصة في صفوف الشباب ،

الاستاذ المودودي يتفق مع جمهور علماء الأمة على أن نشر الاسلام « كعقيدة »لاسبيل له الا الحكمة ، والقدوة الطيبة ، والحجة القوية ، والموعظة الحسنة فالايمان بالاسلام ـ كما قدمنا ـ تصديق بالقلب ، يبلغ مرتبة اليقين ، ولاسبيل لقيامه وتحصيله بأي سبيل من سبل الاكراه ، على الاخص اذا كان هذا الاكراه قتالا باسم الجهاد ، واذا كانت الآية الكريمة (لااكراه في الدين) تعني التشريع الالهي الأمر بذلك ، فاننا نفهم منها أيضا تقرير حقيقة استحالة تحصيل الدين والتدين بالاكراه

في هذا الموقف الذي يرفض قتال الكفار كي يؤمنوا ، يتفق الاستاذ المودودي مع جمهور علماء الاسلام لكنه ـ وان أنكر قتال « الشعوب » غير المسلمة كي تؤمن بعقيدة الاسلام ـ يدعو الى قتال كل « النظم والحكومات » التي تحكم البلاد غير المسلمة ، لتحرير بلادها وشعوبها من طغيانها وطاغوتها ، وازالة قيود هذه النظم والحكومات عن حرية شعوبها في الاختيار الحر بين عقيدة الاسلام وعقائد الديانات الأخرى،ذلك هو جوهر المذهب العريب العجيب.

انه يرى في ضوء هذه النظم والحكومات غير الاسلامية تكريسا لحكم الطاغوت ، ودعما للحاكمية غير الالهية ، فيضع أمام المسلمين مهمة الجهاد وفريضته في صورة مجاهدة كل نظم الدنيا وحكوماتها ، بكل الوسائل المناسبة واللازمة والمتكافئة ـ بما فيها القتال المسلح ـ وذلك من أجل الاستيلاء على هذه الحكومات ، واقامة حكم الشريعة الاسلامية في كل اقطار الأرض ، ثم ترك حرية الاعتقاد للشعوب ، تتدين بالاسلام أو تظل على عقائدها بعد تحريرها من طاغوت النظم والحكومات غير الاسلامية ، أي انه ـ باختصار ـ يوجب على المسلمين ـ بفريضة الجهاد ـ السعي لحكم العالم ، وجعل كل الحكومات بيد المسلمين ، دون اكراه الشعوب غير المسلمة على اعتناق الاسلام !

أما أفكاره ونصوصه التي صاغ فيها هذا الرأي،ولم يسبقه اليه أحد من أعلام الصحوة الاسلامية فكثيرة ، منها

* « ان الاسلام ليس نحلة كالنحل الرائجة ، وإن المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم ، بل الاسلام فكرة انقلابية ، ومنهاج انقلابي ، يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ، ويأتي سيانه من القواعد ، ويؤسس بنيانه من جديد ، حسب فكرته ومنهاجه العملي

* « ان مجرد وجودنا لابد أن يكون تحديا صريحا لأية حكومة غير اسلامية ، سواء تحملت وجودنا هذا أو لم تتحمله ، وسواء أمكن التعامل والتعاون مع غير

المسلمين أو لا ، وإذا كان نظام الاسلام وحده هو الحق وكل نظام سواه باطل فلا مفر على الاطلاق من تعميم نظامه ، وتغليبه في الأرض ، وتقويض النظم الاخرى والاطاحة بها

* ان غاية « الجهاد في الاسلام » هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه واقامة حكومة مؤسسة على قواعد الاسلام في مكانها ، واستبدالها بها ، وهذه المهمة - مهمة إحداث انقلاب اسلامي عام - غير منحصرة في قطر دون قطر ، بل ما يريده الاسلام أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة ، الا أنه لامندوحة للمسلمين أو « أعضاء الحزب الاسلامي » عن الشروع في مهمتهم ، باحداث الانقلاب المنشود ، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها ، أما غايتهم العليا وهدفهم الاسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل ، فالاسلام يتطلب الارض ، ولايقنع بقطعة أو بجزء منها ، انما يتطلب ويستدعي المعمورة كلها ، وتحقيقا لهذه البغية السامية يريد الاسلام أن يستخدم جميع القوى والوسائل التي يمكن استخدامها لاحداث انقلاب عام شامل ، ويسمى هذا الكفاح المستمر « الجهاد »

هجوم ودفاع

« إن ما اصطلحوا عليه اليوم من تقسيم القتال إلى الهجومي والدفاعي لا يصح إطلاقه على الجهاد الاسلامي البتة ، وإنما يصدق هذا المصطلح على الحروب القومية الوطنية فقط ، أما الجهاد الاسلامي فهو هجومي ودفاعي معاً ، هجومي لأن الحزب الاسلامي يضاد ويعارض الممالك القائمة على المبادىء المناقضة للإسلام ، ويريد قطع دابرها ، ولا يتحرج في استخدام القوى الحربية لذلك ، وأما كونه دفاعياً فلأنه مضطر إلى تشييد المملكة وتوطيد دعائمها ، حتى يتسنى له العمل وفق برنامجه وخطته المرسومة »

* « والاسلام لا يريد من وراء تقويض النظم والحكومات غير الاسلامية ، ومن إحلال نظامه وحكومته محلها أن يكره من يخالفه في الفكرة على ترك عقيدته ، والإيمان بمبادىء الاسلام ، وإنما يريد الحزب الاسلامي أن ينتزع زمام الأمر ممن يعتقدون بالمبادىء والنظم الباطلة ، حتى يستتب الأمر لحملة لواء الحق ، ولا تكون فتنة ، ويكون الدين لله.إن غاية القتال ليست رجوعهم مؤمنين واتباعهم دين الحق ، بل القضاء على نفوذهم وسطوتهم ، فلا يكونوا حكاماً وأولي أمر في الأرض ، لأن سلطان الحكم والقيادة ومقاليد نظام الحياة على وجه الأرض يجب أن تكون في أيدي المؤمنين وحدهم الذين يتبعون دين الحق ، أما من هم دونهم فيعيشون تابعين لهم ومطيعين ، إن (لا إكراه في الدين) معناها أن الاسلام لا يكره أحداً على قبول عقيدته كرهاً ، كما أنه لا يفرض عليه عاداته جبراً ، لأن العادات لا معنى لها دون إيمان متين بها ، فالاسلام يعطي كل انسان الحرية في هذين الأمرين ، لكن الأمر الذي يرفضه بشدة أن تكون قوانين المجتمع التي يقوم عليها نظام الدولة مستمدة من مصدر آخر سوى شريعة الله ، وإن كان لا محالة من تدخل أي الفريقين في دين الآخر ، فإن المسلمين إن لم يتدخلوا في دين الكفار فإن الكافرين سوف يتدخلون حتماً في دينهم ، وتكون النتيجة أن مذهب الكافرين سوف ينشر مظلته على قطاع كبير من حياة المسلمين ، ولهذا يطالب الاسلام أتباعه أن يتقدموا ويستولوا على مقاليد نظام الحياة ، بدلاً من أن يحدث ذلك من جانب الكافرين ، ثم يشرعوا بعد ذلك في معاملة غير المسلمين ، في ميدان العقائد والعادات ، بما تقتضيه آية (لا إكراه في الدين) »

تلك هي نصوص المودودي وصياغاته ، المعبرة عن أفكاره الرئيسية في قضية « الجهاد »

١ - فالصراع بين الكفر والاسلام حتمي ، وإذا لم يتدخل الاسلام في دين الكفر ، تدخل الكفر في دين الاسلام ، فعلى الاسلام أن يبادر بالتدخل

٢ - والاسلام فكرة انقلابية عالمية تطلب كل الأرض وكل الأقطار وجميع الحكومات

٣ - وعلى المسلمين بناء دولتهم الاسلامية ، ثم الانطلاق مجاهدين بكل الوسائل ، وبجميع أسلحة القتال ، لإزالة كل حكومات الدنيا ونظمها ، وإقامة الحكومات الإسلامية ، وحاكمية الشريعة الإسلامية ، في كل أرجاء الدنيا

٤ - أما عقيدة الإسلام وعاداته فلا يجبر عليها أحد ، لأنه (لا إكراه في الدين)

وباختصار ، فالجهاد الإسلامي دفاعي وهجومي ، بكل السبل والوسائل ، وغايته أن يحكم المسلمون العالم بشريعة الإسلام ، مع ترك التدين بعقيدة الإسلام والتعبد بعباداته للحرية والاختيار !

نقد وليس محاكمة

لا نود محاكمة رأي الأستاذ المودودي في هذه القضية إلى آراء الفقهاء المسلمين ، في « دفاعية » الجهاد الإسلامي أو « هجوميته » ، وفي نطاقه من حيث « العالمية » ، أو ما هو دون « العالمية » ، وذلك لأسباب ثلاثة ، أولها ، أن اجتهادات الفقهاء القدماء ليست هي منطلق الأستاذ المودودي حتى نحاكم أفكاره هذه إلى تلك الاجتهادات،وهو يصرح ـ ومعه الحق ـ بأن هذه الاجتهادات القديمة غير ملزمة للاحقين ، وثانيها أن الجهاد فريضة سياسية إجتماعية ، والاجتهاد فيها وثيق الصلة بالزمان والمكان والملابسات ، ومن ثم فإن الطبيعي والأوفق هو محاكمة فكرها ، والاجتهاد فيها ، إلى « مصلحة الأمة » في الزمان والمكان والملابسات التي يتم فيها هذا الاجتهاد ، وثالثها أن الأستاذ المودودي قد صاغ فكره هذا في ظروف سياسية وحضارية محددة ، عاشها الرجل وجماعته الاسلامية ، وهذه الظروف هي التي لعبت ـ مع طبيعته في الصياغة لأفكاره ـ الدور الأول في مجيء أفكاره هذه على هذا النحو .

أ ـ أقلية إسلامية ، تتعرض قوميتها لخطر السحق والتشويه من قبل القومية الكبرى للهندوك

ب ـ غياب وحدة الإدارة والتنظيم عن هذه الأقلية الإسلامية ، الأمر الذي يريد مخاطر ذوبان قوميتها الحضارية في بحر الأغلبية الهندوكية

حـ ـ وهيمنة عالمية للاستعمار الغربي وحضارته المادية على مقدرات المسلمين ، وأوطانهم ، وعزل لسقفهم الفكري عن أن تكون له الحاكمية في الدولة والمجتمع ، وطرائق المعيشة وفلسفة الحياة

وأمام هذا الكابوس الرهيب لجأ الأستاذ المودودي إلى تكثيف الطاقة التي يشحن بها الأمة ، حتى تستطيع تجاوز اليأس القاتل ، ومواجهة المهام الصعبة ، والصمود في وجه التحديات الجسام .

هذيان الضعفاء

لكننا نعتقد أن الأستاذ المودودي قد تجاوز النطاق « المشروع ، والمفيد » بهذه الصورة العريضة التي رسمها لمهام الجهاد الإسلامي ، ففي ظل الواقع الملموس ، وعلاقات القوى الراهنة ، وما لدى « حكومات الكفر » من أسلحة الدمار الشامل ، والجيوش الجرارة ، والطاقات الصناعية والزراعية ، ووسائل التجسس ، قد يظن بعض الناس إلى تكليف المسلمين بهذا « الواجب » على أنه نوع من « هذيان الضعفاء » ، أما نحن فنقول إن الأستاذ المودودي قد أراد أن يشحن عزائم الأمة بالكبرياء التي تتكفل باحياء روحها الخلاقة ، وتفجير طاقاتها المبدعة ، كي تصمد للتحديات ، وتجعل من إسلامها طوق النجاة من المخاطر التي تهددها بالمسخ والسحق ، والتشويه ، فالغاية نبيلة ، والهدف مشروع ، لكن الرجل قد أخطأ الطريق ، وذلك لأننا نعتقد أن تجديد الفكر الإسلامي بالعقلانية الإسلامية المستنيرة التي تعيد عقد القران بين أصول الشريعة ومبادئها ومقاصدها ، وبين الواقع الجديد الذي تعيشه الأمة ، وصياغة المشروع الحضاري الاسلامي الذي يتكفل بنهضة هذه الأمة ، وإحيائها بدأً للنماذج التي صاغت نهضتها وفق فكرية الحضارة العربية

إن تجسيد الاسلام السياسي والحضاري في دولة اسلامية قوية ومتقدمة ينهض كمنارة للجهاد الاسلامي الدائم ، تجذب الشعوب الاسلامية أولاً الى ساحة الجهاد الأكبر ، المتمثل في النهضة والتقدم وفق روح الإسلام ، ومقاصد شريعته ، كما سيكون هذا « النموذج الإسلامي المتحضر » مركز جذب لكل شعوب الدنيا ، يعلن رجحان كفة « البديل الإسلامي » في « خيار الحضارات » ، وعلينا أن نتأمل ونتمهل ونحن نجيب عن هذا السؤال

أي السبيلين سيجذب الشعوب الأخرى إلى الإسلام أن يحارب المسلمون حكومات هذه الشعوب ؟ أم أن يقف المسلمون بجهادهم عند تحرير بلادهم ، وحماية أوطانهم ، وضمان الحرية لدعوتهم ودعاتهم ، وبناء « بديلهم الحضاري » ، الذي يغري الآخرين بما يمثل من ميزات ؟

حكمــــة التعدديــــــة

إن شن الحرب على الحكومات الاخرى - حتى لو حلمنا وتخيلنا إمكان حصوله - سيجلب على الإسلام وأهله ودوله عداء شعوب تلك الحكومات ، الأمر الذي سيباعد بينها وبين سبل التفكير في الإقبال على عقيدة الإسلام ، فليس عبر سبيل تحرير الأوطان الاسلامية ، وتحويلها - بالاسلام المتجدد - إلى منارة حضارية ، يحميها الجهاد الإسلامي ليصل إشعاعها إلى كل أرجاء المعمورة ، عبر العقول والقلوب ،

بواسطة الحرب والقتال ، ليس عبر هذا السبيل سبيل لإمامة الإسلام الحضارية التي ينشدها الإسلاميون ،

ثم لماذا تغيب عنا حقيقة أن حكمة الله وإرادته قد شاءت للإنسانية « التعددية » ، وليس « وحدة النموذج والاعتقاد والشريعة » ؟ ! (لكل جعلنا

منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) إن مفسري

القرآن الكريم ، قد أدركوا - في وقفهم أمام هذه الآيات وأمثالها - أن حكمة الله وإرادته هي في « التعددية » ، فسعيد بن جبير (٤٥ - ٩٥هـ ، ٦٦٥ - ٧١٤م) ، ومجاهد بن جبر المكي (٢١ - ١٠٤هـ ٦٤٢ - ٧٢٢م) ، والحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ ٦٤٢ - ٧٢٨م) ، ومقاتل بن سليمان

(١٥٠هـ ٧٤٤م) ، وعطاء بن دينار (١٢٦هـ ٧٤٤م) ، والقرطبي (٦٧١هـ ١٢٧٣م) - صاحب (الجامع لأحكام القرآن) يقولون في تفسيرها « ان

الشرعة والشريعة هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة والمعنى أن الله جعل التوراة لأهلها ،

والإنجيل لأهله ، والقرآن لأهله ، وهذا في الشرائع والعبادات ، والأصل التوحيد لا خلاف فيه ، ولقد

جعل الله الشرائع مختلفة للاختبار ، فهو سبحانه للاختلاف خلقهم »

ولقد يكون مفيداً أن نُذكّر ، في هذا المقام ، بما قاله الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) عن أهداف الجهاد الإسلامي ، في ذات العصر والظروف التي عاش فيها المودودي ، قال

« لقد فرض الله الجهاد على المسلمين ، لا أداة للعدوان ، ولا وسيلة للمطامع الشخصية ، ولكن

* حماية للدعوة
* وضماناً للسلم
* وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون ، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل »

وأن الإسلام كما فرض القتال أشاد بالسلام ، فقال تبارك وتعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) »

فحماية الدعوة الإسلامية ، وضمان السلم لأوطان الإسلام ، وحرية الدعاة في ابلاغ صوت الإسلام إلى عقول الناس وقلوبهم هي مهام القتال في سبيل الله ، إن « الفكر الإسلامي » الخلاق ،

وتجسد هذا الفكر في « الدولة الإسلامية النموذج » هو الجهاد الأكبر للمسلمين في هذا العصر الذي نعيش فيه ، وتحقيقا لهذا الهدف للمسلمين ، عليهم ان يسلكوا كل السبل الملائمة سلماً كانت تلك السبل أو قتالا

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى رسوله ﷺ ، دينا لا ترقى إلى مقام حكمته

وعقلانيته واتساق عقيدته وشريعته اي من الديانات التي حرفها الأحبار والرهبان ، ثم طلب إليه أن يقول لمخالفيه (لكم دينكم ولي دين) فعلينا أن نجاهد لإقامة الوطن الإسلامي الذي يفوق أوطان الآخرين في القوة والحضارة والتقدم والاستنارة ، ثم نقول لهؤلاء الآخرين لكم دولتكم ، ولنا دولتنا ،

وليكن الابداع والعطاء الحضاري ، والتنافس في سبل التقدم الإنساني هي معايير الترجيح بين النماذج الحضارية ، كما هو الحال بين الشرائع والأديان ، (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) □

حكايات شرق وغرب

عندما بكى القاضي

كان والده هو مثله الأعلى ، شأنه في ذلك شأن أي طفل آخر ، فهو لايمكن أن يخطىء ، ولايمكن أن يرتكب شيئا ولكن الأب في واقع الأمر كان لصا كبيرا لقد انفصل الوالد « آرستو سري » عن زوجته وأم طفله « دايل » بالطلاق ، وحمل الرحل ابنه ليعيش معه ، لأن بينهما صداقة قوية دفعت الطفل الى التعلق بأبيه ، ورفض أية محاولة للتفرقة بينهما ولو لبضعة أيام ، عندما كانت الأم تجيء لرؤية ابنها
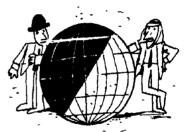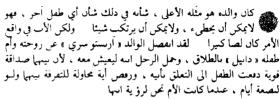
حتى عندما طردهما صاحب البيت بعد عجز الأب عن دفع الايجار ، رفض الطفل أن يفترق عن أبيه ، وفضل أن ينام معه في سيارته ، على أن يعود الى أمه ، وكان يقول كلما ألحوا عليه بالذهاب الى بيت والدته « ان الحياة جميلة طالما انني أعيش مع أبي !

ورأى الأب أن ينتقل هو وابنه للحياة في مدينة أخرى الى مدينة فلورنسا بايطاليا ، بعيدا عن مدينة كاليجاري التي كان يعيش فيها مع ابنه من قبل ، والتي كانت مسرحا لجرائم السرقة التي كان يرتكبها ، دون أن يقع مرة واحدة في قبضة رجال البوليس

ولكن الأب ما لبث أن اكتشف أن المال يعوزه حتى بعد أن باع سيارته ليسدد بها ديونه ، فقرر أن يعود الى السرقة ولو لمرة واحدة ، حتى يستطيع أن يدفع ثمن تذكرتي القطار الى فلورنسا

وشاء سوء حظه أن يقع في أيدي البوليس هذه المرة ، وقدم للمحاكمة ، وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر وسمع الطفل « دايل » الصغير القاضي وهو ينطق بالحكم ، فأسرع يتجه الى منصة القضاء ويقول وهو يبكي بحرقة ، « لقد كنت مع أبي وهو يسرق أنا أيضا سرقت ، ولابد أن تحكموا علي بالسجن مثله اني أريد أن أكون معه في أي مكان .

وبكى القاضي وهو يستمع الى حديث الطفل البريء ، واغرورقت عيناه بالدموع ، ثم نظر الى الأب ، وقال « غدا سعيد النظر في هذه القضية » !

وامتلأت قاعة المحكمة بالحضور في اليوم التالي ، وجاء دور قضية آرستو ، ونطق القاضي بالحكم الجديد « وقد رأت المحكمة وقف تنفيذ الحكم ، ووضع الأب تحت المراقبة !

ومن وراء القضبان ذهب الطفل وأبوه في عناق طويل
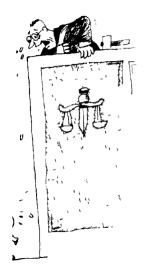
أرخص طريقة للرحيل

احتدم الخلاف بين الزوجين ، ونشبت بينهما معركة ، مالبث أن ترك الزوج على أثرها البيت ، وهو لايدري على وجه التحديد أين يمكن أن يمضي الليلة في هذا الجو البارد الذي هبطت فيه درجة الحرارة الى عشرين درجة تحت الصفر !

وراح الزوج يضرب في شوارع مدينة فيينا عاصمة النمسا على غير هدى وأخيرا استقر به المطاف في احدى الحدائق العامة ، وعلنه النعاس ، فقرر أن ينام فوق احدى الأرائك ، ولكنه قبل أن يفعل ، أمسك بقلمه وراح يسجل بضعة سطور في مفكرته الصغيرة ، ثم ما لبث أن أغمض عينيه واستسلم للنوم ! وهطلت الثلوج بغزارة حتى غطت جسمه كله ، وعندما جاء الصباح عثر عمال الحديقة على الزوج وقد تجمد من البرد وفارق الحياة وعندما بدأوا يبحثون في جيوبه عن شيء يمكن ان يقودهم الى معرفة شخصيته ، عثروا على المفكرة التي سطر فيها بعض كلمات قبل أن يذهب في نومته الأخيرة كتب يقول اني مفلس ، وقد وجدت أن هذه هي أرخص طريقة للرحيل عن هذه الدنيا !!

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

طفل للبيع في الدانمارك

أثارت سيدة دانمركية عاصفة من الاستنكار ، عندما وضعت اعلانا صغيرا في صحف كوبنهاجن تعرض فيه بيع طفلها الذي لم يولد بعد ، بمبلغ يوازي عشرة آلاف جنيه استرليني !!

ولكن السيدة وتدعى « هيلا نلسون » لم تبال بأصوات الاستنكار ، ووقفت في تحد تقول « نعم انني أريد أن أبيع طفلي انني لست أول أم تبيع طفلها لقد شاهدت مسلسلا في التلفاز بعنوان « دايستي » تبيع فيه احدى الأمهات طفلها ولكن الواقع ان الفكرة طرأت لي حتى قبل أن أشاهد هذا المسلسل ، أو عندما اكتشفت أنني حامل ، فقد فكرت في بادىء الأمر في القيام بعملية اجهاض للتخلص من الجنين فأنا أم لثلاثة أطفال ، أكبرهم في السادسة ، وأصغرهم لم يكمل عامه الأول بعد لقد بحثنا الفكرة أنا وزوجي مايكل ، ووصلنا في النهاية الى هذا القرار ، وهو أفضل بكثير ، كما ترون ، من التخلص من الطفل قبل أن يكتمل نموه ! انني لاأبحث عن المال بقدر ما أنا حريصة على أن ينشأ طفلي بين أبوين يمكن أن يقدما له كل الحب والرعاية ان هناك الكثير من الزوجات اللواتي حرمن من الانجاب ، وقد رزقني الله بثلاثة أطفال ، فلماذا لاأقدمه لاحداهن . . أنا أعلم أنه سيكون طفلا جميلا ، وسوف يصل في شهر ابريل المقبل !

ترى ما هو حكم القانون الدانمركي في تصرف هذه الأم ؟ لاشيء ، فقد أعطى القانون الآباء الحرية التامة في تصرفاتهم ازاء المواليد !!

« باتير » يتكلم
ويبحث عن عروس »

● منذ ثلاث سنوات حملت الصحف السوفيتية خبرا عجيبا نشرته على صفحاتها الأولى تحت عناوين عريضة تقول « باتير يتكلم ! وباتير هو الاسم الذي اختاروه لفيل صغير جاء من الهند ليسكن في حديقة الحيوان باحدى مدن جمهورية كازاخستان
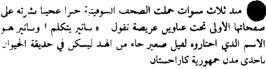
ولم يصدق الناس الخبر في البداية ، لكنهم ما لبثوا أن اكتشفوا الحقيقة عندما بدأوا يتوافدون على الحديقة ، ويستمعون الى « باتير » وهو يتحدث مع السيدة يليا بيلوسوفا المشرفة على قسم الحيوانات بالحديقة ، ثم ينصتون الى روايتها وهي تحكي لهم كيف سمعت صوت « باتير » وهو يحدثها لأول مرة - بالروسية طبعا - طالبا جرعة من الماء ! قالت يليا لقد خرجت كلماته بوضوح أذهلني ، فأسرعت أحمل اليه الماء ليروي ظمأه

وكانت يليا تجد متعة في الحديث عن حياة باتير الذي بلغ العام السادس عشر من عمره الآن ، فتمضي في رواية قصته لكل من يجيء الى الحديقة سائلا مستفسرا لقد أشرف حراس حديقة الحيوان على تربيته منذ أن حملوه اليها بعد ولادته في الهند ، وكانوا يتحدثون معه وهم يقدمون اليه الغذاء ويغسلون جسمه بالماء ، ولايفوتهم بعد ذلك أن يداعبوه ويمرحوا معه ، الى أن جاء اليوم الذي بدأ فيه باتير يتكلم . وكان ذلك منذ ثلاث سنوات ، ومازال الكلام يخرج من فمه حتى اليوم ، وهو يضع خرطومه في فمه ثم لايلبث أن يخرجه ، ومع خروج الخرطوم تخرج الكلمات التي حفظها « باتير » على مدى السنوات التي عاشها بين أصدقائه الذين يقومون بحراسة الحيوانات ورعايتها ، ان صوته عندما يتكلم أشبه ما يكون بصوت الانسان الذي يضع على فمه منديلا !

ولكنه قليل الكلام ، ولذلك فقد رأت ادارة الحديقة أن تضع جهاز تسجيل قريبا منه ، ليسجل كل كلمة يقولها عندما يخلو بنفسه بعيدا عن عيون الزائرين ، لكنه قرر في احدى المناسبات أن يخرج عن صمته أمام الناس ويتكلم ، وكان الزائرون مجموعة من الاطفال الذين جاءوا في صحبة والديهم الذين ما كادوا يستمعون الى حديثه القصير حتى استبد بهم الذهول !

المهم أن باتير الآن يبحث عن « رفيقة » تشاركه حياته في الحديقة ، وتستمع اليه وهو يتكلم ، وقد بدأ البحث بالفعل عن انثى رقيقة تؤنسه في وحدته ، ولكن لابد أولا من تخليصه من الآلام التي يعاني منها بسبب التسوس الذي أصاب أحد نابيه ، سوف يتصل المسؤولون بموسكو - على بعد ألفين وخمسمائة ميل - لارسال اختصاصي بيطري في علاج الاسنان ، وهو في حاجة الى مخدر حتى لايشعر بالألم وهم يحفرون نابه الكبير لحشوه بالبلاتين !

سرقة وتسلية!

بقلم : الدكتور عبدالسلامُ العجيلي

طويت الصحيفة التي كنت أقرؤ ها وأنا أبتسم ، فقال لي صديقي

ـ كأنك قرأت ما سرّك وأصحكك ، هل في الصحف هذه الأيام ما يدعو الى الابتسام ؟

قلت كنت أقرأ تحقيقا عن السرقات في فرنسا في العام الفائت ، فأضحكتني حكاية سرقة منها ، نكاد نعتمر أحيانا للسارق حرمه لطرافة أسلوبه في ارتكاب هذا الحرم

قال . هذا اللص الذي أعجبك أسلوبه في السرقة ماذا فعل ؟ ارو لي حكايته ، فقد أعطيك الحق فيما تقول

قلت ليس لصا واحدا ، بل مجموعة لصوص على ما يبدو والحكاية يرويها صحيتها لرجال الشرطة الدين جاءوا يحققون في سرقة منزله ، قال لهم أسكن أنا وزوجتي وحيدين ، في هذا المنزل في هذه الضاحية من ضواحي باريس ، منذ أربعة أيام خرجنا أنا وامرأتي في الصباح من دارنا لنتجه الى مقر عملنا في قلب العاصمة ، فوجئنا بأن سيارتنا الخاصة ليست حيث تركناها في الشارع أمام الباب ، سرقت ، اضطررنا الى التوجه إلى عملنا بسيارة أجرة أوصلتنا الى أقرب محطة مترو ، أبلغنا البوليس بالسرقة ، وعدنا في المساء الى بيتنا « بالمترو » ثم سيارة أجرة ، كان ذلك أمرا مزعجا ، على الرغم من علمنا بأن خسارتنا فيه ستكون محدودة ، لأن شركة التأمين ستعوضنا عنها ، وماكان أشد دهشتنا حين خرجنا من الدار في صباح اليوم التالي ، فوجدنا سيارتنا نفسها أمام الباب في موقفها المعهود ، تفقدناها فإذا هي في أحسن حال ، نظيفة المقاعد ، لم ينقص منها برغي واحد ، ورأينا على المقعد الأمامي ، في مكان جلوس السائق مظروفا فتحناه فوجدنا فيه ورقة مكتوبة بهذه الكلمات نشكرك أيها السيد ، ونعتذر إليك عن اضطرارنا لاستخدام سيارتك لليلة

واحدة ، نحن شباب من الضاحية القريبة ، وكنا بحاجة إلى سيارة تقلنا إلى حفلة يقيمها أصحاب لنا في قرية تبعد قليلا عن مساكننا ، كانت حفلة رائعة ، ما كان في إمكاننا أن نستمتع بها لولا استعارتنا لسيارتك ، كتعويض عن إزعاجنا لكما أنت والسيدة زوجتك ، نرجوكما أن تتقبلا منا هاتين البطاقتين لحفلة الباليه في أوبرا باريس مساء الأحد القادم ، معذرة مرة أخرى ، وتمنياتنا لكما بسهرة طيبة

قال الرجل في افادته لرجال البوليس : من كل قلبينا أنا وزوجتي ، عذرنا لأولئك الشباب ازعاجهم لنا في سرقتهم أو استعارتهم سيارتنا ، لولم نعذر لهم لعباراتهم المهذبة في رسالتهم لكان علينا أن نعذر لفطنتنا بالحصول على مقعدين في الأوبرا لباليه تعرض في باريس في عز الموسم ، من يستطيع أن يحصل على مثل هاتين البطاقتين إذا لم يقم بحجزهما قبل شهرين أو ثلاثة من موعد الحفلة ؟ وهكذا تركنا منزلنا في الضاحية منذ عصر يوم السبت ، وقصدنا حي الأوبرا في سيارتنا هذه المرة مرتدين أنا وزوجتي ثياب السهرة التي يحتمها مقعدانا المحجوزان لنا في صفوف الصالة المتقدمة . كانت حفلة رائعة ملأت متعتنا بها نفسينا امتنانا لهؤلاء الشباب الذين أتحفونا بها . تناولنا وجبة عشاء مابعد الحفلة في أحد المطاعم الجميلة على ضفاف السين ، قبل أن نستقل سيارتنا من جديد عائدين الى هذه الضاحية ، وبلغنا منزلنا ، فأدهشنا أن نجد بابه غير مقفل ، وكنت متأكدا من أني أقفلته حين تركناه عند الأصيل ، وكانت دهشتنا أكبر ، وكان ارتياعنا كذلك ، حين اشعلنا الانوار فوجدنا دارنا على ما ترونها أيها السادة بأعينكم الآن : قاعا صفصفا !

تلك كانت حيلة أولئك الشباب ، استعاروا سيارة الرجل المسكين ، ثم اعتذروا اليه ، وعوضوه عن إزعاجه ببطاقتين للباليه في أوبرا باريس ! ففي الفترة التي كان فيها الرجل وزوجته في نشوة تمتعهما برقصات نجوم الباليه ، كان أولئك الشباب ـ إذا كانوا حقا شبانا ـ منهمكين في نقل محتويات المنزل برمتها من أثاث وتحف فنية وأجهزة ثمينة ، مطمئنين الى أن رب البيت وربته لن يعودا من سهرتهما قبل منتصف الليل في هذه الضاحية البعيدة القليلة السكان ، بطاقتا سهرة ثمينتان حقا ، إلا أن مردودهما على السارقين كان أثمن منهما بما لا يقاس .

قال صاحبي معقبا على ما رويته له :

ـ لصوص أذكياء لاشك في هذا ، معظمهم من الأثاث والتحف الثمينة يتناسب مع ما يملكونه من وسائل في عالمهم المتقدم ، نحن هنا كذلك لانعدم لصوصا ظرفاء ، لهم اساليبهم الذكية التي تسوق الابتسامة الى الشفاه ، ويكاد أن يغتفر لهم معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم .

قلت : كأنك تعرف حكاية شبيهة بهذه التي أسمعتك اياها .

قال : بل حكايات ، أقص عليك واحدة من حسنها ، والقياس مع الفارق ، صحبة هذه الحكاية القديمة رجل من القرى المحيطة ببلدتنا الصغيرة اسمه موسى ، قصد موسى في ذات يوم المدينة الكبيرة ، فباع فيها صوف نعجاته وسمنها في الخان ، ثم انحدر الى السوق ليشتري حاجياته قبل أن يعود الى القرية ، كانت المعاملات آنذاك بالليرات العثمانية الذهبية ، قال له عميله التاجر بعد أن استوفى منه أربع ليرات ذهبية أخرجها من صرة في عبه : احذر النشالين في هذه السوق ياموسى ... أيديهم خفيفة وحيلهم كثيرة ، ربما رآك احدهم وأنت تخرج الليرات من عبك فلحقك ليختلس مابقي عندك منها دون أن تشعر ، قال موسى : لاتخف عليّ ... لم يبق عندي غير ليرة ذهبية واحدة هذه هي ... سأخفيها في مكان لاتصل إليه يد سارق ... انظر ! ووضع الرجل الليرة العثمانية الوحيدة التي ظلت في حوزته في فمه وأطبق شفتيه عليها .

ماقاله التاجر لموسى كان واقعاً معروفا عند كل باعة السوق ، وحقا ما كان هناك نشال واحد ، بل نشالان حدثتهما وقفة القروي على دكان عميله ، ومنظر الليرات الذهبيه التي دفع منها ثمن مشترياته ، سمعا تحذير التاجر كما سمعا جواب موسى وتصرفه ، فجر أحدهما رفيقه من يده هامسا له : لافائدة ، فقد أطبق عليها فمه ! قال له الآخر : أتراهن على أني أسلبه الليرة التي أطبق عليها شفتيه ؟ سأله الأول : كيف ؟ فأجابه بقوله : تنتظرني هنا ريثما أعود ... لاترفع عينيك عن الرجل ، واحجزه في السوق إذا اراد الذهاب ، ولن أغيب أكثر من خمس دقائق .

ولم يغب النشال المتكلم أكثر من تلك الدقائق

الخمس ، عاد بعدها فوقف في زاوية قريبة منتظرا انصراف موسى ، وحين تحرك هذا من مكانه وأخذ طريقه في السوق العتيقة الضيقة جاء النشال متعجلا من زاويته وصدم القروي صدمة انثنى لها نصفين ، وكاد يقع منها أرضا ، إلا أنه تماسك وأراد متابعة طريقه ، عند ذلك تمسك النشال به وصاح: لا تتحرك ! قال هذا وأشار الى الأرض تحت قدميه حيث كانت تلتمع أربع ليرات ذهبية أفلتت من يد النشال

لم يفهم موسى ماذا يريد منه هذا الرجل الممسك بثيابه فحاول التملص ، الا أن النشال قال له بصوت مرتفع: لا تتحرك قبل أن أجمع ليراتي التي تطايرت من يدي حين صدمتني... خمس ليرات عثمانية ذهبية ، هذه أربع منها فأين ذهبت الخامسة ؟

في هذه الاثناء لحق النشال الأول برفيقه متظاهرا بأن لا معرفة بينهما ، وراح يستفهم عما جرى أمام من اجتمع عليهما من المارة وأصحاب الحوانيت المجاورة: قال صاحب الليرات: كانت في يدي خمس ليرات ذهبية فصدمني هذا الرجل صدمة اطارتها من يدي... هذه أربع ليرات منها على الأرض ، ولن أتركه يتحرك قبل أن اعثر على الخامسة ! وهنا قال رفيقه: مادمت قلت هذا فان عندي شهادة لله اريد أن أؤديها... كنت قريبا منكما حين صدمك هذا الرجل... رأيته يتناول شيئا من الأرض ويدسه في فمه ، افتح فمك يا من لا تخاف الله !

ولك أن تتصور الآن ماذا أصاب موسى الذي كان يطبق شفتيه على ليرته الذهبية الوحيدة أمام هذه الواقعة التي لم تكن تخطر له على بال ، لم يفتح فمه ، غير أن غريميه المحتالين أخذا يصيحان به مرددين فمك ! وانضم اليهما في الالحاح عليه بأن يفتح فمه المتجمهرون حوله من أهل السوق ، بل ان أحدهم أمسك برأسه بين يديه ضاغطا على فكيه بقوة ، وفتح المسكين فمه في النهاية ، فسقطت الليرة الذهبية في يد النشال الذي ما لبث أن انسحب مسرعا يتبعه زميله ، تاركا صاحبنا القروي لأيدي المتجمهرين الذين انهالوا عليه صفعا وركلا ، ثم نتفا لشعر ذقنه وشاربيه

جاء دوري في الضحك من حكاية المحتالين التي رواها صديقي . قلت له

- لولا ما تعرض له ذلك القروي المسكين من اعتداء الجمهور عليه لهتفت إعجابا بمهارتهما ، لم يحتاجا الى كل تعقيدات اللصوص الباريسيين للحصول على متاعهما ، دكيان حقا ، ألست معي في أن طرافة الأسلوب في السرقة تشفع في خروج هؤلاء على القانون وأحكامه ؟

قال: هذا ما لا أوافقك عليه ، انا لا اؤمن بالأسباب المخففة مهما كانت طبيعتها ، القانون يجب أن يطبق على جميع الناس بصرامة ، وأن ينفذه دوو السلطان على الخارجين عليه دون هوادة ، وعلى الرغم من إعجابي بحيلة ديك النشالين ، وحيلة اللصوص الفرنسيين قبلهما ، فالسارق يظل في نظري سارقا أيا كان أسلوبه ، لماذا تبتسم هكذا ؟

كنت في الواقع أبتسم للهجته المتشددة في تجريمه للصوص ، ولخاطرة قفزت من اعماق ذاكرتي عندما أشار إلى ذوي السلطان الذين عليهم أن يطبقوا القانون دون هوادة ، سألته

- هل سمعت بعمرو بن عبيد ؟

قال: ما أظنني أعرفه ، من يكون ؟

قلت: هو أحد أئمة المعتزلة ، ومن أشهر الزهاد والوعاظ في مطلع العصر العباسي... مرّ هذا الفاضل بجماعة وقوف على رجل فسأل عن الأمر ، قالوا له هؤلاء رجال السلطان يقومون بقطع يد سارق ، فقال: لاإله إلا الله... سارق العلانية يقطع سارق السر !

وهنا سكت صديقي لحظة كأنه كان فيها يتملى من كلمة عمرو بن عبيد ، وما لبث ان ترك لهجته المتشددة وقال

- هذا كلام لا يطبق على زماننا ، سارقو العلانية في هذه الأيام هم تاج رؤوسنا ، والمتفضلون علينا بخيرهم ، لولاهم لما صح لنا ان نأكل ونشرب ونتنفس الهواء من مناخرنا ، ولو أنه هواء مشحون بدخان مراكبهم المطهمة ، وبفضلات ترفهم وتسلياتهم ، اسكت عن هذا الموضوع يرض الله عليك ، واترك ما قاله الأولون لزمانهم الأول

ولما كنت أعرف أن لصاحبي سوابقه في التعامل مع من ذكرهم عمرو بن عبيد ، وكنت أعرف أن من تلدغه الحية يخاف من قطعة الحبل الملقاة أمامه ، فقد اكتفيت من التعليق على كلامه بمتابعة الابتسام ، وأطعته فسكتّ □

شعر : الدكتور محمود الشلبي*

قبْل لغْو العصافير ،
والفجرُ متشحٌ بالندى والضَّبابْ
كان طَيْفٌ يحاورني
وأنا ماثلٌ بين نبْض المدَى ،
واشتعال الترابْ
يومَها
كانت الأرضُ تنهضُ منْ صحْوها ،
ترْتدي ثوبها القرمزي ،
المطرز بالآس ،
والزعفران المذابْ
قالت الأرضُ للشمس ،
والشمسُ تعرقُ في برْقها المشرقيّ ،
وتصعدُ في سُلَّم من سرابْ
ليت لي شعرك الذهبيّ ،
الموزّع بين السّماء ،
وأبعد ما ترتضيه الحرابْ
ليت لي أنْ أحابْ
فأنا أشتهي صورة الموت في الحبّ ،
ينقلُها الموج للشجر الغض
والشجر الغض ينقلها للسّحابْ
انني الأرضُ سيفٌ وغمدٌ
فأنا الارضُ غمْدٌ لسيف الشهيد ،
وسيفٌ لغمْد الشموس ،
ولي منزلٌ في الكتابْ
انني الأرضُ أسْلمْتُ
كُل الفصول لصوتي ،
وآدار للريح تزرعُ أنفاسها ،
في بطون الهضابْ
أيها البشرُ الغارقون بهذا الخرابْ
انني الأرضُ قلبي يفجّرُهُ الرَّفضُ
والرفضُ طقسُ الشهادة ،
والنارِ ،

* شاعر وكاتب ، وأكاديمي في وزارة التعليم العالي ـ من القطر الأردني

والطلقة ،
الكلمةِ ،
الحجرِ ،
الوردِ
والرفصُ تأشيرةٌ لِلْعُبابْ
انّي الأرضُ قلبي يُفَجِّرُهُ الرفْصُ ،
يا أيها النائمونَ على حُلُم مِنْ يبابْ
انـزلـوا ، مصْعَـد اللهـو في نــاطحَـاتِ السحابْ
انزلوا واحداً واحداً
واشهدوا غَضَبَ الأرض ،
أوْ فاتركوا لِحُكْمْ للكلابْ
كانتِ الأرضُ تَنْهضُ مِنْ صَحْوِها
رَحْبَةَ الصَّدْرِ ،
في يدها سلةٌ من ضُلوعِ النَّحيل ،
بها برتقالُ السهولِ ،
وطيرٌ على غُصْنِ داليةٍ ،
من كروم الخليلْ
كــان مــرجٌ من القمــح في وجهها والعيونْ
أخذَتْ شكْلَ زيتونها
في التراب الأصيلْ
كان في هذه الأرضِ ذاكرةٌ ،
من عذابِ نبيلْ
صعَّدَتْ طَرْفَها لفضاءٍ ،
منَ النَّوْم والحُلْم ،
واهتزَّتِ الأرضُ لما دعتها الخيول
قالت الأرضُ للشمس ،
والأرضُ محفوفةٌ بالقيودْ .
جئتُ ، هل ألتقي بالبنودْ ؟
قُمْتُ كي أستقرَّ على راحةٍ ،
للشهيدِ الجديدِ ،
المُسافِرِ نَحْوي ،
على فَرَسٍ من رعودْ
قالتِ الشمسُ للارض ،
والأرضُ تنثُرُ أبناءَها
ثمراً داميَ الخَدِّ
هذي الحجارةُ طلقاتُهمْ ،
والأناشيدُ تعبر باب العمود

* . * * *

امْدُدي حُلُماً أخضر اللونِ ،
أوْ غُصْناً مِنْ دم اللونِ ،
أوْ غُصْناً مِنْ دَم الكونِ ،
أوْ صَحْوةً مِنْ شهيقِ المدائنِ ،
ثُمَّ اتبعيني
الى قمة « الكرمل ـ اليوم ـ
أو رأس « عيبال » ،
و « الطور »
كي تمتطيي
لكِ اللهُ أيتها الأرضُ ،
يا جَسَداً من دمٍ ،
غارقا في حنيني
لك اللهُ أيتها الأرضُ ،
يا حَجَراً رافضاً ،
أشْعَلَ الصَّمْتَ ،
والوقتَ ،
في شارعِ للجُنونِ ،
فاسكبيني اسكبيني ،
على قببِ القُدْسِ ،
وانتظري فرحةَ العُرْسِ ،
قادمةً كالنهارِ المضيءِ
على بيْرقٍ في جبيني .

استطلاع :
أبو المعاطي أبو ا
تصوير :
فهد الكوح

تلك هي الجزائر ويرتعش القلب فأنت لا تملك أن تكون محايدا في زيارتك الأولى للجزائر !

لاشيء ولا أحد سوف يمنحك هذه الفرصة ، على الاقل في الساعات الأولى ، أو في الأيام الأولى

صحيح ان الجزائر دولة تنتمي الى العالم الثالث ، مثله عانت من الاستعمار ، ومثله دفعت ثمنا عاليا للحرية ، ومثله بدأت رحلة البناء من الصفر تقريبا ، ومثله واجهت مشاكل البحث عن هويّة،ومشاكل التنمية دون امتلاك كل أدواتها ، ومشاكل الحيرة بين أهل الثقة وأهل الخبرة ، ومشاكل البحث عن صيغة للديمقراطية ، توفر قدرا من الحرية والمساءلة والمشاركة في صنع القرار مع المحافظة على الوحدة الوطنية ، ومع توفير القدرة على الانجاز السريع في بلد يبدأ من الصفر

صحيح كل ذلك ، ولكن صحيح أيضا أن استعمار فرنسا للجزائر كان يختلف عن أي استعمار آخر لأي بلد آخر فقد كان استعمارا استيطانيا لا يرضى بأقل من الالتهام ، يكفي انه دام ١٤٠ عاماً ، وانه احتاج لاقتلاعه حرباً دامية شرسة ، شاركت فيها كل طبقات الشعب الجزائري وفئاته ، قرابة ثماني سنوات متصلة وعاصفة ، بعد عشرات الثورات والانتفاضات المتفرقة عبر سنوات الاحتلال الطويلة المظلمة !

وترتب على ذلك أن سلطة الثورة في الجزائر ، كانت من الحالات القليلة في العالم الثالث التي لم تصل الى الحكم بانقلاب عسكري مفاجيء ، تحتاج بعده الى جهد ووقت ، لإثبات شرعيتها وحسن نواياها وكفاءتها ، بل هي سلطة خرجت من غبار كفاح مرير ، وتعمدت كل عناصرها بالدم والعرق والتضحيات والدموع ، ونتيجة لذلك شهدت سلطة الثورة في الجزائر أقل قدر من التقلبات ، بالنسبة لغيرها من السلطات التي حملتها رياح الثورة الى الحكم في العالم الثالث ، مما ضمن للجزائر فرصة أفضل وأطول للانجاز والعمل المستمر والمكثف ، وصحيح كذلك أن الجزائر تمتلك موقعا فريدا في القلب من الشمال الافريقي ، والمغرب العربي ، وحوض البحر الابيض المتوسط ، واكبر مساحة لدولة عربية بعد السودان وأرضا غنية بما فيها من معادن وقابلية للزراعة ، وكثافة بشرية تصل الى عشرين مليونا من السكان ، فكيف لا يرتعش القلب ، وهو يخطو خطواته الأولى فوق ارض المليون ونصف المليون شهيد ؟!

مقـــام الشـــهيد :

كان الوقت صباحا ، حين وقفنا - زميلي المصور وأنا - أمام نصب مهيب شامخ يطل على ميناء الجزائر ، نستمع الى السيد / حسن مريبعي وهو يشير الى جهة الشرق قائلا

« هنا في غابة الاقواس على مقربة من هذا النصب انعقد اول اجتماع سري للتحضير للثورة ، وهناك في جهة الغرب اقام المستعمرون مركزا لتعذيب المجاهدين ، الذين يتمكنون منهم ، لذلك اختير هذا المكان بالذات لاقامة هذا النصب الذي بني على شكل نخلة طولها ٩٢ مترا ، وحولها تلتقي هذه الشُعَبُ الثلاث المصنوعة من البارلت ، وهي ترتفع من الأرض في شكل أقواس مفتوحة الى الخارج ، يتعانق انحناؤ ها الى الداخل مع النخلة في نقطة واحدة عند ارتفاع ٤٥ متراً ، وهذه الشُعَبُ الثلاث ترمز الى الثورة الصناعية والثورة الزراعية والثورة الثقافية ، وبينما انهمك زميلي المصور في التقاط صوره كان السيد حسن مريبعي يستطرد قائلا

وكما ترون فان هذا النصب المعروف بمقام الشهيد قد انشيء في ساحته وعلى بعد خطوات منه ذلك المجمع الثقافي الضخم الذي تتعدد طوابقه تحت الأرض وفوقها ، وقد افتتحه بالامس الرئيس الشاذلي

اس حديد ، ولدلك فسوف تتاح لكم فرصة زيارته ، وهو يحتوي العديد من المعارض الحديثة التي تقدم لكم لمحات عن الجزائر بعد حوالي ربع قرن من الاستقلال ، لكن قبل أن ترورروا هدا المجمع الثقافي اقترح عليكم أن ترورروا المتحف الخاص بمقام الشهيد الموحود اسفل هدا النصب

ميراث الغضب :

هبطنا الدرج ، لفت نظري طابور من تلاميد المدارس تتراوح أعمارهم بين الثامنة والخامسة عشرة تقريبا ، يتجهون في نظام بديع الى داخل المتحف ، انهم طلائع الاجيال الجديدة التي اصبحت الثورة بالنسبة لهم حكايات يرويها الآباء والمدرسون ، واقتربت منهم اسألهم عن مدارسهم واسمائهم وماذا يدرسون ؟ ولأول مرة اسمع لغة عربية خالصة لا تختلط بأي كلمات فرنسية

في صالة المتحف استقبلتنا شابة ذات شخصية قوية متميزة

- اسمي عائشة أهلا بكم

● السيدة عائشة هي التي تقود الزوار في رحلة حية رائعة عبر ١٤٠ سنة من تاريخ الجزائر هي كل تاريخ الاحتلال ، وأيضا تاريخ مقاومة الاحتلال !! كنا ستقل عبر صالات المتحف الرائعة التنسيق ستمع الى السيدة عائشة ، وهي تتحدث ، وهي تشير الى الصور والرسوم والوثائق والاسلحة والمعدات ، والملابس ، والنماذج المجسدة ، كل صالة تختص بمرحلة ، بموضوع ، بحادثة أو احداث بترتيب التاريخ ، « الكثير من هده الوثائق تم الحصول عليها بعد اتفاقيات تبادل الأرشيف مع فرنسا ضمن اتفاقيات « إفيان » بعد الاستقلال »

هده صورة الأمير « عبدالقادر » رسمها فنان فرنسي اعجب بكفاح الامير ، وقد ظلت هده الصورة في متاحف فرنسا حتى اهداها « فاليري جيسكار ديستان » رئيس الجمهورية الفرنسية الى الرئيس « هواري بومدين » ثم تستطرد في الحديث عن الامير عبد القادر « لقد قاوم الفرنسيين سنين طويلة ، وحرر داخل الجزائر دولته المستقلة ، واقام بداخلها مدينة عسكرية سماها « الزمالة » ، ولم يكن
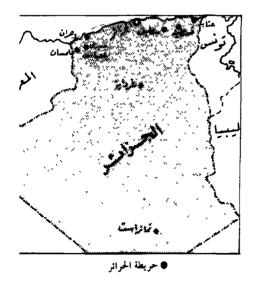
● خريطة الجزائر

لهده الدولة مكان ثابت ، فخلال حربه الطويلة ضد الاحتلال الفرنسي كان ينتقل بدولته بين الاقاليم والغابات والجبال ، ينتقل بجنوده وأسلحته وقوانينه ونظمه ونقوده التي سكها باسمه ، ليتعامل بها مواطنو دولته ، كانت دولة تقوم على القيم الاسلامية والتقاليد الجزائرية ، التي تقدس الجهاد والتضحية والتعاون ، ولم يسلم الامير إلا بعد ان قبض عليه بالخديعة من الفرنسيين ، ونفي الى باريس ثم الى دمشق »

واتطلع الى وجوه الأولاد والبنات ، وهم يستمعون الى دراما التاريخ الهائلة ، بعضهم يكتب في دفتر صغير وبعضهم ينصت ، وبعضهم تشده الصورة والرسوم والمجسمات والأسلحة ، وبعضهم يتحدث الى زميله في همس ، وأتساءل في صمت ماذا يمكن حقا أن تعني هده الكلمات لهؤلاء الصغار ؟

وما الذي يمكن أن تصير إليه تضحيات الرجال ، وآلامهم وعذاباتهم ؟ سنين قاسية حين تتحول الى كلمات تتردد في صمت متحف فاخر أنيق لتلاميذ صغار !!

وأفيق من تساؤلاتي على صوت السيدة عائشة وهي تشير الى احدى الصور المعلقة :

● هذه الصورة للمظليين الفرنسيين ، وهم يفتشون أهالي المنطقة لعزلهم عن ثوار جبهة التحرير ،

● في أعلى الصفحة الى اليمين «حديث الذكريات على الرصيف» وفي الوسط الأغنام ترعى في سهول سطيف اسفل مواسير لنقل مياه الشرب للجزائر العاصمة
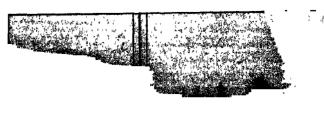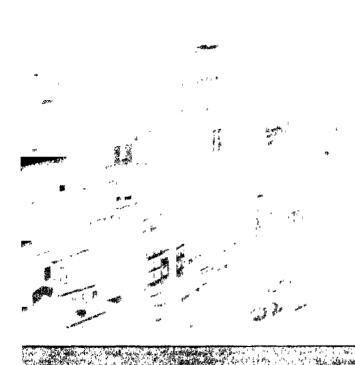
● في أعلى الصفحة الى اليسار « مدينة الجزائر عمرانها على البحر المتوسط » أسفل قرية اشتراكية في ولاية تيارا

وهم هنا يعتقلون فتاة مجاهدة اسمها « ملكة سحنون » وهي ما زالت على قيد الحياة ، وأما لطفلين بمدينة « وهران »

ومرة أخرى تستغرقني التساؤلات كيف تحيا الآن مثل هذه السيدة ؟ انها ليست في شهرة جميلة بوحريد ، أو غيرها من الجميلات ، كانت يوما ما بطلة ، انه حتى الابطال لا يمكن أن يعيشوا على بطولاتهم طوال العمر ، عليهم أن يتناسوا هذه البطولة ، وفي مرحلة جديدة ، ربما كان عليها أن تذهب الى أحد مراكز « التكوين » بالجزائر ، لتتعلم مهنة جديدة ، فالتضحية حتى بالدم لا تصلح مهنة دائمة ، ربما كان عليها ان تقف في طابور لتشتري ما تحتاجه أسرتها ، وهذه بطولة من نوع آخر ، هذا الجيل كله . . عاش حياته بين ضرورتين ، ضرورة أن ينسى ، وضرورة أن يتذكر ، فالاجيال الجديدة لا يجب أن تنسى ثمن ما تنعم به من حرية ، ولكن هذه الاجيال الجديدة ذاتها هي التي تفرض على الآباء أن يتعلموا مع ابنائهم منطق مرحلة جديدة من الكفاح والبناء ، تمنح فيها أوسمة البطولة ، لمن يعرف كيف يحرث الأرض ، ويقود الجرار ، ويصنع الآلة ويصونها ، ويبني السدود ، وبالتالي فعليهم ان يتعلموا النسيان ايضا !!

وأتذكر كلمات قرأتها في رواية « نهاية الامس » للاديب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة وهو يصور مصرع الشيخ حمودة « أيتها الأرض ، حدثي من يمر من الأجيال أن الثمن كان باهظا ، وأن وجهك الأخضر كان ذات يوم احمر قانيا بدماء الابرياء ، حدثي من يأتي من الاجيال القادمة أنك شربت من دماء أبنائك البررة ، ما لايدع العطش يمتد الى عروقك أبد الآبدين »

الوجه الآخر لمقام الشهيد :

المسافة التي مشيناها من مقام الشهيد الى المجمع الثقافي لا تستغرق سوى دقائق معدودة .

ولكن هذه المسافة بمعنى آخر تنقلنا قرابة ربع قرن من الزمان ، بين نهاية الرحلة التي صحبتنا فيها السيدة عائشة ، وبين بداية الجولة التي يصحبنا فيها الأخ محمد العراقي مرافقنا الدائم

● كل هذه المعروضات التي تروها في واجهات هذه المحال ، هي من إنتاج وصناعة الجزائر ، أقمشة ، ملابس جاهزة ، حقائب جلدية ، أحذية ، لعب أطفال ، مفارش ، أثاث ، أدوات مطبخ ، أجهزة كهربائية ، أدوات تجميل الخ

هكذا بدأ الأستاذ العراقي حديثه ، ونحن معه نتفرج ونستمع الى موسيقا حديثة تنبعث من بعض المحال التي تبيع اشرطة التسجيل ، الصالات فسيحة ، تتخللها مقاعد للاستراحة وأحواض زهور ، ونوافير مياه ، شبان يرتدون الجينز ، وفتيات يرتدين البنطلونات ، ورجال ونساء من مختلف الاعمار بملابسهم الوطنية او الافرنجية ، يتنقلون ، ويستمتعون بالشراء أو الفرجة ووجدتني أسأل الاستاذ العراقي لماذا سميتموه المجمع الثقافي ؟؟

انت لم تر كل شيء بعد ! هناك مكتبة عامة للجمهور ، وهنا قاعات للعروض الموسيقية الحديثة ، وللعروض السينمائية ، ومسرح ، وثمة قاعات للتدريب على أجهزة الإعلام الآلي لمختلف المستويات بأجور رمزية و ومقاهي ومشاهد ، وسألت

هل الدولة هي مالكة كل هذه المعارض والمحال ؟ الدولة سمحت للقطاع الخاص بأن يقوم بدور في هذه المحالات ويعرفنا الأستاذ العراقي بصاحب قاعة صغيرة للسينما في المجمع

لقد عاش الرجل في فرنسا اكثر من عشرين عاما ، واصبح لديه رأس مال ، وعاد اخيراً مع اسرته ليعيش ويستثمر امواله في وطنه الجزائر ، وكان استئجاره لهذه الصالة هو البداية ، ويحدثنا الرجل عن السينما في الجزائر .

انها حديثة نسبيا ، لكنها قطعت شوطا كبيرا في تطورها ، لدينا مخرجون لهم أسلوب متميز ، وحصلوا على جوائز عالمية ، ويستطرد وهو يفرجنا على القاعة التي تتسع بالكاد لحوالي ٣٠٠ متفرج

« ستكون لعرض أفلام متميزة جزائرية أو عالمية للجمهور الخاص الذي يحب هذه النوعية من الافلام ، الهدف ليس تجاريا بحتا ، ولكنه يتسق مع أهداف المجمع الثقافي »

هل هو سحر التاريخ الذي تـراه في طرز المبـاني الرومانية والعثمانية والعربية والأوربية ؟! أم سحـر المكان حيث تنتشر المدينة بعمائرهـا وقصورهـا فوق مجموعة الهضاب العالية التي تطل على البحر الابيض المتوسط ، وعلى منحـدراتها وسهـولها وسط غـابات وأشجار كثيفة الخضرة عميقة الظلال ؟!

أم سحر الشوارع التي تشعر انها لا يمكن ان تكون اكثر سعة او استقامة أو استواء ، انها طرق معقـدة حقا ، ولكنك تشعر ان عمرها من عمر هذا الجبل الذي ترتفع معه وتنخفض ، تستقيم وتلتوي ، كأنها تجاعيد الزمن على وجه مدينة

دائما كنا نسعد بالطريق الطويل من الفندق الى أي مكان نذهب لزيارته ، وفي هذا اليوم كنا في الطريق الى وزارة الصناعة الثقيلة

الصناعة أساس كل تنمية :

في وزارة الصنـاعـة الثقيلة استقبلنـا السـادة / استنبولي ابراهيم نائب مديـر العلاقـات الدوليـة ، « وعـلاوي الزبـير » « وبن عرو اليـاس » من قسم التعاون بالوزارة - ورحبوا بمجلة العربي في الجزائر ، كانت الساعة تقترب من الرابعة بعد الظهر ، ويوم العمل في الجزائر يستمر حتى الخامسة ، قلت لهم

- يعني أمامنا ساعة ! قالوا ، لا خذ من الوقت ما تحب ، ويبدأ الحوار .

● من الملاحظ ان خطط التنمية في الجزائـر منذ بداية الاستقلال وحتى اوائل الثمانينيات كانت تركز عـلى الصناعـة الثقيلة ، كانت نسـبة الاستثمـار في الصناعة ٢٠٪ مقابل ٣٪ للزراعة في المرحلة الأولى ، كما تشير بعض المصادر ، مع ان الجزائر في الاساس بلد زراعي فما اهم دواعي هذا التوجه ؟

* * *

- كان ترسيخ قاعـدة الاستقلال الاقتصـادي هو اهم الاهداف ، كنا خارجين من حرب التحريـر ، وكنا مدركين ان الاستقلال السيـاسي لن يكون لـه معنى الا بالاستقلال الاقتصادي

« من الصناعة الثقيلة يمكن أن نتطور لخلق نسيج صنـاعي متكـامـل يبـدأ من الصـنـاعـة الثقيلة الى التحويلية الى الخفيفة .

● رابح قدور مدير التخطيط بوزارة الفلاحة

يا له من عالم مختلف :

في هـذا المجمع الضخم يتعـايش القـطاع العـام والخاص ، تتعايش التجارة والثقافة ، تلتقي أجيال الخيم وأجيال الغناءات والموسيقا الحديثـة والموسيقـا التقليدية ، هل لهذا كله معنى ودلالة ؟

لا يجب أن نقفز الى النتائج ، لقد جئنا لنتعرف على رحلة الجزائر مـع التنمية بعـد قرابـة ربع قـرن من الاستقلال ، فلماذا لا نبدأ من حيث ينبغي ان تكون البداية ؟

ونتـذكر ان لـدينا في الغـد موعـدا في وزارة الصناعة الثقيلة ، فلا نتردد في قبول دعوة الرحل المضيـاف صاحب دار السينـما الى فنجـان قهـوة في (كافتيريا) مجاورة يديرها لحسابه أيضا في المجمع

مدينة جميلة جميلة :

لا اليـوم الأول ولا الثاني ولا الثـالث في مـدينـة الجزائر يمكن أن يقلل من إحساسك بأنك في واحدة من أجمل المدن التي رأيتها في حياتك ، وبأنك مأخوذ بسحر هذه المدينة الذي يتحداك أن تمسك به ، أو أن تتحرر منه ، أو تألفه ، من أين يأتي هذا السحـر ؟

● في أعلى الصفحة « في مركب المحركات والحرارات بجوار قسنطينة » في أسفل الصفحة الى اليمين « شباب جزائري في مركز تكوين مهني »
الى اليسار صفائح لصناعة مواسير مياه الشرب

نفق في الجبل في الطريق الى قسنطينه

مصنع الروافع والجرافات

« من ناحية أخرى فإن إيجاد مثل هذا النسيج الصناعي المتكامل كان يحتم علينا ان نعمل على إعداد آلاف من الايدي العاملة في مختلف مستويات العمالة ومختلف مجالات العمل ، مما يعني اننا سنخلق ثروة بشرية هائلة ، يمكنها ان تواصل تطوير الصناعة في البلاد ، في الوقت الذي كانت فيه مثل هذه الآلاف من الايدي تنتظر فرصة عمل منتج كريم في الجزائر الاشتراكية المستقلة »

● من ناحية ثالثة فان مثل هذا النسيج المتكامل ضروري لتطوير التنمية الشاملة في كافة القطاعات الاخرى ، كالبناء والري والزراعة والمواصلات وغيرها ، ويتصل هذا باشارتك الى ان الجزائر بلد زراعي ، هذا صحيح ، لكن تنمية الزراعة على أساس تقني حديث كان يحتاج الى مثل هذه القاعدة الصناعية ، التي تمدنا الآن بكل ما يحتاجه قطاع الزراعة من جرارات وآلات حرث وغرس وحصاد ، وأنظمة حديثة للري ، حيث يعتمد الري في الجزائر على اقامة السدود ، ومد شبكات الانابيب فليست لدينا انهار ، فالسدود ضرورية لاحتجاز مياه الامطار التي تسقط على الهضاب العالية ، والانابيب ضرورية لنقل هذه المياه الى الاراضي الزراعية ، واجهزة الضخ والرش ضرورية لري المرتفعات أو السفوح أو جذب المياه الجوفية

صعوبات على الطريق :

● من الملاحظ ان عملية التنمية الصناعية في الجزائر مرت بمراحل متعددة ، وواجهت بعض الصعوبات ، ربما بسبب ضخامة انجازاتها ، وفي اطار الاعداد للخطة الخمسية الاخيرة التي بدأت في عام ١٩٨٣/٨٢ ، جرت مناقشات واسعة لهذه الصعوبات ، واسفرت عن تبني تطويرات جديدة في الصناعة في الجزائر ، هل يمكن ان تلقوا الضوء على اهم هذه الصعوبات ؟ ثم على أبرز ملامح السياسة الجديدة في قطاع الصناعة ؟

ـ الصعوبات التي واجهتنا كانت هي صعوبات البداية من الصفر ، ومع ذلك ففي المرحلة من ٦٧ الى ١٩٧٨م امكننا ان ننشيء ونطور عدة مؤسسات صناعية كبيرة في قطاعات « المناجم » ، « الحديد والصلب والألمنيوم » ، « الصناعات الميكانيكية » ، « الصناعات الالكترونية » « الكهرباء »

السمة العامة لهذه المرحلة هي انها كانت مرحلة نشر وتكثيف للمؤسسات الصناعية ، صحبها جهد مكثف لتوفير عناصر بشرية مدربة ، وخلق تقاليد صناعية

أهم صعوبات هذه المرحلة هو اختلال التوازن بين انشاء المصانع بسهولة نسبية ، ووفرتها فوائض البترول والغاز ، وصعوبة اعداد العناصر البشرية المدربة ، القادرة على ادارة وتشغيل وصيانة كل هذه المصانع بالكفاءة المرجوة ، وكان من الطبيعي نتيجة لهذا ان تظهر مشكلات تتعلق بمستوى الانتاجية ، والتحكم في التقنية ، وحسن استثمار التجهيزات الصناعية التي أصبحت متوفرة

أيضا برزت صعوبة التضخم في حجم ومسئوليات هذه المؤسسات ، الأمر الذي أدى الى شيء من النقص في تحقيق التكامل بالصورة المأمولة بين هذه المؤسسات وبعضها من ناحية ، وبينها وبين بقية القطاعات الاخرى التي تتعامل معها من جهة ثانية

هذا ما يتعلق بالجزء الأول من سؤالك عن أهم الصعوبات ، أما فيما يتعلق بالجزء الاخير ، عن اهم ملامح السياسة الجديدة

● قبل ان ننتقل الى الجزء الاخير من السؤال لدى سؤال يتصل بالصعوبات يقال إن رغبة الدولة في توفير فرص عمل للجزائريين والجزائريات أثقل كاهل قطاع الصناعة بعمالة قد لا تكون كلها منتجة بالقدر المطلوب ؟ وزاد من التكلفة ، إلى أي حد يعتبر هذا الكلام دقيقاً ؟

ـ ربما حدث شيء من هذا بالنسبة للوظائف الادارية أو في قطاعات الخدمات ، لكنك لا تستطيع ان تضع أمام الآلة شخصا غير مدرب ، جميع العاملين في مجال الانتاج تم تكوينهم ، لكن جوهر المشكلة ان المستوى المطلوب قد لا يكون بالاعداد المطلوبة ، وإعداد العامل بالمستوى اللازم يحتاج الى وقت وامكانات ، لا تتوفر بين يوم وليلة »

سياسة جديدة في الصناعة :

● اذن ما اهم ملامح السياسة الجديدة في قطاع الصناعة ؟

قال السيد علاوي الزبير :

● قادر محمد
مسئول الزراعة بولاية تيبازا

● مسعود تاره
مسئول مشروع تزويد العاصمة بمياه الشرب

« ان السياسة الجديدة نبعت من دراسة الصعوبات التي واجهتنا في المراحل السابقة

فلمواجهة مشكلة « تكوين الأيدي العاملة » بشكل جذري ، وهي واحدة من أهم المشكلات التي تواجه الدول النامية ، تم إنشاء وزارة التكوين المهني لتكون رديفا مساندا للتعليم العام ، وللجامعة ولوحدات التكوين التابعة لوزارة الصناعة ، وليتم تكوين الايدي العاملة على مستوى الوطن لمختلف القطاعات الاخرى كالزراعة والري والانشاءات الخ

ولمواجهة ظاهرة التضخم في حجم ومسئولية المؤسسات الصناعية ، وما يؤدي اليه من نقص في التكامل أو في مستوى الانتاجية أو التحكم والمتابعة ، تمت إعادة هيكلة المؤسسات الصناعية (وجدير بالذكر ان عملية اعادة الهيكلة ، لم تكن مقصورة على قطاع الصناعة ، بل شملت الزراعة والري والانشاءات . الخ) كما انها لم تكن ذات طابع فني او اداري فحسب ، بل كانت لها ابعاد اجتماعية وسياسية

من اهمها :

● دعم الاتجاه نحو اللامركزية ، واعادة توزيع المؤسسات الصناعية وغيرها على كامل التراب الوطني وفق اعتبارات منها

● توفير فرص العمل في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية

● أن يساعد هذا التوزيع على تحقيق التوازن والتكامل بين المؤسسات الصناعية من جهة ، وبينها وبين القطاعات الأخرى ذات العلاقة من جهة اخرى ، والجماهير ذات المصلحة

● بالاضافة طبعا الى ان تركيز كل مؤسسة على فرع معين من الصناعة يؤدي الى زيادة التحكم في التسيير ، والارتفاع بمستوى الانتاجية كما وكيفا ، وكفاءة استخدام التجهيزات الصناعية

وفي هذا الاطار ، وكمثال ، اصبح قطاع المناجم يضم ٥ مؤسسات ، وقطاع الحديد والصلب يضم ١٤ مؤسسة الخ وباختصار لدينا الآن في وزارة الصناعة الثقيلة ٤٧ مؤسسة،منها ١٤ مؤسسة خاصة بالدراسات ومتابعة الانجاز ، ويبلغ عدد العمال الآن في قطاع الصناعة الثقيلة حوالي ٤٢ ألف عامل . . !

● اذا كان الهدف الاساسي لأي صناعة هو تلبية حاجات السوق الوطني ، فان آلية التطور الصناعي تحتم العمل من اجل التصدير ، فأين تقف الصناعة في الجزائر بين السوق المحلي والخارجي ؟

مازلنا دون القدرة على تلبية حاجات السوق المحلي

● في أعلى الصفحة الى اليمين /
بيت من الطراز القديم أسفل /
حديث على مهل بين عجوزين
لا أحد يستعجلها - في أعلى
الصفحة / سد قدارة بالجزائر حيث
تشكل السدود نظاما متكاملا للري -
في الوسط / في مدينة برج بوعريرج
نصب للشهيد - الى اليسار /
شارع في نفس المدينة يظهر فيه
التأثير الأوربي
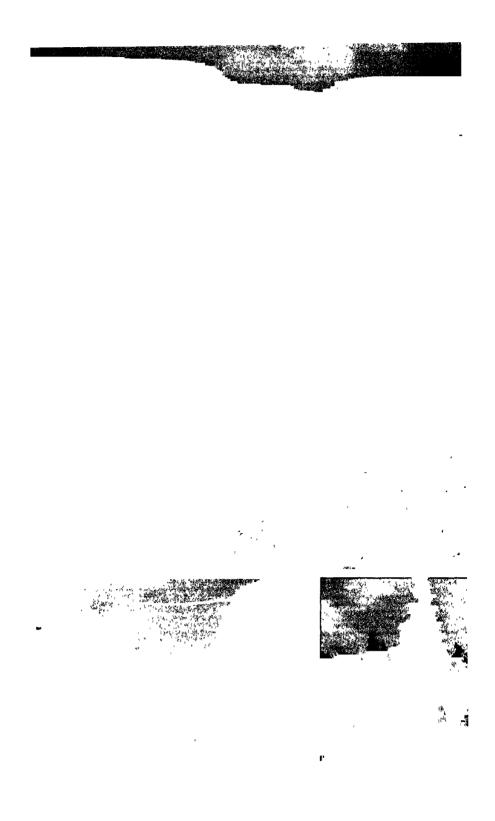
في بعض المجالات ، مثل الجرّارات وبعض الأدوات الفلاحية ، وذلك نظرا للامكانات الكبيرة لتطوير الزراعة في الجزائر . لكن لدينا امكانات التصدير ، في مجالات صناعية اخرى مثل .

« مقطورات السكك الحديدية لنقل البضائع ، عدادات الماء والكهرباء والغاز ، الانابيب غير الملحومة ، الجرافات والروافع ، الحديد المسطح والعريض ، والصفائح ، والمقطورات الخاصة بالشاحنات بجميع انواعها ، والمكيفات

وفي نهاية الحوار يقول السيد / استسولي ابراهيم قل للاخوة في منطقة الخليج بعامة،وفي الكويت بخاصة،اننا مستعدون للتعاون معهم في كل ما يمكن ان يخدم التنمية في عالمنا العربي ، ونرحب بهم في اي وقت

قسنطينة .. مدينة فوق صخرة :

الى الشرق من الجزائر العاصمة ، قطعنا اكثر من اربعمائة ك . م لنصل الى مدينة قسنطينة ، لنزور مركب المحركات والجرارات بجوارها

جمال الطبيعة الذي تركناه في الجزائر يتسلل وراءنا عبر جبال « جرجراء » التي كانت تغطي قممها الثلوج في اوائل شهر مايو ، طريق السيارة يمضي احيانا على حواف المرتفعات ويخترق احيانا أنفاقا قصيرة في الجبل ، ولكنه في النصف الاخير من المسافة ، يمضي في سهول ولاية « سطيف » المليئة بالمراعي الخضراء وقطعان الضأن والبقر

إن مقام الشهيد الذي رأينا نصبه الشامخ في مدينة الجزائر يرافقنا هو الاخر في هذا الطريق الطويل ، ففي كل موقع جرت فيه معركة ، وسقط فيها عدد من الشهداء ، يرتفع نصب صغير ، بتصاميم مختلفة في الحجم ، وبخط اسود منحوت في قلب الحجر تقرأ اسماء الشهداء ، ومعلومات عن المعركة التي استشهدوا فيها ، وتاريخ الاستشهاد .

بعد رحلة استغرقت اكثر من ست ساعات بدأت تلوح لنا مدينة « قسنطينة » فوق صخرتها الشامخة ، ونزل في فندق « سيرتا الكبير » والفندق يحمل الاسم القديم لمدينة قسنطينة، تشير بعض الوثائق الى ان هذه المدينة ظهرت الى الوجود سنة ٢٠٣ ق م وظلت « سيرتا » عاصمة للملوك النوميديين مثل « صفاقس » وماسينسا »ويوغرطة » « ودمبيوس »، وفي عهد هذا الاخير قامت ثورة ضد مظالمه تصدى لها الملك قسطنطين الأكبر سنة ٣١٣م الذي اخمد هذه الثورة ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح اسم المدينة « قسنطينة » وهو النطق العربي لاسم ذلك الملك ، ويبلغ أقصى ارتفاع للصخرة التي تقوم عليها المدينة ٥٣٤مترا في الشمال،وتتدرج الصخرة في الانخفاض جنوبا ، وتتكون من ركام صخري من أصل كلسي ويحيط بها وادي الرمال الفسيح الذي يشير الى ان المنطقة كلها كانت تغطيها في عصور سحيقة مياه البحر المتوسط ، ولعوامل جيولوجية فان الصخرة الهائلة تنشق بشكل طبيعي ، مخلفة في وسطها واديا ضيقاً حاداً يتدرج عمقه ، بتدرج ارتفاع الصخرة ، وتربط ضفتي الصخرة مجموعة جسور تحكي أساليب بنائها المختلفة ملامح الأزمنة التي بنيت فيها ، وفي العصور الاسلامية برز في قسنطينة عدد من أشهر العلماء منهم « ابن الخطيب » المؤرخ ، و« ابن حمزة » الطبيب ، و« ابن الفكون » الشاعر ، كما اصبحت قسنطينة مركزا علميا في عهد الحفصيين ، واثناء الاحتلال الفرنسي برزت في قسنطينة جمعية العلماء المسلمين التي اسسها الامام عبد الحميد بن باديس ، واستطاعت هذه الجمعية أن تنشيء رغم وجود الاحتلال أربعمائة مدرسة حرة لتدريس علوم الدين الاسلامي واللغة العربية وآدابها ، لمواجهة سياسة الفرنسة ، وبعد ان استقلت الجزائر فان قسنطينة قد اصبحت مركزا لأول جامعة اسلامية حديثة هي جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، كما انشئت بها جامعة عصرية تضم مختلف التخصصات في الآداب والعلوم الانسانية والعلوم البحتة

رؤية عن قرب :

حين وصلنا الى موقع المركب في وادي حميمين « حوبي قسنطينة استقبلنا السيد / دريد مبروك مدير المركب ، وخلال جولة في انحاء المصنع الكبير بدأ حديثه بقوله

انشيء هذا المركب في ابريل سنة ١٩٦٩ وهو اول وحدة ميكانيكية انشئت في الجزائر،ومهمته تصنيع المحركات والجرارات ، وهو يصنع جميع المحركات التي تستخدم في الجزائر ، فمثلا نحن نصنع المحرك

ـدي يستخدم في الجرار الذي نصنعه هنا أيضا ، المحركات التي تستخدم في الجرافات والروافع في ركب « عين سمارة » والمحركات التي تستخدم في لات الحصاد التي تصنع في سيدي بلعباس ، باختصار: جميع المحركات التي يحتاجها أي موقع صنيع ، وتحديدا فان هذا المركب يصنع ٢٨ نوعا من لمحركات، ونستعد الان لتصنيع ٦ أنواع جديدة ، عن حملة الطاقة الانتاجية للمركب قال انا ننتج حاليا ١٣ ألف محرك سنويا ، ونستعد قريبا لتوصيلها لى ١٨ ألف محرك ، وهناك خطة تحت الدراسة لانتاج ٢٠ ألف محرك

وعن الجهة التي تحدد حجم الانتاج أوضح ان تحديد حجم الانتاج يتم في اطار الاتفاق بين وزارة لتخطيط ووزارة الصناعة وادارة المركب ، وهناك نسيق بين كل هذه الجهات

● هل يتم تصنيع جميع أجزاء المحرك هنا ؟

ـ نعم ، لكن هناك انواعاً من الخام التي تدخل في صناعة المحرك تأتي من الخارج

كما قد بدأنا نقترب من خط تركيب الجرارات أشار الى أن المركب ينتج نوعين من الجرارات ، جرار صغير وقوته ٤٥ حصاناً ، ومتوسط وقوته ٦٥ حصاناً ، وان الانتاج الكلي في السنة يبلغ ٧٥٠٠ جرار ، ٧٠٠٠ من النوع المتوسط و٥٠٠ من النوع الصغير ، وطبعا لكل نوع استعمالاته ثم قال لدينا برنامج جديد لانتاج جرار قوته ٣٥ حصاناً للعمل في الاراضي التي تزرع زراعة محمية ، وآخر قوته ١٢٠ حصاناً للاراضي الصلبة ، وهناك تخطيط للارتفاع بالانتاج الكلي للجرارات الى عشرة آلاف ، و٢٠٠ جرار في السنة لتلبية امكانات التطور في مجال الزراعة

● هل روعي في اختيار هذا النموذج مواصفات معينة ؟

يمتاز هذا النموذج بأنه لا يحتاج الى عناية كبيرة من المستهلك ، لأن محركه يبرد بالهواء ، كما انه يستعمل في أصعب الاستعمالات الصناعية

● كم عدد المهندسين في المركب وعدد التقنيين وعدد العمال في المركب ؟

يوجد ٣٥ مهندساً و٨٠٠ تقني ، و١٤٠٠ عامل من مختلف المستويات ، وهناك حوالي ٣٨٠٠ يعملون في مجالات غير الانتاج

● هل توجد عمالة أجنبية بالمركب ؟ وما نسبتها ؟

الان جميع مستويات العمالة في المركب جزائرية ، أقصى عدد من الأجانب كان لدينا هو ١٧٢ في السنوات من ٧٦ الى ١٩٧٩ ، الآن لدينا فقط اثنان ، لا يحملون المركب أي تكاليف مالية ، ووجودهم في نطاق العلاقات الاقتصادية

الزراعة . .

في طريقنا الى وزارة الفلاحة والصيد البحري ، كنا نحمل العديد من الملاحظات والتساؤلات التي نبعت من خلال الرحلة والقراءة والاستماع والمشاهدة

تقول الملاحظات

كانت فرنسا قبل احتلال الجزائر واحدة من خمس دول اوروبية تستورد القمح من الجزائر

كانت فرنسا في ذلك الوقت أيضا مدينة للجزائر بقرض قيمته خمسة ملايين من الفرنكات الذهبية

مساحة الأرض الصالحة للزراعة في الجزائر حوالي « ٧,٥ مليون » هكتار ، ما يزرع الان منها بالفعل هو « ٤,٦ مليون » هكتار

هبط متوسط عدد السكان من الفلاحين في الهكتار الواحد من ٦٣٪ عام ١٩٦٧ الى ٣٦٪ عام ١٩٨٢ بسبب النزوح المستمر من الريف الى المدينة

بلغت قيمة جملة واردات الجزائر من المنتوجات الغذائية سنة ١٩٨٠ حوالي « ٧,٤ مليار » دينار جزائري ، بنسبة ١٩٪ من جملة الواردات

الجزائر تشتري من الخارج ٦٥٪ من حاجتها من الحبوب ، و٨٥٪ من الخضراوات المجمعة ، و٧٥٪ من البيض

كان هدفنا من الزيارة استطلاع رحلة التنمية في قطاع الزراعة في الجزائر ، ووضعنا جملة هذه الملاحظات والتساؤلات امام السيد/ رابح قدور مدير التخطيط في وزارة الفلاحة والصيد البحري فتفضل سيادته قائلا

لكي نرى بوضوح مسيرة ومشكلات التنمية في قطاع الزراعة بالجزائر ، لابد ان نعود الى الوراء قليلا (بشيء من التركيز) وبخاصة انكم عدتم الى الوراء ايضا في ملاحظاتكم

● أحد المساجد بمدينتين ويظهر الطابع الجزائري في البناء

أثناء الاستعمار كان الفرنسيون يمتلكون ويستغلون السهل الخصيب ، في شمال الجزائر ، ويزرعونه بطريقة تقنية حديثة ، وبرحيلهم اعطت الدولة هذه الأراضي لمن كانوا يعملون فيها من الفلاحين وبعض المجاهدين ، ولم يكن من الممكن آنذاك استمرار زراعتها بالطريقة الحديثة ، فلم يكن في الجزائر كلها في ذلك الوقت سوى عشرة مهندسين زراعيين ، باختصار كان العجز في الاطر الفنية والآلات الزراعية شبه كامل

التسيير الذاتي آنذاك فرض نفسه كأسلوب للزراعة ، يدير الوحدة الزراعية من يزرعونها ، من خلال لجنة التسيير المختارة من بين العاملين ، ومعهم شخص من قبل الدولة ، لم يكن مديرا ، بل هو شخص له خبرة بالسياسة والفلاحة ، ليقدم وينظم المساعدة التي توفرها الدولة في حدود الممكن ، من الحبوب والسماد والآلات . الوحدات الزراعية آنذاك لم تكن تقوم على أسس علمية ، واقتصادية ، بعضها كان يقوم على مائة هكتار أو ٦٠ هكتارا ، الآن الوحدة الزراعية تقوم على ٥ آلاف أو ٦ آلاف هكتار

المرحلـــة الثانيـــة :

كانت هناك مرحلة ثانية بدأت في أوائل السبعينات بتأميم الاراضي التي كانت لكبار الملاك من الجزائريين انفسهم ، وفق قواعد محددة ، لم يكن من الممكن أن تستمر علاقات انتاج في المجتمع تسمح بالاستغلال ، وخاصة للفلاحين الذين تحقق الاستقلال للجزائر بفضل تضحياتهم في حرب التحرير ، بالاضافة الى ان نسبة من استفادوا من العمل في الارض التي كان يملكها الفرنسيون لم تتجاوز ٢٠٪ من اصل ٩٤٠ الف عائلة ريفية ، ظلوا في مستوى الاجراء

لم تتجه الدولة في المرحلة الأولى أو الثانية لتمليك الاراضي ، سواء التي كانت للفرنسيين أو لكبار الملاك ، لمن كانوا يزرعونها من الفلاحين ، لأن هذا التوجه لا يتفق مع الزراعة بالطرق التقنية الحديثة ، بل كان التوجه ـ وخاصة في المرحلة الثانية ـ الى تقسيم هذه الاراضي الى وحدات زراعية تعاونية تدار بطريقة التسيير الذاتي وعائدها لهم

الهدف كان توفير ظروف افضل لاستثمار الارض لصالح جماهير الفلاحين ، ولربط الفلاح بأرضه من خلال علاقة انتاج افضل ، ولدعم هذا الهدف انشأت الدولة في هذه المرحلة القرى الاشتراكية ، التي يتوفر فيها الماء والكهرباء وتضم الى جوار البيوت المناسبة جميع المرافق الحيوية من مدرسة ومسجد ومستشفى وسوق وناد ووحدة بيطرية الخ كما كانت جهود الدولة (بفضل عوائد البترول والغاز وبفضل التطور الصناعي قد بدأت تؤتي بعض ثمارها في مجال توفير الآلات الزراعية ، وتكوين الاطر البشرية المناسبة للعمل في قطاع الزراعة »

« لكن كل هذه الجهود كانت دون مستوى التحديات التي واجهتنا في هذه المرحلة ، فمشكلة الري كانت ولا تزال واحدة من اهم الصعوبات التي تواجهنا ، ان بناء السد الواحد يحتاج من ٣ ـ ٥ سنوات ، لقد بنينا ، ولا يزال امامنا ان نبني الكثير من السدود الصغيرة والمتوسطة والكبيرة

طبعا كانت هناك مشكلات التكيف مع اسلوب العمل الجديد في الوحدات الزراعية التعاونية ، التي كانت تحتاج الى وقت والى تفهم ووعي ليحقق هذا النظام اهدافه .

المرحلـــة الثالثـــة :

هي مرحلة الثمانينات ، وهي المرحلة التي شهدت اسلوب اعادة الهيكلة في القطاع الفلاحي

● أحد الشوارع في حي القصبة القديم بالجزائر

وغيره . إعادة الهيكلة بالنسبة لهذا القطاع تهدف - ضمن أشياء أخرى - إلى تقليل التعقيدات البيروقراطية بين الوحدات الزراعية ، وبقية الأجهزة الحكومية التي كانت تتعامل معها حيث انشئت ادارة قطاع خاصة بكل مجموعة من الوحدات الزراعية ، تكون مهمتها ان تمد هذه الوحدات بحاجتها من الاطارات الفنية والآلات الفلاحية والسماد وغيرها

طبعا هذه المرحلة شهدت تطورات كبيرة سواء من ناحية توفير الاطر الفنية بعد انشاء وزارة التكوين المهني ، وتوزيع معاهدها ومراكزها على سائر التراب الوطني أو توفير الآلات الفلاحيه بصورة افضل ، أو التكيف مع اسلوب العمل في القرى الاشتراكية التعاونية .

وقد انعكس هذا على مستوى الانتاج في الموسم الفلاحي ٨٤/٨٥ ، فقد ارتفع انتاج الحبوب من ١٤ مليون قنطار ، الى ٣٠ مليون قنطار ، أي زاد بنسبة ١١٤/ . كما ارتفع انتاج الطماطم من ٤١٥ الف طن الى ٧٢٤ الف طن ، أي بزيادة نسبتها ٧٤/ وهذه مجرد امثلة

* * * *

شكرنا الاستاذ رابح قدور على هذه الخلفية المهمة التي تفصل بها عن تطور تنمية الزراعة في الجزائر ، وشاركناه تصوره بأن التحدي الجديد ليس هو مجرد زيادة الانتاج عن العام الماضي ، بل هو زيادة الانتاج لتلبية حاجة السوق الوطني ، ومواجهة النمو السكاني المتزايد ، وكان لابد لنا من رؤية عن قرب لتجربة القرى الاشتراكية في الجزائر

رؤية من قريب لقرية اشتراكية :

هذه المرة اتجهنا الى الجنوب الغربي من مدينة الجزائر ، حوالي ٧٠كم نحو ولاية « تيبازا » التي تضم العديد من القرى الاشتراكية ، وفق التقسيم الاداري الاخير ١٩٨٥ ، فالجزائر تضم ٤٨ ولاية ، وتنقسم الولاية الى عدة بلديات ، وفي ولاية تيبازا ٤٢ بلدية

وتتميز ولاية تيبازا بطابعها الفلاحي والسياحي ، فهي تمتلك عدة شواطىء بالغة الروعة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وتقول الاحصائية التي معنا من وزارة الفلاحة ، ان المساحة الاجمالية لتيبازا ٩٥٠٧٠ هكتاراً ، ومساحة الأرض الصالحة منها للزراعة ٧٥٠٣٠ هكتاراً ، يتبع القطاع العام منها ٥٦٣١٨ هكتاراً تنقسم الى ٢٦٦ وحدة زراعية ، والقطاع الخاص يمتلك ١٨٧١٢ هكتاراً ، الحد الاعلى منها للملكية الفرد الواحد هكتارين ونصف هكتار من الارض المسقية ، وأكثر قليلا من الأرض غير المسقية

في مركز ادارة القطاع استقبلنا المهندس « قادر محمد » وصحبنا الى اقرب قرية اشتراكية هي قرية « تثالا الساحلية » ، وهي قرية لا علاقة لها بأي ساحل ، فهي تقع في قلب سهل اخضر من مزارع القمح وان كانت تحتل هضبه مرتفعة قلب السهل قلت للمهندس قادر

● أود ان اعرف صلاحيات لجنة التسيير الذاتي في الوحدة الزراعية التعاونية ؟ ما هي الامور التي تقررها ؟ وما الأمور التي تحددها الدولة ؟

* * * *

الاتجاه الاساسي في عملية التسيير هو تأكيد استقلال الوحدة الانتاجية من خلال لجنة التسيير المنتخبة من بين عمال المزرعة الدائمين في اتخاذ جميع القرارات التي تتصل بالعمل في المزرعة

لكن هذا لا يعني ان الدولة تتخذ قرارات بشأن أمور اخرى محددة فمثلا كمية ما تزرعه ولاية من المزروعات الاستراتيجية كالقمح والطماطم والكروم ، الدولة هي التي تحددها ، لانها تأخذ في اعتبارها اشياء مثل سياسة التصدير أو حاجة السوق الوطني لسلعة معينة ، أو صلاحية بعض الاراضي ، أو حالة المناخ في بعض المناطق

أيضا الدولة تحدد سعر بعض المزروعات الاستراتيجية التي يقوم القطاع العام بتصديرها ، كالكروم ، او بتوزيعها على السوق الوطني بسعر مناسب مدعوم لصالح الجماهير

على ان الدولة حين تتخذ مثل هذه القرارات تستند في دراستها الى الآراء التي تصلها من جهات متعددة ، منها الوحدات الزراعية التعاونية

فيما عدا ذلك اللجنة تقرر كل شيء ، فالمزروعات

الأخرى عبر الاستراتيجية كالفواكه والحضر وغيرها ، لجنة التسيير هي التي تحددها وتحدد اسعارها ، وهناك تفاوتات في الاسعار حسب الجودة والطلب وغير ذلك

● كيف يتقاضى العاملون في الوحدة الانتاجية اجورهم ، وما أسلوب تقدير هذه الاجور ؟

في اطار الوحدة الانتاجية هناك عامل دائم ، مستقر في القرية الاشتراكية ، له بيت ، وله كل حقوق العامل الدائم مثل الترشيح للجنة التسيير ، والانتخاب ، وحق الالتحاق ببرنامج للتكوين المهني مرة كل سنتين لاكتساب حرفة ، أو لتطوير حرفته ، مما يؤدي الى ترقيته ، فيكون مسير حوامض أو كروم أو تربية دواجن او سياقة أو صيانة الجرار الخ

والعامل الدائم هو الذي يعمل ٢٠٠ يوم عمل في الموسم الفلاحي ، ويوم العمل له أجر محدد يختلف من مجال عمل لآخر ، فمثلا اجر يوم عمل لحارس ٥٥,٤٠ ديناراً جزائرياً في اليوم ، ولعامل بسيط ٦٧,١٠ ديناراً جزائرياً ، ولعامل ماهر يصلح الجرار ٩١,٨٠ ديناراً ، ولعامل تربية نحل ٨٥,٤٠ ديناراً ، ملحوظة (الدولار = ٤,٥٠ دنانير جزائرية) بالسعر الرسمي

طبعا هناك عامل مؤقت يأتي من أي مكان للمشاركة في الأعمال الموسمية ، كالحصاد وغيره ، وهذا يتقاضى أجراً لعمله يومياً ، لكن ليس له ما للعامل الدائم

● هل هذا الاجر هو كل ما يتقاضاه العامل الدائم ؟

لا العامل الدائم له الحق اولا في سلفة وتسمى « تسبيقة » في بداية الموسم ، وتختلف من منصب لآخر ، ثم لجميع العمال في نهاية الموسم نسبة في الربح بعد بيع المحصول ، حيث يوزع (حسب ايام عمل كل منهم) ٥٠٪ من الربح العام للمحصول والتفاوت قد يحدث بحسب ايام العمل ولكنهم جميعا من الحارس الى المدير يتفقون في نصيب يوم العمل من هذه الـ ٥٠٪

● ما اجر المدير ؟

ـ المدير غالبا مهندس زراعي ويعين من قبل وزارة الفلاحة وهو ممثل الدولة في الولاية ، وهو غير رئيس لجنة التسيير الذي ينتخب من اللجنة ، وبداية مرتبه اربعة آلاف دينار في الشهر والتقني ٣ الاف دينار في الشهر

قرية بدون سكان :

مع الاقتراب من قرية تثالا الساحلية « كنت بدأت ادرك معنى ما قاله لنا الاستاذ « رابح قدور » في وزارة الفلاحة عن صعوبة انتقال الفلاحين من القرية الاشتراكية الى مواقع العمل ، فالأراضي التي تضمها أي وحدة زراعية مترامية ، اذ ليست كل الاراضي الصالحة للزراعة متصلة ، فقد كنا نمر بجوار حقول القمح الشاسعة ثم تقطعها هضبة عالية بدور حولها ثم تبدأ أراض كبيرة وهكذا

القرية بديعة ، منسقة ، بيوتها من طابق واحد تقريبا لكنها تبدو وكأنها بدون سكان ، كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة صباحا ، أين الأهالي ؟

الآن هم يعملون في الحقول ؟

ويضحك مرافقنا المهندس قادر محمد . سنجد من نلتقي بهم

وحول نادي القرية ومسجدها وسوقها نلتقي بالشباب والناس

اسمي معمر مختاري ، اعمل سائق جرار ، كان هذا عملي من قبل ، أجري ٨٥ ديناراً في اليوم

● هل يكفيك هذا الاجر ؟

ـ شوية [يكاد يكفيني]

فارس الطيب . في الصف السادس من التعليم الاساسي

اعمل في غير اوقات الدراسة كعامل بسيط .

اجري ٧٥ ديناراً في اليوم

اتدرب في مركز التدريب المهني على العمل على آلة تصوير

سمارة عبد العزيز

توقفت عن الدراسة في السنة الثانية الاعدادية .

● لماذا لم تلتحق بمراكز التكوين بعد ذلك ؟

ـ بلغت سن التجنيد فدخلت الجيش

ترى هل ينجح المسئولون في دولة الجزائر وفي وزارة الفلاحة وفي كل الولايات والبلديات والقرى الاشتراكية في رهانهم على ألا تبقى التنمية الزراعية هي الجناح المهيض للتنمية في الجزائر ؟ □

الليلة بدون ملك،لكن الدور لا يتطلب أي مجهود الملك هو شخص يجلس على العرش ، ويصدر الأوامر فقط توقف عن الكلام ارتفعت أصوات من القاعة قال المخرج .

من حقكم أن تقولوا يسقط المخرج ، لكني أقول لكم الحقيقة المثل الملك مات الليلة ، هذا ما لم أكن أتوقعه

توقف عن الكلام ثانية ليرى تأثير عباراته على الجمهور عاد الهدوء الى القاعة،واصل الكلام

لا أحد يستطيع أن يمحو من الموت الحل الوحيد لبدء العمل هو أن يتطوع أحد الحاضرين ليؤدي دور الملك

استعل الحاضرون صمت المخرج ، فعادت الصيحة من جديد ومن آخر الصف ارتفع صوت أنا ، أنا

في هذه اللحظة تغيرت ملامح المخرج ، وانقلب اليأس في عينيه الى أمل حقيقي

قال حسنا ما عليك الا أن تصعد على الكرسي الذهبي

عندما اقترب الشاب من حافة الخشبة ، بانت ملامحه تحت الأضواء للجمهور ، في الثلاثين من العمر ، ذو نظرة غامضة ، طويل القامة يرتدي بدلة رمادية

يعلو الصفير والهتاف وتصيح الحناجر بنبرة رتيبة
سلطان ، سلطان ، سلطان

يرتد الشاب الى الخلف ويتمتم:سيدي كانت مزحة مني لقد دفعوني الى هنا ، يقع المخرج في حيرة إنه أمام وجه حاد القسمات لا يصلح لأن يؤدي مزحة ثقيلة . مهما حدث فهو بحاجة الى شخص يؤدي دور الملك

يعلو الصفير والهتاف ثانية ، وتصيح الحناجر
سلطان ، سلطان .

اسمي سلطان بن الوالي لذلك صدرت مني المزحة ، ودفعتني الأكف الى هنا يصمم المخرج على التعامل مع هذا الوجه الذي يجيد المزاح وهو صارم ، فكل من في القاعة يرفض

أنت قريب من الخشبة واسمك سلطان ؟

لكن الشاب قاطع بلهجة صارمة

ان لي شرطا قبل أن أصعد على العرش الذهبي

لا بأس ستتفق حين تذهب الى غرفة الملابس

ما زال الشاب واقفا لا يتحرك وضع المخرج يده على كتفه ، لكن الشاب لم يتحرك قال ما دمت سأرجع الى التاريخ فلدي شرط !

هل تطمعي أرفض

حسنا والجمهور ؟

توجه المخرج الى الجمهور ، حك صلعته قال أتحبون أن نبدأ التمثيل ؟

حدثت صيحة ـ هتف الحاضرون بالموافقة قال الشاب شرطي أن توافقوا على كل شيء آمر به

كان الجمهور متحمسا لبدء التمثيل ترنموا صفقت الأكف،ملأت القاعة .سلطان موافقون ، سلطان موافقون !!

توجه الشاب الى غرفة الملابس كان يبدو وقورا صامتا ، وهو يجلس على العرش بملابس قديمة ، كأن التاريخ تراكم على جسده،يحيط به جنود يحملون الحراب ، وخلف عرشه حارسان يمسكان سيفين

كل شيء في اللوحة يرمز الى حدث كبير الملك صامت الجنود مستعدون ، الحارسان متهيئان لأي أمر مفاجىء ، بقي الملك صامتا ، والممثلون ينتظرون الأوامر بفارغ الصبر طال الانتظار ضجر الجمهور

بعد لحظات تحرك الملك نهض من كرسيه اقترب من حافة المسرح ، سبقه الجنود وبقية الحرس أخيرا نطق أيها السادة ما دمتم قد وافقتم على شرطي فأنا أحكم عليكم بالاعدام !!

استدار أحد الحارسين نحو المخرج ، أما الجنود حاملو الحراب فقد انتشروا بين المقاعد ! □

الجنوبي المسافر

شعر : الدكتور عبده بدوي

شاهدتُه .. مُسْتغرِقاً ومفكرا   أنا يُطلُّ ، وَمرةً مُسْتَغْبِرا
ضحكتْ عليه من النساء جميلة   وتمايلتْ فغدا المطارُ مُشرْثِرا
كانتْ مُواطنةً تمدُّ نفسَها   فعلى الجبين ترى الجنوبَ الأسمرا
.. لكنّي من مقعدي أبصرتُه   يستحضرُ القَسماتِ من إحدى القُرى
شاهدته والأمُّ تمسح دمْعَه   وتقولُ : لا تحزنْ فلستَ مُخيَّرا
ورأيتُ زوجتَهُ تقدِّم طِفْلَها   ليرى أوائلَ وردِه مخضوضرا
كانتْ تَودُّ عناقَه ، لكنّها   خَجِلت ، فغطّتْ خاطِرَين استَعْبرا
ومَضتْ فرِجْل في الطَّريق تقودُها   بينا يسيرُ القلبُ سَيرَ القَهْقَري
يامَنْ يرى حُزن الغريبِ بأرضِه   مُتشابكا في حُزْن من غَذَّ السُّرى !

**

وهنا تُطِل حكايةٌ مسكينةٌ   عن قِصَّةِ الكَدْح الذي لن يُقْبَرا
وعن الثمار ، وقد رَعاها بذرةً   حتى استدارَ الخصبُ ، ثم تكوّرا
وعن الوجوهِ ، وقد غَدت محروقةً   وعن الشحوب امتدَّ ، ثم تأخّرا
لكنَّ خوفاً قابعاً في نفسِه   يمتص نضرتَه ، ويَمْضي مُدبِرا
.. وهنا تموتُ بشاشةٌ موقوتةٌ   فغدا يهيم بحُجْرةٍ لن تُكسَرا
ولقد تموجُ بفرحةٍ قد رفرفتْ   لكن غُربتَه تشوّهُ مايرى

**

صرخ : ارجعوني نحو أرضٍ في دمي   مالي وللطيرانِ في أعلى الذُّرا
فتضاحكَ الجمعُ الذي من حوله   لكن هذا الضحكَ صارَ مؤثِّرا
فلقد أحسوا أنهم هذا الذي   ضحكوا عليه ، وأوشكوا تحيُّرا
.. ومَضَوا . ولكن كان في أعماقهم   وطنٌ ينوح !! وحفنتان من الثرى !!

النبات يصنع السم داخل خلايا أوراقه

ثم يدفعها الى حوصلة بذوره

بعدها تخدش ويستحلب صمغ الأفيون

نبات مبهج ، وحوصلته تحمل العلاج والموت بالحياة والدمار

مصدر أفيون العالم

كيميائية خاصة ، نبات قصب السكر يعطي من مفردات الماء وثاني أكسيد الكربون وطاقة الشمس نفس المفردات التي يتلقاها نبات الخشخاش ، وإذا الثمرة والبرنامج يصنعان المفردات بحوار بعضها البعض وفق أسلوب آخر ، فتحد في نهاية المطاف الأفيون ولا غرابة ولا عجب وهل يختلف الأمر عما بين يديك الآن ، فهذه المجلة سطرت بالأبجدية والارقام العربية ، ومع هذا تقرأ مقالا أدبيا وآخر علميا وقصة أو قصيدة أو أخبارا أو تحقيقات او رسائل القراء ومناقشات عن الاقتصاد والمال والتجارة . فرغم توحد المفردات صاغها كل فكر وفق ما هوى

ونبات الخشخاش واحد من مجموعة نباتات يستحيل الاستغناء عنها تماما ، كما يستعصى تقبلها تقبلا تامابلا حدود أو قيود مثل الذرة والقمح أو القطن فهو المصدر الطبيعي الوحيد لانتاج خامة صمغ الأفيون ، أساس صناعة مادة المورفين والكودايين .

والمورفين رغم اثارة الوخيمة ، اذا أسيء استخدامه مادة طبية استراتيجية لا يخلو منها مستشفى مدني أو عسكري ، وتوضع حقن المورفين بالأمر داخل حقائب اسعاف الجنود قبل ارسالهم للحرب،وتدرج الدول المورفين على قائمة مخزونها السلعي ، وتراقب وفرته مثلما تراقب كميات الملح والسكر واللحوم ، تحسبا لأي طارىء يستجد ، أما الكودايين فهو مادة كيميائية طبية من أهم أدوية تخفيف الآلام والسعال ونزلات البرد والجراحات البسيطة ، وكانت محوراً أساسياً وقاسماً مشتركاً أعظم ، في ٨٥ وصفة طبية أمريكية خلال عام ١٩٨٥ ، كما وصفها آلاف الأطباء لملايين المرضى خارج الولايات المتحدة لكن من الأفيون تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فهو أيضا خامة انتاج مخدر وسم الهروين أحد أخطر أنواع المخدرات البيضاء ، وسوط عذاب الناس في كل مكان ، وكأن نبات الخشخاش بات صحة ومرض ، وبشير خير ونذير شر يحمل السعادة والدمار أو انه نبات شيطان وقديس

وهو بذلك يتفرد عما سواه من النباتات ، ولعله النبات الوحيد في العالم الذي أشعل نار حرب استمرت سنوات طوال بين بريطانيا والصين في واحدة من الحروب ذات الدوافع المتعددة ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية اذ كان منطق الاستعمار كيف يترك قوة الصين البشرية الهائلة تجاور قواته المتمركزة في الهند ، دون أن يصدر اليها أفيونا تنتجه شركة الهند الشرقية ، فيحيلهم الى كتلة بشرية هامدة يتكسب منهم ، ويفرض تجارته عليهم ، ويأمن جانبهم ، ويقتطع بعضا من أرضهم

نبات بريء المظهر

ونبات الخشخاش بريء المظهر ، بهي الطلعة ، مشرق يبعث منظره سرورا له اوراق صغيرة نوعا ، سميكة الى حد ما ، وسيقان منتصبة ، واذا ازهر اشاع في الحقول بهجة ملونة ونثر على المسطحات الخضراء زهورا تتراوح ألوانها بين الأبيض والأحمر والأصفر والأرجواني ، تضفي على التلال والسهول لمسة فنية بارعة ، وتضيف اليها بعدا جماليا فريدا وكأنه قوس قزح ، امتد بين الأرض الخضراء والجبال الشواهق والسماء الزرقاء

هذا المشهد الطبيعي المدهش يخفي أنواعاً من القتلة ، بشرا ذوي شراسة يحرسون الزراعات ، فان اقتربت وجهوا اليك فوهات بنادقهم الآلية ، وصبوا عليك موجات رصاصهم يحرسون القاتل الأبيض الذي يتخفى وراء الخضرة والأزهار ، وداخل خلايا النبات ، ويصبح على مهل حتى يحين وقت جمعه ، فقد مرت الأوقات الصعبة منذ ألقيت البذور في الأرض وامتصت ماء الري ، وانتفخت ونمت البراعم والسيقان ، وحملت أوراقها ، وتلاقت الأوراق مع ضياء الشمس ، وبدأت الشفرة والبرنامج عمومها ، وقامت الأوراق بحل الشفرة وتنفيذ الأوامر ، وجرت داخلها صناعات كيميائية دقيقة ، وصنعت مواد نيتروجينية من فصيلة أشباه القلويات ، ضختها الأوراق ضخا الى خلايا النبات ، حيث تم تخزينها ليوم معلوم ، يوم تسقط التيلات وتبدأ حوصلة البذور نموها ، وتسحب العصارة وتنمو وتتضخم ، ويصبح القاتل الأبيض معدا اعدادا كاملا بعدها يشطرون أو يخدشون الحويصلات بمشارط حادة ، وعلى الجدران ينزف سائل أبيض اللون ، لزج القوام ، ويتحجر بعض مائه ، ويقتم لونه ، ثم يجمع في الصباح المبكر بسكاكين حادة على شكل كتلة لونها

بي انه صمغ الافيون أو الافيون الخام ضاما اليه تشكيلة كيميائية غريبة ومتنوعة بعدها تبدأ سلسلة صراع مسلح ضد القانون لتهريب السموم وتوزيعها

أشباه القلويات

ولأن الألمان تستهويهم بحوث الكيمياء ، ويعشقون لعبة التحاليل واستخدام الدوارق والانابيب ، وكشف اغوار المواد الكيميائية ، وصولا الى جوهرها وتحديد تركيبها الحقيقي ، فقد قدموا للعالم الجديد والمثير في هذا المجال ، مثل ابتكار الأسبرين ، وتحويل الفحم الى بترول ، وصناعة السماد من الهواء والماء الخ

منذ عام ١٨١٥ م جذب صمغ الافيون اهتمام الصيدلي الألماني ف سيرتيرنر ، فبدأ مع المادة رحلة بحث شاقة ، وحاول بما يعلم التوصل الى ما لايعلم ، استخلص مكوناتها تارة بالاذابة في الماء ، وأخرى في الكحول ، وثالثة مع المذيبات العضوية ، وحلل عناصر كل مستخلص ، وقدر الأوزان الجزيئية ، وحل معادلات حسابية كانت عويصة آنذاك ، اذ أن المواد الطبيعية ذات الصفة العضوية سيان النباتية أو الحيوانية ، ليس لها تركيب كيميائي شامل ، جامع مانع ، واحد لاسواه ، انما هي مجموعة مواد مختلطة بعضها بعضا ، والعالم والباحث الكيميائي القدير من سيطر على أدواته ومناهج بحثه فلا يصل طريقه اليها ، وقد كان للرجل هذه القدرات ، واذا به يفصل أول المواد الفعالة ، ووجد أن أقل قدر ممكن منها يحمل خصائصها الكيميائية والفيزيائية . يتشكل من سبع عشرة ذرة كربون ، وتسع عشرة ذرة هيدروجين ، وذرة نيتروجين واحدة ، وثلاث ذرات أوكسجين $C_{17}H_{19}NO_3$ وتبلغ نسبتها في صمغ الأفيون ٢٣ر٣/ وحار الرجل في تسمية المادة ومنحها شهادة الميلاد العلمية ، وكعادة العلماء آنذاك ونستهم مسميات ما يبتكرون أو يكتشفون الى مسميات يونانية ، تحمل قدرا من خصائصها ، وجد ان انسب مسمى هو اسم إله الأحلام أورفيوس . فأطلق على المركب الكيميائي اسم المورفين ، فالمركب الكيميائي يبعث نشوة مؤقتة وتخديرا ، ويبث أحلاما لمن يشاء حظه العاثر تعاطيه أول مرة وعليه فان اسم إله الأحلام هو أفضل الأسماء

بعد ذلك تم فصل الكودين $C_{18}H_{19}NO_3$ ، وتتراوح كميته بين ٣/ حتى ٢/ ، والناركوتين $C_{22}H_{23}NO_3$ ، وتتراوح نسبته بين ٧٥/ الى ٩/ والثيبايين $C_{19}H_{21}NO_3$ بنسبة ٦٥/ كما تم اكتشاف مواد ومركبات كيميائية أخرى مثل الحشحاشين واللوادانومين والهيروين ، الى جانب عدد آخر من المركبات ذات القدر المحدود جدا والسمية البالغة

حكومات تصدر الأفيون

ويتم اعداد صمغ الأفيون للتصدير داخل مصانع أنشأتها شركة الهند الشرقية عام ١٨٢٠ ، وآلت ملكيتها وادارتها للحكومة الهندية ، ويقوم على زراعة وجمع المحصول قرابة ١٧٠ ألف أسرة ، تعداد أفرادها حوالي مليون شخص موزعين على ٦٠٠٠ قرية ، ويحصدون من كل ثلاثة آلاف كبسولة قرابة ٦ر١ كيلوجرام ، وفي المصانع توضع العصارة داخل علب خشبية معرضة للشمس والهواء ، ويقلب الصمغ كل ساعة ، ويبقى على حالته اثني عشر يوما ، بعدها يتحول الى عجينة سوداء لامعة ، تقطع قطعا ، وزن الواحدة خمسة كيلوجرامات ، وتغلف وتعبأ وتشحن تحت حراسة مشددة الى الدول المستوردة

المهم أن عمال المصنع يستحمون اجباريا ويوميا بعد انتهاء العمل ، ويفحصون طبيا مرة كل أسبوع ، ولا يسمح لأي منهم بالخروج بحذائه أو أدواته ، منعا للتهريب ، واحكاما للسيطرة

ومادامت هناك سيطرة ورقابة وهدف طبي من الصيانة ، فلا مانع ولا ضرر أو ضرار . لكن الأرباح الطائلة من التجارة المحرمة ، ومناعة مناطق الزراعة ، جعلت عصابات دولية تمول الفلاحين والوسطاء والمهربين ، وتمدهم بالأموال والسلاح ، فإذا أضفنا الى ذلك سهولة تحويل الصمغ كيميائيا الى مورفين ثم الى هيروين ، وتقطيره تقطيرا بدائيا ، داخل أوعية حديدية صدئة ، في مواقع داخل الزراعات أو الغابات ، يتوافر عندها مصدر ماء جار ، ومصدر طاقة حرارية ، جعل تجارة الهروين تجارة رائجة رغم كل المشاق والصعاب ، لذلك

مصنع إنتاج عقار الأفيون الإنكليزي بالهند ، وقد أنشأته شركة الهند الشرقية عام ١٨٢٠ ، وكان أحد
أسباب حرب الأفيون بين الصين وانجلترا .

المخدر يدخل الى الدم مباشرة
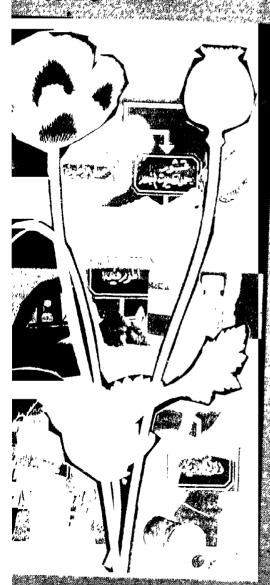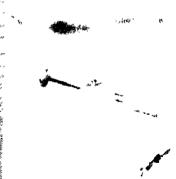
تحولت منطقة المثلث الذهبي التي هي أكبر منطقة تصدير للسم القاتل في العالم، رغم وجود مناطق انتاجية أخرى في كل شرق آسيا تقريبا حتى اليابان، وانتشر ادمان السم القاتل، وأصبح مرضا خطيرا يدفع أفراد المجتمعات دفعا صوب ارتكاب الجرائم.

ويكفي قولا أن ٧٥٪ من جرائم السرقات وحروب الشوارع داخل مدينة نيويورك دافعها الأساسي جيوب خاوية وجسد مدمن، وعقل مدمر لا يفكر ولا يتدبر، سوى الحصول على المال لشراء المخدر، وكل مرة يلقم جهازه الحيوي قدرا فادا به صوب حاجة أشد

من سابقتها، وكأن خلاياه غول مفترس لا ترتدع أو تشبع، لا تقنع ولا تقاوم، ويزداد المتعاطي استسلاما، ويضع زمام قيادته تحت امرة طاحونة مرعبة، عبر عنها الشاعر الانجليزي توماس دي كوينزي أصدق تعبير، في مؤلفه اعترافات مدمن

«كنت أشعر بالموسيقا مثل العطر، أحس انني أحيا مئات السنين خلال يومي أو ليلتي السعادة تملأحواسي، ثم أصحو من أحلامي فأصاب بالرعب المدمر، بعدها أمضي يوما طوله ألف سنة داخل كهف حجري، تحاصرني تماسيح تنهش لحمي وتدق عظامي»

ولو قدر للعالم النمساوي «فرويد» ـ أشهر مدمن مخدرات بين العلماء ـ قراءة ما كتبه الأديب الانجليزي بتمعن، فربما تردد أو أحجم عما سطره عن المخدرات، شارحا خلال كتاباته المستفيضة خصائصها، والانتشاء والنشوة واللذة والشعور بالحيوية الخارقة، نتيجة استثارة الأجهزة العصبية والحسية، ومهد الناس لتلقي سطوة المخدرات والسموم البيضاء بعد الخمور والأفيون

ابتكارات في تعاطي المخدرات

وتعاطي السموم البيضاء لها طرق وأساليب وابتكارات، منها الشم والمضغ والتدخين، وأخطرها ما استحدث عام ١٨٥٣ فور ابتكار الحقنة، اذ استخدمت في ادخالها مباشرة الى الدم ليظهر تأثيرها بعد ثلاث دقائق وان ركز المدمون على الشم فلأن

ورقة القنب الهندي

تجويف الأنف يحتوي على شبكة أوعية دموية هائلة، ممتدة داخل منطقة رطبة ساخنة، تساعد على سرعة امتصاصها، والواقع أنها مثل كل الطرق تؤدي العرض نفسه وكلها تفضي الى فقد الاحساس، والانتشاء المؤقت، وهبوط دقات القلب، وانخفاض ضغط الدم، وقد يصل الى حد النوم العميق فيما يشبه الغيبوبة، ومع استمرار التعاطي والانتقال صوب الادمان القاتل يبدأ ضمور خلايا المخ رويدا رويدا، ويصاب الجهاز العصبي كله بالوهن، ويتداعى اداء القلب والجهاز الدوري، وتنشب أمراض الجهاز الهضمي، زد على ذلك أن الشمامين يعانون التهاب الحلوق والعيون، وتتحول أنوفهم الى حنفيات يتدفق منها ماء غزير، كما تثقب عظمة الأنف مع سعال مستمر، كما ثبت من تجارب معملية على الفئران داخل المركز الطبي بجامعة ديوك الامريكية، تلف خلايا الكبد، وموت الخلايا العصبية، وظهور علامات الارهاق والتعب مما أدى الى وفاتها

والموت نتيجة حتمية للادمان، ولعلنا نعود بالذاكرة الى حادثة الموت المفاجيء لنجم كرة السلة الأمريكي ليونارد باياس في أوائل يوليو ١٩٨٦، وظل اهله داهلين غير مصدقين قرابة أسبوعين، حتى بدد الدكتور جون سريلاد الشكوك، وسحب الذهول باعلانه أن سبب الوفاة كان نتيجة شم اللاعب للمخدرات البيضاء، ولم يصدق أحد ما أعلنه وأمطرته وسائل الاعلام بأسئلة لا نهاية لها، فاضطر الى تفسير الأمر لقد أغلقت جزيئات المخدر نقاط

الاتصال العصبية داخل خلايا المخ ، وحوصر قلبه ، فلم يستقبل أي اشارة ، ومن ثم فشل وارتبك وتوقف عن العمل ، وانتقل اللاعب الى رحمة مولاه رغم شبابه وعضلاته المفتولة وعوده الغض ، وما عرف عنه من استقامة ، وقد يكون اللاعب القتيل تناول الكوكاكين وهو مادة شبه قلوية ، ذات خصائص مخدرة ، ولها درجة سمّية عالية ، وينسحب عليها ما ينسحب على الهيروين والمورفين وما شابه من سموم بيضاء ، حيث لا ينفع معها شباب أو فتوة أو لياقة بدنية

حدود الموت

وعلى حد قول الدكتور جيفري آسر ، استاذ امراض القلب ، في بحث نشره بمجلة الأكاديمية الطبية « لايستطيع احد في العالم تحديد الجرعة القاتلة ، اذ تتوقف على عوامل تخص جسم المدمن نفسه ، فالجرعة القاتلة لشخص قد لا تكون كذلك بالنسبة لآخر أو لنفس الشخص في تاريخ سابق أو يوم الوفاة ، اذ تختلف خصائص وقدرة الجسم يوما عن يوم وساعة عن ساعة ، فأجسامنا ليست الة حديدية

صماء ، بل عدة أجهزة حيوية وعصبية ، تتشابك معها مؤثرات نفسية واجتماعية وسيكلوجية ، قد تتكامل أداؤ ها الوظيفي في لحظة ، ولا يتكامل في لحظة أخرى ، ومعنى هذا أن متعاطي السموم البيضاء مثل رجل حشا بندقيته رصاصا وصوبها الى صدره ، وأخذ يلعب بزنادها ظانا أن الرصاص لن ينطلق ، وحتى اذا افلت المدمن من الموت المفاجيء ، فان ادمانه يجره جرا صوب تعاطي المهدئات والمسكنات والخمور والكحوليات ، مما يضعه تحت رحمه ثلاثة شياطين مردة يلهبون ظهره بالسياط دون رحمة أو هوادة ،

والنتيجة خلل اجتماعي واقتصادي تحتمله الآن بعض الدول أو بعض الأفراد ، لكن للاحتمال حدوداً ، وماراد عن حده انقلب الى ضده

ولعل الاحصائيات الأمريكية أكثر الاحصائيات الدولية صدقا ووضوحا ، فقد ذكرت أن عدد المدمنين يتراوح بين أربعة وثمانية ملايين فرد ، ينفق الواحد منهم اسبوعيا مئة دولار لشراء جرام واحد أي

ينفقون حوالى ٢١ بليون دولار سنويا تلقى في بالوعة المخدرات ، كما ذكرت بأن جميع طلبة الجامعات والمعاهد العليا مارسو لعبة تعاطي السموم البيضاء بشكل أو بآخر ، تحت وهم أنها مواد منشطة ومنبهة ، في حين ربط الذين أدمنوا بينها وبين سعادتهم الأسرية

وقد أرجع تقرير نشرة فرانك جاوين ، الأستاذ بجامعة ييل الامريكية ، سبب الادمان الى رغبة المدمن تحقيق قدر من السعادة لا يمكنه تحقيقها داخل الاطار العام للمجتمع ، فاذا واكب هذه الرغبة رغبة في العزلة والانطواء على النفس ، ينظر للمجتمع على أنه مجتمع رمادي اللون ، لا يجمله ويلونه ويبهجه سوى تعاطي المخدرات ، مثلما تلون زهور الخشخاش المزارع الخضراء ، وتخفي عن عين الزائر البؤس الشديد الذي يعاني منه المزارعون

محاولات للعلاج

وتتكشف بعض أسرار الادمان بفضل توافر معدات وأجهزة حديثة ، وأساليب جراحية متطورة تجاوزت مرحلة التسجيل الى مرحلة توضيح فسيولوجية الأعضاء ، ووظائف الخلايا العصبية ،

وانطلقت البحوث والدراسات من لمحة ذكية أدركها أطباء المخ والأعصاب ، اذ تيقنوا ان أدوية « الاحباط » مثل الامفرامين لها خصائص قوية في كبح رغبة المدمن بتعاطي السموم بنسبة ٩٠٪ خلال أسابيع ثلاثة يبقى المدمن خلالها تحت الاشراف الطبي

الكامل ، فإن واكب العلاج الكيميائي استثارة المدمن نحو الشفاء برأ وشفي مما ألم به ، وان ارتد على عقبيه ساءت حالته يوما تلو يوم ، حتى يفارق الارض الى السماء

والواقع أن تناول أداء الخلايا العصبية موضوع يحتاج تفصيلات كثيرة لا مجال لها ، لكن اذا نظرنا للخلايا على أنها تشبه البطاريات الجافة،اذ رصت خلف بعضها البعض وأغلقت الدائرة اضاءت مصباحا صغيرا أو انطلقت راديو ترانزستور ، وان عزلت عن بعضها فما نطق راديو ولا أديت وظيفة ،

بما دمنا نتحدث عن خلايا عصبية ، فلا محل للاتصال المعدني أو السِّلكي ، بل يتم اتصال الخلايا داخل منطقة التقاء عصبي تتصل بعضها عن طريق سائل لزج رقيق للغاية ، وكما في البطاريات الجافة ، هناك باعث للألكترونيات ومستقبل لها ، فان لكل خلية باعثا ومستقبلا ، وكل مستقبل من خلية يواجه باعثا من الأخرى ، فان أرادت خلية عصبية بث اشارة تنبيه ، أو امرا بأداء وظيفة ، أطلقت نبضة كهربية تترجمها الخلية الى شفرة كيميائية ، تطفو فوق سائل الاتصال ، الى حين تصل الخليه التالية ،

وتتكرر العملية حتى تصل الاشارة العضو المطلوب أو الخليـة المقصودة ، معنى ذلـك انه يمكن فصـل الاتصال ، اما باستعادة مادة الشفرة الكيميائية من فوق سطح السائل ، أو جعلها تتفاعل مع مادة اخرى تغير خصائصهـا تماما ، وتجعل وصولها الى الخليـة المستقبلة عديم الجدوى

ونلقي نظرة على أسباب الاحباط ، لنجد انه ينجم عن تحرك انزيمات خاصة داخل الخلايا عبر السائل الاتصالي ، وفور تناول المريض الأدوية ، يمنع الانزيمات من استكمال مسيرتها ، فيشعر المريض بأنه منتعش ومسرور

هذا تماما ما تقوم به مواد الهيروين والكوكايين ، اذ تحيط جزيئاتها بالانزيمات ، فتنطلق مادة الدوبامين والنورالدين ، وتبقى طافية فوق سطح سائل الاتصال مدة أطول

لكن مع استمرار تعاطي المخدرات البيضاء تستهلك وتستنزف الباعثات العصبية ، ويسحب الخمول ظلاله فوق خلايا المخ كلها مما يسبب انهيارا عصبيا أشد ، ويشعر المدمنون باحباط أشد وطأة مع تزايد القلق والتوتر والخمول والجوع الشديد ، لذلك يحتاجون كميات مخدرات ذات جرعات أكبر فأكبر

ولأن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده ، والحكمة لا يعلمها سواه ، وجد الأطباء أن أدويـه الاحباط لا تسبب ادمانا أو استنزافا عكس السموم البيضاء ، لهذا بدأت الدراسات الجادة نحو وضع منهج علمي خاص لعلاج المدمنين بأدوية علاج الاحباط أو الشلل الرعاش ، أو أدويه الشلل العصبي ، وما زالت كلها اجتهادات وخطوات على الطريق ، سوف تتبعها آلاف الخطوات

والعلم يسعى ويكثف العلماء جهودهم والحقيقة انه مهما حاول العلماء ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلا علاج حاسم وناجع لمشكلة القتلة البيض دون ايمان مطلق بالله سبحانه وتعالى ، واتباع أوامره والبعد عما نهى وصدق رب العزة القائل « لايغير الله مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » □

●

محجات الجاهلية

● تشير النصوص السريانية واليونانية واللاتينية القديمة إلى وجود الحج عند العرب قبل الاسلام ، غير أنها لم تشر إلى « وجود بيت واحد كان يحج إليه العرب جميعا يقول الهمداني إن العرب كانت لهم محجات متعددة ، منها بيت اللات ، وكعبة نجران ، وكعبة شداد الايادي وكعبة غطفان » كما يذكر ابن الكلبي بيوتا أخرى ، كبيت ثقيف ويشير الزبيدي الى بيت ذي الخلصة الذي كان يدعى الكعبة اليمانية ويذكر الدكتور جواد علي بيوتا أخرى ، مثل كعبة ذي غابة ، وكعبة ذي الشرى ، ويقول إن الحج إليها في يوم ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) من كل عام

أدب الرحلات في حياتنا الثقافية

دكتور سيد حامد النساج

شغلت الدراسات الأكاديمية والنقدية العربية ، بدراسة فنون الأدب ، من قصة قصيرة ورواية طويلة ومسرح وشعر ، لكنها لم تلتفت ـ طويلا ـ الى لون أدبي نثرى ، شهد عددا من التآليف فيه وأقدم على الكتابة فيه عدد لا بأس به من الكتاب الأعلام ذلك هو أدب الرحلات،فما هو موقعه من حياتنا الثقافية ؟

يستطيع الباحث المدقق أن يظفر بمئات الكتب في « أدب الرحلات » أي ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعا ، أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز ، وفي لغة خاصة ، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة .

اذا كان المستشرقون الروس يرجعون هذا اللون من الكتابة الى القرن العاشر الميلادي ، فان المكتبة العربية تؤكد أنه ظل ممتدا ومستمرا حتى عصرنا الحديث ، بل انه ازدهر وشهد تطورا في الموضوع ، والرؤية ، والهدف منه ، واللغة التي يكتب بها ، إذ من الملاحظ أن عددا كبيرا من الكتاب المعاصرين يحرصون بين لحظة وأخرى ، على أن يدونوا رحلاتهم ومشاهداتهم وتنقلاتهم هنا وهناك وهنالك ، وذلك في كتب مستقلة لها طابعها الخاص

القديم والحديث

يساعدهم في ذلك أن وسائل الاتصال الحديثة والعلم والتقنية ، قد يسرّا الانتقال الى أقصى الأرض ، بل بعيدا عن الأرض ، حيث يوجد القمر ، وهم يستعينون في كتاباتهم لرحلاتهم بالصور ، والمعلومات ، والوثائق ، والتشويق

والترغيب ، والمقارنة ، والخبرة ، والثقافة ، والرؤية ، وهي بالتأكيد كتابات تختلف كثيرا عن تلك الكتابات التي خلفها الأعلام الرواد ، مثل ابن خرداذبة ، واليعقوبي ، والبلخي ، وابن حوقل ، وياقوت الحموي في « معجم البلدان » ، وأبي دلف مهلهل الشاعر في « عجائب البلدان » ، والمسعودي في « مروج الذهب » ، وأبي الريحان محمد البيروني في « تاريخ الهند »، وأبي عبيد البكري الاندلسي في « المسالك والممالك »

ان الذي يقرأ كتابات الدكتور حسين فوزي التي تدور حول الرحلة ، مثل « سندباد مصري » و « سندباد في رحلة الحياة » و « سندباد في سيارة » و « سندباد عصري » و « سندباد الى الغرب » و « سندباد عصري يعود الى الهند » و « حديث السندباد القديم » أو يقرأ كتب محمود تيمور « أبو الهول يطير » ، و « شمس وليل » ، و « جزيرة الحبيب » و « الأيام المائة » وكتابات أنيس منصور المتنوعه في هذا الجانب «حول العالم في ٢٠٠ يوم » و « اليمن ذلك المجهول » و « بلاد الله خلق الله » و « أطيب تحياتي من موسكو » و « أعجب الرحلات في التاريخ » و « غريب في بلاد غريبة » «انت في اليابان» وكذلك كتابات أحمد حسين « من وحي الجنوب » وأحمد محمد حسنين « في صحراء ليبيا » وطاهر أبو فاشا « وراء تمثال الحرية » وأمين الريحاني « المغرب الاقصى » ومصطفى محمود « مغامرة في الصحراء » و « الغابه » وعبد الفتاح رزق « مسافر على الموج » و « رحلة الى شمس المغرب » وخيري شلبي « فلاح مصري في بلاد الفرنجة » وصبري موسى « في الصحراء » ومحمد كامل حته « في ظلال الحرمين » ومفيد فوزي « حوار سفر انسان »

أقول ان الذي يقرأ هذه الكتابات ، وغيرها كثير مما لا سبيل الى حصره ، سوف يلاحظ تطور هذا اللون من الكتابة النثرية الأدبية

دراسات نقدية

وهذا هو الذي يدعو الى ضرورة أن تتجه الدراسات النقدية الى هذا الأدب ، لدراسته ، وتحليله ، وبيان فائدته ، ودوره ، وأهميته إن كانت له أهمية ، من حيث هو عمل أدبي وفني ، وليس من أية زاوية أخرى ، والى أي حد أفاد من فنون الأدب النثرية كالقصة والرواية ، والشعر أيضا ، اذ ليس يكفي أن نقف عند الحديث عن أدب الرحلة عند ابن بطوطة ، وابن خلدون ، وابن جبير ، ورفاعة رافع الطهطاوي في العصر الحديث

ولا يعني هذا أنه لا توجد دراسات حول أدب الرحلة ، هناك كتاب (أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي) لأحمد أبو سعد و (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) لكراتشقوفسكي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، و(الرحالة المسلمون في العصور الوسطى) لزكي محمد حسن ، و (الرحلات) للدكتور شوقي ضيف ، و (أدب الرحلة عند العرب) للدكتور حسني محمود حسين ،

الذي درس هذا اللون من الأدب منذ الفتح الاسلامي حتى العصر الحديث ، وبالتحديد وقف عند القرن التاسع عشر ، من خلال عرضه لرحلة ابن جبير ، ورحلة ابن بطوطة ، وكتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ورحلة رفاعة رافع الطهطاوي الى باريس ، ورحلة أحمد فارس الشدياق الى مالطة وبريطانيا وفرنسا

وفي هذا الكتاب اقترب الدكتور حسني محمود حسين من عالم كل رحالة ، وحاول اعطاء صورة عامة عن الظروف التي أحاطت بالرحلة ، وبكاتبها ، وبالكتاب نفسه ، ثم انه عرض الرحلة عرضا وافيا ، افاد فيه بنصوص من كتب الرحلة ذاتها ، وكان له اهتمام ملحوظ باللغة التي كتبت بها الرحلة ، كما حرص على أن يبين الى أي حد تختلف رحلة ابن جبير عن رحلة ابن بطوطة مثلا ، وكذا الرحلات التي قام بها أصحابها في القرن التاسع عشر ، بمعنى أنه فاصل بين رحلة وأخرى من حيث الرواية ، والاسلوب ، والاقتراب من السيرة الذاتية

وهو من هذه الجوانب ، اختلف كثيرا عن غيره ممن كتبوا عن أدب الرحلة عند العرب ، أولئك الذين اعتبروا الرحلة عملا جغرافيا وليس ابداعا أدبيا ، درسوا الرحلات من حيث هي تسجيل لجولات قام بها اصحابها ، ودونوا فيها ملاحظاتهم ومشاهداتهم ،

وحاولوا أن يتلمسوا الدوافع الى الرحلة وأسبابها ، ونتائجها ، كما حاولوا تفسير بعض ملاحظات الكتاب ، وشرح كلماتهم التي تستعصي على الفهم

اتجاهات مختلفة

وفي تصوري أن دراسة أدب الرحلة تستلزم البحث في كل رحلة على حدة من حيث هي بناء فني ، وابداع أدبي ، له أسسه الخاصة ، وملامحه الذاتية ،

التي تميزه من غيره من فنون الأدب الأخرى ، التي قد تشترك معه في بعض الخصائص والسمات ، هذا هو المنطلق الذي ينبغي أن تنطلق منه أية دراسة موضوعية

لهذا اللون من الأدب ، فنحن عندما نتعامل مع هذا الأدب باعتباره « شكلا » فنيا خاصا ، خير ألف مرة من التعامل معه باعتباره تسجيلا جغرافيا ، مما يخرجه من دائرة الأدب

وهذا يتيح لنا فرصة استكناه كل عمل ، وجلاء ما يتميز به ، وما أصابه ، كما يسمح بالمقارنة بين الأعمال المختلفة ، بل انه يكشف عن الاتجاهات المتباينة لأدب الرحلات ، وفقا لما تتضمنه كل رحلة ،

فهناك رحلات ذات اتجاه ديني ، وأخرى ذات اتجاه جغرافي ليس غير ، وثالثة ذات اتجاه حضاري ، ورابعة كتبت بقصد تدوين الرحلة في حد ذاتها ، وهكذا ، وهو ما ستدعي تصنيفا موضوعيا للرحلات ، ودراسة فنية لها في ضوء هذا التصنيف ، وهنا سوف يدع الباحث جانبا ما أشيع من أن معظم ما كتبه العرب في هذا الجانب أدب جغرافي ، كما قال بذلك الباحثون الروس ، وغيرهم من الباحثين العرب ، وهذا المصطلح تلزم دراسته ، وتحديد مفهومه ودلالته ، والانتهاء من تحديد موقف علمي منه ، من قبل كل من يتعرض للكتابة عن أدب الرحلة

وعندما ينتهي الدارس أو الباحث من تحديد موقفه من المصطلح ، يبدأ في تحديد رؤية الكاتب الرحالة ، ثم ما كان يستوقفه ويلفت نظره ، ويقف عنده

طويلا ، هل كانت تشغله المعالم الحضارية كالآثار ، والمعابد ، والمتاحف ، والمساجد ، والكنائس ، والأماكن التاريخية ، فيصفها وصفا مطولا ، ويستطرد في ذكر كل ما يتصل بها ، من تواريخ ، وأعلام ،

ووقائع ، أم كان همه الأوحد هو وصف الأماكن من حيث موقعها الجغرافي ، وما تتسم به ، وفيم تتشابه وفيم تختلف ، وتأثير العوامل الطبيعية فيها ؟

وهناك من كان يستهدف الاتصال بالسلطان أو الحاكم فيشغل به عمن عداه ، وهناك من كان يحرص على لقاء العلماء ، ورجال الدين ، ومجالس العلم ، في البلدان التي يمر بها في رحلته ، وكان هذا

يستغرق كل وقته ، فيعطيه مساحة كبرى داخل نص الرحلة ، ومسألة موقف الكاتب ـ الرحالة من الطبقات الاجتماعية ، ومن الناس العاديين الذين كان يصادفهم ، بنظرته اليهم ، دراسته لأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، اقترابه من فهم أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومعرفة وسائل معيشتهم ،

وطرق حياتهم اليومية ، والعلاقات الاجتماعية بين الطبقات وما شابه ذلك ، هذه مسائل تلزم دراستها عند التصدي لموضوع الرحلة في الأدب العربي

وقد يتسع هذا ببيان عنصر الصدق في الرحلة ، وجلاء الحقيقة ، أين تكون ؟ أحداثا ووقائع وأماكن وأناسا وما هو دور الخيال ، اذ ربما تكون الحقيقة جانبا هامشيا ، وتترك الخيال كي يلعب أهم الأدوار

بداية ونهاية

ويلعب مدون الرحلة أو راويها دورا هو الآخر ، فصاحب الرحلة ـ في بعض الأحيان ـ لم يكن يقوم بكتابتها بنفسه ، اذ كان يمليها أحيانا ، أو يرويها لمن يقوم باملائها أحيانا ، وفي الحالين هناك كاتب للرحلة

ليس هو صاحبها بطبيعة الحال ، ومعروف أن السلطان أبا عنان سلطان فاس وفر لابن بطوطة محررا أدبيا من كتاب ديوانه هو « ابن جزي » ليقوم بتدوين رحلة ابن بطوطة

وهذا يقتضي تحليلا معمقا لبيان دور كاتب الرحلة أو مدونها ، واستخلاص خصائص أسلوبه ان كانت له بصمات واضحة ، وذلك لتحديد سمات وملامح أسلوب صاحب الرحلة الأصلي ، ولن يتأتى ذلك الا بدراسة نقدية للكتابات كل منها ، في ميادين أخرى

أما من حيث البناء الفني للرحلة ، أو معمارها الأدبي ، فان أحدا من الدارسين السابقين لم يلتفت اليه ، فلكل رحلة « بداية » و « نهاية » كيف جاءت « البداية » ، وكيف وفق الكاتب الى « النهاية » وهل هي نهاية فنية ، أم أنها نهاية تقليدية ، حكمها عنصر الزمن ، والفترة المحددة للرحلة ، هل هي نهاية طبيعية ، أم مفتعلة ، وعنصر التشويق في كل من « البداية » و « النهاية » ، وسيلة الدخول الى موضوع الرحلة وطريقة الانتهاء منها ، لغة « البداية » ولغة « النهاية »

ولا شك أن كل رحلة حفلت بعدد وافر من الشخصيات ، من مستويات اجتماعية وفكرية وثقافية مختلفة ، كيف تعامل كاتب الرحلة مع هذه الشخصيات ، وأي نوع من البشر حرص على تقديمه في رحلته ، وكيفية معالجته لهذا الجانب ، ووصفه للشخصية ، تحريكه لها ، دور الخيال في هذه المعالجة ، هل كل الشخصيات في الرحلة مستمدة من الواقع الذي رآه ، وعاشه ، واحتك به ، وتعامل معه ، أم أنه اكتفى ببعض من صادفهم ، ثم صور من وصفوا له ، أو سمع بهم ، من قبل آخرين ، بمعنى أن الشخصيات عنده نبعت من مستويين مختلفين ، المستوى الأول واقعي ناجم عن رؤية ومعايشة ، والمستوى الثاني مستمد من معايشة الآخرين ، ومن السماع ليس غير ، والى أي حد انعكس ذلك في تقديم الشخصيات ، كذلك الحال بالنسبة لوصف الأماكن ، وتدوين الوقائع والأحداث

دور الشعر

وللشعر في معظم الرحلات التي بين أيدينا وجود ملحوظ ، وبخاصة تلك التي كتبت في العصور المتقدمة ، أما الرحلات التي كتبت في القرن العشرين فان الشعر لا يلعب فيها دورا على الاطلاق

وهي ظاهرة تلفت نظر الدارس ، مما يدفع الى الوقوف عند « الوجود الشعري » في الرحلة ، بقصد دراسته ، ومعرفة مصدره ، والى أي حد جاء « الشعر » منسجما مع بقية العناصر الفنية في الرحلة ، بحيث يأتي البناء الفني الكلي للرحلة مستقيما ومتماسكا

وثمة تساؤل ينبغي على الدارس الاجابة عنه . هل « الشعر » الموجود من تأليف كاتب الرحلة وصاحبها الأصلي ، أم أنه من تأليف غيره ؟ ولماذا استشهد به ؟ وكيف كان الاستشهاد ؟ وهل كان موفقا فيه أم لا ؟

الى غير ذلك مما يثيره « الشعر » كعنصر موجود في البناء العام للرحلة ، استشرافا للحكم على « الوحدة العضوية » للرحلة ، عملا أدبيا فنيا

ولا يفوت دارس هذه الكتابات الأدبية التي تدور حول « الرحلة » جانب « المقارنة » مقارنة أساليب الكتاب ، واتجاهاتهم ، ووسائلهم الفنية ، وأدواتهم التي استعانوا بها ، وصولا الى تبين الملامح الفنية الأساسية لهذا اللون من الكتابة الأدبية ، وبحثا عن مواضع التأثر والتأثير المتبادل ، وبيانا للمراحل الفنية التي مر بها هذا الشكل الأدبي ، وكشفا للملامح الجديدة ، ومعرفة الاضافات التي أضافها الكتاب المحدثون

ان هذا اللون من الأدب العربي أصبح يشكل جانبا مهما في مكتبتنا العربية ، منذ تلك الرحلة التي قام بها « أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير » الكناني الأندلسي ، ليحج بيت الله الحرام ، في الثامن من شوال سنة خمسمائة وثمان وسبعين للهجرة - ثلاث وثمانين ومائة بعد الألف ميلادية - وهي الرحلة التي استغرقت سنتين وثلاثة أشهر ونصفا

لقد فتحت هذه الرحلة الباب لكثير ممن جاءوا بعده من الرحالة والجوابين ، كي يقدموا على كتابة رحلاتهم بشكل أدبي ، وقد كانت الحصيلة مكتبة كاملة ، تراثية ومعاصرة ، لأن الأدباء المعاصرين في كل الدول العربية أسهموا - بشكل أو بآخر - لتدعيم هذه المكتبة ، وللاضافة الى هذا اللون من الأدب

ومن ثم كانت دعوتنا لدراسة هذا الشكل الأدبي المتميز ، في ضوء تلك الملاحظات التي أبديناها وحددناها

دورة الحياة والموت النباتية

هل تؤدي إلى فك أسرار الشيخوخة الانسانية ؟

بقلم / بدور عبد الكريم

اذا كان الانسان قد بدأ يفتتح ـ بفضل تطوير تقنيات استكشاف الفضاء ـ مغاليق الكون الخارجى والكواكب السيارة ، واذا كان بفضل كرة الغوص التى ابتكرها البروفيسور « كوستو » قد بدأ يفتتح مغاليق أعماق البحار وقيعانها ، فان هناك عالما أقرب منالا ، لم يكشف الانسان بعد عن مغاليقه ، ولم يسجل على صعيده أى فتوحات علمية ، إنه العالم الذي يرقد تحت أقدامنا ، أى عالم التربة المباشرة ، هذا مع ان اتجاهات العلم الحديث تفترض أن مفتاح لغز دورة الحياة والموت الانسانية يكمن في دورة الحياة والموت النباتية في التربة ، وهكذا في خط مواز لذلك ، تتجه الابحاث الهادفة الى فهم ظاهرة الشيخوخة ، ومحاولة الحد من تأثيرها في الجسم الانسانى الى دراسة ظاهرة الذبول والجفاف الموسمي ، لأوراق من الشجر وسقوطها على الأرض

ذلك انه اذا نثرت ريح الخريف أوراق الشجر الجافة على الأرض ، لتتحلل وتتحول الى هباء منثور ، فان كل ورقة تقع على الأرض وتتلاشى هي في نظر علم البيولوجيا ، تمثل الدورة الكاملة للحياة ، كما أنها تمثل عملية التغذية المستمرة للحياة بمقومات الصمود والاستمرار

المعروف أن أوراق النباتات التى تنتج الشطر الأعظم من الكائنات الدقيقة ـ المستعصية على الرؤية الا عبر المجهر الالكتروني ثلاثي الابعاد ـ انما تؤمن في الوقت ذاته المواد اللازمة والجوهرية من أجل النمو الذاتي بالذات

ومع أن الحياة في التربة المباشرة لم تزل مجهولة

سيا ،ويحيط بها الكثير من الغموض مما يتحدى الذكاء الانساني والقدرات العلمية ، فانها على مايبدو لم تستقطب بعد الاهتمام العلمي اللائق بها ، الا مؤخرا وبشكل نسبي ، بعد أن أصبحت ظاهرة الامطار التي يتخللها حامض الكبريت وحامض الكربون مصدرا كبيرا للقلق ، كجائحة وباء بيئي يفتك بالقدرة الانباتية في التربة ، ويميت كل حياة فيها ، ويطرح على العلماء سؤالا لم يزل دون جواب قاطع

كيف تحدث عملية تشبع ابخرة السحب بحامض الكبريت ، وكيف يمكن تجنب أخطار الأمطار المشبعة بها ؟

ردا على هذا السؤال يتمحص العلم بشكل متعمق ظاهرة تحلل وتعفن أوراق الشجر الجافة ، وبشكل يبشر بقرب افتتاح آفاق وكشوفات جديدة ومثيرة على صعيد علم « الأحياء الحربئية » أي المخلوقات المتناهية الدقة ،وعلى هذا الصعيد فان (النيماتودات) أي الديدان المجهرية الأحادية الخلية التي يعج بها باطن التربة ، هي في طريقها الى أن تصبح سلالة جديدة من فئران المختبرات ، بل سلالة ثمينة فعلا

ولما كانت دورة حياة هذه الديدان قصيرة جدا ، لاتتجاوز أياما معدودات ، فان علماء البيولوجيا يركزون على استخدامها في سلسلة لا متناهية من التجارب الهادفة لفك مغاليق لغز من أكثر الألغاز تحديا لعلم الكائنات الحية ألا وهو سر التباين في تركيب الخلايا اي الطريقة التي يستطيع فيها كائن دقيق متعدد الخلايا أن يختلف عن غيره في السمات والخصائص ، انطلاقا من بويضة أثناء عملية تكون يرقته ونموها

ولكن على هامش ذلك فان ظاهرة تساقط أوراق الشجر لاتزال تؤلف الأفق الذي يستقطب علماء البيولوجيا الراغبين في احراز فتح علمي يؤمّن لهم قهر الشيخوخة في الكائنات النباتية ، ثم الحيوانية والانسانية ، ذلك أن هذه الظاهرة ليست الا نموذجا لشيخوخة سنوية متكررة ، أو لمرحلة من الهدم تؤدي الى موت الأوراق

ولكن لم هذا الموت الجماعي الذي يحدث بشكل نظامي منضبط العمليات تقريبا ؟

لقد حاول البروفسور السويدي ليبارت بيلسون بأساليبه الخارقة في التصوير عبر المجهر الألكتروني ، ان يضع تحت ايدي العلماء وبخاصة زميله بيلربيلفست،مجموعة رائعة من الصور المكبرة الملتقطة عبر عدسة المجهر الألكتروني،الذي يمكنه من خلالها تكبير الأحياء المتناهية الدقة حتى ١٦٠٠ مرة ، بل حتى ٢٥٠٠ ، وأحيانا حتى ٥٣٠٠ مرة

وتلعب هذه الصور دورها المهم في توضيح بعض عوامض التحولات الخفية التي تحدث باستمرار في باطن التربة ، وتحت أقدامنا مباشرة ، دون أن نشعر بها بالطبع

ولعله يجب التذكير أن بيلسون قد حقق فتحا رائعا

● **قراءة مجهرية من نوع آخر ، وهو نوع يعشش في التربة وفي الغبار في زوايا البيوت ، وبين ثنايا أسرّة النوم ،وفي هذه الصورة نراها تدب على بقايا ورقة شجرة التهمتها البكتريا ، ذلك أن مهمتها ان تلتهم مخلفات البكتيريا وما يتناثر من رقائق الجلد من جسم الانسان خلال عملية التجديد الدائم التدريجي للبشرة الانسانية**

ان دور الفراويات كبير في دورة الحياة والموت الانسانية ، ولكن لها دور سلبي في الحياة الانسانية ، اذ تؤلف عاملا رئيسيا من عوامل الاصابات بالربو

عندما استنبط وسائل فنية معقدة ومتقدمة ، مكنته من تصوير الجسم الانساني من الداخل ، وشكل دفع الى الامام أساليب معالجة أمراض القلب وتصلب الشرايين ، واستكشاف الخلل في وظائف الأجهزة الحيوية ، مثل الكلية والكبد والمرارة الخ

وتكريما له احتارته جامعة اوبسالا السويدية استاذا فخريا

هذا ويصطلع ، والبروفيسور ريتشارد هاردويك ـ أحد الباحثين في مشتل الأبحاث النباتية في ويلزبورن (بريطانيا) ـ بنظرية جديدة ، يرد فيها سبب تساقط الاشجار في شكل موت جماعي ، الى أن الشجرة تنتج في مواسم معينة هرمونات الهرم والشيخوخة كدعوة الأوراق التي اكتملت حياتها من أجل أن تغادر الدنيا بموجب قانون الانتخاب والانتقاء الطبيعي القائم على أساس مبدأ الحياة للأقوى

وبالطبع فان ذلك يعود بأذهان الباحثين الى سر معلق لم تزل الأجوبة عليه في حكم النظريات الاختيارية غير القاطعة ، إنه اللغز الماثل في هذا السؤال ، « ما هو أصل الشيخوخة ؟ »

المتعارف عليه بشكل تقليدي أن الشيخوخة هي ببساطة نتاج مرور الزمن والتقدم في السن ، وكذلك حاصل تراكم أخطاء ترتكبها الكائنات الحية ذات الخلايا المتعددة ، ونتيجة للشيخوخة تتوارى هذه الكائنات من الحياة ، لكي تترك المجال لأنسالها ذات المعالم الوراثية المتماثلة مع معالمها

ان هذا التفسير يبدو منطقيا على صعيد دراسة دورة الحياة النباتية ، ذلك لأن موت الأوراق لايؤدي لموت النبتة بالذات ، فالأوراق الذاوية المتساقطة على الأرض تسهم وتشارك ضمن التربة في دورة الحياة الكونية ، وتقدم بالتالي للكائنات النباتية الغذاء على تشكل آزوت وأحيانا على شكل سماد

في هذا السياق يقول البروفيسور هاردويك ان الأوراق الميتة تستطيع على صعيد تغذية بعض الأنواع والفئات النباتية أن تلعب دورا في تنافس هذه الانواع والفئات مع أنواع وفئات نباتية مجاورة ، ومن ناحية أخرى فان تلاعب الريح بها مما يؤدي الى انتشارها هنا وهناك ، يمكّن من تجنب التركيز المخطر للمواد الثقيلة السامة في النباتات

وهكذا . . فان الأشجار أو الكيانات النباتية لم تعد في نظر العلم مجرد كيانات آلية بسيطة توجهها بيئتها ، انما هي بالأحرى أجهزة وتكوينات متوائمة ومعقدة ، تخضع لقانون التطور (النشوء والارتقاء) وبالتالي فان لشيخوختها سببا حياتيا

وكما هو الحال في شيخوخة المخلوقات البشرية ، والكائنات الحيوانية ، يجابه علم الأحياء تحديا جديدا له وللطب ، الا وهو التحدي الكامن في ايجاد تفسير قاطع لظاهرة الشيخوخة الموسمية التي تجر الى موت أوراق الشجر

عند هذا الحد تستقطب التربة اهتماما بقدرتها الانباتية ، ومما يذكرنا بقول حكيم المعرة

خفف الوطء ما أظن أديم الأ
رض الا من هذه الأجساد

لقد أجرى البروفسور السويدي بيلر بيلفست ـ الاحصائي العالمي الشهرة في دراسة التربة الذي يقوم بأبحاث رائدة ـ الاحصاء الطريف التالي

مئات المليارات من البكتريا ملايين الفطريات النباتية والجرثومية ، أكثر من ٢٠٠ الف من الديدان العنكبية،أكثر من مئة ألف من فئات الحشرات القروية بالاضافة الى ما يتراوح بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ من ديدان التربة العادية ، والاف الملايين من الجراثيم والكائنات المتناهية الدقة والقراديات من كل الفئات المعروفة ، بما فيها الكائنات الدقيقة التي تنتسب الى فئة الخلد »

الأرقام السابق ذكرها انما هي احصاء تقريبي لعالم الأحياء الذي ينطوي عليه المتر المربع الواحد من التربة التي ندوسها !

إنه عالم يؤلف مصنعا للحركة الدائمة ، ويقوم بمهمات قد تكون أكثر مهمات الكائنات الحية غموضا واستغلاقا ، ولكنها بالتأكيد من أكثر المهمات فائدة للحياة الانسانية والكونية

لكي نفهم هذا الوضع الذي يمكن أن يثير ذهولنا ، يجب أن نعي باستمرار حقيقة أن كل مانأكل يأتي بشكل مباشر أو غير مباشر من النباتات الخضراء ، فهي التي تستخدم (عبر عملية التحليل والتمثيل الضوئي) الطاقة الشمسية وغاز الفحم والماء ، لكي تقوم بانتاج وتكوين الغذاء الكوني العام ، أي المواد العضوية التي تستهلكها الكائنات الحيوانية والنباتية التي نأكلها ، ولكننا مع ذلك لا

ستخدم الا شطرا يسيرا جدا من المواد العضوية التي تنتجها الكائنات النباتية ، اذ ان الشطر الأعظم ينتهي الى حالة التحلل الحتمي

ولكن ذلك لايؤلف هدرا كبيرا في الواقع ، نظرا لأن تحلل المواد العضوية على يد الجماهير الشرهة من الكائنات المجهرية الكامنة في التربة يؤمن انتاج المواد التي تستخدمها النباتات في نموها عبر دورة الحياة

وكما يقول البروفسور بيلر بيلفست فان سقوط أوراق الشجر على الأرض في الخريف لا يؤلف خاتمة نهائية لكيان الورقة الذاوية ، انما يؤلف في الوقت ذاته بداية لمرحلة جديدة من مراحل استمرار الحياة وتطورها ، فلا تكاد عملية الدمار تقضي على أغشية الخلايا في الورقة الذاوية المتساقطة ، حتى تدب مليارات الكائنات المجهرية في جثمان الورقة الذابلة ، لكي تهيء أسباب تسهيل مهمة فئات أخرى من « المستهلكين الكبار والصغار » تلك التي يستهويها الغذاء الأكثر غضا وفسادا

هذه الفئات تؤلف جماهير (دافني الأموات) وينطوي تحت لوائها مختلف أنواع البكتريا والفطريات المجهرية

انها فعلا جحافل غفيرة ذلك أن غراما واحدا فقط من تراب التربة ، وبخاصة اذا كان مسمدا ، يحتوي على عدة مليارات من وحدات البكتريا ، ومنها بكتريات تشبه - عبر عدسة المجهر - العصيات ، وبعضها يشبه الكريات ، وبعضها الاخر يشبه اللوالب ، وبعضها يحتاج الى أوكسجين ، وبعضها لايحتاج اليه ، وبعضها عار ، وبعضها الاخر مكسو بأهداب اهتزازية تمكنها من التنقل

هذه البكتيريات هي كذلك جزء أساسي من دورة الحياة ، ذلك أن كائنات أكبر منها تنتسب الى فئة « احاديات الخلايا » - وهي أيضا فئات لاترى الا بالمجاهر الالكترونية - تقوم بالتهامها ، لتتحول هي الاخرى بدورها الى مادة غذائية لبكتريا أخرى

وفي الوقت ذاته تؤمن عملية التنفس للتربة ، ولما فيها من نباتات ، مئات من الديدان العادية والحشرات التي تعيش في التربة الباطنة التي تقدم المأوى حتى لبعض الحيوانات اللبونة (الخلد مثلا) ، وهي في العالب تتغذى بعضها بعضا ، وتفتح في بحثها عن فرائسها الانفاق الباطنية التي يتسلل اليها الهواء مما يؤمّن التنفس للنباتات ، وفي الوقت ذاته فإن هذه الحشرات والكائنات تفصل بين المواد المهترئة في باطن التربة ، وتهيىء المجال في المتر المربع لمئات المليارات من جماهير القوى العاملة من البكتريا التي تحتوي افرازاتها على كائنات أدق منها حجما ، أي أحاديات الخلية التي تدعم عملية التعفن والتحلل التام

ان أنواع أحاديات الخلية التي ليس بينها وبين الديدان شبه كبير ، يمكن أن تعد بالملايين ، وبعضها يأكل البكتيريا وبعضها يعيش طفيليا على النباتات والخضار ، على أن أكثر أحاديات الخلايا تواجدا هي فئة الاحاديات العنكبية ، ذلك أن المتر المربع من التراب الخصب يمكن أن يضم ٢٠٠ ألف واحدة منها ، ولكن الغالب أن المتر المربع من الأراضي المستثمرة استثمارا زراعيا التي يكثر فيها استخدام السموم والمبيدات ، لا يضم أكثر من ١٠ آلاف واحدة منها ، وتقل هذه النسبة كثيرا في التربة ذات الطين الصلصالي

أما ديدان الأرض فهي تشارك بقسط كبير في انتاج السماد الطبيعي ، حيث تلتهم التراب وما فيه من بقايا نباتية ، كما تستهلك البقايا التي أمست تحللها الكائنات المجهرية ، ومن ثم تحرر هذه المواد بعد هضمها على شكل سماد ، وترمي ما يستعصي هضمه على شكل صلصال لزج ومتين يشبه الاسمنت

هذا ويضرب لنا تشارلز داروين - الذي قد لايعرف الكثيرون انه وضع مؤلفا مستفيضا عن ديدان التربة - مثالا حيا على دور هذه الديدان في تمهيد التربة وتغيير معالمها ، عندما تابع بالملاحظة مدة خمسة عشر عاما مساحة من الأرض الصلصالية الصفراوية التربة ، ليجد أن سطح هذه المساحة من الأرض قد خسف ٧ سم نتيجة نشاط الديدان في باطن التربة

ان كل ما تقدم يرسم صورة مثيرة ، تنشر بفتوحات علمية رائعة على عتبة القرن الحادي والعشرين ، اذ أن هناك اجماعا في الاعتقاد بأن الأبحاث التي تجرى على دورة الحياة والموت النباتية ستفتح الكثير من مغاليق أسرار دورة الحياة الانسانية □

أول فبراير ١٩٨٧

عدد خاص

مؤتمر القمة الإسلامي

عيد الكويت الوطني

- الصندوق الكويتي للتنمية "ربع قرن من العطاء والنماء"
- هكذا كانت الحياة ..

المسلمون إلى أين؟
د. أحمد كمال أبو المجد

د. محي الدين عميمور

الإسلام والأرض
د. أحمد علبي

استطلاعات ملونة :

سليمان الشيخ

محمود عبد الوهاب

صلاح حزين

واقرأ

- الإرهاب .. من زاوية عربيّة — د. فؤاد زكريا
- رحلة إلى حافة الكون — م. سمير شعبان
- تولستوي والعرب — د. جابر أحمد جابر
- وجهاً لوجه .. عبد الحميد بن هدوقة و أبو المعاطي أبو النجا
- كتاب الشهر/ السياسة الدولية والشرق الأوسط — د. أديب نصور

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - محمد إبراهيم أبو سنة - مصطفى طيبة - د. محمد عبد الله الشاري
فهمي هويدي - منذر الأسعد - د. محمد محمود منصور - د. محمد الزعبي

منتدى العربي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

قضية
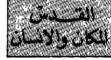
الاكتفاء الذاتي والإرادة القومية

بقلم : الدكتور فهد الفانك

« لم يعد الغذاء مجرد سلع تجارية ، فقد تجاوز هذا المعنى الضيق للتبادل وأصبح سلعة استراتيجية يخضع للسياسة ولرغبة محتكريه ، وفي وطننا العربي امكانات كبيرة لانتاج الغذاء ، ورغم ذلك فاننا نقنع باستيراده معرضين سيادتنا وأوطاننا للخطر »

ليس هناك خلاف بين المفكرين وصناع القرار العرب على أن الغذاء الذاتي العربي في خطر ، وأن هذا الخطر يتزايد عاما بعد آخر ، بحيث يصبح العرب أكثر اعتمادا في غذائهم على الاستيراد ، وما يعنيه ذلك من عدم التأكد من توافر المواد الغذائية في المستقبل أو أسعارها .

لقد أمكن التغطية على المشكلة المتفاقمة ومنعها من الوصول الى حد الأزمة والمجاعة (الا في السودان والصومال وموريتانيا) نتيجة لتوافر العملات الأجنبية في العقدين الماضيين ، مما مكن الدول العربية من شراء احتياجاتها من الخارج . ولكن ، ماذا يحدث اذا هبطت أو تلاشت موارد الدول العربية من العملة الصعبة وتبخرت الاحتياطيات العربية من العملات الأجنبية كما تدل كل المؤشرات الحالية ؟

لن نركز على الأرقام والاحصاءات ، فليس من المهم اثبات ان الانتاج العربي من القمح قد هبط الى ٤٠٪ أو ٣٠٪ من الاحتياجات القومية ، فالاجراءات والسياسات المطلوبة لا تختلف في الحالتين . وهناك اجماع على أن الوطن العربي يعاني من نقص حاد في السلع الغذائية الاستراتيجية ، وفي مقدمتها الحبوب واللحوم الحمراء والسكر والزيوت .

ولقد لمسنا فعالية سلاح النفط في عام ١٩٧٣ ، عندما استخدم بشكل جزئي ولفترة قصيرة ولأهداف محدودة ، ومع ذلك فقد هز العالم من أقصاه الى أقصاه . وفي خلال عقد واحد تمكنت الدول الصناعية من ابطال هذا السلاح المحتمل ، وتحويله الى سلاح موجه الى صدور العرب أنفسهم ، ونقطة ضعف في جبهتهم الاقتصادية والسياسية .

وسلاح القمح ليس اصطلاحا غربيا ، فقد ذكر صراحة كرد على سلاح النفط . واذا كان في الوقت الحاضر غير فعال كما دل استعمال أمريكا له ضد الاتحاد السوفياتي قبل أكثر من ست سنوات ، فان السبب في ذلك يعود الى استعمال هذا السلاح في وقت كانت السوق الدولية تشكو فيه من فائض انتاج

القمح ولكن ، مادا يحدث عدما يزداد الطلب العالمي على القمح لدرجة تزيد عن كل المعروض من القمح ؟ سيبدأ تصاعد الأسعار والتحكم في الجهات التي يسمح لها بالحصول على احتياجاتها من هذه المادة الغذائية الأساسية

ولو كانت المشكلة عالمية أو شاملة لقلنا ان قدر الأمة العربية أن تتعرض لجميع المشكلات التي تواجه الدول النامية ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك فالأزمة تنحسر عاما بعد آخر في كل أنحاء العالم تقريبا،ولكنها تتفاقم في منطقتين فقط هما الوطن العربي ، وأفريقيا السوداء ، وفيما عدا ذلك فان معظم حكومات الدول النامية حرمت أمرها على تحقيق قدر أكبر من اكتفائها الذاتي في مجال الغذاء وحتى الدول المكتظة بالسكان كالهند والصين ، التي كانت مرشحة للمجاعات ، تمكنت من انتاج ما تحتاجه لاستهلاكها الداخلي وتحولت الى التصدير ، كما أن ٣٠ دولة في العالم انتقلت من مجموعة الدول المستوردة للقمح الى مجموعة الدول المصدرة له وهذا الوضع الجديد خلق وفرة كبيرة في القمح المعروض في السوق العالمية لدرجة جعلت العرب لا يشعرون بالأزمة الزاحفة عليهم

واذا كانت كل هذه الدول ، وفي مقدمتها الهند والصين ، قد استطاعت عن طريق اتباع السياسات الزراعية الملائمة أن تحقق اكتفاءها الغذائي ، فالمهمة اذن ليست مستحيلة ، خاصة اذا كانت الامكانيات موجودة بشكل أراض زراعية شاسعة تعادل ثلاثة أرباع مساحة الأراضي الزراعية في الولايات المتحدة ، ولكن لا يستغل أكثر من ربعها ، ولا يروى سوى ٥٪ منها

وذلك رغم توافر المياه التي يذهب معظمها الى البحر ، وكثافة عدد السكان الذين يمارسون الزراعة ويقاربون نصف السكان ، وكفاية القوى العاملة الزراعية التي لا تقل عن خمس القوى العاملة العربية بأسرها

عوامل الانتاج المتعارف عليها (موارد طبيعية وقوى عاملة ورأسمال) موجودة ، فما ينقصنا إذن هو العنصر الرابع من عناصر الانتاج وهو الادارة والتنظيم ، أو من الجمع بين عوامل الانتاج الأخرى بالنسب الملائمة للانطلاق في الانتاج ، أو السياسة الزراعية العربية الناسبة

من هنا فان مهمة راسمي السياسات وصانعي القرارات العرب ، والتحدي الذي يواجههم ، هو كيف يقومون بهذه المهمة ، مهمة توظيف عوامل الانتاج المتوافرة ووضعها في نمط انتاجي تصاعدي وديناميكي ، وكيف يمكن للاقاليم العربية أن تتكامل في سوق زراعية عربية واحدة ، تحل مشكلة التسويق ، وتجمع بين أزمة الفوائض في بعض الأصناف وأزمة النقص لذات الأصناف في دولة عربية أخرى

وهذا يتطلب الاتفاق على استراتيجية جديدة للأمن الغذائي العربي ، قابلة للتطبيق ، وبعيدة عن الاعتبارات السياسية المتقلبة بين قطر عربي وآخر

استراتيجية للاكتفاء الغذائي العربي

قبل ست سنوات ـ وبالتحديد في ٢٦/١١/١٩٨٠ ـ انعقد في عمان مؤتمر للقمة العربية هو مؤتمر القمة الحادي عشر واتخذ قرارات واضحة باستراتيجية اقتصادية عربية شاملة ، توجت بخمسة بلايين دولار تعهدت بها الدول العربية المصدرة للنفط لتمويل الخطة وقد اشتملت الاستراتيجية العربية على المنطلقات والأهداف والاولويات والبرامج والآليات

وكان للغذاء موقع متميز فقد جاء في الفقرة الرابعة من اطار الاولويات نص على « تحقيق الأمن الغذائي بتوفير أقصى قدر ممكن من الاستقلالية في اشباع الحاجات الغذائية الأساسية في تطورها وذلك بدعم العمل العربي في ثلاثة اتجاهات هي

ـ توفير الشروط الأساسية اللازمة لزيادة الانتاجية وتوسيع طاقات الانتاج الغذائي

ـ القضاء على صور التبديد في المراحل المختلفة من الانتاج الى التخزين والتوزيع ، الى نمط الاستهلاك

ـ تحسين شروط تبادل المواد الغذائية بين الأقطار العربية من ناحية وبينها وبين العالم الخارجي من ناحية أخرى ، على النحو الذي يحمي المستهلك من التضخم المتزايد في أسعار المستوردات وعدم الانتظام في حجمها

وقد أعدت المنظمة العربية للتنمية الزراعية دراسات خاصة ببرامج الاكتفاء الغذائي العربي تجسّد النصوص المقررة في مؤتمر القمة العربي، ومكونات تطوير الموارد الأرضية والمائية، وبرامج تطوير الحبوب والبذور الزيتية، والسكر، والانتاج الحيواني، والاسماك وأخيرا المخزون الاستراتيجي على مستوى الوطن العربي.

ولأننا لا نريد أن نبدأ من نقطة الصفر في كل اجتماع اقتصادي عربي، فالقرارات العربية تم اتخاذها على أعلى المستويات السياسية، والدراسات الفنية وضعت على أفضل الأسس العلمية والمؤسسية، والتنمية الزراعية ليست من الأسرار المغلقة، وكل ما يلزم هو توافر الارادة القومية.

لكن هذا لا يجوز أن يقف بنا عند الصورة الكلية التي لا خلاف عليها، فلا بد من الانتقال الى السياسات والاجراءات المطلوبة، بحيث تقاس كفاءة العمل بعد ذلك بمقدار تطبيق هذه السياسات وتحقيق الأهداف التي ترمي اليها.

الامكانيات والعقبات

وللحقيقة فان عملية وضع استراتيجية عربية للاكتفاء الغذائي العربي هي عملية سهلة وصعبة في الوقت ذاته. فهي سهلة زراعيا واقتصاديا من حيث توافر الامكانيات والموارد. وهي صعبة سياسيا من حيث عدم الالتزام بالقرارات، والتقلب في المواقف، فضلا عن التبعية وضعف الارادة القومية.

أما عن توافر الامكانيات والموارد فيمكننا أن نشير الى الحقائق التالية:

١ - يملك العرب نحو ٢٠٠ مليون هكتار صالحة للزراعة، يزرع منها ٥٠ مليون هكتار فقط، ويروى منها ١٠ ملايين هكتار لا غير.

٢ - ان بالامكان مضاعفة الأراضي المستغلة زراعيا أكثر من ثلاث مرات. كما يمكن وضع مساحات شاسعة تحت الري.

٣ - ان الموارد المائية العربية هائلة ولكن جزءا مهما منها متروك اما للبحر أو للسطو الاسرائيلي.

٤ - ان رأس المال اللازم متوافر، وتستطيع الدول العربية أن تمول أضخم المشاريع الزراعية اذا ثبت أنها مجدية وعملية.

٥ - ان الطاقة البشرية العربية هائلة، وتشكو من البطالة الظاهرة والمقنعة، وبالامكان رفع مستواها وزيادة انتاجيتها عن طريق منح الحوافز المناسبة.

٦ - ان العرب يستوردون مواد غذائية بملايين الدولارات سنويا، مما يعني أن السوق موجودة، وكذلك الطاقة الاستيعابية فيما لو تم توصيل الانتاج العربي للأسواق العربية بيسر وحرية.

٧ - ان هبوط أسعار النفط وتعرض موازين مدفوعات أغنى الدول العربية للعجز يدل على أننا لا يمكن أن نعتمد على الاستيراد الى مالا نهاية، ولا بد من سد العجز في الموازين التجارية.

٨ - تنوع الاقاليم العربية من حيث المناخ والتربة والموقع يجعلها قادرة على انتاج كل أو معظم المواد الزراعية، مع قدر من التخصص في بعض البلدان العربية وفق المزايا النسبية التي تتمتع بها لانتاج الحصار أو الفواكه أو الحبوب أو الزيوت أو اللحوم الخ.

وأما عن الصعوبات فهي تظهر بأقسى صورها للذين صدمهم تعثر العمل العربي المشترك. فنحن نتفق بسهولة على الأهداف النهائية الكبيرة، ونعتقد أنها قد تتحقق لمجرد اصدارنا بيانا جماعيا حولها.

نحو سياسات وقرارات عملية

والواقع أن الاكتفاء الغذائي العربي ليس بحاجة فقط الى أهداف كبيرة لا خلاف عليها، بل هو أشد حاجة الى المنطلقات والأولويات والآليات والبرامج والمشاريع المحددة بوضوح، وليس هناك عيب في الاختلاف حول هذه التفاصيل، لأن للاختلاف حلولا وتسويات لتحقيق الحد الأدنى لجميع الأطراف، ولكن العيب كل العيب في التظاهر بالموافقة ثم تجميد كل شيء.

من هنا فانه يهمنا أن لا تكتفي المؤتمرات الاقتصادية العربية باصدار بيان يكرر الأهداف العليا، ويؤكد أهمية الاكتفاء الغذائي العربي، ويحذر من المخاطر التي تتهدده. على العكس من ذلك فانه يهمنا أن تتخذ قرارات تطبيقية تشمل جميع النقاط

المثارة في مجال تنمية الانتاج الزراعي مثل :

١ - فيما يخص المشاريع العربية المشتركة التي طرحت ودرست حتى تم (قتلها) بحثا ، أي من هذه المشاريع لها الأولوية ومستوفية للشروط ؟ ، ومتى يبدأ تنفيذها ؟ ، وما هي الأموال اللازمة لذلك وما مصادرها ؟ ، والجدول الزمني لتنفيذها ؟ ولعل تقرير الخبراء حول تطور العمل في مشروعات الأمن الغذائي العربي سيضيء النور على هذا الموضوع ويساعد في اتخاذ القرارات بحيث يدخل بعض المشاريع مرحلة التنفيذ ، وتتقدم مشاريع أخرى الى مرحلة دراسة الجدوى الاقتصادية النهائية ، وتتحرك مشاريع أخرى الى مرحلة الدراسة وجمع المعلومات وهكذا

٢ - في حقل التبادل الزراعي العربي ، هل يمكن الاتفاق على سوق زراعية عربية مشتركة ، تتمتع فيها المنتجات العربية بالأولوية ، ولا يسمح باستيراد المواد التي يتوافر أو يمكن أن يتوافر فائض عربي منها

٣ - في مجال السياسات الداخلية ، هل نستطيع الغاء مبدأ التسعير الاجباري الهادف لخدمة المستهلك في المدينة على حساب المنتج في الريف مما يشكل حافزا سلبيا للمنتج الزراعي واساءة اضافية لتوزيع الثروة بين فئات المجتمع

٤ - هل نستطيع اقامة شركة تسويق عربية مشتركة تنظم عملية التبادل الزراعي التجاري ، وتؤمن تسويق الانتاج العربي في الأسواق العربية على أسس اقتصادية سليمة تفيد الدول العربية المنتجة والمستهلكة على السواء

٥ - وهل نستطيع اقامة صناعة قومية للتصنيع الزراعي ، تتولى صنع وتوفير الأسمدة والمبيدات الحشرية وعمليات الحفظ الكبيرة

٦ - وهل نستطيع ايجاد بنك زراعي عربي يقوم بتمويل النشاطات الزراعية القطرية والمشتركة بقروض طويلة الأجل على أسس مالية سليمة بما في ذلك عمليات المتابعة لحسن التنفيذ

٧ - وعلى المستوى القطري هل نستطيع

- أن نعطي القطاع الزراعي أولوية أعلى في خططنا الاقتصادية والانمائية ؟

- وأن نقوم بالاستثمارات اللازمة في مجالات الري والطرق وباقي متطلبات البنية الأساسية

- وأن نعلن ونطبق سياسات سكانية من شأنها تنظيم الأسرة ورفع مستوى الانسان وعدم نشر الفقر

- وأن نضمن الاستقرار القانوني فيما يخص ملكية الأرض وعلاقة المالك بالمستأجر والحدود القصوى والدنيا للملكية الزراعية حسب نوعية الأرض

- وأن نوقف الهجرة من الريف الى المدن عن طريق تحسين نوعية الحياة الريفية وزيادة فرص العمل في الريف

- وأن نجد طريقة لحماية المنتج الزراعي المحلي من حوت المساعدات والدعم الاستهلاكي الذي يجعل الانتاج المحلي غير مجد

في تصوري أن كل هذا ممكن اذا توافرت الارادة القومية ، وبدأنا العمل من اليوم قبل أن تدركنا المجاعة ، ونفقدنا الاحتياج الى الغذاء الاستقلال والسيادة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

●

مزقوها

● رفع صاحب الخبر إلى الخليفة العباسي المأمون كتابا جاء فيه : إنا أصبنا - ياأمير المؤمنين - رقاعا فيها كلام السفهاء والسفلة ، وفيها تهديد ووعيد ، وبعضها عندنا محفوظ إلى أن يأمر أمير المؤمنين فيها بأمره » فكتب المأمون إلى صاحب الخبر رسالة ، جاء فيها : « هذا أمر إن أكبرناه كثر عمنا به ، واتسع خرقه علينا ، فمر أصحاب أخبارك متى وجدوا مثل هذه الرقاع أن يمزقوها ، قبل أن ينظروا إليها ، فإنهم إذا فعلوا ذلك لم يظهر لها أثر ولا عين »

منتدى العربي

تعقيبات

تعقيب على "مرض عربي اسمه الطاعة"

بقلم : كمال محمود على

تناول الدكتور فؤاد زكريا في عدد يونيو ١٩٨٦ ، وهو العدد رقم ٣٣٢ من مجلتنا العربي ، وفي موضوعه الموسوم بـ « مرض عربي اسمه الطاعة » قيمة اجتماعية نعتز بها ، وفضيلة من الفضائل التي تبقى على بنيانا الاجتماعي السليم ، وبالصورة التي طرحوها ، عبر انه نظر اليها من زاوية مخالفة لزوايا كثير من الناس ، ونشأ عن ذلك رأي له في هذه القيمة عجيب ، حيث يصفها قائلا « انها تعبر تحفظ رذيلتنا الأولى ، وفيها تتبلور سائر عيوبنا ونقائصنا »

والحق أن الدكتور فؤاد قد طرق موضوع الطاعة بصورة مستعجلة ، اذ كان من المفترض قبل الولوج في حديث مسهب عن الطاعة ، أن يحدد مفهوم الطاعة عنده ، ذلك أن الطاعة لفظة معنوية ، والالفاظ المعنوية كما يدرك جمهور المثقفين وغير المثقفين لا تتفق بشأن مدلولاتها وما تحمل من المعاني كل العقول والأذهان

« فالحرية » مثلا لفظة يرفعها الجميع شعارا لحركاتهم ، ولواء ينضوون تحته ، وتحدث الصراعات وتشتد وتتأزم الأوضاع وتتوتر ، وتسيل الدماء ويعم الخراب والدمار ، كل هذا باسم الحرية ، فهل يكون معقولا أن تمتلك اللفظة - اعني لفظة الحرية - دلالة واحدة عند كل الأطراف المتنازعة

الجواب جلي وواضح ولا يحتاج الى شيء من التعليق

وعلى هذا الأساس فإني أرى أن الدكتور فؤاد أقحم لفظة لم يكن ليريد التحدث عنها اطلاقا فالملاحظ أن الحديث ظل سائرا باتجاه واحد لا غير ذلك هو اتجاه الحديث عن الانصياع لا « الطاعة» وفرق بعيد بين اللفظتين

فالطاعة هي الانقياد ، ولكن مع القدرة على اختيار البدائل ، وهي طريق يلتجيء اليه المرء طواعية ، أي أن ارادته لا تستلب ، واستقلاليته تتعطل ، وشخصيته لا تلغى

تلك هي الطاعة فما تراه يكون الانصياع ؟

الانصياع يختلف في تعريفه اختلافا جوهريا عن الطاعة ، فهو الانقياد مع عدم وجود القدرة على الاختيار ، وهو طريق يدفع اليه المرء دفعا ، ويسير مرغما دون اقتناع ، وبالتالي فان ما يجرى على الطا[عة] يجري عكسه تماما على الانصياع فاذا ذهب أحد الى طبيب ما لتلقي العلاج ، وكان أن أمره الطبيب باتباع نظام غذائي مثلا ، فانه يمتلك حرية أن ي[ختار] بين أن يتبع نظامه الغذائي الخاص به ، أو أن يتبع

أملاه عليه الطبيب من انواع الطعام وأصنافه ، وبالطريقة هذه أو تلك ، انه اذا ما أطاع طبيبه وانقاد له حرصا على صحته وايمانا منه بطبيبه المعالج ، يكون قد دخل باب الطاعة

لكن هذا الفرد عينه ، لو اقتيد الى قسم الشرطة لسبب أو لآخر ، وأمر ضابط الشرطة بحجزه على ذمة التحقيق ، كما يقولون ، فانه يكون ملزما بدخول زنزانة قسم الشرطة رغما عنه ، لاخيار له في تنفيذ الأمر أو عدم تنفيذه ، انه منصاع للأمر انصياعا ، فالرفض أمر لا قبل له به

وعلى هذا فان الطاعة قد تكون بين ندين لا سلطة لأحدهما على الآخر

ومن الجائز فيها ـ وهذا ما تؤكده الملاحظات والشواهد على مر الازمنة واختلاف الأمكنة ـ أن ينقاد الرئيس للمرؤوس ، والأضعف حجة وسلطة للأقوى حجة والأسطع رأيا

ولقد حفظ لنا تراثنا العربي والاسلامي بعضا من هذه المشاهد الدالة على الطاعة بالمعنى الذي نفهمه ، حيث قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الناس ، وخطب فيهم قائلا اسمعوا وأطيعوا فانبرى له أحدهم قائلا « لا سمع ولا طاعة حتى يتبين لنا من أين لك هذا الثوب وقد كانت حصة عمر من القماش لا تكفي لأن يخيط لنفسه منها قميصا ، فلما بدد عبد الله بن عمر الالتباس ، وأزال الشبهة عن أبيه ، قال الرجل « الآن نسمع ونطيع »

هي الطاعة اذن مع وجود الارادة والاستقلالية ، وامتلاك الشخصية

نخلص مما تقدم الى تشخيص المرض تشخيصا آخر غير الذي قدره الدكتور فؤاد وراح يدافع عنه ان الداء الذي يشكو منه الناس في كثير من بلاد الدنيا هو داء التسلط من جهة القوي ، والانصياع من جهة الضعيف

وعليه فإننا نثبت خطأ ما ذهب اليه الدكتور فؤاد ، ونعيد للفظة الطاعة قدرها ومنزلتها التي نفتخر بها ، ونعتز ونرى انه لولا الطاعة لاختلطت الأمور في المجتمع ، وعمت الفوضى بين أفراده ، وتداخلت المهام ، وسار المجتمع ان عاجلا أم اجلا الى التفكك والانحلال ، وانتهى الأمر الى ما لا تحمد عقباه □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

تعقيب
للدكتور فؤاد زكريا

لا أملك الا أن أشكر الأخ الكريم على اهتمامه بالموضوع،واجتهاده في عرض وجهة نظر أخرى في هذه المسألة الهامة ، غير أني لا أملك أيضا إلا أن أبدي دهشتي من محاولته التمييز بين الطاعة والانصياع ، وتأكيده أن ماقلته في مقالي السابق ينطبق على الانصياع لا الطاعة ورأيه هذا يواجه صعوبتين أساسيتين

الأولى هي أن الوضع الصحيح للمشكلة على عكس ماذهب اليه ، ففي حالة الانصياع ، بمعنى أن يضطر المرء الى الاذعان دون أن تكون لديه أية قدرة على الاعتراض ، لاتكون هناك مشكلة ، فحين يقهر المرء على شيء ، وحين تكون إرادته مسلوبة تماما ، لا يكون من حقنا أن نلومه على شيء ، لسبب بسيط هو أن هذا الشخص قد فقد قدرته على الاختيار ، ولو كانت لديه هذه القدرة لكان من الجائز جدا أن تسير في الاتجاه السليم وعلى ذلك لايمكن أن يوصف الانصياع بالمعنى الذي يحدده الأخ الفاضل ، بأنه رذيلة أو مرض ، بل يصعب استبعاده من موضوعنا لأن أشد الناس تمردا يمكن أن ينصاع إذا أرغم على ذلك بقوة قاهرة

أما الصعوبة الثانية فهي أن التمييز بين الانصياع بمعنى الانقياد مع عدم القدرة على الاختيار ، وبين الطاعة التي « تكون بين ندين لاسلطة لأحدهما على الآخر » هذا التمييز كثيرا ما يكون وهميا فالاخ الكريم يضرب مثلا بطاعة المرءوس لرئيسه ، أو تناول المريض للدواء ، بوصفهما

حالات للطاعة مع القدرة على اختيار البدائل !!
ولكن هل هذا صحيح ؟

اذا كان الرئيس يمسك في يده بمفاتيح رزق المرءوس ، وإذا كان قادرا على تجويعه وتشريده حين يفصله من العمل ، فهل تسمى هذه « طاعة بين أنداد » ؟ وإذا كان المريض يعاني من داء عضال ، أو آلام جسدية ونفسية مبرحة ، فهل تكون لديه حرية الاختيار بين تناول الدواء أو رفضه ؟

وإذا كان الزوج يهدد زوجته بالطلاق وبحرمانها مع أولادها من المورد الذي يعيشون منه ، فهل نسمي إذعانها لأوامره طاعة أم انصياعا ؟

من الواضح اذن أن هناك حالات غير قليلة يصعب فيها التفرقة بين المعنيين ، وفي هذه الحالات يبدو ظاهريا أن المرء يطيع بملء إرادته ، بينما هو في الواقع مرغم على ذلك

إنني حين وصفت الطاعة بأنها « مرض عربي » كنت أعني بالفعل أنها داء متأصل فينا يتمشى بيننا على أوسع نطاق ، وكنت أدرك أن معظم القراء لن يرتاحوا الى هذا التشخيص ، وأن كل انسان تمنحه « الطاعة » امتيازا على غيره ، أو سلطة عليه ، سيعترض على ما كتبت ولكني أعود مرة أخرى فأقول من المستحيل أن يفكر عاقل في دعوة الناس الى الفوضى الشاملة ، أو الخروج على كل القوانين ، ولكن مقدار الولاء الذي نبديه ، في ثقافتنا العربية ، لقيمة الطاعة ، يزيد بمراحل عما تعرفه معظم الثقافات الأخرى ، وكل ما أهدف اليه هو أن يراجع القارىء مسلماته ويختبرها من جديد ، ويفكر قليلا في عادة الطاعة السائدة على كل المستويات فالأنبياء وكبار المصلحين لم يكونوا مطيعين لدين آبائهم وأجدادهم ، والمكتشفون والمخترعون الكبار لم يكونوا مطيعين لقوانين العلم الموروثة في عصورهم ، والشعوب التي ثارت وتمردت على أوضاع جائرة لم تكن مطيعة لظلم الظالمين ، والفنانون والأدباء المبدعون لم يكونوا مطيعين لتراث الفن أو الأدب كما تلقوه من الأجيال السابقة ، وهلم جرا وفي هذه الحالات كلها كان الانسان الذي تمرد على الظلم أو الجمود أو الخطأ أو الركود قادرا على أن يطيع ، وربما كان قد أراح نفسه ، وجعل حياته أقل ثقلا وتعرضا للخطر لو فعل ذلك ، ولكنه لم يفعل ، وآثر المخاطرة ، واستطاع بفضلها أن يغير نفسه ويغير الأجيال المعايشة له والآتية من بعده الى الأفضل

هذا ما كنت أدعو اليه في مقالي ، وتظل المسألة ، بعد هذا كله ، اختيارا حرا للقارىء فقد تكون الطاعة في بعض الأحيان طريقا للسلامة ، ولكن التمرد بالقطع ، ليس في جميع الأحوال طريقا للندامة □

كتب الحب عند القدامى

● اهتم أدباؤنا في العصور القديمة والحديثة بموضوع الحب ، ففي العصور القديمة تناول أسلافنا هذا الموضوع الانساني ، ودرسوا هذه العاطفة دراسة متأنية دقيقة شاملة ، وتعد هذه الدراسات محاولات مبكرة لما يعرف اليوم بعلم النفس

من هذه الكتب كتاب في العشق والنساء للجاحظ ، وكتاب طوق الحمامة في الالفة والألاف لابن حزم الأندلسي ، وكذلك رسالته في تهذيب الأخلاق ، ثم الرسالة السابعة والثلاثون من رسائل إخوان الصفا ، ثم كتاب مصارع العشاق لابن السراج ، وكتاب ذم الهوى لابن الجوزي ، ثم كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية
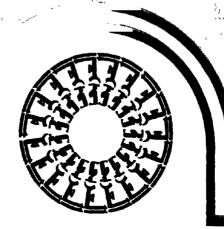
يصدر في ١٥ يناير ١٩٨٧

كتاب العربي

الرابع عشر

المسلمون والعصر

بأقلام

د. عبد العزيز كامل — د. أحمد كمال أبو المجد

د. يوسف القرضاوي — خالد محمد خالد

د. ادريس الكتاني — د. محمد عمارة

د. محمد جابر الأنصاري — د. محمد سلام مدكور

وآخرين

كتاب العربي مرآة العقل العربي

العربي - العدد 338 - يناير 1987

أيها المرضى "لا مبرر للخوف"

بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون

لا مبرر للخوف المبالغ فيه في مواجهة الحوامل والمصابين بارتفاع الضغط وأمراض القلب والسكر لا داعي لحيرة طبيب الأسنان فيمكنه بعد اتخاذ الاجراءات المناسبة تقديم العلاج المطلوب في كل حالة ، ففي القرن العشرين لا يمكن عزل هؤلاء المرضى وحرمانهم من علاج أسنانهم بلا مبرر مقنع

كثيرا ما يقف طبيب الأسنان حائراً أمام مريض يعاني من حالة مرضية عامة في فمه ، ولا يمكنه بالطبع ترك مريضه فريسة سهلة للخوف المبالغ فيه ، ويجب أن يكون تحفظه في اطار الواقع الذي له ما يبرره

وسنقصر حديثنا على بعض الحالات الأساسية الأكثر شيوعا ، التي يكثر الحديث عنها بشكل يومي

ارتفاع الضغط

يشكل ارتفاع الضغط في أحيان كثيرة عرضاً عاماً وجوهرياً،أو سبباً مرضياً لمجموعة حالات مرضية أخرى ولا يمكن تحديد نقطة فاصلة وواضحة بين القيم الطبيعية للضغط وتلك الزائدة ، وبالتالي فالشكل المتعارف عليه بعبارة ٩٠/١٤٠ملم لا يعتبر دقيقاً اذا لم تتم مقارنته وربطه بنوعية الفرد ، وسن

معينة ، ووضع نفسي اعتيادي .

وإذا كان ارتفاع الضغط يسبب في بعض الأحيان مجرد مضايقات خفيفة فقد يؤدي أحياناً أخرى الى عواقب وخيمة

ويختلف الضغط باختلاف سن المريض ووزن جسمه ووضعه النفسي ، من حيث الاجهاد والراحة ، والقلق والخوف الخ

وتستدعي الحالات المرضية الخطيرة التي يسببها الضغط وهي ضيق التنفس ، والجلطة ، وتخثر أو نزيف الأوعية الدماغية ، اهتماما كبيراً من طبيب الأسنان المعالج،لاحتمال ظهورها أثناء قيامه باجراء العلاج على المريض في عيادته. وهكذا فالتعرف على ضغط المريض من قبل طبيب الأسنان يهدف الى الوقاية من الاصابات الحادة التي ذكر بعضها مسبقا وأول اجراءات الوقاية الاتصال بالطبيب المعالج المختص لتحديد درجة الخطر في العلاج الذي سيقدمه طبيب الأسنان لمريضه ، ولتحديد المجال الذي يمكن أن يتراوح خلاله النشاط العلاجي في فمه

ومن النقص أن يعجز طبيب الأسنان عن امكانية قياس ضغط مريضه عند الحاجة ، ومسئولية النقص لا تقع على عاتقه بل على برنامج التدريب الدراسي الذي لا يمنح له فرصة تعلم ذلك لتطبيقه عند الحاجة ، وقولنا هذا يستدعي وجود جهاز لقياس الضغط داخل كل عيادة أسنان

وتتراوح المعدلات الطبيعية الكبرى لقياس الضغط عند البالغين بين ١٢٠ ـ ١٤٠ملم زئبقي، أما الطبيعة الصغرى فتتراوح بين ٧٠ ـ ٨٠ ملم زئبقي، وهنالك قانون يطالب بأن تصل الصغرى في حالة الضغط المنخفض الى نصف الكبرى +١٠ أي ٨٠/١٤٠

وأما في حالة الضغط العالي فالصغرى تصل الى نصف الكبرى +٢٠ أي ١٥٠/٢٦٠ ، ويعتبر فرق هذا الضغط عنصراً مهماً لتقدير خطورة الحالة ، ورغم ان هناك قواعد تسمح لنا بتجنب الأخطاء خلال القياس إلا أن طبيب الأسنان لا يحتاج بالضرورة لاستعداد كل هذه التفاصيل من أجل اجراء عملية القياس

ويعتبر قياس ضغط المرضى المسنين ممن سيتعرضون لأعمال صعبة في أفواههم ضرورياً من أجل اتخاذ الاجراءات الوقائية أو حتى تأجيل المواجهة العلاجية اذا دعت الحاجة الى ذلك فاذا كان الضغط يقع تحت مستويات ٩٠/١٤٠ ملم زئبقي فيمكن مواجهة مثل هؤلاء المرضى بلا خوف أو تردد ، بشرط أن تكون هذه المستويات ثابتة لفترة زمنية طويلة،وتتعلق بأفراد تزيد أعمارهم عن ٣٥ سنة

واذا وصلت مستويات الضغط هذه الى ١٦٠ ـ ١٩٥/٢٠٠ ـ ١١٠ملم زئبقي (ارتفاع ضغط طفيف) فيحتم قبل القيام بأي عمل في فم المريض أن يسبقه قياس ضغطه ، واتخاذ الاجراءات الوقائية اللازمة (تسكين ألم تام أو عمليات قصيرة وغير متعبة) بشرط أن تكون استجابة المريض طبيعية خلال اللقاءات السابقة،ذلك لأن الاتصال الاول مع مرضى يعانون من نفس مستويات الضغط هذه وهم في سن صغيرة نسبيا ـ يتطلب اشراقا مطبيا قبل القيام بأي عمل في أفواههم

الضغط المتوسط

وبخصوص المرضى المصابين بارتفاع الضغط الذي تتراوح مستوياته بين ١٦٠ ـ ١١٥/٢١٠ ـ ١٢٥ملم زئبقي(ضغط متوسط) والذي تتم السيطرة العلاجية عليه،فمن الضروري تكرار القياس ٢ ـ ٣ مرات خلال العمل،عدا عن قيامنا باجراء ذلك قبل بدئه

أما المرضى الذين وصلت معدلات الضغط لديهم حتى ٢١٠ ـ ١٢٥/٢٦٠ ـ ١٤٠ملم زئبقي فيحتم التفاهم المسبق مع الطبيب المعالج ، فمواجهة الحالات الطارئة عند مثل هؤلاء المرضى تتم بتحويلهم للعلاج داخل أحد المستشفيات في اطار اشراف طبي أعم وحتى في مثل هذه الحالات فمعدلات الضغط التي تحدثنا عنها ذات موضوعية نسبية لأنها ترتبط بالضرورة مع عمر المريض ، والفترة الزمنية لمعاناته من هذه المشكلة

والمواجهة العلاجية لارتفاع الضغط تشكل إحدى مهام الطبيب المختص ، ولا تعدو مهمة طبيب الأسنان معرفة مقدار الأدوية المقدمة في مثل هذه الحالة والتي لا يُعدُّ اعطاؤها لهم ـ في حالات محدودة

للغاية ـ تجاوزاً خطيراً

لذلك فمن الضروري في حالات الضغط العالي استخدام المحاليل المخدرة المحتوية على الأدرينالين ، حيث لا يعتبر التخدير الموضعي كافيا إذا لم يكن يحتوي على ذلك ، ويسبب في مثل هذه الحالة زيادة ألم المريض وارتفاع ضغطه

وأما الأدوية التي تعطى في هذه الحالة فهي ترتبط بالمرض الذي يشكل ارتفاع الضغط عرضا له

مواد تسبب الانقباض

وقد اثبتت أبحاث جرت مؤخرا أن الخوف والقلق يعملان على افراز مثل هذه المواد طبيعيا في جسم الانسان ، بشكل يفوق بكثير الكمية التي تضاف عادة الى محاليل التخدير ، وهكذا فعلى طبيب الاسنان توخي الحرص لأن احتمال انتهاء تأثير المخدر وظهور ألم المريض قبل انتهائه من انجاز عمله سيسبب الافراز الطبيعي هذه المواد مع كل ما يحمله ذلك من خوف على المرضى الذين يعانون مثل هذه المشاكل

ان انصار هذه النظرية يشددون على ان كمية هذه المواد في المحاليل المخدرة يجب ان لا تتجاوز ٠,٠٤ ملغم للجلسة الواحدة،ويبقى الاساس في التفاهم مع الطبيب المختص كذلك يجب عدم استخدام مثل هذه المواد لايقاف النزيف وبخاصة بعد حالات القلع لمرضى القلب بسبب الدخول السريع هذه المواد وبكمية كبيرة في الدورة الدموية للمريض

ولا يمكن اخضاع مثل هؤلاء المرضى ـ ممن تعرضوا لوعكة قلبية ـ للقيام بأعمال في أفواههم قبل انقضاء ستة أشهر على الأقل من تاريخ تعرضهم للوعكة ، وبعد التفاهم على ذلك مع طبيبهم المعالج وإذا كانت الحاجة ملحة لمواجهة احدى الحالات الطارئة في أفواه هؤلاء المرضى ـ مثل الالتهاب الحاد ـ قبل استكمال هذه الفترة ، فيجب ان يتم تحويلهم لأحد المستشفيات للاشراف المباشر على حالتهم ولمواجهتهم بشكل أتم وأشمل

وجدير بالذكر أن ابسط عمل يمكن القيام به في الفم ـ مثل تنظيف الأسنان ـ يمكنه أن يسبب حالة دخول الميكروبات مؤقتا في دورة المريض الدموية والتي تبقى في الدم حتى انتهاء العملية ولفترة وجيزة بعدها

وتستطيع المقاومة الحيوية في الأفراد الطبيعيين التغلب على النشاط الضار لهذه الظاهرة التي يمكن أن تصبح خطيرة في المرضى الذين يعانون من نقص في مقاومتهم (مثل المصابين بأمراض القلب والسكري الخ) والوقاية من ذلك تتم باعطاء جرعات عالية من البنسلين أو أحد المضادات الحيوية الأخرى قبل وخلال وبعد العملية

وتتمثل الوقاية الأهم في الحرص على تطبيق قواعد صحة الفم لحماية الأسنان من التسوس والقلع الذي لا مبرر له

السكري

مرض شائع بين سكان الكرة الأرضية،تكمن خطورته في أن الكثير من المصابين به يتحولون بينا دون معرفتهم أنفسهم بذلك ولا يمكن السيطرة على الأعراض التي يسببها وبخاصة أمراض اللثة مادام المرض في مرحلة التطور وغير خاضع للسيطرة

ويسعى طبيب الأسنان المعالج لمعرفة مستوى السكر في الدم والذي يجب ان لا يزيد على ١٨٠ملغم / ١٠٠سم^3 قبل البدء في أي عمل من خلال فحص حديث لدم وبول المريض من أجل العمل ـ في حالة التأكد من اصابته ـ على تغطيته بالمضادات الحيوية القوية الواسعة النشاط مثل الأمسلين ، قبل القيام بأي علاج في فمه

وفي الحالات الحادة مثل دمل الأسنان فيتوجب على الفور ـ وبعد الفتح وتصريف القيح ـ تغطية المريض بمثل هذه المضادات تحت مراقبة واشراف طبيبه المعالج المختص ، ويتقرر استكمال العلاج بالقلع أو العلاج الجراحي على ضوء معطيات الفحص الميكروبولوجي حيث يمكننا ذلك اذا كانت نسبة الجلوكوز تتراوح تحت ١٨٠ ـ ٢٠٠ملغم / مع ضرورة تغطية المريض بالمضادات الحيوية

ويعتقد بعض الباحثين بأن ازدياد نسبة السكر في الدم عن ٢٠٠/ ملغم لا تعني مانعاً مطلقاً أمام القيام

بالعمليات الصغيرة بشرط ان تتم المواجهة العلاجية للمريض داخل أحد المستشفيات،وتحت سيطرة قوية بالمضادات الحيوية

وبالطبع فالخوف الذي يعتري اطباء الأسنان من مواجهة مرضاهم المصابين بالسكري له مايبرره ، لكن يجب ان لا يصل الخوف بهم الى حد يعدث المريض في الوقت الذي استطاع فيه الطب الحديث تنظيم حياة مثل هؤلاء كي تكون طبيعية بشكل قريب من حياة الأفراد الأصحاء

* والسعي الحثيث بلا شك يهدف الى وقاية المريض من المضاعفات الحادة المباشرة للمرض والتي قد لا يكون لها تأثير على قلبه ، الامر الذي يكتسب أهمية خاصة لدى من يجهلون اصابتهم به

مشـــاكل الحمـــل

رغم معاناتها من اعراض الحمل والقيء وتعكير المزاج الخ ، فالمرأة الحامل تعتبر طبيعية وصحيحة وهي قد تجد نفسها مرشحة للقيام بعمل ما في فمها خلال أي من مراحل الحمل المختلفة . ويواجه طبيب الاسنان في هذه الحالة شركا ، وبخاصة ان الكثيرين من اطباء النساء والولادة يحرصون مريضاتهم على عدم زيارة طبيب الأسنان خلال فترة حملهن حتى وان لم تكنّ يعانين من مشاكل مرضية مهمة وهكذا فالتحفظ في مواجهتها له مايبرره

ويمكننا من الناحية العملية مواجهة مشكلة الحمل من ثلاثة جوانب

(١) التأكد مما اذا كان هنالك احتمال التأثير على الحالة العامة للمرأة بتأثير عمل طبيب الأسنان في فمها (السكري ، فقر الدم ، امراض الكلية الخ)

(٢) التأكد مما اذا كان هنالك احتمال الحاق الضرر بالجنين في حالة العمل المجهد،أو إن دعت الحاجة لاجراء تخدير عام

(٣) التأكد مما اذا كان هنالك احتمال نشوء مضاعفات صعبة في منطقة العلاج داخل الفم بعد مواجهة إحدى المشاكل (قلع احدى الأسنان)

ويواجه طبيب الأسنان عادة ثلاث حالات من هذه الحوامل

(١) الحوامل اللاتي سبق لهن الحمل والانجاب لأكثر من مرة في الماضي

(٢) الحوامل اللاتي يحملن لأول مرة

(٣) الحوامل اللاتي تعرضن لاجهاضات مسبقة خاصة خلال الثلاثة اشهر الأولى لحملهن

أما الحالتان الأولى والثانية فيمكن مواجهتهما على انها طبيعيتان للغاية ، وبالتالي تقديم كل علاج مطلوب لهما مع مراعاة اجراءات الوقاية الكلاسيكية حسب طبيعة ونوع وشدة الحالة التي دعا طبيب الأسنان لمواجهتها واذا كانت هذه النساء في شهري حملهن الاخيرين ولم يكنّ يعانين رغم حساسيتهن لأي من المشاكل الطارئة ، فمن المفيد تأجيل العلاج لما بعد الوضع

وبخصوص حالات الحمل الثانية (الحمل لأول مرة) وبخاصة للنساء ذوات العمر المتقدم ، فمن الصواب التحفظ على اجراء العمليات المطولة الشاقة وبخاصةاذا كان الحمل ما بين الشهر الثاني والرابع ،

اما الحالة الثالثة فحتى أبسط الاجراءات التي يمكن القيام بها في فم الحامل المريضة يمكنها ان تكون ملفتة للانتباه بسبب احتمال تحميل طبيب الأسنان مسئولية انقطاع الحمل لو تم ذلك لأي سبب كان من قبل الحامل أو اهلها لأسباب نفسية

والمرأة التي تعاني من كثرة مرات الاجهاض التي تعرضت لها مسبقا وبخاصةخلال أشهر الحمل الثلاثة الأولى بسبب مشاكل في رحمها او اضطرابات هرمونية ، فمن الطبيعي ان تأثر نحو العيادة الذي يشكل منبعا حقيقيا للتوتر ، وان تعزى مسئولية اي اجهاض بعد ذلك للطبيب الذي قام بعلاج أسنانها

والخلاصة أنه من الحكمة بمكان تجنب - ليس فقط العمليات الشاقة بل وحتى البسيطة (مثل القيام بالحشوة)لمثل هؤلاءالنساء وتأجيل ذلك لحين انقضاء الستة أشهر الأولى للحمل أما فيما يتعلق بالحالات الطارئة التي تتطلب مواجهة عاجلة مثل دمل الأسنان،فمواجهتها تتم كلاسيكياً باعطاء المسكنات والمضادات الحيوية التي لا تؤثر على الحمل مع الفتح وتصريف القيح ، والتشاور مع الطبيب المختص المعالج □

حصان طروادة جديد!

بقلم الدكتور فهمي جدعان

منذ أن تحققت البلدان « المتخلفة » من هزيمتها أمام العلم والتقنية والسيطرة الغربية ، ومنذ أن أشرعت هذه البلدان أبوابها لتنفذ منها قوة الغرب الطاغية ، وانجازاته المعرفية والتقنية ، وقيمه الاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، ومثقفو هذه البلدان يضعون الأسئلة حول مسألة الثقافة ، والثقافة الدخيلة ، ويجيبون عنها جواب الآخذ أو الراد أو الحائر !

يمكن للقضية في حدودها البسيطة بطبيعة الحال أن ترتد مرة واحدة الى مسلمة خلدونية تقول : «ان المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب» يأخذ عنه معارفه ، وصناعاته ، وعاداته ، وأساليب معاشه ، وأخلاقه ، بيد أنه من الممكن أيضا صياغة التساؤل التالي . هل هناك حقا انتاج ثقافي مصنوع ابتداء لكي يحقق أهدافا مخصوصة خارج حدود صانعيه ؟ وهل هناك قصدية « في ثقافة الغزو » تهدف ابتداء الى احتلال أرض الدماغ والنفس عند المغزو ، وتبديل فكره بفكر آخر ، وثقافته بثقافة أخرى بحيث يكون الغزو الثقافي بديلا للحرب فعلا ؟ ان الأصوات تعلو وتعلو في أيامنا هذه لتنبهنا الى الخطر الماثل أمام أعيننا ، بسبب هذه الثقافات الدخيلة التي تغزو مدينتنا لتحطم في حرب حقيقية - غير معلنة - ذاتنا الأصلية وقيمنا ، تحت شعار المائدة الفنية ، أو المتعة الجمالية ، أو الحاجة الاستهلاكية ، في صورة كتب ومجلات وأفلام سينمائية أو تلفزيونية ، وعلب (فيديو) ، وموسيقا صاخبة ، وأغان شرسة ، من

شأنها جميعا تحويل العقل والذوق والنفس والذات عن مجراها الطبيعي الى مجرى آخر مماثل لمجرى الثقافة الغازية وقيمها . انها تصرخ عاليا حذار حذار من هذا (الحصان) الجديد ، حصان طروادة الذي يريد أن يتخذ من الثقافة ومنجزاتها وسيلة جديدة لالحاق هزيمة أخرى بنا ، بأن يجردنا من عقولنا وارادتنا وذاتيتنا ، بعد أن يئس صانعوه من ذلك بأساليب الحرب التقليدية ، حذار حذار ان الهدف الجديد يتمثل في تحويل وجودنا عن مساره الذاتي ، ودمجه في (الأنا) الغازي ، وانه ليس لنا من سبيل الا أن نعلن الحرب على ثقافة الغزو وحضارته ، بأن نعض على التراث و قيم التاريخ بالنواجذ

الوجه الآخر للحرب

ليس ثمة شك في أن صرخة الفزع هذه تعكس نمطا من المحاكمة ، أو التأثر ، يمكن أن يكون له بعض الوجاهة . ولا ينبغي أن ينظر اليها باعتبارها مجرد وهم خالص من أوهام الاتباعيين ، فالحقيقة هي أن التاريخ قد علمنا أن الغاء (الآخر) لايمكن أن يتم الا باحدى العمليات الاتية ، اما الاعدام المادي الجذري بالحرب ، أو بالعنف الجماعي ، أو بالحصار الكامل حتى الموت ، أو بالتفكك الداخلي العميق ، أو بالدمج الحضاري أو الثقافي الذي يفضي الى تحويل (الآخر) المباين أو المعادي أو المخالف الى الـ (نحن) المتجانس المجانس . لكن أين الغزو الثقافي أو الحرب الثقافية من الحرب نفسها ؟ وما هي الحرب أصلا ، حتى يكون في امكاننا الزعم بأن الغزو الثقافي أو الفكري يمكن أن يكون بديلا عنها ، أو صورة من صورها ؟ لانشك أن التعريف الذي يقدمه (كلاوزفيتش) هو أفضل التعريفات التي قدمها لنا (الاستراتيجيون) حتى الآن . « الحرب فعل للقوة ، تهدف القوة به الى الزام الخصم بالخضوع لارادتنا » ، وبتعبير آخر . « هو فعل عنيف ، ينشد فيه كل واحد من الخصمين الزام الآخر بالقانون الذي يريده هو ، فيرتب ذلك على كلا الخصمين اللجوء الى الأطراف (الحلول) القصوى ، بيد أنه اذا كانت الأهداف القصوى للحرب أهدافا سياسية محضة ، والحرب هي أولا وآخرا أداة للسياسة ، ومطية لها ، فانه قد يكون من الحكمة اللجوء الى حرب غير مادية ، وغير عنيفة ، من أجل الأهداف نفسها التي تنشد تحقيقها الحرب العنيفة ، وكل ذلك بخسائر أقل ، وكلفة أدنى ، ولعلنا نستطيع تمثل نضربه من التاريخ العربي أن نقرب هذه المسألة للاذهان ، ذلك أن بعض الروايات التي يتناقلها الكتاب العرب بصدد تعليل مسألة نقل التراث اليوناني الى العالم الاسلامي في القرن الثاني للهجرة تقول ان بطارقة بيزنطة يئسوا من دحر الفاتحين العرب المسلمين ، ومن رد هجمتهم على العالم النصراني آنذاك بالوسائل الحربية العسكرية ، فعقدوا اجتماعا لهم أو مجمعا وتداولوا فيه أمر أصحاب هذا الدين ، وفي الاساليب الناجعة لدحرهم ، فارتأى بعضهم تنفيذ عملية من نوع خاص جدا وهي أن ترسل الكتب والمصنفات الفلسفية والعلمية اليونانية الى بغداد دار الخلافة لتكون نتيجة ذلك أن تغرق هذه المصنفات عقول المسلمين وتضللهم عن دينهم ، وأن تحدث في البنية الثقافية والاجتماعية والسياسية للمسلمين الفشل والتورع والتفكك ، مما يمكن أن تولده من تفرق وانشقاقات و(هرطقات) تزعزع الاسلام من جذوره ، ويكون فعلها شبيها بما تولد عن ادخال (الحصان) الى طروادة . تقول الرواية ان بطارقة القسطنطينية قد نجحوا فعلا في ادخال المصنفات الوثنية الى دار الخلافة ، أما الاتباعيون المسلمون فمازالوا يؤكدون حتى يومنا هذا ـ من حيث يدرون أو من حيث لايدرون ـ أن الخطة قد نجحت ، ويؤكدون أن انحطاط حضارة المسلمين هي نتيجة هذا «التلوث» الذي نجم عن دخول علوم أهل الكفر الى عالم المسلمين ، وهم يعززون وجهة النظر هذه بكلمة ابن مسعود (رضي الله عنه)

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » ، أو بأن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد نهى المسلمين عن أن يأخذوا علومهم عن النصارى ، أو بألا يتحرجوا من التهمة الجائرة التي زعم أصحابها أن عمر نفسه قد وجه أوامره الى فاتح مصر بأن يحرق مكتبة الاسكندرية ، لما تنطوي عليه من علوم الكفار ، (وذلك على الرغم من أن ما نهى عنه عمر ـ حقيقة ـ هو الرجوع الى كتب النصارى في الأمور الدينية الخالصة ، لأنه يعتقد أن مالدى المسلمين من دينهم

كميهم ، وعلى الرغم من أن مكتبة الاسكندرية لم كن لها وجود حين فتح العرب مصر) ، وليس هنا بكان النظر والتحقيق في هذه الاقوال ، لكن من لثابت أن دخول التراث اليوناني الى العالم الاسلامي م يتم انطلاقا على النحو الذي تصوره هذه الرواية لخيالية ، بيد أن تصديق هذا كله يتولد عنه عمليا لموقف التالي اذا كان الفكر العربي العاري صورة ن صور الحرب التي تهدف الى قهرنا وارغامنا على لخضوع لارادة الخصم ، فان من الحكمة أن نغلق لأبواب والنوافذ في وجه كل عناصر الغزو ، وأن علن حربا شعواء على التلوث الفكري والغزو لثقافي ، وأن تكون الحرب الشاملة على كل لابحارات الثقافية التي تصدر عن الاخرين ، ثم رتد الى حدود عالمنا الخاص وذاتنا التاريخية

وة الوجود

ان هذا النمط من المحاكمة لايتفق مع ما يحدث في لواقع ، والغزو الثقافي نفسه لايتم على هذا النحو ، الواقع هو أن الثقافة الغازية ، لم تصنع أصلا من جل أن تغزو الآخرين ، وانما صنعت من أجل لاستجابة لحاجات ابنائها قبل كل شيء ، أي من جل أن تستهلك محليا ، والمنتجون لها يتوجهون لمنفعة ، أما مبدعوها فانهم سيتوقفون عن الابداع في للحظة التي لاتلاقي مصانعهم القبول والرضا ، تكف عن ادرار الربح المرغوب والحقيقة ان سمة لغزو التي يمكن أن تكتسبها هذه المنتجات تأتي من ىء اخر تماما ، هذا الشيء هو (قوة الوجود) في ذه الثقافة ، وقدرتها على الانتشار الكوني في المواطن لتي تقابل فيها (قوة وجود) أخرى ضعيفة أو تداعية لاشك أن هناك منتجات ثقافية (مثل لأفلام أو الكتب) عدائية أصلا ، أو فاسدة خلاقيا ، تهدف الى الطعن في الاخرين ، والحاق لأذى بهم ، كما هو حال كثير من الافلام الامريكية ، كن ليس هذا هو أصلا مضمون ثقافة الغزو على وجه لتحديد ، لأن ثقافة الغزو هي تلك التي تستطيع أن تسرب بشكل سلمي وادع تحت ستار الغرابة الامتاع الى عقر دار (الاخر) ، وتنجح بمقادير متفاوتة في تحويله نفسيا وثقافيا الى ثقافة تلك لمبدعات ، دون أن تعلن أي هجوم صريح مباشر على القواعد الاجتماعية والاخلاقية والفكرية للارض المغزوة ، والمنتجات الصريحة في عدائها ، الشرسة في أذاها ، تخضع عادة لقرار الرقيب بالمنع أو الاتلاف أو تحديد التداول أو غير ذلك من الاساليب

فاذا كانت ثقافة الغزو تتسرب بفعل (قوة الوجود) المحركة لحضارة الغزو أو ثقافته فمن الطبيعي اذن ألا يكون الارتداد الى الذات والتاريخ ، والاعتصام بها ، طريقة ملائمة من أجل تخطي الكارثة ، كما أن اغلاق الابواب واعلان الوطن منطقة (حراما) ، وتسويره باجراءات شكلية أو مصطنعة ، لن يكون وحده كافيا من أجل تخطي الاثار المترتبة على ذلك الغزو ، لأنه كي تتم عملية من هذا النوع على نحو كاف ينبغي أن تكون التصحيح تصحيحية كاملة بحرية المعرفة وحرية الاتصال والانتقال ، وحرية التفكير بوجه عام ، وليس هذا هو الثمن الأفضل ، لأن الحقيقة هي أن المسألة برمتها ترتد في ذاتها الى ما يمكن أن أتفق مع باول تيليش على تسميته « مواجهات قوى الوجود » من ناحية ، وقوة الوجود التي نرتد اليها ونعول عليها من ناحية أخرى ، فاذا كانت (قوة الوجود) هذه قاصرة ماديا وتقنيا ، وواهنة فاترة ثقافيا وأخلاقيا ، فان مسألة رد الهجوم لن تجد لها حلا في عملية الارتداد الى ذات غير فاعلة ، والى تاريخ غير حي ، والى تراث غير ماضي التأثير ، وفضلا عن ذلك فان أي كلام على ثورة « ثقافية » في ظروف الحصار التاريخية الراهنة لن يزيد المسألة الا بلبلة واضطرابا ، لأن (قوة الوجود) الواهنة المعطوبة المفرغة من ذاتيتها الحية لن تستطيع انتاج شيء فاعل ، ولن يقدر لها النجاح في مجابهة (قوة الوجود) الجائرة على جميع أسلحة الغلبة والقهر

البحث عن مخرج

ما المخرج اذن ؟ انه بكل تأكيد لايكمن في أن نلقي بأنفسنا في أحضان قوة الوجود الغالبة ، وفي الانصياع لمنطقها الطاغي ، ولا هو يتمثل في أن ندير ظهورنا للعالم ، اذ أن العالم لن يتيح لنا هذه الفرصة ، وسيقول لنا دوما أننا في حاجة اليه لكي يحمينا من اعدائه (الآخرين) ، فضلا عن أنه بمنطق غلبته لن يرضى بأن نفلت من يده ثمار غلبته فما

الذي يتبقى اذن ؟ الذي يتبقى هو المجابهة فحسب ، والمجابهة تعني اعادة بناء (قوة الوجود) الذاتية ، أو - على نحو مباشر - بناء (قوة وجود) حقيقية تقوى لاعلى المقاومة والصمود فحسب ، وانما على الاندفاع والملاحقة والفعل المؤثر

أما في حالة الصراع المباشر المشخص فان ما يقوله كلاوزفيتش هو الصواب « من أجل أن نتغلب على الخصم لابد أن نفحص مدى التناسب بين جهودنا وكفاياتنا من جهة ، وبين قدرته على المقاومة من جهة أخرى ، أما القدرة على المقاومة ، فانها نتاج عاملين لاانفصال بينها حجم الوسائل المتوافرة ، وشدة العزم » وان شئنا أن نستخدم مصطلحا يفصح عن المسألة على نحو آخر يكون أثيرا لدى باول تيليش ، أوردنا مصطلح (قوة الوجود) الذى يعني في نهاية التحليل « التأكيد الذاتي للحياة في ديناميتها المتجاوزة لذاتها » ، وأن الوجود في النهاية هو يمثل قوة الوجود التي تتجلى في عمار التطور الذي تتحقق فيه ، وفي مجابهتها لقوة وجود أخرى ، وكل مواجهة بين شخص قوة وجود وبين شخص اخر يمثل قوة أخرى تفترض معرفة (كم) القوة المتجسدة في كل منها وهي معرفة لايمكن أن تتكشف الا بالمواجهة الفعلية التي تتخذ أشكالا مختلفة وعلاقات متباينة ، مثل علاقات الاندفاع ، والانسحاب ، والاستيعاب ، والرفض ، والتوحيد ، والانفصال أو مثل مقولات التحدي ، والاستجابة ، والانسحاب التي شهُر بها توينبي ، والواقع في رأيي ، أن مسألة « الغزو الثقافي » - وهو ما أميل الى تسميته « الانتشار الثقافي » لقوة الوجود - لايمكن أن تفهم فهما حقيقيا بيرا الا ضمن « علاقات المجابهة » هذه ، وهي علاقات لاتحدث بين الأفراد فحسب ، وانما أيضا بين الانسان والطبيعة ، وبين الافراد والجماعات ، وبين جماعات وجماعات

أهمية المجال

ويمكن أن نعبر عن واقع المسألة بصيغة أخرى أكثر تبسيطا ، فنقول ان قضية الافكار الدخيلة أو الوافدة أو المستوردة لايمكن أن ينظر اليها الا من حيث أنها صورة من صور صراع الأفكار والمجابهات الثقافية المجتمعية ، وهي صراعات ومجابهات لامفر منها ، طالما أن ساحة الوجود ستظل مرتعا لقوى الوجود المتجابهة ، ومن بين جميع علاقات المجابهة تبدوْ علاقتا الاستيعاب من جهة والتوحيد والانفصال من جهة ثانية علاقتين يمكن التعويل عليهما ، بشرط أن يفهم من علاقة الاستيعاب الدمج والتجاوز ، ويفهم من علاقة التوحيد والانفصال الضم والتوحد بالعناصر « الوافدة » والانفصال عن خصوصياتها الاصلية ، والتميز بالخصوصيات الذاتية للانسان « الموحد » أو للثقافة الموحدة ، وذلك في عملية تشبه عملية التأصيل والحداثة في الآن نفسه

بيد أن للمسألة وجها آخر لاينبغي اغفاله ، وهو أنه اذا كانت مسألة الغزو الثقافي أو الفكري هي صورة من صور المجابهة الثقافية المجتمعية بين قوتي وجود متقابلتين أو أكثر ، عجزت احداهما عن ارغام الأخرى على الرضُوخ بالقوة المادية ، فلجأت الى الارغام قصدا أو طبعا « بقوة الانتشار الثقافي » ، فانه ينبغي أن نلاحظ أن هذه المجابهة مرتبطة ارتباطا وثيقا جوهريا بما يسمى في الفكر الاستراتيجي (المجال)

ونظرية المجال على الرغم من قدمها النسبي تظل صحيحة مفيدة ، على الأقل فيما يخص تحليل المسألة التي نظر فيها هاهنا ، والأصل الذي يقرره (الاستراتيجيون) يرتد الى القول أن أساس قوة الجماعة بأسرها يتمثل في ذلك المجال أو الفراغ الذي ينبغي أن تتيحه لذاتها ، فالوجود القوى يعني امتلاك المجال ، أو بصورة أدق افساح المجال أو الفراغ لذات المرء أو الدول أو جماعات القوة ، وذلك هو سبب الأهمية الفائقة للمجال الجغرافي ، وللقتال من أجل حيازته من جانب كل جماعات القوة ، والأمثلة هاهنا كثيرة صارخة ، لعل أقربها الينا ذلك القتال الذي تشنه الصهيونية ، بعد أن امتلكت مجالها الخاص في فلسطين ، وجسدت قوتها في « دولة » اسرائيل « التي مالبثت أن أفصحت عن قوة وجود بالغة الشدة والخطورة في ذاتها ومن حولها ان ضرورة حيازة المجال تضرب جذورها عميقة في طبيعة قوة الوجود التي تستند اليها ، أماالهدف الحقيقي في اختيار المجال فانه يكمن عموما في جذب المجال الى مجال قوة أكبر ، وحرمان (الآخر) من قوته الوجودية الذاتية ، بارغامه على الانضواء في مجاله الخاص الذي يتطلع على الدوام الى تعزيزه وترسيخ جذوره في الارض

ليس المجال الجغرافي هو وحده الذي يضفي القوة على وجود ما ، ويعزز هذه القوة ، فثمة أيضا المجال الاقتصادي والمجال الثقافي ، وفي حالة هذا المجال الأخير تتبلور قوة الوجود في التوسع الفني ، ونشر العلوم والافكار والرموز الحضارية والتقنيات ، وفي بعض الحالات القصوى تتخذ الأمور شكل حالة (الاستعمار) الطاغي ، ونحن لسنا في حاجة الى بصيرة نافذة من أجل أن نتبين أن المثل الامريكي في أيامنا هذه يفقأ الابصار في اعلانه عن هذا الطغيان ، وعن هذه الغطرسة المتعطشة الى احتواء العالم والهيمنة عليه عسكريا وثقافيا في الآن نفسه مما يعكس بروع المجال الى حالة (الاستعمار) الصريح

وما (الحلم الأمريكي) الذي يريد أن يرى الكون كله خاضعا لمملكة « الرب » الأمريكية - قد حلمته ملائكة الرحمة التي ينشرها في كل مكان من شروره ، وآثامه وبربريته - الا صورة لمدى تطلع المجال الامريكي الى ضم المجالات الأخرى اليه ، وممارسة ضرب من السيادة الالهية على الأرض ، ومنذ ان هتف تيودور روزفلت في عام ١٨٩٨ قائلا « قدَرُنا أمركة العالم » والرياح الأمريكية تعصف بالعالم ، عسكرا وتقنية وثقافة ، وليس يقف في وجه هذه الرياح الا رياح أخرى ، على سبيل المنافسة والتحدي من أجل انتصار (ايديولوجية) مضادة تستمد هي بدورها المجال الخاص لقوة وجودها الذاتي ، وهذا أمر طبيعي ، لكن ما ليس طبيعيا هو أن تسقط القوى الواهنة من حسابها شروط وجودها الذاتية ، وتحاول أن تتقوى بعمليات تقمص كامل غير مشروط لهذه الثقافة أو تلك

خلاصة

ما الذي يمكن أن نرتبه على ما مر من تحليلات ؟ هناك عدة أمور

أولها ان مفهوم (قوة الوجود) يستحق أن يتصدر كل المفاهيم الأخرى في ساحة الحياة ومسارها ، وقد يجوز لنا أن نتبين تجسيدا صريحا لهذا المفهوم في الاندفاعية التاريخية للاسلام نفسه ، وذلك حين تحددت قوة الوجود الاسلامية في دفع (الروح) الدينية للقوى العربية ، وفي تعزيز هذه القوى بما استوعبته في حركتها التاريخية الحية ، من قوى وجودية أخرى مادية وثقافية ، يونانية وفارسية وهندية ، وبما انفصلت به عنها وتميزت من خصوصية وذاتية .

ثانيها ان مسألة الثقافة والثقافة الدخيلة تجد لنفسها الوضع المناسب في هذا المنظور ، وذلك أن قوة الوجود المندفعة الى الأمام ليس لها أن تخشى المغاير أو الدخيل أو الوافد ، فهي تستوعبه وتتميز عنه في الوقت نفسه فتتجاوزه ، أي تدمجه في ذاتها وتتوحد به وتتخصص ، وقوة الوجود الواهنة المحكومة بعلاقات الانسحاب والرفض هي وحدها التي تنتابها (فوبيا الغزو الثقافي) فتتوحش خيفة من كل غريب ، وتأباه ، وتنكره وتفرغ منه ، وتعتبره غزوا خارقا ، بينما هو في الحقيقة صورة من صور انتشار قوة الوجود لدول أو جماعات أو حضارات صاعدة ان صرخة الفزع من « الغزو الثقافي » علامة على حال أناس يحتضرون ، أو يتوقعون أن ساعة احتضارهم قد أزفت ، أما القوى الصاعدة الحية ، فانها تعلن عن صرخة الدهشة والفرح بالجديد ، وتتأهب لاستيعابه ، وتنقيته وتجاوزه

ننظر الى مواقف الأوائل مثل الكندي وابن رشد ، والى مواقف الأمم والثقافات المغايرة أو المنافسة ، فنشعر أننا أمام حضارة واثقة مطمئنة ، يحركها الأمل والرجاء ، وننظر الى مواقف معاصرينا من الانتاجيين الذين أسرفوا على أنفسهم وعلى غيرهم ، فنحس أننا أمام ثقافة ترتعد فرائصها خشية العرق أو الموت

ثالثها ان قوة الوجود المندفعة « المنتشرة » ستتصل بسهولة أيسر الى غايتها ، أي ستتحقق تحققا أيسر وأكمل اذا ما لقيت أمامها حالة استلاب ثقافي كف الانسان فيها عن التفكير والعمل بدءا بالمعطيات الذاتية المشخصة لأوضاعه ، واختار أن ينظر في أموره وقضاياه بأفكاره ، ومقولات ومناهج هي بنات لأوضاع أخرى غير مماثلة

آخرها أن حالة قوة الوجود المرابطة ، لايمكن أن تتشخص بعيدا عن ثقافة متميزة بنظرتها الخاصة الشاملة الى العالم،ونظرتها هذه نشطة حية متحدرة في التطلعات العميقة الاصيلة لاصحابها ، و فاعلة مشحونة بارادة الوجود ، وبالوعي الأحاد بأن الحياة أمر تشتهيه نفوس الافراد والأمم على نحو أصيل،وبأن هذه الحياة تستحق فعلا أن تعاش على نحو فذ متمرد ☐

الجديد في العلم والطب

علاج الأمراض العصبية .. بات قريباً

نجح علماء اليابان في تحديد نسبة أهم البروتينات ذات الصلة بالاعصاب ورسائلها أو اشاراتها

ومعنى هذا أن البحث عن العقاقير الفعالة للاعصاب ولشبكات رسائلها سينشط كثيرا ، ويبشر بنتائج ايجابية بحررها في مستقبل غير بعيد

جاء ذلك في تقرير مفصل نشرته مجلة ناتشر في شهر اكتوبر ١٩٨٦ لفريق من العلماء اليابانيين يعملون في أربع مؤسسات علمية مختلفة ، وقد وصفوا في تقريرهم هذا المتقبل المسكراني muscar-inic receptor التابع لمادة الكولين الأسيتيلي وهي المادة المنتشرة في المخ وفي الجهاز العصبي المركزي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

كحل العيون سم في الدسم

درج العرب على كحل عيون أطفالهم منذ القدم ، فقد وجدوا في العيون الكحيلة جمالا حظي بإعجاب الشعراء والأدباء في كل زمان ومكان . واعتقدوا أن في الكحل شفاء يقول لسان العرب الكحل هو ماوضع في العين يشتفى به

وجاء العلم الحديث ليصدر حكما في ذلك ، بل قل ليثبت أن في الكحل سما لاشفاء ، فهو يحتوي على مادة (الجالينا) اللماعة ، ومادة (الجالينا) هذه لاتعدو كونها رصاصا ، أي أنها من أخطر الملوثات السامة التي عرفها الإنسان في تاريخه الطويل ، وحسبك أن سقوط الامبراطورية الرومانية نفسها يُعزى لأسباب مختلفة كان من بينها التسمم بالرصاص ، فقد استعمل أباطرتها ونبلاؤها الأواني الرصاصية لشرب النبيذ ، فما لبث أن انتشر الرصاص في أجسامهم ، وكانت مقاديره الضئيلة كافية

الدكتور جونري وبين يديه أحد الأطفال الذي حرص أبواه على كحل عينيه ، فقدما له السم في الدسم

لإحداث احتلال في تصرفاتهم ، فضلا عن تقصير أعمارهم

حقا لم يعرف عن الرصاص أنه ملوث سام إلا في السنوات الأخيرة ، فقد اكتشف العلماء أنه يسبب البطء في التفكير ، والاحتلال في السلوك ، واتخاذ القرارات ، وأنه قد يؤدي الى الموت في بعض الأحيان ، واكتشفوا أيضا أنه أسرع وأعمق أثرا في الصغار منه في الكبار ،وأنه يتسرب إلى دم الإنسان من حيث لايدري ، فقد يأتيه من أواني الرصاص التي تستعمل في الأكل أو الشرب ، وقد يأتيه أيضا من الأصباغ التي صبغت بها جدران المنزل ، والتي يدخل الرصاص في صناعاتها ، وقد يأتيه كذلك من أنابيب الماء الجاري ، فقد كانت تصنع من الرصاص حتى قرروا حظرها ، وحظر الأصباغ إن في الكحل الذي يكحلون به العيون من أجل جمالها وسلامتها سما قاتلا وخاصة للأطفال الصغار ، إنهم يقدمون السم في الدسم لأولئك الأطفال الأبرياء عندما يزينون عيونهم بالكحل

الدكتور جوثري بروفسور طب الأطفال في جامعة نيويورك بمدينة بوفالو ، صاحب الفضل الكبير في استكمال فحوص الرصاص في الولايات المتحدة ، يقول (لقد أجرينا الفحوص والتحاليل الخاصة بتحديد مقادير الرصاص الموجودة في الدم ، وقد أجريناها على عدد كبير من الأطفال من أبناء بلدان جنوب آسيا والشرق الأوسط ومن ضمنها الكويت ، فوجدنا ارتفاعا ملحوظا في نسبة ما يحتويه الدم من الرصاص في أولئك الأطفال)

ويدعو الدكتور جوثري إلى اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة بالقضاء على عادة كحل العيون ، ثم استدرك وفطن الى أنها عادة راسخة الجذور ، وأن لاسبيل الى استئصالها والقضاء عليها نهائيا إلا بالإرشاد والتعليم والتوعية على المدى البعيد

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

المادة العلاجية في الديكة

من المعروف أن عرف الديك يحتوي على مادة فعالة جدا في معالجة عدد من الأمراض ، تعرف باسم حامض (هيالورونيك) ، ومن المعروف أيضا أن المقادير التي يحتويها عرف الديك من الحامض المذكور ضئيلة جدا ، لا تتعدى غراما واحدا في كل خمسة كيلوجرامات ، وهذا المقدار في عرف ديك يبلغ من العمر ستة أشهر لهذا كان غلاء حامض (الهيالورونيك) الفاحش ، فإن ثمنه ١٥ مليون دولار للكيلوجرام الواحد ، ولهذا أيضا كانت الصعوبة التي تحول دون الاستفادة من هذا العلاج بالقدر الكافي ، وتجدر الإشارة إلى أن حامض عرف الديك يوجد طبيعيا في سائل العيون وسائل العظام ، كما يوجد

يظهر عرف الديك فوق رأسه كالقبعة

أيضا في المفاصل والجلد والحبل السرّي وقد استعمله جراحو العيون حيثما

وحدوه ، واستعمله أطباء البيطرة لحقن ركب خيول السباق التي تعاني من التهاب المفاصل إن أمراضا أخرى عديدة يمكن معالجتها لو أصبح في الإمكان توفير حامض (الهيالوروبيك) بكميات كافية من فوائده معالجة الحروح ، والشفاء السريع من الحروق ، فهو يمنع البكتريا من التسرب إلى الحرق ، لكنه يسمح للاوكسجين بذلك ، والأوكسجين ضروري لشفاء الجلد كما لا يخفى ، والبكتيريا ضارة به والحامض المذكور مرطب ، جاذب للماء ، يحول دون جفاف الجلد حين تعالج به الحروق ، نافع في علاج الجلوكوما وغيرها من أمراض العيون ، يمكن استعماله كحامل للمستحضرات (الكورتيزونية) وغيرها ، قادر على التغلغل بها إلى داخل المفاصل لتحد من آلام التهابها

لا عجب إذن إن كانت الشركات الصناعية في سباق للحصول على حامض (الهيالوروبيك) بطريقة أو بأخرى

نجحت شركتان في تصنيع هذا الحامض بمقادير كافية بواسطة أساليب الهندسة البيولوجية ، إحدى هاتين الشركتين انكليزية ، وهي شركة (فرمتك) ، والأخرى أمريكية ، وهي شركة (دياجنوستك) التي طفرت مؤخرا بترخيص من وكالة الغذاء والدواء لإنتاج الحامض السالف الذكر بأساليبها الخاصة ، وباستعماله في الجراحة تحت اسم (فسكوت)

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

النقاهة ضرورية

أجرى مستشفى كولمس للاطفال (في اوهايو) دراسة للمضاعفات التي تعقب عمليات استئصال اللوزتين ، لاسيما في الأطفال وقد أثبتت الدراسة التي استغرقت سنتين ، والتي شملت ٢٩٤٤ طفلا كانوا من الذين اجريت لهم العملية ، أثبتت أن الكثير من تلك المضاعفات (١٤٪) كان سببها تعجل الخروج من المستشفى ، وأن في الامكان تجنب تلك المضاعفات لو لم يسمح للأطفال بمغادرة المستشفى في نفس اليوم الذي اجريت لهم العملية فيه واثبتت الدراسة أيضا أن (٢٠٪) من الأطفال فقط يستطيعون مغادرة المستشفى في يوم اجراء العملية بالذات أما الباقون (٨٠٪) فيستحسن بقاؤهم في رعاية الأطباء يوما آخر في أقل تقدير

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

حبوب شبه مثالية لتحديد النسل

أحرز العلماء الفرنسيون نجاحا كبيرا في تطوير حبوب جديدة لمنع الحمل ، تفوق كثيرا كل ما عرفته النساء من حبوب قديمة جاء هذا الخبر في تصريح للدكتور برزلاتو ، أحد كبار المسؤولين في منظمة الصحة العالمية الذي أكد أن الحبوب الجديدة ستنزل إلى الأسواق في غضون سنة ، أي قبل الخريف المقبل سنة ١٩٨٧

تتميز الحبوب الجديدة بأنها تبطل الحمل حتى إذا تم ، فحبة واحدة منها كفيلة بإتلاف البويضة الملقحة ، وإحداث الطمث ، وهي كفيلة أيضا بتنظيم دورة الطمث الشهرية ، وإعادتها إلى طبيعتها ، خلافا للحبوب القديمة التي تسبب كثيرا باضطراب تلك الدورة ، وعدم انتظامها . أضف إلى ذلك أن الحبوب الجديدة لا تفقد فاعليتها إذا تناولتها المرأة بعد الجماع لكن ليس لهذه الحبوب اسم تعرف به حتى الآن سوى الرمز (٤٨٦)

سلامة البشرية في سلامة البيئة

التعرض للغبار الذري يسبب الاصابة بالسرطان

● شاع الاعتقاد بين العلماء أن التعرض للغبار (او الاشعاع) الذري يؤدي الى الاصابة بالسرطان. ولكن هذا الاعتقاد الذي افتقر الى دليل علمي ما لبث أن تحول الى حقيقة علمية مؤكدة، تمخضت عنها دراسة ميدانية واسعة وكانت مصلحة الوقود النووي في بريطانيا هي التي كلفت نخبة من المتخصصين بالقيام بهذه الدراسة التي شملت (١٤٠٠) نسمه يعملون في محطات توليد الطاقة النووية في سلافيلد في بريطانيا والتي استغرقت نحو ٣٠ سنة (١٩٤٧ - ١٩٧٦)

لقد اثبتت هذه الدراسة أن التعرض للاشعاع الذري يضاعف احتمالات الاصابة بامراض سرطانية ثلاثة هي

سرطان الدم (اللوكيميا) ، وسرطان المثانة ، وسرطان نخاع العظام

انفجار القنبلة الذرية يسبب سحابة من الغبار الذري

طبقة الاوزون في خطر

● يبدو أن الفجوة أوالفتحة التي اكتشفها العلماء في طبقة الاوزون في جو القطب الجنوبي آخذة في الاتساع. لقد اكتشفوها سنة ١٩٧٩ وهم يؤكدون أن تفاقمها ينذر بمخاطر قد يتعرض لها جنوب الارجنتين عما قريب

فقد تتسع الفتحة المذكورة بقدر يسمح للاشعة فوق البنفسجية بالتسرب بمقادير كبيرة قد تهدد بالخطر سكان الارحتين في مناطقها الجوية القريبة من القطب الجوبي

ومما يذكر أن فتحة طبقة الاوزون هذه تظهر بوضوح في شهر أغسطس من كل عام ثم تأخذ بالاتساع في شهور الخريف حتى اذا حل شهر نوفمبر انكمشت واختفت وكأن شيئا لم يكن
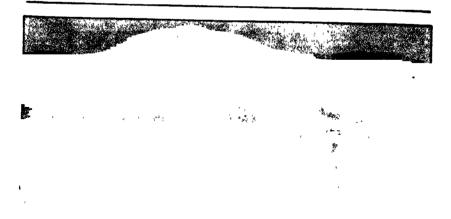
عودة الى الوحش الأسطوري . نسي

● مازال البحث جاريا على قدم وساق عن (نسي) وحش بحيرة نس في اسكتلندة فالعلماء واثقون من وجود هذا الوحش في أعماق البحيرة ، وقد التقطت له أكثر من ٣٠٠٠ صورة منذ بداية الاهتمام به سنة ١٩٣٣ ولكنهم عجزوا حتى الآن عن صيد الوحش أو حتى عن اقامة الدليل العلمي القاطع على وجوده

يقول حتى الآن ، لأن أجهزة السونار الجديدة التي بدأوا يستعملونها في حملتهم الجديدة (حملة أو مشروع موزار) تبعث على الشعور بأن الوحش المخادع لن يفلت من أيدي العلماء هذه المرة

المبيد الأصيل

● اكتشف العلماء الباحثون في وزارة الزراعة الأمريكية ، مبيدا فعالا وآمنا يقضي القضاء نهائيا على الصراصير اكتشفوه بل اكتشفوا خامته الأولية في رؤوس الصراصير نفسها فالمواد الكيماوية الطبيعية التي عثروا عليها في رؤوسها تشمل مادة لها أثران ، أثر المبيد وأثر تحديد النسل ،

أما المادة التي نجحوا في تطويرها من تلك الخامة فقد ثبتت قدرتها على الفتك بالصراصير وقتلها على الفور وتجدر الاشارة الى أن العالم الذي تسنى له اكتشاف الخامة ، ومبيد الصراصير الفعال قد أمضى نحوا من ٢٢ سنة في دراسة الصراصير واسمه سيامير كوك
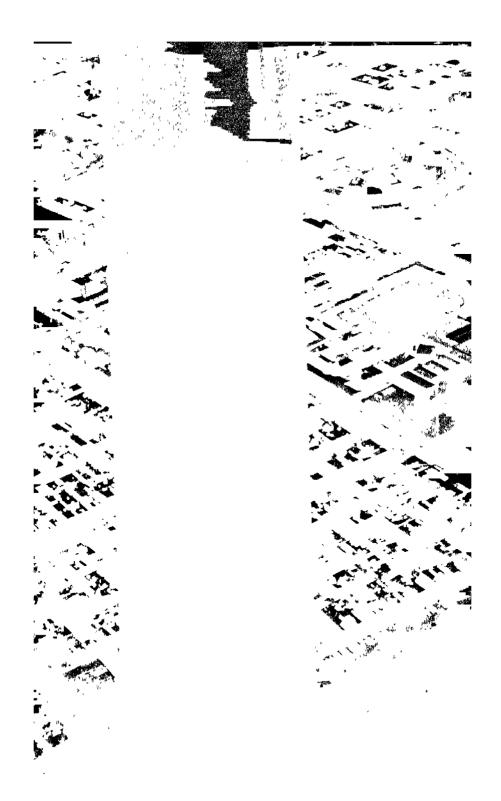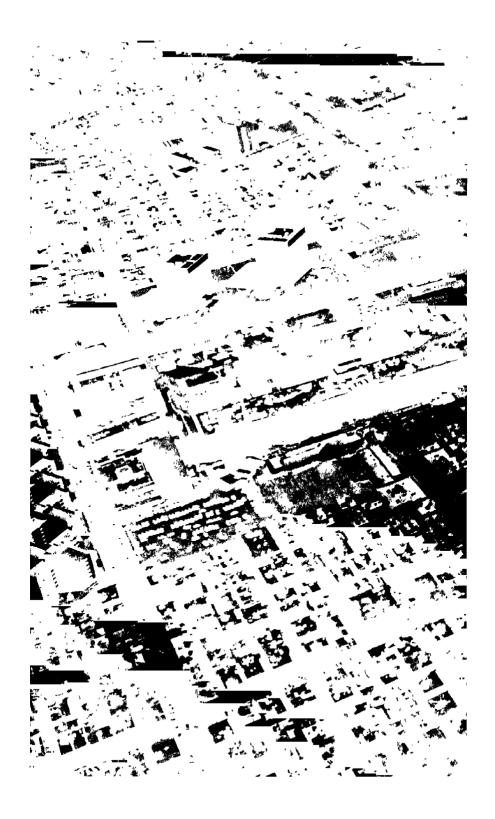
قد تكون الرياض - عاصمة المملكة العربية السعودية - إحدى العواصم العربية التي ليس لها تاريخ قديم ، كما هو الحال بالنسبة لعواصم عربية أخرى ، مثل بغداد ، أو دمشق ، أو القاهرة ، تلك المدن التي لعبت دورا بارزا في التاريخ العربي الاسلامي ، فالرياض مدينة حديثة لم يتجاوز عمرها الزمني قرنا ونصف قرن من الزمان ، منذ أن اتخذها الامام تركي بن عبدالله بن سعود ، مؤسس الدولة السعودية الثانية في عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) عاصمة لمملكته ، ومع ذلك فإن كتب التاريخ والرحلات حينما تتحدث عن منطقة نجد ، أو منطقة اليمامة ، تورد لنا قصة تلك الفتاة العربية التي تدعى زرقاء اليمامة ، التي يضرب بها المثل في حدة البصر ، ورؤية الأشياء من مسافات بعيدة ، وتشير هذه الكتب إلى أن منطقة اليمامة (وعاصمتها مدينة تدعى حجر) هي الآن نفس المنطقة التي تقع فيها الرياض اليوم ، وقد كانت هذه البقعة مكانا ملائما للاستيطان البشري ، من حيث المناخ ، ووفرة المياه ، والموقع (الاستراتيجي) عند ملتقى واديين ، هما وادي حنيفة ، ووادي البطحاء وقد نبه الرحالة الفارسي ناصر خسرو - في كتابه (سفرنامة) - إلى وجود مدينة حصينة ، محاطة بأسوار دفاعية ، تضم مسجدا جميلا ، وسوقا كبيرة ، تدعى مدينة حجر ، ثم أتى الرحالة العربي ابن بطوطة ، وتحدث عن هذه المدينة ، ووصفها بأنها حصنة ، ذات مياه وفيرة ، ونخيل يانع ، أما العلامة السعودي الأستاذ حمد الجاسر فيذكر في كتابه « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » أن اسم الرياض بدأ يحل تدريجيا محل اسم حجر في القرن الثامن عشر الميلادي ، وقد ضمت هذه المدينة الجديدة البقية الباقية من المدينة القديمة ، والأراضي المحيطة بها ، وحدائقها

الرياض مركز ثقل

شهد التاريخ المدني في شبه الجزيرة العربية تبدلات ، وتغيرات ، في مراكز الثقل البشري ، فقد كانت مدن ساحلي البحر الأحمر والخليج العربي هي الأكثر نشاطا ، والأقوى جذبا في الماضي ، وبخاصة تلك التي تحادي البحر الأحمر ، مثل مدينة جدة التي كانت عاصمة سياسية للمملكة ، لكن نظرا لتعاظم دور الرياض في خلق وحدة المملكة السياسية ، بفضل موقعها الجغرافي المركزي ، ثم العوامل التاريخية ، والسكانية ، فقد عززت اختيارها عاصمة للمملكة ، أضف إلى ذلك أنها احتفظت بمكانة خاصة في تاريخ الأسرة السعودية ، ومآثر موحدها الملك عبدالعزيز بن سعود ، فالرياض اليوم تختص مؤسسات الحكومة ، والادارات الكبرى ، ومراكز المؤسسات المالية ، والتجارية ، والصناعية الرئيسية ، وقد أدى ذلك إلى منحها المكانة العليا في نظام المواصلات ، حيث ارتبطت بشبكة طرق ، وخطوط مواصلات جوية ، وبرية ، وبفضل تلك الانجازات الكبيرة أصبحت ملتقى جميع المدن ، والتكتلات السكانية التي تؤلف بنية المملكة المدنية ، ولقد أولاها المسؤولون اهتماما كبيرا ، مما جعلها المدينة الأولى في المملكة في عهد الملك الراحل سعود بن عبدالعزيز أنشئت فيها مباني الوزارات والدوائر الحكومية ، وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٥م تم نقل الوزارات إليها ، ثم نقلت إليها وزارة الخارجية من مدينة جدة ، ثم تم نقل السفارات والهيئات الدولية والاقليمية إليها تباعا

إن السمات الجديدة لمدينة الرياض أكثر من أن تحصى ، فبسبب النمو المتزايدة التي تحققت في مرافق البلاد ، تغطي كافة مجالات الحياة المدنية ، والتجارية ، والاسكانية ، والتعليمية ، والخدمات العامة وغيرها

من جدة إلى الرياض

بقيت مدينة جدة تختص وزارة الخارجية والبعثات الدبلوماسية منذ أن توحدت المملكة العربية السعودية تحت قيادة الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود ، وقبل سنتين تم نقل وزارة الخارجية إلى الرياض العاصمة

مبنى وزارة الخارجية يقع على مساحة مقدارها ٨٤ ألف متر مربع ، ويعكس تصميم هذا المبنى - بشكل حديث - الفن المعماري الاسلامي التقليدي ، مع مراعاة تحقق الهدف الرئيسي من إنشائه ، ويحيط به كثير من المعالم مثل بوابة العاصمة ، وقاعة المؤتمرات ، كما روعي في التصميم الداخلي أن يكون

ملائما لكل جهاز إداري من أجهزة وزارة الخارجية ، ويضم المبنى - بالاضافة لأجهزة الوزارة - معهد الدراسات الدبلوماسية ، وقاعة الاستقبالات الرئيسية ، وغرف الاجتماعات ، وقاعة مجلس التعاون الخليجي ، وقاعة محاضرات لأغراض عديدة ، ومكتبة كبيرة تحتوي على الوثائق والكتب والمخطوطات المهمة ، ذات الصبغة التاريخية

ولم ينس المسؤولون بعد انتقال وزارة الخارجية إلى الرياض الحاجة الملحة لبناء مجمع سكني لموظفي الخارجية ، وقد بوشر بناء حي سكني يستوعب ٣٦٠٠ نسمة ، موزعين على ٦١٢ وحدة سكنية ، منها بيوت مستقلة ، وأخرى متلاصقة ، وعمارات متعددة الأدوار ، كما روعي في المباني توفير المتطلبات الاجتماعية ، والثقافية ، المناسبة للسكان على اختلاف فئاتهم الوظيفية ، مع إبراز الملامح البيئية العربية ، وتوفير أسباب الرفاهية العصرية وبالاضافة إلى المباني السكنية هناك مرافق عامة ، ومساحات خضراء ، ثم شبكة طرق

الحي الدبلوماسي

بوشر في بناء حي سكني للسفارات ، والهيئات الدبلوماسية ، أطلق عليه اسم (الحي الدبلوماسي) ، يقع على مساحة مقدارها ٧ ملايين

متر مربع ، ويتسع لاسكان حوالي ثلاثين ألف نسمة ، ويقع على هضبة ذات طابع مميز ، تشرف على وادي حنيفة بجماله الطبيعي ، وعلى الصحراء

الفسيحة التي تقع خلفه ، أما أجزاء الحي فترتبط بشبكة من الطرق المعبدة التي يبلغ طولها حوالي ٤٨ كيلو مترا ومن المقرر أن تكتمل منشآت هذا الحي

سنة ١٤١٠/١٩٨٩م ، وسيضم ما يقرب من ٨٠ سفارة ، ويستوعب ١٢٠ بعثة دبلوماسية ، بالاضافة إلى العديد من المؤسسات الاقليمية ، والعالمية ذات الأوضاع المتميزة ، مثل مجلس التعاون لدول الخليج

العربية ، والمعهد العربي لانماء المدن ، وغير ذلك من المؤسسات التي حرصت الرياض على احتضانها ، كما يضم مرافق تعليمية ، وصحية ، واجتماعية ، وغير ذلك من المرافق الضرورية

مطار دولي

نتيجة لاتساع مدينة الرياض وازدياد سكانها أصبحت الحاجة ماسة لبناء مطار دولي ، يستوعب هذه الزيادة المطردة ، بدلا من مطارها القديم الذي كان يقع بالقرب من وسطها ، ولم يعد صالحا لاستقبال الطائرات العملاقة التي تشهدها حركة الطيران العالمية في الوقت الحاضر في المملكة الآن ٢٤ مطاراً ، اثنان منها من أرقى المطارات تطورا في العالم ، هما مطار الملك عبدالعزيز الدولي بمدينة جدة ، ومطار الملك خالد الدولي بالرياض ، ويعد مطار الملك خالد الدولي إحدى الواجهات الحضارية للمملكة ، فهو مجهز لخدمة نحو ١٥ مليون راكب سنويا ، وروعي في تصميمه واختيار موقعه أن يكون ملائما لبيئة المملكة ، وطبيعتها ، يبعد عن العاصمة نحو ٣٥ كيلو مترا ، مما يجعل الضوضاء والتلوث بعيدين عن المناطق السكنية ، أما تصميمه الهندسي فيعكس التقاليد الاسلامية الأصيلة في فن البناء ، ومن حيث المساحة يأتي في المرتبة الثانية بعد مطار الملك عبدالعزيز الدولي ، كما يمتاز بالكفاءة ، وسهولة الوصول إليه عبر الطرق السريعة المؤدية إلى صالات القدوم والسفر ، ووجود مواقف رحبة للسيارات ، وسلالم متحركة ، وأنفاق خاصة لعبور الركاب من الطائرات وإليها

يحتل المطار مساحة قدرها ٢٢٥ كيلو مترا مربعا تقريبا ، ومن مرافقه ثلاث صالات كبيرة ، خصصت الأولى للرحلات الداخلية ، والثانية للرحلات الدولية ، والثالثة صالة ملكية لكبار الضيوف ، وهناك مسجد يتسع لخمسة آلاف مصل ، ومدرجان متوازيان للاقلاع والهبوط ، ومواقف للسيارات تتسع لنحو عشرة آلاف سيارة ، ومخازن لشركات الطيران الدولية ، ومبان سكنية ، وفندق كبير ومن الجدير بالذكر أن تكاليف إنشاء المطار قد بلغت ١١ بليون ريال سعودي

طرق وجسور وأنفاق

قد أدرك المسؤولون في المملكة أنه من الصعوبة بمكان تحقيق التطور الحضاري والتنموي الشامل مالم
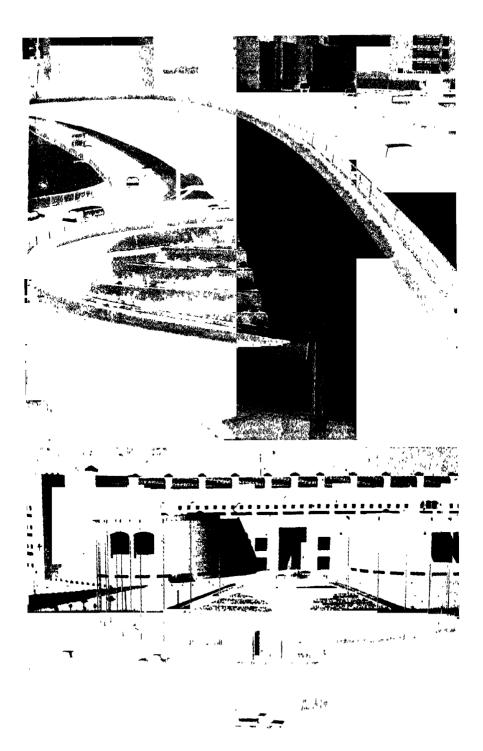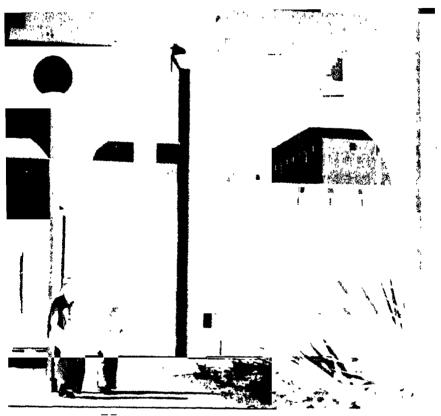
جسر الخليج أحد المظاهر الجمالية في مدينة الرياض، يبلغ طوله نحو ٢٢٠٠ متر، ويضم نفقا بطول ٨٠٠ متر الى اليمين اعلى - جامعة الملك سعود أبرز المؤسسات الثقافية في مدينة الرياض الى أعلى - وزارة الخارجية آخر المؤسسات الحكومية التي انتقلت من مدينة جدة إلى الرياض العاصمة الى اليمين - الحي الدبلوماسي أحد الأحياء السكنية المخصصة لسكن الدبلوماسيين

تكن هناك شبكة من الطرق الحديثة ، تربط مناطق المملكة بعضها ببعض ، وتسهل إمكانية انتقال المواطن بين المدن والقرى ، وكافة أنحاء المملكة

فكان من بين ما تم إنجازه شبكة طرق حديثة في مدينة الرياض وحولها ، منها طرق خارج المدينة ، مثل الطريق الدائري الذي يحيط بها ، وهو يعطي الفرصة

لفك الاختناقات المرورية ، ونقل الحركة حول المدينة ، وطريق الملك فهد ، وجسر الخليج الذي يعتبر من المظاهر الجمالية الرائدة ، وهو جسر مزدوج

من (الخرسانة) المسلحة المسبقة الاجهاد يبلغ طوله ٢٢٠٠ متر ، وعرضه ٣٧,٥ مترا ، ويضم نفقا بطول ٨٠٠ متر ، وهذا الجسر يساعد على انسياب حركة المرور في المدينة ، كما يقدم خدمات لعدة أحياء

منها ، ويربط مداخل شبكة الطرق السريعة ، وهو يمثل جزءا من الخط الدائري الممتد من الشرق إلى الغرب على هيئة طريق سريع ، يؤمن حركة سير مستمرة عبر وسط العاصمة ، ويعد جسر الخليج من

المشاريع العملاقة ، بالاضافة إلى أنه معلم حضاري كبير ، وطريق ديراب الذي نفذ على أحدث النظم في إنشاء الطرق والجسور ، وطرق داخلية قامت أمانة مدينة الرياض بتنفيذها ، بلغ إجمالي أطوالها ٦٥٠,٥ كم

جامعة الملك سعود

على الرغم من أن التعليم الجامعي بالمعنى العصري حديث العهد في المملكة العربية السعودية ،

إلا أن فكرة التعليم العالي كانت متوافرة منذ فترة ليست بالقصيرة ، فكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة بدأت في عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٩م ، وتعد هذه الكلية أول صروح التعليم

العالي ، أما الآن ففي المملكة سبع جامعات ، موزعة على المدن الرئيسية ، وهي الرياض ، والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والدمام ، والظهران ، وجدة ، أما الرياض ففيها جامعة الملك سعود التي

افتتحت في ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٨م ، وقد بدأت بأربع كليات هي الآداب ، والعلوم ، والتجارة ، والعلوم الادارية ، ثم أضيف إليها كلية الصيدلة ، ثم ألحقت

بها كليتا التربية والهندسة ، ثم كليتا الزراعة والطب ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وبعد سنوات

قليلة افتتحت كليات طب الأسنان والعلوم الطبية المساعدة ، ثم كلية الدراسات العليا في عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠

كان عدد الطلبة عند افتتاح جامعة الملك سعود لايجاوز ٢١ طالبا ، أما الآن فقد أصبح عدد الطلبة ٢٢٥١٣ طالبا ، يدرسون في ١٤ كلية وقد حظيت

الفتاة بنصيب لا بأس به من التعليم الجامعي ، ففي عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٦م أتيح لها الانتساب لكليتي الآداب والعلوم الادارية ، وفي عام ١٣٩٦هـ/

١٩٧٥م تم إنشاء مركز الدراسات الجامعية للبنات ، يتولى الاشراف على الدراسة وتنظيمها ، ويقوم بالتدريس للفتيات مدرسات ومدرسون مؤهلون ،

عن طريق شبكات تلفزيونية مغلقة ، وقد بلغ عدد الطالبات اللاتي يتلقين دراساتهن في رحاب الجامعة نحو ٥١٢٩ طالبة ، موزعات على مختلف التخصصات

وبالاضافه إلى جامعة الملك سعود هناك جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية التي تعنى بالعلوم الاسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، فضلا عن علوم

أخرى مثل العلوم الاجتماعية ، والتاريخ الاسلامي ، وتهتم بالبحوث الاسلامية فتقوم بترجمتها ونشرها ، وكذلك تعنى بالدراسات الشرعية ،

والبحوث الفقهية ، والقانونية المقارنة وتضم الرياض كذلك عددا آخر من الكليات العلمية المتخصصة ، والمراكز والمعاهد العلمية ، مثل دارة

الملك عبدالعزيز ، لخدمة تاريخ المملكة وآثارها وآدابها ، والمركز الوطني للعلوم والتقنية ، لتحقيق أهداف التنمية والعلوم ، وكلية الملك فهد الأمنية التي تهتم بتخريج المؤهلين لخدمة وزارة الداخلية ، وكلية

قامت أمانة مدينة الرياض بترميم بعض البوابات والقصور القديمة حفاظا على المعالم الأثرية للعاصمة

الملك عبدالعزيز الحربية ، وكلية الملك فيصل الجوية ، لتخريج الطيارين ، ثم كلية الملك خالد العسكرية

ترميم معالم الرياض الأثرية

إيمانا من أمانة مدينة الرياض بضرورة المحافظة على الآثار ، لما لها من أهمية تاريخية ، ورغبة في إبراز التراث الوطني ، فقد قامت الأمانة بعمل الدراسات اللازمة ، للابقاء على بعض معالم المدينة القديمة ، وإحياء ما تهدم منها ، وقد قامت بترميم قصر المصمك

وهو أحد القصور القديمة التي تقع في قلب المدينة وهو بناء مرتفع على شكل قلعة ، مبني بالحجر والطين ، وله أربعة أبراج في حوائطه الأربعة ، وبوا

كبيرة ، إنه بناء ذو طابع حربي ، يمثل العمارة المحلية التي انتشرت في حقبة معينة من تاريخ الجزيرة العربية ، ومن المعروف أن هذا القصر شيد في عهد

الامام عبدالله بن فيصل بن تركي عام ١٢٨٢هـ ١٨٨٥م كما قامت أمانة مدينة الرياض بالتعاون مع الادارة العامة للآثار والمتاحف بعمل دراسات

لتحويل قصر الملك عبدالعزيز المعروف بالقصر المربع إلى متحف وطني ، وهذا القصر شيد أيضا بنفس أسلوب البناء المحلي ، وهو مبني من اللبن والطين ، مع تحلية بعض جدرانه بالجص ، كما تم ترميم بعض

بوابات الرياض القديمة ، مثل بوابة الثميري التي تقع في الجهة الشرقية من العاصمة ، وهناك بوابات أخرى مثل بوابة آل سويلم ، وبوابة المدبح ، وبوابة الشميسي التي ما زالت تعد لها دراسات لترميمها

وتقويتها ، ومن المعروف أن مدينة الرياض كانت في الماضي محاطة بسور مبني من الطين واللبن ، أقامه الملك عبدالعزيز بن سعود بعد استيلائه عليها سنة ١٣١٨/ ١٩٠٠م ، وقد استغرق بناؤه أربعين يوما .

مسح جوي

سوف تقوم أمانة العاصمة بمشروع المسح الجوي لمدينة الرياض ، وهو مشروع كبير ومتطور إلى أبعد الحدود ، بل لعله من أهم المشاريع العالمية الرائدة يقول الاستاذ عبدالله العلي النعيم أمين مدينة الرياض في حديث له عن هذا المشروع : إن مشروع المسح الجوي لمدينة الرياض من أهم مشاريع أمانة العاصمة الحضارية ، فهو أول مشروع من نوعه في منطقة الشرق الأوسط ، وسوف يتم فيه استخدام أحدث أساليب التقنية العلمية ، وأكثرها تطورا ودقة . سوف يتم إعداد الخرائط ، وحفظها على أشرطة ممغطة رقمية ، مما يتيح إمكانية إعداد خرائط خاصة ، توضح المعالم التي يراد ابرازها على الخريطة ، لعمل دراسات معينة ، مما يتيح إضافة بيانات عديدة على تلك الأشرطة مما لا يلزم وجوده على الخرائط ، ويمكن تحديث هذه الخرائط بإضافة المعلومات الجديدة إليها عن طريق الحاسب الآلي ، مثل إضافة الشوارع أو المباني أو مرافق الخدمات الجديدة دون الحاجة إلى إنفاق مبالغ طائلة ، واستغراق وقت طويل للقيام بمسح جوي جديد لتحديث الخرائط التي سبق إعدادها . ويضيف الاستاذ النعيم قائلا : إن هذه التجربة ـ بلا شك ـ ستشجع الدول العربية وبخاصة الخليجية على السير في هذا الدرب ، والاستفادة من أساليب التقنية العلمية التي استخدمناها في إعداد الخرائط المختلفة

لأحياء مدينة الرياض بأكملها .

أما المهندس الاستاذ سعود الشتوي فقد تحدث عن هذا المشروع قائلا : إن هذا المشروع على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لمدينة الرياض التي شهدت حركة عمرانية هائلة في السنوات العشر الماضية ، نظراً للطفرة الاقتصادية الهائلة التي تحققت في المملكة ، وقد صاحب هذه النهضة العمرانية اتساع المدينة ، حتى بلغت الآن نحو ١٦٠٠كم مربع . ولما كانت الخرائط الجوية التي تم إنجازها ترجع إلى سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٥م ، ولا تشمل إلا منطقة صغيرة من المدينة الحالية ، أصبحت الحاجة ماسة للقيام بمشروع المسح الجوي ، نظرا للتطور العمراني الكبير ، والتوسعات الافقية الهائلة ، ويضيف المهندس الشتوي قائلا . وتأتي اهمية المشروع في الحصول على خرائط حديثة لاستخدامها في الأعمال التخطيطية ، وللتنسيق بين أجهزة الخدمات والمرافق العامة المختلفة ، فأي مشروع سيقام في المدينة يحتاج إلى هذه الخرائط لتحديد إمكانية القيام بالخدمات المرادة له ، وربطها بغيرها .

والمشروع سيتضمن القيام بأعمال التصوير الجوي للمدينة ، وسيغطي مساحة تزيد عن ٣١٠٠ كيلومتر مربع ، وذلك حتى يمكن توفير خرائط للمناطق التي تجري فيها التنمية ، أو التي ينتظر أن تصلها خلال العقدين القادمين ، ليوفر خرائط متنوعة ، بمقاييس رسم مختلفة ، تخدم متطلبات النمو الحضاري ، وتوفر المعلومات الضرورية للقائمين على أعمال التخطيط ، ولاعطاء فكرة واضحة عن هذا المشروع يقول المهندس الشتوي : إن هذه الخرائط تفيد في تخطيط المدينة ، وتحديد شبكات المياه ، والمجاري ، والهواتف ، والطرق ، والكهرباء ، كما تسهل أعمال الصيانة لهذه الشبكات ، ويستفاد منها في أعمال تسمية الشوارع ، وترقيم المساكن ، وكذلك يمكن عن طريقها توزيع مرافق الخدمات على أسس مدروسة وسليمة ، مثل المدارس ، والمساجد ، والحدائق ، وملاعب الأطفال ، والأسواق التجارية ، ويستفاد منها أيضا في عمل سجل عقاري دقيق ، ونظام متكامل لسرع الملكية ، وهذا المشروع يعتبر النواة الأساسية لمركز المعلومات الحصرية الذي يعد ضرورة حضارية للمدينة الحديثة □

قصـــة مترجـــمة

للكاتب الامريكي المعاصر جون كيفافر

ترجمة : ابراهيم عبد الله العلو

لقد كان عياب الصحيح سب انرعاجه واصطره الهدوء التام في العرفة المطلمة العارلة للصوت ، أن يقوم ست أصواته الخاصة حلال الساعات الأولى من اقامته هناك لم يتأثر بالطلمة وبطريقة ما لقد أعجته لقد فعل ذلك مرات عديدة عندما كان يغمض عينيه ، ويغوص في أحلام اليقظة ويستغرق في ظلام خاص مرت أيام وهو في هذه العرفة الخالية الا من سرير ، وبعض علب الطعام المحفوظ وأواني الماء ومرحاض

تلك العرفة التي لا تتجاوز سبعة أقدام ارتفاعا وتسعة أقدام طولا وسبعة أقدام عرضا ، رافقه أحد علماء النفس الى هنا ابتسم له وصافحه ثم تركه وحيدا في الهدوء المطلم

في البداية تذكر الحوادث التي مرت به حلال الأيام والأسابيع القليلة الماضية والتي أدت الى حضوره هنا كالعادة كانت أفكاره متعلقة بالاصوات صوت الرقيب الذي أخبره أن يجهز ثيابه قائلا « سنخبرك عن ماهية التجربة عندما تصل هناك » ، ولكن انتظار المجند « نيف نلسون » لم يدم طويلا

كان نيف قد أنهى فترة التدريب العسكري الأساسي مؤخرا ، حلال أيام قليلة نقل نيف مع أربعة وعشرين مجندا آخرين بالشاحنة الى زاوية معزولة من المواقع ، بعد اتمام اجراءات السكن في الثكنة تم استجوابهم من قبل اثنين من علماء النفس ، تذكر نيف بشكل خاص صوت أحدهم ، كان صوتا رتيبا وناعما بنفس الوقت ، أخبره أنه تم اختيارهم ليكونوا عناصر في تجربة مهمة في البحث الانساني ، وأن سبب اختيارهم هو تمتعهم بصحة جيدة وذكاء يفوق المعدل ، كان هدف التجربة هو اكتشاف آثار الوحدة والرتابة على الفعالية البشرية ، ماذا يحدث للانسان عندما يعزل تماما عن المجتمع لساعات أو أيام ؟ ماذا يحدث عندما تختفي كل المناظر والاصوات المنبهة ؟ هذا السؤال طرحه العالم النفسي ذو الصوت الناعم « هذا ما نسعى لاكتشافه ، الى أية درجة يستطيع الانسان القيام بمهمات معينة في حالة كهذه »

تحاول الادارة المختصة في الجيش الأمريكي تطوير اختبارات تمكنها من تعيين نوعية الرجل المؤهل للقيام بمهمات معينة مثل الاشراف على رادار أو قاعدة صواريخ أو محطة ارصاد جوية في منطقة معزلة ، أو أي عمل آخر ربما في الفضاء الخارجي في حاجة الى انتقاء رجل ما وحيدا ، وقيامه بعمل رتيب في عزلة تامة

شرح العالم النفسي للمتطوعين ما هم مقدمون عليه سيقوم الفنيون بتسجيل كل الأصوات الصادرة عن الغرف من غرفة التحكم المركزية

« ربما يسألونك عدة أسئلة من خلال الميكرفون »
تذكر بيف أن « ربما » تكررت مرات عديدة سوف تقارن أجوبة كل متطوع وانطباعاته مع تلك التي سجلها قبل دخوله الغرفة وسوف يتم اختباره مرة أخرى بعد انتهاء اقامته هناك

« من خلال تلك المقارنة » ، اضاف العالم النفسي « سوف يكون بامكاننا عزل أية فوارق ناتجة عن التجربة » وأضاف بصوت هادىء « أن باب الغرفة لن يكون مقفلا ، وبامكان أي من المتطوعين أن يخرج من الغرفة متى شاء ، ولكن بعد ذلك لن يسمح له بالاشتراك في التجربة مرة ثانية » فان عناصر التجربة لم يعلموا بمدتها لأن ذلك سيجعلها عديمة الجدوى

« هل تحب أن تكون عنصرا في هذه التجربة ؟ » هذا السؤال وجه الى كل واحد منهم ، تذكر بيف نبرة صوته عندما أجاب بكل حماس « نعم » ، لقد تذكر ذلك بوضوح لأن ذلك الأمر لن ينساه أبدا ، لقد كان يعلم أنه مقبل على عمل ربما يؤدي به الى الجنون ، وبدأ يغري نفسه « لاأعتقد أن الحال ستصل بي الى أن أقضي بقية حياتي في مستشفى المجانين » ، لقد عاش حياته كلها على « الصوت » ، لقد كان غياب الصوت لفترة قصيرة يقلقه أي ضجة ولو كانت خفيفة تكفي ، ربما صوت تنفس رجل آخر أو حتى الصوت الذي يحدثه الكلب عندما يمشي فوق السجادة

استشار بعض المختصين منذ زمن ولكن لم ينجح أحد منهم في مساعدته ، لقد حاول مرارا التخلص من هذه العادة ، وعندما سنحت له الفرصة من خلال الاشتراك في هذه التجربة لم يتردد أبدا ، كان يمني نفسه « اذا استطعت الصمود الى نهاية التجربة فسوف اتخلص من هذه العادة الى الابد ! »

عندما كان في طريقه الى الغرفة كان « دماغه » يسجل ويخزن كل صوت في تلك اللحظات الأخيرة ، لقد تذكر وقع أقدام زملائه الذين سبقوه عندما دخل المبنى الذي يحتوي على غرفة التجربة ، قبل دخول كل رجل الى غرفته يصافحه أحد العالمين النفسيين ويعطيه التعليمات الأخيرة ، كانت غرفة بيف آخر الغرف في البهو ، دخلها متبوعا بالعالم النفسي ذي الصوت الناعم ، كانت صغيرة جيدة التهوية وذات حرارة ثابتة ، بيضاء تماما كغرفة في احدى المستشفيات ، في احدى الزوايا كان هناك مرحاض،وفي الزاوية الأخرى ثلاجة متخمة بالماء والطعام كان هنالك سرير ووسادة وغطاء ، ذلك كل شيء

كان العالم النفسي رجلا طويلا محني الكتفين ، صافح بيف وتمنى له حظا سعيدا مضيفا « تذكر أن الباب ليس مقفلا وبامكانك الخروج في أي وقت تشاء ، ولكن اذا فعلت ذلك فسوف تكون فرصتك الأخيرة » وغادر قائلا « سوف يطفأ الضوء بعد دقائق وكذلك ضوء الممر »

* * *

أحس بيف بوحدته فبدأ يحاول الاستماع الى خطوات العالم النفسي وهو يغادر الممر ، ولكنه لم يسمع شيئا ، لقد كانت الغرفة عازلة للصوت !!!

لقد بدأ بيف حياة جعلته يتلمس الطريق في الظلمة ، يبحث عن الطعام والماء ويغتسل بمناشف معاملة بمواد كيماوية خاصة ثم يستلقي على السرير ، لم يكن هناك أي شيء آخر ليفعله ، لم يكن لديه برنامج أو ساعة يد ، كان يرتدي ثيابا شبيهة « بالبيجاما » ، ويستطيع النوم متى يشاء في هدوء لايمكن للصحيح اختراقه ، وفي ظلمة حالكة غطته كالدثار كان عليه أن ينتظر في هذا العالم عديم الصوت ، كانت أفكاره مركزة حول الاصوات ، كانت حياته دائما مزيجا من الأصوات ، والآن لا يوجد أي صوت !!!

وضع رأسه تحت الوسادة وضغطها حول أذنيه آملا أن يصله صوت ما عندما يرفعها مهما كان ذلك الصوت ضئيلا ، حاول مرة واثنتين وثلاثا ولكنه لم يحس بأي فارق ، كان الشيء الوحيد الذي يستطيع سماعه هو دقات قلبه ، ولكن هذا الصوت من صنعه هو ، صوت داخلي كالصوت الناتج عندما يدق باصبعه على الحائط أو الأرض ، كان بحاجة الى صوت خارجي ، شيء ما أي شيء ليخبره بأن العالم الخارجي موجود

بالرغم من أن الظلمة لم ترعجه ، ولكنها زادت من عزلته وجعلت انعدام الصوت أشد وطأة ، بالاضافة الى أنه لم يسمع شيئا فانه لم يرأي شيء أيضا ، لم يكن يستطيع رؤية الحائط أو الثلاجة حتى عندما كان أنفه على بعد أصابع منهما . كانت الطريقة الوحيدة للتعرف على أي شيء هي اللمس
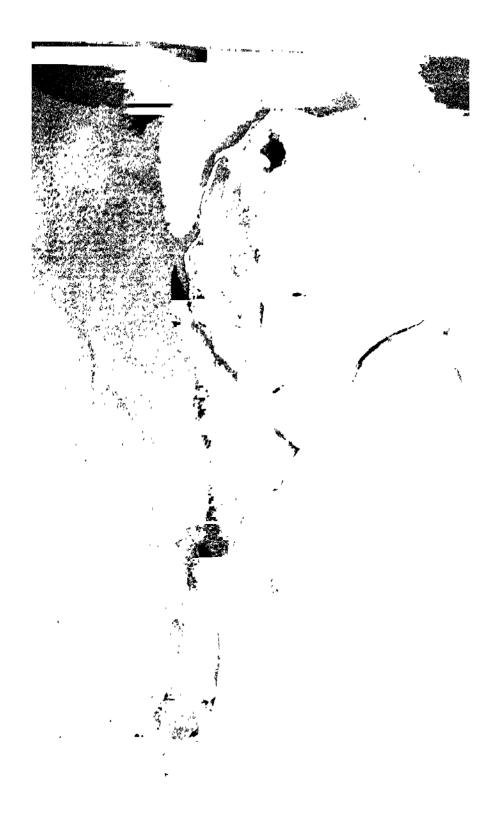
بعد ساعات من دخوله الغرفة ذهب الى الباب وفتحه بهدوء ثم أغلقه ثم فتحه ثم أغلقه لمرات عديدة مستمعا بشغف الى الصوت الناتج من جراء ذلك ، ولكن دلك الصوت بقي من صنعه هو وكانت حاجته الى صوت خارجي ، كان الممر مطلما كعرفته ، في البداية تدكر الأصوات التي صاحبت قدومه الى هذا العالم عديم الصوت ولكن تلك الأصوات تلاشت بسرعة ، ثم بدا يتدكر أحداث حياته ، ظل في بحث دؤوب عن أصوات سمعها من قبل ، كان يتحيل تلك الأصوات ثم يكررها محاولا أن يمتص كل صحة بشراهة ، خاصة عندما امتدت اقامته في تلك الغرفة من ساعات الى يوم ، الى أيام عديدة ! غاص في أعماق تجاربه عائدا الى القديم باطرا ومستمعا

عاد الى هدير محركات الطائرة التي سمعها عندما كان في طريقه الى الموقع ، الى صوت الكرة في مباريات المدرسة الثانوية ، الى هتاف المشجعين ، الى دقات ساعته ، الى « تمحيطات » عجلات سيارته ، الى صوته المدوي عندما سقط من شجرة ، الى صوت المنشار الذي استخدم لازاحة « الجبس » عن قدمه عندما كسرت ، الى صوت الطباشير على السبورة ، الى صوت اخته في الجانب الآخر من المنزل

ولكن تفكيره الآن تعلق بصوت أفزعه في البداية . انه صوت الفئران القاصمة ، ذلك الصوت الذي سمعه في تمثيلية اذاعية عندما كان طفلا ، انها قصة الفئران الجائعة التي شقت طريقها شيئا فشيئا الى رجل مروّع . كان ذلك الرجل يعمل في منارة لهداية الملاحين ، مئات الفئران أخذت طريقها الى جزيرته في قارب مهجور ، نظر الرجل فرأى الفئران تنحدر من القارب الى ساحل الجزيرة ، لقد رأى الفئران تندفع نحوه في المنارة ، أقفل الباب في الطابق الأرضي ، ولكن الفئران الهائجة قضمت الخشب في أسفل الباب ، تذكر نيف بوضوح صوت الفئران وصوت الرجل المذعور ، عندما وصلت الى قمة المنارة ببطء نخيف قاضمة الخشب في طريقها ، كان الرجل يصعد طابقا تلو الآخر ولكن الفئران كانت تتبعه ، لقد كان ينتظر في كل طابق الى أن يرى الباب الخشبي يتشقق فيصعد الى الطابق الأعلى وصراخه يسبقه ، يغلق الباب بعنف ولكن الفئران لا تزال تتبعه ، لقد أصبحت الفئران تمضي بسرعة أكبر وكأنها تتذوق الوجبة القريبة منها ، لقد وصل الرجل الى الغرفة العلوية المحاطة بالزجاج ، كانت أرضية الغرفة مصنوعة من المعدن ، تذكر نيف ، لقد أوقفت الفئران لفترة ، ثم أقبل سكون مطبق للمرة الأولى منذ أن اقتحمت الفئران الباب الأرضي ، لم يكن هناك أي صوت ، ظن الرجل أن الأرضية المعدنية أوقفت الفئران وأنه نجا ، تذكر نيف خيبة الأمل التي أحس بها والتي يحس بها الآن لانه فقد ذلك الصوت الذي صحبه للحظات مشوقة ، ثم تذكر نيف صوت الفئران وهي « تخردش » فوق سطح الزجاج في غرفة الرجل ، ثم سمع صوتها وهي تغادر ، لقد عادت الفئران الى القارب خائبة ، كان ذلك الصوت هو المهم وعندما اختفت الأصوات اختفى البرنامج من ذاكرته ، هنا في سكون الغرفة الضائع كانت قصة التمثيلية أكثر واقعية من أي وقت مضى ، لقد استرجع حوادثها مرات عديدة في ذاكرته ، لقد عادت اليه حتى عندما أحس انه سمعها بما فيه الكفاية ، لقد كانت الأصوات « المخردشة » في المنارة تعود اليه مهما حاول أن يغير تفكيره كانت الاصوات تعود الى السطح وتبدأ من جديد الى النهاية ، اضطجع نيف على سريره وحاول أن ينام ولكنه لم يستطع ، بعد ذلك حاول أن يتحسس طريقه الى الثلاجة ، حاول أن يأكل ويشرب ، اغتسل مرة بعد أخرى حتى أصبح

حلده طريا حدا ، وبالرعم من كل ما فعله كان يحس بأصوات الفئران حوله ، لم يستطع ابقاءها حارجا ، لقد أصبحت تلك الأصوات حزءا من حياته ، لقد كان بحاحه الى صوت ما ، وعندما عادت الى داكرته أصوات التمثيليه رحب بها أحس بالتدريج أنه كان حائفا من احتفاء تلك الأصوات ، انتسم واستلقى على فراشه مغمضا عينيه ومصغيا ، لقد ملأت الاصوات تفكيره ، وكأن الفئران هناك بالفعل ، لقد أحس بالسعادة وكان على ثقة من أن تلك الاصوات هي من صنع خياله وان بامكانه التخلص منها متى شاء ، أتساءل ـ كان يحدث نفسه ـ هل بامكاني ايقاف تلك الاصوات ، واذا حاولت ، واذا أردت ، واذا احتجت لذلك ، هل أنا قادر على تحمل تلك الصحة ، وفي تلك الحال ماالنتائج ذلك ؟ يجب على أن أعرف الجواب !!!

الان بدأ يركز على ابعاد تلك الأصوات لقد احتفت ببطء لاصوت لاصوت لاصوت لاشيء كتلة مريعة من انعدام الصوت لم يكن هناك أي صحيح لعطيه توكيدا بأن العالم الخارجي لايزال موجودا

* * *

لاصوت ، صرخ تفكيره ، لقد حاولت التركيز على احضار الفئران ، « عودوا » بدأ يقول بصوت عال للمرة الأولى مند دخوله الغرفة » أيها الفئران « عودوا » ، أحس بعودتهم لوهلة ولكن بعد ذلك تلاشى كل صوت ، لقد كانت الأصوات تتلاشى وكأنها وحدات منفردة قادرة على المغادرة والحضور كما تشاء ، لم تعد تلك الاصوات في متناول يده ، لاشيء ، لم يكن هنالك أي صوت سوى دقات قلبه وصوت الشراب الذي كان في أشد الحاجة اليه وصوت تنهداته التي لم يستطع احفاءها

لقد احتفت الفئران ، لقد احتفت بارادتها الخاصة ، بدأت الكلمات تلوح في خياله وكأنها ومضات متكررة ، ثم أدرك سبب دلك التكرار ، اذا كانت الفئران قد احتفت بارادتها فبامكانها العودة اذا شاءت ، لم يستطع خياله صنع الأصوات التي كانت الفئران تصنعها ، اذا كان هناك فئران في الغرفة فحتما سوف تقوم بصنع بعض الأصوات وسيكون بامكانه الاستماع اليها اذا كانت هناك ، أصغى للحظة ، سمع صوتهم في زاوية الغرفة بجانب سريره كانت تلك الاصوات تعطيه بعض الأمان ، ابتسم واستراح ، لقد كانت الأصوات في خياله وكان كل شيء كما يرام في عالمه ، جلس على الفراش ينظر جهة الصحيح ، حتى في تلك الظلمة الموحشة كان يرى بعض الفئران في زاوية الغرفة على الأرضية البيضاء ، أحس وكأن حجرا من الألم طعنه ، أحس وكأن قطعا من دماغه قد تطايرت ، أراد أن يرفس ، أن يصرخ ، ثم أدرك أنه من غير الممكن أن يرى الفئران ، اذ أن الظلمة شديدة لدرجة أنه لايستطيع رؤية الجدار ، لقد كان يتذكر شكل الجدار عندما كانت الغرفة مضاءة حين دخوله ، وبشكل أو بآخر كان يتذكر الفئران ، بالطبع فان صوت الفئران كان من وحي خياله كما كان حال الأصوات الأخرى

استراح قليلا على الفراش ولكن بدلا من أن يغمض عينيه وينصت كان يحدق في السقف ، بدأ يحس بشيء من الالم والقلق ، أحس بالحاجة لعمل شيء ما ، قال بصوت عال « أريد أن أتأكد ما اذا كان هنالك فئران أم لا ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بقي مستلقيا على فراشه متسائلا « هل أتجنب الزاوية لانني خائف من وجود الفئران هناك أم من عدم وجودها ؟ »

لقد بقي نيف مستلقيا على فراشه لساعات وهو يستمع الى أصوات الفئران ، لقد ملأت الضجة الغرفة ، بدأ يدلي قدمه ليرى ، ما اذا كانت الفئران ستقضم أصابع قدمه ولكنه أحس بخيبة الأمل عندما لم يحدث شيء ، « أيها الهوام » بدأ يقول « الا تعرفون

مـادا حلـتم علي » ، لم يحس بـالحاجـة الى الطعـام والشراب والاغتسال ، لم يكن يفكر في العالم الخارجي أو كم مضى من الوقت على وجوده هناك لم يكن يفكر في ميعاد الخروج ، لقد بدأ يحس بسعادة غامرة في ذلـك العالم المـظلم المليء بـالاصـوات ، صـوت الفئران الرقيق كسجع أم حسون ، بدأ بيف بالتحدث الى الفئران بشكل طبيعي الان ، لقد كانت عـلاقة حميمة ، احدى افضل علاقاته ، وكل ذلك من صنع خياله ، لقد فعل ذلك ، كان يظن !!! لقد كان لديه الكثير بالمقارنة مع الآخرين ، من يستطيع أن يقضي أسبوعا في غرفة مظلمة كهذه ومع ذلـك لديـه هذه الصحة ؟

لقد كان خياله يقـوم بفعل ذلـك ، بدأ يـردد ، وذلك تحت تحكم كامل « انني رجل مبـدع » بدأ يحدث نفسه « ربما أقرر أن اعيش في غرفة كهـذه البقية الباقيـة من حياتي سـوف أفكر في ذلـك ثم أعلمهم فيما بعد »

- « ما رأيكم في ذلك أيها الفئران » بدأ يقول

* « لانحب تلك الفكرة » أجاب أحدهم !!!

ضحك بيف لقد كانت المرة الأولى التي سمع فيها جواب أحدهم ، المرة الأولى التي سمـع أحدا يتكلم ، لقد كان ذلك شيئا رائعا ذلك العقل الذي يمتلكه ، ذلك العقل الذي يجعل الفئران غير الموجودة تتكلم

* « لانريد أن نسكن مع مجنون » قال آخر

- « أوه لاتـريـد !! » « أجـاب بيف متبسـما » « حسنا » « أنا لاأحبك أيضا »

* « نحن لانمزح انك تضيع عقلك »

* « تعني أنه أضاعه » أجاب آخر

* « انه يتحدث مع الفئران لقد أضاع عقله »

- « اصمتوا » قال بيف « تعلمون أنني ابتكرت كل ذلك »

* « نعم » قال اثنان منهم « بالطبع »

لم تعجبه تلك النغمة لم تعد الفئران في متناول يده

« أنا الآمر هنا » قال بيف

بدأت أصواتهم الساحرة تملأ الغرفة

- « يا للعنة » جلس خائفا . « عندما أريد أن أتحدث الى الفئران فانني أقوم بذلك وعندما أريدكم أن تجيبوا فانني أجعلكم تقومون بفعل ذلك »

* انه يضيع عقله لقد أضاع عقله بدأت الفئران تغني

- « احرسوا ، أيتها الأفاعي القذرة »

* - « انه مجنون انه مجنون »

- « لست مجنونا » وكأنها صرخة

* « مجنون مجنون » بدأت الاصوات بالارتفاع مئات من الاقدام الصغيـرة تجوب الغـرفة في رقص هامس « مجنون مجنون الحذي المجنون »

- « لا لا لا » كانت اللاء الأخيرة صرخة مدوية عبرت الغرفة مترددة من حائط لآخر

* * *

بـدأ الضوء يغمر الغـرفـة من الممـر لم يـدرك المساعدون الصينيون في غرفة التحكم المركزية أن فئران التجارب قد خرجت من الاقفاص من خلال بعض الفتحات في « الشباك » ولم يكونوا ليعرفوا ذلـك الى وقت الاطعام لولا صراخ بيف لقد سجل الرجلان صوته منذ البداية ، ولم يظنوا أن ذلك غريب ، لقد اعتـادوا على سمـاع أصـوات غـريبـة في مثـل تلك التجارب ولكن عندما بدا لهم أن بيف بدأ يفقد توازنه وعندما بدأ يصرخ مرتعدا حضروا من غرفة التحكم الى غـرفته ، وخلال مسيـرتهم لاحـظوا أن فئـران التجـارب كانت خـارج الاقفاص ، لقـد ظنـوا أن الفئـران سوف تكـون في الممر ، فتحـوا بـاب الممـر العازل للصوت ثم أضاءوا الممر وغرفة بيف مسرعين الى غـرفته ، لقـد شاهـدوا البـاب مفتـوحـا بعض الشيء ، عندما دخلوا الغـرفة وجـدوا العديـد من الفئران في الغرفة وفي الممر وكان بيف يصرخ بوجه الفئران الأخرى في الزاوية كانت تلك المخلوقات الصغيرة ترتعش من الخوف

أدرك أحد الرجلين ماذا حدث ؟ عندما هـربت الفئران من القفص مشت في الممر وعـندما وجـدت باب غرفة بيف مفتوحا قليلا دخلت هناك ، لقد فتح ذلك الباب عندما دخل بيف الغرفة في البداية ونظرا لانعدام الضوء في الممر فانه لم يعرف بأن الباب كان مفتوحا ولو قليلا

ولكن المساعد الفني لم يُعرف لماذا بقي بيف يصرخ، لقد بقي بيف يصرخ « لا لا . لا » لأن الفئران التي تحدث اليها وراهـا كانت سوداء والفئران التي يراها الآن بيضاء !!!! □

ساعد مركز الكوفة العسكري والسياسي والعلمي على ازدهار هذا النوع الجديد المحسن من الخط ، وانتشاره

كيف نكتب الخط الكوفي ؟

يعتبر الخط الكوفي من اجمل الخطوط العربية والاجنبية ، لخروجه عن المألوف وظهوره بمظهر متميز فالجمالية تكمن في ألفاته الواقفة ، وسطوره المستقيمة الممشوقة ، وحروفه الملتفة أو المستديرة التي تتم عن حركة في تكوينها ، وانسجام في أشكالها ، وارتباط بعضها ببعض ، وعندما يريد الخطاط أن يكتب بالخط الكوفي فإنه يعتمد على المراحل التالية

* يخط سطراً أفقياً موازياً للورق ، ثم يلحق به سطراً آخر يكون البعد بينه وبين سابقه سبعة أضعاف عرض الألف بالنسبة لطولها ، فاذا كان عرض الألف سنتيمترا واحدا يكون البعد بين السطرين (٧)سم ، والنسبة هي ١/٧ ، قريبة من نسبة طول رأس الإنسان إلى طول قامته ، وهذا المقياس تقريبي ، كان المثالون الإغريق يعتمدون عليه (أمثال فيدياس وبولكليت)

* ـ يتم رسم الألف مباشرة بالمسطرة والمثلث القائم الزاوية ، حيث نحصل على خطوط متوازية أفقية وعمودية على اللوحة ، بواسطة مسطرة الرسم الهندسي «T»

* ـ وبعد أن نحصل على ارتفاع الحرف الأول وحجمه تتم ـ مباشرة ـ عملية إيجاد السطر الأسفل ، والحصول على سماكة الحرف السفلي ، وعلى هذا السطر ترتكز كافة الحروف ، ويعطي للكتابة المتانة والاستقرار ، ومنه تنحدر الحروف إلى أسفل وترتفع إلى أعلى

* ـ بعد أن حصلنا على السطر الأساسي الذي تنطلق الحروف جميعها منه ، نضع سطراً آخر في الأسفل للحروف المنحدرة ، كالجيم والراء والميم النازلة ، الخ

* ـ ثم نضع سطرا في الأعلى يماثل السطر السفلي ، وهو السطر الذي ترسم فيه رؤوس الحروف الصاعدة ، مثل رأس الجيم والدال والكاف الأولية والطاء ، وبذلك نساوي حجم الحروف المرتفعة عن السطر حجم الحروف النازلة عنه ، وهذا الصعود والنزول ، له قيمة تشكيلية ، وجمالية ، والمحافظة على أشكال الحروف يجعلها متناسقة مقروءة ، متشابهة في الحجم

* وعندما يريد الكاتب أن يوصل الحروف بعضها ببعض تظهر البراعة في اختيار الوصلات التي تجعل الكلمة كلا متماسكاً ، لها شكلها المميز ، ومن الضروري المحافظة على الرسم الأولي للحروف ، فلا يبدل فيه ، ولا يشوه معالمه ، وعليه أن يبذل قصارى جهده بالتعبير والتبديل والإضافات وحذف غير الضروري ، ودراسة الأحجام والأشكال ، والابتعاد عن الفراغ المعيب ، والحشو الكثير

الكوفي المزهـــــر

الكتابة المزهرة نوع من أشكال الخط الكوفي الذي يعتمد على ملء الفراغات والأرضية بزخارف نباتية ، مشتقة من أغصان الأشجار ، وسوق الكرمة ، ونبات « الأكانتوس » ، وهذه الزخارف تكون بألوان أفتح من لون الكتابة ، لكنها قريبة منها ، ونستطيع أن نخفف اللون الأساسي بمزجه باللون الأبيض ، لتظل الألوان المشتقة منه متقاربة لا تنافر بينها أو تضاد ، وإذا أردنا تلوين بعض الزهرات بألوان حارة ، فعلينا أن نطفىء اللون المطلوب بقليل من اللون الأبيض أيضاً حتى لا يصير اللون صارخاً أما ملء الفراغات فيجب أن يكون بتقنية عالية أثناء الرسم ، وعلى الكاتب أن يمرن يده على حركة الأغصان بخطوط لينة منسابة ، وأن يختار الشكل السهل المحور إلى أبعد درجات التحوير ، ويختصر الزوائد في الوريقات والزهرات

وبعد استعمال الورق الشفاف « زبدة ـ كالك » ترسم الزخارف بقلم الرصاص ، ثم يأخذ الكاتب بالتحوير ودراسة الأشكال حتى يحصل على التصميم النهائي لزخارفه ، ثم تتم عملية نقل الزخارف من الورق الشفاف إلى اللوحة بواسطة تحديد الخطوط من الجانب الآخر ، ثم الضغط بقلم صلب فوق الزخارف مرة ثانية لتطبع على الورق ، وبعد ذلك يأخذ بتحديدها وتلوينها بالطريقة التي يجدها مناسبة ، كأن يستخدم أقلام التحبير « رونيدوغراف » أو فرشاة السمور الدقيقة التي تصلح للألوان الترابية
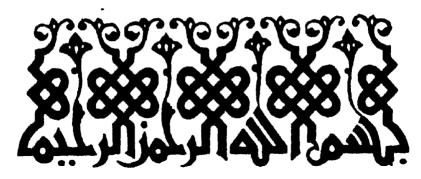
* خط كوفي معقود الحروف العلوية

« العواش » التي تذاب بالماء

ويمكن وضع ألوان ذهبية أو فضية خاصة (معبأة في أنابيب أو علب عادية) قابلة للذوبان بالماء ، تعطي بريقا كلون الذهب أو الفضة ، على الكاتب أن يستخدمها في تحديد أطر الحروف والكلمات والزخارف ويستعمل « الترلين » في تحديد زوايا الحروف وأطرها ، ويفضل أن يكون اللون ممروحاً بدقة ، حتى نحصل على سطح ملون لطيف خال من الشوائب وتعتبر الكتابات الموجودة في غرفة السلطان حسن بمصر من أشهر الكتابات بالخط الكوفي المزهر

وهناك نوع آخر منها هي الكتابات الكوفية المزهرة الدائريه التي يعتمد الكاتب فيها على الفرجار لرسم دوائر منتظمة ، مركز كل دائرة يبدأ من تماس محيط الدائرة المجاورة ، وترتبط الدوائر جميعها بوحدة منتظمة ، ثم ترسم الزخارف في الفراغات ، مرتبطة بالدائرة ، منطلقة منها ، وهذا التكرار في وحدة الدائرة يعطي الاستقرار للسطر الذي يمتد عبر شريط على جدار مصنوع من حجارة ومحفور بالرخام أو الخشب ، وقد يكون الشريط هذا عبارة عن إطار داخل زخرفة أحد اللوحات المخطوطة

المورق والمشجر المضفر

الخط المورق هو الذي ترسم في نهاية حروفه وريقات مأخوذة من تحوير أوراق الأشجار ، والعنب ، و « الأكانتوس) شوكة اليهود ، وهذه الوريقات ترتبط بنهاية الحروف دون أن تؤدي إلى صعوبة قراءتها ، أو المساس بشكل الحرف الأولى ، فيظل الحرف محتفظا بشكله ، ولا تتشوه معالمه فتصعب عند ذلك قراءته ، أو يفقد قيمته الجمالية

ومن أشهر أمثلة الكوفي المورق كتابات « آمد » في ديار بكر ، وجامع ابن طولون أما الكوفي المشجر فهو الكتابة التي يكون في نهاية حروفها العلوية أشكالاً تشبه أغصان الأشجار ، ترتبط الحروف المتشابكة الأغصان،وتعطي شكلاً مميزاً أشبه بالشجرة الوارفة الأوراق والظلال

والأغصان الملتوية الملفوفة مشتقة من سوق شجرة العنب ، ووريقاتها ، وبراعمها ، أو من نبات اللبلاب الحقول بأشكاله المنسابة ، وأوراقه الملتفة ، وبراعمه الناعمة ، وأزهاره الدقيقة ، وهذا النبات كثيراً ما يلتف ، ويتطاوى ، ويتلوى على النباتات القريبة منه ، فإذا لم يجد نباتاً قريباً فإنه يلتف حول نفسه ، ويشكل ما يشبه الكتلة الخضراء إلى أن تتم دورة حياته وعندما نستعير شكل اللبلاب لنستفيد منه في تزيين الحروف الكوفية الصاعدة ، يظل الحرف الكتابي شيئا مجردا ، والزخارف والزهرات والأوراق أشياء محورة عن الطبيعة

أما الخط الكوفي المضفر فهو خط معقد جداً الى حد يصعب معه التمييز بين العناصر الخطية والعناصر الزخرفية ، ويعتمد على تضفير الأحرف العالية والمرتفعة بعضها لتصبح كضفيرة شعر فتاة ، أو أن يكون التضفير في شكل الحرف الأساسي ، ومهما يكن
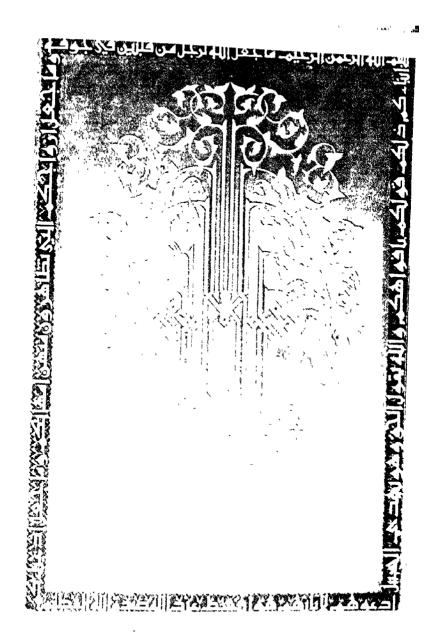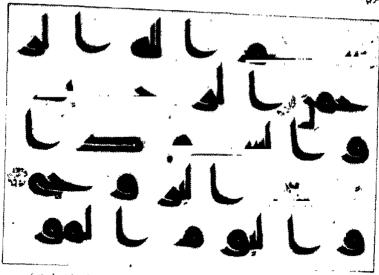
بسم الله الرحمن الرحيم ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه

[illegible]
بالاضافات الجمالية التي جعلته يكتسب أشكالا وأبعادا جديدة

فإن الضمائر تخدم الناحية الجمالية أو التشكيلية للحرف ، في حين تصعب قراءة الحروف المضمرة لتشابك الخطوط المتداخلة ، وربما يكون الترابط فيما بينها مقبولاً لكن التشابك الكثير لا يزيد الخط إلا تعقيداً وتداخلا

ومن أمثلته ، خطوط قلعة رادكان ، ومسجد الزيتونة ، ومسجد القيروان ، ومسجد فلاوون ومسجد الست رقيه ، وجامع سيدي أبي الحسن في تلمسان ، ومنه أيضاً كتابات الكرار « قصر ساه العرب في أشبيلية باسم (دون بدرو) في القرن الثالث الهجري »

الخط الكوفي الهندسي

الكوفي الهندسي هو الخط الذي تستعمل فيه المسطرة والمثلث القائم الزاوية ، من أجل تسطير الورق وجعله مربعات متساوية الأبعاد بخطوط عمودية وأفقية ويقسم إلى قسمين الكوفي المروى ، والكوفي المربعي

فأما الخط الكوفي المروى فتتم كتابته ضمن المربعات والخطوط المستقيمة ، بحسب المربعات وترسم أشكال الحروف الهندسية وتحقيق الجمالية فيه أن يكتب بالمربعات المتساوية لتعطي أشكال الحروف الحادة تآلفا بين اللونين الأسود والأبيض ، وهو يصلح للكتابة على السطوح الكبيرة ، والجدران ، والمباني العامة لتناسبه مع هندسة البناء ، وحركة العمارة ، وأشكالها النحتية ، ولإعطاء البناء الجمال والبهجة ، وهو لا يحتاج إلى كثير من التمرين ، بل إلى صبر وأناة في حساب المربعات ، وتسطيرها ، وحفظ أعدادها

وأما الكوفي المربعي فتتم كتابته على زاوية كل مربع والمربع الذي يليه ، بحيث تترك فراغاً بين الأشكال التي ترسم ، لتتألف أشكال كثيرة من هذا المربع « الوحدة الأولى لشكل الحروف الأولى »

والمهارة هي في المحافظة على الشكل الأولي للحرف ، وربط الحروف بعضها ، بالاضافة إلى الاستفادة من الفراغ الأبيض الذي تخلفه بقية الحروف والكلمات ، إذ يجب أن يكون هناك أشكال لمربعات خالية ، هي التي تعطي الحرف شكله اللائق به

ونستطيع أن نطور الحرف ونضع الألوان الفاتحة والغامقة ومشتقاتها ، بحيث يحدث تناغم أو تضاد بينها ، كأن تكون الكتابة بلون بارز وغامق ،

والأرضية بلون أفتح من مشتقات ذات اللون ، أو بلون مضاد له كاللون الأزرق مع البرتقالي أو الأزرق الغامق مع الأزرق الفيروزي الفاتح ، وهكذا

أما عندما نعبر أحجام المربعات بتسلسل منطقي أو غير منطقي ، مع المحافظة على الوحدة الأصلية لشكل المربع الأولي فإنه يحدث معنا نوع من الخداع البصري ، وهو المعروف بالفن الحديث « الأوب آرت » الذي يعتمد على خدع النظر بواسطة الألوان الحديثة التي تحاكي بعضها ، متقاربة أو متداخلة ، متضادة أو متآلفة ، فاستعمال اللون الأخضر يحتاج إلى لون حار كالأحمر ، واللون الليلكي مع البنفسجي يحتاج إلى لون أصفر ، والنيلي الأزرق يحتاج إلى برتقالي

لاحظ أن هذه الألوان متناقضة ، أما إذا استعملنا الأزرق مع مشتقاته ، فإن العين سترتاح إلى الألوان المتآلفة ، كاستعمال الألوان الحارة مع الباردة المطعمة بقليل من الأبيض والعمل الفني هنا يعتمد على خدع النظر بواسطة الألوان ، وحركة الأشكال ، فيبدو المسطح كأنه مجسم ، أو دائري ، أو أسطواني ، وعندما ننظر إلى لوحة من هذا النوع ، نراها تنبض بحركة أشكالها المجردة ، وإن كنا نتعامل مع حروف صماء فليس من الفن أن نأخذ موضوعاً عظيماً ، أو ملحمة تاريخية ونجسد ذلك بشكل هزيل وبلوحة لا تمثل ما نريد التعبير عنه ، لكن الفن أن نأخذ شيئاً بسيطاً ، بل من أبسط الأشياء ، ونصنع منه عملاً عظيماً ، فالمربع ، والنقطة ، والدائرة هي أشياء بسيطة ، تبدأ الخطوط والأشكال الهندسية كلها منها

واللوحة التي نتحدث عنها ، ليس فيها التكرار الممل ، بل حركة دائمة ، وخدع للنظر الذي ألف الأشكال الرتيبة ، والعين التي قد سئمت رؤية المسطحات الصماء ، ما تلبث أن تبهر برؤية ألوان حديثة كل الحداثة ، وشكل محير في تكوينه ، وبنائه فاللوحة ، واللون ، والسطح ، كلها تؤدي دوراً هاماً في بث روح النشاط والحركة في إنسان هذا العصر ، وفي القديم كان لهذا التكرار نوع من القداسة ، عبر عن فلسفة الصوفيين الذين ألحوا على آيات الذكر الحكيم ، فالله هو كل شيء ، ومنه يستمد كل شيء وليس كمثله شيء والفنان العربي يشبه الفيلسوف الصوفي الذي يهيم في سحر الإله وسره ، وتكرار لفظة معينة يحس عند ترديدها بهاجس في داخله ، ونشوة عارمة تحلل كيانه .

الخط الكوفي الحديث

الخط الكوفي الحديث هو الخط المبتكر من أجل الإعلام الحديث في القرن العشرين ، بعد أن أصبح للملصق الجداري مكان مرموق في الإخبار عن أشياء لترويجها ، وإعلام أكبر عدد ممكن من الناس من خلال المعارض والندوات وأغلفة الكتب وعناوين الصحف وأسماء السلع والمحلات ، فيجب أن يكون الخط الحديث متناسباً مع التصميم الإعلاني لا دخيلاً عليه ، ليؤدي دوراً تشكيلياً بالإضافة إلى أنه خط مقروء وجميل ، وتكون أشكال حروفه سهلة متناسقة في أحجامها ، وأن تسير على وتيرة واحدة برباط منطقي بينها

وعندما نستخدم التقنية الحديثة ونظلل الحروف ، نجعلها بشكل نافر ، أو مجسم ، أو نستطيل الحروف العالية ، أو نستدير الحروف النازلة ، يظل الشكل المنطقي منطقيا ، والحروف مقروءة

لقد اهتم الفنان العربي بتجسيد الطبيعة بشكلها الحي ، ورسم الإنسان ، وكل ما هو كائن في الواقع أو الخيال ، واهتم بمواضيع مختلفة عبرت لا شك عن عبقرية فنية ، أتت بكبار الفنانين منذ العهد اليوناني ، وحتى عصر النهضة ، والعصر الحديث

لكن الفنان العربي أخذ منحى آخر واتجاهاً مختلفاً ، محرماً التشخيص والتمثيل ، مختاراً الشكل المحور ، طارقاً باب التجريد ، فارتاحت النفوس إلى الزخارف ، وهفت القلوب إلى آيات الذكر الحكيم ، وسعى بعض الناس لاقتناء المخطوطات المزخرفة والمزوقة ، فانبرى الخطاط إلى الاندماج بعمله الذي يحصل منه على أجرين في الدنيا والآخرة ، لذا قد تجد لوحة امتلأت بزخارف ملونة بألوان متآلفة متآلفة ، كالفيروزي ، والأزرق ، والذهبي ، والأخضر ، والأحمر ، وألوان أخرى

إن الفن العربي بما فيه الخط الكوفي يرتكز على أساس صوفي حركي ، وهو يختلف عن بعض اتجاهات التجريد الحديث التي تقوم على أسس ميكانيكية ساكنة وجامدة □

حضارات سادت ثم بادت ..

اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة مينوس في كريت

حصارة كريت هي أولى الحصارات الأوروبية حيعـا سفت حضـارة أثينـا سحـو ألف عام . ولم تُولِ الكتابة كبير اهتمامها ولم تُقبل كدلك على الحروب ولكنها بلعت مستوى مرموقا في شتى ميادين الحضارة . وبحاصة في ميدان الساء والعمران وصمت لأبنائها حياة هنيئة مرحة

عير أن قصة كريت مرت بمراحل ثلاث ، بدأت الأولى فيما بين سنة ٧٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ ق م ، حين جاءها شعبها على حين غرة ، ومن حيث لا يـدري أحد . وبدأت المرحلة الثانية فيما بين سنة ٣٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق م حـين غمرتهـا موجـة من المهاجـرين جديدة . لعلهم جاءوها من الأنـاضول حيث كان الحيثيون ، فقد حملوا معهم معالم حضارة العصر البرونزي ، وانشأوا المدن ، ومارسوا صناعة التعدين والزراعة ، وشقوا الطرق ، وأقاموا الجسور ، ومدوا مجارى المياه . . وعرفوا العربات ذات الـدواليب ، وفجأة تعرضت الجزيرة سنة ١٧٠٠ ق . م لزلـزال مدمر عنيف فهدم الكثير من منازلها وقصورها ، دون أن ينال من عزيمة أهلها ، أو يحـد من شغفهم

إناء من أواني حضارة مينوس في كريت

قاعة داخلية من قاعات القصر ، وصلها ضوء الشمس بفضل الهندسة المعمارية المحكمة

رسم يصور قصر كسوس العظيم الذي أقيم على رقعة من الأرض تبلغ مساحتها ١٠,٠٠٠ متر مربع ، يبلغ طول المبنى وعرضه ٦٠ مترا × ٣٠ مترا
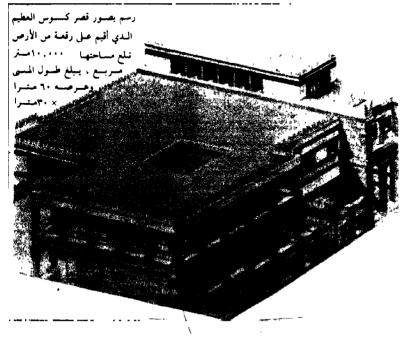
بالحياة ، وحرصهم على العمل والبناء فما أسرع ما انصرفوا الى بناء منازلهم وقصورهم من جديد فكانت المرحلة الثالثة من حضارة كريت أهم تلك المراحل وأشهرها بلا منازع فهي المرحلة التي ظهر فيها عصر مينوس الذهبي وازدهرت فيها كنسوس العاصمة وتألقت بقصرها الملكي العظيم

المدينة الكبرى

بلغ عدد سكان كنسوس - عاصمة كريت - نحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، هذا هو التقدير الذي أقره أكثر المؤرخين ، ولو صح هذا التقدير لكانت كنسوس - وهي في أوجها - المدينة الكبرى في جزيرة كريت نفسها وبين مدن البحر المتوسط جميعا ، ويعجب المرء للسرعة الكبيرة التي نمت فيها كنسوس وازدهرت فقد ظهرت أول ما ظهرت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م ، وترامى ظهورها وظهور غيرها من مدن كريت ، مثل فايستوس وماليا وزاكرو ، ولكنها ما لبثت أن برزت غيرها من مدن الجزيرة ، ومن مدن حوض المتوسط بلا استثناء

الحياة اليومية :

لعل أول ما يلفت النظر الثياب التي ارتداها أهل كنسوس ، فقد كانت ضيقة عند الخصر ، لدى النساء والرجال ، وكانت مكشوفة عند الصدور للمرأة والرجل على السواء . وشاعت الأحذية الجلدية بينهم ، بل بين الطبقات العليا منهم ، وقد تجلى التمييز بين الطبقات في مجتمع كريت في الأواني التي استعملوها للأكل والشرب وغير ذلك فاختلفت بين أوان فخارية ونحاسية ، تبعا للاختلاف بين عامة الشعب والخاصة ولعلهم تساووا في طهي الطعام ، وقد استعملوا المطابخ المتنقلة أما المنازل والبيوت فقد اختلفت كثيرا ، فمنازل العامة التي لم يبق لها أي أثر بنيت في الغالب من طين ، ومنازل النبلاء وقصور الملوك شيدت بالحجارة والآجر والخشب ، وغير ذلك من أفخر مواد البناء المتاحة آنذاك

قصر كنسوس العظيم :

انه مُجَمَّع قصور لا قصر واحد . ومجمع أبنية لا بناء واحد لقد كان بمثابة مدينة مصغرة ، شملت مراكز الصناعة والمخازن ، ومراكز الحياة الادارية والدينية في المملكة ، وشمل القصر فوق ذلك المنازل هذا الى جانب القاعات والممرات والساحات المكشوفة ، والمتاهات والأدوار العلوية فهو بحق البناء المعقد الذي تدل عليه لفظة (لابريث) المنتشرة في شتى لغات الغرب ، والمشتقة من أحد الرسوم التي ازدانت بها جدران القصر رسم الفأس المقدس ذي الرأس المزدوج وقد سموه (Labyros) ، ويؤكد الكثير من علماء الآثار أن قصر كنسوس العملاق ، لم يبن بالتدريج ، وعلى مر السنين والأجيال كما بنيت أكثر قصور المنطقة الشهيرة ، وانما بني دفعة واحدة ، ووفق مخطط منسق وتصاميم مفصلة وفي هذا دليل على عبقرية هندسية معمارية رفيعة المستوى

ولسنا هنا بصدد وصف هذا القصر وصفا شاملا فهذه مهمة عسيرة ، بل قل مستحيلة بالنظر الى ضيق المكان المتاح ، وحسبنا الاشارة السريعة لابرز معالم القصر وأهم ميزاته

نذكر من ذلك الأسلوب المتطور في الافادة مما يعرف في الهندسة بعبارة bays and wells بحيث يتسرب ضوء الشمس الى داخل القصر ويعمر شتى غرفه وممراته

ونذكر الحمامات الكثيرة المتسعة التي توزعت في القصر ، والتي اشتملت على أحواض للاستحمام عميقة ومعقولة ومزينة أحيانا برسوم ولوحات .

ونذكر أيضا المراحيض التي جهز بعضها بمعدات لضغط الماء ، صممت لها النظافة التي لم تعرفها أوروبا في العصور الوسيطة ، ولا حتى في العصور الحديثة الأولى

ونذكر كذلك المناهيل المغطاة والمجارير التي ما زالت تفتقر اليها عواصم ومدن كثيرة في قرننا العشرين ويؤكد الكثيرون أن منجزات كنسوس في هذه المجالات وفي أعمال البناء بصورة عامة يفوق كثيرا منجزات الرومان فيها والرومان هم أسياد صناعة جسور المياه وما اليها من صناعات . .
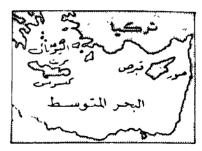
الجانب الشرقي من البحر المتوسط . تظهر فيه بوضوح جزيرة كريت وعاصمتها كنسوس

ويعجب المرء بعد هذا كله كيف عمل أهل كريت عن صنع الحنفيات التي تصمم تدفق الماء لدى تحريكها ، لقد افتقروا اليها ، واضطروا الى صب الماء صبا حين التغسيل والاستحمام ، كذلك عملوا عن المصارف التي تجري المياه القذرة وتنصرف عبرها ومن ثم عبر الأنابيب الخافية المتصلة بها

الدين والعبادة . والفن .

تختلف حضارة كريت عن سائر حضارات الشرق الأوسط بأنها أولت الدين اهتمامها دون أن تصبح حضارة دينية قلبا وقالبا كغيرها من الحضارات فالموت في نظرهم حق ، ولكنه لم يعلمهم على أمرهم والأرواح الشريرة حقيقة لم ينكروها ، ولكنهم لم يحفلوا بها كما فعل أهل مصر وما بين النهرين . والغيب أقروا بوجوده ولكنهم وجدوا في الطبيعة والحياة الانسانية ما استأثر بجل تفكيرهم ومشاعرهم

أما محور معتقداتهم وعباداتهم فكانت الالهة الأم التي كثيرا ما عبروا عنها بالزهور والثعابين والطيور حقا ظهرت عبادة الاله الذكر الفتي في العهد المنوي ، ولكنها لم تلغ عبادة الالهة الأم .

وتجدر الاشارة الى الثور فقد كان محورا من محاور عبادتهم ، ولكن العلماء لم يستطيعوا تحديد العلاقة بينه وبين الالهة الأم على أن الثور كان قوام الألعاب العديدة المختلفة التي شغف بها أهل كنسوس كل الشغف .

وتكاد تكون هذه الألعاب البهلوانية المعقدة مستحيلة الأداء على أبطال رياضة الجمباز وأمثالهم في هذه الأيام وقد يكون السر في ذلك المدلول الديني العميق الذي انطوت عليه هذه الألعاب في نظر أهل كريت .

الكتابة والقتال :

لا جدال في أن أهل كريت عرفوا الكتابة ، وكانت كتابتهم تصويرية هيروغليفية في بادىء الأمر ثم تحولت مع الأيام حتى استبدلت الرموز التي دلت على الأشياء ككل بالخطوط والمنحنيات المجردة أو إن شئت الحروف ، وصنفت الكتابة في مرحلتها الثانية صنفين ، صنف أ (Linear) وهو الأقدم وقد ظهر في القرن (١٧) ، وصنف ب (Linear) وقد تأخر ظهوره حتى القرن (١٤) ق م

ومهما يكن من أمر فان أكثرية السكان كانوا أميين ، لا يقرأون ولا يكتبون ، وكان الذين يعرفون القراءة والكتابة لا يولونها مثل الاهتمام الذي ظفرت به عند غيرهم من الشعوب

وتجدر الاشارة الى أن لامبالاة أهل كريت بالكتابة قد اقترنت من لا مبالاتهم بالحرب والقتال . فمدنهم كانت بلا أسوار وسيوفهم كانت بدائية وقليلة على كل حال ودروعهم وخوذ رؤ وسهم صنعوها من جلود الثيران

ويتساءل العلماء والمفكرون ترى هل كان لولع أهل كريت بالطبيعة والعمل وشغفهم بالمرح واللعب ، علاقة بعزوفهم عن الكتابة والحروب أم أن السر في ذلك يعود الى رجحان كفة المرأة في مجتمعهم كما تدل على ذلك معتقداتهم الدينية التي اتخذت من الأم محورا لها . وكما تدل عليه أيضا رسومهم الفنية ولوحاتهم التي آثرت الأحجام الصغيرة الدقيقة ، وهي الأحجام التي غالبا ما يتمحص عنها ابداع النساء

بقي أن نذكر أن التاريخ أسدل ستاره على حضارة كريت سنة ١٤٥٠ ، وذلك نتيجة ثورة أحد البراكين ثورة عنيفة ، وتبعا لظهور الاغريق وتمكنهم من احتلال الجزيرة . □

البيت العربى

مجلة الأسرة والمجتمع

- ترويض الإرادة بين اتهامات التسلط أو التنازل
- المضادات الحيوية سلاح ذو حدين

ترويض الإرادة

بين اتهامات التسلط أو التنازل

اعداد : ريم الكيلاني

حلف الأبواب المغلقة ، ووراء حدران المنارل ، يعيش كل زوحين حياة لايعرف حقيقتها أحد ، تدور بيهما محاولات التوصل الى صيغة حياة مقبولة رغم اختلاف الرغبات والآراء ، لكن المجتمع والناس لايغفرون أبدا للزوحة اذا حققت ما تريد

انتهى حملة الرفاف ، وعلق عليهما باب المنرل انتهي عهد الدلال والمحاملة وبدأت الأمور في الطهور على حقيقتها ، وعادت عحلة الحياة الى الدوران دون تراويق ، وبلا أقنعة

وبدأ الاحتكاك الحقيقي بالحياة والناس والمحتمع ، ومع بداية هدا الاحتكاك تبدأ الخلافات والصراعات في الطهور ، بسب عدم التوارن الفكري ، والتباين الاحتماعي والبيئي ، ومع المعركة الأولى بين رعبتين متناقصتين يبدأ السعي الحقيقي لكسب المعركة ، وتحقيق الأهداف ، وفرص الشحصية

مند اليوم الأول للرواح يسعى كلا الروحين لاحتيار التحربة بحاح ، ولما كان الرواح كأي علاقة احتماعية بين اثنين مشحونا باختلاف ارادتين ورعبتين ، طهر الاختلاف الحقيقي بين ، يتباينان في التفكير وفي ورن الأمور مع ، حصام

يقول عبد المنعم الريادي في كتاب السعيد « ان للدكاء دورا رئيسيا في التعلب من المشاكل ، وتسيير أمور الحياة بشكل وطبيعي » ، وهو يحمل المسئولية للمرأة ق لأنها مدرسة تربي عناصر احتماعية ، وتؤهلها لتكون بناءة أو هدامة

لابد لنحاح الحياة الروحية من امرأة دك توطف كل طاقتها لصالح روحها وأبنائها قبل وتعرف متى تتحدث ، ومتى تلترم الص تفوتها صعيرة أو كبيرة مما يدور حولها ، فليه أن الرحل يتضايق من دكاء المرأة ، ومن
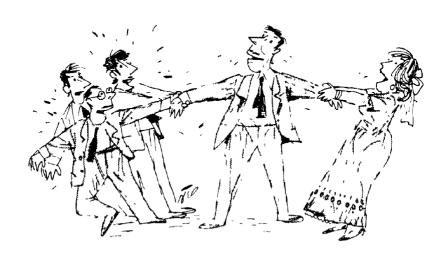
تصريف أمورها ، اللهم الا اذا كان هو نفسه ضعيف الشخصية ، فالرجل يسره أن يتفاخر بأن له زوجة ذكية ، طالما أنها توظف ذكاءها لصالحه ، وليس لصالح أنانيتها ، وتشعره - على الرغم من كل ماتتمتع به من ذكاء - أنها غير قادرة على الاستغناء عنه . انتهى رأي الزيادي في كتابه (همسات وأقاويل) .

كثير من الناس يتدخلون في هذا الأمر ، ويتحدثون،لكن لا أحد يستطيع أن تدير امرأة بيتها بعقلها ، ولاأحد يتفهم كيف يمكن لزوجة أن تعيد صياغة أسلوب زوجها وسلوكه

همسات وأقاويل :

خلف جدران وأبواب مغلقة كانت همسات وتعليقات ترصد وتتحدث

الجارة : انها امرأة متسلطة قوية ، تعرف كيف تأخذ حقها كاملا ، لتصل الى هدفها

أم الزوج : مسكين ابني ، لم أكن أدري أنه بهذه السلبية ، فهو لايعترض أبدا ، بل يرضى بكل ما تقوله زوجته أو تفعله

شقيقة الزوج : لم أر في حياتي رجلا ضعيف الشخصية أمام زوجته مثل أخي ، لو كنت أعرف ماذا تعمل له لاتبعت أسلوبها في ترويض زوجي

أخت الزوجة : لاأدري لم تحمل اختي نفسها هذا الحمل الثقيل ؟ ليتها ترحم نفسها وتتركه وشأنه يفعل ما يشاء

خادمة في بيت : مسكينة سيدتي ، كيف تحتمل هذه التصرفات ؟ وكيف تقدر أن تسيطر على أعصابها ؟ كل هذا من أجل بيت هادىء ؟!

صديق الزوج لقد تغير صديقي منذ اللحظة الأولى لزواجه، فهو لم يعد يسهر معنا، أعتقد أنه لايخرج دون استئذان، بل لعله يطلب منها مصروفه كما لو كان طفلا في روضة

لايغمض المجتمع عينيه أبدا، ولايغلق فمه، ولايكف عن الحديث، بل تنهال اتهامات وأقاويل عن حروب أحد الطرفين وسيطرته، وضعف طرف آخر، لكن الحقيقة لاتزال ضائعة

في أحد المنازل الساعة تقترب من الثامنة بعد منتصف الليل، يدخل الزوج بيته دونما مبالاة أو اهتمام، فيغلق الباب ثم يرى زوجته من بعيد، قابعة في أحد أركان المنزل، ويستعد لسماع أسطوانة اعتاد سماعها كل يوم في مثل هذا الوقت في منزل آخر تتعالى أصوات أصدقاء الزوج في هرج ومرج، تارة يصرخون لفوز في لعب الورق، وتارة أخرى يقهقهون لدعابة ما، وهي قابعة في المطبخ، تقدم لهم الشاي، والقهوة، وكل ما قد يلزم هذه السهرة في منزل ثالث تصرخ الزوجة كل يوم بسبب زيارات زوجها المتكررة لمنزل والده دون أن يصحبها معه، تؤكد له في كل مرة أنها زوجته، ومن حقها عليه ان يمنحها بعضا من اهتمام يعطيه لاهله واخوته

في منزل آخر زوج يقدم كل ما يصل اليه من أموال لأهله، فهو يدفع هم بسخاء متناسيا واحتياجات تجاه منزله، وان ثارت الزوجة او نصحته اتهمها بالانانية والمادية

ما الذي يحدث في كل منزل من هذه المنازل، اذا كان الرجل يعتقد انه حر في تصرفاته، وليس لاحد الحق في السيطرة على سلوكه، أو محاولة التدخل في كل صغيرة وكبيرة؟ واذا كانت المرأة ترى أن هذا انتقاص من قدرها، وهضم لحقوقها، فهل يعني هذا استمرار الخلافات لنفس الأسباب؟

ان هذا لن يجدي بل قد يزيد من حدة الخلافات، مما يحدو بالرجل والمرأة للهروب من هذا القفص الذهبي، بعيدا عن المشاكل، وجو التوتر، والمشاحنات الدكتورة سهام أبو عيطة الاستاذة في كلية التربية بجامعة الكويت تقول رأيها في هذا الصدد «ان المرأة الذكية الناجحة في حياتها الزوجيه، التي استطاعت أن تتغلب على كثير من مشاكلها دون ضجيج، امرأة توجه لها أصابع الاتهام، وتنعتها بالقوة والتسلط، ولن يقف الأمر عند هذا الحد، بل توجه الى زوجها وتتهمه بالسلبية وضعف الشخصية لكني أرى - من وجهة نظر شخصية - أن المرأة هي سكن الرجل، فاذا ما استطاعت أن تفهم أبعاد شخصيته، وكانت لها المواصفات التي يحلم بها، بتمتع بقدر وفير من الشفافية، قادرة على معاونة زوجها في اختيار قرارات حياتهما، دون أن تشعره بأي تسلط أو عناد أو تحد من حماسها، وتشعره - في كل لحظة من لحظات الحياة - أنه الأفضل والأقوى والأذكى، فهي امرأة قادرة على تصريف

أمور حياتها بنجاح. ولما كان هذا النجاح صعب التحقيق، فقد اقتصر على الفئة التي تتصف بالذكاء والوعي في المجتمع، مما يشكل - بدوره - غيرة عند هؤلاء اللواتي لايجدن فن التعامل في الحياة الزوجية.

فالزوج الذي اعتاد أن يزور أهله كل يوم، او هذا الذي لايتوانى لحظة عن دفع كل ما يطلب منه، من مبالغ ضرورية وغير ضرورية، يمكن بأسلوب من الود والتفاهم، وبعيداً عن الالزام - خلق شعور لديه بضرورة متابعة الأولاد مثلا، أو الاهتمام بمذاكرتهم، و تكليفه بجلب بعض الاحتياجات الهامة للمنزل، وان مثل هذه الالتزامات من شأنها زيادة ارتباطه بالاسرة والبيت، وهو سيؤديها بمنتهى الرضا والسعادة، مع مراعاة عدم تعدي الحدود الطبيعية، وتقاليد المجتمع.

للزوجة الذكية دور بارز في تخليص زوجها من عادة السهر المتكرر كل يوم داخل المنزل أو خارجه باسلوب هادئ بعيد عن الثورات العصبية، أما اذا شعرت الزوجة باستحالة القضاء على هذه العادة فعليها تقع مسئولية تهيئة الجو في المنزل، بحيث تخلق رغبة في زوجها للبقاء في هذا البيت لمدة أطول، وقد يمل الزوج - مع الوقت وعلى المدى الطويل - السهرات مع الاصدقاء.

ان كل ما يتم بين الزوجين من خلافات، ومعارك باردة، أمر طبيعي في بداية الحياة الزوجية، وذلك بسبب وجود مفاهيم خاطئة مكتسبة من بيئتين مختلفتين، سرعان ما تبدد كل هذه الخلافات بعد أن يندمج كل منهما في شخصية الآخر. فالحقيقة أنه لايوجد رجل بامكانه احترام المرأة والاستمرار في حبها اذا كانت لاتتمتع بأي قدر - ولو ضئيل من الذكاء، حتى لو جذبه اليها جمالها، فهو لايلبث أن يملها اذا فشل في مخاطبة عقلها، والمرأة القوية الشخصية قادرة على حسم الأمور والتغلب على المصاعب التي تعترضها في سبيل تحقيق ما تصبو اليه.

تنهي الدكتورة أبو عيطة حديثها قائلة: ان للنشأة الاجتماعية دورا بارزا في المحافظة على الحياة الزوجيه، فالمجتمعات المحافظة عادة ما تعزز فكرة المسايرة الاجتماعية بخاصة لدى الاناث. فالمرأة تربى على الخضوع والاستسلام، وللرجل - عادة - دور مخالف هو دور الامر الناهي، وبالتالي تختلف التوقعات، ويلعب كل من الذكر والأنثى دورين مختلفين في حياتهما الزوجية، لدرجة أنه يعاب على المرأة الاعتراض حتى لو تزوج زوجها عليها. أما في المجتمع الحديث فالأمر يختلف على الأخص عندما تنادي المرأة بمساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات، فهنا تصبح الحياة شركة يتساوى فيها كل من الزوج والزوجه بحكم التربية والقانون. هذا هو رأي المرأة وتصورها لحقيقة الحياة الزوجية، لكن ماذا يقول الرجل عن المرأة؟

يقول الدكتور قاسم الصراف استاذ علم النفس التربوي بجامعة الكويت: ان للتصرف الحكيم دورا بارزا في حل المشاكل ومسك زمام الأمور، وهنا يأتي دور المرأة، لكن أية امرأة؟ انها المرأة الواعية الذكية التي تتمتع بقدر واف من قوة الشخصية بحيث تنتزع احترام الآخرين لها، الأمر الذي يجعل كل من حولها يوافقها في الرأي، ويتأثر بأفكارها، وسلوكها، فوجود صراعات وخلافات في بداية الحياة الزوجية أمر طبيعي، لعدة أسباب منها أن الزوجين عادة ينتميان الى فئة الشباب التي مازالت تتهرب من تحمل المسئولية الزوجية، لقلة الخبرة وعدم النضج، والحياة الزوجية تتطلب نوعا من التكيف النفسي مع معطيات الحياة الجديدة، وهذا التكيف يعني تنازل كل منهما عن نمط حياته قبل الزواج جزئيا ان لم يكن كليا في سبيل ارضاء الطرف الآخر، أما اذا تمسك الزوجان

مما اعتادا عليه قبل الزواج - كهذا الرجل الذي اعتاد السهر خارج المنزل أو داخله مع مجموعة من أصدقائه - فان الاصطدام واقع لامحالة ، نظرا لاختلاف الميول والاهتمامات والمواقف والعادات والاتجاهات والأمزجة ، لذلك فان الشاب في مرحلة ماقبل الزواج بحاجة الى الارشاد النفسي ، والتوجيه الصحيح ، للتغلب على المشاكل النفسية الطارئة

القوة والضعف .

ويواصل الدكتور الصراف حديثه في تشخيص المشكلة فيقول

ان فترة التعرف الحقيقي بين الزوجين تبدأ بعد الزواج ، حيث تنتهي فترة المجاملة ، ويبدأ كل منهما في محاولة التعرف على مواضع القوة والضعف لدى الآخر ، وبالتالي يحسب لذلك ألف حساب ، فيبدأ الصراع هنا بين الزوجين ، كل طرف يحاول بطريقته الخاصة فرض سيطرته على الآخر ، وقد تؤدي المعركة الى انفصال ، أو قد يحاول كل منهما أن يقنع الآخر بوجهة نظره دون التنازل عن رأيه ، وأيا كانت الأسباب فالمواجهة أول اختبار حقيقي لقدرة الزوجين على التعايش ، والتكيف مع الحياة الجديدة

قد تشعر المرأة أنها غير قادرة - مثلا - على أن تجعل زوجها - بين عشية وضحاها - كريما ، وهو الذي عاش أكثر من ثلاثين عاما يخشى على أمواله ، ويفكر ألف مرة قبل أن يبددها ، ولا تستطيع أن تجعله اجتماعيا يحب الناس ، والاختلاط بالمجتمع ، وهو رجل انطوائي ، اعتاد البقاء في المنزل اطول فترة ممكنة ، انها اذا أرادت تغيير الحال فعليها التحلي بالصبر أولا كما يجب أن تعلم أن تغيير عادة استمرت مع الزوج عمره كله لن تذهب أو تتلاشى بالسرعة التي تتوقعها ، وعلى الزوجة أن تشعره أنها تفعل هذا ومن أجل وضعه الاجتماعي ، وليس لأنها انسانة مادية تحب المال ، أو لأنها تحب السهر والناس والحفلات ، فالرجل عنيد ، وأسلوب السيطرة والفرض يزيد من عناده ، ومن تمسكه بآرائه وتصرفاته

ان عمليات اختبارات القوى هذه ليست جديدة ، انما وجدت منذ وجد آدم وحواء ، حينما حاولا أن يعيشا في الجنة ، لكنهما اختلفا في الرأي والمشورة ، فماذا كانت النتيجة ؟

ولعل الاسطورة التاريخية التي تقول بأن المرأة هي نصف الرجل ، وبعد الزواج يكمل الرجل نصفه الآخر فيها شيء من الحقيقة ، وعملية المزاوجة بين النصفين ليست سهلة دائما ، لأن كل نصف يعتبر غريبا عن النصف الآخر

للرجل رأي

يقول الدكتور الصراف ان ما اريد قوله بصراحة ووضوح أنه على عاتق المرأة تقع المسئولية الكبرى ، فيجب أن تكون واعية ، تتصرف بحكمة وعقلانية حين يستدعي الموقف ذلك ، وتعطي لكل موقف حقه من الاهتمام ، وتضع الأمور في نصابها الصحيح ، دونما تجنٍّ أو خلط في الأوراق ، ليتوفر جو الود والتفاهم بينها وبين زوجها ، فالزوجة التي تثير زوبعة عنيفة كلما صدر من زوجها تصرف لايلقى استحسانها - قطعا - مخطئة ، اذ عليها مجاراة الأمور دون السماح لعواطفها الجياشة بالتغلب على عقلها .

لكنها تستطيع .

قدر من الذكاء والصبر ، وقدر من نقاش لأفكار السيطرة والتسلط ، ومساحة حوار لتلاقي الأفكار تجعل المرأة تستطيع أن تقود سفينة الحياة ، وتحافظ على بيتها رغم كل الظروف ، والمرأة قادرة - أيضا - على أن تطمس معالم العبقرية عند زوجها ، أو أن تظهرها □

بحثاً عن حلم

جاء إليّ يودعني قبل سفره بساعات، في يده كتاب وجرائد وحقيبة صغيرة ، لم أشأ أن أعود به إلى حوارات طويلة دارت بيننا ، فقد كان قراره نهائيا ، وإرادته حازمة فيما يتعلق بالسفر ، أنهى كل ارتباطاته ، وظل طويلا ينتظر موافقة إدارة الهجرة الأمريكية ، وبعد أن وصلت إليه الموافقة بأيام قلائل حجز تذكرة سفر ، وحزم حقائبه ، وبدأ في وداع أهله وأصدقائه ومعارفه ، ولم أستطع أن أخلص نفسي من مشاعر الأسى التي انتابتني تجاهه ، فهو مهندس نابه ، يعشق مهنته ، وفي قمة سن العطاء والعمل ، دمث الأخلاق ، مهذب ، مجامل ، لكن تسيطر على عقله فكرة واحدة ، ويملأ حياته حلم أوحد ، وهو أن يصبح من أصحاب الملايين ، عمل فترة بعد تخرجه بالحكومة ، فوجد الطريق طويلا ، فترك العمل بالحكومة ، وعمل في القطاع الحر

اكتشف أنه لن يستطيع أن يفرض أسعار خدماته كما يشاء لكي يصل إلى رقم المليون ، جرب كل الطرق ـ القانونية بالطبع ـ لكنها جميعا لم توصله إلى شيء ، فحزم إرادته ، واتخذ قرارا بالسفر إلى أمريكا ، بلد العجائب والملايين والثروات ، واشترى نسخة من كتاب « كيف تصبح مليونيرا ؟ » وحفظه عن ظهر قلب دارت ـ وقتئذ ـ بيني وبينه مناقشات طويلة ، حاولت أن أقول له إن أمريكا والغرب ـ بشكل عام ـ لا يصنعان أصحاب الملايين ، وإن عصر الطموحات والانتصارات الفردية قد انتهى ، وإن في الغرب أناسا فقراء أكثر فقرا مما نتخيل أو نتصور ، وإن الحياة هناك ليست كما نراها في أفلام السينما ، حدائق وبيوتا رائعة ، ووجوها مبتسمة دائما ، ونساء جميلات ، وثروة طائلة ، إن خلف حضارة الغرب ـ مهما كان رأينا فيها أو ملاحظاتنا عليها ـ تكمن قيم أساسية ، وضمن تلك القيم تكمن قيمة العمل ، وضرورته كمحور أساسي ، والعمل وحده هو الذي يكفل لصاحبه حياة أفضل ، ومكانة اجتماعية طيبة ، أما حلم الثراء الحاد فهو يقتل صاحبه ، فالمال كالماء المالح ، لا يروي عطشا ، ولا يطفيء غليلا ، لكن الأحلام البسيطة التي تولدها قيم حقيقية أصيلة هي التي تمنحنا سلاما وراحة وطمأنينة لن تجدها أبدا في مهجرك لم يسمع مني ، وها هو قد أتى كي يودعني ، ويذهب حاملا الكتاب السحري الذي أفسد حياته ، إنه على أمل أن يحقق مستحيلا .

محمود عبدالوهاب

المضادات الحيوية

سلاح ذو حدين

إعداد . وفاء طه ناجي

يلجأ كثير من المرضى إلى استخدام المضادات الحيوية في العلاج ، دون استشارة طبيب والأمر غاية في الخطورة ، فقد يؤدي إلى ظهور « ميكروبات » جديدة مقاومة للمضادات ، وقد يصبح العلماء - في المستقبل القريب - في مواجهة « ميكروبات » لا تموت

يعتبر مركب السلفا بداية الانجازات الهامة في عالم المضادات الحيوية الواسع ، إذ أمكن عن طريقه القضاء على أمراض كثيرة مستعصية في وقت اكتشافه كان ذلك في عام ١٩٣٥م ، وبعد ذلك بحوالي خمسة أعوام توصل « فلمنج سنسلين » إلى اكتشاف نوع من المضاد الحيوي ذي مفعول قوي في القضاء على كثير من البكتريا التي لم تتأثر بمركبات السلفا بصورة حاسمة ، ذلك النوع الذي عرف فيما بعد باسم « البنسلين » ثم توالت اكتشافات عديدة لأنواع أخرى من المضادات الحيوية التي كانت تسهم إسهاما فعالا بارزا في معالجة أمراض كثيرة

وفي بداية السبعينيات بدأت مرحلة جديدة من حياة المضادات الحيوية ، حيث ظهرت أنواع جديدة من الأمراض بسبب « ميكروبات » مقاومة للعلاج بالمضادات الحيوية ، مثل مرض الزهري والسيلان ، تلك التي ثبت أن نسبة عالية من حالاتها مقاومة للعلاج بالبنسلين

وأصبح الأمر أكثر خطورة في بداية الثمانينيات ، عندما انتشرت بين الأطفال في بعض بلدان العالم الاصابة بنوع من الالتهابات الحادة في الحلق او الجلد التي غالبا ما تؤدي إلى تسمم الدم ، وقد ارتفعت نسبة الوفاة بين الأطفال المصابين رغم علاجهم بالبنسلين ، مما جعل العلماء يهتمون بأسباب ذلك ، حتى لا يتهددنا جميعا خطر « الميكروبات » المتطاولة

ما هو المضاد الحيوي ؟

كيف نحمي أنفسنا وصغارنا من ذلك الخطر ؟ وما هو المضاد الحيوي ، وكيف يعمل ؟ للاجابة عن ذلك التقى « البيت العربي » بالدكتور محمد مهدي ، الطبيب الاختصاصي في أمراض

الأطفال ، في أحد مستوصفات الكويت فقال

« في البداية أحب أن أوضح الوظيفة الأساسية للمصاد الحيوي في الجسم ، وهي تنقسم إلى قسمين حسب نوع المضاد نفسه ، فبعض أنواعه يقوم بوقف نشاط الخلية « البكترية » ، ويمنع تكاثرها ، وهو ما يساعد في القضاء عليها ، مثال ذلك مركبات السلفا ، وبعضها يقضي على « البكتريا » نهائيا ، إما عن طريق التأثير على جدار خليتها ، أو بالتسبب في انتفاخ خليتها وانفجارها ، أو منع تكوين مادة البروتين داخل خليتها ، والمضادات الحيوية كثيرة ، منها البنسلين ، والتتراسيكلين ، والكورامفيكول ولما كان لهذه المركبات جميعا تأثير على الوظائف الحيوية لخلية « البكتريا » سميت « المضادات الحيوية » ؛

متى يتناول المريض المضاد الحيوي ؟

يقول د مهدي ليس لأي مريض تحديد نوع العلاج الذي يتناوله دون الرجوع إلى الطبيب ، وإذا كان المريض يتناول « الاسبرين » عندما يشعر بصداع مثلا فالأمر مختلف عند تناوله للمضاد الحيوي ، فعندما يقرر الطبيب العلاج بالمضاد الحيوي فإنه يضع في الحسبان عمر المريض ، ومدى شدة المرض ، وكفاءة الكليتين ، والكبد ، وهي - كما نرى - أمور لايقررها إلا الطبيب الاختصاصي الذي تقع عليه مسئولية اختيار المضاد الحيوي المناسب ، وتقدير الجرعة ، ومدة العلاج اللازمة

أما الالتزام بزمن محدد في تناول المضاد الحيوي فهو من أجل المحافظة على وجوده في الدم عند مستوى معين ، يكون له تأثير حاسم على « الميكروب » ، فعندما يبدأ مستوى المضاد الحيوي في الانخفاض في الساعات الأخيرة من زمن الجرعة ، ترفع الجرعة التالية هذا المستوى مرة أخرى إلى الحد المطلوب ، مثال ذلك أنواع « البنسلين » التي يبدأ مفعولها بسرعة ، ويستمر لمدة ثماني ساعات ثم يتلاشى المفعول في آخر تلك المدة ، لذا وجب اعطاؤها كل ٦ ساعات ، وهناك أنواع تعطى للمريض كل ١٢ ساعة ، لأنها ذات فعالية تستمر أكثر من ١٢ ساعة ، وهناك أيضا مضادات حيوية يظل مفعولها ساريا لمدة أسبوعين أو ثلاثة ، مثل « البنسلين » الطويل

المفعول. والمهم هو أن يلتزم المريض بإرشاد الطبيب، ولا يقدم على تناول مضاد حيوي من تلقاء نفسه، بل يلجأ إلى أصحاب الاختصاص عند شعوره بأعراض أي مرض.

ارتفاع درجة الحرارة واستعمال المضاد الحيوي

وواصل الدكتور مهدي حديثه قائلا: «للأسف الشديد أن هناك سوء استخدام للمضاد الحيوي، يصل في كثير من الأحيان إلى درجة الخطورة، فالبعض يتناوله عند شعوره بأي أعراض مرضية، وبخاصة عند ارتفاع درجة الحرارة، وقبل استشارة الطبيب، ظنا منه أن هذه الحالة مشابهة لحالة مرضية سابقة، قرر لها الطبيب العلاج بالمضاد الحيوي، ويكون هذا الأمر خطيرا جدا إذا كان المريض طفلا صغيرا، فارتفاع الحرارة قد ينتج عن أسباب كثيرة ليس للمضادات الحيوية دور في علاجها، وقد يكون ارتفاع درجة الحرارة نتيجة نقص سوائل الجسم، أو نتيجة التعرض للشمس فترة طويلة، أو لكون المريض في مرحلة الحضانة لبعض الأمراض التي تحتاج نوعا مختلفا من العلاج لذلك يجب الاكتفاء بمخفضات الحرارة العادية كالكمادات وتناول «الأسبرين» إلى حين الذهاب إلى الطبيب، فمعظم الأمراض الفيروسية لا تتأثر بالمضاد الحيوي».

الأعراض الجانبية للمضادات الحيوية

وعن الأعراض الجانبية للمضادات الحيوية يحدثنا د. ملهم حكم من مستوصف عبدالله السالم فيقول: «هناك ملايين من الذين كتب الله لهم الشفاء نتيجة استعمال المضادات الحيوية، كما أن هناك كثيرا من المرضى يتعرضون لمشكلات جديدة بسبب استعمالها، نتيجة لإصابتهم بحساسية شديدة من تناولهم مركبات السلفا أو البنسلين، وهؤلاء يجب عليهم التوقف عن تناول المضادات الحيوية فور ظهور أعراض الحساسية.

وللحساسية مظاهر عديدة منها الهبوط المفاجىء، أو الحكة الجلدية، أو «الارتيكاريا»، وهؤلاء المرضى يمنعون من استخدام هذا المضاد الحيوي طول العمر، وينصح للمصابين - أساسا - بأمراض الحساسية الأخرى أن يكون استخدامهم لتلك المركبات تحت إشراف طبيب». ويتابع حديثه قائلا: «هناك أيضا أنواع من المضادات الحيوية لها تأثير على كريات الدم مثل «التراسيكلين» و«الكورامفيكول»، وقد يؤدي استعمالها إلى عيوب خلقية في الجنين، وبخاصة خلال الأشهر الأولى من الحمل، لذا يحظر استخدامها في علاج الحامل. ويتحتم إجراء فحوص دورية للدم إذا لزم استمرار استعمالها لمدة طويلة».

ويسأل البيت العربي: يشكو كثير من المرضى من أن الاستجابة للعلاج تنخفض لديهم بتناولهم مضادا

حيويا معينا في كل مرة يصيبهم فيها المرض. ما مدى صحة ذلك وما السبب ؟

فيجيب د. ملهم قائلا: إن السبب في ذلك يرجع إلى أن « الميكروب » الذي لا يموت نهائيا رغم استعمال المضاد الحيوي يستعيد نشاطه ، ويكتسب مناعة ضد المضاد الحيوي الذي تناوله المريض ، وينتج ذلك عن سوء استعمال المضاد نفسه ، مثل تقليل الجرعة عن المطلوب ، أو عدم الالتزام بالمواعيد الخاصة بتناول الجرعة ، أو التوقف عن تناول العلاج قبل انتهاء المدة التي قررها الطبيب ، أو استخدام مضاد حيوي انتهت صلاحيته.

أهمية إرشادات الطبيب

ويسأل البيت العربي: ما هو الاستخدام الأمثل للمضادات الحيوية ؟

ويجيب الدكتور ملهم مؤكدا في البداية على أهمية أن يترك للطبيب وحده اختيار نوع المضاد المناسب ، وتحديد الجرعة ، وفترة العلاج ، ويتابع حديثه فيقول: على المريض بعد ذلك أن يتبع تعليمات الطبيب بمنتهى الدقة ، فإذا لم يلاحظ تحسنا واضحا في حالته رغم الالتزام بتعليمات العلاج عليه أن يراجع الطبيب ، ويخبره بذلك ، والطبيب هو الذي يقرر ، إما زيادة الجرعة ، أو تكرار العلاج ، أو التحول إلى نوع آخر من المضادات الحيوية. وأحب أن أؤكد أن استبدال مضاد حيوي بآخر أمر غاية في الخطورة ، ويجب ألاّ يقدم عليه المريض.

ويختم حديثه قائلا: شيء آخر هام أود التأكيد عليه وهو ضرورة الاستمرار في تناول العلاج حتى نهايته ، برغم تحسن حالة المريض ، وذلك خوفا من تكوّن مناعة لدى بعض « الميكروبات » ضد الدواء ، أو حدوث نكسة للمريض ، كما يجب التأكد من صلاحية المضاد الحيوي للاستعمال ، وضرورة المحافظة عليه بعيدا عن الحرارة وبعيدا عن أيدي الصغار □

قبعات ثلاث

● تزوجت إحدى السيدات الانجليزيات رجلا تجاوز العقد الخامس من عمره ، فلما دخل الرجل منزلها رأى ثلاث قبعات معلقة ، فلما سألها عن تلك القبعات قالت: هذه قبعة زوجي الأول الذي مات غرقا ، وهذه قبعة زوجي الثاني الذي مات محترقا ، أما هذه فهي قبعة زوجي الذي مات مقتولا ، فنزع الرجل قبعته عن رأسه وقال لها: خذي هذه القبعة وقولي هذه قبعة زوجي الذي هرب بجلده

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

خوفاً على ابنتي !

لن اتركه يفسد مستقبل ابنتي ، يكفي أن حظي قد تعثر معه ، وتكفي آراؤه وطريقة حياته ، ومبادئه التي صبغت علينا الحياة ، رغم أنه كان يستطيع أن يجعل أيامنا رغدا وهناء

ثلاثون عاما هي عمر حياتنا معا ، بدأنا من الحد الأدنى زوجين خريجي جامعة ، كانت تربطنا علاقة طيبة واهتمام مشترك ، بدأنا الحياة سويا معا ، نتعثر حينا ، ننطلق حينا ، نفشل احيانا ، ننجح احيانا اخرى ، ورزقنا الله بنت وولد ، ورغم أن الصورة من خارجها رقيقة ناعمة الا أن داخلها كان مليئا بأشياء كثيرة ، فالحياة ليست ناعمة والمطالب تزداد ، والأحلام تكبر والطموحات تشتد ، والأماني في تحقيق حياة أفضل لابنينا تلح علينا وتضغط على أعصابنا

حاولت معه كثيرا كي يقبل البحث عن عمل بعد الظهر لكنه رفض ، في زمن مضى كان يرفض لأنه يريد أن يقرأ ويسمع الموسيقا ، ويجلس في البيت ، فابنانا كما يقول يحتاجان إليه ، ولابد أن يكون أمامهما ، وبعد ان كبرا صار يرفض لأن مركزه في عمله لا يسمح له بذلك ، فأقول له ان كثيرا من العملاء الذين يترددون عليه قد عرضوا عليه العمل معهم بعد الظهر لكنه يتشنج ويرفض ويقول ان هذا العمل رشوة مقنعة ، وانه مهانة له وتحايل رخيص عليه ، قبلت ورضيت باتهاماته لي بأني تغيرت ، وان ضغوط الحياة جعلتني اتنازل ، حتى تفجرت القنبلة التي يتوقعها كل أب وأم ، فقد تقدم شاب لخطبة ابنتي متعلم مثقف من اسرة طيبة ، لكنه لا يملك شيئا ، واسرته لا تملك الا جاها اجتماعيا اكتسبته من وظائف أفرادها وهم الأب والأخوة ، لم يكن الأمر بالنسبة لي يحتاج الى تفكير ، فرفضت على الفور ، فابنتي تستحق زوجا أفضل من هذا ، فقد رأيت زميلات وصديقات لها ، أقل حظا منها في الجمال والتربية يتزوجن من رجال أفضل ، ثم ابنا لسنا مضطرين - لا ابنتي ولا أنا - كي نقبل بزيجة تبدأ برحلة طويلة في البناء والكفاح والعمل ، فالوجوه الأخرى لكل المعاني اللفظية الجميلة التي يدعى بها زوجي هي الحرمان والاحباط والأحلام التي لا تتحقق ، وهذا كله ما عانيت منه أنا ، ولن أرضى لابنتي أن تقاسي مثله ولا ان تعانيه ، الكارثة ان زوجي وافق على الشاب ، بل تمسك به بحجة انه رجل مثقف ، ومن بيت طيب يمكن أن يطمئن في الاعتماد عليه ، وانه سيعامل ابنتنا بشكل متحضر ، لأن جذور تربيته ستجعله يصون ابنتنا وبيتها ، وأقول له ولكن هناك غيره من العائلات والأغنياء القادرين على اسعاد ابنتنا ، ثم ما فائدة معاملة طيبة وحرمان طويل لكنه يتشنج ويصرخ قائلا دعيني احمي مستقبل ابنتي ، ولكني لن استسلم

هي

سياط الرغبات

● لا أدري ماذا أصابها ؟ كانت احلامنا أكثر اتساعا من ان يعكرها عبء الحياة ، وكانت أمانينا تقتصر على بيت هادئ صغير ، نجلس معا ، نقرأ ونحلم ونفكر ، وكان عهدنا الا تقتلنا طموحات الحياة فقد كان اتفاقنا أن نرى أبناءنا على كل ما هو جميل وراق ورائع ، والا يكون الزمان سببا في ان نعلم ابناءنا التساهل ، أو أن نشوه ذوقهم أو ان نجعلهم يقبلون عما يجب ان يرفضوه ، لكن سنوات حياتنا الطويلة شهدت منها تراجعات كثيرة ، فلم تقو على الصمود طويلا ، هزمتها امنيات أحبطت ، واحلام تلاشت ، ورغبات لم تتحقق

وتفجرت غضبا عندما تقدم هذا الشاب لابنتنا ، واغمضت عينيها عن كل ما هو ايجابي وجيد وهام ، ولم تر الا كل ما هو سلبي من وجهة نظرها ، فهي ترى انه فقير واقول لها ان الفقر ليس عيبا ولا خطيئة ، وان هذا الشاب ليس فقيرا في الواقع فالفقر ليس قلة مال ، ثم مالنا نحن بحالته المادية ؟ ان الزواج ليس ضمانا بشك مصرفي ، فكم من اثرياء افلسوا وضاع مالهم أو بددوه ، فلم يبق لهم منه شيء ، والذي يجب ان نحرص عليه هو خلق الشاب وعقله ومعدنه ، فهذا وحده يتحقق الضمان ، وبهذا وحده نوجد السند لابنتنا ، ألسنا نحن الذين نصنع المال ؟ لكن المال لا يصنع منا اناسا ، ثم اقول لها هذه افكار ورؤيا للحياة انقرضت ، ولم يعد الناس يرون الفقر سببا لرفض ترويج قليل المال ، لكنها لا ترى إلا صديقات ابنتنا اللاتي تزوجن سيارات فارهة ، وبيوتا وثيرة ، وتغمض عينيها عن اهم ما في الموضوع ، ان ابنتنا موافقة على هذا الشاب وتريده ، وهي على استعداد لأن تسير معه رحلة العمر بكل ما فيها
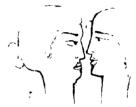
ان ابنتنا لا تهتم بالملابس العالية الثمن ، بل تعمد الى البساطة في الانتقاء ، ولا تطلب شيئا غير ضروري ، ولا تلح على شيء اذا طلبته وانها ابنتي ، هي ثمرة علاقتي بالدنيا ، فقد حاولت ان انقل اليها منذ نعومة اظفارها رؤيتي للحياة ، وافكاري عن كل شيء فيها ، واصوغ عقلها بشكل يتواءم مع ما أؤمن به ، وأرى فيه انه المدخل الوحيد لكي يحصل الانسان على السلام والراحة الداخلية ، فلا يتعذب بسياط الطموح الحاد والرغبات المنهكة واحمد الله اني نجحت ، ولم تكتسب ابنتي من امها الا أدبها ورقتها وحنانها ، اما العقل وطريقة التفكير فهي مغايرة تماما فيهما ، ولذلك فلن اخشى من صيحات زوجتي وصراخها فمعي الورقة الرابحة

هو

أين ولدي؟

بقلم : منير نصيف

عاشت له ، فلما فقدته أرادت أن تهب حياتها لكل الأطفال وعندهم وجدت السعادة التي كانت تبحث عنها

مدت يدها الحنون تتحسس جبين الصغير الذي يرقد في فراشه قريبا منها ، ثم ما لبثت ان ارتدت الى الوراء مذعورة ، وهي تحاول أن تكتم صرخة كادت تفلت من شفتيها المرتجفتين ، لقد كان الصبي محموما اصابه برد الشتاء القاسي الذي يجيء بثلوجه في مثل هذه الأيام من كل عام

وبحثت عن الدواء ، فلم تجد منه شيئا البيت الصغير الذي يقبع فوق قمة الجبل ، بدا هو الآخر وكأنه يئن تحت ثقل الثلوج التي تراكمت عليه ومن حوله ، فليس فيه اي شيء يمكن أن تشعله في المدفأة التي مضى عليها أكثر من أسبوع لم تشتعل فيها النار مرة واحدة ، وهي التي كانت لا تكف عن اشاعة الدفء في هذا البرد القاتل فهي لم تبرح البيت خلال الاسبوعين الأخيرين حتى الصغير ابنها الوحيد الذي عاشت له ومعه منذ سقط والده شهيداً في هذه الحرب المجنونة يرقد أمامها في هذه اللحظة ، لم يعد يذهب الى مدرسته فقد أغلقت المدارس في المدينة الجبلية الصغيرة التي ولدت وعاشت فيها مع أسرتها الكبيرة ، ثم أسرتها الصغيرة التي فقدت عائلها

واستبدت بها الحيرة والقلق ، وهي ترى ابنها يحترق تحت وطأة الحمى ماذا تفعل ؟ في البداية حاولت أن تستنجد بالجيران ، ولكنها لم تجد عند أحد منهم ما تبحث عنه استغاثت بالطبيب الوحيد الذي رفض أن يترك البلدة كما فعل زملاؤه هربا من قصف المدافع والقنابل ، ولكنها لم تجده ، فقد ذهب الى المستشفى الصغير الذي شيدوه في ميدان القتال الذي لايبعد كثيرا عنهم لاسعاف الجرحى والمصابين هكذا قالوا لها عندما اتصلت بهم هاتفيا من بيت جارتها العجوز

وعادت الأم الى حيرتها ولكنها في هذه المرة لم تطل ، وكانت ما تزال تقف هناك وسط غرفة جارتها التي كانت تتدثر بملابسها الثقيلة ، وتجلس بجوار المدفأة التي بدأت النيران تخبو فيها ، بعد أن أوشك

الوفود على النفاد ، وخطر لها ان تحمل ابنها وتأتى به الى هذا البيت الذى احست فيه ببعض الدفء ولكنها ما لبثت أن طردت الفكرة فورا من رأسها ، انه محموم ، والثلوج فى الخارج ما زالت تتساقط بكثرة ، وقد تسوء حالته

وتحدثت الجارة العجوز أخيرا « لماذا لا تذهبين انت الى المستشفى ، انه لا يبعد كثيرا عنا وسوف تحدين ما تحتاجين اليه من دواء ووقود ان الرحلة شاقة فى هذا الوقت المتأخر من الليل ولكنك مازلت شابة وقوية ادهبى يا ابنتى والله يرعاك »

ولم تنتظر لقد عادت الى بيتها مسرعة ، وأحكمت اغلاق الباب ، ووضعت جسمها المتعب داخل معطفها الثقيل ، وغطت رأسها لتقيها من الثلوج المتساقطة وذهبت

كانت الرحلة شاقة مرهقة ، ولكنها استطاعت أن تصل فى النهاية والتقت بالطبيب الشاب الذى كان يقف وسط المصابين بضمد لهم جراحهم ، وحصلت على ما تحتاج عنه من دواء ووقود وقفلت راجعة ، ولكنها لم تكد تخطو بضع خطوات بعيدا عن المستشفى الصغير الذى دخلته منذ لحظات ، حتى عاد القصف يدوى من جديد بعنف وقوة وراحت تجرى بقدر ما أسعفتها ساقاها المتعبتان لم تحاول أن تتوقف مرة واحدة ، حتى وهى ترى القذائف تنطلق من حولها ولم تنطر

وراءها ، فقد كانت عيناها مسلطتين على الطريق الذى سلكته فى رحلة الذهاب انها الآن عائدة الى بيتها والى طفلها تحمل له الشفاء

واقتربت من البيت أو كادت وفجأة وجدت نفسها تسقط على الارض مغشيا عليها ، وهى لا تدرى ماذا أصابها ولاماذا حدث فى تلك اللحظات القصيرة التى مرت قبل سقوطها على الأرض

ولكنها لم تبق طويلا تحت الثلوج التى كادت تغطى كل جسمها لقد تحاملت على نفسها ، ووقفت على قدميها ، وراحت تنفض الثلج عن ملابسها ، وكانت ماتزال تحمل الدواء فى يدها وقد تشبثت به وبكل ما تبقى عندها من قوة ، راحت تكمل رحلتها الى البيت الذى تركت فيه منذ بضع ساعات مضت أعز وأغلى ما تملك فى هذه الحياة التى كانت صورها تتلاشى تدريجيا امام عينيها

ووصلت أخيرا ولكنها ماكادت تطل براسها من فوق قمة التل القريب ، حتى صرخت فى رعب وفزع (ابنى يا الهى)

فلم يكن هناك بيت وانما كان هناك مجرد اثار للبيت الذى كان لقد أصابت احدى القذائف البيت الصغير فدمرته ، وحولته الى حطام وركام حتى ست حارتها الصغيرة لم يعد له أثر كل بناء صغير أو كبير دمرته قديمة الموت ودفنت تحته ما بداخله من أحياء

وراحت الأم تقترب من الحطام وتقترب ، حتى وجدت نفسها تجلس عليه وفى صوت حزين يخنقه الالم راحت تناديه وكانت فى كل مرة تنطق باسمه حبيبها انها سوف تسمعه وهو يرد عليها كما تعود أن يفعل دائما كلما غاب عن عينيها (نعم يا امى انا قادم اليك)

ولكنها لم تسمع شيئا كان زئير الريح وصوت

أوراق الشجر التى جفت تحت وطأة البرد وهى تصطدم بالارض التى كستها الثلوج ، هو الشىء الوحيد الذى يملأ أذنيها فى هذا الخواء الذى يسيطر على المكان بقيت فى مكانها ومر يوم ويومان ، وهى هناك ترفض ان تتحرك كم تمنت خلال تلك الساعات الطويلة التى مرت بها لو أنها استطاعت أن تزيل هذه الأكوام من الركام والحطام بيديها ، لتصل الى حيث يرقد ابنها ؟

وجاءت فرق الانقاذ أخيرا ، وحملوا الأم المسكينة الى المستشفى ، لقد أصيبت بحالة هستيرية لم تعد قادرة معها على الحديث كان الاسم الوحيد الذى لا تكف عن ترديده فى صحوها ونومها هو اسم ابنهاالذى دفنته انقاض البيت الذى أطلق فيه صرخته الأولى ، واحتضنته طفلا وصبيا حتى بلغ الثانية عشرة من عمره

وانقطعت صلتها بالناس ، وانقطع الناس عنها ، لا لأنهم لايريدون أن يروها ولكن لأنهم لا يدرون اين ذهبت ، ولا ماذا حل بها !

وتمضى بضعة أشهر ، وتتماثل الأم للشفاء ، وتخرج من المستشفى ، فتستقل اول سيارة ، وتطلب الى السائق أن يذهب بها الى بلدتها الصغيرة فى الجبل الى البيت الذى يحتضن حطامه حبيبها الصغير وتصل وتقف أمام الأنقاض وتبكى ولكنها لا تلبث أن تعود الى السيارة بسرعة ، وكأنها

تذكرت شيئا مهماً فاتها أن تأتي به معها إنه الشاهد الذي يحمل اسمه ويوم مولده ويوم رحيله وتعود .. ه احرى وتثبت الشاهد فوق هذا القبر الكبير

وتنطلق السيارة عائدة بها الى المدرسة التي أمضت فيها طفولتها ، وتخرجت فيها منذ أكثر من عشرين عاما وتتقدم الأم الى مديرة المدرسة ، وتطلب اليها الحاقها باحدى الوظائف الخالية (لقد حصلت على درجة لا بأس بها من التعليم تؤهلني لتدريس الاطفال المهم أن أكون قريبة منهم لقد فقدت طفلي الوحيد ، وأنا أريد ان أكون أما لكل الاطفال) وتبدأ الأم عملها الجديد في المدرسه ، ثم تمضي الأيام ، وهي ترى في كل تلميذ من تلاميذها ، ابنها الذي فقدته كان كل واحد منهم يذكرها به ، وكانت تشعر بسعادة وهي قريبة منهم ، حتى انها كانت تتمنى أحيانا لو أن اليوم الدراسي لا ينتهي

فقد كانت تعود الى وحدتها والى ذكرياتها الأليمه كلما اغلقت باب غرفتها عليها في بيت المدرسات

وتمضي الحرب المجنونة تقتل وتدمر اكثر من عشر سنوات كاملة انقضت والبلد الصغير يئن من جراحه التي لا تريد ان تلتئم ويقترب القتل والدمار من كل ركن من كل مدينة وبلده صغيرة وكبيره

وتسقط قنبله على المدرسة التي جاءت الأم لترى ابنها في كل ابن من تلاميذها وتصاب الأم بجراح خطيرة مع من اصيب من الأطفال الصغار وينقلون الى المستشفى ، ويقوم فريق من الأطباء بالاسراف على اسعافهم وتضميد جروحهم ، ولكن حالة الأم تسوء ، لقد فقدت كمية كبيرة من الدم ، وهي في حاجة الى عملية نقل دم سريعة ، ويبحثون عن فصيلة دمها النادرة ولكنهم لا يجدونها وأخيرا يجدونها عند طبيب شاب تخرج لتوه ، ويتبرع الطبيب بدمه لانقاذ الأم المصابه

وتبدا الأم تستعيد قواها تدريجيا وتسأل عن الدم الذي نقل اليها ، ومن كان صاحبه ويأتي الطبيب الشاب ويقول (أناهو يا سيدتي) وتتطلع الأم الى صاحب هذا الوجه الذي وقف أمامها يحدثها وتسأله عن اسمه وتصرخ الأم وتمد ذراعيها اليه وتصيح (ابني)

ثم تذهب في غيبوبة قصيرة ، حتى اذا ما عادت الى وعيها ، وجدته واقفا بجوار فراشها ، وقد أمسك بيدها وانحنى يلثمها بشفتيه ، وقد امتلأت عيناه بالدموع

ـ اين كنت ماذا حدث لك كيف نجوت من الموت ؟

ـ لا أدري ، ولكني عندمافتحت عيني بعد ان فارقتني الحمى ، وجدت جارتنا العجوز الطيبه تجلس بجوار فراشي وتقدم لي الطعام ، لا تتصوري كم عانت المسكينة من أجل تعليمي وتربيتي لا شك انك تذكرين انها كانت سيده رقيقة الحال ولكنها مع هذا لم تدخر جهدا في سبيل اسعادي لقد بحثت عنك طويلا ، ولم أعثر لك على اثر ، حملتني الى بيت أحد ابنائها ، وعشنا معه هو وزوجته واطفاله

ـ واين هي الان ؟

ـ لقد رحلت منذ عامين ،وكانت اخر كلماتها وهي تودعني ان امضي في البحث عنك كانت تقول لي دائما (انت ابن لأم عظيمة يا بني ، ابحث عنها ، لأني أشعر أنها ما زالت حية)

وقبل ان ينتهي الابن من حديثه اقتربت فتاة جميلة من فراش الأم ، ورفعت يدها الى شفتيها لتطبع عليها قبلة

وسألت الأم (ومن أنت يا عزيزتي ؟)

ولكنها لم تجب ، واقترب الابن من الفراش ليهمس في اذنها ببضع كلمات ، ثم نظر الى الفتاة وقال (أقدم لك حفيدة جارتنا العجوز انها ابنة الرجل الذي علمني معنى الحب انها صديقة طفولتي ، وزميلتي وخطيبتي يا امي !!!) ☐

قضايا منزلية

هموم الشتاء

الدفء والدفايات

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

يحكم تأقلم الانسان مع بيئته ثلاثة عوامل رئيسية هي

١ - درجة الحرارة

٢ - الرطوبه النسبية

٣ - حركة الهواء

ودرجة الحرارة الأنسب لقناعة الانسان وراحته هي ما اقتربت من درجة حرارة جسمه ، وعلى الأخص درجة حرارة طبقة الجلد الخارجية ، إذ ان حرارة الجسم من الداخل تصل ما يقارب ٣٧ درجة مئوية أو ٩٨ درجة « فهرنهايت » ، أما حرارة طبقات الجلد الخارجية فهي تقارب ٢٥ درجة مئوية ، تزيد أو تقل قليلا ، من هنا كانت أنسب درجات الحرارة الجويه المريحة هي ما بين ٢٠ الى ٢٥ درجه مئوية ، فإذا ما ارتفعت درجة حرارة الجو أو انخفضت،تأقلم الجسم بما يملك من وسائل التأقلم ضمن حدود معينة

أما الرطوبة النسبية فتعني - علميا - كمية بخار الماء العالق في الهواء ، وتعني - عمليا - نسبة كمية بخار الماء الذي يمكن أن يتشبع الهواء عند درجة حرارة معينة ، حتى يمكن إتاحة الفرصة للغدد العرقية ، وتيار الدم في الجلد أن يؤديا دورهما الطبيعي في التأقلم ، والتغلب على تقلبات درجات الحرارة ، ولعل نسبة ٥٠ - ٦٠ بالمائة هي الأفضل لراحة الجسم ، باعتبار الرطوبة النسبية للجو

وتتدخل حركة الهواء في عملية تأقلم الجسم مع الجو ، حيث يقوم الهواء بعمليات تبخير العرق في الجو

، ومن ثم يعمل على تبريد الجلد ، ثم تبريد تيار
الحار في طبقاته
ـ فصل الشتاء المتميز بالبرودة في بلادنا تنخفض
ات الحرارة الى مستوى قد لا يطيقه الجسم ، ولا
على التأقلم معه ، لهذا جاهد الانسان قديما
كار وسائل مصطنعة تعينه على اتقاء ما فشل الجسم
لتغلب عليه ، فكانت الألبسة الصوفية ،
اء ، والألحفة ، والدفايات بأنواعها وهنا قد
وبا البرد ولسعاته الى أن نطرح هذه القضية
ات ، ونرى ما لها ، وما عليها

الألبسة الصوفية كثيرون من يتوهمون أن
سواف والألبسة الصوفية تعطي الجسم دفئا ،
ا فالاكثار منه يزيد من امكانيات الدفء ، وهذا
، لا يقوم على أساس علمي ، لأن الملابس
لجهة الصوفيه مكونة من ألياف متجمعة بالمسام
وءه بفراغات مشبعة بالهواء ، ولما كان الهواء يعتبر
لا جيدا للحرارة فإنه يمنع من تسرب حرارة الجسم
الخارج ، ومن ثم يبقي على الجسم حرارته ، تماما
بفعل « الميكروب » مع الأشربة الساخنة ، لكن
وف يمكنه - أيضا - أن يقوم بدور معاكس ، أي
ظ الجسم من حرارة البيئة المحيطة ، أعني أنه يمكن
الصوف في الأجواء الحارة ، لنقي الجسم
ا ، ومن هنا ينصح عمال الصناعة أمام الافران
ي الحرارة العالية للفرن بلباس صوفي ، وهو ذات
ل مع البدوي في الصحراء الحارة الذي يلف نفسه
ءته الصوفية ، ويظلل تحت خيمته الصوفية ، فلا
ـ بحرارة صيف الصحراء العالية
الألحفه الصوفية تنضوي تحت هذا المبدأ ،
حب عليها نفس المنطق الذي ينسحب على
سه الصوفية ، ومن هنا نرجح الأطباء كفة
خدام الألحفة عند النوم للتدفئة ، لأنها تبقي
سم دافئا في حدود درجة حرارته الطبيعية دون
سراف ، حتى لا تحول بين الجسم وعمليات
التنفس ، وتحرر العرق غير المنظور ، لهذا يشعر
الانسان عند الاستيقاظ براحة ، ونشاط ، عقب النوم
تحت غطاء اللحاف الصوفي

الدفايات تقوم الدفايات على مبدأ مخالف لما هو
عليه الحال مع اللحاف ، لأنها تعطي طاقة حرارية ،
سواء عن طريق الاشعاع أو النقل أو تسخين الهواء ،
وهنا يشعر الانسان بالدفء السريع بادىء الأمر ، ثم
يضيق بهذا الدفء ، وربما يتضرر في نهاية الأمر

تنوعت الدفايات ، واختلفت باختلاف مصدر
الطاقة الحرارية ، ولعل أشهر هذه الدفايات ما يلي

أ - دفايات الفحم وهي تقليد ذو طابع
شاعري ، يرتبط بعاداتنا ، وتقاليدنا ، لكن طاقة
الحرارة تعتمد على احتراق الفحم الذي يحتاج الى غاز
« الأكسجين » ، وينتج عن الاحتراق غاز ثاني أكسيد
الكربون ، فيستنفذ الأكسجين في مكان محصور ،
ويؤدي ذلك الى تصاعد غاز أول أكسيد الكربون ،
وهذا غاز على خلاف شقيقه (ثاني أكسيد
الكربون) ، لأن هذا الغاز غاز بلا لون ولا رائحة ،
لكنه غاز سام قاتل خانق ، فلا غرابة أن نسمع في
فصل الشتاء عن ضحايا الاختناق بغاز أول اكسيد
الكربون ، ممن لا يدركون معنى تجدد هواء المكان ،
فينامون برفقه دفاية الفحم ، في غرفة مغلقة ، طلبا
للدفء ، فيتسرب اليهم ذلك الغاز الخانق برفقة
الموت لهذا لا بد من إخراج الدفاية الفحمية من
الغرفة قبيل النوم ، بل وتجديد هواء الغرفة أيضا
لعل أول ضرورات الاسعاف الأولى عند مصادفة
حالة اختناق وتسمم بأول أكسيد الكربون هو فتح
النوافذ ، والأبواب ، لطرد هذا الغاز السام ، وتهوية
المكان ، ونقل المرضى الى المستشفى فورا تعتري
المصاب بهذا النوع من الاختناق غيبوبة ويتحول لون
جلده الى أحمر تشوبه الزرقة

ب - دفايات الكهرباء من الغريب أن يتوهم بعض الناس أن الدفاية الكهربائية تستهلك أكسجين الهواء ، متناسين أن احمرار السلك ليس إلا نتيجة مقاومته للتيار الكهربائي ، ولا علاقة لهذا الاحمرار بهواء أو أكسجين ، لأنه ليس احتراقا ، وإلا تلف السلك ودمر

لهذا فلا خطر من الدفاية الكهربائية ينتج عنه التسمم ، لكن خطرها في خفضها للرطوبة النسبية في الهواء ، مما يجعل الانسان يشعر بجفاف الجلد ، واحتقان الحلق ، والأنف ، مما يمهد الفرصة لفيروسات نزلات البرد لتقتحم الغشاء المخاطي الذي تتهاوى مناعته ، وبهذا تساهم الدفاية في انتشار أوبئة النزلات البردية ، وبخاصة مع تعرض الانسان لتقلبات درجات الحرارة بين الغرفة الدافئة والجو الخارجي البارد

ناهيك عن احتمال الحرائق ، والاصابة بحروق الجلد ، والصعق الكهربائي ، ومن هنا يفضل تعليق الدفاية الكهربائية ، ووضعها في مكان مرتفع ، بعيدا عن الأطفال ، للوقاية من حدوث تلك الاحتمالات الخطيرة

ينصح الخبراء بوضع الماء في إناء معدني بقرب الدفاية ، حتى يتبخر الماء ، ويعادل درجة الرطوبة النسبية التي انخفضت ، بل لعل بعض أنواع الدفايات الحديثة قد حرص صانعوها على استحداث موضع فيها للماء

ويدخل في نطاق الدفايات الكهربائية ذلك النوع المعروف بدفايات الزيت ، وما هي الا شكل آخر للدفايات الكهربائية التي تستخدم الزيت لرفع درجة الحرارة

جـ - دفايات الكيروسين

تقوم على احراق الكيروسين لانتاج الطاقة الحرارية ، وتتشابه مع دفايات الفحم في احتمالات الضرر ، واحتمالات الخطر ، لهذا لا بد أن تعامل ذات المعاملة

د - دفايات المياه الساخنة

غالبا ما تستعمل في أساليب التدفئة المركزية ، وتعتبر أقل أشكال الدفايات خطرا ، هذا يمكن أن يقال فيها أنها أفضلها لقلة أضرارها □

طبيب الأسرة

فقر الدم المنجلي

● أرجو إفادتي عن كريات الدم المنجلية ، وعلاقاتها بفقر الدم ، وهل لها علاقة بفصائل الدم ؟

علي ع ع
جدة - السعودية

يحتوي دم الانسان البالغ على ما يقدر بمعدل خمسة ملايين كرية دموية في كل مليمتر مكعب من الدم ، وهذه الكريات تعيش في تيار الدم مدة ١٢٠ يوما تقريبا ، ثم ينتج عوضا عنها كريات أخرى في نخاع العظام .

أساس كرية الدم مادة (الهيموجلوبين) التي تتركب من نواة ، من عنصر الحديد ، ترتبط بسلسلة من الأحماض الأمينية ، حتى يمكنها أن تؤدي

وظيفتها ، وهي حمل الأكسجين من الرئتين إلى أنسجة الجسم المختلفة ، ولأمر ما - وراثي المنشأ - يختل تركيب الأحماض الأمينية ، مما يؤثر على سلامة تركيب (الهيموجلوبين) الذي يؤثر على تركيب الخلية وشكلها ، فتصبح معه مقوسة على شكل منجل ، ومن هنا جاءت التسمية بالمنجلية ، كما يصبح غلاف الكرية هشا ، قابلا للتمزق والانفجار ، مما يؤدي إلى حالة من فقر الدم ، لهذا سمي هذا المرض الوراثي باسم فقر الدم المنجلي أو الأنيميا المنجلية

هذا المرض الوراثي شائع بدرجة كبيرة بين الزنوج ، وبدرجة أقل بين البيض ، لكن لطف الله جعل المعاناة والأعراض لا تصيب أكثر من ٢ بالمائة ممن ورثوا هذا العيب في دمائهم وغالبا ما تداهم المصاب به نوبات من الألم في الأطراف ، وهبوط وضعف نتيجة تحلل الدم ، مما يجعله يحتاج الى نقل دم ، أو إلى استنشاق الاكسجين ، لكن مضاعفات المرض الأخطر هي حدوث تخثر دموي في أوعية الدم المختلفة ، سواء في الرئتين أو الأطراف وما إلى ذلك ، مما يهدد حياة المصاب ومن الجدير بالذكر أن نؤكد أن لا علاقة إطلاقا بين فقر الدم المنجلي وبين أي فصيلة من فصائل الدم المعروفة

القولنج

القولنج على ما تذكر قواميس اللغة يداهم الأحشاء ، وهو مغص يصيب الأمعاء ، أوالحوصلة المرارية ، أو الكلية ، أو المثانة ، وما إلى ذلك ، ولاشك أن أطباء العرب القدماء قد استعملوا هذا الاصطلاح للتعبير عن آلام المغص بصوره المختلفة ، كالمغص الكلوي أو المغص المراري أو المغص المعوي وهكذا

وإذا صح هذا التفسير فإن القولنج عرض ، وليس مرضا ، فمفاهيم الطب في ذلك الزمان الغابر كانت تتعامل مع الأعراض ، لقناعة من الأطباء أن الأعراض هي الأمراض ذاتها ، فيما يرى أهل الطبابة في زماننا أن الأمراض هي الأصل ، والأعراض هي مدلولاتها ومؤشراتها ، فهم يركزون جل اهتمامهم على المرض ، وأسبابه ، ومن ثم علاجه

ولعل كلمة القولنج مشتقة من كلمة أعجمية ، يونانية الأصل ، أو لاتينية ، تقابل ما نستعمله اليوم في اللغة الانجليزية ، وهي كلمة كوليك (Colic) ، وهو المغص ، لفظوها بصورة محرفة ، فصارت قولنج إن المغص يصيب الأعضاء المجوفة التي توجد في البطن ، إذ لا يستقيم مثلا أن يقال أصاب المغص رأس زيد ، ولا عانى عمرو من المغص في صدره أو ساقه ، ولا يصح - علميا - أن يقال ان فلانا مات من المغص ، وإنما هو مات من مرض ما ، كان المغص أحد أعراضه ، وما ظني بقولهم قديما أن هذا مات بالقولنج إلا خطأ وقعوا فيه ، لعدم معرفتهم بالحقائق العلمية على الصورة التي وصل إليها الطب في زماننا

ردود سريعة

*** السيد ص ث م - الكويت .**

- لماذا لا تراجع الطبيب لاجراء فحص عام لتفحص سبب نحافتك ؟

*** السيد سامر مهايني - دمشق .**

- أنت ما زلت صغير السن ، وأمامك متسع من الوقت لتكبر وتزداد طولا ووزنا ، فلا تقلق ، ويحسن بك أن تمارس الرياضة المعتدلة كالسباحة والركض والألعاب السويدية وكرة السلة أو كرة الطاولة ، مع طعام غني بالحليب واللحوم والفواكه والخضراوات .

*** السيد ص . ف - الجزائر :**

- مشكلتك يحلها لك جراح مختص بالتجميل .

بقلم : محمد خليفة التونسي
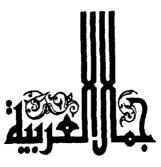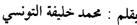
إفتح ياسمسم

عنوان هذه الصفحة « افتح ياسمسم » هو كلمة السر في القصة الشهيرة « علي بابا والأربعون لصا » وهي قصة كنز ضخم حافل بالمعادن الثمينة والجواهر الكريمة ، لم يكن له مفتاح الا هذه الكلمة فاذا هتف بها قاصده تحرك بابه الحجري فانفتح له الكنز تلقائيا

وهذا العنوان نفسه قد اتخذته مؤسسة عربية هنا على خليجنا العربي ليكون عنوان مسلسل تلفزيوني حي يجري الحديث فيه باللغة الفصيحة السهلة ليقدم للاطفال او الصبيان ، ويقوم بمعظم ادوار التمثيل فيه الصغار من بنين وبنات اعمارهم بين السادسة والثانية عشرة تقريبا ، كأنهم يزاولون اعمال المعيشة اليومية المختلفة من جادة ولاعبة ، ويعرض المسلسل صورا حية لأنواع شتى من الحيوانات والنباتات وعجائب الطبيعة ، وصورا مثلها لأنواع الزراعة والصناعة والسياحة في بلاد العالم الدانية والقاصية ، ولاسيما البلاد العربية ، لتعريف الناشئة وجوه النشاط اليومية في انحاء وطنهم ثم فيما عداه

وقد حشدت المؤسسة لهذا العمل التربوي الرائد طوائف شتى من المربين والفنانين وخبراء التلفزة والتصوير الكرتوني ، واستعانت في هذا بمؤسسة ضخمة هي ورشة تلفزيون الأطفال في نيويورك ، فكانت حلقات المسلسل مائة وثلاثين حلقة ، وبعد نجاحها فيه أتبعته بمثله في ثلاثين ومائة حلقة ايضا

وللمؤسسة ـ غير هذا ـ مسلسلان آخران يجرى الحديث والحوار فيهما ايضا بالفصيحة احدهما عنوانه « قف » وموضوعه « الأمن والسلامة » ، وهو خاص بما ينبغي ان يلتزمه المارة في الشوارع من تعليمات مرورية سواء كانوا مشاة او ركاب سيارات أو دراجات

والمسلسل الاخر عنوانه « سلامتك » في موضوعات صحية طبية شتى عن طريق تصوير مواقف حية ، بدءا من توقي مايضر بالصحة ومايسمى بالاسعافات الاولية عند وقوع الأخطار ، وتسهيل طريق المصاب او المريض لمكان العلاج ثم آداب عيادته

وهناك مؤسسات اخرى في بعض بلاد المشرق العربي قدمت اخيرا بعض افلامها ومسلسلاتها التلفزيونية في قصص من تاريخنا العربي ، تجرى المحادثة فيها باللغة الفصيحة

وقد عمدت بعض المؤسسات الى مسلسلات اجنبية تجرى المحادثات فيها بلغاتها الاجنبية ،

فنترجمها إلى العربية الفصيحة بأصوات ممارسة من الحسين

وكل هذا دليل خير عظيم ، لأنه يشعرنا بغيرة في أوساطنا الفنية على لغتنا الفصيحة وبإقبالهم عليها ولو على سبيل التجربة ، وبقدرة كثير منهم على حفظ أدوارهم وحسن أدائها بالفصيحة ، وقد أثبتت التجربة ان الاقبال على هذه الاعمال الفنية بالفصيحة ليس أقل من الاقبال على امثالها بلغة الشارع والسوق ان لم يكن اكثر ، بالاضافة الى ماتكسبها الفصيحة من الجلال او الاحترام

وليست هذه التجربة حديثة فهي بداية هذا القرن وفيما قبله حين ظهر التمثيل المسرحي في بلادنا كانت التمثيليات المسرحية تؤلف أو تترجم باللغة الفصيحة بل المسجوعة أحيانا فكانت الجماهير تقبل على مشاهدتها مع ان الأمية كانت فيها أشيع ، بل كانت التمثيليات من مؤلفة او مترجمة لاتخلو من بعض القصائد التي كانت تنشد او تغني ـ والشعر أسهل حفظا ـ فكانت الجماهير تحفظ ابياتا منها وترددها ، وقد سمعنا ذلك من بعض ثقات الجيل الماضي ومنهم استاذنا الكبير المرحوم عباس محمود العقاد ، اذ كان فيما اخبرنا به ، في هذا الصدد ان الجماهير كانت تحفظ وتغني بعض ماكان ينشد او يغني الشيخ سلامة حجازي على مسرحه ، في تمثيلياته ومنها تمثيلية روميو وجولييت ، لشكسبير ، وتمثيلية صلاح الدين ومن هذه التمثيلية قصيدة على لسان صلاح الدين مطلعها ـ

ان لم أصُنْ عَهدي وفي

ملكي ، فلستُ إذَنْ صلاح الدين

ونحن لايعنينا هنا الا الجانب اللغوي الفصيح لهذه الاعمال الفنية ، ولاسيما التي تقدم للصغار مثل مسلسل « افتح ياسمسم » ، فقد شاهدنا صغارنا يفرحون بهذه الاعمال ، ويلتصقون بها ، ويحفظون كثيرا من اقوالها ، ويلهون بترديدها ، والتحاور بها فيما بينهم تلقائيا وهم مغتبطون

وكل اولئك مما يقطع العذر امام الذين يلجئون الى الحديث او الحوار في اعمالهم الفنية بلغة الشارع محتجين بسهولتها على الجماهير من جانب ، وصعوبة الفصيحة من جانب ، وهذه حجة داحضة دون شك ، لأن الحديث بالفصيحة مع التسليم بصعوبته على العامي ليس كذلك في فهم العامي له ، فضلا عن فهم المتعلم ، وماعلينا لإدراك هذا واقعيا الا ان ننظر الى مقدار مايستوعبه العامة جملة لاتفصيلا من معاني الخطب الدينية بالفصيحة في المساجد والكنائس ، ومن النصوص المقدسة بالفصيحة حين تسمعه في المجالس أو الاذاعة ، ومن الصحف والمجلات في الموضوعات العامة وكلها تكتب وتنشر بالفصيحة السهلة ، وليس علينا هنا الا أن نوازن بين الاثر النفسي لأحاديث الخطباء او الوعاظ حين يتصوّنون ويتكلمون بالفصيحة السهلة وبين احاديثهم حين يتبذلون فيتكلمون بلهجة الشارع ، فإن السامعين ينظرون اليهم في الحالة الاولى نظرة جد واجلال ، ولكنهم ينظرون اليهم في الحالة الثانية نظرة استهانة واهمال ، ولقد بلغ من عمق ادراك بعض القساوسة لهذا الفرق بين النظرتين انهم يلجئون خلال بعض مواعظهم الى اقتباس بعض النصوص بلغتها الأصيلة الاجنبية كالقبطية والسريانية واليونانية ليكسبوا مواعظهم هيبة وجلالا وان كان معظم السامعين او كلهم لايعرفون كلمة من هذه النصوص الأجنبية

لابد لنا في الاقتدار على الكلام بالفصيحة من ان يتكرر على أسماعنا الكلام بها او بالفصحى ، وأن نحفظ ما استطعنا من نصوصها الادبية وان نتكلف الحديث والكتابة بها حتى ندرب عليها

واذا كان في ذلك عناء ـ ولابد ان يكون ـ فلا غرابة فيه ، ونحن لانتعلم حرفة كصنع مايصلحنا ويصلح لنا من الطعام والكساء والبناء وسائر الفنون والمهن الا مع التدرب عليه والمثابرة وفي ذلك العناء ما فيه ، واولى من ذلك اللغة المهذبة لانها ترجمان الفكر والذوق والشعور الرفيع

ان لغتنا هي محور قوميتنا الاعظم ، فلاقومية للعرب بغير العربية ، هكذا كان الامر ، وهكذا هو اليوم وهكذا هو في المستقبل ولا قومية لنا بين الامم اذا اهملنا حفظها كاعظم تراث ، فهي تحمينا بقدر مانحميها ، وتعظم مكانتنا بقدر مانحفظ مكانتها .

وليكن شعارنا في ذلك كله « افتح ياسمسم » لتتفتح لنا كنوز الفصيحة وندرب على الحديث بها ، فذلك مغنم لايقل عن كنز « علي بابا» وسواه،بما فيها من معادن ثمينة وجواهر كريمة . □

العربي - العدد 338 - يناير 1987

هكذا غنى الآباء

الشريف الرّضيّ يرثي أمّه

الشريف الرضي من أشرف بيوتات العرب ، وأعرقها حسباً ونسباً ، فهو أبو الحسن محمد بن الحسين ، من ولد موسى الكاظم بن جعفر الصادق الذي يمتد نسبه إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عليهم رضوان الله ، ويمتد نسب أمه الى زين العابدين أيضا ، كان أبوه يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم والنظر في المظالم وإمارة الحج ، ثم أسندها كلها اليه سنة ٣٨٨هـ ، فشكره في إحدى قصائده ومدحه ، وله في مدحه غيرها

كان عفيفاً أبياً نزوعاً الى المعالي لا يقبل فضل أحد ، وقد بدأ نظم الشعر وهو في العاشرة ، ويعد من أكبر شعرائنا وأشهرهم ، وله ديوان كبير ، وفي شعره فخامة وسلاسة ، وتدفق شعور ، وعمق فكر

ونفسه فيه طويل فله عشرات من القصائد الطوال تبلغ كل منها عشرات ، ومنها هذه القصيدة التي تبلغ أبياتها ٦٨ ، اخترنا منها مما يبين فجيعته في فقد أمه ، وهي من مراثيه الكثيرة في آل بيته ولد في بغداد سنة ٣٥٩هـ ، وبها توفي ودفن سنة ٤٠٦هـ

أبكيكِ لو نقع الغليلُ بكائي ... وأقولُ لو ذهب المقالُ بدائي[1]

وأعوذُ بالصبر الجميل تعزِّيا ... لو كان بالصبر الجميل عزائي

طورا تكاثرني الدموعُ ، وتارة ... آوي الى أُكْرومتي وحيائي

كم عبرةٍ موّهتها بأناملي ... وسترتُها متجمّلاً بردائي[2]

أُبدي التجلد للعدو ، ولو درى ... بتململي لقد اشتفى أعدائي

ما كنت أذْخر في فداك رَغيبةً ... لو كان يَرجِعُ ميتٌ بفداء

لو كان يُدفَع ذا الحِمامُ بقوة ... لتكدست عُصَبٌ وراء لوائي

فارقْتُ فيك تماسكي وتجمُّلي ... ونسيت فيك تعزُّزي وإبائي

كم زفرةٍ ضعُفت ، فصارت أنَّةً ... تمّمتها بتنفُّس الصُّعداء

لهفان ، أنزو في حبائل كُرْبة ... ملكت عليّ جلادتي وغَنائي

وجرى الزمان على عوائد كيده ... في قلب آمالي ، وعَكْسِ رجائي !

قد كنت آمل أن أكون لك الفِدا ... مما ألَمّ ، فكنت أنتِ فدائي

وتَـفـرّقُ الـبـعـداءِ بـعـد مـودةٍ صَعْبٌ ، فكيف تفـرق الـقـربـاء !
أنـضَـيـتِ عـيـشـكِ عفـةً وزهـادةً وطـرحـتِ مُـثـقِـلَةً مـن الأعـبـاء[3]
بصيـام يـومِ الـقيظِ تـلهَبُ شمسُـه وقـيـامِ طـولِ الـلـيـلةِ الـليـلاء
لـو كـان مـثـلَكِ كـلُّ أم بَـرَّةٍ غَـنِيَ الـبـنـونَ بهـا عـن الآبـاء
كيف السُّلوُّ ، وكـلُّ مـوقِـع لحـظةٍ أثـرٌ لـفـضـلك خـالـدٌ بـإزائـي ؟
فـبـأيِّ كـف أسـتـجِـنُّ وأتـقـي صَـرْفَ النوائب ، أم بـأي دعـاء ؟[4]
ومـن المُـمـوِّل لي إذا ضـاقـت يـدي ومـن المـعـلِّل لي مـن الأدواء ؟
ومـن الـذي ان سـاورَتْـنـيَ نـكـبـةٌ كـان المُـوقِّـي لي مـن الأسْـواء ؟
قـد كـنت آمـلُ أن يـكـون أمَـامَـهـا يـومـي ، وتُـشـفـق أن يـكـون ورائـي
كـم آمـرٍ لي بـالـتـصـبـر هـاجَ لي داءً ، وقـدَّر أنَّ ذاك دوائـي
آوي الى بـردِ الـظـلال كـأنـني لـتـحـرُّقـي آوي الى الـرَّمـضَـاء[5]
وأهُـبُّ من طـيـبِ المـنـام تـفـزُّعـاً فـزِعَ الـلـديـغِ نَـبـا عـن الإغـفـاء
لَهْـفِي عـلى الـقـوم الأُلى غـادرتُهم وعـلـيـهـمُ طـبَـقٌ مـن الـبـيـداء
متـوسِّـدين عـلى الخـدودِ ، كـأنمـا كـرعـوا عـلى ظمـأ من الصَّهْـبـاء[6]
صـورٌ صَـيِّنتُ على العيـون بلحْـظِهـا أمـسـيـتُ أوقِـرُهـا من الـبَـوْغـاء[7]
ونـواظـرٌ كـحَـلَ الـتـرابُ جـفـونها قـد كـنـت أحـرسُـهـا من الأقـذاء
قـرُبَـتْ ضـرائـحُـهـم عـلى زُوَّارهـا ونـأَوْا عـلى الـطلاب أيَّ تَـنـاء
ولـبئس مـا تَـلْقـى بـعُـقـر ديـارِهـم أُذُنُ المُـصـيـخ بهـا ، وعَـيْنُ الـرائـي
مـعـروفُـكِ الـسـامي أنيـسُـكِ كـلَّما ورد الـظلامُ بـوَحـشـةِ الـغـبـراء
وضـيـاءُ مـا قَـدَّمـتِـه مـن صـالـحٍ لـكِ في الـدجـى بـدَلٌ من الأضـواء
لـو كـان يُـبـلغُـكِ الصفيـحُ رسـائـلي أو كـان يُـسمِـعُـكِ الـتـرابُ نـدائـي
لـسـمـعـتِ طـولَ تـأوُّهي وتـفـجُّعـي وعـلِـمْـت حُـسْـنَ رعـايـتي ووفـائـي

---

(١) العليل / حرارة الجوف
(٢) عبرة / دمعـة
(٣) أنضيت / قضيت الأعباء المثقلة / الهموم الثقيلة
(٤) استجن / استتر. صرف النوائب / تقلب الأحداث
(٥) الرمضاء / الأرض الحارة .
(٦) كرعوا الصهباء/ شربوا من الخمر
(٧) صنت / بخلت . أوقرها من البوغاء / اثقلها من التراب
(٨) الصفيح / حجارة القبر

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك،وارتباطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع
والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقارنة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم

	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
١	■									
٢				■		■				
٣					■					
٤				■			■			
٥					■				■	■
٦	■	■			■					
٧				■		■		■		
٨						■				
٩			■				■		■	
١٠		■								

كلمات أفقية

١ قصة فلسفية لابن طفيل
٢ طريق مختصر ، فصيح
٣ زعيم المذهب الأبيقوري ، مدينة ليبية اشتهرت في الحرب الكونية الثانية
٤ كلمة للحث على الفعل ، تمنّى ، عكسها قاس
٥ مدخل ، جزء من الدرهم
٦ أخذ شيء مكان آخر ، تعنى مدد
٧ عد رقيق ، طي باصبع الباص
٨ صاحب ومسامر ، قائد فرنسي خلف بونابرت في حكم مصر
٩ فقد صوابه ، سيّارة
١٠ ملك بابليّ دمّر القدس وسبى اليهود

كلمات رأسية

١ صحابي جليل استشهد في أحد ، تحديد صارم
٢ بيام طهراً ، فصل أو فقرة (في وثيقة مثلاً)
٣ من الأناجيل ، « وشى » مقلوبة
٤ تحاق وتباعد ، جلد مدبوغ
٥ مخترع الديناميت ، قطَع أو كسَر
٦ عكسها حَرّ ، مكان التواري والاحتماء
٧ سائل أحمر قان ، تعصّ في أعلى الخفّ
٨ مؤرّخ عربي وصاحب كتاب « فتوح البلدان »
٩ ورد أبيض عطر الرائحة ، يقبل بفرح
١٠ ذكر النعام ، مكان يؤمه الفلكيون

مكتبة العربي

Thinking About Crime

REVISED EDITION

James Q. Wilson

كتاب الشهر

تأملات في الجريمة

تأليف :
جيمس ولسن
عرض وتلخيص :
د . محمود الذوادي

منذ الستينيات من هذا القرن ، شارك مؤلف الكتاب في عدد كبير من البحوث واللجان حول ظاهرة الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومع أن بعض الأوساط الثقافية الأمريكية تتهم الكاتب بالمحافظة ، وبأن أبحاثه لا تقوم على تجربة علمية إلا أن لتأملاته في عالم الجريمة أهمية خاصة ، تتمثل في غزارة المعلومات ، والطابع الفلسفي الذي يغلب على أسلوبه ، فماذا تقول تلك التأملات ؟

كتاب الشهر

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

يبدأ المؤلف كتابه بمناقشة علاقة ظاهرة الجريمة في المجتمع الأمريكي بازدهاره اقتصاديا على الأخص في الستينيات، وتبدو هذه العلاقة غريبة، بالنسبة لوجهة النظر القائلة يومئذ بأن القضاء على الفقر ورفع مستوى التعليم وتحسين أوضاع المعيشة، هي عوامل تؤدي - بالتأكيد - إلى انخفاض نسبة الانحراف والجريمة بالمجتمع الأمريكي، وقد ساد هذا الاعتقاد بين المثقفين (الليبراليين) في عهد كندي وجونسون خاصة، إلا أن احصائيات الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات كانت تناقض ذلك الاعتقاد، فنسب الجريمة لم تزدد قليلا، وإنما بلغت نسبا عالية، لم يعرفها المجتمع الأمريكي منذ ١٩٣٠م.

ويتطرق (ولسن) إلى الزاد المعرفي الذي جمعه علماء الاجرام، وباحثو العلوم الاجتماعية الآخرون، ومازالوا يجمعونه حول ظاهرتي الانحراف والجريمة، ففي رأي المؤلف أن وجهة نظر العلوم الاجتماعية القائلة بأن ظاهرتي الانحراف والجريمة تعودان أساسا - إلى عوامل الفقر، والتمييز العنصري، وغيرها من عوامل الحرمان، لاتؤيدها معطيات واقع المجتمع الأمريكي المعاصر، فنسبة الجريمة ازدادت في المجتمع الأمريكي بدل أن تنخفض في فترة (١٩٦٣ - ١٩٧٠) التي تحسن فيها تحسنا ملحوظا مستوى دخل الفرد، ومستوى مرافق المدرسة والمسكن لكل الفئات الاجتماعية الأمريكية تقريبا.

ومن ثم فعمل من يهتم بفهم ظاهرة الجريمة أو الانحراف عمل ذو مستويين، أولهما تبيان كيف تتأثر الجريمة بعاملي البناء الاجتماعي والعمليات الاجتماعية، أي كيف تتأثر الجريمة بالطبقة الاجتماعية، وبالجيرة، وبالكثافة السكانية، ثم تفسير كيف أن الأفراد يتم جذبهم إلى ميدان الجريمة عن طريق التقليد الاجتماعي، وتكوين المواقف، والاختلاط التفاضلي.

ويعتقد (ولسن) بناء على تجربته الشخصية - كعنصر مستشار في عدة لجان أمريكية، منها لجنة دراسة الجريمة - أن هناك قلة من أصحاب الاختصاص في العلوم الاجتماعية يميزون - عند غموض الأمور - بين مايعرفونه كعلماء وبين مايعتقدونه كمواطنين عاديين. وفي رأيه أن علماء العلوم الاجتماعية لم يقضوا وقتا كافيا في مناقشة العلاقة بين المعرفة العلمية والاعتقاد، ومن هنا كان فشل حلول الجريمة التي نادى بها علماء الاجرام والاجتماع يعود - في الأساس - إلى كون تلك الحلول ذات أرضية (أيديولجية) لاعملية. ويعترف المؤلف أنه اكتشف - بعد فوات الأوان - أن علماء الاجرام وكل علماء الاجتماع - تقريبا - هم جزء من تقليد فكري، لايملكون مناعة ذاتية، تحميهم من متعة التسرع في تحويل آرائهم إلى سياسة، إذ أن محور اهتمامات هذا التقليد الفكري تنحصر في تلك الملامح الاجتماعية التي هي - إلى حد كبير - خارج مجال السياسة العملية، وخارج العلم نفسه.

دور الشرطة.

يقارن (ولسن) بين دور الشرطة في ضبط السلوك الاجرامي الانحرافي من جهة، ودور الجيرة في ذلك من ناحية أخرى، فالبحوث حول دور الشرطة في التخفيف من نسب الجريمة تفيد أن الشرطة المتجولة ليس لها أثر يذكر على انخفاض الجريمة. ويرى المؤلف أن وجودها يخدع المواطنين باعطائهم الانطباع بأنهم أكثر أمنا، ومن ثم يناقش مفهوم المجتمع المحلي المحل، وعلاقته بانتشار ظاهرة الجريمة وعلماء النفس الاجتماعيون والشرطة متفقون على المبدأ التالي «إذا هشمت نافذة ما، في عمارة ما، وتركت دون إصلاح، فإن ماتبقى من نوافذ العمارة سوف يلقى نفس المصير في القريب العاجل»، فالنافذة المهشمة هي ذاتها رمز على أن ليس هناك من يهتم بسلامة الجيرة، وفي هذه الحالة بأن تكسير نوافذ أخرى لايكلف شيئا، وقد يصبح ضربا من المزاح عند بعض الناس. ويعتقد (ولسن) أنه في هذا

النمط من الجيرة غير المتصامة ينتشر التخريب ، وروح عدم التدخل فيما يجري ، كما أن ظواهر الاجرام مثل تفشي المخدرات،وسرقة السيارات وتهشيمها،وانتشار ظاهرة الدعارة،تزداد في مثل هذا النمط من الجيرة ، وهروبا من جو عدم الأمن في هذا المحيط الاجتماعي يغادر كبار السن إلى أماكن أخرى ، بحثا عن أحياء أكثر طمأنينة ، وتظهر في مثل هذا المحيط المخيف أنماط سلوكية جديدة ، تجعل الناس يتحاشون بعضهم بعضا ، وهكذا تضعف وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمية ، وهو عكس ماكان يتصف به المجتمع المحلي القديم الذي كانت له وسائله الخاصة في السيطرة على الجريمة داخل حدوده

ويرى المؤلف أن عوائق عمل الشرطة في المجتمع الاميركي تعود ـ إلى حد كبير ـ إلى طبيعة علاقتها بالجيرة حيث تمارس عملها ، ففي الستينيات قيل بأن طبيعة هذه العلاقة كانت السبب الرئيسي لانتفاضات السكان السود ، وبسببها أطلق السود الأمريكيون عبارات مثل جيش الاحتلال ، والخنازير على الشرطة ، وأطلقت الشرطة عبارات مثل المشاغبين ، والفوضويين على المواطنين السود ، وعندما أجريت بحوث حول العلاقة بين الطرفين تبين أن ثلث المستجوبين السود كانوا ينتقدون شدة شرطة المدينة ، ويعني هذا أن الأغلبية السوداء لاتعادي الشرطة وتدل نفس البحوث أن العداء بين الشباب (البيض ، والسود ، والأغنياء ، والفقراء) والشرطة ظاهرة منتشرة ، لكن تفيد البحوث في النهاية بأن السود هم أكثر الفئات انتقادا للشرطة ويرى (ولسن) أن نظرة الشرطة للمواطنين السود تغلب عليها السلبية ، ويرجع ذلك إلى كون اتصال الشرطة بالمواطن الأمريكي الأسود الفقير يفوق اتصالها ببقية فئات المجتمع ، فالشرطة تتدخل في المخاصمات العائلية في المناطق الفقيرة ، بينما تكون مثل هذه المخاصمات في الأحياء ذات الرفاهية إما ذات طبيعة غير تهديدية أو أنها تبقى مستترة عن الرأي العام

البوليس والسود :

ويرجع صاحب الكتاب انتار العلاقة بين السود والشرطة إلى عامل اللون ، وظروف الحياة في محيط السود

يبدو أن الكراهية بين الجانبين تعود إلى الواقع الاجتماعي السائد بينهما ، وليس إلى صفات أو اتجاهات شخصية عند الطرفين ، وتتمثل بعض ملامح الوضع الاجتماعي هذا في تناقض توقعات المواطنين مع توقعات الشرطة ، ففي جريمة سرقة الممتلكات (كالتلفزيون مثلا) يود المواطن استرجاع بضاعته بينما يرى الشرطي صعوبة إمكانية ذلك ، والمواطن يتمنى أن تقوم الشرطة بالبحث السريع الصارم بينما تجد الشرطة نفسها لاتملك القدرة التي تسمح لها بالقيام بمثل ذلك البحث لعدم توفر الوقت والامكانيات

وليس هناك في الحقيقة من عامل يثير العواطف ويقسم الآراء في المجتمع والجيرة أكثر من عامل لجوء الشرطة إلى قتل المواطنين أحيانا ، وللتخفيف من حوادث القتل التي تقوم بها الشرطة يرى صاحب الكتاب ضرورة اتخاذ سياسات صارمة بخصوص شروط إطلاق النار على المواطنين ، ومن ثم يدعو الى تقييم السياسات الحالية ، فكل أقسام الشرطة تعترف بحق الشرطي في إطلاق النار على أي شخص إذا كان ذلك للدفاع عن نفسه أو عن الآخرين ، وصعوبة أخذ قرار حاسم وواضح في هذا الميدان ترجع إلى سببين

١ ـ أي المعايير يجب استعمالها للتيقن بأن حياة الشرطي أو المواطن (المتفرج) في خطر ؟

٢ ـ هل ينبغي أن يسمح للشرطي أن يطلق النار على المتهم الفار ؟ وهل ينبغي التمييز بين الكهل والشاب ؟ وهل ينبغي التمييز بين الشخص الذي ارتكب جريمة باستعمال العنف ، وبين من ارتكبها بدون عنف ؟

ويرى المؤلف ضرورة تدريب الشرطة لتصبح أكثر كفاءة في أداء عملها ، بينما يعتقد الانسان العادي أن

كتاب الشهر

استعمال العقوبة في المجتمع يؤدي إلى انخفاض نسبة الجريمة فيه ، لكن علماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع مختلفون في ذلك ، فالاقتصاديون يتفقون مع المواطن العادي ، أما علماء الاجتماع فيرون أن هذا الاعتقاد خاطىء من الأساس ، إذ الجريمة في نظرهم لاتزداد بمجرد معرفة الناس أنهم لايعاقبون على ارتكابها ، ولا تنخفض بسبب اتخاذ المجتمع سياسة متشددة مع المنحرفين والمجرمين ، ورغم هذا التباين في وجهات النظر فإن ذلك لايعني أن آثار الترهيب معدمة تماما على الأخص في التخفيف من ظاهرة الجريمة في المجتمع ، إذ أن الادعاء بأن سياسات الترهيب ليس لها أي أثر على ظاهرة الجريمة ادعاء يتناقض مع أبسط وقائع الحياة اليومية ، ودراسات العلوم الاجتماعية بهذا الشأن تفيد بأن الترهيب ينقص من نسب ظاهرة الجريمة

وهناك من يرى أن الحل الأساسي لهذه الظاهرة يتمثل في توفير فرص العمل للمواطنين ، إذ أن ذلك يشجع الفرد على العمل ، ويشعره بمنافع السلوك السوي ويسوق (ولسن) بعد ذلك أمثلة من مشاريع أمريكية كان هدفها التعرف على علاقة إيجاد العمل بظاهرة الجريمة ، وهو يرى أن مسألة الاصلاح ليست عملية بسيطة ، يؤدي فيها - بالضرورة - توفير العمل إلى انخفاض الجريمة ، فطالما تتدخل عوامل أخرى تجعل الوضع معقدا ، ويقول « أعتقد أن أحكم السبل لاصلاح المجتمع هو محاولة زيادة كل من منافع السلوك السوي وثمن الجريمة في نفس الوقت »

مؤسسة السجن :

يؤكد (ولسن) على أهمية المحافظة على مؤسسة السجن كوسيلة لضبط الجريمة للحالات الثلاث التالية -

١ - الأفراد المعيدون للجريمة ، وهم يمثلون حسب الاحصائيات نحو ثلثي المساجين في السجون الأمريكية

٢ - المنحرفون الذين لايؤدي سجنهم إلى تشجيع آخرين لممارسة انحرافاتهم ، فسجن السارق مثلا لا ينتج عنه بالضرورة استقطاب شخص آخر لتعويضه في جريمة السرقة ، إذ أن ظاهرة التعويض هذه طالما تحدث مايسمى بالجريمة المنظمة على أسس تجارية ، مثل جرائم المخدرات والدعارة

٣ - أن لايصبح السجن مدرسة يصلب فيها عود إجرام السجين ، وليس هناك من أدلة مقنعة بأن هذا هو مايقع فعلا للسجين ، فالبحوث حول دور السجون بخصوص التحقق من ظاهرة الجريمة تفيد أن النتائج إيجابية على العموم ، على الأخص إذا تم سجن المنحرفين الأكثر خطرا

ونظرا لاشكالية التعرف بطريقة قاطعة على أخطر المنحرفين ، ينادي المؤلف بالحكم بمدد سجن قصيرة على المنحرفين الأقل ضررا على المجتمع ، ويعتقد أن ضرورة القيام بعملية انتقاء المنحرفين الذين يلزم سجنهم عملية مهمة لضبط الجريمة ، ويشكك في مدى أهمية حجة معارضي السجون على أساس أنها تزداد اكتظاظا كل يوم ، ويرى أن التساؤل الأكثر أهمية هو أي المنحرفين ينبغي سجنهم ؟ وأي نوع من السجون أكثر ملائمة لطبيعة جريمتهم ؟ وأي مدة سجن ينبغي أن يحكم بها عليهم ؟ ويحذر من مغبة التبني الأعمى للمبدأ القائل ان أفضل طريقة لضبط الجريمة يتمثل دائما في إصدار أطول مدة سجن على الجاني

الإعدام .

يرى مؤلف الكتاب أن الأمور اليقينية المتعلقة بتأثير عقوبة الاعدام على ظاهرة الجريمة يمكن حصرها في شيئين اثنين ، أولهما أنها تضع حدا لارتكاب الجريمة لدى الذين ينفذ فيهم الحكم ، وثانيهما أنه ليس لها أي أثر إصلاحي على الذين يتم إعدامهم ، أما التأثيرات الأخرى المحتملة لعقوبة الاعدام على نسبة الجريمة في المجتمع فهي غير واضحة ، ونحن لانعرف إذا كان لتطبيقها - كما مورست في المجتمع الأمريكي - أثر

رادع على الجناة القتلة ، وليس لنا علم ايضا إذا كان لهذه العقوبة أثر رادع أكبر من بعض العقوبات الأخرى ، مثل عقوبة السجن لمدة طويلة ، ولاندري إذا ماكان هناك تمييز عنصري في تطبيق عقوبة الاعدام في المجتمع الامريكي ، وفي رأيه أيضا أنه من غير المحتمل أن تتضح هذه الحقائق كاملة ، وفيما يتعلق بالتعرف على العامل الردعي لعقوبة الاعدام يذكر المؤلف أول دراسة بهذا الصدد ، وهي دراسة (ترستين سلن) الذي لا يؤيد عقوبة الاعدام ، ومن النتائج التي توصل إليها هو مع (دُنالد كاميون) أن نسبة الشرطة الذين قتلوا في الولايات الأمريكية حيث تطبق عقوبة الاعدام لاتختلف عن نسبة قتلهم حيث تطبق هذه العقوبة ،»ولقد انتقدت هذه الدراسات بسبب ضعفها المنهجي ، وتعريفها لمعنى تلك العقوبة ، وأحسن الدراسات لمعرفة تأثير تلك العقوبة هي مايسمى بالدراسات الطويلة المدى ثم يذكر المؤلف دراسة (اسحاق اهرليش) التي حاول بها اكتشاف التأثير السوي في اختلاف عدد الأشخاص المنفذ فيهم حكم الاعدام في المجتمع الامريكي بين (١٩٣٣) و (١٩٦٩) على نسبة جريمة القتل ، وتقول هذه الدراسة أن إعدام شخص إضافي سويا أدى إلى انخفاض سبع أو ثماني جرائم قتل في العام

ويتطرق المؤلف لمناقشة عامل التمييز العنصري ، وعلاقته بتطبيق عقوبة الاعدام في المجتمع الأمريكي ، فيذكر بحوث العالمين (مارفن وولف جانج) و (انتوني امرستردام) التي وجدت أن إعدام السود المرتكبين لجريمة الاغتصاب كان أكثر من سبع مرات من إعدام البيض في الولايات الجنوبية الأمريكية .

الهيروين .

يرى المؤلف أن كثيرا من الاعتقادات السائدة حول مخدر الهروين لاتستند ـ في الحقيقة ـ على أرضية متينة ، ومن هذه الاعتقادات الخاطئة اعتبار بعض الناس أن استعمال مخدر (الميثدون) يمكن أن يكون بديلا (للهروين) ، وأن سماح المجتمع بتعاطي (الهروين) يؤدي إلى انخفاض ملموس في جريمة النهب ، وأن تشديد القوانين على مستعملي (الهروين) ينتج عنه ارتفاع مهول في ثمن هذا المخدر

ثم يتعرض صاحب الكتاب إلى أربع نظريات لتفسير ظاهرة تعاطي (الهروين) في المجتمع الأمريكي هي

١ ـ ازدياد الدخل الفردي في فترة الازدهار في الستينيات

٢ ـ تكاثر حركات الشباب المنادية بممارسة الحرية الشخصية على كل المستويات

٣ ـ كون حرب فيتنام فرصة سانحة للجنود الأمريكيين لتعاطي (الهروين) ، وذلك للتخفيف من حياة الملل والخوف وتدني المعنويات

٤ ـ استمرار انهيار التركيبة الاجتماعية ، وخاصة للعائلات السوداء ذات الدخل المنخفض وقد أدى هذا الوضع ـ في نظر المؤلف ـ إلى بروز ظاهرة (الشلل) كبديل للفرد الذي تشكو بيئته من فقد التضامن الاجتماعي ، أما علاقة تعاطي (الهروين) بظاهرة الجريمة فيقول المؤلف فيها « إننا لانعرف كثيرا عن هذه العلاقة ، والذي نعرفه ـ إلى حد ما ـ في هذا الميدان هو أن معظم جرائم مدمني (الهروين) تتمثل ـ أساسا ـ في جرائم بيع المخدرات ، والسرقة ، والسطو بقصد السرقة » □

العربي - العدد 338 - يناير 1987

من المكتبة العربية

الشرقاوي.. ورؤية جديدة في كتاب عن خامس الخلفاء

بقلم : فاروق خورشيد

عبدالرحمن الشرقاوي اسم لمع وسط ضباب كثيف ، فبينما كان التماس الشهرة والصيت يأتيان من الاستجابة للدعوة الى الكتابة عن السلف والاعراق في تمجيد أعمالهم ومثلهم وسلوكهم واحتذائها ، كان الشرقاوي يتحدث عن المساواة ، وعن آلام الطبقة العاملة ، وعن ثورة المظلومين المطحونين تحت سنابك الثروة والجاه والسلطة ، وحين لم يعد طريق الشهرة والصيت يأتي إلا من الانتهاء الى قضايا الكادحين ، وثورة الطبقة العاملة ، وتبني الفكر المتطرف في الهجوم على الطبقات ، والدعوة الى الثورة واحلال الفكر التقدمي المحرر من كل ارتباط بقيم السلف وقيم الدين ، خرج عبدالرحمن الشرقاوي الى عالم الكتب وعالم القراءة بمجموعة من الأعمال التي تستند في جذرها الى الدين ، وتتلمس المثل الأعلى في أنبل اتباع الدين عبر تاريخ الاسلام كله

استطاع الشرقاوي أن يزيح من أمام فكره وعينيه كل ضباب ، واستطاع ان يهتدي الى قيمه وبنفسه ورسالته ، ذلك انه عرف أن دعوة الحق تحمل معها دعوة المساواة ، وأن كلمة الاسلام تحمل أيضا كلمة العدالة ، وان الدين ليس تهجدا كله ، وليس تصرعا كله ، وليس تواكلا كله وانما الدين هو العمل ، وهو الجهاد وهو الأخوة في الاسلام فأعاد ترتيب ما قرأ من تراث دينه العظيم ، وأعاد أيضا ترتيب ما قرأ من جهد الانسانية العظيم وأحس ان العلاقة بين ما آمن به صبيا وشابا ورجلا ،

يتطابق تماما مع ما قرأه صبيا وشابا ورجلا ، فالدين هو الحرية ، ورجل الدين هو المثل الاعلى في السلوك والتضحية والعطاء من أجل أن يسود الانسان وما الانسان الا عطاء كل هذه القيم ، ووليد كل هذه النفحات الروحية ، يجعلها سلوكا مرة وعلما مرة وحرية واخاء في كل مرة

وحين استقر قلب الشرقاوي على هذا المعنى رضيت نفسه ، ورضي عقله معا ، وعاد يغوص في أعماق تاريخ أمته ودينه هذه الأمة كيف سادت وقادت وحكمت ؟ وهذا الدين كيف هدى ووجه وشيد ؟ المحور الدائم في كل شيء هو الانسان

خامس الخلفاء

وقف الشرقاوي عند أعلام الفكر طويلا ، ووقف عند اعلام الكفاح طويلا ، ثم هاهو يقف عند علم من اعلام الملك

عند عمر بن عبدالعزيز يقف وهو من البداية يلخص كتابه عنه في سطور وجيزة فيقول

« لم ينعم فتى فيها أترف فيه كما تنعم عمر بن عبدالعزيز ، ولم يستمتع شاب بزينة الحياة وبالطيبات من الرزق كما تمتع ، ولم يتمتع أحد بنعمة ربه كما حدث

هكذا كان أمر عمر خامس الخلفاء كما يسميه ، وكما أسماه من قبله كتاب مسلمون ومفكرون مسلمون ، أحبوا في هذا الأمير تحوله الكامل الى النسك حين غدا أميرا للمؤمنين ، ويصف الشرقاوي هذا التحول قائلا

« ولكن المسئولية أدركته على غير رغبة منه ، فاذا الامير المترف المتنعم ، يتحول فجأة الى راهب مخشوشن ، وإذا ضحكاته التي جلجلت في ارجاء قصره تفيض في دموع غزيرة من خشية الله ، ومن هول ادراكه لمسئولية الراعي عن الرعية واذا هو لا يستمع لصوت يتغنى بعد ، الا إذا انطلق بترتيل القرآن الكريم ، واذا هو يأمر بجمع كل ما يملك من ثياب ودواب وعطور وزينة ، فيبيعها جميعا ، ويضع ثمنها في بيت المال ، ولا يستبقي غير الكتب »

ويصف الشرقاوي هذا التحول نحو الاخرين ونتائجه بقوله

« واذا هو ينتزع من أهله الأمويين الأمراء كل ما أترفوا فيه ، ليردوه الى أصحابه أو الى بيت المال ، وهكذا تحول أهله الى شر عدوه ، فلم يمهلوه وما لبثوا أن دسوا له السم ليتخلصوا منه ، وليستردوا ما سلبهم و هكذا لم يتح له ان يحكم الا ثلاثين شهرا ، ولكنه ملأ الدنيا خلالها عدلا ، بعد أن ملئت ظلما

ثلاثون شهرا من عمر الزمان صنعت هذا الاسم الذي خلد كواحد من أعدل وأبر حكام الدنيا ، وكعلم من أبرز أعلام حكام المسلمين وما جاد الزمان بمثله بعده ، وما كان ليجود فالناس يرددون حبا وأنانية ، يعشقون المثل العليا ، ولكنهم لايطيقون العيش في ظلها

كان عمر يتأسى بجده لأمه عمر بن الخطاب ، وبمثله الاعلى في السلوك والخلق علي بن ابي طالب وكلاهما مات مقتولا ، وها هو يموت مثلهما قتيلا بيد غادرة تدس السم وتفسد بالمال الذمم ، وتحيل الخادم المخلص الى قاتل مأجور

ويلخص الشرقاوي موقفه من السابقين له في الحكم وفي العدل وفي الزهد ، هؤلاء الذين نظر اليهم فاحتذى حذوهم فيقول

« بحث عمر بن عبدالعزيز عن سيرة علي وتشبه به في زهده ، وصدق عزمه ، وبحث في سيرة الفاروق عمر ليتشبه به في عدله وحكمه ، وبحث في سيرة أبي بكر ليتخذ منه الأسوة في حسن بلائه في الله ، ودرس تاريخ عثمان ليترسم خطاه في بذله وتقاه والأسوة الحسنة لعمر بن عبدالعزيز هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، هو امامه ومثله الأعلى ، ثم من بعده

الخلفاء الأربعة الراشدون ، وهم بالرسول وعلى اثاره مقتدون »

موقف من العصر

أوضح الشرقاوي بهذه العبارات الموجزة الدالة موقفه من صاحب السيرة التي يتعرض للحديث عنها ، كما أوضح موقفه من عصره كله فالعصر عصر احتلت فيه الموازين ، وسيت القدوة ، وضاعت مناهج السلف ، والرجل رجل دنيا عرفها وأحبها ، ولكنه حين ولي السلطة غدا رجل مسئولية يعود الى كل شرائع الدين ، والى كل أسوة السلف الصالح ويصحح الرجل ، ويمثل العصر

ويبدأ الشرقاوي رحلته مع بطل السيرة قبل مولده وقد ولد عمر بينما كان أبوه عبدالعزيز بن مروان والياً على مصر ، وعمه عبدالملك بن مروان هو الخليفة في دمشق ، ويقضي عمر طفولته في مصر ، ويجد الشرقاوي فرصته السانحة ليلقي الضوء على هذه الفترة من حياة الخلافة الاسلامية ، وما امتلأت به من مؤامرات ودسائس ، وما حفلت به من حروب وفتن ، ومند اللحظة الأولى يثب الحجاج ملقيا بظله الكثيف على العصر ، فهو قائد جيش عبدالملك بن مروان الذي هزم عبدالله بن الزبير في الكعبة ، وقضى على جيشه وقتله ، وأرسل رأسه الى الخليفة في دمشق ، بينما هدم الكعبة على رؤوس من لاذوا بأستارها ، ومن يومها والطفل يحمل عداوة لا تهدأ للحجاج السفاح ، عداوة تزداد مع الزمن حين يصبح الطفل صبيا يتلقى العلم على شيوخ المدينة وفقهائها ، يتلقى علوم الدين وعلوم اللغة والشعر الذي هو ديوان العرب وفي مجالس أبيه في مصر يلتقي بمجالس العلماء والشعراء يزداد منها حكمة ومعرفة ، ثم يموت أبوه فيرسل عبدالملك بن مروان الى عمر أن يلتحق به في دمشق ، حيث يقربه اليه ويعيش في كنفه ، ليشهد مصنع الأحداث ، وعنف سلطان عبدالملك بن مروان ، وامتداد الرقعة الاسلامية ، مع اضطراب المجتمع وعنف القيادة وكثرة المظالم والشرقاوي يرسم العصر ساقصاته ، ويرسم صور رجاله وشخصياتهم ، ويعكس لنا الروح السائدة فيه وهو ينتقل بنا مع بطل في مرحلة الشباب الى

المدينة ، اذ غدا عاملا على الحجاز ، واستقر في المدينة التي يحمل لها كل الحب القديم ، والتي يأتيها بكل هذا الحب القديم ، ليكون لها مجلس شورى يساعده في عمله كحاكم اقليمي ، فقد عانت الحجاز من عنت الأمويين ما ضاقت به صدور أهلها ، ومن المظالم ما أثار حفيظتهم وحنقهم ، وبدأ الوالي الجديد بأن أطلق السجناء ، وانطلق ينشر ضوء الحرية والعدالة ، وأوقف سب عليّ وآله ، كما أوقف النيل من عمر وأبي بكر ، ووثق علاقته بسعيد بن المسيب أكثر الزهاد ورعا وحكمة ، يستشيره في أمره ، ويسأله فيما يشكل عليه من أحكام ، ويمضي الشرقاوي في أمر المدينة وأحوالها أيام عبدالملك ثم أيام الوليد بن عبدالملك ، ويفيض في أخبار أهلها من نساك ومن شعراء ومن أهل مجون ، اذ يسرت لهم الثروات الوافدة حياة الدعة واللهو ، ولكنه لا ينسى أن يضع أيدينا على الدسائس والمؤامرات ، وأن يكشف لنا عن هذا العداء بين الاتجاهين في الولاة ، احدهما يمثله عمر بن عبدالعزيز والي الحجاز ، والثاني يمثله الحجاج والي العراق ، واحد يريد أن يرفع بالحب أمر المحكومين والحكام ، والثاني يريد بالقهر أن يذل المحكومين ، وأن يضع أموالهم ورقابهم تحت نعال الحكام والصراع يستمر حتى يقضي الوليد ويتولى سليمان بن عبدالملك الأمر ، وعمر قد نحي عن ولايه الحجاز ، وجاء يعيش في دمشق مشيرا بالمعروف على الخليفة في قصره وأمره وحكمه فاذا ما أوشك سليمان أن يغادر الدنيا ولي بعده عمر بن عبدالعزيز ، ومن بعده يزيد بن عبدالملك ، لتهدأ الفتنة ولا تثور ، إن هو تخطى أولاد بن عبدالملك الى أولاد بن عبدالعزيز ، انها لحظة رؤية باهرة فصلت مصالح المسلمين ومصالح الدولة كلها ، واتجهت خالصة النية الى تولية أخلص الناس وأحكمهم وأسدهم وأكثرهم فهما لمعنى الحكم

وقد كان ، ما ان ولي عمر الأمر حتى ودع ترف الدنيا ولبس مسوح الزهد ودع المال والراحة والجواري ، وانصرف بكليته الى احلال العدل واحقاقه ، والعودة بالناس الى الكتاب والسنة ، فلا أمر الا للكتاب والسنة .

وغضب بنو أمية ، وغضب الوجهاء وأصحاب النفوذ والمال ، وغضب الشعراء والمداحون وأعضاء

الحاشية ، فقد نحى كل هؤلاء ليفسح مجلس أمير المؤمنين لأصحاب الحاجات والمظالم من أبناء الشعب في كل مكان من الرقعة المترامية للدولة الاسلامية التي دانت في أوجها في عهده وعالج ما اقترفه العمال الظلمة في العهود التي سبقته ، فرد كل ما اغتصب الى اصحابه ، وعمر ما خرب ، واعاد للناس أموالهم واملاكهم ، وأمن الجميع على معنى العدل ، ومعنى الحق ، ومعنى الاسلام ، ويعقب الاستاذ الشرقاوي على هذا كله يقول « والناس على دين ملوكهم ، ولقد كان الوليد صاحب بناء فاهتم الناس بالمباني ، وكان سليمان صاحب طعام ورواج فاهتم الناس بالطعام والنساء ، وجاءهم عمر صاحب فقه وتقوى فاهتموا بالدين » ويجيء تعقيب المؤلف ليؤكد صدق رؤيته للحدث وللشخصيات التي تتصدر الحدث وتؤثر فيه ، فعبدالرحمن الشرقاوي لا يعرض السيرة لمجرد عرض حياة صاحبها ، وانما هو يعرض هذه الحياة لتكون نقطة ارتكاز ينطلق منها لفهم العصر أو العصور التي أثرت في حياة الاسلام والمسلمين ، وفي ذهنه دائما محاولة للاجابة عن السؤال المهم كيف كنا ؟ ولماذا كنا ما كناه ؟ فاذا الأمر في النفوس التي ان صلحت بالدين فقد صلح أمر العصر ، وان فسدت تحت الحياة والاحتفال بها فقد فسد الأمر وفسد العصر ، وفسدت الأمة كلها ومن خلال الحدث تظهر الرؤية،ويخرج المؤلف بحكمه على الحاكم والمحكوم معا يرسم العوامل التي اسرت في بناء النفوس للناس وللحكام ، ثم يعود لرسم النتيجة التي أفرزتها هذه العوامل ، لتؤثر من جديد في سلوك الناس وسلوك الحكام جميعا فاذا الرؤية واضحة ، اذ كان الطريق اليها الدرس الشاق لكل مظان الأخبار والأحداث ، والاختيار الذكي البقظ من بين هذه التراكمات التي تمتلىء بها كتب الأخبار من أخبار وأحداث ، واعادة صياغة هذه الأخبار المنتقاة ، لترسم صورة العصر كما يراه ، ولترسم صورة الرجل كما وحده ولتبرز في الصورة كل عوامل الصراع وكل عوامل التناقض ، فإذا نحن على هدى من أمرنا ، نقرأ فتبدت الحياة كاملة في عصر وراء عصر ، ونفهم ما نقرأ في يسر ، فتصحب هذه الحياة بالمعرفة والحكمة ووضوح الرؤية فالأمر في تاريخنا الاسلامي ليس هينا على من يحاول قراءته والتعرف عليه ، فتاريخنا الاسلامي هو تاريخ الحضارة الانسانية في لحظة امتزاج بين الشعوب التي دخلت الاسلام وارتضته دينا ، فجاءت تصب حكمتها وحضارتها لتمتزج في بوتقة واحدة هي الاسلام بمثله وشرائعه وأحكامه ، ليصبح معنى الحضارة ، ولتصبح الأمم أمة واحدة تسعى لخير الانسان وتقدمه وازدهاره

وسيلة لرؤية الحياة

والكاتب ان لم يفهم حقيقة ما تحدثه هذه الحركة الحضارية،من صراعات ومعارك تؤثر لا في حدود الأقاليم وحسب ، وانما في الوجود الانساني أيضا ، كاتب لا يقدم لنا جديدا لقد نجح الشرقاوي في أن يجعل من عمر بن عبدالعزيز وسيلتنا لرؤية الحياة في تدفقها ، واستمرارها ، نجح في أن يضع ايدينا على معنى الحق والعدل وهو يصارع قوى الأنانية والشر ، فاذا هو ينتصر مرة ، واذا هو يهزم مرات ، ولكنه يظل خالدا بمعناه وقيمه ، يهدينا دائما الى ان صراع الحق من اجل الاستمرار والبناء ومن أجل العدالة والمساواة ، صراع دائم ومستمر ، مشرق برجاله وان هزموا ، مشرق بأعلامه وان تعرضوا للتآمر والاغتيال ، مشرق دائما لأنه أمل الانسانية ولانه معنى الوجود والحق للانسان الحق وفي كل كتاب جديد لابد أن نسأل أنفسنا ، هل أضاف لنا جديدا ؟ أم أنه أضاف للمكتبة شيئا يوجد ليبقى ، وفي هذا الكتاب وجود حي لا يبلى ، وجود نفس تواقة أحبت شخصية عمر الفذة ، فتدفقت حبا وفهما واشراقا ، ناقشت الرجل الذي أحبته في طموحه الى المثل الأعلى ، تاقت معه لتحقيق هذا المثل ، وخافت أن يهزمه الشر الذي يحكم ضمائر أصحاب المصالح والنفوذ ، وقلقت مثله على مصالح الناس ، وتألمت مثله مما يصيبهم من ضرر وتعاسة ، وفرحت معه وهو يحقق العدالة ويذب عن الحق ، ثم سقطت في هوة الحزن ، ففاضت دموعها شعرا وكلمات كالشعر حين سقط العلم ، وحين دوى الأمل ، علها من هذا السقوط ترفع رؤوسنا تتطلع الى نفس الحلم ، وتريد نفس المثل الأعلى ، وعلها من هذا الذي دوى تصنع حلما جديدا وتهدي قلوبا حائرة □

مكتبة العربي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مختـــارات

الكتاب (حرائق ودخان)
المؤلف المصطفى احماهري
الناشر اتحاد الكتاب العرب بدمشق
عدد الصفحات ١٣٠ صفحة من القطع الصغير

مجموعة قصصية ثانية لكاتب مغربي شاب ، استطاع العثور على لغة خاصة به ، يرسم بها أجواء المغرب المميزة ، راصدا الظواهر بدقة ، ومعربا الوقائع التي تحكي انتقال شرائح اجتماعية مغربية من طبقة الى أخرى كل هذا قدمه الكاتب الشاب عبر إحساس فني متميز ، ووعي اجتماعي لا تخطئه عين

تتوزع موضوعات القصص العشر التي تضمها المجموعة بين الحكاية المحلية التي أجاد الكاتب اختيارها ، والقصة الحاليّة التي تكسر إطار السرد التقليدي ، والقصة التي تتابع همّا ذاتيا بامتدادات فلسفية معمقة

■■

الكتاب عيون « اسرائيل »
المؤلف عبدالكريم أبو الهدا
الناشر منشورات القاعدة ببيروت
عدد الصفحات ١٣٢ من القطع المتوسط

عيون « اسرائيل » التي يتناولها الكتاب هي المخابرات الاسرائيلية - الموساد - التي ظلت إلى زمن قريب نسبيا حقلا مجهولا بالنسبة للكثيرين منا

ولايكتفي المؤلف بتتبع النشأة التاريخية للاستخبارات الاسرائيلية قبل قيام الدولة الصهيونية بوقت طويل فحسب ، بل يتتبع كثيراً من أنشطتها ، ملقيا الضوء على علاقاتها مع أجهزة الاستخبارات الأخرى ، سواء كانت تلك الاستخبارات أمريكية أم عربية أم أجهزة رديفة لها ، تقوم بنفس الدور الذي تلعبه الاستخبارات الاسرائيلية على صعيد المنطقة والعالم ، مثل جهاز مخابرات نظام جنوب أفريقيا العنصري

والمعلومات الواردة في الكتاب حصيلة قراءات حول معلومات سابقة ، بالاضافة إلى معلومات تم الحصول عليها مباشرة من خلال الصراع الذي تخوضه حركة المقاومة الفلسطينية ضد عدوها الصهيوني

■■

الكتاب عبقريات شامية
المؤلف عبدالغني العطري
الناشر مطبعة الهندي بدمشق
عدد الصفحات ٢٠٥ من القطع المتوسط

رغم مايدل عليه العنوان لا يتوقف مؤلف الكتاب عند الحديث عن عباقرة الشام أو سوريا ، بل يتجاوز ذلك ليتحدث عن بعض الأماكن ، وبعض العادات التي لا تخلو من طرافة ، مثل الفصل المعنون « دفتر النسوان الشامي » الذي يذكر فيه بعض المعتقدات الأسطورية التي تؤمن بها نساء الشام التقليديات

والكتاب يتناول أيضا شعراء الشام الكبار في النصف الأول من هذا القرن أمثال خليل مردم وخير الدين الزركلي ، ومحمد البزم ، وشفيق جبري ، ويلقي ضوءا على أجواء السياسة والأدب والفن في دمشق على الأخص خلال تلك الفترة ويعيد إلى الأذهان فترة تختلط فيها العفوية والبساطة بمشاعر الوطنية التي يغلب عليها طابع (رومانسي أصبح ذكرى من الذكريات

الكتاب/ حرب السنبلة ـ شعر
المؤلف/ عصام ترشحاني
الناشر/ اتحاد الكتاب العرب بدمشق
عدد الصفحات/ ٧٨ من القطع المتوسط

هو الكتاب الشعري التاسع للشاعر الفلسطيني عصام ترشحاني ، يواصل فيه النسج الفني المميز ، نفس أدواته التعبيرية ، ونفس مادته الشعرية التي تسرح فيها أعشاب فلسطين وزهورها ورائحة البارود ، وملمس البنادق ، ورائحة دماء الشهيد

تتراوح قصائد الديوان بين قصيدة موقف وقصيدة طويلة ذات نفس ملحمي ، وفي قصائد الديوان كلها تظل فلسطين حاضرة ، متمثلة بسماتها السري ، أو أبنائها الذين لم تحطم الغربة والمذابح إرادة الحياة لديهم

■■

الكتاب/ العلاقات الألمانية الفلسطينية
المؤلف/ الدكتور علي محافظة
الناشر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت
عدد الصفحات/ ٢٧١ من القطع الكبير

يتناول هذا الكتاب موضوعا ـ يعتبر إلى حد كبير ـ مجهولا بالنسبة لنا نحن العرب ، فبينما نعرف كثيرا من العلاقات الفلسطينية مع دول أوروبا الاستعمارية فإننا لا نعرف سوى القليل عنها مع ألمانيا ، تلك العلاقات يتابعها المؤلف منذ كانت نشاطا تبشيريا على أرض فلسطين ، إلى أن تحولت إلى استيطان بعض الألمان ، وحتى في الحقبة النازية التي شهدت بعض العلاقات الفلسطينية الالمانية ، عبر شخصيات مثل رشيد عالي الكيلاني ، والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين في ذلك الوقت كما يبين الكتاب أن العلاقات بين ألمانيا النازية والحركة الصهيونية لم تنقطع

وربما كان من أطرف فصول الكتاب وأمتعها الفصل الأخير الذي يتحدث عن العلاقات الالمانية الفلسطينية في الفترة من ١٩٣٣م إلى ١٩٤٥م

■■

عنوان الكتاب/ اسطرلاب يوسف المسافر
المؤلف/ يوسف زروقة
الناشر/ دار الرياح الأربع بتونس
عدد الصفحات/ ١١٢ صفحة

الكتاب عبارة عن مجموعة شعرية رابعة ، للشاعر التونسي يوسف رزوقة ، تضم ٢٥ قصيدة ، كتبها بأسلوب جمالي متطور ، على الخط الذي جاءت فيه مجموعاته الأولى ، وهو يستعين في قصيدته بالتراث والأسطورة ، إلى جانب حرصه الدائم على تجريبية القصيدة وموضوعات هذه المجموعة تتراوح بين الهم المحلي اللصيق ببلد الشاعر ، وبين الهم القومي ، كما في قصيدة « حريف الكلام » ، وقصيدة « اسطرلاب يوسف المسافر »

ويوسف رزوقة هو أحد الأصوات المحددة في الشعر التونسي ، وهو متمرد وأصيل بقصائده ذات البعد الواحد ، وفي نزوعه نحو المعاصرة

■■

الكتاب نقد الصحوة الدينية
المؤلف خليل علي حيدر
الناشر شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت
عدد الصفحات ٢١٤ من القطع الصغير

كتاب جديد للكاتب الشاب خليل علي حيدر ، يواصل فيه دراساته التي نشر عددا منها في الصحف الكويتية ، وأخرى في كتب تتناول الحركات الدينية التي اكتسبت أرضا جديدة ، خلال عملها على الصعيدين الديني والسياسي

وأبرز مايميز الكتاب ذلك الطابع السجالي الواضح عند تناول ما أصطلح على تسميته بأحزاب الصحوة ، فالكاتب لايكتفي بإلقاء ضوء على نشأة هذه الحركات ، والأحزاب ، بل يعرض فكرها من منظور نقدي ، ثم يدخل مع هذا الفكر في سجال تعينه معرفة الكاتب بموضوعه ، وتكريسه له الحيز الأكبر من اهتمامه

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد 338
يـنـايـر 1987

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى 50 دينارًا
الجائزة الثانية 30 دينارًا
الجائزة الثالثة 20 دينارًا
8 جوائز تشجيعية
قيمة كل منها 10 دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد 748 - الرمز البريدي 13008 الكويت ، مسابقة العربي العدد 338 ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو 15 فبراير 1987

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد
338

1 - ترى ما عدد المسلمين في الهند ؟
- حوالى 25 مليون نسمة
- نحو 50 مليون نسمة
- اكثر من 90 مليون نسمة

2 - هل تمطر السماء سمكا ؟ ومتى ؟

3 - لعلك تعرف ان النجوم الوان والوان ... منها الاحمر ومنها البرتقالي ومنها الاصفر ... هذا فضلا عن الابيض و الازرق والبنفسجي ... ترى ماهو لون أشد النجوم حرارة ... وماهو لون اقلها حرارة ... ؟

4 - الصحراء الكبرى هي اكبر صحاري العالم كما هو معروف ... تبلغ مساحتها 9 ملايين كيلو متر مربع ... تزيد قليلا ... ترى ماهي نسبة ماتغطيه الرمال من هذه الصحراء ... ؟

- الرمال تغطي 90 / من الصحراء الكبرى
- الرمال تغطي 50 / من الصحراء الكبرى
- الرمال تغطي 10 / من الصحراء الكبرى

5 - أي سلاسل الجبال التالية هي الأصحم ؟
- سلسلة جبال هملايا
- سلسلة جبال روكي
- سلسلة جبال الأنديز

■ سلسله حبال منتصف المحيط الاطلسي (المغموره في الماء صنعا)

6 - اسامك حرك 17 عضله من عضلاتك ، فكم عضلة يحرك عبوسك

■ نحو 40 عضله

■ نحو عشرين عضله

■ نحو 10 عضلات

7 - الالعاب الاولمبيه العاب اعريقية قديمه كما هو معروف ترى أي هذه الألعاب كانت خاصة بالنساء ؟

8 - جبل كليمنجارو يقع في المنطقه الاستوائيه البالغه الحراره (في شمال افريقيا) ومع ذلك فانه مكلل بالثلوج صيفا وشتاء ترى أي الجبال التالية تقع في المنطقة الاستوائية وتكلل الثلوج قممها في ان معا ؟

■ جبل افرست (هملايا)

■ الجبل الابيض (الألب)

■ جبل كينيا (في كينيا)

■ جبل اكستامسيوها (في المكسيك)

9 - متى تحرك كلا فكيك حين الكلام ام حين الاكل ؟

10 - الامواج العملاقه المدمره التي تسببها الزلازل والبراكين ، والتي تنطلق من عرض المحيط الى الشاطئ بسرعه هائله ، تراوح بين 500 - 700 كم في الساعه ترى ما الاسم الذي تعرف به هذه الامواج ؟

■ تورنادو

■ تيفون

■ تسونامي

11 - ثمه صخرة هائله يبلغ طولها 6 كيلومترات وارتفاعها 348 مترا وتعتبر صخره (اير) هذه من عجائب الطبيعه نظرا لأنها تغير لونها بين ساعة واخرى أثناء النهار فقد تراها ذهبية اللون ثم لاتلبث ان تراها برتقاليه او حمراء أين تقع صخرة اير هذه ؟

■ في قاع المحيط الهادى

■ في القطب الشمالي

■ في استراليا

12 - «قلب له ظهر المجن»

مثل من امثال العرب يضرب للمحاربه بعد المسالمة فما هي المناسبة التي تمخض عنها هذا المثل ؟

حل مسابقة العدد 335

١ - حفلة شاي بوسطن لم تكن حفلة بالمعنى المفهوم، ولم يقدم فيها شاي ولا قهوة فقد كانت بداية الثورة - أو الحرب - على الاستعمار البريطاني في العالم الجديد - الولايات المتحدة الأمريكية حالياً

وتتلخص أحداث (الحفلة) بأن عدداً من الأمريكيين تخفوا بزي الهنود الحمر، وتسللوا الى السفينة البريطانية الراسية في ميناء بوسطن، والمحملة بصناديق الشاي فألقوا بتلك الصناديق في البحر لأن الحكومة البريطانية كانت قد فرضت عليهم استيرادها ودفع ضريبة جمركية باهظة عليها، وهكذا بدأت حرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣) التي انتهت باعلان استقلال أمريكا

٢ - المثل هو (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) أول من قاله النعمان لشقة ابن ضمرة اذ كان هذا يغير على مال النعمان ويطلبه النعمان فلا يقدر عليه وكان يعجبه ما يسمع عنه من شجاعة واقدام فأمنه فلما رآه استزرى منظره لأنه كان دميم الخلقة فقال مثله المعروف تسمع بالمعيدي خير من أن تراه

٣ - العامل المشترك بين سقراط الحكيم و كليوباترة هو أنهما شربا السم وماتا تبعاً لذلك

٤ - الحية تلدغ والعقرب تلسع والجدير بالذكر أن لفظ لدغ ولفظ لسع اقتربا من حيث المعنى حتى كادا أن يكونا مترادفين ولكن ثمة فرقاً أساسياً بينهما فاللدغ من فعل الفم، واللسع من فعل الوخز

٥ - يبلغ عمر الكون في اجتهاد أكثر الفلكيين، ١٦,٧٠٠ مليون سنة، وكانت البداية بانفجار هائل كما يقولون

٦ - الصهر هو زوج الأخت وهو أيضاً زوج الابنة وجمعه أصهار ويقال أصهر بهم واليهم وفيهم صار لهم صهرا ويعني اللفظ أيضاً القرابة مجرد القرابة فيقال أصهره أي قربه وأدناه وأصهر الجيش للجيش أي دنا بعضه من بعض، وللفظ مؤنث (في اللغة) هو صِهْرة

٧ - الدولة الأولى في انتاج الماس هي الكونغو

الدولة الثانية في انتاج الماس هي اتحاد جنوب أفريقيا

الدولة الثالثة في انتاج الماس هي غانا

الدولة الرابعة في انتاج الماس هي سيراليون

فالماس اذن سلعة أفريقية خالصة تقريباً، اذ يبلغ نصيب أفريقيا من انتاجه ٩٧٪ أما الباقي ٣٪) فيستخرج من البرازيل والاتحاد السوفياتي وبورنيو وهذه الأخيرة هي موطن الماس الأول، وقد اكتشف فيها أول ما اكتشف سنة (٦٠٠م) أي قبل اكتشافه في أفريقيا بحوالي ١٢٠٠ سنة

٨ - يقع معبد (كاراي ما) في مدينة بيكانير ويزوي نحو ١٠٠,٠٠٠ فأر أو يزيد

٩ - السُّمْسُم (بالضم) هو النمل الأحمر، والسَّمْسَم (بالفتح) هو الثعلب أو الذئب

١٠ - ثمة اعتقاد شائع بأن الشعر والأظافر تستمر في النمو بعد موت صاحبها، وهو اعتقاد خاطيء، ويعزى الى الانكماش الذي يطرأ على جلد الميت والذي يبعث على الظن بأن الشعر والأظافر تواصل نموها بعد موت صاحبها، والحقيقة هي أن النمو في كافة مظاهره يتوقف تماماً

أكتوبر 1986

ىف الدورة الدموية ادي يعني توقفها ـ كما لا
ن ـ تـوقف وصول المواد الغـذائيـة الى شتى
ناء الجسم ، بما فيها الشعر والأظافر ، ولا نمو
الاطلاق بدون مواد غذائية
١١ ـ تبيض الدجاجات الست في سبعة أيام
بيضة
نهي تبيض ٦ بيضات في ١,٥ يوم
ـكم بـيـضـة تـبـيض في ٧ أيـام
٧-١,٥=٢٨
١٢ ـ سبق السيف العـذل هـذا مثـل
م ، وقد قاله ضبة بن أد وكان ذلك في يوم

من أيام الشهر الحرام ، كان يسير فيه ومعه الحرث
بن كعب فأتى على مكان فقال له الحرث أترى
هذا الموضع فاني لقيت فيه فتى هيئته كذا وكذا
فقتلته وأخذت منه هذا السيف وثبت لضبة أن
القتيل هو ابنه سعد وان السيف سيفه فقال
أرني السيف انظر اليه ، تناوله ، عرفه ، فقـال
له ان الحديث دوشجون ثم ضربه به حتى
قتله فلامه الناس في ذلك وقالوا اقتلت في
الشهر الحرام ؟ قـال سبق السيف العذل
فذهبت مثلا

■■

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

فائزون في مسابقة العدد 335 أكتوبر 1986

ئزة الاولى · شميلة الصالح / حمص / مدرسة غازي وروارى ـ سوريا

ئزة الثانية عبد المجيد شرقي / قسم الصرائف / رقة ريمس / الدار البيضاء ـ المملكة المغربية

ئزة الثالثة فيصل حسن ياسين / كريتر / عدن ـ اليمن الديمقراطي

ائزون بالجوائز التشجيعية

عبدالحميد الحمد الشح / سعاري / جامعة العرب الطبية ـ الجماهيرية الليبية

مسعد خليل دمعة / شارع المطران / طرابلس ـ لبنان

محمد حسن صلاح / ثانوية عمارة رشيد / الجزائر العاصمة ـ الجمهورية الجزائرية

مجدي محمود أحمد / المطرية / القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

عبدالله محمد سليمان / شركة ارامكو / الظهران ـ المملكة العربية السعودية

عبدالقادر على النعيم / الخرطوم ـ جمهورية السودان

سناء جودات خلف / شركة الكهرباء / عمان ـ الأردن

محمد قال بن الطالب النافع / نواكشوط ـ موريتانيا .
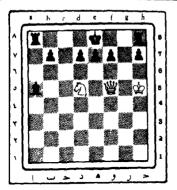
الشطرنج والطب النفسي

بدأ الطب النفسي يفرض نفسه بقوة متزايدة على الساحة الشطرنجية ، وبخاصة على برامج الدورات التدريبية والتنشيطية المتقدمة التي تعقد لكبار اللاعبين .

وينصح الأطباء النفسيون وعلى رأسهم الطبيبان اليكسيف و رمانوفسكي اللاعبين بأن يراقبوا ما ينتابهم من حالات التفاؤل والتشاؤم أثناء اللعب وعلى الأخص عند تعرّضهم للمواقف الحرجة إلى جانب مراقبة أنماط نومهم بعد انتصاراتهم أو هزائمهم كما ينصح الأطباء النفسيون الأساتذة الكبار بالاسترخاء التام والاخلاد إلى السكينة بعد كلّ مباراة

وما دمنا في معرض الحديث عن الأطباء وامتداد نفوذهم إلى رقعة الشطرنج ، فإن أحدهم ويدعى سيجفريد تاراش الألماني كان من كبار لاعبي النصف الأول من القرن الحالي وقد حقّق من النجاحات على الرقعة في المباريات الدولية الكبرى التي خاضها ما وضعه في مصاف أكبر الأبطال في تاريخ اللعبة

والدور التالي من الدفاع الفرنسي دليل واضح على قدراته الفذة في السيطرة على أكبر مساحة من الرقعة

	□ تاراش	■ شيفرر
١	د ٤	هـ ٦
٢	هـ ٤	د ٥
٣	ح - حـ ٣	ح - و ٦
٤	ف - ر ٥	ف - هـ ٧
٥	هـ ٥	ح (و) - د ٧
٦	ف × هـ ٧	و × هـ ٧
٧	ح - ب ٥	ح - ب ٦
٨	حـ ٣	أ ٦
٩	ح - أ ٣	حـ ٥
١٠	ح - حـ ٢	ح - حـ ٦
١١	و ٤	حـ × د ٤
١٢	حـ × د ٤	ف - د ٧
١٣	. ب ٣ مقيداً حركة الحصان	ر - حـ ١
١٤	و - د ٢	ت
١٥	ح - و ٣	و ٥
١٦	ف - د ٣	ر - حـ ٧
١٧	ت	م - حـ ٨

مبالغة في الحيطة ، تحرير الفيل كان أفضل

١٨	م - حـ ١ (هجومية)	ف - هـ ٨
١٩	حـ ٣	ح - أ ٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ـ م باسم رأفت ـ الكويت
٢ـ خالد سهان ـ القاهرة/ ح ع م
٣ـ عصام أحمد ـ اليمن الديمقراطية
٤ـ الناصرى عبداللطيف ـ مكناس/ المغرب
٥ـ حسين عبداللاوي ـ الدويات/ تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ـ حسن ارحيم ـ دمشق/ سوريا
٢ـ أحمد حصر ـ أم درمان/ السودان
٣ـ هيثم عبدالله ـ الرمثا/ الاردن
٤ـ عبدالسلام القبالي ـ الدار البيضاء/ المغرب
٥ـ فتحي العكروت ـ طرابلس/ ليبيا

---

٢٠ أ ٤ ح ـ حـ ٦
٢١ ر ٤ ر ٦
٢٢ أ ٥ ح ـ حـ ٨
٢٣ ر ـ ر ١ ح (٣) ـ أ ٧
٢٤ ر ـ ر ٣ و × ر ٤
نقلة متسرعة ف ـ ب ٥ أفضل بكثير
٢٥ حـ × ر ٤ ف ـ ب ٥
٢٦ و ٥ ف × د ٣
٢٧ (البيدق) و ـ و ٦ و ـ هـ ٨
٢٨ و × د ٣ ح ـ ب ٥
٢٩ ح ـ ر ٥ ر ـ حـ ٣
شكل (١)
٣٠ و × حـ ٣ (رائعة) ح × حـ ٣
٣١ ر × حـ ٣ حـ ٦
٣٢ ر ـ حـ ٣ و ـ حـ ٦ (مضطراً)
٣٣ ر × حـ ٦ + م ـ ر ٨
٣٤ ر × ر ٦ م ـ حـ ٨
٣٥ ح ـ هـ ١ ح ـ هـ ٧
٣٦ ر ـ حـ ٦ + م ـ ر ٨
٣٧ ح ـ ر ٢ و ـ حـ ٣
٣٨ ر ـ هـ ١ ح ـ حـ ٦
٣٩ ر ـ ر ٦ + م ـ حـ ٨
٤٠ ر ـ هـ ٣ و × هـ ٣
٤١ ح × هـ ٣ يستسلم

مسألة العدد رقم 338

يناير 1987
مات 2

حل مسألة العدد 336

(نوفمبر 1986)

١ ـ ر ـ ر٦++ م ـ حـ٥ أو م × ز٦
٢ ـ و ـ ز٥ مات

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

عزيزي القارئ

كل عام وانت بخير ، تعودنا فى بداية كل عام جديد ان تكون لنا وقفة معك فى هذا الباب

فباب حوار القراء هو طريقنا لتلمس نبض القارئ ، والتعرف على خواطره ، وعلى صدى عملنا عنده ، وملاحظاتك ومقترحاتك ـ عزيزي القارئ ـ تكون دائما أمام أعيننا ، ونحن نفكر فى أى تطوير أو تغيير ، فنحن نقرأ بعناية كل رسالة ، سواء رددنا عليها أو لم نتمكن من ذلك ، ونهتم بكل ملاحظة أو اقتراح أو رغبة ، سواء تمكنا من تلبيتها أو كان لنا تحفظ عليها ؟

ونختار من بين هذه الرسائل ما نقدّر ان فى نشره فائدة لأكبر عدد من القراء بشكل أو بآخر

ولعل من المناسب ونحن فى بداية عام جديد أن نشير الى بعض الملاحظات التى قد تسهم فى تنظيم هذا الحوار بين المجلة وقرائها

● هناك رسائل عديدة يطلب منا أصحابها أن نرسل اليهم ـ شراء أو هدية ـ بعض الكتب التى تقدمها المجلة ، سواء فى المكتبة العربية أو الأجنبية ، وطبعا هذا أمر خارج تماما عن دور هذا الباب

ودور المجلة مقصور على التعريف بمحتوى الكتاب والتعليق عليه ، والتعريف بدار النشر والتوزيع ، والباقى من مسئولية القارئ

● رسائل أخرى يتفضل أصحابها بتوجيه الدعوة لمجلة العربى لعمل استطلاعات عن مدنهم أو أوطانهم ، ويذكروننا بأن واقع هذه البلاد قد تغير كثيرا عن آخر مرة جرى فيها استطلاع للعربى عنها ، وبعض هذه الرسائل يتحدث أصحابها عن اختيار من المجلة لبعض البلاد أو لبعض المناطق ، ونود أن نطمئن هؤلاء الأخوة الى أن المجلة تضع رغباتهم فى الاعتبار ، وهى تخطط لاستطلاعاتها ، وتضع اولوياتها ، وأن المجلة لا تنحاز الا لما تتصور أن فيه فائدة أكبر للقراء فى اطار ظروفها أو ظروف هذه البلاد

● رسائل يطلب أصحابها معلومات من النوع الذى يمكن الوصول اليه بجهد ميسور فى المراجع أو المصادر المتاحة ، أو معلومات خاصة قد لا تهم غيرهم ، أو لا تتصل بما ينشر فى المجلة وهذه المعلومات لا يكون من المجدى لجمهرة القراء ان تأخذ مساحة من هذا الباب

● وأخيرا سنبقى دائما فى انتظار رسائلك ، نرحب بها ونتعلم منها ، ونتحاور معها ، ونسعد بما فيها من صدق ، مهما كان قاسيا ومقلقا ، فهى طريقنا لالتماس الصواب وانجاز التقدم

حول تأخير مجلة العربي ورفع سعرها
في جمهورية مصر العربية

○السيد الكتور محمد الرميحي
تحية تقدير وعرفان لجهودكم في النهوض بمجلة العربي ، التي أصبحت بحق مجلة كل القراء العرب ، ينتظرها كل أديب ومثقف في مطلع كل شهر ، وفي مطلع هذا الشهر اكتوبر سنة ١٩٨٦ تأخر وصول مجلة العربي لجمهورية مصر العربية لمدة عشرين يوما ، الأمر الذي أثار قلق القراء ، كما افسح الفرصة لشائعات عديدة حول معنى هذا التأخر أو أسبابه وفي يوم ٢٠ اكتوبر فوجيء القراء بنزول المجلة الى الأسواق والحق انها كانت مفاجأة سارة ، رغم أنهم لاحظوا رفع سعر المجلة من ٢٥٠ مليما الى ٣٠٠ مليم ، وقد وضعت شركة الأهرام للتوزيع على غلاف المجلة ورقة بالسعر الجديد كما هو مرفق بهذه الرسالة

ونحن نسألكم هل هذه الزيادة بموافقتكم ، أم ان شركة التوزيع هي التي فرضت هذه الزيادة ؟ ولماذا ؟ إذا كانت بموافقتكم فنرجو وضع السعر الجديد على صفحة سعر النسخة بداخل المجلة ، ولكم خالص الشكر والاحترام

د. علي الجندي
جامعة الاسكندرية

العربي

نشكر للأخ الكريم اهتمامه وتقديره ، ويسرنا أن نوضح أن هذه الزيادة قد تمت بعلمنا ، وسبب هذه الزيادة هو مواجهة ارتفاع أسعار الجمارك في مصر على المطبوعات المرسلة الى جمهورية مصر العربية ، وقد تم وضع السعر الجديد في مكانه على الصفحة داخل المجلة ذاتها ، ولعل حرص شركة التوزيع على دراسة الموضوع من جميع جوانبه ، بينما كان العدد مطبوعا بالفعل ، هو الذي أدى الى تأخير توزيع العدد في شهر اكتوبر

قاريء يلقي بمزيد من الضوء
على ألفرد نوبل

○قرأت في العدد رقم ٣٣٤ شهر سبتمبر سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب (مكتشفون ومخترعون) مقالا عن ألفرد نوبل مخترع الديناميت ، لاجرم كان موضوعا رائعا ، ومن هذا المنطلق اسمحوا لي أن أضيف الى المعلومات القيمة التي قدمها الموضوع المزيد من التفاصيل التي تكتمل بها الصورة ، ولعل القاريء يجد فيها بعض الفائدة

- اشار المقال الى أن (ألفرد نوبل) أتقن خمس لغات ، وأضيف هنا أن هذه اللغات الخمس هي السويدية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الالمانية الروسية

- ذكر المقال أن (نوبل) أطلق على مادة (النيتروجليسرين) الجديدة اسم (ديناميت) ، وأوضح هنا أن كلمة (ديناميت) مأخوذة من الكلمة اليونانية (ديناميس) ومعناها القوة

- وجاء في المقال (من هنا كان اقدامه (نوبل) على التوصية بتخصيص ما يعادل مليوني جنيه استرليني من ثروته الكبيرة لتوظيف مردودها لمكافأة المتفوقين من العلماء سنة بعد سنة ، وجدير بالذكر أن المال المخصص في تقديري كان اكثر من ذلك ، فقد أوصى نوبل قبل وفاته بأسبوعين باستثمار ثروته التي قدرت بثلاثة ملايين جنيه ، وتوزيع أرباح هذا

حوار القراء..

الاستثمار في شكل جوائز دولية تمنح للعلماء الذين أسهموا مساهمة فعالة في ميادين العلوم الطبيعية والأدب والسلم

ـ لم يشر المقال الى أن ثروة (ألفرد نوبل) لا تعود فقط الى اختراعاته ومن أهمها (الديناميت) بل الى استغلاله مع أخيه لحقول البترول في مدينة (باكو) عاصمة أذربيجان احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، الواقعة في جنوبه

ـ صحيح أن جوائز نوبل العالمية الشهيرة ظهرت عام ١٩٠١ ، لكن من المناسب أن نوضح أكثر أن أول من منح هذه الجائزة هو (رونتجن ١٨٤٥ ـ ١٩٢٣)لاكتشافه أشعة (اكس) ، وذلك في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠١ بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة نوبل

عبد الله محمد حاج عدو
حلب / الجمهورية العربية السورية

العربي

ـ نشكر القارىء الكريم على اهتمامه بتقديم هذه المعلومات التفصيلية حول موضوع (ألفرد نوبل) ومن المعروف ان مثل هذه الأبواب تقوم بتركيز أهم المعلومات حول موضوعها ، ليفتح الطريق أمام من يرغب في الاستزادة من المعرفة من القراء

من انقذ باريس من الدمار ؟

O لي تعقيب بسيط على مقال الدكتور عبد الوهاب حومد الذي نشر بالعدد رقم ٣٣٢ يوليو سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي ، تحت عنوان (الجريمة تظل دائما جريمة) ، فقد أورد الدكتور أن القائد (فون كلوغ) أعلن باريس مدينة مفتوحة ليجنبها دمارا مؤكدا

والحقيقة أن المارشال (فون كلوغ) قائد مجموعة الجيوش (ب) الذي تسلم القيادة بعد رومل كان قد اختفى فجأة وهو في طريقه الى مركز قيادته ، فما كان من هتلر الا أن عين بدلا منه المارشال (مودل) ولم يكد يظهر كلوغ ثانية ، حتى وضع تحت الرقابة النازية الشديدة ، لارتياب هتلر في تورطه في مؤامرة ٢٠ تموز ، وقد انتحر (كلوغ) بعد أن ترك لهتلر رسالة ضمنها رغبته في وضع حد لمهزلة الحرب

وقد جرت كل هذه الأحداث قبل احتلال باريس بفترة زمنية

أما قائد باريس فهو الجنرال (فون شولتتز) الذي أعفي من قيادة الفيلق ٨٤ ، بسبب خطأ لم يرتكبه ، وعندما اشتد أوار المعركة حول باريس ، أمره هتلر بنسف الجسور ، وتحويل المدينة الى أطلال ، ولكنه لم يفعل ، وسجل له التاريخ هذه المأثرة ، وقد اقتيد هذا الجنرال من باريس الى دار البلدية حيث أملى عليه الجنرال (لوكلير) شروط استسلامه ثم نقل ثانية الى مونبارنس حيث أبلغ نقاط ارتكازه أمرا بالقاء السلاح ، فأطاعت كلها الأوامر ، وانقذت باريس من الدمار

محمد ابراهيم دحيل
درنة / ليبيا

حول التعريب في جامعة حلب

O تعقيبا على الحوار مع المفكر الجزائري (مولود قاسم) في العدد رقم ٣٣٥ شهر اكتوبر سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي ، حيث جاء على لسانه أن العقدة (وهو يعني عقدة تدريس العلوم باللغة الاجنبية) تحللت في جامعة حلب حيث تدرس العلوم باللغة الأجنبية

وأود في هذا الصدد أن أوضح ما يلي

حامعة حلب وكليات العلوم بها تـدرس جميع
دها باللغة العربية ، لكن اذا كان الأستاذ مولود
م يقصد كلية الطب بجامعة حلب ، فان كلامه
، صحيحا لبعض الوقت ، ولمزيـد من الايضاح
ل هذه المسألة ، فان كلية الطب أسست بمساعدة
الأمم المتحدة ، ودرست فيها العلوم الاساسية
ة باللغة الانجليزية ، لا بسبب العقدة التي تحدث
ا المفكر الجزائري ، بل بسبب نقص الأطر القادرة
التعليم باللغة العربية ، وقد استعانت كلية الطب
اك بأساتذة زائرين معظمهم من القطر المصري
قيق ، وهم الذين أصروا على التدريس باللغة
جليزية كما تعودوا ، ولكن هذه المشكلة حلت منذ
ة سنوات حين عاد الهيكل التدريسي من الايفاد ،
سحت العلوم الأساسية تدرس باللغة العربية ،
دير بالذكر أن كلية الطب بجامعة دمشق ومنذ
ست في العشرينيات من هذا القرن كانت ولا تزال
رس الطب باللغة العربية ، وأضيف هنا أن
دراسات التخصصية العليا في كل من جامعتي
شق وحلب تدرس أيضا باللغة العربية أيضا ، ومنذ
أتها في منتصف السبعينيات ، وهي تستطيع رفد أية
ه طب عربية بأعضاء هيئة تدريس يحملون شهادة
اجستير في مختلف التخصصات ، وهناك جهود
تمرة لترجمة أمهات الكتب الطبية الى اللغة
عربية ، لرفد المكتبة الطبية العربية بالمصادر
صلية ، ولو كانت هذه الجهود على المستوى القومي
مرت بشكل أفضل ولتحقق لنا الكثير في هذا
مار

د. سعد الله بليد

محاضر في كلية الطب ـ جامعة حلب

عربيكا

**- نشكر للمعقب الكريم توضيحه ، ونرجو معه
، تتضافر الجهود في كل أقطار الوطن العربي ،
عالج قضية تعريب العلوم على المستوى القومي ،
ن تعالج أيضا قضية البحث العلمي على المستوى
قومي ذاته ، فهما قضيتان مترابطتان ، ولا يستطيع
ر عربي واحد أن يحقق الانجاز المأمول وحده**

قارئة تسأل عن أهلها في الكويت والعراق

○ انني من قراء العربي منذ صغري ، وأكتب رسالتي هذه ، ولي أمل كبير في تلبية طلبي

لي أهل أعزاء في مدينة البصرة / العراق ، انقطعت أخبارهم عنا منذ سنتين تقريبا ، وقد بعثت اليهم عدة رسائل دون أن أتلقى ردا ، ولا أعرف شيئا عن مكان تواجدهم الحالي ؛ وفي الوقت ذاته لي أقارب آخرون مقيمون في الكويت ولكن للاسف الشديد ليست لدي عناوينهم

أرجو نشر رسالتي هذه لعل أحد أقاربي في الكويت ، أو في العراق يطلع عليها ، ويراسلني بالضرورة على عنواني الجديد المسجل بهذه الرسالة في لبنان ، حيث دمرت الحرب عنواني القديم لديهم

ربما لا يكون هذا جزءا من عمل (حوار القراء) ولكن لدي ثقة كبيرة في أن تلبوا هذا الرجاء لقارئة قديمة لمجلة العربي ، ولكم خالص التشكر

مها الجراح

الشقة ١٣٥ ، الطابق ٣ بناية الحمراء سنتر
شارع الحمراء / بيروت / لبنان

من مختارات القراء

○ قال سقراط « النفس الفاضلة لا تطغى بالفرح ، ولا تجزع من الترح ، لأنها تنظر في كل شيء كما هو ، لا تسلبه ماهو له ، ولا تضيف إليه ماليس منه ، والفرح بالشيء إنما يكون بالنظر في محاسن الشيء دون مساوئه ، والترح إنما يكون بالنظر في مساوىء الشيء دون محاسنه ، فإذا خلص النظر من شوب الغلط فيما ينظر فيه ، انتفى الطغيان والجزع ، وحصل النظام وربُعَ (دَامَ) □

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يناير 1987 م

العملية الإبداعية في فن التصوير

تأليف:
د. شاكر عبد الحميد سليمان

الكتاب 109

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب 23996 الكويت

الإنسان.. والمكان
أوغندا..
قبائل
وعسكر
ورصاص

العدد ٣٣٩ السنة الثلاثون فبراير ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٩ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 339 feb. 1987 P.O.Box. 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى . قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي .
الوطن العربي ٤ د ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

الصندوق الكويتي للتنمية ص ٦٩

الشنفرى، أسطورة الثأر ص ٨٢

«الكوارتز» كنز في باطن الأرض ص ١٢٠

■ حديث الشهر
ضجيج الأرقام
- د. محمد الرميحي ٨

■ المسلمون على خريطة المستقبل
- د. أحمد كمال أبو المجد ١٨

■ الإسلام والأرض
- د. أحمد حلمي ٢٣

■ الإرهاب من زاوية عربية
- د. فؤاد زكريا ٢٨

■ عروبة أم إسلام ؟
- د. محيي الدين صميمور ٣٣

■ رحلة إلى حافة الكون
- سمير صلاح الدين شعبان ٥٦

■ التغذية والأسنان
- د. محمد محمد منصور ٦٥

■ الصندوق الكويتي للتنمية . ربع قرن من العطاء والنماء ٦٩

■ بقايا أساطير (قصيدة)
- محمد ابراهيم أبو سنة ٧٦

■ للمناقشة : العالم الإسلامي من قيادة التاريخ إلى حقائق الجغرافيا
- فهمي هويدي ٧٨

■ الشنفرى : أسطورة الثأر ، ولامية العرب
- د. عبدالمقصود عبدالكريم ٨٢

■ من المصحة : لمسات صغيرة (قصة)
- محمد المخزنجي ٩٢

■ « الكوارتز » : كنز في باطن الأرض !
- رؤوف وصفي ١٢٠

■ الديمقراطية والثورة العلمية والتقنية
- مصطفى طيبة ١٣٧

■ أغنية للحياة (قصيدة)
- ابراهيم نصرالله ١٤٤

■ تولستوي ، والعرب
- د. جابر أبي جابر ١٤٦

■ بين والد وولده (قصة)
- نعوم ابراهيم عبود ١٥٢

■ مرض النخالة الوردية
- د. محمد عبدالله المشاري ١٥٦

■ وداع الشباب (قصيدة)
- أحمد بن محمد آل خليفة ١٨٨

■ طبلخانة العرب
- فرج المنتري ٢١٠

عبدالحميد
بن هدوقة

أبو المعاطي
أبو النجا

استطلاعات ومقابلات

■ القدس . الإنسان والمكان
- سليمان الشيخ ٣٦
■ أوغندا لؤلؤة أفريقيا : قبائل ، وعسكر ، ورصاص
- محمود عبدالوهاب ١٠٠
■ وجها لوجه : عبدالحميد بن هدوقة
- أبو المعاطي أبو النجا ١٢٩
■ العرب في أمريكا ، الحلم الأمريكي ، والوهم المغترب
- صلاح حزين ١٦٤

أوغندا لؤلؤة أفريقيا ص ١٠٠

العرب في أمريكا ص ١٦٤

أبواب ثابتة :

■ عزيزي المحرر ٧
■ أقوال ١٧
ـ قضية : هل أفران الغاز النازية حقيقة مرعبة ؟ أم أكذوبة صهيونية ؟
ـ منذر الأسعد ٨٦
ـ تعقيب : سقف التجديد بين التطور والتطوير ـ مصطفى سليمان . ٨٩
■ البيان في أسباب نزول القرآن
ـ حسين أحمد أمين ٩٦
■ أرقام : مريض الشمال ، ومريض الجنوب ـ محمود المراغي ... ٩٨
■ الجديد في العلم ، والطب .. ١٥٩
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٦٢
■ حضارات سادت ثم بادت : « هرابا » من حضارات حوض الاندوس
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي . ١٨٤
■ جمال العربية :
ـ صفحة لغة : الأشجار الأولى خضراء مزهرة
ـ محمد خليفة التونسي ٢١٤
ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء : حنين ، لأبي صخر الهذلي ـ حيرة الحب ، لجنادة العذري ٢١٦
■ الكلمات المتقاطعة ٢١٨
■ مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : السياسة الدولية والشرق الأوسط ـ د. أديب نصور ٢١٩
ـ من المكتبة العربية : رحلة جبلية رحلة صعبة .. سيرة فدوى طوقان الذاتية ـ جمال وردة ٢٢٤
ـ مكتبة العربي : مختارات .. ٢٢٦
■ مسابقة العربي الثقافية ٢٣٠
■ حل مسابقة العدد (٣٣٦) .. ٢٣٢
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٣٤
■ حوار القراء ٢٣٦

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ هكذا كانت الحياة المرأة الكويتية في الزمان والمكان
ـ ريم الكيلاني
ـ وفاء طه ناجي ١٩٠
■ الأنس الضال لعبة ضارة ، تساهم فيها الأسرة بأكملها
ـ راجي عنايت ٢٠٠
■ هو . هي ٢٠٤
■ طبيب الأسرة عصير الفاكهة وقاية وعلاج
ـ د. عز الدين فراج ٢٠٦
■ مساحة ود أسماء للبيع ٢٠٩

عزيزي القارئ

في فبراير من كل عام تحتفل الكويت بعيدها الوطني ، عيد الاستقلال ، ودخول مرحلة جديدة من تاريخها الطويل ، هذه المرحلة التي اتسمت بحشد الجهود نحو التنمية في جميع المجالات وتحل المناسبة هذا الشهر كي تسجل سنة اخرى من التطور ، ويسجل معها حدث عربي إسلامي كبير هو انعقاد مؤتمر القمة الخامس للدول الاسلامية على أرض الكويت ـ هذا المؤتمر الذي اعتبر منعطفا هاما في العمل السياسي العالمي ، فما سبقه من تحضير وإعداد على مستوى وزراء الخارجية للدول الاسلامية وما لحقه من توافد كثير من رؤساء الدول الاسلامية ورؤساء المنظمات وقادة الرأي العالمي وممثلي الاعلام جعل من الكويت موطن إشعاع ومنارة إعلامية رائدة

وتواصل العربي بهذه المناسبة الكبيرة إتمام الملف الذى قدمته في عددها السابق ـ يناير ١٩٨٧ ـ حول قضايا العروبة والاسلام الشائكة وبالغة الأهمية

فهنا نقدم لك ـ عزيزي القاريء ـ ما حل بالمكان والانسان في موطن أولى القبلتين وثاني الحرمين، القدس العربية كما نقدم لك « المسلمون على طريق المستقبل » كما يراه الدكتور كمال أبو المجد ، و « الاسلام والأرض » للدكتور أحمد علبي ، وغير ذلك من موضوعات إسلامية بالاضافة الى تحليل ومناقشة موضوع « الارهاب من زاوية عربية » للدكتور فؤاد زكريا

وتنقلك « العربي » الى أوغندا في استطلاع ملون عن هذه البلاد التي أنهكت الحروب شعبها ثم تنتقل معك « عزيزي القاريء » الى الولايات المتحدة الامريكية حيث تعرض لمحات من حياة العرب فيها

وفي مجال العلم تنطلق بك العربي في « رحلة الى حافة الكون » كما تكشف لك المعدن العجيب الذى يسمى الكوارتز

ومع مسيرة احتفالات الكويت بالعيد الوطني السادس والعشرين نقدم لك لمحات من حياة المرأة الكويتية في الماضي والحاضر ، ونستعرض دور الصندوق الكويتي للتنمية وانجازاته في مجال دعم جهود التنمية على الصعيدين العربي والعالمي .

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

ضجيج الأرقام

بعض الأرقام تتكلم ، وكلام بعضها له ضجيج يكاد يصم الآذان ، خصوصا اذا كانت لهذه الأرقام علاقة بمشكلات المستقبل ، مشكلات السكان والبيئة والمشكلات الاقتصادية .

بعض الأرقام علقت في ذهني عندما حضرت في أكتوبر الماضي ندوة عالمية في مدينة « رميني » الواقعة على الشاطيء الأدرياتيكي الشرقي في ايطاليا ، التي يعتبرها البعض « فلوريدا الأوروبية » .

في تلك المدينة الساحلية ، وفي الخريف من كل عام ينظم معهد « بيامنزو » منذ سنوات طويلة ملتقى فكريا تطرح فيه المشكلات التي لها علاقة مشتركة بين اوروبا والشرق الأوسط والحوض الباسفيكي . وندوة اكتوبر المنصرم كانت بعنوان واسع هو « التحكم في المشكلات الكبرى » ، وكانت تتناول ثلاث مشاكل هي : النفط والصناعة والبيئة
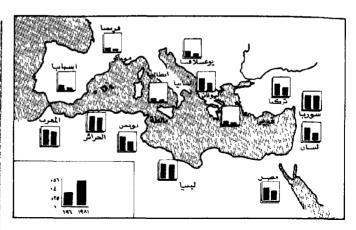
المعدل الإجمالي للمواليد بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٨١ في دول حوض البحر المتوسط

مشكلات البيئة لا تتكلم فقط... لكن كلامها يصم الآذان

وعن الأخيرة أتحدث لأن الأرقام التي قدمت ـ كما قلت ـ لا تتكلم فقط، لكن كلامها يصم الآذان . . !

لماذا ؟

لأنها تتكلم عن مستقبل البيئة والسكان في حوض البحر الأبيض المتوسط، هذا الحوض لايشترك في الاطلال عليه جنوب اوروبا من الشمال فقط، بل بلاد عربية واسلامية أيضا، تمتد من تركيا في الشمال الشرقي الى المملكة المغربية في أقصى طرفه الجنوبي الغربي، مرورا بكل تلك البقع العزيزة من وطننا العربي التي تضم سوريا وفلسطين ولبنان ومصر وليبيا وتونس والجزائر، واذا كانت السعودية والاردن والعراق وبقية أقطار الخليج لا تطل عليه، وكذلك السودان،فإن ذلك لا يجعلها بعيدة كل البعد عن المخاطر البيئية الضخمة التي تواجه تلك البلدان،

أي أن ما يحدث في البلدان المجاورة للبلدان المطلة على البحر الأبيض، في شماله (اوروبا) أو جنوبه وشرقه، التي تنتج أنشطتها الاجتماعية والاقتصادية نفايات ومخلفات تتزايد على مرور الزمن، يجعل عدم التوازن البيئي يصل الى حد الأزمة، بل الكارثة .

يتمثل أهم عامل لانعدام التوازن الذي تعاني منه مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط في تزايدها السكاني، اذ يقدر أن عدد السكان سيبلغ بعد ثلاثين عاما من الآن من ٥٥٠ الى ٦٠٠

مليون نسمة تقريبا ، في حين أنه - في الوقت الحاضر - يقدر بحوالي ٣٥٠ مليون نسمة ، أي أن تزايد السكان في الثلاثين سنة القادمة سيبلغ حوالي ٦٤٪ من المجموع الحالي ، إلا أن هناك حقيقة أخرى بجانب الأرقام الاجمالية ، وهي أن هناك اختلافا كبيرا من حيث المساحة والكثافة السكانية ومستوى التنمية بين هذه البلدان ، وكذلك من حيث مستوى التحكم في البيئة .

تبلغ المساحة الاجمالية للبلدان المشاطئة لحوض البحر الابيض ما يزيد على ٨,٥ مليون كيلومتر مربع ، ولكن اكبر المساحات هي في اقطار الجنوب (العربية) ، اذ أن أكبر بلاد البحر المتوسط مساحة هي الجزائر (٢,٤ مليون كيلو متر مربع) ، ثم ليبيا (١,٧ مليون ك م٢) ثم مصر التي تبلغ مساحتها حوالي مليون كيلو متر مربع عدا المساحات ، فإن معظم الإيجابيات التنموية في حوض البحر المتوسط هي من خصائص دول الشمال الأوروبي التي تزداد قدرتها التنموية في ظل تزايد معقول في السكان ، في الوقت الذي تضعف فيه قدرات البلدان المشاطئة في الجنوب مع تزايد في عدد السكان

حتى الآن - باستثناء مصر التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠ مليون نسمة - توجد الأعداد السكانية الأكبر في الدول المشاطئة الشمالية . ايطاليا وفرنسا وتركيا واسبانيا ، الا ان هذا التوجه سوف ينعكس في الثلاثين سنة القادمة بذور هذا الانعكاس في التوجه موجودة ، فبينما شهدت دول الشمال المتقدمة خلال الثلاثين عاما المنصرمة (من ١٩٥٠ - ١٩٨٠) زيادة سكانية تبلغ نسبتها ٢٢٪ ايطاليا و٣٧٪ يوغسلافيا ، تضاعف عدد سكان الدول المشاطئة الجنوبية ، وقارب ثلاثة أمثاله في نفس الفترة ، بزيادة ١١٦٪ في الجزائر وتونس ، و١٢٥٪ في المغرب ، و١٥٧٪ في سوريا و١٨٩٪ في ليبيا .

هذه الأرقام تقول لنا إن الدول المشاطئة الشمالية الأكثر سكانا في وقتنا الحاضر يتزايد سكانها بمعدل أقل بكثير من معدل التزايد في الدول المشاطئة الجنوبية

واذا أخذنا بعض المؤشرات الرقمية الأخرى كمعدل الوفيات ، ونسبة الخصوبة ، وتوزيع السكان بالنسبة للجنس والسن في كل من دول الشمال ، ودول الجنوب المشاطئة للبحر الأبيض ، نصل الى نتيجة هامة مفادها أنه في نهاية الثلاثين سنة القادمة سيصل عدد سكان هذا الحوض
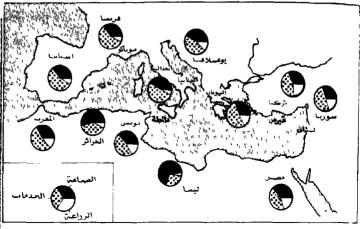
إجمالي الناتج القومي في دول حوض البحر المتوسط عام ١٩٨٠

الى ما بين ٥٥٠ ـ ٦٠٠ مليون نسمة ، وستحتل المراكز الأربعة الأولى في عدد السكان دول الجنوب : مصر وتركيا (حوالي ١٠٠ مليون نسمة لكل منهما) ، ثم الجزائر والمغرب (حوالي ٦٠ مليون نسمة لكل منهما) ، وفي الوقت الذي ستكون البلدان الشمالية في وضع ثبات نسبي لعدد السكان لن تكون بلاد الجنوب ـ بعد ثلاثين عاما ـ قد وصلت الى الثبات السكاني النسبي ، ولن تصل اليه الا في الثلث الاخير من القرن القادم ، او في نهايته،وعند مستويات تقدر بين ١١٠ و١١٥ مليون نسمة في مصر وتركيا ، و١٢٠ مليون في الجزائر ، وبين ٧٠ و٨٠ مليون في المغرب،وطبقا لتقديرات البنك الدولي فان بعض البلاد ذات الاهمية السكانية النسبية الان في حوض البحر الابيض المتوسط ستزيد زيادة ملموسة ، ومنها مثلا سوريا التي يقدر عدد سكانها بحوالي ١٠ ملايين نسمة ، والذي سيصبح بعد ثلاثين سنة ٣٣ مليون نسمة ، وكذلك ليبيا التي سيرتفع عدد سكانها في نفس الفترة من ثلاثة ملايين نسمة الى ١١ مليون نسمة .

عدد سكان حوض البحر المتوسط يتزايد خلال ٣٠ سنة بنسبة ٦٤٪

ماذا تعني كل هذه الأرقام ؟ هل تعني شيئا او هل تقول كلاما مستقبليا له معنى ؟ انها تتكلم ، وكلامها كما قلت له ضجيج .

تقول هذه الأرقام فيما تقول اننا سنشهد خلال العقود القليلة القادمة انعكاسا سكانيا مزدوجا لبلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، وهو انعكاس كمي ، حيث سينتقل الثقل من الشمال الغربي

(اسبانيا ـ فرنسا ـ ايطاليا) الى الشمال الشرقي (تركيا) ، والى الجنوب (مصر ودول المغرب الغربي) ، اي الى الاقطار العربية ، وهذا التزايد السكاني لدى الاقطار العربية في الشمال الافريقي وغرب اسيا لن يعادله تزايد سكاني في (اسرائيل)، اذ متوقع أن يبلغ عدد سكانها ٨ مليون نسمة في اواخر الثلاثين سنة القادمة .

كما تقول لنا هذه الأرقام ـ من حيث الجنس والسن ـ إن انعكاسا نوعيا سيصيب التركيب السكاني لحوض البحر الأبيض المتوسط ، ففي الشمال ، سيكون هناك سكان أصابتهم الكهولة ، بينما في الجنوب سكان صغار بل صغار جدا

وسيكون هناك مشكلات المسنين في الشمال ، ومشكلات الصغار غير المنتجين في الجنوب .

لا يجب أن يذهب أحد منا ـ نحن العرب ـ إلى تفسير كل ذلك تفسيرا إيجابيا لصالحنا ، فهناك عنصر هام يدخل في تركيبة الموضوع ، ويجعل هناك فوارق في استخدام هذه الاحتمالات السكانية هذا العنصر هو معرفتهم ـ في الشمال ـ بالاحتمالات المختلفة ، وتحسبهم لها ، مع جهلنا النسبي بها ، وانعدام الخطط على المستوى الاقليمي ، للاستفادة ـ ايجابيا ـ من هذه التغيرات والسيطرة على مسارها .

مستوى المعيشة والبيئة :

□ تقاس التنمية ـ التنمية الحقيقية ـ بشقين ، إشباع مادي ، وإشباع معنوي لجماهير الشعب ، وفي موازنتنا بين شمال البحر الابيض وجنوبه نجد انه حتى في الشق الأول توجد فروق واضحة في متوسط الدخول للأفراد بين الشمال والجنوب ، ففي الشمال نجد متوسط دخل الفرد الفرنسي ١٠٥٠٠ دولار ، ودخل الفرد الاسباني ٥٣٧٠ دولارا في العام ، ودخل الفرد الايطالي ٤٧٨٠ دولارا (عام ١٩٨٣) ، بينما هي أقل من ذلك بكثير في مصر،اذ نجدها تبلغ ٧٠٠ دولار للفرد ، وفي المغرب ٧٦٠ دولارا للفرد . ومع تزايد عدد السكان في جنوب البحر الأبيض الذي لمحنا الى مؤشراته في السابق ، ومع تحديد أكثر لمستوى المعيشة بادخال متغيري المستوى الصحي والتعليمي اللذين يؤثران بدورهما في الانتاج من جهة ، والطلب الاجتماعي من جهة اخرى ، سنجد أن هذه المؤشرات تشير الى أن بلدان اوروبا المشاطئة للبحر الابيض يتوفر لسكانها
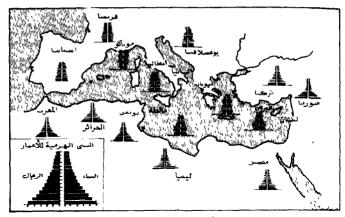
البنى الهرمية لأعمار السكان في حوض البحر المتوسط

حالة صحية معقولة ويبلغ متوسط عمر الفرد ٧٠ عاما ويوجد في أغلب بلدانها نظام تأمين اجتماعي يتكفل برعاية المرضى ، كما ان أنظمة حماية الاطفال والفئات الخاصة قد تطورت ، وتبحث السلطات بدأب عن نماذج جديدة لسير عمل المرافق الصحية لملاقاة الطلب على العلاج المتنوع .

كل ذلك في الوقت الذي تتزايد فيه الصعوبات أمام كثير من المواطنين في الدول المشاطئة الجنوبية ، رغم الجهود المبذولة للحصول على رعاية صحية أفضل وذلك بسبب التكلفة العالية لهذه المؤسسات الصحية الحديثة وانتشار الأمراض ، مما يؤثر في النهاية على ازدياد نسبة وفيات الأطفال من جهة ، وانخفاض متوسط العمر من جهة ثانية .

وعلى الرغم من المؤشرات الهامة التي يقدمها مستوى العناية الصحية لأي قطر فإن الثراء بدون تعليم لا يكفل صحة جيدة ولا نموا صحيحا ، فما بالك اذا انخفض مستوى التعليم مع ضعف في الدخول الحقيقية . فهناك في الجنوب توجد بعض البلدان الثرية ، بمعنى ارتفاع مستوى الدخل الفردي الا أن انخفاض مستوى التعليم فيها يعني بقاء معتقدات وأساليب معيشية وعادات غذائية معطلة للتنمية ، أما إذا تواكب ضعف الدخل مع مستوى تعليمي متدن فإن ذلك يعني بيئة غير صحية ومساكن مكتظة ، واضطرابا اجتماعيا .

الأرقام الخاصة بالتعليم في دول شمال البحر الأبيض وجنوبه تقول لنا أشياء أخرى ، فالنسبة المئوية للأطفال المقيدين في المرحلة الابتدائية من

ماهي صورة المستقبل للملايين الجدد من البشر؟

فئة السن المناظرة (وهي بشكل عام من ٦ إلى ١١ سنة) تبلغ ١٠٠٪ في بلاد شمال حوض البحر المتوسط ، مع مساواة شبه تامة بين البنين والبنات ، وفي بلاد جنوب الحوض كانت نسبة الأطفال المقيدين من الجنسين لعام ١٩٨٢ تبلغ بين ١١١٪ في تونس (أعلى من ١٠٠٪ بسبب تجاوز المقيدين فئة السن من ٦ - ١١ سنة) ، و١٠١٪ في سوريا ، مع رجحان طفيف للبنين في كل من تونس وسوريا ، و٨٠٪ في المغرب (٩٨٪ للبنين و٦٢٪ للبنات) ، و٩٣٪ للجزائر (١٠٥٪ للبنين ٨١٪ للبنات) ، و٧٨٪ لمصر (٩٠٪ للبنين و٦٥٪ للبنات) .

عدم التوازن البيئي يصل إلى حد الأزمة بل الكارثة

وعندما ننتقل الى نسب المقيدين في التعليم العالي من فئة السن (بين ٢٠ الى ٢٤ سنة التي لا تغطي طول مدة أغلب الدراسات العليا) فإن أهم ما يمكن ملاحظته ليس هو الاختلاف المتوقع بين دول الشمال حيث تبلغ نسبة المقيدين ٢٥٪ من ذلك السن والرقم الأصغر لدول الجنوب ، وإن ما يمكن ملاحظته أيضا هو التقدم الحثيث الذي أحرزته الدول المشاطئة الجنوبية في خلال عقدين من الزمان . فبين عامي ٦٥ - ١٩٨٢ ارتفعت النسبة في مصر من ٧ الى ١٥٪ ، وفي سوريا من ٨ الى ١٦٪ ، وفي تونس من ٢ الى ٥٪ ، وفي المغرب من ١ الى ٦٪ ، وهذا يعني - مرة اخرى - ازدهار الوعي النسبي بالمطالب الاجتماعية

على الرغم من أن الأرقام تعني شيئا الا انها لا تعني كل شيء اذا ربطنا التعليم والتربية بالبيئة ، فالأساليب المتبعة في التعليم تختلف من فئة إلى أخرى ، بل من مدرسة الى أخرى ، وربما من مدرس الى آخر . ولا يعنى بتدريس البيئة ومخاطرها في كثير من مدارس حوض البحر الجنوبي ، ففصول الطبيعة والمراكز الدائمة للتعرف على البيئة مازالت في أسفل أولويات كثير من مناهج الدراسة .

وأرقام أخرى :

□ عندما أسر إليّ أحد الخبراء العرب منذ فترة بأهمية الالتفات الى الصراع المحتمل مع اوروبا على المصادر الأولية من غذاء وطاقة الذي سيولده تزايد السكان في جنوب البحر الأبيض المتوسط ، ومعظمه - ان لم يكن كله - عربي ، وما يمكن أن يجره ذلك الصراع على البيئة ، لم أكن مقتنعا كل الاقتناع بأولوية الحديث في الموضوع وقرع أجراس الخطر . وعندما قرأت الوثائق المقدمة في - بيامنزو - وشهدت المناقشات أيقنت أننا

الصـراع القاتـل على الموارد الأوليـة يجبرنـا أن نـدق أجـراس الخطـر

حتى الآن لم نعط الأمر حقه من الالتفات ، وإليك بعض الأرقام الخاصة بالمواد الزراعية والغذائية ، فالاستهلاك من الحبوب يبلغ ١٨٠كجم للفرد في السنة في بلاد جنوب البحر المتوسط بينما يبلغ نحو ٨٠٠ كجم في الشمال ، والقمح يمثل حوالي ٥٠٪ من الحبوب التي يتم انتاجها ، و٨٠٪ من هذا القمح تنتجه بلاد شمال البحر المتوسط ، وإجمالا فقد بلغ انتاج الحبوب في بلاد البحر المتوسط ١٥٠ مليون طن في سنة ١٩٨٢ ، واحتلت فرنسا المكان الأول في الانتاج بفارق كبير حيث بلغ انتاجها نحو ٤٨ مليون طن ، وتليها تركيا (٢٦ مليون طن) ، وايطاليا واسبانيا (١٨ ، ١٣ مليون طن على التوالي) ، أما البلد الأول في الجنوب فهو مصر بإنتاج يزيد قليلا على ٨ ملايين طن ، ويليها المغرب (٤,٨ ملايين طن) والجزائر وتونس (١,٥ و١,٣ مليون طن)

واذا اخترنا مؤشرا آخر هو انتاج اللحوم نجد أنه في عام ١٩٨٠ كان مجموع عدد رؤوس الماشية في حوض البحر المتوسط نحو ١٤٩ مليونا من الأغنام (١٣,٣٪ من الاجمالي العالمي تقريبا) و٤٣ مليونا من الماعز (٩,٣٠٪) و٦٩,٣ مليونا من الأبقار والجاموس (٥,٧٪) و٦٤٠ مليونا من الدواجن (١٠٪ من الاجمالي العالمي تقريبا) . الا أن العجز في اللحوم لدول البحر الأبيض بلغ ١,٢ مليون طن (٨٪ من انتاج البحر المتوسط) ، ويقابله واردات قيمتها (٢,٥ مليار دولار) .

في المقابل نجد أن اكثر البلاد المنتجة للحوم هي فرنسا تليها ايطاليا ثم اسبانيا ويوغسلافيا . أي أن دول شمال البحر الابيض المتوسط أنتجت من اللحوم في سنة ١٩٨٠ ما مقداره ١٢,٧ مليون طن في حين أن مجموع انتاج دول البحر الأبيض ـ بشماله وجنوبه ـ كان في ذلك العام حوالي ١٥,٧ مليون طن ، أي أن الجزائر والمغرب وتركيا ومصر وغيرها قد أنتجت من اللحوم فقط (٣ مليون طن) ، بينما أنتجت يوغسلافيا وحدها كمية قريبة من ذلك .

تلك الأرقام تتشابه تقريبا في قطاعات الصناعة والمواد الأولية والطاقة ، وتفرض علينا ـ شئنا أم أبينا ـ سؤالا مفاده : ما هي صورة

لابد من التحذير من البطالة والعنف وارتفاع مستويات التلوث

المستقبل لملايين من البشر سوف يوجدون خلال حوالي ثلاثين سنة قادمة ؟ ماذا سيأكلون وكيف نعتني بهم صحيا ؟ وهل هناك أمل لتعليمهم ؟ وبعض أسئلة ملحة أخرى .

اذا كانت فكرة التحكم في المشكلات الكبيرة فكرة لها أولوية قصوى ، كما أن التطلع الى التنمية هو تطلع مشروع ، فإن الموازنة بين الاثنين - بين الموارد المتاحة الزراعية والصناعية وبين الانقلاب السكاني - تجعل من المؤكد أن يؤدي كل ذلك-بعد ثلاثين سنة من الآن - وتحت تأثير التطورات الجذرية المتلاحقة وبخاصة في جنوب حوض البحر الابيض وشرقه-سواء فيما يتعلق بالسكان أو التوسع الحضري أو التصنيع أو الاستهلاك - الى بطالة وعنف وارتفاع مستويات التلوث ، وعلى ذلك فإن التنمية الاقتصادية سوف تصطدم سريعا بشكل مروع بحدود بيئية يصعب تجاوزها .

والتساؤل المطروح هو كيف يمكن اعادة التوازن في حوض البحر المتوسط لصالح بلاد الجنوب التي يتكاثر سكانها وتقل قدرتها على الوفاء باحتياجاتها المشروعة في ظل التوازن القائم .

الأوروبيون يتخوفون من هذه المؤشرات ويعتقدون - إن عاجلا أو آجلا - أن (غزوا) بشريا سوف يأتيهم من الجنوب المكتظ بالسكان الأكثر فتوة وهم يحاولون - بطرقهم من الآن - من خلال الإعانات الاقتصادية وإعادة التوزيع الجغرافي لبعض الصناعات - ومعظمها مضر بالبيئة - الاطاحة بها وتطويقها في الجنوب ، مع تشدد مستمر في قوانين الهجرة والاقامة .

ولن تظل الأزمة محصورة في دول جنوب البحر الأبيض المتوسط ، اذ سوف تتعداها أيضا إلى الأقاليم المحيطة ، كالسودان والخليج والجزيرة العربية .

ورغم المحاولات العديدة للحوار في أكثر من اطار لملاقاة تلك المشكلات الملحة في وسط الطريق ، الا أن الجهود الاقليمية في البحر الابيض المتوسط - مثلها مثل كثير من المناطق الاقليمية - مازالت منطق تتعامل دولها مع بعضها البعض من الباطن ، أو بمنطق البطالة البنيوية ومن ثم يتفاقم عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي الدائم الجيشان .

ألم أقل لكم ان بعض الأرقام لها ضجيج ؟

محمد الرميحي

الشيخ صباح الأحمد

الرئيس حسني مبارك

الصادق المهدى

■ مشاكل العالم الاسلامي ليست سهلة ولا يسيرة ، واذا لم يتم حل هذه المشاكل في مؤتمر قمة بحجم القمة الاسلامية ، وبمستواه ورخمه ، فان التعقيدات ستزداد وسيصبح من الصعب حلها على أي مستوى آخر

الشيخ صباح الأحمد
نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ـ
الكويت

■ نحن في اليمن مع انعقاد القمة العربية ، ونشعر ان الظروف القائمة تتطلب انعقادها في أسرع وقت ممكن ، كما تتطلب ان ترتفع الدول العربية الى مستوى مسئولياتها الكبيرة وترتفع فوق الخلافات الثانوية والجانبية

الرئيس أبو بكر العطاس

■ الأمم مثل الأفراد ، يخشى البعض منها قول الآخرين وحكمهم عليها ، ويستقبلها البعض الآخر بالفضول ويستفيدون من آراء الآخرين

ميشيل جوبير
وزير الخارجية الفرنسي الأسبق

■ ان صندوق النقد الدولي لا يدرك الأبعاد النفسية والسياسية للشروط التي وضعها لمساعدة الدول التي تلجأ اليه ولم يستخلص العبرة مما حدث

الرئيس حسني مبارك

■ الاعلام لا يخلق انتصارات ، انه انعكاس للحالة على أرض الواقع

لطيف نصيف جاسم
وزير الاعلام والثقافة العراقي

■ ان الاعتقاد الديني قضية متروكة للضمير ، ولا بد ان تترك بحرية

الصادق المهدى
رئيس وزراء السودان

■ تراثنا القديم مليء بثروات وكنوز هائلة من حيث الفكر والوصول الى أعماق الحقائق ، ولكن علينا ان نخوض أهوالا من أجل اعادة تبويبها ومراجعتها وتنقيحها واعادة بنائها واستبعاد ما لا يلزم منها واحلال ما هو جديد مكانه

فتحي رضوان
كاتب مصري

العربي - العدد ٣٣٩ - فبراير ١٩٨٧

المسلمون..

على خريطة المستقبل

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

لا يستطيع مهتم بأمور المسلمين في هذا العصر أن يفلت من الاحساس العامر بالحزن والأسى ، وهو يرى شعوب الدنيا من حوله تتسابق الى استخدام عقولها لكشف المزيد من أسرار الحياة،وإتمام عمارة الكون بما ينفع الناس ، تغمرها الحركة الدائبة ، والتوجه الذي يتزايد يوما بعد يوم الى الاهتمام بأمر المستقبل والاعداد له وتصور البدائل المحتملة لصور الحياة الفردية والجماعية في ظله

المسلمون حيث هم ، يدورون حول أنفسهم ، ويتنازعون أمرهم بينهم ، ويلتمسون للفرقة والشقاق أوهى الأسباب ثم لا يواجهون واقعهم المر إلا بكلمات وشعارات ، متمنين على الله الأماني ، ومتحدثين - مع ذلك - عن نصر وعدوا به ، وعن صبح قريب ينتظرهم ، وعن ظن يحسنونه بالله الذي استخلفهم في الأرض ، « وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »

هذا كله يتردد على الألسنة سؤال كبير ، يتلجلج في الصدور ، ويحدث به الشباب المسلم بعضه بعضا - أما لهذا الليل من آخر ؟ وهل ضاعت - حقيقة - فرص الاصلاح ، وآمال النهضة الإسلامية التي راودت أجيالا متعاقبة من المصلحين والمفكرين والساسة والمجددين ؟ هل طوى الواقع المر الذي يحيط بنا تلك الآمال الكبار التي كان يتحدث عنها رجال أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال ، وحسن البنا ، ومالك بن نبي ؟ ؟ هل بلغت حضارة المسلمين مرحلة الشيخوخة التي تحدث عنها الفيلسوف المؤرخ اشبنجلر ومن قبله المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون وهما يتحدثان عن دورة الحضارات ؟

إننا حين نطرح هذا السؤال لا نريد أن نحرك الهموم ، أو نشيع روح اليأس وأسباب القنوط فإن عندنا جميعا من ذلك ما يكفينا وإنما نطرح هذا السؤال لنحرك الإحساس بضرورة « العمل السريع » لإنهاء حالة الضياع والحيرة والدهشة التي تلف العالم الاسلامي وحالة الذهول عن الواقع القريب والبعيد وحالة الرتابة والكسل والجمود على الموجود التي مازالت تخيم على كثير من المسلمين أفرادا وشعوبا ، رغم ما حققته

الثورة في وسائل الاتصال من تقريب للمسافات، وإسقاط للحواجز، ووضع للمعلومات والمعارف على أطراف أصابع سكان المشارق والمغارب على السواء

نعم إن المستقبل كله بيد الله وتقدير الغيب كله من أمره وعلمه سبحانه ولكن يد الله في دنيا الناس عدل ورحمة، ولذلك فهي لا تحاسب الناس ولا تحدد مستقبلهم بإرادة «كن فيكون»، وإنما تضع الموازين للقسط للناس جميعا، وترسي السنن الثابتة التي تضبط الكون كله والتي تحكم البيئة وسكانها لا تغيير لها ولا تبديل لهذا فإن ما نصممه في حاضرنا هو الذي يحدد مكاننا على خريطة المستقبل وما نحققه في واقعنا من شروط النهضة وأسباب الانبعاث، هو وحده الذي يفتح أمامنا آفاق الرخاء ويطرق بنا أبواب الأمل في التغيير

استشراف المستقبل

والدارسون لعلوم التخطيط واستشراف المستقبل يقررون أن منهج هذا الاستشراف يمر بمراحل ثلاث

الأولى رسم خريطة الواقع، وتحديد مكوناته، وتحليل القوى المحركة لها وبيان الوزن النسبي لكل منها

الثانية تصور البدائل الممكنة الوقوع، إذا تركت مكونات الواقع تتحرك حركتها الذاتية أو تتأثر بمؤثرات خارجية توجهها مصالح «الآخرين»

الثالثة تحديد الحركة الواجبة الاتباع في الحاضر، لتوجيه التحرك الى المستقبل توجيها يحقق القدر الأكبر من أهداف الجماعة وهذه المرحلة الثالثة تتجاوز في الواقع مجرد التحليل والاستشراف لتدخل في نطاق «التوجه والتأثير» على صورة المستقبل

وعلى كثرة ما قيل ويقال في وصف حاضر المسلمين وتحديد مكوناته وعلى تعدد محاولات «تشخيص» الأزمة التي تواجه المسلمين المعاصرين فلا يزال مستقرا عندي أن تلك الازمة ترجع - في جزء كبير منها على الأقل - الى علل ثلاث

أ - سوء فهم وظيفة المسلمين في الدنيا، والعجز عن إجابة السؤال الكبير ماذا يريد الاسلام من المسلمين؟

ب - الحيرة التي لا تنقضي في محاولة التوفيق بين «طاعة الله» والنزول عند أوامره الواردة في نصوص الكتاب والسنة، وبين «استخدام العقل» وإطلاق حريته في البت، ورفع الحرج والتأثم عن محاولات بناء النهضة الاسلامية الحديثة بناء يستفيد من تجارب الناس والشعوب، قديمهم وحديثهم، المسلم منهم وغير المسلم

ج - الاضطراب في تحديد الموقف العقلي والنفسي من الأبعاد الثلاثة لحد «الزمن»، وهي الماضي والحاضر والمستقبل، وانكفاء أكثر المسلمين على الماضي وحده، وتعلقهم بما يسمونه «التراث»، وهو ركام كبير متعدد العناصر، وإصرارهم على إضفاء القداسة على كثير من عناصره التي لا ترتبط بالاسلام، ولا تستحق كثيرا ولا قليلا من تلك القداسة

إن المواجهة الصريحة لهذه العلل الثلاث، وتصفية موقف العقل المسلم والنفس المسلمة منها جميعا، هي الخطوة الأولى على طريق الحركة السوية نحو المستقبل وبغيرها تظل الأحاديث الطويلة المملة عن عظمة الاسلام مخدرا خطيرا تقنع به النفوس العاجزة وتستكين له الهمم الساقطة

١ - ماذا يريد الاسلام من المسلمين؟

قد يكون من الغريب أن نعيد اليوم طرح هذا السؤال، والمسلمون يستفتحون قرنهم الخامس عشر تحت راية الاسلام ولكن هذا الطرح لابد منه ونحن نرى حولنا ما نراه من نماذج السلوك المضطرب والموقف الحائر تجاه الحياة آلاف من الشباب المسلم يقاطعون الدنيا، ويركن بعضهم إلى عزلة تحاجز بينهم وبين تيار الحياة ويحتمون وراء أسوار من الرفض، والإحساس بالغربة، والانقباض ويتصورون أن كل ما عرفه الناس من الأفكار والمذاهب والنظريات فالاسلام خلافه !

إن الأمل المعقود على صحوة إسلامية مبصرة

ورشيدة رهن بسقوط هذه التصورات المريضة عن دور المسلم في الحياة

ان الجيل الذي يصنع الحضارة لابد أن يدرك أن المسلمين ناس كأمثال الناس ، وأن مهمتهم على هذا الكوكب مهمة بناء وتعمير ، وأن مقاطعة الحياة لايمكن أن تكون مسلكا إسلاميا مقبولا ، كما أن الإعراض عن الدنيا والتقاعس عن الضرب في الأرض لا يفضي إلا الى تراجع شأن المسلمين وهوانهم على أمم الأرض لا تحول دون ذلك دعاوي « التميز » ونداءات « العزة » التي للمؤمنين ، ووعود « الاستخلاف في الأرض » ، ذلك أننا نحن المسلمين نعرف أن سنة الله في الناس لاتتخلف ، لا تعفي من حكمها أمة ولا شعبا

كما نعرف أن وعده بالنصر والاستخلاف في الأرض وعد مشروط « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وأنه سبحانه قد كتب في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عباده الصالحون وليس من الصلاح في شيء أن يعجز المسلمون وأن يتكاسلوا وأن يمضوا أعمارهم كلها يطحنون كلاما ويجترون ماضيا ويعتزون بأمجاد أمة قد خلت وقد علموا أنه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه كما يقول النبي (ﷺ)

إن معنى هذا كله ، بلغة العصر ، أنه لا مكان للمسلمين على خريطة المستقبل إلا إذا تابوا من خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل وإلا إذا شمر كل واحد منهم عن ساعديه وتعبد لله في ليله ونهاره ، بالعمل الكثير الذي يعوض ما ضاع من عمر الأمة في الجدل العقيم ، وما ضاع من عمر الأفراد في محاسبة النفس ومحاسبة الآخرين على صغائر الامور ، وهم جميعا واقعون في كبائرها وإلا فهل ينفع الأمة أن يفنى شبابها عمره في بحث وجدل لا ينتهيان حول أمور يدخل أكثرها في باب آداب الزي أو آداب الزينة أو اداب العلاقة بين الرجال والنساء والأمة كلها واقعة في خطايا من « الوزن الثقيل » خطيئة الظلم المتبادل بين الأفراد والجماعات وخطيئة ترك الشورى والاعتياد على تحكم الواحد في المجموع ومصيبة الاستخفاف بالعمل والغش في أدائه عند الاضطرار إلى هذا الأداء ؟!

نعم إن المهمة الكبرى للمسلمين إنما تتمثل في هداية الناس ، وترشيد حركة المجتمعات بقيم الحق والهدى والعدل والاستقامة على أمر الله ولكن الناس لا يستمعون الى هذه النداءات كلها إذا جاءت من كسالى عاجزين أو ارتفعت بها أصوات يكذب حالها مقالها وتختلف سيرتها عن شعاراتها

٢ ـ العمل بالشريعة ، وممارسة الاجتهاد العقلي لا يتناقضان

وتلك قصة لا تزال حية وقائمة حتى إذا خيل إلينا أحيانا أن الجدل حولها قد انقطع أو فتر أو شغل عنه الناس إذ لا يزال كثير من المسلمين يتصورون الإسلام كيانا جاهزا ، ويتصورون الشريعة مخلوقا ثابتا عليهم أن يستدعوه ، وأن يعلنوا الرضا به ، فيصلح حال المسلمين بين يوم وليلة ولا يزال منهم من يتحدث عن « حاكمية الله » سبحانه كما لو كانت إعلانا بسقوط العقل ، وإلغاء دور الانسان ، وبطلان الدعوة الى الاجتهاد ولا يزال من عامة المسلمين وخاصتهم من لا يزال ينظر الى الثورة العلمية بوجل وإشفاق لا انتباها الى بعض اثارها الجانبية التي تقلق ـ بحق ـ سائر الأمم والشعوب ، وإنما اعتقادا بأن المسلم الصحيح عليه أن ينحاز للوحي دون العقل وللاحكام الواردة نصها في الكتاب والسنة دون تلك التي يتحدث عنها علماء الطبيعيات وعلماء الانسانيات

إن الخطر الداهم في هذا الفهم المغلوط يكمن فيما يؤدي إليه من تعطيل العقول أو شل ملكات الإبداع والسعي لاقتحام المجهول والميل بالجيل كله الى متابعة القديم ، والجمود على الموجود ، وطلب الحلول الجاهزة من أقوال الأقدمين

ونحن ـ من جانبنا ـ لن نمل أبدا من التذكير بوحدة خلق الله ، وبأن التعارض الموهوم بين العقل والنقل كارثة هائلة لا مكان لها إلا في بعض العقول الضيقة والصدور الحرجة وأنه لا أمل للمسلمين في استرداد مواقعهم التي خسروها بين الأمم والشعوب إلا إذا أدركت أجيالهم الجديدة أن كلمة الله المقروءة في كتابه المنزل على نبيه المرسل هي هي حكمته المبثوثة في الكون والأنفس والآفاق وإلا

إدا سلمت هده الأحيال نأن « العقل » ، هده المنحة الإلهية التي من بها على الانسان هي أداة فهم نصوص الكتاب ، وهي كدلك أداة فهم أسرار الكون الفسيح الدي يحيط بالانسان

إن الدين لا يتصورون الاسلام ولا يعرفون عنه إلا أنه مجموعة من النصوص ، قد يأخدها بعضهم على طاهرها ويعرض عن سياقها ، ثم يلقي بها في وجه كل مجتهد وكل صاحب رأي حريص على الفهم وتدبر آيات الله أولئك يحتاجون الى مواجهة لامداراة فيها ولا مجاملة حتى يدهب الزبد جفاء الى غير رجعة ولا يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس

لقد حاء دور العقل المسلم لينتعش من جديد ، ولترتفع به رؤوس الأتقياء والصالحين ، ولتصرب به أمة الإسلام جنبات الكون ، في غير تهيب ولا وجل ، ولا إشفاق على النصوص والمقدسات ولبدار - حول ظلاله الوارفة - حوار متصل حول قضايا الساعة وهموم الناس دلك أن الفكر الموضوعي النافع عبادة أو كالعبادة ، لأنه استخدام لنعمة الله فيما أمر به الله

وتعالوا ندير أعناقنا نحو المستقبل

لقد التوت أعناق أجيال متعاقبة من المسلمين ، وهم مشدودون الى الوراء مكفئون على الماضي مشغولون بالدات وحجتهم في دلك كله أن من يقطع صلته بما فات لا رجاء له فيما هو ات وتلك لعمري كلمة حق يراد بها باطل فإن أحدا من عقلاء المسلمين لا يقول بقطع الصلة بالماضي أو الإعراض - جملة - عن التراث ، ولكن أي ماض ؟ وأي تراث ؟ القرآن والسنة ؟؟

ان كلام الله سبحانه وهدْي نبيه (ﷺ) لايستمدان قدسيتهما من ارتباط بماض قريب أو بعيد فتعالوا نسمي الأشياء بأسمائها ونقول أننا ملتزمون بالكتاب متبعون للسنة الصحيحة ولكن ما لهدا ولتقديس آراء الرجال ، والتعبد بمتابعة الأقدمين وهي بدعة ممقوتة حكى لنا القرآن من أمرها ما حكى،وهو ينكر على أصحابها أشد الانكار

ثم إن الماضي - بكل ما فيه - ليس من صنعنا نحن ، وأحداثه لا فضل لنا فيها وإنما تتمثل أمجادنا الحقيقية فيما نفعله ونحققه نحن ثم إن الماضي ساحة هائلة امتدت في الزمن قرونا وفي المكان آلافا من الأميال شغلها الحق والباطل واجتمع فيها الهدى والضلال وتصارع فيها الاسلام مع الكفر والظلم والنفاق ورأى فيها الناس ألوانا شتى من الخطأ والصواب فماذا بقي - إذن - من أسباب هذا الانكفاء الشديد على أيام مضت وانقضت وفيم هذا الإعراض العقلي والنفسي عن مواجهة المستقبل والاعداد له والاحتفال بأمره ؟ ثم كيف يستطيع هذا الجيل من المسلمين أن يذهل عن السرعة الهائلة التي يتم بها التقدم العلمي بأشكاله وصوره التي لم يكن يخطر أكثرها على بال الأقدمين وكيف يعزلون عقولهم ووجدانهم عن الإيقاع السريع المتزايد السرعة لحركة الحياة من حولهم وهل يطمع جيل ثقيل الخطو ، مقيد العقل بالأغلال أن يكون له مكان على خريطة المستقبل والناس من حوله يتسابقون ويتدافعون ، ويقفزون قفزا للفوز بمكان على تلك الخريطة ؟!

والخطاب بعد دلك لجيل الشباب أن تعالوا نرفع أصابعنا عن آذاننا ، ونزيل الغشاوة عن عيوننا ونشحذ الهمة لعمل كبير وجهاد طويل نمد فيه أبصارنا الى المستقبل ، ونرتحل فيه بمشاعرنا عن الماضي الذي وقعنا في أسره ونحن نحسب أننا بهذا نتقرب الى الله

أما إذا عملنا عن ذلك كله فإن الحديث عن صحوة إسلامية ونهضة حضارية لا يكون إلا فرقعة لفظية ولغوا لا يصح به دين ولا تصلح حياة □

■ لا يفترض فيك أن تحب جميع الامور ، وانما عليك أن تفهمها مجرد فهم
■ الإنسان لا يقتل في الحرب الرجل الذي يود قتله

ارنست هيمنجواي

اقــرأ
فى العــدد
القــادم من
العربي

عدد مارس ١٩٨٧

بوتــان
الحياة وسط المتناقضات

استطلاع: محمود عبدالوهاب

■ المرأة العراقية تغزل الحياة فى السلم والحرب .. وفاطمة ناجي

■ فنون الهند .. أسرار وأساطير .. سليمان مظهر

الشخصية العربية في التلفزيون الأمريكي
د. جاك شاهين

أزمة السويس واستخدام القوة
أمين هويدي

مدرسة للحبور والفرح المبدع!
د. عبدالله عبدالدايم

■ صفحات من التاريخ : أسير المنصورة — د. سعيد عبدالفتاح عاشور

■ ملح ونفط وتلوث !! — د. سمير رضوان

■ المستقبل السكاني فى الوطن العربي — د. عبدالإله أبوعياش

■ مضحكات الشدائد..! — د. عبدالسلام العجيلي

■ العلاج الفيزيائي والتأهيل — د. وليد الباعي

■ اكتشاف العقل الباطن — د. عبدالرؤوف ثابت

■ وجهاً لوجه .. نيكولا خايتوف، وليد دسوقي

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. شذى الدركزلي - فهمي هويدي - صلاح دهني
د. سامي محمود علي - سليمان فياض - ابراهيم زعرور - بهاء الدين محمود

بقلم : الدكتور أحمد عُلَبي

« ما زالت قضية الملكية في الاسلام من القضايا التي لم يحسم حولها الخلاف ، والاجتهادات فيها لم تنته. وحول ملكية الأرض يدور حوار أكثر سخونة: هل الأرض من الملكية الخاصة ؟ أم أنها مشاع لكل المسلمين الذين يشتركون في الماء ، والكلأ ، والنار ؟ »

بات في حكم الأمور التي لا يداخلها ريب ، أو لا يملك الباحثون لها دفعا ، أن الاقتصاد محرّك أساسي للتاريخ ، وعلى سيره ونمط تطوره تترتب نتائج اجتماعية ، بالغة الدلالة في النسيج العام للتكتلات البشرية ، ولهذا لم يعد المؤرخون يعنَون بسرد الأحداث السياسية ، والمعارك العسكرية ، بمقدار ما أخذ جهدهم ينصرف إلى اكتناه الخلفيّة الاجتماعية الاقتصادية التي حتّمت أن تأخذ الأحداث والمعارك مجراها على هذا النحو أو ذاك ، فصار المؤرخ شارحا ومفسرا ومعللا ، وصار التاريخ الأساسي هو التاريخ الاجتماعي الاقتصادي لهذه الدولة أو تلك. في العصور الأولى للاسلام كان الانتاج الزراعي هو محور الحياة الاقتصادية لتلك العصور ، فترتبت على هذا النمط الانتاجي علاقات اجتماعية ، سادت دار الاسلام ، وغلبت على حياة المسلمين. لذا فإن موضوع مُلكيّة الأرض يتّسم ـ في تاريخنا ـ بالأهمية والأولوية ، فالأرض منبع الخيرات ، ومنها شبع الناس ، واستمرار ديمومتهم ، وذلك في مجتمع مشرقي ، عماده الفلاحون على العموم.

أبو يوسف

إن هذا المدخل الذي ندنّحه حول مُلكيّة الأرض في الاسلام يدعونا ـ على الأخص ـ إلى مراجعة نقدية لكُتب الخراج والأموال. كان القاضي أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ) رائدا في « كتاب الخراج » الذي وضعه استجابة لطلب هارون الرشيد ، ليستعين الخليفة بمعطياته في عملية جباية الخراج والجزية والعُشور والصدقات ، وبما أن أبا يوسف كان يعالج أمرا جديدا فقد عمد إلى مناظرة أهل العلم بالخراج ، كما كاتب العارفين بالموضوع ، يستوضحهم الرأي عمّا درجت عليه الأحكام هنا أو هناك في صدد بعض أراضي الفتوح. إن أبا يوسف يتحلّى بالاستنارة

والرجاحة في معالجة المسائل التي تثير الاختلاف ، نراه يسعى إلى الحلول التوفيقية خلال جدله مع أبي حنيفة حول نصيب الفارس عند قسمة الغنائم ، أو موقفه من إحياء الأرض الموات ، وأنها حق للمحيي نظرا لما تكلّفه من جهد وبذل أموال ، لكنّه أغفل طلب الإذن في إحيائها من الإمام بيد أن القاضي أبا يوسف يقف محتارا حيال تقلبات الأسعار بين الرُّخص والغلاء ، عاجزا عن إدراك هذا الطلسم ، فيقول « إنما هو أمر من السماء لا يُدرى كيف هو »

ابن آدم وابن سلاّم

هناك بعد أبي يوسف مشتغل آخر في الموضوع ، وهو يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ) صاحب « كتاب الخراج » وكتابا أبي يوسف وابن آدم متشابهان الى حد كبير في موضوعاتهما المتعلقة بأحوال الأرض على أنواعها ، وما يطرأ عليها عن الاستصلاح والرّي ، وما تسحه من خيرات ، وما يتوجب فيها من الزكاة ونلحظ أن كتاب ابن ادم مقصور بكامله على موضوعه لايعدوه ، في حين أن أبا يوسف أتى في آخر كتابه على موضوعات لا تمتّ إلى الخراج بصلة ، مثل كلامه على أزياء أهل الذمة وكنائسهم وبيعهم وصلبانهم ، وكلامه على المجوس وعبدة الأوثان ، أو حديثه عن الداعرين والمتلصصين والجناة ، ثم إن أبا يوسف يعمد في بعض المواضيع إلى الاقتضاب ، في حين أن ابن آدم يتناولها ببعض التفصيل في أحكامها ، نذكر على سبيل المثال أن التحجير - وهو حيازة الأرض من غير الاقدام على إحيائها - يرد على نحو سريع عند أبي يوسف ، وتزداد معلوماتنا عنه لدى مطالعة ابن آدم ، ونأتي على مثال آخر وهو الأكيال ومقاديرها التي مرّ عليها أبو يوسف مرورا عابرا ، في حين أن ابن ادم انفرد بالتفصيل فيها ، ومع ذلك فإن الثاني لا يغني عن الأول ، لأن أبا يوسف الذي نعتناه بالاستنارة والعقلانية نعثر في عمله على أفكار مضيئة لا نجد ما يشابهها لدى ابن ادم ، كما أن أبا يوسف - شخصيته العلمية المجتهدة - أكثر حضورا في كتابه من ابن ادم في كتابه وهكذا فإن أحدهما يكمل الآخر ، ويزيدنا بالخراج خبرة ومعرفة

أما المصدر النفيس حقا في موضوع الأرض ، والذي يحيط به من كافة جوانبه ، عبر عمل ضخم ، موسوعيّ الحجم ، غزير المعرفة ، فهو « كتاب الأموال » لأبي عُبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٢ هـ) ، وهو علاّمة ، قال فيه الجاحظ « لم يكتب الناس أصحّ من كُتُبه ولا أكثر فائدة » ترك ابن سلاّم تصانيف كثيرة في اللغة ، والشعر ، والأمثال ، والنسب ، وآداب السلوك ، والفقه ، والحديث ، والقرآن ، لعل أشهرها كتابه « غريب المصنف » وهو في اللغة ، وكتابه « كتاب الأموال » من أحسن ما صُنف في الفقه وأجوده

كان هذا العلم يحمل بين كتفيه رأسا مفعما بالعلم ، ولكي نتلمّس فضل هذا الانسان الفقيه ، الواسع الأفق ، المترامي المعرفة ، الجامع لعلم علماء زمانه وسابقيه ومعاصريه ، يكفينا أن نطالع كتابه في الأموال ، فهو بينة ساطعة على ما كان يتزود به ابن سلاّم من فقه ، وهو الذي ولي القضاء زمنا مديدا في طرسوس بلغ ثماني عشرة سنة إن الشخصية الفقهية لابن سلاّم تبدو لنا في كتابه عن الأموال حاضرة ، ماثلة الرأي ، مقارعة بالحُجّة ، مبدية الاجتهاد ، وذلك عبر صفحات سفْره الجليل الذي زاد على الثمانمائة صفحة من القطع الكبير إن الكثير من الأحاديث يظفر بتعليقات من ابن سلاّم ، والأصح القول ان أبا عُبيد لا يدع حديثا من غير أن يتبعه بتوضيح لغوي أو شرح تاريخي أو توسّع فقهي ، وذلك فيما يتعلق بالأحكام المتصلة بالنظام المالي في الاسلام ، وبعض هذه التعليقات يطول فيبلغ الصفحات ، وهذا ما يضفي على هذا الكتاب قيمة تقديه إلى قيمته التوثيقية ، لأنه - إلى جانب ما يحتويه من المعلومات الغزيرة - تتمثل فيه شخصية مؤلفه العلمية النيرة ومن الطبيعي أن هذه التعليقات تتفاوت في قيمتها ، وقد يبدو بعضها متكلفا

إقطاع الأرض

نضرب مثلا على هذا التكلّف بموقف ابن سلاّم من الأراضي الصالحة للاقطاع ، يعتقد ابن سلاّم أن حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - « عاديّ الأرض لله ولرسوله ، ثم هي لكم » ، يوضح بمضمونه ما هي الأراضي القابلة للاقطاع ، فالعاديّ كل أرض قديمة باد صاحبها وصار حكمها بيد الامام وكذلك

الحال في الأرض الموات التي لم يحيها أحد ، وليس
مالك . فهذان النوعان من الأراضي يصلحان
قطاع ، حسب رأي ابن سلام ، وهو رأي صائب
ئيا ، ومن وجهة نظر اقتصادية ، لكن الصحيح
ـا أن الاقطاع لم يقتصر على منح الأرض البور ،
لك في المسلك العملي وبحسب ما تنبئنا به مجريات
ـاريخ ، أن النبي يُقطع البر مهما كانت هذه
ـرض . ويذهب ابن سلام في تفسيره وتسويغه أن
ي حر في إقطاع ما يشاء لمن يشاء ، ويبرر إقدام
ي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على توزيع بعض
ـراضي العامرة من أنه قام بتوزيعها على سبيل
ـل ، أي بشكل مسبّق قبل أن تُفتح هذه الأراضي
الشام وفلسطين . والتهافت في منطق ابن سلام
ـته انه ينظر الى مصدر الاقطاع لا الى نتيجته
علية . فمن يجادل في ان النبي حر في تصرّفه ، وما
ه المداورة حول الأراضي العامرة من أنها نفل ،
ـ هذا يعني أنها لم تعد عامرة إثر الفتح ؟ وكم كان
ـد الباحثين مصيبا عندما قال : « على أن الاقطاع لو
ـ قاصرا على الأراضي الموات وحدها ، لما كان
ـريعه اية فائدة » ، خاصة بالنسبة إلى القائلين
ـاحة الأرض الموات ، بحيث لا تحتاج إلى إذن
ـمام لاستقطاعها وإحيائها . إن التكلّف عند ابن
ـلام حول الأراضي الصالحة للاقطاع يبدو لنا
ـروعا ، وذلك إذا أخذنا بالحسبان أن الانسان ـ
ـما أوتي من العلم ـ يخطىء ويصيب عند الاجتهاد ،
ـيف إذا كان يصنع عملا كبيرا يحشد فيه واسع علمه
ـص ارائه .

ـبيد ان موقف ابن سلام يعودنا إلى إثارة نقطة
ـحية نرى أنها أساسية وإشكالية ، وذلك في معاينة
ـوقف الاسلام من موضوع الأرض وملْكيتها
ـحكامها ، فإن صيرورات السياسة والحكم
ـتعاطي مع الناس في مجتمع متراكب البُنْية تملي
ـعها الاقدام ـ من حين الى آخر ـ على إجراءات
ـلية ، ومواقف مغايرة للنص ، وكم يحمل لنا أن
ـد المثالية الحدّاثة عند تعاملنا مع كتب الفقه على
ـلاف مشاربها ، وذلك لأن رجال الفقه الأجلاء
ـوا يصدرون في آرائهم عن اجتهادات يحدّدونها ،
ـطامح يتوقون إليها ، لكن القانون كما هو حاله في
ـما ايضا ، وحاله في كل مجتمع سواء كان ماضيا أم
راهنا ، هذا القانون لا يأتلف مع حركة الواقع إلا
على نحو نسبي ، وإن الباعث على وجود القانون ،
وعلى العمل به ، والتشدد بشأنه ، أن الناس
يتحايلون ما وسعهم لتجاوزه ، وأن الحكام يقفزون
من فوق بنوده عندما تعوزهم الحاجة أو المصلحة .
ولو شئنا اليوم دراسة بعض المجتمعات ، وفق
دساتيرها البرّاقة ، لحسبنا أن الجنّة الموعودة لا تقاس
بما « أنجزته » بعض هذه المجتمعات حبرا أسود على
ورق فاخر ، لهذا كله ينبغي أن نأخذ ما يرد في
مصادرنا عن أحكام الأرض في الاسلام بشيء من
الحيْطة ، لأنها تبلور النص النظري في تركيبه الفوقي
الذي لا يطابق تماما الواقع العملي في تركيبه التحتي .
من ذلك ـ على سبيل المثال ـ كلام الفقهاء حول طلب
الاذن من الامام عند السعي إلى إحياء أرض موات .
فقد اختلف هؤلاء الفقهاء في هذا الأمر ، فمنهم من
أباح الاحياء من غير إذن ، ومنهم من تشدد في ضرورة
طلب الاذن وإلا فقد المحيي حقه ، وحق للامام أن
يسترد الأرض ، ومن الطبيعي أن العودة الى الامام
واجبة وصحيحة ، لتستقيم الأحوال ، لكننا سنكتشف
ـ من خلال الروايات الجمّة المتأتية عن الخلافات التي
كانت تنشأ بين الناس حول الأراضي ـ أن طلب الاذن
لم يكن مرعيا في الواقع لدى كثيرين . وليس المهم
فقط أي الرأيين هو الصواب على الصعيد النظري ،
إنما يتوجب علينا مطالعة حركة الواقع العملي ،
والتعرف على مدى قرب النظريات من هذا الواقع ،
أو بعدها عنه .

أراضي العَنْوة

نتناول مثلا آخر ، واضح الدلالة على أن معادلة
النظرية الواقعية تتكيف وفق الظروف الحيّة ،
وحاجات الناس ، وصيرورات التطور ، فإن أراضي
العنْوة ـ أي التي استولى عليها المسلمون عنْوة خلال
حركة الفتوح ـ تعود من الناحية الشرعية إلى الذين
استولوا عليها بالقتال فغنموها ، لذا كان يجب قسمتها
بين الفاتحين الغانمين ، بحسب ما تأمر به الآية ٤١ من
سورة (الأنفال) ، من أن خُمس الغنائم لله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، أما
أربعة الأخماس المتبقية فيتم توزيعها على المحاربين .
بناء على هذا كان بعض الصحابة والأنصار من

أمثال بلال بن رباح ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، يلحّون على الخليفة عمر بن الخطاب بوجوب أن يقسم هذه الأراضي. وهذه الأراضي كانت - في الحقيقة - تشكّل الحلقة الكبرى في الفتوحات ، لأنها تشمل الجزء الأكبر من مُلكية الأرض ، لكن مصلحة المسلمين المادية والمعنوية ، كمجموعة بشرية ، وكدولة طامحة ، وكمستقبل منتظر لأجيال المسلمين التالية ، أملت على عمر التأمل ، والتأني ، وإعمال النظر ، واستشارة المهاجرين الأولين ، وقد أيده على رأيه - فيما بعد - عثمان وعليّ وطلحة. وانتهى عمر إلى إبقاء الأرضين للعاملين فيها ، ثم حصّل الخراج منهم ووزّع حينئذ على المسلمين ودراريهم.

واعتمد عمر في الحل الذي انتهى إليه على ما جاء في القرآن الكريم ، فقد جاء في سورة الحشر أن ما أفاء الله على الرسول يكون مآله لأصحاب الخُمس الذين تقدّم ذكرهم ، وللمهاجرين والأنصار ، وللذين جاءوا من بعدهم من المسلمين ، وهكذا ائتلف النص مع الواقع الجديد الذي عرفه العرب مع الفتوحات خارج الجزيرة ، في العراق والشام ومصر. لقد أقدم عمر بن الخطاب على ضرب من التأميم للأرض ، فجعلها وقفا على المسلمين ، ومُلكية جماعية لهم ، تتولاها الدولة الاسلامية عن طريق تحصيل الخراج ، وهو ما نرغب أن نسميه خراج الأجرة ، باعتبار أن ملكية الأرض للمسلمين كافة ، والخراج هنا بمنزلة الكراء المتوجب على المستثمرين للأرض. ثم إن عمر كان بمكنته أن يسترشد بالمثل الأعلى ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه عندما استولى على مركز أعدائه العتاة في مكة لم يعمد إلى تطبيق قاعدة الغنيمة عليها ، وهي التي أُخذت عنوة ، بل استثناها ، وعفا عن أهلها ، وقرّبهم منه ، وذلك لأن مصلحة الدعوة الناشئة كانت تملي عليه سياسة مرنة حيال ألدّ أعدائه.

كُتُب الخراج

إن كُتُب الخراج المتخصصة تؤلف في مجموعها مكتبة صغيرة جدا ، وذلك لأن كثيرا من كتب الخراج ضاع على الأرجح ، أو ربما ما زال مخطوطا. يأتي ابن النديم (ت ٤٣٨ هـ) على ذكر عدد من كتب الخراج لرجال لم نعثر لغالبيتهم المطلقة على ترجمات في المصادر ، من أمثال حمصويه ، وابن عبد الكهم ، وابن الماشطة ، وابن بشّار ، ومحمد بن حيار ، وابن سريج ، وكانوا - كما يظهر من كلام ابن النديم عنهم - من معاصريه ، أو القريبين من زمانه ، فابن عبد الكهم مثلا مات سنة ٢٧٠ هـ ، وابن سريج من مواليد سنة ٣٠٠ هـ ، وابن الماشطة كان حيا سنة ٣١٠ هـ. وعن حمصويه يذكر ابن النديم « وكان من أفاضل كتّاب الخراج ، متقدما في صناعته ، وهو أول من ألّف في الخراج كتابا » ، فما مقدار الصّحة في هذه الرواية عند علمنا أن القاضي أبا يوسف هو صاحب أول كتاب في الخراج ؟ ومما يحالجنا أن أبا يوسف من المتقدمين ، وأن حمصويه من المتأخرين الدائرين في فلك زمن ابن النديم. ومما يخفف من أسفنا على افتقاد هذه الكتب في الخراج أن كتاب ابن سلّام في الأموال يعود أولا الى زمن قديم نسبيا ، ما دام أن مؤلفه توفي في أواخر الربع الأول من القرن الثالث الهجري ، ثم لأن كتاب ابن سلّام عبارة عن دائرة معارف تميّة في موضوع الخراج ، قد أفاد واضعها من السابقين عليه ، فهما له أصلان ، عنينا أبا يوسف وابن آدم.

وهناك كتب أخرى في الخراج متقدمة ومتأخرة ، لكنها لا تضيف شيئا كثيرا إلى معلوماتنا ، من ذلك كتاب « نُبَذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة » لقُدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) ، وهذه النُبَذ التي وصلتنا جغرافية الطابع في معظمها ، فالفائدة المتحصّلة منها هي كالفائدة التي نجنيها من كتب المسالك والممالك ، وأهم ما اشتملت عليه هذه النُبَذ يتمثل في الجداول المالية.

بيد أن ما يستوقف النظر مليًّا أن الدارسين المحدثين الذين أكبوا على موضوع الاسلام وأحكامه الصادرة حول الأرض ، قد جنح كثير منهم الى موقف محافظ مترمّت ، فهم راغبون في إسلام يتفق وآراءهم التي لا غلوّ في نعتها بالتخلف ، فهذا أبو الأعلى المودُودي ، الباحث الباكستاني ، صاحب « مسألة مُلكيّة الأرض في الاسلام » ، يقف عند أحاديث نبويّة تكاد تكون محور كتابه ، وتدور حول زراعة الأرض ، وخلاصة هذه الأحاديث التي عدنا اليها لنتحقق من نصّها ، تقول بشكل جليّ واضح

.. لس فيه ، إنّ مَنْ كانت له أرض أو فضل أرض لقم بنفسه بزراعتها ، فإذا عجز فليُعْطها أخاه ، أو ليُعِرْها لآخر من غير أجر ، وإلا فليَدَعْها ولْيُمْسِكْها ، وهذا الموقف الأخير صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التوبيخ إن المودودي يجهد لاهثا ليمي صحّة أو معقولية هذه الأحاديث النبوية ، ولسنا الآن في صدد مناقشة الباحث ، والدخول معه في تشعّبات القضية ، لكننا نكتفي بأن نسجّل أن النبي على أي حال حضّ على منح الأرض بلا أجرة ، فنقل عنه ابن عبّاس قوله « لأنْ يمنح الرجل أخاه أرضه خيرٌ له من أن يأخذ عليها خَرْجا معلوما » والخَرْج والخَرَاج معناهما واحد ولكن المودودي في هلع دائم من تأميم وسائل الانتاج ، أو المساواة في توزيع الثروة ، أو المسّ بالمُلكيّة الخاصة ، أو وضع القيود عليها ، وبالتالي فهو يطلب إسلاما يلائم ونيّاته ، ويتحاشى ورعاته ، أما المسلمون فلياكلهم الدود ، والفقر ، والجوع !

الحسيني

وهو يرى أن الأرض الزراعية مُلْك شائع في الاسلام ، يملكها مَنْ يزرعها ، ويعوّل في إسناد رأيه على بعض الأحاديث النبوية حول منح الأرض والنهي عن كرائها ، وقدتقدّم ما ذكرها لدى الكلام على المودودي ، لكن هذا الدارس يقع نظريا في تناقض ، إذ نراه حريصا على أن يطل الاسلام هو نفسه في دوام حقيقته ، « وهذا الدوام ينقص أو يفقد إذا جُعل هو تابعا لأوصاف ونعوت خاصة عارضة ، أي إذا قيل عنه انه يتصف بصفات التطور الزماني والمكاني » ، وذلك كما يقول بعد قليل « ما دام من مبادئه تقدير الظروف أيا كان نوعها » ، إذ « تقدير الظروف » يعني مراعاة فاعلية التطور على صعيد الزمان والمكان ، ومن رأي الباحث « أن التفاوت في قسمة الثروة بين أفراد الشعب راجع الى التفاوت الخِلْقي الموجود في قوى الأفراد المختلفة ، ومصدره مشيئة الله ، وليست المُلكية الخاصة » ، فالتفاوت بين البشر غريزي عنده ، ولا سبيل الى القضاء عليه ، والمُلكية الخاصة لا مفرّ منها ، إذ بواسطتها تتحقق الحرية ، هذه الحرية التي تُورِّث بتوريث المُلكية الخاصة المكتسبة ، ويذهب السيد الحسيني إلى أن الاسلام شجّع الملكية الخاصة للأرض من طريق الاقطاع والاحياء ، وهو بذلك ـ حسب اعتقاده ـ قد سبق النازية والفاشستية في هذا المضمار ، في حين أن الاسلام باعتباره الأرض المَوات غير العامرة بمنزلة مُلكية عامة للمسلمين قد تقدّم على الاشتراكية والشيوعية في هذا السبيل

إن المقارنات العشوائية الساذجة التي أغرم بها الباحث ـ وقد أوردنا طرفا منها ـ تدل أولا على أن لا مجال إلى إهمال عامل التطور الزماني والمكاني ، وأن هذا العامل يفعل فعله في المسلمين ، بوعي منهم أو بغير وعي ، بحيث يحملهم على تمحّص آخر مبتكرات التطور الاجتماعي ، والابداع العقلي ، فينقادون بعدها الى عقد المقارنات بين تراثهم والمذاهب الاجتماعية الحديثة ، ليصلوا الى نتائج ، ليس المهم الآن القول بأنها صدقت أو أخطأت ، إنما المهم أنها تلغي ـ في قرارتها وبشكل منطقي ـ عقدة هؤلاء الدارسين الذين يتشبثون بالتراث على نحو جامد ، ويشوّهونه على صعيد النظرية ، مع أنهم يعيشون العصر فكرا ومسلكا ، ويتأثرون على هذا النحو أو ذاك بمكتسباته وأنواره ، وعلى هذا فمقارنات هذا الدارس تلتصق بالعصر ، لكنها تبدو أحيانا في غاية الركاكة ، وتنبيء بأنه متحجّر في ظواهر المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الحديثة دون بواطنها ، أنظره يعلّق على رأي أبي حنيفة الذي لا يسوّغ إحياء الأرض إلا بإذن الامام فيقول « يوافق الرأي المذكور لأبي حنيفة في ترجيح إرادة الحكومة ، وهي التي يمثّلها لدى الاسلام الامام ، على إرادة الفرد ، مذهبي النازية والفاشستية ، إذ كلاهما يقرران أن الحكومة أفضل من الأفراد التي تكوّنها ، وأن لها حقوقا تفوق حقوق الفرد » ، إن أي حكومة ـ مهما كان نوعها ـ مسؤولة عن أمور لا تُحصى ، تملي إرادتها فيها ، لكن هذا لا يبيح نعتها بالنازية والفاشية ، ثم إن هذا النعت هو اساءة بالغة تلحق بالاسلام ، وليس ـ بأي حال ـ مديحا له ، لأن الفاشية وصمة عار في جبين الانسانية ، وليست نظاما مستساغا كسائر الأنظمة الاجتماعية ، مهما كانت وجهة نظرنا في هذه الأنظمة أوْلى بنا أن نفهم الاسلام في إطاره التاريخي ، لا أن نُسقط عليه صياغات عجيبة ، لا تتفق والدور الحضاري الذي نهض به □

العربي ـ العدد ٣٣٩ ـ فبراير ١٩٨٧

من زاوية عربيّة

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

المقاييس الأخلاقية التي يصدر العالم على أساسها حكمه بأن هذا الفعل العنيف أو ذاك « إرهابي » أو « غير إرهابي » هي مقاييس تفرضها القوة والمصالح السياسية أكثر مما تفرضها مبادىء العدالة رغم ذلك فإنه لا يعفينا كعرب من اختيار الأساليب التي نحارب بها عدونا مما جبل عليه تراثنا ـ المقال وجهة نظر الكاتب وهي وجهة نظر تستحق في أضعف الايمان ـ أن تسمع وتقرأ .

لن أبدأ مقالي بمحاولة لتعريف « الارهاب » ، لأني أعلم أن مئات الصفحات قد كُتبت حول هذا الموضوع ، ومازال الجدل مستمرا ولن أبدأه بتلك الاشارة ـ التي هي في رأيي مشروعة تماما ـ الى الاختلاف الأساسي بين طريقة استخدام الكلمة في العالم العربي ـ الذي كان حتى عهد قريب استعماريا ـ وطريقة استخدامها في العالم الثالث ، وبخاصة حركات التحرر فيه ، لأن أطناناً من الأوراق قد دُوّنت حول هذا الموضوع ، ومازال الخلط بين طريقتي الاستخدام يولّد مغالطات لا أول لها ولا آخر ، وخاصة لدى أجهزة الاعلام الدولية الواسعة الانتشار فأنا أعترف مقدما بأن نصف مشكلة الارهاب على الأقل ، يكمن في الاستخدام المضطرب ، المتعدد المعاني لهذا اللفظ ، وأعترف بأن هذا التعدد والخلط ليس مجرد مشكلة لغوية ، وانما هو يعكس وجهات نظر متضادة ازاء قضايا الشعوب ، ومشكلات التحرر ، وعلاقات القوة في العالم المعاصر ، وربما كان يعبر في نهاية المطاف ، عن موقف أساسي من قضية الانسان في هذه المرحلة من تاريخ البشرية

ولكنني مع اعترافي الكامل بهذا كله ، لا اريد أن أبدد الوقت والجهد في المقدمات ، مهما كانت ضرورية ، وأود أن أدخل مباشرة في صميم الموضوع ، ومن هنا فإني سأتغاضى عن التحديدات اللفظية الدقيقة ، وأستخدم الكلمة بمعنى قد لايكون دقيقا ، وقد لا يوافق عليه الكثيرون ، لأن هناك قضايا أخرى أهم بكثير ، تحتاج الى معالجة تتجه مباشرة الى لب المشكلة

ان أعمال العنف التي تسمى ارهابا ، والتي تنسب الى العرب ، في ربع القرن الأخير ، ترتكز على مجموعة من الحجج أو التبريرات الأساسية وهدفنا في هذا المقال هو أن نناقش هذه الحجج واحدة تلو الأخرى ، لكي نصل في نهاية الأمر الى نظرة لموضوع الارهاب أعتقد أنها تكشف عن بعض العناصر غير المألوفة

اولا : نفاق الأخلاق الشائعة :

الحجة الأولى التي يرتكز عليها المدافعون عن أعمال العنف ، أوما يسمى بالارهاب ، هي أن المعايير الأخلاقية الشائعة تنطوي على قدر كبير من النفاق ، حين تحكم على العنف الذي تمارسه دولة قوية ، على نطاق واسع ، بأنه مشروع ، وتستنكر العنف الذي يقوم به فرد أو بعض الأفراد ، في نطاق أضيق بكثير . فالتدخلات العسكرية وأعمال القمع والاضطهاد المخطط والمنظم (كمذابح صبرا وشاتيلا) ، وشن الحروب العدوانية على الدول الضعيفة (كغزو « اسرائيل » للبنان ، أو غزو أمريكا لجزيرة جرينادا) وتحريض عصابات من المرتزقة لتخريب مجتمع يحاول أن يبني نفسه في أصعب الظروف (كالدعم الامريكي الشامل لجماعة الكونترا في نيكاراجوا أو لمنظمة يونيتا في أنجولا) ، كل هذه نماذج صارخة للارهاب الذي تمارسه دول قوية على شعوب أضعف منها بكثير ، ومع ذلك ، فان الأخلاق الشائعة لاتُدين هذه الفظائع بوصفها إرهابا ، بينما تحمل بشدة على عمليات أضيق نطاقا بكثير ، وتهاجمها بكل قسوة .

هذه في رأيي حجة صحيحة كل الصحة ، وهي تؤدي في الواقع الى اعادة نظر شاملة لجوانب هامة من تاريخ العالم الحديث . مثال ذلك أننا اعتدنا . نتيجة تأثرنا بوجهة النظر الغربية ، أن ننسب القسوة والعنف خلال الحرب العالمية الثانية الى المعسكر المعادي للحلفاء ، ونسينا أن الحلفاء الغربيين بدورهم قد ارتكبوا أعمالا لاتقل وحشية عن أعمال هتلر ضد المدنيين الأبرياء ، كما حدث ، على سبيل المثال ، في الغارة التي محيت فيها مدينة درسدن الألمانية من الوجود ، وراح ضحيتها مئات الألوف ، مع أن المدينة كانت خالية من أي هدف عسكري . كما نسينا أن كل فظائع اليابانيين ، طوال سنوات الحرب ، لاتساوي شيئا بالقياس الى القنبلتين الذريتين اللتين ألقتهما أمريكا في الشهر الأخير من تلك الحرب على هيروشيما ونجازاكي .

وهكذا فان الاعلام الغربي ، والأمريكي بوجه خاص ، يتحكم في الصورة التي تكوّنها معظم شعوب العالم عن القسوة والوحشية والهمجية والارهاب على المستوى الدولي ، ويلونّ تلك الصورة باللون الذي يخدم مصالحه ، بحيث يكون الغرب دائما هو الراقي والانساني والمتحضر ، وخصومه هم دائما الوحوش والبرابرة والهمج . بل ان هذا الاعلام أفلح في طمس أكبر عملية ارهابية بُني عليها تاريخ الولايات المتحدة نفسها ، هي إبادة شعب كامل مسالم هو الهنود الحمر ، وجلب الزنوج كعبيد من أفريقيا ، واستخدامهم بالسخرة في تشييد أسس الرخاء والثراء الأمريكي .

وإذن فالمقاييس الأخلاقية التي يُصدر العالم على أساسها حكمه بأن هذا الفعل العنيف مشروع أو غير مشروع ، أخلاقي أو غير أخلاقي ، هي مقاييس مشوهة ومضللة أو متحيزة الى حد بعيد . هذه حقيقة لاشك فيها . ومع ذلك فان هذه الحقيقة لاتحدد لنا ، بوصفنا منتمين الى الأمة العربية ، نوع الأعمال التي نستطيع أن نسهم بها في الكفاح من أجل قضايانا . ان ما نستنتجه من مناقشتنا لهذه الحجة الأولى ، هو أن صورة العمل الارهابي أو غير الارهابي . كما يرسمها الاعلام الغربي ، كثيرا ما تكون مشوهة ومغرضة . ولكن هذا الاستنتاج لايقدم إجابة شافية عن السؤال الأساسي المطروح ، وأعني به : مانوع الأعمال التي يكون من حقنا ، كعرب ، أن نوجهها ضد أعدائنا ؟ ذلك لأن إدراكنا أن الصورة التي يكوّنها العالم عن الارهاب مشوهة ، لايعطينا مبررا لكي نرتكب أعمال العنف كيفما اتفق ، وبغير تفكير أو توجيه . صحيح أن الأخلاق السائدة في هذا الموضوع ، يسودها قدر كبير من النفاق ، ولكن وجود هذا النفاق العالمي لايعفينا من أن نفكر بامعان في كيفية اختيار الأساليب العنيفة التي ينبغي أن تُستخدم ضد أعدائنا ، ونمتنع عن اختيار أساليب أخرى .

ثانيا : حرب الضعيف ضد القوي :

أما الحجة الثانية التي يرتكز عليها مبدأ العنف الارهابي ضد العدو ، فهي أن العربي ، والفلسطيني بوجه خاص ، يجد نفسه في موقف الضعيف ازاء العدو ، ولا يستطيع أن يواجهه بأساليب القتال التقليدية ، وذلك لأسباب عديدة لاسلطان له عليها . فقد تكفلت أقوى دول العالم . الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وبقية الدول الصناعية

الرأسمالية الكبيرة ، بامداد « اسرائيل » بكل أسباب القوة العسكرية والاقتصادية والبشرية ، مما أتاح لهذه الأخيرة أن تقيم دولتها على أرض مسلوبة بقوة الحديد والنار . وقد أثبتت التجارب أن هذا المعسكر بأكمله على استعداد للوقوف بكل قوة وراء « اسرائيل » اذا ما تأزمت معها الأمور ، كما حدث بالفعل بعد هزيمتها في بداية حرب ١٩٧٣ ، عندما دخلت أمريكا بكل ثقلها لدعم الأداة العسكرية « لاسرائيل »

فما الذي يستطيع الضعيف ازاء عدو كهذا ؟ انه لايملك الا أن يحاربه حربا غير نظامية ، ترتكز على عمليات مفاجئة غير متوقعة ، يقوم بها أفراد مدربون على التضحية بأنفسهم مثلما هم مدربون على حمل السلاح ومهما بدا من قسوة هذه العمليات ، وذهاب بعض الأبرياء ضحايا لها ، فان هذا أمرلا مفر منه حين تفرض عوامل الضعف على أحد الطرفين رغم أنفه ، مع بقاء جذوة المقاومة والنضال مشتعلة فيه وهكذا يتلمس الطرف الأضعف أية نقطة رخوة لدى العدو ، وأي هدف غفل العدو عن تحصينه أو حراسته ، لكي يوجه اليه ضربة سريعة ، ويربك العدو بالمفاجآت المستمرة التي تصيب أبعد أماكنه عن التوقع

هذه بدورها حجة يستحيل الاعتراض عليها ، لأن الضعفاء الذين يرفضون الاستسلام ، وهم كثيرون في هذا العالم ، لابد أن يبحثوا لأنفسهم عن وسائل أخرى لمناوأة أعدائهم ، يتحقق لهم فيها قدر معقول من التكافؤ ولكن يظل السؤال مع ذلك قائما هل يلجأ الضعيف في هذه الحالة الى « أية وسيلة » ، أم أن عليه أن يختار ؟ لاجدال في أن مناوأة العدو لابد أن يكون لها هدف ، هو إنهاكه وتهديد مصالحه الحقيقية وليست المسألة مجرد إثبات وجود فحسب فخاطفو الطائرات المدنية مثلا ، يختارون أسهل الطرق ، أعني طريقا لا يحتاج الى كفاح حقيقي بل انهم يبحثون لأنفسهم عن مزيد من السلامة بأن يطالبوا بانتقال الطائرة الى مطار دولة متعاطفة معهم وفي مقابل ذلك فان هناك حركات أخرى ، صغيرة بدورها ، تقض مضاجع أعدائها بعمليات شجاعة تمس صميم مصالحهم ، وتحتاج الى قدر كبير من التصميم والقوة المعنوية وروح التضحية

وعلى ذلك فان وجود طرف ضعيف مظلوم أمام طرف قوي ظالم ، لايعني أن من حق الأول أن يضرب كيفما اتفق ، وبغير تفكير أو تمييز ، بل ان مشكلة الاختيار تظل قائمة ، ويظل السؤال الأساسي مطروحا : اذا كنتُ ضعيفا رغم إرادتي . ولديّ إصرار على مواجهة عدو يتفوق عليّ تفوقا ساحقا ، فأي الاهداف ينبغي أن أختار ؟

ثالثا : لفت أنظار العالم الى القضية :

منذ اللحظة الأولى لظهور أعمال العنف التي شاع وصفها بالارهاب ، كانت هناك حجة أساسية تتردد على ألسنة مخططي هذه العمليات والمتعاطفين معهم ، هي أننا نريد أن نلفت أنظار العالم الى قضيتنا ولا جدال في أن عملية مثل خطف طائرة مدنية وتحويل مسارها وابقاء ركابها بين الحياة والموت ساعات طويلة أو أياما كاملة ، لابد أن تحتل العناوين الكبرى لصحف العالم ، والموقع الأول في نشرات الأخبار ، طوال فترة استمرارها ومن المؤكد أن القائمين بهذه العملية ، لو أعلنوا عن قضيتهم خلال فترة التفاوض معهم على سلامة الركاب والطائرة ، سيرغمون العالم على التحدث عن هذه القضية على أوسع نطاق يمكن تصوره ولما كانت الأجهزة والوكالات التي تتحكم في وسائل الاعلام الكبرى ينتمي معظمها الى المعسكر المعادي لقضايا الضعفاء في هذا العالم ، وبالتالي فانها لا تعير هذه القضايا ، في الظروف العادية ، الا آذانا صماء ، وتتعمد تجاهلها لكي ينساها العالم ويدب اليأس الى نفوس أصحابها ، فاننا نستطيع أن نتفهم الأسباب التي تكمن من وراء هذه الحجة الثالثة ، والمنطق الذي يستند اليه أصحابها ففي عالم أصم ينبغي أن تصرخ لكي يسمعك الناس والصراخ في ساحة الصراعات الدولية ، يعني أن تقوم بعمل غير عادي من أعمال العنف ، يلفت انتباه الجميع ويشد أعصابهم

ولكن فهمنا للأسباب التي ترتكز عليها هذه الحجة لا يمنع من مناقشتها

فهناك سؤال أساسي ينبغي الاجابة عنه ، في كل مرة يلجأ فيها المرء الى حجة كهذه : مامعنى « لفت أنظار العالم » في هذه الحالة ؟ ان لص البنوك الذي يخرج ، عندما يحاصر ، محتميا بموظفة مذعورة يأخذها رهينة

تحت تهديد السلاح ، يلفت بتصرفه هذا أنظار الناس جميعا ، ولابد أن يحتل في اليوم التالي مواقع بارزة في الصحف ونشرات الأخبار ، ولكن نوع « لفت الأنظار » الذي سيحظى به من في هذه الحالة هو أن الجميع سيكيلون له شتائم وأوصافا من نوع « نذل » و « حقير » و« جبان » وأنا لم أضرب هذا المثل الا لكي أبين أن لفت الأنظار ليس غاية في ذاته ، وانما المهم أن تلتفت الأنظار الى قضيتنا « بفهم وتعاطف » ان عملية معينة يمكن أن تجعل العالم كله يتحدث عنا أياما متواصلة ، ولكن السؤال هو أي نوع من الحديث ؟ في اعتقادي أن اختطاف طائرة مدنية ، أو قتل عجوز مشلول والقاءه في البحر من سفينة مخطوفة ، أو احتجاز مجموعة من الرياضيين ، ينتمون الى بلد الأعداء ، ويشاركون في حدث رياضي عالمي تتركز عليه كل الأضواء ، أو حبس رهينة وضربها حتى الموت كل هذه أعمال ستلفت الينا أنظار العالم ، ولكن بأسوأ صورة يمكن تخيلها ، وستجعل العالم يتحدث قطعا عن قضيتنا ، ولكنه سيكون حديث السخط والكراهية والاشمئزاز

ولست أدعي أنني أول من أثار هذا الاعتراض ، فهناك كثيرون كتبوا من قبلي في هذا الاتجاه ، وفي جميع الحالات كان رد الفعل على كتاباتهم سيلا من الخطابات أو المقالات التي تدور كلها حول معنى واحد ألا ترى مايفعلونه هم بالشعوب العربية ، وبالشعب الفلسطيني ؟ هل توازن حادثة كذا أو كذا بمذبحة ديرياسين أو صبرا وشاتيلا ، أو بتشريد شعب كامل من دياره ؟ هذا كله صحيح ، ولا أحد في وطننا العربي ينكره ، ولكن النقطة التي أود إثارتها هي التناقض الكامن في سلوك القائمين بأمثال هذه العمليات فهم حين يعلنون أنهم يريدون لفت أنظار العالم الى القضية ، يصبحون ملزمين بمخاطبة هذا العالم باللغة التي يفهمها ، أما حين يستفزونه بمثل هذه الأعمال فلن يكون لذلك سوى معنى واحد هو أننا لم نعد بحاجة الى لفت أنظار أحد ، وأننا استغنينا عن تعاطف الجميع

ان الانسان العادي الذي يشاهد أخبار التليفزيون في المساء ، لن يتعاطف الا مع ركاب الطائرة المدنيين ، أما الخاطفون فسوف يكونون موضع سخطه واحتقاره ، بغض النظر عن قضيتهم مثل هذا الانسان يتوحد قطعا مع راكب الطائرة ، ويتصور أنه كان يمكن أن يكون بداخلها في هذه الساعات العصيبة . وهكذا تكون الرسالة الوحيدة التي ينقلها اليه الخاطفون هي . كل واحد منكم مهدد أيضا فكيف نتوقع تعاطفا في هذه الظروف ؟ بل ان التأثير السلبي لمثل هذه الأحداث يمتد طويلا ، حتى بعد انتهائها ففي كل مرة يشعر فيها مسافر بالطائرة ، من بين مئات الملايين الذين يتنقلون بين مختلف أرجاء العالم ، بثقل وطأة الاجراءات الأمنية التي تزداد في كل يوم تعقيدا ، ينصبّ سخطه على العرب ، ونكسب بذلك ملايين الأعداء الجدد

المستفيد والخاسر

وهنا نصل الى النقطة الأساسية التي لم أكتب هذا المقال في الواقع ، الا لكي أؤكدها ، فنحن نسلم تماما بأن أعداءنا يمارسون ارهابا أشمل ، وأفظع ، وأوسع نطاقا بكثير من كل ما تفعله هذه الجماعة العربية أو تلك هذه قضية لا تحتاج الى مزايدة ، ولا الى أصوات تلقننا دروسا في الوطنية ولكن المشكلة هي أن أعداءنا يستفيدون من ارهابهم ، بينما نمارس نحن الارهاب لكي نخسر ، ونعلم مقدما قبل أية عملية أننا سنخسر ولن يخفف من وقع هذه الحقيقة الأليمة قول البعض إنك لا تستطيع التحكم في مشاعر شبان صغار رأوا شعبهم شريدا مطرودا ، ورأوا أهلهم يقتلون أمام أعينهم بأيدي الأعداء والأصدقاء ذلك لأن معظم العمليات التي نشير اليها لم تكن رد فعل عفويا أو ارتجاليا ، وانما كانت عمليات مخططة بدقة ، ولم تُنفَّذ الا بعد إعداد طويل وتجهيز معقد وحساب لكافة الاحتمالات فلماذا لم يضع أحد نتائج العملية في حسبانه ؟ ان المنفذين المباشرين للعملية قد يكونون بالفعل ضحايا لظروفهم القاسية ، ولكن هل من المعقول أن يكون الذين يخططون لهم غير واعين بأنهم يقدمون لأعدائنا ، بمثل هذه العمليات ، دعاية مجانية لم يكن أحد منهم يحلم بها ، ويلحقون بقضايانا كلها ضررا يستحيل اصلاحه ؟

هذه المناقشة تحدد لنا معالم المعيار الذي ينبغي أن نقيس به أعمال العنف المشروعة ، من وجهة نظرنا

العربية ، وتلك التي ينبغي أن ندينها ونتبرأ منها ونفضحها على أوسع نطاق ممكن . فالمعيار السليم في هذه الحالة هو موازنة الفوائد والأضرار : أي أن العملية تكون مشروعة اذا كان الضرر الذي تلحقه بأعدائنا واضحا ، والفائدة التي تجلبها لنا مؤكدة ، وتكون غير مشروعة اذا لم نجن منها الا الخسارة ، بينما يجني أعداؤنا كل المكاسب . وبهذا المقياس يسهل أن ندرج ضمن العمليات المشروعة ، من وجهة نظر الشعب الذي اغتصبت أراضيه ظلما ، عملية نسف مقر المارينز في بيروت ، أو ضرب المجندين في حائط المبكى ، بينما تنتمي عمليات مثل خطف السفن أو الطائرات أو قتل المسافرين في المطارات الأجنبية بالجملة ، الى ميدان الأعمال غير المشروعة ، لأن المخططين لها يعلمون منذ البداية أنها لن تجلب لنا الا الضرر ، ولأن هذا هو نوع العمليات الذي كان يمكن أن يفتعله أعداؤنا افتعالا ، لو لم يتطوع البعض منا لاسداء هذه الخدمة الجليلة اليهم .

النافع والضار

وهكذا فان مشكلة الارهاب ، اذا تأملناها من الزاوية العربية ، لا تعود مشكلة صواب أو خطأ ، ولا عدل وظلم ، وانما هي ببساطة مشكلة نفع أو ضرر . ففي مثل هذا المجتمع العالمي المنافق ، الذي يتشدق بأخلاق وقيم ومثل عليا يطبقها حين تخدم مصالحه ، ويدوسها بأقدامه حين تتعارض مع هذه المصالح ، ينبغي علينا أن نسأل أنفسنا ، قبل الاقدام على أي عمل عنيف ضد الأعداء ، هل سيعود هذا العمل علينا بالنفع وعلى أعدائنا بالضرر ، أم العكس ؟ أما أولئك الذين لا يكترثون بالنتائج ، ويندفعون الى العمل العنيف كالثور الهائج ، ويرغمون أبناء شعبنا في كل مرة على أن يعتذروا عنهم قائلين إن أعداءنا يفعلون ما هو أفظع من ذلك ، أما هؤلاء فلابد أنهم يعملون ، بصورة أو بأخرى ، لحساب أعدائنا ، ومن واجبنا ألا نتردد في فضح ارتباطاتهم الى أن تخلو الساحة من أمثالهم .

تبقى في نهاية الأمر حجة أخيرة ، لم أشأ أن أعالجها ضمن الحجج الثلاث السابقة ، لأن لها وضعا خاصا . تلك هي الحجة التي تقول : ليذهب الرأي العام العالمي ، وليذهب التفكير في الفوائد والأضرار ، الى الجحيم ! فنحن نعيش في عالم لاأخلاقي يسوده العنف ، ولا مفر من أن يسلك المظلوم طريق العنف بدوره كما يفعل الظالم . تلك هي الحجة التي تقول إن الخراب ينبغي أن يحل على الجميع ، مادام قد حل علينا من قبل .

مثل هذه الحجة ، في رأيي ، منطقية مع نفسها ، فليس فيها ذلك التناقض الذي نلمسه لدى أولئك الذين يسعون الى لفت أنظار العالم بأعمال يحتقرها العالم . ولكن الركيزة الأساسية لهذا الموقف هي مبدأ « عليّ وعلى أعدائي » . وأنا لا أنكر أن الظلم الفادح الذي يسود العلاقات الدولية يمكن أن يؤدي بالبعض الى هذا النوع من التفكير . ولكن على من ينادي برأي كهذا أن يتحمل مسئوليته . فمعنى رأيه هذا هو أنه ، ببساطة ، قد أعلن الحرب على العالم ، ولم يعد في حاجة الى تأييد من أحد . ومعناه أن يكف عن المطالبة بالحق والعدل ، ما دامت القوة قد أصبحت عقيدته الوحيدة . ومعناه أن يقف وحده ، بقوته المحدودة ، أمام جبابرة العالم متحديا إياهم على ساحة العنف ، لا لاثبات أية قضية ، بل لمجرد الانتقام والمعاملة بالمثل .

انه ، كما قلت ، موقف متسق مع نفسه ، ليس فيه تناقض ، ولكنه موقف يائس ، بل هو أقرب الى أن يكون موقفا انتحاريا ، لايلجأ اليه الا من استغنى كلية عن العالم ، وقرر أن يقف منه موقف العداء السافر . ونهاية هذا الموقف معروفة مقدما ، وهي تكاثر الجميع على صاحبه، وتحالفهم ضده وتكاتفهم من أجل القضاء عليه . ولما كنت أعتقد أننا لم نصل بعد الى هذه المرحلة ، وأننا مازلنا بحاجة الى العالم ، ومازلنا نوجه اليه خطابنا ونستعين بقوى فيه يمكن أن تناصر قضايانا في وجه القوى المعادية ، فإني أعتقد أن هذا الموقف الانتحاري يمثل ، من وجهة النظر العربية ، خسارة لاتقل عن تلك التي يجلبها لنا من يعرفون ، عن وعي وسبق اصرار ، أنهم يقومون بعمليات تخدم أعداءنا، ولا تلحق بنا الا أشد الأضرار . □

عروبة أم إسلام؟

بقلم : الدكتور محيي الدين عميمور *

عاش المغرب العربي ظروفا تاريخية مميزة حكمت شكل تطوره اللاحق ونهج التفكير فيه ، وحددت موقفا من قضية العروبة والاسلام يختلف عنه في بلدان المشرق العربي والمقال التالي محاولة لمناقشة موقف كل من المشرق والمغرب العربيين من هذه القضية في ضوء التطور التاريخي لكل منهما

عاش المغرب العربي ، والجزائر بوجه خاص ، دائما ظروفاً تاريخية خاصة ،وممارسات نضالية مميزة ، عاش نوعا من الاندماج الكلي بين الاسلام والعروبة ، بحيث كان من العسير على مواطنين في الجزائر لم يعرفوا المشرق العربي،تخيل امكانية وجود عرب غير مسلمين ، وكم أدى هذا الى مشاكل مع رجل الشارع البسيط ، خاصة خلال شهر رمضان ، وذلك في المرحلة التي تلت استرجاع الاستقلال

لكن حدث بعد ذلك ، في مجال التفاعل الفكري بين المشرق والمغرب ، تأثر بغياب الديموقراطية الفكرية التي تعتمد على الحوار الهادىء والنقاش العلمي ومقارعة الحجة بالحجة ، وذلك في إطار ثقافي يضمن ان تصل الى الساحات العامة افكار ناضجة قتلت بحثا ودراسة وتحليلا ، لتكون أساسا للقناعات الفكرية الثابتة

ويبدو لي اننا بدلا من ذلك عشنا نوعا من الارهاب الفكري وذلك لأسباب قد لاتكون لها علاقة عضوية بالفكر ، وهكذا أصبحت مادة التعامل بين كثيرين ، ينتسبون إلى الفكر أو ينسبون اليه ، القاب الخيانة والعمالة والانحراف المذهبي والجمود العقائدي والتطرف الديني ولعل هذا كان من الاسباب التي وصلت بنا الى ما اصطلح اليوم على تسميته بالزمن الرديء ، وأكبر ما فيه من أخطار تلك الهوة السحيقة بين الاجيال

لم يكن جوهر الخلافات فكرياً ، بل أجرؤ على التأكيد بأنه لم يكن في معظم الأحيان عقائديا بقدر ما كان سياسيا محدود النظرة ضيق الأفق عقيم التفكير

جوهر القضية في تصوري هي محاولة البعض صنع

---

* المستشار الاعلامي لرئيس الجزائر الراحل هواري بومدين

مائدة لها أقل من ثلاث أرجل ، أو محاولة بناء بيت بجدارين ، أو محاولة التصفيق بيد واحدة

ولعلي أعيد هنا بعض ما سبق أن قلته على منابر لم يصل صوتها الى الكثيرين في المشرق ، وهو ما اعتذر عنه للقارىء في الجزائر

هناك في نظري ثلاثة جوانب متكاملة لشخصية الانسان ، والحديث هنا عن الوطن ، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ـ هي الجانب اللغوي بمعناه الحضاري ، والجانب الديني بمضمونه الروحي ،

والجانب الاجتماعي بدلالته الاقتصادية ، وهذه الجوانب قد تشكل دوائر مختلفة الأقطار لكنها تشترك في مركز واحد

وبدون الاغراق في الرموز أقول بعض الوضوح إن محاولة تجاوز بعض الحساسيات المذهبية في المشرق ، وربما بتأثير ممارسات العثمانيين في مرحلة معينة ، قادت الى « ابتكار » عروبة أرادوا لها أن تكون عروبة تكاد تكون عرقية

وبدون الدخول في التفاصيل المعروفة فان هذا الاتجاه لم يتمكن من تقديم الحلول للازمة الفكرية وللفراغ الايديولوجي ، بل وساهم في تعقيد القضية لأنه كاد أن يجعل من القومية نقيضا للعقيدة الدينية ، وهكذا ولد صراع لم يكن له مبرر غير المبرر السياسي ، وربما كان الانقسام الذي عرفه الوطن العربي من بين النتائج السلبية لذلك الصراع الذي حدثت فيه صور من التطرف لاتعترف بمقاييس نيوتون عن الفعل ورد الفعل

وزاد الامور تعقيدا ما نتج عن ذلك التناقض الفكري (بالاضافة الى محصلة أوضاع اجتماعية ، وتأثير معطيات مذهبية أو عرقية) من بروز فريق آخر يعتنق نظرة علمية مجردة ، تفتقد العمق الذي تضمنته الحضارة العربية الاسلامية

ولقد أدى هذا ـ والحديث عن النتائج لا عن النوايا ـ إلى عزلة نخبة متميزة عن الواقع النفسي والوجداني للجماهير ، ثم عن فعالية التأثير وامكانية التوجيه والتأطير ، مما أدى بها الى أن تصبح رهينة القرار الفوقي إن لم تصبح ضحيته ، هذا اذا لم تنسحب من الميدان تحت ضغط التزامات الحياة اليومية !!

أخطر من ذلك في نظري كانت محاولات تجريد العقيدة الدينية من عمقها الحضاري والاجتماعي ، وخلق تناقض بينها وبين المنطلقات الوطنية ، بالمعنى الواسع لتعبير « الوطن » ، وذلك تلويحا بأفكار أممية ، لا يؤمن بها كثيرون ممن يروجون لها ، بل ليحققوا بها أهدافا أشرف ما فيها أنها اقليمية ضيقة

وبعد أن كنا نستمع ـ أو نرغم على الاستماع ـ لمن يقول بأننا عرب قبل كل شيء وبعد كل شيء ، أصبحنا نضطر إلى الاستماع لمن يقول نحن مسلمون ولا شيء غير ذلك ، ويضيع وقت وجهد في المناقشات البيزنطية حول حدود الدين وحدود القومية ، لتحقق لا شعوريا أهداف العاملين لضرب الدين بكل مايعنيه ، والقومية بكل ما تمثله

وأدى هذا ـ مع عناصر أخرى لها مجالها ـ إلى بروز اتجاهات إقليمية ونصف اقليمية وتحت اقليمية !

وبدلا من أن يصبح البحث في أعماق التاريخ عملا علميا وجهدا فكريا خلاقا يأخذ صورة البحث الأكاديمي ، ويدرك معنى حركة التاريخ وديناميكية تطوره ، ويفهم المراحل التي تجتازها الأمم والشعوب لتأخذ صورتها الحضارية الناضجة ، كان هناك من يتفاخر بحماقة بأنه من لقطاء التاريخ ، لا أعماق له ولا جذور ، وكان هناك من يصر على أن يبقى حبيس احدى مراحله العابرة ، كالطفل الذي يتوقف نموه ، ويتحول مع مر السنين إلى مجرد قزم ، لا مكان له إلا حلبة السيرك

ذلك أن حركة النمو عند الشعوب تتشابه إلى حد كبير مع مراحل النمو عند الفرد ميلادا وطفولة ثم مراهقة فنضجا ثم شيخوخة تعود به إلى بعض ممارسات الطفولة وكثير من قصورها والشعوب العريقة التي تتمتع بالشرعية التاريخية ، تجد من أبنائها طلائع واعية ذات إرادة وتصميم ، تعيد الدورة وهذا هو الفرق الأساسي بين نمو الفرد وتطور الأمة

ولكننا أصبحنا ـ لنقص الوعي ـ نعيش عجبا

فلقد كان من بيننا من يخجل من الاعتراف بأنه كان يوما طفلا رضيعا ، بعد أن شاب فوداه وأصبح له من الابناء فريق كرة كاملا غير منقوص

وكان أخطر ماعشناه في مناطق كثيرة من وطننا المعطاء « تراجع مكانة العلم والفكر والمعرفة أمام الآثار الاستهلاكية للثروات الطفيلية التي كدستها المضاربة والاستغلال - فئات كانت في أسفل الدرجات الاجتماعية ، وهكذا ارتفعت السيولة النقدية ، وبشكل يثير الدوار ، في مستوى شرائح اجتماعية ، لم تكن دائما أكثر الشرائح ثقافة أو وعيا ، أو أهم الطبقات إنتاجية ، أو أقوى المجمع ارتباطا بالوطن وحرصا على مصالحه ، بالاضافة الى انها كانت تفتقر غالبا الى الضوابط التي تلتزم بها البورجوازيات العريقة

سلطة المال هذه لاتقبل النظام الرأسمالي لأن قواعد اللعبة فيه تفترض وجود تعدد حزبي يوفر الحماية للنظام نفسه من تجاوزات المال ، وهي بالطبع ترفض النظام الاشتراكي لأنه لايعطيها امكانية التصحم على حساب المكتسبات الاجتماعية للمواطنين

وكان الطريق الذي سلكته هو العمل على بروز مفهوم للدين ، يتناقض تماما مع روح الاسلام وممارسات ابن الخطاب ، لانه يعتمد أساسا على الجهل بقواعد الدين التي تربط العبادات بالمعاملات ، ويفتقر الى العمق الاجتماعي الاقتصادي في بلاد عدوها الاول هو التخلف ، ومطمحها الاساسي تحقيق التقدم في ظل العدالة الاجتماعية ، وبفضل تكافؤ الفرص ، والقضاء على الاستغلال ، وعلى تحكم رأس المال الطفيلي في مقدرات الامور الذي يقود الى ما أسماه توفيق الحكيم « زمن انفتاح الجيوب وانغلاق العقول »

واستفادت تلك الاتجاهات من تواطؤات خارجية لاتريد خيرا للعروبة والاسلام بقدر ما استفادت من الفشل الايديولوجي والاحباط القومي ، والصراع الذي امتص طاقة المثقفين وشتت صفوفهم

ولأن الطبيعة لاتحتمل الفراغ حلا الجو للذين يعملون ليكون الاسلام نقيضا للعروبة ، بحجة أن « الاسلام أممي » ، ونقيضا للفكر الوطني القومي لأن « الاسلام جاء للناس كافة » ونحن مسلمون قبل كل شيء ، ونقيضا لمفاهيم العدالة الاجتماعية الحقيقية التي هي بنت الشيوعية ، « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » ، ونقيضا للاعتزاز بالعمق التاريخي للشعب والامة « لأن تلك هي دعوى الجاهلية » ، ونقيضا لكل تفتح على روح العصر ومتطلباته « لأن تلك بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »

ولا جدوى للنقاش ، بل لا داعي للنقاش ، فهو جدل ممقوت ، ومن لايقبل بهذا فهو ملعون ، وقد يأتي يوم يهدر فيه دمه !!!

هذه في نظري هي أزمة الشخصية العربية الاسلامية اليوم ، وهي نتيجة طبيعية لمحاولة تفتيت مكوناتها ومقوماتها

واذا كان التشخيص متفقا عليه فان هذا أول الطريق نحو العلاج □

بئر الخاتم أو بئر أريس

● تمتاز المدينة المنورة بكثرة الآبار والعيون فيها ، ولا يزال بالمدينة عيون وآبار منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، من بينها بئر أريس أو بئر الخاتم ، وهي تقع بجوار مسجد قباء ، وقد أغلقت الحكومة السعودية هذه البئر بسبب ما كان يحدث من بعض الحجاج اذ ينزلون الى باطنها للبحث عن خاتم الرسول فيها

وقصة هذا الخاتم أنه بعد مضي نحو ست سنوات من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس عثمان يوما على حافة بئر أريس ، فسقط خاتم النبي ﷺ الذي كان يلبسه بصفته ثالث الخلفاء ، وظل عثمان يبحث عن الخاتم ثلاثة أيام بعد أن نزح ماء البئر فلم يعثر عليه ، ومنذ ذلك اليوم سميت هذه البئر « بئر الخاتم »
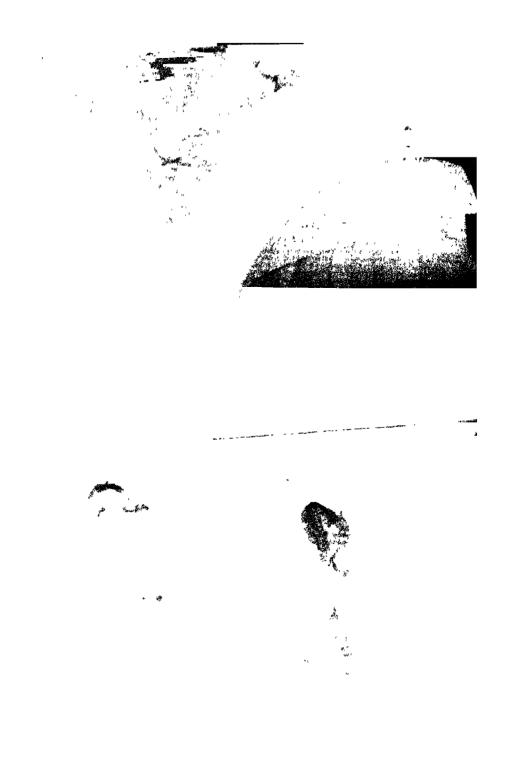
(مامن موضع فيها الا وتجد به أثرا صلى فيه نبي أو سكنه ملك وأقام عليه ملكه) هكذا يقال عن القدس المدينة المقدسة عند الديانات السماوية الثلاث فما هي حكايتها كمكان على مدى العصور والأزمان ، وكيف توالت عليها مصائر الانسان ؟

قالت لي وفي صوتها رنة حزن
أنا من حارة السعدية بالقدس القديمة بالذات ، ولدت هناك ، وعشت طفولتي ، وصباي ، سور القدس كان جدارا من جدران بيتنا وما زال ، عشت وتعايشت مع حاراتها وأحجارها وأزقتها ، أبي كان يعمل في دائرة الأوقاف الإسلامية ، ولأنه كان دائما في المسجد الأقصى أو في أحد الأبنية التي تحاذيه فإنني كثيراً ما كنت أزوره هناك ، كل شبر وكل حجر لي ذكريات معه

خرجت مع من خرج إثر حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، بعد أن هدم الصهاينة حي المغاربة ، وأحياء أخرى من القدس ، وعدت في العام الماضي ، أي بعد أن غبت حوالي ١٩ سنة عندما طرقت باب بيت حارتنا المسيحية خرجت كالملهوفة بعد سماع صوتي ، كأنها وجدت ابنة لها ضاعت منذ زمن طويل ، حضنتي وحضنتها ، وبكينا بحرقة ، ثم خرجت كلماتها من بين شهقات البكاء

- أين دهبتم وتركتمونا أين ؟

أحسست في تلك اللحظة أنها لا تخاطبني وحدي ، وأحسست أن الصوت لم يكن صوتها وحدها ، كأنها كانت تخاطب كل من يهمه أمر القدس ، بل أمر فلسطين كلها ، من عرب مسلمين ومسيحيين وغيرهم ، كأنها كانت تعاتب وتقرّع وتستغيث أين أنتم ؟

نعم ، أحسست أن صوتها لم يكن وحده ، كأنه كان يختزل آلاف الأصوات ، وصداها ، من بشر وأزقة وحجارة وطيور وحيوانات وكل ما يحتويه المكان أحسسته يسأل لماذا تركتمونا لماذا لماذا ؟

بكيت ، بكيت ، صك السؤال على مسامعي ، كان طنينه عطيماً ، وغامت الرؤية في عيني ، ولم أعد أسمع إلا أصوات المؤذنين ، مختلطة بدقات النواقيس ، وعبقت في أنفي رائحة حارات القدس ودهاليزها وسككها ، وطالت وقفة الاحتضان بيني وبين حارتنا المسيحية وحرس اللسان ، وبقيت أصوات المكان وروائحه ، وما يمثله من قداسة ، تحتل مركز العصب في كياني ، حتى جاء من نقلنا إلى داخل البيت .

أما بدرية عمران ، ابنة القدس ، لم أكن أحلم ، ولم تطرق الكتابة يوماً بابي ، لكنني أقول ما أحسست ورأيت وسمعت ، بعد ١٩ سنة من مغادرتي للمكان الذي ولدت ، وعشت فيه طفولتي وصباي

هكذا علقت بدرية عندما سألناها عن اللحظات الأولى التي واجهتها ، عندما عادت إلى مدينتها ، مدينة القدس ، بعد غربة

المكان والانسان .

تقع القدس في منتصف فلسطين تقريباً ، مع ميل واضح نحو الجهة الشرقية ، بنيت على جبل تتراوح ارتفاعاته بين ٧٢٠ و ٧٨٠ مترا فوق سطح البحر ، تنقسم المدينة إلى قسمين ، قسم داخل السور ، وهو البلدة القديمة ، مساحتها حوالي كيلو متر مربع واحد ، وتقع فيها الاماكن المقدسة للاسلام والمسيحية وآثار لليهودية ، وقسم خارج السور

بني السور منذ قديم الزمان ، وتم تجديده في كثير من المراحل ، طوله ٤٢٠٠ متر ، وارتفاعه في بعض الأماكن ٣٠ قدماً ، وبه سبعة أبواب ، هي العمود ، والساهرة ، والنبي داود ، والمغاربة ، والأسباط ، وباب الخليل ، والباب الجديد ، وربما يطلق أكثر من اسم على كل باب منها ، وتلك الأسماء تسود وتختفي ، حسب المرحلة التاريخية ، وحسب القوى الحاكمة المهيمنة عليها كان بالسور في ستينيات هذا القرن ٣٠ برجاً وقلعة كبيرة

داخل السور يقع مسجد قبة الصخرة المشرفة الذي بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بين (٦٨٥ و ٦٩١م) ، ويقع مسجد الأقصى إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة ، وقد بدأ في بنائه الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً سنة ٦٩٣م ، وأتمه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م ويمكن اختصار تاريخ القدس على الصورة التالية

* اليبوسيون هم بناة القدس الأولون ، نزحوا من الجزيرة العربية مع القبائل الكنعانية التي ينتمون إليها ، واستوطنوا هذه الديار حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

* خرج بنو « اسرائيل » من مصر حوالي سنة

١٣٥٠ ق م ، في زمن فرعونها رمسيس الثاني ، مع النبي موسى عليه السلام ، وتاهوا في صحراء سيناء حوالي أربعين عاماً ، ثم دخلوا فلسطين ، واستوطنوا حبرون مدينة الخليل ، ثم احتلوا أريحا بقيادة يشوع ، ثم حكمهم يهودا ، ودخلوا القدس في عهده

بدأ الحاكم النبي داود عليه السلام بناء هيكل للعبادة ، ثم تابع عمله الحاكم النبي سليمان عليه السلام ، وأتم بناء الهيكل سنة ١٠٠٥ قبل الميلاد وقد هدم هذا الهيكل على يد نبوخذ نصّر الكلداني سنة ٥٨٧ قبل الميلاد ، وهو الذي سبى اليهود إلى بابل ، ثم أعاد ترميمه الملك هيرود سنة ١٨ قبل الميلاد ، ثم جاء تيطس الروماني بعد ذلك وهدم الهيكل الثاني سنة ٧٠ ميلادية ، ثم جاء بعده الأمبراطور الروماني هدريان وأزال آثار الهيكل بالكامل عام ١٣٥ ميلادية

* في عهد الحاكم الروماني هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١ ميلادية) حدث إسراء ومعراج النبي العربي محمد ﷺ ، ثم فتح العرب بلاد الشام ، ودخل الخليفة عمر بن الخطاب القدس ، وبنى فيها مسجداً في موقع المسجد الأقصى الآن (٦٣٦م) ، وجدده الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ودانت المنطقة كلها للعرب بعد ذلك ، وتتابعت دولهم حتى احتلها الصليبيون سنة ١٠٩٩م ، وارتكبوا مجزرة ذهب ضحيتها ٧٠ ألفاً من المسلمين ـ كما تقول المصادر التاريخية ـ ثم استرجعها المسلمون تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م

وتوالت عليها الأسر المملوكية المسلمة بعد ذلك ، حتى دانت المنطقة للأتراك العثمانيين سنة ١٥١٧م ، واستمروا يحكمون المنطقة (ومن ضمنها القدس) ، حتى وقعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، فدخل الجنرال الانكليزي اللنبي فلسطين ، ووصل إلى القدس في ١١/١٢/١٩١٧م ، وكانت بريطانيا قد أصدرت وعد بلفور عام ١٩١٧م ، ووعدت فيه اليهود بوطن قومي لهم في فلسطين

وتذكر المصادر أن آخر ترميم لسور مدينة القدس وبعض مبانيها تم في سنة ١٥٣٦م ، زمن السلطان التركي سليمان القانوني ، وأن المباني بقيت محصورة ضمن الأسوار إلى سنة ١٨٥٨ عندما بدأت بعض البعثات الدينية بناء بعض مبانيها خارج الأسوار ، ثم تبعها السكان في ذلك

يوجد في القدس كثير من الآثار المقدسة حسب ما جاء في كتاب (كنوز القدس) الذي أشرف على اعداده الدكتور رائف نجم فانه يوجد بها حوالي ٢٠٠ أثر اسلامي ، و ٦٠ اثرا مسيحيا ، و ١٥ اثرا يهوديا .

● مساحات مهوبة فالى متى ؟

إنها المدينة التي قيل فيها (ما من موضع فيها إلا وتجد به أثراً صلى فيه نبي ، أو سكنه ملك وأقام عليه ملكه)

تقول المصادر التاريخية إن أول اسم أطلق على مدينة القدس هو (يبوس) ، في عهد الملك (ملكيا صادق) ملك اليبوسيين ، ثم أصبح اسمها أورسالم ، أي مدينة سالم ، في عهد الملك سالم اليبوسي ، ثم توالت الأسماء عليها ، فهي مدينة داود زمن سيطرة العبرانيين عليها ، ثم مدينة أورشاليم ، ثم مدينة إيليا كابيتوليا زمن السيطرة الرومانية عليها ، ثم مدينة القدس أو بيت المقدس زمن الفتح الإسلامي لها

العهـــد العمـــري

يجدر بنا تسجيل مجموعة من الحقائق التي تم ثبوتها عبر التاريخ

ـ على الرغم من توالي هجمات الشعوب وتغيير المعالم والأديان في المدينة (عبرانيون ، ورومان ، وفرس ، وصليبيون ، وأتراك وغيرهم) فإن الطابع الحضاري العربي الإسلامي ـ في النهاية ـ هو الأبقى في المنطقة ، وبخاصة في القدس ، وقد أعطاها سماتها وسقفها وقسماتها

● القدس كما تخيلها الفنان تيسير شرف

ـ تحت سلطة العرب المسلمين ، كان المسيحيون ـ من العرب أو من غيرهم ـ واليهود يعيشون حياتهم ، ويمارسون شعائرهم بحرية ، ولم يقلل منها بعض تصرفات وأوامر ونواهي قلة قليلة نادرة من حكام المسلمين (كالحاكم بأمر الله على سبيل المثال)

وأكبر دليل على ذلك هو ما جاء في العهد العمري عندما فتح المسلمون إيليا ـ أي بيت المقدس ـ زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد جاء في العهد المشهور في سنة ١٥هـ الموافق ٦٣٦م ما نصه

« هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم ، وأموالهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمها ، وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود » وهذا الشرط الأخير ، اشترطه بطريرك القدس صفرونيوس ، ومع ذلك فإن هذا الشرط تم التحلل منه تدريجيا فيما بعد

جاء في مذكرة الوكالة اليهودية التي رفعتها إلى لجنة وودهيد (لجنة بيل لتقسيم فلسطين) المرفوعة سنة ١٩٣٨ ما معناه (ما من شك أن الفتح العربي في القرن السابع للميلاد قد مثل تقدما ملحوظا في مركز اليهود بالمدينة المقدسة) ، وأشارت المذكرة إلى أن خلفاء الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي قد سمحوا لليهود بتعمير أماكن قصائهم الديني وبناء معابد لهم

ـ إن تركيزنا على المدينة المقدسة لا يعني أنها يجب أن تكون خارج نطاق محيطها العربي الفلسطيني ، إذ أن ما يصيبها هو نفس ما يصيب غيرها من مدن وقرى عربية فلسطينية محتلة

بلاد التسامح :

(لا معنى لفلسطين بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون إقامة الهيكل مكان الأقصى) هذا ما قاله بن غوريون رئيس الوزراء « الإسرائيلي » الأسبق في أحد تصريحاته وتوالت الاعتداءات ومحاولات السيطرة على الأراضي والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في مدينة القدس ، وفي غيرها من المدن والقرى الفلسطينية بعد ذلك ، ولن تكون محاولة إحراق المسجد الأقصى بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ الأخيرة

*** فكيف كان اليهود يعيشون مع العرب زمن الحكم العثماني والانكليزي ؟**

قال لنا الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الأخيرة ، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى المقدسي ، المبعد عن القدس بتاريخ ١٩٦٧/٩/٢٣ عندما التقينا به في مدينة عمّان

(لقد كان اليهود يعيشون بيننا في القدس وفي غيرها من المدن الفلسطينية ، وكانت علاقاتنا بهم علاقات جيدة تماما مثل غيرها من العلاقات التي كانت قائمة مع إخواننا المسيحيين مثلا ، بل إن بعض العقارات والأملاك منحناها منحة لليهود كمقابر رأس العامود ، بل إن الحي اليهودي بأكمله كان وقفا إسلاميا ، منحناه لليهود لأننا كنا نعطف عليهم ونعطيهم بروح منهم وإذا كان لي أن أوثق للفترة التي أحدثنا بها مراجعة بعض مواقفنا معهم فهي بعد صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م الذي نص على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين ومع ذلك فإن الكنيسين اليهوديين في القدس تم الحفاظ عليهما على الرغم من كل الأحداث التي تلت سنة ١٩١٧م ، وقد (كافأونا) على ذلك بأن أطلقوا نيرانهم من داخلهما على المسجد الأقصى)

وقال لنا الدكتور صبحي غوشة ، ابن القدس المبعد عنها في منتصف مايو (أيار) ١٩٧١م بعد اعتقاله مدة تزيد على عامين

(إن بلادنا هي بلاد التسامح ، والقدس بلد مقدس عند جميع الأديان ، لذلك فإننا لم نكن نرى غضاضة في أن تعيش جميع الطوائف والمذاهب فيها لقد كان الفصل الدراسي يجمع طلبة من جميع الطوائف والأديان ، نعم أنا درست مع طلبة يهود ولم يكن يخطر ببالنا التفرقة ، لكنهم كانوا يخططون في الظلام ما لم يكن مكشوفا في النور ، لقد كنا نعطف عليهم كغرباء ، اضطهدتهم الدنيا ، فتحولوا إلى مضطهدين لنا)

أما المطران إيليا خوري مطران الكنيسة الأسقفية للقدس والشرق الأوسط ، وعضو لجنة تمهيدية لمنظمة

● المخيم الفلسطيني مارال يردد أحي حاور الطالمون المدى !

● وأنا راجع لك يا دار هكذا يعي ويقسم الصعار في المخيمات

● تطرير فلسطيني على أثواب لتوكيد الهوية

التحرير الفلسطينية ، المعد عن القدس في ١٦/٤/١٩٦٩م ، فقال لنا كنا نعيش دون تفرقة ، (مسلمون ومسيحيون ويهود) حتى عقد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م ، وتم الإعلان عن قيام الحركة الصهيونية التي بدأت بإقامة المستوطنات في فلسطين ، وأخذت في تدريب اليهود عسكرياً ، تمهيداً لطردنا ، وقد لعبت بريطانيا دورا كبيرا في رعاية هذا المخطط وتمهيده ، ثم رعتهم الولايات المتحدة الأمريكية بعد أفول شمس الامبراطورية الانكليزية ، وما زالت)

ممارسات المحتل

* **ما الذي حصل للقدس بعد احتلال قسم منها سنة ١٩٤٨م ، وما الذي حصل بعد احتلال بقيتها سنة ١٩٦٧م ؟**

- جاء في كتاب (القدس والمدن الفلسطينية تحت الحكم العسكري « الإسرائيلي » وهو من إعداد روحي الخطيب ، أمين مدينة القدس ، المعد عنها تاريخ ٧/٣/١٩٦٨م -

(بعد إعلان قيام دولة العدو « الإسرائيلي » في فلسطين سنة ١٩٤٨م ، بدأت المخططات الإسرائيلية ضد القدس وأهلها ومقدساتها تتكشف وتظهر ، وكان من أبرز هذه المخططات ما يلي

- إعلان القدس المحتلة سنة ١٩٤٨م عاصمة « لإسرائيل » بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٨م ونقل مقر حكومتها إليها

- إصدار سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتاريخ ٣١/٣/١٩٥٠م قانوناً اسمه (قانون أموال الغائبين سنة ١٩٥٠م) ، اعتبر بموجبه كل مواطن فلسطيني كان يقطن المناطق المحتلة وغادرها بعد ١/٩/١٩٤٨ غائباً ، وحرمته من حق العودة ، وصادرت أملاكه

- إعلان ضم القدس التي كانت تحت الإشراف الأردني إلى دولة الاحتلال العسكري « الإسرائيلي » إدارياً في ٢٨/٦/١٩٦٧م ، وإلغاء القوانين الأردنية فيها ، واستبدال القوانين « الإسرائيلية بها »

- مصادرة معظم الأراضي العربية المحيطة بها ، وإنشاء ستة عشر حياً يهودياً فيها ، يشكلون طوقاً حديدياً حول من تبقى من عربها (يبلغ عددهم الآن حوالي ١٢٠ ألفا ، في حين بلغ عدد الإسرائيليين في القدس وما حولها ما يزيد على ٣٠٠ ألف نسمة)

- مصادرة خمسة أحياء عربية داخل أسوار القدس ، ملاصقة للمسجد الأقصى المبارك ، وهدمها ، بعد إجلاء أهلها ، وإنشاء حي يهودي مكانها

- إعلان ضم القدس سياسياً لدولة العدوان العسكري الإسرائيلي بتاريخ ٣٠/٧/١٩٨٠م ، وتأكيد جعلها عاصمة أبدية لهم ، خلافاً للقرارات الدولية

- مصادرة ما يقارب من ٣٠٪ من أراضي المناطق الفلسطينية المحتلة في سنة ١٩٦٧م ، وإنشاء مئات المستعمرات الصهيونية عليها ، وما زالت سياسة مصادرة الأراضي وطرد السكان وإبعادهم خارج فلسطين المحتلة ناشطة ، وما زال السكان يتعرضون إلى تضييق سبل العيش عليهم ، واعتقال وسجن المئات منهم

كما تتعرض الجامعات والمدارس إلى فترات إغلاق طويلة ، ويتعرض أساتذتها وطلبتها إلى الملاحقة ، والاعتداء ، والاعتقال بين فترة وأخرى »

ويفيد التقرير الصادر في (٨/١٠/١٩٨٦م) الذي أعدته مديرية الدراسات والأبحاث بوزارة شؤون الأرض المحتلة في المملكة الأردنية الهاشمية أن عدد المستوطنات « الإسرائيلية » المقامة في القدس وما حولها بلغت ٣٥ مستوطنة ، كما بلغ عدد المستوطنين المقيمين فيها ٩٠ ألف مستوطن ، وأن السلطات الصهيونية قد صادرت ٥٦ ألف دونم ، من أصل ٦٣ ألف دونم (وهي مساحة القدس العربية حسب الحدود البلدية التي رسمت لها بعد عام ١٩٦٧م)

وقد بدأت السلطات الصهيونية بتنفيذ مخطط (القدس الكبرى) ، حيث تم توسيع حدود بلدية مدينة القدس ، لتشمل إضافة إلى القدس مدن رام الله والبيرة وبيت ساحور وبيت جالا وبيت لحم ، هذا بالإضافة إلى ٦٠ قرية عربية ، ويهدف هذا المخطط إلى عزل منطقة القدس عن باقي المناطق العربية الفلسطينية ، لتصبح قسمين منفصلين ، قسم شمالي مركزه نابلس ، وقسم جنوبي مركزه الخليل

وباشرت السلطات الصهيونية في تنفيذ خططها الرامية للاستيطان في مدينة القدس ، ومحاولة طرد سكانها العرب ، واستبدال مستوطنين يهود بهم

* **وعندما سألنا المطران إيليا خوري عن ممارسات الصهاينة في الأماكن المقدسة المسيحية علق قائلا**

لا تحصرني الآن كامل الممارسات الصهيونية في الأماكن المقدسة المسيحية ، لكني أتذكر أن أماكن مسيحية كثيرة دست في القدس وغيرها من المدن والقرى ، فقد سرقوا تاج العذراء من كنيسة القيامة أواخر سنة ١٩٦٧م ، وحتى الآن لم يجدوا السارق ولا المسروق !

* **جاء في كتاب (القدس والمدن الفلسطينية تحت الحكم العسكري « الإسرائيلي ») الآتي**

- تم تحطيم قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدس بتاريخ ٢٤/٣/١٩٧١م

- تعرض دير الأقباط ليلة عيد الميلاد في ٢٥/٤/١٩٧٠م إلى الاعتداء على ممتلكاته ورهبانه

ـ تم إحراق المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون بتاريخ ٦/٢/١٩٧٣م
ـ جرى إحراق أربعة مراكز مسيحية في القدس بتاريخ ١١/٢/١٩٧٤م
كل هذا بالإضافة إلى الضغوط والإرهاب الذي يتعرض له رجال الأديرة المسيحية ، وإجبارهم إما على بيع بعض الأملاك ، أو التخلي عنها بالقوة ، فضلاً عن الاعتداء بالضرب والإهانة لكثير من رجال الدين المسيحيين ، والتضييق على سكان القدس ـ ومن ضمنهم المسيحيين ـ مما دفع بعضهم إلى الهجرة
وقد كان عدد المسيحيين في القدس قبل الاحتلال حوالي ١٨,٣٠٠ فرد ، في حين لا يصل عددهم في أوائل سنة ١٩٨٥م الى أكثر من ١٢,٣٠٠ فرد)
وقد بلغ عدد سكان محافظة القدس من العرب بما فيها من ألوية وأقضية سنة ١٩٦١م حوالي ٣٤٤,٢٠٠ فرد ، وانخفض عددهم بعد الاحتلال الإسرائيلي سنة ١٩٦٧م إلى ٢٤٣,٣٠٠ فرد ، وسبب هذا الانخفاض ممارسات قوات الاحتلال وضغوطها ، وسلبها لكثير من الأحياء ، ومصادرة كثير من الأراضي وقد عاد عدد العرب في القدس إلى الارتفاع ، فوصل إلى ٣٢١,١٠٠ فرد في سنة ١٩٨٠م

ما قالتــــه الحفريـــات :

* بعد احتلال فلسطين كلها من قبل العدو الصهيوني ـ ومن ضمنها القدس ـ جرت محاولات محمومة ، بذلتها المؤسسات الصهيونية الرسمية ، والتنظيمات الإجرامية فيها ، للحفر والبحث عن أي أثر يمكن أن يفيدهم في ادعاءات التملك والوجود في فلسطين فيما الذي وجدوه منذ سنة ١٩٤٨م حتى الآن ؟

في هذا الصدد قال لنا الدكتور رائف نجم وزير الأشغال الأردني الأسبق ، وعضو عدة لجان ، كاللجنة الملكية لشؤون القدس ، ولجنة إعمار المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، ومنسق كتاب (كنوز القدس) ما يلي .

(لقد أجريت حفريات في قطاع القدس الذي احتلته « إسرائيل » عام ١٩٤٨م ، إلا أنهم لم يجدوا شيئاً يهودياً فيها . وبعد احتلال عام ١٩٦٧م باشروا بالحفر عند بركة سليمان (المقصود سليمان القانوني السلطان العثماني) على طريق الخليل ـ القدس ، فلم يجدوا شيئا يذكر حتى الآن
أما البروفسور مازار وفريقه فقد قاموا بالحفر بمحاذاة جدار المسجد الأقصى الجنوبي ، علهم يجدون آثار هيكل الملك سليمان ،إلا أنهم وجدوا آثارا فاطمية وأيوبية وبيزنطية

*** وماذا عن تلك الحفريات يا دكتور نجم ؟**
ـ بدأت مجموعة من المتدينين المتطرفين اليهود ـ من بينهم جماعة كاخ ـ سنة ١٩٦٨م بحفر خندق شمال حائط البراق حتى مسافة ٣٥٠ متراً من آخر باب في منطقة الحرم القدسي الشريف تحت الأرض بارتفاع مترين ونصف ، وبعرض نصف متر ، وقد وجدوا إنشاءات إسلامية فيها ، ولم يجدوا أي أثر يهودي ، ومع ذلك فإن اليهود يدخلون هذا المكان الآن ويقيمون فيه صلواتهم ، وهو يوازي حائط البراق
ـ وهناك حفريات كثيرة غيرها

*** وبعد ذلك يا دكتور نجم ؟**
ـ اختلفوا في تحديد الموقع الذي يمكنهم أن يجدوا فيه بقايا الهيكل ، بعضهم قال إنه كان مكان المسجد الأقصى ، ورأى فريق آخر أن الهيكل كان مكان الصخرة المشرفة ، واعتبرها بعض اليهود حجر الأساس للهيكل أما البروفسور كوفمان فيقول ان مكان الهيكل يقع شمالي الصخرة المشرفة بحوالي مائة متر
واختلاف الآراء هذا يدل على بلبلة كبيرة بينهم ، ويفيد بأن مكان الهيكل غير معروف

*** هل المقصود هو الوصول إلى مكان الهيكل ، أم تدمير الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ؟**
ـ من المعروف أنه تم بناء عدة هياكل ، منذ أن وصل اليهود إلى فلسطين في الألف الأول قبل الميلاد ، وحتى خروجهم منها سنة ١٣٥ ميلادية ، كما أنه لا يوجد نص في التوراة يحدد تحديداً دقيقاً مكان هيكل سليمان ، وبإمكانهم ـ حسب دينهم ـ بناء الهيكل في أي مكان ، وليس في مكان محدد لذلك فإنني أرى هدفهم ليس دينياً ، بل تدمير مقدسات الأديان الأخرى

*** ولكنهم قادرون إذا ما أرادوا تدمير أي مكان في القدس ؟**
ـ نعم يمكنهم ذلك بسهولة ، لكنهم لا يريدون استفزاز العالم ، خاصة العالم الإسلامي الآن وهم سيستمرون بالحفر ، إما لاكتشاف أي أثر كاذب ، أو لخلخلة وزعزعة أركان مباني أماكنا المقدسة ، كما يمكنني التأكيد بأن محاولة حرق المسجد الأقصى التي تمت بيد روهن الأسترالي بتاريخ ٢١/٨/١٩٦٩م ، والذي اتهم بالجنون من قبل السلطات الإسرائيلية ـ كانت عملاً مدبراً ، إذ أن هناك من ساعد روهن من الجهة التي يسيطر عليها الإسرائيليون
هذا ويمكن القول بأنه تم ترميم ما تم حرقه ، ما عدا منبر صلاح الدين ، كما تم رصد ميزانية لتجديد القبة والمنبر وسيتم الاستعاضة بالنحاس المذهب عن الألمنيوم المتشقق في القبة وسيجري هذا المشروع في هذا العام إن شاء الله

● سكيك القدس العتيقة عراقة تاريخ يحتاج لمن يحميه أعلى يمين

● مازال صوت وترنيمات بائع العرقسوس يترددان في أسواق القدس - أعلى يسار

● اليد التي تجيد سح العطاء يمكنها أن تحمل الحجر وغيره أيضا - أسفل

● وجوه وملامح تتوافق تماما مع معالم المكان . .
فهل يستطيع الغزو أن يغير الملامح والمعالم ؟

ئـــط البُراق أم المبكى ؟ !

* يبدو أن مشكلة حائط البراق ليست جديدة ، ـ تنسى الذاكرة ، وقد يهب عليها غبار النسيان ، ن الوثائق تبقى حاضرة لمن يمكنه الاستفادة منها ، لمن تمكنه القوة من توظيفها في مكانها الصحيح

فحائط البراق ـ كما جاء في كتاب كنوز القدس ـ ل الجزء الجنوبي من جدار الحرم الشريف ، ويبلغ وله حوالي ٥٠ مترا ، وارتفاعه حوالي ٢٠ مترا ، هو من الأملاك الإسلامية ، لأنه جزء من الحرم شريف ، وله علاقة وطيدة بإسراء ومعراج النبي محمد ﷺ

وقد قام العرب بهبة سُميت هبة البُراق سنة ١٩٢٩م عندما أخذ اليهود بالبكاء خلف جداره افتعلوا المشاكل ، فثار المسلمون ، واشتعلت لاشتباكات بين الطرفين مما دعا عصبة الأمم إلى تكوين لجنة لتقديم تقرير في هذا الأمر

قال لنا السيد روحي الخطيب أمين القدس المبعد إن اللجنة جاءت إلى فلسطين وعاينت المواقع وقابلت كثيرا من الناس ، وبقيت في البلاد حوالي ستة أشهر ، ثم أصدرت تقريرها سنة ١٩٣٠م وقد نشر التقرير كاملاً في كتاب (الحق العربي في حائط المبكى في القدس) ، ضمن منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الذي صدر في بيروت سنة ١٩٦٨م ، وجاء فيه

(استناداً على التحقيق الذي أجرته اللجنة ، فإن حق ملكية الحائط وحق التصرف به وبما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا التقرير للمسلمين ، لأن الحائط نفسه ملك للمسلمين لكونه جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف ، كما أنه ثبت للجنة منْ التحقيق الذي أجرته ـ سواء في المحكمة الشرعية أو من الشهادات والبينات التي أدلى بها الشهود ـ أن الرصيف الكائن عند الحائط ، حيث يقيم اليهود صلواتهم ، هو أيضاً ملك للمسلمين)

* وعندما سألنا الدكتور كامل العسلي ، الباحث العلمي في الجامعة الأردنية ، عن حقيقة الأمر قال

ـ إن اليهود يعتقدون أن المداميك السفلية للحائط هي جزء من هيكل سليمان ، مع أن الهيكل دمر تدميراً كاملا من قبل عدة مرات)

* أما الدكتور رائف نجم فقد علق على هذا الأمر فقال

(باعتقادي أن الأمر فيه خلط وتشويش كبير ، فقد تم آخر ترميم للسور في القرن السادس عشر ، وقد بلغ مجموع الترميمات ١٤ مرة حتى ذلك التاريخ ، ومن الطبيعي أن بعض الحجارة قد تم نقلها إلى هذا الموضع أو ذاك لأنها صالحة للبناء ، لكن اليهود يعتقدون أن الجزء السفلي من حائط البراق هو من أساسات الهيكل ، ويتناسون أن طيطس الروماني قد هدمه سنة ٧٠م ، وجاء بعده هدريان وأزال آثاره كلها ، فأصبح مكانه قاعاً مستوية

ويبدو أن سماحة المسلمين أدت لليهود بزيارة هذا الحائط والبكاء خلفه ، ولهذا سموه (حائط المبكى) ، بينما اسمه (حائط البراق)

مفاتيح كنيسة القيامة .

*** هناك عدة أسئلة تتوارد على الذهن بعد قراءة بعض تاريخ المدينة المقدسة ، منها أن مفاتيح كنيسة القيامة بأيدي المسلمين ، فكيف أقيمت هذه الشعيرة ، ولماذا حدث ذلك ، ومتى ؟**

همسنا لأنفسنا قائلين ما دمنا في حضرة المقادسة ، وفيهم الشيوخ والشبان ، فلماذا لا نسأل عن هذه الشعيرة ، وسألنا ، فقال لنا الشيخ عبد الحميد السائح وهو من مواليد سنة ١٩٠٧م

ـ أعتقد أن هذا الأمر يعود إلى تقليد تم تثبيته اثر فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي للقدس ونظرا لوجود خلافات وحساسيات بين الطوائف المسيحية فقد اتفقت على أن يحتفظ المسلمون بمفاتيح كنيسة القيامة ، فصارت عائلتا نسيبة وجودة تتوارثان المفتاح ، وأصبحت عائلة نسيبة تحتفظ بالمفتاح الخارجي ، وعائلة جودة تحتفظ بمفتاح الباب الداخلي وقد حاول اليهود تغيير هذه الشعيرة ، إلا أن الطوائف المسيحية تمسكت بها ، وأعلنت أن الأمر تم برضاها الكامل ، وما زال يتم كذلك

وقال لنا الدكتور صبحي غوشة (لقد كانت الطوائف المسيحية تختلف أحياناً ، حتى علىَ كنس بلاط كنيسة القيامة ، لذلك ارتأوا ـ حلا لهذا الاشكال ـ إبقاء مفاتيحها بيد هاتين العائلتين المسلمتين ، وما زال هذا التقليد ساري المفعول ـ حسب معلوماتي ـ حتى الآن)

عائــــلات القدس .

تقول بعض عائلات مدينة القدس انها جاءت اليها مع الفتح العربي ، زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وتقول بعض العائلات

حرى انها سكنتها بعد فتح صلاح الدين الأيوبي

ولما سألنا الدكتور كامل العسلي عن الموضوع

- باعتقادي أن القدس كانت خالية من القبائل ربية عندما فتحها السلطان صلاح الدين الأيوبي ، من بقي فيها كان مخيراً على تغيير دينه ، ليصبح يحياً ، يوالي الصليبيين ، ولأن الصليبيين قتلوا والي ٧٠ ألف مسلم عربي عندما دخلوا بيت دس ، وبقيت مهددة - بعد فتح صلاح الدين لها - قبل الصليبيين لمدة تصل إلى مائتي سنة

وحسب معلوماتي فإن قبيلة بني سعد استوطنت لدس زمن صلاح الدين ، وقد سمي حي سمهم ، كما أن هناك حي بني غانم (الغوانمة) ، كن القلعة بنو حارث ، وسكن القدس بنو زيد و مرة وقبيلة الحرامة ، ثم جاء المغاربة وعائلات رهم مع الجيش المصري ويمكنني القول بأنني لم ابل عائلة عربية مسلمة واحدة استطاعت أن تثبت بالوثائق أنها سكنت القدس قبل فتح صلاح الدين

وقد أقام في القدس كثير من علماء الدين جاؤ ها دول أسلامية عديدة

أما بالنسبة للعائلات المسيحية في القدس فإنها نسم إلى قسمين

- الأول عائلات من عرب المشرق ، سكنوها ن الصليبيين ، في حي المشارقة ومما يجب تذكره ، الغساسنة وهم قبائل عربية كانت تسكن بلاد شام ، وقد بقي بعضهم على دينه مسيحياً
- الثاني عربيون تعربوا مع الزمن ، وربما أسلم بعضهم أيضاً

تشـــريــــد .

(أعرف أن الوضع صعب على الإنسان العادي ، هم يحاربونه في رزقه ، ويصادرون أراضيه ، أو عون عنه الماء ، أو يحاصرونه بالمستعمرات أو صادرون دكانه وهو مصدر رزقه ، ثم يجد بعد ذلك نود الاحتلال أو غيرهم يدنسون مقدساته بهونها ، وأحياناً يصادرون بيته ويجد نفسه عاطلاً ن العمل وبلا مأوى ، فهل يمكن للإنسان العادي يتحمل ذلك ؟

باعتقادي أنه أمر صعب الاحتمال ، فكيف كون حال من سيستمر على ذلك ؟

إن الصمود ليس شعارات ، فدون ترجمة الصمود إلى مؤسسات تعمل ، وتصل إلى المواطن العادي ، وتقف على معاناته ، وتحاول مداواتها ، سيتسرب الناس من أرضهم ، وسيهاجرون ، وسيصبح ذلك مقتلاً في خططنا إنني من الذين ينادون بتعميق جذور الناس في أراضيهم ، ومهما كانت الدواعي والأسباب فإن عليهم ألا يفكروا بالرحيل لكني أقول إن طاقة الاحتمال عند بعض الناس محدودة ، لذلك فالوصول اليهم وتوفير حلول لبعض مشاكلهم يفيد في استمرار صمودهم ووقف هجرتهم)

هكذا قال لنا المطران إيليا خوري عندما سألناه عن الناس وهجرتهم

وسألنا السيد روحي الخطيب أمين القدس المبعد ، عن ظاهرة تناقص العرب من سكان القدس فعلق قائلا

(إن تفسيري لتناقص عدد السكان العرب من مسلمين ومسيحيين ، يعود إلى الضغط المعيشي ، وتضييق مجالات العمل أمامهم ، واغتصاب أراضيهم وأملاكهم بحجج عديدة ، ولوجود ضرائب باهظة على كثير من الأمور ، كما وأصبح اليهود يقلدون معظم الصناعات والأعمال التي كان يقوم بها العرب ، وأخذوا بذلك يضيقون على العرب في معيشتهم ووجودهم)

في كتاب (المؤامرة على الأقصى) للكاتبة الأمريكية جريس هالسيل الذي نشرته صحيفة الشرق الأوسط على حلقات مسلسلة وجاء على لسان الأب جوزيف لوفيشتاين الذي يرأس جامعة بيت لحم ما يلي -

(إن قبضة الإسرائيليين الخانقة على فلسطين تعني أن المسيحيين الكبار في السن سيبقون ، وسيموتون ، وأن المسيحيين الشبان الذين لا يستطيعون المغادرة سيبقون ، لكنهم لن يجدوا مستقبلاً هنا

إن الفلسطينيين يفقدون أراضي باستمرار ، ولا يبدو أن أحداً سيفعل شيئاً لإيقاف ذلك ، وإنني غير مسرور أبداً بالسياسة الأمريكية التي تتماشى مع السيطرة الإسرائيلية ، بل أعتبر ما يحدث إبادة للشعب الفلسطيني بدون أفران)

مؤسسات وأدوار :

لأن (القدس) حملت طابع القداسة والتقديس ، ولأن فيها ثالث الحرمين وأولى القبلتين على الصعيد الإسلامي ، ولأن فيها كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المسيحية المقدسة . فإنه من الطبيعي أن يتم

● تطريزات مقدسية مارال الثوب يعطي للمكان والرمان هويته أيصا ←

● العيزرية أحد أحياء القدس يمكن أن تشاهده بالعين المجردة من شواطىء البحر الميت على مبعدة حوالي ٢٠ كيلومترا ←

● عقود وأقواس وأزقة وحجارة تاريخ ، وبشر ورثوا كل هذا مجاء من يسارعهم فيها ↓

بالشهيد في القدس
هكذا كانت الاسرائيلية في
معظم أيام تاريخ المكان
والانسان .

إنشاء عدة مؤسسات تحمل اسم القدس ، وتعمل لأجلها إعلامياً وخيرياً وسياسياً على النطاق العربي ، وعلى النطاق الإسلامي أيضاً ومن المؤسسات التي وقفنا على بعض نشاطاتها في مدينة عمّان ، اللجنة الملكية لشؤون القدس على سبيل المثال ، **وقد التقينا برئيسها السيد أكرم زعيتر ، وأمينها العام العميد فايز جابر ، فقالا لنا**

(لا شك أن الأمل كبير جداً في أن تحظى قضية القدس العربية بالاهتمام الذي تستحقه في مؤتمر قمة الدول الإسلامية الذي سينعقد في الكويت ، وقد أوجزا لنا أهداف اللجنة ونشاطاتها على النحو التالي

- منذ إنشاء اللجنة الملكية لشؤون القدس سنة ١٩٧١ م وهي تحقق اللجنة أو الهيئة التي انفرد بها الأردن للدفاع عن قضية القدس ، ودعم صمودها ، وصيانة مقدساتها ، ومتابعة ما يجري من متغيرات على أرضها يومياً

- وقد تم إصدار عدة قرارات دولية نصت على عروبة القدس ، كما استطاع الأردن تسجيل المدينة في قائمة التراث العالمي الذي ترعاه هيئة اليونسكو

- واستطاعت اللجنة إعداد المئات من الدراسات والبحوث والخرائط والوثائق التاريخية والسياسية والجغرافية والاقتصادية والعلمية التي تدعم الحق العربي في المدينة المقدسة

- واستطاعت اللجنة - أيضاً - تحقيق فكرة (صندوق القدس) ، وذلك في المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد في استانبول ، وقد قدم هذا الصندوق منذ إنشائه حوالي عشرين مليون دولار لمختلف المشاريع والمؤسسات في مدينة القدس ، ومن خلال وزارة شؤون الأرض المحتلة ووزراء الأوقاف وشؤون المقدسات الإسلامية الممثلين في اللجنة

- وقد قام الأردن بعمليات إعمار المقدسات الإسلامية وترميمها ، قبل الاحتلال الإسرائيلي للقدس وبعد ذلك ، ومازال مستمراً في ذلك حتى الآن ، وقد بلغت الأموال التي أنفقت حتى الآن حوالي ٦ ملايين دينار أردني

وهناك كثير من الخطوات تم إنجازها أو تم التخطيط لإنجازها بواسطة اللجنة ، أو بواسطة الوزارات والمؤسسات المختصة ، وكلها في خدمة القدس أرضاً وسكاناً ومؤسسات

- والتقينا بالمهندس عاصم عوشة رئيس جمعية القدس الخيرية التي تم إنشاؤها سنة ١٩٧٣م ، وركزت جهودها - كما ذكر لنا السيد عاصم - على

× توفير المساعدة للأفراد والأسر المحتاجة بالتأهيل العلمي والمهني

× توفير المساعدة للطلبة

× تشجيع النشاطات الرياضية والثقافية والاجتماعية

× توفير المساعدة المالية والعينية للحالات الإنسانية الطارئة

وتطبيقا لهذه الأهداف العامة فقد تم إنشاء روضة ومدرسة تتبعان الجمعية ، وأنشئت عيادة خارجية مجانية للفقراء ، وأقيمت نشاطات ثقافية متعددة ، وتم تحمل مصاريف مبعوثين جامعيين ، سواء في جامعة مدينة القدس ، أو في عمّان ، أو في جامعات في أماكن أخرى ، كما تمت مساعدة كثير من الأسر المحتاجة

خميرة الوطن .

« نعم لقد بدأنا كجمعية مقدسية ، كل أفرادها ومؤسسيها من مدينة القدس أو من منطقتها ، وكان ذلك سنة ١٩٦٩م ، لكن الجمعية الخيرية لرعاية الأسرة أصبحت الآن تجمع أفراداً عاملين من مدينة القدس وغيرها ، وبقيت الأهداف على ما هي عليه ، إلا أنها أصبحت أكثر نمواً وأوسع شمولاً »

هكذا قالت لنا السيدة حنان الحسن رئيسة الجمعية الخيرية لرعاية الأسرة وأضافت لقد بدأت الجمعية في مخيم جبل الحسين بعمّان ، بمركز واحد ، من نشاطاته تعليم فنون الخياطة والتطريز ، والتدبير المنزلي ، وروضة للأطفال ، ثم افتتحت مركزاً لمحو الأمية

وفي سنة ١٩٧٤م افتتحت فرعاً لها في مخيم الوحدات ، يضم مركزاً لتأهيل الفتيات في فنون الخياطة والتطريز والتدبير المنزلي

وفي عام ١٩٧٨م امتدت أنشطة الجمعية ، وتوسعت خدماتها ، فأصبح لها مركز لتعليم الخياطة والتطريز ، وروضة أطفال ، ومركز لمحو الأمية ، في مخيم الطالبية (زيزيا) ، وآخر في مخيم ماركا وكل هذه المخيمات قريبة من مدينة عمّان

ثم افتتحت عام ١٩٨٠م فرعاً جديداً في مخيم البقعة ، يشتمل على مركز لتأهيل الفتيات ، وآخر للطباعة ، بالإضافة إلى روضة أطفال ، كما أن لها نشاطاً متنقلاً في مخيم « سوف » قرب مدينة جرش

*** أرى أن الجمعية تهتم بالتراث الشعبي**

ـ سطيني خاصة الأزياء ؟
أجابت السيدة حنان لقد أولت الجمعية
هتماماً خاصاً بالتراث الشعبي (الفولكلوري) ،
عمدت إلى جمعه وإبرازه في مجالات كثيرة ، عن
طريق عرضه في حملات خاصة ، وتطويره وإبراز
ماله وروعته وذلك لأنه يبرز بعض سمات الشخصية
فلسطينية ، كما أنها تعمل على تشجيع طالباتها ،
البرامج على تعلم أصوله الصحيحة وإتقانه بأشكال
متطورة تتناسب مع متطلبات المرأة العصرية ، وتقوم
لجمعية بالتعامل مع ما يزيد على ٢٥٠ سيدة ،
سحن الأثواب والمطرزات الفلسطينية الشعبية في
بيوتهن ، إضافة إلى العاملات والطالبات في
مراكزها ، وتقوم الجمعية بتزويدهن بالخامات
لأساسية ، وتشتري منهن إنتاجهن لتقوم هي
بتسويقه وعرضه)
(أنا حالف الله أكبر
أنا راجع لك يا دار
وأنا بيتي قريب من الصخرة
ما بين ثيابي والحجرة
أنا حالف الله أكبر
أنا راجع لك يا دار)
أصوات طفولية كانت تترنم بالقسم ، والرياح
تنقل الأصوات وتنشرها بين أزقة مخيم ماركا
مخيم بالقرب من مدينة عمّان يزيد عدد سكانه على
خمسين ألفاً من النازحين) ، وتزرعها بين شقوق
بيوت (الزينكو) ، لتبقى حررا مقيماً في الضمائر
لسناء سناء عادي تماماً ، لكنه مميز في مخيم حل أبنيته
مسقوفة (بالزينكو) ، ثقلت بحجارة الاسمنت كي
لا تقتلعها الرياح عندما تهب بقوة المكان روضة
أطفال (العودة الثانية) التابعة للجمعية الخيرية
لرعاية الأسرة ، فيها خمسة فصول ، وفي الفصل
الواحد حوالي ٢٠ طفلاً وطفلة ، يتعلمون بأساليب
حديثة ، تحت اشراف معلمات متخصصات
مربيات ، ومع العلم يغرس حب الوطن من خلال
ـسة والأهزوجة والمثال والتمثيلية
شدوا أغاني كثيرة ، وأسمعونا أنغام الحنين إلى
ـ ، إنهم الأطفال الذين حرموا منه ، بل ربما لم
ـ فيه ولم يروه وسائل إيضاحية بسيطة كانت
ـعة في الفصول ، وبعض الأراجيح والألعاب
ـ كانت موزعة في ملعبهم الصغير لكنهم كانوا
ـون ، ويتقافزون ، ويمرحون وتطهر على ألسنة
ـهم لثغة محببة

« يا بلدنا علينا واجب
نفديك صغار وكبار »
تتكرر هذه الأناشيد ، وتوزعها الرياح فلعل
صداها يستقر في بعض الصدور ، ولعلّ سريانها يسير
مع شرايين الدم
عندما رأينا أن الاسبست كان يغطي أسقف
الفصول الخشبية في الروضة علقنا قائلين تفيد
بعض البحوث أن الاسبست يسبب أمراضاً كثيرة
ضحكت المدرسات وقلن لقد تعودنا على
ذلك ، والاسبست أقوى من الزينكو ، لكن الانسان
أقوى ، إرادة الإنسان أقوى
وعندما زرنا مركز التأهيل المهني التابع لنفس
الجمعية في مخيم البقعة (مخيم للنازحين الفلسطينيين
قرب مدينة عمّان ، يزيد عدد سكانه على ٧٥ ألفاً)
الذي وصلناه في ساعة دخول وخروج تلميذات
المدارس من مدارسهن ، وكانت أزقة المخيم المتربة
تموج بهن ، ومئات منهن كن عاديات أو رائحات ،
وكلهن كن يبحثن عن الحرف الذي سيفك طلاسم
الحياة ، والوجوه السمراء التي التقينا بها في الأزقة ، أو
في مركز التأهيل كانت مغسولة بالجدية ، تبحث عن
وسيلة عيش شريفة تقربها من الوطن ، وتجعلها أكثر
فهماً وتفهماً لمتطلباته
كانت ألواح الزينكو وقعقعاتها فوق الرؤوس هنا
أيضاً ، وكانت الأغاني في السوق المترب تردد
(أخي جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدا)
وحملت الريح الصوت ، والصدى وكررت ،
الفدا ، الفدا ، الفدا

القدس في الإبداع العربي

* هل للقدس مكان ومكانة في دنيا الإبداع العربي ؟
ـ قبل الإجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نذكر
بأن القدس تحتل جانباً مهماً في إبداعات كثير من كتاب
اليهود والصهاينة إن القول (لتنسي يميني إن
نسيتك يا أورشليم) هو أحد الشعارات الذي استلته
الحركة الصهيونية من التراث الديني اليهودي ، وبنت
عليه كثيرا من (مداميك) سيانها التحريضي
الإعلامي ، ويمكن أن نذكر عشرات الروايات
والقصص والدواوين الشعرية التي حملت اسم
(أورشليم) لكتاب وشعراء يهود وغير يهود
* فهل للقدس حضور في ابداعنا العربي ؟
إنها مدينة مقدسة ، وهي عاصمة لفلسطين

● الشيخ عبد الحميد السائح

● المطران ايليا حوري

● حائط البراق في أسوار القدس حوله الصهاينة الى حائط مبكى ! (أعلى)

● الصخرة المشرفة ، منها عرج الرسول العربي محمد ﷺ الى السموات العلى ←

● أمين القدس
روحي الخطيب

● المناضل
بهجت
أبو غربية

● الدكتور
رائف نجم

تاريخياً. فهل المكان المادي والمعنوي له حضوره في ساحاتنا الثقافية ؟

ـ استجابة لطلب بعثة مجلة (العربي) انعقدت جلسة مناقشة في مدينة عمّان ، نوقش فيها هذا الأمر ، واشترك فيها د. عبد الرحمن ياغي ، ود. خالد الكركي ، وخليل السواحري ، و د. صلاح جرار ، ومحمود شقير ، وابراهيم نصرالله ، ، وهم جميعاً في النقد والقصة والشعر مساهمات متميزة ، وبعضهم من مدينة القدس بالذات أو من أحد أقضيتها ، وبعضهم كتب عن بعض أحوالها مثل خليل السواحري ، ومحمود شقير. وتلخيص المداولات والمناقشات التي تمت في الآتي

ـ لا شك أن للقدس حضورها في بعض الساحات الإبداعية العربية ، خاصة في القصة وقصص الأطفال ، والشعر ، والرواية والمسرح ، والفن التشكيلي ، وبعض الأفلام التلفزيونية القصيرة ، عدا السينما فإنها لم تقترب من هذا الموضوع ، في حين أن بعض الأفلام السينمائية الأجنبية حاولت أن تقترب من معالجة جوانب من حياة ناس القدس كفيلم هانا. ك. لكاستا غافرس اليوناني الأصل

ـ خلت كثير من الأعمال العربية الإبداعية من تجسيد القدس كبعد اجتماعي ، أو من خلال شخصية إنسانية لها حضورها ، بحيث تصبح حقيقة إنسانية

ـ إن كثيرا مما كتبته أو أبدعته المخيلة اليهودية أو المؤيدة لها كانت بغرض دعائي إعلامي ، فحضور القدس الكثيف في الأعمال اليهودية والصهيونية يمكن فهمه من خلال الشحن الديني ، ثم السياسي ، بسبب عدم وجود القدس بحوزة اليهود منذ ما يزيد على ألفي سنة . وهذا الشحن والافتقاد وحلم عودة الامتلاك هو السبب وراء كثافة الأعمال اليهودية والصهيونية ، في حين أن المبدع العربي لم يواجه مشكلة افتقاد المكان إلا في فترات زمنية قليلة

ومع ذلك فإنها حفلت بإبداعات شتى ، بعضها جاء على الهامش ، وبعضها كان من عيون الكتابة الإبداعية العربية

جاء في شعر الصاحب جمال الدين بن مطروح الذي كتبه بعد سقوط القدس بيد الصليبيين

المسجدُ الأقصى له عادةْ
سارتْ ، فصارتْ مثلاً سائراً
إذا غدا بالكفرِ مُستوْطناً
أنْ يبعثَ اللهُ لهُ ناصراً

أما الشاعر المهجري الياس فرحات فإنه قد كتب بعد النكبة الحديثة

وليس يبْرأُ من إثم الهوى أحدٌ
فكلنا عن ضياع القدس مسؤو

والشاعر محمود درويش يقول في إحدى قصائده

أيها الذاهبون إلى صخرة القدس
مرّوا على جسدي
أيها العابرون على جسدي
لن تمرّوا ،
إن الأرض في جسدي ،
لن تمرّوا

وهناك عشرات القصائد والقصص والأعمال الإبداعية في هذا المجال لأدباء وفنانين عرب من فلسطين ومن الأقطار العربية الأخرى

ـ صحيح أن الذهول يسيطر دائما على الناس بعد حصول النكبات ، وربما يوجد من يدعو إلى خطوات الاستسلام والركون إلى السلبية ، ويبرر ما يدعو إليه ، لقد حصل مثل ذلك بعد سقوط الأندلس ، وبعد سيطرة الصليبيين على أجزاء من المنطقة ، لكن لا يلبث الأمر حتى تظهر طلائع المقاومة في شتى تجليات الحياة قولا وفعلا

* إن درس الاحتلال علم حتى الأطفال حمل حرارة المقاومة ، **فهل يمكن للمبدع أن يقف خارج دائرة الصراع ؟**

إنه داخلها تماماً ، لذلك فإن بعض الكتابات الجديدة فيها كثير من الإبداع ، وفيها كثير من النفس المقاوم ، وإن كان بعضها يطغى عليه الخطابة السياسية المباشرة

وهناك عشرات الأسماء في شتى مجالات الإبداع تمارس دورها الأدبي ، والنضالي ، مع أنها تحت كوابيس الاحتلال ، ولها عشرات الأعمال المنشورة في هذا المجال ، والقدس حاضرة حضوراً واضحا فيها

في الفن التشكيلي :

على صعيد هذا الفن ، فإن الفنان المقدسي سليمان منصور عندما رسم لوحته (جمل المحامل) وغيرها من أعمال فنية فإنه كان يستوحي من القدس كمكان وناس ، الحضور الباقي ، المستمر ، الصابر ، المكابد لأحمال التحديات وأثقالها

× الفنانة سامية الزرو على سبيل المثال تكرر اهـ م

... في كثير من أعمالها ، وتجعله من صميم نسيج
... ، وتركز على إدخال الزي الفلسطيني فيها
...ر متشهدي لبعض معالم القدس . إنها تلجأ إلى
... الموروث ، وإلى الكلمة ، وإلى المعالم المميزة ،
...ل منها أركانا أساسية في كثير من لوحاتها ، وهذا
توكيد الحضور ، والانتماء ، وجعل الذاكرة في
يقظتها ، كي لا يطمسها غبار النسيان ، أو يؤثر
... سوء الحاضر ، وانكساراته .

ما الفنان تيسير شرف ، ابن القدس الذي ما زال
... فيها ، فإنه أقام معرضاً للوحاته في مدينة عمّان
لفترة من ٢٤ حتى ١٩٨٦/١٠/٣١م عرض فيه
لوحة ، كانت معالم القدس مادة أساسية في كثير
قال في هذا الصدد : « القدس مدينة مقدسة ،
... مدينة جميلة ، وهي مدينتي التي ولدت وأعيش
... ، ويوجد فيها كثير من المعالم المميزة ، لذلك من
يعي حضور كثير من معالمها في لوحاتي »
أضاف قائلاً : إنني أجسد في لوحاتي ما هو
تيلي لمعالم المكان ، وأحيانا يتحول في ذاكرتي إلى
ة تشكيلية ، فأضيف أو أحذف أو أعدل فيها
ب اجتهاداتي ، ورؤيتي الفنية »

وهناك عشرات الأعمال الفنية لفنانين من
طين ومن بقية الأقطار العربية ، استوحت تلك
مال تكويناتها الفنية من القدس ومن معالمها وما
من قداسة .

...ل

* دمجنا سؤالين في سؤال طرحناه على المقدسيين
ن التقينا بهم : هل هناك أمل في تحرير القدس
عادتها دون تحرير كل التراب الفلسطيني أو
لس ؟

أجاب **الشيخ عبد الحميد السائح** قائلاً : لا يأس
الأمل ، أعتقد أن أهمية القدس في العمق العربي
سلامي حاضراً وتاريخاً تجعل من إمكان العودة
ستعادتها ليس أمراً محتملا فقط ، وإنما هو أمر
لا بد من تحقيقه .

ال **السيد روحي الخطيب** : أنا لا أفقد الأمل
فإن كان صحيحاً أن الأوضاع العربية
مية سيئة الآن ، فإن الصحيح أيضاً أن هذا
يستمر طويلاً ، لكن إذا لم يتفق العرب
، فإن الأعداء سينفردون بكل دولة

ـ **الدكتور كامل العسلي** : إن انتفاضة الحياة
...سها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فهذه ليست هي
المرة الأولى التي تسقط فيها القدس بيد الأعداء . ومن
أقل المطالب عودة قدس ما قبل سنة ١٩٦٧ ، أي ما
قبل الاحتلال الأخير .

ـ **المطران إيليا خوري علق قائلاً** : ما دامت الأمة
مبعثرة بهذه الصورة ، فإن الأمل ضعيف في التحرير
في هذه المرحلة ، وباعتقادي أن ما أخذ بالقوة لا
يسترد إلا بالقوة ، والقدس هي قلب فلسطين ، وأي
حل بدون القدس فهو حل ناقص ، فالقدس هي
فلسطين ، وفلسطين هي القدس ، ولا فرق بينهما ،
ومن أقل المطالب مرحليا هو استعادة القدس وغيرها
من الأراضي التي اغتصبت بالاحتلال الأخير .

ـ أما **بهجت أبو غربية** المناضل الفلسطيني المعروف
ورفيق جهاد الشهيد عبد القادر الحسيني فقد قال :
باعتقادي أن الأمر يجب عدم قياسه على المعطيات
الحاضرة . لقد امتص الشرق عشرات الغزوات
الخارجية ، وعادت هذه المنطقة إلى وجهها العربي في
النهاية ، والغزوة الصهيونية مصيرها الفشل
والاندحار كمصير غيرها من الغزوات ولا يمكن حل
مشكلة القدس بمعزل عن حل مشكلة كل التراب
الفلسطيني ، إلا إذا كان الحل يهدف إلى الاستسلام
والتفريط !

ـ قال **العميد فايز جابر** : « قضية القدس هي
محور القضية ، ولن تحل مشكلة الضفة وغزة إلا بحل
مشكلة القدس ، وفي اعتقادي أن قضية القدس ما
هي إلا مفتاح الحرب والسلام ، تماماً كما كانت في
الماضي ، وإنني غير متفائل بتوفير حل على المدى
القريب ، لكنني متفائل بعودة الجهود العربية
والإسلامية إلى العمل الجدي المثمر ، والتعاون
البناء .

ـ أما **الدكتور صبحي غوشة فإنه علق قائلاً** :
هناك احتلال لكل التراب الفلسطيني ، والتحرير
يجب أن يتم لكل هذا التراب ، والقدس عاصمة
فلسطين ، ولا يمكن حل مشكلتها إلا بتوفير حل لكل
المشكلة .

ـ وقال أطفال فلسطين رأيهم بالأغنية والأهزوجة :

(وأنا بيتي قريب من الصخرة
ما بين ثيابي والحفرة
أنا حالف ، الله أكبر
أنا راجع لك يا دار)

ـ **أما حارة بدرية عمران المسيحية المقدسية** فإنها
كانت تتساءل من خلال الدموع : أين أنتم .. أين
أنتم .. أهكذا تتركونا وتذهبون ؟ ! ! ! □

رحلة الى

رغم عظم الاكتشافات التي تمت

في مجال الفضاء ، فما زال الكثير

مجهولا في هذا الكون الفسيح ،

والمقال التالي ليس تنبؤا بما

سوف يكتشف في المستقبل، بل رحلة

خيالية عبر مليارات السنوات الضوئية

بين أجزاء هـذا الفراغ المتـرامي ،

تنتهي بنا الى حـافة الكون .

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

ى اليمـين/ حارتنا مجرة امدروميدا في كوكبة المرأة المسلسلة

أسفل/ صورة الارض بالعدسة فوق السمسحية لمركة أبولو ١٦

بعد نجاح الفلكيين في قياس المسافات الفاصلة بين كواكب الأسرة الشمسية ، ظهر التساؤل : كيف السبيل الى تحديد بعد النجوم ؟ ولم يصعب على الفلكيين أن يلاحظوا - وقتها - أن النجوم البعيدة كانت بطيئة الحركة في القبة السماوية ، بالمقارنة مع النجوم القريبة ، التي كانت تغير مواقعها بشكل ملموس ، ورغم اتفاقهم على الانطباع بكونها بعيدة جدا عن أسرتنا الشمسية ، كانوا تواقين لتحديد مسافاتها بشكل دقيق ، فكيف السبيل الى ذلك ؟

جاء الجواب الأول في ١٨٣٨م ، عندما قام الفلكي الاسكتلندي (توماس هندرسون) بمتابعة الحركة الظاهرية لنجم اسمه (الفا سنتوري) ، أثناء دوران محطة المراقبة الارضية على مسارها حول الشمس . قام هندرسون بتكرار هذه المراقبة مرة كل ٦ شهور ، واعتمد على المبادىء الأولية لحساب المثلثات ، ليحسب المسافة التي تفصل هذا النجم عن الشمس،لم يكد (هندرسون) يصدق نتيجة ما حسبه بنفسه ، فقد كانت قفزة هائلة في رحلة المسافات قدرها ٢٥ تريليون ميل

وتبين فيما بعد أن الضوء الصادر عن الفاسنتوري يستغرق ٤,٣ سنوات للوصول للشمس بسرعته التي تقارب ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية ، وقد حدد الفلكيون قياس هذه المسافات (بالسنين الضوئية) بدلا من الأميال والكيلومترات ، تجنبا للعدد الهائل من الاصفار

لم تكن هذه المسافة على كبرها الا خطوة متواضعة في رحلة المسافات ، فبالاعتماد على طريقة القياس نفسها تمكن الفلكيون - وقتها - من قياس مسافات وصلت الى ١٠٠ سنة ضوئية

اعتمدت هذه الطريقة على حركة واضحة للأجرام السماوية (المنظور) لذا فقد كانت النجوم البعيدة جدا عديمة الحركة تقريبا ، لكن الفلكيين كانوا يتمنون التمكن من تحديد مسافاتها دون جدوى الى حين كان عليهم انتظار الانجاز التالي الذي تحقق

عندما نجح الفلكيون في حل « شفرة النجوم العمارة » والنجوم العمارة تتمتع بتبدل دوري منتظم للبريق . يشتد البريق الصادر عنها فجأة ، ثم يخبو تدريجيا ليشتد مرة أخرى ، وهكذا ، وتتكرر دورة البريق هذه في بعض النجوم العمارة مرة كل يوم ، لكنها تصل أحيانا الى بضعة شهور ، ولم يفت الفلكيين أن يلاحظوا أن النجم العمار الطويل الدورة ، يتمتع ببريق أقوى من ذلك الذي ينهي دورته خلال فترة زمنية قصيرة

لكن النقطة الحاسمة هنا كانت في اهتدائهم الى تسخير فروقات البريق هذه في حساب المسافات النسبية للنجوم

ويعود الفضل الى تقنية قياس المسافات بواسطة النجوم العمارة ، في توسيع حدود الكون المعروف آنذاك الى ما يزيد عن ١٥٠,٠٠٠ سنة ضوئية

توسيع حدود الكون

بعد ذلك تم ابتكار التصوير الفوتوغرافي ، وقد خطر ببال بعض الفلكيين أن عدسة التصوير الموصولة مع المراقب البصرية (التلسكوبات) بمقدورها أن تحملق في النجوم فترة أطول من تلك التي يصبر عليها الانسان ، وهذا يسمح لها بكشف النجوم البعيدة باهتة البريق ، التي تعجز العين البشرية عن رؤيتها حتى بمساعدة التلسكوب . وسمح تحليل الصور الملتقطة خلال زمن تصوير طويل ، بمساعدة تقنية قياس النجوم العمارة ، بتوسيع كوننا المعروف مرة أخرى الى حوالى ٧ ملايين سنة ضوئية

عندما شعر العديد من العلماء بأن الرقم ٧ ملايين سنة ضوئية هو نهاية مطاف رحلة المسافات ، وأعرب بعض العلماء عن اقرارهم المبدئي بأن هذا الرقم يمثل بصورة تقريبية حدود الكون « المرئي » بواسطة العين والمرقاب البصري ، تبينوا بعدها امكانية الاستمرار في الرحلة بمساعدة « قوس قزح من صنع الانسان » انه (المطياف) الذي يقوم بتحليل الضوء الواصل من النجم الى خطوط تشبه البطاقة الشخصية لمكونات النجم من العناصر الكيميائية ، الداخل في تركيبه فكل عنصر له خط مميز يقع عند طول موجة ...

مشروع الهوائيات الراديوية سيكلوس

سمن الطيف ، تكمن أهمية المطاف ـ في مجال رحلة المسافات ـ في كشف العلاقة بين بعد الجرم السماوي ومقدار انزياح خطوط الطيف الحقيقية في للوحات الفوتوغرافية الطيفية عن مواقعها المألوفة

يعني انحراف الخطوط الحقيقية نحو النهاية « الزرقاء » للطيف أن الجرم السماوي (أو احدى المجرات مثلا) يقترب من الأرض ، اما انحراف خطوط الطيف باتجاه النهاية الحمراء (أي نحو ... طويلة) فهذا يعني أن المجرة تهرب متعدة ... ، لكن العامل الحاسم هنا هو أنه كلما كبر ... الطيف عن موقعه الطبيعي ، زادت ... لذلك ومرة أخرى تم الاعتماد على ... في توسيع حدود الكون الى مسافات ... يحلمون بتصورها في السنوات ... ان ابتكار المرصد الراديوي اضاف الى

رحلة المسافات ابعادا جديدة كليا ما كانت لتخطر على بال بشر ، فقد ساهم في كشف اجرام شديدة العراقة ، تبتعد عن الأرض حوالى ١٦ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ستة عشر مليار سنة ضوئية وهي من أكبر المسافات التي تم قياسها حتى يومنا هذا

بعد استطلاع المسافات التي تفصلنا عن حافة الكون المعروف ، نبدأ رحلة طويلة جدا الى مسافة تقارب ١٦ مليار سنة ضوئية عبر أعماق الفضاء ، ولايسعفنا الوقت للمكوث في جميع المحطات ، لذا سنكتفي بالقاء بعض الضوء على المحطات الهامة ، وتلك التي نجح البشر في كشفها مؤخرا ، بصورة لاتشغلنا عن الهدف الأساسي للرحلة حافة الكون

تكتل فضائي

تنطلق مركبتنا من سطح الأرض لتخترق طبقات

صورة الارض بعدسة مركبة ابولو ١٦ أثناء رحلتها الى القمر

الغلاف الجوي الذي يحيط بكوكبنا ، وتخترق مسار القمر حول الأرض ، ثم مدارات الكواكب حول الشمس ، ونبتعد أكثر فنرى مجرتنا ـ درب التبانة ـ

بشكل قرص رقيق في وسطه نواة مفلطحة ، تدور حول أذرع حلزونية ، تعج بسحب الغاز والغبار ، مهد العديد من النجوم الوليدة ، تستمر الرحلة فنرى

بضع مجرات صغيرة تدور في فلك مجرتنا ، أشهرها سحابة ماجلان الكبرى ، وسحابة ماجلان الصغرى ، نسبة الى البحار البرتغالي ماجلان ، قام

بدوره كاملة حول الأرض ، وكان أول من ش هاتين السحابتين من الاوروبيين بعينه المجر النصف الجنوبي من الكرة الأرضية بعدها ب

مجرة سديم المرأة المسلسلة اندروميدا تحيط بالعديد من المجرات التابعة ، فاذا ابتعد بلاحظ أن مجرتنا ـ درب التبانة ـ تشكل مع ا

الأخرى القريبة منها تكتلا ، يطلق عليه (المجموعة المحلية) ، ويتألف من حوالي ٠ وقد أعرب (كوبان) عن اعتقاده بأن المعلومات

المجموعة المحلية ، توحي بأنها تدور حول مركز مشترك ، لكن المشاهدات توحي بأن هذه موعة غير مستقرة من حيث قوى التجاذب المتبادلة مجراتها ، وانها ستفقد الارتباط بين اجرائها ،

د ذلك ستذهب كل مجرة مع توابعها في سبيل ، قد العلماء أن المجموعة المحلية من افضل ماذج المعروفة لما يسمى بعناقيد المجرات غير ظمة

قيد المجرات

نقطع مسافة من رحلتنا ، ونرجع بنظرنا الى اء ، فنجد ان كل مجرة من المجرات لاتمثل فردا ا في الفضاء الرحب ، بل تميل بدورها الى التكتل شكيل ما يسمى بعناقيد المجرات

العنقود هو تكتل فيزيائي حقيقي للمجرات لف العنقود الصغير من ١٠ الى ٣٠ مجرة بصورة ظة ، مثل عنقود المجموعة المحلية ، أما العناقيد يرة فقد يزيد عدد افرادها عن بضعة آلاف مجرة

تكشف اللوحات الفوتوغرافية الملتقطة بمساعدة اصد الارضية عشرات الآلاف من تجمعات رات ، وعناقيدها ، وتنسب الى كوكبة النجوم ، يرى العنقود من خلالها وهناك عناقيد قريبة ا من مجموعتنا المحلية ، ينظر اليها أهل الأرض ر كوكبة « اللذؤابة » والجاثي ، حسب تسمية ادنا العرب ، التي يطلق عليها اليوم اهل العرب م هرقل

قام جورج ابل بتقسيم العناقيد الى منتظمة وغير ظمة ، جميع العناقيد المنتظمة كبيرة الحجم ويحتوي ... من الآف المجرات ، وشكلها الاجمالي قريب ... ، وتزداد كثافة المجرات في العنقود كلما ... « مركزه » ، ومن الأمثلة الشهيرة ... جدا ـ على هذا النوع عنقود الذؤابة

... عد غير المنتظمة فهي متباينة الحجوم ، ... عد المحدودة العدد ، والمتوسطة ، ... ي يقدر عدد افرادها بالآلاف هذا ... عاقيد قليل التناظر ، ولا تزداد كثافة ... بشكل واضح عند الاقتراب من المركز ،

ومن الأمثلة الشهيرة على هذا النوع المجموعة المحلية عنقود العذراء ، وهو أقرب العناقيد الكبيرة الى الأرض ويحتوي على حوالي ٢٥٠٠ مجرة

دوالي المجرات :

نلقي نظرة وداع أخيرة باتجاه كوكبنا الارضي قبل بلوغ نهاية مطاف رحلتنا فماذا نرى ؟ عند امعان النظر في عناقيد المجرات ضمن مساحات شاسعة من الفضاء ، يلاحظ المرء ان هذه العناقيد لاتتوزع بصورة عشوائية ويفسر بعض العلماء هذه الظاهرة بأنها ميل « فطري » عند عناقيد المجرات للتكتل في مجموعات تشبه « عناقيد العناقيد أو العناقيد الخارقة » ونحن نراها اشبه بدالية تتدلى منها عناقيد العنب

ويعتقد بعض العلماء أن المجموعة المحلية تنضوي تحت دالية يقارب قطرها ٧٥ ضعفا لقطر المجموعة المحليه ، وان عنقود العذراء يقع بالقرب من مركزها ، فقد اطلق عليها اسم الدالية المحلية

هل يقف الميل الى التكتل في مجموعات أكبر عند هذا الحد ؟ يشير كوبان في كتابه « علم الفلك » الى تصور بعض الفلكيين لوجود « تجمعات من الدوالي»

وربما تكتلات على نطاق أوسع ، لكنه يستدرك قائلا بأن هذه الفرضيات لاتستند الى دليل يصمد أمام التمحيص

هل هناك تجمعات أكبر من الدوالي ؟ لاندري ، والزمن وحده هو الكفيل بتقديم الاجابة المدعمة بالحجج والبراهين

لكن الذي نعرفه الآن اننا قد بلغنا المحطة الأخيرة في رحلتنا الخلابة الى حافة الكون ، وهذه تستحق وقفة تليق بجلال الحدود النهائية لكوننا كما نعرفها اليوم

اتصال لاسلكي مع الفضاء

في عام ١٩٣١ كان المهندس الشاب كارل جانسكي من العاملين في مختبرات شركة « بل تلفون » الامريكية » يحاول استخدام بعض الهوائيات

التجريبية في الاتصالات الراديوية (اللاسلكية) بعيدة المدى ، وفجأة اكتشف هذا الشاب اثناء قيامه بهذه التجارب ان هذه الهوائيات كانت تلتقط اشارة راديوية ثابتة قادمة من أحد الاجرام السماوية في الفضاء

كانت هذه الحادثة من اللحظات الحاسمة في تاريخ علم الفلك ، فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي ينجح فيها بشر باكتشاف « اشعاعات غير مرئية » قادمة من الفضاء

وتجدر الاشارة هنا الى ان جميع معارفنا الكونية كانت قبل اكتشاف جانسكي تعتمد على المراقبة باستخدام الضوء المرئي ، الا أن الضوء المرئي لايحتل الا نزرا يسيرا من مجمل انواع الاشعاعات التي قد تصلنا من الفضاء ، لذا فقد فتح اكتشاف جانسكي الباب على مصراعيه لكشف موجات الراديو ، وموجات الاشعاعات الاخرى غير المرئية التي تصلنا من الاجرام السماوية ، المنتشرة في سائر انحاء الكون ،

وهكذا اصبحنا فجأة غير مضطرين للاكتفاء بالمراقبة البصرية وحدها ، وصرنا قادرين على رؤية « السماء الراديوية » ، ومراقبة الكون باستخدام اشعاعات تعجز عيوننا العادية عن رؤيتها

استغرق الأمر نحو ٢٠ سنة لبدء انتشار المراصد الراديوية ، فقد شهدت الخمسينيات ظهور هذه المراصد في كل من استراليا ، وانكلترا ، وهولندا ، والولايات المتحدة الامريكية . مبدأ الرصد الراديوي مشابه لمبدأ المرقاب (التلسكوب) البصري ، فبينما يقوم المرقاب البصري بالتقاط الضوء القمري ، وتركيزه ، فان المرصد الراديوي يقوم بالتقاط موجات الراديو ، وتركيزها ، واليه يعود الفضل في حصول البشر على أول مشهد للسماء الراديوية ، غير المرئية

بدأ الفلكيون الراديويون بمسح السماء بمراصدهم الجديدة هذه ليتبينوا - والدهشة تعلو وجوههم - ان عددا كبيرا من الاجرام السماوية المألوفة ، ما هي إلا منابع للموجات الراديوية . كانت هذه الموجات تأتي من معظم المجرات ، ومن عدد كبير من السدم ، أو السحب ، لكن بعض هذه الاشعاعات كانت تصدر عن مواقع يوجد فيها أي جرم مرئي ، حتى باستخدام أكبر المراقب البصرية ، وبذلك حصل الفلكيون على مشاهد تتباين فيها السماء المرئية ، عن السماء الراديوية بشكل واضح

أشباه النجوم

بحلول عام ١٩٦٠ بدأ الفلكيون الراديويون يركزون اهتمامهم على بعض المنابع الراديوية ، المتميزة ، بعض الشيء ، التي كانت تبدو أشبه بالدبوس

اطلق العلماء على أول منبع راديوي « نقطي » اسم 3C48 وقد اطلقت عليه هذه التسمية لأنه الجرم رقم ٤٨ في قائمة تصنيف كمبريدج الثالث للمنابع الراديوية ، ولم يجد الفلكيون صعوبة تذكر في التحقق من أن موجات الراديو كانت آتية من جرم « شبيه بالنجوم » ، هل يعقل أن يكون شبيها بالنجوم ؟ لم يتمكن العلماء من تصور نجم قادر على اصدار اشعاعات راديوية ذات قوة وغزارة كبيرتين ، بشكل يسمح للمراصد الراديوية المتوفرة في أواخر الخمسينيات ، وبواكير الستينيات بكشفها . ومما زاد الطين بلة ان خطوط الطيف للمنبع الراديوي المذكور كانت غريبة جدا ، ولاتشبه أي شيء معروف قبلها

واعجزت الجميع عن تحديد هويتها ، وهذا ما حدا ببعض العلماء الى الاعتقاد بأن هذا المنبع الغريب يتكون من مواد كيميائية ، غير معروفة حتى ذلك الحين

تم اقتراح العديد من النظريات الغريبة ، لكن منها لم ينجح في تقديم تصور مقبول أو تفسير لخطوط الطيف

وفي بحر السنتين التاليتين تم التعرف على منبع نقطي عجيب ثان لموجات الراديو . ومرة أخرى كانت موجات الراديو قادمة من جرم شبيه بالنجوم ، اسمه 3C273 لانه المنبع الراديوي رقم ٢٧٣ في تصنيف كمبريدج الثالث ، لكن هذا الجرم له لسان يمتد من أحد جوانبه . ومرة أخرى لم يتمكن أي عالم من فهم طبيعة هذا الجرم الغريب أو تفسير خطوط طيفه العجيبة

نحن نعرف الآن حجر العثرة ، الذي وقف حائلا دون تفسير خطوط الطيف ، لكل من المنبعين الراديويين 3C48 و 3C273 كان الجميع يعتقدون بأن هذه الاجرام ماهي إلّا « نجوم قريبة من الأرض » ، لذا لم يخطر ببال احد أن تتعرض خطوط طيفها لازاحة كبيرة ، نحو النهاية الحمراء ، أو النهاية الزرقاء من الطيف

الكازار

وأخيرا تم كسر طوق الغموض في ١٩٦٣ م ، ففي معهد كليفورنيا للتقنية لاحظ مارتن شميدت ان ٤ خطوط أساسية من خطوط طيف 3C273 لها نفس الهيئة التي تتمتع بها من ٤ خطوط طيف غاز الهيدروجين ، لكنها توجد في مكان مغاير تماما لموقع خطوط الهيدروجين ضمن ألوان طيف « قوس قزح »

كان مخطط الهيدروجين مزاحا بكامله بقفزة كبيرة قدرها ١٦ بالمائة ، باتجاه النهاية الحمراء لطيف « قوس قزح » ، وهذا يعني أن 3C273 ينطلق متعدا عن الأرض بسرعة هائلة ، تعادل ١٥ بالمائة من سرعة الضوء

وخلال أيام معدودات وجد شميدت أن الخطوط الغامضة في طيف المنبع الراديوي 3C48 ما هي الا خطوط مألوفة أيضا ، لكنها عانت من انحراف طيفي ضخم ، بلغ ـ هذه المرة ـ ٣٧ بالمائة ، وهذا يعني أن 3C48 ينطلق متعدا عنا بسرعة تقارب ثلث سرعة الضوء

لقد بدا واضحا أن هذه الاجرام يستحيل أن تكون نجوما ، اذ لايعقل أن يتعرض طيف النجوم الاعتيادية لهذه الازاحة الكبيرة نحو النهاية الحمراء ،

ومن ناحية أخرى فقد كان من المؤكد تماما أن مظهرها شبيه بالنجوم ، لذا فقد تم الاتفاق على تسميتها « الاجرام الشبيهة بالنجوم »

وقد تم اختصار التسمية فيما بعد لتصبح « كازار »

نماذج ... مرصـ ... ـحرات التي يشاهدها الرحالة الى حدود الكون
ـسيرنج الراديوي الالماني المتحرك

كأنها كوكب دري

عرش البريق

تتابعت الاكتشافات بعدها ليتجاوز عدد الكارارات المكتشفة في سائر انحاء السماء المائة ، تشترك جميعها في بعض الخصائص المميزة ، فهي مشابهة للنجوم ، وتتعرض خطوط طيفها « لانحراف » أحمر كبير ، ويعني هذا أنها تنطلق مبتعدة عنا بسرعات هائلة ، وتفصلها عنا مسافات شاسعة الاتساع وعلى سبيل المثال فان المنبع الراديوي 3C273 يبعد عن الأرض ٣ مليارات سنة ضوئية ، بينما يبعد 3C48 مسافة قدرها ٥مليارات سنة ضوئية

وعند تطبيق المبادىء نفسها على الخطوط الطيفية للكارار OH471 تبين انه ينطلق بسرعة تقارب ٩٠ بالمائة من سرعة الضوء ، وتفصله عن الارض مسافة هائلة تقارب١٦مليار سنة ضوئية ، لذا يعتبر هذا الكارار واحدا من ابعد الاجرام السماوية على الاطلاق

وعليه فان الكارار هو ابعد الاجرام التي تم التعرف عليها حتى الآن ، ولكن المرء يتساءل هنا كيف تتمكن مراصدنا الراديوية من كشف الاشعاعات المرسلة الينا عبر هذه المسافات الشاسعة ؟ من الواضح ان الكارار ليس صاحب الرقم القياسي في المسافات فحسب ، بل يتربع كذلك على عرش البريق بين جميع انواع الاجرام السماوية ، ويشير ويليام كوفمان الى ذلك في كتابه « الثقوب السوداء » بقوله ان الكارار النموذجي يتألق ببريق مماثل لمئات المجرات الاعتيادية والى هذا البريق القوي جدا يعود الفضل في « رؤية » هذه الاجرام عبر مسافات تكون فيها المجرات متوارية عن الانظار تماما

نهاية المطاف

حطت بنا الرحال في المرحلة الأخيرة من رحلتنا في بقعة تمثل حافة الكون المعروف بالنسبة للبشر لقد قطعنا أثناء رحلة الذهن هذه حوالي ١٦ مليار سنة ضوئية - لنكتشف ولو من بعيد - اجراما سماوية شديدة الغرابة ، لاترضى بالحلول الوسط ، فهي صاحبة الرقم القياسي للمسافات ، وتتصدر قائمة السرعة ، وتتربع على عرش البريق والتألق

وبينما نقوم باعداد العدة للرحيل ، وقبل البدء بكلمات الوداع ، يهتف باسماعنا صوت الكارار متسائلا هل تعرفون طبيعة مولد الطاقة العملاق الذي يجعلنا نتألق في سماء أرضكم الى حد يجعلنا أشد الاجرام بريقا ، رغم احتفاظنا بالرقم القياسي للمسافات ؟

نقبل الدعوة شاكرين متفائلين بالتعرف على هذا المولد العريب الذي يؤهل الكازار للتربع على عرش البريق □

التغذية والأسنان

بقلم : الدكتور محمد محمد منصور

كثير من الناس ينقصهم ما يسمى بالوعي الغذائي ، وليس المقصود من التغذية هو مجرد امتلاء المعدة متى حلت ، بل يجب أن يعرف الشخص ما يتطلبه الجسم من احتياجاته لكي يستطيع القيام بالمجهود ، وما يحتاجه من العناصر الغذائية المختلفة اللازمة لحفظ كيانه سليما

أصبح جهلنا بالتغذية من أخطر العوامل التي يجب أن تعالج بأسرع ما يمكن ، وخطورة هذا الجهل هو أن صحة الفرد في بلادنا أصبحت تقاس في بعض الأحيان بعدد الأرغفة ، أو كميات مايتناوله من طعام ، فإذا كان عدد الأرغفة كثيرا ، وكمية ما يؤكل في كل وجبة كبيرة كلما دلّ ذلك على الصحة والعافية ، حتى أن الآباء والأمهات يفرحون إذا وجدوا أن عدد الأرغفة وكمية الطعام التي يتناولها

نأ ذهم مخصصة ، ومن المعروف أن غذاء الاسنان يتكون من العناصر الغذائية الكربوهيدرات ، بروتين ، الليبدات (الدهون) ، الفيتامينات ، أملاح المعدنية ، والماء.

والغذاء يمد الجسم بما يحتاج اليه من هذه العناصر غذائية لتوليد الطاقة ، وتعتبر الكربوهيدرات مصدرا اقتصاديا رئيسيا للطاقة ، يليها الدهون ثم البروتين ، كما أن الغذاء يمد الجسم بالمواد اللازمة بناء الجسم وصيانته ، وتشمل البروتين والماء الاملاح المعدنية ، كما أن من وظائف الغذاء أنه يمد الجسم بما يلزمه من مواد لتنظيم العمليات الحيوية صيانته ، ويدخل في هذه المجموعات الفيتامينات الأملاح المعدنية ، والماء والأحماض الدهنية لأساسية ، والبروتينات ، الأسنان تعتبر احدى أجزاء الجسم التي من أهم وظائفها أنها تقوم بتقطيع ومضغ الغذاء ، وذلك حتى يسهل امتصاصه وتمثيله الاستفادة منه ، بالاضافة الى أن الأسنان تضفي طبيعة جمالية من حيث لونها وشكلها وتنظيمها على الفم ، وذلك في حالة العناية من كل الأوجه الغذائية الصحية.

وجهاز الاسنان هو أحد الأجهزة العظميه الذي يدخل في تكوينه بعض العناصر الغذائية ، ولذلك كانت التغذية السليمة والصحيحة ضرورة مهمة تكوين أسنان سليمة منذ نشأتها الأولى.

عناصر تركيب الاسنان

ومن العناصر الغذائية الداخلة في تركيب الأسنان -

أولا الكالسيوم والفوسفور يعتبر الكالسيوم والفوسفور من أهم مكونات الأسنان ، اذ يوجد ٩٩٪ من الكالسيوم في الهيكل العظمي والأسنان وتتكون الأسنان مما نسبته ٦٠ ـ ٧٠٪ من مواد عضوية ، تترسب على شبكة من مواد بروتينية ، وهي أساس مادة الكولاجين (بروتين حيواني) ، وملح الأسنان الرئيسي هو الأباتيت ، وهو ملح مزدوج من فوسفات الكالسيوم وكربونات الكالسيوم ، كما توجد كميات صغيرة من عنصر الصوديوم والمغنسيوم ، والكلوريد والموليبديم والزنك ، كما تحتوي على

معادن أخرى

وطبقة الأمامل للأسنان هي الطبقة الخارجية من السن ، وتحتوي على ٩٩,٥٪ مواد عضوية ، وطبقة الدنتين وهي أسفل الطبقة الخارجية ، وتحتوي على ٨٧٪ مواد عضوية ، أما مادة الاسمنت فتحتوي على ٧٠٪ مادة عضوية ، وتحتوي طبقة الأمامل على ٣٦ كالسيوم ، ١٧٪ فوسفور ، أما طبقة الدنتين فتحتوي على ٢٧٪ كالسيوم و١٣٪ فوسفور ، ويوجد تبادل مستمر للمعادن بين الأمامل واللعاب ، ولا يوجد للسّن قدرة على تجديد انسجته اذا تلفت بالتسوس او الكسر ، والمادة العضوية الموجودة في طبقة الأمامل عبارة عن بروتين من مادة الكيراتين ، أما بروتين الدانتين فهو عبارة عن كولاجين

امتصاص أغذية

ويلاحظ أن نمو الأسنان وصيانتها ليس فقط قصرا على ميتابلزم الكالسيوم والفوسفور ، بل يدخل فيها عوامل اخرى منها فيتامين (أ) (A) المغنسيوم والمنجنيز ، وفيتامين (ج) (C) ، والأخير لازم لتكوين المادة العروية التي تعمل كمادة لاحمة بين الخلايا ، وأيضا فيتامين (د) (D) ، ويتميز عنصر الكالسيوم بأنه صعب في الامتصاص ، وعادة يكون امتصاصه في الجسم غير كامل ، وتختلف درجة الامتصاص بين الافراد ، وهي تتراوح بين (٢٠ - ٣٠٪) ويحتاج امتصاص الكالسيوم الى جلوكوز واكسيجين أو مصدر للطاقة ، ويزيد امتصاص الكالسيوم بزيادة احتياج الفرد له ، ولذا يزيد امتصاص الكالسيوم أثناء فترات النمو ، وتصل نسبة الامتصاص في الأطفال الرضع الى (٥٠ ـ ٧٠٪) ، والمعروف أن أنسب نسبة من الكالسيوم والفوسفور في الوجبة الغذائية تكون ١ ١ ، (وتعرف بنسبة فو / كا) وهي التي تؤدي الى أحسن درجة امتصاص ، ولذا كانت هذه النسبة مهمة في حالة الأسابيع الأولى من حياة الطفل ، وعموما يجب أن تكون نسبة الكالسيوم الى الفوسفور (١ ١,٥) في البالغين و(١ ١) في الأطفال ، وأثناء الحمل والرضاعة ، ومن العوامل التي تعمل على زيادة تمثيل الكالسيوم في الجسم فيتامين (د) (D) ، كما أن تناول بكر
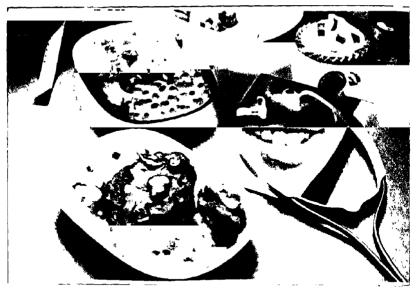
● الفسفور له أهميته للاسنان ويوجد في كثير من الأغذية النباتية والحيوانية

اللاكتوز (سكر اللبن) له تأثير واضح على زيادة درجة امتصاص الكالسيوم ، نظرا لتكوينه حامض اللاكتيك ، أما الظروف التي تعوق امتصاص الكالسيوم فهي ارتفاع نسبة الاكسالات وخصوصا الحرة منها ، وأيضا مركبات حامض الفيتيك ، التي تكثر في بعض الأغذية النباتية ، وهذه المركبات تكون ما يعرف بأكسالات أو فيتات الكالسيوم ، وهي املاح غير قابلة للذوبان في الماء ، ولا يستفيد منها الجسم ، ومن الأغذية الغنية بالاكسالات السبانخ ، الكاكاو ، ومن مركبات الفيتات القشور الخارجية لبعض الحبوب (النخالة)

يحتوي دم الانسان في الحالات الطبيعية على الكالسيوم بنسبة ١٠ ملليجرامات / ١٠٠ مل دم ، ويحافظ على هذا المستوى بالرغم من اختلاف دخل الجسم من الكالسيوم ، ويساعد هرمون الغدة فوق الدرقية على نقل الكالسيوم وتحريكه من الدم الى العظام والعكس

سكر اللبن ومنتجاته أحسن المصادر الغذائية لعنصر الكالسيوم ، كما أن الخضراوات الورقية مصدر جيد له عدا السبانخ ، أما الفوسفور فيمتص في القناة الهضمية بنسبة ٧٠٪ ، ويتم ذلك في صورة فوسفور حر ، ويحتاج الفوسفور الى نفس العوامل اللازمة لامتصاص تمثيل الكالسيوم ، ويوجد الفوسفور غير العضوي في الدم بنسبة ((٢ ـ ٢,٥) ملليجرام/ ١٠٠ جم) ، كما يوجد الفوسفور في كثير من الأغذية ، مثل اللحم والدواجن والأسماك والبيض واللبن والحبوب ، أما الخضراوات والفواكه فهي فقيرة الفوسفور

حماية الاسنان من التسوس

ثانيا الفلور توجد آثار من هذا العنصر في أنسجة الجسم المختلفة ، وخصوصا العظام والأسنان ، ولاشك أن آثار هذا المعدن تقوم بحماية الأسنان من التسوس ، والمصدر الأساسي للفلور هو ماء الشرب ، ويمتص الفلور بسرعة في الجسم ، ويذهب معظمه ، الى العظام ، كما يترسب في أنامل الأسنان ، ومعظم الدراسات أظهرت أن وجود الفلور

في ماء الشرب بنسبة جزء واحد في المليون يقلل حالات تسوس الأسنان ، حيث يترسب الفلور على سطح أنامل الأسنان النامية للأطفال ، مما يزيد مقاومة الأسنان ، ويعمل على تقويتها ، ويقلل من درجة ذوبان معادنها ، كما أن الفلور يمنع نمو وتكاثر البكتيريا المنتجة للحموضة ، ولا يترسب الفلور على أسنان البالغين المكتملة النمو ، فلا منفعة اذن من شربهم ماء به فلور ، والدول المتقدمة تقوم بإضافة الفلور الى ماء الشرب ، كما تؤدي زيادة الفلور في الماء عن ٣ - ٥ أجزاء في المليون (P P M) الى حالة مايعرف بتبقع الأسنان ، وهو ظهور بقع بيضاء جيرية على أنامل الأسنان ، وتفقد السن لمعانها ، وتصبح خشنة، ثم يلي ذلك ظهور بقع صفراء أو بنية أو سوداء ، يصاحبها تكون حفر ، وقد تتأثر كل الأسنان ، الا أن هذه الحالة تظهر بوضوح على قواطع الفك العلوي

والماء العذب لايحتوي على الفلور ، بينما يحتوي الماء العسر (على ١٠ أجزاء في المليون ، أما الأغذية فقليل منها يحتوي على كميات ضئيلة لا تتعدى جزءا في المليون ، باستثناء الأسماك البحرية ، حيث تحتوي على كميات تتراوح بين ٥ - ١٠ أجزاء في المليون

ثالثا الفيتامينات

أ - فيتامين (ج) (C) أو حامض الأسكوربيك ، هذا الفيتامين سهل الذوبان في الماء ، وهو لازم لبناء وصيانة الكولاجين ، وهو المادة الغروية اللاحمة بين جميع الخلايا ، بما في ذلك الأسنان والعظام ، ونقص هذا الفيتامين يؤدي الى ضعف جدر الأوعية الشعرية ، نتيجة لنقص المواد اللاحمة بين الخلايا ، وتتطور الحالة تتورم اللثة وتصبح شبه اسفنجية ، فلا يكتمل بناء الأسنان وتنظيمها ، وفي الحالات الشديدة يزيد ورم اللثة وتتقرح وتختفي الأسنان تحتها ، كما يشمل سقوط الأسنان ، وتعتبر الخضراوات والفواكه الطازجة من المصادر الرئيسية لهذا الفيتامين في غذاء الانسان ، مثل الموالح والجوافة والطماطم ، ومن المصادر الجيدة الخضراوات الورقية والفلفل الأخضر

وتناول ١٠ ملليجرام يوميا من هذا الفيتامين كافية لحفظ الشخص البالغ في صحة جيدة ، ولكن ينصح بتناول ٥٠ مل من عصير البرتقال ، أو ٥٠ جراما من خضر ورقية ، وهي كافية لمد الفرد بما يحتاجه يوميا من هذا الفيتامين ، وللمحافظة على ظهور أسنان سليمة للأطفال يجب العناية بالأطفال الرضع ، بإعطائهم عصير الفواكه ، حيث أن لبن الأم يحتوي على ٤ - ٨ ملليجرامات/ ١٠٠ جم ، واللبن البقري يحتوي على ٢ ملليجرام / ١٠٠ جم فقط

ب - فيتامين د (D) هذا الفيتامين من الفيتامينات التي تذوب في الدهون ، ويعمل على زيادة امتصاص الكالسيوم والفوسفور ، مما يساعد على الاستفادة منهما في عمليات الترسب في كل من العظام والأسنان ، وانخفاض مستوى الكالسيوم والفوسفور في الدم قد يؤدي الى تشوه عظام الفك والأسنان ، وضعف الانامل للأسنان ، كما ان الدراسات أثبتت أن هذا الفيتامين يساعد في تحويل الفوسفور العضوي الى فوسفور غير عضوي لازم للعظام والأسنان ، ويتم ذلك بواسطة انزيم يعرف باسم الفوسفاتيز القاعدي ، كما يؤدي نقص هذا الفيتامين حتى لو كان الغذاء به ما يكفي من الكالسيوم والفوسفور الى تأخر ظهور الأسنان

وفيتامين د (D) ليس منتشرا على نطاق واسع في الطبيعة ، وأحسن مصدر له هو زيت السمك ، وخصوصا زيت كبد الحوت ، كما يوجد في اللبن وصفار البيض ، ولكن بكميات صغيرة في المادتين الأخيرتين

ويحصل الانسان على هذا الفيتامين عند تعرضه لأشعة الشمس فوق البنفسجية ، ولهذا يجب تشجيع الأفراد على التعرض لأشعة الشمس ، وخصوصا الأطفال ، لتكوين هذا الفيتامين ، اذ يوجد هذا الفيتامين والذي يسمى (7dehydrocholesterol)ويوجد في الأنسجة الحيوانية ، مثل الطبقة الدهنية الموجودة تحت الجلد

وينبغي تناول ١٠ ميكروجرامات من هذا الفيتامين يوميا منذ الميلاد حتى العام السابع ، وكذا الحوامل والمرضعات ، ويعتبر ملائما لمنع وتلافي مشاكل أو تأخر ظهور الأسنان ، وذلك اذا تم اعطاء الطفل ٥ مل من زيت كبد الحوت ، فإن هذه الكمية تمد الطفل بالمطلوب من هذا الفيتامين (٤)

ربع قرن من العطاء والنماء

« عقب الاستقلال مباشرة أنشيء الصندوق الكويتي للتنمية ، ليكون بمثابة اليد التي تمتد من حصن الخليج حتى شاطىء المحيط ، تدعم كل العرب ، ايمانا من الكويت بأن ازدهارها جزء من ازدهار الوطن العربي »

في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام ١٩٦١ م صدر مرسوم أميرى يعلن فيه أمير ... الكويت انشاء « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » ، بهدف تقديم الدعم والمعونة ... والقروض الميسرة للبلاد العربية الشقيقة ، لتمويل ... عاتها ، وتحدد للصندوق مبلغ ٥٠ مليون دينار ... كراس مال

بعد اعلان انشاء هذا الصندوق اشهار ميلاد مؤسسة من مؤسسات الدعم الثنائي في العالم ... ، فحتى ذلك التاريخ لم يكن في العالم مؤسسة مستقلة تقدم الدعم للدول من داخل بلدان العالم الثالث ، فقد كان الأمر حتى ذلك الحين ... على دول الشمال والغرب

الكويت بلاد العرب .

في ذلك الوقت لم يكن قد مر على استقلال الكويت سوى شهور قليله ، ولم تكن ميزانية الدولة تتكون من ارقام كبيرة ، فقد كانت لاتتجاوز ٢٠٠ مليون دينار ، ولم يكن سعر النفط قد قفز ، فسعر البرميل في ذلك الحين كان يتراوح بين (١,٥ - ١,٧ دولار) ، الا أن كل هذا لم يمثل عقبات تمنع قيام الصندوق الذي شكلت ميزانيته الأولى ربع ميزانية الكويت فقد كان الهدف الاساسي من قيامه توثيق العلاقات العربية ، ايمانا بفكرة مازالت قائمة الى اليوم ، وهي أن ازدهار الكويت العربية يكتمل وينمو بازدهار وتنشيط علاقاتها العربية ، أي تطبيق واقعي لمقولة أن « الكويت بلاد العرب » ، وهذه المقولة قديمة قدم

تاريخ الكويت ، لذلك جاء الاعلان عن انشاء هذا الصندوق عشية الاستقلال ـ والدولة مازالت في طور تدعيم وانشاء مؤسساتها ـ ترجمة حقيقية على أرض الواقع للشعار المرفوع

وبدأ الصندوق يباشر أعماله ، فبعد قيامه بثلاثة أشهر فقط وقع أول اتفاقية في تاريخه في يوم ٢٥ مارس عام ١٩٦٢ مع السودان الشقيق ، لتقديم مبلغ سبعة ملايين دينار كويتي لتمويل مشروع السكك الحديدية ، وبدأت مسيرة الصندوق الطويلة المثمرة ومنذ اليوم الأول لعمل الصندوق وضعت له سياسة عامة تتلخص في « انما نعمل بعيدا عن الهموم والخلافات السياسية ، فغرض الصندوق هو تقديم الدعم والمساعدة غير المشروطة ، لتحقيق انجازات لها أولوية في خطط التنمية العربية » ومن أجل تحقيق هذا الهدف فان سياسة عمل الصندوق منذ اليوم الأول لانشائه كانت تركز على تقديم المشورة الفنية غير الملزمة للدول طالبة المساعدة ، مع اعداد دراسات استطلاعية للمشروعات ، واعداد دراسات الجدوى ، وتوفير الخدمات الفنية والاستشارية ، وتقديم القروض بشروط ميسرة بعد ذلك ، فسعر الفائدة يتحدد حسب طبيعة المشروع ومدته وقيمة القرض ، ويتراوح بين ٠٫٥ الى ٥٪ ، ومدد القروض تتراوح بين ١٥ ـ ٤٠ سنة ، بفترة سماح من ٣ ـ ١٠ سنوات ليس هذا فقط بل لقد حرص الصندوق في جميع المشروعات التي قام بتمويلها على أن تعطي الأولوية لمشروعات البنية التحتية وهي عصب اي محاولة للتنمية أو حتى أي محاولة للنهوض الاقتصادي ، فتركز تمويل الصندوق لذلك على مشروعات الطرق والجسور ووسائل الاتصال من موانيء ، وسكك حديد ، وهاتف ، وبرق ، ومطارات ، بالاضافة الى مشروعات مياه الري ، ومشروعات الزراعة وهذه القطاعات لاتدر عائدا ماديا منظورا في المدى القصير ، بالاضافة الى أنها مشروعات ذات تكلفة عالية ، وبدونها لا يمكن القيام بمشروعات تطوير الاقتصاد والرعاية الاجتماعية

للعرب وللعالم

تميز نشاط الصندوق منذ تأسيسه حتى الآن بمرحلتين مكملتين لبعضهما هما :

* بدر الحميضي مدير عام الصندوق

* المرحلة الأولى التي اقتصرت فيها عمليات الصندوق على مساعدة الدول العربية ، وتمتد منذ انشاء الصندوق حتى يوليو ١٩٧٤ ، قدم خلالها الصندوق ٤٧ قرضا بقيمة اجمالية قدرها ١٥٨ مليون دينار كويتي ، استفادت منها ١٢ دولة عربية ، وتركزت قروض الصندوق في قطاعات النقل والمواصلات والزراعة والكهرباء والصناعة

* المرحلة الثانية تبدأ من أغسطس ١٩٧٤ ، أي عقب صدور قرار توسيع نشاط الصندوق ليشمل كل دول العالم ، وفي هذه المرحلة امتد نشاطه ليشمل تمويل المشروعات والبرامج الانمائية في افريقيا وآسيا ومحيط الباسيفيك ، وتمت في هذه المرحلة زيادة رأس مال الصندوق الى ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي وقد شهدت هذه المرحلة التي مازالت ممتدة حتى الوقت الراهن ، تقديم الصندوق لقروض بلغ عدده ٢٥٥ قرضا قيمتها الاجمالية حوالي ١٢٢٦ مليون دينا

يتي ، كان نصيب الدول العربية منها مائة وثلاثة ...روض قيمتها ٥٤٢ مليون دينار تقريبا ، أي بنسبة ٤٤,٢ بالمائة من اجمالي القروض ، وكان نصيب الدول الآسيوية ٦٧ قرضا بقيمة ٤١٨ مليون دينار ، أي ما يعادل ٣٤٪ والدول الأخرى ثمانية قروض تبلغ قيمتها حوالي ١٥ مليون دينار كويتي

وهكذا استطاع الصندوق منذ تأسيسه حتى نهاية العام المالي الماضي في أواخر يونيو ١٩٨٦ من عقد (٣٠٢) اتفاقية قرض ، موزعة على ٦٣ دولة نامية ، منها ١٦ دولة عربية استفادت بـ ١٥٠ قرضا ، قيمتها الاجمالية ٦٧٠ مليون دينار ، أي بنسبة ٥٠ بالمائة من اجمالي القروض ، كما بلغ عدد الدول غير العربية المستفيدة حتى الآن ٤٧ دولة ، منها ٢٨ دولة أفريقية ، و ١٥ دولة آسيوية ، وأربع دول أخرى ، وقد حصلت الدول غير العربية على ١٥٢ قرضا ، بلغت قيمتها حوالي ٦٨٥ مليون دينار تقريبا وعلى مستوى القطاعات نجد أن عمليات الصندوق اتجهت الى تمويل العديد من مشروعات البنية الأساسية ، فكان لقطاع النقل والمواصلات النصيب الأكبر اذ حظي بنسبة ٣٠,١٪ من اجمالي القروض (حوالي ٤١٧ مليون د ك) ، وحظي قطاع الكهرباء بنسبة ٢٦,٦٪ من اجمالي القروض (٣٦٨ مليون د ك تقريبا) ، ثم قطاع الزراعة الذي بلغت نسبة قروضه ٢٠,٨٪ من اجمالي القروض (٢٨٩ مليون د ك تقريبا) ، ثم قطاع الصناعة الذي بلغت قروضه ٢٤٦ مليون دينار ، بنسبة ١٧,٨٪ من اجمالي القروض

وبالاضافة الى دور الصندوق في تقديم القروض ...امتد نشاطه ليشمل تقديم المعونة الفنية التي تهدف الى ...دعم القدرة الاستيعابية للدول المستفيدة ، وتدريب ...الكوادر) الفنية واعداد دراسات الجدوى الفنية ...الاقتصادية ، كما امتد دوره ليشمل مساندة الدول ...ية في تعبئة الموارد الأجنبية ، ومساعدتها في ...ض مع الممولين ، والمستشارين ، والمقاولين ...ين ، في الجوانب المتعلقة بتمويل تلك ...عات وتنفيذها

...توقف دور الصندوق على تقديم القروض ...ت الفنية ، بل عهد اليه القيام بالمساهمات ... الكويت في عدد من المؤسسات الانمائية من أصل رأس ماله ، وقد بلغ اجمالي مساهمات الصندوق في هذا المجال مبلغ ٢٠٠ مليون دينار ، موزعة وفق نصيب الكويت على كل من الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، والمؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، والبنك الأفريقي للتنمية ، والصندوق الأفريقي للتنمية ، والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا

جزء من هذا العالم :

واليوم قد يتساءل بعضهم لماذا تحتفي الكويت بالصندوق ، بمرور ربع قرن على تأسيسه ، هل لأنه صاحب فضل الريادة والسبق ، وأن السبعينيات فقط قد شهدت مولد مؤسسات دعم ثنائي في البلدان العربية غيره ، وبعد أن مرت عشر سنوات على تأسيسه ؟ كلا ، ليس هذا فقط ! أم لأن حجم قروض الصندوق عددا وتمويلا تفوق قروض ومساعدات المؤسسات المشابهة ، كلا ، ليس هذا فقط أيضا ! أم هل تحتفي به الكويت لأنه يضع أولوية التمويل لمشروعات التنمية ، ويقدم المساعدة غير المشروطة ، ويحاول دفع عجلة التنمية في بلدان العالم الثالث ؟

في تقديرنا أن هذا أقرب لهدف الاحتفاء ، لأن واقع الأمر يقول ان العالم يعيش أزمة اقتصادية شديدة ، ودول العالم الثالث خاصة تواجه أزمات حادة خانقة ، ومجرد محاولة دفع العالم الثالث نحو التماسك ومواجهة أزماته أمر يستحق الاحتفاء ، ويستحق أن يبقى بيننا نقطة ضوء تضيء للمستقبل فالعالم الآن ينقسم الى شمال غني وجنوب فقير ، في الشمال الغني ربع سكان العالم يحوزون بأربعة أخماس دخل العالم ، وفي الجنوب الفقير الذي ننتمي اليه جميعا يعيش ثلاثة أرباع السكان ، ويتقاسمون خمس دخل العالم فقط

وفي الشمال متوسط العمر يقارب سبعين سنة ، أما في الجنوب فيموت طفل بين كل أربعة أطفال قبل سن الخامسة ، وفي الجنوب هناك ٤٠٪ من السكان لاشيء يشغلهم سوى محاولة البقاء على قيد الحياة ، والوفاء بحاجاتهم الأساسية ، وفي الجنوب أيضا تتوقع أفضل التقديرات أنه سيكون هناك ٦٠٠ مليون كائن انساني يعيشون في حالة فقر مطلق بعد ثلاثة عشر عاما
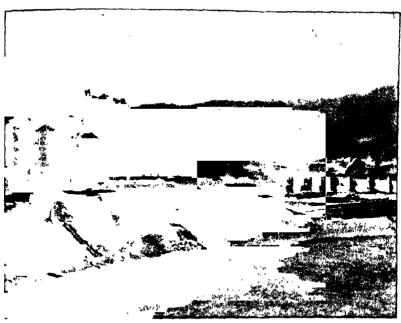
* مشروع شاشيكو الكهرومائي في الصين الشعبية ، احد اسهامات الصندوق في تمويل مشروعات البنية الاساسية

فقط ، أي في عام ٢٠٠٠ ، مطلع القرن الحادي والعشرين . وفي الشمال تتركز ٩٠٪ من المنشآت الصناعية التحويلية ، وأغلب حقوق الاختراع ، وفنون الانتاج الحديثة ، والشركات المتعددة الجنسية التي تملك الجزء الأعظم من النشاط الاستثماري في العالم ، وتتحكم في التجارة الدولية ، سواء في المواد الأولية أو في المنتجات المصنعة .

ورغم اختلاف ملامح الأزمة في دول الجنوب وتباين حدتها من الموت جوعا ، الى حلل الهياكل الاقتصادية ، الى الديون ، الا أن هذه الدول جميعها تشترك في ملامح عامة لازمتها وهي مستوى الدخل المنخفض ، وقلة فرص عمل ، وسوء حال الخدمات الأساسية (اسكان ، وصحة ، وتعليم ، ومواصلات) وقلة الاستثمارات ، وواردات تفوق قدرة التصدير . وفي قول مجمل ان بلدان العالم تعاني من مشكلة تنمية حقيقية . ولقد كانت تراكمات التاريخ جزءاً أساسياً من مشكلة الجنوب التي يعيشها اليوم ، بدءا من كل قصص الوحشية والاستعباد التي مارسها الغازي المستعمر ، وانتهاء بما يحدث في التاريخ الحديث وبخاصة بعد الحرب العظمى الثانية ، عندما بدأ العالم يعيد النظر في بقاء المستعمرات ، وفي نفس الوقت يحرص على تأمين تبعية ملائمة من دول الجنوب تضمن استمرار تدفق الموارد الأوليه الى الشمال ، وتدفق السلع المصنعة من الشمال الى الجنوب ، فالجنوب هو منبع المواد الخام ، وهو السوق المتعطشة لسلع الشمال الكثيرة العدد .

لم تكن دول الغرب راغبة بشكل حقيقي في تحسين أحوال دول الجنوب ، ومايردده بعضهم عن ضرورة اسهام الدول الصناعية المتقدمه في دعم ومعاونه الدول النامية للخروج من أزمتها ماهو الا دعوة مشكوك فيها ، لأن تقدم البلدان النامية وتطورها ونموها يعتبر في المحصلة النهائية غير متوافق مع مصالح البلدان المتقدمة . ولعل خير دليل على صحة هذه الرؤية هو الدور السلبي للبنك الدولي للانشاء والتعمير . . . ندوق النقد الدولي ، في مساعدة دول العالم . . . ، ورغم أن هاتين المؤسستين قد قامتا

* مشروع سد منتالى على نهر السنغال   تمويل وخبرة فنية من الصندوق لمحاربة الجفاف

بدورهما كاملا لاعادة تعمير أوروبا واليابان عقب الحرب العالمية الثانية ، فان دورهما تجاه العالم الثالث شديد السلبية ، ولعله أصبح معروفا للجميع مشكلة تعامل دول العالم الثالث مع صندوق النقد الدولي ، فالصندوق الدولي بوصفه يملك صلاحيات دولية معنوية تتمثل في منح القروض أو الايعاز الى بيوت المال العالمية بالاقراض أو الامتناع عن الاقراض ، نتيجة لهذه الصلاحيات فان الصندوق يشترط قيام الدول المتلقية للقروض باجراء تعديلات أساسية في سياستها الاقتصادية ، وبينما يقول بعضهم ان هذا التدخل هو املاء شروط ، وان مساعدات الصندوق الدولي مساعدات مشروطة ، فان الصندوق يقول ان هذه الشروط هي وجهة نظرنا لاصلاح النظام الاقتصادي في هذه الدول ، لكي تتمكن بعد ذلك من الوفاء بقروضها وبين وجهتي النظر يتبين أن من المؤسسات العالمية تعمل خصوصية وظروف العالم الثالث اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ولذلك فان من الاقتصاديين يعدون مؤسسات الدعم الثنائي التي نشأت في البلدان العربية هي خير سند لدول العالم الثالث ، ومن أجل مواجهة أطول ، ومن أجل السعي الى الخروج من عنق زجاجة الأزمة الخانقة

تطوير الأداء في المستقبل :

تولى ادارة الصندوق ـ منذ تأسيسه ـ أربع شخصيات اقتصادية ، مشهود لها بالكفاءة والعلم ، فقد كان عبد العزيز البحر أول مدير له ، ثم عبد اللطيف الحمد ، ثم فيصل الخالد ، وأخيرا بدر الحميضي مدير عام الصندوق الحالي وللصندوق مجلس ادارة يرسم سياسته ، ويوجهها ، ويرأس مجلس ادارة الصندوق سمو ولي العهد شخصيا بموجب مرسوم تأسيس الصندوق

وأمام بدر الحميضي ، مدير عام الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية ، ألقينا بتساؤلاتنا عن أداء الصندوق في المستقبل

*** هل يؤثر انخفاض عائدات النفط على عمليات**

* تطوير وادي مارو باليمن   احد الاهتمامات بتطوير الزراعة وانتاج الغذاء في الوطن العربي
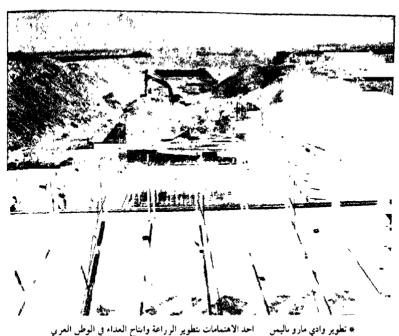
الصندوق وتوسيع نشاطه ؟

ـ الصندوق مؤسسة عامة ، مستقلة اداريا وماليا وفنيا ، لكن على الرغم من الاستقلال المالي الذي يتمتع به الصندوق فإن مصدر رأس ماله البالغ ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي هو الميزانية العامة للدولة ، وقد قامت الحكومة حتى الآن بدفع ٩٧٠ مليون دينار كويتي لحساب رأس مال الصندوق ولما كانت ايرادات الدولة تعتمد اعتمادا رئيسيا على العائدات النفطية فان انخفاض هذه العائدات يؤثر لاشك ـ في حجم المبالغ المقتطعة من الايرادات الحكومية لحساب رأسمال الصندوق الذي يؤثر بدوره في حجم الموارد التي يخصصها الصندوق للالتزام بتمويل عملياته في الدول المؤهلة للاستفادة من مساعداته

* هل هناك تغيير في سياسات الصندوق للدخول في تمويل مشروعات استثمارية أكثر ربحا ؟

ـ ان السياسات المتبعة في الصندوق تهدف الى مساعدة الدول العربية ، والدول النامية الأخرى ، في جهودها الرامية الى تحقيق التنمية الاقتصادية ، ومن هذا المنطلق فان الصندوق مخول ـ بحسب قانونه ونظامه الاساسي ـ للقيام بالمساهمة في تمويل العمليات ذات الطابع الانمائي التي لاتنحصر أهدافها في تحقيق الربح فقط ، اذن ليس هناك مايمنع من قيام الصندوق بتمويل مشروعات استثمارية أكثر ربحا ، طالما أنها تظل منسجمة مع الأنشطة الاقتصادية ذات الأثر الانمائي ، ليس هذا فحسب ، بل يمكن للصندوق ـ بالاضافة الى المساهمة في تمويل مثل هذه المشروعات عن طريق القروض ـ أن يسهم في رأس مالها ـ أيضا ـ اذا ماتبين له أنها استثمارية انمائية ، تتميز بقدرتها على المساهمة في تحقيق الأهداف الانمائية للبلد المستفيد ، وفي نفس الوقت يكون ربحها كافيا لخدمة الدين ، وتوفير عائد مجز على رأس المال المستثمر واذا ما أخذنا في الاعتبار الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعاني منها العديد من الدول النامية ـ وبخاصة أزمة خدمة الديون ـ يتبين لنا مدى الحاجة الى البحث عن مشروعات استثمارية بمقدورها المساهمة في الايفاء في خدمة الدين ، لتمكن

لجهات الدائنة من المحافظة على تعاونها مع الدول لمدينة ، والاستمرار في مساندة جهودها الانمائية ، ,هذه الاعتبارات تقتضي الاستجابة للمساهمة في تمويل المشروعات ذات الأولوية ، في ظل واقع لظروف الاقتصادية للدول المعنية والجدير بالذكر ان مساعدات الصندوق تقدم بشروط ميسرة ، لكن يمكن للصندوق - في نفس الوقت - تمويل مشروعات استثمارية ، كما سبقت الاشارة لذلك ، وهكذا فان سياسات الصندوق تتسم بالمرونة الكافية ، وتمكنه من مراعاة حاجات الدول المستفيدة ، والتعاون معها في كل ما من شأنه أن يعزز قدرتها ومسيرتها الانمائية ، وهذا لايعتبر تغييرا في سياسات الصندوق بقدر ماهو تطبيق لسياساته الراهنة ، واستجابة لما تمليه ظروف التعاون البناء المستمر

*** مع ازدياد الأزمة الاقتصادية العالمية ، وتأثيراتها على بلدان العالم الثالث ، تصبح الحاجة أكثر الى دعم المنظمات والصناديق للبلدان النامية هل هناك تصور عام لدى الصندوق لمتابعة ذلك ؟**

- ان ازدياد الازمة الاقتصادية العالمية ، وتأثيراتها على بلدان العالم الثالث يقتضي تضافر جهود كافة الدول المانحة ، والمؤسسات الاقليمية والدولية والوطنية ، بما في ذلك المنظمات والصناديق للبلدان النامية فالكويت كانت ومازال من الدول الرائدة في دعمها لجهود التنمية في العالم الثالث ، وذلك من خلال مساعداتها المباشرة للعديد من تلك الدول ، والمساعدات التي تقدمها مؤسسات التنمية الاقليمية والدولية ، التي تسهم الكويت في مواردها المالية بالاضافة الى هذه الجهود فان الصندوق يمارس نشاطه المباشر ، ويستمر في تعاونه مع الدول النامية ، وهو حريص على التعاون مع مؤسسات التنمية العربية ، ومؤسسات الاقليمية والدولية ، والتنسيق معها ، لتوفير الموارد اللازمة لتنفيذ المشروعات والبرامج الانمائية ، وتلافيا للازدواجية ، وضمانا لحسن التنفيذ كما أن الصندوق يعي تماما أهمية دعم المنظمات ، والصناديق ، ومؤسسات التمويل الوطنية في الدول النامية ، وهو - على سبيل لا الحصر - يقدم مساعدات الى بنوك التنمية الصناعية والزراعية ، لتمكينها - من خلال تلك - من تمويل المشروعات الصغيرة ، كما أنه يقوم - في نفس الوقت - بتقديم العون الى المؤسسات لدعم أجهزتها الادارية والفنية ، ورفع كفاءتها في الأداء ، ومثل هذا الدعم ناجم عن تصور الصندوق لأهمية تعزيز قدرة المنظمات والصناديق والمؤسسات في البلدان النامية للقيام بدورها ، والمشاركة الفاعلة في الجهود الانمائية ، وسيستمر الصندوق في دعمها ومساعدتها طالما انها قادرة على تحقيق الأهداف الانمائية التي يساندها الصندوق

*** ماهو تقييم توظيف أموال الصندوق كاستثمار بعيد المدى ، وماهي الضمانات الفنية التي يحرص عليها الصندوق ؟**

- ان معظم الأصول التي يمتلكها الصندوق تتمثل في القروض الممنوحة الى الدول النامية ، واستثمارات الحافظة المالية (السندات ، والأسهم ، وشهادات الايداع ، والودائع لأجل لدى البنوك) ، فالقروض ليست استثمارا بالمعنى المقصود ، الا أن الصندوق يحرص على أن تكون هناك ضمانات لسدادها ، وسداد ما يستحق عليها من فوائد ، وذلك من خلال اتفاقيات القروض التي يعقدها الصندوق مع الدول المستفيدة ، أما استثمارات الحافظة المالية فيحرص الصندوق على أن تتسم بالسلامه الماليه ، والعائد المجزي ، بأقل المخاطر ، وذلك بهدف المحافظة على الأموال ، وتنميتها وفي حال قيام الصندوق بالمساهمة في استثمارات مباشرة بعيدة المدى ، وذات طابع انمائي ، فانه يحرص على التأكد من جدواها الاقتصادية والمالية ، وسلامتها الفنية

ليس كافيا .

ويقينا فان هذا ليس كافيا لعرض كل مايفعله الصندوق الكويتي للتنمية ، ومايقوم به ، ويقينا فان جهود الصندوق وحدها ليست كافية لتغطية كل مناطق الاحتياج للدعم في العالم النامي ، ولن تحل جهود الصندوق وحدها أزمة الجنوب والعالم الثالث لكن الصندوق أوجد وسيلة ، وخط طريقا ، غطى فيها كثيرا من الاحتياجات الماسة لبعض الأقطار العربية ، وغيرها من بلدان العالم الثالث ، منذ ربع قرن مضى

وبمناسبة مرور هذا الزمن الطويل فانا نبارك ، ونحتفي ، ونشد على الأيادي □

محمود عبدالوهاب

بقايا أساطير

شعر

محمد ابراهيم أبوسنّة

هو الآن ذكرى ،
تلح على الياسمين ،
تلح على طائر غامض
لايمل الرفيف الحزين ،
ينشّر فوق الشواطيء أجنحة من حنين ،
ويرحل في لحظات الفتون
الى حيث تغتسل الفتيات
على النهر في لحظات الغروب
ليلقط بعض الأغاني الحزينة ،
ثم يذوب

* * *

هو الآن ذكرى ،
ولكنه حين جاء الى قريتي ـ كنت طفلا ـ
أثار الدروب ،
وكان يكتّم عاصفة بين جنبيه ،
كان يقاتل سرا يراوعه في الخفاء ،
وكان يسيل غناء اذا الليل جاء ،
فيذكر أشواقه ،
وبلادا تلاحقه حيث راح
ويمضي وديعا ، يجوب الحقول ،
ويجمع منها ظلال الأساطير ،
يبذرها في ليالي القمر
تظل البنات الصغيرات اذا ما رأين
الغريب المثير من الشرفات البعيدة
يذبن باهاتهن ، ويركضن في حلم أبيض ،
وبلاد سعيدة ،
وفي الصبح يدنو من الفقراء ـ اليتامى ـ
ـ الأرامل ـ مثل الندى في الوجوه ،
يعين الذي يطلب العون ،
يجلس كالنبع فوق الطريق ،
يداعب في الطرقات الصغار ،
ويجمع في مقلتيه النهار ، يوزعه في الظلام نجوما على البائسين ،
ينام اذا ما النعاس أقام له مهجعاً ،
ويصحو إذا الطير بشّر بالفجر

لابد يوما يسيل ،
ليخضر هذا التراب ،
ويعشب في القلب ومض السراب ،
ونام على حجرها ،
يذيب لياليه في فجرها

* * *

تطاول كل نخيل المسافات ،
ثارت براكينها ،
وفاضت ، فأغرقت النخل في نهرها ،
وأطلقت الأرض أسرارها في اتجاه السديم ،
وندت عن الكون آهة فرح عظيم ،
وسالت دماء الكروم ،
تلفت نهر الى صفتيه ،
فكان المدى داخلا في المدى ،
عارقا في النعيم
وفي الصبح كان الوحوم
يلف المداحل في قريتي ،
وجاء العلاط الغيورون في عابة من قيود ،
لكي يصمدوا حسم هذا العريب ،
وترقد في مهدها العاصمة
يقولون داق الدي لم ندق ،
ونال العُقاب الدي لاينال ،
وأمسك في ليلة بالمحال

* * *

ولا أذكر الآن باقي الحكاية ،
فقد كنت طفلا ، ولكنهم عيبوه
الى حيث عاد العريب
الى رحلة في السحاب ،

* * *

هو الآن دكرى ،
بقايا أساطير تبكي عليها الرياح ،
ومازال منها
على شفة الأرض لحن ،
بقايا نواح

ل بعض النباتات ،
و الهواء ،
ان طليقا كأن الرياح هي التي ولدته ،
جمعها في فؤاد بريء ، وعين مسامحة ،لاتنام ،
ان يسير كأن الغمام
رضه أن يبدد هذا الجفاف ،
خضر هذا القتام .
اش الغريب يجدد أحلامنا في الوئام ،
ث الحماس ، ويشعله في صدور الشباب ،
ذكي المودة بين الألدّاء ،
رأ أسرارنا في العيون ، ويكتمها
لما يكتم المرء داء ،
ات مساء
ته الى خدرها امرأة عاشقة ،
ته ليمطر في حسمها الغيم ،
علها حنة من بساتين ،
ارا تضيء قفار السنين ،
ته وكانت تطرر ـ منذ أتى قريتي ـ
درها كي يجيء ،
كانت ـ كما قيل عنها ـ كيانا من المرمر المشتعل ،
نوعا عصيا من « العجر » الحامحات ،
كم من رحال على بابها يظمأون ،
لايرتوون
لكنها لاتبوح لغير الذي في المنام
اودها عن هواها ،
طلق أشواقها في الأغاني ،
تلك عشقا بحجم السماء
لت بأعماقها قبة من نجوم ،
حت على سفحها أعصر من غيوم ،
ء العريب اليها ،
رأة من لهب ،
كأن اليمام له ينتسب ،
حب ،
ـ أن الحياة اناء من الماء ،

بقلم . فهمي هويدي

من قيادة التاريخ إلى حقائق الجغرافيا !

ربما كانت احدى أهم مشكلات العالم الاسلامي المعاصر ، انه بمثابة جسم كبير بغير راس ، او قل انه جسم متعدد الرؤوس ، الامر الذي رتب عدة نتائج ، اهمها ان الهم الاسلامي العام لم يعد مسئولية احد بذاته ، أو جهة بذاتها ، وانما بات موزع المسئوليه بين عدة جهات بغير حصر ، تختلف بينها معايير الحساب ، كما تختلف زاويه الرؤيه .

ربما سارع البعض الى التحفظ والاستنتاج ، متسائلا اولا عن مدلول عنوان العالم الاسلامي ، ثم مستفسرا عن ماهيه « الرأس الواحد » ، وهل هي اشاره محمله بأية أبعاد سياسيه أم لا ؟ أو بصراحة أكثر ، هل هي دعوه الى تبني فكره الخلافة التي ينادي بها البعض ويرون فيها ملاذا وحلما ؟

ولكي نحسم الأمر من البداية ، فاني اقول ان تعبير العالم الاسلامي المعاصر ليس محملا بأكثر من عنصرين أساسيين ، أولا أنه حقيقة جغرافية لا تنكر ، ثانيا أن الكيانات الموزعة على تلك الرقعة الجغرافية الشاسعة تربط بينها رابطة الدين ، والتراث الفكري وربما التلاحم التاريخي

ويدخل في اطار العالم الاسلامي الذي نعنيه الأقليات أو «الجاليات» المسلمة التي تعيش في مجتمعات غير اسلاميه ، واعدادها بالملايين في دول اسيا خاصة ، مثل الهند والاتحاد السوفييتي والصين ، غير مئات الالوف من المسلمين الذين نزحوا الى اوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية

وإذا كان من الطبيعي أن نصنف الدول التي تمثل المسلمون فيها اغلبية السكان باعتبارها اسلاميه ، الا اننا لا نجد غضاضة في ضم الأقليات الاسلاميه - نظريا على الأقل - الى عالم الاسلام ، ليس فقط لان تلك الاقليات قد تضم ملايين البشر الذين يصعب تجاهلهم ، ولكن أيضا لاننا نجد وجاهه في الرأي الفقهي الذي يرى بأن دار الاسلام تستوعب كل مكان يستشعر المسلمون فيه الأمن والأمان ، وان لم تطبق فيه شريعة الاسلام ، باعتبار أنه اذا أقيمت الشعائر الإسلامية أو غالبها ، كانت البلاد دار اسلام ، حتى ولو تغلب عليها حاكم كافر (العلاقات الدولية في الاسلام - د . وهبه الزحيلي)

من ناحية أخرى ، فان الذي ندعو اليه ليس له علاقة بالخلافة من قريب أو بعيد ، واذا كان من الطبيعي أن تكون هموم المسلمين من شواغل حكام المسلمين ، الا أنها لابد وأن تحتل مكانها الطبيعي لدى أي حكم رشيد ، فضلا عن أنه من الاحـ

سائعه بن المسلمين أن « الخلافه » هي صورة الحكم الاسلامي الوحيد ، والواقع ان لفظ الخلافة او الامامة الذي اصبح علما على نظام الحكم في الدوله الاسلاميه ، لا يعني في مدلوله السياسي او الدستوري ، اكثر من تنظيم رياسه الدوله الاسلاميه على سبيل احتيار الشخص وتقرير حقوقه وواجباته ، ... الى محاوله ابتداع المثل الأعلى للدوله الاسلاميه اذا لا خلاف على انه ليس في الشريعه الاسلاميه نظام حكم معين محدد التفاصيل ـ لا في ... ولا في سنه ، وانما جاءت الشريعه في هذا المجال بالقواعد العامه فحسب (د محمد سليم العوا ـ النظام السياسي الاسلامي)

●●

... في الذي يشكو منه ان الاسلام لم يعرف المؤسسة الدينيه ، او الرأس الديني ، التي عرفتها روما ، وعانت من سلطانها كثيرا ، ليس فقط من جراء سوء استخدام ذلك السلطان ، ولكن ايضا من الاصرار على الانفراد به،وهو ما تمثل في دعوة البابا ... السابع (القرن الحادى عشر الميلادي) الى اعتبار سلطه القساوسة هي السلطه الشرعيه الوحيدة في العالم ، لا سيما أسقف روما ، باعتباره نائب المسيح في الارض ، مما كان طبيعيا في ظله أن يصطدم البابا بامبراطور المانيا ، الذى كان أقوى حاكم في أوروبا ... وقد رجحت كفه الكنيسة في ذلك الصراع ، لكن هذا الوضع لم يستمر ، اذ ظهرت الملكية في انجلترا وفرنسا في أواخر القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر ، وبدأت تنافس سلطة الكنيسة ، وظلت ... العلاقة موضع شد وجذب ، حتى انتهى الأمر ... الملكية والبابوية ، في غرب أوروبا وفرنسا ... احص ، مما خلق وضعا لا يقل سوءا ، حسمته ... الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، التي ... على ما تبقى للكنيسة من سلطة لكن السلطة ... وبقى الرأس ، اختفى الدور السياسي المباشر ... والبابوية ، ولكن قيادتها الروحية ظلت ... ساعد على ذلك أن التعاليم المسيحية تحتمل ... الفصل بين الأدوار ، (الروحية أو العبادية ـ ...) ، من حيث انها تعترف بوجود سلطتين ، ... لله وسلطة قيصر ، وذلك في الجواب المشهور

المنسوب الى النبي عيسى عليه السلام ، ردا على السؤال الذي وجهه اليه اليهود حول ولائه السياسي (انجيل متى ٢٢ /٢١)

اختلف الامر على الجانب الاسلامي ، فلأن تعاليم الدين جاءت شامله لحياة المسلم كلها ، بحيث تداخلت فيها العناصر العباديه والسلوكيه والعمليه ، فقد باتت سلطه الحكم الشرعيه محمله بالبعدين معا ، الديني والدنيوي ، ان جاز التعبير ، حتى ذكر الماوردى (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) في « الاحكام السلطانيه » الامامه موضوعه لخلافة النبوه في حراسه الدين وسياسه الدنيا » واذا اضفنا الى ذلك أن الاسلام لم يعرف فئة تسمى رجال الدين ، موظفة لأداء هذا الدور ، حيث لا رهبانيه في الاسلام ، بنص الحديث النبوي ، فقد اختفت فكره المؤسسه الدينيه تماما من الواقع الاسلامي ، ولئن عرف التاريخ الاسلامي فقهاء في العلوم الشرعية ، الا أن الأجيال المبكره من هؤلاء الفقهاء كانوا أهل صنعه وحرفه فقد عمل الامام ابو حنيفة خزازا ، واشتغل الامام مالك بالتجارة ، وعمل احمد بن حنبل في استنساخ الكتب ، الى جانب ذلك ، فان سجل فقهاء المسلمين حافل بالقاب مثل الخصاف الذي كان يعيش من خصف النعال ، والكرابيسي الذى كان يبيع الكرابيس او الثياب الخام ، والقفال الذي كان يعيش من صناعه الأقفال ، والجصاص من العمل في الجص ، والصفار الذي كان يعمل في بيع الأواني هؤلاء جميعا كانوا أعلاما في الفقه ، ولهم نتاجهم الجليل ، لكنهم كانوا فقهاء و صناعا ، ولم يكونوا رجال دين بالمعنى الشائع ، لاحقا ظهرت أجيال تفرغت للعلم وعاشت منه ، وكان انصرافهم الى العلم الديني مماثلا لانصراف آخرين لمختلف فروع العلم الدنيوي ، لكن ذلك لم يفتح الباب أيضا لا لظهور طبقة رجال الدين ، ولا لقيام المؤسسة الدينية

وعندما تضعضعت الخلافة الاسلامية ، برز دور الفقهاء كحراس الدين والملة ، وكحملة لهموم الأمة ، فكان لابن تيمية دوره في مواجهة التتار ، وللعز بن عبدالسلام دوره في مواجهة عسف المماليك ، وكان لشيوخ الأزهر وقفتهم ضد الغزاة الفرنسيين ، ثم لمعت أسماء مثل محمد بن عبدالوهاب

والمهدي والسنوسي وعبدالقادر الجزائري الى الافغاني ومحمد عبده . لكن هؤلاء جميعا كانوا أفرادا أو في أحسن الفروض تيارات فكرية تلعب أدوارا في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي ، بصيغ تتفاوت بين التربية والمقاومة بالكلمة والرأي ، أو بالتمرد والثورة المسلحة

غير أنه في وقت مبكر ، بدأت تتبلور الألقاب لبعض الرموز الاسلامية ، التي كانت قائمة . خارج دائرة السلطة فقد لقب الامام مالك (امام دار الهجرة) ، وعرف الجويني بامام الحرمين ، ومن ناحية أخرى فقد أطلق لقب « قاضي القضاة » على أكبر القضاة منصبا ، وكان أبو يوسف ، صاحب أبي حنيفه هو أول من منح هذا اللقب في عهد الخليفه هارون الرشيد ، وعرف لقب « شيخ الاسلام » وكان أول من حمل هذا اللقب عبدالله الانصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١هـ - كما أطلق شيخ التابعين على سعيد بن المسيب ، وعلى الحسن البصري

وفي ظل الدوله العثمانيه اصبح شيخ الاسلام أحد مناصب الدولة الرسميه ، وكان يقصد به المفتي ، واعتبر شيخ الأزهر شيخا للاسلام ، اذ كان يتولى قيادة تلك المؤسسة العلمية الكبرى ، فضلا عن انه كان يتولى مسئوليه الافتاء وكان اختياره يتم بالانتخاب ، وقد بدا هذا المنصب رسميا في سنه ١١٠١ هجرية منذ ثلاثه قرون تقريبا ، وكان اول من تولاه الفقيه المالكي محمد عبدالله الخراشي ، وقد وصفه الجبرتي المؤرخ المصري الشهير - بانه (الامام العلامه والحبر الفهامه وشيخ الاسلام والمسلمين ، وارث علم سيد المرسلين) ، ومنذ ذلك الحين ، والى الان ، تولى مشيخة الأزهر ٤٢ فقيها ، اغلبيهم الساحقة مصريون ، باستثناء الشيخ حسن العطار المغربي الأصل ، والشيخ محمد الخضر حسين من مواليد مدينة نفطه في تونس

طوال هذه الرحله ، كانت المتغيرات تترى على خارطه العالم الاسلامي ، كانت « مملكة الاسلام حرسها الله تعالى » - والتعبير للمقدسي في احسن التقاسيم » - قد صارت ممالك عده موزعه بين اسيا وافريقيا ، بل متصارعة في بعض الأحيان (مثل الذي حدث بين الصفويين والعثمانيين) - ولم يعد للأمه الاسلامية امام واحد ، بينما كان الماوردي يعارض ذلك ، اذ قال انه لا يجوز للأمة امامان في وقت واحد وإن شذ قوم فجوزوه) - وبحذر بالغ لم يتابع الجويني - امام الحرمين - في ذلك إذ أجاز تعدد الأئمة لضرورات جغرافية قاصرة « اذا بعد المدى وتخلل بين الامامين شسوع النوى » - واعتبر ذلك امرا شاذا على القاعدة

لم يخطر على بال أمثال اولئك الفقهاء المكرسين امكانية انقسام عالم الاسلام الى أكثر من بلدين ، يحكمهما امامان اثنان وهو الأمر الذي تحقق عندما قامت الدولة العباسية ، بينما استمرت الخلافة الأمويه في الاندلس ، لكن التفتت حدث على الرغم من الجميع ، بل حدث ما هو اسوا منه ، اذ تحول عالم الاسلام من دور القائد الى دور التابع والمحتل ، بعدما استجمع العالم الغربي قواه ، وبدأ بتصفيه حساباته مع دولة الاسلام ، التي اسقطت القسطنطينية ، ودقت جيوشها أبواب فرنسا والنمسا ، فمنذ بدايات القرن السادس عشر ، اشغل الغرب - ممثلا في اسبانيا والبرتغال وفرنسا ، ثم انجلترا لاحقا - من الدفاع والترقب الى الهجوم والتطويق ، وبدا الغزو الاستعماري من الباب الخلفي للاسلام - الأشد عجزا وضعفا - فسقطت جزر الهند الشرقيه (اندونيسيا) في القرن السابع عشر ، وضاعت الهند ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر ، وكذلك الملايو ، ومع القرن التاسع عشر جاء دور الباب الامامي للاسلام في الوطن العربي فسقطت الجزائر وتونس ومصر والسودان ومضى السوقب ، وحتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) كان العالم الاسلامي كله خاضعا للاستعمار العالمي ، باستثناء اليمن وقلب الجزيرة العربية

وفي ظل مرحله الهزيمه ، شهد العالم الاسلامي والوطن العربي منه بوجه أخص ، تغيرا في بنيته العقلية والثقافيه ، أسهمت في صنعه عناصر عديدة ،

لسلطة الاستعمارية من ناحية ، والحكام المتغربون من ناحيه أخرى (محمد علي باشا - رضا شاه - مصطفى كمال أتاتورك) - وشرائح المتقفين الذين حملوا معارفهم وتشكلت عقولهم في الجامعات الغربية - ثم الطبقات التي استفادت وتعلقت مصالحها بالوجود الاستعماري أو بالمؤسسات الغربيه

أسهم ذلك كله في تخلي أكثر دول العالم الاسلامي عن الشريعة ، واخذها بالنظم الغربية وكان لسلطة الاحتلال الانجليزي دورها الحاسم في هذا الصدد ، في الهند ثم مصر بوجه أخص

انفرط العقد في اكثر من اتجاه ، وعاشت الامه الاسلامه مرحلة من الانحسار والتردي لم تشهدها في تاريخها ، وعندما اطل القرن العشرون كان كل ما بقي من دوله الاسلام دعوات تتردد بين الحين والاخر ، تطالب بالابقاء على « الجامعة الاسلامية » - التي كانت الدولة العثمانية رمزا لها ، وأصوات فيه تدعو الى التمرد والثوره من اجل تحقيق الوحدة الاسلامه (جمال الدين الافغاني) ، واخرى تطالب بالوحده العربيه الاسلامية (عبدالرحمن الكواكبي)

وصارت العلائق بين ممالك الاسلام واهية وفي اضعف حالاتها ، اذ لم يتبق من تلك العلائق عبر رابطه العقيده ومشاعر التعاطف أو التضامن بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وانتهى الأمر الى ان بات موسم الحج هو المظهر الوحيد لاجتماع المسلمين ووحدتهم ، التي انفرطت وبادت

●●

في ظل تنامي الاهتمام بالوطنيه ، والقوميه ، من سواري مع ضعف المؤسسات والرموز الاسلاميه - والأزهر في مقدمتها - كان طبيعيا أن يكون الاسلامي العام على رأس ضحايا تلك المرحلة ، الذين دفعوا الثمن غاليا من جراء ذلك هم

« مسلموا الأطراف » في اسيا وافريقيا ، الى جانب الأقليات الاسلامية المتناثرة في مختلف أنحاء العالم من الصين الى جنوب أفريقيا مرورا بالبلقان

وعلى الرغم من رحيل الاستعمار ، فان تلك الاطراف التي بدأ منها الغزو ، تواجه الان حملات مكثفة للتنصير ، هي أوضح ما تكون في أندونيسيا والفلبين وشرق افريقيا وغربها ، ومن أسف أن عمليات التنصير باتت تشكل خطرا حقيقيا ، يكاد يهدد بتغيير الخريطة العقدية لهذه المناطق ، وهو أمر يسعى الا نستغربه بعدما بات أحد طرفي المعادله يعمل مدعوما بأموال الكنيسة ومخططاتها وجيوش مبشريها ، بينما الطرف الاخر الاسلامي إما ملتزم الصمت والترقب ، أو متململ ومتحرك حركه محدودة وبطيئة

نعم ، هناك حركة نشطة لبعض المراكز الاسلاميه ، في العالم العربي ، وهناك انتشار مهم وملحوظ للاسلام بين السود في الولايات المتحدة الأمريكيه ، وهناك تحول مرصود من الهندوكية الى الاسلام في الهند وهناك قبول للاسلام بين قبائل غرب افريقيا ، لكن ذلك كله ليس ثمرة جهد مخطط ومدروس ، لكنه يكاد يكون اقرب الى « المصادفات السعيده » التي تضاف بالمجان الى أرصدة أعداد المسلمين

ورغم أن الضمير المسلم لابد ان يستشعر قلقا ازاء عمليات التنصير الموجهة ، الى العالم الاسلامي ، الا انا نحسب أن قائمة الهموم الاسلاميه المعاصرة تتصدرها قضيتان اساسيتان هما انتهاك حقوق الانسان في العالم الاسلامي ، وخطر الفرقة المذهبية المتمثل في محاولات الدس والوقيعة بين السنة و الشيعة بالأخص بعد الثورة الايرانية

ورغم جسامة كل من الخطرين ، وما يشكله كل منهما من تهديد لا يخفى أثره ، فانا لا نكاد نجد جهة معينة تهتم بأي منهما ، حتى كاد اليأس يدب في نفوس كثيرين ، ولم يعد أمامهم الا أن يبثوا همهم ويشكونه الى الله ! □

■ قد يبدو يسيرا أن تعيش في قمقم أنانيتك ، لكن من العسير أن تسعد بذلك إذا كنت إنسانا حقا

نجيب محفوظ .

بقلم/ د . عبد المقصود عبد الكريم *

يمينا يمينا

هو الثأر يقسم لي أرجته

سأقتل منهم ، عما استعبدوني

سأقتل منهم مئه

وأقتل أقتل منهم مئه

(سميح القاسم ـ انتقام الشنفرىٰ)

الشنفرى ، أمير شعراء الصعاليك، وبطل أسطورة الثأر العربية ، وصاحب « لامية العرب » هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى ، والشنفرى اسمه وقيل لقب له ، ومعناه العظيم الشفة ، وهو ابن أخت تأبط شرا ، وكان أحد الثلاثة العدائين ، كما ورد في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ويقول صاحب القاموس المحيط الشنفرة بالكسر نشاط الناقة وحدتها كالشفارة بالكسر ، والرجل السيء الخلق ، والشنفرى الأزدي شاعر عداء ، ومنه أعدى من الشنفرى ، والشفار الخفيف ، ولأن الشنفرى ما كان أميرا على غير مملكة الشعر لم يعرف تاريخ مولده،ولكنه مات ـ على الارجح ـ في أوائل القرن السادس الميلادي وقد نشأ أسيرا ، وقضى حياته شريدا ، وصعلوكا

* طبيب الأمراض النفسية بمستشفى المطرية التعليمي بالقاهرة ـ شاعر له دراسات في عدد من المجلات الثقافية وصاحب ديوان « لا أزدحم بالممالك »

متمردا بين رفاقه من الصعاليك (تأبط شرا ، عروة بن الورد ، السليك بن السلكة ، عمرو بن براقة) الذين يشكلون علامة بارزة لها خصوصيتها وتفردها في تاريخ الشعر العربي ، وقد فرضوا سلطانهم على تاريخ الشعر ، بفضل تميزهم كظاهرة فنية فريدة ، وكان الشنفرى عداء يضرب به المثل في العدو ، ولصا له مكانته بين اللصوص ، وله رهطه ، وقد عاش معتصما بالجبال ، دائما يغير ، ودائما يأوي الى الجبل ، وحين يكون اللص على شاكلة الشنفرى أو عروة بن الورد أو تأبط شرا ، فلا بد ان نستبعد الفجور عن نفوسنا ، وعلينا أن نتوقع ان في الأمر خطأ ، ولكن ما هي طبيعة هذا الخطأ ؟ أولا علينا ان نستبعد خطأ الرواية ، فكل المصادر التاريخية تجمع على ذلك ، وليس الخطأ يكمن في شخصيات هؤلاء الشعراء ، أي أن يكونوا من ذوي الشخصية المرضية أو السيكوباثية ، لأنه من الصعب ـ على الرغم من كل المحاولات التي بذلت لربط الفن بالجنون ـ أن يجود المرض أو الخلل في الشخصية بما يمكن أن نعتبره أول جماعة شعرية لها سمات فنية مميزة في تاريخ الأدب العربي ثانيا اذا كان لابد من خطأ يجعل الشعراء العباقرة لصوصا ، فمرده الى الشكل الاجتماعي ، بالجزيرة العربية في ذلك الوقت وهو الذي دفع بهؤلاء الشعراء الى التمرد والخروج على المجتمع ، في أول حركة تمرد جماعي يرويها تاريخ الأدب العربي ، قام بها عدد من الشعراء ، وهل يمكن أن يكون اللص العبقري الموهوب غير متمرد ضد مجتمع يضيق به ؟ ان تمرد الصعاليك كان في الوقت نفسه ، يحمل دعوة اجتماعية صامتة ، عبرت عنها أشعارهم في تصوير حياة الجوع والنقمة على الأغنياء الذين نصبوا حد ا بينهم وبين صراخ المتألمين ، لقد بادر الصعلوك بنبذ حياة القبيلة قبل أن تنبذه ، ورفض الخضوع لقيد ـ لم يشرعها ، وفي الوقت ذاته شرع تقاليده الخ ـ وقيمه التي تحمل في كثير من الأحيان روح الفر ـة والبطولة في أعظم صورها ، ويتجلى الأمر عند الشنفرى اذ يعلن تمرده وخروجه على بني أمه في قصيدة لامية العرب » حيث يعلن الشاعر رحيله بعيدا عن الأهل ، منطلقا الى الجبال ، حيث يعيش أصحابه من الصعاليك ووحوش البرية الذين يميل

اليهم ، ويشعر بالألفة بينهم اكثر مما يشعر بها بين أهل قبيلته

« أقيموا ، بني أمي ، صدور مطيكم
فاني الى قوم سواكم ، لأميَلُ »

رؤية الشعراء المحدثين للشَّنْفَرىٰ

« لا تصالح على الدم حتى بدم !
لا تصالح ! ولو قيل رأس برأس
أكل الرؤوس سواء ؟ !
أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !
أعيناه عينا أخيك ؟ !
وهل تتساوي يد سيفها كان لك
بيد سيفها أثكلك ؟
(أمل دنقل)

في القصيدة « انتقام الشنفرى » يحاول سميح القاسم صياغة لقسم الثأر العربي على لسان

الشمرى ، وفي قصيدة أمل دنقل « لا تصالح » يلح أمل على مواصلة الكفاح ضد العدو ، من خلال عشر وصايا ، مرتكزا على وصية « كليب » التي كتبها بدمه إلى أخيه الأمير الزير سالم ، لم نكن في أي وقت عبر تاريخنا الطويل في حاجة الى صياغة أسطورة للثأر ترمز للبطولة العربية بقدر حاجتنا الآن ، وهذا ما تؤكده نشرات الأخبار كل يوم ، فكل شيء ينهار على أيدي أعدائنا ، والسيوف العربية تصدأ وتنهل من الدم العربي ، والشمرى - الشاعر الصعلوك - نموذج فريد لمحاولة كهذه « امتشقوا أقلامكم الذهبية ودونوا في مفكراتكم ٩٩ قتيلا حصاد عصبي وانتقامي ! »

اقتحمت حدائق الديسكو المحصنة بالصياع والقنابل العنقودية ٩٩ هولة مما يتمتمون وما استعدتموني فلتنطري السنابل الأطفال ، الهوايات والأزهار ، هناك على صخرة الزمن اللزج بدماء الشهداء والضحايا المساكين (سميح القاسم - انتقام الشمرى) ان الطريق الحقيقية الى رغيف الحر لابد ان تمر بصحراء موحشة من الثأر والدم « انها الحرب ! قد تثقل القلب لكن خلفك عار العرب » (أمل دنقل) والثأر ليس عطشا للدم ، لكنه عطش للحياة ، عطش للبيت والأطفال غير المتشوهين بالقنابل العنقودية ، عطش لرغيف الخبز وجرعة الماء ، وعطش لتوديع الذل على أمل عدم اللقاء مرة ثانية

« كم تساوي حرية الانسان ؟ » من غير المنطقي ان يسأل المرء سؤالا كهذا ، فهذا يفترض سلفا ، ان الحرية يمكن أن تساوى شيء آخر ، أو انها مسألة تقبل المساومة ، وهو ليس صحيحا « هي أشياء لا تشترى » كما يقول أمل دنقل ، ولكن ، من الممكن صياغة السؤال على النحو التالي اذا سلبت حرية الانسان ظلما وعدوانا ، كيف يكون الثأر ؟ كيف ينتقم الانسان لحريته ؟ وهل يجوز مساومة أعداء الحرية على الصلح ؟ ويرى الشمرى ان الانتقام المناسب لحرية الفرد يتمثل في قتل مئة من الأعداء ، قد يكون الثأر حرة اجتماعية ، لكنه على مستوى الانتقام من اعداء الحرية أعداء الوطن (أو أعداء القبيلة في المجتمع الجاهلي) شكل من أشكال الكفاح المشروع ، وضرورة حتمية فرضتها الحرة التاريخية في العلاقات بين الشعوب ، حيث يمثل الصلح شكلا استسلاميا ينزلق بكرامة الانسان الى الدرك الأسفل من الحضيض ، ويهدد مستقبله ، حيث ان عدو الحرية يبقى عدو الحرية ، وتبقى التضحية بالحياة هي

الحياة الوحيدة « فالدم - الآن - صار وساما وشارة - لا تصالح ، ولو توّجوك بتاج الامارة » ، تبدأ اسطورة الشمرى عندما يأسر بنو سلامان طفلا صغيرا اسمه ثابت بن أوس ، فرض عليه الأعداء حياة العبودية .

وتحكي الكتب أن الشمرى ، حين جرت في عروقه دماء الرجولة ، تحرك قلبه تجاه احدى بنات الرجل الذي كان يعيش في كنفه ، ووقع في حبها ، وحرك

العشق في قلب الشمرى نوازع الحرية ، وتغلب الشمرى - داخله - على الفارق الاجتماعي المصطنع بينه وبين محبوبته ، فاتجه اليها يصارحها ، ولما كانت نزعات الاستبداد والتسلط تتملكها ، فقد اعتبرت

تصريحه لها بالحب إهانة ، وقيل انها صفعته فاشتعلت الأسطورة ، وكانت النتيجة مئة قتيل من أهلها ، حين أفاق الشمرى اكتشف حريته ، واعتصم بالجبل ، وأقسم على الانتقام

« هو الثأر يُقسم لي أرحنْهْ
مما يتموني وما شردوني وما استعبدوني
سأقتل منهم مئة »

(سميح القاسم - انتقام الشنفرى)

لقد أقسم الشمرى أن ينتقم من بني سلامان ، وأن يقتل منهم مئة ، وبعد الشمرى قسم الانتقام ، وأخذ يثأر من أعدائه حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ، ثم احتال عليه بنو سلامان فأمسكه عداء منهم هو أسيد بن جابر وقتله ، ومر بجثته رجل منهم فرفس جمجمته ، فدخلت شظية منها برجله فمات واصبح القتلى مئة ، وبرت الجمجمة بقسم الشمرى لتتمم صفحات أسطورة الثأر ، لقد عاش الشمرى حيا بين رملائه الصعاليك ، ومتمردا حيا ، ودائما في الجبال والصحاري، وكان يعدو تارة على قدميه ، وعلى فرسه تارة أخرى ، ودائما ينتقم لحريته ، وفي ديوان « جهات الروح » يوحي لنا سميح القاسم حياة الشمرى « الشمرى - أعمى الشعراء الصعاليك

وأهل أعربة العرب قاطبة ، تقادفه سو شبابة وسو سلامان بالاستغلال والاستعباد ، حين حاول ممارسة حقه الانساني في الحب ، صكت وجهه الفتاة السلامية ، ولم يطل به الوقت لاكتشاف الضرورة في ممارسة العنف ضد مذليه ومستعبديه ، اذا هو شاء استرداد ذاته السليبة ، أقسم أن يقتل منهم مئة مما استعبدوا ، وحين بلغ عدد القتلى ٩٩ أسروه ومثلوا به حيا ، فانتحر قبل الموت ، ولم يتح لهم سبيل الشماتة بيده المقطوعة ، في قمة المأساة ، بلغ قمة الانسانية ، حين أوصى للضبع « أم عامر » بجثته واكتمل انتقام الشنفرى حين تعثر أحد مستعبديه بجمجمته ، فسقط وقضى نحبه ، ليكون الكفارة المئة عما لحق بالشنفرى من حيف وغبن »

الشنفرى هو أمير شعراء الصعاليك ، يتقدمهم بفضل قصيدة « لامية العرب » التي تنطق بلسان البادية الأولى ، وحياة التشرد والعنفوان ويعتبرها البعض من أفضل نماذج الشعر الجاهلي ، وقد ألف الزمخشري كتابا في شرحها بعنوان « أعجب العجب في شرح لامية العرب » ، وفي القصيدة تبرز حياة الشاعر الصعلوك التي تميزت بالفروسية والبطولة وصداقة الوحوش ، تعبيرا عن اليأس من العدالة في المجتمع الانساني ، وإعلانا للتمرد على التقاليد التي تفرق بين الانسان وأخيه ، ويؤمن الشاعر الصعلوك أن الكريم يستطيع دائما أن ينأى عن ظلم البشر ودائما يوجد في العالم متسع لكل من يكافح لتحقيق اهدافه « وهو يعقل » ويفضل الصعلوك أن يتخذ أهلا وعشيرة من بين الوحوش (الذئب ، والنمر ، والضبع) وفي لغة الشنفرى سِيْد عملس ، وأرقط زهلول ، وعرفاء جيأل) ، وفي القصيدة يرسم الشنفرى شخصيته راهيا بقدرته على مواجهة تقلبات الأيام وتحديات الطبيعة ، ويصف سرعته في العدو

« وفي الأرض منأى ، للكريم عن الأذى
فيهـا ، لمن خـاف القـلى ، متعـزَّل
لعمرك ، ما بالأرض ضيق على امرىء
سـرى راغبـا أو راهبـا ، وهـو يعقـل
ولي دونكم ، أهلون . سيـد عملّس
وأرقط زهـلول ، وعـرفـاء جيـأل »

والحياة التي اختارها ليست سهلة ، انه يتشرد في البراري ، ويأكل التراب حتى لا يطلب احسانا من أحد

لقد صور الشنفرى حياة الصعاليك ، وقد ارتفع في تصوير هذه الحياة بعبقرية لا تدانيها عبقرية صعلوك آخر ، وتعد لامية العرب من أهم الوثائق الفنية المعبرة عن نموذج المعيشة في الجاهلية ، ويؤكد الشنفرى باستمرار على طبيعة اخلاقيات الصعلوك ككائن متمرد يتمرد على التقاليد الظالمة ، كما يصور أساليب الغزو وأنواع الأسلحة التي يستخدمها الصعلوك ، وهي الفؤاد المشيّع (أي القلب الشجاع) الذي يخوض الشدائد وهو راسخ ، وأبيض إصليت (أي سيف مصقول لامع) وصفراء عيطل (أي قوس صفراء طويل العنق ومتينة) ، وأسلحة الصعلوك تعينه حين تضيق على الشدائد والاهوال سبل الحياة

« ثـلاثـة أصحـاب فؤاد مشيّـع
وأبيض إصليت ، وصفـراء عيـطل
« هتوف من الملس المتون ، يزينها
رصائع قد نيطت اليها ، ومحمل
إذا زل عنهـا السهم ، حنت كـأنها
مُـرزَّأة ، ثـكـلى ، تـرن وتـعـول

يتميز شعر الشنفرى بصياغته التي تكشف عن التوغل في أسرار اللغة ، وعلاقات المفردات وقدرتها على تشكيل الفضاء النفسي المناسب ، « كانت حياة البداوة الأولى أشبه بعالم أسطوري ، وكان الشنفرى واحدا من أبطال هذا العالم ولذلك ، فان واقعية الوصف لمظاهر هذا العالم ، قد شفعتها أجواء الأسطورة التي نسجها الشعر الملتهب بأهوال الاقبالة شبه الصوفية ، على عناصر هذا النوع من الوجود الغريب ، فإن حماسة الشنفرى للصحراء والوحوش ، وتطلعه الى الحرية والوحدة ، ومغامراته في سبيل اكفاء نفسه وأصحابه ، كل ذلك صبغ طبقة من الفكر والذوق والرقي المعنوي فوق خشونة المظهر المتبذل للسرقة والغزو ، ومعاناة الصعلكة بتفاصيلها التي قد تصدم الوجدان المتحضر (موسوعة الشعر العربي) ، لقد كانت الصياغة الشعرية لاسلوب حياة الصعلوك من العبقرية بحيث ساهمت في تحويل ما يمكن أن يسمى مبادل الصعلكة الى قيم خاصة □

قضية

هل أفران الغاز النازية حقيقة مرعبة أم أكذوبة صهيونية ؟

بقلم · منذر الأسعد

من المألوف أن تختلف المؤرخون في رؤيتهم للأحداث الكبرى ، ومن البدهي أن الجدل فيما بينهم يتسم بالمزيد من الحرارة والحدة إذا ما كانت القضية - موضوع البحث - أقرب إلى عصرهم من سواها ، وقد تكون قدرة المؤرخين على التجرد أوفر إذا كانت القضية بعيدة عن عصرهم

بيد أن الادعاء بإبادة ستة ملايين يهودي في أفران الغاز النازية إبان الحرب العالمية الثانية يخرق ذلك المبدأ الراسخ ، ويخرج على كل ما هو سائد ومستقر من حقائق التاريخ ، واللوبي الصهيوني الذي يتاجر بقصة أفران الغاز يفرض إرهابا فكريا خطيرا على كل من تسول له أمانته العلمية فتح ملف الأفران المزعومة ، ووضعه تحت مجهر البحث العلمي المحايد أقول «المحايد» لأن الرايخ الثالث اندثر ولم يعد ثمة من يمالئه رغبا أو رهبا ، فإذا ما تخلص المؤرخ في هذه القضية من الإرهاب الصهيوني ، لا ريب أنه سيكون متحررا من كل الضواغط الخارجية ، مما يعني أنه سيصدر حكم ضميره هو لا حكم الآخرين بلسانه

لقد استغل الصهاينة (الأفران) في إقامة كيا[نهم] على أرض فلسطين ، وما زالوا يستثمرونها بمكر شـ[ديد] في خدمة مصالحهم العدوانية ، وكل من ينتقد الك[يان] الصهيوني يسلطون على رقبته سيف الاتهام السـ[خيف] (اللاسامية)

بداية اليقظة

كان في مقدمة المؤرخين الذين تصدوا للإرهـ[ـاب] الفكري الصهيوني مؤرخ فرنسي ، اسمه (رو[بير] فوريسون) نجح اللوبي الصهيوني في فصله من [ـ] هيئة التدريس في جامعة ليون

إن مما يثير الريبة في قصة الإبادة النازية المز[عومة] لليهود تناقض الروايات الصهيونية حول الضحايا ، فلقد زعمت الصهيونية العالمية بـ[ـأن] ١٢ مليونا من اليهود الأوروبيين قضوا نحبهم عـ[لى يد] الجيش النازي في معسكرات الاعتقال ، ولما اكتـ[ـشف] أن أكبر التقديرات لعدد اليهود في أوربا عام ٩[...] (قبل الاجتياح النازي لأوروبا) لا يتعدى تـ[...]

...بين وبصف الملسون يهودي أحدث تقلص من ...وع عدد الضحايا إلى ستة ملايين

اضافة إلى هذه النقطة العظيمة الأهمية، مما جعل (فوريسون) نفسه مضطرا إلى ممارسة الشك المنهجي ... اسطورة (الأفران) ، بعد ان كان مقتنعا بها ، حينما تبين له أن مئات الألوف من اليهود قد وجدوا في معسكرات الاعتقال النازية وهم على قيد الحياة ، وذلك عقب انتصار جيوش الحلفاء وكان (فوريسون) على يقين تام بوجود غرف العار ، إلى ان اطلع ـ في عام ١٩٦٠ في مجلة (داي تسايت) ـ على رسالة بعث بها مدير معهد التاريخ المعاصر في ميونخ ، الدكتور مارتن بروزات ـ أحد المناهضين المعروفين للنازية ـ وقد نفى في رسالته ان يكون قد اعدم احد بالغاز في الرايخ كله

ولم يقف فوريسون عند هذا الحد ، بل قرأ كل ما استطاع الحصول عليه عن الحرب العالمية الثانية ، وطالع عشرات المجلدات الضخمة [1] التي تضمنت محاكمات نورمبرغ الشهيرة التي عقدها الحلفاء المنتصرون لمجرمي الحرب النازيين ، ودون اي تهويل من شأن جرائم النازيين يتساءل المؤرخ الفرنسي نحو (افلا تستحق جرائم الحلفاء في الحرب أية محاكمات ؟ ونحن نحدد فنقول هيروشيما على الاقل !!) ولقد أثارت محاكمات نورمبرغ حفيظة فوريسون ، لا لكونها تمارس العدالة بعين واحدة فحسب ، بل لان بنية المحكمة كانت من أعجب ما عرفه التاريخ الحديث من محاكم ، فالمادتان ١٩ و ٢١ من قانون تكوين المحكمة تتيحان للقضاة حق الادانة ، دون الاستناد إلى أدلة قطعية ، والاكتفاء بطريقة (يقال يحكى إلخ) ، وقد لاحظ ...سون أنه خلال ٣٥ عاما لم يعاقب أحد أمام تلك ...كم لادلائه بشهادة كاذبة ، مع أن مجلدات ...كمات تضمنت روايات متناقضة تماما ، بالذات غرف العار !

إن المحاكمات التي عقدت في فرانكفورت وفي شتروتهوف بفرنسا (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥) لم تكلف نفسها عناء البحث عن أدوات الجريمة ، أي غرف العار

وتابع الرجل مسيرته دون وجل ، فاتجه نحو مواقع أفران العار ـ بحسب الأسطورة ـ في اوشفتس وميدانيك وشتروتهوف ، وفتش ـ عبثا ـ عن أي معتقل من نزلاء هذه المعتقلات ويقول إنه شاهد هو شخصيا غرفة غاز واحدة ، ومما أدهشه ان سلطات متحف داخاو ـ متحف اقيم خصيصا لتسجيل جرائم النازية ـ تحتفظ بصورة لغرفة لم يكتمل بناؤها ، ومع ذلك تزعم تلك السلطات أن الصورة لغرفة غاز غير كاملة !

أما اعترافات المتهمين أمام المحاكم المذكورة فإن صحتها موضع شك كبير ، فالاعترافات قد احتوت على معلومات غير معقولة ، مما يجعل احتمال صدورها تحت ضغوط نفسية وجسدية أمرا غير مستبعد وعلى سبيل المثال فقد عقد فوريسون مقارنة بين اعترافات الجنرال النازي (رودلف هيس) للمحكمة ، وبين ملفات متحف اوشفتس ببولندا الخاصة بقضية أفران الغاز [2] فاتضح له أن قبول تلك المتناقضات يفترض حشد ٢٨٦ إنسانا ـ وقوفا على أرجلهم ـ في مساحة لا تزيد على ٥ م × ٤ م !

وتتحدث الاعترافات عن تنفيذ الابادة الجماعية في أفران الغاز ، كأنها نزهة ، وإلا فهل يصدق عاقل أن الجنود ـ حسبما ورد في اعترافات هيس ـ كانوا يدخلون إلى الغرف لتنفيذ الاعدام الجماعي وهم يتعاطون التبغ ؟

إن أقل حيطة حتمية يتوجب اتخاذها لحماية المنفذين من الموت ، هي أن يضعوا كمامات محكمة للغاية على أنوفهم ، لا أن يدخنوا !!! نحو الغرف مشبع بحامض السيانيد الرهيب ـ وهو وسيلة الاعدام المفترضة ـ الذي لا يزول أثره الفتاك قبل أقل من ٢٠ ساعة

ويتساءل فوريسون بمرارة هل من الأمانة أن تعرض علينا أجهزة تعقيم الثياب بالغاز ، على أنها أفران غازية مهمتها حرق البشر الأحياء جماعيا ؟

...ت مجلدات محاكمات نورمبرغ الكبرى ٤٢ مجلدا ، بالاضافة الى ١٥ مجلدا للمحاكمات الأمريكية ، و١٩ مجلدا ... جامعة امستردام ، ناهيك عن عشرات المجلدات السوفياتية

ويقدم مؤرخنا ـ لتفنيد خرافة أفران الغاز النازية ـ عرضا دقيقا لغرف الاعدام بالغاز التي أنشأها الأمريكيون في بلادهم (١٩٣٦ ـ ١٩٣٨) ، والتي تتيح تنفيذ حكم الاعدام بشخصين على الأكثر ، ويسرد التعقيدات والضوابط الشديدة التي وضعها الأمريكان ، حرصا على أرواح المنفذين.

وفي ضوء ذلك لو افترضنا أن الألمان كانوا قد صمموا ـ فعلا ـ على إعدام ملايين البشر بالغاز ، لتوجب عليهم تأسيس نظام عام ـ لم يقم أي دليل على وجوده ـ يتضمن تصميمات خاصة وتعليمات دقيقة ، وجهود مهندسين وأطباء وكيميائيين كانت جبهات القتال بأمس الحاجة إليهم ، وصرف أموال طائلة كان مجهودهم الحربي يفتقر إليها ، وتوجب عليهم ـ أيضا ـ اختيار مواقع ملائمة لمعسكرات الاعتقال ، وعدم السماح للعمال المدنيين بالاختلاط مع المعتقلين ، وعدم منح الجنود العاملين في تلك المواقع أي إجازات ، وعدم إعطاء المعتقلين الذين تنتهي مدة اعتقالهم فرصة للعودة إلى بلدانهم. وقد أماط اللثام عن هذه الحقيقة ـ بعد سنوات طويلة من تكتم المؤرخين الغربيين عليها ـ لويس دي يونغ ، مدير معهد تاريخ الحرب العالمية الثانية بامستردام.

لقد كان الألمان يجبرون كل نزيل مقتدر على أن يعمل ، لأنهم كانوا في حاجة إلى كسب كل جهد يساعدهم على إحراز النصر في الحرب ، فهل يعقل أن يقتلوا ملايين الأيدي العاملة ، ويعطلون القاطرات والعربات عن أداء الأعمال العسكرية ، من أجل تسيير قوافل الذبح المزعومة تلك ؟

ويصطاد فوريسون دليلا آخر على كذب خرافة الأفران ، من خلال كتاب تم التقاط صوره (الفوتوغرافية) من الجو ، إذ يكتشف أنه حتى عام ١٩٤٤ ـ حين ارتفعت كثافة اليهود المحربيين في معسكرات الاعتقال ـ لم يظهر أي أثر للدخان فوق مواقع المعسكرات ، في الوقت الذي يفترض فيه أن تستمر مداخن المحارق في قذف دخان ولهب منظورين على بعد بضعة كيلومترات ، وعلى مدى أربع وعشرين ساعة !

وهنالك قرائن أخرى ، منها أن سلطات الاحتلال النازي في شمال فرنسا فرضت على اليهود (من ١ / ٩ / ١٩٤١ إلى يونيو ١٩٤٢) حمل علامة مميزة وحددت لهم ساعات معينة يسمح لهم فيها بالتحول

وذلك من باب الاحتياطات الأمنية ، وبتاريخ ٢٤ / ٧ / ١٩٤٢ وجه هتلر تحذيرا عليا إلى اليهود بضرورة

مغادرة البلاد إلى مدغشقر ، أو إلى أي بلد آخر لانشاء وطن قومي يهودي ، وإلا فإنه سيعلق مدنهم وأحياءهم في كافة أرجاء الرايخ الثالث ، بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولم يكونوا قد غادروا البلاد

حتى ذلك التاريخ ، وهذا دليل واضح على كذب أسطورة الابادة ، فضلا عن أنه يؤكد اقتناع هتلر بخطط الحركة الصهيونية التي كانت تسعى لافراغ أوروبا من اليهود ، شريطة أن يتجهوا إلى الوطن القومي المنشود ، وذلك جانب آخر من المؤامرة النازية الصهيونية ، سنتحدث عنه في موضعه

يتضح لنا من مجمل ما سلف أن افران الغاز النازية اكذوبة ، صنعتها الدوائر الصهيونية ، لتحقيق مآربها العدوانية ، ضد أمتنا العربية

كما يتعين لنا ان ننوه بان الروس قدموا في الحرب العالمية الثانية ٢٠ مليون ضحية ، بالاضافة إلى ١٠ ملايين من البولنديين واليوغسلاف وبقية الشعوب التي اكتوت بنيران الحرب العالمية الثانية. فاليهود

ـ إذن ـ ليسوا الضحايا الوحيدين للحرب ، وقتلاهم ليسوا بالملايين كما يزعمون ، ولو سلمنا ـ جدلا ـ بصحة دعواهم حول افران الغاز ـ فإن الصهيونية قد شاركت هتلر في جريمته من خلال تحريضه ضدهم ،

ومن خلال التحالف بين الطرفين. يؤكد مؤلف كتاب (تربلنكا) أنه لو شاء الصهاينة إنقاذ اليهود من بين براثن النازية لفعلوا ، روت سلاو (زوجة أكاجام عمر ام بلاو) تفعل ضد الشرعـ الأسطورية التي جمعها أثرياء الصهاينة في العالم للـ الصهيوني عقب حرب ١٩٦٧ مع العرب ، بين ـ هؤلاء صمتا مطبقا إبان الاضطهاد النازي □

تعقيبات

سقف التجديد بين التطور والتطوير

نشرت « العربي » في العدد ٣٣٣ ـ أب أغسطس ٨٦ قصية هامة للأستاذ شوقي بغدادي ، بعنوان « سقف التجديد » ، يرى فيه أن الحياة تتطور باستمرار ، والتجديد حاصل دون انقطاع ، لكنه يتساءل ما الأشياء التي تطورت فعلا ، ونشأت معها حالة جديدة حقا ؟ وماذا طرأ على الكائن البشري من تطور حقيقي ، من حيث احتياجاته البيولوجية ، وغرائزه الأصلية ، منذ ثلاثة آلاف عام مثلا ؟ وهو يرى أنه لم يظهر تطور فعال ملموس على نظام الطبيعة في تعاقب الفصول والمد والجزر والعواصف والبرودة والسخونة ، لذلك لا بد من الاعتراف ـ حسب رأيه ـ بأننا لسنا واثقين من حدوث هذا التطور على المدى القريب ، وأن ذلك لن يحدث قبل مرور آلاف السنين ، بل ملايينها

… المصادفة الموفقة التي ستكشفها مؤونة البحث … تذكار مصادفة أن « العربي » نشرت في العدد نفسه … علميا هاما للأستاذ عبد الرحمن حريتاني ، وهو … باتات الأنابيب » والثورة الزراعية القائمة ، … قريبا ، وبخاصة قضية صهر الخلايا ، … أنواع جديدة من النبات ، والحديث عن … الشمس » المستنبتة من بذور جديدة ، تم … بعزل الجينات المصنعة للبروتين في خلايا الفاصوليا ، ثم زرعت تلك الجينات في خلايا نبات « عباد الشمس »

ويؤكد ذلك المقال أنه خلال عشر سنوات من الآن سيكون في فرنسا أكثر من مليون غرسة نخيل ، وذلك بطريقة تكاثر بل تكثير « نباتات الأنابيب » ، بعد أطفال الأنابيب !

هذا التطوير لا التطور الذي يمارسه الانسان على قوانين الانبات ، والسيطرة الوراثية ، لن يتركه الانسان يستغرق آلاف أو ملايين السنين

أما على صعيد الطبيعة فإن التلوث قد أصاب الغلاف الجوي لكرتنا الأرضية ، وأحدث فيه تغيرا هاماً في نسب الغازات المكونة له ، وخلق غازات جديدة ، كل ذلك في غضون عقود معدودة من السنين ، لم تبلغ الالاف ولا الملايين ، وفي الماضي القريب بدأ الايقاع المنتظم للفصول يتغير فأبحاث الفضاء بارتياده بالمركبات التي تحملها صواريخ إلى خارج نطاق غلافنا الجوي ، واستخدام طائرات أسرع من الصوت ، يؤدي إلى إحداث ثقوب في طبقة « الأوزون » التي تشبه نظارة شمسية ، تلبسها كرتنا الأرضية ، لتقيها شر الأشعة الكونية ، بما فيها أشعة الشمس ، إلا أن هذا الاضطراب الذي يحدث في طبقة « الأوزون » يصيب تلك النظارة بثقوب تسمح

ر كثير من الأشعة الكونية الضارة ، بسبب خطيرة
ؤدي إلى الاصابة بأمراض سرطانية في الدم
لمد ، لم يعهدها الانسان منذ عقود قليلة من
ين فقط ، وليس منذ آلاف أو ملايين السنين

ويؤكد العلماء أن درجة حرارة الأرض سترتفع
م أو خمس درجات قبل نهاية هذا القرن ، بسبب
ـة نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في طبقة الغلاف
ـوي ، وذلك نتيجة للتلويث الصناعي ، مما
سبب ذوبان أحجام كبيرة من ثلوج المناطق
طبية ، وزيادة ارتفاع مستوى الماء في المحيطات ،

ختلال التوازن (المتبادل) بين السطوح المائية
شواطيء في كثير من البلاد الساحلية ، وازدياد
ـوث الفيضانات لعل ذاكرتنا إلى ما رأيناه
معناه عن تلك الفيضانات المدمرة في كثير من
لدول ، عبر وسائل الاعلام المختلفة حول تغير
يقاع المنتظم للفصول (راجع مجلة الدوحة ، عدد
يو ١٩٨٦ م ،) ففيه بحث هام للمهندس سعد
مان

ومناطق القطبين المتجمدة لن يتركها العلماء بين
دي التطور لآلاف او ملايين السنين ، بل
خضعوها للتطوير العلمي الذي يختصر السنين في
طور ، فهم يفكرون الان باستخدام الطاقة الذرية
ـويب ثلوج القطبين ، وتحويلها إلى أقاليم دافئة
سكن والاستثمار ، وكذلك الأمر في استخدام
طاقة الذرية للقضاء على أعاصير التيفون ،
لهريكين والأستاذ شوقي يقول إن الانسان عاجز
ن التحكم بالعواصف ، لكنه لن يعجز طالما بقي
سخرا العلم لأغراض المنفعة البشرية

وهناك من يفكر الان في تعديل درجة تأثير الغلاف
لجوي الغازي ، بحيث يؤدي ذلك إلى تغيير في درجة
أثيره على أشعة الشمس المخترقة له ، أو على
الشعاع الأرضي المتجه إلى الفضاء الخارجي ، ومن
م التأثير على الحرارة المكتسبة ، والدورة الهوائية ،
يعد بخار الماء من أهم العناصر التي تمتص
الشعاع ، لذلك فإن أي تعديل لكميته في الهواء

يؤدي إلى نتائج بالغة الأهمية ، بالنسبة للأحوال
المناخية

وهناك كثير من التجارب والطموحات التي يسعى
الانسان من خلالها إلى تطوير قوانين الطبيعة ، مادة ،
ونباتا ، وحيوانا ، وبشرا

(لمزيد من التفاصيل راجع العلاف الجوي
للدكتور يوسف عبد المجيد فايد دار المعارف
ـ مصر)

أما الانسان فإنه منذ آلاف السنين ـ المنظورة ـ لم
يتغير (بيولوجيا) ، ولم تتغير غرائزه ، أو دوافعه
الأصيلة ، والسبب يكمن في أن الانسان عبر هذه
الالاف التي يحددها الأستاذ شوقي بثلاثة آلاف عام لم
يمتلك هذه الذخيرة العلمية ، وأجهزتها الجبارة ، التي
يمتلكها اليوم ، لذا فإنه لم يطور نفسه ، ولم يطور
الطبيعة،أو المادة ، أو النبات ، أو الحيوان

وإذا كان الأستاذ بغدادي يدعو إلى التواضع في
طرق أبواب التجديد ، والتوقف عند سقف
مسقوف ، فإن هذه الدعوة تناسب جمودنا نحن ،
ووقوفنا تحت كثير من تلك السقوف في ميادين
التطور ، والتطوير ، والتجديد ، في مجالات
الانسان ، والمادة ، والنبات ، والحيوان ، والآداب
والفنون إن أدب إنسان القرون القادمة ، بل العقود
القادمة ـ حتما ـ سيختلف عن أدب إنسان العصر
الراهن ، وكذلك فنونه المختلفة ، من رسم ونحت
وموسيقا ، إضافة إلى أخلاقه وسلوكه ، وفيمه ممارسته
لدوافعه العضوية وطبيعتها ، واحتياجاته
(البيولوجية) ، ومن هذه الزاوية نفهم صرخة
« الدوسي هكسلي » في روايته الفذة « عالم جديد
شجاع » ، لأنه يدرك ان الانسان سيصل إلى مرحلة
مذهلة من التطوير العلمي الذي قد يخلخل قيمه
الأخلاقية العامة ، إن قصة الانسان هي قصة اختراق
السقوف ، أما الطفرات أو الصرعات الأدبية والفنية
التي تحدث عنها الأستاذ شوقي وكانت بمثابة محاولات
تجديد غير أصيلة ، فإنها لم تكن وليدة عصر متقدم

ـ حيا إلى الدرجة المذهلة التي نراها ـ بل نسمع عنها ـ في عالمنا المعاصر في الثمانيات ، فالعشرينات والثلاثينات بل حتى الخمسينات ليست بشيء ذي بال في سلم التطور والتطوير المذهل

لقد تحدث ارسطو منذ القرن الرابع قبل الميلاد عن النشوء الارتقائي للأجناس الأدبية في كتابه الخالد (فن الشعر) ، وتحدث مطولا عن الملحمة ، ثم ماتت الملحمة وعليه فلا مانع من نشوء فنون

وأجناس أدبية جديدة ، لكن ليس صرعات أو طفرات ، فالناشيء ينطور ، وما ينطور يتبدل وينقص

يقول الاستاذ سوفي إن الانسان سرعان ما يعود إلى ادواته الفنية الأولى ، وطرائق تعبيره الأولى ـ بعد الصرعات والطفرات ـ دون أن يقف تماما عند طاقاتها الأولى

ترى هل يُتصور أن المبدع القادم سيظل أسير أدواته التعبيرية في المئات القادمة من السنين ؟ لقد بدأ عصر الرسم بالفرشاة ينتهي ، ليفسح المجال أمام الرسم بأشعة الليزر ، والعقل (الالكتروني) ، وكذلك تعلم اللغات ، وفن الترجمة ، ونمط القراءة من كتاب مطبوع ، فقراءة الكتاب أصبحت تشكل عبئا في عملية حفظه ، والرجوع إليه ، لهذا سيحل محله الكتاب المسموع والمرئي ، إن تطوير المادة والنبات والحيوان والانسان سيتم بأسرع مما نتصور أو نتوهم ، أما نحن فربما نظل آلاف أو ملايين السنين تحت سقوف التحديد في كل شيء إذا بقينا على هامش الحضارة ، نحبو زحفا تحت السقوف

مصطفى سليمان

أشهر مكتبات العالم الحديث

● **تعد مكتبة لينين على رأس المكتبات في العالم من حيث عدد المجلدات ، فهذه المكتبة أنشئت عام ١٩٢٤ ، ويبلغ عدد مجلداتها ١٤ مليون مجلد ، ويليها في عدد الكتب مكتبة الكونجرس اذ تحتوي على ٩ ملايين كتاب وقد انشئت عام ١٨٠٠م**

أما مكتبة باريس الأهلية التي أنشئت في القرن السادس عشر فتعد ثالث مكتبة في العالم من حيث عدد الكتب اذ تحتوي على ٦ ملايين من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، بينما نجد أن مكتبة نيويورك العامة تحوي ٥ ملايين كتاب

وتعد مكتبة أمبروزو بايطاليا التي أنشئت عام ١٦٠٩م ، والتي تحتوي على ٦٠٠ ألف كتاب مطبوع و٢٥ ألف مخطوط ، و٢٠٠٠ كتاب نادر ، ثم مكتبة الأزهر الشريف التي أنشئت عام ١٧٩٧م ، التي كانت تحتوي على ٨ آلاف مجلد ، ثم أصبحت الآن تحتوي على ١٠٠ ألف مجلد ، منها ٢٥ ألف مخطوط في الحديث والتفسير والفقه وعلوم الدين ، فانها تأتي في مرحلة تالية لتلك المكتبات الكبرى من حيث عدد الكتب

• قصة قصيرة •

مسن المصحة

بقلم . محمد المخزنجي

لقد سمعت صراحا ، صراحاً مفزعا ، يشبه حؤار حيوان تكاثر عليه الجزارون ، وأوقعوه ارضا ، وتتوه بعنف ليذبح ، فأسرعت مخطوف القلب ، وألقيت ببصري من النافذة المطلة على الحديقة الخلفية ، فرأيته وحيدا في ممر الحديقة المحصور بين (سياجين) من نبات « اللانتانا » الكثيفه الأوراق ، ذات الزهور المركبة الصغيرة ، كان يرتدي (بيجامة) المصحة البيضاء ، رأيته مطروحا على ظهره فوق بساط (النجيل) الأخضر ، يقطع الممر بالعرض ، وكان يضرب مؤخر رأسه في الحافة الاسمنتية لحوض « اللانتانا » بعنف . توقعت أن أرى الدم ينزف بغزارة ، ويلطخ الحافة الاسمنتيةُ ، أو ينداح في بركة صغيرة تحت رأسه لقد وصلت لاهثا ... بعد أن جريت خلال الردهة ، وقفزت الدرج ثلاثا ثلاثا ، وكدت أتعثر ، كان علي أن أسرع وكان علي أن أدور حول المبنى لأصل إلى الحديقة الخلفية حتى أحده ، ووقفت عند رأسه فعرفته . إنه الولد الذي أتى حديثا

تعلمت وأنا في سكني المطل على الحديقة الخلفية كيف أفرق بين النزلاء دون ان أراهم ، تعلمت كيف أميز بينهم بمجرد سماع غنائهم الذي يطلقونه عندما يمشون فرادى بلا رقابة تذكر في هذه الحديقة المنسيّة ، وعرفت كيف أميز العصاميين بأغانيهم الحاويه ، ذات المقاطع البيمه ، المكررة ، أحادية النبرة ، والمكتئبين بأغانيهم العاطفية الخافتة التي يذبحها الشجن ، وكانت تضحكني أغاني المهووسين الخفيفة ، ذات الايقاع السريع ، الراقص التي تصاحبها ـ عادة ـ فرقعات أصابع ، أو يتبعها صفير ، أو طقطقات بالفم لكني لم أنجح أبدا في رد غناء هذا الشاب إلى حالة ما ، فقد كان مبهم الكلمات إلى حد مرعج ، وسرعان ما يقطع غناءه وينطلق في الصراخ

انحنيت ، ومددت يدي لأحمي رأسه من الارتطام بالحافة الاسمنتية ، فباغتني بمحاولاته لعض يدي عدة عضات سريعة عمياء ، لكني افلت منها ، ولما حاولت سحبه من يديه إلى وسط الممر ليكون رأسه على (النجيل) اللين ، أخذ ينشب اظافره في يدي ، ويحاول عضي كحيوان مسعور ، وماكدت أنجح في سحبه حتى دفعته عني بعيدا لم استطع إخفاءه ، لكني لم ألبث أن داهمني شعور شديد بتأنيب الضمير ، وبالألم النفسي

لقد حانت لي فرصة التمعن لحظة في فمه وهو يفتح مطلقا ذلك الصراخ المفزع ، فرأيت لسانه المعيد ، الملتصق بقاع فمه ، الذي كان في حاجة إلى لمسة صغيرة ، صغيرة لا تخيف ، من طرف مقص جراحي صغير ، منذ الصغر ، لتتم إنقاذ كل شيء

زيارة

غرفة استقبال الواردين حديثا إلى المصحة بجوار البوابة ، هي مكان تواجدي أثناء المناوبة ، وفي هذا اليوم بدأت مناوبتي ظهرا وستستمر حتى منتصف الليل لقد أوشك أن يمر النهار ولم يأت أحد

لكني الآن أسمع ضجة صغيرة مقبلة من الداخل ، وأرى زميلي - مناوب عنابر النساء - ومعه ممرضة ، وعاملة ، وواحدة من المريضات تحمل لفافة في يدها ، وفي اليد الأخرى باقة من زهور « البونكا » المفسحة المتواضعة ، ارجح أنها قطفتها من احواض زهور الحديقة التي في الطريق الكائن أمام مبنى الادارة ويبادرني زميلي بغمزة عين ، ويرفع صوته وهو يقول لي منيرا إلى المريضة إنها ليلى سجل صيغة علي حتى يأتي موعد زيارتها ، فخطيبها سيأتي اليوم ، وهي تحب ان تلقاه هنا كما عهدت

لا احد لدي مانعا رغم استغرابي في بادئ الأمر من هذه الزيارة التي توشك ان تكون ليلية ! ثم همس زميلي بالانجليزية - همسا - بأنه يفعل ذلك استجابة لالحاحها ، حتى يخمص داخلها نوبة انهيار ظهرت بوادرها ، فهي نزيلة المصحة منذ سنوات عشر ، منذ مات خطيبها

وتركوا « ليلى » على مقعد امام غرفة الاستقبال في مواجهة البوابة تنتظر واحتفى الأفق بالغروب وهي متمسكة بوداعة في مكانها ، لكن لم يأت أحد .

وتسلل الظلام وهي تتابع ميلاد النجوم المرتعشة في السماء ، واستقر الليل ، فراحت تحدق في ظلمة المدخل ، ثم سمعتها تهمس في الظلمة ، وتصحك بفرح فتاة صغيرة خجلى ، ثم أقبلت نحوي ، ووضعت اللفافة وباقة الزهور امامي على المكتب . وظلت تلح في الرجاء ، ببقايا رقة ذاهبة ، ولطف ما كان رائعة الجمال منذ عشر سنوات خلت ، تلح علي ان اخذ من الاشياء التي أحضرها لها خطيبها ، برتقالة من البرتقالات الثلاث التي أزاحت عنها اللفافة ، أو زهرة من باقة الزهور التي أهداها لها خطيبها ، وتصر أن تهديني زهرتين ! وقدمت لي زهرتين ، فأخذتهما وجعلت أبحث لهما عن كأس أضعهما فيه حتى لا تذبلا سريعا

وفي هذه الأثناء جاء من أعاد « ليلى » إلى مكانها في داخل المصحة دون أن أسمع لها اعتراضا على ذلك

تحرس

خيل إلي أنها ستعيش مقعية أبدا كقرد كبير عند الباب ، لا تأتي بحركة غير (تعظيم سلام) لكل من تراه يدخل او يخرج ، ولا تقول أكثر من « كيف حال السيد ؟ » ، وهي نفسها التي اشاهدها في احدى مناوباتي الليلية منتصبة رغم حلول الليل تحت شجرة الكافور الواقعة داخل السور ، تأبى دخول (العنبر) للنوم ، وتصر على البقاء كما هي ، لتحرس الصغار النائمين على الشجرة !

تعني مطر العصافير النائمة على فروع شجرة الكافور بالأسى والهشاشة ، إذ لم تجد - بعد المذابح التي تعرضت لها أشجار الجوازرين والفكس والبونسيانا الصلبة - غير شجرة كافور لينة الاغصان لتتراحم عليها وتبيت الليل فوقها لكن لا مفر من دخول صاحبتنا للنوم ، ولا بأس من بعض الاكراه مع حقنة مهدئة اذا انتابها الهياج من جراء سحبها بعيدا عن الشجرة

يا للشجرة ! تلك الشجرة التي أمضى ... ساهرا بقربها ، اتأمل اغصانها المائلة لنوم العصافير فوقها ، إذ عمق فاجعة تقطيع الأشجار ... نحيام الايواء المزدحمة ثم انهارت صارخة من ...

فاس عقلا وأنا أتمعن في منظرها الكاسر للقلب، لكن ما ألبث أن أستفيق على نغمه صوء تعسعس بين الأغصان، أصوات انطلاق رصاصات بندقيه صيد لا أراها، وأشاهد التساقط السكوني الأبكم للعصافير المأخوذة بغته أثناء نومها، وما أن أهب فزعا من مكاني وفي نيتي ان أرعق في هؤلاء الصبيه لابعادهم - بحجة عدم إزعاج المرضى النائمين - حتى

حرسى مرأى لثلاثه رجال بشوارب وقامات ممدودة ينصبون فوق السور، ويتأهبون للقفز الى الداخل، حمع ما لم يتساقط بين أياديهم في الخارج من العصافير، لكنهم حين يبصرونني يجمدون في اماكنهم على السور، وأجمد في مكاني، وتجمد في خاطري - للحظه - صورتها غارقة في النوم

في الدغل

لماذا لم يلفت نظري ذلك من قبل؟ منذ عده ايام وانا اشاهدهم يفعلون نفس الشيء، يخرجون من دورات مياه عنابرهم حاملين اواني صغيرة قد ملئت بالماء، مثل الأكواب والأطباق وعلب (الزبادي) أو حليب وأكواز سمك السالمون - احيانا صدئه - يسيرون مثل سرب من النمل، ويتجهون صوب الركن القصي عند غرفة عزل المهجيين التي لم تستخدم منذ شهور قصيرة، لا بد ان هناك شيئا ما، حب ان انادهم واسألهم عنه، وما أن أناديهم حتى

يقبلوا في صخب مبهج والماء يتناثر من أوانيهم الصغيرة التي تهتز بين أياديهم، وهم يصطفون من حولي مثل أطفال فرحين، جاءوا يسئلون كثيرا عن كثر وجدوه صدفة أثناء اللعب، ثم يخبرونني أن لديهم اشياء جميلة جميله جدا، ويقولون لي نريد ان تشرب كل يوم، هيا معنا، فأذهب وسط كوكبتهم الصفاء المصطحبة إلى حيث كانوا يذهبون

ويقودونني إلى دغل النخيل المستوحش والدبس والغاب والنباتات الشيطانية المحيطة بغرفه العزل المهجورة، ويتقدمون عليّ، ويزيحون غطاء الأوراق الخضر والاعشاب بعنف، فتظهر ثمار حقيقيه، بطيخ كبير تلمع قشرته من شدة الصح، وثمار أصفر يوشك أن يتفسخ من فرط النضج، وحبات طماطم وفيرة تتحلى حمرتها الزاهية في قلب الخضره

أصرخ فيهم وآمرهم أن يبتعدوا حالا عن الزرع، فتمه ثعبان قد لمحته ملتفا حول فرع من فروع شجيرات البطيخ الرفيعة الزاحفة، لكن أحدهم وهو «سعد» - ذو رأس كبير ولسان طفل - نظر إليّ وهو يجلس القرفصاء في الدغل نظرة حانية شديد الحنو، وقال يطمئنني كأنه يطمئن صغيرا مرعوبا «خائف، خائف» يقصد لا تخف، لا تخف وأدهلني أن أراه يلمس رأس الثعبان بأنامله لمسات خفيفه، كأنه يربت عليه، ثم يريح الجسد الرفيع الملتف فيتراوح معه بوداعة ورضا ثم يمضي الثعبان ناعما، ويختفي في الدغل، وانا أتنفس الصعداء □

المتكبرون الثلاثة

● قال الحجاج بن يوسف يوما لجمع حضر مجلسه ثلاثة لو أدركتهم لقتلتهم، أولهم مقاتل بن سمع، فانه أعطى مالا كثيرا بفارس فأحمل «اردحم» الناس عليه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون، فقد تأول الفاسق كتاب الله على غير تأويله

أما الثاني فهو عبيد الله بن زيادة بن ظبيان التيمي، فانه صعد المنبر فتكلم بكلام أعجب قومه، فقالوا أكثر الله فينا مثلك قال لقد سألتم ربكم شططا

أما الثالث فهو أبو سحال الأسدي، فان ناقته شردت، فقال لئن لم يرددها ربكم لاأصلي صلاة، فتعلق حطامها بعرفجة، فجاء حتى أخذها، فقال علم ربكم أنها مني صرى «عزيمة قوية»

بقلم حسين أحمد أمين

قال تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتُم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نِعِمّا يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا) النساء - ٥٨
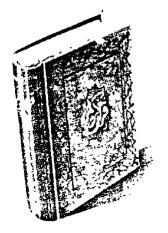
في الواحدي: نزلت في عثمان بن طلحة من بني عبد الدار ، كان سادن الكعبة. فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب البيت (وكان لا يزال على شركه) ، وصعد السطح ، فطلب رسول ﷺ المفتاح ، فقيل له إنه مع عثمان ، فلما أرسل في طلبه أبى ، وقال: لو علمت أنه رسول ﷺ لما منعته المفتاح ، فلوى علي بن أبي طالب يده ، وأخذ منه المفتاح عنوة ، وفتح الباب ، فدخل رسول الله (ﷺ) البيت ، وصلى فيه ركعتين ، فلما خرج سأله العباس بن عبد المطلب أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السقاية والسدانة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأمر رسول الله عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة ، ويعتذر إليه عما بدر منه ، فلما فعل علي ذ قال له عثمان: يا علي ، أكرهت ، وآذيت ، ثم جئت ترفق ؟ فقال علي: لقد انزل الله قرآنا فيك وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان: أشهد أن محـ رسول الله وأسلم.

في قصة الواحدي مثل واضح لأسلوب النبي الصلاة والسلام في الدعوة ، ونشر الاسلام ، ي بخرافة « لافونتين » عن الريح والشمس اللـ تراهنتا أيهما أقدر على أن يجرد رجلا في أحد الحقو عباءة يلبسها ، فأما الريح فهبت تحاصره ، وتشتـ هجومها ، فإذا بالرجل يزيد في تشبثه بالعـ وإحكام قبضته عليها ، وأما الشمس فقد طلع هدوء ، وثقة ، إلى كبد السماء ، ثبت حرارتها رأى الرجل أن المناسب أن يخلع العباءة من ذاته ، ويلقي بها جانبا

كان عنف علي بن أبي طالب كفيلا بأن يزيد من عداء عثمان بن طلحة للاسلام ، إذ يسلب عنوة حق بني عبد الدار في السدانة ، لولا تدخل رسول الله ورده الأمانة إليه ، وأمره علياً أن يعتذر عن تصرفه العنيف معه . وكتب السيرة مليئة بالمواقف التي حقق فيها الرسول بسماحته وحلمه ولينه وسعة صدره مالم تحققه السيف والعنف ، والغلظة والفظاظة (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

ومع هذا فها نحن نشهد بيننا اليوم من الغلاة والمتطرفين ممن يظنون أنهم تأدبوا بآداب القرآن والسيرة ، ويحسبون أنهم قد اتخذوا من النبي عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة ، ومثلا يقتدى ، من يشهد لسان حالهم ، وسلوكهم مع إخوانهم في الدين ، وسلوكهم مع أهل الكتاب ، أنهم يرون ان المسلم كلما ازداد فظاظة وكراهة لمخالفيه في الرأي كان

رب إلى الله تعالى ، وإلى الايمان الحق . وأعلى طي بهم حين يتلون من آي الذكر الحكيم (وجادلهم بالتي هي احسن) أو (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه) يودون ـ في أنفسهم ـ أن القرآن لم يوردها . وكثيرا ما تذكرنا أفعالهم ، وتصرفاتهم الناضحة بالكراهية ، والحقد ، والعنف ، بشخصية « جافير » في روايه « البؤساء » لفيكتور هيجو ، فجافير هذا ضابط شرطة ، وابن لمجرم أثيم ، قد بلغ من مقته لأبيه ـ وهو بعد صبي ـ حداً قرر معه أن يخالفه في كل شيء ، فسعى إلى ذلك ، فأصبح ضابط شرطة ، يتعقب المجرمين من أمثال أبيه ، في عنف ، ومثابرة ، وغلظة قلب ، ثم إذا به يتبين في

في لحظة صدق ، أنه في حقيقة أمره لا يعدو أن يكون ما كوالده ، لكن إجرامه قد تستر وراء زي ضابط شرطة ، وخلف ستار تطبيق العدالة ، فهو يعامل الخارجين على القانون معاملة لا تقل إجراما عن أبيه للأبرياء .

هو إذن مجرد حقد لدى هؤلاء ، كان يمكن أن يتخذ أية صورة من الصور ، ثم اتخذ ـ بالمصادفة المحضة ـ صورة التطرف في الدين . كما أن الخوارج كانوا في الحقيقة قوما من البدو ، خرجوا على سلطة ثقيلة الوطأة ، واتهموها بالكفر ، وهجروا المدن البغيضة إلى قلوبهم ، وسموها دار حرب ، واستأنفوا الغارات الجاهلة ، بغرض السلب والغنيمة ، وحالوا أنها جهاد ، فكذلك هؤلاء ، يعتبرون الفظاظة والحقد والكراهية هي الأصل ويتخذون من الدين قناعاً رقيقا ، لا يكاد يخفي الوجه الكئيب وراءه .

كان القديس فرانسيس داسيسي يحض أتباعه دائما على أن يعكس مسلكهم وعلاقاتهم بالناس أثر العقيدة في نفوسهم وأخلاقهم ، وكان رأيه أن هذا هو خير طريق إلى اجتذاب الناس إلى الدين ، إذ من المؤكد أنهم سيتساءلون عما هذب على هذا النحو خلقهم وطباعهم ومعاملاتهم ، حتى إذا ما عرفوه مالوا إلى اختياره بأنفسهم .

وكما نعلم فإن الاسلام قد انتشر ووطد دعائمه في أنحاء عديدة من أفريقيا السوداء ، بدون السيف والقهر ، وبدون التبشير والدعوة ، وإنما بفضل خلق التجار المسلمين الوافدين إلى تلك المناطق للتجارة ، وأمانتهم ، ورفقهم ، ودماثة طبعهم ، ووقارهم ، مما دفع الأفارقة إلى الاقبال على سؤالهم عن تعاليم دينهم ، ثم اعتناق هذا الدين الذي كان له الفضل الأكبر في غرس هذه الفضائل .

فإن كان مسلمو هذا الزمان مؤمنين حقا ، فما بالهم لا ينتهجون طريق هؤلاء ؟ وما بالهم لا يلقون بالا إلى تلك المواقف التي كان النبي ﷺ يستشير فيها أصحابه بشأن مشرك أو منافق ؟ ، فيوصي بعضهم بقتله ، وبعضهم بإخراجه من المدينة ، فيهدىء الرسول من غلوائهم ، وغضبهم ، ويبتسم قائلا « بل نترفق به ونحسن اليه » . □

بقلم : محمود المراغي

مريض الشمال .. ومريض الجنوب

كالميلاد والموت وحق الحياة يكون المرض.. فعلى فراشه يتساوى الانسان والانسان، وامام وطأته تتساوى الحاجة، لكن الأرقام تقول لنا شيئا يثير الفزع.

تقول الأرقام انه لايكفي أن تكون مريضا لتلقى حاجتك من الرعاية.. ولايكفي أن تواجه الخطر لتتلقى نفس الفرصة في النجاة والقفز الى بر الأمان.. فموقعك الاقتصادي، بل وموقعك الجغرافي يحددان لك أي فرصة تنال من الصحة والعافية.

لقد درجت المنظمات الدولية على أن تشير في دراساتها الاحصائية لمؤشرات الصحة، وتوقعات العمر، ومستويات الدخل.. ورغم الارتباط الوثيق بين النواحي الثلاث، فان وقفة أولى حول مايسمى نصيب المواطن من الرعاية الصحية تثير القلق وعلامات الاستفهام.

وقد يكون على رأس تلك الرعاية وجود طبيب يرعى من حوله، رعاية حقيقية وليست رعاية شكلية.. والسؤال: ما مدى توافر تلك الخدمة؟ ما مدى وجود رجال يفحصون المرضى، ويكتبون العلاج، ويهيئون كل شيء من أجل صحة أفضل؟ الأرقام كما قلت (صادمة) ففي هذا العالم هناك من يحظى برعاية طبية تبلغ ٣٣٨ ضعفا بالقياس لبلدان أخرى، وذلك اذا أخذنا عدد الأطباء ونسبتهم للسكان كمؤشر اساسي من مؤشرات الخدمة الصحية، في الاتحاد السوفيتي - حيث أعلى المعدلات - هناك طبيب واحد لكل (٢٦٠) مواطنا، حسب احصاءات البنك الدولي عن عام ١٩٨١.

أما في أثيوبيا - والتي تأتي في ذيل القائمة - فهناك طبيب واحد - في نفس العام - لكل (٨٨) الف مواطن.. والاثنان: الاتحاد السوفيتي وأثيوبيا في اطار مذهبي واحد وهو الماركسية، لكنه الفارق بين الفقر والثراء.. والشمال والجنوب.

حالة أثيوبيا ليست فريدة، واذا كان العدد الضخم من المواطنين لكل طبيب يجعل الخدمة الصحية تتراجع الى أدنى الحدود.. فالأغرب أن يتزايد ذلك العدد ويتناقص نصيب المواطن من الرعاية الطبية عاما بعد عام.. ففي عام ١٩٦٥ كان لكل سبعين الف مواطن طبيب واحد في أثيوبيا، وكان لكل (٢١٥٦٠) مواطنا في موزمبيق طبيب.

ولكن.. وبعد ستة عشر عاما أصبح الرقم كما قلنا بالنسبة لاثيوبيا (٨٨) الفا على وجه التقريب، وأصبح الرقم بالنسبة لموزمبيق (٣٣) الفا

افريقيا : وضع خاص :

وتُبرز الأرقام وضعا خاصا لأفريقيا جنوب الصحراء ، فهي الأقل حظا في كل شيء . وبينما اتيح لها طبقا لأرقام البنك الدولي المنشورة عام ١٩٨٦ وضع أفضل في هيئات التمريض ، فإن الحصول على خدمة الطبيب بين عامي المقارنة (١٩٨١,٦٥) قد تدهورت بشكل واضح فأصبح لكل (٤٣) الف مواطن على وجه التقريب طبيب يرعاهم ، بينما كان ذلك الرقم عام ١٩٦٥ (٣٩) الف مواطن فقط .

المنظمات الدولية لاتنكر الأساس الاقتصادي ، لذلك ، وعندما أوردت هذه المؤشرات في دراساتها الاحصائية جعلتها طبقا للدخل ، فكانت هناك مجموعة منخفضي الدخل التي تضم (٣٦) دولة تنتمي كلها للعالم الثالث ، ويقل متوسط دخل الفرد السنوي فيها عن (٤٠٠) دولار ، وفي هذه المجموعة ينال كل (٥٣٧٥) مواطنا خدمة طبيب واحد ، وكل (٣٩٢٠) مواطنا خدمة ممرض لاغير .

لكن الصورة تتحسن قليلا ، عندما ننتقل الى مجموعة الدول متوسطة الدخل التي تضم (٤٠) دولة ، يتمتع فيها كل (٤٧٦٤) مواطنا بخدمة طبيب . ويستمر التحسن بشكل واضح اذا انتقلنا للدول المصدرة للنفط مرتفعة الدخل التي تعتبرها المنظمات الدولية مجموعة متميزة ، فترتفع فيها الخدمة الطبية ليحظى كل (١٤٠٨) مواطنين بخدمة طبيب . ثم تأتي المجموعتان الأكثر ثراء والأوفر صحة والاشد تقدما ، فيصبح لكل (٥٥٤) مواطنا في الدول الصناعية الرأسمالية طبيب واحد . ويصبح لكل (٣٢٩) مواطنا ـ وحسب احصاءات ١٩٨١ ـ مثل ذلك النصيب في الدول الاشتراكية بشرق أوروبا .

استقراء الأرقام اذن يجعل شرق أوروبا في المقدمة ، يلي ذلك الغرب في أوروبا وأمريكا واستراليا واليابان . ثم تأتي الدول المصدرة للنفط فتحصل على ثلث المستوى السابق من الخدمة الصحية . وتأتي الدول متوسطة الدخل لتأخذ ثلث الثلث . وفي المؤخرة تأتي الدول الأشد فقرا ، وبخاصة افريقيا جنوب الصحراء .

شذوذ مطلوب :

ولكن ، في هذه المجموعات يحدث شذوذ محمود ، فتقفز الصين الشعبية لتسجل متوسطا يفوق مجموع الدول الفقيرة ومتوسطة الدخل . وتقفز مصر بين الدول العربية والدول متوسطة الدخل فتسجل أنه بينما كان نصيب كل (٢٢٦٠) مواطنا طبيبا واحدا عام ١٩٦٥ أصبح ذلك الرقم عام ١٩٨١ ثمانمائة مواطن فقط . ونفس الشيء بين مجموعة الدول المصدرة للنفط ذات الدخل المرتفع ، حيث تبرز دولة الكويت لتسجل أن لكل ستمائة مواطن طبيبا ، ولكل (١٨٠) مواطنا شخصا واحدا من هيئة التمريض .

هذا الشذوذ أو ذلك التفوق لايلغيان الحقيقة الاولى ، وهي أن هناك بونا شاسعا بين مريض في فراش أفريقي ومريض في فراش أوروبي أو أمريكي .

لذلك ، وعندما نقول أن هناك قضية حيوية اسمها الشمال والجنوب . وعندما نتحدث عن قيمة سلعة مصنوعة وسلعة أولية مما تعكسه تلك القيمة على دخل كل من المجموعتين الدوليتين . عندما نفعل ذلك فان نهاية سلسلة التداعيات المنطقية . مريض يأخذ حقه من الرعاية ، ومريض يركن الى الموت أو الهلاك أشد اقترابا .

وهكذا لايصبح الانسان مساويا للانسان كما هو مفترض ومنطقي،الأمر تحدده الجغرافيا ويحدده الاقتصاد،ويحدد نصالنا من أجل عالم آخر □

■ ما الشقاء إلا منّا ، وما أكثر الأخطاء التي يرتكبها الناس عندما ينسبون أسباب شقائهم الى الآخرين

« أناتول فرانس »

أوغندا

ليست مسلمة ، لكنها حريصة على عضويتها بالمؤتمر الاسلامي ،

والمسلمون بها ليسوا أغلبية ، لكن الحكومة بها أربعة وزراء مسلمون

كان البريطانيون يسمونها « لؤلؤة أفريقيا » ، فمنها ينبع نهر النيل ، .من أكبر بحيرات العالم

« فيكتوريا » ، وعندما دهمنا تعثرنا في الجماجم ، واستوقفتنا نقاط التفتيش ، وطاردنا

في الليل صوت الرصاص ، ومخاوف الانقلابات !

كانت نصيحة اتفق عليها الجميع : حاول أن يكون موعد وصولك الى أوغندا في رابعة النهار ، حتى موظف شركة الطيران الكيني في نيروبي نصحني - بابتسامة ودودة ، وأسنانه البيضاء تلمع - قائلا : ما دامت هذه هي الزيارة الأولى ، فاختر رحلة صباحية ، ففي المساء لا تضمن أن تقطع الخمسين كيلو مترا بين مطار « عنتيبي » والعاصمة « كمبالا » بسلام ، فالطريق ضيق غير مرصوف ، لا يسمح بمرور أكثر من سيارتين في الاتجاهين ، ومليء بالحفر ، وعلى حافتيه اشجار كثيفة وأحراش لا يرى ما وراءها ، ولا يعرف ماذا تخبىء ؟

على طول الطريق نقاط تفتيش ، تقوم بتفتيش الحقائب والسيارات والركاب،ومع هزات السيارة وهي تسير فوق الحفر تمنى النفس بالوصول الى العاصمة ، لكن الأماني تذهب مع الرياح ، حتى شوارع العاصمة غير مرصوفة أيضا ، وبقايا الاسفلت تبدو بين حين وآخر ، وفوق الطرقات الضيقة يتزاحم البائعون والسائرون ، وراكبو الدراجات أو السيارات ، في زحام بشري لا يكف عن الحركة ، ولا الصخب .

المباني في وسط العاصمة خليط متنافر ، بنايات قديمة من طابق واحد أو طابقين ، ونوافذ خشبية ، وبصمات الفقر والاهمال واضحة عليها ، وبنايات أخرى تتألف من أكثر من طابقين بواجهات من الألمنيوم وارتفاعات عالية ، لكن الاهمال يتضح في كل ركن من أركان بواباتها ، طلبنا من السائق - أنا وزميلي المصور - أن يتجه بنا الى فندق يكون قريبا من ادارات الدولة ، ومن المصالح الحيوية بالعاصمة ، وفي وسط شارع مزدحم يجلس على رصيفيه الباعة يبيعون كل شيء ، ويمارسون كل المهن ، كالحلاقة والحياكة ، واصلاح الأحذية أشار لنا السائق الى فندق ، مدخله معتم ورطب ، والدرج يصعد عموديا ، يرهق في الصعود ، ويُخشى أن يكفي من يهبط به على وجهه ، والغرف عبارة عن مساحة مربعة ، وبناء اسمنتي يخرج من أحد الجدران ، وفوقه حشية ووسادة ، والغرفة أشبه ما تكون بالزنزانة وعدنا الى (التاكسي) ، قال لنا السائق : ان هذا الفندق هو افضل فنادق وسط المدينة ، وأنه يمكننا البحث عن مكان آخر لكن ليس في قلب العاصمة

كعادة كل المدن التي عانت من اقامة المستعمر فيها ، هناك أحياء بناها المستعمر بعيدة عن قلب العاصمة ، أقل أوساخا واهمالا ، وأكثر جمالا وتخطيطا ، وحجم العمران بها أقل ، ومساحات الخضرة الوحشية الرائعة بها أكثر وبها باد للحولف ، ومبان على الطراز الانجليزي القديم ، بسقوف من القرميد الأحمر ، وحديقة تحيط بالمبنى ، لكن الحفر أيضا تشوه الطرق ، وان كانت مساحات القطع الاسفلتية أكثر وجودا فيها اذا ما قورنت بوسط العاصمة

تقع أوغندا في شرق أفريقيا الوسطى ، وتحدها من الجنوب تنزانيا ورواندا ، ومن الغرب زائير ، ومن الشرق كينيا ، ومن الشمال السودان . وقد كانت اوغندا حلما أسطوريا لكل المكتشفين والرحالة الذين انطلقوا بحثا عن منابع النيل ، وضللتهم بحيراتها الكثيرة وغاباتها الشاسعة ، ففيها كل البحيرات التي ظن كثير من المكتشفين أنها آخر نقطة في نهر النيل ، فيها بحيرة (جورج) ، وبحيرة (ادوارد) ، وبحيرة (البرت) ، وبحيرة (كيوجا) ، وبحيرة (فكتوريا) وهي المنبع الحقيقي لنهر النيل ، وواحدة من أضخم بحيرات العالم ، ولعل وفرة البحيرات هذه،والغا

ـسط لسقوط الأمطار كانا الضمان لكي لا تعاني
ـدا من أية آثار للجفاف كالجوع ، فأوغندا تمنحها
ـها البكر التربة كل ما تحتاجه من طعام ، ما عدا
ـ المواد المحدودة من القمح والحبوب التي يقل
ـرادها عاما بعد عام

ـرغم أن أوغندا بلد بلا موانىء ، الا أن موقعها في
ـد الجزء الشرقي من أفريقيا ، واعتدال جوها ،
ـر طبيعتها الخضراء ، جعلها موضع صراع بين
ـى الاستعمارية في أواخر القرن الماضي ، الى أن
ـر الأمر بوضعها تحت الحماية البريطانيـة ، منذ
١٨٩٦ ، وخلع عليها البريطانيون وصفها الأثير
ـين ، فسموها « لؤلؤة أفريقيا » ، لكن اللؤلؤة لم
ـ بريقها كما كان،بل أصبحت مادة جمر دائم ،
ـع صوت الرصاص بها يجاوز حدود أفريقيا ،
ـح الصراع على السلطة والاضطرابات مادة يومية
ـ قراء الصحف ومتابعي الأخبار ، ورغم أننا
ـنا لنبحث عن مسلمي أوغندا ، الا أنه كان
ـحيلا أن نصل الى تجمعات المسلمين ونراهم ،
ـان نصطدم بتضاريس القبائل ، وأن نفهم
ـراع الذي يدور

ـراق الحريف

كتضاريس أفريقيا ساخنة ملتهبة مليئة
ـاحات ـ هكذا هي الحياة في أوغندا ـ في حديقة
ـدق تلتقط أذناك وعيناك تفاصيل أحاديث هامسة
ـة من بعثات شتى ، ووفود أجنبية جاءت تجس
ـطام الجديد ، وتجار سلاح ، ومهربي ذهب ،
ـملاء في وكالات دولية يبادلون حقائب غامضة ،
ـكلمون عن صفقات ومواعيد تسليم أشياء عبر
ـود ، وممثلي هيئات معونة في دول شتى ، إنه
ـط من الغموض والمجهول والغريب أحد
ـسـ سفارة عربية عاملة في أوغندا قال لي ، وهو
ـمن ـراد هذا الخليط ويحدد جنسياتهم ، ونوعية
ـ ـم « هذه أمور تحدث دائما في أزمنة
ـ ـابات والقلاقل ، فعندما تضعف الدولة
ـ تنتقل السلطة من نظام الى نظام ، فإن المناخ
ـام ـح لكل هذه العينات بأن تظهر وتحاول
ـ البلد ، أي بلد ، مستغلة حالة الفوضى
ـاض ـب

خريطة اوغندة

ولقد ساعدت فترة الاضطرابات التي مرت بها أوغندا على استمرار هذه الحالات ، فأوغندا منذ عام ١٩٧٩ وشكل السلطة فيها لم يستقر ، والصراع حولها لم يهدأ ، ولعل استعراض رحلة الرئيس الحالي « يوري موسيفني » نحو السلطة ، الذي يراهن كثير من المراقبين على بقائه لفترة قد تطول تلقي ضوءا على شكل الصراع وقصته

تخرج (موسيفني) في كلية العلوم السياسية عام ١٩٦٩ بدار السلام عاصمة تنزانيا ، وعمل في نفس العام كباحث سياسي في مكتب (أوبوتي) أول رئيس لأوغندا ، وفي عام ١٩٧١ عندما قام عيدي أمين بانقلاب استولى به على السلطة ، هرب (موسيفني) الى تنزانيا ، وبدأ العمل مع رئيسه السابق في تنظيم حرب عصابات ضد عيدي أمين ، لكنه سرعان ما اختلف مع (أوبوتي) حول شكل المقاومة التي يقومان بها ، وبدأ في تشكيل قوات خاصة به ، وفي عام ١٩٧٩ ـ مع سقوط عيدي أمين ـ دخل العاصمة الأوغندية مع قواته ، وفي الفترة من ابريل ١٩٧٩ وحتى أكتوبر ١٩٧٩ عمل موسيفني وزيرا للدفاع في حكومة (يوسف لولي) ، لكن انقلابا سلميا أطاح (بيوسف لولي) وجاء (جودفري بن عيسى) رئيسا للبلاد فعين (موسيفني) وزيرا للتعاون الاقليمي ،

آثار الحرب الأهلية معارض للجماجم (إلى اليسار) يتامى يعيشون في ظروف بالغة السوء . في مبنى مكون من غرفتين فقط . وفتيات يتناولن طعامهن البسيط (الى اليمين)

واعتبر (موسيفي) أن هذا التعيين بمثابة إبعاد له عن تلك الحركة السياسية ، فساهم في سبتمبر ١٩٨٠ بإبعاد (بن عيسى) وتولى (باولو موانجا) رئاسة مجلس استشاري حاكم ، و عين(موسيفي) نائبا له ، وأعلن (موانجا) عن عودة الحياة الديمقراطية ، ودعا الى انتخابات عامة في ديسمبر ١٩٨٠ ، ففاز في الانتخابات حزب الشعب الأوغندي الذي يرأسه (أوبوتي) ، وفشل حزب (موسيفي) في الحصول على أكثر من مقعد واحد ، ورفض (موسيفي) الانتخابات ، وقال انها مزورة ، وأن (موانجا) زور الانتخابات لصالح (أوبوتي) ، وهرب (موسيفي) الى الأدغال والأحراش ومعه خمسة من أصدقائه ، وشكل حركة المقاومة الوطنية ، وبدأ يقود حرب عصابات ضد (أوبوتي) فسقط فيها القتلى بالآلاف كأوراق الشجر في الخريف

القبيلة قبل الوطن

هرب (موسيفي) الى الأحراش في الغرب ، حيث موطن قبيلته ، وبدأ يجند الأفراد والأنصار ، ولكي نفهم الأمر أكثر ، فإنه يتعين علينا أن نقترب من تضاريس خريطة القبائل ، ففي أوغندا ٦٣ قبيلة ، أشهرها وأقواها وأكثرها تأثيرا في الحياة السياسية ست قبائل منها أربع في الشمال والشرق والشمال العربي وهي الأتشولي واللانجو والكراميويا والكانوا ، ويطلق عليهم اسم النايلتك ، بينما تتركز قبائل « البانتو » والمكونة من قبيلتي الباجندا والمياكولي في منطقتي الوسط والغرب هذا التقسيم الحاد الى نايلتك وبانتو يدور حولهما الصراع ، ويتلخص فيهما جزء كبير من اللعبة الدائرة في أوغندا ، وحولها ينضم عديد من القبائل الصغيرة والهامشية الى الفريقين الكبيرين النايلتك والبانتو ، وللقبيلة وتحالفاتها يكون الولاء والانتماء قبل أي معنى آخر أو قيمة أخرى ، فالقبيلة أقوى من الوطن ومن الدين ، ومن كل شيء

وتشهد أوغندا الآن حلفا مقدسا ، وعهدا من قبائل البانتو ، بألا تذهب السلطة مرة ثانية الى قبائل الشمال (النايلتك) ، فهذه هي أول مرة يتولى فيها رئاسة الجمهورية شخص من قبائل الوسط والغرب (بانتو) ، بعد أن كانت السلطة قبل ذلك ـ ومنذ عهد الاستقلال ـ مقتصرة على أبناء الشمال والشرق وقبل الاستقلال كانت أوغندا مقسمة الى ممالك ، يحكمها ملك « كاباكا » ، وكانت قبائل الباجندا هي التي تحكم كل الممالك وتسيطر عليها ، ومنها كان آخر ملك لأوغندا « موتسيا » الذي انتهى حكمه مع نظام الملكية في فبراير ١٩٦٦ ، وكانت قبائل الباجندا تمثل الصفوة ، فهم الذين يهتمون بالنشاط الاقتصادي ، والتجارة ، والتعليم ، وكانوا ينظرون الى الحرب والجندية أنها مهنة العبيد ، وكانوا يتركونها لأبناء القبائل الأخرى الواقعة تحت سيطرتهم بنفوذ المال والاقتصاد ، وكان أبناء المناطق الشمالية يتولون هذه المهمة ، وخاصة أن الطبيعة التي جعلت من مناطقهم شبه صحراوية قد منحتهم أجساما قوية ذات جلد وصبر ، وعندما انتظم أبناء الشمال في مؤسسة منظمة هي المؤسسة العسكرية ، وجدوا أنفسهم كلهم من قبائل الشمال ، وما أسهل أن يجد الانسان لنفسه أصدقاء ورفاقا وأقارب من قبائل تحتل مكانا واحدا ، وانتماؤ ها للمكان وللطبقة الاجتماعية واحد فكانت انقلابات ضباط قبائل الشمال الواحد تلو الآخر ، عيدي أمين كان من قبائل الكانوا في الشمال،أوبوتي من قبائل اللانجو في الشمال ، وتيتو أوكيلو من قبائل الاتشولي في الشمال

وبدأ السادة القدامى ـ سلالة الملوك من قبائل الباجندا ـ يدركون أن اللعبة السياسية تدور بعيدا عنهم ، وان كان صحيحا أنهم يمسكون بمفاتيح الاقتصاد ، فان النشاط الاقتصادي إذا لم يصاحبه نفوذ سياسي فهو نشاط محكوم عليه بالافلاس ، عندئذ جمعت قبائل الباجندا ٤٠٪ من السكان بتحالفها مع الاصدقاء القدامى قبائل المياكولي ، وجددوا حلف البانتو القديم الذي سبق أن سيطرت به على كل أوغندا حينما كانت خمس ممالك تحت سيطرة مملكة الباجندا وحليفتها المياكولي وقد قام حلف مقدس لحماية المصالح التي تطل أيضا « مقدسة » بحثا عن قطعة أكبر من كعكة السلطة

سقوط كمبالا

في اطار هذه الرؤ ية لحركة القبائل وتحالفاتها ، نفهم لماذا هرب « موسيفي » الى أحراش الغرب ؟

. مشروع المسجد الكبير

. ادا يقود حركته المسلحة ، ويطم الأعوان صد نظام « ميلتون أوبوتي » من دلك المكان ؟ ان في الغرب قبيلة ماكولي - قبيلته - وبالقرب من قبيلة الباحندا صاحبة المصلحة في أن ينتصر موسيفي وقبيلته ، فتنتصر معها قبائل الوسط والغرب ، فيكسر احتكار قبائل الشمال للسلطة ، وقد استمر موسيفي أربع سنوات يقود حربا - من الأحراش - صد موبوتي ، حتى يوم ٢٧ يوليو ١٩٨٥ وأثناء طابور عرض عسكري في الشارع الرئيسي بالعاصمة ، قرر قائد طابور العرض « تيتو أوكليو » أن يقفز الى السلطه انتقاما من أوبوتي - ابن قبائل اللانجو - الذي أبعده عن العاصمة ، ولكي يحقق انتصارا لقبائل الاتشولي التي ينتمي إليها ، والتي تعد - كما يقولون - سادة الحد ، واقتحم « أوكليو » مقر الرئاسة الذي لم يكن به سوى بضعة جنود حراسه لم يقاوموا طويلا ، وهرب أوبوتي في قافلة مكونة من ٤٥ سيارة عبر طريق كمبالا - ممباسا الى كينيا ، ومنها الى زامبيا ، حيث يقيم مصطحبا معه ثروة تقدر بأربعين مليون دولار

أعلن أوكيلو فور توليه السلطة أن الحكومة ستعقد اتفاقات مصالحة مع الجبهات المعارضة لأوبوتي ، وبالفعل نفذ أوكيلو وعده الا مع « موسيفي » فلم يتصل به ، ولم يتفاوض معه ، وأعلن عدم اعترافه بمقاومته ، ولكن استيلاء « موسيفي » على الغرب الغني زراعيا وسيطرته عليه ، وتحكمه في الطريق البري الدولي الذي يربط أوغندا بممباسا وزائير ورواندا وبروندي ، جعل أوكيلو يعيد النظر ، ويبدأ مفاوضات مع « موسيفي » انتهت الى منح « موسيفي » سبعة مقاعد في الحكومة ، ونصف مقاعد المجلس العسكري ، لكن هذا الاتفاق كان مجرد خطوة تكتيكية ، فبعد شهر واحد اقتحمت قوات « موسيفي » في ليلة ٢٥ يناير عام ١٩٨٦ العاصمة كمبالا ، وسيطرت عليها ، وجعلت السلطة لأبناء قبائل « البانتو » لأول مرة منذ عهد الاستقلال

مسلمون في الحكومة

ظ هذه الحياة بتصاريسها السياسية ... اعية ينتشر المسلمون في أنحاء أوغندا ، ووفق الأرقام المتاحة فانهم يمثلون قرابة ٣٠٪ من التعداد الكلي للسكان (١٤,٢ مليون) نسمة ، ولا يوجد تحديد دقيق لانتشار المسلمين داخل المجتمع الأوغندي ، فهم موزعون بين كل القبائل ، وكل المناطق ، وكل البيوت ، ومن الأمور المعتادة في أوغندا أن تجد في البيت الواحد أكثر من دين ، فهذا مسلم وذاك مسيحي وآخر وثني ، وهكذا رئيس الجمهورية مسيحي ، ولكن شقيقه مسلم ، ويتولى منصب القائد الميداني العام للجيش الأوغندي وقد أسلم عندما كان يقيم في تنزانيا ، وسمى نفسه « سليم صالح » ، وبين وزراء الحكومة يحتل المسلمون مناصب مهمة فيها ، فوزير الخارجية مسلم ، ووزير الاعلام مسلم ، ونائب الرئيس مسلم ، وقائد عام الجيش مسلم

وحول هذه الظاهرة سألنا وزير الاعلام الأوغندي أبو بكر « باجاما » هل لهذه الظاهرة مدلول سياسي ؟ فقال « أوغندا ليست دولة اسلامية ، فالغالبية فيها ليست من المسلمين ، لكننا نحترم الديانات

* مدرسة بلال الثانوية الاسلامية ، إحدى المدارس الاسلامية التي تدرس المناهج الحكومية والعلوم الاسلامية

* رئيس قضاة اوغندا ، رئيس المركز الاسلامي تم تعيينه بشكل موقت
بعد ان امتدت صراعات القبائل الى المركز

السماوية ، ونحن ـ سياسيا ـ حريصون على عضويتنا في منظمة العالم الاسلامي ، واختيار الوزراء يتم وفق الكفاءة والثقة ، وليس بقصد توازن الديانات وتمثيلهم طائفيا في الحكومة ، والا كنا وضعنا قواعد للمواطنة على أساس ديني ، وهذا أمر نرفضه ، لأننا ضد العنصرية بكل أشكالها ، ونحن نتمسك بعضويتنا ، لأننا حريصون على التعاون مع العالم الاسلامي والدول الاسلامية ، ونحن نطمع في مزيد من التعاون مع المسلمين والدول الاسلامية ، ومساعدتهم في دعم السكان المسلمين بأوغندا ومن جانب آخر نسعى الى دعم التعاون بين الدول الاسلامية التي تمثل جزءا من العالم الثالث مع أوغندا ، ومن الممكن أن تقوم بيننا علاقات اقتصادية ، فلدينا البضائع التي يحتاجها العالم الاسلامي ، ونأمل في دعم التجارة وتنشيطها بيننا ، ونحن أيضا ننتظر من العالم الاسلامي اقامة مشروعات استثمارية في أوغندا ، مثل بناء سدود لتوليد الطاقة الكهربائية للاستفادة منها ، ولتصديرها الى بلدان مجاورة ، لأننا في أوغندا نعاني من مشكلة تمويل المشاريع

واذا كنا حريصين على عضويتنا بالمنظمة الاسلامية ، فان العالم الاسلامي يجب أن يكون حريصا على التواجد في بلد مثل أوغندا ، لقد أرسلنا وفدا الى عديد من المنظمات المالية الاسلامية ، ليناقش معها تصوراتنا للمشروعات التي لدينا ويبين حاجتنا للتمويل ، لدينا مشروعات لتطوير زراعة الأرز في شمال أوغندا أو تصديره الى البلدان المجاورة ، ولدينا مشروعات طرق ، ومشروعات انتاج غذائي يساعد على اقامتها وفرة المياه وخصوبة التربة ، ومشروعات تنمية الزراعات التقليدية وقد قلنا لكل المنظمات المصرفية الاسلامية اننا نقدم ضمانات حقيقية للاستثمار تتمثل في اعفاء جمركي ، وحرية تبادل العملة الصعبة ، وامكانية استعادتها الى بلد المستثمر ، ونظام تأمين ، وكل ما يتصور المستثمر أنه ضمان له فنحن نقدمه اليه

مسلمون . . . وفقراء

من السهل عليك أن تتعرف على المسلمين في شوارع أوغندا اذا وجدت فوق الرأس « طاقية » بيضاء فما عليك الا أن تقول له « السلام عليكم فيتهلل وجهه ويرد التحية بأحسن منها ويبدو أن الاضطرابات السياسية المتكررة في أوغندا قد امتد أثرها الى حياة المسلمين هناك ، فالثابت أنهم قد تعرضوا لكثير من الاضطهاد أيام حكم الرئيس الأسبق ميلتون أوبوتي ، كما تعرضت بعض مدارسهم للهدم والتخريب ، بل لقد امتد أثر النزاع حول السلطة في أوغندا الى نزاع آخر حول رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى بأوغندا ، فقد انقسم أعضاء المجلس الى فرقاء كل فريق يتمسك برئيس ، ويطعن في شرعية الآخر ، ولم يحسم الخلاف إلا بتدخل وفد عالي المستوى من رابطة العالم الاسلامي بالمملكة العربية السعودية ، وصل الى كمبالا ، وحقق في الخلافات ، وعين مجلسا مؤقتا جديدا ورئيسا جديدا له

تسهم رابطة العالم الاسلامي بدعم محدود للمسلمين في أوغندا ، فهي تتولى دفع مرتبات رئاسة المجلس وموظفيه ، وتقدم بعض المنح الدراسية للطلاب المسلمين ، وكذلك تفعل جمعية القبلة الاسلامية ، وحكومة جمهورية مصر العربية تقدم سنويا ثلاثين منحة دراسية،وتقدم ليبيا وبعض الأقطار الاسلامية بعض المساعدات وللمجلس بعض الممتلكات والعقارات التي يستثمر عائدها في تمويل نشاطه ، وكان المجلس الاسلامي يحظى بدعم حكومي كبير في عهد الرئيس عيدي أمين الذي شجع على تأسيس المجلس في عام ١٩٧٢ ، لكن بعد سقوطه تعرض المجلس والمسلمون الى كثير من المضايقات ، وإن كانت قد بدأت الآن في الانتهاء ، الا أن مشكلة التمويل ما زالت واحدة من المشاكل الرئيسية

ويتمثل نشاط المجلس الاسلامي ـ عدا الدعوة الى الدين والقضاء الاسلامي ـ في عدد من مشروعات الدعاية التعليمية والصحية

وللمجلس ٤١٩ مدرسة موزعة على أنحاء أوغندا ، مقسمة كالتالي . ٢٢٤ مدرسة أهلية لتعليم القرآن ، عدد طلبتها حوالى ١٤١ ألفا ، ية ...

« عمل مسرحي يعرض على مسرح العاصمة ، تقوم به إحدى مدارس بعثات التنشير ، تعرض المسرحية لاضطهاد الملوك المسلمين للمسيحيين
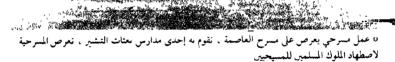
بالتدريس فيها ٤٤٨ معلما و ١٦٤ مدرسة إسلامية حكومية « أي معترف بشهادتها من الحكومة » ، يدرس فيها ٤٥ ألفا و ٩٢٠ طالبا ، عدد معلميها ٣٠٠ مدرس ، وعدد المدارس الثانوية الاسلامية الخاصة سبع يدرس بها ٩٨٠ طالبا وعدد معلميها ٥٠ ، وعدد المدارس الثانوية الاسلامية الحكومية ١٥ مدرسة ، تضم ٤٢٠٠ طالب ، بها ١٥٠ مدرسا ، وعدا ذلك هناك كليتان إسلاميتان للمعلمين والمعلمات يدرس فيها ٤٠٠ طالب وطالبة

ـن جانب الخدمة التعليمية يرعى المجلس أربع دور ـتام ، يقيم فيها ٥ آلاف يتيم ، ويرعى كذلك ٦ ـشفيات اسلامية ، و ٢١ مركزا صحيا ، ـبالمستشفيات والمراكز الصحية ٢٥ طبيبا ، ٤ ـرضا ، سعة كل المستشفيات والمراكز ٣٠ ـط

يسهل عليك التعرف على المسلمين من للطاقية فانه من السهل أيضا ملاحظة أن

العالية العظمى من المسلمين فقراء ، حتى منزل الأمير « بدرو » فانه شديد التواضع رغم أنه شقيق للملك سابق من ملوك أوغندا ، ورئيس فخري للمجلس والزعيم الروحي للمسلمين ، ويعلق الأمير بدرو على هذه الظاهرة قائلا « فقر المسلمين يعود الى كثرة الأفراد الذين تعولهم كل أسرة ، فمتوسط عائلة المسلم ٢٠ فردا ، أربع زوجات كل زوجة تلد في المتوسط خمسة أبناء وأحاول أن أسأل الأمير عن حتمية الأربع زوجات فيقول « هكذا هو الاسلام ، وعندما أوضح له وجهة النظر الأخرى التي ترى أن الزواج من أربع زوجات مباح وليس ذلك فرضا على كل مسلم يعلق قائلا هذه وجهة نظر فيها شك ، وغير المسلمين لهم مصلحة في قلة عدد المسلمين ، ونحن لدينا مصلحة في أن نحقق الكثرة من خلال زيادة الانجاب وأقول للأمير بدرو . لكن الأب هنا لا يملك سلطة التوجيه الديني على أبنائه ؟ فيقول لكن الأبناء سيهتدون الى الاسلام ، ولو كان هناك عشرون ابنا منهم عشرة مسلمون فهذا يكفي

* المستوصف الاسلامي ادوات بسيطة ، واردحام من المرصى ، وافتقار إلى تحقق شروط الرعاية والنظافة الواحبة ، وملابس تنشر على الأرص ، واحراء تحليل العيات أمام المترددين ، وعملية حتان ، ومساعد طبيب بلا كمامة

بلا أمل

تعد أوغندا بصمة عامة من البلدان الفقيرة ، فمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي ٢٢٠ دولارا في العام ، أي أقل من عشرين دولارا شهريا وخريج الجامعة يتقاضى راتبا لا يتجاوز ٢٠ ألف شلن شهريا ، ويستطيع أن يدرك ضآلة هذا الراتب لو رصدنا تدهور قيمة الشلن خلال السنوات العشر الماضية التي وصلت الى أدنى حال لها الآن ، ففي عام ١٩٧٧ كان الدولار الواحد يساوي ٧,٨ شلنات ، وبدأ التدهور فقفز الى ٤٠ شلنا ، ثم ٢٠٠ شلن حتى وصل في عام ١٩٨٤ الى ٥٨٧ شلنا ، وصرخ الناس من الغلاء ولكن في عام ١٩٨٦ اخترق الشلن كل حدود العقل وأصبح الدولار الواحد يساوي رسميا وفي البنك ٥ آلاف وخمسمائة شلن ، وبالتالي فإن قياس نمو نصيب الفرد من الدخل القومي يتدهور سنويا بمعدل (٤٤ /) ، ومعدل التضخم قفز من ٥,٦/ في وسط السبعينيات الى ٦٢,٧/ ، ومتوسط نمو الناتج السنوي للدولة يتدهور أيضا ويقدر بالسالب (٢,١ /) إجمالا هناك تدهور عام ، وأوغندا بالتالي واحدة من البلدان التي تنعدم فيها مستويات الصحة العامة ، وينتشر بها كثير من الأمراض

وفي المستشفى الاسلامي الرئيسي ، وأثناء مرورنا بأقسامه الصغيرة التي اقتصرت على غرف صغيرة ، قال لنا مدير « المستشفى » الدكتور « جعفر خان » أكثر الأمراض انتشارا هي الملاريا ، والأمراض الحسية ، ثم أمراض الجفاف لدى الأطفال ، قلت له أنا أسأل عن أحوال المسلمين الصحية ؟ قال الطبيب وأنا أتحدث عن أحوال المسلمين الصحية أعود فأتأكد من الطبيب ولكن الأمراض الحسيه لا تنشأ - كما أعرف - الا من علاقات غير شرعية ، والاسلام لا يبيح هذه العلاقات ؟ فيقول الطبيب في مجتمع فقير مستوى الطاقة فيه منعدم يحدث تداخل كثير ، وتصبح القضية أكثر احتياجا لرجل اجتماع منها الى طبيب ، وعندما يصبح الزواج عننا نتيجة للغلاء والتضخم يصبحُ للعلاقات الحسية قانون آخر ، وهناك عديد من الأسباب ، فقد يتزوج مسلم امرأة غير مسلمة ويتضح بعد ذلك أنها مريضة ، والخ

وفي دور الأيتام يجلس الأطفال فوق التراب ويضعون الأغطية على الأرض كي يناموا فوقها وطعامهم دقيق مطبوخ بالماء ، وثيابهم ممزقة ووجوههم غير نظيفة ، وأيامهم لا يرى فيها احد بارقة أمل

أسأل الطبيب عن مصير هؤلاء الايتام ومستقبلهم ؟ تحت ضوء الشمس ، وهو يشير الى المرضى الجالسين فوق المقاعد مثل هؤلاء لا أمل في شيء ، ولا في مستقبل أفضل ، فالغلاء والتضخم ابتلعا كل مقدرة لدى المسلمين هنا على المساعدة ، ولا تأتي المساعدات من العالم الخارجي بقدر كاف ، وبالتالي فلا ضمان لكي تستمر حتى هذه الخدمات التي تقدم للأطفال ، ولا للمرضى رغم تدنيها ولا أمل لهم في غد أكثر رعاية وضمانا ، وفي المقابل فإن جمعيات التبشير المسيحية تقدم لأبنائها أفضل ما لديه ممكنة من تغذية وتعليم ورعاية صحية ، وأكبر الجمعيات المسيحية انتشارا هي مؤسسات عالمية كبرى تدفع أموالا كثيرة لتمويل نشاط فروعها وأكثر الجمعيات حركة هنا هي المقر البابوي الكاثوليكي في روما ، ومنظمة الانجيل المتحدة العالمية ، وغيرها من الجمعيات والمنظمات المسيحية

احلام الرئيس

في وسط ما يدور في أوغندا ، فإن الناس يشهدون للرئيس موسيفي بمقدرة غير عادية في ادارة لعبة التوازن بين القوى العديدة التي تزخر بها الساحة القبلية والسياسية ، وبجوار لعبة التوازن هذه فهو يتمتع برؤية شاملة لمشاكل وطنه في إطارها المحلي والاقليمي والدولي ، ويستفيد من كل الأوراق الممكنة والمتاحة ، وعندما يشتد ضغط قبائل الباجندا على حليفهم في « البانتو » مطالبين بامتيازات أكثر ، أو يضغطون على السوق بإحداث اختناقات سلعية ، فإنه على سبيل المثال يصدر قرارا باحتكار الدولة لاستيراد هذه السلعة أو الاتجار بها ، كالسكر مثلا ، ويبدأ في مفاوضات مع جبهة الانقاذ الوطني الأوغندية التي يتزعمها موسى بن علي وزير مالية عيدي أمين ، ويتوصل معهم الى اتفاق مصالحة ، ويسند الى موسى بن علي منصبا وزاريا ، وهكذا

* الامير ندور ، الأب الروحي للمسلمين في أوغندا ، يرتدي (الجلباب) ، مع بعض أقاربه ومساعديه

ـما تشن قوات جيش التحرير الأوغندي التابعة
ـ السابق تيتو أوكيلو غارات على شمال البلاد
، أنها كلها من قبائل الاتشولي ، ويلوذون
ر الى جنوب السودان بعد أن هرّبوا ست
ـ هليكوبتر ، وعددا ضخما من الذخائر ، فانه
ـاوضات مع الحكومة السودانية من أجل اطلاق
الامساك بهؤلاء المتمردين ملوحا بورقتي ضغط
سه ، الأولى علاقته بجون قرنق وامكانية قيامه
طة ، والورقة الثانية قوافل الغذاء التي تتابعها
ت الدولية من أوغندا لجدة الأقاليم المنكوبة
ودان وكل موازين القوى في صالح موسيفيني
لذي يدفع كثيرا من المراقبين الى الاطمئنان
في السلطة لفترة طويلة

ـوسيفني يدرك حقيقة الأزمة في أوغندا ،
سها في نقاط محدودة

ولى هي عدم استتباب الأمن ، ولذا فقد بدأ
ـق عقوبات رادعة لكل حالات الاخلال بالأمن
بقاء على نقاط التفتيش المنتشرة على طول الطرق
ـعات

ـطة الثانية عدم توافر التمويل لعمليات
، الاصلاح الضرورية شرط أن يكون تمويلا
ـوط ، ويضع موسيفيني أولوية تامة لمشروع
ـمار مدينة « لويروا » التي دمرت أثناء الحرب

- الثالثة سوء مستوى الخدمات ومستوى

التعليم ، الذي يعد محورا أساسيا لأي عملية تنمية مطلوبة

وهو يرى أن أوغندا تتمتع بميزة هائلة لا تتمتع بها غالبية دول العالم الثالث ، وهي أنها تنتج ما تأكل ، وأنها تستورد ١٩ ألف طن فقط من الحبوب ، وأن هذا الرقم يتناقص تدريجيا ، وأنها في سبيلها الى الاكتفاء الذاتي والتصدير في قطاع الغذاء ، وهذه ميزة - كما يراها - هامة جدا على الأخص اذا وضع في الحسبان أنها - أي أوغندا - تصدر سنويا بـ ٧٠٠ مليون دولار بنّا للعالم ، هذا عدا صادراتها الأخرى من القصدير والمعادن والطاقة الكهربائية للدول الافريقية المجاورة

ليست سوداء

وبموضوعية تامة فان أحلام الرئيس ليست أوهاما ، فواقع الأرقام التي لا تكذب - في صالح أوغندا نسبيا - ونستطيع أن نلحظ جزءا كبيرا من مشكلتها الأساسية في عدم توافر التمويل اللازم لمشروع انقاذ الاقتصاد الاوغندي الذي يتمتع بموارد طبيعية كثيرة تكفل ضمان عائد هذه المشروعات ، وكل ديون أوغندا لا تتجاوز ٧٠٠ مليون دولار ، أي ما يوازي قيمة صادراتها من البن في عام واحد ، ونسبة الدين الى الناتج القومي تبلغ ١٧,٩٪ ، وهي نسبة معقولة ، وقروضها بسعر فائدة بسيط ٣,٩٪ ،

• (إلى اليسار) طعام الفقراء دقيق وماء ، يوزع في أطباق من البلاستيك) (وإلى أعلى) مزارع الشاي الممتدة . (وفي الوسط) آثار الدمار في مدينة لويروا . (وفي الأسفل) مصنع النسيج في جحا ، المدينة الصناعية
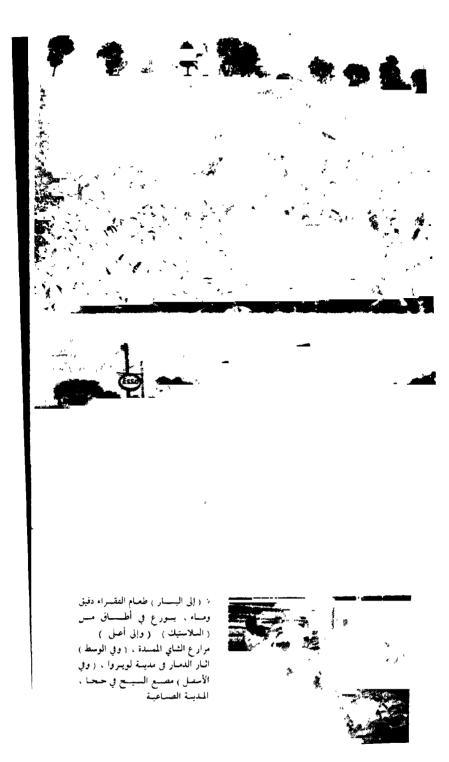
ومتوسط فترة السداد ٣٤ سنة ، منها فترات سماح في حدود سبع سنوات وبصف عدد السكان في سن العمل أي بين سن (١٥ ـ ٦٤) ، ومعدل نمو القوى العاملة في ازدياد اذ يبلغ ١,٧٪ سنويا ، ولكن المشكلة كما أوضحا ، وكما صرح المسؤولون الأوغنديون ـ تكمن في الحاجة الشديدة الى التمويل

ففي مدينة جنجا ـ على سبيل المثال ـ وهي مدينة صناعية هامة تتركز فيها صناعات الغزل والنسيج ، والسكر ، والورق ، والسجائر ، والبيرة ، والأغذية المعلبة ، وعدد من الصناعات المحلية ، مصنع النسيج يعمل بنصف طاقته الكلية،وينتج سنويا مليوني متر من القماش ، يعمل به ٤٥٠٠ عامل ، ويقوم المصنع بكل عمليات الغزل والنسيج كاملة ، ولكنه يحتاج الى تمويل استثماري لزيادة طاقته الانتاجية ، والوصول الى أقصى طاقة انتاجية وجميع العاملين في مصنع الغزل والنسيج وكافة المصالح الأوغندية (كوادر) وطنية سواء في الادارات العليا أو الدنيا ، وتكمل جامعة وسط أفريقيا (ماكريري سابقا) التي تقع في قلب العاصمة سد حاجة جهاز العمل الأوغندي بالمؤهلين علميا ، صحيح أن هيئة تدريس الجامعة بها بعض المناصب يشغلها غير أوغنديين ، لكن تظل هذه الظاهرة في اطار الجامعة دون أن تمتد الى بقية المؤسسات الأخرى وجزء آخر من الأزمة الاوغندية هي مشكلة اعادة تعمير المدن والقرى التي تضررت من الحروب المتكررة ، التي ذهب فيها ما يقرب من ٧٥ ألف قتيل ، وتهدمت فيها قرى بأكملها وفي وزارة اعادة التعمير قالت وكيلة الوزارة لشؤون التعمير والمدن الجديدة « في تقديرنا أننا نحتاج الى ٦٠ مليونا و ٧١٥ ألف دولار ، نحن نحتاج الى مشروعات انقاذ واغاثة في مجالي الغذاء والاسكان ، وفي مجالات الخدمة الصحية والأدوية للانسان وللحيوان ، كما نحتاج الى اعادة بناء مقار ادارات الدولة ، وأدوات زراعة ، وتجهيزات للمدارس ، الخ ، والمسألة باختصار انشاء مدن كاملة من جديد لانقاذ الذين نجوا ويعيشون الآن في وسط الحقول والأحراش

ورغم أن هناك كثيرا من الدول والهيئات تسرع الى عرض استعدادها لتقديم معوناتها ، مما جعل أوغندا في ظل الحكومة الجديدة مسرحا للصراع بين القوى الراغبة في تبعية أوغندا لها ، أو خدمتها لمصالحها على الأقل ، ولذا فان الحكومة تفكر أكثر من مرة ، وتبت سريعا في مثل هذه المساعدات أو عروض القروض ، في نفس الوقت الذي ترحب فيه وتبادر منافسة امكانية المساعدات من دول العالم الثالث والصناديق الوطنية ، وحسابات الحكومة السابقة ترى أن مثل هذه الدول أو الصناديق التي تعمل في العالم الثالث لا تهدف الى مصالح خاصة على حساب أوغندا

لؤلؤة أفريقيا

كتضاريس افريقيا ساخنة ومثيرة وغامضة ، هكذا هي الحياة في أوغندا ، واذا كانت الفترة من ١٩٦٣ وحتى ١٩٧٢ قد شهدت ٨٢ انقلابا في أفريقيا ، ما بين ناجح وفاشل ، فإن هذه الانقلابات كما يقول جاك وودير في كتابه الشهير « الجيوش والسياسة » « انقلابات أفريقيا متنوعة الى حد كبير فيما يتعلق بأسبابها واهدافها وسماتها ، فبعضها مهد الطريق لتطورات سياسية ايجابية ، أما البعض الآخر فقد أعاد عقارب الساعة السياسية والاقتصادية الى الوراء وتشهد أوغندا حاليا محاولات جدية ومخلصة في دفع عجلة الحركة الى الأمام ، صحيح أنه مازال هناك بعض المتاعب ، فما زال هناك في أقصى الشمال بعض المناوشات من عناصر مناوئة للنظام ، لكنها ـ في كل التقديرات ـ لا تزيد عن مناوشات لا تثير ازعاجا ، وما زال هناك داخل المدينة كثير من الحذر ، وكثير من القلق والترقب الذي يدفع الحراس في الليل الى اطلاق الرصاص تحسبا وخوفا عند أي حركة ، ويطارد الرصاص أحلام النائمين ، ويدفع بهم خارج الفراش ، وما زالت نقاط التفتيش عند كل التقاطعات والطرق ، وما زالت الأحراش والأدغال الافريقية غامضة لا يدري أحد ماذا تخبىء ؟ ورغم هذا القلق والترقب فان هناك توقعا جازما بأن الحياة ستستمر وتستقر ، وأن أوغندا ـ لؤلؤة أفريقيا ـ التي كانت ستعود لتومض وتبرق ، وتشع جمالا سحريا ، وتعود حلما أسطوريا لكل عاشق جمال الطبيعة الوحشي الرائع النادر ، ستعود أوغندا حلما [illegible] رائعا ، لؤلؤة رائعة كما كانت ، هذا يحلم [illegible] أوغندا ، فهل يصبح الحلم واقعا ؟ □

في الأسو

كتاب العربي

الرابع عشر

المسلمون والعصر

بأقلام

د. عبد العزيز كامل — د. أحمد كمال أبو المجد
د. يوسف القرضاوي — خالد محمد خالد
د. ادريس الكتاني — د. محمد عمارة
د. محمد جابر الأنصاري — د. محمد سلام مدكور
وآخرين

كتاب العربي مرآة العقل العربي

الكوارث

كنز في باطن الأرض!

ويحيط بباطن كوكب الأرض غلاف من الصخور التي تختلف في كثافتها وطبيعتها وتركيبها ، وعموما فان الصخور تتركب من مجموعة عناصر متحدة في صورة مركبات كيماوية ، تعرف بالمعادن ، ويقصد بالمعدن الجسم الطبيعي لا العضوي ، أي ما ليس له أصل نباتي أو حيواني

(الكوارتز) كنز بين الصخور

يبلغ عدد العناصر الأكثر شيوعا في الطبيعه ثمانية تكون معظم وزن قشرة الأرض ، وهذه العناصر هي الأوكسجين والسليكون والالمنيوم والحديد والكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والماغنيسيوم يمثل الأوكسجين والسليكون حوالي ٧٥٪ من وزن الغلاف الصخري ، ومن هذين العنصرين يتكون الكوارتز الذي يطلق عليه علميا اسم « ثاني اكسيد السليكون »

يختلف تركيز المعادن في طبقات الصخور ، فهي كثيفة في بعضها ، ونادرة في بعضها الآخر ، وهذا يعني أنه ليس للصخور تركيب كيميائي واحد ، بل يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع هي

الصخور النارية هي التي صعدت من باطن الكرة الأرضية في هيئة كتل صخرية منصهرة ، يتصاعد منها البخار (وتسمى « الصهارة ») ، ثم تأثرت ببرودة سطح الأرض خلال ملايين السنين فتجمدت وتتميز الصخور النارية بشدة صلابتها ، وبأنها عديمة المسام

الصخور الرسوبية هي التي نشأت على سطح الأرض نتيجة لتفتت الصخور الناريةعبر العصور الطويلة ، ولتأثير عوامل التعرية ، وأثر الكائنات العضوية وتتكون الصخور الرسوبية من عدة طبقات تحتوي على بقايا عضوية نباتية وحيوانية ، تدل على نوع الحياة التي كانت موجودة في الأزمان السحيقة المختلفة ، أي أن هذه الصخور تعتبر بمثابة سجل للكائنات الحية

الصخور المتحولة هي التي كانت في الأصل صخورا نارية أو رسوبية ، ثم تغير تركيبها المعدني بسبب عوامل الضغط الشديد ، والحرارة المرتفعة ، أو بكليهما معا .

ويدخل الكوارتز في تركيب معظم الصخور النارية والمتحولة وكثير من الصخور الرسوبية ، لأنه يقاوم عوامل التحلل والتفتت التي تتعرض لها هذه الصخور عبر حقب الزمن وتوجد بعض أنواع الكوارتز في بلورات كبيرة الحجم ، أو قد توجد في بلورات دقيقة جدا ، تستحيل رؤيتها الا باستخدام المجهر . وبأعداد كبيرة كما قد يوجد الكوارتز عبر المبنى في شكل عروق ضخمة ، يبلغ سمكها عدة أمتار ، وطولها بضعة كيلومترات

المعادن والبلورات

توجد معظم المعادن في قشرة الأرض في شكل (بلورات) ، ويقصد بالبلورة الجسم الصلب المتجانس الذي له تركيب ذري محدد ، وله مستويات - تسمى أوجه البلورة - تحد البلورة من الخارج ، وتميز شكلها الهندسي المنتظم الذي شكلته العوامل الطبيعيه تحت ظروف الضغط الهائلة ، ودرجات الحرارة العالية ، ولكل من هذه البلورات شكل معين يتوقف على التركيب الذري المكون لها ، كما تميز البلورات محاور هي عبارة عن خطوط وهمية ، تمر بمركز البلورة ، وتسمى كل مجموعة من الأوجه المتشابهة « الشكل البلوري »

يوجد الكوارتز - غالبا - في شكل بلورات جميله ذات جوانب ستة ، تنتهي باشكال على هيئه أهرامات سداسية عند اطرافها ، كما يوجد أحيانا نوع من بلورات الكوارتز بجوانب ثلاثة ومنه بلورات كبيره الحجم ، تدل على أن الصخور التي تحتويها قد بردت ببطء ، أما اذا كانت البلورات صغيرة أو دقيقة جدا فيعني هذا أن الصخور قد بردت بسرعة وتتكون بلورة المعدن من شكل بلوري واحد ، تسمى بلوره بسيطة ، فاذا كانت تتكون من عدة أشكال بلوريه مجتمعة أطلق عليها اسم (بلورة مركبة)

ويمكن التمييز بين المعادن بدراسة الاشكال التى تتخذها بلوراتها ، والخواص التي تنفرد بها يبلغ عدد المعادن التي اكتشفت حتى الوقت الحاضر حوالى ثلاثة آلاف معدن ، معظمها نادر الوجود ، أما المعادن واسعة الانتشار فلا تتعدى خمسين معدنا ، توجد خلال الغلاف الصخري للارض

هناك قوى معينة تربط بين الذرات المختلفة في بلورات المعادن ولنوضح بشيء من التفصيل تركيب

ها ، وترتيب الالكترونات المدارية فيها ،
لترتيب هو الذي يحدد نوع الرابطة بين
ا هي مكونات الدرة ؟
هي أصغر أجزاء المادة ، تتكون من نواة ،
مجموعة جسيمات ، يطلق عليها اسم
ت) ، تحمل كل منها شحنة سالبة ، وتدور
ـ خارجية حول النواة وتتكون نواة الدرة
من الجسيمات ، أحدهما بروتونات موجبة
وثانيهما ، نيترونات لاتحمل أي شحنة
ف العادية تكون الدرة متعادلة كهربيا ، أي
لشحنات السالبة التي تحملها الالكترونات
عدد الشحنات الموجبة التي تحملها
ات ، ويمكن بطرق حرارية أو كهربية أو
تأثير في المدارات الخارجية للالكترونات لأنها
ـ قوة جذب النواة ، وجعلها تشترك في
ـ الكيميائية وفي تكوين المعادن ، وذلك
كترون واحد أو أكثر من درة الى أخرى
فقدت الدرات الكترونا أو أكثر أو اكتسبت
اطلق عليها اسم (ايونات) وأصبحت
ـات كهربية ، حيث تعبر تركيبها الذري
فاذا كانت الأيونات موجبة عرفت باسم
ت) cations واذا كانت سالبة سميت
) Anions وتتكون معظم المعادن من
ـ من الايونات ترتبط بينها روابط كهربية ،
الشحنات المتضادة (السالبة والموجبة) ،
امل الهامة في تركيب المعادن ، النسبة بين
يونات التي تدخل في تركيب بلوراتها وبين
شحنات الكهربية ، ويطلق على الترابط بين
وجب والسالب في البلورة اسم (الرابطة
ـ وهي التي تحدد مدى صلابة المعدن

ر معدن جميل

ـز النقي شفاف ، يبدو أكثر صفاء من
في هذه الحالة يطلق عليه اسم (البلور
، لكن الجزء الأكبر من الكوارتز الذي
طبيعة لايوجد نقيا اذ تتخلله مجموعة
ـه الألوان ، مما يضفي عليه جمالا أخاذا ـ
ـز البنفسجي ـ فيستعمل في صناعة
مهما كانت الحال فكل أنواع الكوارتز

تتميز بالجمال فحجر الصوان ـ على سبيل المثال ـ
كوارتز غير نقي ، استخدم قديما في صناعة الأسلحة
البدائية ، وقد أمكن تصنيف معادن الكوارتز الى
مجموعتين رئيسيتين
(١) المجموعة المتبلورة وهي المجموعة الأكثر
انتشارا ، بالرغم من ندرة وجود بلورات كاملة منها ،
ومن هذه المجموعة الأنواع التالية
الكوارتز الوردي وهو الذي يوجد في كتل متبلورة
خشنة ، ونادرا ما يتوافر بلورات منفصلة ، ويحتمل
أن يكون سبب تلونه باللون الوردي هو وجود شوائب
فيها من معدن المنجنيز
الكوارتز الأزرق وهو نوع نادر من الكوارتز ،
يوجد غالبا بين سلاسل الجبال
الكوارتز المسمى (عين القط) وهو يتميز بوجود
خيوط رفيعة جدا متوازية ، تتخذ أشكالا جميلة عندما
يسقط عليها الضوء وقد أطلق على هذا النوع من
الكوارتز هذا الاسم لأنه عندما يقطع دوائر يصبح
بريقه كعين القط في الظلام
* **الكوارتز الأصفر** وهو الذي تتخذ بلوراته الشفافة
لونا أصفر رائعا ، ويستخدم في صناعة المجوهرات ،
ويرجع سبب تلونه باللون الأصفر لوجود شوائب من
أكسيد الحديد
* **الجمشت (الكوارتز البنفسجي)** وهو من أجمل
بلورات الكوارتز ، ويستخدم في صناعة الحلي ،
ويرجع سبب تلونه باللون البنفسجي لوجود شوائب
من معدن المنجنيز
* **الكوارتز المدخن** وهو الذي يوجد غالبا في شكل
بلورات ذات لون دخاني أصفر ، أو بني أو أسود ، و
يستعمل في صناعة المجوهرات
* **الكوارتز اللبني** وهو أكثر أنواع الكوارتز المتبلور
انتشارا في الطبيعة ،
يوجد في شكل عروق معدنية ، ويرجع سبب تلونه
باللون اللبني الى وجود شقوق مجهرية في البلورات
تكسر أشعة الضوء ، ويستخدم الكوارتز اللبني في
صناعة الحلي أيضا
(٢) المجموعة الدقيقة التبلور وتضم الكوارتز
والبلورات المجهرية ، ومنها
* **العقيق** وهو نوع من الكوارتز ، يتميز ببريقه
الشمعي ، ونعومة ملمسه ، يوجد بشكل شفاف أو
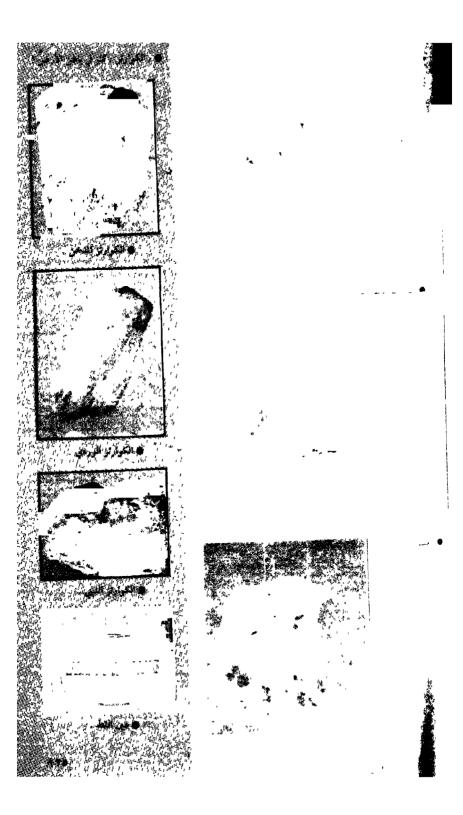
نصف شفاف وقد توجد بعض أنواعه باللون الأبيض ، والأحمر ، أو الأخضر أو المائل الى الخضرة ذي النقط الحمراء وهو حجر الدم ، أو الرمادي ، أو البني ، أو الأسود ، وهناك نوع منه يتميز بألوانه المتعددة التي تكون بشكل صفوف مستقيمة أو متموجة ويستخدم بعض أنواع العقيق في صناعة المجوهرات

* اليصب وهو غير شفاف ، يتلون باللون الأحمر ، أو الأصفر ، أو البني ، أو بمزيج من كل هذه الألوان

* حجر الصوان وهو الذي يوجد بألوان مختلفة ، منها الرمادي والبني والأسود ، ويمكن أن يسن ليصبح حادا ، لهذا استخدم في العصور القديمة لصناعة الاسلحة كالرماح

وهناك مجموعة ثالثة من الكوارتز مثل معدن الأوبال ، ويسمى حجر عين الشمس ، وهو نوع من الكوارتز غير متبلور ، يحتوي على نسبة من الماء (بين ٣الى٩بالمائة) ، ويكون الأوبال شفافا ، أو أبيض اللون ، وقد يوجد بعضه متلونا باللون الأخضر ، أو الاصفر ، أو الأحمر أو بمزيج من كل هذه الألوان

يمتاز الكوارتز بصلادته الشديدة ، وهو في المرتبة السابعة حسب مقياس « موهر » الذي يرتب عشرة معادن شهيرة ترتيبا تصاعديا حسب صلادتها النسبية وهي ١ ـ التلك ٢ ـ الجبس ٣ـ الكالسيت ٤ ـ الفلورايت ٥ ـ الاباتيت ٦ ـ الارثوكلاز ٧ـ الكوارتز ٨ـ التوبار ٩ ـ الكوراندوم ١٠ ـ الماس

ويقصد بالصلادة مدى مقاومة سطح المعدن للخدش ، فالتلك مثلا أقل تلك المعادن مقاومة للخدش ، أما الماس فهو أكثر المعادن مقاومة ، وتتوقف درجة صلادة المعدن على قوة الربط في بلورته ، وسبب صلادة الكوارتز يرجع الى الربطة الأيونية في بلورته ، حيث تتقارب الأيونات التي تتميز بصغر حجمها وكبر شحنتها الكهربية

الكوارتز وكهرباء الضغط

لايستعمل الكوارتز في صناعة المجوهرات فحسب بل ان له استخدامات صناعية متعددة ، فقد اكتشف بييركوري* في عام ١٨٨٠ أن لبلورات الكوارتز خاصية ، تسمى « كهرباء الضغط Piezo Electricity ويقصد بها تكون شحنات كهربية على المحور البلورية اذا تم الضغط على بلورات الكوارتز ، وقد اتضح فيما بعد أن تذبذب شريحة بلورة الكوارتز يحدث بفعل أثر الضغط عليها ، أما سبب وجود كهرباء الضغط فيرجع للشحنات الكهربية لايونات بلورات الكوارتز ، فاذا قطعت بلورة الكوارتز الى شرائح كان لكل شريحة وجهان ، فاذا تم وضع احدى هذه الشرائح بين ألواح معدنيه فان وجهي الشريحة ينضغطان معا ، فيتولد على أحد الوجهين شحنة كهربية موجبة ، وعلى الآخر شحنة كهربية سالبة ، وهكذا يتم توليد جهد كهربي عبر بلورة الكوارتز ، ويمكن أن يتم الأمر على عكس ذلك بتوصيل وجهي البلورة بجهد كهربي يجعلها تنكمش ثم تتمدد ، ويطلق على هذا اسم « الذبذبة vibration» ، وتحدث هذه الذبذبة بسرعة كبيرة وفق تغير قطبي الجهد الكهربي ويطلق على السرعه التي تتذبذب بها شريحة البلورة في زمن معين اسم « التردد Frequency » ، وهو يتوقف على سمك الشريحة وحجمها ، فكلما كانت أقل سمكا ارتفع عدد ترددها ، وبالعكس ، وبعض بلورات الكوارتز يمكن قطعها بحيث يكون سمكها قليلا جدا ، فتتذبذب ملايين المرات في الثانية الواحدة ، لكن يجب أن يكون التردد الذي يذبذبها مساويا لترددها الطبيعي وبسبب هذه الخاصية تستعمل بلورات الكوارتز في أجهزة الاستقبال ، لترشيح الترددات غير المطلوبة ، وفي أجهزة الارسال كالمذياع والتلفاز والرادار ، وأجهزة العرض السينمائية ، حيث تنشق بلورات الكوارتز أو يتغير حجمها في حالة الحرارة أو البرودة •

ففي حالة أجهزة الارسال كالمذياع مثلا تقوم بلورات الكوارتز الطبيعية الثابتة-التي تتحول الى موجات راديو-بنفس الترددات، ثم ترسل عبر الهواء الى أجهزة الاستقبال حيث تظل ثابتة ، وهكذا يمكن تحويل مؤشر جهاز المذياع الى نفس المكان في كل مرة ، والاستماع الى محطة اذاعة محددة

وتستخدم خاصية كهرباء الضغط في بلورات الكوارتز في أجهزة محولات الطاقة ، مثل الحاك ،

* الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء

و. اعات الأذن ، ومكبرات الصوت ، حيث تب .ل الطاقة الميكانيكية الى طاقة كهربية و. نكس

الكوارتز المصهور

يمكن صهر الكوارتز النقي في درجة حرارة عالية (٧١٠ درجةمئوية) داخل أفران كهربية ، ويطلق عليه في هذه الحالة اسم « الكوارتز المصهور » وهو يمير بأنه أقل المواد تمددا أو انكماشا عندما تتغير درجة الحرارة ، لهذا يستخدم في صناعة المرايا والعدسات ، خاصة في المراقب (التلسكوبات)

ولأن الكوارتز المصهور يسمح بمرور الاشعة البنفسجية خلاله استخدم في صناعة زجاج نوافذ بعض المستشفيات ، لأن الزجاج العادي لايسمح بمرور هذه الاشعة التي يحتاجها الاطباء لعلاج بعض المرضى ، كما استخدم الكوارتز المصهور مع الزئبق في صناعة (لمبات) خاصة ، تصدر الأشعة فوق البنفسجية ، (تسمى أشعة الشمس الصناعية) ويقاوم الكوارتز المصهور تأثير الاحماض ، ولهذا استخدم في صناعة أنابيب الاختبار ، والقناني التي يوضع فيها المواد الكيماوية القابلة للتفاعل ويستخدم بعض أنواع الكوارتز أيضا في صناعة الزجاج ، والاسمنت ، وورق الصنفرة ، ومواد البناء ، ورصف الطرق ، ومساحيق التنظيف ، وغيرها

ساعة الكوارتز

تعددت أنواع ساعات الكوارتز ، وأصبحت شائعة الاستخدام في كل أنحاء العالم ، كيف تعمل هذه الساعة ؟

تحتوي هذه الساعة على بلورة كوارتز صغيرة الحجم ، تتذبذب بترددات دقيقة جدا كل ثانية ، وفي كل مرة تتذبذب فيها تصدر نبضة كهربية (خاصية كهرب ضغط) وتحصي الأجزاء الأخرى في ساعة اليد هذه النبضات ، وتقوم بتغيير الأرقام في لوحة العرض - التي تعمل بالبلور السائل - لتظهر الوقت الصحيح

تصدر بلورة الكوارتز نبضة كهربية عندما تمتد أو تنكمش (أي تتذبذب) وذلك عندما يصلها تيار كهربي ضعيف من بطارية الساعة ، وتقوم تلك البلورة بعدد ثابت من الترددات ، ثم تعطي نبضات كهربية تتزامن مع هذه الترددات ، وتصل هذه النبضات الى شريحة سليكون داخل الساعة ، تقوم باحصاء تلك النبضات ، وكل ثانية ترسل اشارة الى لوحة العرض الرقمية لتغيير الوقت المسجل ، وتستمر شريحة السليكون في احصاء الثواني لتظهر الدقائق والساعات

بلورة الكوارتز بين الحقيقة والخيال

منذ آلاف السنين اعتقدت بعض الشعوب بأن للاحجار الكريمة قوى سحرية وطبية خارقة ، وقد استخدموها لعلاج بعض الأمراض ، وفي ممارسة بعض الطقوس الدينية واتخذوا منها تعاويذ تحمي الافراد من كل شر أثناء حياتهم ، بل حتى داخل قبورهم ويعتقد عدد كبير من الناس - في وقتنا الحاضر أن لبلورة الكوارتز النقية قوة خفية وطاقة هائلة ، وأن ارتداءها يعطي الشخص شعورا بالسعادة ، ويخفف من آلامه ، ويجعله أكثر نشاطا ، ويمتعه بصفاء الذهن ويبعده عن الأرق

تتوفر بلورات الكوارتز لدى مؤسسات خاصة بالخارج في أشكال مختلفة مثل أهرامات صغيرة ، وقلادات ذات ثمانية جوانب ، وحلى دائرية ، وخواتم ، وأقراط بأشكال وأحجام متعددة

ويعكف العلماء على دراسة بلورات الكوارتز النقية محاولين التعرف على مزيد من خصائصها ، لتحديد أسباب الاعتقاد الشائع بقدراتها الخارقة وذلك اطار علم حديث يسمى « الباراسيكولوجي » ، وهكذا تبقى القوة الخفية لبلورات الكوارتز - اذا كانت حقيقية - سرا معلقا - □

● أيها العبيد ، انهضوا انهم لايبدون أمامكم عظماء ، الا لأنكم راكعون

توسان

صدر العدد الجديد
من مجلتك
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير د. محمد الرميحي
يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ في هذا العدد:
محكمة العدل الاسلامية.
ألف ليلة وليلة - حكاية الحمار والثور.
ماذا تعرف عن القبة السماوية في الكويت؟
فلكيون .. لامنجمون.
ابن خلدون: الحلم والمستحيل.
من أساطير الشعوب - حكاية من السودان.
المرجان يستعين بالصواريخ.
دائرة معارف العربي الصغير
اسلاميات
إصنع بنفسك
صفحة الكمبيوتر
صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
٦٤ صفحة بالألوان
نتيجة مسابقة العدد الحادى عشر
ومسابقة جديدة و١٠٠ جائزة

عبدالحميد بن هدوقة و أبو المعاطي أبو النجا

■ طه حسين يمثل الحل الصحيح لاشكالية الأصالة والمعاصرة ■ البطل الايجابي ليس هو المتفائل الساذج ، بل هو الذي يثير القلق ، ويمتثل حين تحتم الظروف هذا التسلل ■ المثل الأعلى عندنا ليس نقطة تفصلنا عنها مسافة ، بل المسافة عندنا جزء من هذا المثل الأعلى ■ الرواية الحديثة في اوروبا ـ رغم تقدمها في الشكل ـ تفتقر ... قضية ، أما أنا فأكتب رواية حديثة تحمل قضية ■ (الأحمر) و (الدراويش) كلاهما منفصل عن واقعه ، والجيل التالي الذي يعي هذا الانفصال ويتخطاه هو الذ... سيرث الجزائر ■ (الأنظمة) مهما كانت حيدة وتقدمية لا بد أن تأخذ في ... نا مقومات المجتمع الروحية

عبد الحميد بن هدوقة ، ولد بالمنصورة ، بولاية سطيف سنة ١٩٢٥ ، وهو واحد من أهم كتاب القصة والرواية في الوطن العربي، ومن أوائل من كتبوا القصة والرواية الجزائرية باللغة العربية

أما محاورهُ فهو ابو المعاطي أبو النجا من أسرة تحرير مجلة (العربي)

من أهم مؤلفاته

- ظلال جزائرية ـ مجموعة قصص ـ بيروت سنة ١٩٦٠
- الاشعة السبعة ـ مجموعة قصص ـ تونس سنة ١٩٦٢
- الأرواح الشاعرة من الشعر الحر الجزائر سنة ١٩٦٧
- ريح الجنوب ـ رواية ـ الجزائر سنة ١٩٧١
- الكاتب وقصص أخرى ـ مجموعة قصص ـ الجزائر سنة ١٩٦٤
- نهاية الأمس ـ رواية ـ الجزائر سنة ١٩٧٥
- بان الصبح رواية ـ الجزائر سنة ١٩٨٠
- الجازية والدراويش ـ رواية ـ الجزائر سنة ١٩٨٣

من كتبه المترجمة الى لغات أجنبية

- ريح الجنوب الى الفرنسية والهولاندية والالمانية والاسبانية وغيرها
- نهاية الأمس الفرنسية والهولاندية والبولونية وغيرها
- بان الصبح الفرنسية والالمانية والهولاندية
- الجازية والدراويش الفرنسية والروسية

● باعتباركم من أوائل كتاب الجزائر الذين كتبوا القصة والرواية الجزائرية باللغة العربية ، لعله من المهم في البداية أن نتعرف على أهم المصادر والمؤثرات التي ترون أنها أسهمت في تكوينكم الفكري والفني سواء في اطار التعليم الذي تلقيتموه في الجزائر ، أو في إطار الثقافة العربية أو الثقافات العالمية ؟

ـ بالنسبة لنوع التعليم الذي تلقيته في الجزائر فقد درست (كجزائري من الريف من قرية الحمراء بجوار المنصورة) الفنون الأدبية التقليدية والعلوم الشرعية ، في ذات الوقت ، كانت هناك مدرسة للتعليم باللغة الفرنسية تابعت دروسها حتى نهايتها ، ثم في فترة تالية سافرت الى مارسيليا في فرنسا والتحقت بمدرسة تقنية ، وحصلت على دبلوم في تحويل المواد البلاستيكية ، وصادف في هذا الوقت ان كانت هناك مسابقة في فرنسا لتكوين مخرجين إذاعيين للعمل في الاذاعة الجزائرية فدخلت المسابقة ، وحصلت على منحة لدراسة الاخراج الاذاعي . وكانت تلك نقطة تحول في حياتي المهنية ، حيث اتيح لي بعد ذلك ان أدرس المسرح وأتفرغ للعمل كلية في مجال الاعداد والاخراج الاذاعي والتليفزيوني .

وبعد الاستقلال عملت بالاذاعة والتليفزيون في الجزائر كمدير برامج فنية ثم تطورت من خلال العديد من المسئوليات الى أن كانت آخر مسئولياتي في مجال العمل هي مستشار ثقافي في الادارة العامة للتليفزيون والاذاعة

ـ بالنسبة لأهم المصادر والمؤثرات في إطار الثقافة العربية ، فلعله من المهم هنا أن أشير الى مكتبة في البيت ، كان ابي احد علماء الدين ، وكانت لنا مكتبة

رساها انا عن حد ، زاخرة بأهم كتب التراث في الدين واللغة والأدب .

وأنفس ما كانت تضمه هذه المكتبة خطابات مخطوطة من ملوك الطوائف في الاندلس الى بعض حكام الجزائر يطلب فيها هؤلاء الملوك من هؤلاء الحكام أن يضموا اليهم في حروبهم التي لم تكن تنتهي ضد بعضهم البعض ، وكانت هذه الخطابات مكتوبة بخط مغربي من أجمل الخطوط ، ومن المؤسف ان هذه المكتبة القيمة أحرقها الفرنسيون أثناء حرب التحرير لأن منطقة المنصورة التي بها قريتنا كانت احدى المناطق المحرمة لعنف المقاومة بها

من خلال هذه المكتبة تعرفت على أمهات الكتب في الأدب العربي القديم والحديث الى ان وصلت لعصر النهضة ، ومع انني نهلت من كتاب عصر النهضة جميعا سواء في المشرق او في المهجر ، وكنت اقلد « ميّ زيادة » خاصة إلا أنني كنت مفتونا بطه حسين ، قرأت كل كتب العقاد والحكيم وغيرهما ، واعجبتُ بهم ولكن اعجابي الأكبر كان بطه حسين

لماذا طه حسين ؟

ـ لأن طه حسين هضم وتمثل الثقافة العربية القديمة وهضم وتمثل الثقافة العربية الحديثة ، وفي داخله تفاعلت الثقافتان من خلال عقل متفتح ، وطه حسين بهذه المثابة يعتبر نموذجا للتواصل الفعال بين القديم والجديد في ثقافتنا ، بين المحلية والعالمية ، ويمثل الحل الصحيح لاشكالية الاصالة والمعاصرة ، والذي قام بمثل دور طه حسين عندنا في الجزائر بالنسبة لتحقيق تواصل فعال بين الثقافة العربية القديمة والثقافة المعاصرة هو الشيخ « البشير الابراهيمي »

الأدب الروسي كان هو الأهم

● ماذا عن تأثرك بالآداب الأجنبية ؟

قرأت تقريبا معظم ماكتبه الأدباء الفرنسيون في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين ، وتأثرت بهم ولكن اعجابي الأشد وتأثري الأقوى كان بالادباء الروس في القرن التاسع عشر ، لقد قرأت هذا الأدب في مرحلة الشباب ولهذا فتأثيره كان عميقا وشاملا ، قرأت ايضا لكتاب كثيرين اخرين مثل توماس مان وفرنسوا مورياك واندريه جيد وهمنجواي والبرتو مورافيا وجان جينيه وسيمون ديبوفوار ، ولكن قراءتي هؤلاء كانت قراءة ناقدة محللة ولا اظن أن تأثيرها تجاوز الجانب العقلي في نفسي الى الجانب الوجداني والروحي الذي يؤثر عليك دون ان تشعر في مرحلة الشباب !

من هم قراؤك ؟

● عندما بدأت تقدم اول عمل روائي لك « ريح الجنوب » باللغة العربية لمن كنت تتوجه بخطابك الروائي ؟ للقارىء الجزائري ؟ وكم كانت نسبة من يقرؤون بالعربية في الجزائر انذاك ؟ أم كان في ذهنك القارىء العربي بعامة لتقدم له صورا من الجزائر وهي تخرج من حرب التحرير وتواجه مشاكل مرحلة الاستقلال ؟ ام كنت تخاطب القارىء في أي زمان ومكان لأنه في داخلك كل الكتاب من كل الدنيا ؟ وهل كان هذا الموقف يمثل مشكلة لجيلكم الذي بدأ يكتب بالعربية بعد أو مع جيل كاتب ياسين ، وحداد وفرعون ، وبوجدره ، وغيرهم ممن كتبوا (وبعضهم لايزال) بالفرنسية وان كانت اعمالهم تترجم بعد ذلك الى العربية

ـ حين بدأت اكتب بشكل عام كانت نسبة من يعرفون العربية حوالي ٦٪ من الشعب الجزائري ، وحتى تعرف ان المشكلة لم تكن مقصورة على من يعرفون العربية ، فان من يعرفون الفرنسية آنذاك من الشعب الجزائري كانت نسبتهم لا تزيد عن ١٠٪ ، وهؤلاء هم الذين كنا نسميهم المثقفين تجاوزا فلم تكن معرفة الكثيرين منهم تزيد عن الالمام بالقراءة والكتابة والمعارف العا...

بدأت الكتابة في الخمسينيات بأقاصيص صغيرة في الجرائد. الكتابة الحقيقية بدأت بعد الاستقلال. لماذا لم تصدر الرواية العربية في الجزائر الا في السبعينيات ؟؟ لأن وجود مثقفين بالمعنى الحقيقي وكتاب للرواية بمعناها الفني الحقيقي لم يكن ممكنا قبل ذلك، فهؤلاء المثقفون كانوا أساسا قلة قليلة، وكانوا الى جوار ذلك مدعوين للقيام بمهام أخرى أكثر الحاحا أثناء الثورة، ولأن كتابة رواية فنية بالمعنى الحقيقي كان يحتاج درجة من التفرغ والوقت لم يكونوا يملكونه، ولأن قطاعات عريضة من قراء العربية في الجزائر لم تكن قد وجدت بعد. الكاتب لا يكتب في المطلق او المجرد، ولكنه يكتب من واقع مجتمع محدد له مشاكله وظروفه، ليسهم في تطويره، ويعمل من خلال كتاباته على ازالة العوائق امام هذا التطور، وهكذا فانني كنت انطلق من شعوري بمشاكل الانسان الجزائري أولا، ثم الانسان العربي في الوطن العربي، ثم الانسان في العالم، وفي الواقع فان هذه الدوائر ليست منفصلة، بل هي متداخلة وفي الرؤية الاعمق هي متصلة، فمشاكل الانسان الجزائري هي مشاكل الانسان العربي قد تختلف في الدرجة او المدى، ولكن تناولها بصدق وبصيرة يجعلها تعني كل عربي بل كل انسان في العالم.

ربما يبدأ الكاتب تحت تأثير تفجر الموهبة بتقليد غيره من الكتاب في عصره وفي موطنه، اولمجرد التعبير عن ذاته، ولكنه حتما ومع الوقت والنضج يصل الى نقطة الشعور العميق بالمسئولية، الى اكتشاف ان الاخرين هم أيضا جزء من ذاته، وأن اي تطور في وعيه بذاته لابد أن يرتبط بتطور وعيه بالاخرين ومشاكلهم، وان عليه لكي يقدم رؤيته الفنية الخاصة لمشاكل وطنه وأمته بصدق أن يتسلح بأكبر درجة من الخبرة والمعرفة الموضوعية بهذه المشاكل.

ريح الجنوب

● «ريح الجنوب» هي روايتك الأولى، وأظن طبعتها الأولى صدرت في أوائل السبعينيات، وهي تصور احداثا تقع في سنة ١٩٦٤ أي بعد الاستقلال بعامين
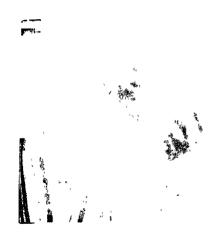
حول هذه الرواية التي تمثل كل شخصية فيها قطاعا أو فئة من المجتمع أود ان أبدأ بطرح سؤالين

أولا: لقد صورت بدقة وفي مساحات واسعة شخصية «عابد» الاقطاعي، وشخصية العجوز رحمة و«رابح» الراعي، لكن من ناحية اخرى كانت شخصية «مالك» الثائر أقل مساحة وربما أقل حضورا وفعالية، بل كانت اقرب الى السلبية اذا قيست بشخصية «عابد» الاقطاعي في ايجابيته وهو يكافح ضد التيار، ولعلنا نسجل الملاحظة ذاتها عن شخصية «نفيسة»، التي عادت في نهاية أحداث الرواية المأساوية الى بيت ابيها شبه حائرة شبه عاجزة بعد ان فشل مشروع هروبها منه

ماتفسيرك لهذه الملاحظة اذا وافقت عليها ؟

ثانيا: ألا ترى أن فشل مشروع رواج مالك الذي يمثل الثورة من «نفيسة» التي تبدو وكأنها تمثل المستقبل، يمكن أن يوحي بشيء من الخوف، وعدم الثقة في المستقبل ؟

- اردت في هذه الرواية أن أتناول قضية «الأرض» و«المرأة» الأرض لا تتحرر بمحـ

ستقلال وطرد المستعمر ، فبقاء الاقطاع يعني مرار شكل من اشكال الاستغلال والسيطرة
تحرير المرأة لا يتم بمجرد صدور عدة قوانين تعلن ... او بمجرد ذهابها للمدرسة ، تحرير المرأة يتم من ... ل تغيير الاوضاع الاجتماعية ذاتها ، وهذه عملية ... لة وشاقة،انا اردت ان اوضح العلاقة الجدلية بين حرير الارض وتحرير المرأة ، وان ادعاء تحرير المرأة مع ... علاقة الاقطاع لا يمكن ان يثمر حرية لا للمرأة ولا ... رجال

مشروع زواج « مالك » من « نفيسة » كان من ضروري ان يفشل ، لأنه لم ينبع منهما ، وانما جاءت فكرته من الأب ، الذي لم ير في ابنه سوى مجرد وسيلة للاحتفاظ بالارض

و جعلت « نفيسة » تنجح في زواجها من شيخ ... لبدية البائر لأوهمت القارئ ، ان قضية المرأة حلت ... بر صحيح . ولو نجح مشروع هروبها خالتها في الجزائر لاوهمت القارئ ، ان الهرب يمكن ان يصبح حلا . وهذا بالقطع مالا اريده

قضية المرأة قدمت على مستويين ، مستوى العجوز ... وهي تمثل المرأة في الماضي ، بل لعلها تمثل ... حرير القديمة التي تعرض للتغيير ، وهي شخصية ... تبنة جميع القيم الأصيلة المستمرة ، مثل تقديس ... عمل ، وحب الحياة ، وتحمّل كل شيء من أجل استمرارها ، انها تصنع الفخار وهو مادة الحياة ... ولى ، ودائما تفكر تصنع انية لم تصنع من قبل ، ... تموت قبل ان تصنعها ، ومستوى التلميذة ... التي تفقد بعض صفات العجوز رحمة ، قبل ... صفاتها الجديدة التي تصطدم دائما ... متل زواج لاتختاره مع انه قد يكون صحيحا ، اردت ان اقول ان المستقبل لا ينبغيه ... العلوية ، القرارات يجب ان تنبع من ... الناس الذين تمسهم هذه القرارات ...

... الى سؤالك الاساسي عن ... الكبيرة التي احدثتها شخصية الاقطاعي ... العجوز « رحمة »
... « الاقطاعي شخصية متبلورة وقوية ... وقفا جذور،وهي في ذلك مثل شخصية ... « رحمة » كلاهما يعرف ما يريد ، ويملك

وسائله . ويسعى بقوة لتحقيقه وقد ينجح او يفشل ، لكن شخصية « مالك » بعد الثورة كانت تواجه مرحلة غموض في الرؤية ، الثوار أثناء حرب التحرير كانوا جميعا رغم اختلافاتهم الفكرية يتفقون على هدف محدد هو تحرير الارض من المستعمر . بعد الاستقلال مباشرة ، اختلف الوضع ، فكل مجموعة من الثوار ربما كان لديها تصور مختلف لمستقبل الجزائر

« مالك » لم يكن يستطيع ان يفعل شيئا ، كان يعيش حالة انتظار وترقب بعد الانتقال المفاجئ ، من ضراوة الحرب الى هدوء سلام غير واضح المعالم،غير واضح الاهداف ، اما بالنسبة لنفيسة فهي ايضا تمر بمرحلة تغيير كبير وعجز عن الرؤية ، انها تسافر الى الجزائر لتدرس فترى حياة جديدة ، وتتعلم افكارا جديدة ، وتتوهم انها قد أصبحت بالفعل حرة ، ولكنها حين تعود في الاجازة ، وتجد أباها يعد كل شيء لتزويجها من شخص لا تعرفه تكتشف انها كانت تعيش في وهم كبير   وتتخبط في كل محاولات الخلاص   لأنها لا تعرف كيف يكون الخلاص

البطل الايجابي عندي ليس هو المتفائل الساذج،او الذي يريح،بل هو الذي يثير القلق ، ويفشل حين تكون الظروف الموضوعية تحتم الفشل

خلل في الايقاع

● لي ملاحظة أخيرة على الجزء الأخير من الرواية ، فالرواية تبدأ وتستمر خلال إيقاع هادىء ، ونسيج دقيق محكم ، يتم بأناة وصبر ، ويربط النتائج بالاسباب ويحكم قبضته على أدق التفاصيل والخلجات ، ثم فجأة قبيل النهاية يسرع الايقاع منذ لحظة هروب نفيسة ، وتتوالى الاحداث التي تلعب فيها المصادفات دورا في شكل « ميلودرامي » مثل لدغة الثعبان والظهور المفاجيء للراعي ، ثم الاختفاء في بيته ، وتهجم الاب عليه ، الى حد محاولة القتل . ويصحب هذا كله تبدل في سلوك الام الخرساء ضد نفيسة التي كانت

تعاملها بحنان مع انها صحية مثل ابنها تماما
ألا ترى ان هذا يحدث نوعا من الخلل في بناء الرواية ؟

- هدوء الايقاع في معظم الرواية كان ينسجم مع الحياة في الريف حيث تقع أحداث الروايه ، والهدوء في الريف في الواقع هدوء مظهري ، مجرد قناع ، وحين يسقط القناع تحت تاثير تطور الأحداث يظهر العنف الكامن ، لقد كان « عابد » يعرف طوال الوقت كيف يحمي حقيقة أهدافه ، ولكن حين أصبحت فضيحة « هروب ابنته » ووجودها في بيت الراعي « حديث الناس تحول الى وحش غير قادر على السيطره على نفسه ، هذا يحدث حتى الان في ريف الجزائر

ربما كان في حادث « لدغه الثعبان » لنفيسه اثناء محاولتها الهروب » شيء من المصادفه ، وفي ظهور الراعي كذلك ، لكن اليست المصادفه جزءا من الواقع ؟ الا تحدث في حياتنا فتكون حسنة او سيئة ، على اني قد مهدت لحادثة الثعبان ، بظهور ثعبان في البيت تحت الاريكة للتنبيه الى ان المنطقه تكثر فيها ا عابين !

ومهدت لظهور الراعي المفاجيء بانه قد ترك الرعي الى مهنه حطاب ليكون في ظهوره في تلك اللحظة شيء من الطبيعية ، « الراعي » و « امه » كانا يتميزان برقه القلب والانسانية بكل مدلولاتها ، وكان ذلك يحدث حين لا يتهدد الخطر شخصيتهما ، ومع ذلك فلعلك لاحظت ان الراعي لم يصر على مواجهه « عابد » مع أنه أقوى منه جسديا لكن الام هي التي تحولت الى ما يشبه الوحش للدفاع عن ابنها ، ثم بعد ذلك تحول حتى موقفها من نفيسه

بالنسبة لنفيسة ، أين يمكن أن تذهب بعد هذا كله ؟ لم يكن امامها سوى ان تعود الى بيت ابيها ! كان يمكن ان اجعلها تذهب الى حيث يجلس اهل القرية ، وتعلن لهم كل شيء بشأن ابيها ، كان يمكن ان اجعل منها « اسيحونا » العصر الحديث ؟ لكن كل هذا يكون ضد الصدق ، وما يحتمله الواقع بالنسبة لنفيسة وريف الجزائر معا !

الجازية والدراويش :

● دعنا نقفز فوق عقد من الزمان لنصل الى أوائل الثمانينيات حيث صدرت روايتك الهامة « الجازية والدراويش » في هذه السنوات حدثت تطورات هائلة في مجتمع الجزائر . وبطبيعة الحال انعكس هذا على أدبك الروائي،فالغموض الذي كان يحيط بموقف « مالك » الثائر بعد الاستقلال في رواية « ريح الجنوب » يتحول في رواية الجازية والدراويش الى صراع واضح المعالم بين تيارين في الجزائر ، التيار الذي تمثله شخصية « الاحمر » الطالب ومن معه . ولنقل انه اليسار ، والتيار الذي يمثله « الدراويش » ومن يلوذ بهم كالزراع والرعاة ومن يستخدمهم « كالشامبيط » ولنقل أنه اليمين ، ولقد حدث هذا الصراع في اطار محاولة الدولة بناء سد مكان قرية،وظهور الحاجة الى اقناع الاهالي بمغادرة قريتهم القديمة الى قرية جديدة تبنيها الدولة ليمكن بناء السد

ان الرواية كما هو معروف تستعرض مراحل وأساليب هذا الصراع بين الاحمر ومجموعة الطلاب من ناحية،وهم من يدعون الأهالي الى مغادرة القرية وبين الدراويش ومجموع الزراع والرعاة وهم من يتمسكون بالبقاء في القرية ، وتعبر الرواية أدبيا وفنيا عن طبيعة هذا الصراع ، من خلال موقف كل هذه الشخصيات والمجموعات من شخصية « الجازية » التي تمثل الجزائر

هذه لمحة سريعة عن الرواية ننطلق منها للحوار حولها

يلاحظ القاريء أن بناء هذه الرواية يقوم على اساس صغيرة مجدولة من زمنين الزمن الحاضر ويعبر عنه صوت

« الطيب ابن الاخضر » وهو في السجن ، والرمز الماضي ويعبر عنه صوت « عايد بن السايح » وهو عائد من المهجر الى قريته ، كل صوت يروي فصلا من الرواية على التعاقب ، وقد حقق هذا البناء انجازا فنيا هائلا فقد كنت تدخل بالماضي في وقت معين ليفسر بطريق غير مباشر اشياء في الحاضر ، ويكسبها دلالات اكثر عمقا وثراء ، وايضا فان هذا البناء كان يوحي بأن الماضي يسري في الحاضر وانه لافكاك بينهما ، وان علينا لكي نتقدم ألا ننفصل عن الماضي تماما بل يكون تقدمنا ارتقاء ونموا من افضل نقاط الانبعاث في هذا الماضي هل توافق على هذا التفسير ؟؟

ـ اوافق تماما ، علماء الاجتماع يقولون ان [illegible]الماضي يشكل ٧٠/ من الحاضر ، فانا حتى قبل أن [illegible] مادمت جزائريا من مواليد المصورة فسأكون [illegible]نا ومسلما ، وسيكون مصيري مصير بلد عانى [illegible]لاستعمار ، وينتمي الى العالم الثالث ، وسانتمي [illegible] الى العروبة والاسلام والى حضارة حوض [illegible] الابيض، وجغرافيا الى الشمال الافريقي [illegible]

[illegible]عود الى ملاحظاتك على بناء الروايه ، قبل رواية «[illegible] والدراويش » كنت اكتب بطريقة تقليدية الى [illegible] ما ، مراعيا ان ذلك ربما كان اكثر ملاءمة [illegible] الجزائري في تلك المرحلة، وقد كان بعض [illegible] يظنون ان ذلك قصور مني ، كما ان هناك من [illegible] اللغة العربية بأنها لا تمنح الفرصة للاساليب [illegible] في صياغة او بناء الرواية ، ولقد احسست ان [illegible] اللغة العربية يمكن أن توفر قالبا حديثا ، [illegible] ان لم يتفوق ـ على الرواية الحديثة في اوروبا ، [illegible]ية الحديثة في أوروبا رغم تقدمها في الشكل [illegible] موضوع أو الى قضيه اما انا فأكتب رواية [illegible]مل قضية ، تقرأ مثلا روايات « آلان روب [illegible]» و « ناتالي ساروت » ماذا يريدون ان يقولوا ؟ [illegible]لا تخدم قضية ، رواياتهم تعبر عن رفض

وملل وعدم انتماء ، نحن أبناء ظروف مختلفة ، ولدينا طريقة تفكير مختلفة ، نحن نعتقد ان الانسان مسئول في كل فترة من فترات حياته ، مثلنا الأعلى ليس نقطة تفصلنا عنها مسافة لابد ان نقطعها لكي نصل اليه ،

بل ان المسافة عندنا جزء من ذلك المثل الأعلى وطريق اليه ، فنحن مسئولون في كل المراحل وسعداء بكل جزء نقطعه من تلك المسافة ، مهما يكن قصيرا ، وفي الواقع انني ايضا احسست ان اسير بطريقه هذا البناء في الرواية الى هذا المعنى من بعيد الى جوار الهدف الاساسي الذي اشرت أنت اليه ، وهو تفسير الحاضر بالماضي وتداخلهما

شيء اخر أود ان اشير اليه يتعلق بطريقة بناء هذه الروايه ، فهذه الطريقه ايضا تجعل الرواية اشبه بلوحه مكونة من خطوط متوازية ، ومتقاطعة وتتداخل الخطوط والالوان مع نمو الروايه حتى تكتمل اللوحة ، وكما أن مُشاهد اللوحة يراها كلها في لحظه واحده بدايتها ونهايتها فان قارىء هذه الروايه يلتقي بنهايتها في البداية كما نجد نفسه في نهايتها ومن خلال هذه النهاية يزداد فهما ووعيا بالبدايه

كل هذا تعبير عن التداخل بين الماضي والحاضر وقد كان هناك تداخل أيضا بين الواقع والاسطوره فالجازية التي هي جزء واقعي في تاريخ الجزائر تحولت في الرواية الى اسطورة ، واذا كانت صورة « الحضْرة » التي حدثت خلالها المواجهه بين الاحمر والدراويش من خلال الذكْر ، ولعْق المناجل المحْماة قد احدثت شكلا رمزيا وأسطوريا معا ، فان كل عناصر هذا الموقف وأجزائه واقعية ، مستمدة من تقاليد القرى ، ولكن تجميعها وتوظيفها في لوحة شاملة للتعبير عن طبيعة المواجهة بين « الأحمر » و« الدراويش » هو الذي ارتفع بها الى مستوى الاسطورة والرمز

الجيل الذي يرث الجزائر :

● أود ان اشير الى ما رأيته كقارىء لهذه الرواية من انعكاسات لهذا البناء المزيد على المضمون ذاته، لقد رأيت

« الأحمر » من خلال « الدراويش » كما رأيت « الدراويش » من خلال « الأحمر » ، وقد ادى لي هذا التقابل أن اكتشف انه رغم المسافة الهائلة بينها والتي حولت الحوار الممكن بينها الى مواجهة مستحيلة،اكتشفت ان الاحمر يحمل الكثير من سمات الدراويش كما ان الدراويش يحملون الكثير من سمات الاحمر فهم مثله ثوار سمحوا لطاقاتهم الروحية ان تتمرد على اليومي والمألوف ولكنهم تركوا هذه الطاقات تنساب في مسارب خاطئة ، ولم يعرفوا ماذا يفعلون بها ؟ كما ان الاحمر يصدر عن ذات الطاقة الداخلية الهائلة ، ورغم اسلوبه العلمي والعملي الا انه كان مثلهم مندفعا امام هذه الطاقة الهائلة (الدرويش في داخله) حتى انفصل عن قومه وفقد اللغة المشتركة معهم بسبب يقينه القاطع بانها لم تعد لغة العصر ، وفي النهاية يلتقي هو والدراويش في سمة واحدة مشتركة هي الانفصال عن واقع القرية،والعجز عن الحوار مع اهلها،ولقد بدا من بناء الرواية ومن الطريقة التي تتفاعل بها الشخصيات الثانوية فيها ان هذه الشخصيات وهي شخصية « الطيب ابن الاحمر » و « عابد بن السايح » و « حجيلة » و « صافية » هي التي سترث « الاحمر » و« الدراويش » معا ، وسوف تصنع مستقبل الجزائر لان هذه الشخصيات كانت طوال الوقت تزداد ادراكا للهوة التي تفصل بين الاحمر والدراويش واهل القرية ، وتبحث عن اللغة المشتركة ، وتدرك ان المستقبل لابد ان يكون ثمرة لحوار حقيقي بين الماضي والحاضر،بل ان شخصية صافية التلميذة التي كانت رفيقة الأحمر تصبح هي البديل الواقعي لشخصية الجارية الاسطورة وتقف الى حوار الطيب في السجن لتكون رفيقة رحلة الى المستقبل وهو الذي كان مخطوبا للجارية في بداية الرواية

• هل توافق على هذا التفسير ؟؟

ـ كنت لا أحب أن اريد كلمه على ما قلت ، فقد تحدثت بدقة عما كنت أرمي اليه ، وكل ما يمكن اضيفه هو تاكيد لما قلت ، فالشجرة لا تهرب من عروقها،والأنظمة مهما كانت جدة وتقدمية يسعى ان ينسجم مع المجتمع الذى تعيش فيه ، ان قطع مجتمع عن روابطه وصلاته لا يمكن ابدا ان يودى الى الخير ودعنا نواجه الحقائق ، لماذا لم تنجح الاشتراكية بمعناها الماركسي في الأقطار العربية ؟ لانها لم تأخذ بعين الاعتبار مقومات المجتمع الروحية وتقاليده القوميه المجتمع التقليدى العربي ليس كله رجعيا ، نستفيد من تجربة العالم المعاصر دون استعلاء على تجارب فضمن هذه التجارب ما يمثل نقاط انبعاث هامة يمكن ان ننطلق منها،وأن نضيف اليها من التجارب المعاصرة !]

●

كلمات مضيئة

● يقول النبي صلى الله عليه وسلم

لن تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به

والثورة العلمية والتقنية

بقلم : مصطفى طيبة *

« لم يعد العلم انجازا مجردا ينفصل عن الحياة والمصالح والأطماع ، فقد أصبحت تجربة المعمل جزءا من لعبة السياسة ، وصارت الاكتشافات أداة من أدوات تكريس تفوق البعض ، أو قهر البعض الآخر »

من المعروف تاريخيا أن انتشار المثل الأعلى للحرية ارتبط ببداية الثورة الصناعية الأولى ، واستغلال الانسان للطبيعة على أساس الفهم الصحيح لقوانينها ، ذلك أن انطلاق الثورة الصناعية ارتبط أشد الارتباط باكتشافات العلم الحديث ، منذ القرن السابع عشر ومن هنا تبرز العلاقة الوثيقة بين التطور العلمي وبين توسيع نطاق مفهوم الحرية ، ليشمل علاقة الانسان بالطبيعة من ناحية ، وعلاقته بالمجتمع والدولة من ناحية أخرى ، فالعلم قوة تحريرية كبرى ، تحرر الانسان من الجهل والخرافات ، ومن التسليم بسلطة سياسية تستمد أسسها من الحق الالهي ، بعيدا عن إرادة البشر

لذلك فإن العلاقة بين العلم والحرية تطرح داخل نطاق مستويين متلازمين ، هما أثر الحرية على الطاقات الابداعية للعلماء ، وأثر نتائج هذا الابداع العلمي على توسيع نطاق حرية الانسان

فمنذ بداية عصر النهضة ، وظهور البوادر الأولى للمنهج العلمي ، برزت العلاقة الطردية بين العلم والحرية ، واكتشف الفكر الانساني أن التقدم في أحدهما ، يؤدي إلى تقدم الآخر فلم تكن الكشوف العلمية التي توصل إليها كوبرنيكوس ، وكيلر ، وجاليليو ، ونيوتن ، تعني مجرد بداية عصر جديد في تاريخ العلم ، إنما تحمل في طياتها تحرير الانسان أيضا من خرافة الاعتقاد بأن الأرض هي مركز الكون ، وأن هذا الكون يدور حولها ، ويخضع لسلطانها

ولاشك أن تقدم العلم التطبيقي أو التقنية ارتبط بتصاعد النضال من أجل الحرية السياسية ، فحركة المطالبة بتعديل قوانين الانتخابات البريطانية حققت أعظم نجاح لها عام ١٨٣٢ - أي في نفس الفترة التي اتسمت بتطور العلم والتقنية - أثناء انطلاق الثورة

---

* وصحفي مصري صدرت له أربعة كتب بينها رواية وكتابان في الأدب السياسي

الصناعية ، أو لنقل المرحلة الأولى من الثورة العلمية والتقنية المعاصرة

ثورة لتحرير الانسان

لم تكن الكشوف الفلكية تحدث بمعزل عن الكشوف الطبية ، والاجتماعية ، والعديد من الميادين العلمية الأخرى ، ففي نفس الوقت الذي كان (جاليليو) في ايطاليا يصوب تلسكوبه نحو السماء ، ويكتشف بعض أقمار كوكب المشترى ، كان (فان لوفينهوك) في هولندا ينظر من خلال مجهره الصغير إلى هذه الكائنات الحية ، المتناهية في الصغر ، وهي تتحرك في الماء ، وكان هذا أول الطريق المؤدي إلى اكتشاف عالم الميكروبات ، وعلاقتها بالأمراض ، وتحرير الانسان من خرافة الأرواح الشريرة ، المسئولة عن الامراض

وكان الفلاسفة والمفكرون يركزون أبحاثهم حول المجتمع ، والدولة ، ويحاولون إنزال القوانين التي تحكم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة من السماء إلى الأرض ، باعتبارها علاقة « تعاقدية » يجب أن تحكمها أسس عقلانية مفهومة وذلك يعني أن سعي العلم لمعرفة قوانين الطبيعة من حولنا ارتبط بالبحث عن الظواهر المسئولة عن الأمراض ، والبحث عن أسس جديدة تحدد علاقة الفرد بالمجتمع ، من منطلق تحقيق الحرية

ومع كل تقدم علمي جديد كان هناك تقدم في ميدان الحرية التي تزيل المزيد من القيود أمام حرية البحث العلمي ، بوجهيه النظري والتطبيقي ، وتطلق المزيد من الطاقات الخلاقة عند المبدعين في شتى الميادين وكان لهذا الارتباط ، آثاره العميقة في العلاقة بين المطالبة بالحريات الديموقراطية وبين تقدم العلم ، ذلك لأن الحرية والعلم ـ في أعلى صورهما ـ (ديموقراطيان)

لكن الثورة العلمية والتقنية المعاصرة ـ أو لنقل المرحلة الثانية أو الثالثة من الثورة الصناعية التي انفجرت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ تعيد طرح هذه القضية من جديد ، وتدفع بالكثير من العلماء والمفكرين إلى طرح سؤال مهم هو هل **مازالت ثمار العلم والتقنية تستخدم لتحقيق المزيد من الحرية للانسان ، أم أن جانبا من هذه الثمار يتجه نحو « تهميش » هذه الحرية ، لسيطرة أقلية ضئيلة من البشر على مصير التوجهات الرئيسية للعلم والتقنية ، بما في ذلك إمكانية تهديد الجنس البشري بالفناء الشامل ؟**

تطور لمسخ البشر

لنترك الحقائق النابعة من الدراسات الحديثة تجيب عن هذا السؤال يقول الكاتب الأمريكي « فانس باكارد » في كتاب « المشكلون لسلوك الشعب »

« من الممكن استخدام معارفنا المتطورة لاستعباد الناس ، بطريقة لم يحلم بها أحد من قبل ، بإلغاء شخصياتهم المتميزة ، والسيطرة عليهم بوسائل يتم اختيارها بعناية ، بحيث لايدركون أبدا أنهم فقدوا شخصياتهم »

وأول ميدان حقق نجاحا مذهلا في هذا المجال يتمثل في الاعلان ، فلم يعد الاعلان مجرد قوة خطيرة ، لكنه يتحول إلى سلطة اجتماعية في العالم الغربي ، تؤثر في إرادة الناس ، وتدفعهم الى سلوك استهلاكي ، لايعبر عن احتياجاتهم الحقيقية والحقائق التي يستند إليها (فانس باكارد) تدعو الى العجب والتأمل ، فالمواطن الأمريكي في سن ١٨ عاما ، قد شاهد وسمع ١٨٠٠ ساعة إعلان تجاري في التلفزيون ، فضلا عن الاعلانات الاذاعية ، والملصقات ، والأضواء والمعلنون ينفقون سنويا أكثر من ٤٠ ألف مليون دولار ، أي ٦٠٠ دولار لكل عائلة ، مقابل تشكيل عادات المستهلكين واتجاهاتهم

في هذه الصناعة الرهيبة ، المسئولة عن « تنميط » الناس وتشكيلهم ، يعمل الآن أعظم خبراء الاجتماع وعلم النفس ، والاتصالات ، والكثير من التخصصات الأخرى

* * *

وخطورة الاعلان تمتد إلى تحويل الأجيال الجديدة من البشر إلى مستهلكين بلا وعي أو حرية يندفعون إلى شراء « المفروض » عليهم ، ...

اتجاهاتهم السياسية وفقا « للقوالب » التي تختارها القوى المسيطرة على ثمار الثورة العلمية والتقنية ، وبخاصة ثورة الاعلام المعاصرة والنجاح الذي حققه خبراء الاعلان امتد بسرعة إلى عالم السياسة ، بحيث أصبحت معارك انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة تجرى بين فريقين من خبراء الدعاية والاعلان ، لايعرف الجمهور منهما أي شيء ، كل فريق يقف مع أحد المرشحين وتمارس السلطة داخل المجتمع ، الهيئات الاقتصادية والمالية المسيطرة على ثمار العلم والتقنية

ففي نظام تلعب فيه المؤسسات الصناعية والمالية الكبرى الدور الرئيسي،يصبح الحديث عن المساواة في الحقوق السياسية - على الأخص حق التقدم لخوض معركة الرئاسة في الولايات المتحدة - أسطورة تثير السخرية ، فلا حظ لأي مرشح في أن ينتخب إذا كان مغضوبا عليه من جانب القوى المسيطرة على الاقتصاد ووسائل الاعلام ، فالدعم المالي أصبح العنصر الرئيسي في المعارك الانتخابية

فقد كلف انتخاب الرئيس الأمريكي نيكسون عام ١٩٦٨ ، مبلغ ٢٩ مليون دولار ، تبرع بها من يريدون نيكسون لخدمة مصالحهم الاقتصادية بالدرجة الاولى ، أما انتخاب الرئيس ريجان عام ١٩٨٤ ، فقد احتاج إلى أكثر من ٤٠ مليون دولار ، خصص منها ٢٥ مليون دولار للدعاية في التلفزيون وذلك يعني أن انتخاب المرشح بأغلبية الأصوات يحتاج أولا إلى انتخابه بأغلبية « الدولارات »

في عصر سيطرة الاعلام على عقول المواطنين تنكمش - إلى حد كبير - المعارك التقليدية بين المرشحين حول البرامج المطروحة أمام الناخبين ، ويصبح لمظهر المرشح وأسلوبه تأثير أكبر من أفكاره وتاريخه في العصر التليفزيوني ، وقد يخسر المرشح الذي يهتم بنقل وجهات نظره أكثر مما يهتم باللون الذي سيبدو به قميصه على شاشات التلفزيون وكما قالت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أثناء معركة انتخابات الرئاسة ، ان ريجان عند تسجيله لبرنامج دعائي في التلفزيون كان يستقبل هناك بعبارات مثل « ها نحن على استعداد سيدي الرئيس ، فقد وصل أفراد الطاقم بالكامل ، فهناك المخرج الدرامي ،

للقالب الفولاذي الذي صاغ سلوكهم ، والذي صنعه مخططون ، يسيطرون على إمكانيات تقنية وعلمية ، بعيدة عن متناول الفرد العادي وفي تقرير حديث للجنة التجارية الفدرالية الأمريكية يبرز الكثير من الحقائق التي تتحدى الخيال ، فالطفل الذي يتراوح عمره بين ٥ سنوات و ١٢ سنة يحملق في التلفزيون فترة تصل الى خمس ساعات يوميا ، يشاهد خلالها ٥٠ إعلانا تجاريا ، أي بمعدل ١٢ ألف إعلان سنويا صور وكلمات هذه الاعلانات تملأ مخ الطفل بكمية من المعلومات ، تزيد عن كمية المعلومات التي تصله عن طريق التعليم ، بل إن المعلومات الاعلانية المقدمة في صور وأغان وأصوات وحركات جذابة تحتل مكان الصدارة في مخ الطفل ، وتسيطر على خياله ، وأحلامه وتقول نفس الدراسة إن وكالات الاعلانات الضخمة تخصص ... اسة كبيرة لتشكيل الأجيال الجديدة و ... نمطها »

نحن نصنع حياتك

...رة الاعلانية على المستهلكين لاتنفصل عن ... السياسية على عقول الناخبين ، وتشكيل

وأستاذ في الخطابة ، ومدرب المناظرات التليفزيونية ، وأحصائي التجميل » ، هذا هو الطاقم المطلوب قبل المناظرات السياسية التي تعتمد على براعة المتناظر وأناقته وخفة دمه أكثر من اعتمادها على أفكاره ، وفلسفته السياسية ، او الاقتصادية

قهر لاينتهي

استطاعت أدوات الثورة الاعلامية والاعلانية إحداث تغيير عميق في اتجاهات الرأي العام الأمريكي ، وبخاصة بين قطاعات الشباب التي كانت توصف باليسارية والراديكالية ، في مرحلة الستينيات ، وبداية السبعينيات ، لمواقفها النضالية ضد التدخل الأمريكي في فيتنام ، وسعيها لوضع نهاية لبقايا التمييز العنصري ، ولوقوفها ضد دور الولايات المتحدة « كشرطي » يستخدم عصاه الغليظة ضد أي بلد يتمرد على نمط الحياة الأمريكي

هذه القطاعات الشابية ساندت ريجان ، بعد أن تحولت إلى الفكر المحافظ الذي يحمله ، بفضل أجهزة الاعلام التي استطاعت ترويضها ، والسيطرة على عقولها

وقد كان أحد المرشحين على حق عندما قال ، لقد خسر كل مرشح عرف بأنه (مرشح قضايا) وهكذا يؤكد التاريخ الأمريكي الحديث أنه لاتوجد قضية تسببت في نجاح أي رئيس ، لان المسألة هي مجرد تنسيق بين السياسة والنفوذ السياسي والاقتصادي فالمعركة الانتخابية الحقيقية إذن لاتجري وفقا لقضايا محددة ، إنما يحدد مصيرها براعة خبراء الدعاية والاعلان ، ومساندة القوى الاقتصادية والمالية

ففي كتاب « بيع الصحف الأمريكية » للكاتب الأمريكي (لوران جليسون) كشف عن حقائق خطيرة ، تؤكد وجود السيطرة الرأسمالية على الصحف في أوروبا والولايات المتحدة يقول الكاتب « كان في الولايات المتحدة ١٧٠٠ صحيفة اقليمية محلية ، تصدر وتوزع في الولايات المتحدة والمدن الصغيرة بها ، أما الصحف الفدرالية فمحدودة ، لاتتجاوز أربع صحف أو خمسا ، في مقدمتها « نيويورك تايمز » و « يو اس توداي » ، « لوس انجلوس تايمز » ، و « كريستيان ساينس مونيتور » وأخيرا « واشنطن بوست »

لكن قانون التحول التدريجي من المنافسة إلى الاحتكار - بعد تعاظم نمو الثورة الصناعية - أحدث تغييرا جذريا في الصحافة الأمريكية فمع تقدم التقنية ، دخل القادرون على شرائها وامتلاكها هذا الميدان ، وتحولت الصحافة التي نشأت في القرن الماضي كوسيلة لنشر الأخبار والأراء الحرة إلى مشروع صناعي ضخم ، أكثر انضباطا ، وتوجيها ، وأسرع ربحا وانتشارا ، وأصبحت مشروعا اقتصاديا يرتبط بآلية النظام ، ويستهدف الحد الأقصى من الربح ويحتاج إلى استثمارات هائلة ، وملاحقة مستمرة للتطورات التقنية وكان من الطبيعي أن تشترك هذه العوامل في وضع أصحاب الصحف الصغيرة أمام اختيارات محددة ، مثل امتلاك القدرة المالية لمواكبة التطور التقني ، أو التسليم أمام من يملكون هذه القدرة وهكذا شهدت الفترة (١٩٧٦ - ١٩٨٣) بيع وشراء ٣٥٤ صحيفة يومية ، ٨٨٪ منها اندمج في دور النشر العملاقة

ويؤكد مؤلف الكتاب أن ٦٠٪ من الصحف الا مملوكة بكاملها لدور النشر العملاقة ، والباقي مازال يقاوم ، أو يتحول تدريجيا من الملكية الخاصة إلى اسوار المؤسسة ذات الادارة الحديثة

من أقوى المؤسسات التي اقتحمت هذا الميدان مؤسسة « جانيتي » ، وتملك الآن ٨٩ صحيفة ، فيها « يو اس توداي » أكبر الصحف الأمريكية وأكثرها بريقا

والمركز الثاني يحتله « طومسون » ويمتلك صحيفة ، ثم مؤسسة « دوبري » في المركز الثالث وتمتلك ٤٣ صحيفة ، ثم مؤسسة « ناين تايلور » ، وتمتلك ٣١ صحيفة ، وآخر العمالقة مؤسسة « فريدم » وتمتلك ٢٧ صحيفة والأ لايقف عند هذا الحد

ففي عصر سيطرة أقلية ضئيلة من الناس ، مصادر الثروة ، والسلطة ، والتوجهات الأسا للثورة العلمية والتقنية ، يصبح التحالف والا والاندماج بين مجموعات النشر العملاقة ، و وسائل الاعلام الأخرى ، أمرا مفهوما منطقيا ، المؤسسات لاتمتلك الصحف والمجلات فقط ، تلتهم أيضا محطات الاذاعة والتليفزيون إن مح

ري » ـ مثلا ـ تمتلك محطة تليفريون ، و ثلاث
لات محلية للأنباء ، وست محطات إذاعه ، و١١
لة إعلان

لكل مؤسسة مواقف سياسيه واحتماعية ترتبط
مصالح مجموعات اقتصادية قويه في المجتمع ، ومن
يعمل مع هذه المؤسسات لابد أن يلتزم بمواقفها ، مع
هامش رائف محدود للحرية ، يسمح بالتنوع
« المرسوم » سلفا ، حتى لاتضيع معالم « الديكور »
أمام الجماهير

لست حرا في تفكيرك

في ظل هذه التغيرات تتحول اتجاهات الصحف
تتغير ، بعد اندماجها في احدى دور النشر الكبرى
من الظواهر العادية المألوفة تحول صحيفه عرفت
تاريخيا باتجاهها الليبرالي ، ودفاعها عن الحرية ، إلى
اتجاه رجعي محافظ ، يصفق لغزو « جريسادا » ،
ويستكثر من المديح لنظم القهر والتعذيب في (شيلي)
و (السلفادور) ، و (اسرائيل)

ثم يأتي دور (الكومبيوتر) ، و (بنوك) المعلومات
كتعبير عن نفس الظاهرة ، ظاهرة السيطرة على
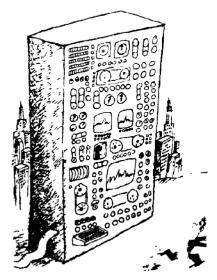
الأجهزة العملاقة المسئوله عن تشكيل أفكار المواطنين « الأحرار » واختياراتهم في أكبر قلاع الحرية للعالم الحر تقول الاحصاءات الرسمية أن هناك بلايين المعلومات المسجلة عن أفراد الشعب الأمريكي ، تتضمن ١٧ معلومه ـ على الأقل ـ عن كل رجل وامرأة وطفل ، ومن أجهزة الكومبيوتر المستخدمة في البنوك وشركات التأمين والتليفونات والسيارات ، وأجهزة الأمن والجيوش وحجزات الفنادق وشركات الطيران ، يمكن الحصول على معلومات تفصيلية عن كل مواطن ، تتيح رصد جميع التحركات ، بل ومعرفه متى يغادر أي مواطن منزله ، وكم مرة يتكلم في التليفون ، ومتى أودع او سحب اخر شيك) من (البنك) ، بل وكم ساعة جلس أمام التليفزيون وكم عدد المرات التي قاد فيها سيارته ، وماهي الأماكن التي اعتاد أن يذهب اليها

والسؤال الذي لابد أن يثار هو ماهو الدور الذي يقوم به (الكومبيوتر) في المعارك الانتخابية الكبرى ؟

والاجابه تأتي من تجربه اخر انتخابات جرت في الولايات المتحده ، فالفوز الساحق الذي حققه ريجان اعتمد بالدرجة الاولى على ما أحرزته ثورة المعلومات ، والأساليب المعقده التي استخدمت في إدارة هذه المعلومات ، للاستفادة منها للوصول إلى عقل الناخب وإرادته من أقصر الطرق وأسرعها ، وبما يضمن استمرار اعتقاده الراسخ بأنه مواطن حر في بلد حر

ففي عصر تتراجع فيه المنافسة بين المرشحين حول البرامج والأهداف والفلسفات ، بل وتتراجع فيه اهتمامات المواطن العادي بالمشاكل السياسية ، تبرز الى الوجود أجهزة عملاقة ، تتنافس فيما بينها ، تحت إشراف أعظم خبراء توجيه اتجاهات الناخبين « الاحرار » وتشكيلهم وقد استخدم الجمهوريون والديموقراطيون هذه الأجهزة للحصول على المعلومات اللازمة والاستفادة منها

في الجداول الانتخابية يوجد قدر هائل من المعلومات عن كل ناخب ، ويسهل تحليلها ، وتشريحها ، وتصنيفها ، وهي تمد القائمين على إدارة

الحملات الانتخابية مما يحتاجونه من معلومات ، مثل أعمار الناخبين ، وأصولهم الاجتماعية ، والعرقية ، وانتماءاتهم الحزبية ، ومواطنهم السكنية ، ومئات المعلومات الأخرى المسجلة في « سوك المعلومات » التي تتكون من أجهزة (كومبيوتر) ضخمة ،

وعندما تصنف هذه المعلومات ضمن نمط معين تنقل إلى أجهزة كومبيوتر أخرى متخصصة ، تضع أمام مديري الحملات الانتخابية صورة دقيقة عن أفضل أساليب التأثير على الجماعات الانتخابية المراد كسب تأييدها ، ليتمكنوا من اختيار استخدام وسائل الاغراء المناسبة وتقديم الوعود لكل فئة بما يتفق مع مصالحها

ثم تأتي المرحلة الثانية التي تتجاوز نطاق البحث والتنقيب ، والتعبئة للمؤيدين ، وحسم موقف المترددين ، لتصل إلى تعقب المنافسين ، ومحاصرتهم ، وكشف أخطائهم ، وتناقضاتهم . وفي هذه المرحلة ، تقوم أجهزة الكومبيوتر بالدور الأول أيضا ، حيث انها تقدم أكثر الأسلحة فعالية ، عن طريق استرجاع الشريط الكامل لحياة كل مرشح الشخصية ، والعامة ، والتصريحات التي أعلنها في مختلف مراحل حياته ، وعدد المخالفات التي ارتكبها أثناء قيادته لسيارته مثلا ، الخ ، وجميع هذه المعلومات تستخدم بعناية لتحقيق الأهداف المطلوبة

من يملك التقنية يصنع للناس عقولا

لكي تكتمل صورة هذه المشكلة ينبغي إلقاء نظرة فاحصة موضوعية ، تقودنا إلى معرفة من يملك أخطر أدوات وثمار الثورة العلمية والتقنية ويسيطر عليها في الولايات المتحدة . منذ سنوات صدر كتاب يحمل عنوان « من يحكم أمريكا ؟ » ، قام بدراساته وتحليلاته مجموعة من الباحثين وأساتذة الجامعات في الولايات المتحدة ، ومن بين الحقائق التي يبرزها هذا الكتاب أن هناك نحو ٥٠٠٠ شخص من بين أكثر من ٢٠٠ مليون أمريكي يحتلون قمم السلطة في القطاعات الثلاثة التي تتركز فيها غالبية موارد البلاد ، وهي قطاع الشركات والمؤسسات ، وقطاع الحكومة ، وقطاع الرأي العام ، الذين يسيطرون منهم على قطاع المؤسسات والشركات في الصناعة والمصارف وشركات التأمين ينحصر عددهم في ٣٥٧٢ شخصا ، هم الذين يقررون ماذا يجب إنتاجه ، وأي أنواع التقنية التي يجب تطبيقها وتطويرها

ومنهم الذين يسيطرون على قطاع الرأي العام ـ من تليفزيون وإذاعة وصحافة ـ ويبلغ عددهم ١٥٥٨ شخصا ، من بينهم من يسيطرون على شبكات التليفزيون الثلاث ، (سي . بي . إس) و (إن . بي . سي) ، و (ايه . بي . سي) ، وهؤلاء يعدون من أقوى الشخصيات نفوذا ، فالتليفزيون هو المصدر الرئيسي للمعلومات ، بالنسبة للأغلبية العظمى من الشعب ، وفي مقدور من يسيطرون عليه التلاعب بحزء واسع من المعلومات ، وتركيز الانتباه على جانب معين من مشكلة بعينها ، أو إقناع الجماهير بأن احتطاف الولايات المتحدة أو « اسرائيل » لطائرات مدنية يعتبر من الأعمال المشروعة ، بينما تصبح نفس هذه العمليات إرهابية دموية تهدد أمن العالم إذا قام بتنفيذها مجموعة يائسة من الشباب ، أو حركة وطنية تريد إسماع صوتها للعالم

آخر قلاع الحرية

لقد تنبأ الكاتب البريطاني جورج أورويل في روايته المشهورة (عام ١٩٨٤) بظهور مجتمع تسيطر فيه أجهزة الاعلام والتنصت على المواطنين ، وتنبأ قبله المفكر البريطاني الشهير هكسلي في كتابه (العالم الجديد) بسيطرة فئة من البشر على مصير البشرية كلها بواسطة العلم ، حيث تستطيع التحكم في أفكار الناس ومشاعرهم ، بل وتسيطر على عملية إنتاج العباقرة في المعامل الطبية . ومع أن هذه التنبؤات متشائمة إلى حد بعيد ، فإن ماينشر الآن عن وسائل التحكم في اتجاهات الرأي العام ، وكسب تأييده ، لأشد من برامج التسلح تهديدا لمصير كوكبنا ، مما يجعلنا نرى أن قدماء المستبدين في القرون الوسطى ليسوا سوى مجرد أطفال رحماء بشعوبهم

إن التطور المثير في ميدان الثورة العلمية المعاصرة لم يقف عند حدود الأجهزة المعروفة ، مثل وسائل الاعلام ، وبنوك المعلومات ، بل وصل إلى حد

ـب في ميدان تطوير أجهزة التلصص ، بحيث أصبحت قادرة على اقتحام حجرة النوم ، وتصوير وتسجيل ما يجرى بداخلها من صور وأصوات ، دون أن يشعر أصحابها بذلك وقد أمكن تصغير (الميكروفونات) المتلصصة على أسرار الناس الى حجم أصغر من رأس عود الكبريت والبحث يجري على قدم وساق لابتكار (كومبيوتر) يقوم بترجمة موجات المخ البشرى ، وتحويلها إلى معان وكلمات ، لمعرفة ما يدور في رأس الشخص المطلوب معرفة أسراره أي أن الحصن الأخير للحرية ، والخصوصية ، المتمثل فيما يفكر فيه الانسان داخل نفسه ، يمكن أن يصبح عرضة للاقتحام

ويجب أن نقف طويلا عند طلب غريب تقدم به عالم الوراثة لوريث جوشو إلى الكونجرس لاعتماد مبلغ ١٠ ملايين دولار لتكوين فريق عمل وطني يتولى السيطرة على الخصائص الوراثية ، وقد عبر عن ذلك العالم الامريكي سكينر بقوله « نحن نحتاج إلى تقنية جديدة لتغيير السلوك البشري ، ولانسان أجيال متفوقة من « السوبرمان » ، تملك الوسائل القادرة على زرع السلوك الذي نريده

هكذا نكتشف اختلال العلاقة القديمة بين العلم والحريه ، نتيجة لسيطرة أقلية من الناس على أهداف البحث العلمي وتوجهاته ، وعلى الانجاز التقني ، والسيطرة على أجهزة الاعلام ، والاعلان ، والمعلومات ، ومراكز الابحاث في الجامعات ، وغيرها ، فقد أصبحت المؤسسات الديموقراطية مجرد هياكل خالية من المضمون الحقيقي ، تنحصر مناقشاتها ، وقراراتها ، واتجاهاتها ، في نطاق المصالح الأساسية للمسيطرين ، ويجري الحوار والخلاف فيها حول أفضل السبل المؤدية إلى المحافظة على مصالح المسيطرين ، وتحويل الغالبية العظمى من المواطنين « الأحرار » إلى كائنات تخضع لمنطق هذه السيطرة ، وتؤمن بحماس غريب بأنها أعظم مخلوقات الأرض تمتعا بالحرية

وذلك كله لايدعو إلى صب اللعنات على العلم والتقنية ، أو استغلال هذه القضية لصالح الفكر المعادي للعلم والديموقراطية ، إنما يدعونا إلى رؤية مخاطر السيطرة على منجزات الثورة العلمية ، وتسخير منجزاتها ضد الحرية الحقيقية ، وضد سلام العالم وأمنه ومن حسن الحظ أن مجتمع (الكومبيوتر) الذكي ، وأجهزة الاعلام العملاقة ، وخبراء تشكيل اتجاهات الجماهير سياسيا وفكريا واستهلاكيا ، لايخلو من الأصوات الواعية المحذرة المندرة ، وتلك ثغرة في إطار السيطرة الخطرة ، يمكن أن تتسع ، وتلتقي مع غيرها من الاتجاهات المتحررة من « القوالب » الصارمة التي تؤثر على عقول المواطنين في العالم بأسره ، لتكون بداية حوار جديد ، قد يسفر عن تكوين هيئة دولية قوية ، تحذر من أخطار استخدام الثورة العلمية ضد الانسان ، وتدعو شعوب العالم إلى اليقظة ، والتمرد على « قوالب » المشكلين لعقول البشر وأفكارهم □

العالم فسيح

● كانت حياة جمال الدين الأفغاني رحلة دائمة ، لا تعرف الاستقرار ، كانت حياته رحلة إلى العلم والعلماء ، وطموحا لتحقيق الأهداف العظيمة ، وقد عبر عن ذلك حين عرض عليه أبوه أن يقيم معهم في مدينته الصغيرة (أسعد آباد) في أفغانستان قائلا إنني كصقر محلق ، يرى فضاء هذا العالم الفسيح ضيقا لطيرانه ، وإنني لأتعجب منكم إذ تريدون أن تحبسوني في هذا القفص الضيق الصغير ! ثم ودعهم وانصرف .

شعر :
ابراهيم نصر الله

لربما يقالُ بعد حينْ
قد جفت الأنهارْ ،
وأنّ زهرَ الدم في عروقنا ما كانْ ،
وأنّ طيرَ الحلمِ في قاماتنا
لا يشبهُ الرجالْ ،
لا يشبه الجبالَ حين تعتلي شواهدَ الوديانْ .
لربما يقالُ
كانَ موتُنا الفراغَ ،
والصدى ،
وكلّنا النسيانْ .
لربما يقالُ
لا مدىً ،
وأغنياتُ الحبِّ في موّالنا
لا لم تكنْ يدا .
لربما يقال
كان يومُنا ارتحالَنا ،
وثورةُ الأطفال فسحة ،
ولم تكن غدا
لربما يقال .
لربما يقال .

* * *

سأستعيرُ من غصونِ اللوزِ خضرةَ البلادْ ،
وأستعيرُ من جذوعِ النخلِ ساريةً ،
وأستعيرُ من غناءِ الطيرِ في الغاباتِ
وردةً ،
ومن سفوحِ الشمسِ مهرةً ،

وساحلاً ،
وبرتقالاً
وأستعير قمحا ،
وأوديةً
وأسألُ الفضاءْ
هل كانت النجومُ قبلَ هذا الدّم عالية ؟ !
وأسألُ الأولادَ ،
والغزلانَ ،
والقطوفَ الدانيةَ .

وسالَ العشقُ في شوارعِ الرصاصِ
في الخلاصِ ،
في اشتعالِ الأغنيةْ ،
هل كانتِ السماءُ قبلَ هذا اليومِ صافيةْ ؟ !
لربما يقالُ ما يقالُ ،
وتغرقُ الصحافةْ
في الوحلِ والبكاءِ ،
أو تُستنطَقُ العرافةْ ،
ما لونُ هذا الدّمِ يا معبودةَ الخرافةْ ؟ !
لربما يقالُ ما يقالُ ،
ويقطرُ الخجلُ ،
من صخرةِ الموتِ الكبيرِ .
من نوافذِ الطيورِ في اندفاعةِ المسافةْ ،
ويسقطُ الصفصافُ كالقاماتِ ،
والبنادقِ المزيفةْ ،
لربما يقالُ
أنتِ الآنَ خائفةْ

* * *

لربما يقال
كانتْ جمرةً ،
لكنها كغيرها تموتْ ،
كطلقةِ الميلاد في تابوتْ .
لربما يقالُ ما يقالُ .
سيهرمُ الورديُّ في البناتِ ،
والبحريُّ في الرجالْ ،
واللوزُ في أصابعِ الصغارِ ،
والبروقُ في التلالْ
يا أيها الجناحْ ،
والصباحْ ،
والوردةُ النبيّةْ ،
أيتها الحريّةْ ،
ربما يقال ما يقال ،
الآنَ يكثرُ النعاةُ ،
الغربانْ ،
يكثرُ الأوطانْ ،

ويتصحّرُ وجهُ المدنْ ،
كأنّ كلَّ حبّةٍ في رملِ هذه الصحراءِ وطن ،
كأنها وطن ،
وهذه يتدفقُ الدماءُ ،
غربةٌ ،
وخارجَ الزمنْ
الآنَ يكثرُ النعاةُ ،
والغربانَ ،
وتسقطُ الظلالُ ،

ويفتحُ البكاءُ شارعاً ،
وتفتحُ السكينُ جثةً ،
وتزدهي العروشُ .
وحينما يرفعُ طفلٌ رايةً
في ساحةِ الاعدامْ
تبدأ السجونُ زحفَها ،
وتعلن استنفارَها الجيوشْ .

* * *

الآنَ نستطيعُ أن نقولَ
حينما يجيئنا رصاصهمْ
تُفتّحُ الأزهارُ ضدَّهم

غناء كل طائرٍ على شباكِ عاشقٍ فناؤهم ،
والنهرُ عندما يميل بالجباهِ عشيةً
منسيةٍ ذبولُهم

الآن نستطيع أن نقولَ للصغار
لا تتركوا الساحاتِ للدمارْ ،
قوموا العبوا ،
فجرأةُ النوّارِ في احتفالكم
هذا الصباح
رعبهم ،

وكلُّ شيء يشبه الحياةَ في ارتفاعكم
سقوطُهم

تولستوي والعرب

بقلم . الدكتور جابر أبي جابر

نهل تولستوي الكثير من معين الشرق بحضاراته وآدابه وفلسفاته ، ودرسها باهتمام وحماس كبيرين

كان الشرق منبعاً لفلسفة الكاتب الروسي العظيم وآرائه ، لذلك وجدناه يبحث في الشرق عن أصالة الروح والفكر والحكمة ولقد تأثر بالشرق وأثّر فيه ، على نحو ما سنرى في هذا المقال

كان الاهتمام بالشرق وحضاراته القديمة وآدابه العريقة ، والتعاطف الحار مع شعوب آسيا وأفريقيا تقليداً نبيلاً ومتأصلاً من تقاليد الأدب الروسي الكلاسيكي ، بيد أن دراسة الحضارات الشرقية،والاتصال بكتّاب الشرق ومفكريه شغلا في حياة تولستوي مكاناً أكبر بالمقارنة مع الأدباء الروس الكبار الآخرين

كان تولستوي أول أديب روسي يعقد صلا[ت] وروابط شخصية مع كتاب ومفكري البلدان الآسيو[ية] والأفريقية ، وكأنه بذلك قد مدّ جسراً حياً بين الثقا[فة] الروسية وثقافة الشعوب الشرقية ، لقد و[قف] تولستوي الى جانب شعوب آسيا وأفريقيا في نض[الها] ضد الاستعمار ، وكان لنداءاته ومقالاته ـ « [ماذا] نعمل ؟ » ، « جرمان » ،« الى الطليان »، « عود[ة] ...

ـ ... » ، « توبوا الى رشدكم ! » ، « رسالة الى الـ ... » ، « رسالة الى هندي » وغيرها من المؤلفات ، التي يعبر فيها عن تضامنه مع الشعوب الشرقية المضطهدة ـ صدى كبير في بلدان الشرق والغرب

دواعي التعاطف

إن تفكير تولستوي بمصير الانسانية ، واهتمامه بالعالم المعاصر له ، حيث تناضل الشعوب المظلومة في سبيل مستقبل أفضل ، قد دفعاه ، مرارا وتكراراً ، الى الالتفات نحو الوطن العربي . فهذه المنطقة اجتذبته بماضيها المجيد ، وبحضارتها العتيقة العريقة ، من جهة ، وحاضرها المرير الحافل بالصراع من أجل الحرية والاستقلال من جهة اخرى . ففي تلك الأيام كان الوطن العربي يرزح كله تحت النير الأجنبي ، وقد أعار تولستوي اهتماما كبيرا لانتفاضات الفلاحين والحرفيين التي اندلعت في بعض أقطار الوطن العربي وتركيا وإيران ، والتي قامت تحت لواء الدين ، وعرفت بالحركة البابية ، ولم يتعاطف مع الجانب الغيبي الصوفي لتعاليم هذه الحركة ، لا بل نقدها بحدة ، ولكنه أيّد الفلاحين وغيرهم من الفقراء المشتركين فيها ، بطموحاتهم الى الحرية والعدالة والسلام . ولهذا ناصر تولستوي أعضاء الحركة المطاردين وبالمقابل قام قادة الحركة في بلاد الشام برعامة عباس الأفندي بالدعاية لآراء تولستوي في أوساط العرب المؤيدين لحركتهم

كانت اتصالات تولستوي المباشرة بالعرب أقل منها بـرجالات الفكر والآداب في الهند والصين ... ، ومع ذلك ، كان في البلدان العربية أناس ... الى تولستوي طلباً للنصح والمساعدة ، وكانوا ... منه التفهم والترحيب الكاملين

... المفكرين العرب الذين أقام تولستوي ... شخصية معهم مفتي مصر الامام محمد ... وكان الامام قد بعث رسالة الى تولستوي عن ... الناقد الفني الانجليزي سيدني كوكريل ، ... هذه الرسالة مفقودة حتى الآن ، ولكن يتبين ... تولستوي الجوابية أن مفتي الديار المصرية ... رسالته عن الأسس الدينية والأخلاقية لحركة ... الاسلامية التي كان يترعمها ، وأنه التمس من الأديب العالمي الدعم والتشجيع . أما تولستوي فقد عرض ، في رسالته الجوابية ، جوهر آرائه الفلسفية والاجتماعية ، وأعرب عن سروره بالتعارف مع المفكر العربي البارز ، الذي بدا له أن يشاطره مُثُلَه الأخلاقية ، وأكد تولستوي في رسالته هذه أنه « بمقدار ما تتسع الأديان بالعقائد الجامدة والمعجزات والخرافات ، يزداد تفريقها للناس ، بل وإثارتها للخصام والعداء بينهم ، في حين أنه كلما ازدادت الأديان بساطة ونقاوة اقتربت باتجاه هدف الانسانية الأمثل ـ « الوحدة الشاملة » اقتراباً أشد

وفي معرض جوابه على بعض آراء محمد عبده ، التي لم يوافق عليها الكاتب الروسي ، يشجب تولستوي شجباً حاداً المحاولات التي كانت تقوم بها الكنيسة المسيحية في الشرق والغرب ، لاحياء الأوهام والاعتقادات القديمة في صياغات وقوالب جديدة ، وقد طلب تولستوي من محمد عبده أن يزوده بمعلومات عن انتشار الحركة البابية في أوساط العرب ، لكن تولستوي لم يتلق جواباً على رسالته . بالمقابل ، وصلته أخبار من صديقه سيدني كوكريل تفيد بأن المنية قد عاجلت محمد عبده وعلى هذا النحو انقطعت تلك المراسلة المهمة

رسائل وردود

ومن الشخصيات العربية الأخرى ، التي كانت على اتصال مع الأديب الروسي العالمي ـ الصحفي المصري جبرائيل صاصي ، بعث جبرائيل صاصي الى تولستوي ثلاث رسائل طويلة ، يشرح فيها مفصلا جوهر تعاليم الحركة البابية ، ويصف له ما تعانيه من أوضاع صعبة ، وما يتعرض له انصارها من ملاحقات ، وقد أكد تولستوي في رسالته الجوابية على اهتمامه الكبير بالحركة ، وأعرب عن تعاطفه معها ، وأمله في « أن البابية بمذهبها الأخلاقي الانساني ذات مستقبل كبير في العالم الشرقي ، وأن السمات المشتركة بينها وبين الموصوية المسيحية لا بد أن تؤدي ، عاجلاً أم آجلا ، الى الانصهار معها »

لقد اتصفت صلات تولستوي بالشخصيات العربية بطابع ودي ويمكن ، على سبيل المثال ، أن نورد مقتطفات من الرسالة التي بعثت بها المعلمة العربية الشابة رمزة قنابيني من بلدة رحلة اللبنانية الى

تولستوي في خريف عام ١٩٠٤ ، وقد حررت هذه الرسالة باللغة الروسية « رحلة في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر)

السيد المحترم ليف نيكولايفتش !

أنا فتاة عربية من مدينة دمشق ، أسمي رمزة قسابيي ، تلقيت تحصيلي العلمي في دار المعلمات الأسقفية بموسكو ، وبعد التخرج في المعهد عدت الى الوطن حيث سكنت مع والدتي في بلدة رحلة القريبة من دمشق ، وتعرف هذه البلدة بأن معظم سكانها على درجة كافية من التعليم ، وهم معجبون جداً بكم ، ويتعطشون لرؤية شخصكم الكريم ، وقد طلبوا مني مراراً أن أكتب لكم ، ولكني لم أتجاسر على ذلك ، وأخيراً توسلوا الى أن التمس منكم رجاء واحداً أن ترسلوا لهم صورتكم العالية ، وسيكونون في غاية الشكر والامتنان لكم

ولذا اعذرني يا سيدي الفاضل على هذه الجرأة في مخاطبتكم ، وأرجو ألا ترفض طلبنا بارسال صورتكم العزيزة لوضعها في بيوت أناس يكنون لكم كل تقدير واحترام ، وكذلك لنشرها في الصحف والمجلات »

في تلك الفترة كان تولستوي منهمكاً للغاية في أعماله وأشغاله ومع ذلك وجد الوقت ، ليجيب على الرسالة المذكورة ، وقد جاء في رسالته الجوابية ، المؤرخة في ١١ شباط / فبراير / ١٩٠٥ « انني لآسف جداً يا سيدتي المحترمة على هذا التأخير الذي حصل بخصوص تلبية رغبتك ورغبة تلميذاتك ، أبعث اليك باحدى صوري ، وأرجو أن تعذريني لعدم قيامي بذلك من قبل »

اطلاع على الأدب العربي

كان اهتمام تولستوي بالحضارة العربية والأدب العربي اهتماماً دائماً لا يفتر ولا ينضب ، فقد اطلع على الحياة العربية ، وتعرف على الفولكلور العربي والأمثال العربية ، وقرأ ما كان قد ترجم الى الروسية من مؤلفات الأدب العربي ، بما في ذلك « رسالة الغفران » للمعري شغف تولستوي ، منذ طفولته ، بالحكايات والقصص العربية ، مثل « علاء الدين والمصباح السحري » و « علي بابا والأربعين حرامي » و « الأمير قمر الرمان » وكان قد قرأ في شأنه ، حكايات أخرى من « ألف ليلة وليلة » التي ترجمت للروسية عن الفرنسية في القرن التاسع عشر وتأثر بها أيما تأثر ، ونشر للأطفال بعضاً منها بأسلوب مبسط ولغة حديثة ، هنا تجدر الاشارة الى أن هذا الاهتمام بالأمثال والحكم والقصص العربية لم يكن جديداً ، فقد لعبت دوراً كبيراً في الحياة الأوروبية الروسية منذ القرن الثامن عشر ، وفي السبعينات من القرن التاسع عشر نشر تولستوي قصصا للأطفال مقتبسة من الأدب العربي ، كان تولستوي يحافظ على تسلسل الأحداث والحبكة القصصية والخاتمة والعبرة ، ويكتفي بصياغة القصة بأسلوب روسي ، مستبدلاً الأسماء العربية بأسماء روسية ، وبفضل اللغة الجذابة والسهلة اكتسبت الحكايات العربية شهرة كبيرة ، وصادفت انتشاراً واسعاً لدى القراء الروس

لقد انعكس تأثر تولستوي بالقصص والحكايات العربية على أعماله الأدبية ، حيث يرد ذكر الكثير منها في مؤلفاته وعلى لسان أبطاله ، وأدخل تولستوي عددا كبيرا من الأمثال والحكم والأقوال العربية المأثورة في مجموعاته الأخيرة « من الحكم والأمثال الشعبية » كما كان يأخذ الكثير من الأمثال العربية ويصيغها على شكل حكايات وقصص ، محافظا على مغزى هذه الأمثال والعبرة منها ، وبفضله لقيت الأمثال والحكم العربية انتشارا واسعا بين جماهير القراء في روسيا

ومما هو جدير بالذكر أن تولستوي قد اختار الحكاية العربية المعروفة « الملك والقميص » وصاغها (بالروسية) قصة طريفة موجهة للصغار ، ومن المصادر العربية والتاريخ العربي القديم استقى تولستوي حكايته المعروفة « الملك الآشوري اسر حدون » التي كتبها في عام ١٩٠٣

ودرس تولستوي تاريخ العرب القديم دراسة متعمقة ، فقد وجدت في مكتبته كتب ومصادر تاريخية كثيرة عن العرب ، عليها إشارات وملاحظات بخط يده ، تدل على دراسة لهذه المصادر واهتمامه الكبير فيها

والى جانب المراجع التاريخية احتوت مكتبته على مؤلفات نادرة حول الأدب والفولكلور العربي ، كانت قد صدرت الى ذلك الحين في روسيا « حكايات سورية » وكتاب ابن علي « حكايات عربية »

● تولستوي

وغيرها ، وفي رسائله لأصدقائه أشار تولستوي مرارا الى القصيدة العربية الرائعة التي قرأها في كتاب « قصص وأساطير المعلم جلال الدين »

بدايات الترجمة الى العربية

إن الفضل في تعريف القراء العرب بمؤلفات الأدب الروسي وبخاصة أعمال تولستوي ، يعود الى نخبة بارزة من خريجي المدارس الروسية في سورية ولبنان وفلسطين ، وبخاصة دار المعلمين الروسية في الناصرة ، التي أسستها الجمعية الفلسطينية ـ الروسية في العقد الثامن من القرن الماضي ، والتي تخرج فيها أدباء معروفون مثل ميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وعبد المسيح حداد ، وخليل بيدس

في مصر كان سليم قعبين ، وهو فلسطيني المولد من خريجي دار المعلمين الروسية بالناصرة ، من أوائل مترجمي مؤلفات تولستوي للعربية ، ان أفكار تولستوي حول الكمال الأخلاقي قد استهوت قعبين الى حد جعلته يفكر بانشاء كومونات عربية ... تولستوي ، إن سليم قعبين ، الذي كان ... اللغة الروسية ويعرف الأدب الروسي جيداً ، ... في القاهرة (عام ١٩٠١) كتاباً بعنوان « ... الكونت ليف تولستوي » وفي هذا الكتاب ... المترجم أيضاً عن ترجمة مؤلفات الكاتب الروسي الأدبية ، كما أدرج في الكتاب فصلاً كاملاً من قصة تولستوي « الشباب » ، ترجمها بنفسه

في الأعوام اللاحقة أصدر قعبين ترجمته لقصة تولستوي « سوناتا كرويتزر » (عام ١٩٠٤) ، ولكتابه « شرح موجز للعهد الجديد » وذلك تحت عنوان « ما هي معتقداتي » ، وأسطورة « مملكة جهنم » (عام ١٩٠٩) ومسرحية « سلطان الظلام » (عام ١٩٠٩) و « حكم النبي محمد » (عام ١٩١٢) ، كما نشر بعض المقالات عن الأدب الروسي ، بما في ذلك أدب تولستوي

ومن المترجمين العرب البارزين في تلك الفترة يمكن أن نذكر خليل بيدس الذي كان ـ هو الآخر ـ من خريجي دار المعلمين الروسية بالناصرة ، وقد أنجز بيدس عدة ترجمات من الأدب الروسي ، منها مجموعة قصص لتولستوي قام بنشرها على صفحات مجلة « النفيس » التي كان يصدرها في حيفا والقدس ، وقد كان بيدس يتوق الى نقل رائعة تولستوي « الحرب والسلام » للغة العربية ، وفي إبان الحرب العالمية الثانية شرع بتنفيذ هذا المشروع الضخم ، ولكن الموت حال بينه وبين تحقيق هذا الحلم ، ومن الشخصيات العربية التي لعبت دوراً مهماً في تعريف القارىء العربي بمؤلفات تولستوي ، الاشارة الى انطون بلان الذي تلقى علومه في روسيا ، وعمل مدرساً في مدينة حمص ، وخلال فترة قصيرة نشر بلان ترجمته لتسع قصص قصيرة من أدب تولستوي ، ضمنها فيما بعد في كتاب خاص مع ترجمات لأعمال أدبية روسية أخرى مثل أعمال تشيخوف وليسكوف ، ومن وقت لآخر كان بلان ينشر في الصحف السورية مقتطفات مترجمة من مقالات تولستوي ، ونبذات عن نشاطه الاجتماعي

ونشرت مجلة المراقب ترجمة عربية لرواية تولستوي الشهيرة « البعث » التي أنجزها رشيد حداد من اللغة الانجليزية وفي عام ١٩٠٢ نشرت مجلة « شهرزاد » ترجمة لقصة تولستوي القصيرة « حاجة الانسان الى الأرض » وقد لاقت هذه القصة في حينها نجاحاً كبيراً ، وفي تونس صدرت في العام التالي مسرحية تولستوي « سلطان الظلام » التي ترجمها عن الفرنسية محمود المشيرقي

اهتمام بالأدب الروسي

وفي الأعوام اللاحقة ، وبخاصة بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية ازداد عدد طبعات المؤلفات الأدبية الروسية ، ومن بينها مؤلفات تولستوي ، ويعود الفضل في ذلك ، بدرجة كبيرة ، للمجلة البيروتية « الدهور » وللمجلة الدمشقية الأدبية « الطليعة » ، التي كانت تسعى على الدوام الى تعريف القراء العرب بروائع الأدب الروسي وفي عام ١٩١٩ صدرت مجموعة لقصص شعبية من تأليف تولستوي تحت عنوان « عجائب الخيال » ، وقد قام بنقلها الى العربية الأديب سهيل الخانجي ـ ومن هذه القصص « دسائس الشيطان » و « ثمن عال » و « اس بالعماد » وقد أعيد طبع هذه المجموعة في عامي ١٩٢٦ و ١٩٦٢

في عام ١٩٢٦ صدرت في القاهرة طبعة جديدة لمسرحية « سلطان الظلام » قام بها سليم قعبين ، وفي وقت لاحق ظهرت باللغة العربية مجموعة مقالات لتولستوي حول آفة الادمان على الكحول ـ « سمّ أم كحول » ، وقصص « كورني فاسيليف » و « اذا اضعلت النار فلن تطفئها » (عام ١٩٣٧) و « الملك الأشوري اسرحدون » (عام ١٩٣٨) و « السعادة العائلية » و « الاعتراف » وبعض قصص الأطفال

في الخمسينيات نشرت دار اليقظة بدمشق مجموعة من الترجمات الجديدة لأعمال تولستوي الأدبية التي قام بها الدكتور المرحوم سامي الدوربي ـ « الحرب والسلام » ، « آنا كارنينا » ، « البعث » والثلاثية « الطفولة » و « المراهقة » و « الشباب » وقبل ذلك بقليل كانت قد صدرت في بيروت ترجمة لرواية « الحرب والسلام » (عام ١٩٥٣) انجزها أميل بيدس نجل خليل بيدس وفي وقت لاحق صدرت الرواية المذكورة في القاهرة ، وفي مصر أيضاً نشرت ترجمات « البعث » و « آنا كارنينا » و « القوزاق » و « الاعتراف » و « سوناتا كرويتزر » وبعض أعمال

تولستوي المسرحية

تأثيره على الأدباء العرب

إن المقالات المختلفة عن تولستوي ، التي كانت تظهر ، بين حين وآخر ، في الصحف والمجلات العربية قد ساهمت بقسط وافر في تعريف القارىء العربي على مؤلفات الكاتب الروسي العظيم وآرائه السياسية والدينية والتربوية الفلسفية ، كما تجدر الاشارة الى أن معظم الترجمات العربية لمؤلفات تولستوي كانت ترفق بمقدمات حول الكاتب ، منها ـ على سبيل المثال ـ مقدمة الخانجي لمجموعة « عجائب الخيال » ، والمقدمة التي كتبها عصام الدين حفني ناصيف لمسرحية « والنور يسطع في الظلام » ومقالة سلامة موسى « ثلاثة كتاب روس دوستويفسكي وتولستوي وغوركي » التي نشرتها مجلة الهلال عام (١٩٢٨) ومقالة سعد حدري « تولستوي » التي نشرتها مجلة « المقتطف » (عام ١٩٤٥) ومقدمة الدكتور جورج حنا للطبعة البيروتية لرواية « الحرب والسلام » (عام ١٩٥٤) ، كما ظهرت عدة مقالات حول تولستوي في مجلات « الحديث » و « المقتطف » و « لغة العرب » وغيرها من المجلات العربية

ويسعى التنويه بأهمية مجموعة المقالات التي ظهرت عن تولستوي في عام ١٩٢٨ ، بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده ، فقد قام باصدار هذه المجموعة عدد من الشخصيات الأدبية والفكرية في سورية ولبنان ، وعلى رأسها المفكر الكبير ساطع الحصري ، وهي تحتوي على ترجمات لمقالات يعرض فيها تولستوي آراءه في المسائل الأخلاقية والدينية ، وترجمة لمقتطفات من أقواله المأثورة ، أخذت عن كتاب « طريق الحياة » ، كما ضمت المجموعة بعض القصائد والمقالات لأدباء عرب عن تولستوي

في مطلع عام ١٩٦١ أصدرت مجلة « الطريق » البيروتية عدداً خاصاً عن تولستوي بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة الكاتب الروسي العظيم ، وقد اشتمل هذا العدد على مقالات لميخائيل نعيمة وسعيد عقل وفؤاد افرام البستاني وجورج حنا ، وغيرهم من الشخصيات الثقافية البارزة ، عبّر مؤلفوها عن تقديرهم العميق لتولستوي ، كما تضمن العدد

.. ور مقتطفات من كتب ومقالات أدباء عالميين عن .. ستوي ، من أمثال رومان رولان ، وأناتول .. انس ، وأندريه موروا ، وهربرت ويلز ، ومكسيم غوركي وكان للاحتفال بالذكرى الخمسين لوفاة تولستوي صدى واسع في الوطن العربي ، إذ ألقيت المحاضرات وأقيمت المهرجانات ، وعقدت الاجتماعات المكرسة لهذه المناسبة ، ففي المنتدى الأدبي بالقاهرة تحدث الناقد المصري شوقي السكري فأشار الى أن واقعية تولستوي قد تركت أثراً كبيراً في الأدب العربي ، وفسر المحاضر أسباب هذا التأثير بالتشابه في العديد من المشاكل الحياتية التي واجهت الشعبين الروسي والعربي ، فكلاهما خضع فترة طويلة للعبودية ، وهما شعبان زراعيان بالدرجة الأولى

وكان معظم الفلاحين في روسيا والوطن العربي محرومين من الأرض لقرون طويلة ، وكان كل منهما يعاني من الاضطهاد على أيدي أقلية ضئيلة من أبناء جلدته ، من جهة ، والدول الغربية الاستعمارية من جهة أخرى . لذلك نلاحظ أن موضوع الأرض يشغل مكانا بارزاً في آداب الشعبين معاً

بعض من تأثروا

من الشخصيات الأدبية العربية التي تأثرت بفلسفة تولستوي وآرائه الاجتماعية والسياسية المفكر الكاتب الروائي فرح أنطون إذ كان يلجأ أحياناً في نقاشه مع معارضيه الى مقالات وأعمال تولستوي لدعم أفكاره وحججه

لقد شغل تولستوي في الأدب العربي مكاناً لم يشغله أحد غيره من الكتاب والمفكرين الأجانب ، .. كتب عنه كبار أدبائنا العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق مقالات قيمة ، ونظم بعضهم قصائد رائعة .. له ، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال ، ما كتبه .. المنفلوطي والريحاني أثناء حياته ، كما رثاه أحمد .. وحافظ ابراهيم وجميل الزهاوي بأشعار

.. كتب المنفلوطي مقالة مؤثرة في رثاء تولستوي .. بأسلوب المراثي العربية التقليدية ، في هذه .. صور المنفلوطي تولستوي ثائراً ساخطاً يفضح .. سر الأربعة ـ القيصر والاقطاعي والكاهن والعسكري . ونظم أحمد شوقي « حواراً شعرياً بين أبي العلاء المعري وليف تولستوي حول الظلم والشر وطباع الناس ، ونظم قصيدة أخرى بمناسبة وفاة الكاتب الروسي العظيم صاغها على نمط القصائد العربية الكلاسيكية

أدباء آخرون

وعبّر عمر فاخوري عن احترامه وتقديره العميقين للمفكر الروسي العظيم ، وفي نقاشه مع أنصار الأدب الانحطاطي كان يستشهد بأعمال تولستوي ومؤلفاته

وكان لتعرف ميخائيل نعيمة على الأدب الروسي ، وبخاصة أعمال تولستوي ، دور كبير في تطوره الأدبي ففي كتابه « أبعد من موسكو وواشنطن » يقول نعيمة « في كتابات تولستوي عرفت كيف يهدر الدم الروسي انهاراً في سبيل الدفاع عن أرضه ، وأي الآلام الجهنمية هي الآلام التي تجرها الحروب ، وعرفت كذلك نزعة الروح الروسية الى السلم والصفح والمحبة ، وعدم مقابلة الشر بالشر حتى أن « ياسنايا بوليانا » ـ بلدة تولستوي ـ باتت عندي منارة أستأنس بنورها أيام كنت أتلمس طريقي في مهامه الخير والشر والحياة والموت ولشد ما هزّني خبر اختفاء تولستوي المفاجئ في بيته في آخر أيامه اذ أنني وجدت فيه دعامة لايماني المتداعي بقدرة الانسان الفاهم والمخلص لنفسه على التملص من أحابيل الدنيا وفخاخها ، والترفع عن زخارفها ومغاتها ، وعلى الوعظ والتعليم بالقدرة والمثال أكثر من القلم واللسان »

وفي مذكراته كتب نعيمة مخاطباً تولستوي « ليف نيكولايفتش » أنني مدين لك بأفكار كثيرة ، أنارت حلكات مظلمات في عالمي الروحي لقد وجدت في الكثير من منشوراتك الأخيرة التي طالعتها في العام الماضي نوراً اهتدي به في كل خطوة من خطواتي ، أجل ، فأنت ، من هذا القبيل ، أصبحت معلمي ومرشدي من حيث لا تدري »

تلك هي بعض جوانب موقف تولستوي من الثقافة العربية وصفحات من تاريخ تعرف الوطن العربي على إبداعه أديباً ومفكراً . □

قصّة مترجمة

بين والد وولده

للكاتب الأمريكي : وليام سارويان

ترجمة : نعوم ابراهيم عبود

سرع حدث نفسه وهو في طريقه إلى ابنه ، كان يتحدث بصوت مرتفع عندما وصل إلى « موراغا ستريت » ، فلمح فجأة فتاتين واقفتين تحت رواق المنزل ، فاضطرب تماما ، إذ أدرك من طابع الدهشة الذي بدا عليهما أنهما سمعتاه ، لكنه كان مضطرا لمتابعة السير والمرور بالقرب منهما ، ولاحظ أن اضطرابه يكاد يمنعه حتى من السير العادي ، ولم يعد يدري ما يصنع بذراعه اليمنى التي أظهرت ـ عفويا ـ حركة معبرة ، فأخطأ في خطوه ، ورفع ذراعه نحو وجهه مرتبكا ، وشرع يصفر بحماقة ، وسعم حاد كريه ، وعندما أدار ظهره سمع الفتاتين تنفجران بالضحك ، فكف عن التصفير ، وبارحه اضطرابه

إنه في أعماق ضميره يعلم مايريد ان يقوله ، عنه أنه في كل مرة يتحدث فيها إلى أبنه أو إلى أمه يفقد كل ما يملكه من وسائل التعبير ، ويظل جالسا فقط . يصغي إليهما وهما يتحدثان فيما بينهما . يصغي إلى امه كل يوم . أما أبوه فيصغي إليه قرابة ساعة مرة واحدة مساء كل اسبوع

منذ حوالي عام وابوه يعيش منفصلا عن امه التي تبذل كل جهودها كي تسبغ على هذه الحالة طابع

طبيعيا ، ومع ذلك تحدثه في بعض الفترات عن حربها ، مفرغة ما في فؤادها ، وكان يرى من خلال ما تقوله وما تضمره مقدار تعاستها ، غير أنه من جهة أخرى كان يدرك أن أباه قد ذهب ليعيش مستقلا بنفسه

كانت أمه رقيقة إلى أقصى ما يمكن ، غير أن تصرفها كان يوحي بأنها لست طيبة إلا لأملها بأن تستمد شيئا من وراء هذه الطيبة ، فطيبتها تبدو كأنها أسلوب أو وسيلة ، لكنها ليست خبيثة عن وعي ، كلا ، إنها دائما ريبة ، حذرة ، غير أن هذا لاتتحلى فيه أبدا سيماء الصدق والصراحة كانت ترغم ابنها بالحاح على أن يوافقها على أنه لايحتاج إلى أشياء هو في الواقع يحتاجها ، أو على أنه يجب القيام بأشياء هو في الواقع يمقتها ، فاذا تخيلت أنه يجب تعلم « البيانو » ألحت عليه ليتعلمه ، أليس هذا بغيضا إلى نفسه ؟ وعلى هذا النحو كانت دائما تحاول أن تقنعه بأنه يحب ما تحكم هي نفسها بأنه يلائمه ، دون أن تدعه أبدا يكتشف ميوله الخاصة به ، وتفسد عليه حتى ما يحبه هو حقيقة

انه ربما يحب « البيانو » كثيرا ، لكن ليس على النحو الذي يحلو لأمه أن تتخيله ، لكنه أيضا في خوف دائم من أن يسبب لها الموت إذا ما وقف ضدها ، وقال لها رأيه فيها ، أو جعلها تظن بأن هذه النقائص هي التي أبعدت أباه عنها ، وهي التي ستبعده عنها بدوره

قال أما أبي فهو أيضا أشد حمقا مني

ـ اه نعم ؟ حسنا ، لم لاتقول له ذلك مرة ؟

ـ ربما أتوصل إلى ذلك

وقال يحدث نفسه « لن تقول له شيئا أبدا ، ستراه هذا المساء ، وستتناول عشاءك معه ، وتصغي إلى نصائحه ، ثم ستعود إلى المنزل »

ثم قال لنفسه « كلا سأتحدث إليه يوما ، أوسأرحل أنا »

وعندما رأى أباه تلاشى كل ما كان يريد أن يقوله ، وظل كالأبكم ، وعاودته تمتمته المضحكة ، إنه إذا استطاع الكلام لايكاد ينطق بحرف

قال له أبوه

ـ تبدو عليك سيماء حسن الهندام

ولم يستطع الاجابة ، فالكلمات ظلت في حلقه وتناولا عشاءهما بصمت ، واحتفلت المرأة المشرفة على الغرفة بخدمتهما ، كأن هذا هو آخر طعام يتناولانه

كان ينظر إلى أبيه ـ بين الحين والآخر ـ كأنه على وشك أن يقول شيئاً ، غير أنه لم يتكلم ، وكان الاب كذلك أيضاً بالنسبة له

أخذ يتخيل أفكار المرأة المشرفة على الغرفة وتوهم أنها تقول ما نوع هذا الأب وهذا الابن ؟ ، الأب لا يزال شاباً ، والابن في السادسة عشرة من عمره ، وكل منهما عاجز عن العثور على كلمتين يقولهما احدهما للآخر

وعند تناول القهوة سأل الأب ابنه كيف الحال في المدرسة ؟

ـ ليس حسنا جدا

قال الأب

لم أكن أنا أبدا مبرزا جدا في الفصل وأنت ما الذي يهمك في هذه الفترة ؟

قال الشاب

لا ادري ، لكن في هذه الفترة الأخيرة رغبت في السفر ، لست أدري من أين أتتني هذه الفكرة

قال الأب

ـ لم تصبح بعد حتى تسافر ، أقصد لم يحن الوقت

ـ أعلم هذا جيدا ، لكن وقام الشاب بحركة عبرت عن الحماقة والفراغ الكامنين في كل شيء فنظر اليه أبوه لحظة ثم قال

ـ أصغ إلي يا صغيري إن السادسة عشرة سن شاقة بالنسبة لجميع الرجال ، وكل ما أستطيع أن أقوله لك لا تعذب نفسك ، انطلق إلى الأمام

قال الشاب

ـ لم لا تستطيع أن » وكاد الشاب أن يسأل « لم لا تستطيع أن تكون أبا حقيقياً ؟

غير أنه كان يعلم السبب جيداً ، فلكي يكون الرجل أباً يجب أن يكف عن أن يعيش لنفسه ، وهو يعلم أن أباه غير قادر على هذا »

ـ إن السادسة عشرة سن شاقة ، وكذلك السابعة عشرة ، الحياة قاسية في كل الأعمار ، غير أن بعد السنين حتى الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين هي أشدها قسوة ، وكل من يخرج منها سليماً فهو حسن الحظ

قال الشاب
ـ احاول باستمرار أن أتخيل ما يجب أن أعمله ،
ـ أني لا أستطيع أن أعقد العزم على شيء

قال الأب
ـ ان الأشياء التي تعادل بقيمتها جهد القيام بها قليلة جدا ، وليس يمكن فصل بعضها عن بعض ، وفي أي شيء شرعت سيظل الهدف دائما هو كسب المال ، وهذا هو ما يسلب كل عمل قيمته ، غير أنك تستطيع أن تصرف دائما بأكثر قسم مما أملك
ـ المال لا يهمني

قال الأب
ـ لن أكون أبدا غنياً ، ومن المحتمل أن أخسر كل ما عندي ، غير انه إن بقيت لي أقل ثروة فإنك تستطيع أن تنال منها القسم الأكبر فيما إذا أردت يوما ان تساعد ، او أن تفعل شيئا من هذا القبيل
ـ ذلك ما أريده بالضبط ، كل ما سأصنعه سأقوم به بمفردي ، وبوسائلي الخاصة ، ولهذا السبب لا أستطيع عقد العزم على شيء

قال الأب مغتبطاً
ـ لا ضير في هذا ، سنتحدث عنه فيما بعد منذ الآن ستساورك أفكار كثيرة ، وليس هناك سوى شاغل وحيد واحد منها هو التنقل ، غير أنه لا يبدو له أي سحر قبل أن يكون الانسان قد فعل شيئاً آخر قبله وليس له أي فائدة إلى أن يكتشفه المرء بنفسه وكرر الأب قوله « سنتحدث عن هذا فيما بعد »
وأدرك الشاب أن أباه قد اكتفى من رؤيته فنهض
قال
ـ حسنا سأعود
واكتفى الأب بأن يضع يده على كتف ابنه بينما كان يقوده حتى الباب
وفي الطريق عاد الشاب إلى حواره مع نفسه قال وهو يمثل دور أبيه
ـ عد إلى المنزل ، وتقبل الحياة كما تأتيك خلال ست سنوات وسبع ، وابتسم كالأحمق للعالم وللحياة وأحباب
ـ سأفعل كل ما تريده يا ابت ! □

الأدب طرفة

● في احدى مقالات الدكتور طه حسين تناول قضية الأدب الجديد الذي يدعو اليه الأدباء الشباب بقوله إن هؤلاء الشباب قد خيلوا لأنفسهم ، وخيلوا الى الناس أن الأدب الجديد الذي يطلبونه يجب أن يكون شعبيا ، وأن شعبية هذا الأدب تقتضي اهمال صورته ، وتركها تبرز للناس كما تستطيع ، رثة غثة ، لا حظ لها من اناقة أو رشاقة ، ولا نصيب لها من رونق أو جمال
ويستطرد طه حسين قائلا والشيء الذي لايفطن له الشباب هو أن الأدب لاينبغي أن يكون طعاما ولا شرابا كالطعام الذي يأكله الناس والماء الذي يشربونه . وانما ينبغي أن يكون طرفة يطرف بها القارىء ذلك أنك لاتحسن الى الشعب حين تقدم اليه طعاما خشنا غليظا ليضيفه الى طعامه الخشن الغليظ ، ولا تحسن الى الشعب حين تقدم اليه ماء كدرا ليضيفه الى ما يشرب من ماء كدر ، وانما تحسن إليه حين تقدم إليه غذاء شهيا رقيقا ، يتحفه به ويستريح اليه من غذائه اليومي الخشن ، أو حين تقدم اليه شرابا عذبا مصفى يغسل به عن نفسه كدر الماء الذي يشربه في كل يوم فالأدب إذن طرفة ، يفرع الناس اليها من حياتهم اليومية الثقيلة

النخالة الوردية

بقلم : الدكتور محمد عبدالله المشاري

مرض النخالة الوردية من الأمراض الجلدية التي تصيب فئات معينة من الناس ، في سن معينة ولاتشكل الاصابة به خطورة على المصابين ، لكنه مثير للقلق ، فاقتضى ذلك التعرف عليه ، لعل في معرفته مايقي من الاصابة به

مرض النحالة الوردية مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع أهمها نظرية تركز على ان سبب هذا المرض هو فيروس ، اما طبيعة هذا الفيروس لم تتضح حتى الآن وقد قام عدد من الباحثين بمحاولات استكشاف هذا الفيروس ، ولكن المحاولات باءت بالفشل ، ومع هذا مازال معظم الباحثين مقتنعين بان سبب مرض النحالة الوردية هو « فيروس » وتبرير عدم مقدرتهم على فصل هذا الفيروس هو أن فصله يحتاج الى تقنية معينة ، لم يتوصلوا اليها حتى الان

وهناك نظرية أخرى ، تركز على أن سبب هذا المرض يكمن في نوع من انواع الفطريات التي تمكن بعض الباحثين من اكتشافها في القشور المصاحبة للمرض ، والسؤال المطروح هنا هل هذه الفطريات سبب لظهور هذا المرض ، اوهي مجرد إصابة ثانوية ؟

وهناك نظرية ثالثة ترى ان سبب مرض النحالة الوردية هو البكتريا العقدية ، حيث لاحظ بعض الباحثين أن بعض حالات هذا المرض تحدث بعد الاصابة بمرض الحصبة وهو مرض معد يصيب الاطفال عادة وسببه البكتريا العقدية أو السحب أو هما معا بينما هناك من يرى أن وجود بؤرة فساد في الجسم ـ كالتهاب مزمن باللوزتين ـ قد يكون سببا لظهور هذا المرض وثمة نظرية أخرى ترى أن هذا المرض هو نوع من الحساسية لبعض أنواع من الادوية مثل الكلوركوين ، والزرنيخ ، والزرنيخ حيث توجد في أحيان كثيرة صعوبة في التفريق بينها وبين أعراض مرض النحالة الوردية

ومن الطريف أن هناك نظرية قديمة ، ترى أن المرض قد يحدث بعد لبس ملابس جديدة ، لم تستعمل من قبل ، أو بعد لبس ملابس مخزونة لفترة طويلة في دولاب ، مما يؤدي إلى تلوثها ببعض الحشرات التي قد تساعد على نقل الميكروب المسبب للمرض

ومرض النحالة الوردية يصيب الرجال والنساء ، لكن بعض الدراسات توصلت إلى أن نسبة الاصابة

عد النساء أكثر من الرجال ، حيث تصل نسبة ال ده في بعض الأحيان ٢ ١

. الاصابة عند الأطفال قليلة خاصة لمن تقل اعمارهم عن ستين ، فهي هدا السن نادرا ما يصابون بهذا المرض ، وقد تبين من بعض البحوث والدراسات أنه لاتوجد إلا ٢٠ حالة مسجلة عند الاطفال الدين تقل اعمارهم عن ستين هذا وقد بين أن نسبة الاصابة بالمرض تكثر في بعض المواسم دون غيرها ، وعلى الخصوص في أوائل فصلي الربيع والخريف ، ومع هذا قد يظهر هذا المرض في أي فصل من فصول السنة

وبهذه المناسبة أذكر أنني قمت والدكتورة طيبة المنس بمساعدة الدكتور محمد الشايب المدرس بقسم الرياضيات بجامعة الكويت بدراسة حول هذا المرض بين منها أن نسبة الاصابة بمرض النخالة تبلغ ١٪ من حملى المترددين على عيادات الأمراض الجلدية في الكويت ، وأن نسبة الاصابة بهذا المرض بين لكويتيين تبلغ ٣٣٪ في حين أن نسبة الاصابة عند غير كويتيين تبلغ ٦٧٪ ، وان ٧٩٪ من الحالات تظهر فيما بين سن ١٠ ـ ٢٠ سنة ، بينما نسبة الاصابة للذين هم دون العاشرة تبلغ ١٥٪ ، أما الذين جاوزوا سن الأربعين فتبلغ نسبة الإصابة بينهم ٦٪ فقط

الأعراض

تبدأ أعراض هذا المرض بظهور الاصابة الأم (HERALD PATCH) ، وهي الاصابة الأولى ، وغالباً ما تكون تلك الإصابة في الجذع ، أو في الفخذ ، أو الذراع ، أو الرقبة ، وتظهر الإصابة بشكل بيضاوي ، محدد الأطراف ، ويزداد حجمها ببطء ، ويلاحظ أن أطراف منطقة الإصابة ذات لون أحمر وردي ، محاطة بحزام مميز من القشور الصغيرة الحجم ، لكن مركز الإصابة مائل إلى اللون الذي المصفر وحجم الاصابة الأم مابين ٢ ـ ٥ سم ، وفي بعض الأحيان قد يكون اكبر من ذلك وغالبا ما تكون الاصابة الأم مفردة ولكنها قد تكون أكثر من واحدة ، وهذه الاصابة تسبق ظهور الطفح الجلدي الشامل بفترة تتراوح بين ٥ ـ ١٥ يوماً وقد تسبقه بعدة ساعات فقط ، أو تتأخر عنه ثمانية أسابيع ، ويظهر الطفح الجلدي الشامل على دفعات ، بين الدفعة والأخرى يومان أو ثلاثة ويبقى مدة عشرة أيام ، وقد يستمر عدة أسابيع ، وغالبا ما يكون شكل الطفح مشابها للاصابة الأم وتختفي أعراض المرض بدون علاج بعد مرور فترة متوسطها (٦ ـ ٨) أسابيع

بقي أن نذكر أن مرض النخالة الورديه قد يصاحب بحكة ، وفي بعض الحالات قد يكون هناك حمى ، أو صداع ، أو خمول ، أو فقد للشهية ، أو توعكات معويه ، أو احتقان في الزور مع تضخم في الغدد اللمفاوية وهذه كحالات شاملة قد تكون محدودة فتصاب الغدد اللمفاوية العنقية فقط

وأكثر الأماكن عرضة للاصابة بالطفح الجلدي الشامل هي الجذع والفخذ،والذراع،والساعدوالرجل وهي نفس الأماكن التي تظهر فيها الاصابة الأم ، ولكن في أحيان نادرة تظهر الاصابة في منطقة اليد والرجل ، وقد تصل الاصابة إلى الوجه وإلى فروة الرأس خاصة عند الأطفال ولكن ذلك نادر الحدوث ، وقد تحدث الاصابة في تجويف الفم حيث الغشاء المخاطي المبطن للفم ، وتظهر الاصابة عبر

الاصابة مع الطفح الجلدي الشامل

محددة الأطراف ، حمراء اللون ، مع وجود بقع بريقه تحت الجلد ، وأحيانا فقاعات ، مع عدم وجود القشور المميزة للمرض وإصابة الفم تكثر عند الأطفال دون الكبار وتكون مصحوبة باصابة الجلد ، وهذا النوع نادر الحدوث أيضا

وهناك أنواع عديدة من مرض النخالة الوردية ، سوف أذكر أهمها وهي كالتالي -

١) النخالة الوردية الحطاطيه النقعية -
ونجد في هذا النوع أن حجم الاصابة صغير ، حيث قد تصل إلى $\frac{1}{4}$ أو $\frac{1}{2}$ سم ، بينما باقي الأعراض هي نفسها

٢) النخالة الوردية الحطاطية ويكثر هذا النوع عند المرضى من ذوي البشره السوداء

٣) نخالة وردية مع وجود بثور صغيرة مليئه بسائل شفاف ، وهذا بطبيعة الحال نوع نادر من أنواع هذا المرض

٤) النخالة الورديه الارتكارية
٥) النخالة الوردية العملاقة ، وهذا نوع نادر من المرض يتميز بكبر حجم الاصابة

٦) النخاله الوردية الفرفريه - يتميز هذا النوع بقع نريف تحت الجلد وهو نادر

٧) النخالة الورديه المعكوسه - ويلاحظ في هذا النوع أن منطقة الاصابه هي الساعد والرجل بينما باقي الأعراض هي نفسها لم تتغير

المضاعفات

ليس هناك مضاعفات خطيرة لهذا المرض ، لكن قد تصاحب بعض حالاته حكة شديدة ، مما يؤدي إلى بعض الخدوش في الجلد ، حيث تكون عرضة للاصابة بالتهاب بكتيرى ثانوي ، وقد يتلون الجلد بلون داكن في مكان الاصابة بعد الشفاء ، وقد يحتاج إلى عدة شهور حتى يختفي اللون

نستطيع أن نقول إن من يصاب به مرة - غالبا - لا يصاب به ثانية ، وذلك لاكتساب المناعة لكن من

مرض النخالة الوردية

دراسة لبعض الباحثين تبين أن ٢ / من مرضى النخالة الوردية معرضون للاصابة بهذا المرض مرة أخرى ، وذلك بعد مرور فترة عدة شهور أو بضع سنين

هل المرض معدٍ ؟

يعد مرض النخالة الوردية من الامراض المعديه لكن العدوى تحدث بعد المخالطة اللصيقة الطويله حيث تبين من بعض البحوث أن انتشار هذا المرض ممكن بين أفراد العائلة

العلاج

أما بالنسبة للعلاج فهو علاج عرضي حيث يعطى المريض مضادات الهستامين ، وبعض الأدوية الموضعية ، خاصة إذا كانت الحالة مصاحبة بحكة وغالبا ينصح المريض بعدم استعمال الليفة و صابون بكثرة ، كذلك يلاحظ أن استعمال الملابس الصوفية قد يؤدي إلى ظهور الحكة ◻

الجديد في العلم والطب

العلق ذو فوائد

العلق الذي يمتص الدم ، والذي طالما استعمله الإنسان منذ أقدم الأزمان ، يبدو أنه قد استرد اعتباره لدى العلماء ، وأنه في طريق عودته الى عيادات الأطباء ، فقد أثبتت البحوث أن العلق قد يكون ذا أثر فعال في معالجة الأورام الخبيثة ، وغيرها من الآفات ، فقد نشرت مجلة (ناتشر) مؤخرا تفاصيل عن استعمالات العلق الجديدة ، الطبية منها والعلمية ، وذلك استنادا للأبحاث التي طرحت في اجتماع عقده الاتحاد البريطاني لعلماء العلق ، فمن استعمالات العلق اعتماد جراحي التجميل عليه لإزالة الدم الذي يترتب على عملياتهم ، ومن ذلك أيضا فاعلية لعاب العلق في الحد من انتشار سرطان الرئة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

ثورة في جراحة التجميل

جراحة التجميل المنتشرة في شتى بلدان الغرب أمريكا بخاصة كانت ومازالت تعتمد أساليب مختلفة لتحقيق أغراضها . ولعل شد جلد الوجوه هو أشهر تلك الأساليب التي شملت فيما شملت تناول العقاقير ، وكشط الجلد أو حكه أو تقشيره والظاهر أن أيام هذه الأساليب وأمثالها باتت معدودة ، وأنها ستصبح أساليب مهجورة بالية في مستقبل غير بعيد،ذلك أن العلماء اكتشفوا أسلوبا آخر جديدا ، أشد فاعلية ، وأقل كلفة وأقرب تناولا وأقل ضررا من تلك الأساليب القديمة

هذا الأسلوب الجديد حقنة يحقنها الطبيب في المكان المناسب فلاتلبث ان تقضي على تجاعيد الوجه ، وماإليها من آثار الشيخوخة. وهي تقضي ايضا على حب الشباب وعلى آثار العمليات الجراحية ولاتكلف الحقنة بالمتوسط اكثر من ٣٠٠ ـ ١٥٠٠ دولار أي مايعادل ½ تكاليف شد جلد الوجه ولاتستغرق سوى دقائق معدودة ، ١٥ ـ ٣٠ دقيقة حقا يحمر الوجه عقب الحقنه ، ولكن احمراره لايطول أكثر من يوم واحد فحسب ، يعود الوجه بعدها الى طبيعته دون أي آثار جانبية ، وقد خلع رداء الشيخوخة واستبدله به رداء الشباب

أما المادة التي يحقنونها في الوجه ، أو حيث تظهر آثار الشيخوخة المراد معالجتها ثنايا تجاعيد وما الى ذلك فهي مادة الكولاجن وهي المادة الغضروفية) التي توجد في الغضاريف وسائر أنسجة المفاصل والجلد والعظام ، فهي اذن موجودة في جسم كل انسان ، وتقلها مضمون في جسم كل انسان

تحقن تحت الجلد مباشرة ، وعلى

دفعات ١٠ ـ ١٥ دفعه في المرة الواحدة فلا يلبث الفراغ الذي في داخل التجاعيد أن يمتلىء بمادة الكولاجن ، كما يمتلىء البالون بالهواء ولكن المادة العضروفية لاتقف عند ملء الفراغ فمن شأنها أن تغذي الجلد وتكسبه نضارة

على أن هذا الأسلوب الجديد ليس جديدا بالمعنى الدقيق ، فهو معمول به في أمريكا منذ سنوات منذ أن أقرته وكالة الغذاء والدواء سنة ١٩٨١ وقد جاوز مجموع الذين عولجوا به منذ ذلك الحين ، ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، ويعتبر مستشفى شيكاجو التذكاري الشمالي الغربي

والدكتور هنري روبجك في طليعة رواده وتصنع مادة الكولاجن المطلوبه شركة خاصة بها هي Collagen Corp ومقرها في سالو التو في كاليفورنيا وتصنعها من جلود البقر

بيد أن أثر حقنة الكولاجن ليس ابديا فقد يحتاج المرء الى حقنة ثانية في غضون سنتين وليس مايمنع من تكرارها مرات ومرات ، علما بأن الأطباء لاينصحون بالافراط في تناولها ، خوفا من أن يكون لها أثر غير مباشر على أجهزة المناعة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

جهاز الكتروني لمنع الحمل وتحديد النسل

● الجهاز جديد ، وقد سجله مخترعه الدكتور ستيفن كالي مدير القسم النسائي الطبي في دويس فري ومن شأن هذا الجهاز أن يقتل الحيوانات المنوية قبل وصولها الى البويضة فهو يوضع على نحو عارض في عنق الرحم ويعمل عن طريق

الحقل الألكتروني الضعيف الذي تمدّه بطارية خاصة صغيرة ٧ ملم ×٢ مل ويجاهر الدكتور كالي بأن التجارب التي أجراها أثبتت فاعلية جهازه بنسبة ١٠٠/ ، ويعقب على ذلك بقوله آن الأوان لاعتماد الوسائل الألكترونية في عصر الألكترونيات

لاطـــالة العـــمر

بحث علماء البيولوجيا في جامعة لويزفيل في اكتشاف مادة فعالة تطيل العمر بنسبة ٥٠٪ عمر العوص لا الانسان وقد أكد ذلك الدكتور جون ريشي وزملاؤه في التقرير الذي رفعوه لجمعية الطب والبيولوجيا التجريبية في نيويورك أما المادة فهي حامض (نوردي هايدرو جوارتك) او اختصار (NDGA) وأما طريقة تناولها فباضافتها الى طعام العوص

على أن فاعلية هذه المادة لاتظهر الا اذا أعطيت الى العوص وهو في مرحلة النمو أي في صباه لا في شيخوخته ، وقد مدت عمر الحشرات التي تناولتها من ٢٤ يوما بالمتوسط الى ٣٥ يوما

ويذكر البعض أن ليس هناك مايمنع أن تكون المادة المذكورة ذات فاعلية في اطالة عمر الانسان وليس هناك مايمنع أن تكون بلا فاعلية على الاطلاق

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

جهاز جديد للتأكد من الحمل مبكرا

قد يكون لهذا الجهاز أثر خطير في شؤون تحديد النسل ، والحد من الزيادة السكانية فهو يستطيع التنبؤ بالحمل أو عدمه قبل خمسة أيام من وقوعه هذا ماتؤكده مخترعته على كل حال ، الدكتورة لويس تايرر ، نائبة رئيس الشؤون الطبية لاتحاد تخطيط الأبوة في أمريكا ويعمل الجهاز عن طريق اللعاب وينبىء عن اباضة المرأة مسبقا قبل خروج البويضة من المبيض بخمسة أيام ولو ثبتت هذه الأقوال لكان الجهاز المذكور انجازا خطيرا ولاريب

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

المعالجـــة بالكالسيوم عقيمـــة

في البدء ظهر الداء مرض وهن العظام ، وهو من أمراض الشيخوخة التي تصيب النساء أكثر من الرجال ثم ظهر الدواء حبوب الكالسيوم ، وأخيرا ظهر الشك في فاعلية هذا الدواء

يقول الدكتور ستيفن جوردون ، الباحث في معاهد الصحة الوطنية في أمريكا« تطعن الدراسات الحديثة ـ وهي عديدة ـ في أن يكون في حبوب الكالسيوم أي تعويض يذكر عما تفقده العظام من بنيتها حين يحل بها وهن الشيخوخة »

العظم الواهن

العظم السوي

سلامة البشرية في سلامة البيئة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

خنفسة تفتك بأخرى فتنقذ الغابات

هذه قصة أخرى عن ابادة الحشرات الضارة بحشرات أخرى غيرها أكثر فاعلية من المواد الكيماوية وأقل خطراً (سبق أن تناولنا موضوع الحشرات المبيدة في باب البيئة في عدد مايو سنة ١٩٨٤ من العربي)

أما حشرة اليوم الضارة فهي خنفسة تفتك بلحاء شجر الصنوبر، انواع محددة منه، تزرع على نطاق واسع لتستعمل لأغراض صناعية على نطاق واسع أيضاً واسم الحشرة العلمي هو (Dendroctonus micans)، وهي منتشرة في بلدان شمال أوروبا وآسيا من فرنسا حتى اليابان ولكنها لم تظهر في الغابات البريطانية الا سنة ١٩٨٢، ومنذ ذلك الحين وخنفسة (الميكانس) تنتشر في مزارع الريف البريطاني، من أقصى الغرب الى أقصى الشرق، وتفتك بشجر السروس النرويجي والشيكا على وجه التحديد

وتتميز خنفسة الميكانس هذه بقوة تدميرية هائلة تمكن الحشرة الواحدة من قتل شجرة صنوبر كاملة بمفردها ودون الحاجة لانشاء مستعمرة يتعاون عدد كبير من أفرادها للقضاء على شجرة صنوبر واحدة

وأما الخنفسة المبيدة التي لجأ اليها العلماء الانكليز لانقاذ مايمكن انقاذه من غابات الصنوبر فتسمى (Rhizophagus grandis) ـ وهي منتشرة في شتى بلدان أوروبا ماعدا بريطانيا من هنا كان

اقدام وزارة الاحراج البريطانية على استـ الخنفسة المذكورة من بلجيكا منذ أكثر من ثـ سنوات وذلك لقاء حبيهن استرليبين للخـ الواحدة ولعلك لا تستغرب عزيزي القـ المبالغ الكبيرة التي دفعها الانكليز لاستـ الحشرة ـ خنفسة الجرانديس ـ لو عرفت الخصـ التي تتميز بها هذه الخنفسة

من تلك الخصائص قدرتها على الفتك بـ الميكانس، على الرغم من أنها أصغر منها بـ وهي تشرع بمهمة الفتك هذه في اللحظة التي ـط فيها، ولا تتوقف عن أداء المهمة حتى تكمـ

والغريب أن حشرة الجراد لا تهاجم حشرات غير حشرة الميكان والأغرب أنها تتزايد بنسبة تفوق نسبة تزايد الحشرة الضارة فهي تتضاعف (١٠) أضعاف في الجيل الواحد أي بزيادة ضعفين عما عليه حشرة الميكان

ولا يخفى أن الانجليز لم يستوردوا كل ما احتاجوه من حشرة الجراد ، فقد عمدوا الى أساليبهم الخاصة الكفيلة بتهجين وتكاثر الكمية المحدودة التي استوردوها من تلك الحشرة

والجدير بالذكر أن العلماء الانكليز اقتفوا أثر العلماء السوفيات في ذلك كله في أعمالهم وتجاربهم الرائدة في هذا الصدد فقد تفشت حشرة الميكان في حوالي ٣١٢٠٠٠ فدان من الغابات الروسية قبل نحو ٢٠ سنة وانطلق العلماء السوفيات يبيدون تلك الحشرة بحشرة الجراد التي بلغ مجموع ماأطلقوه منها ٤٠٠٠ حشرة ولم يكد يمضي (١٠) سنوات حتى استكملت الحشرة الأخيرة مهمتها على أكمل وجه ممكن

بقي أن نشير الى الأضرار البالغة التي تلحق بالبيئة وبالانسان نتيجة استعمال المبيدات الكيماوية فالمبيدات الحشرية أو الحيوانية لا تسيء الى البيئة من قريب ولا من بعيد أضف الى ذلك أنه أقل كلفة وأشد فاعلية لا عجب إذن ان انصرف العلماء في الدول المتقدمة جميعا الى البحث عن مزيد من تلك المبيدات الحشرية

معالم باريس الحضارية في خطر

خبر اكتشاف البترول في باطن الأرض في باريس خبر مثير لاريب ، قد نقلته في حينه مختلف وكالات الأنباء والاذاعات والصورة المرفقة من أجهزة البحث عن البترول ، وتقدير كمياته ، وهي تعمل بالقرب من قوس النصر ، معلم باريس الشهير

تعمل الأجهزة المذكورة بالسونار ، إذ تتوقف السيارات التي تحملها بضع ثوان بعد كل ٣٠ قدما تقطعها ، ترسل الأجهزة ذبذبات تتغلغل في الأرض الى عمق ٦٥٦٠ قدما ، ثم تلتقط أصداء تلك الذبذبات أجهزة أخرى ، ذات حساسية بالغة ، موزعة حول باريس تحوّل هذه الأصداء إلى أجهزة تصوير خاصة تعمل على تحليلها وتفسيرها طوال سنتين ، ليتبين لهم ماإذا كان البترول موجودا تحت العاصمة الفرنسية بكميات تجارية أم لا

ويرجح العلماء أن تكون مساحة حقل باريس نحو ٥١٠٠٠ ميل مربع ، وسبب هذا الترجيح أن منطقة باريس ليست حديثة عهد بالبترول ، فقد اكتشف منذ أكثر من ٢٥ سنة في عدد من ضواحيها ، أحد آباره ، وكان إنتاجه لايقل عن مليون برميل

ونصف سنويا (من البترول الخام) ، وهي كمية ضئيلة لاتكاد تفي بحاجة فرنسا للنفط لأكثر من عشرة أيام فقط ، إلا أنها كافية لحمل العلماء على الترجيح بوجود كميات لابأس بها تحت قلب العاصمة ، يقدرونها بنحو (١٥٠) مليون برميل

وتنوي السلطات الفرنسية حفر آبار لاستغلال هذه الكميات - إن ثبت وجودها - في أماكن بعيدة عن قلب العاصمة ، وذلك حفاظا على معالمها وآثارها الحضارية . □

العرب في أمريكا

الحلم الأمريكي والوهم المغترب

استطلاع : صلاح حزين
تصوير : أوسكار متري

« نحن الأمريكيين فكرة وليس شعبا ، إننا أمريكيون لأننا نعتقد أننا كذلك » ، هذا ما قاله كاتب أمريكي وهو يستعرض تاريخ هذه البلاد الذي لم تكتمل فصوله بعد ، بشعبها الذي لم ينطلق من حدر واحد ، ولا ينتمي إلى عرق واحد ، ولا إلى خلفية ثقافية واحدة وفي عام ١٧٨٤م أثار كاتب أمريكي آخر سؤالا حول « من هو الأمريكي ؟ » ، وبعد أكثر من قرنين من إثارة ذلك السؤال ، ما زال نفس السؤال مطروحا كما كان في ذلك الزمان الأمريكي العابر

حين نزل المهاجرون الانكليز الأوائل على الشاطىء الشرقي من القارة الجديدة بدأ فصل جديد من فصول تلك الأرض يكتب ، ذلك الفصل الذي لم يكتمل بعد ، فالسفن لم تتوقف عن إنزال حمولاتها من المهاجرين ، والمهاجرون لا يزالون يتوافدون ، والأرض الجديدة لم تعجز عن الاستيعاب ومن الطريف أن المؤرخ الأمريكي (أوسكار هاندلين) حين حاول أن يكتب تاريخ هؤلاء المهاجرين اكتشف أن المهاجرين هم التاريخ الأمريكي ، فاختلف في ذلك قليلا مع مؤرخ أمريكي آخر هو (والتر بريسكوت ويب) الذي رأى أن التاريخ الأمريكي هو « تاريخ الحدود » التي استمرت تندفع غربا على أشلاء الهنود الحمر الذين لم يكن لهم قبل بهؤلاء القادمين ، فلم يعد لهم من خيار غير أن يموتوا ليدفنوا في أرض أجدادهم ، أو أن يعيشوا أقلية معزولة بين « شعب من الجاليات المهاجرة » ، على حد تعبير الرئيس الأمريكي الراحل جون كيندي ، وكتب المنتصرون كثيرا عن كيف ربحوا الحرب ، ولم يكتب الهنود الحمر كيف خسروا ، فقد طواهم النسيان قبل أن يتعلموا الكتابة على أيدي الغزاة المتحضرين !

أمة تعج بالأمم

قبل أن نذهب الى أمريكا لنبحث عن « جذورنا » العربي هناك ، وقفت عند تعبير بدا غريبا بقدر ماهو حقيقي لشاعر أمريكا الكبير والت ويتمان ، الذي رأى أن أمريكا « أمة تعج بالأمم » وعليه فليس العرب هناك سوى بعض من تلك الأمم التي تعج بها أمريكا ، لكن مالم يدر بذهن ويتمان ولا بذهني ان الجالية العربية هناك كانت حتى عهد قريب « جالية تعج بالجاليات » ، فهناك اللبنانيون والفلسطينيون والسوريون ، وهناك العراقيون والمصريون واليمنيون ، وأخيرا أصبح هناك سودانيون ومغاربة وتونسيون وجزائريون كل هؤلاء يشكلون الجالية العربية التي كان أفرادها يدرجون أحيانا مع الأتراك باعتبارهم من رعايا الدولة العثمانية ، وأحيانا سوريين أو شرق أوسطيين ، وأحيانا أخرى مغاربة أو مراكشيين ولا أدري ان كان للأسباب نفسها أم لغيرها أن خلا جدول للجاليات التي تشكل الأمة الأمريكية ـ نشر في مجلة « يو اس نيوز اند ريبورت » ، في العدد المخصص لاحتفالات تمثال الحرية صدر في يوليو الماضي ـ من أي ذكر للجالية العربية ، مع أن هناك من يقدر عدد هذه الجالية بما يقارب ثلاثة ملايين ، في الوقت الذي ضم فيه الجدول جاليات لا يزيد عدد أفرادها عن المليون

إنه مثير للانتباه ذلك الدور الذي تلعبه الجاليات المختلفة على صعيد المجتمع والسياسة في امريكا فهذا المجتمع الصناعي المتقدم يعتمد في بعض نواحيه على أشكال متعددة ومتنوعة من العمل العام ، الذي يؤثر في النهاية ـ وعبر تعقيدات كثيرة ـ في السياسة الأمريكية ، وفي القرار السياسي لهذه الدولة العظمى ، فالجالية الأيرلندية لها رأي في القرار الأمريكي تجاه ايرلندا ، والبولندية تجاه بولندا واليهودية تجاه « اسرائيل » . . الخ لكن هذا التأثير ـ وهو تأثير له سقف يقف عنده لتبدأ مصلحة الدولة العظمى ـ لا يسير في اتجاه واحد فبينما يتراءى

أماكن التواجد العربي في أمريكا

تأثير الحالية الايرلندية في القرار الأمريكي تجاه ايرلندا من التأييد والاعتراض والتحفظ ، فان تأثير الحالية الكوبية مثلا يصب في تيار العداء التام للنظام الكوبي ، والأمر نفسه ينطبق على الحالية البولندية بشكل أو بآخر ، فيما يصب تأثير الحالية اليهودية في مجرى التأييد التام لاسرائيل بل ان كلمة community الانكليزية ، التي تعني حالية ، تطلق أيضا على جماعات الشاذين جنسيا ذوي النفوذ السياسي الكبير في مدينة سان فرانسيسكو خصوصا

وعلى أي حال فربما لاحظ القارىء معنا أن الحاليات التي ضربنا بها الأمثلة قد حققت نفوذها السياسي نتيجة لنفوذها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المجتمع الأمريكي الشاسع ، فلكل من هذه الحاليات نفوذه مصالحها ورموزها ودورها الذي تلعبه في المجتمع الأمريكي ، فالهنود الحمر وحدهم ـ أصحاب البلاد الأصليون ـ لا يشكلون حالية بهذا المعنى ، وإن كانوا لك ، فلا نفوذ لهم ولن يكون ، فماذا عن العرب الأمريكيين ؟ وأين هم من كل هذه التشكيلات الأمريكية ؟

أجيال ونجوم

رغم ان الهجرات العربية الى أمريكا تعود الى خمسينيات القرن الماضي ، إلا أن الحالية العربية عموما تعتبر من الحاليات الحديثة في المجتمع الأمريكي ويمكن تقسيم الهجرات العربية المتتالية الى أربع موجات خلقت أربعة أجيال من المهاجرين العرب ، تبدأ الاولى من ١٨٩٠ ـ ١٩١٢ ، والثانية من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٨ ، والثالثة من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠ ، والرابعة من ١٩٦٧ وحتى الآن ومن بين هذه الهجرات تتميز الهجرتان الثالثة والرابعة بأنهما جاءتا في أعقاب هزات سياسية كبيرة في الوطن العربي ، كما تميزتا بوجود عدد كبير من ذوي التحصيل العلمي ، وأولئك الذين لهم تجربة في العمل السياسي بين أفرادهما ومن المهم أن نذكر أنه مع هاتين الموجتين بدأت الهوية العربية تحل محل الهوية الوطنية ، التي كانت كل من « الحاليات العربية » الاولى تعمل على أساسها ، ومع قدوم هاتين الموجتين كان المهاجرون العرب الاوائل قد رسخوا أقدامهم في المجتمع الأمريكي ، وحصلوا على نفوذ اقتصادي وسياسي لا

● ـ دبكة لبنانية ، وألعاب عربية ، وجمهور عربي وأمريكي في مهرجان الوطن العربي في مدينة ديترويت

بأس به ، وبرزت منهم شخصيات معروفة وصل بعضها الى مرتبة « النجومية » المهمة جدا في المجتمع الأمريكي ، ولعب البعض الآخر دورا مهما في الحياة السياسة الأمريكية ومازال يلعب فنائب رئيس الحملة الانتخابية الأخيرة للرئيس ريغان ونائبه بوش عربي الأصل يدعى جورج سالم ، ونائب رئيس الحملة الانتخابية للمرشح الديمقراطي جيسي جاكسون هو جيمس زغبي ، وهناك اثنان من العرب أعضاء في مجلس الشيوخ ، وهناك ستة رجال ونورماري عوكر اللذان يحتفظان بمقعديهما في الكونغرس منذ ١٠ سنوات ، ومن العرب حكام ولايات ورؤساء بنوك وعمداء جامعات ونجوم غناء وفن ، ومنهم سيمائيون فاز بعضهم بجائزة الاوسكار الشهيرة ، ومنهم روائيون وأكاديميون وموظفون كبار ، مثل عميدة الصحفيين في البيت الأبيض هيلين توماس ، ورئيسة البروتوكول سلوى روزفلت ، ومنهم ايضا فيليب حبيب

الوجود والنفوذ

وواحد من الأشياء التي يعنيها وجود هذا الحشد من الشخصيات العربية البارزة في الحياة الأمريكية ان الجالية العربية استطاعت تحقيق بعض النفوذ في عدد كبير من مجالات الحياة الأمريكية ، لكن ذلك لم يأت نتيجة عملها كجالية عربية محددة الاهداف والمرامي ، بل كأفراد عرب في مجتمع يتيح للأفراد ان ينجحوا ويحققوا الكثير عدا ان هذا « الوجود العربي » في مجتمع تتنافس فيه الجاليات ما كان له أن يقبل بسهولة من جانب بعض الجاليات الأخرى وبالتحديد الجالية اليهودية ذات النفوذ القوي ، حتى يبدأ بالتحول الى نفوذ ، خصوصا وان الجاليتين مشتبكتان على ساحة صراع خارج الولايات المتحدة هي ساحة الصراع العربي « الاسرائيلي » ، تلك الساحة التي دخلت فيها الولايات المتحدة طرفا بعد ثورة أسعار النفط وبدء الحديث عن ازمة الطاقة التي أفلح العرب عموما في القاء مسؤوليتها على عاتق العرب فظهرت صورة « العربي البشع » المتحكم بمستقبل البشرية لفترة من الزمن ، يريد خلالها أن يقايض هذا المستقبل بثرواته الخاصة ، وطموحاته الصغيرة ، واهتماماته التافهة كان ذلك في بداية السبعينيات ، وهي الفترة التي

شهدت الموجة الأخيرة من موجات الهجرة العربية الى أمريكا ، والتي تميزت ـ كما قلنا ـ بزيادة اعداد المهاجرين وبأن كثيرا من هؤلاء من ذوي التحصيل العلمي الجيد نسبيا ، وبكون العديدين منهم على معرفة باللعبة السياسية ، ان لم يكونوا ذوي خبرة سياسية عملية في أوطانهم الأصلية وعند التقاء مجموع هذه الظروف بدأت الجالية العربية خوض حرب على ثلاث جبهات ـ ان جاز التعبير ـ جبهة تحويل « الوجود العربي » في مجالات رئيسية في الولايات المتحدة الى « نفوذ » سياسي لهم ، وجبهة التصدي لتشويه صورة العربي النمطية في وسائل الاعلام

اما الجبهة الثالثة فهي جبهة العمل من اجل تغيير السياسة الامريكية المتحيزة « لاسرائيل » ضد العرب في الصراع العربي الاسرائيلي ، والوصول الى نوع من « التوازن » بين العرب وبينها ينعكس على شكل « توازن » آخر بين الجاليتين العربية واليهودية بامريكا ، وذلك كما يرون ممكن تحقيقه من خلال الاستعانة بأموال العرب في البلدان العربية وبالفعاليات الأمريكية من اصل عربي في الولايات المتحدة ، وبالعدد الذي يملكونه داخل الدوائر الامريكية المختلفة يساعدهم في ذلك ان مصلحة امريكا بالنسبة للجالية العربية تأتي في المقام الاول ، وان الدول العربية المعتدلة ـ بالتعبير الامريكي ـ هي التي تقود الوضع العربي سياسيا في هذه المرحلة لذا فالتوازن ـ كما يرون ـ ممكن التحقيق ، وبالتالي فلا يمكن لعين الزائر للولايات المتحدة بهدف الاطلاع على أوضاع العرب هناك ، ان تخطىء حركتهم التي لا تهدأ للبحث عن أسلحة جديدة ، وتجميع عناصر جديدة ، والبحث عن أساليب عمل مناسبة وفعالة ، والقيام بأنشطة عديدة لكسب المعارك التي تخوضها الجالية العربية والتي تكاد أن تكون الاكثر نموا بين الجاليات هناك وربما كان من المفارقات ان نذكر ان هذه « المعارك » جمعت العرب الامريكيين ، او الامريكيين العرب كما يحبون أن يقدموا أنفسهم ، لتحقيق الاهداف التي ذكرناها ، فأصبح بالامكان الحديث عن « جالية عربية » بدل الحديث عن « جاليات عربية » ، كما كان الامر في الماضي لكن الجالية العربية خلال بحثها عن أساليب العمل الفعالة لم تتفق على أسلوب واحد بل اختلف العاملون

مهم حول أفضل الوسائل وأنجح الطرق لكسب هذه المعارك ، فتكونت أكثر من جمعية ومؤسسة ومنظمة لهم ، في محاولة للبحث عن اطار مناسب لتجميع الطاقات وتحقيق طموحهم الخاص الذي انصرفوا له ، بعد ادراكهم صعوبة تحقيق الحلم الأمريكي قبل أن يكسبوا معركتهم الامريكية على الأرض الجديدة البعيدة

وهكذا وجدنا أنفسنا نتجه نحو واشنطن ، عاصمة السياسة الامريكية ، ومركز النشاط السياسي المطلوب لجميع من يود أن يخوض معركة هناك ، تاركين نيويورك وحي العرب الشهير في بروكلين كما تركنا ديترويت حاضرة العرب الامريكيين التي تضم أكبر تجمع لهم ، لنعود اليها بعد أن نرى ما يصنعه الامريكيون العرب في عاصمة العرب السياسية ، من خلال جمعياتهم « الخيرية » ، التي لا تهدف الى الربح كما أكد لي جميع من التقينا بهم هناك

أكبر تجمع للمثقفين العرب

نشأت رابطة الخريجين الجامعيين في أمريكا وكندا بعد حرب عام ١٩٦٧ ، ونتيجة مباشرة لها . ففي ذلك الجو المليء بالأسى ، والذي تكشف عن هوة واسعة تفصل بين المواطن العربي وبين أنظمته ، وبين المثقفين ودورهم الذي يمكن أن يلعبوه لخدمة قضايا أمتهم ، شعر المثقفون العرب من خريجي الجامعات الامريكية بضرورة أن تكون لهم جمعية خاصة بهم ، تلعب دوراً على صعيد التوعية بالواقع العربي ، ومعرفته بشكل أعمق ، وفي الوقت نفسه لوضع حد للصورة العربية التي اهتزت لا في امريكا فحسب ، بل في العالم كله ، ومن أجل اقامة تفاهم أعمق بين الشعوب العربية وشعوب أمريكا الشمالية ، ومحاولة تشكيل قوة ضاغطة لتغيير السياسة الامريكية التي صهـ حيزها واضحا تجاه اسرائيل في تلك الأيام العصيبة

ويعد الدكتور حليم بركات ، الروائي وعالم الاجتماع المعروف ، الذي يشغل منصب الرئيس الحالي للرابطة ان غاية الرابطة علمية ، لكنه علم ملتزم بتمثيل وجهة النظر العربية في أمريكا . وعلى الرغم من أن اعضاءها من المثقفين والأكاديميين الا انها ليست جمعية مهنية ، وتتعدد نشاطاتها لتشمل

● سوزان زيادة بالمكتب الرئيسي في مدينة بوسطن

حقول نشر الكتب ، واصدار مجلة فصلية اسمها (موبيتور) تدور حول موضوع أساسي ، بالاضافة الى نشرة تتناول أوضاع الحالية العربية . وفي كل عام تعقد الرابطة مؤتمرا سنويا في مدينة امريكية مهمة ، تدعو اليه مجموعة من أبرز المثقفين العرب ، ليضعوا تحليلاتهم وتصوراتهم الخاصة بموضوع معين محل نقاش طوال أيام المؤتمر ، اضافة الى المؤتمرات الاقليمية المختلفة . وعلى الدوام تصدر الرابطة بيانات تتعلق بالاحداث التي تمس العرب ، سواء في أمريكا أو في الوطن العربي ، مثل حادث ضرب ليبيا في ابريل من العام الماضي ، أو ما يحدث في لبنان أو مصر أو الضفة العربية المحتلة . ويحاول حليم بركات أن يكتم ابتسامة أبت ألا تختفي فخرجت ساخرة حين قال . انا أكبر تجمع للمثقفين العرب داخل وخارج الوطن العربي ، حيث يحضر مؤتمراتنا نحو ٢٥٠٠ باحث ومثقف عربي سنويا . ولأننا قابلنا الدكتور حليم بركات باعتباره مسؤولا عن مركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورج تاون بواشنطن ، لا باعتباره رئيسا للرابطة ، فقد كان علينا أن نستكمل الحديث عن رابطة الخريجين الامريكيين العرب مع سوزان زيادة التي تدير المكتب الرئيسي للرابطة في مدينة بوسطن الجميلة بمبانيها التي لا تزال تحمل الطراز البريطاني العريق

● ـ الجالية الفلسطينية في نيويورك في مطعم عربي وأجواء شرقية

● ـ عرب وأمريكيون أثناء العمل في (الساعة العربية) التي يبثها التلفزيون الأمريكي أسبوعيا في مدينة بوسطن

● ـ أسامة سيلاي ، ناشر صحيفة (صدى الوطن) العربية في ديترويت

● ـ حي العرب في بروكلين وكتابة بالعربية ، والانكليزية

● ـ جو حايك ، صاحب مجلة ودار نشر « حلقة حار » (فوق) ، وإلى اليسار الشيخ فتحي ساصي يؤدي للصلاة في المركز الإسلامي اشنطن

وهناك في المقر المتواضع لأقدم وأكبر تجمع للمثقفين العرب ، أضافت الآنسة زيادة أن من ضمن أنشطة الرابطة ارسال وفود من رؤساء البلديات الامريكيين الى البلدان العربية ، وفي المؤتمر الأخير لمنظمة المدن العربية في السعودية زار وفد من رؤساء البلديات الامريكيين الاردن ، ودخل الى المناطق المحتلة في فلسطين والضفة الغربية وغزة ، وزاروا عدة مؤسسات هناك،والتقوا بتوفيق زياد وصالح براسي وبسام الشكعه وآخرين،وأضافت زيادة « لقد ارسلنا صحفيين للقيام بحملة توعية حول أوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال . ويشمل النشاط أيضا التعاون مع سياسيين امريكيين من أصل غير عربي ، مثل لي هاملتون ، وآخرين من اصل عربي مثل نك رحال وروزماري عوكر ، ومع اكاديميين من ضمنهم يهود مثل نعوم تومسكي عالم اللغويات الشهير » .

اللجنة والمعهد

تقوم لجنة مكافحة التمييز ضد العرب الامريكيين بدور مختلف عن الدور الذي تقوم به رابطة الخريجين العرب الامريكيين . وهذه اللجنة كما تؤكد برسارة شاهين المديرة التنفيذية للجنة ، جمعية « حرية معفاة من الضرائب » ملتزمة اساسا بالدفاع عن حقوق العرب الامريكيين ونشر تراثهم الثقافي ، وقد اسس هذه اللجنة السناتور الامريكي السابق جيمس ابو رزق عام ١٩٨٠ ردا على حملات التشويه والتمييز والتحيط التي تتعرض لها صورة العرب في امريكا وفي سبيل تحقيق أهدافها فان اللجنة تسلك السبل المشروعة ، كما انها تساعد المهاجرين العرب الجدد ، وتقدم البعثات الدراسية للطلبة العرب ، وتنشر الكتب والدراسات التي تتحدث عن التراث العربي الثقافي والفني والفكري والأدبي . كما انها تقوم بمسيرات احتجاج على محاولات تشويه الصورة العربية ، وتعقد الندوات والمعارض . وتركز جانبا من نشاطها ضد مكتب التحقيقات الفدرالي الذي يحمل لواء التمييز ضد العرب . وفي اغسطس الماضي تسلم رئاسة اللجنة المحامي عابدين جبارة خلفا لجيمس ابو رزق . وعلى أي حال فان هذه الأهداف التي قد تبدو سهلة وبسيطة التحقيق ليست بمثل السهولة والبساطة التي تبدو عليها ، فأعضاء الجمعية خلال مسيراتهم وأنشطتهم ، يصطدمون بالمتطرفين اليهود والصهاينة الامريكيين ، و... أعضاء رابطة الدفاع اليهودي ، التي أسسها الحاخام مائير كاهانا ، قبل ذهابه الى اسرائيل وحصوله على عضوية الكنيست الاسرائيلي . وخلال واحد من هذه الصدامات قتل اليكس عودة ، رئيس فرع ... انجلوس في حادث نسف مقر اللجنة هناك ... محاولة لحرق المقر الرئيسي للجنة بواشنطن ... هو السبب في الخراب الذي ربما لاحظته واب... الساعة » . قالت برسارة وهي تودعنا . وفي ... خارج المقر عرفت سر اعمال الترميم الجارية عند المدخل في الطابق الأول ، كما عرفت لماذا يقصد نشطاء العرب الامريكيين ان يختاروا الطوابق ... مقرات لانشطتهم فهي تصعب على محاولات التحر... التي تقوم بها عصابات المتطرفين الامريكيين ... وصهاينة .

لكن جيمس زغبي له راي يختلف عن رأي زملائه السابقين في اللجنة التي اشترك في تأسيسها مع جيمس ابو رزق ، لذلك انفصل عنهم وتراس المعهد العربي الامريكي . ليمارس نشاطه الذي يكاد يكون سيا... مباشرة بمقاييس النشاط الامريكي . ويطلق ... الذي كان أول عربي قدم شخصية انتخابية للرئاسة بصفته نائب رئيس الحملة الانتخابية للقس جيسي جاكسون ، من اقتناعه بأن الانتخابات هي الطريق الى تحقيق نفوذ عربي في السياسة الامريكية . و... يعتقد بأن الامريكيين العرب يستحقون الاعتبار لسياسة الامريكية ، لكنه يقول ، ان « علينا ذلك ان نعطي الاعتبار لانفسنا . ويقترح زغبي ... طويله الأمد تعتمد على حصر القوة الانتخابية العربية في أمريكا في قوائم محددة من خلال عمل منظم ... كل مدينة وكل حي يوجد فيه العرب ، والعمل خلال الأحزاب السياسية الأمريكية ليكون للعرب الامريكيين بعد ذلك صوت انتخابي مؤثر في السياسة الامريكية . ولكن ماذا عن اللوبي العربي الذي تحدث عنه العرب الامريكيون وغير الامريكيين ، باعتباره وسيلة ضغط لموازنة السياسة الامريكية يجيب زغبي لا تستطيع تكوين لوبي عربي مؤثر ، بأن مثل هذا اللوبي الشكلي موجود وله مكاتب موظفون ، لكنه غير فاعل . ويضيف زغبي ،

نحتاجه إلى لوبي لأننا نعتقد أن المهمة الاولى هي عمل شيء داخل الجالية العربية والاعلاء من شأنها وجعلها مؤثرة . أما مرحلة اللوبي فتأتي بعد ذلك

هكذا تكلم جيمس زغبي وبربارة شاهين وسوزان زيادة وحليم بركات ، وهم يتلمسون السبل نحو الاطار الأمثل للعمل العربي في امريكا . لكنني لاحظت ان كلا من هذه المنظمات ومنظمات اخرى اقل اهمية ، تخوض هذه المعارك باعتبارها تتعلقهم كامريكيين بالدرجة الاولى ، لكن لهم ارتباطاتهم ومصالحهم ووشائجهم التي تربطهم بالوطن العربي الذي أتوا منه . وهو أمر طبيعي في المجتمع الامريكي ، ولا تنفرد به الجالية العربية بل تشاركهم به جاليات أخرى هناك . وفي نهاية جولتي بين الجمعيات العربية طرحت سؤالا عن التنسيق بين هذه الجمعيات المختلفة الأساليب والحقول والتوجهات ، فجاء الجواب من حليم بركات الذي قال ان هناك مجلسا خاصا من رؤساء الجمعيات العربية الامريكية يجتمع دوريا وكلما دعت الضرورة لتنسيق عمل هذه المنظمات

مؤسسات ومراكز اسلامية

لكن هذا ليس كل ما هناك مما يخص العرب الاسلام والمنطقة بشجونها وشؤونها . فهناك مؤسسات امريكية تهتم هي الاخرى بالعلاقة العربية الامريكية ، مثل المجلس القومي للعلاقات العربية الامريكية ، الذي يهتم بتطوير العلاقات بين الامريكيين العرب ، والمعهد الامريكي للشؤون الاسلامية والمنظمتان مؤسستان خيريتان لا تهدفان [illegible] ربح ومعفاتان من الضرائب أيضا .

[illegible] هناك مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون ، الذي يشرف عليه حليم بركات ، وهو [illegible] الذي يحمل اسم الدراسات العربية وليس [illegible] الشرق الاوسط أو غير ذلك ، مما استدعى [illegible] ضغوط كثيرة وعديدة حوله لتغيير الاسم . وهو [illegible] دوره الاكاديمي ، يقوم بتقديم الثقافة [illegible] من خلال المحاضرات والندوات والمنشورات [illegible] ومن خلال الزيارات التي يقوم بها [illegible] عرب لتقديم الجوانب المختلفة للثقافة [illegible]

وقبل ان نغادر واشنطن الى ديترويت ، قمنا بزيارة المركز الاسلامي بواشنطن ، الذي لفت أنظارنا قبل زيارته بحجارته البيضاء الجميلة وطراز هندسته الاسلامي وسط ابنية واشنطن ذات المعمار المتنافر الذي يفتقد الشخصية المميزة ، وتصادفت زيارتنا للمركز مع وقت صلاة الظهر

تتوافد عدد قليل من المصلين عربا وأجانب ، عندما سمعوا الشيخ فتحي ماضي يؤذن للصلاة بصوت قوي عذب . رفض بعض المصلين ان تلتقط لهم الصور ، رفضا قاطعا لا يقبل النقاش . فقام زميلي المصور بالتقاط صور لمكونات المركز ، الذي يضم الى جانب المسجد بسقفه الخشبي المزخرف ومحرابه وثرياته وهندسته الاسلامية الداخلية المميزة ، مكتبة ومحلا لبيع الصور والتذكارات والهدايا ذات الطابع الاسلامي ، فالمركز ليس مسجدا للصلاة فحسب ، بل يقوم بدور أكبر في تلك البلاد كما يقول الدكتور عبدالله خوج ، مسؤول ادارة المركز . فمن أهداف المركز الذي تقصده للصلاة كل المذاهب الاسلامية ، تقديم الاسلام للمجتمع الامريكي من خلال اقامة المعارض الفنية ذات الطابع الاسلامي وخاصة معارض الخط والزخرفة واقامة الاسواق الاسلامية ، حيث تباع الملابس والمأكولات والتحف والهدايا التذكارية ، وتنظيم المحاضرات عن التراث الاسلامي ، وتقديم فصول في اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، ويصدر المركز مجلة اسلامية تحرص على تقديم الموضوعات ذات الطابع الديني والثقافي والعلمي من منظور اسلامي . والمركز الاسلامي في واشنطن واحد من عدد كبير من المراكز الاسلامية في مدن الولايات المتحدة الرئيسية ومن أبرزها المركز الاسلامي بمدينة توليدو في ولاية اوهايو التي كان لنا زيارة اليها

طليطلة الامريكية

ترتاح مدينة توليدو في غابة فسيحة من الأشجار التي شقت فيها الشوارع ، وارتفعت على أرصفتها السابات ، وامتدت على طول الشوارع المنازل الخشبية المتسقة ذات السقوف المائلة والألوان الرمادية والبنية والبيضاء ، التي تذكرك بالمدن الاوروبية الصغيرة القائمة وسط الغابات . تشعر وأنت تدخل المدينة

● ـ المركز الإسلامي بواشنطن ، طراز شرقي في عاصمة الغرب

● ـ المصليات يخرجن من مسجد ديترويت

● ـ حجاب ومسابح وثياب فلسطينية مطرزة في ديترويت

● ـ المسلخ الإسلامي في القرية العربية في ديترويت
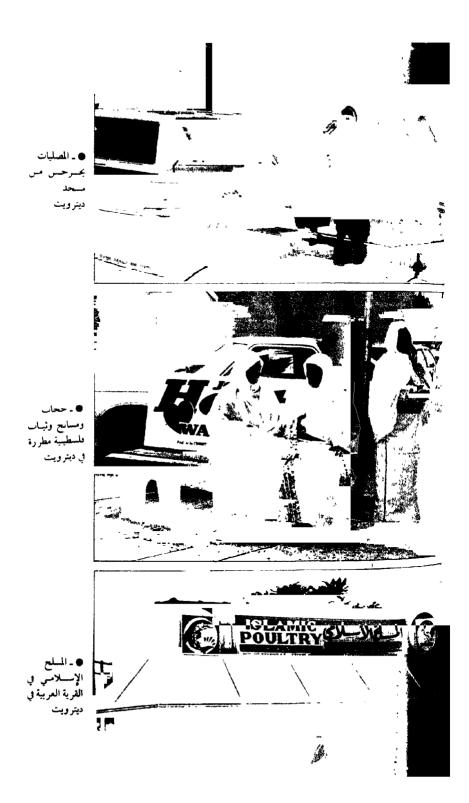
الوادعة بأنك تدخل أحواء قرويه حميمة

حالية توليدو العربية لا مشاكل لديها مع الحالية اليهودية ، فكثير من أفرادها قدموا الى امريكا منذ سنوات طويلة ، يعود بعضها الى أيام الحرب العالمية الأولى وقد اندمج كثيرون منهم في المجتمع الامريكي اندماجا تاما وحصل آخرون منهم على مراكز مهمة ، ونسجوا علاقات متينة مع ممثلي المدينة والولاية السياسيين ، لكنهم مازالوا دون مرحلة تحقيق النفوذ السياسي المنشود ومن خلال المركز الاسلامي الذي ساهمت الكويت بشراء الارض التي قام عليها في بقعة قصيه خارج المدينة ، تمارس الحالية نشاطا يتمثل في افتتاح فصول دراسيه للاطفال وكبار السن ، وفي المحاضرة الاسبوعية التي تلقى في قاعة المحاضرات الواسعة في الطابق الثاني للمركز ، ومشروع انشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية

الملاحظة المهمة هنا ان تمويل المركز يتم من خلال الأعمال المنزليه ، والاشراف على المقصف الذي يقع في الطابق الأرضي للمركز ، وهذه كلها تقوم بها النساء اللواتي يخصصن جزءا من وقتهن لهذا النشاط ، ومن خلال ريع المقصف والاسواق الخيرية والاحتفالات التي تقام جميعها هناك ، يتم تمويل المركز الذي يتكامل دوره مع دور الكنيستين الخاصتين بالطائفة المسيحية للجالية العربية في التصدي لمحاولات تشويه صورة العرب هناك ، فرغم الهدوء الذي يسود المدينة الا أن أحدا لا يضمن وجود أفكار مسبقة لدى الامريكيين عن العرب فبعضهم كما قال « جوزيف شرشر » ، احد نشطاء الحالية هناك ، لا يفرقون بيننا وبين الأيرانيين مثلا ويضيف « حتى المسيحيين منا »

حي العرب في بروكلين

نزلنا في نيويورك ، تلك المدينة الشاهقة ، مدينة ناطحات السحاب وتمثال الحرية ومقر الأمم المتحده ، وتوجهنا إلى مقر اتحاد غرف التجارة العربية في ناية ورلد تريد سنتر ، وهي أعلى ناية في نيويورك

صعدنا الى الطابق السادس والخمسين من الناية الشاهقة لنقابل السيد ثابت المهايني ، المدير التنفيذي لاتحاد غرف التجارة العربية الامريكية ، التي تعمل بالتنسيق مع الادارة الاقتصادية للجامعة العربية ، وتمارس عملها مع مجلس السفراء العرب ، وتعمل على تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والمالية والتنموية والسياحية بين العرب والبلد المضيف ، حيث ان هناك مثل هذه الغرفة في معظم بلدان العالم الاخرى وقد حرص السيد المهايني أن يذكر لنا ان الغرف ليست رسمية ، بل هي واحدة من منظمات لرجال الأعمال العرب تعمل في هذا الاطار كما حرص بعد شرح واف لنشاط اتحاد الغرف في احد المحتلفة على القول « لسنا لوبي عربي بأي حال من الأحوال »

وإن كان العمل الرسمي أو شبه الرسمي يصدر من نايات نيويورك الضخمه ، فلابد ان العمل غير الرسمي ينطلق من الأحياء التي تقطنها الجالية العربية وأماكن التجمعات العربية الأخرى وسألنا عن حي العرب في نيويورك ، فقيل انه في بروكلين ، التي ربما كانت شهرة جسرها تفوق شهرتها كمدينه ظلت مستقلة حتى عام ١٨٨٣ وكانت فرصة لنا لأن نركب الجسر الشهير ، ونعبر الى حي العرب في بروكلين

في حي العرب الذي أخذنا اليه انيس البرغوثي وهو مساعد السيد المهايني ، بدأت لقاءاتنا بالأوساط الشعبية العربية ، مررنا بالمحلات التجارية التي كتبت اسماؤ ها بالعربية ، أحيانا الى جانب الانكليزية ، وأحيانا اخرى بدونها ، وشاهدنا الشاحنات تفرغ حمولتها من الطبيخ ، ودخلنا محلات البقالة التي امتلأت بكميات من الجبن والزيتون واللبنة والميرمية والزعتر وقمر الدين والفلفل والبهارات والتوابل الشرقية ، حيث لغة الحديث الاولى هي العربيه ولا بأس من استخدام الانكليزية ، فهي لغة « معترف بها » في حي العرب في بروكلين رأينا النساء الفلسطينيات بأثوابهن المطرزة الجميله في شوارع مدينه ناطحات السحاب ، وتناولنا الأكلات الشعبية التي ربما لا يتاح لأحدنا تناولها في كثير من البلدان العربية الأقرب إلينا من حيث التاريخ ومن حيث الجغرافيا أيضا

ولأن الجالية الفلسطينية صاحبة النشاط العربي الأكبر في بروكلين ، فقد ذهبنا اليها لنستمع لا لنطرح الأسئلة ، فالأسئلة كثيرة لا تكاد تحصر ، والأجوبة عنها تمضي الى اسئلة اخرى بدأنا في « ...

العرب » سنستمع الى ما يقال حول « قضية العرب » ، التي تأخذ في مدينة تتمتع فيها الصهيونية بنفوذ هائل ، تشكلا مركزا لمحمل القضايا التي تطرحها الجالية العربية بأصولها المختلفة في العالم الجديد

ما قالته الجالية

قالت الجالية بدأنا العمل بتأسيس جمعيات صغيرة تؤدي خدمة اجتماعية وثقافية وروحية . غايتها ربط الجيل الثاني بأرضنا الفلسطينية التي يهددها خطر الغزو الشامل وبدأنا هذا اللون من النشاط بهدف تعريف ابنائنا الذين انقطعوا عن ارضهم ، بتاريخهم وثقافتهم وقومهم ومن خلال محاولتنا لتقديم الدعم لاقاربنا وابنائنا الذين بقوا في البلاد ، وجدنا ان هناك صلة قوية بين هذا العمل الاجتماعي والعمل السياسي لكننا أمريكيون نحمل الجنسية الامريكية ، ونتأثر بالتطورات التي تحدث في السياسة والمجتمع الامريكيين من هنا بدأنا ننشط في العمل السياسي الامريكي من خلال الاشتراك في الانتخابات على أكثر من مستوى ، وبدأنا ناصر من نرى أنهم أقرب الى التعاطف معنا كجالية عربية وهنا أيضا برزت لنا العلاقة بين عملنا السياسي على صعيد بلادنا ، والارض التي جئنا منها ولا نزال نمتلك فيها المصالح ، ولنا فيها الأقارب والأهل واليها نحن ، وأحيانا نعود لقضاء شهور حتنا ، وبين العمل على صعيد المجتمع الامريكي لتحسين أحوالنا المعيشية وتحقيق الوجود السياسي الفاعل نحن نعرف قوة الجالية اليهودية في هذه المدينة ، لكن امريكا ليست نيويورك ولابد لنا من العمل

كان هذا مختصر ما قالته الجالية الفلسطينية التي نعتقد انها يمكن ان يؤخذ لتعميمه على الجاليات العربية الأخرى في امريكا كان في حديثهم تصميم على ... المعترك السياسي تحدثوا عن دعمهم جيسي جاكسون مرشح الحزب الديمقراطي الامريكي في الجولة الاولى للانتخابات الامريكية ، وتحدثوا عن التبرعات التي استطاعوا جمعها أيام الغزو الاسرائيلي للبنان والمتطوعين الذين انطلقوا من هناك لمقاومة الغزو ، والشهداء الذين قدموهم وتحدثوا عن مشروع لتبني ٤٠ ألف طفل فلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها وتحدثوا بكثير من المرارة عن علاقات الدول العربية بعضها ، وبكثير من النقد حول بعض الممارسات الرسمية العربية والفلسطينية ووجدت نفسي في بداية موضوعي الذي ذهبت اليه بحثا عن العرب في امريكا ، الذين صرفهم هم الاغتراب عن تحقيق الحلم الامريكي

في القرية العربية

في ديترويت يشعر الزائر لامريكا انه في مكان مختلف ، لكنه لا يعرف هل هو مختلف عن الأمكنة العربية أم الامريكية يشعر الزائر انه رأى الأمكنة التي يراها من قبل ، وشاهد المحلات بأسمائها المألوفة ، وقابل الناس الذين يلتقيهم لأول مرة ، ولا يكاد يصدق أن هؤلاء الذين يراهم في الشوارع والأماكن العامة بتكوينهم الشرقي وسحنهم العربية وسلوكهم المميز لا يتحدثون العربية رغم الاسم الثلاثي الذي يحملونه والذي قد يكون عربيا تماما ، وقد يكون امريكيا صرفا فلقد كانت ديترويت مهبط المهاجرين العرب الاوائل ومكان اقامتهم الأول ، حيث سكنوا في منطقة اطلق عليها سكان ديترويت اسم « قرية فورد » ، نسبة الى هنري فورد ، رجل الصناعة الامريكي الذي عرف في الوطن العربي بكتابه عن « اليهودي العالمي » في هذه المنطقة التي يطلق عليها أيضا اسم « القرية العربية » يعيش العرب ومع توافد المهاجرين العرب عليها أخذت القرية شكل المناطق التي نزح منها أهلها ليشكلوا ما يعرف بالجيل الأول والثاني من العرب الأمريكيين ، حيث أقاموا فيها كل ما يستلزمه وجودهم هناك من مسجد وكنيسة ومطعم ومقهى ومسلخ اسلامي للذبح الحلال وفتحوا المدارس وزرعوا أمام منازلهم زهور بلادهم وأقاموا الأعراس وبنوا مقابر لموتاهم . وأطلقوا على أحياء المدينة اسماء عربية يستخدمونها كالشيفرة فيما بينهم وانشأوا الجمعيات لأبناء القرى المحتلة التي أتوا منها فكانت جمعية أهالي رام الله ونادي أبناء بيت حنينا وغيرها من الهيئات والجمعيات التي تأخذ أسماء قرى ومناطق المهاجرين الاصلية

في ديربورن وهو اسم المنطقة الأصلي « يلعب الأطفال ذوو السحن العربية في الأزقة ، وتسير النساء الفلسطينيات بأثوابهن المطرزة الزاهية ، ويرتدي

● - المصلون يخرجون من مسجد ديترويت في (القرية العربية) بعد صلاة الجمعة

● - نك رحال ، عضو الكونغرس عن ولاية
غرب فرجينيا

● - الروائي حليم بركات ، رئيس راـ
الخريجين العرب ، في حديث بعيد عن الأدب

● ـ مبنى الامم المتحدة في يوم إجازة

رباره شاهين ، لجنة مكافحة التمييز ضد العرب

س يى ، رئيس اتحاد غرف التجارة العربية
كة ساعده أنيس البرغوثي

● ـ جيمس زغبي ، رئيس المعهد العربي الأمريكي

اليميون في أيام عطلهم الوررة المميرة ، ويصعون على وسطهم الحنية ، ويعتمدون العمامة اليمية الشهيرة ، ويرطن الجميع بلغة انكليرية تشوبها لكنة عربية ، أو يتحدثون بعربية لا تخلو من لكنة امريكية

مهرجان المدينة الكئيبة

يعود السبب في تركز الهجرة العربية في تلك المدينة الواقعة في أقصى شمال الولايات المتحدة قرب الحدود الكندية لكونها مدينة صناعة السيارات ، لذا فإن الغالبية العظمى من أفراد الجالية من الطبقة العاملة ، التي اتجهت الى حاضرة الصناعة في حين هاجر العرب المثقفون الى المدن الكبيرة مثل نيويورك ولوس انجلوس وبوسطن وغيرها لكن الأمور لم تبق على ما كانت عليه حين بدأت الجالية في التوافد على المنطقة لقد نشأت أجيال جديدة من المهاجرين العرب ممن احرزوا تحصيلا علميا عاليا ، وأصبح وجودهم مستقلا عن وجود مصانع السيارات التي بدأت تعاني من كساد واضح في السبعينيات ، فهجر كثيرون المصانع التي توقفت والشركات العديدة التي اقفلت واصبحت شوارع المدينة التي تقهقر مركزها الى المرتبة السادسة بين المدن الامريكية خالية ومقفرة وكئيبة ، وخلت من الحياة الصاخبة التي تميز المدن الكبرى لقد خسرت صناعة السيارات الامريكية الكثير أمام منافسة السيارات اليابانية التي حققت قفزة كبرى في السبعينيات بحجمها الصغير الذي يناسب أزمة الوقود التي نشبت في السبعينيات ، بعكس السيارات الامريكية كبيرة الحجم التي تستهلك كميات كبيرة من الوقود المرتفع الثمن غير ان محاولة لاعادة الروح الى المدينة الكئيبة بدأت في الثمانينيات ببناء مجموعة من البنايات الجديدة - التي اقيمت على ضفة نهر وندسور مقابل الحدود الكندية

لكن العرب لم يعودوا بدوا يرحلون وراء مصانع السيارات كما كانوا يرحلون وراء الكلأ والماء في غابر الأزمان ، وحين انتكست صناعة السيارات ، رحل قسم منهم الى الغرب الذي ازدهر على حساب الشرق بصناعته الجديدة المرتبطة بعصر الفضاء ، لكن الأغلبية واصلوا حياتهم فيما تبقى لغيرهم من مصانع ، وما تبقى لهم من مصالح تنتهم في أرض الشمال الامريكي الباردة فاستمرت الجمع ـ وبقيت المساجد والمطاعم والمراقص الشرقية ، وواصلت الجمعيات التي تقوم بمساعدة المهاجرين الجدد عملها ، واستمرت مراكز الخدمة الاجتماعية كما كانت أيام ازدهار صناعة السيارات ، لكن نشاط الجالية العربية هنا لا يتم بالطريقة نفسها التي شاهدناها في واشنطن ، بل تتحقق على مستويات أكثر عملية وشعبية ولعل نجاح صحيفة « صدى الوطن » الاسبوعية التي يصدرها أسامة سيبلاني في ديترويت ، دليل على حجم الجالية ونوعية أفرادها والامكانيات التي يمكن استغلالها للارتقاء بأجيال العرب الامريكيين الاربعة الذين يقيمون في المدينة جنبا الى جنب ، فالحديث عن اجيال العرب الامريكيين متصل لا ينقطع

حبيبي

في ديترويت ، ترامن وجودنا مع افتتاح مهرجان العالم العربي الذي نظمته الجالية العربية هناك وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية اتصلت الأغاني العراقية الحزينة برقصات صبايا وشباب العراق المغترب ، وامتزج ايقاع الدبكة اللبنانية بالاغنيات الفلسطينية الوطنية ذات الأصول الفلاحية وبإيقاع اغنيات الخليج المميزة

في مهرجان العالم العربي عرضت الزخارف والحرفيات والازياء الشعبية ، والأدوات النحاسية ، والمأكولات العربية ، ولوحات كتبت بالخط العربي الجميل وألقيت الكلمات التي امتلأت بالعتاب على الاشقاء العرب الذين كان بامكانهم ان يجعلوا المهرجان أكثر نجاحا وكانت الكويت واحدة من الاستثناءات القليلة من هذا العتاب لأنها اسهمت بقسطها الذي لم يكن معبرا لانجاح المهرجان كانت أجهزة تكبير الصوت تحيل المنطقة التي بدأ بها اعادة اعمار ديترويت الى حالة من الحبور والرقص والصخب والبهجة وعندما جاء دور الدبكة بنغمات لبنانية ، نزل الجمهور عربا وامريكيين شيبا وشبانا ، نساء ورجالا وشبانا وشابات ليشاركوا في هذا المهرجان الفريد كان الامريكيون يستمعون بصبر للأغاني الشرقية ذات النفس التطريبي الغريب على أذواقهم لكنهم كانوا يفقدون صبرهم عند -

رقص ، ويبدأون في الرقص أيما وحدوا ، على
بين المتفرجين أو في الشوارع أو على شاطىء
القريب الذي يفصل الولايات المتحدة عن
ا ووقفنا دهشين ونحن نتابع ضمن فقرات
فال ، رقصا كويتيا تؤديه فتيات امريكيات على
اعيات سعودية

كانت الفقرات التي قدمتها الفتيات الامريكيات
تتضمن فقرة من الرقص الشرقي الذي يهتز
الوسط وترتخي فيه الأيدي ويتلوى الجسد على
الموسيقا البطيئة الراقصة وفي نهاية الفقرة قابلنا
قصات وعرفنا منهن معلومات عربية لا تخلو من
لقد تعلمت هؤلاء الفتيات الرقص الشرقي
في امريكا دون ان تزور اي منهن بلدا عربيا

من الرقص بواسطة اشرطة الفيديو ، أو في واحدة
مدارس تعليم الرقص المنتشرة في أمريكا بكثرة ،
بي رقصات الشرق الامريكيات بعناوين
ات وكتيبات بأشكال متعدده وأحجام مختلفة ،

بعض هذه المدارس وعن بعض المحلات الخاصة
ون هز الوسط وتثني الجسد ، وعلمت ان أشهر
المحلات تصدر في لوس انجلوس بكاليفورنيا
منها مجلة « حبيبي » ، التي لا توزع بل تعتمد على
اكات الأعضاء ، أقصد العضوات ، فاشتراكهن

مدينة الملائكة

سنذهب الى كاليفورنيا لتقصي أخبار مجلة
بل لمتابعة موضوعنا حول الجالية العربية التي
حرا نحو الغرب وأسست مراكز ومصالح لها
نجلوس وسان فرانسيسكو ، ودخل بعض
سماء النجوم في بيفرلي هيلز وبيل اير .

جلوس أي مدينة الملائكة التقينا نحو
نقابة الصحفيين العرب الامريكيين ،
مجلة « حلقة الاخبار » الاسبوعية التي تنشر
العربية والانجليزية قال حايك ان
يكا يتأهبون للعب دور أكبر في الحياة
، وتحدث عن اهتمام المسؤولين

الامريكيين المتزايد بالجالية العربية ، وضرب مثلا عن ذلك من خلال الحضور المتزايد لرجال السياسة الامريكيين للاجتماعات والاحتفالات التي تقيمها الجالية ، وطلبهم التحدث والقاء الكلمات حتى دون ان توجه لهم الدعوة لذلك « ان أحداث العالم العربي تصنعنا في واجهة الأحداث في وسائل الاعلام المعادية لنا وهذا يحتم علينا نوعا من التنسيق مع اشقائنا في العالم العربي لالقاء ضوء على الحدث وخلفياته » قال حايك مختتما حديثا لا تنتهي شجونه حول العلاقة غير المفهومة بين العرب الامريكيين والعرب في اوطانهم

وقبل أن احمل اوراقي مودعا جو حايك ، وهو التحريف الامريكي لاسم يوسف الحايك العربي ، أبدى جو رغبة خاصة ، في ان أنشر عبر مجلة العربي دعوة لان يمد العرب مكتبة لوس انجلوس العامة التي احترقت أخيرا بأكبر عدد ممكن من الكتب عن العرب والاسلام والمسلمين ، بغض النظر عن الموضوعات نفسها ، على أن تكون هذه الكتب باللغة الانجليزية ، وحين ابديت استسهالا لتلبية الطلب قال جو « ليست الامور بهذه السهولة بالتأكيد فقد توجهنا بهذا الطلب لكل السفارات العربية ولم يصلنا منها مجتمعة سوى ١٥ كتابا لا أكثر » فاحتفت ابتسامتي ووعدت بالنشر

في يومنا الأخير بلوس انجلوس أقلنا إلى فندقنا باص سياحي خلا من الركاب الا سا - زميلي المصور وأنا - ومن السائق ذي الملامح الساكسونية الأكيدة وفيما نحن نهم بالنزول سألنا السائق عن اللغة التي نتحدث بها فقلنا انها العربية قال السائق انه ينحدر من عائلة سورية سألناه عن اسم المدينة التي جاؤوا منها في سوريا فلم يعرف وسألناه عن اسم عائلته الاصلي ، فقال لنا شيئا بلغة امريكية لا تشوبها شائبة ، لكننا لم نتعرف على ملمح عربي فيما قاله .

صمتنا ولم نستطع ان نواصل الحديث وبعد فترة صمت اشترك فيها ثلاثتنا ودعنا الرجل بحرارة تليق ببعض أبناء يعرب الذين التقوا صدفة في بلاد غريبة ، ومضينا ونحن نتساءل عن أي جيل من المهاجرين العرب ينتمي اليه مواطننا المغترب ؟ □

حضارات سادت ثم بادت

اعداد : يوسف زعبلاوى

هرابــا

من حضـارات حـوض الإنـدوس

كان حوض نهر الاندوس ، ولا عجب ، مأوى حضارات قديمة عريقة ذاع صيتها على مر الاجيال ولكن التنقيب عن اثار تلك الحضارات لم يبدأ إلا مؤخرا سنة ١٩٢١ ، وما كان ليبدا لولا خطوط سكك الحديد التي قاموا بمدها في المنطقة سنة ١٨٥٦ ، فقد عثر العمال بالصدفة على كميات من طوب قديم فوجد المهندسون في ذلك الطوب ضالتهم ذلك ان المنطقة الممتدة مسافة ١٦٠كم بين لاهور وكراتشي ، في حوض البنجاب ، وهي المنطقه التي اختيرت لانشاء خطوط لسكة الحديد ، كانت منطقة طمي ترابية وخالية من الحجارة الحجارة التي لا غنى لسكك الحديد عنها من هنا كان شعور المهندسين بالنشوة لما اكتشفه عمالهم من كميات الطوب القديم فقد وجدوا فيها الحل السهل السريع لانقاذ مشروعهم من فشل محقق ولم يترددوا لحظة واحدة في استعمال تلك الكميات لرصف الأرض التي ستحمل سكك الحديد والقطارات من فوقها سواء لاحظوا أو لم يلاحظوا أن ذلك الطوب لم يكن من صنع الطبيعة ، ... من انتاج اليوم أو البارحة وأنها لابد وأن تكون ... آثار احدى الحضارات القديمة تلك التي سادت في تلك المنطقة ، فيما بين القرنين العشرين والـ... عشر قبل الميلاد . ثم ما لبثت أن بادت ... التي استحقت الحفريات الواسعة النطاق التي قاموا بها في
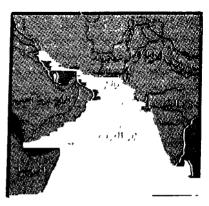
خريطة هـرابـا

لآلهة الأم التي انتشرت عبادتها في الشرق في الألف الثاني قبل الميلاد لقد عثروا على هذا التمثال في
حو - دارو) الواقعة الى الجنوب من هرابا-انظر العينين الجاحظتين وقد كانتا في الأصل ملونتين
غطاء الرأس ، وقد كان أكبر بكثير مما هو عليه الآن

المنطقة ، بعد مضي حوالي ٦٥ عاما على مشروع لسكة الحديد

حقا لقد كشفت تلك الحفريات عن مدن كبيرة احتمت أطلالها تحت تراب أربع قرى معاصرة وكشفت عن أهم المدن مدينة هرابا الواقعة على مجرى قديم لنهر راڤي ومدينة موهنجو دارو على مجرى آخر قديم لنهر الهندوس ، ولكنها لم تكشف عما يدل على كيفية نشوء تلك المدن ونموها حتى أصبحت بذلك الحجم الكبير ويتساءل المرء لدى مشاهدة آثار هرابا وشقيقتها عما اذا كانت المدينتان قد نشأتا نسقا ـ كالمباني المنسقة الصنع ـ وأحضرتا الى حوض الهندوس من عالم آخر غير عالم البشر

التخطيط والعمــران

لا غرابة إذن أن بنيت المدينتان لا ارتجالا ، وإنما وفق مخططات دقيقة محكمة فالأسوار التي أحاطت بهما جعلت على نمط معين وأبعاد محددة ، ـ ، تحقيق الهدف الأول الذي بنيت الأسوار من ... وهو الوقاية من فيضانات الأنهار

أما البيوت فقد اقاموها مجمعات وأحياء سكنـ... وفصلوا بين هذه وتلك بطرق ضيقة أو شوارع ... حقا ، لم تكن تلك البيوت بحجم واحد ، ولكن كانت كلها مدرجة ذات مصاطب ، وقد تتوسطها ساحة داخلية ، وأحاطت بهذه الساحة ... الغرف وكان بعض تلك البيوت مؤلفا من طابقين واشتملت على درج ثابت للصعود الطابق العلوي

ولعل أكثر ما يلفت النظر في تلك البيوت في سائر مباني هرابا اطلاقا إفتقارها الى مظاهر الفن والزينة الداخلية فقد خلت من المتاحف الفنية ، حتى تلك التي غلب عليها الطابع الديني فلم يكن فيها تماثيل كبيرة ولا رسوم ولا الوان يستثنى من ذلك التماثيل الصغيرة التي صنعوها طين ، والتي غالبا ماكانت لرجال عراة ذوي لحى ونساء بدينات كاد شكلهن أن يكون دائريا فالظاهر أن أهل هرابا كانوا عمليين ، وقد آثروا تكون بيوتهم نافعة لا جميلة

النظـــافــة

من هنا كان حرصهم البالغ على النظافة ، و بلغوا فيها مستوى مرموقا يذكرنا بحضارة كنوسو كريت فبيوت هرابا كلها مجهزة بحمامات ومراحيض ومجار متصلة بمجاري البلدية العامة التي سارت مع الشوارع ، وشملت المياه والآبار آبار التصريف وسواها وقد بلغ مهارتهم في تركيب التمديدات الصحية انهم ... المراحيض في الطوابق العلوية من المنازل التي ... من طابقين ، ووصلوا بين تلك المراحيض ... مجاري البلدية العامة

وتجلى اهتمام أهل هرابا وموهنجو بالنظافة ماتجلى في الحمام الكبير الذي بنوه في كـ... المدينتين كان حوضا كبير الحجم ، وتذكرنا بالمقاييس الأولمبية التي يتقيدون بها في هذه الأ... فقد بلغ طوله وعرضه وعمقه ١١,٩×٧×٤

ـ الدلائل كلها تشير الى الطابع الزراعي الذي غلب على حضارة هرابا ولعل في هذه المخازن الضخمة دليلا قاطعا على ذلك انها مستودعات حبوب هائلة الحجم (اسطر الرحال الذين بدوا في الصورة كالأقزام) ذات ١٢ قسما أو مخزنا ولعل أهم معالم تلك المستودعات وأغربها الفتحات والنوافذ التي أنشأوها لها بقصد التهوية والمخازن التي ترى في الصورة أقيمت على ضفاف النهر وذلك لتسهيل شحن الحبوب الى العراق وغيرها بقصد التجارة

[illegible] واستوجب العمق ادراجا تؤدي الى القاع [illegible] رصفوه بالطوب ، وطلوه بالزفت ليضمنوا عدم [illegible] الماء منه

[illegible] أنهم رصفوا الساحة الرحبة التي أحاطت [illegible] والتي احاطت بها مهاجع أو [illegible]) احتوى بعضها على حمامات خاصة [illegible] لنعجب لهذا لو كانت حضارة الـ ومان هي [illegible] الحديث ، ولكننا نتحدث عن حضارة هرابا [illegible] التي سادت وبادت قبل نحو ٤٠٠٠

[illegible] الجدير بالذكر أن الاستحمام في عرف اهل تلك [illegible] لم يستهدف الطهارة فحسب بل انه [illegible] ذا مدلول ديني كبير ، واتصل اوثق الصلة [illegible] والشعائر التي لم تتبلور في تعاليم هندوكية [illegible] ومنمقة إلا بعد مضي ١٠٠٠ عام على افول [illegible]

المعتقدات الدينية

[illegible] اهل هرابا عددا كبيرا من الالهات (الاناث) [illegible] اقل من الالهة (الذكور) ، ولعلهم تأثروا [illegible] باحرى بمعتقدات الالهة الأم التي سادت [illegible] عديدة من الشرق الاوسط ذلك أن التماثيل [illegible] التي صنعوها لالهاتهم (الاناث) كانت كلها [illegible] ذات صدور عالية وارداف عريضة وكانت [illegible] بالعقود

[illegible] تماثيل الهتهم (الذكور) فكانت أقل عددا ، [illegible] في الغالب بغطاء كبير للرأس اتسع لايواء [illegible] في داخله

[illegible] دل على اعتقادهم الراسخ بالحياة بعد الموت [illegible] الواسعة (طولها ٣,٣ ـ ٤,٥ « متر » ، [illegible] ١,٢ ـ ٣ أمتار ، التي وضعوا الميت فيها على [illegible] مستلقيا على ظهره ، او على جنبه ، [illegible] نحو الشمال في كل الحالات وقد [illegible] بكثير من السلع التي تخص الميت

كالخواتم والعقود والمرايا التي صنعوها من نحاس مصقول

معالـــم مميـــزة :

احتلت الكتابة مكانا مرموقا في حياة أهل هرابا وموهنجو ، الا انها مازالت رموزا مجهولة لم ينجح العلماء في حلها حتى الآن وقد كثرت الأختام التي شاع استعمالها في المعاملات التجارية والتي حملت رموزا وعلامات خاصة لصاحب ذلك الختم [illegible] كانت بمثابة توقيعه الملزم له

وقد نشطت التجارة في هرابا ، وكانت تجارة خارجية ، فضلا عن كونها داخلية تحدثت عنها الاثار البابلية ، فذكرت الكثير عن دلمون (البحرين) باعتبارها المحطة التجارية (الترانزيت) التي قامت بين الهند والعراق

ولعل أغرب ما يذكر من تلك المعالم اهتمامهم الكبير بالمقاييس والموازين فقد حددوها ووحدوها فجعلوا وحدة الوزن الثابتة ١٤ جراما (او اقل بقليل) ووحدة القياس (وسموها الكيوبت) ٥٣ سنتمترا ، أي مايعادل ذراع الرجل بالتقريب

أما حياتهم اليومية فلعلها لم تختلف كثيرا عن [illegible] في حوض الهندوس في الوقت الحاضر [illegible] هو والاعتماد على المحاصيل الزراعية [illegible] حاله فقد اعتمدوا على القمح والشعير [illegible] والقطن والسمسم الذي اعتصروه واستعملوا [illegible] ولعل الأرز هو المستثنى الوحيد فقد [illegible] المنطقة بعد اندثار هرابا وموهنجو بزمن بعيد

ولكن كيف اندثرت تلك الحضارة سنة ١٦٠٠ ق م بعد ان ازدهرت وسادت طوال القرون الأربعة السابقة لا يعرف العلماء لاندثارها سببا على وجه اليقين ، فلعله فيضان النهر أو لعله القبائل الجبلية التي زحفت الى حوض الهندوس فذبحت سكان المدن وطوت صفحتهم في التاريخ □

■ عظمة النفس البشرية في قدرتها على الاعتدال لا في قدرتها على التجاوز
« باسكال »

وداع الشباب

شعر : أحمد محمد آل خليفة

حلقتَ شبابي فوق عوسجةِ الدهرِ
وأبقيتَ همّاً ضاق من حمله صدري

أيمضي الصِّبا عني وتأتي كهولتي
بوحشتها من بَدّلَ التِّبْرَ بالصِّفْرِ ؟

إذا أنا قد أصبحتُ بَعد كهولتي
غنيّاً فما أحلى الشبابَ على الفقرِ

أُبادلُ من يعطيني الفقر بالغنى
إذا ما شبابي عادَ والكوخَ بالقصرِ

إذا قيلَ يوماً في الكهولةِ راحةٌ
فقلْ إنها أُخْتٌ إلى راحةِ القبرِ

إذا ما الصِّبا وَلّى ، تَعثّرتِ المُنى
وأصبح حُلمُ العمر كالآلِ في القَفْرِ

وتَزْوَرُّ عنك الغيدُ إمّا دعوتَها
ولا ترعوي إذ تُبْدِلُ الوَصْلَ بالهجرِ

وها أنا عن رَدِّ الكهولةِ عاجزٌ
فما صَدّها عنّي لحيي ولا تِبْري

مجلة الأسرة والمجتمع

■ المرأة الكويتية .. في الزمان والمكان

■ الابن الضال
لعبة ضارة تساهم
فيها الأسرة بأكملها

اعداد · ريم الكيلاني / وفاء طه ناجي

« كانت الحياة رغم قسوتها حينا ، وشظفها حينا آخر

تسير بيسر وبساطة ، وكان جيل الأجداد والآباء يحيا أيامه بعزيمة تواجه البحر ، وتقهر

الصحراء وارادة تصنع الخير والحب »

مازال عبق تاريخهم يملأ المكان والزمان ومازالت أعيادهم وعاداتهم وقصص حياتهم يتداولها الأبناء ورغم أن الحياة الآن أصبحت أكثر يسرا ورفاهية وتحقق لانسان هذه الأرض معدلات رعاية صحيه وتعليمية واجتماعية تفوق الكثير من البلدان الا أن داخل كل انسان رصيد لا ينتهي من حكايات وقصص عن الحياة التي كانت

رحلة كفاح

على شاطىء الخليج استقرت قوافل العرب وتجمع السكان في منطقة « الكوت » كان ذلك بدايه التاريخ المكتوب ، لرصد حركة المجتمع الانساني على الشاطىء كانت الحياة ، الخليج هو المهد ، ومنه وبه تستمر أسباب الحياة ، وكما يقول علماء الاجتماع من أن النشاط الاقتصادي هو الذي يحدد شكل الحياة وعلاقاتها ، ويحدد الأدوار الاجتماعية لافراد المجتمع فان وجود التجمع البشري في منطقة الكوت المطلة على الخليج العربي هو الذي حـ ـ مر البداية نشاطين رئيسيين هما الصيد والتجارة ومن خلال هذين النشاطين الرئيسيين يحدد للمجتمع شكل الحياة الاجتماعية . كان الغوص بحـ ـ عا

اللؤلؤ هو النوع الأكثر شيوعا من الصيد كنشاط ، اذا اردنا ان نعمم التعبير العلمي بشكل دقيق ، فقد كان هناك صيادو سمك ومراكب صيد ، ولكن هذا النوع من الصيد كان هامشيا ، وكان النشاط الأغلب هو الغوص الذي كان يشارك في كل المجتمع ، اما بالتمويل و العمل أو التجارة

والغوص عمل شاق ، لا يبدأ خصوصا في فصل الصيف الطويل ، وتستمر رحلات الرحال للغوص على ظهر سفينة طويلة تستغرق شهورا طويله ، ويوم الغواص على السفينة ، يبدأ بصلاة الفجر ، وبعدها تبدأ رحلة الغوص الشاقة ، حيث ينزل الغواص الى البحر ممسكا بحبل قصير مربوط في أحد مجاديف السفينة ثم يضع « الفطام » على انفه ، و « الفطام » قطعة تشبه الملقط يضعها الغواص على أنفه لمنع ماء البحر من التسرب الى جوفه أما « الديين » فهي عبارة عن سله تعلق في الرقبة ويضع بها الغواص ما يقتلعه من محار ، ويبدأ الغواص الغوص بعد أن يأخذ نفسا عميقا ، ويربط في احدى رجليه حجرا ثقيلا يساعده في الوصول الى القاع ، وبعد الغوص يسحب « السيب » ـ وهو الشخص المكلف بسحب الغواص هذا الحجر لتبدأ بعدها عملية جمع المحار دون الاستعانة بسكين أو بأي أداة حادة ، أي انه حتى لا يملك اداة يدفع بها عن نفسه ضد سمك القرش

وقبل أن ينتهي نفس الغواص يشد الحبل فاشارة ، ويكون « السيب » وقتئذ مستعدا لرفعه فورا وبأقصى سرعة ليستريح بعدها الغواص خمس دقائق يعود بعدها ثانية للغوص ، وهكذا حتى تنتهي نوبته بأن يغوص عشر مرات ، ثم يصعد الى ظهر السفينة ليرتاح ويأكل حبات معدودة من التمر ، ثم بعد ذلك يعود الى الغوص . ويظل الغواص طيلة اليوم على هذه الحال حتى تغرب الشمس ، عندئذ ينتهي عمل شاق

والغوص قديما كان يعتمد على الأدوات البدائية ، فلم يكن الغواصون يستخدمون آلات الغوص المتطورة المعروفة التي يستطيع الغواص بواسطتها أن يمكث فترة طويلة في قاع البحر

ان حياة الغواص قديما كانت مرهونة دائما بيقظة « السيب » وسرعة انتباهه ، ولعل غفلة بسيطة عن الحبل الذي يربط الغواص بالحياة تودي به

ويظلون هكذا يجمعون المحار طوال يومهم متنقلين من مكان الى آخر حتى غروب الشمس ، حتى يصعد الغواصون الى ظهر السفينة لأداء الصلاة وتناول العشاء ، وينامون بعد صلاة العشاء

هل يعود الغواصون

انها لمدة طويلة حقا تلك التي يغيبها الرجل عن بيته وأسرته وأولاده ، وكان لابد للمرأة أن تتحرك لتساهم مع الرجل في رحلة الحياة الشاقة ، وتقف بجانبه تؤازره وتشجعه ، وقد استطاعت المرأة أن تثبت جدارتها ووجودها ، فقامت بواجبها تجاه أسرتها ، وتحملت كل ما وقع على كاهلها من أعباء

كانت تعلم أن رحلة الغوص ليست بالرحلة السهلة ، وتعرف مدى الخطورة التي يواجهها

العـواصـون في رحلتهم ، ومـدى امكـانيـة وقـوع الكثيـرين في الحوادث المؤسفة ، ورغم ذلـك فلم تـودعهم يومـا بالـدموع ، بـل كـانت تـرفهم دائـما بالأهاريج والأغاني الى ذلك اليم المجهول ، وفي رحلة الـغـوص التي كانت تستمر من خمسة الى تسعة شهور ، كانت المرأة هي التي تدير الحياة ، وكـانت هي عماد المجتمع ، وتحرص على الحفاظ على كيان أسرتها ، حتى يعود رب الأسرة سالما غانما من رحلة الرزق

وقد تضطر بعضهن للعمل في الخياطة ، أو طحن الـدقيق والتوابـل ، فيما اذا واجهت أصعـب مـا قد يواجهه انسان في الحياة ، وهو فقدان رب الأسرة في واحدة من حوادث البحر المتوقعة

انها صـورة للصبر والجلد والقـدرة على مـواجهة صعوبات الحياة بكل شجاعة و ارادة

توب توب يا بحر

وكما كانت تخرج لتودع رجالهـا كـانت تخـرج لاستقبـالهم ، وقـد كـانت تسمى رحلة العـودة « بالقفال » وهي تحريف من « قفل عائدا » وكـانت النسـوة يجتمعن قبيـل القفـال ليـلا ، ويـذهبن الى البحـر ، وهن يصفقن ويغنين اغنيـة خاصـة بهـذه المناسبة السعيدة

وكان « القفال » بمثابة العيد في الكويت ، بل أهم من العيد كثيرا ، فترى الناس على اختلاف طبقاتهم يستبشرون بموعد حلول « القفال » كما تدب الحياة في الأسواق بعد عودة الغواصين ، الكل ينتظر موعـد حلول « القفال » بصبر فارغ ، فهذه أم تنتظر عودة ابنها ، وهذا أب ينتظر عودة ابنه ، وهذه تنتظر عودة أخيها أو زوجها ، وبعد عودة الغواصين تعود الحركة والنشاط في أوصال الكويت ، بعد أن كادت تتوقف ابان موسم الغوص

« وللقفال » مظهر شعبي خاص به تؤديه النسوة بالأغاني والأهـازيج ، وفي الأغنيـة الخـاصـة بهـذه المناسبة ، فانهن يطلبن من البحر أن يتوب عن اخذ ذويهن ، وأن يرجعوا سالمين ، كما انهن يعاتبن البحر ليعجل بعودة الغواصين ، وهذه الأغنية تسمى « توب توب يا بحر » وتؤديها امـرأة و ترد عليهـا مجموعة نساء

تقول بعض مقاطع الأغنية

المرأة / **توب توب يابحر**

فترد عليها المجموعة / **أربعة والخامس دخل** (يعني عدد الشهور)

ستوه / **حبيبهم**

المجموعة / **حاطين احبيبهم**

ستوه / **ما تخاف من الله يابحر**

المجموعة / **أربعة والخامس دخل**

ستوه / توب توب

المجموعة / سيب صباح العتوب

ستوه / **ما تخاف من الله يابحر**

المجموعة / **أربعة والخامس دخل**

ستوه / يا الجوهرة

المجموعة / **هاتي حسين من ابحره**

وهكذا تبدأ في توليف كلمة كي تنادي على اسماء الرجال المسافرين

وبعد العشاء تتقدم المرأة الى البحـر حيث تخوض مسافة قريبة وهناك ، تمسك سعفة بيدها ، فتوقد بها النار ، ثم تغمسها في البحر ، وتسمى هذه العملية عندهن (كي) البحر أي أنها تكويه بالنار ، وتخاطب البحـر قائلة لـه وبكويـك اذا ما جـاء العواويص - العواصون ، وبعد ذلك تخرج من البحر ثم تعود اليه ثانية وبيدها (قطة) صغيرة فتخوض في البحر والقطة بيـدها ، عـنـدئذ تعمـد إلى القطة وتغمسهـا في ماء البحـر ، فتصيح القـطة خـائفـة بقـولهـا « بيو بيو » عندئذ تخاطبها المرأة بقولها « بيون بيون أي العواويص ، وبيون معاها يـأتون ، وهكـذا هي الاحتفـال الشعبي بمناسبـة عـودة العـواصين « القفال »

داحل البيت

كاں الست مثالاً رائعا لترابط الأسرة ، اد كان يعد الاساس لقيمة الترابط والوفاء اللتين كانتا سمة المحتمع

وفى البيت الكبير بيت العائلة كانت لاسره كلها تعيش فيه ، وتحت كنف الحد كان الأب والنساء والأولاد والبنات ، أي حميع أفراد العائلة يعيشون في كنفه ورعايته

د. ر لنا مريم الراشد ـ حامعة ومحققة التراث ـ عن ملاه ـ الحياة داحل حدران البيت في تلك المرحلة شمول كان البيت ساحة كبيرة تصم عرفا يلاساء ، مطبحا واحدا وديوانية لاستقبال الضيوف ، اصدق ـ ب الأسرة ، يبدأ اليوم في الصباح بأن يذهب ـ عار ـ حتى ولو كانوا رحالا ـ لتحية كبير الدار ـ م أبا أم أحا أكبر ويلقون اليه تحية صبح « صبحك الله بالحير ، طيب الله فألك »

وبعد صلاة الفجر يتجمعون حول الافطار ، الذي يتكون من شاي وحليب وخبز وتمر ، ثم ينطلقون الى أعمالهم في المهمة الاجتماعية الأخرى الموجودة داخل المجتمع في ذلك الحين مثل البناء أو صيد السمك ، أو بيع السمك ، أو دمح الحبال ، وبخروج الرجال الى أعمالهم تتوزع نساء البيت وفق تقسيم العمل فيما بينهن فكل واحدة تتولى مهمة،واحدة في المطبخ ، وأخرى لأعمال التنظيف والترتيب ، وثالثة لخبز الخبز ، ورابعة لحلب المواشي ، ويتبادلن المهام بينهن بالتناوب

عقب صلاة الظهر يعود الرجال لتناول الغداء ، وأكثر الوجبات شيوعا كانت (السمك المكبوس أو الحريش ، أو العيش المشخول) بعد الغداء يركن الرجال للراحة وقت القيلولة ويلتزم البيت كله بالصمت والهدوء حتى الأطفال يكفون عن لعبهم وصراخهم فقد عاد رب البيت وعاد الرجال بعد يوم عمل ومع العصر يخرج الرجال ليلتقوا

بالأصحاب للحديث أو المشاوره أو المسايرة ، وكانت أماكن الملتقى في مقاهٍ شهيرة ، في هذا العهد كانت هناك قهوة الصباغ ، وقهوة سوناشي و البحر ، ويعود الرجال ثانية الى البيت ليتناولوا طعام العشاء ، ويخلدون للنوم مبكرين.

نمط الحياة هذا كانت المرأة هي محور البيت وعموده كيف ؟ كانت الأسر كما أوضحنا تنقسم الى قسمين ، القسم الاول اسر يعمل رجالها في البحر ـ سفر طويل ورحلات طويلة ، واسر يقيم رجالها ويعملون في البر في الحالة الأولى كانت المرأة تصبح هي الأب والأم ، ترعى بعض أغنامها أو ماشيتها وتدير عجلة البيت اقتصاديا مما تركه لها زوجها ، أو بعملها في الحياكة أو الطحين ، وتتولى مسئولية تربية الأطفال ورعايتهم ومهما طال غياب الزوج فانه يعود ويجد بيته واولاده في حال جيد ، ومن كنف هذه البيوت خرج اطفال صاروا رجالا ملء السمع والبصر.

وفي الموروث الشعبي قصة طريفة عن صلابة المرأة وحسن تدبيرها ، ويتناقل جيل الابناء القصة عن جيل الآباء حتى وصلتنا الى اليوم تقول حكاية ان زوجا خرج للغوص وبعد رحلة طويلة بعد ان فتح الله عليه برزق ، وبعد ان اطمأن على اهل بيته ذهب الى البقال سائله عن دين اسرته تجاهه ، وفاء لاحتياجاتها التي كانت تأخذها منه دون ان تسدد ثمنها ، ففوجيء الزوج الغواص بان زوجته كانت الوحيدة في حيها ـ باستثناء الأسر الميسورة ـ التي كانت تسدد ثمن حاجياتها نقدا ، فعاد الزوج غاضبا الى بيته ، وقد لعب الشيطان بعقله ، وعندما رأى امرأته ثار وأرغى وأزبد وطالبها بتفسير ، قالت له زوجته لقد تركت لي بعض المال قبل سفرك فاشتريت بقرة في آخر شهور حملها وبعض الدجاج ، وعندما وضعت البقرة بعت وليدها وبثمنه سددت بقية ثمن البقرة الأم ومن عائد بيع اللبن وبيض الدجاج نفسه انفقت أنا وأولادي ، وادخرت قليلا من الروبيات وهي العملة التي كانت مستعملة في ذلك الزمان.

وأيا كان مدى صحة القصة ، الا أنها تعبر عن وجود دور فاعل للمرأة ، وقدرتها على التصرف ، وتحمل المسئولية داخل وجدان الثقافة الاجتماعية الشعبية ، وهذا هو المدلول العلمي الحقيقي لقصص الموروث الشعبي ، نعود مع مريم الرائد باحثة التراث الى داخل البيت تقول « وكانت السيدات يقمن بشراء الكيل ـ مخزون مواد الطعام ـ شهريا ، فكانت تشتري الحب والسكر والدهن والحب والطحين والعدس والتمر ، وتخزن كل هذه المواد في صندوق خشبي كبير ، لكي تستخدمها ، وكانت المناسبات فرصا حقيقية لبهجة واشتغال أهل البيت ، فالاستعداد مثلا لشهر رمضان كان يبدأ منذ اول شهر شعبان ، وتبدأ النساء في دق الهريس (حنطة مع لحم) ، وتبدأ الفرق الشعبية بالغناء والطواف على البيوت ابتهاجا بمقدم الشهر.

ورمضان دوما له طعم خاص واستعدادات خاصة ، حتى الطعام في هذا الشهر الفضيل يصبح له مختلف ، ويتتميز بوجبات معينة ، او انواع محددة من الطعام.

وكان طعام هذه الايام ـ كما ينقل لنا الرواة ـ يتكون من الارز اللبن للسحور ، اما الافطار فكانت له بد عمل بالهريس (حنطة مع لحم) او التشريب (مرق مع رقاق) او ارز مع مرق ، اما اصناف الحلوى التي يكثر صنعها في شهر رمضان فهي متنوعة وكثيرة ، فقد كانت السيدات يتفنن في صنع المحسب

(حلب ، أرز ناعم ، سكر ، حبهان ، زعفران ، ماء ورد) وحلوى عيش (أرز ناعم وسكر ، وسمن) واللقيمات (ماء ، طحين ، ثم تحمر في السمن ويشرب بعد ذلك بالسكر) بالاضافة الى الزلابية وبلح الشام

وما أن تقارب أيام شهر رمضان على الانتهاء ، حتى تبدأ احياء الكويت في التزين استعدادا لاستقبال العيد ، فتقام الأقواس في الطرقات ، وتظلل بسعف النخيل ، وتبدأ فرق الكشافة في عزف الموسيقا ، وتعد المرأة ملابس العيد الجديدة لكل أفراد الأسرة ، وتستخدم النساء السمار (نوع من أنواع الحناء) وتصبغ أيديهن بنقوش جميلة

وعقب صلاة العيد يتوافد الأهالي على سمو أمير البلاد لتهنئته بالعيد ، ثم يطوف سموه بأحياء الكويت المختلفة ، ليهنىء كبار السن بالعيد ، انها صورة من صور احترام الكبير وتوقيره

الزواج أفراح لاتنتهي

يسهم الزواج ـ كواحد من العادات الاجتماعية ـ في فهم تركيب المجتمع ونسائه الاجتماعي ، وقد عرفت المجتمعات الانسانية في تطورها نوعين من طرق الزواج هما ـ الزواج الداخلي الذي يتم بين ذوي القربى (ابناء عمومة ـ أبناء أخوال) أو زواج خارجي الذي يتم بين فردين لا تقوم بينهما صلة قرابة

وكان الزواج الداخلي هو النوع الأكثر شيوعا في المجتمع الكويتي وأسباب ذلك تتفق مع أسباب كل مجتمعات المماثلة في تشجيع زواج القربى ، فمثل هذا الزواج يحفظ للأسر ثرواتها ، وتظل ملكية وسائل الانتاج بين أيدي عائلة واحدة ، وهو دعم لعلاقات القربى وتقوية الروابط الأسرية باضافة عائلات صاهرة اليها . وبينما يخضع الزواج الداخلي الى اعتبارات المصالح والقرابة ، فان الزواج الخارجي يخضع أيضا للقيم السائدة وللثقافة الاجتماعية للمجتمع ، ومن هنا فقد كان المجتمع الكويتي حريصا ـ في ثقافته الاجتماعية ـ على قبول الزواج المتكافىء

وكانت طقوس الزواج تبدأ بترشيح كريمة احدى الأسر لشاب من الشباب ، وذلك اما عن طريق أهله (شقيقاته زوجات أشقائه) أو عن طريق الخاطبة فيذهب وفد نسائي من أهل العروس فاذا اتفقت النساء نقلت سيدات كل أسرة نتائج الزيارة الى رجالها ، فيذهب اهل الشباب الى أهل العروس لخطبتها ، وبعد أن يتفق الرجال يحددون يوما لعقد القران والزفاف ، وتبدأ بعد ذلك الاستعدادات لانتقال العروس الى بيت زوجها ، فيقوم العريس بارسال (الدزة) وهي تتكون من ملابس للعروس وفرش للفراش وعباءات ويرسل العريس من كل شيء ست قطع على الأقل ، وفي نفس الوقت يبدأ في تجهيز غرفة في بيت عائلته لتكون سكنا له ولزوجته

وفي يوم عقد القران يتوجه العريس وأهله ووالد العروس وأهلها الى المسجد ، ويقوم امام المسجد بعقد القران على سنة الله ورسوله ، وبعد صلاة العشاء تبدأ زفة العرس التي يحضرها الرجال ، وينشدون فيها الأهازيج ، ويتبارون فيها برقصة «العرضة» حتى يصلوا الى بيت العروس

وبعد أن يصل العريس الى الغرفة المخصصة له ، يدخل الأهل والاصدقاء للتهنئة ، ثم يخرجون بعد أن يعطروها بماء الورد والبخور ، بعدها يدخل أقارب العريس من النساء للتهنئة ثم يخرجن ، لتبدأ زفة العروس ، وسط الزغاريد والأهازيج والأغنيات ، ويزف الأهل العروس الى العريس ، وتغلق عليهما الغرفة ويظل الأهل في اغنياتهم وتصفيقهم ، ويعتمدون احداث ضجة كبيرة حتى لايسمع صوت العروسين

وفي اليوم التالي للزفاف ، يعد الأهل للعريس الحمام ، ويؤدي صلاة الفجر عقب استحمامه ، ثم يجلس لتناول الافطار ، وبعض الأزواج يدعون نفرا من أهل العروس كوالدها أو أخواتها لتناول الافطار معه ، وبعد الافطار يخرج العريس ويذهب الى والد

العروس لتحيته ، ملقيا اليه بتحية خاصة تحمل معنى محددا
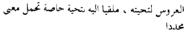
يقول العريس « بيض الله وجهك يا عماه » وتعني هذه العبارة المختصرة كل المعاني التي يحرص عليها المجتمع من حرص على شرف البنت وعذريتها ، بعد ذلك يذهب العريس الى بيت أهله ، ويقبل رأس أبيه وأمه ، ويستقبله أهله بالأدعية والزغاريد

وبعد ذلك يذهب العريس الى المكان الذي أقيم فيه حفل الزفاف في الليلة الماضية ، ليتلقى تهنئة أصدقائه وأصحابه ومباركتهم ، وبعد ذلك يخرجون به في زفة الصباحة ، ولا تنتهي احتفالات الزواج وافراحه ، بل تستمر بعد ذلك ، ففي اليوم الثالث من الزفاف تقوم ام العريس بزيارة العروس ، حيث تتناول مع أقاربها الطعام والشراب ، ثم يغادرون منزل أهل العروس في احتفال فرح وفي اليوم السابع للزفاف يقام احتفال«التحوال»وفيه يتحول العريس وعروسه من الاقامة في بيت اهل العروس الى بيت الأب حيث سكن العريس الدائم ، وفي هذا اليوم تدعو أم العروس جميع قريباتها للتوجه وحدهن بصحبة العروس الى بيت أهل العريس ، وتسير الزفة سيرا على الاقدام ، وما ان تقترب من منزل العريس حتى يخرج اهل العريس لاستقبالها بالأغنيات والزغاريد والدعاء

بعد احتفال « التحوال » هذا بثلاثة ايام تذهب ام العروس لزيارة ابنتها في بيتها ، فيحتفى بها مثلما حدث مع أم العريس من قبل ، وبعد هذه الزيارة بأربعة أيام اى بعد مرور اسبوع على الانتقال تقوم العروس بزيارة أهلها ومعها بعض أهل زوجها ، ويحتفل بها اهلها احتفالا بسيطا ، تعود بعدها العروس الى بيت الاسرة الكبيرة التي انضمت اليها وتنتهي احتفالات الزواج ، وتبدأ دوامة الحياة بمسؤولياتها التي لاتنتهي

بين أجيال

داخل هذا الزمان والمكان الاجتماعيين كان مشوار المرأة الكويتية ، ولكن الزمان لم يستمر هو والمكان امتدت اليه يد التغيير وكانت الكويت أسبق بلدان الخليج العربي في تكريم المرأة هذا الكائن العظيم الذي وهبنا - بقدرة الله - الحياة ، ومن كنفه خرج كل الرجال والنساء الذين صاغوا شكل حياة جديدة أكثر اشراقا وتقدما

وبرغم أن الزمان الذي حاولنا أن نسافر اليه ، والمكان الذي اجتهدنا في أن ننتقل اليه ، لم يعد في حياة اليوم من ملامحه شيء غير التراث والنتائج التي تركزت في ثقافة اجتماعية قائمة على الاحترام والتعاطف والحب الا ان هذا التراث وآثار هذا الزمان والمكان مازالت موجودة كمعنى وقيمة داخل عقول الابناء ، يتوارثونها جيلا بعد جيل وشهادة على هذا تقول بدرية العوضي استاذة القانون الدولي

ظلت المرأة الكويتية في الزمن القديم تدور في فلك دائرة معروفة فهي التي تقوم على تربية الصغار والاشراف عليهم ، وكثيرا ما كانت تخرج لقضاء الحاجات الاساسية للاسرة ، وبخاصة اذا طالت غيبة زوجها او ابيها في رحلة الصيد للبحث عن اللؤلؤ الذي كان بيعه هو مصدر رزقهم في ذلك الوقت ، وقبل اكتشاف النفط الذي غير وجه تلك الحياة الخشنة

لعل النساء في ذلك الزمن صرفن اهتمامهن في اعمال كلها تتعلق بشئون البيت ، وطلبات الابناء ، وفي ظل تلك الظروف عشن حياة اجتماعية محددة باطار العلاقات مع الاقارب والجيران ، وكانت أوقات الترفيه هي حلقات السمر التي يجتمع فيها الأهل مع اصدقائهم وجيرانهم في سهرات حميمة ، أما البنت فكانت تتعلم من أمها أعمال الطبخ وتنظيف المنزل ورعاية أخوتها الصغار ، وغير ذلك من ضرورات الحياة الأسرية ، بينما كان الصغار من الذكور يذهبون لتلقي العلم ، وفي بداية الخمسينات تقريبا بدأ بعض الأهالي يلحقون بناتهم بمدارس التعليم بهدف تعليمهن القراءة والكتابة ، وكنت أنا واحدة من اللاتي التحقن بصفوف الع

- الكثيرات من بنات جيلي شدتهن حياة ... الزواج والبقاء في رعاية الأسره ، فانه ... سلت أخريات الى نهاية المراحل الجامعية ، ... بعض منهن للدراسات العليا

تكلم عن هؤلاء اللاتي أقبلن على التعليم ... مشوار ، لابد أن نذكر أن الأمر لم يكن ... فلم تكن الأسر تسمح بخروج البنات ... في المراحل الجامعية ، لأن ذلك يعني أن تسافر البنات وحدهن الى مصر أو سوريا او العراق حيث توجد الجامعات فجامعة الكويت لم تكن قد فتحت بعد (افتتحت في سنه ١٩٦٧) وكان عسيرا أن تقبل الأسرة وضعا كهذا حصوصا اذا علمنا أن حوالى ٨٠٪ من الأسر كانت تعاني من الأمية ويمكننا القول أن تعليم المرأة في ذلك الوقت كان أشبه بعمل غير عادي

ومخطىء من يتصور أني أنهيت مراحل الدراسة بسهولة ، ولكني تعرضت لكل ما تعرضت له الفتيات من جيلي من صعوبة السفر الى خارج الكويت للدراسة ، بالاضافة الى أن نوع الدراسة التي اخترتها كان جديدا ، ولم تدرس الحقوق قبلي فتاة كويتية ، فقد كنت في الدفعة الأولى التي درست القانون ، ورغم ان المسئول الثقافي عن البعثه الطلابية الكويتيه لم يشجعني على دراسه الحقوق باعتبار انها صعبة ، وغير مألوفة كالاداب مثلا التي التحقت بها معظم الكويتيات لاعدادهن للعمل في سلك التدريس ، وكان الأهل يعتبرون التدريس هو المهنة الوحيدة المشرفه لبناتهم ، ولكني اصررت على الالتحاق بالحقوق ، لان المعنى لدي كان اكبر من مجرد الدراسه ، فقد كنت اعشق العدل ، وقد صور لي خيالي وأنا صغيرة ان معرفته ستكون في كلية الحقوق ، وفعلا تم لي ذلك ، وظل المسئول الثقافي يؤخر نقل أوراقي من الاداب حتى حان موعد الامتحانات النهائيه ، وكان لابد من تقديم أوراقي في كلية الحقوق ونجحت طوال سنوات الدراسه حتى حصلت على الليسانس ، ولم ارسب مرة واحدة في أية مادة من مواد الدراسة ، كما كان يحدث مع كثيرين غيري من الذكور ، واعتبرت أن هذا انتصار حقيقي لان يتغلب الجميع على فكرة سادت في مجتمعنا ، وهي أن « التساوي في الظلم عدل » فمن للاسف نقيس خطأ امرأة بخطأ امرأة أخرى ، وتلك مصيبة ، اعتقد أنه آن الأوان للتخلص منها

تستمر بدرية العوضي في حديثها قائلة « كما قلت ان فترة الخمسينيات بالنسبة للمرأة الكويتية كانت مرحلة غير مستقرة فكثيرات كن يتأرجحن

بين الخروج للتعليم أو البقاء في البيت ، ومع مرور الزمن أحدث أحوال النساء تتبلور ، ليؤمن كثير من الأسر بعد ذلك بضرورة أن تعلم بناتها . وأن توفير الحماية لهن في الداخل ، وفي الخارج سوف يحقق الاطمئنان لهن ، ويصبح لاداعي لحرمان البنات من التعليم ، أما أغلب اللاتي كن ينهين دراستهن الجامعية ، فكن يعملن بالتدريس فقط ، وكما قلت فان الحقوق والطب والتجارة كانت مجالات ينظر لها على أنها ليست مجالات دراسة للبنات ، بسبب صعوبتها ، وطبيعة المهنة التي لابد وأن يمارسها بعد ذلك ، والتي كان الاعتقاد السائد بأنها غير مناسبة لهن

ورغم كل ذلك واصلت دراستي العليا حتى حصلت على الدكتوراة في القانون ، وعملت بالتدريس في الجامعة ، ثم شغلت منصب عميد لكلية الحقوق ، وهو منصب لم تشغله امرأة من قبل ، ولم تكن الأمور سهلة كما قد يبدو الآن ، ولكن تعرضت لنظرات مختلفة المعاني من طلابي ومن زملائي أيضا ، وواجهت بعض مشاعر الغيرة خصوصا من الرجال ، ولكني فخورة أن صورة المرأة في موقع القيادة أصبحت مقبولة الى حد كبير عما كان من قبل ، وتذللت كثير من الصعوبات التي سادت في الزمن القديم ، المرأة الآن محامية واستاذة جامعية وعميدة وطبيبة ، وتحتل المراكز العلمية الحساسة في مراكز الابحاث ومعامل التحاليل وقد كانت هذه الأعمال مقصورة على الرجال من قبل » .

وتنهي د العوضي حديثها قائلة « والى الذين ما زالوا يتحدثون عن سلبيات تعليم النساء أقول ان التنوير وازالة الغشاوة عن العقل لم تكن أبدا من السلبية في شيء ، وان للعلم ايجابيات لا تعد ولا تحصى ، حتى لو ظلت المرأة المتعلمة داخل جدران منزلها تحت الصغار ، فهي لاشك ستقوم على تربيتهم وتوجيههم على أفضل وجه ، وان كان هناك سلبية لتعليم المرأة العربية وتقلدها المناصب القيادية فهي تلك النظرة الغريبة لها كامرأة من قبل الرجال ، إنها تتحول من امرأة تصلح للزواج الى ند لكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى ، ولكني أعتقد ان على المرأة أن تستمر ، وأن لايثنيها ذلك عن موقفها وان تعلم أن طموحها هو الذي سيحقق لها المكان اللائق في المجتمع ، ولا أقصد هنا بالطموح الجموح ، ولكني أعني أن تسعى المرأة لان تتطور كامرأة وليس كرجل ، حتى نكون منصفين ، فان كثيرا من المثقفين الرجال آمنوا بأهمية تطور المرأة الكويتية والخليجية العربية بشكل عام ، وساعدوا على ذلك .

أول مدرسة للبنات

أما الدكتورة رشا الصباح مساعدة مدير جامعة الكويت لخدمة المجتمع والاعلام فتضيف بعدا جديدا في شهادتها فتقول

« لقد استطاعت المرأة الكويتية أن تثبت جدارتها وكفاءتها في احتلال العديد من المناصب الاداريه الرفيعة في مختلف مؤسسات الدوله، اضافة الى خوضها مجال الأعمال الخاصة ، حيث أنها أصبحت عضوة لمجالس ادارة في شركات وبنوك ، وهذه الظاهرة انما تدل على فضل الدولة فيها وفرته من سبل التعليم العام والعالي ، وقد دفع تطور الحياه في عصرنا هذا بالمرأة الى مهن لم تألفها من قبل ، فأصبحت طبيبة ومهندسة ومحامية وموظفة وعاملة ، وهي تؤدي دورها الايجابي الفعال في نشاطات الجمعيات والهيئات المختلفة الخيرية والاجتماعية والثقافية والانسانية

انه مع بداية النهضة التعليمية عام ١٩٣٧ ، حين افتتحت أول مدرسة للبنات ، بدأت المرأة في استغلال ما منح لها من فرص التعليم استغلالا ناجحا ، واثبتت للمجتمع قدرتها على تخطي المرحلة الدراسية الى مجالات أخرى كثيرة في الحياة ، فالمرأة في مجتمعنا مؤمنة بضرورة التسلح بالعلم ، فهو ساعد على اعطاء المرأة الثقة بالنفس ، ومن هنا كان الاتجاه للتعليم الجامعي في الخارج ، والقيام ببعثات جامعية نسائية في مختلف جامعات ومعاهد العالم ، [illegible] كله نابع من احساسها بالمسئولية تجاه تطور وطنها وتجاه نساء مجتمعها ، وهي اليوم تهتم بتنشئة [illegible]

وتعليمهم ، وتحرص على أن ينالوا من التعليم أعلى مراتبه ، ورغم كل ذلك ، فهي تستمد عاداتها وتقاليدها من الماضي ، وما زالت تحافظ على هذه التقاليد والعادات في اطار صلاحيتها ليومنا هذا

واخيرا تقول الدكتورة رشا « نحن جيل جاء لنكمل مسيرة الاباء،جئنا لنبني الكويت الحديثة ، ولنحقق نجاحات أقوى وأعظم ، فالمرأة اليوم تشارك في كثير من المؤتمرات الداخليه والخارجية ، وتقيم علاقات مع أخواتها في البلاد العربية وفي العالم ، بالاشتراك في الاتحادات النسائية العربية والعالميه ، وبالزيارات المتبادله ، كما أن هناك أديبات كويتيات برزن من بين الصفوف ، يكتبن الشعر والقصة والبحث ومؤلفات أخرى ، وقد كان لهذه الحركة الادبيه النسائية الصدى الذي استحقته

جيل مهد لجيل

اما الدكتورة مواهب السمدان فتقول

« جاء جيلنا ليجد الأرض ممهدة ليسير في طريق سهل ، فالنساء اللواتي سبقننا تحملن المشقة وبذلن الجهد ، ليفسحن للمرأة طريقا واسعا نحو التعليم والعمل فأنا من الجيل الذي وجد فرصا لاختيار نوع التعليم وتشجيعا من الأهل لمزيد من الدراسة ، واستكمال الدراسات التخصصية ، وهذا شيء لم يكن متاحا من قبل ، ورغم أن بعض الأمهات متعلمات ، فانهن لايعدمن كل وسائل التشجيع على النهل من العلم

وفي اعتقادي أن من ايجابيات تلك المرحلة التي نعيشها الآن هي الحياة الاجتماعية التي نعيشها لأن [illegible]الست يمكنها أن تخرج الى صديقاتها ، وأن تعد [illegible] « ربع » مثل أخيها الصبي تماما ولم تعد [illegible]رمة من الخروج الى السوق بصحبة صد[illegible] ، أو السمر معهن في سهرة عائلية أو حفل [illegible] كل تلك المرونة في العلاقات حرمت منها [illegible] فنحن بصراحة نحن الآن نشعر بالتدليل [illegible]نا وبين انفسنا بأننا مدللات كثيرا ، ولكن طموحنا ما زال كبيرا ، وأملنا أن تحقق المرأة أكثر وأكثر في مجال تطوير طاقاتها التي هي جزء أساسي من طاقة المجتمع

وواحد من تلك الطموحات ، هو تغيير نظرة الرجل القديمة الى المرأة ، فهي الآن ذات رأي ، والعلم فتح أمامها مجالات كثيرة لتنمية نفسها ، وتستطيع أن تبني معه الحياة على أساس سليم ، مطلوب من الرجل أن يعتبر «العلم والعمل» من مصادر القوة التي تسخرها المرأة لخدمة حياة كاملة ، حياتها الأسرية، وحياتها ضمن مجتمعها ، يجب أن يتوقف الرجل لحظة أمام المرأة المتعلمة ليدرك أنه أمام امرأة متطورة ، لأنه وللأسف الشديد ، ما زال هناك رجال ينظرون الى المرأة المتعلمة نظرة خوف وشك ، ولا يخفون احساسهم ذلك في الحديث مع أصحابهم وأقاربهم

وفي كليه الطب على سبيل المثال ، التحق أغلب الزملاء بالدراسة بعد الزواج من نساء غير متعلمات ، أو حاصلات على قدر يسير من التعليم ، وحسب رأيهم - ذلك ايسر للحياة، فالتعامل مع نصف المتعلمة أفضل من التعامل مع المثقفة ذات الطموح ، وهذا منطق يدل على أن النظرة الى دور المرأة الجديد في المجتمع لم تستقر بعد ، وهو أمر نسعى نحن الى تغييره »

تذكرة وليس تكرارا

و لم تكن هذه الصفحات تكرارا لسيرة حياة يعرفها الكثيرون ويذكرها الكثيرون ولكنها تذكرة بحياة كانت لم تغب أبدا تفاصيلها عن ذهن الأجيال،وسفر الى تاريخ هو رحم الحاضر مهما كانت صعوبة أيامه أو قسوتها ، الا أنها - الأيام - كانت حافلة بالاستقرار ، والتفاصيل الانسانية الثرية التي تعد دليلا على أن هذه المنطقة من العالم القابعة على ضفة الخليج كان تاريخها حافلا وثريا وممتدا في الأرض الطيبة □

الابن الضّال

لعبة ضارة تساهم فيها الأسرة بأكملها

بقلم : راجي عنايت

بعض الألعاب الضارة يتعلمها الطفل من أمه ، ويتعلم بعضها الآخر من أبيه ، وهناك مجموعة من هذه الألعاب يتقاسم أفراد العائلة مسئوليتها

قد دأب علماء النفس والمجتمع ، في الماضي على القول بأن الطفل يغلب أن يواجه أنماطاً خاصة من المشاكل العاطفية بسبب ترتيبه بين أبناء الأسرة ، فحددوا بعض أنواع المشاكل التي رأوا أنها أميل أن تشيع عند الطفل الأول ، أو الأوسط ، أو الوحيد ، أو الأصغر الا أن معظم علماء النفس المتخصصين في شئون الطفل ، يؤمنون حاليا بأن ذلك الاستخلاص لا يستند الى رصيد واقعي ، فمواقف الآباء والأمهات تختلف اختلافا كبيرا ، مما لا يسمح باطلاق أحكام عامة ، عن المشاكل التي سيواجهها الطفل نتيجة لعمره بالنسبة لغيره من الاخوة والأخوات

والدليل على ذلك أن الطفل الأول يمكن أن يكون التخطيط لمجيئه قد جرى مسبقا بواسطة الوالدين فانتظراه بشغف وشوق ، وقد يكون مجيئه مخالفاً لرغبة والديه ، لأنه يشكل عبئا اقتصاديا على الأم العاملة التي ما زال زوجها يواصل دراسته الجامعية ، وأيضا ، قد يكون الطفل الأول مرغوبا فيه أو مرفوضا ، أضف الى هذا أن جنس المولود ، ذكرا أم انثى ، يؤثر أحيانا على موقف الوالدين ، مثال ذلك اذا كان الطفل الثالث

أعقاب ولدين ، فالأرجح أن تحظى هذه الست بترحيب الوالدين

وتشبه الأسرة الى حد ما البنية العامة للمجتمع ، يحتل الوالدان موقع القيادة والسلطة في سنوات التكوين الأولى للأطفال ، بينما يأخذ هؤلاء موقع الرعية المتساوية الحقوق والواجبات ، وموقف الشخص من السلطة الاجتماعية يتأثر تأثرا كبيرا بنوع العلاقة التي كانت بينه وبين والديه واخوته ، الطفل الذي ينشأ بين أبوين عطوفين ، يضعان حدودا معقولة لسلوكه ، يكون أميل الى التكيف مع السلطة الاجتماعية ، بعكس الطفل الذي ينشأ وسط صراعات حادة بين والدين عدوانيين أو مهملين ، والطفل الذي يتعلم أن يُوقع في سنواته الأولى بين والديه واخوته لكي يحصل على ما يريد ، غالبا ما يحمل معه هذا النمط من التعامل في علاقاته بعد البلوغ ، ليطبقه على الرؤساء وزملاء العمل وبشكل عام ، الألعاب الضارة التي تعلمها في البيت ، هي نفسها التي يلعبها في الحياة

الطيب . . والمشكل :

في معظم العائلات يوجد قدر محدود من التنافس بين الاخوة والأخوات ، وعندما يحرص الوالدان على معاملة الأبناء بدرجة متساوية من الحب والعطف ، يبقى هذا التنافس في أضيق نطاق ، أما عندما يظهر الوالدان ميلا الى أحد الأبناء ، فان هذا يقود الى أن يصبح التنافس حادا وقاسيا ، والطفل صاحب الامتيازات سرعان ما يستغل هذا في التلاعب بوالديه كأداة ضد الأخوة الأقل حظا ، ومن هنا تنطلق الدائرة المفر[غة] التي يحظى فيها الطفل المميز يوما بعد يوم ، بمزيد من التقدير ، في الوقت الذي يتناقص فيه قدر الأقل تميزا ويتحولان على لسان الجميع الى « الطيب » و « الطفل المشكل » .

سنتعرض الظروف المعطية للعبة « الابن الضال »

حمل خارج الخطة :

كانت سامية طفلة مرغوبة ، فنشأت في طقس من الحب والحنان ، وكانت خطة والديها أن ينتظرا عدة سنوات قبل أن ينجبا الطفل التالي ، لكنهما شعرا بالاستياء عندما اكتشفت والدة سامية انها حامل بعد خمسة شهور ، لقد أرغمهما المولود الثاني على الانتقال من شقتهما الصغيرة الى بيت أكبر في الضواحي ، قبل أن يكون لديهما المال الكافي لشراء وتأثيث البيت الذي كانا يطمعان فيه ، وقد تسبب ذلك الحمل في توتر حياتهما الزوجية ، وكثرت بينهما المشاحنات ، لكنهما تعشما في أن يعوضهما عن هذه الحالة التي وصلا اليها أن يجيء المولود ذكرا ، بحيث يكتمل تكوين الأسرة

وعندما جاء المولود بنتا . كان واضحا رفض الوالدين لها ، حتى انهما لم يختارا لها اسما الا بعد أن ذكرتها الممرضة بذلك قبل مغادرة الأم للمستشفي وهكذا بدأت راوية حياتها

ونتيجة لنفاد صبر الأم في إرضاع راوية ورعاية شئونها ، تزايدت حدة طبع الوالدين ، كانت راوية تبكي كثيرا ، وتستيقظ صارخة عدة مرات خلال الليل ، متعبة في تناول طعامها ، قلقة لا تستقر على حال ، واتفق الوالدان على أنها طفلة صعبة ، وراحا يقارنان أحوالها بأحوال سامية التي أصبح ينظر اليها دائما باعتبارها الطفلة اللطيفة الطيبة .

في الوقت الذي بلغت فيه سامية الرابعة وراوية الثالثة ، بدأت ممارسة لعبة « الابن الضال » بحماس

لقد شعرت سامية بوضعها المتفوق ، وبضعف موقف راوية ، فتعلمت كيف تتلاعب بموقف الوالدين لتحقق مكاسبها الخاصة ، ومن كثرة ممارسة هذه اللعبة ضاعفت من حدة طبع الوالدين تجاه راوية ، ومن كثافة مشاعرها الطيبة نحوها .

الحلقة المفرغة .

عـدما بلغت الطفلتان السابعة والسادسة من عمريهما ، كانت الحلقة المفرغة قد أحكمت لتسيطر على كل مظهر من مظاهر العلاقات بين الطفلتين والوالدين ، وأصبح طبيعيا أن يتكرر مثل الحوار التالي -

الأم لقد تحولت هذه الحجرة الى فوضى هيا يا بنات نظفا الحجرة واستعدا للعداء

سامية لقد نبهت على راوية الا تبعثر اللعب في أنحاء الحجرة ، وألا تلقى بقصاصات الورق على الأرض ، لكنها لم تستجب لى

راوية لقد كنت تفعلين نفس الذى أفعله

سامية هذا غير صحيح أنا لم أفعل ذلك

الأم راوية توقفى عن القاء اللوم على أختك في كل شيء لقد كانت دائما منظمة مرتبة ، بينما تعيثين أنت الفوضى في كل مكان ، هيا رتبى الحجرة حتى تنتهى هذه الفوضى

راوية . سامية هي التي وضعت هذه اللعب على

الأم (مقاطعة) أنت تكذبين تعلمين جيدا أنك تكذبين وبالاضافة الى أخطائك الأخرى أنت أيضا تكذبين و تكذبين و تكذبين

راوية أنالم أكذب الآن

الأم لماذا لا تكونين مثل أختك ؟ كيف يمكن لأختين أن تكونا مختلفتين هكذا ؟ واسمعى يا راوية ، لا أريد هذا التجهم وتعقيد الجبين

راوية أنا لم أتجهم

الأم بل تجهمت ها أنت تكذبين ثانية

سامية كفى يا راوية لا تضايقى أمنا أكثر من هذا

راوية أنالم أضايقها

الأم هيا نظفا هذه الحجرة ورتباها فورا

سامية أنا دائما أقوم بنصيبى من العمل (تقول هذا بينما هي ترفع لعبتين أو ثلاثا من الأرض وتضعهما في الدولاب)

راوية (تراقبها) هذا ليس كل نصيبك من العمل أنت لم ترفعى سوى

الأم كفى كلاما سامية تفعل دائما ما يطلب منها المشكلة دائما معك أنت

سامية لقد قمت بنصيبى من العمل ، وسأذهب لكى أستعد للعداء

الأم (تاركة الحجرة) سأعود بعد خمس دقائق يا راوية أريد ان أرى كل شيء في مكانه

حتى الأقارب والمدرسة :

لقد انعكس موقف الوالدين ومهارة سامية في ممارسة لعبتها على رأى المحيطين بالأسرة في راوية الجدين والاعمام والأحوال ، كانت سامية بالنسبة لهم البت اللطيفة ، وراوية المشاكسة العنيدة ، وساعد على ذلك ماتبديه سامية من سعادة وسرور ، وما يبدو على راوية من تجهم وانقباض

وانتقل توزيع الأدوار هذا الى المدرسة أيضا ، فأصبحت قرة عين المدرسة ، وراوية هي التلميذة التي لا تستجيب أو تطيع ، وتعودت راوية أن تسمع المدرسات يقلن لها لماذا لا تبدين الانشراح والطاعة كما تفعل أختك الكبيرة ؟

وعندما تصل الأختان الى سن المراهقة تصبح سامية فتاة أنيقة مستقلة بذاتها ، تتقن اشكالا كثيرة من أساليب ومهارات التلاعب بالناس وتوجيههم لمنفعتها ، أما راوية ، فتصبح فتاة متمردة يسودها شعور بالنقص ، وتشعر بغربة نحو أسرتها وطريقة الأسرة في الحياة ، مما يشيع التعاسة بين أفراد الأسرة

البصيرة الأعمق :

دعنا الآن نتصور كيف كان من الممكن لوالدة سامية وراوية أن تعالج الموقف الأسبق ، لو أنها كانت تتمتع ببصيرة أعمق بالنسبة لمشاعرها ، وللعبة الضارة التي تقوم بها سامية

الأم لقد تحولت هذه الحجرة الى فوضى هيا يا بنات نظفا الحجرة واستعدا للغداء

سامية لقد نبهت على راوية ألا تبعثر اللعب في أنحاء الحجرة ، وألا تلقى

الأم (مقاطعة) سامية ، أنا لا أحب هذا الذى تقولينه دائما

انه يضر بك وبراوية وبالعائلة كلها ، لا بد أن تفهمي جيدا انك لست المسئولة عن تحديد ما تفعله ومالا تفعله راوية . هذه مسئوليتي أنا

سامية أفهم ذلك يا أمي ، ولكنها هي التي نثرت قصاصات الورق في أنحاء المكان ، وكذلك قامت بـ

راوية هذا غير صحيح

الأم جميل ستقومان معا بترتيب وتنظيف الحجرة

سامية لكن راوية هي التي تبعث الفوضى دائما

الأم اذا كانت كذلك فعلا ، فمرجعه الى أنك تداومين ترديده على مسامعها

راوية فعلا وبالمناسبة ، سامية ليست هي ذلك الملاك الذى يتصوره الجميع

سامية ها هي ثانية تهاجمني

الأم هذا يكفي لقد جرى بيني وبين والديكما حديثا مطولا عنكما من الآن فصاعدا ، سنحرص على أن ينال كل منكما حقه العادل

سامية أنا لا آخذ حقي

راوية (مستنكرة) ماذا ؟

الأم أعني أننا تعجلنا في الحكم عليكما ، باعتبار أن سامية هي الطيبة وراوية هي السيئة ، كلتا لاحت مشكلة ليست أى منكما ملاكا ، ولا أيكما انسانا طالحا هيا تحركا معا لتنظيف وترتيب الحجرة ولا تغادر أى منكما الحجرة قبل أن يتم هذا

سامية (مستميتة) لكن راوية هي دائما التي

الأم (مقاطعة) سأعود بعد خمس دقائق ، واذا لم أجد الحجرة مرتبة ونظيفة ، سأحرمكما من مشاهدة التلفزيون اليوم انتما تعلمان أن اليوم هو الموعد الأسبوعي لبرنامج افلام الصور المتحركة

سامية . هيا بنا ننظف الحجرة

راوية : هيا □

■ أعظم الرجال حظاً في الحياة أقلهم حظاً مع النساء !

« اونوري دي بلزاك »

هو..

مهـــارة

● لا أدري الآن ما الذي فجر غضبه ، وأثاره الى هذا الحد ، كأنني ارتكبت جرما أو خطيئة ، ولا أدري لماذا يهتم هو بتفاصيل لا شأن له بها ، ولماذا يفتش خلفي ، ويبحث عن أسراري

مثل كل زوجة في العالم يعطيني زوجي « مصروف البيت الشهري » ، ومثل كل زوجة في الدنيا أساومه دائما ، وأشكو إليه من قلة المصروف ، وأطالبه بالمزيد ، وأشهد له أنه كان يتفهم ويقبل ، وكثيرا ما كان يعطيني كل ما معه ، ولا يبقي معه إلا ثمن سجائره ، وتكاليف مواصلاته ، دون أدنى زيادة ، وعلى أساس أنه يقبض راتبه قبل نهاية الشهر بأربعة أو خمسة أيام ، ولو تأخر راتبه عن ذلك لعجز عن دفع أجرة وصوله إلى عمله

في أحد الأيام كنت في زيارة أمي ، وكان هو وحده في البيت ، ويبدو أنه أراد أن يعد مجموعة أوراق كانت مطلوبة منه في صباح اليوم التالي ، من أجل تقديم طلب لتركيب هاتف لمنزلنا ، وأثناء بحثه عن عقد إيجار البيت عثر على دفتر توفير باسمي ، به مبلغ من المال

وعندما عدت اشتعلت الدنيا ولم تنطفىء ، فقد انطلق غضبه حادا ، وجرحه فياضا ، سألني في البداية من أين لي هذا المال ونحن لا ندخر (مليما) واحدا ؟ وعندما قلت له إنه من مصروف البيت هز رأسه بصمت ، وسألني لماذا لم أخبره عن هذا المبلغ ؟ ولماذا أدخره ؟ ويبدو أن اجابتي هزته أو صدمته ، فقد قلت له إنني أدخر هذا المال من أجل مستقبلي ، فأنا ربة بيت لا أعمل ، ولا ضمان لي في المستقبل ، وأنا أحاول أن أقتطع من مصروف البيت مبلغا من المال لكي ينفعني يوما ، وثار وزعق وأرعد ، وتوترت العلاقة بيننا

حاولت أن أشرح له ، وأفهمه وجهة نظري ، لكن عبثا ودون جدوى أقول له ما دمت أنت قد أعطيتني مصروف البيت فلا دخل لك في أي وجه أنفقه ، سواء ادخرته للزمن ، أو اشتريت منه شيئا لي ، مثل فستان ، أو حلية ، أو أي شيء ، فكل هذا من المفروض أنه يتساوى عندك ، فهناك كثير من الزوجات والأزواج بينهم هذا الاتفاق غير المعلن الذي كاد أن يصبح عرفا يعطي الزوج زوجته مصروف البيت مقدرا فيه أن هناك جزءا منه لمصروف يدها ، تشتري لنفسها منه ما تريد ، ويتوقف الأمر على (شطارة) الزوجة ومهارتها في تدبير بيتها بأقل مبلغ من المال ، لكي تشتري لنفسها ما تريد من الباقي ، وكثير من الزوجات يشتركن في نظام الادخار النسائي الشهير بالجمعيات ، وهو أن تدفع كل مشتركة مبلغا كل شهر ، وتقبض إحداهن ما يتجمع لشهر من المال ، مرة واحدة لكل مشتركة ، وهكذا حتى يأتي الدور على كل المشتركات ، وتستفيد ربة البيت من المبلغ الكبير نسبيا الذي يتجمع في يدها لتشتري ما تريد ، وكلما حدثته عن أمثلة وحالات لزيادة التوضيح له يصرخ في وجهي ، ولأن الحال مختلف عن ذي قبل ، فهو لا يتفهم أبدا

هي.. خديعة

مند رواحنا والحياة تكاد تسير سا ، فظروفنا المالية مند الرواح لم تعرف اليسر أبدا ، بضيع الراتب بين إيجار بيت وأقساط ومصروف بيت ، وكلما تخلصنا من قسط من الأقساط ابتلع برايد الغلاء ومطالب روحتي بريادة مصروف البيت أي مبلغ يتوفر ، وكنت - كشأن كثير من الأرواح - لا أناقش روحتي فيما تدهب إليه الأموال ، مع أن طعامنا لا تتحسن سوعيته ، وعدد المرات التي نأكل فيها اللحم ثابتة ، أما المعلبات والأطعمة الشعبية فتترايد ، وكان ظني أن هدا يعود إلى الغلاء وارتفاع الأسعار المستمر .

وفي احدى الأمسيات كنت في البيت وحيدا ، أبحث عن عقد الايجار ، ووسط كومة أوراق في ركن خاص بها في حرانة ملابسنا عثرت على دفتر توفير ، فدهلت ، وما ان اطلعت على رقم المبلغ حتى ازداد دهولي ، فقد كان مبلغا دا بال ، إنه يساوي مجموع رواتبي لمدة طويلة وعندما واجهتها بما علمت قالت لي إنها ادخرت هدا المبلغ من مصروف البيت ، وأنها تدخره تأمينا لنفسها ضد ... ، وضد غدر الرحال ، ثم قالت كلاما لم أتقبله ، فلو كانت تقتطع من مصروف البيت لكي ...ري فستانا أو شيئا من هدا القبيل لتساهلت وتفهمت ، لكنها تقتطع من مصروف البيت ما يقارب نصفه ، وتتركني بلا (مليم) واحد ... أستطيع أن أشرب فنجانا من القهوة أو كوبا ... شاي في العمل ، ولا أستطيع أن ابتاع تذكرة ... ... » لزميل لي ركب معي صدفة ، وهي فضلا عن دلك تتفنن في تدبير أمور البيت، فتضيق علينا في طعامنا وشرابنا ، وقد رأت بعينيها أزمات كثيرة تمر بنا ولم تحاول أن تنقذنا منها بهذا المبلغ المدخر

أقول لها إن ما فعلته لا يمكن أن يوصف بأنه نوع من الادخار ، لكنك تخدعيني وتسرقيني ، ثم إنك تعلمين أنه كان من الممكن ألا أبالي فيما فعلت لو كانت أيامنا أكثر يسرا ، والتراماتنا أقل حملا ، أو لو كنت قد أعلمتني - بشكل عام - أنك تحاولين الادخار من مصروف البيت ، لكنك في أول كل شهر كنت تطالبين بالمزيد ، وعندما أتعثر أمامك الراتب وبجلس معا نورعه وتتبقى قروش قليلة تكاد تكفيني تنظرين إلي بلوم وعتاب ، وتندبين محاولاتك معي من أجل أن أقلع عن التدخين لأن ثمن السجائر سيوفر مبلغا من المال ، ثم تحاولين إغرائي بأننا سوف نجعل ثمن السجائر نصفين ، نصف لمصروف البيت ونصف لي ، وأني بدلك سأصبح في بحبوحة تصرخ في وجهي قائلة بأنها لا تعمل ، ولا ضمان لها في المستقبل ، ثم مادا ستفعل لو احتلفنا يوما ، أو انفصلنا ، أو قلت لها كل هده الفرضيات لا تبرئك ، لكنها تدينك ، فعندما يحيا اثنان حياة واحدة مشتركة ، واحدهما مملوء بأحاسيس عدم الثقة والخوف وتحسب الغدر فانهما لا يمتلكان علاقة أمان وألفة ، بل تكون علاقتهما أقرب إلى علاقات اللصوص

هو
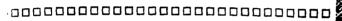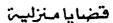
لايخلو منزل من الفاكهة ، وكلنا يتناولها من قبيل انها ذات طعم حلو مستحب ، ومع حلاوة الطعم تحمل الفواكه فوائد متعددة للانسان وتمنحه قدرا من الوقاية من بعض الامراض كما تعالج أمراضا أخرى

وفي الشتاء تتضح أهمية البرتقال الذي يمنح الصغار والكبار مناعة ضد البرد وتعويضا لفيتامين (سي) كما يكمل عصير الليمون وقاية شاملة من حالات امراض الكوليرا والحمى التيفودية ، وبكثير من التفصيل نقدم لك ـ عزيزتي الأم ـ فوائد عصير بعض أنواع الفواكه في الوقاية والعلاج

عصير البرتقال ·

البرتقال فاكهة شعبية جمعت في تركيبها مركبات غدائية وفيتاميات واقية تفيد الصعر والكبير ، والمريض والسليم ، كما تفيد المرأة الحامل والمرضع

ومما يريد من أهمية البرتقال وفرة اتاحه ورحص ثمنه . الأمر الذي يجعله في متناول الفقير والغني على السواء

ويعد عصير البرتقال من أعنى فواكه الشتاء بفيتامين ح الواقي من مرض الاسقربوط الذي يسبب ضعف اللثة وادماء الحلد وتبقعه وتحلل المادة الحيرية التي بالعظام كما يسبب ارتباك الهضم وفقد الشهية للطعام وعدم مقاومة الحسم لبعض الالتهابات

وليست قيمة البرتقال في فيتاميناته واملاحه المعدنية فحسب ، بل قيمته أيضا فيما يعطيه للجسم من طاقة هي مصدر بعض النشاط والقوى الحيوية في الانسان ، بمعدل ٨٠ سعرا حراريا للمر الة

الواحدة والسعر هو مقدار الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة حرام من الماء درجة حرارة مئوية واحده

وفي مقدور برتقالة واحدة كبيرة في كل يوم أن تمد الواحد منا بكل ما يلزمه من هذا الفيتامين

وبسبب نقص فيتامين ح وعنصر الحديد في لبن الرضاعة والألبان الصناعية كان من واجب كل أم أن تعوض هذا النقص عند تغذية طفلها الرضيع باعطائه عصير فاكهة يحتوى على مقادير ماسة من هذا الفيتامين ومن هذا العنصر المعدني وعصير البرتقال هو أنسب عصير يحقق هذا الغرض خصوصا في أشهر الشتاء

وعصير البرتقال واللبن الحليب يكمل كل منهما الاخر من الناحية الغذائية فالفيتاميات والأملاح المعدنية التي توحد في أحدهما بقلة توحد في الآخر بكثرة ، وبذلك نجد في هذا الخليط مقادير وافرة من الفيتاميات والأملاح المعدنية

وهناك حالة مرضية يسعى فيها الاقلال من تناول عصير البرتقال هي حالة المرض بالقرح المعوية ، فقد قام دكتور « حون بيحلي » ودكتور « دايد كاىر » بابحاث لمعرفة أثر البرتقال على المرضى بالقرحة المعدية والمعوية فاتضح لهم أنه يزيد من حدة المرض ويضاعف الألم والحرقان

عصير الليمون

يهم الانسان عادة بعصير الليمون لا لقيمته الحرارية بل للحصول على شرابه المنعش ذى الفوائد الطبية العديدة ، ولمزجه بالاطعمة ليعطيها طعما خاصا مقبولا

• [illegible]ير الليمون غني كعصير البرتقال بفيتامين ح الواقي [illegible]ن الأمراض والالتهابات

• [illegible]ير الليمون مقاوم لكثير من السموم وهذا هو [illegible] تسمية الليمون البلدي بالليمون السرهير فكلمة [illegible]رهير ذات مقطعين الأول « س » معناها

صد ، والثاني « زهير » ومعناها بالفارسية « سم » أي الليمون المقاوم للسموم

وقد وجد الدكتور كريستماس أن ميكروب الكوليرا والحمى التيفودية يهلكان اذا وضعا في محلول يحتوي على ٦ جرام حمض ليمون في كل لتر ماء أي ما يعادل ١٠ جرامات عصير في نفس كمية الماء المذكورة وبذلك يمكن تعقيم ماء الشرب عند انتشار الأوبئة باستعمال هذا العصير ، خصوصا في المناطق التي يصعب فيها الحصول على مياه رائقة معقمة

ولفت الدكتور « كلر » نظر الاطباء الى معالجة الحنجرة والقصبة الهوائية بعصير الليمون ، وذلك بعمل غرغرة بالعصير المخفف أو العصير المخفف المضاف اليه كلورات البوتاسيوم بنسبة ١,٥ ـ ٢ ٪

ويؤكد الدكتور « كريتمار » نفسه في علاج الحالات الروماتيزمية على استعماله مع ماء الشرب ، كما يمكن استعماله مع الشاي في شفاء الحمى المتقطعة

وجميع هذه الفوائد الطبية عرفها العرب من قبل ، فجاء في كتاب ابن البيطار « عصير الليمون مقو للمعدة منه لشهوة الطعام ، معين على جودة الاستمراء مطيب للنكهة ، محرك للطبيعة ، مقو للقلب ، مقاوم لمضار السموم المشروبة ، فهو بذلك لطيف الجوهر شديد الجلاء ، قوى التقطيع للاخلاط الغليظة اللزوجة ملطف لها ، وقوة التقطيع هذه تظهر بجلاء من فعله في البلاعم اللزجة الملاصقة للفم والحلق ، اذ يعمل عصير الليمون على تقطيعها وتسهيل خروجها والعصير مبرد لالتهاب المعدة ، مطفىء لحدة الدم وتوهجه ، مسكن لغليانه ، ملطف

عصير العنب :

يحتوي عصير العنب على مقادير عالية من السكريات السهلة الهضم والامتصاص وهو ما

دفع البروفسور مارسيل لاي الاحصائي في التغذية أن يقول

يعد عصير العنب من خير المنشطات والمقويات للمتعبين المجهدين والناقهين ، وذلك لقيمته الغذائية وتناوله بانتظام يعد علاجا ناجحا لكثير من حالات النحافة

وقد استخدم عصير العنب في فرنسا علاجا ناجحا لشفاء بعض الامراض ، فقد عالجوا به حالات الضعف العام وتصلب الشرايين وامراض الدم والبول الحامض ، ويعتبرونه مليناطبيعيا

ويعتبر العنب وعصيره أغنى الفواكه وعصيرها في مركبات الحديد الضرورية لتكوين الدم

د . عز الدين فراج

بريد طبيب الأسرة

استئصال اللوزتين

● يعاني ابني البالغ من العمر سنتين من التهاب اللوزتين ، يصيبه بين حين وآخر ، ولما علمت أن هذا يهدده بالاصابة بروماتيزم القلب ، فقد استشرت طبيبا مختصا رأى ضرورة استئصال اللوزتين في عمر لاحق عندما يبلغ الطفل خمس سنوات

انني قلق ومتردد ، فما هي قصية استئصال اللوزتين وأضرارها

أحمد خالد ـ الاسكندرية

ـ اللوزتان نسيج لمفاوي يقع في مدخل البلعوم ، لتقوما بوظيفة دفاعية هي تصيد الميكروبات الضارية التي تدخل الجوف عبر الفم ، لهذا تعتبر اللوزتان حارسين يقفان على جانب الحلق

وقد تكون اللوزتان من الضعف مما يحول بينها وبين أداء مهمتها الحيوية ، أو ربما تكون هجمة الميكروبات أكبر من امكانيتها على صدّها ، فتصبح اللوزتان ضحية الالتهاب

ان مثل هذا الالتهاب عادة لا يتكرر على فترات متقاربة ، فتكراره قد يصبح عبئا على الجسم بدلا من وظيفته المناعية ، وفي مثل هذه الحال يستحسن ازالتها ، لأن عواقب تكرار التهاب اللوزتين متعددة وخطيرة ، منها التهاب القلب وتلف صماماته ، ومنها التهاب المفاصل الروماتزمي ، أو ربما كان التهاب الكلى وهكذا وفي أحيان أخرى قد يصبح الالتهاب مزمنا والخطر يكون ملحا

ولأسباب عدة قد يتضخم حجم اللوزتين ويزيد الى درجة قد تسد مجرى الحلق ، ويصعب معها البلع وربما التنفس أيضا

في أحوال كهذه يرى الطبيب وجوب ازالة اللوزتين واستئصالهما ، لأن ازالتهما أفضل من بقائهما

ويرى الأطباء المختصون في أمور الأنف والأذن والحنجرة أن استئصال اللوزتين يجب أن لا يتم قبل سن الرابعة أو الخامسة من العمر ، الا إذا دعت الضرورة الملحة لذلك ، ويمكن ازالتها في أي عمر يلي ذلك السن ، وفي كثير من الأحيان يفضل استئصال اللوزتين في وقت الالتهاب عند حده ، ومنع الضرر المحتمل والمضاعفات الشديدة ، ولكنه في أحيان أخرى قد ينتقل الالتهاب الى الحلق حيث يتحمل عبء الدفاع جزء من الخلايا اللمفاوية ، المتواجدة في جدار الحلق الخلفي .

أبناء للبيع !!

رغم سطور الخبر القليلة فهو خبر مؤلم ، موجع : أب يعرض أبناءه الثمانية للبيع ، ولا يطلب شيئا من المشتري سوى أن يتكفل بإعاشة أولاده ، وإخراجهم من مستنقع الموت في لبنان ... وفي تفاصيل الخبر مكامن ألم كثيرة ، فيه كيف توسل الرجل إلى قسم الاعلانات بالجريدة أن ينشروا له الخبر بدون مقابل ، لأن كل ما معه من مال لا يكفي ثمنا للاعلان ... ورغم أن جرائد الأيام التالية حملت أخبارا عن متطوعين وفاعلي خير يعرضون تبني أولئك الأبناء ، والانفاق عليهم حتى يكملوا تعليمهم الجامعي ، رغم كل هذا فإن الألم الداخلي لم يهدأ ، لأن هذا حل للمشكلة على نطاق فردي ، ولأن صدى المشكلة ودويها كانا كبيرين ومؤلمين

وتفترح في ذهني أخبار متوالية عن حالات أخرى لا تقل إيلاما ، فهناك أربع شقيقات أصغرهن في التاسعة من عمرها ، وأكبرهن في الخامسة والعشرين ، انتحرن لأنهن كن يمثلن عبئا ثقيلا على شقيقهن الوحيد الذي كان ينفق عليهن ، وهناك طالب جامعي يقتل عجوزا من أجل عشرة جنيهات ،وأب مريض يعيش في غرفة واحدة مع خمسة أبناء صغار ، ويتعذب لعجزه عن العمل لاطعام أبنائه الجياع

على امتداد خريطة وطننا العربي تنتشر قصص الفقر الأليم ، والجوع المصاحب لشبح الموت ، وتتفاقم المشاكل الاجتماعية ، وتتكاثر أمراض اجتماعية شتى ، فمن تسول إلى رشوة ، ومن سرقة إلى نهب .. إلخ ونحن في هذا لا ننفصل عن عالمنا الثالث الذي ننتمي إليه ، فحالات الفقر والجوع في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أكثر إيلاما وقسوة ، والتغير الاجتماعي يسير إلى الخلف ، ومع كل هذه الأمراض الاجتماعية تضعف القيم ، والمبادىء ، وكثير من قوى الضغط الاجتماعي ، وتتعرقل كل عمليات التنمية التي لا يمكن أن تتحقق إلا بالانسان ، فهو أداة التنمية وهدفها وغايتها

ولا يمكن لأحد أن يضع قائمة أسباب للحالة التي وصلت إليها فئات اجتماعية كثيرة في بعض أقطارنا العربية ، وفي العالم الثالث ، لكن الأسباب لا تنفصل عن دائرة الديون التي تثقل كاهل أقطارنا العربية ، وكاهل أشقائنا في العالم الثالث ، المسمى بالجنوب المتخلف ، ولا تنفصل عن الضغوط التي يمارسها العالم الصناعي ، واحتكاراته الصناعية الضخمة ، وسرقته للمواد الخام ، والعقول ، وغزوه الإ... ثم نحن بعنا أبناءنا يوم أن أغلقنا الورش الصغيرة ، وهجر الفلاحون أراضيهم ، واستسهلنا السلع المستوردة ، وعرفنا مذاق الخبز الفرنسي ، والقماش الانجليزي ، والتبغ الأمريكي ، ولن نحمي أبناءنا إلا إذا عمل الوطن كله لكي لا يأكل إلا ما ينتج فقط ، حتى لو أكلنا وجبة واحدة

«طارخانة» العرب

بقلم : فرج العنتري

تعددت أغراض الموسيقا ، وتطورت آلاتها ودخل الشعر طرفا فيها عرفت الموسيقا للحماسة وطلب الصمود حتى النصر،وصار الانشاد الجماعي مكملا لها فما هو الدور الذي لعبته الطبول والأبواق والكوسات والمزامير وغيرها من الآلات في الحرب والسلم ؟

يبدو أن كل حفلة موسيقية كانت تسمى يومئذ « نوبة » تبعا لما استنه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، من تخصيص يوم أو « نوبة » ـ بمعنى المرة ـ لكل لون كان يسمعه من ألوان الفن ، فهذا كان يوم أو « نوبة » الشعر ، وذاك يوم أو نوبة الغناء ، وفي هذا يؤكد لنا المستشرق الموسيقار هنري فارمر بكتابه عن الموسيقا في ألف ليلة وليلة على ما كان فعلا من تخصيص خلفاء العباسيين لأيام أو ساعات محددة لحفلاتهم ، وأن « نوبة » احدى المطربات كانت دائما يوم الثلاثاء ، ثم يتأدى الى أن هذه « النوبة » قد صارت الى تسمية أخرى ـ بجانب الطبلخانة ـ لفرقة الموسيقا العسكرية العربية والاسلامية بالعصر الوسيط

ونحن لو رجعنا نتعرف على ما كان يوجد من لون الموسيقا العسكرية العربية في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، لوقفنا وجها لوجه أمام ذخيرة مذهلة م شعر الحماسة بالذات . فالشاعر يومئذ ـ كما نعرف كان في قبيلته بمثابة محطة الاذاعة المعاصرة ، وكا يتغنى بشعره عن مآثرها وأمجادها مترنما ولا يكم بأسلوب التلفظ ، كما نعرف أن الأعشى ـ مثلا ـ كا صناجة العرب (٥٣٠م ـ ٦٢٩م) ، وأن « الصنج آلة موسيقية عربية ، ومن سلالة آلة الهار الفرعونية ، وأنها كانت ـ كآلة السمسمية الشع المعاصرة ـ تصطحب الأهازيج والانشاد

الشعر وموسيقا الجاهلية

لنا اذن ، ونعبر أي تعمل ولا تعسف ، ه شعر الحماسة في حقبة الجاهلية وصدر الاسلا م نوع من انتاجيات الموسيقا العسكرية ، وفي ح أن يقتصر استخدام الناس لها على « آلات » لنا

مصحوبة بالطرق على قصيب معدني ، أو بالدق على الدفوف ، أو حتى بتصفيق اليدين ، ولكن في لون له تأثير مذاق الرنين النحاسي المحكم ، ومن تعبيرات كانت تستهدف الفخر والتباهي بالحسب والنسب ، وتستنفر الجموع للاستنفار ، ولمجابهة الأهوال ومعامع النزال ، وفي تاريخ النقد الأدبي ما يسعفنا في هذا المقام ، بما أثر عن قبيلة بني تغلب من شدة الافتتان بقصيدتهم الخاصة التي صاغها لهم عمرو بن كلثوم ، والتي قال فيهم من قال وهو يعمز عليهم

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة

قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

غير أن هذه القصيدة كانت لهم بمثابة النشيد القومي ، ومنها أبيات مازالت تتفجر معانيها بالأنفة والعزة والتحمس ، وفي رنين من جرس يناظر سحونة مارش قوي لفرقة موسيقية عسكرية

شعر الحماسة . والموسيقا

والنموذج الثاني الذي سنتناوله الآن من هذا اللون ، يأتينا من شعر الحماسة والاستنفار وطلب الصمود حتى النصر ، وهو الذي كانت قد قامت بتأليفه وتلحينه وانشاده فرقة كورال النساء ، بقيادة هند بنت عتبة ، على مسرح القتال في غزوة أحد ، ومن فاصلين ، أولهما كان من هذه الأبيات

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

مشي القطى النوارق والمسك في المفارق

***

ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

او تدبروا نفارق فراق غير وامق

***

روح المولّي طالق والعار منه لاحق
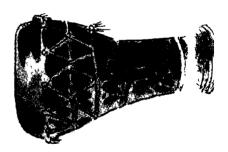
ولما انتهى هذا الفاصل ، ثم ثبت يومها أن الدائرة أوشكت أن تقع على كفار قريش ، عاودت فرقة - « المايسترو » - هند ، آكلة الأكباد ، الى أداء الفاصل الثاني من « مقام » أكثر سحونة ، ومما روته الرواة عنهن من أبيات قالت

ويها بني عبد الدار

ويها حماة الأديار

ضربا بكل بتار

ومن ثم ، دارت الدائرة بالفعل على المسلمين ساعتها مما هو معروف ومشهور

وأما النموذج الثالث فيتعلق بغزوة حنين ، يوم ضاقت الأرض على المسلمين بما رحبت ، ومن بعد أن كانت قد أعجبتهم كثرتهم ، فلم تغن عنهم من الله شيئا ، وولوا مدبرين أمام المقاتلين من هوازن ، لم يلبث الحال أن انقلب بفضل من الله ، وبيت كريم من شعر الحماسة دوّى به صوت النبي الكريم وقال

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فتجمع المجاهدون والأنصار من حوله عليه السلام ، واستجابوا لندائه بالصمود ، وظلوا يعملون سيوفهم في رقاب مشركي هوازن حتى قطعوا دابرهم

واذا كان لنا أن نضع نمط الانشاد في شعر الحماسة الجاهلي وصدر الاسلام بكل جرسه وتعابيره وأغراضه في مستوى قائمة انتاج الفرقة العسكرية المعاصرة من المعزوفات ، فان علينا ان نضيف الى ذلك ما ذكره « هنري فارمر » في كتابه عن الموسيقا العربية - رواية اليا شلبي بالحرف الثالث من رحلاته - أن المدعو بابا سوانديك ، بهذا الاسم ، كان موسيقارا هنديا ، تولى مهمة ضرب الكوسات - أي الطبول الكبيرة - في غزوات النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأن قبره مازال معروفا في قرية جرجيس بالموصل في أرض العراق حتى الآن

أنواع الآلات

على أن العرب لم يهملوا مسألة فرض الرقابة على ما كان ينتج من آلات الموسيقا بمثل ما تقوم به الآن رقابة الدولة ، فلقد كانوا يمنعون ضرب آلة « الشاهين » الموسيقية في المعسكرات ، نظرا لما كان لطبيعة أنغامها من تأثير محزن ، قالت عنه المراجع التاريخية بأنه كان

« يحلل عقدة الشجاعة ، ويضعف من صرامة النفس ، ويبعث في النفوس دواعي التشوق الى الأهل والوطن ، ويورث الفتور في القتال »

ويستطيع المرء أن يصدق رواة العرب ومؤرخيهم في أن الصحة التي كانت تصدر عن موسيقا نوبتهم - أو طبلخاناتهم - هزت الأرض هزا ، أو أنها كانت تصم الآذان ، فقد ثبت أنهم عرفوا فعلا وظيفة الصلصلة والصخب ، واستخدموها في ارباك أعدائهم خلال المعارك ، وقيل في هذا ان ريتشارد قلب الأسد ، غريم صلاح الدين الأيوبي في الحروب الصليبية ، لاحظ كيف كان حصان صلاح الدين مزدانا بطائفة من الأجراس المصلصلة على كفله أثناء القتال .

وأما عن حكاية التكوين النوعي والعددي لفرقة الطبلخانة ، فان المراجع التاريخية عامتها ومتخصصيها تحصرها في نطاق الطبول والكوسات ، والطبول والأبواق ، والكوسات والمزامير ، والكوسات والأبواق ، وان منها ما كان يتضمن الكوسات والأبواق والمزامير ، ومنها ما تشكلت من الطبول ومزامير « السرناد » على نحو ما تشكلت به فرقة الأمين الخليفة العباسي (٨٠٩م - ٨١٣م)

وجدير بالذكر هنا ما ذكره ابن خلدون ، ورواه عنه هنري فارمر ، من أن العرب ظلوا لا يعترفون البوق من آلات ميدان الحرب حتى مجيء القرن الثامن وانهم كانوا يعتبرونه في أيام الأصمعي (٧٤٠م - ٨٣١م) من مستلزمات جيوش النصارى ، كما يجدر أن نضع أمام القارىء الكريم قائمة من مختلف أسماء أشهر آلات الموسيقا العسكرية في طبلخانة العرب ، حسبما أوردها وحققها الدكتور حسين علي محفوظ في قاموس الموسيقا العربية من مطبوعات وزارة الاعلام ببغداد سنة ١٩٧٧

فلقد جاء في ذكر أنواع الطبول ما هو منها : « الطبل المعتاد - الطبل باز (نموذج التمباني الحديث مصغرا) - الدبك - الطبك - العير (ومنه مثلنا العربي هذا شخص لا في العير ولا في النفير) - الدهل - الكرجة - الطبل المغولي - الكوس (وهو طبل خراسان الذي كانت تسمع دقاته بصحبة أنغام الأبواق على بعد فرسخ) ثم القصعة الكبيرة ، فالدف ، والطار والدنداب ، بجانب معدنيات الايقاع من كوسات « الصاحات »

وأما عن آلات النفخ النحاسية عندهم فقد استخدموا من أنواع النفير « النوري - والتسمية تركية - والنفير السرعشي (نفير السلطان) ، والبرغو ، ومع اعتبار العرف بمجموعة من أبواق النفير ميزة أرستقراطية لمقام الملوك والسلاطين وحدهم وانهم عمدوا لغويا الى جمع لفظ « النفير » على « أنفار » وتحول هذا الجمع مع التاريخ وبالتحوير الى لفظ « فانفار » الذي تستخدمه الآن اللغة الفرنسية في تسمية فرقة موسيقاها العسكرية ، وفي الأسبانية باسم الأنفال أو الأنفيل

وفي مجال آلات النفخ الخشبي نجدهم استخدموا المزمار بتسمية السرناي أو الصرناي « والدوناي » بمعنى النوع المزدوج منه ، وانهم بعد هذا كانوا يشيرون الى النقر السريع على الطبلة العسكرية بأنه « ترعيد » ، والى عزف الطبل بأنه « دندنة » و « دردبة » ، كما كانوا يشيرون الى شخص العازف على الطبل بأنه « دبدار » والى عازف الصاحات بأنه « كوسي » والى النافخ في الصور أو الناقور - وهي تسمية أخرى لبوق القرن النحاسي - بأنه « مشب » والى نافخ النفير بأنه « النفر » والى العازف في فرقة الطبلخانة بوجه عام أنه « مُقر » بضم الميم وكسر القاف

الآلات لها وظائف

والثابت أنه بالاضافة الى ما كان لهذه الآلات بعضها أو مجتمعة من وظائف عسكرية في الميدان ، مثل اطلاق اشارتي الالتحام العسكري في القتال أو فض الاشتباك بدق « الطبول » ، أو مثل الاعلان عن بدء مسيرة الجند بدق الكوسات فانها أيضا كانت تلعب دورا مهما في مناسبات الأعياد والاحتفالات الكبرى ، كما كان من المعروف في شأن نظام المعارك أن تتخذ فرقة الطبلخانة موقفا للعزف يجعلها بمأمن من أخطار الصراع المشتبك ، وأن يستمر الكر والفر والقتال مادامت الطبلخانة مستمرة في عزفها ، وان تلتزم الطوابير المقاتلة بمعاودة الكر والفر والصمود حتى النصر أو الشهادة ، مادامت أنغام الطبلخانة تصدح

على أن طبلخانة العرب لم تكن تعزف دون نوبة

ولا . تناه اد كان يرأسها شحص قائد برتبة « أمير علم » وكان من حصائصه « أن يقف عليها عند صربها ، وأن يشرف على أفرادها ، وأن يتصرف في أمورها وعاداتها ، ويحكم عليها » ، كما كان حجم الفرقة ومرات العرف اليومي لها يختلف باختلاف رتبة صاحبها صعودا الى مقام أمير المؤمنين الخليفة الذي كان لمقامه السامي وحده حق اقتناء أكبر فرق الطبلخانة عددا ، والعرف بها في سلاطه ومعسكره خمس مرات يوميا بعدد الصلوات الخمس ، وللأقل رتبة ومقاما فرق طبلخانة أقل حجما ، وأن تعرف عددا أقل من نوبات الموسيقا ، لكن حين بدأ الأمراء الصغار والقواد يظهرون الاستقلال ، وينافسون مقام الخليفة العباسي في فترة انحطاط الدولة ، تغير الحال في حجم ومراسم عرف الطبلخانة لرتب أصحابها ، وأصبح كل منهم يفاخر بقوة طبلخانته ونوبات عرفها في ولايته الخاصة ، والى حد اعتراض المؤرخين القدامى والفقهاء على طالبي عرف النوبة الخماسية ، واعتبار ذلك جرأة على رتبة ومقام الخليفة بلغت حد الاغتصاب لحقوقه الشرعية ، فيما يذكر كاترمير بكتابه عن تاريخ المغول صفحة ٤٠٨

وأما عن جانب الأبهة والفخامة في تجهيز وتعداد الطبلخانات ، فاننا نقرأ عن الشاه جلال الدين آخر حكام خوارزم ، المتوفى عام ١٢٣١م ، بأنه شكل لنفسه فرقة اشتملت أنواع الطبول على سبع وعشرين واحدة مذهبة باللآلىء ، وكان عازفوها من أبناء أمراء مملكته ، وانه لذلك كثيرا ما كان يتباهى بأن طبلخانته تماثل ما كان للاسكندر الأكبر ذي القرنين من طبلخانة ، وعن السلطان محمد شاه خوارزم ، نجد رواية حول احدى مرات المراسم في بلاطه ، ان السلطان لبس جبته وعمامته بعد أن فرغ من حمامه ، ثم استقبل وكيل القصر وسار معه على ضوء مصباح في بد[illegible] العيد ، الى قمة البرج الكبير المطل على ساحة القصر ، ومن ثم وجد في انتظاره كبار رجال الدولة ، و[illegible] فرقة موسيقية من سبعة وعشرين عازفا ، كلهم من [illegible] امراء أقاليم غربة وبلخ التابعة له ، علامة عـ[illegible] على الاستقرار في أرجاء ملكه ، ولما أطلـ[illegible] [illegible] شاه » سيف الاسلام المسلول وخليفة الا[illegible] ذي القرنين في الناس بالحول والطول ـ كما كان يدعو نفسه ـ ضربت له النوبة مراسم عرفها ، ثم أمرها باشارة الانصراف »

الموسيقا والأبهة

ويسوق الرحالة الفارسي الحكيم ناصر خسرو حديثا خاصا لأبهة وفخامة الموسيقا العسكرية في الدولة الفاطمية بكتابه سفرنامة (المطبوع في باريس سنة ١٨٨١) فيذكر ما يدل على أنها فاقت من حيث التنوع والعدد كل تصور سابق أو لاحق ، بمزاميرها وأبواقها وطبولها وخصوصا طبل الذهل ، وان حملة العزيز الفاطمي المتوفى عام ٩٩٦م الى سوريا تضمنت طبلخانة موسيقية ، كان فيها من آلات الأبواق وحدها خمسمائة نفير وما أظن حدوث النظير لهذا في سجل كافة تشكيلات الموسيقا العسكرية التي عرفناها ونعرفها بطول فترات التاريخ حتى الآن

وعلى ذكر الفاطميين في مصر وأبهة موسيقاهم العسكرية ، سوف نجد أن الطبلخانة الخاصة بالسلطان غياث الدين الغوري المتوفى عام ١٠٢٢م ، كانت تشتمل هي الأخرى على عدد وفير من الكوسات الذهبية التي كانت تتطلب توفير عربة نقل لحملها أو فصيلة كاملة من دواب الابل

ولقد منح السلطان الغوري ولده الناصر رتبة الامارة وطبلخانتها في شهر شوال من عام ٩٢٠ الهجري ، ووصفت المراجع ضخامة حملته الكبرى بموسيقاها الى حلب ، وما كان من استعراضه لطوابير كتائبها ، وكيف مرت أمامه في أول الأمر فرقة الكوسات ، فالسناجق السلطانية والخليفية ، ومن بعدها أربعة أنواع من الطبول من بينها ـ على حد رواية ابن اياس ـ طبول نارات من المعتادة ، وطبول نارات مرصعة بالذهب ، وحمل عشرة جمال من الكوسات

وكان من المعروف أن في حراش جيش الغوري منها حمولة أربعين جملا

وهذه هي قصة طبلخانة العرب التي نقلتها أوروبا عن شرقنا الاسلامي ، عبر صقلية والأندلس ، وخلال احتكاكهم بالمنطقة في الحروب الصليبية ، ثم أعادتها الينا في شكل آلات جديدة ومعاصرة على أيام الحملة الفرنسية ◻

ل غ ة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الأشجار الأولى خضراء مزهرة

جاءت إلينا رسالة من الأخ السيد يوسف عز الدين (الخياطة ـ دمياط ـ مصر) يسأل فيها عن كلمة صماء، هل يوصف بها الجمع فيقال «العدد الصماء»، أم لا بد أن نقول «العدد الصم» وصفا للجمع بالجمع وهو يرى أن القول الأخير هو الصواب.
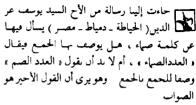
وقد أجبناه برسالة عاجلة خاصة، قلنا فيها إن كلا القولين صواب، ووعدناه بزيادة بيان في إحدى صفحاتنا اللغوية، لأن الموضوع عام، وها نحن نستوعب جملته بإيجاز لضيق المقام.

علامات تأنيث الأسماء (والصفات) في لغتنا ثلاث: الأولى تاء التأنيث المتحركة، مثل: جميلة، والثانية: ألف التأنيث المقصورة، مثل: صغرى، والثالثة ألف التأنيث الممدودة، مثل: زهراء.

وكما يوصف المفرد المؤنث بأمثال هذه الصفات يوصف كل اسم يدل على الجمعية[1]، مما يسميه علماؤنا جمعا، (ما عدا جمع المذكر السالم)، مثل: سور (جمع تكسير)، وحشرات (جمع مؤنث سالما)، ونظيرهما الجموع الملحقة بجمع المذكر السالم، وما يسمونه اسم جمع (يدل على جماعة ولا مفرد له) مثل: قبيلة، وكتيبة، وسائر الأسماء الدالة على جماعات، مثل: قريش، وتغلب، وعدنان وقحطان، أو ما يسمونه اسم جنس جمعيا، (وهو ما يميز من مفرده بتاء التأنيث أو بياء النسب) مثل: نخل، وقصب، ومثل: عرب، وأعراب، وسيتضح ذلك من الشواهد والأمثلة التالية:

وبدأ بتاء التأنيث في الصفات، وعلينا أن نلاحظ أن هذه التاء قد تكون للتأنيث المحض أحيانا، وقد تأتي لأغراض أخرى مع التأنيث أو بدونه، ومن الأغراض الدلالة على الجمع، مثل: سيارة (قرآنية)، ومارّة، ومعتزلة، ومرجئة، ومسلمة. ومنها نقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية، مثل: خليفة، ونطيحة، وبائنة (وثلاثتها قرآنية). ومنها المبالغة، مثل: نابغة، وراوية، وحاكية. ومنها زيادة المبالغة، مثل: علّامة، ونسّابة، وفهامة. ومن أمثلة وصف الاسم الجمعي بوصف المفرد المؤنث قولنا: زهور جميلة، ونخل باسقة، وعَرَب عاربة ومتعربة ومستعربة، وقريش متحضرة، وتميم بادية، ويقول المتنبي في وصف شجاعة سيف الدولة في الحرب:

تمر بك الأبطال كَلْمَى هزيمة
ووجهك وضّاح وثغرك باسم

وفي الأثر «عليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»، وفي القرآن الكريم «صحفا منشّرة»، و«والقناطير المقنطرة»، و«الخيل المسوّمة»، و«وجوه يومئذ ناعمة، لسعيها راضية»، و«وجوه يومئذ مسفرة، ضاحكة مستبشرة». وهكذا يوصف المفرد المؤنث، فنقول: زهرة جميلة، ونخلة باسقة، وطلعة مسفرة ضاحكة مستبشرة. وقد ورد الوصف بالجمع في القرآن «والنخل باسقات» و«أياما معدودات»، كما ورد بالمفرد المؤنث «أياما معدودة».

وكذلك تعامل هذه الأسماء الجمعية مع ألف التأنيث المقصورة كما في قوله تعالى « الصحف الأولى » ، و « آيات ربه الكبرى » ، و « الأسماء الحسنى » ، و « مآرب أخرى » ، وكقولنا : الدرجات العليا ، والدول العظمى ، والقصائد الطولى ، واللغات الفصحى ، والبلاد القصوى ، والآفاق الدنيا ، والأحداث الجُلّى ، والكتب الصغرى ، وكذلك تستعمل هذه الصفات مع المفرد المؤنث ، كما في قوله تعالى « الآية الكبرى » ، وكقولنا : الصحيفة الأولى ، والفتاة الحسنى ، والدرجة العليا ، والدولة العظمى ، واللغة الفصحى

وقد توصف الأسماء الجمعية بصفات جمعية ، كقوله تعالى « فعدة من أيام أخر » ، و « الدرجات العُلى » ، وكقولنا : الوقائع الكبر ، والطبقات الدنى ، والصحف الكبريات ، والأشجار الصغريات ، والأيام الأخريات ، والنساء الفضليات

ويأتي إلى ألف التأنيث الممدودة في صيغة فَعْلاء ، فهذه الصيغة كما تكون وصفا للمفرد المؤنث قد ترد وصفا للاسم الجمعي ، فكما نقول امرأة عرباء ، نقول « عرب عرباء » كما جاء في لسان العرب (مادة « عرب ») ، ويقول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة

فإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرها
فإن في الخمر معنى ليس في العنب

وتغلب اسم قبيلة ، ويقول في قصيدة يمدح بها كافور ، وينبهه على بناء دار

وبساتينك الجياد وما تحـ
ـمل من سمهرية سمراء

ومفرد سمهريّة هو سمهري أي الرمح ويقول شيخنا المعري

[illegible]م الناس أن يقوم إمام
ناطق في الكتيبة الخرساء

وفي لسان العرب « كتيبة شهباء » (مادة « شهب ») ، والكتيبة تدل على جماعة ، بدليل وصفها بجمع ، كما جاء في الحماسة لأبي تمام من قول باعث بن صريم اليشكري :

وكتيبة سُفْع الوجوه بواسل
كالأسد حين تذُبُّ عن أشبالها

وقد كانت كتيبة النبي في فتح مكة تسمى « الخضراء » ، وكانت آخر الكتائب الزاحفة إليها ، وسميت الخضراء - كما قال ابن هشام في سيرته - لكثرة الحديد وظهوره فيها ، واستشهد على ذلك بقول الحارث بن حلزة اليشكري

ثم حُجْرا ، أعني ابن أم قطام
وله فارسية خضراء

ويقول حسان بن ثابت في غزوة بدر

لما رأى بدرا تسيل جلاهُهُ
بكتيبة خضراء من بلخزرج

والفيلق كالكتيبة معنى ، ومن شعر العباس بن مرداس السُّلمي في فتح مكة .

حتى صبحنا أهل مكة فَيْلقاً
شهباء يقدمها الهمام الأشوس

وقال ابن لقيم العبسي في حصن نطاة اليهودي من خيبر ، وكان النبي قد وعده ببعض غنائمها عند فتحها

رُمِيَتْ نطاةُ من الرسول بفيلق
شهباء ذاتِ مناكب وفِقار

وقد ينقل وزن فعلاء إلى الاسمية للدلالة على جماعة ، كما في القاموس مثل : القصباء (جماعة القصب) ، والشجراء (الشجر) ، والشُّعْراء (كثرة الناس أو ذباب أزرق) ، والطرفاء (شجر) ، والحلفاء (بنت الواحدة حلفة) ، واللفّاء (الأغصان الملتفة في الروض) ، والبرشاء (الناس)

ولهذا يجوز أن نصف كل اسم جمعي (ما عدا جمع المذكر السالم) بما نصف به كل مفردة مؤنثة ، سواء كان تأنيثها بالتاء ، أو بالألف المقصورة على وزن فُعلى ، أو بالألف الممدودة على وزن فَعلاء ، لدلالتها على المفردة والجمع بصيغة واحدة □

---

(١) حفظناه منسوبا الى الامام الزمخشري : ان قومي تجمعوا وبقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم (كل جمع مؤنث)

شعر

هكذا غنى الآباء

حنين

لأبي صخر الهذلي

أبو صخر عبدُ الله بنُ سلمة السهمي من بني هُذيل شاعرٌ من الفصحاء ، عاش في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، كان مواليا لبني مروان الأمويين في دولتهم ، متعصبا لهم ، وله في عبدالملك بن مروان وأخيه عبدالعزيز مدائح ، وقد حبسه خصمهُم عبدُ الله بن الزبير بحوسة ، وأطلقه بشفاعة رجال من قريش

أمَا ، والذي أبكى وأضحك ، والذي ... أمات وأحيا ، والذي أمرُهُ الأمرُ [1]

لقد كنت آتيها ، وفي النفس هجرُها ... بَتاتا لأخرى الدهر ، ما طلع الفجر [2]

فما هو إلّا أن أراها فجاءةً ... فأُبْهتَ ، لا عرفٌ لديَّ ولا نكر [3]

وأنسى الذي قد كنتُ فيه هجرتُها ... كما قد تُنسِّي لبَّ شاربها الخمرُ

وما تركتْ لي من شدا أهتدي به ... ولا ضلَع الا وفي عظمِها وقرُ [4]

وقد تركتني أغبِطُ الوحش ، أن أرى ... أليفين منها لا يروعُهما الذُعر

ويمنعني من بعض إنكارِ ظُلمِها ... إذا ظلمَت يوماً ، وإن كان لي عُذْر

مخافةُ أني قد علمتُ لئن بدا ... لي الهجرُ منها ما على هَجْرِها صَبر

وأني لا أدري اذا النفس أشرفت ... على هَجرِها ما يَبْلُغَنَّ بيَ الهجرُ [5]

أبى القلبُ الا حبَّها عامريةً ... لها كُنْيةُ عمرُو ، وليس لها عمرُو

تكاد يدي تَنْدَى اذا ما لمستُها ... ويَنبُتُ في أطرافها الورَقُ النضْر [6]

وإني لتعرُوني لِذكْراك هِزةٌ ... كما انتفض العصفورُ بلَّله القَطْر

تمنيتُ من حبّي علَيّةَ أننا ... على رَمَثٍ في البحر ، ليس لنا وفْرُ [7]

---

١ - معنى البيت أقسم بالله الذي يبكينا ويضحكنا ، ويميتنا ويحيينا ، والذي حكمه نافذ فينا

٢ - بتاتا قطعا ، أخرى الدهر آخر الدهر

٣ - أبهت أحتار لاختلاط الأمور علي

٤ - الشدا بقية القوة - الوقر الثقل

٥ - أشرفت قاربت النهاية

٦ - تندى يظهر عليها البلل

٧ - الرمث حزمة أخشاب تلقى في الماء لتكون كالقارب

علـى دائم لا يعبُـر الفلكُ مـوجَـــهُ ومن دوننـا الأهـوالُ واللُّجـجُ الخُضـر[٨]
ىقصِي هَمِّ النمس في غـير رِقْبـةٍ ويُغـرق من تخشى نميمتَـه البـحـــر[٩]
عجبتُ لسعْي الـدهـر بيي وبينهـا فلما انْقـضى مـا بيننـا سكن الـدهـر
نيـاحبّ لـيـلى قـد بلغت بيَ المـدى وردْت عـلى مـا ليس يبلغُـه الهجْـر[١٠]
ريـا حبُّهـا زِدْني جـوًى كـلّ ليلـةٍ ويـا سـلْوة الأيام مـوعـدُك الحشـرُ
مجرتك حتى قلتِ لا يعرفُ القِلَى وزرتُـك حتّى قلت ليس لـه صبرُ[١١]
صدقت ، أنا الصبُّ المصـابُ الذي به تباريحُ حبٍّ خامرِ القلب ، أو سحرُ[١٢]
ىـا حبـذا الأحيـاءُ مـا دمتِ فيهمُ ويـا حبذا الأمـواتُ ما ضمَّك القبـر

ـ دائم مستقر ـ اللحة الماء العرير ٩ ـ همّ النفس مطالبها ـ النميمة نقل كلام الآخرين
ـ بلغ المدى وصل الى النهاية ١١ ـ القلى البغض
ـ الصبّ المحبّ ، التاريح الشدائد ، خامر خالط

حَيرة الحب

لجُنادة العُذري

هـده الأبيات تنسبهـا بعض مصادرنـا الأدبية لشاعرنا الاسلامي « الفرزدق » ، وهي لاتتفق ع مراحه وشخصيته التي يدل عليها شعـره ولاسيما ـرلياتـه ، وتنسبهـا مصـادر أخـرى الى « جـــادة ـعذري » أحد الشعـراء الذين ظهـروا في البادية الحجازية في عصر صدر الاسلام مطمـوا في الحب وتباريحه أرق الأشعار وأصدقها ، ولهذا كـان جنادة أولى بنسبتها اليه من الفرزدق ، وهي أشبه بأشعار هؤلاء الشعراء الذين يسمون « العذريين » وهي من أبدع الشعر في تمثيل « حيرة الحب » حين يعتلج في النفس الانسانية

سرَتْ لعينيكَ « سَلْمَى » بعـد مغفـاهـا فبتَّ مستـلهيـاً من بعـد مَسـراهـا[١]
وقلتَ « أهلا وسهلا ، من هَـدَاكِ لنا إن كنتِ تمثـالَهـا ، أو كنـتِ إيـّاهـا »
تـأتي الـريـاحُ الـتي من نـحـو بلدتكم حتى نقـولَ · « دنَتْ منّا بـريّـاهـا »[٢]
وقـد تـراخت بكم عنـا نَـوًى قـذَفٌ هيهـات مُصْبحهـا ، هيهـات مُمساهـا[٣]
مـ... أحـلهـا أتمـنى أن يـلاقـيَـني من نحـو بلدتِهـا نـاعٍ ، فينعـاهـا[٤]
كـيما أقولَ · « فِـرَاق لا اجتمـاعَ لـهُ » وتضمـرُ النفسُ يـأسـاً ، ثم تَسْـلاهـا[٥]
ول... تمـوتُ لـَراعَتْني ، وقـلتُ : « ألا يـابؤسَ للدهـر ، ليتَ الـدهـرَ أبقـاهـا »

(١) ...ـرت سارت ليلا مغفاها نومها (٢) رياهـا رائحتها الطيبة (٣) نوى قذف فراق بعيد
(٤) ...ماها . يعلن خبر موتها (٥) تسلاها تتعزى عنها

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الأجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

كلمات أفقية

١ - طبيب وكيميائي عربي كان يؤمن بامكان تحويل المعادن الخسيسة الى ثمينة
٢ - ما يتلألأ ، مكان سبك المعادن
٣ - كافور مبتورة ، يُروِّد
٤ - المَسَرَّة ، طاف ودار
٥ - قوانين أو قواعد يبنى عليها العلم ، روح فارقته شريكته
٦ - لحد من صخر ، مثل أو مكافىء
٧ - اسكت ، سَدَّ ، حرف جر
٨ - حكيم معمّر ورد ذكره في القرآن الكريم ، ينحني أو ينحرف
٩ - يأسر ، قطع أو استأصل
١٠ - جزيرة في المحيط الهندي عاصمتها تاناناريف

كلمات رأسية

١ - مخترع الهاتف
٢ - وعاء كبير عادة في صيغة الجمع ، عليل
٣ - نواة الذرة ، حبل من ليف
٤ - الهروب مقلوبة ، فعل أمر بمعنى اطلب
٥ - حشرات تمتص دم الانسان ، طلاء برّاق
٦ - يخادع طلباً للمكر
٧ - مفقودات ، عكس ودّي
٨ - من عدة النار مقلوبة ، صفرة البيض
٩ - طبيب عربي كان له السبق في اكتشاف دورة الدم الصغرى
١٠ - كن مقلوبة ، من بلاد الديلم

حل مسابقة العدد الماضي يناير ١٩٨٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ح	ى	ب	ن	ى	ق	ط	ا	ن	■
٢	م	و	ر	ب	■	ر	■	ل	س	ن
٣	ر	ى	ن	و	ن	■	ط	ب	/	ق
٤	ه	ل	ا	■	و	د	■	ل	ى	ن
٥	■	■	ب	ا	ب	■	د	ا	ن	ق
٦	ب	ب	ا	د	ل	■	م	د	■	■
٧	ق	ن	■	ى	■	م	■	ر	ى	م
٨	ن	د	ى	م	■	ك	ل	ى	ب	ر
٩	ى	■	س	■	ح	م	ح	■	س	ص
١٠	ب	ب	و	ح	د	ن	ص	ر	■	د

كتاب الشهر

تأليف : كارل براون

عرض وتحليل : د . أديب نصور

السياسة الدولية والشرق الأوسط

International Politics and the middle east

L. CARL BROWN

حلال دراسته لمائتي عام من تاريخ الشرق الأوسط اكتشف المؤلف أن الأحداث والصراعات والنزاعات في هذه المنطقة وعبر امتداداتها الدولية مرتبطة برباط واحد ، وأن هذه الأحداث والنزاعات هي - بشكل أو بآحر - امتداد لما عرف بالمسألة الشرقية ، منذ نحو قرنين من الزمان ، عير أن طرفا جديدا دحل اللعبة هو الولايات المتحدة

عنوان كتاب هذا الشهر ألفه كارل براون ، أستاذ بجامعة (برنستون) الأمريكية ، واستعرض فيه مائتي سنة من تاريخ الشرق الأوسط ، وتفاعل هذا الشرق مع الدول الكبرى ، وانتهى من دراسة المسألة الشرقية - كما عرفت منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر - إلى نظرية في العلاقات الدولية الخاصة بالشرق الأوسط ، جديرة بالدراسة والتفكير

يبدأ المؤلف بحثه برفض التقليد الدبلوماسي ، والتقليد المدرسي القديم لدى بنظر إلى الشرق الأوسط على أنه ميدان مواجهة بين الدول الكبرى ليس غير ، فيقول « إن الشرق الأوسط يستحق الانتباه لذاته ، ولخصائصه ، ولمزاياه ، وينتقد النزعة العرقية التي تصور الشرق الأوسط مسرحا ، وان كل اللاعبين الحقيقيين ذوي الخطر الذين يظهرون عليه هم من الخارج » وعندما يطرح فكره عن النظام السياسي السائد في الشرق الأوسط يقرر انه نظام دخيل ، فيقول « ان الشرق الأوسط ظل متشابكا سياسيا مع الغرب ، حتى كاد أن يصير ملحقا بنظام الدول الغربي » ، ذلك النظام الغربي الذي كان دائما يضم روسيا ، ثم امتد فشمل الولايات المتحدة الأمريكية

المسألة الشرقية

ويحدد المؤلف المسألة الشرقية بتحديدها المتعارف عليه الذي أصبح اصطلاحا يطلق على الحقبة الزمنية الممتدة من القرن الثامن عشر الميلادي حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي رأيه أن المسألة الشرقية لعبة دولية قديمة ، عمرها مائتا عام ، ولها قواعدها المفصلة الدقيقة ، وأن الشرق الأوسط هو الوسط الأكثر عرضة لتدويل قضاياه ، والتدخل في شؤونه ، فكل الدول الكبرى كانت تعي المسألة الشرقية ، وبرغم ذلك كان كل قادتها الكبار يسعون للتدخل ، ولعل الاستثناء الوحيد في هذا الأمر هو (بسمارك)

الذي قال - لأمر ما - مقولته الشهيرة « إن المسألة الشرقية لا تساوي عظام جندي واحد من بوميرانيا »

ولننظر بإمعان للأمور التالية

* في القرن السادس عشر وضع العثمانيون معظم الوطن العربي في فلكهم

* حصلت روسيا - منذ تسوية « كتشوك قينرجي » سنة ١٧٧٤ مع الدولة العثمانية على حقوق عامة غامضة في التقدم تطالب عن المسيحيين الشرقيين من رعايا الامبراطورية العثمانية .

حين خرج محمد علي الكبير من تمار انتصاراته العسكرية على السلطان العثماني أظهر للعالم أن النظام الأوروبي هو الحكم الأخير في المسألة الشرقية والنظام الاوروبي المقصود هو نظام الدول المتعددة ، او نظام التوازن بين الدول الاوروبية الكبرى ، والقبول بذلك التوازن على انه من نظام الأشياء انتج نسقا من العلاقات الدولية مستقرا وقائما بذاته ، وذلك هو المقصود بالتوازن الكلاسيكي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وقد اضطرب أو تعطل هذا التوازن في زمن الثورة الفرنسية ونابليون بونابرت

وفيما يتعلق بالمسألة الشرقية ، فإن عدة دول أو وحدات سياسية من الشرق الأوسط أدخلت في اللعبة بطريقة خاصة جدا ، كبيادق على رقعة الشطرنج ، أو لتكون لقمة سائغة للدول الكبرى

قامت إبان الحكم العثماني حركات دينية فعالة ، استمدت وحيها من ينابيع إسلامية تاريخية ، كالوهابية ، والسنوسية ، والمهدية ، وهذه الحركات - كما يقول براون - هي التي ساعدت على تقويض شرعية الامبراطورية العثمانية في نظر المسلمين ، ولم تكن متأثرة بالغرب

بعد الثورة الفرنسية وتسوية فيينا ابتدعت أوروبا نظام المؤتمرات (١٨١٥ - ١٨٢٢) ، واصطلحت بشكل رسمي على أن تخضع التغييرات في الشرق الأوسط للوفاق الأوروبي مع إيجاد تعويضات مناسبة

... وروبا الكبرى وذلك لحفظ التوازن بينها ، حتى ان كان ذلك على حساب شعوب الشرق الاوسط

... الشرق الاوسط منطقة قابلة للعطب ومعرضه ... تتدخل فيها تدخلا شاملا نظام الدول ... ، مع ذلك لم يستطع ان يبتلعها ابتلاعا تاما

... من جهة أخرى لم يبرز نظام إقليمي جديد من ... الأوسط في السياسة الدولية ، ولم تستطع دولة ... من داخل المنطقة او من خارجها ـ ان تبسط ... فعالة على الشرق الأوسط ، كي تنظمه

... يذكر الاستاذ براون محاولات لتنظيم المنطقة على ... الاسلام ، ثم على أساس القومية العربية ، ... لدور بريطانيا منذ بدء المسألة الشرقية فيذكر ... محاولتين لها في تنظيم الشرق الأوسط ، اولاهما كانت ... دعمها للسلطان العثماني ، وثانيتهما قامت على ... عربية مبطورة نطاء ، ويقرر أن بريطانيا ... العظمى في الحالتين لم تبلغ السيطرة الكافية لتغيير ... قواعد اللعبة المشرقية

كما يذكر محاولة جمال عبد الناصر ، وأنه منذ وصوله إلى الحكم سنة ١٩٥٢ إلى وفاته سنة ١٩٧٠ سيطر على السياسة العربية ويرى الكاتب أن « أقصى ما استطاع ناصر أن يفعله هو جعله دولة عظمى منافسة للدول العظمى الأخرى المساندة لاسرائيل . » ويقول أن الاتحاد السوفياتي واجه مشكلة قديمة قدم المسألة الشرقية ذاتها ، وهي كيف يوازن بين السياسات المتغيرة والاستراتيجيات في ساحة الصراع الدولي ، وبين الاهداف الاقليمية ؟ فعندما بدأت الحرب الباردة تفسح الطريق أمام الانفراج وجد الاتحاد السوفياتي نفسه مضطرا الى خفض دعمه للمتعاملين معه من أهل المشرق الكلمة التي استعملها الاستاذ هي client، وترجمتها « زبون » أو « عميل » ، وهي في الاستعمال ... غير دقيقة وغير لائقة فعل الاتحاد السوفياتي ... لكي يحقق الهدف الأهم ، وهو استئناف علاقة ... مع الولايات المتحدة ، يدفع بها الحال الحاضر ... من التعايش السلمي

قو... اللعبة

... أن عرض المؤلف ما سبق ذكره يستنتج منه ... كما يلي .

١ ـ ان أي دولة كبرى لا تسمح بسهولة بهزيمة كلية « لصديقتها » الاقليمية ، لكنها لا تبالي بان تبقى تلك الدولة في حالة تبعية واتكال إلى ما لا نهاية

٢ ـ المحاولات الأميركية والمحاولات السوفياتية للهيمنة على الشرق الأوسط لم تبرهن على انها قادرة على تغيير بروغ تلك المنطقة البعيد إلى الميزان المتغير الاوزان ، المتأرجح باستمرار

٣ ـ برغم كل التغيير الذي حدث من سنة ١٧٧٤ إلى سنة ١٩٢٣ « سنة إعلان الجمهورية التركية » ، ومن سنة ١٩٢٣ إلى اليوم ، بقي ذلك النظام من العلاقات الدولية بكامله لم يمس ، ألا وهو المسألة الشرقية ذات الغرض

٤ ـ الثقافة الدبلوماسية للشرق الاوسط تكونت في الحقبة بين ١٧٧٤ و ١٨٢٠ ، عندما وقع الشرق الاوسط فريسة لأوروبا الأقوى منه ، وان مفاهيم وسياسات مماثلة تميز السياسة الدولية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين « محمد علي ، وناصر ، وبالمرستون ، ودلسي ، والقيصر نقولا الاول ، وبريجنيف ، وكلهم لعبوا ذات اللعبة »

٥ ـ الدراسات الحديثة في موضوع الشرق الاوسط تكاد تجمع على نقطتين مهمتين أولا ـ مركب معقد من الافعال وضد الافعال يميز التطورات في المسألة الشرقية وتبدو فكرة المخطط الواحد الموضوع والمعلم الاوحد ، مبسطة جدا وساذجة

ثانيا ـ المبادرات الاقليمية (النابعة من دول الاقليم) ترجح في الوزن على المبادرة القادمة من الخارج ، في أثناء الأزمة وعند نقاط التحول الفاصلة

٦ ـ تفترض الدولة الكبرى أن منافستها الدولة الكبرى الأخرى تسحب خيوط الشرق الأوسط وتصطاد بالماء العكر ـ هذا الافتراض هو سمة شائعة في القرنين الماضيين من المسألة الشرقية

٧ ـ أهل الشرق الأوسط يربطون التطورات السياسية الرئيسية ضمن المنطقة بأعمال مفترضة وراء الستار ، تقوم بها دولة كبرى ، مثل هذه العقلية يبدو أنها سادت منذ أن أصبح نظام المسألة الشرقية مؤسسة دولية

« الحروب العربية الاسرائيلية الأربع ـ حرب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ كلها أوقفت

بتدخل دبلوماسي دولي والأطراف الاقليمية نفسها أقامت استراتيجيتها العسكرية على افتراضات معينة متى يحصل التدخل الخارجي ؟ وليس هل يحصل ؟ » فقد توقعت انه حاصل لا محالة

المجابهة العربية الاسرائيلية

وتمثل المجابهة العربية - الاسرائيلية ، في نظر الاستاذ براون ، نظام المسألة الشرقية في شكله الأكثر تطورا ، وتبدي طبيعة المواجهة المتعددة الأطراف « وجد وضعان من المجابهة في وقت واحد المواجهة الاقليمية والمواجهة الدولية ، والمعنيون تصرفوا وفي ذهنهم البعد الاقليمي والبعد الآخر المتعلق بالدول الكبرى ، من قبيل ذلك مقامرة الرئيس السادات في البدء بحرب ليحفز الدول الكبرى على التدخل الدبلوماسي الذي يمكن أن يحول لصالح مصر »

٨ - النظام الذي فرضته أوروبا للمسألة الشرقية تضمن ثلاثة مبادىء شقي بها الشرق الاوسط

(١) احتواء النزاع ، والتنافس في الشرق الأوسط دون السماح بامتداد الصراع الى أوروبا ذاتها

(٢) التسوية النهائية لأي نزاع معين يجب أن تتحقق بواسطة مشاورة أوروبية جماعية ، على نمط المؤتمر الدولي

(٣) أي خلل في ميزان القوى الأوروبي يجب أن يعدل بتعويضات ملائمة وعلى الشرق الاوسط أن يقدم التعويضات

ويلاحظ المؤلف أنه بالرغم من جامعة الأمم ، وتأثير الرئيس الاميركي ، ودرو ولسن واستنكاره لفكرة أن توازن القوى هي الأداة الناظمة للعلاقات بين الدول ، فان المناطق الخاضعة للانتداب قسمت بين المنتصرين الأوروبيين حسب مفاهيم أوروبية سابقة في الموازنة والمساومة والتعويض

ويقرر أنه لم تنشأ في الشرق الأوسط دولة كبرى منذ أن غدت الامبراطورية العثمانية رجل أوروبا المريض . وان مراجعة لمسألة الشرق الأوسط تظهر أنه لم تستطع دولة من داخل المنطقة أن تبسط سيادة اقليمية « العثمانيون لم يستطيعوا أن يقيموا سلطانا باقيا »

« ولا استطاع حاكمان طموحان في مصر يفصل بينهما أكثر من قرن أن يتحملا طويلا عبء السلطان الحديد هما محمد علي وجمال عبد الناصر

« ولا الحظ أسعف الجهود الهاشمية خلال النصف الأول من هذا القرن لتنظيم الهلال الخصيب »

ولا ينسى المؤلف الاميركي اسرائيل « حكومة بيغن طلبت السيطرة الاقليمية بالتحالف مع دولة عظمى خارجية ضربة اسرائيل ضد بغداد ضمها الواقعي لمرتفعات الجولان ، مواصلة انشاء المستوطنات في الضفة العربية وغزو لبنان الذي ابتدأ في يونيو ١٩٨٢ قد يستنتج المؤرخ من هذا كله أن الشرق الأوسط لم يشهد مثل هذا المزيج من الاصرار على اثبات الوجود العسكري ، وفي الأمر الواقع الدبلوماسي منذ أن أرسل محمد علي جنوده الى سوريا قبل قرن ونصف القرن ، لكن مثل هذا الطموح يقوم على قاعدة ديموغرافية سكانية ضئيلة (اثنان بالمئة من سكان الشرق الأوسط) وعلى اسرائيل أن تأخذ بعين الاعتبار توازن القوى في العالم الواسع ، وليس مجرد التوازن الاقليمي فحسب وحتى في الولايات المتحدة يجري التساؤل حديثا حول السياسات الاسرائيلية الحاضرة ومهما تكن قوة اسرائيل الاقليمية فان خطوطها الدبلوماسية ومصيرها بين يدي دولة خارجية واحدة »

انه يعترف لاسرائيل بأنها قوة عسكرية اقليمية ويورد تحفظا هاما . « ان وضعها الاجتماعي يستبعدها من أي ادعاء ممكن للقيام ببرامج سياسية تسع المنطقة « واستعمل الاستاذ الاميركي تعبير ينطلق في الهند على من كان خارج النظ

الاجتماعي ان الدراسة تقول أشياء كثيرة للاطراف جميعا ، لدول العالم ولدول المنطقة ، وهي لا توفر بلد الاستاذ اذ يقول عن الولايات المتحدة الاميركية

« ان الولايات المتحدة افترضت أن تأويلها لسياسة الشرق الاوسط بشروط وعبارات تنافس الدول الكبرى يشاركها فيه المشرقيون أنفسهم » وهذا الافتراض في غير محله ويلتفت الى الدولة العظمى الاخرى ويسجل لها ما يلي « ومهما يكن هدفهم الاقصى فان السوفيات تعلموا عاجلا حدود نفوذ القوة العظمى في الشرق الاوسط » بينما غيرهم لم يتعلم

ويذكر وزير الخارجية الاميركي السابق هنري كيسنجر الذي حاول أن يلعب دورا فريدا « وأزمة نوفمبر ١٩٧٣ بدأت بعد شهر من وصول هنري كيسنجر الى الخارجية الاميركية » و« وجلب حالا جو الدراما المسرحية الى الدبلوماسية وأصبحت هذه جزءا من طريقه عمله بحيث كان من السهل أن يغيب عن خطر ما تؤدي اليه أعماله وبينما كان العالم يراقب بافتتان دبلوماسيته المكوكية ، كان يكتشف شيء آخر الرعامة الاميركية تحوت أفق الشرق باحثة عن شيء ما ، ويبدو أنها رأت سرابا دولة واحدة عظمى تضم الشرق الاوسط »

استراتيجية كيسنجر

ويسجل أستاذ برستون أن استراتيجية كيسنجر كانت ، أولا ، أن يمد اسرائيل بمساعدة ضخمة من السلاح ، وثانيا ، أن يقدم الولايات المتحدة على أنها الدولة العظمى ـ الوسيط الذي لا يستغنى عنه ولا بد منه

« ... يعرف أستاذ برستون كيف أن أستاذ هارفرد الذي كتب أطروحة عن مترنيخ وكاسلريغ ومشاكل سلام (١٨١٢ ـ ١٨٢٢) وميزان القوى الذي يحدد دبلوماسية الدول الكبرى ، كيف أن تمسك بتوازن القوى في مؤتمر فيينا أقنع نفسه بأن هدفين اثنين ويمكن تحقيقهما معا الهدف الاول ... م الاقليمي ، والهدف الثاني انتصار كبير للدبلوماسية الامريكية على الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط » ومهما تكن أفكاره الباطنية فان دبلوماسية كيسنجر المكوكية الاحادية الجانب والمتزايدة في تمردها قد لاحظتها الحكومة السوفياتية في حينها وسجلتها »

ويسلم براون بأن دبلوماسية كيسنجر حققت مكاسب تدريجية للولايات المتحدة قطعة قطعة ، أو خطوة خطوة ، كما قيل ، مثل اتفاقيات فك الاشتباك ، واستئناف العلاقات الدبلوماسية ، واعادة فتح قناة السويس ولكنه يعقب على ذلك بشيء من التهكم الساخر « التفكير الاميركي مال الى تصورات مشرقية كانت تتجاهل بمرح وابتهاج قرنا ونصف القرن من تاريخ المسألة الشرقية »

« وعندما جاءت ادارة كارتر سنة ١٩٧٧ كان من المسلم به بشكل عام أن محاولة كيسنجر استنفدت زخمها وذهبت ريحها »

ثم يأتي المؤلف بما يمكن أن يوصف بأنه ـ الهبوط المفاجيء من عل ، من حلم السراب الى أرض الواقع

« في الاول من أكتوبر ١٩٧٧ ظهر بلاغ مشترك اميركي ـ سوفياتي حول المواجهة العربية الاسرائيلية يمهد لمسعى أميركي رئيسي يقبل المقولة بأنه لا يمكن ، واقعيا ، انتظار تسوية بطريق المفاوضة بين العرب واسرائيل ، بين فكي المعارضة السوفياتية والبلاغ المشترك اشتمل على العبارة حقوق شعب فلسطين المشروعة »

وأعلم أن أكثر الذي سجله الاستاذ معروف لدى العرب قد توصل اليه الناس بالحدس والتجارب التاريخية ، وتوصل اليه الباحثون السياسيون بالدراسة والمعاناة لكنها من قلم أستاذ أميركي ، على مستوى برستون ، أوقع وأبلغ

ونقطة أخيرة ثانوية لكن لها دلالتها ، ويجب أن توضع بين يدي الاستاذ المحقق الذي رأى أن الشرق الاوسط يستحق الدراسة لذاته ان دبلوماسية المكوك لم تكن موضع أعجاب عند أهل المشرق بل العكس هو الصحيح كان ذلك الاسلوب في نظرهم غير لائق بوزير خارجية دولة عظمى واحدى الدولتين الجبارتين في الارض ـ أولى الاثنتين ان صح هذا التعبير ولقد سمعت في تلك الايام المكوكية من شبه الوزير الخطير بدلّال الثياب العتيقة في أسواق الشرق القديمة ☐

من المكتبة العربية

رحلة جبلية رحلة صعبة

سيرة فدوى طوقان الذاتية

عرض : جمال وردة

السيرة الذاتية لماذا ؟ هل هي تراويق وزخارف تجميلية لترميم صورة قديمة ؟ أم نزهة فكرية جديدة فيها بوح ومكاشفة ؟ إن الغوص في أعماق الفنان ضرورة نقدية لكشف الحقيقة ، وإن قام الفنان نفسه بهذه الرحلة أمكن البوح بحقائق أكثر

السيرة الذاتية باب لم يطرق كثيرا في أدبنا العربي ، فمنذ « أيام » طه حسين و « زهرة العمر » لتوفيق الحكيم لم تشهد الساحة الأدبية العربية الكثير في هذا المضمار الابداعي الى أن جاءت - حديثا - رحلة فدوى طوقان الصعبة المريرة ، فكانت هذه المكاشفة الجريئة ، والطرح العميق لعلائق وقضايا انسانية واجتماعية يعاني منها مجتمعنا العربي الكبير إن المرأة العربية كانت تطرح هذه الهموم بالرمز أو التلميح لكن شاعرتنا فدوى طوقان جاءت بكل جرأة لتفتح كل النوافذ المغلقة بصدق الكلمة يقال إن الكتابة عن فنان مبدع قد تفتح نافذة واحدة على ذاته ، لكن حين يكتب الفنان عن نفسه فإنه يفتح أبوابا قيمة هذه السيرة الذاتية لشاعرتنا أنها تجاوزت حدود المذكرات الخاصة ، لتعبر بأصالة عن قصية جيل كامل في تاريخ المرأة العربية ، وهذه المذكرات رغم خصوصيتها أشبه بوثيقة اجتماعية عن هموم المـ العربية ، وصرخة مكتومة فجرتها فدوى طوقان وجه تاريخنا العربي المعاصر

الصفراء والخفر :

لقد ظلت شاعرتنا طول عمرها الأدبي تـ بانكماش ونفور من الاجابة عن الأسئلة التي تو- اليها عن حياتها ، وكانت ترجع ذلك الى عدم ر- عن حياتها ، فشجرة حياتها - كما تقول - لم تثمـ القليل ، لكنها رغم ذلك لم تخل من عنف الكفا وإن الكفاح من أجل تحقيق الذات يعطي للحياة - وقيمة . لقد خرجت شاعرتنا من ظلمات المجهو- عالم غير مستعد لتقبلها ، فقد حاولت أمها التخـ منها في الشهور الأولى من حملها ، لأنها كانت تلد

عاد مولودا جديدا ، ويوم وضعت ابنها البكر كانت في سن الخامسة عشرة من عمرها ، واستمرت تعطي طفلها من بنين وبنات بانتظام حتى بلغ عددهم عشرة لكن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، عند والد فدوى الذي كان يطمع بصبي خامس فولدت شاعرتنا وخاب توقعه حتى تاريخ ميلادها ضاع طي النسيان ، لكن المرجح أنه كان في عام ١٩١٧

لم تكن طفلة مدللة ولم تكن والدتها متفرغة لها ولا متوددة إليها ، فقد سلمتها الى صبية كانت تعمل في المنزل اسمها « السمرة » لتقوم برعايتها ، واكتفت الام بوظيفة الارضاع ، ولم تكن تلبس ملابس « جاهزة » ، ولم تكن تذهب الى الخياط لتصنع لها ملابسها ، فقد كانت أمها تخيطها بنفسها ، وكانت بنيتها عليلة منهكة بحمى الملاريا التي رافقت سني طفولتها ، وجعلت شحوبها مصدرا لتندر عائلتها ، وكانت كما يفعل الكبار في ليلة القدر ترفع وجهها إلى السماء ضارعة الى الله أن يجعل لخديها لونا جميلا حتى يكفوا عن تسميتها « بالصفراء » ، تلك التسمية التي كانت تجرح إحساسها كان الناس في فلسطين - كغيرها من الأقطار العربية - يربطون السعد أو النحس بالمولود الجديد ، وقد تم بعد مولد شاعرتنا أن بعد الانجليز أباها إلى مصر منفيا عن عائلته ووطنه

عن أصول أسرتها تقول فدوى طوقان « إن أجداد العائلة منذ خمسة قرون كانوا يقيمون في البادية بين حمص وحماة ، حيث ما يزال هناك التل المعروف باسم « تل طوقان » ، وكانوا قد انخرطوا بعد الفتح العثماني بجيش الانكشارية ، ثم استقر الجد الأكبر للعائلة في مدينة نابلس ، فقد كان من رجال الجيش الانكشاري ، وهو الجد الذي عمر البيت الكبير الذي توارثوه جيلا بعد جيل ، هذا البيت الذي يذكرك بقصور الحريم والحرمان في هذا البيت وبين جدرانه العالية التي تحجب كل العالم الخارجي عن الحريم انسحقت طفولة شاعرتنا ، عاشت فيه جزءا من ... ، فالجو العائلي - كما في كل بيت يسيطر عليه ... - يجعل الضحك والغناء من المحرمات ، ... عن النفس قضية محظورة ، والاستقلال ... معنى مفهوم غائب لا حضور له

... في نابلس في ذلك الوقت أكثر من مدرستين للبنات ، هما « الفاطمية » و « العائشية » ، وكان أعلى صف في احداهما هو الخامس الابتدائي . في المدرسة الفاطمية أمضت فدوى طوقان السنوات الثلاث الأولى ، ثم نقلت مع صفها إلى المدرسة العائشية ثم جاء سن البلوغ ودهشة الحب الأول كان شابا في السادسة عشرة من عمره لكن لم تتجاوز علاقته بها حدود متابعته اليومية لها في ذهابها وإيابها إلى المدرسة فقد كانت الطاعة من أسرر صفاتها لأن جوانحها مسكونة دائما بالخوف ، لهذا كان التواصل الوحيد الذي جرى لها مع ذلك الشاب هو زهرة فل ركض بها إليها ذات يوم وهي في طريقها الى بيت خالتها ، ثم حلت اللعنة التي تضع النهاية لكل الأشياء الجميلة في حياتنا ، فقد كان هناك من يراقبها ويتتبع أخبارها لهذا صدر الحكم عليها بالاقامة الجبرية في البيت حتى الممات وبعدها قبعت شاعرتنا داخل هذه الحدود الجغرافية المحددة داخل مجموعة معلوبة على أمرها ، لا تكاد تصدق ما حدث ، لقد كان أشد ما عانته هو حرمانها من الذهاب إلى المدرسة ، وانقطاعها عن التعليم

وفكرت فرأت أن الانتحار هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن تحصل به على حريتها المسلوبة ، لكنها كانت تخاف الموت ، ثم تعودت الانكفاء على النفس والغياب داخل الذات ، حتى جرفها هذا الاصطلاح النفسي الى حالة غريبة من اللاحضور والشيئية

ما فعله ابراهيم

في عام ١٩٢٩ عاد أخوها ابراهيم من بيروت يحمل شهادته من الجامعة الأمريكية ، واستقر في نابلس معلما في مدرسة النجاح الوطنية ، ومع وجود ابراهيم أشرق وجه جديد على حياتها ، فقد كان الوحيد الذي ملأ الفراغ النفسي الذي عانته في طفولتها ، ومع افاقة ابراهيم بدأ سفر جديد في حياتها ، لقد أصبحت تشرف على خدمته وتهيئة شئونه ، وكان ابراهيم على غير عادة رجال الأسرة ، يجلس مع شقيقاته ، ويبادلهن الحديث ، ويروي لهن الطرائف الأدبية ، والتاريخية ، لقد كان بالنسبة لهن ينبوع الحب والحنان

كان لفدوى طوقان ميل فطري للشعر منذ

طفولتها ، فقد بدأت بحفظه وإنشاده ، ثم جاء الوقت للتعبير عن شيء ما ، فكانت محاولاتها الأولى لكتابة الشعر ، وقد أخذ أخوها ابراهيم يشجعها ، ويختار لها الكتب المناسبة ، والقصائد العربية القديمة لتحفظها وتدرسها فوجدت في الانكباب على الدراسة عالم الخلاص بالنسبة لها ، وأصبحت مستغرقة في عملية خلق نفسي جديد ، ورغم أنها كانت ما تزال تحت الحكم بالاقامة الجبرية الا أن الدراسة وحفظ آلاف الأبيات من الشعر العربي القديم قد غسل نفسها من عراناتها ، ومن مشاعر الشفقة على ذاتها ، وفي السنوات من ١٩٣٠ الى ١٩٤٠ تعرفت تماما على الأدب العربي ، قديمه وحديثه ، ثم بدأت تنشر قصائدها في المجلات الأدبية في بيروت والقاهرة ، وكانت تبعث بقصائدها الغزلية موقعة باسم « دنانير » لتنشر في مجلة « الأمالي » لصاحبها عمر فروخ ، وفي مجلة « الرسالة » القاهرية

ثم بدأت شاعرتنا تحس أن الديباجة (الكلاسيكية) والاهتمام الزائد بالكلمة وربما سيقف حائلا دون الحركة والتدفق الشعري العفوي الصادق ، لقد كانت تشعر أن هناك شيئا يكبل هذا الجيشان العاطفي المتدفق في داخلها ، ويحول دون جريان التيار النفسي في قصيدتها بهدوء ويسر ، إلى أن اهتدت الى مقالات الناقد محمد مندور التي كان ينشرها في مجلة « الثقافة » المصرية ، وهي عبارة عن دراسة نقدية مطولة حول ما يسمى بنظرية الأدب المهموس ، تناول فيها أدب المهجر بشقيه (الشعر والنثر) ووجدت فدوى طوقان أن شعر أولئك الشعراء المهجريين أقرب الى تكوينها النفسي والذهني ، كما اكتشفت في تلك الفترة شعراء مدرسة « أبولو » كابراهيم ناجي والشابي والتيجاني وعلي محمود طه ، فأدارت ظهرها للديباجة العباسية في القصيدة وأخذت تستلهم في قصائدها الجديدة البساطة والليونة والصياغة الخالية من التكلف

فصاحة شرقية :

في عام ١٩٣٩ جاءت لها الفرصة لتتعلم اللغة الانجليزية بأخذ دروس خصوصية لدى فتاة مسيحية كانت قد تخرجت حديثا في مدرسة « الفريندز » في رام الله ، لكن قرار الحرمان تجدد صدوره لقد كان هذا الموقف عجيبا من جماعة متمدنية نوعا ما ـ يرتدون الزي الأوروبي ويأكلون بالشوكة والسكين ويقعون في الحب ثم يقفون بالمرصاد كلما حاولت إحداهن تحسس إنسانيتها ـ لقد كانوا يمثلون جمود الانسان العربي وعجزه عن الاحتفاظ بشخصية واحدة غير مشطورة لقد ظلوا يمثلون انقسام الشخصية العربية الى شطرين ، نصف مع التطور ومسايرة الحياة المعاصرة ، ونصف متبلول مسكون بالأنانية المترسبة في أعماق الرجل العربي بكل مافيها من عنجهية شرقية

والتحقت بمدرسة مسائية لتعليم اللغة الانجليزية في جمعية الشبان المسيحية بالقدس ، كما أخذت تشارك ببعض البرامج الاذاعية كالأحاديث والتمثيليات ، وتساهم بالانشاد مع فرقة الأناشيد في الاذاعة ، وتأليف عدد من الأناشيد التي لحنت وأذيعت ضمن البرامج لقد كانت سعيدة فرحة بعالمها الجديد ، وبعدها عن نظام الأسرة الصارم ، والى جانب ذلك كله كانت هناك المكتبات العامرة بالكتب ، وهناك الحفلات العامة ، وسهرات الأدب والفن ، فالمجتمع المحيط بها مجتمع متحرر ، تتمتع فيه المرأة الحديثة بشخصيتها وسلوكها الطبيعي ، حيث رفع الحجاب الحاجز بين الجنسين ، وأتاح للمرأة الشابة قسطا من التعليم

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وفرضت الرقابة على وسائل الاعلام ، وأقيل ابراهيم طوقان من مصلحة الاذاعة الفلسطينية ، وغادر الوطن الى العراق ليعمل هناك ، ولم تمض شهور حتى عاد الى نابلس مريضا ثم مات

لقد ظلت علاقة فدوى بأخيها مصدر كآبة باطنية ، رافقت تعلقها به طوال حياته القصيرة ، ومازالت حتى اليوم تحتفظ بأشياء صغيرة كان يملكها مثل مفكرة جيب صغيرة ، ورباط عنق ، ومشط صغير ، ودفتر عناوين ، لقد بقيت العلاقة حية بين الموت والحياة ، وكما يقول ثورنتون وايلدر « للأموات أرض وللأحياء أرض ولا يصل بينهما إلا الحب »

لم تكن تحمل لأبيها عاطفة قوية ، بل ظل شعورها أقرب الى الحيادية في الاحساس ، فهي لم تعد ..

لكنها ، تحبه ، بل لم يكن له أي حضور وجداني في نفسها الا حين كان يمرض أو يسجن أو يبعد لأسباب سياسية ، وحين انتقل الى العالم الآخر حاولت ـ شاعرتنا ـ أن ترثيه ففشلت ، بعد فترة من الزمن كتبت قصيدتها « حياة » التي تظهر فيها حقيقة احساسها بفقدان والدها ، وقد كان احساسا حادا الى مدى بعيد ـ مات والدها في صحة السقوط والنكبة عام ١٩٤٨ م ، وآلاف اللاجئين يرحلون الى نابلس ، حتى اكتظت بهم الدور والمساجد والمدارس ، ومع هذا الحدث المأساوي الوطني انفكت عقدة لسانها ، وراحت تكتب الشعر الوطني الذي طالما تمنى أبوها أن يراها تتفرغ له ، تسد الفراغ الذي خلفه ابراهيم بعد أن أوقفت يد القدر نتاجه في هذا الباب

مع السقوط الوطني سقط الحجاب عن وجه المرأة النابلسية ، فقد حان الوقت للمشاركة والخروج من الشرنقة ، ومع هبوب رياح التغيير والثورات خرج الشعر من بروج الترف ليواكب مسيرة الجماهير ، وأصبحت قضية الشاعر جماعية بعيدة عن الفردية ،

وبدأ الفكر الاشتراكي والثقافي يتوغل في ضمير الشعب العربي ، موجها كفاح الانسان ضد المفاهيم التقليدية ، وجاء ذلك السطوع الباهر للثورة الناصرية لتفجر في الجماهير ينابيع القوة ، ولينبذ عصب الحياة بالنص مرة أخرى في تلك الفترة بالذات ـ بين عامي ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ـ أسس الدكتور وليد قمحاوي النادي الثقافي المختلط في نابلس ، لكي يسد فراغا ثقافيا واجتماعيا كان يهيمن على المدينة ، وكانت شاعرتنا واحدة من أعضاء هذا النادي وهي المرة الأولى التي تنخرط فيها مع الجماعة

الخروج من الشرنقة :

استطاع النادي الثقافي بنابلس أن يقوم بتحقيق بعض أهدافه من حيث النشاطات الفكرية والاجتماعية ، ولكن لم يلبث أن أغلقت الحكومة أبوابه ، بسبب نشاطه السياسي ـ كما قالت في تبريرها ـ ثم أقيلت حكومة النابلسي في العاشر من نيسان ١٩٥٧ لتأتي حكومة ابراهيم هاشم معلنة الأحكام العرفية ، وإلغاء الأحزاب وفرض منع التجول ، ثم حدثت حركة الاعتقالات الماعتة لكافة الشخصيات التقدمية في البلاد وعن هذه الفترة الحرجة تروي لنا شاعرتنا كيف استطاعت أن تساعد على اختفاء أحد الزعماء السياسيين المطاردين المطلوبين للسلطة وتؤويه في بيتها العائلي لمدة قاربت الأسبوعين ، ومن ثم تهريبه الى دمشق ، وقد كانت سعيدة جدا بهذه التجربة الجديدة عليها ، وحريصة على انجاحها مهما كلف الأمر

تلك الشخصية السياسية التي ساعدتها شاعرتنا لم تكن الا شخصية الدكتور عبدالرحمن شقير ، القطب السياسي التقدمي المعروف في الأردن في تلك الفترة أيضا ومن خلال صديقتها الدكتورة ياسمين زهران التي كان بيتها في رام الله ملتقى للمثقفين تعرفت فدوى طوقان على الشاعر الشهيد كمال ناصر

كان كمال ناصر مختفيا أيضا عن عيون السلطة ، يبعث من مخبئه السري بقصائده التي كانت تنشر أسبوعيا ، وعندما كان كمال يشكو ألما حادا في أسنانه استطاعت فدوى طوقان أن تصل الى مخبئه ، وتغامر باصطحابه الى طبيب الأسنان برهان عبدالهادي ، لقد اكتشفت شاعرتنا في تلك الأيام الحاسمة القليلة التي أمضتها مع الدكتور عبدالرحمن شقير ، وكمال ناصر ، الفرق بين إحساس الانسان وتفكيره وهو يعمل منفردا ، واحساسه بالعمل الجماعي ، فلقد أسعدها الشعور الجماعي المشترك ، لكنها رغم ذلك بقيت بعيدة عن الالتزام الحزبي أو التنظيم السياسي ، لقد ظلت شاعرتنا فريسة لتشابك صعب بين مشاعر « الأنا » ، وبين إدراكها التام لما في شعرها من نقص نابع أساسا من قضية الالتزام السياسي ، وبقيت تتساءل في حوار مع النفس هل من الممكن أن يتجرد الانسان الشاعر من ذاتيته الى درجة الذوبان ؟ ثم لماذا يساق الشعراء جميعا بهذه العصا الواحدة (عصا السياسة) بينما جوانب الحياة كثيرة ومتعددة ؟

هكذا ظلت شاعرتنا تفلسف حالتها الشعرية الخاصة ، وبقيت تجربتها أسيرة للحالات العاطفية والذاتية ، ولم تصل الى الوجدان الجماعي والالتصاق به الا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ م □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب همسات في الغربة
المؤلف اسكندر عودة
الناشر دار حلقة الأحبار للطباعة والنشر ـ لوس انجلوس ـ كاليفورنيا
عدد الصفحات ١٨٨ من القطع الصغير

مؤلف الكتاب هو اسكندر عودة أو اليكس عودة ، الذي قتل عام ١٩٨٥ بحادث تفجير المقر الاقليمي للجمعية العربية الأمريكية لمكافحة التمييز التي تكافح تشويه الصوره العربية في أمريكا

والكتاب مجموعة من الخواطر والمقالات التي كتبها الفقيد في مناسبات متعددة ، ثم جمعها ليضمها هذا الكتاب الذي قد لا تكون قيمته الأدبية كبيرة ، لكنه مع ذلك إسهام جيد من مغترب عربي ، لم تخرفه أحلام الغربة ، ولم تفلح في صرفه عن قضيته التي دفع حياته ثمنا للدفاع عنها

■ ■

الكتاب حرب الثمانين يوما في الشعر « الاسرائيلي »
المؤلف خليل السواحري
الناشر دار الكرمل للنشر والتوزيع ـ عمان
عدد الصفحات ٧٤ من القطع المتوسط

ضم هذا الكتاب مجموع المقالات التي نشرها الكاتب في الصحف الأردنية أثناء الغزو « الاسرائيلي » لبيروت عام ١٩٨٢ في هذه المقالات تتبع القاص والناقد الفلسطيني خليل سواحري ـ بما له من معرفة وخبرة في قضايا الأدب « الاسرائيلي » عموما ـ الآثار التي أحدثها الغزو واجتياح بيروت في كتابات الشعراء « الاسرائيليين » ، سواء كانوا مؤيدين هذا الغزو ، أو مهاجمين له ، ودعاة إلى وقفه هذا وضع المؤلف لكتابه عنوان « الشعر الاسرائيلي » وليس « الصهيوني » ليتضمن شعر المؤيدين للصهيونية والمعادين لها داخل الكيان « الاسرائيلي » . وقد أورد المؤلف في نهاية كتابه بعض نماذج الشعر الذى قام بدراسته في الكتاب

■ ■

الكتاب علم النفس العسكري
المؤلف د فخري الدباغ ، و د قيس عبدالفتاح مهدي
الناشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ جامعة بغداد
عدد الصفحات ٣٦٤ صفحة

تشعبت بحوث علم النفس ، وتوزعت على أكثر من مجال ، منها على سبيل المثال علم النفس العسكري ، وهو أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس ، ويذكر المؤلفان أن هذا العلم يتناول المؤسسة العسكرية ، سواء كان ذلك أيام السلم أو أيام الحرب ، ويهتم بدراسة مشكلات مختلفة تتعلق باختيار الأفراد ، وتطوير منظومة الأسلحة ، وتفسير الشواهد والظواهر والمتغيرات والسمات المميزة في المجتمع ، وغيرها

■ ■

الكتاب الأدب والايديولوجية
المؤلف عمار بلحسن
الناشر المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب
عدد الصفحات ١٤٢ صفحة

مشروع هذا الكتاب طموح جدا ، يهدف إلى نقد الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية ، ويمـ إلى

... الكتابات الفكرية والنظرية ، ليخلص إلى ... أساسية مؤداها غياب شبه كامل لأدوات ... العلمية ، وللمصطلحات الواضحة يقول ... في هذا السياق إن الدراسات التي تعتمد ... مناهج التحليل العلمية المعاصرة ـ مثل ... السيكولوجيا والبنيوية والمادية التاريخية ـ تعد على أصابع اليد الواحدة ، لذلك فإن أزمة الثقافة الجزائرية ـ برأيه ـ تعود إلى ذلك الفقر النظري ، وإلى ... التأخر ، وذلك الخلط بين المناهج ، مما يعيق بناء صرح علمي متناسق ، يجمع بين التراث الثقافي العربي وبين مكتسبات العلم المعاصر ، ومن هذا المنظور يطرح الكاتب مسألة العلاقة بين الأدب والايديولوجيا ، على الأخص علاقة الرواية بالايديولوجيا من خلال نماذج محددة لأدباء وروائيين جزائريين وعالميين

■ ■

الكتاب الأدب الالخميادو ، الموريسكي
المؤلف مجموعة من الباحثين
الناشر مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات ، المغرب
عدد الصفحات ٢٢٧ صفحة

موضوع هذا الكتاب طريف ، لأنه يبحث في تاريخ العرب الذين بقوا في اسبانيا بعد زوال الدولة العربية منها ، وهؤلاء يسمون (الموريسكيين) ، وهم رغم انتمائهم إلى المجتمع الاسباني ، ومحاولات تغيير أسمائهم ، وتنصيرهم ، فإن هويتهم (العميقة) ظلت عربية إسلامية ، وبقي أدبهم يمثل تعبيرا حيا عن أقلية دينية ، ورثت إشعاع الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ، وظلت تقيم في شبه الجزيرة الايبيرية إلى أن تم طردها نهائيا في القرن السابع عشر

... الدراسات المنشورة في هذا الكتاب ـ وهي في الأ... أوراق مقدمة إلى المؤتمر الأول للجنة العالمية للدر... ت الموريسكية الأندلسية ـ في أدب هؤلاء العرب ... لمكتوب باللغة الاسبانية الذي يشكل وثيقة هامة ... حياتهم وتاريخهم ومعاناتهم في مجتمع مناهض ...

■ ■

الكتاب الاقتصاد الكويتي
المؤلف محمد سلمان غانم
الناشر معهد الثقافة العمالية ـ الاتحاد العام لعمال الكويت
عدد الصفحات ٢١٢ صفحة

اختلف الاجتهادات حول أسباب الظواهر الاقتصادية التي برزت بداية الثمانينات في الكويت ومنطقة الخليج العربي ، وقد وجد من اجتهد وأعاد الأمر إلى خلل عارض ، في حين وجد من قدم اجتهادا آخر ، أعاد الأمر فيه إلى خلل في البنية الاقتصادية في الأساس ، وطُرح اجتهاد ثالث جعل من الظروف الخارجية الركن الأساسي في هذا الأمر

الكتاب الذي بين أيدينا يجتهد في تشخيص وتحليل كثير مما يتعلق بالظواهر الاقتصادية ، وعلاقاتها بالسياسات الأخرى

■ ■

الكتاب إمارة الزبير بين هجرتين
المؤلف عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع ، وعبدالعزيز عمر العلي
الناشر المؤلفان
عدد الصفحات ٣٦٨

يتناول الكتاب تاريخ الزبير ، منذ الهجرة الأولى إليها التي نزحت فيها عوائل من منطقة نجد (سدير والقصيم والشمال والجنوب والدواسر) ، حتى الهجرة المعاكسة منها إلى المملكة العربية السعودية

تقع بلدة الزبير في أقصى الجنوب العربي من القطر العراقي ، أي في المنطقة المحصورة بين البصرة وصحراء شبه الجزيرة العربية ، وقد كانت الزبير نقطة التقاء للقوافل التجارية الصادرة والواردة .

يتناول الكتاب تاريخ الزبير وتأسيسها ، وعلاقتها بالكيانات الاجتماعية والسياسية المجاورة لها في ذلك التاريخ ، والعائلات التي استقرت بها ، ووصفا تاريخيا وجغرافيا لها ، ثم يتناول سياسة الحكم والعلاقات الخارجية ، ثم أمراءها وتاريخهم ، كما يضم الكتاب عددا من الوثائق والصور التاريخية لتلك المرحلة □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٣٩
فبرايـر ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي :
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٣٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ مارس ١٩٨٧ .

١- من المعروف أن القارات الخمس ليست ثابتة في مكانها ، فهي تتقارب حسب رأي بعض العلماء ، أو تتباعد حسب رأي أكثرهم ترى ماهي مسافة ابتعادها (أو اقترابها) بعضها عن بعض في السنة الواحدة ؟

* ٢ سنتيمترين
* ٢ مليمترين
* ٢ مترين

٢- ما الفرق بين القار والزفت والقطران ؟

٣- عطارد هو أقرب الكواكب من الشمس يليه كوكب الزهرة ترى أي الكوكبين أشد حرارة من الآخر ولماذا ؟

* عطارد فهو أقرب الى الشمس
* الكوكبان حرارتهما متساوية تقريبا وذلك نظرا لتفاوت سرعتهما في الدوران حول الشمس
* الزهرة هي الأشد حرارة ويعزى ذلك الى غلافها الجوي (ثاني أكسيد الكربون) الذي يحتفظ بحرارة الشمس فيضاعفها

٤- استعمل كلا من الفعلين التاليين في جملة مفيدة لها (يلهو) ، ولهى (يلهى)

٥- حدائق بابل المعلقة وأهرامات الجيزة ومنارة الاسكندرية وبرج بيزا المائل . كلها مسجلة مأحلا واحدا . فأيها الناشز ؟

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٣٩

٦ـ لو نظرت الى السماء في ليلة صافية فما هو أكبر عدد من النجوم تستطيع أن ترى بالعين المجردة ؟

* ٤٠٠٠ نجم
* ٤٠,٠٠٠ نجم
* ٤٠٠,٠٠٠ نجم

٧ـ يتضاءل جبل افرست لو قورن بجبل اوليمبوس من حيث الارتفاع اذ يبلغ علو هذا الجبل ٣ أضعاف علو افرست فأين يقع جبل اولمبوس هذا ؟

* على سطح كوكب الزهرة
* على سطح القمر

* يقع جبل اوليمبوس على سطح كوكب المريخ

٨ـ ثمة جزر في أقصى الجنوب من أمريكا الجنوبية تسمى أرض النار أو (تيرا دل فوجو) وهو اسم خاطىء ومضلل فطقسها بارد جدا ، وكان الأجدر أن تسمى ارض البرد والصقيع ترى من الذي سماها ولماذا ؟

٩ـ ما هو الارتفاع الأقصى الذي تستطيع بلوغه الطيور في تحليقها ؟

* حوالي ٥٠٠٠ قدم
* حوالي ٣٠ ٠٠٠ قدم
* حوالي ١٠ ٠٠٠ قدم

١٠ـ من القائل وما المقصود ؟
وما ضربا أنا قليل وحارا
عزيز وجار الأكثرين قليل

١١ـ تمر الجزر وخبز الغراب
أيها أشبه بالخبز الذي نأكل ؟

١٢ـ أي المأكولات التالية هي الأغنى بالحديد ؟

* السبانخ
* الزهرة (القرنبيط)
* لحم الكبد .

حل مسابقة العدد ٣٣٦

١ ـ قصدوا التشبيه بين ذلك الحديث (حديث حرافة) وبين حديث رجل من بنى عذرة اسمه حرافة ادعى مصاحبة الجن ، واكثر من الحديث عن أعاجيبهم

٢ ـ سطح العالم هو بلاد التبت الواقعة في أواسط آسيا بمحاذاة جبال هملايا،ولهاسا هى عاصمة التبت أما وصفها بسطح العالم فمرده الى ارتفاعها عن سطح البحر الذى يبلغ بالمتوسط ٤٠٠٠ ـ ٤٥٠٠ متر

٣ ـ ينتهى الغلاف الجوى ويبدأ الفضاء على ارتفاع ١٦٠ كيلومترا على وجه التقريب

٤ ـ الملك فرديناند الثالث . ملك بوهيميا والمجر هو الذي اخترع أول ميزان حرارة في التاريخ . وكان ذلك فى القرن السابع عشر ، وقبل اختراع ميزان فهرنهايت وسلسيوس بعشرات السنين والمرجو ألا يكون أحد قد أخطأ فى الرد على هذا السؤال وقد تضمن نصه الجواب الصحيح

٥ ـ لفظ حرِّيف (بكسر الراء) يعنى أن الشيء ذو حرافة أو طعم يلذع اللسان

٦ ـ نعم فالمحيطات تحتوى مياهها على مقادير كبيرة من الذهب ، تقدر بحوالى ١٨٠ ضعف ما استخرج من مناجمه على اليابسة أو مايعادل ٩ ملايين طن

٧ ـ اقدام الزنبقة هي الأقدام الصغيرة التى بدت لأهل الصين ـ في وقت مضى ـ ـ شرطا من شروط الجمال في المرأة وقد عمدوا الى تقييد قدمى الطفلة بقوالب صلبة تحول دون نمو هذين القدمين على أن هذا التقليد الذى ظهر فى القرن التاسع الميلادى لم يلبث أن ألغى وقد أبطلته حكومة الصين فى أواسط القرن العشرين

٨ ـ الجامعة المتخصصة فى تعليم الصم هي كلية جالودت الموحودة فى واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية وتوماس جالودت هو الذى أسس تلك الكلية سنة ١٨٥٧

٩ ـ تيماء بلدة تقع بين الحجاز والشام وفيها حصن طالما تمثل العرب بمناعته ويقال ان سليمان بناه بالحجارة والكلس .

١٠ ـ يقدر نمو شعر الانسان بحوالى نصف بوصة فى الشهر الواحد

١١ ـ أخطأ الأخ بقوله ٦٠ ثانية . . والصواب هو ٦٦ ثانية

١٢ ـ الْمُلسن (بضم الميم) هو الفصح الثرثار ، والألسن هو الفصيح البليغ

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٦ نوفمبر ١٩٨٦

الجائزة الأولى الدكتورة سلوى جرجس لبيب / مصر الجديدة / القاهرة - جمهورية مصر العربية

الجائزة الثانية عبد القادر علي النعيم / الخرطوم - السودان

الجائزة الثالثة سمير عبد الرحيم خليل / الصفاة - الكويت

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - السيد حسن الفقيه رمضان / نهج ريلة بالمهدية / تونس
٢ - كبح محمد المدني / المكتبة الإسلامية - كيرلا
٣ - ثريا العسري / المديرية الإقليمية للتجهيز / الناظور / المملكة المغربية
٤ - عصام محمد الأعور / تبوك - المملكة العربية السعودية
٥ - فتحي الصادق محمد رحومة / طرابلس الغرب - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
٦ - عبد الهادي السمكري / دمشق - الجمهورية العربية السورية
٧ - يوسف حينو / برج البراجنة / بيروت - لبنان
٨ - صلاح الياس / الجزائر
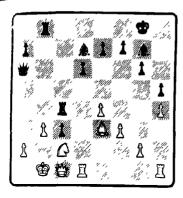
بطولة عربية واعدة

من الأبطال العرب الشباب الذين برزوا في السنوات الأخيرة وحققوا نتائج مشرفة لبلدهم ووطنهم العربي في المحافل الدولية ، اللاعب السوري الشاب عماد بديع حقّي البالغ من العمر ٢٩ عاماً وهو يحمل لقب استاذ اتحادي ويتمتع هذا اللاعب العربي الشاب بامكانات ضخمة ، وطموح كبير ، يؤهلانه لمزيد من العطاء على الساحتين العربية والدولية ، وله دراسات شطرنجية جادة نالت استحسان العديد من كبار أساتذة الشطرنج .

فاز هذا اللاعب المرموق ببطولة القطر العربي السوري في عام ١٩٧٨ وفي عام ١٩٨٤ ، وقد فاز بالمركز الرابع بين أبطال العالم العربي في الشطرنج عام ١٩٨٤ ومن أحدث انتصاراته في المحافل الدولية فوزه بميدالية المركز الثالث في بطولة القارة الاسيوية التي أقيمت في الأمارات العربية المتحدة عام ١٩٨٦

ومن النتائج المشرفة التي حققها لبلاده فوز فريقه في اولمبياد مالطا ١٩٨٠ حيث احتل الفريق السوري المرتبة الأولى بين الدول العربية ، والمرتبة الثانية بين الدول الأسيوية ، بفارق عشرين مركزا دولياً بينه وبين الفريق العربي الذي يليه ، وقد لعب على الرقعة الثانية وحصل على مجموع قدره ٧,٥ نقطة من نقطة

والدور التالي من الدفاع الصقلي « تمر الدراجون » من الأدوار الجيدة التي لعبها في الاو المذكور ، أمام الاستاذ الدولي البيروبلدي سار الذي حمل بطولة بلاده لمدة خمسة عشر عاماً

□ سارابيو	■ عماد حقّي
١ ـ هـ ٤	حـ ٥
٢ ـ ح ـ و٣	د ٦
٣ ـ د٤	حـ×د٤
٤ ـ ح×د٤	ح ـ و٦
٥ ـ ح ـ حـ٣	ر٦
٦ ـ ف ـ هـ٣	ف ـ ر٧
٧ ـ و٣	ح ـ حـ٦
٨ ـ و ـ د٢	ت
٩ ـ ف ـ حـ٤	ف ـ د٧
١٠ ـ ت ت	ر ـ حـ٨
١١ ـ ف ـ ب٣	ح ـ هـ٥
١٢ ـ حـ ٤	حـ ٥

للحد من خطورة الهجوم الوشيك

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٣٦ نوفمبر ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ د أحمد نعمان ـ أسيوط / ح م ع
٢ ـ شفيق الخضر ـ جدة / السعودية
٣ ـ حسن سابل ـ أم درمان / السودان
٤ ـ عمرو امام ـ حليب الشيوخ / الكويت
٥ ـ نبيه بدور ـ بيروت / لبنان

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ بدر حصير ـ عجمان / الامارات
٢ ـ وئام هريم ـ صافيتا / سوريا
٣ ـ طاهر الموسى ـ طرابلس / ليبيا
٤ ـ هنادي الرمحي ـ قطر
٥ ـ سهيل الياس ـ عمان / الاردن

١٣ ـ ف ـ ر٥	ر ـ ح٥
١٤ ـ م ـ ب١	ب ٥
١٥ ـ ح ـ د٥	ح ×د٥
١٦ ـ ف× د٥	ح ـ حـ ٤
١٧ ـ و ـ حـ ١	و ـ ب٦ ! (رائعة)

مهدداً ر×د ٥ ومن ثمّ الفوز بالحصان

١٨ ـ حـ ٣	ب٤ !(رائعة)
١٩ ـ ح ـ حـ٢	ب ×حـ٣
٢٠ ـ ف ×حـ٤	ر ×حـ٤
٢١ ـ ب ٣	ر ـ ب٨
٢٢ ـ ف ـ هـ٣	و ـ أ٦(الشكل)

وأقدم الأبيض على أخذ ٨ هـ ٧ بالفيل في النقلة ٢٢ ... في مع يميت

٢٣ ـ ف ـ د٤	ر ـ أ٤
٢٤ ـ و هـ٣	ر ×أ٢
٢٥ ـ و ح٣	و ـ أ٤
٢٦ ـ ر ـ ٣	ف ـ هـ٦
٢٧ ـ ح ١	ف × د٤
٢٨ ـ ر ٤	ر × أ١+
٢٩ ـ و ١	و × ب٣+
٣٠ ـ م ـ ١	ر ـ حـ ٨+
٣١ ـ م ٢	ر ـ حـ ٢+
٣٢ ـ يسـ م	

مسألة العدد رقم ٣٣٩

فبراير ١٩٨٧

مات ٢

مهداة من القاريء د يوسف حسن

حل مسألة العدد ٣٣٧

(ديسمبر ١٩٨٦)

الحل ر ـ حـ ٧ فلو أخذ الأسود البيدق بالرخ لخسر الحصان ولو أخذ الرخ لأخذه الحصان ، وحمى البيدق السالك

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

نحو تنمية الذكاء ·

● طلعت علينا مجلة (العربي) كعادتها بموضوع شيق في عدد سبتمبر ١٩٨٦ هو « أول وزير للذكاء في العالم » ، بقلم الدكتور عادل عبدالكريم ياسين الذي تناول الموضوع من جانبه النظري ، ورأيي أنه كان من المناسب إبراز بعض الجوانب التطبيقية ، في برنامج وزارة الذكاء الفنزويلية ، وذلك ما جاء في تقرير « رونائيل توديلا » ، رئيس الجامعة الفنزويلية ، ومساهمة مني في تطوير النقاش حول الموضوع أبعث إليكم بنسخة من هذا التقرير الذي نشره السيد / مارك ريان ، في صفحة (الشطرنج) التي أشرف على تحريرها ، في جريدة (ألوان) المغربية

عبدالحميط العمري ـ المغرب

العربي

إننا إذ نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ننشر هنا لمحات من ملخص التقرير الذي بعث به مع رسالته ، لما فيه من معلومات ، يعتبر نشرها إثراء للموضوع ، وتطويرا للنقاش على حد تعبيره

لأول مرة في التاريخ شكلت في فنزويلا وزارة مهمتها تنمية الذكاء العام للمواطنين ، وقد تم اعتماد الشطرنج كإحدى وسائلها الأساسية ، وقد نوهت بالمشروع نخبة من أبرز السياسيين ، مثل فيدل كاسترو ، والملك خوان كارلوس ، ووزير الثقافة الصينية

وقد صرح واحد من أكبر علماء الاجتماع المعاصرين هو « البروفيسور ف ب سكينر قائلا « ليس ثمة شك في ان هذا المشروع سيعتبر واحدا من اكبر التجارب الاجتماعية لهذا القرن »

والفكرة الأساسية للمشروع هي تنمية الذكاء ، وتمكين الشعب كله ـ دونما تمييز طبقي ـ من الاستفادة من المعارف العلمية ، مع الاهتمام الخاص بالفئات المحرومة ثقافيا واجتماعيا ، وحتى نهاية سنة ١٩٨١ تم تدريب مائة ألف أستاذ لتطبيق المنهجية التي يعتمدها المشروع الذي أطلق عليه اسم (تعليم التفكير) إن الشطرنج ـ كأداة من أدوات التعليم ـ كانت ذروة هذا المشروع ، وقد تألفت لجنة من علماء الاجتماع والشطرنج لدراسة المشروع كعملية تفكير محايد يقتضي أكثر من التعليم توظيف التجريد الذهني ، ويطمح هذا المشروع إلى نقل منهجية التفكير في الشطرنج ، سواء (الاستراتيجي) أو (التكتيكي) إلى مستوى الحياة اليومية التي تتطلب حلولا مستمرة لمشاكل مستمرة ، وطبق المشروع كتجربة اختبارية أولى في دائرة من دوائر العاصمة (كاراكاس) ، حيث شملت ٤٢٦٦ تلميذا ، وأثبتت النتائج أن التعليم المنهجي للشطرنج يساعد على رفع (معامل الذكاء) لدى الانسان العادي، وأن نمو هذا المعامل يصبح محسوسا بعد خمسة أشهر ونصف شهر من بداية التجربة

وكانت الخلاصة إعداد برنامج عام للشطرنج ، يعتمد على ستة مستويات مختلفة للتفكير ، لا علاقة لها بالسن (البيولوجي) ، ويحتوي البرنامج اجمالا على ٧٨ حصة ، مدة كل حصة ٦٥ دقيقة ، والهدف النهائي هو تقويم مكثف لهذا البرنامج ، ومن ثم تحويله من المرحلة الاختيارية إلى مادة إجبارية في جميع المدارس

ملاحظات حول « السيمائية »

● قرأت مقال الدكتور كمال أبو ديب « السيمائية أحدث العلوم الانسانية » في العدد ٣٣٤ من مجلة العربي سبتمبر سنة ١٩٨٦ وأود أن أبدي حوله الملاحظات التالية

ترجم الدكتور كمال أبو ديب عنوان كتاب (دوسوسور) بـ (منهاج في اللسانيات العامة) ، ولست أدري من أين أتى بكلمة منهاج ؟ فعنوان كتاب (دوسوسور) هو (Cours de Linguisti- que generale) ، وكلمة (cours) تعني دروس ، وعليه فالترجمة الصحيحة للعنوان هي (دروس في اللسانيات العامة)

ولعدم الدقة في ترجمة المصطلح العلمي ، ترجم الكاتب كلمة (langue) بـ (لغة) ، في حين أن الترجمة الصحيحة لها هي (لسان) ، وهناك فرق واضح بين لسان (langue) ولغة (langage) وكلام (Parole)

فاللسان وسيلة من وسائل الاتصال ، ونظام من الأدلة الصوتية الخاصة بأفراد مجموعة لسانية ، أما اللغة فتعني القدرة على الاتصال ، الخاصة بالجنس البشري عن طريق نظام من الأدلة الصوتية ، أما الكلام فغالبا ما يخلط مع اللغة ، والكلام قدرة طبيعية على الكلام ، وهذا الفعل يشبه فعل المشي والأكل . وكلها أفعال غريزية ترتكز على أسس (بيولوجية) ، الخ

إرجاع السيمائية إلى أصول تراثية عند الجاحظ لاستنادها إلى الأدلة (البيان حسب رأي الكاتب) لا يسمح بالقول ان الجاحظ سبق (سوسور) ، أو أن نضعه في صفه ، ومع ذلك فالموقف المألوف عند كثير من الكتاب عندنا كلما ظهر علم جديد أو نظرية جديدة سرعوا بالقول . إن هذا موجود عندنا ، وأن من سبقوا الافرنج إلى هذا وكان الأجدر بالكاتب بدلا من الاشارة إلى الجاحظ أن يشير الى العالم السيمائي الفرنسي (رولان بارت) الذي يعتبر بحق رائد السيميائية ، فكتبه الكثيرة شاهدة على ذلك

د/ محمد الحبيب بنشيخ - احفير/ المغرب

نشكر للقاريء الكريم ملاحظاته ، ونؤثر أن نترك الرد للكاتب الدكتور كمال أبو أديب ، لتكون الفرصة أكبر لافادة القراء من مثل هذا الحوار.

العدسات اللاصقة . . مرة أخرى

● قرأت في العدد رقم ٣٢٩ لشهر ابريل ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب « الجديد في العلم والطب » وتحت عنوان « احذروا من العدسات اللاصقة » ما يفيد بأن استعمال العدسات اللاصقة يمكن أن يؤدي إلى فقدان البصر في غضون ٢٤ ساعة ، ومع أنني استعمل هذه العدسات منذ أكثر من ثلاث سنوات ، وحالتي ممتازة ، فقد شعرت بشيء من الفزع بعد قراءتي لهذا المقال ، وذهبت الى طبيبي المختص الذي طمأنني ، وقال لي ان كثيرين اتصلوا به يستفسرون عما جاء في هذا المقال ، ثم أضاف

« إن ما جاء في مجلة العربي عن فقدان البصر في غضون ٢٤ ساعة لم يكن على لسان طبيب متخصص ، لكي يحدث مثل هذا الهلع »

وتضيف القارئة

إن الفكرة في استخدام العدسات اللاصقة قديمة وترجع الى العالم العربي ابن الهيثم الذي صمم عدسة بين الصلابة والليونة للقرنية المخروطية ، وأنجز لأول مرة عدسة لعلاج عمى الألوان

هبة - الجمهورية العربية السورية

حوار القراء ..

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

العربي

لعله من المناسب هنا أن نوضح أن ما ينشر في باب «الجديد في العلم والطب» يركز على تقديم معلومات، لا بد من الرجوع الى الطبيب المختص في تقدير مدى انطباقها على هذه الحالة الخاصة أو تلك.

وما جاء في هذا الباب بالتحديد هو أن فئة معينة من العدسات اللاصقة، وهي فئة العدسات اللينة الطويلة الأجل سببت أضرارا جسيمة لبعض الذين استعملوها، دون أن يحرصوا على تنظيفها مرة كل أسبوعين وواضح أن التحديد الوارد في المعلومة لا يبرر حالة الفزع العامة التي ألمحت اليها القارئة، وعلى فرض أن التحديد الوارد في المعلومة ينطبق على حالة القارئة أو على غيرها، فهو يعني أن على من يعنيه الأمر أن يراجع طبيبه المختص، ويكون دور المعلومة هو التنبيه لهذه المراجعة، وليس بديلاً لها

ملاحظات حول «حضارة البتراء»

● قرأت في عدد أكتوبر ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب «حضارات سادت ثم بادت» مقالاً عن «حضارة البتراء»، ولما كنت من المهتمين بالحضارات القديمة، وأتابع ما ينشر حولها في «العربي» وفي غيرها، فيهمني أن أقدم هذه الملاحظات حول بعض ما ورد في هذا المقال

- لاحظنا أن المقال استعمل لفظ «سيق» بمعنى الشق ولعله خطأ مطبعي، فأهل المنطقة جميعاً يسمونه «الشق» ولفظ «سيق» غير مألوف في اللغة العربية على كل حال.

- يؤكد المقال أن المباني المحفورة في الصخور، وهي من الروائع العمرانية التي تتميز بها حضارة البتراء، لم تبن بقصد استعمالها قصوراً أو مبان للسكنى أو دوائر لتصريف الأعمال الحكومية، بل هي مجرد واجهات حفرت في صخور الجبال لأغراض دينية، والحقيقة خلاف ذلك كما يجزم كثير من العلماء والخبراء، وكما يمكن أن يلاحظ زوار البتراء حين وهم يرون قصراً مهماً تتوسطه قاعة رحبة تحيط بها غرف عديدة، ومبنى آخر يبدو كالسجن، بل هو السجن بعينه، ومبنى ثالثاً كالمحكمة، ومبنى رابعاً كدائرة الجمارك

- لاحظت أن المقال أغفل ذكر الأسباب والعوامل التي أحدثت ذلك الشق الضيق في تلك الجبال الشاهقة، وهو أضخم بكثير من أن يكون من صنع إنسان، كما ألمح المقال عرضاً وربما من غير قصد

- أغفل المقال أيضاً الأسلوب الفذ الذي أبدعه النبطيون لسحب مياه الأمطار من فوق قمم الجبال الى منازل البتراء، عبر حفر جانبية تتفرع من الحفر الرئيسية التي حفروها على رؤوس الجبال على نحو يضمن جريان الماء فيها وسقوطه الى منازل البلدة

الحاج سعدي بدران - الكويت

العربي

نشكر للقارىء الكريم ملاحظاته القيمة وبخاصة ما اتصل منها بسحب مياه الأمطار الى المنازل. أما عن الملاحظة الخاصة بالمباني المحفورة في الجبال وهل بنيت كواجهات أو بقصد استعمالها كمباني، فالعلماء والمؤرخون على خلاف في ذلك، ولعل ما ذهبت إليه هو الصواب

أما بالنسبة للأسباب والعوامل التي أحدثت الشق فهي الزلازل التي ضربت المنطقة في الماضي البعيد، وجدير بالذكر أن ثمة شقاً شبيهاً بشق البتراء يوجد في بلدة معلولا القريبة من دمشق، وهو أيضاً من صنع الزلازل، ولا يمكن أن يكون من صنع إنسان

سي أن نؤكد صحة استعمال لفظ (سيق) أو (شق) فاللفظ يعني لغة « شق في الجبل » (لسان العرب مادة شق) وهو الاسم الذي أطلقه النبطيون أنفسهم على الشق وهو كما لا يخفى اللفظ الذي يفيد المعنى المقصود بالتحديد

أصداء حول ظاهرة مرضية :

● إن ما جاء في حوار القراء في العدد رقم ٣٣٦ من مجلة « العربي » حول ظاهرة النقل الحرفي من مجلات قديمة ، وإعادة نشرها منسوبة الى غير أصحابها تعد من أسوأ الظواهر الثقافية التي أخذت تنتشر في هذه الأيام ، وهذه الظاهرة تجاوزت حدود النقل الحرفي لمقال ، الى السطو على كتاب وتلخيصه ونشره على أنه عمل علمي خالص لمن يحلل اسمه

إن استاذ جامعياً يمنعني الحياء من الافصاح عن اسمه لخص رسالة لأحد تلاميذه ونشرها بمصادرها في حولية الجامعة التي يعمل بها دون أن يشير الى تلميذه بكلمة واحدة،بل ان عميداً لكلية جامعية يؤلف كتاباً نقله نقلاً حرفياً عن غيره ، والنماذج كثيرة ، ولا مجال لحصرها

والذي أراه لمقاومة هذا التيار الذي يهدد قيمنا وثقافتنا أن تخصص المجلات الجادة عدداً من صفحاتها لمراجعة ما ينشر وتقويمه ، فغياب النقد الموضوعي ، هو الذي يشجع على شيوع تلك الظاهرة المرضية التي لا ينبغي السكوت عنها ، يجب أن نكشف عن هذه الأقلام التي لا تحترم أمانة الكلمة ، حتى لا يتعامل معها ناشر أو صحيفة أو مجلة ، وبذلك يمكن أن تتوارى من حياتنا الثقافية تلك الظاهرة الخطرة

دكتور محمد الدسوقي
كلية الشريعة/ جامعة قطر

شكر الدكتور محمد الدسوقي غيرته وحماسه لرفض هذه الظاهرة المرضية ومع أننا نتفق معه في أهمية المراجعة النقدية الموضوعية عامة للدراسات العلمية لمواجهة مثل هذه الظاهرة ـ إلا أننا نعتقد أن المكان الأكثر مناسبة لمثل هذه المراجعة النقدية التي تكشف هذه السرقات هو المجلات الجامعية التي تعنى بعرض ونقد مثل هذه الدراسات.ومع تقديرنا لما تنطوي عليه رسالة الدكتور محمد الدسوقي إلا أننا نرى أنه كان من الأنسب لتحقيق الهدف الذي يتطلع اليه أن يبعث بمقال لمجلة جامعية يكشف فيها عن الأسماء التي منعه الحياء من ذكرها ـ فلا حياء في الحق ـ ويقدم فيه الأدلة التي تدين من يسمحون لأنفسهم بمثل هذه السرقات كما فعلنا في زاوية حوار القراء

انتاج الشباب في « العربي » :

● « وبهذه المناسبة لدى اقتراح للمجلة ، وسؤال يهمني أن أحصل على إجابته

أولاً يجب الاهتمام بانتاج الشباب ، وألا تقتصر المجلة على الأسماء المعروفة لأن هؤلاء الشباب لو أعطوا الفرصة اليوم لدفعهم هذا لمزيد من الانتاج والتجويد ، ليتقدموا الى الصفوف الأولى وهذه سنة التطور

ثانياً أود أن اشترك في « المجلة العربية للعلوم الانسانية » لأن هذه المجلة لا تصل عندنا رغم أهميتها ، وحاجتي لمتابعتها ، فهل يمكن أن تكتبوا لي عنوان المجلة وقيمة الاشتراك وأكون شاكراً لكم

فرج كامل منصور
سلمانة / شمال سيناء / ج م ع

العربي

مجلة العربي توفر فرصة النشر للعمل الجيد بغض النظر عن عمر كاتبه ، ما دام في مستوى ما ينشر في مجلة العربي ، وعادة تقدم المجلة نبذة للتعريف بالكاتب الذي يكتب فيها لأول مرة

وعنوان « المجلة العربية للعلوم الانسانية » ص ب (٢٦٥٨٥) الصفاة/ الكويت / السيد الدكتور عبد الله العتيبي ، رئيس تحرير المجلة وقيمة الاشتراك ١٥ دولاراً خارج الكويت □

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير ١٩٨٧ م

مفاهيم نقدية

تأليف : رينيه ويليك

ترجمة الدكتور محمد عصفور

الكتاب ١١٠

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب 3996 الكويت

★★★

ATIONAL MUSEUM OF BHUTAN

أسرع طريقة لتحسين المنزل. طريقة فيشر

FSJ5102MBK عصارة / خلاط

السّرعتان مع القذف الأوتوماتيكي للنفايات تجعل العصر أسهل مما كان عليه سابقًا وعاء زجاجي سعة ١٫٨ ملل ، كأس عصير سعة ١ ملل وزجاجة سيبي تم ربط دابة الات هذا الخلاط مهيئ بمسحب فولتاج مزدوج (١٢٧ / ٢٢ فولت)

FSM8600CM خلاط/مطحنة قهوة

عملية بلمسة زر واحدة مع وعاء سعة ١٫٧ ملل تعطيك الراحة التي تتوقعين أما الأداة الإضافية لطحنة القهوة فهي إضافة خاصة كلها في تصميم مدمج ضيقة، خصيصا لتوفر المساحة

FHM20E مارج يدوكي

ثلاث سرعات للمزج من أجل تعدد استعمال أوسع وخافق من معدن لا يصدأ يخرج بلمسة الى حجرة للتخزين سهل

FJB500EK مصنع طعام

السّرعتان مع وطبيعة "فلاش" تجعل هذا الموديل ساحر المطبخ الحقيقي ، وبذلك يساعدك على العصر الخلط ، المزيج ، الفرم ، الخفق والفحص كما تريدين مهيئ بمسحب فولتاج مزدوج (١٢٧ / ٢٢ فولت)

FKM1350EK جهاز لتحضير الطعام

محرك قوي يجعل التشريح والتقطيع وحتى الفحص يتم بسرعة وسهولة في عملية بتشغيل تدفق متواصل أما الحجرة المبيتة للملحقات فإنها تجعل التخزين سهلا أيضًا مهيئ بمسحب فولتاج مزدوج (١٢٧ / ٢٢ فولت)

FGR903PGK طباخ غاز

مجموعة ديلوكس أكثر عرضا بالإضافة الى كير مهيئ بموقت ، سيخ دوّار وضابط سعر لأي أسلوب في الطهي مهيئ بمسحب فولتاج مزدوج (١٢٧ / ٢٢ فولت)

FMG5500 مفرمة لحم

محرّك قوي ١٢ واط وقاطع مبيّت للدائرة الكهربائية وأربعة قواطع إضافية - ناعم - متوسط - خشن وللكبّة مفتاح "فلاش" لراحة زائدة وعلبة للملحقات وشريط الكهرباء لتخزين أسهل

FSK1500 توستر أوتوماتيكي

ضابط تحميص بخمسة أوضاع وفتحات واسعة جدا من أجل قطع أكبر تصميم مدمج وصينية فتات لراحة في التنظيف والتخزين أيضًا

FGC8300P غاز طاولة

مشعلان مع شواية يمكن تحويرها لتصبح مشعل ثالث وتشغيل بيزو الكهربائي يحتوي على غطاء من معدن لا يصدأ لسهولة التنظيف وعلى حامل يدوي

العدد ٣٤٠ السنة الثلاثون مارس ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 340 Mar. 1987 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

ملح ونفط وتلوث ص ٤٠ أسير المنصورة ص ٥٤ حوادث المفاعلات ص ١٠٢

■ حديث الشهر :

العالم من حولنا .. يتغير .. !

- د . محمد الرميحي ٨

■ الشخصية العربية في التلفزيون الأمريكي

- د . جاك شاهين ١٨

■ أزمة السويس واستخدام القوة

- أمين هويدي ٢٣

■ يافاتني (قصيدة)

- يعقوب السبيعي ٢٨

■ المستقبل السكاني في الوطن العربي .

- د . عبد الإله أبو عياش ٣٠

■ في سبيل مدرسة رائدها الحبور والفرح المبدع !

- د . عبد الله عبد الدائم ٣٤

■ ملح ونفط وتلوث

- د . سمير رضوان ٤٠

■ جدي عبد الوهاب (قصة)

- سليمان فياض ٤٧

■ العلاج الفيزيائي .. عرفه الانسان منذ أقدم العصور .

- د . وليد السباعي ٥٠

■ صفحات لم يعن بها التاريخ : أسير المنصورة

- د . سعيد عبد الفتاح عاشور ٤

■ للمناقشة : نعم لتحقيق المصالح ، لا لإهدا الشريعة .

- فهمي هويدي ٢٠

■ حزين الأرض من الأشعة النووية وحواد المفاعلات .

- د . شادي الدركزلي ٠٢

■ كيف اكتشف العقل الباطن ؟

- د . عبد الرؤوف ثابت ١٠

■ مرثية للمساء الأخير (قصيدة)

- محمود مفلح ١٤

■ الأكزيما : تعددت الأسماء والمرض واحد

- د . سامي محمود علي ٢٣

■ مضحكات الشدائد

- د . عبد السلام العجيلي ٤٩

■ الرواق .. الناس (قصة)

- ابراهيم زعرور ٥٠

■ الموت فوق صدرها (قصيدة)

- علي عبد القيوم ٨

صورة الغلاف

مملكة بوتان في قلب جبال الهملايا
الحياة الهادئة ، وحيرة العمالقة ،
وشعب شديد التدين مولع بالصوف
(طالع ص ٦٨)

نيكولا
خابتوف

وليد
دسوقي

استطلاعات ومقابلات

■ مملكة بوتان .. الحياة وسط المتناقضات ـ محمود عبد الوهاب ٦٨

■ المرأة العراقية ، تغزل الحياة في السلم والحرب ـ وفاء طه ناجي ٨٨

■ وجها لوجه : نيكولا خابتوف ـ وليد دسوقي ٩٧٠

■ [illegible] أسرار وأس[illegible] مظهر ٣٢

المرأة العراقية في السلم والحرب ص ٨٨

[illegible] : أسرار وأساطير ص ١٣٢

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القارىء ٧

■ أرقام : حين تجف الآبار

- محمود المراغي ٣٨

■ البيان في تفسير القرآن

- حسين أحمد أمين ١٠٨

■ منتدى العربي :

- قضية : معوقات وكوابح أمام فنون الاتصال العربية - صلاح دهني .. ١١٦

- العقيب : هموم تربوية

- د . زهدي عبد المجيد سمور ١٢٠

■ الجديد في العلم والطب ١٢٧

■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠

■ حضارات سادت ثم بادت : حضارة الاتروسكان - يوسف زعبلاوي . ١٥٧

■ مجال العربية :

- صفحة لغة : سؤالان وجوابان

- محمد خليفة التونسي ١٨٢

- صفحة شعر : هكذا غنى الأبناء : عتاب صديق لابن الرومي ١٨٤

■ الكلمات المتقاطعة ١٨٦

■ مكتبة العربي :

- كتاب الشهر : تجارة الجينات

- بهاء الدين محمود ١٨٧

- من المكتبة العربية : من آثار الريحانة بيت المقدس - جودة زلوم ١٩٢

- مكتبة العربي : مختارات ... ١٩٦

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨

■ حل مسابقة العدد ٣٣٧ .... ٢٠٠

■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٢

■ حوار القراء ٢٠٤

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ المرأة البحرينية وحلم المشاركة في صنع الغد .

- ريم الكيلاني .. ١٦٢

■ هو . هي . ١٦٨

■ أمراض نسائية غامضة

- د . علي مبارك . ١٧٠

■ طبيب الأسرة

نزلات البرد .. ١٧٥

■ مساحة ود : « ريكشا » !

- محمود عبد الوهاب . ١٧٩

عزيزي القارئ

إحدى القضايا المتعلقة بالنتاجات الثقافية من ناحية ، وجهات النشر من ناحية أخرى في أقطارنا العربية هي العلاقة بين المظهر والمخبر ، فنحن هنا في العربي نعاني ـ ولعل بعض المطبوعات الأخرى أيضا تعاني ما نعانيه ـ من اهتمام بعض الكتاب الذين يرسلون لنا كتاباتهم للنشر بأن ينسبوا إلى أنفسهم لقبا علميا لم يحوزوه

والقضية على بساطتها تدلنا على إحدى الثنائيات المعلقة في حياتنا العربية ، فالبعض مازال يعتقد أن المهم هو اللقب العلمي والأكاديمي ، بصرف النظر عن محتوى ما يكتب ، ولعلنا مع غيرنا نؤكد من جديد أن هذه الثنائية غير مطروحة ألبتة لدينا ، فنحن ننظر إلى الموضوع من حيث جدته ، وإضافته للمعرفة العربية ، وطريقة كتابته ، وما إذا كان مناسبا ، ولم ننشر مثله في أعداد سابقة من « العربي »

ولا يؤثر في اتخاذ قرارنا بالنشر أو عدمه كون الكاتب يحمل شهادة الدكتوراة أو الماجستير أو غير ذلك ! فنحن نعتقد ـ في « العربي » ـ أن اللقب العلمي لا يستطيع أن يصنع ممن لا يجيد الكتابة كاتبا ، كما أن عدم وجود اللقب لا يعني أبدا عدم الاهتمام بالموضوع

إن الموضوع الذي يجد طريقه للنشر في « العربي » لا يقوّم بما لصاحبه من شهادات ، إنه ينشر لأنه جدير بالنشر فقط ، ومكتوب بطريقة مناسبة ، لا أكثر ولا أقل

في هذا العدد ـ عزيزي القارىء ـ حرصنا على أن نقدم لك وجبة ثقافية متنوعة مع إطلالة الربيع ، فهناك دراسات مستقبلية نحرص في « العربي » على تضمينها في كل عدد تقريبا ، لما لها من أهمية في حياتنا

وفي هذا العدد نقرأ عن المستقبل السكاني في الوطن العربي للدكتور عبدالاله أبو عياش ، وتصوروا لمدرسة عربية جديدة كتبه لك المتخصص العربي في التربية الدكتور عبد الله عبد الدائم ، وصورة العرب في التلفاز الأمريكي ، كتبه متخصص في الاعلام هو الدكتور جاك شاهين ، أما الدكتور عبد السلام العجيلي فكتب عن مضحكات الشدائد

وتذهب العربي في استطلاعها في هذا العدد إلى بوتان ، وهي أول مجلة عربية تذهب إلى تلك الأراضي ، وعن المرأة العراقية في ظل ظروف الحرب ننشر استطلاعا موسعا عن دورها في الصفوف الخلفية

كل هذا مع مجموعة من الموضوعات الجديدة التي نرجو أن تسهم في إغناء الثقافة العربية

وأنت عزيزي القارىء و « العربي » على طريق الجديد في كل عدد

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

العالم من حولنا يتغير..!

العالم من حولنا ـ نحن في العالم الثالث ـ في طريقه الى التغير ، فبعد م
وجيزة لن يصبح كما عرفناه . ذاك أن القاعدة الاقتصادية والعلاقا
الاقتصادية ـ القطرية والدولية ـ قد تغيرت بالفعل ، كما أن النظريات ال
أثرت في شؤون الحياة والناس لم تعد تلك التي خبرناها .

ذاك يعني أيضا أن المستقبل سيكون شيئا آخر ، مختلفا عن أكثر ما ح
له خيالنا من آفاق .

الأغرب من ذلك أن جذور مؤشرات التغير تلك ، لم تكن بعيدة
التاريخ المعاصر ، فهي قد بدأت منذ عقد من الزمان لا أكثر ، بل ان به
بدأ بعد ذلك بكثير ، الا أن تأثيراتها ستكون كبيرة وعميقة وجدية على
وعلينا أيضا .

واذا أردنا أن نسبر تلك المتغيرات فسنلاحظ أنها منصبّة في مجرى واحد ، هو المجرى الاقتصادي للشعوب والدول المتقدمة والسائرة في طريق النمو . والاقتصاد ـ كما نعلم ـ هو النشاط الانساني الأكثر تأثيرا على الأنشطة الأخرى والمؤثر في مسارها ، وبالتالي على حياة الناس وعلاقاتهم ومستقبلهم .

أما المجال الزماني والمكاني الذي يمكن ملاحظة تلك التغيرات فيه فيمكن حصره في ثلاثة : أولها ، الاتحاد السوفيتي ، وثانيها ، الصين الشعبية ، وثالثها ، في اطار الاقتصاد الرأسمالي ككل (الأمريكي ، الأوروبي ، الياباني) .

لقد حدثت تغيرات هامة ـ وما تزال تحدث ـ في الاطار الاقتصادي لهذه الشعوب الكبرى ، تقلب في بعضها ـ رأسا على عقب ـ نظريات اقتصادية وسياسية ، ظن العالم لفترة ـ غير قصيرة ـ أنها ثابتة ثبوتا لا يقبل الجدل ، وقسم العالم أيضا نفسه على هواها فترة من الزمن ، بل أكاد أقول انه ـ حتى يومنا هذا ـ هناك قطاعات واسعة من الناس تعتقد أنها ثابتة ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها !

الاتحاد السوفييتي والواقعية الاقتصادية :

■ في الاتحاد السوفييتي يصادف هذا الشهر ـ مارس ١٩٨٧ ـ الذكرى الثانية لوصول جورباتشوف الى السلطة . انقضت سنتان فقط ، منذ أن عرفنا اسم جورباتشوف عالميا ، ولكن هاتين السنتين تبدوان أكثر من ذلك بكثير ، لأن الرجل منذ أن تولى سدة الحكم وهو يسعى دائما ـ بالخطب تارة وبالعمل المباشر وتغيير القيادات تارة أخرى ـ إلى « واقعية اقتصادية » جديدة من أجل أن يلحق الاتحاد السوفييتي بمجمل التغيرات التقنية والحضارية المعاصرة .

جورباتشوف هو الحاكم الثامن في سلسلة حكام الاتحاد السوفييتي في تاريخه الحديث ، وهو الشخص الثاني ـ كرئيس للدولة ـ الذي يحمل مؤهلا عاليا (في الحقوق) منذ لينين مؤسس الدولة ، الا أنه يمثل مخزون التطلعات الشابة المطالبة باصلاح المسار الاقتصادي ، وهو بجانب مهارته الاعلامية وكسب الرأي العام مصمم ـ منذ أن تولى السلطة ـ على مهاجمة معاقل البيرو[قراطية] السوفيتية والتصدي لأعقد المشكلات التي عطلت كفاءة البلاد الاقتصا[دية] . وبعد ثلاثة أشهر من وصوله الى السلطة تحدث جورباتشوف في معهد « سمولين » في موسكو ، وكان حديثه دعوة قوية الى البداية الجديدة ، ومن [ضمن] ما قاله : (ان علينا أن نغير أساليب عملنا ، من العامل الى

الاتحـــاد السوفييتي يبحث في إصلاحات جـديـدة لنظـامه الاقتصادي

الوزير ، الى الأمين العام للحزب وزعماء الحكومة جميعا . وعلى الحم
يوفروا للكوادر الفرص ، ومن ليس على استعداد أن يفعل ذلك فعليه أن
من الطريق ولا يتدخل) .

وما كاد العام الأول من حكم جورباتشوف يمضى حتى وضع قياد
جديدة في معظم مراكز السلطة السوفييتية ، مخرجا بذلك كل الحرس القدي
الى درجة أن أحد المعلقين الصحفيين الألمان في موسكو علق على ذلك قائلا
(ان جورباتشوف قد حقق في السبعة أشهر الأول من حكمه أكثر مما ح
أسلافه في سبع سنوات) .

هذه التغيرات في الهياكل السياسية الداخلية للاتحاد السوفيتي ، وتط
العلاقات الدولية والعالمية ، ليست دون هدف ، والهدف هو تطوير الاقت
السوفييتي ليواكب متطلبات الحياة الحديثة ، وكان لا بد من اتخاذ خطو
تجلت أكثر في خطاب جورباتشوف في مؤتمر الحزب الشيوعي السوفييتي
فبراير ١٩٨٦ . في ذلك الخطاب جعل جورباتشوف نفسه متحدثا باسم ا
الجديد المطالب بالتغير والساعي اليه ، تحدث باسم المثقفين والأكاد
والقوى الجديدة الكامنة في الشعب السوفييتي التي تعتقد أن لها دورا وثية
تطوير بلادها ، وقد تضمن خطابه وعودا بإزالة القيود الايديولوجية الم
للبحث العلمي ، كما تضمن الخطاب عودة للشكوى الظاهرة أو الخفية
اشتكى منها الدارسون السوفييت كثيرا ، قائلا : « انه آن الأوان لنخرج
بوتقة الايديولوجية الى رحاب الواقع » .

رحاب الواقع تبدأ بدراسة علمية واقعية حول علاقة الانسان بالا
وتحت أى ظرف يمكن للانسان أن يعطي إنتاجا أفضل ، ترجع به
الدراسات جذور حركة الاصلاح الاقتصادي التي تدعو لها القيادة السوف
اليوم الى تقرير اقتصادي قديم وضعه اقتصادي سوفييتي بارز هو (أ
آجانبيجبان) منذ أكثر من عشرين عاما ، وقد تسرب هذا التقرير
الصحافة الغربية في يونيو ١٩٦٥ ، قال أجانبيجبان حينذاك : (ان معدل
النمو في الاقتصاد السوفييتي آخذة في التناقص في حين أن اقتصاديات الولا
المتحدة قد أحرزت تفوقا كبيرا ، وتوسعا ملحوظا في الصناعات التة
الحديثة ، ويقابل ذلك أن قطاعات الاقتصاد السوفييتي كالزراعة والخد
وتجارة التجزئة متخلفة ، وأن محاولة بناء الاقتصاد السوفييتي تتطلب وضـ
للسرية الرسمية في المسائل الاقتصادية) ، وقال (اننا نحصل على أرقا
الصحافة الأمريكية في وقت أقل من الوقت الذي يلزمنا للحصول علي
ادارة الاحصاء المركزي) .

وإذا كان الحصول على الأرقام ـ منذ ذلك الـوقت ـ قد أصبـح أكثر سهولة ، فإن العقبات أمام تبادل المعلومات والبحث قد وجدت صداها في خطاب جورباتشوف السابق الذكر .

لقد مر تطوير الاقتصاد السوفييتي وتحريره من « الروابط الايديولوجية » بأكثر من مرحلة منذ أن أخذ بالتخطيط المركزي كتقديم الحوافز الاقتصادية التي لم تكن خالية أيضا من الآثار الجانبية الضارة

إلا أن الاحبـاط والفشل والاخفـاق في التطويـر المطلوب جعـل من موضوع الاقتصاد مجالا للجدل الفكري بين القادة السوفييت ، برز بوضوح في خطاب جورباتشوف أمام المؤتمر السابع والعشرين في العام الماضي ، الذي دعا فيه الى سلسلة من الاصلاحات الجذرية ، كالربط بين السعر وتكاليف الانتاج مع الأخذ بعين الاعتبار بدرجة وفاء السلعة بحاجات المجتمع .

بيت القصيد هنا أن الجيل الذي يحكم الاتحاد السوفييتي اليوم هو جيل ملتزم بأن ينقل الاتحاد السوفييتي الى مرحلة ما بعد الاقتصاد الصناعي ، ولا شك أن العقبات الاجتماعية والسياسية ليست بسيـطة ، ولكن الملاحظ أن هذه النقلة تستلزم أولا تجاوز المقولات التقليدية في الاقتصاد الاشتراكى .

الصـــين الشعبيـــة :

■ وإذا انتقلنا الى التجربة الأخرى وهي النظرة الاقتصادية الجديدة في الصين ، فسوف نرى أنها أقصر عمرا ، بدأت منذ عام ١٩٧٩ ، لكن تأثيرها الاجتماعي والسياسي بادي الوضوح .

المهم في هذه التجربة أنها تتوجه الى مقولات جديدة ، بل ومعاكسة لما قامت عليه الأفكـار الاقتصاديـة الصينية منـذ ثورة مـاوتسى تونـج في نهاية الأربعينيات .

لقـد سمى الصينيـون تلك الخـطوات الاقتصـاديـة « التحـديث الاشتراكي » ـ في ذلك العام ١٩٧٩ ـ وكما يقول جياش رئيس المجلس الصيني لتطوير التجـارة العالميـة ـ : (أنه في ذلـك العام بـدأت الصين بنـاء هيكل اقتصادي جديد ، منطلقة من واقعها الاقتصـادي ومستفيدة من خبـرة دول أخرى في التطوير الاقتصادي ، وبدأت الصين تفتح أبوابهـا ، لقد تجـاوزنا سياسات الأبواب المقفلة في بناء الذات) .

هذا هو ماقاله جياش في محاضرته في أكتوبر الماضي في أحـد المعاهـد الاقتصادية الغربية .

هذه السياسة بدأها الصينيون منذ ثماني سنوات فقط عن طريق فتح أربع مناطق اقتصادية حرة من أجل تطوير التجارة الخارجية ابتداء ، ومن أجل الاستفادة من رأس المال العالمي بما فيه القروض والاستثمار المباشر ونقل الخبرة والتقنية الى الصين . وفي عام ١٩٨٤ قررت الصين من جديد توسيع التجربة عن طريق اعتبار أربع عشرة مدينة ساحلية أخرى مناطق حرة مفتوحة للمستثمرين الأجانب .

وفي نهاية سنة ١٩٨٥ أضيفت ثلاث مناطق جديدة كي تصبح إحدى وعشرون منطقة ومدينة ودلتا نهر مفتوحة للمساهمة في التجارة العالمية

هذه السياسات مصممة للاسراع في التطوير الاقتصادي للمناطق الساحلية ، التي بدورها - كما يعتقد الصينيون - سوف تسهم في التطوير الاقتصادي للمناطق الداخلية في البر الصيني . وأصبح لهذه المناطق وحداتها الادارية الخاصة التي تقدم الحوافز للمستثمرين الأجانب . وأعلنت الصين كذلك أن أي مستثمر في هذه المناطق يرغب بالاستثمار في داخل الصين - بعيدا عن هذه المناطق - فهو موضع ترحيب

من أجل أن تقوم الصين بهذا العمل ، ولخلق مناخ مناسب للاستثمار الأجنبي ، قامت السلطات الصينية باصدار ٣٤٠ قانونا وقرارا اقتصاديا لتنظيم هذا العمل خلال السنوات الثمان الماضية ، أكثر من خمسين منها لتنظيم العمل الاقتصادي مع الأجانب ، كما ان السلطات تفكر في تحديث قوانينها الاقتصادية السابقة حتى تتناسب مع السياسات الجديدة .

الانفتاح على الخارج وإعادة هيكلة الاقتصاد الصيني ، أهم مؤشرات الاصلاح الاقتصادي في الصين ، وهو ابتعاد كبير عن الاقتصاديات الماركسية التقليدية كما عرفها العالم . بل إن الاستراتيجية الموضوعة للاقتصاد الصيني الداخلي تتحول من الاعتماد على النمو في الانتاج الصناعي - خاصة الانتاج الصناعي الثقيل - الى مجالات لها عائد اقتصادي أفضل مثل الزراعة والصناعات الخفيفة ، وكذلك الاهتمام بتقدم العلوم والتقنية وتطوير التعليم والثقافة .

وفي نفس الوقت فان النظرة القديمة للاقتصاد ، وهي التشدد في التخطيط المركزي ، تتغير باطّرادٍ ليحل محلها التشديد على اقتصاد حيوي متحرك .

لقد بدأت الصين في الاصلاحات الاقتصادية الجذرية عن طريق مبادرات مثل (المقاولات الزراعية مع الأسرة) التي تشجع المبادرات الأسرية في العمل الزراعي في الريف . وفي الاقتصاد الحضري أعطت أصحاب المبادرات

صين
تفتح
مدنها
الساحلية
لاستثمار
الأجنبي

الاقتصادية الفردية حرية أكبر في الادارة واختيار مجال الانتاج . كل ذلك من اجل حلق « اقتصاد سوق وسلع » وتخفيف السيطرة المباشرة للدولة تدريجيا على المشروعات الاقتصادية .

النتائج الاقتصادية المباشرة المحسوبة بالفلس والدينار - كما يقولون - واضحة المعالم ايجابيا على الاقتصاد الصيني ، ويبقى التحول الاجتماعي والسياسي المتوقع من جراء هذه الخطوات . الا أن الأمر في جميع الأحوال يعني أن هناك تغيرا جذريا في الموقف الايديولوجي الاقتصادي لاكثر الدول الاشتراكية سكانا على وجه الأرض .

الاقتصـــاد العـــالمى .

■ يقول أحد الاقتصاديين العالميين - وهو « بيتر . اف . دروكر » في مقالة مطولة له نشرت أخيرا في مجلة « الشؤون الخارجية الأمريكية » : ان الاقتصاد العالمي (أو ما يسمى بالاقتصاد الحر) ليس في طريقه الى التغير ، بل هو قد تغير بالفعل ، وان عدم احساسنا بهذا التغير ، وعدم التفاتنا اليه ناتج من أن الواقع يسبق المنظّرين في عصرنا السريع .

التغيير في المسرح الاقتصادي العالمي - كما يراه دروكر - قد حدث في ثلاثة محاور رئيسية وبرز بوضوح خلال العقد الماضي :

× المحور الأول : ان الاقتصاد المتعلق بالمواد الأولية والأساسية لم يعد مرتبطا بالاقتصاد الصناعي .

× المحور الثاني : أن الاقتصاد الصناعي نفسه لم يعد الانتاج فيه مرتبطا بتشغيل اليد العاملة .

× المحور الثالث : ان القوة الدافعة للاقتصاد العالمي في مجال انتاج السلع وتقديم الخدمات أصبحت تعتمد على انتقال رؤوس الأموال وليس على الحركة التجارية وحدها .

لعل هذه التغيرات في إطار الاقتصاد الغربي الرأسمالي تفسر لنا بعض ما يحدث لدى العملاقين الاشتراكيين - الاتحاد السوفييتي والصين - كما لخصنا توجه كل منهما في السابق .

في اطار الاقتصاد العالمي التقليدي كانت هناك مقولة شبه ثابتة وهي أن المواد الأولية الأساسية للصناعة مرتبطة بشكل ما بالاقتصاد الصناعي ، ولقد أثبت تاريخ الاقتصادي الحديث - إن مدحا أو قدحا - للبحث العلمي المتط ! ان هذه العلاقة لم تعد بذلك الارتباط ، بل ان بعضها قد ضعف الى درجة الاضمحلال .

أما انهيار أسعار المواد الخام (عدا النفط) فقد بدأ عام ١٩٧٧ وا...
بالهبوط ـ باستثناء عام ١٩٧٩ ـ حتى بلغ في العام الماضي (١٩٨٦) أد...
مستوى له سجله التاريخ الاقتصادي المدوّن ـ مقارنة بأسعار الصنا...
والخدمات ـ ولقد لوحظ هذا التدني خاصة في معدني الرصاص والنحاس .
ورافق هذا التدني في أسعار المواد الأولية والأساسية انحسار في الطلب ، و...
تناقض خارج عن مألوف النظرية الاقتصادية التقليدية .

حتى في المواد الغذائية ـ بعد صيحات نادي روما في وسط السبعينيا...
وبعض المؤسسات الأخرى التي حذرت العالم من نقص في الغذاء ـ جاء...
الحقائق الاقتصادية بعكس ذلك . فقد زاد انتاج العالم من المواد الغذائية بمقد...
الثلث بين عامي ١٩٧٢ ـ ١٩٨٥ ليصل الى أعلى مستوى بلغه حتى الآن ،
الوقت الذي تناقصت فيه اليد العاملة في القطاع الزراعي في البلدان المتقد...
وكذلك تناقصت نسبة مساهمة قطاع الزراعة في الدخل القومي ، عدا الا...
السوفييتي .

تغير الهيكل الأساسي للاقتصاد :

■ هذه الحقائق توصلنا الى القول بأن الاقتصاد القائم على المواد الخا...
التي تنتج في الغالب في العالم الثالث ـ أصبح منفصلا عن الاقتصاد الصناعي
الغرب ، ويعتبر هذا تغيرا في الهيكل الأساسي للاقتصاد العالمي له آثاره الها...
خاصة على العالم الثالث في الوقت الحالي وتتفاقم هذه الآثار في المستقبل

فالنسبة بين أسعار المواد المصنعة وأسعار المواد الخام التي تستخرج ...
الأرض لم تعد مرتبطة ببعضها ، ولم تعد دول العالم الثالث المنتجة للمواد الأو...
والأساسية قادرة على سداد ديونها عن طريق التبادل ، أو حتى الوفاء بحاجا...
التنمية عن طريق بيع منتجاتها بأسعار معقولة في السوق العالمي .

ان الباعث على هذا التغير متعدد الجوانب ، فها هي صيحا...
التخويف التي أطلقت في السبعينيات قد حثت الدول المتقدمة على الاستث...
في الانتاج الغذائي تحسبا لحدوث نقص خطير في المواد الغذائية مثلما حذر...
تلك الدراسات ، كما أن دولا مثل الهند والبرازيل وبيرو وأندونيسيا قد طو...
من تقنياتها الزراعية حتى أصبحت قريبة من الاكتفاء الذاتي ، بل والتصد...

الا أن الاكتفاء الغذائي يمكن ملاحظته بشكل أكبر في أوروبا التي ...
مها اليوم سوق يمكن أن نطلق عليه « سوق استيراد المواد الغذائية » ،

العلاقة تنفصل بين دول المواد الخام ودول الصناعة المتقدمة

الازدهار الذي شهدته القارة الأوروبية في الانتاج الزراعي لم تعد بحاجة الى الاستيراد الكبير بل أصبحت مصدرة لبعض مواده .

ان الدولة الوحيدة الكبرى التي ما زالت تستورد المواد الغذائية هي الاتحاد السوفييتي ، وهذا ما يفسر لنا الجهود المتوالية لاصلاح السياسات الزراعية .

أما السلع الأساسية غير الغذائية فإن الطلب عليها قد بدأ يتناقص ، لأن التطور العلمي من جهة قد بدأ يزيد من كفاءة استخدامها الصناعي ، ومن جهة أخرى تم الاستغناء عن بعضها وتعويضها بمواد أخرى تؤدي نفس الغرض . من جهة كفاءة الاستخدام الصناعي في انتاج الوحدة الاقتصادية نجد أن الخبرة اليابانية في هذا المجال ملفتة للنظر ، فخلال عام ١٩٨٤ صارت اليابان تستهلك لانتاج الوحدة الاقتصادية الواحدة من الانتاج الصناعي حوالي ٦٠٪ فقط من المواد الخام التي كانت تستهلكها لانتاج نفس الوحدة في ١٩٧٣ أي أنها في خلال احدى عشرة سنة قد وفرت ٤٠٪ من المواد الخام لانتاج نفس الكمية من المنتجات !

أما من جهة الاستغناء الكلي فقد تم تعويض بعض السلع بسلع أخرى استخدمت خامات جديدة ، حيث يكفي اليوم مثلا أسلاك مصنوعة من (الفيبر جلاس) لا يزيد وزنها على (٥٠ ـ ١٠٠ رطل) لنقل مكالمة هاتفية كانت تحتاج الى ما زنته ١٠٠٠ جرام من النحاس في السابق ، ويجتهد العلم ليسحب هذا الوفر على الاستهلاك بما في ذلك السلع الاستراتيجية .

لذلك لا تلوح في الأفق أية بوادر تشير الى احتمال زيادة أسعار المواد الخام لتتناسب مع زيادة أسعار المواد المصنعة أو الخدمات التي تصدرها الدول المتقدمة بل إن التوجه العام هو أن تنخفض تلك الأسعار

فك الارتباط بين الإنتاج الصناعي وتشغيل الأيدي العاملة .

■ التغير الرئيسي الثاني في هيكل الاقتصاد العالمي ـ كما تقول النظرية الجديدة ـ هو فك الارتباط الذي كان قائما بين الانتاج الصناعي وتشغيل الأيدي التي تعمل بالصناعة ، ففي البلدان المتقدمة صارت زيادة الانتاج تعني التقليل من استخدام الأيدي العاملة ، ونتيجة لذلك فقد أصبحت تكاليف اليد العاملة لا تشكل سوى نسبة ضئيلة من التكاليف الاجمالية للمنتجات الصناعية تقل باستمرار ، ولم تعد عاملا بارزا في التنافس بين الشركات . وسادت مقولة اقتصادية تمسك بها كثيرون في العالم الثالث للتدليل على إمكانية

المنافسة . . وهي (رخص اليد العاملة !) .

الحركة الصناعية في الدول الصناعية الكبرى تـزداد باطّـراد ، ولكن حجم اليد العاملة في الصناعة يقل باطّراد أيضا نتيجة سياسة التطور التقني السريع (الاتمته) ، وتحول اليد العاملة العالية التدريب الى العمل في قطاع الخدمات الحديثة .

هذا التطور يوقع بلدان العالم الثالث في مأزق آخر ، وهو أنه لم يعد ـ لرخص اليد العاملة ـ يمثل امتيازا نسبيا لديها خاصة مع تخلف في مستويات التعليم ونقص في امتلاك المهارات التي تحتاجها الصناعات الدقيقة ، وصناعة المعلومات ، أما صناعة الاتصالات والمعلومات والصناعات الدقيقة والبحث العلمي والمعرفة والتقدم التقني ومختبرات التطوير والأدوية ، فهي التي تأخذ النسبة الكبرى من اليد العاملة في البلدان المتطورة وتترك البقية للآلة لتقوم بالعمل من ألفه الى يائه .

الاقتصـــاد الرمـــزى .

■ التغير الرئيسي الثالث في هيكل الاقتصاد العالمي هو طغيان وشيوع ما يسمى بالاقتصاد (الرمزي) وهو انتقال رؤ وس الأموال وتدفق الودائع والمضاربة في أسعار تبادل العملات والتجارة غير المطورة ، هـذا النوع من الاقتصاد ـ حتى فترة متأخرة ـ لم يكن الاقتصاديون التقليديون يعتبرونه اقتصادا حقيقيا ، فذلك عندهم هو الذي يعتمد على تدفق البضائع والخدمات ، الا أن وجود الاقتصاد الآخر (الرمزي) لا يخفى على أحد اليوم ، كما أن تأثيره واضح للعيان ، وأصبح سوق ما يسمى (الاقتصاد الرمزى) سوقا ضخمة تتداول فيها أموال طائلة . هذه الأموال قد يجري تداولها أكثر من مرة في اليوم الواحد منتجة لأرباح كبيرة .

الملاحظة الأساسية هنا ، هي أن تحركات رأس المال ليس لها ـ كما كان في السابق ـ علاقة بالتجارة العالمية بمعنى انتقال السلع والخدمات ، كما أنها

■ رأس المال يطوف العالم ويرسو في الأماكن التي تريحه ، ودول العالم الثالث حيرى وسط هذه التغيرات دون مراس آمن

ليست متصلة بها ، بل أصبحت هناك حركة مالية تتخطى الحدود ، وتغير من نظريات اقتصادية كاملة ، كأن يكون العجز في ميزانية الولايات المتحدة أكبر عجز في التاريخ ، ومع ذلك تستقطب أموالا وسيولة نقدية عالمية ، تجنبها ـ الى حين ـ مواجهة المشكلات الاقتصادية المعقدة .

هذا الاقتصاد الرمزي ، أهم ما يميزه أنه خارج القوانين الاقتصادية الوطنية ، يبحث عن أرباح حتى لو كانت في المناطق الحرة في الصين ! .

وفي نفس الوقت يضرب عرض الحائط بعناصر الاقتصاد المعروفة كدورة رأس المال ومعدل الربح ونوع النشاط وقضايا العمالة .

مؤشرات المستقبل :

■ قد يكون من السابق لأوانه التنبؤ بما سيكون عليه الحال الاقتصادي العالمي في المستقبل ، الا أن هناك مؤشرات واضحة المعالم تدفعنا ـ نحن في العالم الثالث ـ على التفكير الجدي ، فلا النظريات التقليدية الاشتراكية في الاقتصاد ثابتة ، بدليل المحاولات التي تمت في الاتحاد السوفييتي وفي الصين ، ولا عاصر النظريات الكلاسيكية في الاقتصاد الرأسمالي ثابتة أيضا . وأكبر المتضررين مما يجري هي دول العالم الثالث الفقيرة ، ذات المصادر الأولية غير المصنعة من المواد الخام .

ولم تعد تلك المصادر الأولية أساسية للاقتصاد الصناعي حيث يقل الاقبال عليها عاما بعد عام ، كما لم يعد رخص اليد العاملة فيها ايجابيا للتنافس بعد (الاتمتة) مما يفاقم مشكلاتها الاجتماعية .

مسألة بهذا العمق لا يمكن الاجابة عنها ببعض العبارات التحذيرية أو التشجيعية . جوهر القضية هنا متعدد ، فهناك العلاقات الاقتصادية بين دول العام الثالث بعضها ببعض والتي يجب أن تعدل ، فقد كان الجنوب تاريخيا سلة المواد الخام للعالم ، أليست المسألة معلقة على الاستغلال الأمثل لهذه المواد الخام ؟

وهناك أيضا حتمية النظر الى طرق جديدة وغير تقليدية لادارة التنمية واستغلال الموارد في هذا الجنوب وصولا الى تكامل حقيقي بين بلدانه .

وفوق ذلك كله فالمطلوب في حقيقة الأمر وضع سياسات اقتصادية حديثة ومناسبة تواكب العالم الذي يتغير من حولنا .

الشخصية العربية في التلفزيون الأميركي

بقلم : الدكتور جاك شاهين *

نتساءل باستمرار لم هذه النظرة الدونيّة الشوفينية من جانب الغرب للانسان العربي ، وكأنه المصدر لكل شرور الدنيا وآثامها ، والوريث الأوحد لأحقاد الغرب التاريخية . ان الكرامة الانسانية تبقى دائما فوق حملات الجهل مهما بدت عاتية قاسية .

لكن هل هناك بقية من أمل في تعديل هذه النظرة الزائفة الظالمة ؟؟

إن مفاهيمنا الخاصة عن شعب ما ، وعن قضاياه وتاريخه لاتأتي ـ للأسف ـ من خلال تجاربنا الذاتية المباشرة ، لكن من خلال تراكم المعلومات التراثية والشعبية التي وصلت الينا بطريقة غير مباشرة ، وهذه المعلومات تشكل ـ كما يقول الصحفي الأميركي الشهير « والتر ليبمان » ـ الجزء الأكبر من أفكارنا ، وتخلق في عقولنا تلك الانطباعات الراسخة الثابتة .

* استاذ وسائل الاتصال في جامعة جنوب الينوي في الولايات المتحدة الامريكية

ان هذا الاسلوب التعسفي للمعرفة يحد ـ حتما ـ
الـرؤية الصحيحـة الشاملة ،حيث تصبـح
ـوراتنا وانطباعاتنا قاصرة ناقصة ، أشبه ماتكون
ـورات ذهنية نمـطية ، تمثـل رأيا شعبيـا ساذجـا
ـيطا ، وتتمثل خطورة هذه الانطباعات بسطوتها
ـأثيرها على التفكير العقـلي المجرد ، لأنها قـد
ـبحت أشبـه بمسلمات مـطلقة ، غـير خـاضعـة
ـعديل أو النقد ، وترداد هذه الصور والانطباعات
ـوحا كلما اتسعت المسافة بيننا وبين شعب لانعرف
، كثيرا ومن يشككون بهذه الصور المسبقة التي
ـوزها الدقة والأمانة العلمية قليلون ، هذه المفاهيم
ـسلبية ـ للأسف ـ تتحول تدريجيا فتصبح مقولات
ـبولة ، وهكـذا يتعرض هـذا الشعب أو ذاك الى
ـلات التجـريـح والتعصب الأعمى والتحـامـل
ـبغيض

للاسامية لم تمت

ان هذه الصور السلبية لدى الغرب عن الشرق
الشرقيين هي التي أشعلت فتيل العنصرية ، وأدت
ـ الصـراع ، ثم الـدمـار الـذي لحق بـالشعبـين
ـأمريكي والياباني خلال الحرب العالمية الثانية لقد
ـأت السينما الأمريكية وكذلك الصحافة على تصوير
ـأسيويين كـأشـرار همجيـين ، ولحسن الحظ أن
ـستيريا الخطر الأصفر قد زالت مع انتهـاء الحرب
ـعالمية الثـانية ، لكن الصـورة المغلوطة نفسهـا قد
ـولت عن الرجل الأصفر الى الشخصية العربية ،
ـهذا ما نحده اليوم شائعا سائدا في الصحافة والرواية
ـالتقارير الاخبارية والتلفزيون والسينـما صحيح
ـد هناك حاليات وأقليات كثيـرة قد تعـرضت لهذا
ـلمسخ الاعلامي لشخصيتها الوطنية كالزنوج والهنود
ـلحمر والايطاليين والأمريكيين الجنوبيين ، لكن مع
ـزيادة الوعي الاجتماعي بدأت هذه المفاهيم السلبية
ـنحصر ـريجيا لتتخذ شكلا أكثر توازنا ، وقد كان
وراء هذ ـالتحول المفاجيء حركة الحقوق المدنية التي
اشتعلت ـ الستينيات فساعدت ـ فعلا ـ على تعديل
النظرة ـميركية ـ ولوبقدر متواضع ـ بالنسبة لمعظم
الحاليات ـأمريكية الأخرى .

وقد ـد الاعتبار لكرامة هذه الحاليات ، ولم يعد
اليابانيون أشرارا ، ولا الهنود الحمر متوحشين ، ولا
الايطاليون جميعهم أعضاء في عصابات المافيا ،ولا
الجنـوبيون قـطاع طرق ، بقيت اليـوم الشخصية
العـربية وحـدها تمـاثل الصـورة القديمـة البغيضـة
لليهـودي الجشـع في الاعـلام الغـربي ، لأن ذلـك
اليهودي الفوصوي الارهابي الكريه ـ كما صورتـه
وسائل الاعلام الغربية في فترة ماقبل الحـرب ـ قد
احترقت صورته تماما في أتون المحـارق النازيـة ،
ولكن الصـورة (الكاريكـاتوريـة) الاستفـزازيـة
القديمة عادت مرة أخرى ، ولكن بتعديل طفيف تم
استبدال نجمة داود بالعباءة ، والقلنسـوة اليهودية
بالكوفية العربية . ان التعصب ضد السامية لم يمت
اذن ، فلقد تم استبدال شعب سامي بشعب سامي
آخر هو العرب

ان تقـديم الشخصيـة العـربيـة في التلفـزيـون
الأميركي على هذه النمطية المغلوطة يفصح عن نزعة
لا أخـلاقيـة ولا انسـانيـة ، وان الجهـل والخوف
والتعصب قـد تـسـاعـد عـلى اذكـاء هـذا المفهـوم
والاستمـرار فيه . قـد تكون النـوايا غـير محـوبـة
الجوانب ، وقد تكون الدعاية الحاقدة هي المحرك ،
لكن النتيجة هي تحطيم الجانب الحقيقي للشخصية
العربية في الوجدان الأميركي العام ، لأن المشـاهد
الأميركي العادي لايقوى على التمييز بين الصـورة
التلفـزيونيـة والصورة الـواقعية وحـول خطورة
البرامج التلفزيونية العادية يقول البروفسور « أريك
بارنو » ان ما اصطلح على تسميته بالبرامج الترفيهية
التي يفترض أن تكون للتسليـة والراحـة النفسية ،
والتي يفترض أيضا أن تزودنا بخبرة حيادية سلبية هي
في حقيقة الأمر خبرة معقدة جدا ، فنحن نستوعب
مايقال مع اغفال تام لاحساسنا التحليلي النقدي . كما
أنني أعتقد أن السياسة في التلفزيون لاتعني بالضرورة
مجموعة الخطب أو التصاريح ولكنها تعني الأعمـال
الدرامية ، فـان الدرامـا التلفزيـونية هي نـوع من
الدعاية لأمر ما ، وهي بعد ذلك نوع من السياسة ،
وكما يقول الدكتور « جـورج جيربـز » عميد كليـة
وسائل الاتصال في جامعة بنسلفانيا : « ان التلفزيون
يقـوم حاليـا ـ أكثر من أي مؤسسـة ثقافيـة أخرى ـ
بتشكيل المعايير والقيم والسلوكية الأميركية ، وكلما
زادت مشاهدتنا للتلفزيون زادت معتقداتنا السائدة

بما يقوله التلفزيون عن هذا العالم الخارجي ، على الرغم من أن معظم مايعرض هو محض افتراء ، أو تضليل اعلامي دعائي »

وأي برنامج تلفزيوني ناجح في أميركا يشاهده في أثناء العرض الأول أكثر من ٤٠ مليون مشاهد ، ومع امكانية تكرار العرض قد يرتفع الرقم الى ١٥٠ مليون مشاهد

العربي البشع « ماجو »

من خلال دراسة الصورة العربية في البرامج التلفزيونية الأميركية التي تم حصرها من عام ١٩٧٥ الى عام ١٩٨٥ م ، ورصد أكثر من ١٠٠ عمل تلفزيوني متنوع ، وقد تناولت تلك الأعمال جميعها الشخصية العربية ، وأبرزتها في برامج الأطفال ، والبرامج الدرامية ، والكوميدية ، ولعل أخطر هذه البرامج وأكثرها تأثيرا هي برامج الأطفال ، فإن معدل مايقضيه الطفل الأميركي أمام الشاشة الصغيرة يصل الى ثلاثين ساعة أسبوعيا ، كما تدل الاحصاءات الرسمية أن الشبان الصغار يقضون ./ ١ أوقاتهم أمام جهاز التلفزيون وعند تخرجه في المرحلة الثانوية يكون هذا الشاب الأميركي قد أمضى من عمره أمام التلفزيون ضعف ما أمضاه في فصول الدراسة ، وبالأرقام فان هذا الشاب قد أمضى ٢٢ ألف ساعة أمام التلفزيون ، مقابل ١١ ألف ساعة في حجرات الدراسة ، وحتى قبل السن التعليمية يستوعب الطفل كثيرا من هذه المفاهيم المغلوطة المتميزة ، ثم تنتقل معه انطباعاته الطفولية التي اكتسبها من خلال وسائل الاعلام الى مرحلة الشباب ، ثم الى مرحلة النضج والرشد ، ونتيجة لهذه التعبئة الاعلامية المستمرة ضد العرب كشفت احدى الاستفتاءات مدى الجهل والافتراء المغروس في أعماق الشبيبة الأميركية ، حيث جاءت معظم تعريفاتهم للعرب أنهم شعب همجي وحشي مولع بالحرب والقتال ، واسع الثراء ، مستعبد للنساء

قالت احدى المعلمات الأميركيات العاملات في الأردن عن انطباعها الأولي عن العرب بأن هذا الانطباع قد تكون لديها من خلال شخصية « ماجو » الشرير في احدى المسلسلات الكرتونية المستوحاة من قصص ألف ليلة وليلة ، فلقد كانت هذه الشخصية بشعة وكريهة ، وهذا ماانطبع في وجدانها ا طفولي عن العرب ، ولم تسعفها الذاكرة عن أي شخصية ايجابية عربية كانت قد شاهدتها أو سمعتها

ان التلفزيون الاميركي يسعى دائما الى ابراز الشخصية العربية بعدة نماذج وهمية، فالعربي يعني للمشاهد الاميركي الثروة الخرافية الطائلة ، فالاحصاءات الدولية تقول ان معدل دخل الفرد العربي العادي يقارب ألف دولار سنويا ، والعربي يعني عندهم التطرف الديني ، وذلك على الرغم من أن الاسلام يدعو الى التعاطف والرحمة واحترام المسن والضعيف ، أما التطرف المزعوم فهو بعيد عن جوهره ومبادئه السمحة كذلك يعني العربي بالنسبة للأميركيين الهوس الجنسي ، والولع بالرقيق الأبيض ، علما بأن معظم الرجال في وطننا العربي ليس للواحد منهم غير زوجة واحدة فقط ، كما تعتبر الأسرة في المجتمع العربي هي القاعدة الاساسية للمجتمع القائم على الدين والأخلاق ، أما الرقيق الأبيض المزعوم فهو جريمة في عرف القانون في كل أرجاء الوطن العربي

أمة من القتلة

كذلك ينظر الأميركي الى العرب على أنهم مجموعة من البدو الرحل الشرسين المشربين بالروح العدوانية . وعلى الرغم من شظف العيش ومرارة المعاناة للحياة الصعبة للبدوي العربي فهو رمز باق للكرم والنخوة والشرف والقدرة على التحمل والعربي في نظر الأميركيين أيضا يعني الارهاب على الرغم من ممارسته من قبل أقلية ، وقد عرفت الأرهاب أيضا معظم شعوب العالم في أوروبا وفي أميركا نفسها يقول الصحفي « دافيد لامب » « ان ذلك الزعم هو مجرد اجحاف وافتراء ، فقد ارتكبت في أميركا وحدها في سنة واحدة هي سنة ١٩٨٢م أكثر من ١٩ ألف جريمة قتل ، ولو قسنا ذلك بنفس المنطق المزعوم لكانت أميركا اذن أمة من القتلة والسفاحين » .

كما ينظر الأمريكي الى وطننا العربي كبؤرة للعنف الدموي ، رغم أن معظم المدن العربية الكبرى تنعم بأمن واطمئنان تحسدها عليه أي مدينة أو قرية أميركية

مميزة ، والعرب أيضا في نظرهم فئة رأسمالية جشعة جاءت لتشتري أميركا ، وتستولى على جيرانها ، رغم أن التقارير الأميركية نفسها توضح ان الاستثمارات العربية في أميركا لاتكاد توازن مع غيرها من الفئات الأجنبية الأخرى ، كما أن الاستثمارات العربية تبدو متواضعة جدا أمام الرساميل اليابانية والكندية والألمانية والسويسرية ، ومع ذلك فهم يصرون على تسميتها « بالأموال العربية » ، بينما لايلاقي المارك أو الفرنك أو الين هذا الوصف التعسفي المقصود ، وعندما يشترى عربي عقارا ما في أميركا تتحول الصفقة التجارية الى فضيحة أخلاقية ، بينما تعتبر الصفقات التجارية الأخرى - غير العربية - استثمارات مضمونة سليمة ، وحين يشتري ثري عربي لوحة ثمينة ينظر اليه على أنه مثال للتخلف والانحطاط والتفسخ الحضاري ، أما اذا كان المشتري أوروبيا فهو مثال رائع للتمدن والتحضر والثقافة الرفيعة كذلك يعتبر الأميركيون منظمة الأوبيك منظمة عربية ، علما بأن العرب يمثلون سبعة أعضاء فقط من بين ١٣ عضوا ، والجدير بالذكر هنا أن دولتين غير متسببتين الى منظمة الأوبيك - وهما المكسيك وبريطانيا - استطاعتا وحدهما عام ١٩٨٥ أن تنتجا من النفط أكثر مما أنتجته السعودية في نفس العام

أصبحت عادة أن يرافق تقديم هذه الصورة المهزوزة للشخصية العربية كل ما يلزم من تزاويق وكماليات مظهرية كملابس الرقص الشرقي ، والحجاب ، والكوفية ، والعباءة ، والنظارة السوداء ، والبترول والسيارات الفارهة ، والجمال ، وتنحصر هذه النماذج العربية في أدوار الثري والارهابي الشرير

السادة صناعة عربية

ان لعل الأميركي يربى - منذ نعومة أظفاره - على كراهية العرب ، أو على الأقل احتقارهم ، فمن خلال مع الأطفال الكرتونية المنوعة في التلفزيون يشاهد الطفل أبطاله المحبوبين وهم ينتصرون على هؤلاء العرب الأشرار ، وينقذون العالم من مكائدهم وشرورهم ، فهذا « وودي بيكر » يحشر جنيا عربيا داخل قمقمة ، و« بوباي » يستعرض عضلاته المعهودة في تأديب شيخ عربي يرتدي لباس الذئب ، وهذا « الرجل المطاطي » يقذف بيضة فاسدة في وجه أحد السلاطين العرب ، وهذا « بوركي بيج » يلقي بأحد العرب في برميل الشراب ، وهذان « لافيرن » « وشيرلي » يحبطان محاولة أحد الشيوخ العرب لغزو أميركا وتدمير العالم ، وهذان « لوريل » « وهاردي » ينقذان بطلة المسلسل من جناح الحريم المحجوزة فيه ، بينما يحجز المصريون « مورك » و « موندي » في احدى حجرات الأفاعي داخل الأهرامات ، وعندما يحاول ساحر عربي تحويل « سكوبي دو » الى قرد ينقلب سحره عليه فيتحول العربي نفسه الى قرد ولعلنا نلاحظ أن جميع هذه المسلسلات الكرتونية - المعدة أصلا للأطفال - لاتخلو من تقديم هذه الشخصية العربية بشكل استفزاري ساخر ، وكأن الحماقة والبلاهة والخبث صفات عربية أصيلة ان بذور الكراهية والاحتقار تنمو مع الطفل الأميركي ، وتنقل معه الى مرحلة الشباب ليلاقي هذا الأميركي في برامجه الجديدة - من مسلسلات اجتماعية وبوليسية وكوميدية - ما كان يشاهده وهو صغير عن تلك الشخصية العجيبة ، فهذا - مرة أخرى - « ستيف أوستن » أو « الرجل الحديدي » يجبر بالتهديد على تسليم بعض القنابل النووية الى أحد الدبلوماسيين العرب الذي يحاول في مؤامرة سياسية خلع ابن عمه عن العرش ، لكن مستر « اوستن » استطاع في اللحظة الأخيرة انقاذ البشرية من براثن هذا العربي الخطر وفي أحد عروض المصارعة نفاجأ بأسماء عربية يطلقها هؤلاء المصارعون على أنفسهم مثل (أكبر) و (الشيخ الحديدي) ، وعندما يصعد هذا « الشيخ الحديدي » الى الحلبة يبدأ بالصراخ والهتاف لروسيا ، وشتم أميركا ، ثم ينهي تصريحه السياسي بالبصاق على الأرض ، وعلى الجماهير أيضا ، ومصارع آخر يبدأ العرض بالتهام دجاجة حية أمام الجمهور . انها صور مؤذية حقا لخلق الانطباع لدى الجمهور بأن من يمارس هذا العمل الهمجي هم العرب فقط ، ثم يأتي صوت المعلق من بعيد قائلا ان هؤلاء يمارسون المصارعة حبا في القسوة والتعذيب ،

وليس لأي هدف رياضي آخر ، وكأن السادية صناعة عربية خالصة !

لاعزاء للمشاهدين

أما الدراما التلفزيونية البوليسية ومانحويه من عنصري الاثارة والتشويق فتجدب لمشاهدتها الصغار والكبار معا فما موقع الشخصية العربية داخل هذه المسلسلات الشعبية الناجحة ؟ في احدى حلقات « ملفات روكفورد » يبرز المسلسل أسرة عربية متحجرة القلب ، عديمة الرحمة والشفقة ، وحين يعلم روكفورد بوجود علاقة عاطفية بين صديقه « سيسن » وفتاة عربية متزوجة يحدره قائلا بأنه لايريد رؤيته معلقا رأسا على عقب ، و (العرب يتسلون بنكش أسنانه) ، وحين يكتشف الأب العربي هذه العلاقة يعقد مجلس العائلة محاكمة صورية عاجلة ، ويحكم بالموت على هذه الفتاة العربية ، ويشاهد أحد أفراد الأسرة ونسخة من القرآن الكريم أمامه وهو يصرخ قائلا يجب أن يكون التنفيذ في بلادنا وليس هنا ، وتدفع الأسرة الفتاة قهرا الى طائرتهم الخاصة ، لكن « روكفورد » ـ وبحيلة ما ـ يدبر احراء تفجير متعمد تستطيع الفتاة على اثره الهروب مع « روكفورد » ، ويموت عند حدوث ذلك الأب بنوبة قلبية ، ولاعزاء له من المشاهدين كذلك تحاول الدراما التلفزيونية تصوير الانسان العربي كأنه وحش حنسي مولع بشقراوات أميركا ، ففي احدى حلقات فيجاس » يقوم الممثل « سيزار روميرو » باغواء الفتيات الاميركيات ، ثم تخديرهن ، وتسفيرهن الى الجزيرة العربية ، ويقول في احدى اللقطات مخاطبا احداهن · انك بالنسبة لي لاتساوين شيئا ، لكن هناك من سيدفع لهذا الجسد وهاتين العينين ٢٥ ألف دولار

وتتكرر هذه القضية المزعومة في مسلسل آخر حيث يتصدى « ماكلاود » لمجموعة من المهووسين العرب الذي يختطفون احدى ملكات الجمال ، في أثناء احتفالات المسابقة ، لكن « ماكلاود » يحررها ومن معها من جناح الحريم التابع لذلك العربي البدين الذي يفضلهن شقراوات صغيرات ، وفي احدى حلقات « تشيبس » نشاهد سائقا عربيا أرعن يحاول رشوة الضابط الذي حرر له مخالفة مرورية وحين يرفض الضابط باصرار نرى الشاب العربي يعلق مستغربا : « ان ذلك شيء عادي في بلادي » ثم لاننسى كيف استطاع « بونش » تأديب هذا الفتى العربي ، واعطاءه درسا في آداب المرور ، واحترام القوانين ، وبأن الصداقة شيء لايشترى بالمال

نقطة بيضاء في محيط

أما المسلسلات الكوميدية الاجتماعية المثيرة فالحضور العربي فيها يعني حضور الغمر واللمز والسخرية من كل شيء عربي ، وفي أكثر من ثلاثين عملا تلفزيونيا من هذا النوع يبدو العربي انسانا غريب الأطوار ، ومن تلك الاعمال « الفريق الأول » و « داينستي » و « مات هوستون » و « السيارة العجيبة » ، والنماذج كثيرة لاداعي لحصرها ، لكن يبقى السؤال معلقا الى متى هذه المهزلة الاعلامية ؟ لاشك أن الدور المطلوب من الجاليات العربية الأميركية يجب أن يكون أكثر عمقا وشمولا ، فمنهم المحامي والطبيب والعالم ولكونهم أولا وأخيرا ذلك العربي المهزور الصورة الذي يطل عليهم من تلفزيونات بيوتهم ، في عقر دارهم ، ولأن الأقليات الأخرى استطاعت أن تعيد الاعتبار الى رموزها الوطنية الأصيلة ، فأصبح للزنوج أبطالهم الايجابيون ، ولأن بعض منتجي التلفزيون يقولون بأنهم لايصمرون عداء للشعب العربي انما هي فنية الأمور وسهولة العمل الكتابي واعجاب الجمهور ـ كما يزعمون ـ هو الذي يقف وراء هذا الاستمرار المشوه لتلك الصورة العربية النمطية التي آن الوقت لتغييرها صحيح أن بعض حلقات « السنافر » قد قدمت شخصية عربية ايجابية ، وهي عبارة عن أب عربي وابنه العبقري علم الحبر ، لكن هذا يبقي مجرد نقطة بيضاء صغيرة في ذلك المحيط المدلهم الواسع ، ان المطلوب مزيد من التوعية والادراك ونقل ذلك الى الآخرين فإن الرؤية الشاملة للأمور مطلب أخلاقي وسياسي معا ، لهذا وعلى كتاب هذه الأعمال التلفزيونية أن ينظروا إلينا كشعب له كرامته ، وله شخصيته الانسانية الجديرة بكل احترام وتقدير

مرت ثلاثون عاما على تأميم عبدالناصر لقناة السويس وما تلا ذلك من عدوان اشتركت فيه جيوش ثلاث دول : هي بريطانيا وفرنسا و اسرائيل • • ولا يعتبر الكاتب ما حدث في أثناء الأزمة درسا شاذا ، ولكنه يعتبر استخدام القوة ظاهرة حدثت في الماضي وتحدث في الحاضر وسوف تحدث في المستقبل . وأننا نعيش في نظام دولي يتعامل بالقوة أكثر من تعامله بالحق .

في الساعات الأولى من صباح الثلاثاء ١٥ ابريل ١٩٨٦ قامت مائة وعشرون طائرة ية أمريكية من قواعدها في المملكة المتحدة ، ومن ملات الطائرات المرابطة أمام السواحل الليبية ن عدة غارات على أهداف مدنية ليبية ، محدثة سائر جسيمة في الأرواح والمباني السكنية للمواطنين أجانب المقيمين في ليبيا . وكان الغرض الأساسي ، هذه العملية هو استخدام القوة الامريكية سقاط النظام الليبي رغم أن ليبيا دولة مستقلة ذات يادة

كان هذا نفس ما حدث منذ ثلاثين عاما ، حينما أ العد ان الثلاثي بعملية قادش الاسرائيلية يوم ٢ أك ر ١٩٥٦ والتي تلتها عملية موسكتير في ساعة ١٩٠ يوم ٣١/ ١٠/ ١٩٥٦ ، والتي بدأت بيام ات الانجلو - فرنسية بضرب المطارات مصر وبعد ثمان وأربعين ساعة تمت عملية نزال ـرية للقوات الانجليزية الفرنسية في بورسعيد لاحتلال منطقة قناة السويس ثم التقدم غربا لاحتلال القاهرة . وكان الغرض من هذا العدوان الثلاثي - أساسا - استخدام القوات المشتركة لاسقاط نظام جمال عبدالناصر الذي يمثل دولة مستقلة ذات سيادة .

وإذا أسقطنا الفوارق العديدة بين العمليتين ، فان جوهر الوسائل المستخدمة يبقى واحدا وهو استخدام القوة في ممارسة السياسة الدولية .

وبين الحدثين تمت عمليات كثيرة استخدمت فيها الدول العظمى قواتها المسلحة لفرض سياسات معينة ، كما حدث حينما استخدمت بريطانيا قواتها لاحتلال جزر فوكلند ، وكما استخدمت الولايات المتحدة قواتها العسكرية في عملية جرينادا ، وفي عملية انزال قواتها على سواحل لبنان ، بل يحدثنا التاريخ عن وقائع كثيرة لجأت فيها الدول الى استخدام قواتها المسلحة لفض المنازعات بينها ، الأمر الذي يجعلنا نتوقع تكرار ذلك في المستقبل وفي منطقتنا

بالذات ، حيث توارى القانون الدولي ، وتآكلت المنظمات الدولية والاقليمية التي ما عادت قراراتها تلقى احتراما أو تأييدا ، وحيث اختلطت الحدود السياسية بالحدود الامنية ، وحيث اعتدنا على قيام القوات المسلحة للدول باختراق الحدود رأسيا وأفقيا لغرض سياسات معينة .

وعلى ذلك فاهتمامنا سوف يتركز لا على الناحية التاريخية للأحداث ، ولا على صورة المعارك التي تمت على ساحة المعركة المترامية والتي شملت حوض البحر المتوسط وسيناء والجزء الأكبر من الدلتا ، ولكن جل اهتمامنا سوف يتجه الى تقييم استخدام القوة في المنازعات الاقليمية متحذين ما حدث في أزمة السويس كحالة دراسة لهذا التقييم

الأزمات الاقليمية واستخدام القوة

الأزمة سواء كانت عالمية أو اقليمية ، تعني مجموعة من التفاعلات المترابطة بين حكومتين أو أكثر لدول ذات سيادة ، تعيش في حالة صراع شديد ، ولكن بدرجة لا ترقى الى مستوى الحرب والمواجهة المسلحة ، مع الادراك بوجود احتمال عال لنشوبها ووقوعها . وهي تعني في نفس الوقت ادراك صاحب القرار بوجود موقف يهدد المصالح العليا للوطن ، ويتطلب وقتا قصيرا للبت في القرارات الجوهرية اللازمة للتعامل مع تغيرات الموقف

وبذلك ، فالأزمة ليست بالضرورة صورة من الخلافات المستمرة في التعامل بين الدول لأن الدول وهي تتعامل مع بعضها البعض انما تواجه بمواقف تتناقض فيها المصالح ، بحيث تعمل الأطراف على الوصول الى حلول وسط لحل الخلافات القائمة وعادة ما تبدأ الاجتماعات بين الدول بخلافات واسعة لا ترقى الى مستوى الأزمة ، ولكن الحوار المستمر على أساس قاعدة (الارادات الناقصة) يضيق من الفجوات الموجودة حتى يمكن الوصول الى تفاهم يحقق الرغبات الأساسية للأطراف ويعني ذلك أن الخلافات لا تصل بالضرورة الى سخونة الأزمة ، إذْ أنها تكون على مواضيع لا تهدر المصالح العليا للوطن .

والأزمة مرحلة من مراحل الصراع .. والصراع هو تصادم ارادات وقوى خصمين أو أكثر ، [illegible] هدف كل طرف منها هو تليين ـ وليس تحطيم ـ [illegible] الطرف الآخر حتى ينتهي الصراع بما يحقق الأغراض الرئيسية للاطراف المتصارعة .

وقد يصل الصراع في احدى مراحله الى در[illegible] الأزمة التي لا ترتفع فيها الأمور الى حد استخد[ام] القوات المسلحة ، أي ما يمكن أن نسميه بالموق[ف] الثوري ، الذي عرفه (ميترنيخ) بأنه الموقف الذ[ي] لا يصلح لمواجهته الا استخدام القوة ، أي المعر[كة] والتي هي احدى مظاهر الصراع ، شأنها في ذل[ك] شأن الوسائل الأخرى سواء كانت اقتصادية عقائدية أو دبلوماسية ، ولكنها تكون بمثابة التصا[عد] الأقصى ، أو بمثابة (أعلى درجة في سلم التصعيد كما أطلقنا عليها في كتابنا (الصراع العربي الاسرائ[يلي] بين الرادع التقليدي والرادع النووي)

وعلى ذلك فالخلافات بين الدول أمر طبي[عي] لاختلاف مصالحها ، بل لاختلاف مصالح كل د[ولة] بتغير الظروف الداخلية والخارجية التي تؤثر فيها أما الأزمات بين الدول فهي حالات طارئة اذا تمك[نت] الأطراف من تطويقها والتعامل مع أسبابها فا[نها] تذوب ، واذا حدث العكس فان تراكماتها قد تؤ[دي] الى الحرب

وعموما فيمكن تحديد خصائص الأزمة بأنها

* نقطة تحول في أحداث متعاقبة أصبحت [illegible] الأهداف العليا للدولة
* تتزايد فيها الحاجة الى التدخل الفعلي المؤ[ثر] لمواجهة ظروفها المتطورة .
* قرارات مواجهتها مصيرية ، اذ تشكل نتائ[جها] تغييرا في مستقبل الأطراف .
* تتميز بدرجة عالية من الشك في الخيارا[ت] المطروحة
* تحتم السيطرة على الأحداث ، حيث ان اد[ارة] الأزمة تتم في محيط نقص من المعلومات وغم[وض] وتغيرها ، وتحت ضغط نفسي كامل .
* تسبب حالة عالمية أو اقليمية من التوتر [illegible] مفاجئة ، وتكون عاملا لجذب قوى أخرى للم[نطقة] بدرجات متفاوتة حسب تأثر مصالحها بنتا[ئج] الأزمة .

الخطر والفرصة

والأحداث التي أدت الى العدوان الثلاثي كانت أزمة في حدود المفاهيم التي أوضحناها ، فقد كانت احدى حلقات أحداث متعاقبة كانت تهدد المصالح العليا للأطراف . وكان لا بد لهؤلاء الأطراف من مواجهة التطورات الخطيرة التي كانت تتابع . كما اتخذت قرارات مصيرية توقف عليها مستقبل العلاقات بين الأطراف ، وكان الغموض يكتنف كل سبلها

وأدت الى اهتزاز الاستقرار الاقليمي ، والتدخل العالمي في مراحلها النهائية ولكن هناك سؤال هام لا بد من الاجابة عنه : هل كان تأميم الشركة هو السبب الحقيقي للعدوان الثلاثي ، أم أنه كان ذريعة للتدخل المسلح كما هو الحال مع عديد من أحداث التاريخ ؟ حدث هذا في سيراجيفو صيف عام ١٩١٤ ، والذي قتل فيه الارشيدوق (فرانسيس فردينانـد) ولي عهـد النمسـا والمجـر بيـد طالب صربي والذي تسبب في اندلاع الحرب العالمية الاولى ويتطبق هذا أيضا على حادث المشادة بين المالطي والحمّار في الاسكندرية صيف ١٨٨٢ ، والذي كان ذريعة لقيام الأسطول البريطاني بضرب الاسكندرية ، ثم احتلال مصر بعد ذلك احتلالا دام أربعة وسبعين عاما . وحادث القاء باي تونس مذبله في وجه السفير الفرنسي مما أدى لاحتلال فرنسا لبلاده بعد ذلك . أو حادث مطار روما ثم مطار فيينا عام ١٩٨٦ ، والذي أدى لتدخل القوات الأمريكية ضد ليبيا وضرب موانئها ومطاراتها .

سبب أم ذريعة ؟

كان التأميم علامة على طريق طويل شاق زرعت فيه علامات كثيرة خطيرة أقلقت الاستعمار ، وجعلت فكرة العدوان تختمر في ذهنه خوفا على مراكز الوطيدة في المنطقة التي بدأت تهتز تحت ضربات الثورة المصرية الوليدة مما هدد مصالحه .

من معالم هذا الطريق معركة رفض الدخول في الأحلاف ساطو ... النفوذ ومقاومة حلف بغداد ، معركة حرب التحرير في قناة السويس ثم اتفاقية الجلاء ، معركة عدم الانحياز ، معركة كسر احتكار السلاح وعقد الاتفاقية الاولى مع تشيكوسلوفاكيا ، معارك القضاء على الرجعية والرأسمالية المستغلة والاقطاع .

كان كل من هذه الأحداث بمفرده كفيلا باستدعاء التدخل بالقوة بمفاهيم الفترة التي حدثت فيها ، وجاء التأميم ليكون القشة التي قصمت ظهر البعير .

وقد قام الاستعمار بمحاولات عديدة لاحتواء الثورة تارة بالوعود وتارة بالوعيد ، الا أن الثورة سارت في طريقها لا تلوى على شيء مما هدد مصالح الاستعمار . ولكن كانت معركة كسر احتكار السلاح وعقد الاتفاقية الاولى مع تشيكوسلوفاكيا الذريعة الأساسية لتدبير العدوان لأنها كانت عاملا يتعلق باختلال موازين القوى . اذ كان انشاء اسرائيل كجسم غريب في قلب الوطن العربي هو الوسيلة الفعالة ، للحفاظ على المصالح الغربية في المنطقة كعامل يحول دون انتشار الحركات الوطنية والمد القومي الذي كان يظهر بين وقت وآخر على شكل فورات لم تخطئها العين الاستعمارية ، وأخذت تعد العدة لاحتوائها

وما كان يمكن للخطة أن تؤتي ثمارها الا عن طريق التحكم في موازين القوى بين اسرائيل والأقطار العربية للحفاظ على الاستقرار الاقليمي في ظل النظام الجديد فكان ما عرف بالاتفاق الثلاثي الذي تم بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في مايو ١٩٥٠ ، والذي تعهدت فيه الدول الثلاث بالعمل المشترك ضد أي محاولة لاحتلال الارض في المنطقة باستخدام القوة ، وكانت هذه الدول قد عملت جاهدة على أن تظل « اسرائيل» محتفظة بالتفوق ضد القوى العربية . فاذا ما اختل هذا التوازن فان المصالح الغربية سوف تقع تحت تهديد مباشر ، وقد اتفقت الدول الثلاث على التشاور المستمر للتأكد من أن شحنات الأسلحة التي تنقل للدول المعنية ـ أي اسرائيل والعرب ـ لا تخل بالتوازن القائم ، وكان الأمل أن يتحقق ذلك بصفة مستمرة عن طريق مصادر السلاح الغربية ، والحيلولة دون اقتراب هذه الدول من السوق الشيوعية للسلاح .

ودون الدخول في أي تفاصيل خاصة باتفاقية السلاح بين مصر وتشيكوسلوفاكيا في أكتوبر ١٩٥٥ ، نذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية حاولت جهدها ايقاف اتمام الصفقة ، فقامت

الخارجية الامريكية بارسال جورج آلان الى القاهرة في محاولة يائسة انتهت بالفشل ، ويعلق ايزنهاور في كتابه «النضال من أجل السلام» على ذلك قائلا (ان المحاولات الشيوعية لاحداث القلقلة أصبحت مستمرة ، وقد اقتنع الحمر بأن الشرق الأوسط يشكل طريقا يخترق العالم الحي ، ويوجد خلافات في التعاون القائم بين البلاد الغربية ، ولا يمكن للولايات المتحدة أن تقف مكتوفة الأيدي ازاء ذلك ، وفي الظروف العادية كان يمكننا أن نترك لبريطانيا اتخاذ المبادأة للحفاظ على المصالح الغربية ، أما وقد أصبح الأمر يتعلق بتهديد سوفيتي فان الولايات المتحدة لا يمكن أن تلتزم الصمت وعلينا أن نتصدى لهذا التهديد .

بين دالاس ومولوتوف

وفي الأسبوع الثاني من أكتوبر عام ١٩٥٥ ، تحدث فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة مع مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي في هذا الشأن ، منذرا بأن الصفقة التشيكية قربت من حدوث حرب في المنطقة ، وزادت من شعور الكراهية ضد الاتحاد السوفيتي لدى الامريكيين بل قام ايزنهاور بكتابة رسالة الى الرئيس نيكولاي بولجانين قال فيها (لقد تسلمت رسالتك في ٢٢ أكتوبر بخصوص صفقة السلاح لمصر ، والتي ذكرت فيها أنه لا داعي للقلق من هذه الصفقة ، ولكن على الرغم من ذلك وبناء على معلوماتي فان هذه الصفقة قد زادت من خطر انتشار أعمال العنف في المنطقة ، ولقد طلبت من دالاس أن يقوم بمزيد من المباحثات مع مولوتوف في جنيف بهذا الخصوص) . كل هذه الضجة كانت بسبب انفلات السيطرة على ميزان القوى .

وعلينا أن نضيف الى وجهة النظر الامريكية في هذه الصفقة وجهة نظر بريطانيا ، نعتمد فيها على المذكرة السرية التي أعدها (ايفلن سكابير) ، الذي كان نائبا لوزير الخارجية البريطانية لشؤون الشرق الأوسط في ذلك الوقت ، والتي قال فيها بالنص الحرفي . (لقد كنا نفترض حتى الآن أن الخطر السوفيتي في الشرق الاوسط إما أن يأخذ شكل

العدوان المباشر أو الأعمال الهدامة بالنمط الـ[illegible] المألوف وقد كان اعتمادنا على الرجال الاقوياء نوري السعيد واللواء زاهدي والبكباشي عبدال[illegible] لاخماد النشاطات الشيوعية ، واعتمدنا أكثر التنمية وتحسين مستوى المعيشة ، وما الى ذلك [illegible] الثورة الجديدة في الدول العربية ولكن [illegible] الروس طريقة مختلفة تماما لاختراق المنطقة ، اختاروا أقوى دكتاتور وأشد المقاومين للشيوع[illegible] الشرق الاوسط ليؤيدوه وبغريزة تكاد تك[illegible] معصومة من الخطأ ، اختاروا ذلك الشكل الاغراء الذي لا يمكن لمثل هذا الرجل أن يقاو[illegible] والذي سيكون مضربا لكل الدول العربية الأخر[illegible] اد أن تزويد الأسلحة يعني بالنسبة لأي حار لاسر[illegible] شيئا واحدا فقط ، هو زيادة قوته ضد اسرائيل الواقع ، فقد استطاع الروس أن يجدوا [illegible] الضعف المركزية لموقفنا في المنطقة ، ألا وهي [illegible] اسرائيل كمحمية للغرب وقد اتخذ الروس [illegible] بتأييد العرب ، وهذه دون شك ضربة معلم ، يعتمد مستقبل هذا البلد ومستقبل أوروبا الغ[illegible] على رد فعلنا ضدها ، واذا استطاع الروس ا[illegible] الرأي العام العربي بأنهم مؤيدون للعرب اسرائيل وأن القوى الغربية تقف الى جانب اسر[illegible] فانهم سينجحون نسبيا في انتزاع موطىء قدم

وبتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٥٥ ، كتب المار[illegible] (تمبلر) رئيس هيئة الدفاع عن الامبراطورية [illegible] مبدئيا قال فيه إن الصفقة أدت الى انقلاب في [illegible] الدفاع عن المنطقة في الشرق الأوسط ، وان [illegible] السوفيتي قفز فوق حلف بغداد وأصبح له [illegible] سياسي مؤثر في قلب الشرق الاوسط ، [illegible] القاهرة للأسباب الآتية .

١ ـ ان صفقة السلاح مع مصر كبيرة ، وت[illegible] تسليح ثلاث فرق مدرعة طبقا للمعلومات الـ[illegible] لدى ادارة المخابرات العسكرية البريطانية

٢ ـ ان تسليح الجيش المصري على هذا [illegible] سوف يحدث خللا في موازين القوى الا[illegible] وسوف يمكن مصر من ممارسة دور أكبر [illegible] الاوسط .

٣ ـ ان اتجاه مصر الى موسكو للحص[illegible] السلاح يعني أنها لن تنضم الى حلف دفاع [illegible]

٤ ـ ان المثل الذي ضربته مصر سوف يغري آخرين بأن يسلكوا نفس الطريق .

٥ ـ سوف يؤدي هذا الوضع الى سباق تسلح في المنطقة ولا يستبعد أن تقرر«اسرائيل»أن تهاجم مصر قبل أن يتمكن الجيش المصري من استيعاب أسلحته الجديدة ، ولذلك فان مستقبل الاستقرار في المنطقة أصبح مستبعدا لفترة طويلة .

٦ ـ ان حلف بغداد والحزام الشمالي وخط المواجهة مع الاتحاد السوفيتي من تركيا الى باكستان مهدد بفقد فاعليته ، لأن الاتحاد السوفيتي قفز وراءه وطلب المارشال تمبلر بضرورة التنسيق مع الولايات المتحدة بقصد استعادة زمام المبادأة في المنطقة بما يحقق مصالح الغرب على المدى القريب والبعيد .

ومرة أخرى نجد أن توازن القوى في المنطقة كان حافزا لتشكيل السياسة البريطانية في المنطقة

●

وأخيرا علينا أن نرجع الى أقوال موشيه دايان رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٦ نحده يقول (رأت اسرائيل في صفقة الأسلحة التي تمت بين تشيكوسلوفاكيا ومصر في سبتمبر ١٩٥٥ ، الدلالة الحاسمة على الهجوم الآخذ في الاقتراب ، فقد حصلت مصر في هذه الصفقة على أسلحة حديثة في معظمها ، ورأت حكومة«اسرائيل»في هذا خطوة تمهيدية يقوم بها حكام مصر لتحقيق أهدافهم ضدها ، وافترضت كذلك أن توافر الأسلحة في أيدي العرب بدرجة تتفوق كثيرا من ناحية الكم والكيف عما في حوزة اسرائيل سوف يحفز العرب على استغلال هذه الأفضلية العسكرية ويحثهم على الهجوم لقد اشتملت الصفقة ـ فيما اشتملت ـ على ٥٣٠ عربة مدرعة ، ٢٣٠ دبابة ، ٢٠٠ سيارة مدرعة ، ١٠٠ مدفع ذاتي الحركة ، حوالي ٥٠٠ مدفع من أنواع مختلفة ، ما يقرب من ٢٠٠ طائرة قتال وقاذ[illegible] قنابل وطائرات للنقل ، وكذلك أدوات بحرية [illegible] ، (مدمرات وطوربيدات وغواصات وما الى [illegible]) ، وهذه الصفقة في ضوء ما اعتادت دول الشر[ق] الاوسط أن تعقده من صفقات تبدو أكثر مما هو [illegible] فضلا عن أن اضافة هذه الصفقة الى ما هو [illegible] فعلا لدى مصر قد سبب زيادة اضطراب [illegible]ن القوة الذي كان مهتزا في الأصل بين «اسرائيل»والبلاد العربية فقد كان لدى مصر عند عقد الصفقة ما يقرب من ٢٠٠ دبابة . وكان لدى اسرائيل مثل هذا العدد ، والآن أصبحت القوة المدرعة لمصر ـ عدا ما لدى العرب ـ ٤ أضعاف ما لدى اسرائيل . وحدث مثل هذا الخلل في القوات الجوية .

فكان لدى مصر نحو ٨٠ طائرة نفاثة في مقابل ٥٠ متيور واورنجان لدى « اسرائيل ». ولكن زادت الصفقة التشيكية عدد طائرات القتال النفاثة لدى مصر الى ٢٠٠ طائرة ، أي الى ٤ أضعاف ما لدى «اسرائيل»وحدث مثل هذا في المدفعية وفي القوات البحرية وفي القوات البرية ، وكان التفوق في الكم والكيف الذي حصلت عليه مصر عاملا حاسما في قلب كفتي ميزان القوة رأسا على عقب فقد كانت طائرات الميج والاليوشن تتفوق على الاقل بدرجتين على الميتور والاورنجان كما أن الدبابات الروسية الحديثة ت ـ ٣٤ كانت أفضل الى حد كبير من دبابات الشيرمان القديمة م ـ ٣ التي لدى«اسرائيل». ومع زيادة القوة العسكرية المصرية زادت مكانة عبدالناصر وسط شعوب المنطقة ، وأصبح الزعيم البارز الذي له الصدارة في كل البلاد العربية . وفي ١٩/ ١٠/ ٥٥ أقيمت القيادة المشتركة للجيشين المصري والسوري ، ثم انضمت الأردن وأصبحت اسرائيل محاطة من جهاتها الثلاث ـ من الجنوب والشرق والشمال ـ بجيوش عربية خاضعة لقيادة واحدة ولم تستطع حكومتها أن تغالط نفسها وأن تتجاهل الهدف الذي من أجله قامت هذه الوحدة العسكرية وهو الاستعداد للهجوم على اسرائيل .

نقطة الصعود القصوى

كان توازن القوى قد اهتز على المستوى العالمي وعلى المستوى الاقليمي الأمر الذي لم يكن في استطاعة القوى الاستعمارية السكوت عنه . ولم يبق الا ايجاد المبرر أو الذريعة لاستخدام القوة لاعادة الأمور الى ما كانت عليه وكان تأميم القناة هو الذريعة للعدوان الثلاثي على مصر،والغرض الأساسي له هو اعادة السيطرة على توازن القوى الاقليمي للمحافظة على مصالح الأطراف العالمية □

يافاتني

شعر : يعقوب السبيعي

على وَرْدِ ثَغْرِكِ عيني نَدَى
وصدري ربيعٌ ، وصبري فِدَى
وفي همسِ عطرِكِ لا ينتهي
شُرودِيَ بين الصَّدَى والصَّدَى
على مَسْقَطِ الضوءِ في مهجتي
تَلألأَتِ عِشقاً ، وصوتَ هُدَى
أُحبُّكِ . ! . عفواً . أنا فوق ذا
ولكنَّ طيراً بصدري شَدَا
يقُولُ لوجهكِ : يا فاتِني
لقد نَضَّرَ الله فيكَ المَدَى
أراكَ ، فأُذْهَلُ . لا أحتوي
على غيرِ خَوْفِيَ أنْ تَبْعُدَا

***

على وَرْدِ ثَغْرِكِ حين انتشى
ملاكٌ ، يَمُدُّ لوصلي يَدَا
فَيَسْعَى إلى شَفَتَيْكِ دَمِي
لِيشربَ مِنْ ثَغْرِكِ المَوْعِدَا
يُمازِجُ - واهاً - رحيقَ المُنَى
ليَخْلُدَ ماشاء أنْ يَخْلُدَا

***

المستقبل السكاني في الوطن العربي

بقلم : الدكتور عبدالاله أبو عياش

يستشرف الوطن العربي المستقبل من خلال معدلات عالية من النمو السكاني، وزيادات كبيرة في أحجام تجمعاته السكانية ، وتبقى المشكلة السكانية - رغم تعدد وجهات النظر فيها - هي القضية التنموية الأولى التي تؤرق خواطر المنظرين والمفكرين في أرجاء هذا الوطن ، لا شك أن هناك إفراطا في معدلات النمو السكاني ، وافتقارا إلى السياسات السكانية ، والضوابط الكفيلة بالمحافظة على علاقات متوازنة بين موارد الوطن العربي وأعداد سكانه .

إن عدم القدرة على الدخول الحذر الواعي إلى المستقبل السكاني العربي سيؤدي إلى مزالق وعواقب واسعة ، ستترك آثارها السلبية على واقع هذا الوطن ، ومستقبله الاقتصادي ، والاجتماعي ، في الوقت الذي تتجه فيه الدول المتقدمة إلى وضع ضوابط وكوابح على النمو السكاني لتستقر معدلاته في حدود الصفر ، كما هو الحال في بعض الدول الأوروبية ، كسويسرا ، والمانيا الغربية ، والسويد ، أما الزيادات السكانية في الوطن العربي فمازالت تتسارع بشكل مفرط ، وبدون حساب

وتستمر ظاهرة النمو السكاني في الوطن العر[...] بشكلها التضخمي ، رغم أن الهياكل الاقتصادية وبرامج استغلال الموارد الطبيعية والبشرية فيه لـ[...] تحقق المستويات المطلوبة من النجاح ، على الرغم من ارتفاع مستويات المعيشة في العديد من الدول العربية ظاهريا ، إلا أنها لم تتطور إنتاجيا بشكل موا[...] لها ، مما يفرضها - في النهاية - من مضامينها ، وهذا [...]مي أن جزءاً كبيرا من الارتفاع في مستويات المعـ[...]ـة كان مصطنعا ، ولم يرتبط بتحسن إنتاجية [...]فرد وعطائه ، وإن كان النفط قد أدى هو أيضا [...] نحس

في مستويات المعيشة ، إلا أنها كانت ظاهرة موسمية ومرحلية ، ارتبطت بزيادة أسعاره وتدفق عوائده ، ومع أن للنمط آثاره الايجابية ، إلا أنه أفرز في نفس الوقت اثاراً سلبية ، امتدت إلى معظم أرجاء الوطن العربي ، وكان من أبرزها الخلل الذي شهدته خارطة التوزيع السكاني داخل دوله ، وعبر حدودها

الهجرة إلى بلاد النفط

لقد أدت الهجرة إلى بلاد النفط إلى ارتفاع مستويات المعيشة مرحليا ، وتزايد الطلب على المنتجات الاستهلاكية والسلع الخدمية ، وإلى تزايد الاستيراد والنهم الاستهلاكي ، وقد صاحب ذلك تصاعد في الواردات من المنتجات الأجنبية من أطراف العالم الأربعة ، وفي نفس الوقت لم تتحسن إنتاجية الفرد ، لأن الجهود تركزت في قطاعات الخدمات والبنى التحتية بشكل رئيسي ، والأسوأ من ذلك كله أن الهجرة إلى بلاد النفط قد أدت إلى تفريغ أرياف الوطن العربي من أفضل قواه العاملة ، وتدنت المنتجات من الأراضي الزراعية ، وارتفعت تكاليفها ، وهجرت مساحات واسعة من الأراضي المنتجة ، ولم تقتصر الهجرات على الدول النفطية ، بل تعدتها إلى المدن الكبرى داخل الدول العربية ، حيث تركزت معظم الاستثمارات والانفاقات المصاحبة لتحويلات العاملين في البلاد النفطية

إن الاشارة إلى النفط هنا ـ وإن بدت اعتراضية ـ تهدف إلى توضيح أن استمرار الزيادات السكانية التي أمكن استيعاب جزء جوهري منها في مرحلة الثورة النفطية سوف يكون من الصعب السيطرة عليها في فترات الهدوء النفطي ، وسيؤدي ذلك إلى حدوث اختناقات في أسواق العمل العربي ، وإلى تفاقم حدة البطالة في مرحلة التراجع النفطي ، والركود الاقتصادي المصاحب له ، ثم تعود المشكلة السكانية مرة أخرى إلى مسرح الاضواء باعتبارها إحدى القضايا الرئيسية التي ستواجه مستقبل الوطن العربي وتمثل الأرقام والتقديرات المستقبلية أفضل المؤشرات التي يمكن استخدامها للتدليل على حجم المشكلة وأبعادها . تقول تقديرات الأمم المتحدة إن عدد سكان الوطن العربي سيقفز من حوالي ١٩٣ مليون نسمة في عام ١٩٨٥ إلى حوالي ٢٨٨ مليون نسمة في نهاية هذا القرن ، وهذا يعني أن عدد السكان سيزيد خلال السنوات الممتدة بين هذين التاريخين حوالي ٩٥ مليون نسمة

وستبقى مصر في ضوء هذه التوقعات مركز الثقل السكاني الرئيسي في الوطن العربي ، حيث سيزيد عدد سكانها من حوالي ٤٧ مليون نسمة في عام ١٩٨٥ إلى ما يقارب ٦٥ مليون نسمة في نهاية هذا القرن ، وستأتي المغرب بالمرتبة الثانية ، حيث من المتوقع أن يزيد عدد سكانها من حوالي ٢٤ مليون نسمة إلى حوالي ٣٦ مليون نسمة ، وذلك خلال نفس الفترة ، وسيتراوح سكان كل من السودان والجزائر بين ٣٠ إلى ٣٣ مليون نسمة وتشير هذه الأرقام إلى جسامة المسئوليات الملقاة على عاتق هذا الوطن ، وهذا يقتضي ـ خلال السنوات القادمة ـ استيعاب أعداد ضخمة من السكان ، وتوفير الخدمات والمرافق الضرورية لهم

ترجمة الأرقام

إذا ما ترجمت هذه الأرقام السكانية إلى احتياجات مستقبلية في مجالات الخدمات فإنها ستعني ما يلي

١ ـ ضرورة توفير أكثر من ١٨ مليون وحدة سكنية حتى نهاية هذا القرن ، وذلك بافتراض أن حجم الأسرة العربية سيكون حوالي ستة أشخاص ، وإذا افترضنا أن متوسط تكلفة الوحدة السكنية سيكون في حدود ٣٠ ألف دولار فإن الاستثمارات المطلوبة لقطاع تشييد المساكن تقدر بحوالي ٥٤٠ بليون دولار حسب الأسعار الحالية وتمثل هذه الأرقام التقديرية الحدود الدنيا ، إذ أنها لا تشمل المساكن المتداعية التي هي بحاجة إلى تجديد أو إعادة بناء ، كما أنها لا تتضمن الاحتياجات السكنية للجماعات السكانية التي لا تتوفر لها مساكن مناسبة والمعروف أن هناك ملايين البشر في أرجاء الوطن العربي يعيشون في أحزمة الفقر التي تتناثر فيها مدن الصفيح والأكواخ

٢ ـ سيشتد الطلب خلال السنوات القادمة حتى نهاية هذا القرن على خدمات التعليم ، خاصة بناء

وتجهيز المدارس الجديدة القادرة على استيعاب ما لا يقل عن ثلاثين مليون طالب وطالبة ، وهذا يعني أن الوطن العربي سيكون بحاجة إلى بناء ما يتراوح بين ٣٠ ألف إلى ٦٠ ألف مدرسة للمراحل التعليمية المختلفة ، وستتراوح الاستثمارات المطلوبة لهذه الغاية بين ٩ بلايين إلى ١٨ بليون دولار في حدودها الدنيا

٣- سيزيد الطلب على الخدمات الصحية في أقطار الوطن العربي، حيث ستظهر الحاجة لبناء ما لا يقل عن ٢٠٠٠ مستشفى ، يتوفر فيها ما لا يقل عن ٧٥ ألف سرير ، وسيحتاج هذا الوطن إلى ما لا يقل عن ٥٠ ألف طبيب ، لتقديم الرعاية الصحية للسكان

٤- سيؤدي استمرار النمو السكاني في أقطار الوطن العربي إلى زيادة الضغوط والطلب على المواد الغذائية ، مما يضاعف من حدة تبعيتها ، ويوسع مدى انكشافها الاقتصادي والمعروف أن تكاليف المستوردات الغذائية للوطن العربي تزيد في الوقت الحاضر عن ٢٥ بليون دولار ، وتتركز المستوردات التي تقدر بأكثر من ٣٥ مليون طن من السلع والمنتجات الغذائية في الحبوب بشكل رئيسي ، باعتبارها عماد الغذاء اليومي للسكان في الأقطار العربية

وإذا لم يستطع الوطن العربي زيادة قدراته الانتاجية من الغذاء فإن الطلب على المنتجات الزراعية والغذائية فيه سيصل إلى أرقام مدهشة ، تتجاوز ٥٥ مليون طن سنويا ، وستزيد تكاليف هذه المستوردات سنويا عن ٣٦ بليون دولار حسب الأسعار الحالية ، وهذا يعني أن التكاليف ستكون في المستقبل أكثر من هذا الرقم ، نظرا للزيادات المتوقعة في الأسعار خلال السنوات القادمة إن هذه الأرقام المفزعة التي ستصاحب النمو السكاني ، المتعلقة بمستقبل الأمن الغذائي ، تقتضي أكثر من وقفة خاصة ، إذا ما علمنا أنه رغم كل المحاولات والجهود المبذولة ، والأساليب التقنية المستخدمة في القطاع الزراعي في الوطن العربي فإن انتاجية المساحة الزراعية فيه ما زالت تشكل ٥٠٪ فقط من مثيلتها في الدول المتقدمة

المضحك المبكي

ليس هناك مجال للشك إذن في أن الأولوية الاستثمارية الأولى في الوطن العربي يجب أن تعطى لقطاع الانتاج الزراعي ، باعتباره العمود الفقري للأمن الغذائي العربي ، وأن الزيادات السكانية العالية التي تمت الاشارة إليها ستزيد من الأعباء الاستثمارية المطلوبة في هذه المجالات الحيوية ، ومما يضاعف من مسئوليات المستقبل ، أن الدول العربية تعاني من أعباء الديون الخارجية التي أحدثت ثقل كواهل اقتصادياتها، فالمعروف أن الديون الخارجية على الدول العربية تزيد - في الوقت الحاضر - عن ١٠٠ بليون دولار ، والمضحك المبكي أن الدول العربية الرئيسية التي تتوافر فيها مقومات الأمن الغذائي ، وإمكانات الانتاج الزراعي - ممثلة بمصر والسودان والمغرب والجزائر وتونس وسوريا والأردن - هي الأكثر تحملا للديون الخارجية . حيث تشكل ديونها حوالي ٦٨٪ من مجمل ديون الوطن العربي .

إن هذه الأرقام تعيد إلى الأذهان السؤال القديم

ث هل الزيادات السكانية الكبيرة في مصلحة
ن العربي ؟ وهل يمكن للوطن العربي استيعاب
داد السكانية الكبيرة المتوقعة حتى نهاية هذا
ن ؟ وهل في إمكانه توفير الاحتياجات الأساسية
؟

على الرغم من أن هناك آراء تعتقد بأن النمو
كاني في صالح هذا الوطن ، وأن المشكلة الرئيسية
ت في الزيادات السكانية ، وإنما في سوء
يع ، واستغلال الموارد ، والنقص في الاستفادة
التقنية ، إلا أن هذه الورقة تتبنى رأيا آخر يدعو
ضرورة ضبط النمو المفرط في سكان الدول
بة وتنظيمه ، والقضية الجوهرية هنا ليست مجرد
ات كمية بقدر ما هي تطوير نوعية الانسان
سيه بحيث يتحول من مجرد آلة مستهلكة إلى فرد
ج ، قادر على تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجتمعاته ،
قيقة التي لا بد من تقبلها أن هناك فروقا شاسعة
الأحلام والتمنيات من جهة ، والواقع وحقائقه
جهة أخرى إن النظرة المتفائلة للزيادات
انية يمكن أن تكون صائبة في الدول المتقدمة ،
ن الدول النامية فإن مثل هذه النظرة تبقى مجرد
م وردية

لام وكوابيس

إن المستقبل الواعد لهذا الوطن لا يعتمد على مجرد
ادات السكانية والتناسل غير المحدود ، وإنما على
درة الدائمة في الملاءمة بين موارد هذا الوطن
راته البشرية ، وأعداد سكانه ، واحتياجاتهم ،
ا لم تعالج الأمور السكانية من خلال نظرات
سكانية واعية ومرنة فإن الأحلام يمكن أن تتحول إلى
كوابيس مفزعة ، والتمنيات تصبح سرابا خادعا ،
وتكون النتيجة - شئنا أم أبينا - مزيدا من شرائح
الفقر وجيوبه ومآسيه ، وهي أوضاع تحتاج في النهاية
إلى معالجات وعمليات جراحية ماهرة قبل أن
تستفحل وينفرط عقدها ، فالتفاؤل (الرومانسي)
والأحلام الوردية المنطلقة من التمنيات والأوهام تبقي
الأوضاع في حلقات مفرغة

وحتى الموارد التي يتحدث عنها المتفائلون تبقى
محدودة ، ويجب أن يتميز استغلالها بنوع من الترشيد
والعقلانية التي تبقي هذه الموارد في إطار التوازن
البيئي ، وفي إطار القدرات التحملية التي لا تستطيع
البيئات العربية تجاوزها ، وما عدا ذلك فإن استغلال
الموارد يتحول إلى استنزاف مدمر ، يقود - في النهاية -
إلى تخريب بيئة الانسان العربي وتدميرها ،
وهي مصدر حياته وبقائه ومستقبله ، ولهذا فالترشيد
والتقنين في استغلال الموارد وعدم هدرها واستنزافها
يقعان في قلب عملية التنمية الواعية الهادفة إلى إدامة
الموارد والثروات أطول فترة ممكنة من سنوات
المستقبل ، وإن الاستغلال الأهوج ، المفرط ، المدمر
للثروات ، عمل مخالف لأبسط مفاهيم التنمية

لهذا فإننا نؤكد على القول بأن أولويات الترشيد
والتقنين يجب أن تبدأ في عوامل النمو السكاني ،
بحيث تؤدي إلى تباطؤ الزيادات السكانية ، وضبطها
في المستويات التي تحقق الموازنة بين القدرات
الانتاجية ، والاحتياجات الاستهلاكية في هذا
الوطن ، وحتى يتحقق ذلك فإن المشكلة السكانية في
الوطن العربي ستبقى على رأس همومه المستقبلية . □

في سبيل مدرسة رائدها الحبور والفرح المبدع

المدرسة والمتع الثقافية

بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدائم

في جلبة الحديث الذي يسلط الأضواء على الطرائق والتقنيات التي تستخدمها المدرسة ، وفي حمّيا البحث عن دور المدرسة في تلبية حاجات المجتمع المختلفة ، ولا سيما حاجات القوى العاملة ، يكاد المربون ينسون المهمة التي لا تستقيم سائر المهمات بدونها ، وهي ما ينبغي ان تسعى اليه المدرسة من رعاية لمحتوى التربية ومضمونها ، وبوجه خاص من تعهد للثقافة بمعناها الواسع ، فكرية كانت أو أدبية أو فنية أو علمية أو غير ذلك

قد يبدو من المكرور أن نقول إن على رأس مهمات المدرسة تزويد الناشئة بزاد ثقافي غني ، بل قد يظن بعضهم أن هذه المقولة بدهية تجاوزها الزمن ، وأنها مهمة تحققها المدرسة سهوا رهوا ، وأنها ليست في حاجة الى مزيد ، بمقدار ما هي في حاجة الى أن ترتبط بالأهداف الجديدة التي أولتها الدراسات الحديثة للمدرسة ، وعلى رأسها أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة

أي ثقافة نعني ؟

وقد يكون هذا الظن صحيحا اذا أدركنا من الثقافة معناها الضيق المجدب ، نعني تزويد ذاكرة الطالب بكتلة من المعارف والعلوم أما حين نضع الثقافة في موضعها الصحيح ونفهمها حق فهمها ، نجد أن المدرسة - في كثير من أنحاء العالم - [illegible] تضطلع بدورها الثقافي الحقيقي ، لا سيما بعد ا[illegible] وسائل البث الجامعية وسائر ما يعرف باسم المد[illegible] الموازية

أجل ، الثقافة التي تعرّف الناشىء بعص[illegible] وزمانه ، وتربط هذا العصر والزمان بالتح[illegible] الثقافية الماضية ، وتجعله يرى العالم رؤية جدي[illegible] من خلال فهمه له فهما جديدا ، وتمكنه من نـ[illegible] نظرة متكاملة عن الأشياء بدلا من النظرة الم[illegible] المجزأة ، وتحرّك عقله كما تحرّك وجدانه ول[illegible] وتعرف أن توقظ البراكين الجامدة في أ[illegible] وتستطيع بالتالي أن تثير لديه متعة المعرفة و[illegible] اشراق ووجد ، مثل هذه الثقافة قلم[illegible] مدارسنا ، وقلما يدرك الكثيرون من المر[illegible]

وأبعادها الخلاقة بل لقد أهمل شأن مثل هذه الثقافة وضاعت حين اختلط امرها بآفة مزدولة بكرتها التربية الحديثة ، آفة الاقتصار على امتلاك المعلومات والمعارف ، وآفة التضخم المعرفي

لقد وجهت التربية الحديثة جهدها منذ الربع الأول من هذا القرن حتى الآن الى أن تبتدع الطرائق التربوية القادرة على اثارة اهتمام الطالب ، وعلى اطلاعه للمعرفة من غير تأب أو صد وكأنها موضوعة الصريحة أو المصمرة التي انطلقت منها هي اعتبار المعرفة التي تقدم جرعات من الدواء المر ينبغي أن نسعى بالطرائق الناجعة الى أن نغلفها بالحلوى

وليس المجال مجال مناقشة اتجاهات ما سمي بالتربية الحديثة ، كما أننا لا ننكر أثر الطريقة ، لا سيما في المراحل الأولى من الدراسة غير أن ما ننكره هو اهمال المحتوى الثقافي للعمل المدرسي ، وعدم ادراك الدور الكبير الذي تستطيع أن تلعبه الثقافة الغنية البارعة في تحبيب المدرسة الى الطفل ، وفي عشقه العميق بالعلم والمعرفة بل نزعم أن « المتعة » التي يخلقها تذوق مثل هذه الثقافة العميقة هي المتعة الحقة التي ينبغي أن تبحث المدرسة عنها قبل سواها

محتوى التربية قبل طرائق التربية

ويزيد في أهمية هذا القول ما نجده من سيطرة وسائل البث الجماعية ، والمدرسة الموازية ولسنا ممن لا يقدرون أثر تلك الوسائل وهذه المدرسة إن لها شأنا كبير في أن تنقل العلم الى كل انسان ، وفي أن تفسح آفاقه أمام كل متطلع وإن من مزاياها أنها تقدم ما تقدمه معاشة حية ، وأن ما تعرضه من ثقافة يتسم بالحيوية والقدرة على التأثير إنها تقدم ثقافة تستأثر بالحواس وتمتلك القدرة على تفجير صدمات فكرية وعاطفية الخ

غير أن أثر هذه الثقافة التي تبثها تلك الوسائل - على قيمتها وشأنها - أثر سطحي - كما أثبتت الدراسات الكثيرة - بل كثيرا ما يكون آنيا ينسى بعد حين وكثيرا ما يختلط الواقع بالخيال ، وتأخذ الأمور شكل « المشهد » يراه الانسان ولكنه لا يعنيه أن يكون له شأن وهي فوق هذا وذاك معرضة في كثير من الأحيان الى أن تفقد معناها وسط مشاغل حياتنا

الثقافة المتكاملة :

من هنا كان شأن الثقافة الناضجة المتكاملة التي ينبغي أن تقدمها المدرسة - في نظرنا - شأنا لا ينازعها فيه منازع ، بل هو شأن يسد كثيرا من ثغرات التعرض للثقافات التافهة أو العارضة أو الملوثة أو الخداعة

ولا نعني بمثل هذه الثقافة مجرد ما نعرفه ونألفه عادة في المدرسة وسواها من اطلاع على آثار المتقدمين والمحدثين في شتى فنون الثقافة ، بل لا نعني بها كذلك مجرد الاهتمام « بالانسانيات الحديثة » التي طال الكلام عنها ، نعني العلوم والتقنيات وسواها بل نعني هذا كله وشيئا أعمق منه وأكثر تكاملا

نعني الثقافة التي تحدثنا عن ثروات الماضي ، والتي تعرف أن تصل ذلك الماضي بالحاضر وتجعل هذا الحاضر حاضرا فعلا أمام المتعلم نعني الثقافة التي تغني حياتنا اليومية عن طريق تعميق ادراكنا لكل ما فيها ، بل عن طريق جعلنا قادرين على الاستمتاع بجمال الأشياء من حولنا بالأغذية الأرضية ، على حد تعبير «أندريه جيد» او « بالغناء الذي نجده حتى في حبة من تين أو كأس من ماء » على حد تعبير أحد الشعراء الفرنسيين المعاصرين انها التي تجعلنا ندرك كذلك سحر الأشياء المصنوعة وما يقذف به المصنع والآلة من نتاج له طابعه الجمالي المتفرد ، بل له « أحلامه ورومانتيكيته » على حد تعبير « بريشت » انها تريبا فيما تريبنا « واقع المدينة المدهش » ، على حد تعبير بودلير انها تريبا - بقول موجز - ما في امتزاج الانسان بالطبيعة من ابداع وجمال

وهي ، فوق هذا كله ، تطلعنا على الحركة المستمرة المتصلة للتاريخ ، وتجعلنا نحب الحاضر حبا أعمق ونفهمه فهما أسلم حين نربطه بماض نستمتع بجماله وروعته كما يستمتع الانسان بذكريات طفولته

وبعد هذا ، بل فوق هذا ، مهمة مثل هذه الثقافة أن تجعلنا نصل الى الادراك الكلي الشامل للأشياء ، بحيث تغدو منظومتها أمامنا مترابطة متسقة انها تدمج ما نحياه ونعيشه بنية أوسع وأشمل ، برؤية كلية تأخذ الأشياء الجزئية معناها من خلالها

ومثل هذه الثقافة المتعددة الأبعاد والزوايا ،

المتكاملة الأثر ، لن تكون ثقافة عقلية محصة ، بل ستكون - حكما - ثقافة تهز الأعماق ، أعماق المشاعر والانفعالات ، اذ لا ثقافة حقة ان لم يكن فيها ما يحرك الوجدان والقلب ولعلنا لا نغلو ، ان نحن رددنا مع « بريشت » بأن هدف الثقافة « أن تتحول كلها الى متعة فنية »

ولا يعني هذا أن مثل هذه الثقافة لن تكون عقلانية . فالوصول الى الحقيقة ، الى المعرفة الحقة ، في حاجة دوما الى وتر عاطفي وانطلاقة انفعالية

ويطول بنا الحديث إن نحن مضينا في تعداد صفات الثقافة المرجوة التي ينبغي أن تكون موضوع عناية خاصة من قبل المدرسة وكل ما قصدنا اليه ، حين قدمنا هذه الأوصاف المحدودة ، أن نبين أن ثمة عالما واسعا غنيا تستطيع المدرسة أن ترتاده ، هو عالم الثقافة العميقة المتكاملة الذي يتأتى من تصادم المواد والمعلومات والنشاطات التي تقدمها ، لا من عالم الثقافة العابرة أو المتناثرة فمثل هذه الثقافة هي التي تكوّن الشخصية المتسقة والمتكاملة التي ذاقت طعم الثقافة الحقة فتاقت الى المزيد

نقائص النظرة المدرسية الى الثقافة

أما مضمون هذه الثقافة ووسائل بثها في النظام المدرسي ، ولاسيما عن طريق بث معانيها وأهدافها لدى المعلمين ، فأمر يطول الحديث عنه ، ولا يتسع المجال له هنا وحسبنا أن نقول ان المدرسة في هذا المجال تخطىء غالبا في أمور ثلاثة أساسية

- الأمر الأول هو التريث عند أهمية الطرائق التربوية دون النظر أولا في محتوى التربية

- والأمر الثاني الظن بأن « المتعة » في التعليم هي وليدة تجويد الطرق التربوية وحدها ، في حين أن ثمة « متعة » لا تعلو عليها متعة يمكن أن تتأتى عن طريق العناية بتقديم مضمون ثقافي حي وجذاب بمحتواه ذاته

- والأمر الثالث هو اعتقاد بعض النظم التربوية الحديثة أن توفير بعض شروط الحياة المدرسية الجديدة - من مثل حرية الطالب ، ومشاركته في العمل المدرسي ، واللجوء الى التقويم الذاتي ، الخ - يستطيع وحده أن يتصدى لمسألة العلاقة بين المدرسة والطالب ، وفي مقدوره أن يوفر للطالب فردوسا مدرسيا ، يعرف فيه المتعة والحبور

الثقافة الحقة و « المتعة »

وفي رأينا أن هذه الحلول كلها سوف تظل ع جزء عن أن تجعل المدرسة - ثم الحياة من بعد - « مصدر متعة ولذة » ان لم يمتزج بها مطلب أساسي ، وهو التوسل بالثقافة الحقة وبقدرتها على تفجير الطاقات العقلية والعاطفية والحسية ، من أجل أن تصبح المدرسة حقا مصدر « متعة » عميقة لأنها مصدر « ثقافة » حقة وهذا يشترط ، كما قلنا ونقول ، أن نُحْكم صياغة مثل هذه الثقافة الرفيعة التي نتحدث عنها ، وأن ندرك الارتباط الوثيق الذي ينبغي أن يقوم بينها وبين ما هو حي ، بينها وبين ما هو جميل وما هو خير وما هو حق

وبدهي أن هذه الثقافة التي ندعو اليها لا تقتصر كما سبق أن قلنا - على مجرد معرفة آثار المتقدمين والمتأخرين من أدباء وفنانين وعلماء ومفكرين ومكتشفين وسواهم ، كما لا تقتصر على تقديم معرفة علمية وتقنية تربط الطالب بالعصر انها تضم هذا كله وتتجاوز هذا كله ، مكونة ، عن طريق النظرة الشاملة والحية ، روحا مبثوثة عبر مواد الدراسة كلها والنشاطات المدرسية جميعها ، قاسمها المشترك فهم العالم والكون فهما متكاملا ، جماله في اتساقه وترابطه ، ومتعته في عمقه وابداعه وكشفه لحجب الحقائق انها تأليف عميق مبتكر بين نظرة الشاعر والأديب ورؤية العالم والمبدع ، وأخيلة الرسام والنحات ، وعطاء الصانع والمبتكر ، وتأملات المفكر والمنظر

هل الثقافة الحقة أمر ممكن في المدرسة ؟

وقد يتساءل سائل وهل غرس مثل هذه الثقافة العميقة المتعددة في أبعادها ، المتكاملة في رؤاها ، أمر ممكن في اطار المدرسة ؟ وجوابنا الموجز الأصل أن تعي المدرسة الهدف ، وعند ذلك لا تعدم الوسيلة . فهي دوما من جنس الغاية يضاف الى هذا أن ما يمكن ويجب أن تقوم به المدرسة هو غرس بذور مثل هذه الثقافة تدريجيا ، وتعهدها يوما بعد يوم عبر مراحل الدراسة المختلفة ، وترك الأمر للمجتمع الكبير بعد ذلك يتعهدها ويرعاها والشيء الهام هو

أن تسلك المدرسة الطريق المحَدّد والسبيل الأَمَمَ منذ البداية ، وأن تجتنب الشعاب الملتوية التي قد تقود الى الضياع وادراكها لأهمية بث مثل هذه الثقافة العميقة اللذة ، يجعلها تضع هذه الثقافة على رأس أهدافها ، وتدفعها الى أن تصوغ كل شيء في مناهجها وطرائقها صياغة تؤدي الى ذلك الهدف الذي تندرج تحته ، وتنبثق منه في رأينا سائر الأهداف ، من اجتماعية وتنموية وسواها فنحن لا نستخرج من الأشياء الا ما نضعه فيها ولن نستخرج من الدراسة ثقافة حقة بالمعنى الذي قصدنا اليه الا اذا وضعنا ذلك في أهدافها ومنطلقاتها منذ البداية ولعل غياب مثل هذا الهدف هو الذي يفسر ظاهرة خطيرة كظاهرة العزوف عن الثقافة وعن التعلم ، أو اتخاذهما حلية وزينة ، أو الاضطرار الى اصطناعهما بوصفهما السبيل المؤدي الى الرزق ، فالانسان طُلَعَةٌ بطبعه ، ولا يثنيه عن التطلع الى المعرفة وارتياد مطاويها الا سوء المراد

أما الحديث عن مقومات مثل هذه المدرسة الساعية الى الثقافة الحقة وعن مناهجها وطرائقها فأمر يلتهم أكثر من سفر

الثقافة وتفجير طاقات الانسان

وبعد ، فان ثروات الانسان التي لا تنضب هي القادرة دوما على مغالبة الصعاب وتجاوز العقبات ، حين نعرف أن نمتاحها ونجزل عطاءها والجهد الذي يتطلبه أي تحصيل للمعرفة ، ويستلزمه اتقان موضوعات الدراسة ، جهد لذ حين يرافقه بلوغ أغوار الثقافة العميقة ، وانبلاج رؤيتها المشرقة ، وانبعاث طاقتها المحركة انه جهد لا يكاد يكون جهدا لأنه غدا مطلب حياة عقلية أيقظتنا لديها ـ بفضل قوة الثقافة وديناميكيتها ـ روح التساؤل والدهشة والتطلع والفهم وإنه مطلب حياة انفعالية لامسـ[illegible]ـها وتر القلق النثر والشوق المؤرق ، الشوق الى قـ[illegible]ة الكون قراءة عميقة والى ادراك معاني الجمال الخير والحق فيه ومثل هذه الحياة العقلية حين [illegible]نط لا تنطفىء شعلتها ، ومثل هذه الرعشة الانفعـ[illegible] حين تسري لا ينضب ابداعها وهذا هو

المعنى العميق لذلك الهدف الذي طالما تحدث عنه المربون أن يحقق الانسان ذاته عن طريق التربية ، و « أن يكون من هو » مقتبسين تعبير « نيتشه » ، وأن يتجاوز ذاته باستمرار محققا مقولة « ديوي » ليس من هدف للتربية الا المزيد من التربية ان الفنون الثقافية ، من فكر وفلسفة ، ومن علم وتقنية ، ومن أدب ورسم ونحت وموسيقا ، وسائل لرؤية الكون والأشياء رؤية مشاركة ومعايشة ، بحيث يمتزج الانسان بالطبيعة وتمتزج الطبيعة بالانسان ، وبحيث يستلقي المرء في أحضان الطبيعة يسألها أسرارها ويستكنه قوانينها ويعمل على تسخيرها وهذا التفاعل بين الانسان والكون مصدر « متعة » خلاقة ، فضلا عن أنه مصدر فهم متزايد من شأنه أن يزيد قدرة الانسان على التأثير في ذلك الكون انه مصدر « الأفكار القوى » ، ومنطلق السيطرة على الطبيعة ، عن طريق الخضوع لها ، أي عن طريق فهمها العميق ومعرفة قوانينها ، على حد قول « أوغست كونت »

ولعل غياب هذه « الوقدة » الثقافية في نظمنا المدرسية سبب أساسي فيما نشكو من تقصير هذه النظم عن أن تكون الانسان المبدع المنتج المسهم في تنمية مجتمعه وقد يكون في تذكرها ، بعد أن طال نسيانها ، وفي تحديد معالمها وسماتها ووسائلها ، ما يفتح الطريق واسعا أمام توليد نظم تربوية فيها « متعة » الابداع والابتكار ، وفيها ابداع « المتعة » وابتكارها أو ليس مما يثير التساؤل العميق أن تخرّج نظمنا المدرسية غالبا أناسا « فرحين » لخلاصهم من أعباء المدرسة ، يزداد الفراق بينهم وبين ما نهلوا من ثقافة يوما بعد يوم ؟ وهل يرجى لمثل هذه النظم أن تكون المحرك الفعال لتقدم المجتمع ؟ أو ليس من المفارقات التي غدت معروفة أن كثيرا من رواد الثقافة الحقيقيين وقادة العلم والابتكار لم يكونوا من نتاج النظم المدرسية ؟ أجل ان الثقافة الحقة لابد أن تحرك وتدفع وتثير والبحث عنها واحكام أمرها لابد أن يغدو سبيل النظم المدرسية نحو تكوين طاقات انسانية محركة مغيّرة مبدعة . لاسيما أن سن الشباب هي سن الأفكار الكبيرة والقيم الرفيعة ، ولن يهزهم بالتالي الا ثقافة ترقى الى المستوى الجدير بالانسان ورسالته □

العربي ـ العدد ٣٤٠ ـ مارس ١٩٨٧

بقلم : محمود المراعي

حين تجف الآبار !

طوال السنوات الأخيرة ارتبط كل من النمو والتنمية فى الوطن العربى بالثروة النفطية زادت العوائد بشكل ملحوظ اعتبارا من عام ١٩٧٣ ، وتحولت الريادة الى أنماط جديدة للاستهلاك ، والى خطط طموحة للتنمية ، ومستوى متقدم من التسليح وتعزيز قدرات الدفاع وبينما كان الهدف المشترك لكل الدول العربية المنتجة للنفط هو الاستفادة من الدخل الجديد فى تحسين مستوى المعيشة ، والوصول الى الرفاهية فى بعض الأقطار تفاوتت اتجاهات بناء الاقتصاد والتنمية .

فقد عمل البعض على تنويع أنشطة الاقتصاد وتنويع مصادر الدخل القومى وعمل آخرون على الاستفادة من الميزة النسبية ، وهى امتلاك خام النفط لاستكمال سلسلة هذه الصناعة من تكرير وتصنيع ونقل فى نفس الوقت اكتفت بعض الأقطار فى الجزء الأعظم من نشاطها على تنمية ما يسميه الاقتصاديون بالبنية الأساسية وقطاع الخدمات فمدت الطرق والجسور ، وتوسعت فى انشاء المدارس والمستشفيات ، كماتوسعت فى تقديم الخدمات المجانية

و خلال ذلك حدث تطور نوعى مهم ، فبينما تتجه معظم الأقطار العربية الى نظام الاقتصاد الحر ، فقد أصبحت الدولة ـ فى ظل الحقبة النفطية ـ هى أكبر صاحب عمل ، وأصبح القطاع العام المملوك للدولة هو القطاع الأكبر والأهم . كما أصبحت ميزانية الحكومة هى الفيصل فى الانتعاش أو الركود هى المفتاح الذى يدفع بالدم الى شرايين الاقتصاد

ولكن

وحين أصيب العرب بصدمة الانخفاض الحاد فى الأسعار ، والتراجع الكبير فى العوائد ، والارتباك الشديد فى اعادة الحسابات ، حتى تتوازن النفقات التى زادت زيادة شديدة مع الموارد التى انخفضت بشدة أيضا حين حدث ذلك أثير السؤال الكبير وماذا بعد النفط ؟ أليس النفط ـ كما يقول رجال الاقتصاد والجيولوجيا ـ ثروة ناضبة لها عمر موقوت ؟ أليس المخزون فى باطن الأرض الذى يطلقون عليه اسم الاحتياطى له أمد وله نهاية ؟ واذا كان انخفاض الأسعار أحدث تلك الهزة فما بال الموقف حين يتوقف الانتاج تماما ؟

لقد تكونت الثروة النفطية فى العالم عبر ملايين السنين . ولكن عندما اكتشف البترول فى الوطن العربى ، وكان ذلك فى مصر منذ مائة عام(١٨٨٦) وعندما بدأ الاستخدام بشكل تجارى فى تاريخ لاحق عندما حدث ذلك ـ ولعشرات السنين ـ أكل الانتاج الجزء الأعظم مما كونته الأرض عبر السنين الطويلة ، كان معدل الاستهلاك متجاوزا أى معدل للتكوين الطبيعى فالموازنة غير قائمة ، وان كانت الموازنة واردة بين ما نسميه احتياطيات مكتشفة واستهلاك متوقع

باق من الزمن ٨٦ عاما :

فى ذلك المجال ووفقا لندوة دولية أقامهـ [illegible] مركز الدراسات العربية في لندن في منتصف عام ١٩٨ [illegible] فإن العمر المتبقي للنفط العربي حسب تقـ[illegible]ـديرات ١٩٨٤ ٨٦ عاما فقط . . أى أن النفط [illegible]

ـصب تماما عام ٢٠٧٣ وذلك اذا أخذنا المتوسط
لعام
ولكن خارج هذاالمتوسط الذى لا يعبر تماما عن
لوقف ، تأتى الأرقام الفعلية لكل قطر التى تعبر عن
لملاقة بـين الاحتيـاطى المكتشف والاستهـلاك
لتوقع ، وبعبارة أخرى تحدد الأرقام كم بقى من
لزمن ليجف نفط العرب
و فى ذلـك المجال فـان هناك اقـطاراً مهددة
بفقدان نفطها قبل نهاية هذا القرن أى بعد ثمانى
ر تسع سنوات و . هناك بلدان يمتد عمـر
نفطها الى بدايات القرن الثانى والعشرين

فى المقدمه تأتى دولة الكـويت التى يقدر الخبـراء
عمر المتبقى لنفطها بـ (٢٢٧) سنة أى أن النفط
سمد ـ وذلـك اذا لم تتم اكتشـافـات ضخمـة غـير
معروفة ، واذا لم يهبط الاستهلاك بشكل كبير ـ عام
(٢٢١١) كان التوقـع عام (١٩٧٣) ان تكـون
النهاية عـام (٢٠٣٦) ، لكن تلك النهايـة زحفت ـ
بفضل الاكتشافات الجديدة وهبوط الانتاج ـ بمقدار
١٧٥ عاما كاملة وكان لنقص الانتاج الذى تقرر
فى الثمانينيات الفضل الأكبر فى اطالة عمر النفط

وينتهى نفط السعودية ـ طبقـا لتوقعـات ١٩٨٤
نصا ـ فى تاريخ سابق هو عام ٢٠٨٥ ، وهو نفس
العام الذى ينتهى فيه نفط العراق أى انه باق من
الزمن نحو مائة عام وهو وضع أفضل ممـا كان
متوقعا أيضـا عـام ١٩٧٣ ، ولنفس الأسبـاب
السابقة قدر من الاكتشافـات الجديـدة وقدر
كبر من تخفيض الانتاج بعد ذلك يأتى دور بلدين
يتراوح عمر النفط فيهما بين خمسين ومائة عام وهما
الجماهيرية الليبية ودولة الامارات

الموقف الحرج :

وهى سند كافية لتعدل أوضـاعهـا سـواء فى مجـال
الاعتماد على النفط كمـورد مـالى واقتصـادى أو
كمصدر رئيسى . اذا كان الأمر كذلك بالنسبة
لخمسة بلد عربية ، فان الصورة تختلف بالنسبة
لسبعة بلد يقل فيهـا عمـر النفط عن خمسـين
سنة

فى المقد تأتى دولتـان : مصـر والبحـرين ،

وتذهب توقعات عام ١٩٨٤ الى أن نفـطهما سـوف
ينضب عـام ١٩٩٥ وقـد تحسن المـوقف فى
البحرين عما كان قبل ذلك ، حيث كان المتوقع عام
١٩٧٣ أن ينفد النفط عام ١٩٨٩ ، بعد عامين من
الآن . ورغم انه لم تتم اكتشافـات خلال الفتـرة
موضوع الأرقام ، فان تخفيض الانتاج مد فى عمـر
النفط البحرينى ستة أعوام وربما ـ مع التخفيض
الأخير المستمر ـ يتعدل الموقف للأفضل
فى مصر كان التوقع عام ١٩٧٣ ان يمتد عمر النفط
الى عام ٢٠٣٥ لكن تراجعاً حدث بسبب الافراط فى
الانتـاج فقـد زاد الاحتيـاطى ، ولكن زادت
كميات المنتج بشكل أسرع ، مما صنع ذلك التدهور
الذى يجعل الثروة النفطية على أبواب النهاية وان
كان ذلك قد تعدل ـ طبقا لما أعلنته المصادر النفطية
الحكومية فى مصر ـ فأصبح الاحتياطى المعروف فى
نهاية ١٩٨٦ ، وبفضل ١٩ كشفا جديدا (٤,٣)
مليارات برميل ، مقابل ثلاثة مليارات فقط فى التوقع
الأول وبـالطبـع ، ومع تخفيض الانتـاج الذى
فرضته ظـروف تخفيض الأسعار ، فسـوف يجرى
تصحيح واسع يمـد عمر النفط المصـرى الى القرن
الواحد والعشرين ، وان كانت المعضلة ـ ومصر هى
أكبر تجمع سكانى عربى يضم خمسين مليونا ـ كيف
يمكن ضبط الاستهـلاك المحـلى حتى لا تضـطر
السلطات النفطية أن تستنفد مالديها فى وقت قصير ،
تلك هى المعضلة ، أما البحث عن مخرج سريع فيأتى
عبـر مصدر آخـر للطاقة يـطيل عمـر النفط ويدّخر
الاحتياط للمستقبل
نفس المـوقف السابق تتعـرض له سـوريـا التى
هبـطت التقـديـرات بـالنسبـة لها بسبب زيـادة
الانتاج وقد يجرى تصحيح كذلك بسبب ضبط
الانتـاج فى الآونة الأخيـرة وخلال هـذه القـراءة
يتضح حجم الخطر ، انه ليس انخفاض الاسعار ـ
وهو الموقف الراهن ـ وانما مستقبل النفط وبطء معدل
الاكتشافات التى بلغت صفرا فى بلدين هما قطر
والبحرين خلال السنوات العشر (٧٣ ـ ٨٣)
فى كل الأحوال تبرز الأرقام أهمية وجود سياسة
نفطية تنظر للمستقبل ، وقد يكون انخفاض السعر
وتخفيض الانتاج فرصة لالتقاط الأنفاس ، وتعديل
السياسات ، واعطاء النفط عمرا أطول □

ملحوظة ـ وتلوث !

بقلم : الدكتور سمير رضوان

« يوشك العالم أن يغرق في طوفان من مواد كيميائية استحدثتها الثورة العلمية والصناعية ـ هذه المواد تستعصى على الهضم والتحلل ، فتتراكم في بيئتنا مسببة التلوث الكيميائي فهل يقف العلم ازاء هذه المشكلة عاجزا ؟ »

ما التلوث الكيميائى الا الوجه المظلم لثورتنا العلمية والصناعية الحديثة ، وعلى الرغم من أن أخطاره الجمة لم تعد خافية على أحد من المختصين أو غير المختصين الا انه لا يوجد اليوم من يجرؤ على الدعوة لتجميد التقدم العلمى الصناعى بحجة التصدى لمشكلة التلوث ذلك لأن مثل هذه الدعوة في الواقع لن تعدو أن تكون سباحة ضد تيار التطور الجارف ، ولن يكتب لها النجاح بحال ، ومع ذلك فالعلم الذى يتحمل مسئولية تضخم هذه المشكلة هو وحده الذى يحمل على عاتقه اليوم مهمة البحث عن حل لها ولكن دعونا ـ أولاً ـ نتابع قصة التلوث من بدايتها

متى نشأ التلوث الكيميائى على كوكبنا ؟

ليس صحيحا أن قضية التلوث الكيميائى لم تبر
الى الوجود الا مع النهضة الصناعية الحديثة ، ـ
الصحيح هو أن حجم هذه المشكلة لم يبلغ مابلغه ا
نتيجة لهذه النهضة ، ولنذكر عند البدء أنه عندما ق
ابن آدم اخاه بعث الله اليه غرابا يُريه كيف يُوار
جثته في التربة . وبقاء الجثث على سطح الا ص
الكوارث الطبيعية من زلازل وحروب وعـ ما تنج
عنه مشاكل خطيرة للتلوث وانتشار الأو ، و
كان من ضمن أدعية المصرى القديم عـ ما ك
يحضره الموت أن يتقرب من الخالق بقو اله

ملوث ماء النيل ، ولايستهان بمثل هذا « الدعاء » فى موقف يودع فيه المصرى القديم حياة الدنيا ، ويقبل به على حياة تفرض عليه عقيدته الايمان بأنها حياة الخلود ، وَعْيُ الانسان اذن بمشكلة التلوث حمله معه منذ جاء الى الارض

مشكلة التلوث الكيميائى

وهنا يلح على الأذهان سؤال لماذا ومتى أصبح التلوث الكيميائى مشكلة بهذا القدر من التعقيد الذى نشهده اليوم ؟ وتعود بنا الاجابة عن هذا السؤال الى ما بدأنا به هذا المقال (مشكلة التلوث الكيميائى هى نتاج الثورة العلمية - الصناعية الحديثة ، فمن خلال هذه الثورة أقحم العلم على كوكب الارض طوفانا من مواد كيميائية مستحدثة لا عهد له بها من قبل وهنا مكمن الخطورة ، ولنتفق أولا على أن تلوث البيئة الكيميائى ينشأ أساسا من تراكم مواد كيميائية غير قابلة للهضم أو التحلل خلال أنشطة ميكروبات هذه البيئة - وتستوى فى ذلك المركبات الغازية والسائلة والصلبة وأخطر الملوثات هى التى تستعصى تماما على الهضم الميكروبى ، وليست هناك مادة عضوية تقليدية تتحها أحياء الارض لا تقوى الميكروبات على هضمها ، وقد ينشأ التلوث من مثل هذه المواد التقليدية مثل مكونات البراز الآدمى مثلا - ومثل جثث الحيوانات والانسان ، الا أن التربة والمياه الطبيعية تحتوى على أعداد لانهائية من ميكروبات مفيدة قد تعودت على مثل هذه المواد الكيميائية عبر ملايين السنين ، فأصبحت تغتذى بها فتخلص البيئة منها باستمرار ، ولكن مع الثورة العلمية والصناعية الحديثة صنع الانسان مواد كيميائية جديدة تماما وطرح كميات كبيرة منها يوما - وما زال يطرحها للاستعمال ، هذه المواد لم يسبق لميكروبات البيئة أن صادفتها أبدا عبر رحلة تطورها التى بلغت بلايين السنين ، وقفت حيالها عاجزة لا تستطيع لها هضما مثل هذه المواد الكيميائية (الاصطناعية) التى لم تعرفها كوكب الارض إلا خلال العقود القليلة الاخيرة من عمره المديد الذى امتد ٤,٥ بلايين سنة من الواقع تراكم يوما بعد يوم فى البيئة المحيطة بالانسان على هيئة مواد صلبة وسائلة وغازية ، وتوشك أن تعرق البشرية فى طوفانها أيعنى ذلك أن الصناعات الكيميائية لم يعرفها الانسان الا بعد الثورة العلمية ؟ كلا - بل كانت معروفة منذ قديم الزمان ، وللتدليل على ذلك نذكر على سبيل المثال محاولات قدامى الكيميائيين من العرب وغير العرب لتحويل المعادن الرخيصة الى ذهب على أن هذه الدراسات والصناعات لم تكن تستخدم فيها الا مواد كيميائية تقليدية تعودت الميكروبات عبر بلايين السنين على هضمها متى أتيحت لها فى البيئة ، وعلى ذلك لم تكن مشكلة التلوث الكيميائى على أى قدر من الخطورة فى ذلك الوقت

ما أحلى الطبيعة العذراء التى لم ينل منها دنس التلوث الكيميائى

كانت البداية بملح الطعام

قد تنتاب القارىء بعض الحيرة وهو يقرأ عنوان هذه الفقرة - ذلك لأن ملح الطعام بالتأكيد مادة كيميائية تقليدية ، موجودة فى بحار الأرض حتى قبل أن تنشأ برمتها ، ومن ثم فلا يمكن اعتبارها مادة ملوثة للبيئة ، وهذا كله صحيح ، اذ يستخلص ملح الطعام بتعريض مياه البحر للبخر فى أحواض خاصة تعرف بالملاحات الا أن هناك أيضا مخزوناً من ملح الطعام فى مناجم نشأت بعد انحسار بحار قديمة فى

أزمنة جيولوجية سحيقة القدم نتيجة لتقلبات القشرة الارضية ، وتراكمت فوق الملح الناتج عن البحر طبقات أرضية أزاحها الانسان الحديث ليكتشف مناجم الملح وهناك العديد من مناطق العالم التى ما زالت تعتمد عليه فى تغطية احتياجاتها ، ونذكر على سبيل المثال بعض قبائل المغرب العربى التى ينقل تجارها الملح المنجمى فى صورة قوالب ثقيلة الوزن على ظهور الجمال عبر الصحارى القاحلة فى رحلات شاقة وخطرة ، وتجارة مثل هذا الملح مربحة اذ انه سلعة غالية السعر نسبيا ولقد استعمل الانسان الملح فى طعامه ، وفى صناعات حفظ الأغذية منذ أمد طويل ، كما استخدمه قدماء المصريين فى حرفة التحنيط فى المرحلة الاولى التى كانت تشمل انتزاع الماء من خلايا الجثة وتجفيفها ، ولو اقتصرت استخدامات الانسان لملح الطعام على ذلك لما نشأت عنه مشاكل تتعلق بالتلوث ولكن العلم الحديث سعى بعد اختراع الكهرباء إلى تصنيع الصودا الكاوية التى تدخل فى صناعات أخرى عديدة ، وذلك بتعريض ملح الطعام لعملية يطلق عليها اسم التحلل الكهربى وتجدر الاشارة هنا الى أن جزىء الملح يتكون من ذرة صوديوم وذرة كلور ، وعند تحليل هذا الجزىء كهربيا فى وسط مائى ينفصل شق الصوديوم ليدخل فى تركيب الصودا الكاوية بينما يبقى شق الكلور طليقا وتقدر كمية ملح الطعام التى يستهلكها العالم اليوم فى صناعة الصودا الكاوية بحوالى ٦ ملايين طن سنويا وليس ثمة ضرر محسوس من الصودا الكاوية على البيئة ، فهى مادة تقليدية شأنها شأن ملح الطعام على وجه التقريب

ولكن الضرر ينشأ من غاز الكلور الطليق الناتج عن تحليل ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) كهربيا

ذلك لأن الكلور هنا مادة طارئة لا وجود لها أصلا فى جو الارض ، وغاز الكلور سام للانسان والحيوان والنبات والميكروبات أى أن ضرره لا يقتصر على أنه يسمم الانسان فحسب - بل انه أيضا يقتل الميكروبات النافعة التى تهضم الملوثات الاخرى فى البيئة ولقد تنبه العلماء لذلك منذ البداية وكانوا لا يسمحون لهذا الغاز بالتصاعد فى الجو أثناء تحلل الملح كهربيا ، بل كانوا يتخلصون منه بأساليب مكلفة الى حد ما ، ولقد ظل الامر كذلك حتى اكتشف النفط

النفط وغول التلوث

ظن العلماء - بعد اكتشاف النفط انهم توصلوا الى حل مثالى لمشكلة الكلور الناشئة عن تصنيع الصودا الكاوية، بل وأثبتوا إمكان الافادة من الغاز السام وذلك من خلال ربطه ببعض مكونات النفط لانتاج مواد اصطناعية جديدة ، متعددة الفائدة ولفهم هذا الامر لا بد لنا من التعرض بايجاز شديد لتركيب النفط الكيميائى والنفط فى الواقع عبارة عن خليط من مركبات عديدة تتشابه جميعا فى انها مكونة من كربون وهيدروجين فقط ، ومن ثم فهى تعرف كيميائيا باسم الهيدروكربونات ، وكل مركب من هذه المكونات عبارة عن سلسلة مفتوحة أو حلقية من ذرات الكربون تتصل بها من جميع الجوانب ذرات الهيدروجين

ويكمن الاختلاف بين هذه المركبات اساسا فى أطوال سلاسلها الكربونية والمركبات ذوات السلاسل شديدة القصر منها غازية - وهى تمثل معظم الغازات التى تصاحب ضخ النفط والمركبات ذوات السلاسل متوسطة الطول سائلة ، وهى التى يتكون منها الوقود المستعمل فى السيارات اما المركبات ذوات السلاسل المفرطة فى الطول فهى اما شديدة اللزوجة أو صلبة ، ومنها يتكون القار والاسفلت وما شابهها ومن الواضح أن مركبات تتكون اساسا من الكربون (الفحم عبارة عن كربون خالص) والهيدروجين (وهو غاز شديد القابلية للاحتراق) تصلح كوقود مثالى وهنا تكمن قيمة مشتقات النفط كمصادر للطاقة ولا شك أن هناك سؤالاً يجول فى ذهن القارىء هل مكونات النفط مواد تقليدية أم انها طارئة من نوع المركبات التى تستعصى على الهضم الميكروبى ؟ الحقيقة انها مواد تقليدية منتشرة فى شتى أحياء الارض ، وليس مصدر النفط فى الواقع سوى أحياء قديمة تحللت جزئيا ، أى أن مكوناتها من الهيدروكربونات تسربت الى طبقات أرضية بعيدا عن الأكسوجين الجوى اللازم لتحللها ، وعلى ذلك ظلت بلا تحلل فى مخازنها من
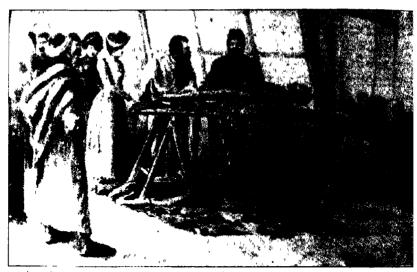
ـرع قدماء المصريين فى حرفة التحنيط ، وكانت العملية تبدأ بمعالجة الجثه بالملح لتحنيطها على مدى ٤٠ يوما يقال إن المصرى
وارث منذ ذلك الحين تقليد الاحتفال بذكرى الاربعين بعد الوفاة،واستخدام ملح الطعام فى هذه الحرفة ومثيلاتها لم يكن
ـحم عنه أى تلوث كيميائى للبيئة

ـلسنين حتى صحها الانسـان مرة أخرى الى سطح
الارض هل معنى ذلك أن للميكروبات قدرة على
ـهضم مكونات النفط بعد أن استخرج ، والاجابة
عن هذا السؤال (نعم) ، وقد أثبتت الدراسات
ذلك بالفعل ، على ان السلاسل الكربونية شديدة
الطول ، تستغرق زمنا طويلا من الميكروبات كى
تهضمها تماما ولو قدر لهذه المركبات أن تتجمع فى
بيئة ما بكميات تفوق قدرة الميكـروبات على
هضمها ، فان مشـاكل بيئية تنشأ نتيجة لان هذه
المركبات الثقيلة تعزل احياء البيئة عن الاكسوجين ،
وتعوق حركتها فتنفق الاسماك والطيور والنباتات
حقا الا أن معظم الآثار الضارة لمشتقات النفط
المستعملة كوقود يكمن فى انها غالبا ما تحتوى على
الكبريت ، وغالبا ما تخلط بالرصاص لاسباب
هندسية بحتة اما الكبريت فيتصاعد فى الجو
كأكسيد حمضى ، وينزل مع المطر الذى اطلق عليه
لذلك اسم المطر الحمضى ، واما الرصاص
فهو الاخر فى الجو فى أثناء الاحتراق ويتسبب
العنصران فى أحطر المشاكل البيئية . ولعل
القارئ قد سمع عن غابات اوروبا التى بدأت تموت

أشجارها واقفة من جراء هذين العنصرين ثم إن
الرصاص بالذات قد يصل الى مواد يأكلها الانسان
نباتيه وحيوانية فتكون له اسوأ الاثار على
الصحة ومع ذلك فمشتقات النفط نفسها قابلة
للهضم الميكروبى طال الزمن أم قصر
على أن المشتقات التى تستعصى
حقا على الهضم تلك التى استحدثها العلم الحديث
من خلال معالجة مكونات النفط بالكلور ، وظن انه
حل بذلك مشكلة غاز الكلور الناتج عن تحلل ملح
الطعام كهربيا وتعرف هذه المركبات الاصطناعية
الحديدة باسم الهيدروكربونات المكلورة ، ولقد
استبشر العلماء خيرا عندما نجحوا فى استحداث هذه
المواد الاصطناعية ـ ذلك لأن صفاتها الطبيعة تؤهلها
لأن تحل محل منتجات اخرى طبيعية غالية السعر
كالاصواف والاقطان والورق وغيرها ، والكثير من
المنتجات النباتية والحيوانية . وقبل أن نتطرق الى ذكر
أمثلة قليلة لمجالات استخدام هذه المواد الاصطناعية
ينبغى أن نشير هنا الى أن وجود ذرات الكلور ـ وهى
كبيرة نسبيا ـ مغلفة للسلاسل الكربونية ، يحول دون
وصول الميكروبات بأنشطتها الى السلاسل نفسها مما

يجمل المركبات هذه مستعصية على الهضم الميكروبي ، خاصة اذا تذكرنا أن للكاور سمية كما اشرنا وعلى ذلك فالصناعة تنتج يوما طوفانا من هذه المواد التي تتراكم في البيئات الارضية مسببة ما آلت اليه مشكلة التلوث من خطورة في عصرنا الحديث

عظيمة النفع شديدة الضرر :

تتناول أسطورة (بجماليون) الشهيرة قصة فنان نحت من الحجر تمثالا رائعا لامرأة ، ومن شدة افتتانه بهذا الجمال ظل يصرع الى الآلهة لكي تدب الحياة في تمثاله حتى تحقق له ما أراد ، ولكنه شقي بحبه للمرأة التي صنعها بنفسه ، فسعى الى تدميرها تدميرا وأحسب أن القارىء قد فطن الى علاقة هذه الاسطورة بموضوع هذا المقال فقصة الانسان مع المواد الاصطناعية المستحدثة شبيهة بهذه الاسطورة لقد استحدث العلم هذه المواد التي لم تكن موجودة من قبل ، وربط الانسان حياته بها ربطا وثيقا ، لكنه بات يشقى بها أيما شقاء

هل يستطيع القارىء أن يتصور حياتنا بدون أدوات التغليف الحديثة وبدون الخيوط والأنسجة الاصطناعية وبدون الرقائق التي تدخل في صناعات السيارات والطائرات والسمن وسمن المصباه ، وبدون مبيدات حشرية ، ومبيدات فطرية ، ومبيدات اعشاب وبدون اصباغ ومواد دهان وأدوات تجميل وبدون وبدون ؟ بامكاننا أن نسترسل هنا لسطور عديدة ، وكل هذه أمثلة جد قليلة لمنتجات حد وفيرة تصنع من الهيدروكربونات المكلورة لها فوائد جمة الا انها تتراكم في البيئة ملوثة اياها ولنتناول هنا بكثير من الايجاز امثلة ثلاثة فقط ، أظنها تكفي لتفهم حدة التناقض الذي يعيشه انسان اليوم من جراء هذه المواد الاصطناعية

من اشهر المبيدات الحشرية التي صنعها الانسان من مشتقات النفط بعد معالجتها بالكلور مبيد مشهور تحت اسم (د د ت) وترجمة هذا الاسم هي ثنائي كلورو ثنائي فينيل ثلاثي كلورو الايثين ، ومن ثم وجب أن تكون ترجمة الاسم المختصر (ث ث ث) وقد كان لاستحداث هذه المادة بأثرها المضاد للحشرات وقع الاحساس ببداية ثورة علمية وصناعية كبرى في مجال المبيدات الحيوية بصفة عامة

وبالفعل صنعت كميات كبيرة من هذه المادة في البداية واستعملت في الحقول والمخازن والمنازل للقضاء على الحشرات والآفات ، وهي للحق كانت مذهلة فيما يختص بأثرها القاتل لهذه الاحياء ولكن الذي لم يكن في حسبان العلماء هو أن الحشرات سرعان ما تعودت على هذا السم القاتل وتولدت منها سلالات بفعل الانتخاب الطبيعي لم تعد تتأثر به وليت الامر اقتصر على ذلك ، لقد تراكمت هذه المادة ـ التي لا تقوى الميكروبات على هضمها ـ في التربة والمياه وتسللت الى خلايا النبات ومنها الى اجساد الحيوانات والانسان وتجمعت بالذات في

الانار لقابليتها الشديدة للذوبان فيه وهددت حياة الرضع من البشر وغير البشر لذلك لم يكن هناك بد من منع استخدامها منعا تاما .

أما المثال الثانى فيختص بالرقائق الاصطناعية التى يطلق العامة عليها تجاوزا اسم البلاستيك ـ وماهى بلاستيك وما نقصده هنا هى المواد المستخدمة فى التغليف وتلك التى تعمل منها حقائب حمل المشتريات الشائعة فى معظم المحال والدكاكين . وتصنع هذه الرقائق من مادة تعرف علميا باسم (كلوريد البوليفينيل)

وقديما كان الورق هو الذى يستعمل فى كل هذه الاغراض وحينما كان يتخلص منه بعد اداء مهمته كانت ميكروبات التربة تهضمه عن آخره بلا أية مشاكل بيئية أما اليوم فمشكلة المشاكل هى أن هذه الرقائق تستعصى على الهضم الميكروبى ، ومن ثم فقد أصبحت تتراكم منها تلال توشك أن تعرق التربة فيها ولو فكر الانسان فى حرقها لكان خطرها أعمق ـ اذ ينجم عن حرقها حمض الهيدروكلوريك الضار اضافة الى مركبات اخرى شديدة السمية

أما المثال الثالث الذى نسوقه هنا فهو لأدوات الدهان والاصباغ الاصطناعية الحديثة وكلها مواد تستعصى على الهضم الميكروبى ، ولا يمكن التخلص منها بعد انجازها لمهماتها ، ومن ثم فهى تتراكم فى البيئة كملوثات ، وقديما كان الانسان يحصل على الاصباغ ومواد الدهان من أصول نباتية ـ أى أنها كانت مواداً تقليدية تحللها الميكروبات

هل من سبيل الى حل ؟

يبقى أن نشير هنا إلى ان التلوث الكيميائى الناجم عن مشتقات النفط والكلور لا يمثل إلا نوعا واحدا من انواع عديدة لا مجال هنا لتناولها أى أن هناك ملوثات كيماوية أخرى ربما تناولناها فى مقال آخر . لقد أردنا بهذه الاشارة أن ننبه القارىء إلى أن حجم التلوث الكيميائى على الأرض أضخم بكثير مما تصورنا ـ يتنا عليه فى هذه المقالة الموجزة ولقد كان العلم هو الذى أعتق غول التلوث من قمقمه ـ عن غير قصد بالطبع ـ وعلى العلم وحده أيضا تقع مسئولية إعادة هذا الغول الى قمقمه . وعلى الرغم

النفط هو الذى أعتق غول التلوث من قمقمه

من أن هذه المهمة فى غاية الصعوبة الا أن العلماء قد شمروا بالفعل عن سواعدهم وشرعوا فى إنجاز مهمتهم موقنين بأن هذا قدرهم وهناك فى شتى ارجاء الارض من الباحثين جنود مجهولون يثابرون على بحوثهم فى جد وجلد ، ولا يتسع المجال هنا للافاضة او التفصيل ، على أن الايجاز لا شك يكفى للالمام بجوانب هذه المجهودات

تأخذ هذه الدراسات بعين الاعتبار أن التطور لا سبيل الى الوقوف فى وجهه أبدا أو دفعه الى الوراء ولم يعد فى مقدور البشرية أن تستغنى عن كل ما استحدثه العلم من مواد اصطناعية لها فوائدها التى لا شك فيها ـ وما دام الامر كذلك فلتنصب الدراسات على انتاج مواد اصطناعية كهذه فى صفاتها ولكنها قابلة للهضم الميكروبى ـ وذلك كى لا تتراكم فى بيئة الارض . ولقد حقق العلماء أنصبة متفاوتة من النجاح فى هذا المضمار لقد اتضح فى سياق حديثنا من قبل أن كل ما تنتجه أحياء الارض من مواد

عضوية هو في الواقع مواد تقلدية قابلة للهضم الميكروبي ، أماما يستحدثه الانسان من مواد اصطناعية فهو الذي يقاوم التحلل ويسبب التلوث لذلك كان من الطبيعي أن يسعى الباحثون الى حث بعض الاحياء على انتاج مثل هذه المواد الجديدة . وكما هي القاعدة في مثل هذه الحالات كانت الميكروبات والبكتيريا منها على وجه الخصوص هي أول ما خطر بفكر الدارسين من احل انجاز هذه المهام الصعبة وذلك لان الميكروبات تمتاز بتباين ومرونة وسرعة كبيرة فيما يختص بأنشطتها الحيوية ، ومعدلات تكاثرها متى توفرت لها الظروف المناسبة وتعتمد طريقة انتاج المواد الجديدة على زراعة هذه الميكروبات في أوساط غذائية تحتوى على مواد أولية يمكن للميكروبات تحويلها الى المادة الصناعية المرغوبة وغنى عن الذكر أن تحقيق ذلك يقتضى دراسات مضنية تتعلق بانتقاء الميكروب المناسب ودراسة حاجاته الغذائية وانشطته المختلفة وما الى ذلك ومن خلال أساليب الهندسة الوراثية يمكن برمجة العوامل الوراثية في الميكروبات واستنباط سلالات منها ذات انتاجية مرتفعة وسوف نتناول بالوصف هنا مثالا واحدا يغنى عن امثلة كثيرة في التعريف بهذا الاتجاه البحثى الجديد وتجرى البحوث التى نحن بصدد وصفها في (مؤسسة الصناعات الكيميائية الامبراطورية) بانجلترا حيث وضع الباحثون هناك أن احدى سلالات البكتريا التى عزلت لاول مرة في جامعة جوتنجن بالمانيا الغربية بامكانها تحويل السكر الى بوليسترات

ولقد بدأت هذه الدراسات في هاتين الدولتين فور حدوث ازمة البترول الشهيرة عام ١٩٧٣ م و ـه مادة البوليستر البكتيرية في صفاتها الطبيعية ادة PVC التى أشرنا اليها من قبل الى حد كبير ـما أثبت الباحثون امكان التحكم في صفات البولستر البكتيرى وذلك من خلال اضافة أو ازالة مواد معينة في الوسط الغذائي التى تنمو فيه البكتيريا وما زالت هذه الدراسات تجرى على قدم وساق بهدف اكساب المنتج افضل الصفات الطبيعية الممكنة التى تؤهله لاحتلال مكانة مادة PVC في صناعات التعليف وما اليها ، وبما ان هذه المادة الجديدة هي في الواقع نتاج كائن حى (البكتيريا) فهى اذن قابلة للهضم الميكروبي

ولقد أثبتت الدراسات صدق ذلك فعندما دفنت هذه المادة في عينات من التربة تحللت تماما بعد فترات مشابهة للفترات اللازمة لتحلل الورق مثلا وهذ هي الميزة الكبرى التى تمتاز بها المنتجات البكتيرية على قريباتها الاصطناعية ، ولأن هذه المادة البكتيرية الجديدة تتحلل ايضا داخل الجسم البشرى فلقد شرع العلماء في دراسة امكان استخدامها لانتاج الخيوط الجراحية وما اليها

والعبرة الرئيسية من مثل هذه الدراسات تكمن في أن العلم قد بعث املا جديدا يتعلق بامكان انتاج مواد بديلة للمواد الاصطناعية ،ولكنها مواد طبيعية قابلة للهضم الميكروبي وباحلال هذه المواد محل المواد الاصطناعية بالتدريج يمكن التخلص من مشكلة التلوث الكيميائي بالتدريج وقديما قالوا (من سار على الدرب وصل) □

بكة أو مكة

● يتفق الباحثون على أن بطليموس هو أول من أشار الى اسم مكة ، وأوردها باسم (مكربا) ومن سرده يتضح أنها كانت بلدة عامرة في القرن الثاني للميلاد ، وأن نبع زمزم هو السبب في نشو هذا المركز المقدس

ويقال ان الاصل في اسم مكة هو لفظ بكة أو بك السامية الأصل ، مع الأخذ بعين الاعتبار القرآن سمى مكة باسم بكة « إنّ أوّل بيت وُضع للناس للّذي ببكّة مباركا وهدى للعالمين » ومن المعروف انه يمكن ابدال الباء ميماً في اللغة العربية ، وكذلك العكس ، فمثلا اسم (بعلبك » في لسان كلمة مركبة من مقطعين ، (بعل) هو اسم معبود كنعاني قديم ، و(بك بمعنى (بيت) ، وقد أطلق على المدينة التي فيها بيت البعل ، أي بعلبك ، وهذا نفس ما حصل مكة

قصة بقلم : سليمان فياض

الوقت فحر ، ودلك الاحر ، في داحلي ، لم
يم ، يحلم لي ربما لأطل راقدا ، وربما ليحكم
رته علىّ ، حين أصحو من النوم

سمعت حرس الباب يدق ، وعيت أن الكل في
ب نائم وهممت بالنهوص لأفتح الباب ، لكنى
ت ممددا ، لا أقدر على الحلوس ، ولا الوقوف
عاد حرس الباب يدق ، ووعيت أن الكل في
ب ما يرال نائما وعاد حرس الباب يدق ، ويلح
دق ، حتى صار رنينه مسمرا ومرعجا ، فنهصت
مي مسرعا الى الباب فتحه ، فرأيت اثنين
له ، أعرفهما « شعبان » و « أمين » ، اسا

حدى عبدالوهاب ، اندهشت لمراهما في هدا الوقت
بين الليل والنهار ، وابتسمت لهما وهممت بالتنحى
لهما عن مدحل الباب ، لكنى رأيت حلفهما عربة
« حنطور » ، واقفة في الشارع ، تحمل على مقعدها
الحلفى شحصا ممددا ، منثنى الركبتين قال لى أمين
دون تحية

ـ افتح الصلفة الأحرى

رحت أفتحها ، بينما هما عادا إلى دلك الشحص
ليحملاه إلى شقتنا حطر لي أن دلك الشحص ، هو
حدى عبدالوهاب ، وأحسست بالحزن والاكتئاب

وهما يدحلانه وقد حملاه فيما بينهما ، تحرك مصراع
الباب إلى الحلف، فوقعت زهرية كانت موضوعة
حلفه ، وانكسرت ، وأوهمني كسرها عن الانحناء
على حدى عبدالوهاب لأقبله ، وأبكى على صدره

تشاءمت من كسر الزهرية وفكرت أن حدى
عبدالوهاب مريض ، وسيطر علىّ يقين أنه سيموت ،
فالزهرية قد انكسرت رغبت في البكاء بحرقة ،
لكنى صحوت من نومي حزينا ، ومحبطا وشعرت
بالراحه لأني كنت أحلم ، لكن الحزن سيطر علىّ ،
وأحسست بدموع حبيسة تترقرق في عيني فالحلم
كان واضحا ، كانت رؤيا الحلم قد حدثت بعيد
الفجر ، وحشيت حقا أن يكون حدى عبدالوهاب
مريضا مرض الموت حين كنت طفلا أحببت حدى

عبدالوهاب أكثر من حبي لأبي ، وجدي علي . ولم يكن عبدالوهاب جدي حقيقة ، كان فقط شقيقا لجدي علي ، وكان يعيش في بيت متواضع في قلب الحارة ، وكنت أعيش مع أبي وجدي علي في بيتنا ، بيت الأسرة الكبير ، في الشارع الرئيسي الدائري حول القرية . في كل ليلة من ليالي رمضان ، أحس وأنا نائم على خدي بملمس رطب ، يثير في روحي الغافية شعورا ما بالرضا . وفي الصباح حين أستيقظ ، أجد في حضني قطعا من الحلوى ملفوفة بورق ملون ، فأسأل عمن أتى بها ، فيقال لي :

ـ البركة . بركة رمضان .

فأصدق ، وأصدق ، حتى ترصدت ذات ليلة ، ذلك الملمس الرطب ، ففتحت عيني ، ورأيت وجه جدي عبدالوهاب ، منحنيا علي ، مبتسما ، يقبلني ، ويقول لي :

ـ نم جيدا يا أبا داود

عانقته ، وقبلته ، وسهرت معه تلك الليلة أضحك من قلبي لكني ظللت أسأل ، متغابيا ، وسعيداً، في كل صباح ، وأنا أقبض بين كفي على الحلوى ، عمن أتى بهذه الحلوى ويأتي إليّ الجواب الضاحك الذي أتوقعه

ـ البركة . بركة رمضان .

وحتى ، بعدما انتهت ليالي رمضان ، ظل جدي عبدالوهاب يأتي إليّ في الصباح ، حاملا في حجره ثمرات طازجة ، من الجوافة ، أو البرتقال ، ويتركها تنزلق من حجر ثوبه أمامي على الحصير ، وينحني ضاحكا يقبلني :

ـ صباح الخير يا أبا داود

أدركت الآن ، وأنا على فراشي أترقب معنى الحنان بباله طفل من شخص عزيز ، ويحمله في قلبه ، ينتظر مدى عمره أن يعطيه دافقاً للصغار والكبار

كم مضى علي مع هذه الذكريات ، في شريط الصور والأصوات ؟ أحسبها لم تستغرق سوى ثوان ، وانتهت سريعا .

على غير توقع ، انتبهتُ كل ذرة فيّ ، فجرس الباب الخارجي للبيت أسمعه يدق الآن ، وما زال الكل في البيت نائما . وجرس الباب يعود للدق تملكني رعب جارف ، وغمرتني رعدة شاملة ، لكن نهضت من فراشي مسرعا نحو الباب .

فتحت الباب رأيت شعبان وأمينا ، وخلفهما العربة الحنطور واقفة في الشارع ، وبها داخلها الشخص الحبيب ممدداً ، مثني الركبتين أوشكت أصرخ ، لكني سمعت صوت أمي يقول بحسم

ـ افتح الضلفة الأخرى

رحت أفتحها ، وعادا إلى العربة ، ثم عادا يحملان بينهما جدي عبدالوهاب إلى داخل البيت وهما يدخلان تذكرت الزهرية ، انتفضت منتبها وقفت لثوان أسرعت إليها لأنقذها لكن الباب قد تحرك إلى الخلف والزهرية كانت قد وقعت بالفعل قبل أن أصل إليها ، وانكسرت ، وغمرني شعور جدّي عبدالوهاب سيموت ، وأنه مريض من الموت ، لأن الزهرية انكسرت ، ولأن الحلم ذلك . وتذكرت حبه لي ، وحنانه ، وتراءت حبّات « الجوافة » رطبة ومنعشة ، لم تغسل بعد وأحسست برائحتها ، ومذاقها المحترق ، ولحمها الأبيض والأحمر ، وانفجرت في البكاء بعيدا عن ووجدتني ألطم أجزاء الزهرية لأنها كانت نذير شؤم ، وأكره الأحلام لأنها كانت نذير شؤم

وجاءت عربة سوداء ، تحمل جثمان جدي عبدالوهاب، وكان ... تجمد كالثلج □

العلاج الفيزيائي

عرفه الإنسان منذ أقدم العصور

بقلم : الدكتور وليد السباعي

العلاج الطبيعي ، أو الطب الفيزيائي والتأهيل أو المعالجة الالكترونية هي تسميات مختلفة لعلم واحد هو العلاج الفيزيائي والتأهيل وأصل الكلمة اليوناني هو «فزيكو تيرابيو» ويعنى العلاج بالعوامل الفيزيائية التي عرفت منذ أقدم العصور . ما هي قصة العلاج الطبيعي وكيف بدأت ؟

لاقت المعالجة الفيزيائية نجاحا منقطع النظير الا أنها في الوقت ذاته لاقت لوما وهجوما عنيفين ، فقد لاقت النجاح ، لأن بعض الأمراض الصعبة التي كان علاجها مستحيلا قد أمكن علاجها أو تخفيف وطأتها الشديدة بهذه الطريقة من العلاج ، وعلى سبيل المثال عواقب شلل الأطفال ، أو الفالج الشقي أو شلل الأطراف أو شلل عصب الوجه ، أو بعض الأمراض العظمية والروماتيزمية ، أو بعض حالات العقم عند النساء الخ . ولاقت اللوم

والهجوم نظرا لأن بعض القائمين بها ليسوا أ[...] احصائيين أو لأنهم لا يمتون إلى الطب بصلة ونتيجة لذلك فانهم لم يستطيعوا تقديم ا[...] المساعدة للمريض ، أو لأن البعض عالج [...] أمراضا لاتدخل ضمن نطاقها وبالتالي لم تقد[...] الكافي لهذا الانسان ، ونحن نعلم أصلا أن [...] دواء لكل الأمراض ، والا لاختل نظام الحيا[...] على وجه الأرض ، وجلّ من بيده المرض أو [...] عموما فان هذه المعالجة أصبحت جز[...]

الخدمات الطبية بصورة عامة ، ولا غنى لأى
م عن الخدمات التي تقدمها ، والتي يمكن أن
ها بيا لو استغلت وطوّرت كما يجب

م قائم بذاته

المعالجة الفيزيائية والتأهيل هي علم طبي قائم
، ككل العلوم الطبية الأخرى الجراحية أو
خلية ، ذلك انها تستخدم للوقاية وللعلاج ،
ير عن العلوم الطبية الأخرى بما نسميه التأهيل ،
تأهيل المرضى أو المصابين ليستأنفوا حياتهم
لية والاجتماعية والعائلية
اذا كان الطب الداخلي بكل فروعه يعتمد
رة أساسية على الدواء ، والطب الجراحي بكل
عه يعتمد على الجراحة والدواء ، فان المعالجة
يائية تعتمد أيضا على العلاج بالعوامل الفيزيائية
لكترونية وحدها أو مع العلاج الدوائي
المعالجة الفيزيائية بمفهومها الواسع تعني معرفة
العوامل الفيزيائية على الجسم البشري في حالة
حة ، وفي حالة الاصابة أو العجز ، وتسخير
العوامل للعلاج أو للوقاية أو التأهيل
نحن نعلم أن العوامل الفيزيائية تنقسم الى
ن
امل طبيعية مثل الشمس والهواء والماء الخ
امل تكنولوجية مثل الطاقة الصوتية والطاقة
ارية والطاقة الكهربائية وفوق الصوتية

ما بين هذين العاملين يدخل علم المداواة
ماك « أصلها يوناني معناها حركة ومعالجة »
بصورة عامة فان مايؤلف المعالجة الفيزيائية
المعالجات الالكترونية بأنواعها العديدة جدا ،
لجات الصوتية ، المعالجات المائية ، المعالجات
را ية ، المعالجات الحركية ، المعالجة
شـ ـة ، المعالجة الطبيعية الخ

مـ ـل التاريخ

يمك الضبط معرفة التاريخ الذي بدأ فيه
ان فة العوامل الطبيعية وتأثيرها على صحته
الد حصل حتما منذ زمن غابر جدا ، في
، ما التاريخ ، ان أول نص مكتوب حول

معرفة الانسان للعوامل الطبيعية كالشمس والهواء والماء والصواعق الخ وتأثيرها عليه نراه في كتاب (كنك فو) أو التجارب الانسانية وقد كتب في حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وهو يشرح المداواة بواسطة التفريغ الجسدي ، وفي الهند يوجد كتاب فيدى « ٢٨٠٠ ق م » مشروح فيه عن الحركات الفاعلة والمنفعلة والمساج والرياضة الاستنشاقية ، أما عند الأشوريين والبابليين فقد كان يوجد إله للشمس والاعتقاد بقوة أشعة الشمس على شفاء بعض الحالات ، وفي مصر القديمة ولأول مرة في التاريخ عولجت أمراض المفاصل والعظام بواسطة حمامات شمسية وحمامات الطين ، وهكذا مرورا بالعرب القدماء واستعمال الكي والفصم ، والصينيين القدماء وطريقة الوخز بالابر ومشتقاتها واليونانيين القدماء « هيبوقراط ٤٦٠ ـ ٣٧٥ ق م » الذي كان يعمل حمامات شمسية وتمارين وتدليكا ، وهو أول من أوجد الجرعة ، أي ما نسميه اليوم بالجرعة الدوائية التي هي أهم اكتشاف في تاريخ الطب على الاطلاق ، ومرورا بالدولة الرومانية وحتى العالم عاليي « ١٢٩ ميلادى » الذي يعتبر أول مؤسس لما نسميه اليوم بطب العمل وهكذا تطورت المعالجة الفيزيائية من أشكالها البدائية الأولى ، حتى وصلت الى انجلترا وفرنسا وألمانيا والسويد ، ومنها ابتدأ مايسمى بالحركات السويدية التي أوجدها العالم (لينك) الذي أسس أول معهد للرياضة في ستوكهولم ، وتطورت اكثر لتصبح في فرنسا معالجة تحميلية ، وفي ألمانيا رياضة الأجهزة

لكن أكبر تطور طرأ عليها هو التطور الهائل الذي حصل لها بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، حتى أصبحت كما نراها عليه اليوم في الدول المتطورة ، حيث توجد المشافي الخاصة بها ، والمصحات والمستوصفات المتخصصة ، وأصبحت تدرس في الجامعات كمادة ضمن برنامج دراسة الطب ، ومن ثم كاختصاص مدته ثلاث سنوات بعد الانتهاء من دراسة الطب العام ، وتحصر بها الدراسات العليا والدكتوراة بدرجة استاذ

بداية العلاج الالكتروني

أما فيما يتعلق بتاريخ القسم الثاني منها ، أي

العلاج الالكتروني ، فأيضا يعود الى عهود سحيقة جدا ، حينما استعمل الانسان أول أشكال الكهرباء في التاريخ ، الذي ظهر عند اليونانيين القدماء والرومانيين ، حينما استعملوا الصواعق والأسماك الكهربائية « السمك الهزاز » وذلك عن طريق التماس بينها وبين جسم الانسان ، لكن ذلك كان بدائيا طبعا ، ولم يكن يسمح بضبط الشكل ولا الجرعة ولا الزمن

ان أول بدايات المعالجة الألكترونية قامت في ألمانيا عام ١٧٧٤ على شكل حمامات كهربائية سالبة وموجبة ثم نوعية ، وأول كتاب طبع حول المعالجة الألكترونية كان في أمريكا عام ١٨٠٢ ـ ١٨٠٩ و ١٨١٧ ، وأول جهاز استعمل للعلاج الألكتروني كان في أحد مستشفيات باريس ١٧٤٦ ولندن ١٧٦٧ ، ويجب الا ننسى فضل العلماء علماني وفولط وفارادي ونيقولا تسلا وتياراته ذات التوتر العالي وهكذا حتى الحرب العالمية الثانية ، وتسمى هذه الفترة بعصر المعالجة الألكترونية ، وحتى عام ١٩٥٤ حينما بدأ استعمال موجات ما فوق الصوت في التشخيص لأمراض القلب ، ثم ١٩٥٦ لأمراض العيون وحتى يومنا هذا

المعالجة الفيزيائية والتأهيل

هنالك بعض الأخطاء الفادحة التي شاعت ، والتي تعتبر المعالجة الفيزيائية ضربا من ضروب « المساج » أو الرياضة أو اعتبارها علاجا ليس ذا شأن كبير،يمكن تطبيقه فقط في بعض حالات أمراض العظام والمفاصل والعضلات ، أي الجهاز الحركي فقط عند الانسان ، وهذا خطأ فادح ، فليست المعالجة الفيزيائية نوعا من الرياضة أو المساج ، وهي لا تهتم فقط بالجهاز الحركي عند الانسان ، وانما هي نوع طبي كامل قائم بذاته لايشكل المساج والرياضة منه أكثر من واحد بالمائة ، وهو علاج متنوع ، يتفرع كثيرا ليتدخل في العديد من العلوم الطبية الأخرى ، اضافة الى انه الوحيد في بعض الحالات

ان من أهم تطبيقات المعالجة الفيزيائية هي معالجة الألم والأمراض الروماتيزمية والشلل بأنواعه وتخفيف العجز الوظيفي الناتج عن الأمراض والاصابات ، وتقصير زمن الاستشفاء بصورة عامة الى [illegible] الدنيا ، أي في كثير من الأمراض اذا استعمل [illegible] فإن الاستشفاء يستغرق زمنا أما باستعمال الدوا[illegible] « والدياترمي » مثلا فإن زمن الاستشفاء يكون أقص[illegible] بكثير ـ واعادة وظائف بعض الأعضاء المعطلة أو شب[illegible] المعطلة ، وتحسين اللياقة البدنية والحركية ، وتدريب المصابين على استعادة صحتهم وأمنهم ومكانهم [illegible] المجتمع والعمل على تدريبهم للقيام بأعمال العنا[ية] الذاتية كالطعام والعمل واللباس والاتصا[ل] بالناس ، كما انها تعمل على الوقاية من التشوهات الجسمية واصلاحها ، وتخفيف الألم ، وتحسي[ن] امكانية الترميم ، والتدريب على استعمال العكاكي[ز] والأطراف الصناعية ،ووسائل العناية الذاتية الأخر[ى] كأفضل ما يمكن

وحتى تتضح الصورة أكثر يجب تصنيف مجالا[ت] المعالجة الفيزيائية ، ولنبدأ بأمراض الجهاز الحرك[ي] واصاباته التي أهمها ازالة الألم الذي يعاني منه المرضى والأمراض الروماتيزمية والشبيهة بالروماتيزم والآفات المفصلية ، كالتهاب المفاصل والفقرا[ت] وتنكسها العظمي أو الغضروفي ، والمناقير العظمية والديسك ، وأوجاع المفاصل والظهر ، واصابا[ت] العضلات والأوتار والرضوض ، وتطبق في امرا[ض] النورون الحركي كشلل الأطفال ، والفالج الشقي والشلل النصفي ، وداء ليتك ، وأوجاع الرأ[س] والشقيقة ، ثم شلل أعصاب الوجه ، أو التهابات[ها] وأوجاعها ، أو فقدان الاحساس في مكان ما

في الأمراض الداخلية والجراحية ، كالتهاب الأوعية الدموية ،وازالة الاحتقان والتجمد والدوالي والجلطة الطرفية ، وأمراض الربو ، وص[ر] الصدر ، والتهاب القصبات ، وتساعد في أمرا[ض] المعدة كالقرحة والوهن الهضمي والامساك المزم[ن] وأوجاع المرارة ، وذلك بالتشاور مع الطبيب المختص بهذه الأمراض

في أمراض الأنف والأذن والحنجرة كالتهاب اللوزتين والجيوب والأذن اضافة للدواء في حالا[ت] [illegible] القيام بعمل جراحي وفي حالات طنين الأذ[ن] [illegible] أحيانا يعجز أي دواء عن علاجها في الأم[راض] الجلدية ، كالتليف الجلدي والندوب بعد الجر[و]ح والحروق والدمامل وإزالة النمش والشعر [illegible]

ممرضة تقدم علاجاً طبيعيا لطفل

ي أمراض الأطفال كتبول الأطفال الليلي،في
ض الجهاز البولي كالالتهابات المثانية والكلوية
جاري البولية والبروستاتا في الأمراض النسائية
ن حالات العقم ، التهاب المبيض ، التهاب
راق والقنالات والتصاقاتها والتهاب الثدي

، العيوب الوراثية أو المكتسبة اعوجاج
لين ، تسطح القدم ، انحناء الظهر ، بروز أو
ماص عظمة الصدر

ي بعض الأمراض العصبية · كالشقيقة وبعض
ت القصور السمعي.. الخ

وقد تمكنا من علاج احدى حالات ضمور عصب
ية ، وقد تحسنت حالة المصاب جدا بعد اجراء
حوص قبل وبعد العلاج الخ

من هنا نقول ان المعالجة الفيزيائية والتأهيل هي
م طبي قائم بذاته ، ولا يمكن أن تتم الا باشراف
ب مختص بالمعالجة الفيزيائية ، أي طبيب عرف
سافة لى العلوم الطبية كلها . كالفيزيولوجيا
تشر ، بنوعيه العادي والمرضي وعلم الأدوية
لجراح ، والأمراض الداخلية والجراحية والنسائية
ع أ لم أيضا بالالكترونيات والأجهزة والمائيات
لوسا والطرق والأجهزة المذكورة ، اي يجب
جود طبيب اخصائي بالمعالجة الفيزيائية

اضافة الى معالج فني مختص بالمعالجة لينفذ مارسمه الطبيب المختص الذي فحص المريض وخطط وقرأ الصور والتحاليل الخ ، ثم وضع التشخيص الصحيح ورسم خطة العلاج فيزيائيا ودوائيا ، فلا يمكن للطبيب غير المختص أن يفعل ذلك بصورة صحيحة ، ولا يمكن للفني أن يشخص أو يكتب الدواء. الخ

عموما في الدول الراقية وفي المصحات المخصصة لهذا العلاج ، يوجد فريق متكامل يقوم بالعمل على أفضل وجه ، يتألف الفريق من

طبيب اخصائي بالمعالجة الفيزيائية وممرض فني لتطبيق العلاج،وممرض اخصائي بالعلاج المهني « نجارة » ، « حدادة » ، « خراطة » يعلم المصاب ويدربه على مهنته أو مهنة قريبة منها وعالم احتماعي يحلل ويدرس الحالة الاجتماعية للمريض في وسط عائلته وعمله ، ومختص علم نفس يدرس نفسية المريض ويساعده ليتأهل للحياة من جديد واستشاري لانتقاء نوع العمل الذي يجب أن تؤهل المريض أو المصاب له

فاذا ما وجد فريق بهذا المستوى وهذه الخبرة ، كان العمل صحيحا ومدروسا ، وعندها تكون النتائج جيدة ، وتؤتي المعالجة الفيزيائية ثمارها المرجوة □

صفحات لم يعن بها التاريخ

لويس التاسع .. أسير المنصورة

بقلم : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

بالاضافة الى ما للتاريخ من فوائد ومزايا عديدة ، أبرزها أنه يمثل مدرسة واسعة الآفاق يستفيد فيها اللاحقون من الدروس والتجارب التي مر بها السابقون فان استرجاع قصص التاريخ فيه لذة كبيرة للدارس والقارىء والمستمع ، لما يحفل به من مفاجآت ونوادر ، منها مايعبر عن الغرائز البشرية ، ومنها مايلقي أضواء على عادات الجماعات والأمم والشعوب وغير ذلك من ضروب المعرفة التي لاتخلو من فائدة وطرافة ومتعة

الملاحظ في دراسة التاريخ أن غالبية المؤرخين يعنون في المقام الأول بالتاريخ السياسي بكل مايحفل به من أحداث ترتبط بسقوط حاكم وقيام آخر ، أو بغزوة أو حرب أو هجرة أو فتنة وغير ذلك من تطورات تنصب أساسا على تعاقب الدول والحكومات ، أما ما عدا ذلك من اتجاهات تعبر عن الحياة الاجتماعية بآفاقها الرحبة ، أو الحياة الخاصة للافراد ـ وبخاصة صناع التاريخ ـ وطبيعة المسرح الذي عملوا عليه وتأثروا به ، والظروف التي أحاطت بهم ، وانفعلوا بها ، وأثرت في سلوكهم فان هذه جوانب قد تبدو في نظر غالبية المؤرخين ضروبا من الاستطراد ، رغم مالها من أثر في تشكيل الأحداث السياسية ، فضلا عما فيها من متعة [illegible] أشبه باللحم الذي يكسو العظام ، ليعطي [illegible] التاريخ

شكله الحقيقي الجذاب ، ويكسبه طعمه ومذاقه

ومن أمثلة ذلك حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر سنة ٦٤٧ هـ ـ ١٢٤٩ م ، وهي الحملة المعروفة باسم الحملة الصليبية السابعة ، فالمتعارف عليه في كتب التاريخ أن هذه الحملة مدخلين مثلدين ، فاما أن يأتي ذكرها في سياق التاريخ الفرنسي في القرن الثالث عشر للميلاد ، وإما أن يأتي ذكرها بوصفها حلقة من حلقات الحروب الصليبية في ذلك القرن ، ولكن لو حاول المؤرخ أن ينظر الى هذه الحملة من خلال شخصية لويس التاسع نفسه ، ونشأته وتكوينه الخلقي من ناحية ، ومن خلال المسرح الذي عمل عليه لويس التاسع ورجاله في الشرق ، وعقلية الناس الذين احتك بهم من ناحية اخرى لاكتشف أن هذه الحملة مذاقا آخر شيقا لايخلو من جديد

فتاريخ لويس التاسع ملك فرنسا (١٢١٤ ـ ١٢٧٠) تأثر الى حد بعيد بنشأته التي أسهمت بدورها في تشكيل شخصيته وفي سلوكه وتصرفاته ، ذلك أن أباه لويس الثامن توفي سنة (٦٢٤ هـ ١٢٢٦ م) تاركا ابنه قاصرا في الثانية عشرة من عمره ، فشب تحت وصاية أمه الملكة بلانش القشتالية ، وقد اتصمت هذه الملكة بالحزم في معالجة الأمور وقوة الشخصية والصلابة ، مع التدين الشديد ، مما مكنها ـ بمساعدة رجال الكنيسة ـ من الصمود في وجه كبار الأمراء الاقطاعيين ، حتى تم تويج ابنها ملكا على فرنسا عقب وفاة أبيه مباشرة

غير أن سيطرة الأم وقوة شخصيتها جعلتا الابن شب تحت وصايتها في جو مشحون بالكبت ، كما أن نشأته الدينية في كنفها أثرت تأثيرا واضحا في شخصيته وسلوكه ، فاتصف بالهدوء المفرط من ناحية ، وشدة التقوى والاخلاص للكنيسة ورجالها من ناحية اخرى ، والواقع أن لويس التاسع لم يفتقر الى الثقة بالنفس ، ولكن تغلب شخصية الأم جعله يبدو أمامها ـ حتى وفاتها سنة ١٢٥٢ ـ مسلوب الارادة . فيما عدا ذلك ـ أي بعيدا عن دائرة نفوذ أمه ـ فانه اتصف بامتلاء الشخصية ، وقوة الارادة والاعتزاز بكرامته وكرامة منصبه ـ بوصفه ملكاً على فرنسا ، حتى أنه وصف في المصادر الأوروبية بأنه كان ملكا في هيئته وسلوكه ، أما المصادر العربية المعاصرة ، فقد وصفته بأنه كان « أعظم ملوك الفرنجة وأشدهم بأسا وكان متدينا بدين النصرانية مرتبطا به »

قصة النذر

خططت أم لويس لتزويجه من الأميرة مرجريت ـ ابنة برنجر الخامس أمير بروفانس ـ وكان هدفها من تلك الزيجة كسب امارة بروفانس القوية الى جانب الملكية الفرنسية ، في حلبة الصراعات بين فرنسا والقوى المجاورة في غرب أوروبا ، وتم الزواج فعلا سنة ١٢٣٤ ، ولكن شعور الغيرة ونزعة السيطرة جعلا الملكة الأم تشدد وطأتها على الملكة مرجريت ، رغم أن الأخيرة كانت لاتقل عن الأولى حيوية ونشاطا وطموحا ، ولم يستطع الملك لويس التاسع أن يخالف أمه ، حتى في مشاعرها نحو زوجته ، فاتصف سلوكه نحوها في كثير من الأحيان بالفتور والبرود

وعندما اصيب لويس التاسع بمرض خطير في أواخر سنة ١٢٤٤ ، نذر ـ ان هو أبل من مرضه ـ أن يقوم بحملة صليبية لاسترداد بيت المقدس ومحاربة من أسموهم أعداء الصليب ، ويبدو ان استحكام النزاع بين البابوية والامبراطورية المقدسة في تلك المرحلة حال دون وفاء الملك لويس بنذره فور شفائه ، فاضطر الى تأجيل مشروعه الصليبي بعض الوقت ، حتى اذا ما قرر لويس التاسع القيام بحربه المقدسة ، اختيرت مدينة دمياط ـ على مصب الفرع الشرقي للنيل ـ هدفا لتلك المغامرة ، وكان الصليبيون يعتقدون دائما أن الاستيلاء على بيت المقدس يجب أن يبدأ بضرب مصر بوصفها قلب العالم الاسلامي النابض ، وبخاصة بعد أن أثبتت الحوادث أن مصر كانت الركيزة الأساسية التي اعتمد عليها صلاح الدين في تحقيق انتصاراته عليهم ، وفي استرداد بيت المقدس منهم

ولم تكن المرة الأولى التي يقرر فيها الصليبيون مهاجمة مصر عن طريق دمياط ، اذ سبق أن اتجهت الحملة الصليبية الخامسة الى دمياط سنة ١٢١٩م ، وبعد أن استولى عليها الصليبيون ، شرعوا في الزحف على داخلية البلاد ، ولكن مشروعهم انتهى الى الفشل والهزيمة ، وكانت دمياط في ذلك العصر ميناء مصر الأول على البحر المتوسط ، ومركز

الاتصالات البحرية مع الموانى الاسلامية في الشام وشرق البحر المتوسط من ناحية ، ومع موانى غرب ذلك البحر من ناحية أخرى ، وبحكم وقوعها في شرق الدلتا صارت مصدر تهديد للموانى الصليبية بالشام ـ وبخاصة عكا وخطوط مواصلاتها البحرية مع غرب أوروبا

السرية والمباغتة

مهما يكن من أمر ، فان تقوى لويس التاسع وشدة ولائه للكنيسة ، وقوة ارتباطه برجالها ، أمور أثرت في مصائر حملته الصليبية التي أبحرت من شواطىء جنوب فرنسا في أغسطس ١٢٤٨ ، وكان لويس التاسع بحكم تقواه يقف بمشاعره الى جانب البابوية في نزاعها المرير مع الامبراطورية ، ولكنه تظاهر بالوقوف على الحياد بين الطرفين ، حتى يضمن لحملته الصليبية جوا هادئا نقيا ، ومع ذلك فان الامبراطور فردريك الثاني في صقلية أحس بموقف الملك لويس غير المعلن ، فبادر بارسال افادة الى السلطان الملك الصالح (نجم الدين أيوب) يعرفه بوصول الفرنسيين اليه ، وهو طالب لثغر دمياط وقد ادعى الامبراطور في رسالته أنه بذل جهدا ليثني الملك الفرنسي عن عزمه قال « واجتهدت غاية الاجتهاد على رده عن مقصده ، وخوفته ، فلم يرجع لقولي ، فكن منه على حذر » ، حسبما جاء في رسالة الامبراطور فردريك الى السلطان الصالح أيوب

وكان من الطبيعي أن يأخذ السلطان تحذير الامبراطور على محمل الجد ، بحكم ما كان هناك من علاقات ودية بلغت حد تبادل المراسلات والهدايا والسفراء بين السلطان الكامل الايوبي ـ والد الصالح أيوب ـ والامبراطور فردريك الثاني ، ويعبر أحد المؤرخين المعاصرين عن تلك العلاقات الطيبة بقوله ان الامبراطوور فردريك كان مصافيا للملك الكامل « أبيه » ، فكذلك له (للصالح أيوب)

وهكذا فقدت حملة لويس التاسع عنصري السرية والمباغتة ، وهما عنصران لابد منهما لضمان نجاح أية ضربة حربية ، فأتى السلطان الصالح أيوب من الشام الى مصر مسرعا ، واستطاع ـ رغم مرضه الشديد ـ أن ينظم الاستعدادات الضرورية للدفاع عن البلاد ، فشحن دمياط « بالذخائر والأقوات والزرد خاناه وآلات الحرب » وذلك استعدادا لحصار طويل ، وأرسل الى نائبه بالقاهرة ـ الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي الهذباني ـ يستحثه في إنشاء السفن بدار الصناعة ، وأمره بأن « يعمرها بالرجال والعدد ، ويسيرها اليه أولا بأول » كما ذكر المؤرخ المعاصر ابن واصل ، وقد توقع المسلمون أن ينزل الصليبيون على الضفة الغربية للنيل المواجهة لمدينة دمياط ـ مثلما فعلوا قبل ذلك بثلاثين عاما في الحملة الصليبية الخامسة ـ لذلك أمر السلطان الصالح أيوب أحد أمرائه وهو فخر الدين يوسف بن الشيخ بالوقوف على راس قوة من الجند على هذه الضفة ، تحسبا لخطر العدو ، وفي تلك المرحلة اتخذ السلطان الصالح أيوب من بلدة أشموم طناح ـ على الترعة المعروفة باسم بحر أشموم جنوب دمياط ـ مقرا له ، يكون بمثابة غرفة عمليات يوجه منها دفة المعركة المرتقبة

خيوط رئيسية

لانريد أن ندخل في التفاصيل الحربية لحملة لويس التاسع على مصر ، فأخبارها وردت مفصلة في كتب التاريخ يكفي أن نشير الى خيوطها الرئيسة بالقدر الذي يوضح ما ذهبنا اليه من القاء أضواء على الجوانب التي أهملها المؤرخون في تأريخهم لتلك الحملة ، ومن هذه الخيوط أن لويس التاسع اختار أن يتجه أولا الى جزيرة قبرص ، حيث أمضى بضعة أشهر في تجميع قواته وسفنه التي بعثرتها الرياح في البحر ، فضلا عن اجراء عدة اتصالات مع بعض القوى المعادية للمسلمين في الشرق ، مثل المغول والصليبيين بالشام

وكانت تصحب لويس التاسع زوجته مرجريت ، التي أصرت على مرافقته في حملته الصليبية ، ربما لتخلو به بعيدا عن رقابة أمه الملكة بلانش ، وقد حذا مرجريت عدد من زوجات الأمراء المشاركين في الحملة ، مما أضفى عليها طابعا اجتماعيا واسعا

ومن الملاحظ أن أصحاب المشاريع الصليبية في ذلك العصر كانوا ينصحون الصليبيين دائما تكون هجماتهم على المسلمين في يوم جمعة وقت الظهيرة ، والمسلمون في المساجد ، و[illegible] ظهر الأسطول الصليبي بقيادة الملك لويس التاسع أمام

ط طهر الجمعة لتسع بقين من صفر سنة
هـ ، الموافق ٤ يونيو ١٢٤٩ م
بدو أن لويس التاسع كان يجيد أسلوب الحرب
ية ، فبادر بارسال رسالة قوية الى السلطان
الح ايوب يذكره فيها بان المسيحيين ضربوا
من في الاندلس ، « واخذنا النساء والعذارى ،
بامم على ملة النصارى ، وجعلنا رجالهم
ى ، وساءهم عليهم حيارى » ، وطلب لويس
السلطان الاستسلام فورا ، والا حل بالمسلمين
ايه ما لاتحمد عقباه « فلا نرحم عزيزاً أو ذليلاً
دا) ، ولاتجد الى نصرتهم من سبيل !! »
سم لويس التاسع رسالته الى السلطان الصالح
ـ بضعة أبيات من الشعر ، جاء فيها

ستعلم ليلى أيَّ دَيْن تداينت
وأي غريم للتقاضي غريمها

ويروى المؤرخ ابن أيبك الدواداري أن الصالح
ب بادر ـ رغم مرضه الشديد ـ بالرد على الملك
رنسي ، متوعدا اياه اذا جرؤ على النزول بأرض
سلام ، واختتم رسالته بشعر جاء فيه

يامليك الروم هل أنت سامع
وهل أنت عما في ضميرك راجع
روم بلاد القدس بالسيف عَنوة
ودون بلاد القدس دينك ضائع
بد حفظ البيت المقدس عصبة
كما حفظ الكفَّ اليمين الأصابع
لا أنت ترجو البعض مما قصدته
ولامن أتى مستنصرا لك راجع
ـطمع مِن ليلى بوصل وانما
تضرِّب أعناق الرجال المطامع

وما كاد الملك لويس يتسلم هذه الرسالة ، حتى
ر رحالة ، بنزول الى البر ـ على الضفة الغربية لفرع
ياط ـ حيث ضربت للملك خيمة كبيرة حمراء
نون ، وعندما أدرك الأمير فخر الدين قائد القوة
رابطة على الضفة الغربية للنيل خطورة الموقف
رسل عن طريق حمامة الحمام » الى السلطان يشرح له
لأمور ، ولكنه لم يتلق ردا ، فظن أن السلطان مات
ان الجند كانوا يعرفون سوء حالته الصحية ، ولذا
بادر بالانسحاب الى الضفة الشرقية التي عليها

دمياط ، ولم تلبث حامية دمياط هي الأخرى أن شعرت بكشف ظهرها نتيجة للانسحاب المفاجىء للأمير فخر الدين ورجاله ، فانسحبت حامية دمياط هي الأخرى تاركة أبواب المدينة مفتوحة « ولم يبق بدمياط أحد ، بل تركوها صفرا من الرجال والنساء والصبيان » ، وهكذا عبر الصليبيون النيل ، ودخلوا دمياط بسهولة في ٦ يونيو ١٢٤٩

وكان أن أمر السلطان الصالح أيوب بمعاقبة بعض الفارين من حامية دمياط ، ولكن يبدو أن « الوقت كان لايحتمل الا الصبر والاغضاء عما فعلوه » لذلك نقل السلطان المريض مقره من أشموم طناح الى المنصورة ، على الضفة الشرقية للنيل ، عند بحر أشموم من فرع دمياط ، ولم تكن المنصورة حينئذ مدينة سكنية بمعنى الكلمة ، وانما كانت « منزلة » أنشأها السلطان الكامل الأيوبي ـ والد الصالح أيوب ـ ونزل بها عندما هاجم الصليبيون مصر قبل ذلك بثلاثين عاما في الحملة الصليبية الخامسة ، وكان أن أمر السلطان الصالح أيوب بتحصين المنصورة ، لتصبح خطا دفاعيا يحمي داخلية البلاد والقاهرة ، فجددوا أسوارها وتحصيناتها ، ونزح اليها عدد كبير من المتطوعين والفرسان ، فضلا عن أعداد من العربان والحرافشة ، ثم ان السلطان الصالح أيوب نقل الى المنصورة فرقة من مماليكه الأتراك الذين كان قد جلبهم صغارا ، وعني بتربيتهم وتنشئتهم ، حتى صاروا فرسانا أقوياء يضرب المثل بشجاعتهم ،

بعد سقوط دمياط

أما الصليبيون ، فكانت فرحتهم عظيمة بالاستيلاء على دمياط بتلك السهولة ، وسرعان ماد خلوها « فوجدوها صفرا من الناس وأبوابها مفتحة ، فملكوها صفوا عفوا ، واحتووا كل مافيها من العدد والأسلحة والذخائر والأقوات والمجانيق » على قول المؤرخ المعاصر ابن واصل الذي عايش الأحداث ، ورأى بعضها بعينيه ، وسمع عن البعض الآخر من شهود عيان ، على أن لويس التاسع ورجاله لم يستفيدوا سنة ١٢٤٩ من الأخطاء التي وقعت فيها الحملة الصليبية الخامسة قبل ذلك بثلاثين عاما ، وبدلا من أن يستفيد لويس التاسع من حالة الفوضى والفزع التي عمت الجبهة الاسلامية ،

نتيجة لسقوط دمياط ، ويحاول أن يباغت أعداءه قبل أن يفيقوا من الصدمة ، اذا بالصليبيين يضيعون الفرصة ويستسلمون للاسترخاء في دمياط بضعة أشهر وكأنهم في نزهة حربية بين ربوع الشرق فاستمرأوا الحياة في دمياط ، وانغمس معظمهم في اللذات ، ولا أدل على احساس الملك لويس نفسه وزوجته مرجريت بأن الجو قد صفا لهما في دمياط بعيدا عن سطوة الملكة الأم بلانش وسيطرتها ، من أن مرجريت حملت من زوجها في تلك الفترة ـ وعلى أرض دمياط ـ وسنرى أنها وضعت حملها بعد تسعة أشهر في دمياط في أثناء أسر أبيه

وأما بالنسبة للمسلمين ، فان سقوط دمياط جاء « مصيبة عظيمة لم يجر مثلها » وحدث ذلك في وقت ساءت حالة السلطان الصالح أيوب ، وأخذ « يتزايد مرضه ، وقواه تضعف وتتلاشى ، والأطباء ملازمون له ليلا ونهارا ، وقد وقع يأسهم من عافيته » ولم يلبث ان توفي السلطان الصالح أيوب في ٢٢ نوفمبر ١٢٤٩ م (١٤ شعبان ٦٤٧هـ) ، وعلى الرغم من كافة الاحتياطات التي اتخذتها زوجته شجرة الدر لاخفاء خبر وفاة السلطان لحين حضور ابنه « توران شاه » الذي كان متغيبا خارج مصر ، الا ان الشك في حياة السلطان قد تسرب الى نفوس المواطنين والأعداء جميعا

ومهما يكن من أمر ، فان وفاة السلطان الصالح أيوب ، واكبت زحف الفرنج من دمياط متجهين جنوبا بحذاء الضفة الشرقية لفرع دمياط ، وكان خروج الصليبيين من دمياط « بفارسهم وراجلهم ، وشوانيهم (سفنهم) في البحر تحاذيهم » ومرة أخرى أثبت الصليبيون أنهم لم يتعلموا شيئا من دروس الماضي ، لأن التجارب أثبت أن أسوأ الطرق لغزو مصر هو طريق النيل بقنواته وترعه ومياهه التي تشكل عقبات طبيعية صعبة في طريق الغزاة ،

وهكذا ما كاد لويس التاسع يتقدم على رأس جنوده بحذاء النيل جنوبا ، حتى أنزل المسلمون سفنهم خلف خطوط المواصلات الصليبية ، ليقطعوا على أعدائهم الطريق الذي يربطهم بقاعدتهم في دمياط ، هذا في الوقت الذي شن المسلمون نوعا من حرب العصابات على الصليبيين في أثناء زحفهم فتخطفوا منهم وقتلوا كثيرا » ويروي المؤرخ المقريزي أن أحد المسلمين أدخل رأسه في بطـ... وغطس في الماء بحيث لم تظهر سوى البطيخة ... السطح ، فظنه الصليبيون بطيخة تطفو فوق الماء ونزل أحدهم ليظفر بها ، وعندئذ خطفه المسلم وعام به حتى قدم به الى المسلمين »

الملك الأسير

وعندما نجح الصليبيون في عبور بحر أشموم ا... المنصورة ، تعجلت مقدمة الجيش الصليبي في اتجـ... تلك المنزلة ، ليكون لها شرف السبق في الاستيـ... عليها ، وكان عدد أفراد هذه الفرقة من الصلـ... قرابة ألف وأربعمائة فارس ، ماكادوا ينتشرون ... دروب المنصورة وطرقاتها حتى انقض عليهم المماليـ... البحرية ـ الترك ـ وحملوا على الفرنج حملة منكر... فبددوا شملهم يمينا وشمالا فلم تكن ساعة ، واذا بالفرنج قد ولوا على أعقابهم منهزمين

وسرعان ما أحدثت هذه الكسرة المفاجئة ا... ألمت بمقدمة الجيش الصليبي خلخلة في بقية صفو... الجند ، فعم الهرج وبادر الجميع بالتراجـ... والانسحاب ، وكان المسلمون قد قطعوا الجسـ... فأحدثت المياه تكسو الأرض ، وألفى الصليبيـ... أنفسهم لايقوون على الحركة وسط الطـ... والأوحال ، في الوقت الذي أخذ الصيف يزحـ... تدريجيا بحرارته ورطوبته ، وصحب هذا ود... تفشي الوباء وانتشار الحمى ، مما جعل العملية ليـ... مجرد انسحاب بالمعنى المعروف في فنون القتـ... والحرب ، وانما كانت ـ كما اسماها المؤرخـ... المسلمون المعاصرون ـ عملية « فرار » الى دمياط وفي الوقت الذي أخذ الصليبيون يتراجعون في ... شديد « ركب المماليك أقفيتهم » أي ساروا خلفـ... يطاردونهم مطاردة عنيفة محكمة ، بسبب درا... المسلمين بطبيعة الأرض والبلاد

وتتحدث المصادر المعاصرة عن أفواج الأسر... الذين كانوا يرسلون الى القاهرة أولا بأول حـ... يزفون في الشوارع والطرقات وسط زغاريـ... وصياح الصغار والكبار وزاد من رفـ... المعنوية عند المسلمين في تلك المرحلة حضـ... توران شاه ، وكان قد نودي به في طريقه مـ... سلطانا خلفا لأبيه الصالح أيوب

ىا الملك بويس التاسع الذي سبق أن أرسل الى
ىان مصر يعيره ويذكره بما أصاب المسلمين في
لس من هزائم على أيدي المسيحيين ، فقد أمسى
ماله سيئة صحيا ونفسيا ، وعند فارسكور ـ
ل المصورة ـ كان الاعياء قد بلغ منتهاه بالجيش
يسى في حين ارتفع منسوب المياه وعجر

لمسون عن الحركة بعد أن غاصت سيقانهم
دان حيولهم في الوحل ، كما أحاط المسلمون
ش الصليبي الذي سقط بأكمله بين قتلى وأسرى
ريل ١٢٥٠) ، ويؤكد المؤرخ ابن تعرى بردى
كان باستطاعة لويس التاسع الفرار الى دمياط ،

، « لو أراد الفرسيس أن ينجو بنفسه لخلص على
ل سق أو في حراقة (سفينة) ، لكنه أقام في
اله (مؤخرة الجيش) يحمي أصحابه » وكان أن
لوس التاسع ، ومعه « خمسمائة فارس من أبطال
ريج » الى قرية قريبة تسمى منية أبي عبد الله ،

حيث أرسل الى المماليك يطلب « الأمان على نفسه
ومن معه » ،ولكن الفرسان المرافقين له لم يرتضوا
الاستسلام ، وقاوموا « فأحدق المسلمون بهم ،
وبقوا يحملون عليهم حملة بعد حملة ، حتى أبيدت
الفرنج ، ولم يبق سوى فارسين ، فرموا بنفوسهم
بخيولهم الى البحر فغرقوا »

وهكذا وقع الملك الفرنسي أسيرا في قبضة
المسلمين . فاستحضروا له على الفور طبيبا أشرف
على علاجه ، وضربت له « خيمة كبيرة أنزلوه
بها » ، ثم نقل الى سفينة حملته في النيل الى
المنصورة ، ومعه جماعة من كبار أمرائه الذين أسروا
معه ، من حملتهم أخواه كونت أنجو وكونت بواتيه ،
ويمكننا أن نتصور هذه السفينة وهي تحمل ذلك
الصيد الثمين ، تتهادى فوق مياه النيل الهادئة ، تحف
بها مئات السفن الاسلامية من كل جانب ، تنفخ
الأبواق وتدق الطبول وقبالتها على شاطئ النيل
الناس يهللون ويصفقون ، فعلى البر الشرقي
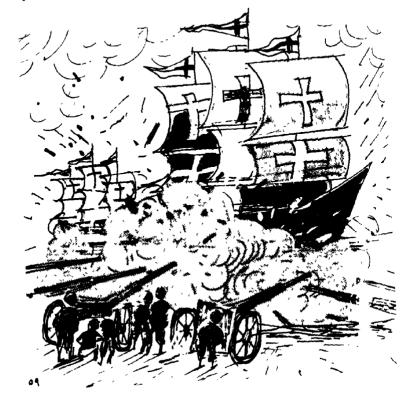
العسكر سائر منصور مؤيد ، والبر العربي فيه العربان والعامة ، في لهو وتهان وسرور بهذا الفتح العظيم » ، وما أن وصل الموكب النيلي الى شاطىء المنصورة حتى سيق الأسرى جميعا الى دار القاضي فخر الدين بن لقمان ، حيث وضعت القيود في أيديهم وأرجلهم ، وشددت الحراسة عليهم

ولاتزال دار ابن لقمان قائمة بالمنصورة بجوار جامع سيدي عبد الله المواقي ، وهي مشيدة باللبن ، وقد اختيرت فيها غرفة صغيرة بالطابق الأرضي لحبس لويس التاسع تحت حراسة الطواشي صبيح المعظمي الذي وصفه المؤرخون المعاصرون بأنه « خادم فظ غليظ » ، ويبدو ان تصرفاته مع الملك لويس اتسمت بالقسوة والغلظة ، حتى ضاق الملك به ذرعا ، وقال للأمير حسام الدين بن أبي علي نائب السلطنة « سألتك بدينك ، الا ماقتلتموني (كذا) وأرحتموني من حس هذا الخادم ونظره ، فانه أصعب علي من كل ما أنا فيه !! »

الاتفاق والجلاء

مع ذلك ، فان مصادر التاريخ المعاصرة أجمعت على أن لويس التاسع عومل معاملة طيبة في أثناء أسره ، وانه ظل « مكرما غاية الكرامة » وان الأمير حسام الدين بن أبي علي كان يجالسه ويلاطفه ويحاوره ، ومن جملة المحاورات التي دارت بين الرجلين ان الأمير حسام الدين قال للملك الفرنسي

أنت رجل عاقل ، وملك عظيم الرأي ، رزين الرأس ، وفعلت بنفسك مالايفعله المجانين

فسأله الملك الفرنسي « وكيف ذلك ياحسام الدين ؟ »

وأجاب الأمير حسام الدين قائلا « غررت بنفسك وأموالك وجيوشك ، وركبت البحر المهلك وتأتي الى مثل هذا الاقليم العظيم الذي فيه هذا العالم الكثير ، فان سلمت من البحر وغرقه لم تسلم من هذه الطوائف العظيمة ، ونحن في ملتنا ان أي من ركب البحر مرة بعد مرة لايقبل الحاكم له شهادة ! فضحك ملك فرنسا الأسير ورفع رأسه الى الأمير حسام الدين متسائلا « وكيف لايقبل شهادته ؟ »

ورد الأمير « فانه يكون ناقص العقل ، ومن كان ناقص العقل لاتقبل شهادته ! » فاستغر[ق] الملك [في] ضحكه ثم قال « والله لقد صدقت ، ولقد [صدق] من الكلام من قبلك »

وجدير بالذكر أن لويس التاسع أظهر عفة [و]اعتزازا فائقا بكرامته أثناء أسره ، من ذلك [أن] السلطان توران أرسل اليه ـ والى من معه في الأ[سر] من كبار أمرائه ، وكانوا نيفا وخمسين ـ خل[عا] يلبسوها « فارتدى كلهم الخلع ماعدا الملك الفرنسي الذي أبي وقال « ان بلادي بقدر بلاد صاحب مصر « كيف ألبس خلعته ؟ »

ومرة أخرى أقام السلطان توران شاه ـ عقب موقعة فارسكور ـ دعوة حافلة للملك الفرنسي الأسير وكبار أمرائه ، فرفض الملك لويس تلك الدعوة ، وامتنع عن حضورها وقال « انا ما آكل من طعامه ، وما يحضرني الا ليهزأ بي عسكره ولاسبيل الى هذا !!!

وقد سبب بقاء دمياط في قبضة الصليبيين قلقا كبيرا للمسلمين ، لاسيما وان الملكة مرجريت زوجة لويس التاسع حرصت على تحصينها والتمسك بها بوصفها الورقة الأخيرة التي يمكنها أن تساوم بها على اطلاق سراح زوجها لويس التاسع « وربما عرقل المفاوضات بين الطرفين مقتل توران شاه في أوائل شهر مايو سنة ١٢٥٠ (المحرم سنة ٦٤٨هـ) ولكن زوج أبيه شجرة الدر اعتلت كرسي السلطنة وتروحت من قائد الجيش الأمير المعز أيبك ، الذي [لم] يلبث ان صار « حاكما على الملكة شجرة الدر » على قول ابن تغري بردي

ومن الطريف أن الملك لويس التاسع عندما سمع وهو في محبسه خبر مقتل السلطان توران شاه ، فا[نه] توهم أن المسلمين ربما عرضوا عليه عرش مصر من ذلك أن المؤرخ الفرنسي جوانفيل ـ صديق لويس التاسع ومدون سيرته ـ يحكي أن الملك استشاره [فيما] اذا كان يقبل عرش مصر اذا عرضه المسلمون عليه فأشار عليه جوانفيل بألا يفعل ذلك ، لأن المسلمين سيطلبون منه في هذه الحالة الدخول في الاسلام فضلا عن أنهم « لا أمان لهم بعد أن استحلوا دم سلطانهم الذي ثبت في الدفاع عنهم » ونحن لانستبعد ان يكون أحد المحيطين بالملك « [أ]سرى » أوحى اليه بهذه الأفكار على سبيل المزاح « [...]

'تفاق مع لويس التاسع على اطلاق
لاء عن دمياط ، ودفع فدية كبيرة
نذ أركب الملك الفرنسي « بغلا »
في حراسة الجيوش الاسلامية ،
بل الملك على بغل أمر مقصود ،
دي بعد هزيمته وأسره ، لأن ركوب
طاهر البطولة والرفعة مالايتفق مع
رسي في تلك المرحلة ، وما أن
، الاسلامية ـ وبصحبتها الملك
ير ـ من دمياط ، حتى اتضح ان
د استولوا فعلا على المدينة وأن من
بين « هربوا الى المراكب » وعندما
، ان المسلمين اعتلوا أسوار المدينة
ل » أيقن أن المسلمين لن يطلقوا
الفرنسيس واصفر لونه »

ية

الملك الفرنسي كان على حق في
مير حسام الدين بن أبي على ماكاد
اط عدت في قبضة المسلمين ، حتى
« هذه دمياط قد حصلت لنا ،
سرنا ، وهو عظيم النصرانية ، وقد
نا ، والمصلحة ألانطلقه » ولكن المعز
ائلا « ما نرى الغرر »وهكذا أبى
وفاء بالعهد ، فأطلقوا سراح لويس
السابع من مايو ١٢٥٠ ، وتم جلاء
ياط بعد أن احتلوها أحد عشر شهرا
لحق لويس التاسع بالسفينة التي عليها
ل مرة طفلة الوليد الذي وضعته أمه
ا أثناء أسر أبيه ، وعندما اطمأن
الى انه غدا في مأمن من بطش
الى أمراء المماليك يقول
عقلا ولادينا منكم أما قلة الدين
(توران شاه) بغير ذنب ، وأما قلة
شلي ملك البحر وقع في أيديكم ،
ثة ألف دينار ، ولو طلبتهم مملكتي
أحلص !! »
ى لويس التاسع أربع سنوات بالشام
تمع الصليبي فيه ، عاد الى فرنسا

حيث عاوده التفكير في القيام بحملة صليبية جديدة تشفي حماسته ـ الدينية ، وقد تسربت أخبار نشاط ملك فرنسا الى المسلمين ، فقال الصاحب جمال الدين يحي بن مطروح -

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال ذي نصح وقول صحيح
آجرك الله على ماجرى ... من قتل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تبتغي ملكها ... تحسب أن الزمر ياطبل ريح
فساقك الحين الى أدهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم ... بنحس تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لاترى منهم ... الا قتيلا أو أسيراً جريح
وفقك الله الى مثلها ... لعل عيسى منهم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا ... فرب غش قد أتى من نصيح
وقل لهم ان اضمروا عودة ... لأخذ ثأر أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

ولم يهدأ لويس التاسع حتى خرج على رأس حملة صليبية نزلت بأرض تونس سنة ١٢٧٠م ، وهناك أدركه الموت فحمل رجاله جثمانه عائدين الى فرنسا ، وقبل وفاته بأيام توفي على أرض تونس أيضا ابنه يوحنا الحزين ، وله من العمر عشرون عاما ، وهكذا قدر لهذا الابن أن يولد على أرض عربية في أثناء حملة صليبية قام بها أبوه على مصر ، وأن يموت على أرض عربية في أثناء حملة صليبية قام بها أبوه على تونس

وفي سنة ١٢٩٧ اعتبرت الكنيسة الغربية لويس التاسع شهيدا وقديسا ، فصار لقبه في التاريخ « القديس لويس » ، ويحتفل بقداسته في كل عام يوم الخامس والعشرين من أغسطس ، وهو يوم وفاته . □
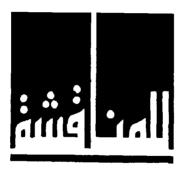
بقلم : فهمي هويدي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

نعم: لتحقيق المصالح
لا: لإهدار الشريعة

هل يجوز نقل صلاة الجمعة إلى الأحد « رعاية للمصلحة » ؟!

هذا السؤال طرحه أحد المشتركين في ملتقى الفكر الاسلامي السابع عشر في الجزائر ، بعدما شرح للمجتمعين أن بعض المساجد المقامة في الولايات المتحدة الأمريكية لا تحظى بالعدد الكافي من المصلين يوم الجمعة لانشغال الجميع بأعمالهم ، وهي مشكلة يمكن حلها إذا أقيمت صلاة « الجمعة » يوم الأحد ، حيث يتاح للجميع فرصة أدائها ، وأبدى المتحدث ميلا إلى قبول الفكرة ، فقال إنه يمكن الاستناد في إجراء هذا التحول إلى رأي الإمام نجم الدين الطوفي في « المصلحة » الذي دعا فيه إلى تغليب المصلحة على النص إذا ما تعارضا

ومؤخرا قرأنا لأحد الباحثين قوله هل يطبق النص القطعي ، ولو فيه إضرار بمصالح المسلمين ؟ وفي سياق حديثه فهمنا أنه يعني حد السرقة وتحريم الربا بوجه أخص ، ويدعو الى تغيير الحكم الشرعي بشأنهما لعدم الملاءمة ، وأراد أن يستخلص في دعوته مبدأ جديدا ، بناء على السؤال التالي هل يعني التسليم بالتدريج في اكتمال الحكم التسليم أيضا بالتدريج في إبدال الحكم بحكم آخر أكثر ملاءمة لمصالح المسلمين ؟

قال صاحبنا إنه بمقتضى رأي الإمام الطوفي فإن الرد على هذا السؤال يكون بالإيجاب !

هذا الكلام الذي يردده بعض المثقفين يعكس التباسا شديدا في فهم قضية المصلحة في الفقه الإسلامي ، وقد يعكس التباسا آخر في قراءة رأي الإمام الطوفي ، وهو أمر يمكن أن يقود إلى إهدار الأحكام الشرعية ، باسم الاجتهاد في « المصلحة »

وقد لا نبالغ كثيرا إذا قلنا بأن مبدأ « المصلحة » عانى كثيرا من عسف الخلف والسلف معا ... ذهب بعض الخلف بعيدا في توسيع المصلحة ... بعض السلف في الاتجاه المعاكس ، حيث ... أو تجاهلوها ، ولم يعطوها حقها وهي جديرة ... يغير من ذلك أن الخلف أرادوا بالتوسع ... النصوص والتحلل من أحكامها وضوابطها ...

ـلف اسندوا موقفهم ذلـك دفاعـا عن حق الله ، ـحيارا للنصوص وأحكـامها ، ومـع ذلك فنحن ـد بين هؤلاء وهؤلاء قلة كـانوا للمصلحـة ـصين ، وعلى شـريعـة الله وتعـاليمـه قـابضـين ـابين

ولأن الأمر كذلك فإننا نظل بحاجة لأن نحاول ـع المصلحـة ودورهـا التشـريعي في إطـارهـا صحيح ، بعيدا عن دعـاة التطرف في التـوسـع أو ـضيق ، لكن لا نستطيع أن نكتم استغرابنا إزاء ـاولة بعض مثقفينا ـ من غـير أهل الفقـه ـ بموقف ـم الدين الطوفي الذي شذ برأي لم يقل به أحد من ـل ومن بعد ، فضلا عن مزالق إهدار الشريعة التي ـعنا على حافتها ، ذلك أن مثل هذه الآراء الشاذة ـي هوى عند هؤلاء ، من حيث أنها تمثل في حقيقة أمر انخلاعا من الإلتزام بـالشريعـة ، فبينما هم ـلقفوها بترحاب وحماس ، ويبالغون في تقديمها ، ـي يصـوروهـا نقـطا مضيـئـة في سجـل الفكـر ـاسلامي ، وعلامة من علامات التحرر والإستنارة ـالتقدم ، على نحو ما فعل هؤلاء مع كلام الشيخ علي ـبدالرازق في كتـابه المعـروف « الإسلام وأصـول ـحكم » الذي ادعى فيه أن الخلافة أو الإمامة لا أصل ـا في الدين ، فهللوا لكتابه ومقولاته ، لمجرد أنها ـؤيد وجهة نظر الداعين إلى تقليد الغرب في فصل ـلدين عن السياسة ، في حين أن هذا الرأي الـذي ـقضه كثيرون ، وهدموه بالبرهان الساطـع ، يمثل ـذوذا غير مسبوق ولا ملحوق ، ولاينبغي أن يحمل ـلى أكثر من كونه نموذجا لشذوذ الأفكار التي طرأت ـلال مسيرة العقل الإسلامي طوال الأربعة عشـر ـرنا التي انقضت ، وطفت على السطح في غفلة من ـلزمن ، لكنها مالبثت أن ذهبت جفاء ، وبقي الذي ـنفع الناس ويرضي الله

ـسري ـلك على كلام الشيخ علي عبدالرازق ، ـقدر ما ـ ي على اجتهاد نجم الدين الطوفي ، ولئن ـثار كلام ـ ـول عاصفة من الاعتراض والاحتجاج ، ـب الى ـ ـب شهادة عالمية الأزهر منه ، وإخراجه ـن زمرة ـماء سنة ١٩٢٥م ، فإن الطوفي لم يسلم ـن التجر ـ والتعنيف ، حتى طعن البعض في ورعه ودينه ، و ـوه بالإلحاد والخروج من الملة أين يقـ لطوفي ، وماذا يقول ؟

لقد ألف الرجل كتابا في شرح الأربعين حديثا النـووية ، لكنـه وقف طويـلا عند الحـديث الثاني والثلاثـين الـذي يقـول فيـه النبي عليـه الصـلاة والسـلام « لا ضـرر ولا ضـرار » ، وأسهب في شرح هذا الحديث وأفاض ، حتى تحول الشرح إلى بحث أصولي في أدلة الشرع على الأحكام ، ومنزلة رعاية المصلحة من هذه الأدلة توفي فقيهنا الحنبلي في سنة ٧١٦هـ ، بينما ذاع أمر رسالته التي أصابه الكثير بسببها في الشام والحجـاز ، إلى أن استخلص أحد علماء دمشق ـ الشيـخ جمال الـدين القاسمي ـ هـذه الرسالة من شرحه للأحاديث النووية ، ونشرتها مجلة « المنار » كاملة في عام ١٩٠٦

لقيت رسالة الطوفي اهتماما من بعض الباحثين ، حتى أعد أحدهم رسالته للدكتوراه في موضوعها ، وهو الدكتـور مصطفى زيـد الأستاذ بكليـة العلوم بالقاهرة بينما أستند إليها آخـرون في دعاواهم إلى التعـاضي عن النصوص الشـرعية ، وتجـاوزهـا ، بحجة تقديم اعتبار المصلحة

وقد نشر أستاذنا عبدالوهاب خلاف نص رسالة نجم الـدين الطوفي في كتـابه « مصـادر التشـريـع الإسلامي فيما لا نص فيه » (الصفحات من ١٠٦ إلى ١٤٤) ، وخلاصة ما ذهب إليه في رعاية المصلحة أن فرق في شأنها بين العبادات والمعاملات ، وقـال إن العبادات لا مجال للعقل في فهم معانيها بالتفصيل ، ولتحقيق ذلـك يرجـع إلى نصوص القـرآن والسنة والإجماع (أخطأ صاحبنا الذي دعا إلى نقـل صلاة الجمعة إلى الأحد ، استنادا إلى اجتهاد الطوفي ، لأن الـرجل أخـرج العبادات من الـدائـرة التي اجتهـد فيها)

أما المعاملات والسياسات الدنيـوية التي للعقـل مجال في فهم معانيها ومقاصدها فإن المعول عليه فيها ـ عند الطوفي ـ هو المصلحة ، أي جلب النفع ، ورفع الضرر ، فإذا لم يكن هناك حكم شرعي في شـأنها جـرى الحكم بما يحقق المصلحـة ، وإذا كان هنـاك حكم يحقق المصالح التي تدركها عقولنا نفذنا ما جاء بالنص ، وإذا كان حكم نص الشارع أو الإجماع لا يتفق والمصلحة التي تدركها عقولنا ، ولم يمكن الجمع فالمعول عليه هو المصلحة ، وفي ذلك قال ما نصه : « وإن تعـذر الجمع بينهـا ، قدمت المصلحـة عـلى

غيرها ، لقوله صلى الله عليه وسلم:« لا ضرر ولا ضرار » ، وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه »

* * *

بصفة أساسية قد استند الطوفي إلى أدلة ثلاثة هي :

* ماورد عن الشارع من نصوص وتعليلات أحكامه الدالة على أنه ما قصد من تشريعه الأحكام إلا تحقيق مصالح الناس ، فإذا سكت عن حكم واقعة في معاملات الناس فقد أحالهم إلى عقولهم ، يستنبطون بها الأحكام التي تحقق مصالحهم

* حديث النبي عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار » يقطع بنفي كل ضرر ، فإذا دل نص على حكم يستلزم ضررا ، كأن يفوت مصلحة أو يجلب مفسدة ، استثنيت الواقعة من حكم النص ، أو قيد النص بحيث لا يسري عليها وفي هذه الحالة فإن التعارض لا يكون بين النص والمصلحة ، لكنه يصبح بين نص ونص آخر هو لا ضرر ولا ضرار ، وكأن الشارع لما شرع أحكامه في المعاملات والسياسة الدنيوية قيد تنفيذها بما لا يؤدي إلى الضرر ، ودل الحديث النبوي (لا ضرر ولا ضرار) على ذلك التقييد

* إن النصوص والإجماع ومختلف الأدلة الشرعية ما هي إلا وسائل لتحقيق مصالح الناس ، فإذا غلبنا المصلحة في مواجهة الدليل الشرعي فإننا نعمل بدليل راجح في مقابلة دليل مرجوح ، لأن المصلحة هي المقصودة ، والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل

وجاء أهم نقض لموقف الطوفي في كتاب الدكتور عبدالوهاب خلاف ، إذ قال إن الاحتجاج بالمصلحة فيما لا نص فيه ، وفيما فيه نص ، قد فتح بابا للقضاء على النصوص ، وجعل حكم النص أو الإجماع عرضة للنسخ بالرأي ، لأن اعتبار المصلحة ما هو إلا مجرد رأي وتقدير ، وربما قدر العقل مصلحة ، وبالروية والبحث قدرها مفسدة ، فتعريض النصوص لنسخ أحكامها بالآراء وتقدير العقول خطر على الشرائع الإلهية ، وعلى كل القوانين ، ثم إنه سلم بأن العبادات لا مجال للاستصلاح فيها ، وكذلك الأحكام الكلية التي شرعت لحفظ الضروريات والحاجيات ، لأنها متفقة [illegible] المصلحة (بحكم شمولها) ، ولم يورد [illegible] لجزئية ورد نص بحكمها وعارض هـ[illegible] المصلحة ، ليتبين مقياس المصلحة في رأيه ، وعلى ضوء يقدرها

وفي نقد اجتهاد الطوفي كتب الشيخ مصـ[illegible] شلبي يقول إنه « ركب متن الغلو في [illegible] المواقف ، حتى ألجأه ذلك إلى الاستدلال أحيانا [illegible] يسلم له ، أو بما لا يفيد فهو يقول بصدد تق[illegible] المصلحة على الإجماع · إن منكري الإجماع قا[illegible] برعاية المصالح ، فهي إذا محل وفاق ، والإجماع خلاف ، والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من المخ[illegible] فيه » وبصدد تقديم المصلحة على النصـ[illegible] يقول « النصوص مختلفة متعارضة ، فهي [illegible] الخلاف في الأحكام المذموم شرعا ، ورعاية المصـ[illegible] أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه ، فهو سبب الا[illegible] المطلوب شرعا ، فكان اتباعه أولى [illegible] إلى غير [illegible] مما يبعد عن سنن الاستدلال »

* * *

لم يعد أحد يجادل في اعتبار المصلحة كإحدى مـ[illegible] التشريع ، فقد استقر الأمر على نحو بعيد لصـ[illegible] المصلحة وترجيحها ، حتى شاعت مقولة « حـ[illegible] كانت المصلحة فثم شرع الله » ، ولا نحسب أ[illegible] أنه لا يزال هناك مكان للجدل حول ما إذا كـ[illegible] المصلحة تتقرر بحكم الشرع أو بحكم العقـ[illegible] بمعنى هل المصلحة هي فقط ما دل عليه الكتـ[illegible] والسنة والإجماع ، أم يضاف إلى ذلك ما دل العقل أيضا ، وإن لم يرد في كتاب ، ولم ينعقد في إجماع ؟

يكفينا في اعتبار المصلحة ، وفي توسـ[illegible] الاستدلال إليها بما يتجاوز الكتاب والسنة [illegible] إلى آيتين اثنتين من القرآن الكريم ، وحد[illegible] واحد ، الآية الأولى تتمثل في قوله تعالى « [illegible] الله بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى [illegible] الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم [illegible] (النحل ـ ٩٠) وقد وصفها العز بن [illegible]

ابا » هم آية في القرآن للحث على المصالح
لها ، و لزجر عن المفاسد بأسرها »

والآية الثانية موجهة إلى النبي عليه الصلاة
السلام ، يقول فيها الله سبحانه وتعالى « وما
رسلناك إلا رحمة للعالمين » ـ (الأنبياء ـ ١٠٧) ،
حوهر الرحمة هو الادن للناس في حلب المصالح
ردفع المفاسد ، لأن المصالح تتجدد ، ولو وقف الأمر
عند المصوص عليه فقط لوقع الحلق في الحرج
الشديد ، وهو مناف للرحمة ، وإذا ضممنا الآيتين
وما شابهها إلى تنبيهات الآيات الأخرى الواردة في
المصالح الحرئية ثبت ـ بيقين ـ أن الشارع أراد بها
(المصالح) واعتباره إياها ، وإن لم ينص عليها .

أما الحديث النبوي ـ لا صرر ولا ضرار ـ فهو
الذي استدل به نجم الدين الطوفي وغالى في
تأويله

وادا استقر الأمر على ذلك النحو فإن ما لفت
أنظار بعض الباحثين حقا أن مدونات مذاهب أهل
السنة عمطت المصلحة ، بحيث لم تعطها نصيبها
الذي يتناسب مع مكانتها الجليلة في الشريعة ،
ومنزلتها عند الأئمة أنفسهم ، فلا باب عقد لها ، ولا
فصل شيدت فيه أركانها كالقياس والإجماع مثلا ، بل
كل ما وقف عليه عبارة عن كلمات مجملة وعبارات
مبهمة ، ودعاوى كثيرة بأن الأئمة لم يعملوا بها ، وأن
الذي أعطاها قسطا غير قليل هو إمام دار الهجرة
مالك بن أنس-رضي الله عنه- ، بيد أن من أتباعه من
ينكر هذه النسبة أو يضعفها ، برغم تواترها
واشتهارها على ألسنة العلماء جيلا بعد جيل !

وقد حمل الإمام الشافعي وصحبه على دعاة
المصلحة التي اتخذت مسميات مختلفة مثل
الاستحسان أو الاستصلاح ، وقال الشافعي بعدم
جواز الاستحسان ، ونقل عن الإمام الغزالي قوله
« من استحسن فقد شرع » ، وارتكزت وجهة نظر
الشافعية على أن ما شرعه الله ليس بحاجة إلى ما
يكمله في الكتاب والسنة والإجماع ما يكفل
مصالح الناس ، فضلا عن أنهم خشوا من أن يؤدي
فتح ذلك الباب إلى الزلل ، وتغليب الهوى

ولا ينكر أحد أن تلك الحملة التي أحدثت أثرها ،
حتى تغالى الفقهاء المتأخرون في التضييق على الناس
في أمور معاشهم ومعاملاتهم ، فحصروا أنفسهم في
النصوص ، حتى لو كانت ضعيفة ، بدلا عن النظر
في مجموع مصالح المسلمين ، وقرروا أن « للفقيه أن
يأخذ بالقول الضعيف في حق نفسه ، ولا يجوز له
الإفتاء به ، فصاروا بذلك مضرب الأمثال بين
الناس ، وتوسع بعضهم وجعل يفتي به لنفسه
وصديقه ، من ذلك ما نقل عن ابن قيم الجوزية
« إن الذي لصديقي عليّ إذا وقعت له حكومة أو فتيا
أن أفتيه بالرواية التي توافقه » !

لقد أدى التضييق وعدم العناية باعتبار المصالح إلى
تحريم أشياء بأدنى شبهات ، حتى روي أن الإمام
السنوسي المغربي أفتى بتحريم القهوة بدعوى
الإسكار (وهو غير موجود) ، والضرر بالبدن
(وهو الذي لا يصل إلى حد الحرمة) ، وكان مما
احتج به أيضا أن القهوة لم تكن في الصدر الأول
للإسلام !

* * *

وإذ لم يعد مبدأ المصلحة محل جدل ذي بال فإن
حدودها وضوابطها وشرائطها هي مما ينبغي
إيضاحه ، واستجلاء اللبس فيه ، وسيظل من
المهم ـ مثلا ـ أن يكون مدار الحديث أو الاجتهاد
حول مصالح حقيقية لا وهمية ، ومصالح عامة تهم
كل الناس أو جلهم ، لا خاصة تعود على فرد بذاته ،
أو جماعة من الناس دون غيرها ، ويظل من المهم
أيضا أن نكرر التنبيه على أن الكلام منصبّ على
المعاملات دون العبادات ، وأن تجاوز النص في
الأخيرة قد يقبل من باب الاستثناء الذي تفرضه
الضرورة ، وليس من باب المصلحة ، باعتبار أن
الضرورات تبيح المحظورات

وربما كان مفيدا كذلك الانتباه إلى أنه لا مشكلة في
حالة ما إذا طرأت مصلحة محكومة بدليل من
الشرع ، أو اتفقت المصلحة مع الدليل الشرعي ،
لكن المشكل الذي هو مثار الجدل يتمثل في افتراض
تعارض المصلحة مع الدليل الشرعي ، ذلك أن
الأغلبية الساحقة من الفقهاء المعتبرين تعارض رأي

الطوفي في تغليب المصلحة في المعاملات على الدليل الشرعي على الإطلاق ، أي بغير ضابط ولا رابط ، وإنما نحسب أن ذلك التعارض بين المصلحة والنص - إن وقع - يمكن معالجته بالمنطوق التالي .

١ - إن الحكم الشرعي في المعاملات إذا ثبت بنص قطعي أو بإجماع صريح يطمأن إليه لا يعدل عنه إلى حكم غيره إلا في حالتين ، إحداهما إذا كانت المصلحة المستفادة من النص أو الإجماع مما يتغير في معاملات الناس ، وأخراهما إذا قضت بهذا العدول ضرورة ، لأن مواضع الضرورات مستثناة بالنص ، أما النصوص التي لا تتغير مصالحها ، كنصوص حل البيع والإجارة والرهن وحرمة الربا والغصب ، فلا عبرة بالمصلحة المظنونة في مقابلتها

٢ - إن الواقعة في وقائع معاملات الناس التي لم يثبت فيها حكم بنص قطعي ولا إجماع صريح إذا أمكن الحكم فيها بالقياس كان بها ، وإذا تعذر ذلك يحكم فيها بما يحقق مصلحة الناس ، أي بما يدفع عنهم ضررا أو يجلب لهم نفعا

٣ - إن تقدير الضرورة التي يعدل بها عن حكم النص في الحالة الأولى ، وتقدير المصلحة التي يبنى عليها الحكم فيما لا نص فيه في الحالة الثانية ، يجب أن يكون من اختصاص الجماعة التشريعية في الأمة ، المكونة من العدول ذوي البصيرة النافذة بأحكام الشريعة ومصالح الدنيا

ولا يوكل أمر واحد منها إلى فرد أو أفراد . فإن الهوى قد يغلب على العقل ، فيقدر الكمالي ضروريا ، ويقدر المتوهم قطعيا ، ويقدر المفسدة مصلحة ، والخوف من هذا هو الذي حمل بعض العلماء على إنكار طريق الاستصلاح - سدًا للذريعة إلى المفاسد والمظالم ، فإذا أمنا هذا الخوف بوسائل الاحتياط ممن يستصلحون ، فهو طريق الحق والسداد ، ومسايرة مصالح الناس □

فانوس رمضان ما قصته ؟

● يقال ان فانوس رمضان ظهر في مصر حوالي عام ٩٧٣م ، فقد كان المصريون يحملون الفانوس وهم يستقبلون المعز لدين الله الفاطمي الذي جاء عن طريق الصحراء العربية ، ووصل الى القاهرة دون أن يمر بمدينة الفسطاط سنة ٩٧٣ م

ثم صدر قانون يحتم على كل ساكن أن يشترك في كنس الشارع ، وأن يعلق فانوسا مضاء فوق بيته ، منذ ساعة الغروب الى حين بزوغ الشمس ، طوال شهر رمضان ، ثم استخدمت فوانيس صغيرة الحجم لاضاءة الطريق ، كما صنعت فوانيس أصغر من أجل الأطفال الذين يشاركون في السهر حتى الفجر في ليالي رمضان

وكانت النساء تسهرن الى وقت متأخر من الليل ، حيث يتجمعن حول احدى المسنات يستمعن الى القصص والحكايات الطريفة ، وفي طريق عودتهن الى بيوتهن كان التابع يتقدمهن بحمل فانوس كبير من النحاس ، يضيء الطريق ، ولم تكن الشموع قد استخدمت بعد ، فقد كان الزيت هو الوقود المستخدم في اضاءة الفانوس

عدد ابريل ١٩٨٧
اقرأ في العدد القادم من العربي
الأقصر
المدينة ذات المئة باب
استطلاع: سليمان مظهر
العقلانية الإسلامية
د. محمد عمارة
طه حسين وثقافة العصر
د. أحمد علبي
عزل جينات السرطان.. إنجاز علمي جديد
عبدالرحمن حريتاني
الإستخدام التآمرى للقوة
امين هويدي
الالومنيوم.. أعجوبة معادن القرن العشرين
محمد علي النقي
سنان حسانى.. من الدين الى السياسة
د. محمد موفاكو
من روائع الإبداع العالمى
جمال قطب
احتكار الفضة وخسارة العرب
د. غسان حتاحت
مرضك.. هل له علاقة بالكهربائية؟
د. سامي عزيز
الفيلم العربي يبحث عن المتفرج العربي!
رؤوف توفيق
وجهاً لوجه.. المستعرب الإسباني د. بدرو مارتنيث ود. حامد أبو أحمد

مملكة
بوتان
الحياة
وسط المتناقضات

« في قلب جبال الهملايا ، ورغم ذلك خضرتها دائمة . شمالها وجنوبها عملاقان الصين والهند ، ورغم ذلك فهي حريصة على لعبة التوازن ، سكانها فقراء ، ورغم ذلك شديدو القناعة ، ومنازلهم لوحات فنية زاهية مساحتها صغيرة ، ورغم ذلك فهي مثال لكل بوذيي العالم على شدة التمسك بالدين ، وصرامته ! »

الساعات الأولى لصباح يوم شديد البرودة في شهر ديسمبر ، مطار كلكتا ، وطائرة مروحية صغيرة تقل ثمانية ركاب قبل السفر كانت حيرتنا شديدة ، زميلي المصور وأنا وموظفة الحجز في شركة الطيران ، ولم يكن أحدنا يدري كيف الوصول إلى (تمبو) عاصمة مملكة بوتان ، حتى أسعفنا أحد موظفي سفارتها ، وقال لنا لا طريق إلى بوتان إلا من كلكتا أو دكا ، لكن خطوط الطيران مع الهند أكثر انتظاما

في أثناء انتظار الطائرة دخلنا إلى السوق الحرة ، فزميلي المصور يريد أن يشتري نوعا معينا من البطاريات الخاصة (بفلاش الكاميرا) ، وأنا أريد أن أسأل عن بعض أنواع التبغ ، وفوجئنا بموظف السوق يقول لنا إن المسافرين إلى بوتان ليس لهم الحق في الشراء من السوق الحرة ، وأنهم كالمنتقلين من ولاية هندية إلى ولاية أخرى علينا إذن أن ننتظر الوصول إلى بوتان ونشتري من هناك

وانطلقت الطائرة ، ومعنا وفد يضم ثلاثة من كبار رهبان البوذية بالاتحاد السوفيتي ، وفي أثناء الرحلة قال لي المترجم المرافق لهم . إنهم شديدو السعادة لزيارتهم بوتان ، فبوتان ـ بالنسبة لكل معتنقي البوذية ـ مثال رائع على قوة الإيمان ، وعلى مكانة رجال الدين ، وأهميتهم في الدولة والمجتمع

واختزن عقلي الوقائع ، وأصبحت أكثر اهتماما لأن أجد لها إجابة عندما أصل إلى المملكة

بين العمالقة

تقع مملكة بوتان في قلب جبال الهملايا ، تحدها شمالا الصين ، العملاق الأصفر ، وتحدها جنوبا الهند ، ورغم كل التوترات السياسية التاريخية بين الصين والهند ، ورغم وقوع بوتان في منطقة الأطماع التاريخية لكل من تلك القوتين ، فإن بوتان ـ لأسباب تاريخية كثيرة ـ ترتبط بالهند بعلاقات أكثر من وثيقة ، وبعد أن استعادت الصين التبت في عام ١٩٥٩م ـ وفي أكثر من مناسبة بعد ذلك ـ أعلنت حكومة الهند مرارا أن الهجوم على بوتان هو هجوم على الهند

كانت بوتان تحت حكم مهراجات الهند حتى عام ١٨٦٥م عندما احتلتها القوات البريطانية . وعقدت معاهدة مع ملكها ، تعهدت فيها بريطانيا العظمى بدفع مبلغ من المال سنويا للمملكة ، مقابل عدم معارضة السياسة البريطانية ، وفي عام ١٩٠٧م تولت أسرة وانجشوك الحكم في البلاد ، وبعد ذلك بثلاثة أعوام فقط عقدت المملكة معاهدة أخرى مع بريطانيا ، أصبحت بموجبها بريطانيا مسئولة عن علاقة بوتان مع العالم الخارجي ، وبعد أن استقلت الهند في عام ١٩٤٧م حلت محل بريطانيا في معاهدات مع بوتان ، ومن أجل توثيق العلاقة وقعت الهند في عام ١٩٤٩م معاهدة أخرى مع مملكة بوتان تمنعها فيها من اتخاذ أي قرار بشأن علاقاتها الخارجية إلا بعد استشارة حكومة الهند ، ورغم استقلال بوتان وسيادتها وانضمامها إلى الأمم المتحدة في عام ١٩٧١م إلا أن هناك تنسيقا يكاد يكون كاملا مع الهند ، في كل ما يتعلق بسياستها الخارجية

وعلى الجانب الآخر ، ولموازنة العلاقة الخاصة مع الهند نتيجة للظروف التاريخية السابقة ، فإن بوتان أكثر ما تكون حرصا على إقامة علاقة متوازنة في نفس الوقت مع الصين الشعبية ، ومن أجل فهم أكثر لإدارة لعبة التوازن ، وسياسة العلاقات مع العالم الخارجي ، ألقيت بكل تساؤلاتي أمام وزير الخارجية ، أسأله عن سياسة المملكة ، وعلاقاتها. قال الوزير « عشنا عصورا طويلة دون علاقات مع العالم الخارجي ، وقد بدأنا نتفتح على العالم منذ ٢٧ عاما فقط ، ونحن ندرك ـ في بوتان ـ أننا دولة

صغيرة وأننا ـ بموقعنا الجغرافي ـ بين عملاقين في
قارة آسيا ، وندرك أيضا أن الدخول في لعبة القوى
العظمى لن تثمر إلا حرق أصابعنا ، فنحن دولة
صغيرة ، تريد أن تتطور ، وتنمو ، لكننا لا نريد أن
نفقد ثقافتنا ، ولا ديننا ، ولا قيمنا ، ولهذا كان علينا
أن نفكر طويلا ، فالاقتراب من القوى العظمى
خطر ، ولذلك نحن ننظر بحذر إلى علاقتنا معها ،
كما ـ في نفس الوقت ـ جزء من مجموعة كبيرة ، هي
العالم الثالث ، إذن علينا أن نختار علاقتنا ، وننتقي
البلد الذي سنقيم معه علاقة ، ويقوم بيننا وبينه
تعاون ، ونحن لنا علاقات مع ١٢ دولة تقريبا ،
ونحاول أن نتقدم ، ونتطور بالتدريج ، في ظل
الخطوط الأساسية التي تحكم علاقاتنا الخارجية ،
ولإيماننا بأننا جزء من العالم الثالث فإن مواقفنا مبدئية
في قضايا كثيرة ، وذلك رغم أننا نعرف أن السلام
العالمي حلم مستحيل ، لكن علينا ـ في إطار
المنظمات الدولية والإقليمية ـ أن يكون رأينا
واضحا ، محددا ، فنحن مع حق الشعب الفلسطيني
في أرضه ووطنه ، ونحن لا نقيم علاقات مع
« اسرائيل » ، بل نرفض زيارة أي « اسرائيلي »
للمملكة حتى لو كان سائحا ، ونحن نضم صوتنا إلى
أصوات الدول المنادية بضرورة وقف حرب الخليج
بين العراق وإيران فورا ، لما تمثله من تهديد لسلام
وأمن منطقة (استراتيجية مهمة) للعالم كله ، وندين
سياسات التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا ،
وهكذا فإن مواقفنا قائمة على أسس من قيم السلام
والحق والعدل

وفي حقيقة الأمر فإننا نرى أن هناك تماثلا بيننا
وبين دولة الكويت ، فكلانا دولة صغيرة ، وسط
جيران أقوياء ، وكما نجحت الكويت في كسب
احترام كل دول العالم ، وأقامت علاقة طيبة ،
متوازنة مع كل القوى ، فإننا نأمل أن ننجح في ذلك
التحدي ، وربما لإحساسنا بهذا التماثل أصبحت
العلاقات بيننا وبين الكويت وطيدة ، وفضلا عن
ذلك فالكويت ممثلة في الصندوق الكويتي للتنمية
تقدم لنا مساعدات وتمويلا لعدد من المشروعات
الاقتصادية المهمة ، كما أن الصندوق يقدم لنا خبرة
محاسبية مثل في الخبرة الفنية ، ودراسات الجدوى
الاقتصادية للمشاريع ، وتقييم المشروعات التي

ـ خريطة مملكة البوتان بين العمالقة !!

تغنينا عن التعامل مع البنك الدولي ، وتساعدنا في
التعامل مع المنظمات الاقتصادية العالمية ، ونحن
نعتبر علاقتنا بالكويت مهمة جدا ، ولذلك لدينا
سفير لدى دولة الكويت ، رغم أن كل عدد سفرائنا
في العالم خمسة سفراء فقط ، وهم مندوبنا الدائم
لدى الأمم المتحدة ، ومندوبنا في المقر الأوروبي
للأمم المتحدة في جنيف ، وسفيرنا في الهند ،
وسفيرنا في الصين

انتهى تفسير وزير خارجية مملكة بوتان ، وقد كان
تعبيره صادقا عن مخاوف الذين يحيون بين العمالقة ،
ويخافون على أصابعهم من الحريق

مساحة ضائعة

يبدأ التاريخ المكتوب لبوتان مع دخول البوذية
إليها في القرن السابع الميلادي ، فقبل ذلك التاريخ لم
يكن معروفا عن هذه المنطقة من جبال الهملايا سوى
أنها مجموعات من الناس ، تسكن منطقة خصبة من
ذلك الجبل ، وتحيا على الزراعة ، ورعي بعض
أنواع الماشية ، وقد ظلت هذه المساحة من الأراضي
التي تعرف حاليا باسم بوتان مساحة (ضائعة) ، فلا
هي من التبت ولا هي من الهند ، رغم أن سكان

● صاحب الجلالة ملك بوتان رؤية خاصة لادارة شئون مملكته

● الفن واحد من مفاتيح الحياة في (بوتان) ، فالرقص الشعبي يؤديه الناس في كل المناسبات ، ويرتدون له أزياء زاهية وإلى اليسار صورة عن قرب ، توضح شغف أهل بوتان بتلوين ورسم المباني ، وفي أقصى اليسار صورة عامة للعاصمة

المنطقة ينتمون ـ حسب لون بشرتهم وملامحهم ـ إلى ما يعرف بالجنس الأصفر

كان الاسم القديم للمملكة (لون مون كاشي) ، ومعناه (بلاد جنوب المَنْ) والمَنْ مصطلح عامي ، يستخدم للدلالة على الجماعات التي تسكن الهملايا ، لكنه لا يدل على أنهم من التبت أو من الهند ، أما اسمها الحالي (بوتان) فأصله مجهول ، لكن أقرب التفسيرات تذهب إلى أنه مشتق من الكلمة الهندية (بوتانتا) ومعناها نهاية التبت

وقد شهدت أرض بوتان على مدى التاريخ وصول عدد من القديسين والدعاة البوذيين ، وكان كل قديس يصل إليها يؤسس معبدا ومدرسة ، حتى أصبحت بوتان أرضا للمعابد ، ومجالا خصبا لحركات التبشير البوذية بفرقها المختلفة ، وبدأ نسيج من الأساطير الدينية والقداسة ينسج كجزء من تاريخ المملكة

الدولة في بوتان ـ بمعنى الكيان التنظيمي ـ لم تعرف إلا في عام ١٦١٦م ، عندما وصل إليها « شاب دورنج » ، وهو رجل دين في التبت ، وابن لإحدى الأسر الحاكمة ، اختلف مع أهله فهرب إلى بوتان ، وكان يتمتع بقدر من « الكاريزما » الفطرية ، وهو في كل التاريخ البوتاني لا يذكر اسمه إلا مقرونا بوصفهم له بأنه « الرجل الذي يُخضَع له » ، وقد قام « شاب دورنج » بتوحيد بوتان ، وخاض حربا في عام ١٦١٩م ضد أهل التبت الذين لاحقوه وانتصر عليهم ، ثم بدأ بعد ذلك مرحلة تثبيت دعائم حكمه في الداخل ، فوحّد رجال الدين ، وابتدع نظام الحكم الذي ركز السلطة في يده ومعه رئيس الرهبانية ، وجعل الحكومة تتكون من عدد محدود من الرهبان وظل الحال مستقرا في بوتان على هذا المنوال حتى ذهب « شاب دورنج » إلى كهف في الجبل يتعبد ، ومات داخل الكهف ، فكتم رئيس الرهبانية والرهبان خبر موته مدة خمسين عاما ، حتى يستطيعوا أن يجدوا خليفة له ، واستمروا في حكم البلاد وخلال هذه الفترة توصل رئيس الرهبانية والرهبان إلى نظرية « التناسخ الثلاثي » التي تقول بإمكانية حدوث التناسخ على مستويات ثلاثة ، عضوي ، ولفظي ، وعقلي ، وبموجب هذه (النظرية) قدم الكهنة تبريرا دينيا مقدسا يبيح لهم حكمهم البلاد باسم « شاب دورنج » بعد موته ، فالتناسخ قد حدث على كافة المستويات ، بدءا بالحركة العضوية ، فالنطق ، فالحديث ، وانتهاء بالتفكير ، وعلى هذا فهم مجرد أداة للإعلان عن إرادة « شاب دورنج » العظيم ، ونقادها

ثم واجهت بوتان فترة قلاقل واضطرابات ، بدأ خلالها ظهور حكام إقليميين ، واشتعلت الحروب الأهلية فيما بينهم ، وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بدأت قوة جديدة في الحدود تمثل تهديدا لبوتان ، فالبريطانيون في الهند قد بدأوا يمدون أبصارهم نحو التبت ، وعندما ثار نزاع حول الحدود في منطقة (DUAR) ، ديور ، وهي عبارة عن ممر حيوي ـ ضيق في أسفل جبال الهملايا ، لكنها تتحكم في تلك الجبال ، ثار ذلك النزاع بين البريطانيين وأهل بوتان ، وذلك في عام ١٨٦٤م ، واشتعلت الحرب ، لكنها لم تدم طويلا ، وانتهت بمعاهدة بين بريطانيا وبوتان ، تقضي بسيطرة بريطانيا على الممر الحيوي ، مقابل حرية سنوية تدفعها بريطانيا ، واستمر هذا الوضع في المنطقة حتى يومنا هذا ، إلا أن الهند قد حلت محل بريطانيا بعد استقلال الهند عن بريطانيا في عام ١٩٤٧ م

وعقب المعاهدة مع بريطانيا عادت النزاعات بين حكام الأقاليم في بوتان ، واستمرت الصراعات والحروب طوال القرنين الماضيين ، وعندما بدأت بريطانيا تتحرك نحو التبت كان لابد لها من حليف قوي في بوتان ، فهي الفناء الخلفي للتبت ، وفي وسط النزاعات الأهلية الدائرة كان سهلا أن تجد بريطانيا صديقا في بوتان ، وهو أحد حكام الأقاليم ، وبعد مشاورة مع رئيس الرهبانية قام (يوجين وانجشوك) ـ مؤسس العائلة المالكة الحالية ـ بتقديم المساعدة لبريطانيا ، وقام بالتوسط بينها وبين التبت ، وساندته بريطانيا ، وبمؤازرة من رئيس الرهبانية والرهبان تُوِّج (يوجين وانجشوك) ملكا على بوتان في عام ١٩٠٧م على أن يكون الحكم وراثيا في عائلته

وظل الحكم في بوتان مشتركا بين سلطتين ، سلطة الملك وسلطة الرهبان ، حتى اختيار لون العلم كان تعبيرا عن هذا المزج ، فاللون الأصفر هو سلطة الملك ، واللون البرتقالي هو سلطة الرهبان ، و

هدين اللونين اللذين يتقاسمان العلم يتحدد تاريخ بوتان وحاضرها ، ويكتب .

أصحاب الغبطة

تعد مملكة بوتان من أكثر بلدان العالم التي تدين بالبوذية ، وتتمسك بها ، وقد حقق رجال الدين بها مكانة مرموقة ، فهم يمثلون أحد أركان السلطة والاستقرار في المملكة ، إذ أن رجل الدين (لاما) يتمتع بقداسة غير عادية ، ويكفي مرور رجل دين أمام أي شخص كي يبادر بالانحناء واضعا يده على فمه وأنفه ، كي لا تؤذي رائحة أنفاسه (اللاما) ، وتعبيرا عن منتهى الخضوع والطاعة ، وعندما يلمس (اللاما) رأس شخص بأطراف أصابعه تمرح أساريره ، ويستبشر وجهه من فرط السعادة ، ثم ينسحب إلى الخلف بظهره احتراما وتوقيرا

المجتمع البوتاني ـ كبنيان اجتماعي وكما يقول أحد كبار المسؤولين ـ مجتمع ديمقراطي بلا طبقات ، بيد أن هناك درجتين اجتماعيتين متميزتين هما الأسرة المالكة ورجال الدين الذين يشكلون الدرجة الثانية مباشرة في المجتمع ، وما عدا ذلك فكل أفراد المجتمع سواسية ، وكما يشكل رجال الدين الدرجة الثانية في البنيان الاجتماعي فإن كبير (اللاما) الذي يلقب « جيكهينو » هو الرجل الثاني ، وهو مصدر قوة أساسية في المملكة ، وفي المقر المركزي للحكومة يوجد مقر رئيسي له ، به مكتبه ، وسكنه ، و (سكرتارية) خاصة به

وإلى رجال الدين يعود الفضل الأكبر في غرس السلام والقناعة والرضا في نفوس أهل بوتان وينتمي رجال دين بوتان الفرقة الدينية البوذية (ماهينا) ، وهم فرقة من اثنتين ، انشقت إليهما دعوة البوذية ، فقد ظهرت البوذية كدعوة إصلاحية في القرن السادس (ق م) على يد (غاوتاما) ، الأمير الهندي الذي أصبح يطلق عليه بعد ذلك لقب (بوذا) أي الإنسان المستنير ، وقد دخلت هذه الديانة إلى بوتان في القرن السابع الميلادي ، ويعتبر محور الديانة الاعتقاد بأن الاستنارة والهداية تتمان عن طريق معرفة أن الحياة شيء أليم ، وأن هذا الألم ناجم عن شغف الإنسان بإشباع عواطفه وشهواته ، ولهذا فإنه لا يمكن وقف الآلام إلا عن طريق وقف هذه الشهوات ، وانتهاج الاستقامة الخلقية ، وعندئذ يصل الإنسان إلى مرحلة « النيرفانا » التي هي السعادة التامة ، والتحرر الكامل من عبودية الحياة

وقد وضع (بوذا) تعاليمه في كتاب يتكون من (١٠٨) مائة وثمانية أجزاء ، يسمى « كاجور » ، ووضع أتباعه التعليقات عليه في ٢٢٥ جزءا ، تسمى « تينجور » ، وحول كل هذا يتفق كل البوذيين ، لكن الخلاف الذي نشب بينهم كان في الطريقة والمنهج ، فانقسما إلى فريقين أحدهما (الماهينا) ، ومنهم أهل بوتان ، وبعض مناطق التبت ، وهم يرتدون الزي الأحمر ، وغطاء الرأس الأحمر ، والآخر (الهينا يانا) وهم الذين يرتدون غطاء رأس أصفر

يقول فريق (الماهينا) إن طريق الإنسان للخلاص يبدأ بمحاولته لمساعدة الآخرين ، فهو بمساعدة الآخرين يساعد نفسه ، ويطهرها ، ثم يحاول مساعدة كل كائن حي ، أما (الهينا يانا) فيقولون إن على الإنسان أن يبدأ بنفسه ، فعندما يساعد نفسه ، ويصبح إنسانا جيدا سيساعد الآخرين ، لكن عليه في أثناء تخليص نفسه ألا يؤذي الآخرين حول هذا اختلف البوذيون ، وحول تفرعات صغيرة في المحور ذاته

وما يعنينا هنا أن بوتان هي قبلة البوذيين (الماهينا) ، وعدد من أتباع الفرقة الأخرى ، يزورون بوتان ، وينظرون إليها كنموذج لنجاح طبقة رجال الدين في غرس جذور الدين ، وتربية أتباعهم من ناحية ، وقوتهم في الدولة من ناحية أخرى ، وأهل بوتان عامة شديدو التمسك بالدين والإيمان بقوة وتقديس ، ففي داخل كل بيت ـ مهما كان وضع صاحبه المادي ، فقيرا أم ثريا ـ هناك غرفة يخصصها رب الأسرة للعبادة والصلاة ، بها تماثيل (بوذا) ، وموقد نار لا تنطفىء أبدا ، وسبعة آنية صغيرة ، مملوءة بالماء ، رمزا للصلوات السبع التي تؤدى في اليوم الواحد ، وفي هذا المعبد الصغير يستطيع الإنسان ـ في أي وقت ـ أن يخلو بنفسه ، ويناجي (بوذا) ، ويطلب منه المساندة ، ومنحه مزيدا من الرضا والقناعة

والانخراط في سلك رجال الدين متاح لأي إنسان ، إذ عليه فقط أن يقرر ذلك بعد أن يكون قد

● الرمي بالقوس هى الرياضة الأولى في بوتان ، يمضى بها الشباب والكبار وقت فراغهم ، وتنظم له المسابقات

وإلى اليمين (الصورة العليا) قصر الحكومة المركزى ، ومقر كبير الرهبانية ، اما الصورة (الوسطى) فطلبة في فترة راحة ، أثناء امتحانات آخر العام ، حيث تبدأ العطلة الشتوية في ديسمبر وحتى الربيع وإلى أسفل شوارع العاصمة لاصخب ولا زحام

تجاوز الحادية والعشرين من عمره ، ليكون قراره بشأن مستقبله نهائيا وحقيقيا ، وعليه في هذه الحالة أن يذهب إلى (لاما) المعبد الموجود في منطقته الذي يكلفه بأعمال معينة ، ويضعه تحت اختبارات طويلة ، ثم يسلمه (اللاما) هذا إلى (لاما) آخر أعلى درجة منه ، وهكذا كلما اجتاز اختبارا ومرحلة انتقل إلى مرحلة أخرى ، حتى يصبح في النهاية ـ وبعد سنوات (لاما) ـ ضمن رجال الدين ، وضمن رابطة أصحاب الغبطة ، وفي بوتان مابين (٨) آلاف إلى (١٠) آلاف رجل دين ، يعيشون في معابدهم أو بالقرب منها ، وداخل كل معبد يوجد وعاءان للتبرعات ، واحد للمعبد والآخر للكاهن ، والمواطن المؤمن الصالح يتبرع لمعبده ولصيانته ، ويتبرع لرجل الدين من أجل معيشته اليومية تجمع كل التبرعات الخاصة بالمعبد وترسل إلى مكتب (اللاما) الأكبر الذي يقرر بنود إنفاق هذه التبرعات ، لصيانة المعابد ، وتجديدها ، أو بناء معابد جديدة ، وبالإضافة إلى هذا المورد المنظور فإن (اللاما) عندما يذهب إلى السوق لشراء حاجاته ، أو للتسوق ، يرفض البائعون بإصرار أن يتقاضوا ثمن مشتريات الراعي المقدس ، ولذلك فإن الأسرة التي يجتاز فرد من أفرادها اختبارات اختياره كرجل دين تقيم الأفراح ، وتتلقى التهاني ، وتسعد بذلك سعادة بالغة ، فقداسة (اللاما) نابعة من وضعيته حسب المفهوم الديني للبوذيين ، فهم يقولون ـ ببساطة ـ إن الشمس تذهب إلى منازل الفقراء والأغنياء سواء بسواء ، ووسيلتها في ذلك هي أشعتها ، و (اللاما) هو الشعاع ، أو قناة الاتصال بين المعبود والبشر ، ورغم ذلك فالأفراد كلهم متساوون ، وأي فرد منهم يستطيع أن يصبح « بوذا » ـ أي أنسانا مستنيرا ـ وتلك مرحلة أسمى في مفهوم الديانة كلها ، لكن لابد أن يمر بمراحل ودرجات ، وواحدة من هذه المراحل أن يكون (لاما) ، أي شعاع شمس يمنح الدفء ، والخير للناس كما أوصاه الإله ، وكما ينفذ هو تعاليمه بشكل أكثر دقة والتزاما من غيره من البشر

بجانب القداسة التي يتمتع بها رجال الدين فهم داخل سلطة الإدارة ، إذ أن التنظيم السياسي للمملكة يتكون من جلالة الملك ، وهو على رأس المملكة ، ثم من سلطتين ، تنفيذية وتشر... والسلطة التنفيذية على رأسها الملك الذي يساع... مجلس استشاري ملكي ، يتكون من ثمانية أعضاء يختارهم الملك من أعضاء الجمعية الوطنية ، ... مجلس وزراء ، يتكون من خمسة وزراء فقط ولرئيس الرهبانية دور هام ، مؤثر ، فهو واحد ... مستشاري الملك

أما السلطة التشريعية فتتكون من الجمعية الوط... التي تتألف من (١٥١) عضوا ، تنتخب مائة منهم ... رؤساء القرى والمقاطعات ، والباقون منهم وه... يمثلون (٥١) مقعدا فللحكومة ولرجال الد... وللعسكريين

تعقد الجمعية الوطنية اجتماعاتها مرتين في العام ما لم يوجه الملك دعوة انعقاد غير عادية ، وقد كان ... حق الجمعية الوطنية إقصاء الوزراء والملك ، إلا أ... الجمعية أسقطت حقها في إقصاء الملك ، و... دورها في مناقشة القرارات التي يتخذها الملك ومجل... الوزراء

وتقسيم المهام داخل الجهاز التنفيذي يتفاو... ويختلف ، فنجد أن هناك قطاعات لها وزارة وقطاعات أخرى لها إدارة ، أي جهاز تنظيمي فالوزارات في بوتان هي وزارات الخارجية والشئون الاجتماعية ، والديانة والثقافة ، وشئو... البيت (وهي وزارة تهتم بالهجرة والعمـ... والشرطة) ، أما الشئون المالية فتدار بواسطة شقيـ... الملك ، والزراعة تديرها شقيقة أخرى ، بينما يشر... الملك بنفسه على شئون الدفاع وقطاع التخطيط وبجانب ذلك يوجد مسئولون للتجارة والتعليم

بهذا الجهاز التنفيذي تدار مملكة بوتان ، فتشك... الجهاز التنفيذي بهذه الكيفية كان مقصودا ، يقو... جلالة ملك بوتان في تفسيره لتشكيل الجهـ... التنفيذي . « المهم أن نتساءل ماذا نريد ... الحكومة ؟ وكيف تستطيع الحكومة أداء أعمالها فهذان سؤالان هامان ، لابد من الإجابة عنهما قبل نقرر شكل الحكومة ، وطريقة أدائها لأعمالـ... ليس منطقيا أن نطبق شكلا لهيكل الحكومة كـ... الدول الأخرى ، ونتغاضى عن خصوصية ... وظروفها ، فما جدوى وجود هيكل حكومي ... مهام ؟ أو هيكل حكومي لا تتوفر له الـ...

ة لشغل مناصبه ؟ وفي تصوري أن هيكل
، في المملكة هو الشكل الأنسب لها ، وذلك
هدفنا الرئيسي ، وهو إدارة المملكة ، وتنفيذ
نميتها ؟؟

كامنة

بوتان واحدة من البلدان التي تهتم كثيرا
، قيود على الاتصال بالخارج حماية للثقافة
، والتقاليد ، والدين ، والمجتمع ، وبوتان
ة تلفاز ، لكن بها محطة إذاعة واحدة ، تبث
محدودة ، وجريدة أسبوعية واحدة ، تطبع
آلاف نسخة ، وفي العاصمة دارا سينما ،
، الأفلام الهندية ، وبعض الأفلام العالمية

إطار فرض الحماية على المواطنين نجحت
خلال مشروعات الخطط الخمسية التي بدأت
١٩م ، ومازالت مستمرة حتى اليوم ، وسوف
لخطة الخمسية الخامسة في العام الحالي
، ليبدأ تنفيذ الخطة الخمسية السادسة ، أقول
هذه المملكة خلال الخطط السابقة في
، إلى توفير علاج مجاني ، وتعليم مجاني ،
مشروعات طرق لربط أجزاء المملكة بطرق
برغم التكلفة العالية لهذه المشروعات ، إذ
ق تشق في بطن الجبل ثم تمهد

عدد سكان بوتان (١,٣) مليون نسمة ،
، على مساحة ٤٧ ألف كيلو متر مربع ، منهم
، كيلو متر غابات   يعمل أكثر من ٨٥ بالمائة
كان في الزراعة ، موزعين على ٢٠٠٠ قرية ،
في أنحاء المملكة ، والزراعة هي النشاط
دي الرئيسي ، إذ أن ما يزيد قليلا عن نصف
نسمة من الذين هم في سن العمل (١٥ ـ ٥٠)
، على الأغلب في قطاع الزراعة

تكـمالا لمشروعات رعاية السكان أقامت
.. دا من المستشفيات والمدارس ، موزعة
د لمملكة ، تحتوي المستشفيات على ٨٣١
د عدد معقول وجيد بالنسبة لعدد السكان
لى لمد نام مثل بوتان ، وبها ١٦٦ مدرسة
، وسطة وثانوية ، بالإضافة إلى مدرسة
ي وتقني ، ومدرسة إعداد معلمين ،
سم والبكم . وتتولى الحكومة الإنفاق

على الطلاب ، فتمنح سكنا داخليا للطلاب الذين يسكنون أماكن بعيدة عن مدارسهم ، كما ترسل بعض الطلاب في بعثات خارجية لاستكمال الدراسة على نفقتها ، وأكثر البلدان التي ترسل إليها الطلاب هي الهند ، وبنجالاديش ، وأستراليا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة ، ونيوزلندا ، وبالاضافة إلى هذه المدارس هناك ١٤ مدرسة دينية ، تتبع المعابد ، يدرس بها قرابة سبعمائة طالب ، وهي تعنى ـ أساسا ـ بتدريس العلوم الدينية إلى جانب المعارف والعلوم العامة

جزء من مشكلة التعليم في بوتان ـ شأن كل بلدان العالم الثالث ـ هي ظاهرة التسرب من التعليم ، حيث يفضل الأهالي عمل أبنائهم في الزراعة ، ليكونوا مصدر دخل للأسرة بدلا من الجلوس على مقاعد الدراسة ، ورغم عدم وجود إحصائيات تبين حجم الظاهرة إلا أن المسؤولين يؤكدون بأنها ظاهرة موجودة ، تمثل عائقا في طريق انتشار التعليم ، وقضية التعليم في بوتان قضية أساسية ، حيث تشكو بوتان من عجز حقيقي في القوى العاملة الفنية ، الأمر الذي يضطرها إلى الاستعانة بالعمالة الوافدة ، وما تجلبه هذه العمالة من خطر على الحياة الاجتماعية والتقاليد والثقافة القومية ، وهو أمر يزعج المسؤولين عن شئون الهجرة   يقدر عدد العمالة الوافدة في بوتان بحوالي ٦٩ ألف وافد ، من مدرسين وأطباء ، ومهندسين ، وعدد من العمالة الفنية في مجالات التقنية والمشروعات الصناعية

ويريد وكيل وزارة شئون البيت الأمر وضوحا فيقول « إن جزءا من مشكلتنا هو العجز في العنصر البشري كيفا ، ونحن نحاول علاج هذا العجز من الجذور ، وذلك بالاهتمام بمداخل العملية التعليمية ، وفي محاولتنا للقضاء على ظاهرة التسرب أو على الأقل تقليل حجمها ، نقدم كثيرا من الرعاية للتلاميذ في القرى البعيدة ، مثل كوب حليب لكل طفل ، ووجبة غذائية ، وكتب دراسية ، وكل ذلك نقدمه مجانا ، وفي بعض الأحيان نقدم الملابس مجانا أيضا ، فنحن شديدو الاهتمام بهذه القضية لأننا ندرك الآثار الجانبية للعمالة الوافدة ، ونحن بدون هذا العدد من الوافدين نستطيع أن نحقق الاكتفاء الذاتي في مجال الغذاء ، وإذا كان من الممكن أن يوصف

● يتفنن أهل بوتان في أداء أنواع الفنون المختلفة ، وأثناء الممارسة يستغرق الفنان في لحظة روحية ، ويبدع مزيجا من التشكيل والألوان ، لا تتمثل فيه بشر أو كائن حي ، لكنه يعبر عن إحساس روحي عارم

مجتمع ما بأنه بلا جريمة فهو المجتمع البوتاني ، لولا بعض الجرائم الصغيرة في المدن ، التي يقوم بمعظمها العمال الوافدون في المدن الكبيرة ، لأن المدن مكان مفتوح للهجرة والحركة »

ورغم هذه المشكلة في العنصر البشري الكفء تملك بوتان ثروة كبيرة من المصادر الطبيعية ، فلديها غابات كبيرة ، نجحت في إقامة مصانع لتصنيع الأخشاب المنتجة منها ، ولديها زراعة جيدة تسمح لها بتصدير التفاح والبطاطس والفطر والذرة والبرتقال ، وبعض الخضراوات ، كما أقامت عددا من الصناعات التي تعتمد على الزراعة ، مثل صناعة العصير والمربيات ، بالإضافة إلى بعض الصناعات الكحولية ، لكن ثروتها الكبرى تكمن في المعادن المتوفرة فيها ، واستغلال الماء كمصدر (هيدروليكي) للطاقة ، مما يسمح لها بتصدير فائض الطاقة إلى البلدان المجاورة ، وصناعة السياحة

خطوة خطوة

عند نهاية الخطة الخمسية السادسة في عام ١٩٩٢م ستكون بوتان قد استكملت إنشاء مصنع للاسمنت بشرق بوتان ، يقدر إنتاجه بحوالي ١٥٠٠ طن يوميا ، وستكون قد أكملت إنشاء مصنع لصناعة البيوت الجاهزة الذي سيبدأ بتشغيل وحدة إنتاج الأثاث السهل في الفك والتركيب ، كما سيزيد إنتاج الجبس والحجر الجيري والفحم ، وستوجه الفوائض نحو التصدير

فبوتان لديها من الاكتشافات المؤكدة في المعادن (١٠٠) مليون طن (دولوميت) ، و (٥٠) مليون طن من الجبس ، بالإضافة إلى الجرافيت والزنك والاسمنت والنحاس والتنجستين ، وعدد من المعادن تحت التحقيق والاكتشاف ، وتأمل الحكومة في بوتان أن تتمكن من استغلال المعادن الموجودة ، وتصديرها دون الاضطرار إلى مساهمة شريك أجنبي في هذا المجال ، ولذلك فهي تعمل خطوة خطوة ، يساعدها في هذا الصبر وعدم القلق أن ٨٥ بالمائة من تجارة المملكة مع الهند ، وأن نشاطها التجاري منظم باتفاقيات كثيرة ، وأن الهند تمنحها امتيازات كبيرة ، كما تعطيها قدرا من الحماية ، ولذلك فالإدارة ليست منزعجة من ميل الميزان التجاري لصالح الهند بحوالي (٦) ملايين دولار ، فالهند بالنسبة لهم ليست دولة أجنبية ، والمستقبل يحمل آفاقا كثيرة للثروة والرخاء ، كفيلة بأن تعدل الميزان التجاري لصالح بوتان ، ولعل هناك سببا آخر أكثر أهمية لانتهاج سياسة الخطوة خطوة هو عدم الرغبة في الاستدانة لتمويل مشروعات التنمية ، فتطوير إنتاج المعادن وتصديرها يحتاج إلى تمويل ، والتوسع في مجال الصناعات الغذائية المعتمدة على المنتجات الزراعية يحتاج إلى تمويل ، وتطوير قطاع الزراعة بتوفير السماد والآلات الزراعية الحديثة والتقاوي الحديثة يحتاج إلى تمويل أيضا ، بل إن كل عمليات التطوير هذه تحتاج إلى تمويل ، والقفز إلى كل هذه المشروعات مرة واحدة ، بدون تأن وتخطيط كفيل - من وجهة نظرهم - بأن يوقعهم في أخطاء كثيرة ، ولذلك فهم حريصون تماما على عدم التسرع ، ومؤمنون بضرورة التدرج في استغلال الثروة ، وتأهيل السكان في نفس الوقت لهذه المرحلة ، كي لا يهبط الثراء ، وتضيع ثقافة الناس ، وإيمانهم ، وقناعتهم ، وسلامهم

صاحب الجلالة

سمة لا تخطئها عين منذ اللحظة الأولى ، هذا الأدب الجم والتواضع المفرط الذي يميز أهل بوتان ، فوسط الشوارع تلمح ابتسامات الناس الودودة وهم جالسون أمام منازلهم

في بداية ديسمبر يبدأ الشتاء ، وتبدأ إجازات المدارس حتى أول مارس ، حيث تبدأ مرحلة الثلوج والبرد الشديد ، ولا يبقى للناس من برنامج يومي إلا العمل صباحا للذين يعملون في مصانع أو دواوين ، أو يقومون بزيارات عائلية بعد الظهر ، وتمضي بهم الحياة هادئة معرقة في السلام والرضا ، وتظل الخضرة التي تكسو الجبال ، والبيوت الملونة الجميلة مصدر راحة لعيونهم ، وبهجة لقلوبهم ، ولأن لغتهم هي الدرزنكية ، وقليل منهم يتحدث الانجليزية فإنه يصعب عليك أن تقترب منهم اقترابا حميما ، وأما الذين يتحدثون الانجليزية منهم فإنهم يقيمون من أدبهم الشديد حاجزا أمامك كي لا تقتحم عالمهم

وفي صباح اليوم الأخير من زيارتنا للمملكة أخطرنا مكتب صاحب الجلالة ملك بوتان أن الجلالة الملك قد عاد إلى العاصمة من جولته التي كاد يقوم

ما ، و.ن موعدنا معه بعد ساعة واحدة ، في المقر المركزي للحكومة   يقع مكتب الملك في جناح من المبى الدي يقع في حناح آخر منه مكتب رئيس الرهابية ، وهو عبارة عن غرفة متسعة ، والأرائك حول أطرافها ، وفي الوسط مقعد الملك الكبير ، كان الملك ينتظرنا ، وهو شاب لا يتجاوز الثانية والثلاثين ، هادىء ، حاد الذكاء ، يرتدي الزي الوطني

أصر الملك أن يجلس معنا على الأريكة ، فهو ـ كما يقول ـ لا يفصل الحلوس على مقعد المُلك الواسع الكبير إلا في المقابلات الرسمية ، ومن اللحظة الأولى يسهل اكتشاف أنه شديد البساطة ، يتحدث بهدوء يقول حلال احاباته عن نقاط متعددة   « حولتي التي كنت أقوم بها جولة اعتيادية ، فأنا أؤمن بأهمية اللقاء بالناس بشكل مباشر وبضرورته ، والاستماع إليهم مباشرة ، لأن أحلامي كبيرة ، وإمكانياتنا التي وهبتنا إياها الطبيعة كبيرة أيضا ، وأنا أتولى بنفسي الإشراف على قطاع التحطيط ، وأمارس العمل في هذا القطاع بشكل يومي كمسئول ، وهذا يستهلك حزءا كبيرا من وقتي ، بالإضافة إلى متابعة أعمال السلطة التنفيذية ، سواء على مستوى الوزارات أو المقاطعات ، وأنا أرى أن بيننا وبين الكويت تماثلا في أشياء كثيرة ، كلانا بمساحة صغيرة وعدد سكان محدود ، ونستعين بالعمالة الوافدة ، ونحرص على حماية ثقافتنا القومية ، وكلانا لديه ثروة طبيعية ، ففي الكويت النفط ، ونحن لدينا الغابات والمعادن الطبيعية ، ولذلك فأنا مهتم بدراسة تجربة الكويت

في بداية حياتي أرسلني والدي للتعليم في بريطانيا ، لكنني لم أمكث هناك طويلا ، إذ سرعان ما أعادني والدي إلى بوتان فأكملت تأهيلي وتدريبي بها ، وعندما توفي والدي أصبحت ملكا وذلك في عام ١٩٧٢م ، وأستطيع أن أقول إنني في (١٤) عاما قد حققت أشياء كثيرة لشعبي ، ومازالت لدي أحلام كثيرة . على المستوى الشخصي آمل أن يتم قريبا زواجي

وأنا   رف وأدرك جيدا معنى أن يكون الإنسان على رأ.   دولة ، فهناك قيود ومهام تشغل الإنسان ، وتمنعه   أن يمارس حياته كأي مواطن عادي ، له صداقات وأصحاب وهوايات ، لكن ذلك هو ثمن المسئولية التي أحملها لرعاية شعبي ، والسير به نحو الرخاء والتنمية والرفاهية » .

وسار معنا حتى باب مكتبه ودودا ، بسيطا ، إنسانا ، رغم أننا لم ننس أننا في حضرة صاحب الجلالة ملك بوتان

فنانون بالفطرة

ساهمت عوامل كثيرة في صنع الثقافة الاجتماعية لشعب بوتان ، وكان التأثر بالجيران   والثقافات المجاورة شديد الوضوح في الصياغة الحالية للثقافة الاجتماعية ، كما أسهمت البيئة والتراث الديني بشكل بارز أيضا في هذه الثقافة ، ويستطيع الزائر لبوتان من أول لحظة أن يدرك عمق الإحساس الفني ، ويرى إبداعات زخرفية جمالية تنتشر على واجهات كل المباني بلا استثناء ، حكومية أو أهلية ، للفقراء والأغنياء ، فكل المباني بلا استثناء مزدانة بالزخرفة والألوان المبهجة ، وبعد وقت يستطيع المرء أن يحدد سمتين أساسيتين للفن والزخرفة إحداهما الوحدة ، أي تكرار نفس السمات الأساسية ، وغلبة الأثر والتراث الديني في الرسوم ، فعناصر الزخرفة والرسم هي العموميات الثابتة ، وأخراهما بعض الرموز الدينية مثل التصور الديني البودي لعجلة الحياة اليومية ، وبوذا في صوره المتعددة ، والأتباع الستة عشر ، ومفهوم العالم من وجهة نظر الفلسفة البوذية

والعمل الفني في بوتان عمل مشرف ، يمنح صاحبه شرفا ومكانة خاصة ، وهو مصدر فخر واعتزاز   وأول من نقل الفن والزخرفة إلى بوتان هم القديسون البوذيون الأوائل الذين توافدوا عليها في القرن السابع ، فقد كان كل رجل دين يحل في بوتان يقيم معبدا ومدرسة ، ويقضي الساعات الطوال في زخرفة مبنى المعبد والمدرسة ، ومن هنا اكتسبت المهنة شرفها وقيمتها   وقد ابتكر إنسان بوتان أدوات عمله الخاصة ، فصنع من شعر الحيوانات الموجودة في البيئة (فرش) الرسم . وأوجد ألوانا من صبغات محلية ، يصنعها من مصادر الألوان المتاحة مثل الخضراوات والأعشاب .

هذا المزج في مصدر الفن هو الذي أكسب الفنون

البوتانية التأثير المستخلص من الفنون الصينية والهندية والتبتية ، لكن تم تطوير ودمج في أكثر هذه الروافد ، لتخرج في النهاية صياغة جديدة مختلفة للفن البوتاني ، تظهر فيه آثار الثقافات المجاورة ، وأثر التراث الديني ، ويتضح أثر هذين العاملين أيضا في الأعمال اليدوية ، مثل النحت على الخشب ، وأشغال الإبرة ، والرسم على النسيج ،

وبرغم روح التجديد التي تهب على بوتان نتيجة الانفتاح النسبي الحالي على العالم فإن المحافظة على طابع الأعمال الفنية أمر لا تخطئه عين ، وقد أقامت الحكومة ـ ممثلة في وزارة الديانة والثقافة ـ خمسة مراكز للأشغال اليدوية ، موزعة على أنحاء بوتان ، يلتحق للعمل بها الموهوبون في هذا المجال ، فتمنحهم المراسم الخامات والأدوات ، ورواتب شهرية ، فيتفرغ الفنانون تماما للإنتاج وفي كل الأحوال ، سواء كان الفنان ينتج في المرسم أو يعمل لحسابه الخاص فإن لحظة العمل لحظة روحية مقدسة ، يجب على الفنان عندما يعمل أن يدرك أنه يؤدي تدريبا روحيا ، ويفكر أثناء ذلك في أشياء روحية خيالية وتعد أرقى مهارات الفن اليدوي ـ بجانب زخرفة المباني ـ زخرفة الأثاث والرسم على النسيج ، فأساس هذا الفن هو العبادة والتراث الديني ، وما كانوا يصنعونه من أجل العبادات والمعابد هو الذي شجع أعمال النحت والرسم ، وخاصة صناعة الأقنعة والأشكال التي تمثل الآلهة ، والوجوه الآدمية ، والحيوانية التي تستخدم في الاحتفالات والرقص

تعد العمارة في بوتان شيئا مميزا تماما ، ومختلفا عن كل ما في منطقة الهملايا ، فهي نموذج لتطوير أهل بوتان لتأثير الثقافات المجاورة ، فكل منطقة التبت تبني منازلها بجدران مائلة ذات ألوان بيضاء ، وسقوف منحدرة ، ونوافذ كبيرة مستطيلة ، أما البوتانيون فلظروف بيئة كثيرة المطر طوروا هذا النموذج ، فجعلوا جدران البيوت مستقيمة ، والأسقف مائلة ، لتسهيل ذهاب مياه الأمطار عن سطحها ، والنوافذ ذات قمم ثلاثية ، وجعلوا الجدران ملونة ، مزخرفة . هذا الحس الفني ، وهذا التذوق للجمال الذي غرسته المشاعر الدينية ، وساهمت في تنميته ، هو الذي جعل من كل مبنى في بوتان قطعة فنية جمالية ، حتى تحولت منصات رجال المرور في التقاطعات الرئيسية إلى لوحات فنية مزخرفة ولم يقتصر أثر التراث على الجزء المعنوي في الثقافة الاجتماعية فقط ، بل امتد تأثيره إلى مفردات الحياة اليومية ، وطقوسها

الميلاد . الزواج . الموت

لا يقتصر الوجود القوي للمؤسسة الدينية في بوتان على توازن الحكم والسلطة فيها ، والمزج بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية ، بل يتعدى ذلك إلى كل مفردات الحياة ، وقد ساهم في ذلك أن معنى الاستقرار وبدايته تمّا على أيدي الرهبان ، مما مكنهم من غرس قداسة المشاعر الدينية في نفوس البوتانيين ، ثم خلق منهم شعبا شديد التدين ، عميق التمسك بتعاليم دينه ، فلا يمكن لواحد من مفردات الحياة اليومية أن يتم دون مشاركة رجل دين ، ومشاركته لا تتم مجانا بل بمقابل ، ويتوقف حجم مشاركة رجل الدين من حيث درجته في سلم الرهبانية ، ومن حيث عدد المشاركين ، على مكانة الأسرة الاقتصادية وإمكانياتها

كانت الطريقة التقليدية للزواج هي الخطبة في الطفولة ، إذ يقرر الآباء مقدما أن هذا الطفل سيتزوج هذه الطفلة التي غالبا ما تكون من أسرة صديقة ، وعندما يكبران ، وتظل مشاعرهما طيبة تجاه بعضهما فإن هذا الزواج يتم ، لكن مع تطور المجتمع لم تستمر هذه الطريقة ، بل أصبح الزواج يتم وفق الاختيار الإنساني الحر للطرفين

أما حفل الزواج فهو عبارة عن عدة احتفالات في احتفال واحد ، يبدأ الاحتفال في ساعة مبكرة بعد الظهر باحتفاء أصدقاء العريس به واصطحابهم له إلى بيت العروس ، وهناك يحتفي أهل العروس بوصول العريس الذي يصطحب عروسه إلى بيته في ساعة معينة ، يحددها لهم (اللاما) المنجم الذي لديه علم بالحظ والسعد ، وحسابات النجوم ، وفي الوقت المحدد يصطحب العريس عروسه بصحبة صديقاتها وأهلها ، وتسير خلفه أفواج من الراقصين الذين يؤدون الرقصات الشعبية ، وعندما يصل الموكب إلى

ـرل العريس يستقبله أهـل العريس بإنـاءين في أحدهما ماء ، وفي الآخـر لبن ، رمـزا لـلامتـلاء والخصـوبة ، ثم يبـدأ العروسـان في تلقي هـدايا الأهل ، وكل هذا قبل أن يجتازا عتبة بيت العريس ،

ثم يدخل العروسان ويجلسان متجاورين ، ويجلس أمامهما (اللاما) يتلو تراتيل الزواج ، ثم يشربون النبيذ ويتبادلـون الأنخاب ، ثم يقـوم (الـلامـا) وشهر إعلان الـزواج ، ويعطيهم ثمـانيـة أشيـاء مقدسة ، لكي تحفظ حيـاتهم وتحميهـا ، ثم يبـدأ الضيوف والأصـدقـاء في تقـديم الهـدايا لكـلا العروسين ، فيقدم لكل منهما ٣ أو ٥ أو ٧ قطع من القماش ، ووشاحا أبيض ، ثم يقدم للضيوف الأرز والنبيذ ، ويبدأ الرقص والغناء حتى آخر ساعة من الليل ، ويترك العروسان ليستقبلا معا الساعة الأولى في يوم جديد

طقوس الولادة

يبقى الطفل بعد ولادته مدة ثلاث سنوات كاملة لا يراه أحد إطلاقا غير أمه ، ثم يـدعى (اللامـا) لإجراء احتفال لتنقية روح الطفل ، وبعد الاحتفال تتوافد الأهل والأقارب ، ويقدمون الهدايا ، وتقام الولائم ، ثم يستشير الأب والأم (الـلاما) المنجم لكي يختار اسما لطفلهما ، ويكشف لهما عن طالعه ،

فإذا رأى مصاعب أو عوائق في طريقه أخبر الوالدين بالعلاج الـلازم الذي غـالبا مـا يكون تبـرعات أو نذوراً ، ومن العادات الشائعة أن يذهب الوالدان ـ بعد أن يبلغ الطفل سن السابعة أو الثامنة ـ ويغيرا اسمه ، وذلك لأن الطفل قد واجه بعض الصعوبات في بدء حياته ، ولا يتم اختيار الاسم الجـديد إلا بمعرفة (اللاما) المنجم ومشـورته ، وبعـد تقديم الهدية اللازمة

طقوس الموت

الطقوس المصاحبة للمـوت أكثر تعقيـدا ، فعند حدوث حالة وفاة يذهب شخص من عائلة المتـوفى ومعه شخص آخر من أصـدقائه إلى (اللامـا) ، ويقدم قريب المتوفى أربع قطع من القماش هدية إلى اللاما المنجم الـذي يضع هـذه القطع عـلى طاولـة كبيـرة ، ثم ينشر فـوقها خـرائط النجوم والأبـراج والأفلاك ، ويسأل عن اسم المتوفى ، وساعة وفاته ،

وأعوام عمره ، ولقب عائلته ، والمكان الذي توفي به ، وسن أكبر شخص في العائلة ، وبعد ذلك يحدد المغزى الروحي للموت ، ويحدد يوم حرق الجثمان وساعته الذي قد يكون القيام به عقب الوفاة مباشرة أو بعد فترة قد تصل شهرا ، ويتوقف اختيار الموعد على حسابات النجوم ، والطالع ، كلها يجريها اللاما المنجم ، وعند حرق الجثمـان توجه أسرة المتـوفى الدعوة لأكبر عدد ممكن من رجـال الدين ، حسب مكانتها الاقتصادية ، فكلما قـدمت هدايـا أكثر كلما حصر عدد أكبر وأعلى في درجة الرهبانية

ولا تبدأ مراسم الحداد في بيت المتوفى إلا في اليوم الرابع للوفاة ، ويجريهـا مجموعـة من رجال الـدين (اللاما) ، وذلك في اليوم الرابع والسابع والرابع عشر والحادي والعشرين والتاسع والأربعين ، وفي الفترة التي بين اليـوم الواحـد والعشرين والتـاسع والأربعين يحظر إقامة أي نوع من الصلاة أو العبادة في البيت ، وفي اليوم الخمسين يأتي (اللاما) والأهل والجيران والأصدقـاء ويقدمـون الطعـام والشراب والنبيذ ، ويبدأ اللاما في صلاة خاصة لإله السعادة والنقود ، لجلب الرفاهية إلى البيت

الأخضر والأبيض

كـانت السيارة تغـادر شوارع تمبـو العاصمـة ، متجهة بنا إلى مدينة « بارو » حيث المطار الوحيد ، تهبط فيه الطائرات ومنه تقلع   كان الطريق يمتد ٦٥ كيلو مترا ، يصعد ويهبط ويتلوى في الجبل ، وكلما ارتفع بنا الطريق لاحت لنا بوادر الجليد والثلج الذي يتحرك تدريجيـا ليكسو الجبـال الخضراء ، فتصبـح لوحة فنية رائعة من عناق الأخضر والأبيض ، وفي السفـوح المنازل الـزاهية الملونـة بالأحمـر والأزرق والأصفـر . تصنع كـل هـذه المفـردات جمـالا فنيا آخاذا ، لبلد يحيا أهله برضا واستكانة ، رغم أنه في قلب المتناقضات . □

سبع سنوات ونيف من الحرب غيرت وجه الحياة الاجتماعية في العراق ، فبعد أن ذهب الرجال للدفاع عن الوطن تقدمت النساء لتؤدي مهام مزدوجة ، فالمرأة في كل المجالات تبذل أقصى طاقتها لتدفع عجلة التنمية ، وتقوم في بيتها بوظيفتي الأمومة والأبوة في آن واحد .

للوهلة الأولى ليس هناك مايدل على أن هده المدينة ـ بغداد ـ عاصمة لبلد يخوص حربا هي الآن في منتصف عامها السابع وما مطار بغداد الضخم ـ وهو أول ما تلقي وتشاهد ـ الا دليلاً واضحاً على أن حركة العمران والتشييد مستمرة ، لم تقف الحرب حائلا دونها أما في قلب المدينة ، فكنا ننتقل من دهشة الى دهشة ، شوارع واسعة ، جسور وأنفاق حديدة ، ومجمعات سكنية مبنية على أحدث طراز ، بعضها جهز للاستعمال بالطاقة الشمسية ، وهو على وشك الافتتاح ، وأسواق تعص بالناس في حركة يومية دائبة

ان ملامح التغيير في بغداد واضحة ، حتى أنه من الصعب على الزائر أن يحصل على خرائط تفصيلية للمدينة الحديدة فعمليات التحديث والتطوير لاتتوقف ، وكأن اصرار العراقيين على البناء قد تحول الى نظام حياة يصعب تغييره خصوصا لدى النساء اللاتي زادت أعباؤهن حسب ما تقتضيه المتغيرات الحديدة

الحرب ظرف استثنائي

ان حركة المرأة هنا ظاهرة تلفت الانتباه ، فهي تدير المهام الجديدة التي ألقيت على عاتقها بعد ما ذهب الرجل للدفاع عن شرف البلاد ، وهي تؤدي عملها بهمة وكفاءة تثير الاعجاب قالت لي احدى الصحفيات العراقيات « الظروف الاستثنائية يجب ألاّ تعطل الهدف ، ولا خيار لنا بين الحرب والبناء ، والا فلن يكون العراق كما نريد له أن يكون »

هكذا تنظر المرأة الى دورها في زمن الحرب ، وهي تعمل في كل المجالات ليلا ونهارا ، فتجدها في المستشفيات ومراكز الجرحى والمعاقين طبيبة وممرضة ، وتراها في المصانع مهندسة وعاملة ، وهي موظفة في كل وزارات الدولة وشركاتهاالمختلفة ،

واذا كنت مدققا شديد الملاحظة ، فسوف تلمح في بعض الضواحي نساء يشرفن على عمليات بناء المنازل وأسوار الحدائق ، وينقلن الطوب والأسمنت في سيارات كبيرة أو صغيرة قالت لي سميرة العامري

أصرت أمي على الانتهاء من أعمال البناء والدهان في بيتنا الجديد ، وكان العمل قد توقف فيه منذ [illegible] أخي الى الجبهة ، فقد كان هو الموكل بمتابعته . ولذلك كثيرا ما أنقل بعض أغراض البناء ، [illegible] عددا من العمال في سيارتي الخاصة الى [illegible] ، ثم تتولى أمي بنفسها الاشراف على سير العمل وقد قارب البناء على الاكتمال

ان ما يثير الاعجاب حقا هو تلك الروح العالية التي تتمتع بها النساء في كل مكان ، فهن يؤدين أعمالهن بهمة ودون كلل ، وقد رأينا مثالا على ذلك المرأة البسيطة التي تبيع العطور والمناشف والأدوات المنزلية في الأسواق القديمة انها تبدأ عملها في السابعة صباحا ولا تعود الى بيتها قبل الخامسة مساء

تقول أم كريم « ان الخروج الى العمل هو البديل الوحيد لغياب ولدي في الجبهة ، فالتجارة التي يشتغل بها هي مصدر رزقنا الذي يجب ان نحرص عليه »

ولا شك أن لكل واحدة من اللاتي يعملن داخل تلك الاسواق قصة مختلفة ، ولكن المعنى لديهن جميعا واحد وهو أن الحياة يجب أن تستمر

ان ما حققته المرأة العراقية كثير ، مما جعلها تقف جنبا الى جنب مع الرجل في كل موقع ، لكن ظروف الحرب غيرت وجه الحياة في العراق ، فأصبح عليها مواجهة الواقع الجديد الذي فرضته تلك الظروف فبعد انصراف الرجال الى جبهة القتال ألقي عليها عبء سد مواقع العمل الشاغرة في الجبهة الداخلية ، من أجل استكمال خطة التنمية لذلك تكون المهام المزدوجة التي تقوم بها النساء في ظروف الحرب هي نقطة التحول الحقيقية في واقع المرأة العراقية

الأولوية للتنمية .

يمثل الحركة النسائية في العراق « الاتحاد العام لنساء العراق » وهو الجهة التي لعبت ـ وما زالت ـ تلعب دورا مهما في تطوير المرأة في كافة المجالات ، وبسبب الحرب تبذل المسئولات في الاتحاد النسائي جهودا مضاعفة من أجل اعداد المرأة العراقية لتحمل المسئوليات الاضافية في تلك المرحلة ، وتحدثنا منال يونس رئيسة الاتحاد النسائي العراقي فتقول

المرأة الآن تعمل في ظروف صعبة ، فهي تقوم بعدة أدوار في وقت واحد ، وتقدم تضحيات [illegible]

ـت بالمقاييس العادية والانسانية فهي مرهقة وعالية لكن اذا وضعنا تلك التضحيات في ميزان بلد يخوض حربا من ناحية ، ويشهد تنمية شاملة من ناحية أخرى ، فلا بد أن ترجح كفة بناء الوطن

لقد واجهت المرأة العراقية مرحلة الحرب والبناء بوعي وإدراك، فتقدمت لتسد الفراغ الذي أحدثه انصراف الرجال الى جبهة القتال ، ولعبت في الأشهر الأولى من الحرب دورا أساسيا ومهما في ترشيد الاستهلاك ، ومحاربة الشائعات التي قد تفسد تماسك الجبهة الداخلية ، وكان ذلك من أعظم الأدوار التي ساهمت بها في تعزيز الجبهة الداخلية وتماسك الأسرة ، ودفع عملية الانتاج قدما من أجل الوفاء بمتطلبات الحرب   أما دور الاتحاد النسائي العراقي فرض علينا أن نعمل على توسيع مشاركة المرأة في كل المجالات لذا بدأنا العمل في اتجاهين

الاتجاه الأول/ ضرورة احلال النساء في مواقع الرجال الشاغرة ، وقد اقتضى ذلك اعادة تدريبهن وتطوير كفاءتهن الانتاجية بما يحقق قوة الانتاج ذاتها حسب الخطة الأساسية للتنمية ، وقد تم ذلك بالفعل بتدريبهن في الورش التابعة لمؤسسات الدولة المختلفة

أما الاتجاه الثاني/ فيهدف الى إلحاق النساء بأعمال جديدة لم يسبق لهن أن مارسنها ، مثل التحاقهن في صفوف الجيش الشعبي ، مما اقتضى تدريبهن على الوسائل الدفاعية وقيادة الدبابات لاستخدامها عند الضرورة

المرأة في الجيش

وتستطرد منال يونس قائلة   أما انضمام المرأة للجيش فيرجع الى عام ١٩٧٧ ، بعد أن كان ذلك مقصورا على الرجال حتى ذلك الحين ، وقد منحت المرأة امتيازات العسكري ممن يماثلها في الرتبة والاختصاص والمهنة ، وفي عام ١٩٧٩ افتتحت أول دورة في كلية القوة الجوية (سلاح الطيران) وتخرجت في الكلية حتى الآن ثلاث دفعات من الضابطات اللاتي حصلن على شهادات الطيران العسكري ... الأعمال التطوعية داخل العراق ... أول من سارع لتأديتها فتطوعت ... الممرضات للقيام بالتمريض في أغلب المستشفيات لرعاية الجرحى والمصابين   ودعا الاتحاد النسائي بعد ذلك الى ضرورة أن تقضي المتخرجة في الجامعة عاما في الخدمة التمريضية ، قبل أن تتسلم عملها ، فلم تتخلف خريجة واحدة عن تلبية الدعوة   أما عدد النساء اللاتي تطوعن للقيام بأعمال الدفاع المدني فقد كان كبيرا مما حدا بالاتحاد أن يقدم لهن كل مساعدة ممكنة لتدريبهن وبخاصة في المناطق التي تتعرض للقصف ، وقد تم تدريبهن على أعمال اطفاء الحريق ، وقيادة سيارات الاسعاف وانقاذ المتضررين من القصف

وفي الحياة الاجتماعية ، تقوم المرأة الآن بدور حيوي دقيق ، فهي تؤدي وظيفتي الأمومة والأبوة معا ، وبعد أن كان دورها مقصورا على توفير الخدمات اليومية لأبنائها ، أصبح عليها الآن أن تتابع التحصيل العلمي لأبنائها وبناتها من خلال اطلاعها على انجازهم للواجبات المدرسية ، وأن توجههم التوجيه السليم ، وتغرس فيهم قيم البطولة والفداء ، لتحميهم من سلبيات الظرف الحالي

وقد اعتمد الاتحاد النسائي أساليب جديدة لتعزيز العلاقات الاجتماعية في المجتمع ، فهو ينظم زيارات لعائلات الشهداء والأسرى والمفقودين والمقاتلين ، لتفقد احتياجاتهم وعلى الخصوص في الأحياء السكنية التي تعرضت للغارات الجوية ، ويسهم في تهيئة أماكن ومخيمات لاسكان العائلات التي غادرت بيوتها الواقعة على الحدود بسبب ظروف القتال ، وبالاضافة الى ذلك ينظم الاتحاد زيارات مستمرة لأبنائنا جرحى المعارك والغارات الجوية في المستشفيات، وكذلك المعوقين في مراكز العلاج الطبيعي ، حيث يتم توزيع الهدايا عليهم لرفع روحهم المعنوية

وتختم رئيسة الاتحاد النسائي العراقي حديثها قائلة ان ظروف الحرب ساعدت على تقبل المجتمع للوظائف الجديدة للمرأة ، وبخاصة الأعمال العسكرية والتدريب على السلاح   وقد سجلت الأعوام من ١٩٧٦ الى ١٩٨٥ تطورا ملحوظا في انضمام النساء الى الجيش الشعبي.

ليس جديدا على المرأة العراقية أن تتحمل شتى الأعمال وتنجح فيها ، فهي - بشكل عام - تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة ، وقد أحرزت انتصارات

كثيرة لصالحها سواء في حقل التعليم ، أو في قوانين الأحوال الشخصية الذي عدل مؤخرا ليمنحها حق حضانة صغارها في حالة الطلاق ، ويقف القانون العراقي المنصف للمرأة رادعا للموروث من العادات الاجتماعية التي كانت سائدة من قبل ، مثل زواج الأقارب الاجباري ، كما أتاح للمرأة أن تشارك في انتخابات المجلس الوطني ، وقد شاركت ونجحت ، وهي الآن تشارك في مجلس الوزراء ، وتدلي برأيها في قضايا بلدها والقانون العراقي يدعم الاتحاد النسائي كجهة تهتم بتطور دور المرأة لخدمة المجتمع أما أعظم انجازات الاتحاد على الاطلاق ، فهو القضاء على الأمية بين النساء مما مهد لهن طريق التطور الحقيقي

فبعد أن كانت نسبة الأمية بينهن ٦٩٪ قبل تسع سنوات تضاءلت الى ٧٪ فقط في منتصف الثمانينيات وتؤكد المسئولات في الاتحاد النسائي العراقي على أنهن يضعن في الاعتبار القضاء التام على تلك النسبة بأسرع وقت ممكن

وتحدثنا ساجدة الموسوي ، مسئولة أمانة الاعلام في الاتحاد النسائي عن المحاولات الأولى التي قام بها الاتحاد في مجال محو الأمية ، فتقول

في عام ١٩٧٨ صدر قانون « الحملة الوطنية لمحو الأمية الالزامي » ليدعو كافة القطاعات والمنظمات الشعبية والجماهيرية للاسهام في القضاء على الأمية ، فبادر الاتحاد النسائي بافتتاح فصول لتعليم الكبار ، وكان أكثرها في الريف حيث توجد النسبة الكبرى من النساء الأميات ، ونظم حملات واسعة في كل محافظة ، توضح أهمية التعليم للمرأة ، وضرورته لتوفير مستقبل أفضل لها ولأسرتها ، كما سعى الجميع لتذليل العقبات أمام المنتسبات الى فصول محو الأمية ، بالاضافة الى ذلك أسهم الاتحاد النسائي في توفير الدراسة المهنية (في المدارس الشعبية) لاعداد عاملات مدربات ، واهتم بتوفير المحاضرات المناسبة ، واختيار أقدر المعلمات والمعلمين للقيام بتلك المهمة ،وكان نشاط الاتحاد كبيرا في متابعة نتائج التجربة أولا بأول

وتنهي ساجدة الموسوي حديثها قائلة . لم يقف دور الاتحاد عند هذا الحد ، بل قدم أشكالا عديدة من التشجيع للدارسات ومنحهن فرصا تدريبية داخل وحدات التدريب في مراكز الاتحاد في كل المحافظات ، كما أعطى الأولوية في العمل للمتخرجات في « المدارس الشعبية » و « مراكز محو الأمية » ، ومن ناحية أخرى نظم القسم الاعلامي في الاتحاد حلقات نقاش شارك فيها خبراء واختصاصيون وأساتذة جامعيون بهدف توجيه المرأة التوجيه العلمي المناسب بعد انتهائها من الدراسة .

مزارع النساء

ان واقع المرأة العراقية يؤكد أنها تتمتع بحقها في الفرص المتكافئة مع الرجل في كافة مجالات الحياة العامة وبخاصة في التعليم والعمل ، وتشير الاحصائيات التي أجريت عام ١٩٨٤ الى أن نسبة النساء العاملات في العراق بلغت أكثر من ٣٠٪ من قوة العمل . وهي نسبة مرتفعة اذا قيست بما كانت عليه عام ١٩٧٥ ، حيث بلغت حوالي ١٧٪ من قوة العمل آنذاك ، ولا تشمل هاتان النسبتان قطاع الزراعة الذي قدرت نسبة المشتغلات فيه بحوالي ٤٣٪ عام ١٩٨٢ . وقد ارتفعت هذه النسبة كثيرا بسبب ظروف الحرب حتى وصلت الى ٤٩٪ عام ١٩٨٤

ولنأخذ المرأة في الريف كمثال على مشاركة النساء في واحد من أهم قطاعات المجتمع،رغم أن إسهام المرأة العراقية في أعمال التنمية الريفية ليس حديثا . فقد كان لها باع طويل في أعمال الزراعة وتربية المواشي والدواجن ومثلما تطورت المرأة المدنية تطورت المرأة الريفية أيضا ، وكان لها نصيب وافر من الامتيازات التي تدفعها الى النجاح

تقول ناهد طوشي ، وهي من النجف وتعمل في مجال تنمية المرأة الريفية حصلت المرأة الريفية على حق امتلاك الأرض واستصلاحها وزراعتها ، كما فازت بحق الانتماء لعضوية الجمعيات التعاونية وقد كان لكل ذلك أثره الفعال في اقبال المرأة على العمل في المؤسسات التي تعنى بشئون الزراعة والاصلاح الزراعي بالاضافة الى الدور الذي تقوم به في حرث الأرض واعدادها للزراعة

ان للعراق تجربة رائدة في مجال تنمية المرأة الريفية تتمثل في اقامة « مزارع للنساء » .

زارت « العربي » احدى مزارع النساء الواقعة في منطقة الشعلة جنوب بغداد ، وهي مزرعة يطلق

● منال يونس رئيسة الاتحاد العام لنساء العراق

● مي بحري استاذة علم النفس في جامعة بغداد

● أم نجم وتجربة رائدة للمرأة في الريف

عليها اسم مزرعة أم نجم ، وأم نجم هو اسم امرأة عراقية في حوالي الخمسين من عمرها ، خريجة احدى المدارس الشعبية (محو الأمية ، فهي الآن تقرأ وتكتب وتدير كل شئون المزرعة . تقول ام نجم حرصت على تلبية الدعوة الى محو الأمية ، وكنت اداوم على متابعة الدرس حتى تخرجت ثم التحقت باحدى المدارس الشعبية ، وتعلمت الكثير عن استخدام كل جديد في حقل الزراعة ، وتوليت بعد ذلك مسئولية استصلاح الأرض وفلاحتها هنا في المزرعة ، ونحن هنا كلنا من النساء نعمل في جميع الأوقات ، نربي الحيوان والدواجن ، ونصنع الألبان ، ونقوم بتوفير « الحطب » لاستخدامه كوقود . بالاضافة الى أعمالنا في ادارة المنزل ، وتربية الاطفال . وبسبب غياب الرجال في الجبهة تعلمت النساء الأساليب الحديثة في الزراعة ، فأغلبيتهن الآن يقدن « التراكتور » وهو آلة حديثة من آلات الزراعة ويستخدمن موتورات المياه وآلات الحرث والحصاد بالاضافة الى صيانة تلك الآلات التي نستخدمها في الأعمال الزراعية ، أما وقت العمل هنا داخل المزرعة فقد يمتد الى أكثر من ١٢ ساعة يوميا

مزيد من الاهتمام بالطفل

يأتي الاهتمام بالطفل ضمن أولويات التنمية وكان « مربي » لقاء مع الدكتورة مي يونس بحري استاذة علم النفس في جامعة بغداد لتحدثنا عن أهمية ذلك د . ظروف الحرب فرضت علينا جميعا أن نعيد النظر في نوع الرعاية التي نوليها للصغار ، فقد أصبح من الضروري اختيار ما يشاهدونه من أفلام تلفزيونية وسينمائية وما يقرأونه من كتب وقصص ومجلات ، لأننا في حقيقة الأمر نعد شبابا ، والشباب هم المستقبل . فاذا لم تكن نفسيات الصغار مهيأة لاستيعاب ما يجري الآن من أحداث ومتغيرات ، فسوف تتعثر أدوارهم المستقبلية ، بل اننا قد نجد أنفسنا في مواجهة أنواع جديدة من المشكلات ، ولذلك يجب أن يعرف الأطفال السبب الحقيقي لغياب آبائهم واخوانهم ، على أن يتم ببطء نسبيا وبعد دراسة متأنية . لأن التسرع في قضية حساسة كقضية تنمية مدارك الطفل ، قد يعطى نتائج قاسية

وتختتم د . مي بحري حديثها فتقول : « ان احراز نتائج ايجابية في اعداد نشء سليم ، يعتمد اعتمادا كبيرا على دور الامهات ، فالأم العراقية تدرك الآن دورها الجديد ، وتعلم أننا في مواجهة نمو سكاني ، وهو واحد من الآثار « الديموجرافية » للحرب

والدولة الآن تمنح الأم التي تنجب أكثر من ٩ أبناء مخصصات مالية قد تفوق دخلها ودخل زوجها مجتمعين كنوع من التشجيع ، واذا كانت الدعوة الى زيادة النسل أمرا له أهميته القصوى ، فان اعداد ذلك النسل على أسس صحيحة هو الهدف الذي نسعى اليه . وقد تخلصت المرأة العراقية من قيود التخلف والنظرة المتدنية والدور السلبي في مجتمعنا ، لقد

وصدت في العراق أسس لتحرير المرأة تحريرا شاملا يصعها على قدم المساواة مع الرحل في القيمة الانسانية ، وفي اطار التوارن الموصوعي ، وفي الحقوق الاحتماعية ، مما يتيح لها فرصة القيام بدورها الايحابي في ساء المجتمع

أما مظاهر الاهتمام بالطفل العراقي فتتمثل في وحود أكثر من نشاط يشمل كل الأعمار وتحظى العناية بالقراءة بالنصيب الأكبر من الاهتمام ، فحد في بعداد وحدها مكتبتين كبيرتين،واحدة في منطقة « االكرخ » تعرف بمكتبة « الطفل العربي » ، والأحرى في منطقة « الرصافة » وتسمى « مكتبة أطفال القادسية » ويصل عدد الكتب التي تصمها كل مكتبة من هاتين المكتبتين الى ٣٧ الف كتاب ، تعالج مشكلات وقضايا يهتم بها الصعار ان أكثر تلك الكتب باللغة العربية . ثم تليها اللغة الانجليزية بالاضافة الى لغات أخرى وتوحد في كل مكتبة قاعة فسيحة للرسم وأخرى للعرض السينمائي وهي تعرض فيلمين أسبوعيا ، كما توحد قاعة للطعام

قالت لنا احدى المشرفات « تفتح المكتبة أبوابها من الثامنة صباحا وحتى السادسة مساء لتستقبل أكثر من ٥٠٠ طفل يوميا ، منهم أعضاء دائمون في المكتبة ومنهم زوار ، ونحن المشرفات داخل المكتبة نساعد الاطفال على قراءة ما قد يصعب عليهم قراءته

ومن المنشآت التي تعنى بشئون الطفل في بغداد « دار ثقافة الأطفال » ، وكان للعربي لقاء مع مديرها العام فاروق سلوم ليحدثنا عن دورها في خدمة الطفل يقول « لم يعد أدب الاطفال قضية عابرة كما كان قبل ثلاثة عقود ، بل أصبح أمرا ذا شأن يتصدر أهم الحلقات الدراسية ، ويشغل بال المهتمين بتثقيف الاطفال ، وأدب الأطفال يحتاج الى لغة خاصة يكون مصدرها الطفل نفسه ، فهو مكتشف بارع لكثير من المترادفات على نحو يدهش اللغويين وعندما يفاجأ شاعر أو كاتب بسؤال عن مصدر الهامه بلغة الطفل ، فان جوابه لن يكون دقيقا منصفا للحقيقة اذا ادعى أن المدركين هم مصدر لغة الطفل ، اذ الأصح أن يلم الشاعر والكاتب بلغة الطفل نفسه ويعرف المحصول اللفظي لكل مرحلة من مراحل الطفولة ، ويدرك أن العلاقة الحميمة بين الأشياء الحميمة التي يهتم بها الطفل كاللعب ، والمكافأة على الجهد ، وزيارة الاصدقاء ، و[illegible] الأهل ، هي « أدوات حب » تنعكس على [illegible] العام ، وهي وحدها كفيلة بأن تعطي للشاعر أو الكاتب المضامين التي تحظى بقبول الطفل

وينهي فاروق سلوم حديثه فيقول « اننا نحرص على تقديم كل جديد ومناسب لصغارنا مما يتناسب مع المرحلة الحالية ، ونسعى الى تقديم تجارب جديدة في مجال كتابة القصة والحكاية التي يقرؤها الأطفال »

دعوة مفتوحة للحياة

في الساعات الأخيرة لنا في عاصمة الرشيد ، وفي الطريق الى المطار وعبر الشارع والأسواق كانت تطل علينا ملامح التعمير في كل مكان ، فعلى الرغم من ظروف الحرب ، أقيم في منطقة « الكرخ » النصب الحديد للتحدي المجهول الذي يعد مثالا لتطويع الهندسة المعمارية الحديثة في شتى مجالات الميادين ، فتبدو قمته على شكل صحن كبير ، ويزن حوالي ٥٥ طنا من الفولاذ ، وقد انتهى العمل فيه عام ١٩٨٢ ، وصممه الفنان العراقي خالد الرحال وبالقرب من وزارة العدل يقف تمثال « حمورابي » ابو القوانين . شامخا مطلا على شارع حيفا وهو واحد من أحدث شوارع المدينة أيضا ، وقد تم انجازه منذ عامين فقط ، وهو يزهو بالمباني الحديثة على جانبيه ، والآن يسهم هذا الشارع في تخفيف عبء الزحام عن الشوارع القديمة الموازية في قلب العاصمة كذلك تم إنجاز جسرين حديثين على نهر دجلة ، الأول هو جسر ١٤ رمضان ، الذي يقع داخل المدينة ويربط حي « الأعظمية » بحي «العطيفية » عند منحنى النهر ، والثاني هو جسر « الرشيدية » الذي يقع خارج مدينة بغداد ، ويربط منطقة « الرشيدية » الزراعية بحي « الأعظمية » وسط العاصمة

وهكذا عبر الشوارع والطرقات كنا نلحظ في كل مكان أثرا جديدا وانجازا حديثا ، وعديدا من المشروعات قيد التنفيذ لتسهم في تجميل العاصمة وتخفيف عبء الازدحام فيها

وقبل أن تغادر السيارة قلب المدينة سلبت بصري تحية وداع لنهر دجلة العظيم تربته السلام وأشم في عبق مائه رائحة التاريخ ، تاريخ العربي القديم □

نيكولا خايتوف و وليد دسوقي

■ الكاتب لا يملك الحق في حياة سهلة ! ■ أبطالي لا يترددون في دفع حياتهم مقابل أغنية ■ الشعراء ينضجون بسرعة كتفاح الصيف ، أما تفاح الروائيين فينضج متأخرا في الخريف ■ ان حياتنا أقصر من ان تسمح لنا بأن نكون قرودا ■ من لا يقرأ فانه يميل أكثر فأكثر لأن يكون متمرحا ■ المجامع اللغوية العربية تقوم بتصفية للكلمات العربية ، ونحن فلا نملك مثل هذا الجهاز ■ آسف لعدم اطلاعي على الشعر العربي لكني أعلم أن الشاعر العربي فلسفة مختمرة

عندما كان التلفزيون البلغاري يعرض مسلسل (كابتن فويفودا) كانت شوارع العاصمة تخلو من المارة ، ولهذا النجاح الكبير حصل نيكولا حايتوف على لقب عالمي

ونيكولا حايتوف هو كاتب بلغاريا المعاصر الأكبر ، أبطاله جاءوا من التاريخ القريب من الاحتلال التركي لبلغاريا ، وناضلوا من أجل استقلالها ، لكنهم مع ذلك رجال لكل الأزمنة كما يقول ـ لأنهم يدافعون عن قيم الانسان الخالدة

فماذا يقول كاتب بلغاريا الشعبي الذي يشغل ـ اضافة لذلك ـ مكانة اجتماعية وسياسية مهمة ؟

يحاول استكشاف عوالمه وتقديمه لنا وليد دسوقي ، الكاتب الفلسطيني المقيم في أوروبا الشرقية ، منذ أكثر من عشر سنوات

*** نيكولا حايتوف ، أنت أشهر من أن تُعرّف في موطنك بلغاريا ، فهل لك أن تقدم نفسك للقارىء العربي ؟**

ـ ولدت قبل ٦٧ عاما ، في قرية صغيرة في جبال « رودوبي » الأب والأم فلاحان يملكان قطعة أرض لا تتجاوز مساحتها ١/٧ من الهكتار ، الاسرة فقيرة متواضعة ، لكنها متعلمة ، ولا أزال أذكر والدي تردد الأغنيات الشعبية بشكل جميل

بعد ان انهيت التعليم الاساسي في القرية ، دخلت دنيا العمل والحرف الشاقة ، حيث عملت « صبي فندق » وبائع فوارغ ، و « ايس كريم » ، كما عملت في تعبيد الطرق تنقلت بين ١١ حرفة مختلفة خلال ٤ سنوات ، الى ان علمت أن بامكاني متابعة الدراسة التي كانت قد انقطعت بسبب مرض والدي

اكملت الدراسة بشكل خاص ، ثم انتسبت لجامعة صوفيا ، حيث كنت اعمل نجارا ثم اداريا في قسم هندسة الاحراج في الوقت نفسه ، وخلال هذه الفترة توفي والدي وأصبحت وحيدا تماما ، وبعد التخرج مارست العمل كمهندس احراج لمدة ٨ سنوات ، فصلت بعدها من العمل ، حيث عانيت من البطالة بعدة اشهر ، وخلال هذه الأشهر بدأت الكتابة بالصدفة ، حين طلب مني احد الاصدقاء كتابة موضوع عن أعمال التحريج للمجلة الثقافية التي كان يرأس تحريرها أحد كبار الكتاب البلغار عندئذ ، وقد أعجب بالمقالة ، وطلب مني كتابة مقالة ثانية وثالثة ، وهكذا اكتشفت ان بوسعي ان اكتب لأعيل نفسي ، ومنذ ذلك اليوم في عام ١٩٥٤ وحتى الان ، كتبت نحو ٨٠ مقالة عن الغابات ، ٣٢٠ كتابا ، وروايه و ٧ مسرحيات ، و ١٢ سيناريو للسينما ، ومسلسلين تلفزيونيين ، بالاضافة الى ٧١ تمثيلية إذاعية وغيرها

وانا الان عضو في اتحاد الكتاب البلغار ، وعضو اللجنة التنفيذية للاتحاد منذ ١٩٦٠ ، وسكرتير للاتحاد فيما بين ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨ ورئيس لصندوق الأمانة لمدة ٨ سنوات ، ومنذ عام ١٩٦٥ وانا [illegible] رئيس تحرير مجلة (رودوبي) التي تعنى بالثقافة ، [illegible] خاصة بمنطقة الرودوبي حيث ولدت ، وانا [illegible] متزوج ولي ولدان وبنت صحفية

الأدب والمعاناة

*** اذن ، فأنت كاتب جاء من حياة المعاناة والعمل المباشر ، كيف تنظر الى التجربة الحياتية باعتبارها موضوع الكتابة الأساسي ؟**

ـ ان الكاتب الذي لم يعان متاعب الحياة [illegible] كاتبا ، وفي اعتقادي ان لكل انسان الحق في

ـه سهلة ، الا أن الكاتب لا يملك مثل هذا الحق ،
ـاك العديـد من القضايـا والقيم التي يجب عـلى
ـاتب الدفاع عنها ،   مستفيدا من خبرته الحياتية.
اعمالي الابداعية أقوم بالدفـاع عن قيم الانسان
الحسنة ، وعن القـوة الـروحيـة لـلانسـان الـذي
يسأم ضميره ، ولا يعقد الصفقات مع نفسه ،
لا يمكن ان ينظر بلا اكتراث لما يجري حوله ، هؤلاء
ـ ابطالي الذين لا يترددون في دفع حياتهم من أجل
ـه ، وهذا بالضبط هو موضوع احدى رواياتي التي
ـب الى فلم سـينمائي بعنوان « نهاية الأعبيـه » ،
ي اعتقادي ايضا ان الحياة بدون قيم انسانية ليست
ـاة ، ومن هنا أومن بحقيقة أن التقدم الروحي اهم
التقدم التقني ، وان الدفـاع عن القيم الخالـدة
ـسان امر ذو أهميه استثنائيه
ـمن هنا أيضا تأتي أهمية الدفاع عن اللغة باعتبارها
ـاس اصالة الشعب ، وبدون أصالة اللغة القـومية
ـعدنا ما كان للشعب البلغاري أن ينهض
ومن هنا ايضا يأتي دفاعي عن البيئة والطبيعة التي
ـمنا ، ان للانسان الحق في أن يتنفس هواء نقيا ،
ـدام ما يصيب هذا العالم من تلوث ، فاني أعتقد
ـ حدى المشاكل الرئيسية لعصرنا تطرح من خلال
ـساؤل عم سنتنفس لا ما سأكل
هذه هي أحوائي ، وهذه هي قيمي والقيم الى
ـع عنها أبطالي
لقد كانت حياتي قاسيه بالفعل ، والى فترة قريبه
ـت اعتبر نفسي سيء الطالع ، أما الآن فاني مقتنع
ـعكس تماما ، فهذه الحياة القاسية التي عشتها هي
... اس مالي

*** تكتب في معظم الأنواع الابداعية المقالة ، الرواية ، المسرحية ، السينما ، الأدب الوثائقي   كيف ترى الفرق بين هـذا الأنـواع ؟ وكيف تختـار أداتـك الكتابية ؟**

ـ ـل نوع من هذه الأنواع أفضلياته ، فالمقالة
ـ مثلا تسمح بالرد المباشر على الأحـداث
ـ مها ، أما المسرحية فيجب الاعداد لها لفترة
ـ مي المدفعيـة الثقيلة التي لا تصلح لصيد
ـ ما الرواية فبين هذين النوعين

في المقالة تحتاج للحرارة والعصب والمزاج لمتابعـة الحدث ، مهما كان ضئيلا ، فموت قطة في الشـارع مثلا يمكن أن يثير ردود فعل عديدة ومختلفة ، وكـل تأخير في الكتابة يفقدها أهميتها المباشرة ، أما الرواية فتحتـاج الى الاسترخـاء والعقـلانيـة ، بينما تحتـاج المسرحية إلى وجود موضوع كبير ، أو قضية مهمة

تفاح الصيف وتفاح الخريف

*** بدأت الكتابة في سن متأخـرة نسبيا ، كيف تـرى العـلاقـة بـين العمـر والابداع ؟**

ـ لقد أثبتت تجربه الكتابة في العالم ، أن الشعراء يبلغون ذروة نضجهم في الثلاثين من عمرهم   لكن « والت ويتمان » استثناء كبير جدا في هذا المجال ، والأمر كله يتعلق بطبيعة الشعر الذي يرتبط عضويا بحماس الشباب   عندما لا يعيق العقل المشاعـر الانسانية ، أما الكتابة النثرية فتتطلب عقلا ناضجا تماما وقلبا يعاني ، **الشعراء** ينضجون كتفاح الصيف ، أما تفاح الروائيين فينضج في الخريف ، وبالنسبة لهم لا قيمــة للعمـر ، والاثبــات وضعــه كثيـــرون تولستوي ، وغوته ، وكاتبنا العظيم « ايفان فازوف » وآخرون ، أما الشعراء الـذين نضجـوا بعـد سن الثلاثين فهم استثناء نادر ، وتلك طبيعة الأشياء

*** تشغل مكانة اجتماعية وسياسية مهمة في بلادك ، أين يلتقي خايتوف السياسي بخايتوف المبدع وأين يفترقان ؟**

ـ لا انفصام بين خايتوف الفنان والسياسي ، وأنا لا أقسّم نفسي الى اثـنين ، فلي وجـه واحـد وروح واحدة ووجدان واحد ، وعلاقة الفنان بالسياسي غير قابلة للفصل في الحياة ، وفي الكتابة ، وفي البرلمان ، وللأسف فاني لا أملك الآن الكلمة التي القيتها في الجمعيـة الشعبية (البـرلمان) لتعـرف أني لا أقسِّم نفسي ، ان حياتنا أقصر من أن تسمح لنا بأن نكون فرودا

الناس يعانون من حوع للحقيقه والاخلاص ، وهناك كثيرون ممن يملكون الموهبة ، لكنهم ليسوا على استعداد لقول الحقيقة ، وذلك لحسابات خاصة بهم ، اما أنا فلست من هؤلاء

رجال لكل الأزمنة

*** للتاريخ مكانة خاصة في أعمالك الابداعية ، وهل هي قليلة قصايا وهواحس الانسان المعاصر ؟ هل لجوؤك الي التاريخ محاولة للهروب من الحاضر ، أم أنه محاولة لتفسيره واعبائه ؟**

ـ ليس هناك مجتمع بدا من الصفر ، لذا فالتاريخ يعيش معنا ويسهم في حل مشاكلنا المعاصرة ، وكثيرا ما ألجأ الى التاريخ عندما أريد أن أخوض في موضوع معاصر ، وبالطبع فليس الجميع على استعداد للخوض في مواضيع معاصرة ، لأن هناك مقاومة من فئات مختلفه ، وفي فترة ما كان عليك أن تختار بين البطل الايجابي والأكثر ايجابية ، أما الان فقد تجاوزنا هذه المواقف ، ومسرحيتي الأخيرة ، تعرض صراعا بين شيوعيين وشيوعيين ، ولكنه ليس صراعا تناحريا

ان الناس بحاجة الى أناس مثل كانتين بيكوفوبفودا ، وهو بطل مسلسل تلفزيوني بهذا الاسم ، و (فاسيل ليفسكي) وآخرين ، بحاجة اليهم لكي نفرح بهم ونتعلم منهم ، فهم رجال لكل الأزمنة ، ومع ذلك فأنا لا أعتبر نفسي كاتبا للرواية التاريخيه بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فقد كتبت أخيرا مجموعة قصصية عنوانها « أشواك » ، وهي مجموعة ليست تاريخيه ولا بوليسية ، بل نوع جديد من الأدب القصصي ، والقيمة الابداعية للعمل هي الأهم

بالطبع هناك أنواع أدبية متدنية لها قراؤها ، ولا اعتراض على ذلك ، فالقراءة أساسا معيار لتقدم الانسان ، ومن لا يقرأ فانه لا يكون متوازنا ، حيث يميل أكثر لأن يكون متفرجا ، والفرجة دليل تراجع لا دليل تقدم كما هي القراءة

اللغة ، مفتاح القومية

*** يعالج أحد كتبك موضوع بقاء اللغة كيف تفهم ذلك ؟ وكيف تسيطر على التعبيرات الجديدة التي تفرزها الحياة باستمرار ؟**

ـ اللغة هي مفتاح القومية ودرعها في الدفاع عن نفسه ، بالنسبة لنا معشر البلغار ، عاش شعبنا مع الأتراك واليونان واليهود والأرمن ، كما دخلت لغتنا كثير من الكلمات العربية التي أتتنا عن طريق الأتراك ، ودخول كلمات هذه الشعوب والطوائف أمر طبيعي ، لأنها دخلت عن طريق الشعب الذي استخدمها بشكل خلاق فأصبحت لها جذور في اللغه ، ومنها الألفاظ والكلمات العربية التي هي الان جزء من تراثنا اللغوي

لكن هناك نوعا آخر من الكلمات الأجنبية التي دخلت عن طريق الاعلام الغربي ، لتغطي حقولا مثل الرياضه ، والموسيقا ، والتقنيه ، وغيرها وهي تشكل نحو ٤٠٪ من الكلمات في هذه المجالات ، واذا استمرت الأمور على هذا المنوال سنوات اخرى فان الأمر سيصل حد الخطر

العرب أيضا لديهم مثل هذه المشكله ، ولكن هناك المجمعات اللغوية التي تقوم بدور المصفاة للكلمات الجديدة ، حيث يقومون بتعريبها وتعميمها ، أما نحن فليس لدينا مثل هذه المجمعات ، اضافة الى أن اللغه العربية اغنى بكثير من اللغة البلغارية

فلسفة مختمرة

*** بمناسبة الحديث عن اللغة العربية ، اين تضع الكاتب العربي من عملية الابداع العالمي ؟**

ـ لقد تحدث آخرون أفضل مني معرفة بهذا الموضوع ، وخاصة عن الشعر العربي الذي تطور بفعل الشعر الفرنسي والأوروبي بكثير ، والشاعر العربي فلسفه مختمرة ، لكني للأسف غير مطلع على الأدب العربي المعاصر ، وهذه خسارة كبيرة حقا ، فلم أقرأ سوى ٥ أو ٦ قصائد مترجمة ، وهو عدد لا يكفي للحكم على هذه المسيرة الطويلة □

العربي الصغير
صدر العدد الجديد
من مجلتك
مارس ١٩٨٧
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريره مع الفتيات والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ
في هذا العدد:
أسواقنا الشعبية في الكويت.
كوكب الأحلام الذاتية.
همام .. نعامة واحدة تكفي.
الجاسوس والعرش.
ديزني لاند .. عالم كبير.
حكايات شهرزاد الجديدة.
من أساطير الشعوب: حكاية أفريقية.
بالإضافة إلى الأبواب الثابتة
دائرة معارف العربي الصغير
اسلاميات ▪ إصنع بنفسك
صفحة الكمبيوتر
صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
٦٤ صفحة بالألوان
نتيجة مسابقة العدد الحادي عشر
ومسابقة جديدة و ١٠٠ جائزة

من الأشعة النووية وحوادث المفاعلات

بقلم الدكتورة شدى الدركزلي

لقد كان لحادث مفاعل (تشيرنوبل) في ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٨٦ صدى واسع في كافة الأوساط . وبصدى لمناقشة الحادث اطراف مناهضة كليا لاستخدام الطاقة النوويه وأطراف متحمسة له وكلا الطرفين استخدم حججا وبراهين على صحة رايه ، وخطا الآخر ، فأين الحقيقة من كل ذلك ؟

في يوليو ١٩١٦ تصدى بعض مناهضي استخدام الطاقة النووية بصورة بطنتة ، للتأثير على الراي العام ، فزرعوا كمية من المتفجرات في سيارة رئيس قسم الأبحاث والتطوير في شركة سيمنز الالمانية الغربية منهين بذلك التفجير حياة أقوى مناصري استغلال الطاقة النووية في الصناعة بصورة واسعة وغير محدودة

أما المدافعون عن استخدام الطاقة النووية فيقولون « ان الانسان يتعرض للاشعه النووية الطبيعية بمقادير تزيد على تلك التي يتعرض لها من المفاعلات » وهذه المقولة صحيحة في الحالات الاعتيادية للمفاعل لكنها تحمل كثيرا من عدم الدقة في حالة تعرض المفاعل لحادث ما

لالقاء نظرة حيادية (علمية) على الموضوع سنتطرق في هذا المقال الى حزين الأرض الطبيعي من الاشعة النووية ، ومناطق تواجدها والجرعات التي يتعرض لها الانسان مقابلة بالجرعات الناتجة عن حوادث المفاعلات الكبيرة في (ويند سكيل) و (ثري مايل ايلاند) ، واخيرا (تشيرنوبل)

الاشعاع النووي الطبيعي الأرضي

يوجد على سطح الارض ، وفي باطنها ، كثير من العناصر التي تحتوي على نظائر ، بعضها مشع وبعضها مستقر . وكان اكتشاف النشاط الاشعاعي عام ١٨٩٦ على يد العالم (بيكرل) قد تحقق في خام عنصر اليورانيوم . وفي الطبيعة حوالي ٣٤٠ نظيرا للعناصر المختلفة ، ٢٠٪ من هذه النظائر ذات نشاط إشعاعي ، ومعظم النظائر المشعة هي لعناصر ثقيلة فكل عنصر يزيد عدده الذري على الثمانين له نظائر مشعة

* قسم الفيزياء / كلية العلوم / جامعة بغداد
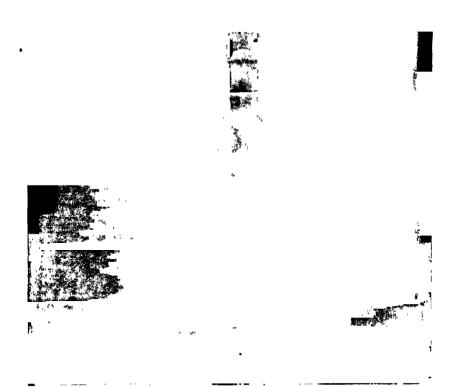
تشرنوبيل اعاد فتح ملف تسرب الاشعاع

ي بدء تكون الأرض كان هناك عدد أكبر من عناصر المشعة . ولكن مع مرور بضعة الاف من سنين اضمحلت بعض العناصر المشعة . وفي بعضها الاخر بسبب قصر عمر نصفه*. فالعناصر المشعة الطبيعية الموجودة الى الان على سطح الارض لابد ان يزيد عمر نصفها عن عمر الأرض الذي يقدر بحوالي اربعة الاف مليون سنة . او يقاربه . وتسمى بالعناصر المشعة الأساسية . اما العناصر المشعة الأخرى التي يقل عمر نصفها عن عمر الارض . ولا تزال موجودة في الطبيعة . فهي مشتقة من العناصر الأساسية . وتسمى بالعناصر المشعة الثانوية

والمصادر الطبيعية المشعة أنواع منها العناصر المشعة التي تصنف إلى نوعين حسب مصدرها . النوع الأول هو الناتج عن تفاعل الأشعة الكونية مع عناصر غير مشعة مستقرة . وأشهر العناصر المشعة من هذا النوع هو (الكاربون ـ ١٤) . والتريتيوم . إن الأشعة النووية الطبيعية الناتجة عن هذه المصادر قد تغير بعد بدء التفجيرات النووية فوق سطح الأرض . فقد بقي هذا الفيض مستقرا لمدة ١٥٠٠٠ سنة . إلى ما قبل عام ١٩٥٤ . عند ذلك لوحظت زيادة في (تركيز الكاربون ـ ١٤) في الطبيعة . وكذلك في تركيز التريتيوم . إن هذه الزيادة سببتها التفجيرات النووية في الخمسينيات ومن العناصر الأخرى من النوع المفرد الكوني عناصر البريليوم . والصوديوم . والسليكون . والفسفور . والكبريت . والكلور

اما النوع الثاني فهو الذي من أصل ارضي . يعمر نصف أكبر من عمر الأرض أو يقاربه . واشهر هذه العناصر (البوتاسيوم ـ ٤٠) . ويشترك (البوتاسيوم ـ ٤٠) مع (كاربون ـ ١٤) والتريتيوم بخاصية مهمة . هي التواجد في كافة الكائنات الحية . وفي التربة . كما سيأتي ذكره في بند قادم

وعندما نعرّف المادة المشعة فإنما نعني بذلك أنها

* عمر النصف للمادة المشعة بأنه الفترة الزمنية اللازمة لانخفاض النشاط الاشعاعي إلى النصف

تتحلل إلى مادة ثانية بانبعاث أشعة نووية معينة ، فإذا كانت المادة الثانية مشعة أيضا فإنها ستتحلل إلى مادة ثالثة ، وهكذا حتى تصل الى مادة مستقرة ، عند ذلك نسمي المواد المشعة المتحللة على التسلسل بالسلسلة المشعة وهي النوع الثاني من النظائر الطبيعية ، ويوجد في الطبيعة الآن ثلاث سلاسل مشعة هي

- سلسلة اليورانيوم
- سلسلة الثوريوم
- سلسلة الأكتينيوم

إن معظم عناصر السلاسل الطبيعية يشع (الفا) و (بيتا) و (جاما) ، وتتميز السلاسل الطبيعية المشعة بصفات مشتركة ، أولها أن النواة الأم (التي منها تبدأ السلسلة) تكون ذات عمر نصف يزيد عن عمر الأرض أو يقاربه ، والصفة الثانية هي أن جميع السلاسل تنتهي بأحد نظائر الرصاص المستقر ، والصفة الأخيرة هي وجود غاز مشع في كل منها

توجد سلسلة رابعة لم يعد لها وجود على سطح الأرض ، لأن عمر النصف للنواة الأم أقل من عمر الأرض ، وهي سلسلة (النبتونيوم) التي تبدأ بـ (النبتونيوم ـ ٢٣٧) ، والعضو الوحيد في السلسلة الذي لا يزال له وجود على الأرض هو (البزموث ٢٠٩) ، ولقد حضرت هذه السلسلة بكاملها في المختبرات

والسلاسل الطبيعية تتواجد في الطبقة الأولى من قشرة الأرض ، ومعظم الطاقة المنبعثة منها تتحول إلى حرارة ، تمتصها المواد القريبة منها ، وأشهر هذه السلاسل وأهمها من ناحية استغلال طاقتها ، هي سلسلة اليورانيوم ، حيث يوجد في الأرض معدل ٤ مايكروغرامات من اليورانيوم في الغرام الواحد من الصخور ، أما مياه البحار فتحتوي على معدل ١,٣ مايكروغرام في اللتر الواحد

النظائر الطبيعية المشعة

ذكرنا سابقا أن كافة الكائنات الحية تحتوي في تركيبها على الهايدروجين ، والكاربون ، والبوتاسيوم ، وغيرها من العناصر ، ووجود نظائر مشعة لهذه العناصر ـ ولو بنسب قليلة ـ يجعل الكائنات الحية تحمل الإشعاع النووي ضمن تكوينها

إذ يوجد اليورانيوم في التربة ، وفي الصخ... بنسب مختلفة في العالم ، حيث يوجد ... الصخور تزداد فيه نسبة اليورانيوم ، فصخو... الفوسفات في فلوريدا (بالولايات المتحدة) تعتبر مصدرا تجاريا لليورانيوم ، أما صخور الفوسفات في أفريقيا فتحتوي على سدس كمية اليورانيوم الموجود في صخور فلوريدا ، ووجود اليورانيوم في الصخور ، والتربة ، يؤدي (ضمن السلسل... الغذائية) إلى تواجده في غذاء الانسان ، فقد أثبتت البحوث أن الفرد في المملكة المتحدة يحتوي جسمه على معدل ١٠٠ ـ ١٢٥ مايكروغرام من اليورانيوم وباستيعاب يومي معدله مايكروغرام واحد

ويوجد الراديوم في الصخور بنسب مختلفة حسب نوعيتها ، فتحتوي الصخور البركانية على نسب... للراديوم ، بخاصة صخور الحمم البركانية في بيرو... كذلك يوجد بنسبة عالية في الغرانيت ، ويوجد تركيز...

الجدول رقم (١)

النشاط الاشعاعي في الأغذية بسبب الراديوم

المادة الغذائية	النشاط الاشعاعي بالبيكوكوري* لكل ١٠٠غم
جوز البرازيل	١٤٠٠
الحبوب	٦٠
الشاي	٤٠
الكبد والكلية	١٥
الطحين	١٤
فول سوداني وزبدته	١٢
الشكولاتة	٨
البسكويت	٢
الحليب المجفف	١ ـ ٢
السمك	١ ـ ٢
الجبن والبيض	٠ر٩
الخضراوات	٠ر٧
اللحوم	٠ر٥
الفواكه	٠ر١

* [البيكو يعادل جزء من مليون المليو... (١٠ ^-١٢^)]

محاس للراديوم في مياه قعر المحيط ، يعتقد أنه بسب الترسبات ، ويختلف تركيز الراديوم في المحطات ، فتركيزه في المحيط الهادي يعادل ضعف تركيزه في المحيط الهندي والأطلسي ، وكذلك يوجد الراديوم في مياه الشرب لكن نسب تركيزه تختلف باختلاف بقاع الأرض ، فقد تصل في بعض المناطق إلى خمسة أضعاف الجرعة الاعتيادية ، أما الأغذية فبسبب التشابه الكيميائي بين الراديوم والكالسيوم تمص التربة الراديوم ، وينتقل منها الى سلسلة الغذاء ، ثم إلى الانسان ، ولقد حددت البحوث نسبة تركيز الراديوم في بعض المواد الغذائية ، كما في الجدول رقم (١)

ومن الملاحظ أن نسبة تركيز الراديوم في جوز البرازيل أعلى بألف مرة من معدل الأغذية الأخرى ، وقد فسر ذلك بسبب قدرة تلك الشجرة على امتصاص الباريوم الذي هو مجانس كيميائي للراديوم ، كذلك أشارت بحوث الأمم المتحدة إلى اختلاف نسبة تركيز الراديوم في الهيكل العظمي للانسان ، في مناطق العالم المختلفة ، كما هو في الجدول رقم (٢)

ويتحلل (الرادون ٢٢٢) ، الموجود ضمن سلسلة اليورانيوم الذي هو غاز في الجو ، الى البولونيوم ٢١٠ ومن ثم الى الرصاص ٢١٠ ان طول عمر النصف للرصاص يؤدي الى استقراره على سطح الأرض مع الأمطار والثلوج المتساقطة ، كذلك لوحظت نقطتان هامتان تؤديان الى ارتفاع نسبة الرصاص / البولونيوم في جسم الانسان الأولى هي التدخين ، والثانية هي المناطق الشمالية من الكرة الأرضية لقد لوحظ ارتفاع تركيز البولونيوم ٢١٠ عند المدخنين في الرئة والأنسجة الأخرى ، حيث سجل أحد الباحثين تركيزا مضاعفا للتركيز الموجود في الشخص غير المدخن وسجل آخر أربعة أضعاف تركيز لاعتيادي أما النقطة الثانية فقد لوحظ ان سكان [illegible] حال فلنده الذين يعتمدون في غذائهم على [illegible] من غزال الرنة ، ترداد نسبة تركيز البولو[illegible]م في أجسامهم ١٢ مرة أعلى من التركيز الاعتيـ[illegible] ، وقد عزي ذلك الى اعتماد غزال الرنة في غذائه [illegible] نبات خاص له قابلية عالية لامتصاص [illegible] والبولونيوم من الجو

الجدول رقم (٢)

تركيز الراديوم في مناطق مختلفة من العالم

المنطقة	النشاط الاشعاعي الكلي في الهيكل العظمي (بيكوكوري)
أ ـ منطقة عالية التركيز	
ولاية كرالا (الهند)	٢٧٠
ولاية الينوى (أمريكا)	١٠٠
ب ـ مناطق اعتيادية التركيز	
ولاية نيوانكلند (أمريكا)	٣٩
نيويورك (أمريكا)	٣٢
كاليفورنيا (أمريكا)	٢٧
المانيا الغربية	٣٦
أمريكا الوسطى (بورتوريكو)	١٧

مناطق الاشعاع العالي

يتغير مقدار النشاط الاشعاعي الطبيعي في معظم أنحاء العالم ضمن حدود ضيقة ولكن يزداد هذا النشاط في مناطق معينة زيادة عالية بسبب وجود تركيز عال غير طبيعي ضمن مواد التربة أو الصخور في المنطقة ان أشهر المناطق ذات التركيز العالي للنشاط الاشعاعي هي مناطق المياه المعدنية ومناطق الرمال السوداء

ففي مناطق الينابيع المعدنية ترتفع نسبة تركيز الراديوم والرادون وقد أصبحت معظم مناطق الينابيع المعدنية مناطق سياحية تستغل تجاريا بدعوة شفاء المرضى لكن الشفاء بسبب المياه المعدنية هو علاج نفسي أكثر مما هو علاج طبي ، ويشجع المرضى ليس فقط على شرب المياه أو الاستحمام فيها وانما على استنشاق الهواء الذي يرتفع تركيز الرادون فيه مليون مرة أكثر من الطبيعي ففي بادكاشتاين في النمسا يوصف ٢٥ ألف حمام رادون للمرضى يوميا ، حيث يمر فيها سنوياً مليون زائر حسب احصاءات ١٩٨٠ ان تركيز الراديوم في الماء المعدني أكبر عشرة

أصعاف من تركره بمياه الشرب

كما تحتوي الرمال السوداء على فوسفات السيريوم واللنثانوم وتوجد في ريودي جانيرو في البرازيل وفي الهند فعلى سواحل الرمال السوداء لمدينة كواراباري في ولاية اسبيريتو سانتوس في البرازيل حيث يرتفع التعرض للاشعاع في المنطقة التي يتحول فيها السكان لاعتقادهم بفائدة ذلك صحيا ويزداد معدل التعرض حتى في شوارع المدينة الى عشرة أضعاف معدل التعرض الطبيعي ان سبب ذلك يعود الى استخدام رمال المونازيت في رصف الشوارع أما ولاية كرالا في الهند فيتعرض سكانها الى ضعف معدل تعرض سكان كواراباري بسبب رمال المونازيت أيضا

يتضح مما تقدم ان الفرد يتعرض للاشعاع النووي الطبيعي من داخل جسمه ومن الأغذية ومن المحيط الخارجي الذي يحيط به لقد اتفق العلماء على مصطلح الجرعة الشعاعية بالنسبة للتعرض للاشعاع التي تتضمن النشاط الاشعاعي للمصدر المشع ونوع الاشعاع المنبعث وطاقته والوحدة القديمة لهذا المصطلح هي الراد ، أما الوحدة العالمية الجديدة فهي الجراي أما اذا دخل التأثير البايولوجي للاشعاع في الحساب فان المصطلح يسمى بالجرعة المكافئة ووحدتها القديمة الريم والعالمية الجديدة السيفرت

الجرعة المؤذية وغير المؤذية

في السنين الأولى لاستخدام الاشعاع ، استخدم العلماء مفهومي الجرعة المؤذية والجرعة غير المؤذية ، وكان أسلوب تقدير الجرعة المؤذية يحصل بتعريض الجلد البشري للاشعاع حتى يحمر الجلد ، والجرعة المتراكمة عند ذاك تسمى بالجرعة المؤذية أما في الوقت الحاضر فقد ثبت علميا عدم وجود جرعة غير مؤذية مهما قل مقدارها ومن هذا المنطلق دأبت كافة المنظمات العالمية على نشر التوصيات في كافة أنحاء العالم لتقليل التعرض الاشعاعي الى أقل ما يمكن

وتقاس جرع التعرض من الاشعاع الطبيعي بطرق مختلفة وفي كافة أنحاء العالم ويبين الجدول رقم (٣) معدل الجرع المكافئة من المصادر المختلفة في عام ١٩٨٤ في المملكة المتحدة

الجدول رقم (٣)
معدل الجرعة المكافئة من المصادر المختلفة في عام ١٩٨٤ في المملكة المتحدة

المصدر	الجرعة المكافئة (مايكروسيفرت)
أ ـ الاشعة الطبيعية	
١ ـ الكونية	٣٠٠
٢ ـ أشعة كاما الأرضية	٤٠٠
٣ ـ التشعيع الداخلي	٣٧٠
٤ ـ نواتج سلسلة اليورانيوم	٧٠٠
٥ ـ نواتج سلسلة الثوريوم	١٠٠
ب ـ الأشعة المصنعة	
١ ـ الاستخدامات الطبية	٢٥٠
٢ ـ المتساقط النووي من الأسلحة	١٠
٣ ـ الاستخدامات المهنية	٩
٤ ـ النفايات النووية	٢
٥ ـ مصادر أخرى	١١
المجموع	٢١٥٢

* [المايكرو يعادل جزء من مليون (١٠ ^-٦^)]

ان المتحمسين لاستغلال الطاقة النووية يرون أن الرقم ٢٠٠٠ هو المقياس الطبيعي ، وأية زيادة في التعرض تسببها الحوادث في المفاعلات تنسب الى هذا الرقم فحادث تشيرنوبل مثلا ، قدر أن معدل الزيادة في الجرعة المكافئة في المملكة المتحدة هو ٧٠ مايكروسيفرت التي تمثل زيادة تقترب من ٤٪ في حين أن الزيادة المقدرة بسبعين مايكروسيفرت يجب أن تقاس نسبة الى الاشعة المصنعة فقط أي الى الرقم ٢٨٢ مايكرو سيفرت الذي يعني زيادة مقدارها حوالي ٢٥٪ ، وذلك بسبب كون الأشعة الطبيعية موجودة منذ خلق الأرض ، أما الاضافات من الأشعة المصنعة ، التي تعتبر أحد أسباب زيادة الاصابة بمرض السرطان ، فهي المقياس الصحيح للزيادة ومن جهة ثانية ، فان الرقم مايكرو سيفرت هو معدل الزيادة في مناطق الـ

المتحدة ، ففي الشمال قدر معدل الجرعة بحوالي ... مايكرو سيفرت مقابلة بالجرعة في الحبوب التي يدرس بأنها ٢٠ مايكرو سيفرت

حوادث المفاعلات النووية

سجّل تاريخ استغلال الطاقة النووية ثلاثة حوادث كبيرة ، والعديد من الحوادث المحدودة والحوادث الثلاثة الكبيرة هي حادث مفاعل ويندسكيل في المملكة المتحدة بتاريخ ٨/ ١٠/ ١٩٥٧ ، وحادث مفاعل ثرى مايل آيلاند في الولايات المتحدة بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٩٧٩ وحادث مفاعل تشيرنوبل في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ٢٦/ ٤/ ١٩٨٦

وملخص أهم نتائج الحوادث الثلاثة هو أن الحادث الأول سبّب اطلاق عشرين ألف كورى من اليود المشع ١٣١ الى الجو ، وسكبت في مياه الأنهار والبحار مليوني لتر من الحليب في مساحة تقدر بخمسمائة كيلو متر مربع

اما الحادث الثاني فقد قدر بتعرض مليون شخص في دائرة بنصف قطرها ٨٠ كيلو مترا بمعدل جرعة ١٥ مايكرو سيفرت (أقصى جرعة قدرت بحوالي ٨٣٠ مايكرو سيفرت)

أما الحادث الأخير فلا تزال التقديرات تعتمد معظمها على نظريات لنماذج حوادث مماثلة ، وهذه التقديرات تخمن اطلاق ١٥ - ٢٠ مليون كورى من اليود المشع ١٣١ (أي حوالي ألف مرة أكثر من حادث ويندسكيل) ، اضافة الى ١ - ٢ مليون كورى من السيزيوم المشع ١٣٧ ولقد سجلت أجهزة قياس الاشعاع ، في كافة أنحاء العالم ، زيادة في جرعة التعرض العام ومنها ما ذكر سابقا بالنسبة للمملكة المتحدة

ان خطورة الحوادث الكبيرة تكمن في امكانية انتقال المواد المشعة الى مسافات بعيدة جدا عن موقع الحادث ، عن طريق الجو ومصادر المياه ، والتربة وغيرها اضافة الى المدى الزمني البعيد لآثارها أما الحوادث المتوسطة والصغيرة فهي محدودة التأثير بمنطقة الحادث مشابهة بذلك الكثير من الحوادث في استغلال الأنواع الأخرى من الطاقة ان النظرة الحيادية لقضية استغلال الطاقة النووية يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الحسنات ، اضافة الى السيئات ، ولا يجوز تضخيم أي منها بصورة تؤدي الى القبول التام أو الرفض التام لقد خلق البارىء (عز وجل) الانسان وخلق له الوسائل الكثيرة والمتنوعة لخدمته ، وكثير من الوسائل ان استغلت من قبل الانسان بصورة غير صحيحة فهذا لا ينفي امكانية حسن استغلالها ، وهذا ينطبق على استغلال الطاقة النووية ، فكل أنواع الطاقات الأخرى لها مساوئها ولها مشاكلها ، وان كانت الطاقة النووية تتميز بطول عمر مساوئها (عندما يكون عمر النصف للمواد المشعة طويلا) ، فان ذلك لا يعني عدم امكانية استغلالها بصورة محدودة ، وعندما تفرض الضرورة استخدامها ، كذلك لا يجوز موازنة جرع التعرض من الأشعة الطبيعية بجرع التعرض من حوادث المفاعلات ، فان ذلك يشبه موازنة عصير العنب الطبيعي بالخمر

ان استغلال الطاقة النووية يجب أن يكون واقعيا أكثر مما هو تجاريا ، ومما يذكر أن الموازنة بين الطاقة النووية والطاقة الشمسية أصبحت تشبّه بالفرق بين التفاحة (للطاقة النووية) والبرتقالة (للطاقة الشمسية) من ناحية الكلفة والطعم ، اضافة الى ما ترمز له التفاحة في الفكر العربي من اخراج آدم من الجنة ولعلنا في العالم العربي الآن ، حيث النزول لا يزال - والحمد لله - يستقر في باطن أراضينا ، اضافة الى الطاقة الشمسية الكبيرة ، نكون أكثر تروّيا في قضية استخدام الطاقة النووية التي تحتاج الى العدد البشري الكبير من المتخصصين ، اضافة الى مشكلة النفايات النووية التي تنتج من المفاعلات النووية ، هذا اذا لم نتعظ بعد من حوادث المفاعلات في الدول الكبرى □

● الأرض مبسوطة ، والسماء مسقوفة ، وبين السماء والأرض عوالم مطرودة

(د زكي مبارك)

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) الانفال ٥ و ٦

وصل الى سمع النبي (عليه الصلاة والسلام) أن قافلة لقريش يقودها أبو سفيان ، وتحمل من الأموال والسلع مايقدر بخمسين ألف دينار ، هي في طريق عودتها من غزة الى مكة ، فندب النبي (صلى الله عليه وسلم المسلمين اليها ، وحدثهم بما في القافلة من الأموال ، وبقلة عدد مرافقيها وحراسها ، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله يُنفلُكُموها

غير أن بشرا كثيرا من أصحاب الرسول (عليه الصلاة والسلام) لم يستجيبوا لندائه ، وكرهوا الخروج ، وقالوا « نحن قليل وما الخروج برأي » ، حتى كان في ذلك كلام كثير واختلاف كبير ، فلم يخرج مع النبي (صلى الله عليه وسلم) الى بدر غير نحو ثلاثمائة من المسلمين ، تحدوهم الرغبة في الغنيمة ، ولا يحسبون أنه سيدور بينهم وبين مرافقي القافلة قتال ذو شأن

بيد أن الأمور تطورت بعد ذلك على نحو لم ... أحد ، فقد بلغ أبا سفيان أن المسلمين خرجوا ... المدينة لاعتراض قافلته ، فأرسل الى قريش يحثها ... الخروج بجيش لنجدته ، فاستجاب لندائه ... تسعمائة وخمسين شخصا ، توجهوا بعيرهم وخيلهم وسلاحهم الى بدر ، أما أبو سفيان فقد حول ... القافلة الى جهة الساحل ، تاركين بدْرا ... فتمكنوا بذلك من الافلات من الكمين الذي ... لهم المسلمون ، وقد أرسل أبو سفيان بعد أن ... الى نجاة القافلة من أبلغ قريشا « ان الله نجى ... ورحالكم وأموالكم فارجعوا » غير أنهم ... الرجوع ، اذ رأوها فرصة ، وقد خرجوا بالفعل ... الحشد الضخم ، أن يسيروا الى بدر فتراهم العرب ... تسمع بمسيرهم وجمعهم ، فلا يزالون يهابون مكة ... بعدها ، ويفتر حماس المسلمين للتعرض لمواقف ... متى علموا بما يمكن أن تحشده قريش ، وتفعله ... سبيل حماية تجارتها ومصالحها ، غير أنهم ... أيضا ، لم يتوقعوا قتالا ذا شأن

وأسفر التقاء الجمعين عن معركة بدر ، ... معركة كانت نتائجها أعظم شأنا بكثير من أي ...

ـدي كان سيعـود على المسلمـين من وراء الايقاع
ـلماوله

لم يكن الموقعة أكثر من مناوشة محدودة ليس لها ـ في
ـايها ـ أهمية كبيرة وهي معركة لم يكن ينتويها أي من
ـط في وقت حروجه من مدينه ، وربما لو كان قد
ـلم باحتمال وقوعها ما تابع سيره اليها ، معركة لا
ـ لد عـدد صحايـاها عن حـادث عـادي في وقت
ـسلم ، أو عن شجار في سوق ،ومع دلك فقد دعاها
ـ رحـون المسلمون بـأعـظم عـروات الاسـلام ،
ـلس في عروات النبي (عليه الصـلاة والسلام)
ـلها ما يعدل بها في الفصل » وقد كان لها بالفعل
ـ السائح بعيدة المدى ما يفوق نتائج أى حدث اخر
ـي تاريخ الاسلام

ـامد فاسى النبي (عليه الصلاة والسلام) وكذب
ـسوات طويله ، ولربما كان التشك قد بدا يتطرق الى
ـعوس بعض أصحابه ، اذ لا يرى للدعوة ـ بعد أربعة
ـسر عاما ـ ثمارا ذات بال وكان وضـع المسلمين
ـالمدينة قد راد حـرجا حـلال الأشهر السـابقه عـلى
ـوقعه ، حين بدا لأهلها أن الدين الجديد لن يحقق
ـسيا ـ ثم اذا بدر تأتي بأول نجاح حقيقي يحرزه هذا
ـدين ـ فقد الحقوا الهزيمه بمكة ، تلك المدينة المهمة
ـي التجار التي لم تهزم منذ أمد بعيـد ، واذا بصيت
ـسي (صـلى الله عليه وسلم) يـذيـع ، وسمعتـه
ـعر ، وبأصحابه وقد باتوا قوة في شبه الجزيرة يحسب
ـحسابها ـ فما عاد بامكان العـرب الان أن يتجاهلوا
ـسيهم

ـم ها هي قريش تدفع فدية للأسرى مبالغ طائلة
ـسب المهاجرين ، بعد أن كانوا عالة على الأنصار ،
ـعد كان الأنصار قد بدأوا يضيقون بهم ، كذلك
ـحار المترددون من أهل المدينة ـ كماهو مألـوف في
ـسل هـ الحـالات ـ الى جانب المنتصر ، وشرعت
ـائل بدو المجاورة تعد نفسها لعرض صداقتها على
ـحمد صلى الله عليه وسلم) متى دعّم انتصاره هذا
ـبعـ ت لاحقة ، وقد رأي النبى (عليه الصلاة
ـلسـ) في انتصاره آية من الله واضحة ، فان كان
ـلد ـ الهزيمة بجيش أكبر من جيشـه بكثير ، وان

كان بين قتلى العدو الكثيرون من ألد خصومه وأكبرهم
نفوذا ، فلا ريب أن يد الله كانت من وراء ذلك ، وأن
ربه قد أمده بجيش من الملائكة ، بل ولا ريب أن الله
هـوالذي قـدر وشاء وقـوع المعركـة ، رغم عزوف
الفريقين عن الدخول فيها لقد جاء هذا النصر
دليلا حاسما على صدق نبوته ، كذلك الدليل الذي
أعطى لموسى حين ابتلعت امواج اليم جند فرعون ،
كان ذلك هو الفرقان لموسى وهارون ، وكان هذا هو
الفرقان لمحمد (عليه الصلاة والسلام) فرق الله به
بين الخبيث والطيب ، وبين أهـل الشـرك وأهـل
الايمان

ثم أن هـذه الهزيمـة التي ألحقها الله بقـريش هي
العقاب الالهي الذي طال انتظار نزوله بأهل مكة ،
والذى كان أهل مكة يستعجلونـه ساخرين ، وهو
الدليل على فساد عقيدتهم ، ودليل كذلك على خطأ
أعداء محمد (صلى الله عليه وسلم) في المـدينة من
المشركين ومن اليهود والمتعاطفين معهم ، وعلى أن الله
على وشك أن يوقع بهم

قد عاد الرسول (عليه الصلاة والسلام) اذن الى
المدينة غنيا قويا كبير الثقة بنفسه ، اما عن أصحابه
فقد قوّى النصر من ايمانهم بنبوته ، فبعد ما عانوه من
اضطهاد بمكة ، وأشهر ثقيلة الوطأة بالمدينة ، جاءت
الوقعة مبررا ومصدقـا لايمانهم الـذى كان عـزاءهم
الوحيد خلال محنتهم ، فقد رأوا في نصرهم يد الله
ومعجزة من معجزاته ، واطمأنوا الى أن الله قد أسبغ
عليهم رحمتـه وحمايتـه ، ومن يومهـا بدأت جمـاعـة
المسلمين بالمدينة تأخذ طابع الدولة ، فقدمنح القرآن
النبي (عليـه الصــلاة والســلام) الحق في خمس
الغنيمة ، فارضاً عليه واجب رعاية اليتامى والمساكين
وأبناء السبيل ، داعيا المؤمنين الى التبرع والانفاق في
سبيل الله ، فارضا زكاة الأموال ، وهو ما شكل نواة
لبيت مال عام

قد خرج فريق من المسلمين اذن الى بدر لاعتراض
سبيل احدى القوافل والرجوع ببعض المال والسلع ،
غير أن الله شاء أن يجعل من هذا الخروج واحدا من
أهم أحداث التاريخ . □

اكتشف العقل الباطن؟

بقلم : الدكتور عبد الرؤوف ثابت

أجمع المشتغلون بالعلوم الانسانية - ومنهم الأطباء النفسيون - أن العقل يتكون من منطقتين ، يفصل بينهما حاجز غير محكم ، يدعى المقاومة أو الرقيب ، احداهما العقل الواعي أو الوعي أو الشعور ، والأخرى العقل الباطن أو اللاشعور ولا أوافق - مع الاجماع - على اصطلاح اللاشعور ، لأن العقل الباطن له كل وظائف العقل الواعي ، بل أكثر منها بكثير ، وإن كنا لا نفطن الى عمله تفطننا واضحا بسبب ضوضاء الواقع

وحجم العقل الباطن الى الواعي عظيم جدا ، حتى أننا الى الآن لايمكننا سبر غوره ، أو الالمام الماما تاما بكل قدراته يصور البعض العقل بجبل الثلج في المحيطات الشمالية الباردة ، فما ظهر منه فوق السطح هو(الوعي) وهو ضئيل جدا اذا قيس بما خفي تحت سطح الماء ، وهو العقل الباطن

والبعض يشبه العقل بمدينة كبيرة ، قد سلط عليها ضوء مصباح كاشف وهاج ، يدور فوقها في أثناء الليل ، فالجزء الشريطي الذي يظهره الضوء من المدينة هو الوعي ، أما بقية المدينة فلا ترى ، لوقوعها تحت جنح الظلام ، وهي العقل الباطن وما وصـ بالضوء من المدينة أو حتى في الظلام يزخر بالحيـ والحركة ، وإن لم يتسن لنا رؤية ما يحدث في الظلام

أولا : العقل الباطن في العصور القديمة

لم يكن الاهتداء الى العقل الباطن وليد صدفة ولا كان اكتشافه هدفا محدّدا سُعي اليه ، حدثـ التاريخ عن طريقين طويلين سلكهما الأقدمون مـ حتى أديا بهم الى ما نعرفه الآن عن العقل الباطـ

أولهما أن السحرة والعرافين وأطباء القبائل ـ الكهنة - فيما بعد - كانو يعالجون المرضى بالقرا والرقى والترغيب والترهيب ، لاستخراج القو الخفية التي تسبب المرض ، وكانوا يسمونها بأسـ مختلفة ، تبعا لمعتقداتهم ، كما برعوا في تحد الأرواح الطيبة والشريرة ، وهي أرواح ا ـ والأعداء ، وأرواح غير الانسان ، وكانت الأ تنبئهم بنوع الداء ، فيصفوا له الدواء أو العـ وتشبه عمليات تحضير الأرواح هذه التـ المغناطيسي الذي هو حقيقة علمية بمفهو -

الخاسر ، وما زالت هذه « العلاجات » تطبق حتى يومنا هذا في المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء ، ومنها (الزار) وهو ما يسمى باستخراج الشيطان في العرب

وقد قام الأقدمون بمحاولات فهم تلك القوى الخفية المسببة للأمراض ودراستها ، وكانوا لذلك يدخلون في غيبوبة ، يقابلون أثناءها الأرواح ليفاوضوها لصالح المرضى ، هكذا كانوا يسافرون - في أثناء غيبوباتهم - الى عالم الأرواح ومدن الموتى وعن طريق الدخول في غيبوبة توصلوا الى معرفة ظاهرة التنويم المغناطيسي،وليتقنوا صنعتهم قاموا بتدريب أنفسهم تدريبات شاقة طويلة على التفكير والاستقراء الداخلي والتأمل

وكانت تدريباتهم في الواقع عبارة عن رحلات داخلية في أنفسهم ، حيث التأمل والتخيل والابداع ، وهذه الرحلات الذاتية هي التي أوحت لشاعر ايطاليا الأشهر « دانتي » بملحمته « الكوميديا الالهية » كما أوحت قبل ذلك الى شاعرنا أبي العلاء برسالة الغفران ، والى البابليين بملحمة « جلجامش » ومن بعدهم - على طول الطريق الحضاري - احتجب كثير من المفكرين والأدباء عن الناس ، وانفردوا بأنفسهم قبل أن يخرجوا على العالم ويدهشوه بانتاجهم الفكري المبدع الخالد

ثانيا العقل الباطن في العصور الوسطى

التأمل معروف ، ويمارس منذ عهد البوديين القدامى الى عهد متصوفي العصور الوسطى وفي عهد النهضة العلمية الأوروبية في منتصف القرن الرابع عشر الى السابع عشر تأمل الفلاسفة - أصحاب الفكر المجرد - في الظواهر غير الملموسة ، كالمعرفة والنبوغ والالهام والارادة ، والأحلام والتنويم المغناطيسي ، الخ

اسـ ند الفيلسوف آرثر شوبنهاور عام ١٨٣٠ في كتابه العالم كإرادة وفكرة »على بحث تناول قوة خفية الانسان أسماها « الارادة » فقال ان الارادة تتحـ في سلوك المرء دون أن يشعر ، كأنها رجل أعمى قوي البنية ، يحمل على كتفيه رجلا ضعيفا مبصـ ومما قاله أيضا في كتابه هذا « إن الشاب الذي يقع في حب فتاة جميلة هو في الواقع - دون أن يشعر - يلبي غريزة المحافظة على النوع ودافعها الجنسي » ثم استبدل فون هارتمان عام ١٨٦٩م - بكلمة الارادة اصطلاح (العقل الباطن) ، ووصفه بأنه شيء عظيم الذكاء والمهارة والمقدرة ، وهو جوهر الانسان وحيثيته ، وأنه الأساس المكين لعالمنا الملموس ، الواعي

ودهب نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) بالتأمل شأوا بعيدا ، فبعد أن احتجب فترة من الوقت ، خرج على العالم بأنشودته العذبة ، المعروفة بين المثقفين ثقافة عالية « هذا ما قاله زرادشت » وما فعله نيتشه هو أنه تحول بفكره في عالم (اللاملموس) ، وهناك قابل من أسماه زرادشت ، وما قابل الا نفسه وأفكاره التي تتغلغل في عقله الباطن ، ثم أبدع ما أبدعه على لسان زرادشت ، وفي الواقع أن لسانه هو الذي عبر عن خبرات مخزونة في عقله الباطن وفي مجال آخر أكد نيتشه - بصفة خاصة - طبيعة الانسان واستعداده لخداع نفسه ، فقال في معرض الخداع « قد يعتقد المرء أنه منجذب الى الأمام وهو في الواقع مدفوع من الخلف ، وأن الانسان في مسايرته للتقليد والأعراف التي لاتتفق مع المنطق يخدع نفسه

وهناك كتاب للفيلسوف صمويل بتلر (عام ١٨٧٨) حذا فيه حذو نيتشه ، عنوانه « الانسان والعرف »

عني هولمهولتز عام (١٨٧٨) بظاهرة فحواها أننا أحيانا نتوقف عن التفكير في مشكلة ما عندما يصعب علينا حلها ، ثم يأتينا الحل - فيمابعد - فجأة دون أن نكون قد أعدنا التفكير فيها مرة أخرى ، واستدل من ذلك على وجود إدراكات وتفكير خفيين ، ومن ذلك عملية الاختيار ، فكثيرا ما يختار الناس بين أمرين ، غالبا ما يكونان متساويي النفع أو الرغبة ، يفعل الناس الاستخارة في المساء مع قراءات وطقوس ثم ينامون بعدها (في الواقع مجازا يناموا عليها) على اعتقاد أن الحل الأصلح سيأتيهم عند الصحو من النوم ، وغالبا ما يأتي الحل على هوى المستخير ، حكت لي سيدة أنها عملت استخارة تعينها على الاختيار بين خطيبين أيهما الأفضل لها فتختاره ؟ وكان أن تنبهت مع الفجر على صوت هاجس ، يهمس في وضوح ، ستتزوجين من فلان ، وكانت سعيدة

باستحارتها ، فتروحته ، وهكذا يفكر أو يخدع أو يرتشي العقل الباطن

ابتدع جالتون عام ١٨٩٠ احتباره المشهور والمعروف باسمه بين طلبة كليتي الآداب والتربية « اختبار تداعي المعاني » وهو عبارة عن كلمات تلقى على العميل من الفاحص ، وعلى العميل أن يجيب دون أن يتردد أو يفكر بأول كلمة تخطر على باله ، بمجرد سماعه للكلمة « المفتاح » ، ويستند الاحتبار على أن بعض الكلمات المجاب بها تأتي من العقل الباطن ، وقد يكون في الكلمة « المفتاح » عقدته وما يعتمل في عقله الباطن

أراد باحث ماجستير في احدى العيادات النفسية أن يحصر مدلول بعض الكلمات عند عينة من مرضى العيادة ، وكان بين كلمات « المفتاح » كلمة « وردة » ، ولما جمعت الكلمات المجاب بها على كلمة وردة كانت كالآتي « بيضاء ربيع عروس قبر حب فرح جدي مجهول الجزائرية

ثالثا العقل الباطن عند الأطباء النفسيين

اهتم الأطباء النفسيون في النصف الأخير من القرن الماضي بظاهرة قدرة العقل على التحيل ، وما سمي فيها بعد الايحاء ، وقسموا الايحاء الى ذاتي وموضوعي (أي الايحاء الى النفس أو الغير) ، واعتقدوا أن الايحاء يسبب الأمراض النفسية ، وقالوا ان السحر نوع من الايحاء ، وأنه يسبب السيطرة والخضوع والمعتقدات الخاطئة (الهذاءات) والأحلام الهادفة أو المؤثرة ، والخوف المرضي والتجوال الليلي (المشي في أثناء النوم)

فسر الأطباء الخوف المرضي تفسيرا منطقيا نوعا ما ، قالوا ان المريض يصاب به منذ طفولته المبكرة ، فمثلا اذا فزع طفل من قط ، فان خوفه من القطط قد يبقى منطبعاً في عقله الباطن طوال حياته ، مع أنه لايمكنه تذكر حادثة القط الذي أفزعه حينما كان صغيرا في مهده

وقال الاطباء ان ظاهرة التجوال الليلي هي نفسها ظاهرة التنويم المغناطيسي ، وأمكنهم احداث حالة المشي في أثناء النوم في وسيط نوم تنويما مغناطيسيا ، وكان الوسيط المتجول في أثناء نومه دائم الاتصال وتحت سيطرة المُنوِّم ، وأهمية هذا الاكتشاف - العظيم في وقته - أن الأطباء أمكنهم بواسطة التنويم المغناطيسي استرجاع الذكريات المنسية من المرضى المصابين بمرض الهستريا خاصة ، وكان مرضا مألوفا ، أكثر منه الآن ، في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن خاصة من السيدات

ونادى الأطباء باستعمال الايحاء الكلامي والعاطفي في علاج الأمراض النفسية ، وخاصة في أثناء خروج المريض من نومه المغناطيسي ، وكما أشرت قبلا ما زال التنويم المغناطيسي يطبق الآن من قبل بعض الأطباء النفسيين في بعض الأمراض والعادات الضارة ، كعادة التدخين ، بنجاح يشهد به المعالجون الذين يقومون بهذا النوع من العلاج

ويعود الى المسمريين نسبة الى الطبيب فرانك مسمر ١٧٣٤ - ١٨١٥) فضل تقسيم العقل الى منطقتين . الوعي والباطن ، وان كلتا المنطقتين تعملان معا جنبا الى جنب ، وان كنا لانسمع أو ندرك عمل العقل الباطن نظرا لضوضاء الحياة وانشغالنا بها ، وبدهي أن العقل ينام مع الانسان ، وتتوقف وظائفه ، بعكس العقل الباطن الذي لاينام أبدا ، حتى أصبح واضحا ما للعقل الباطن من تأثير على الميول والأفكار والآراء والمعتقدات والعواطف ، وكان الاعتقاد السائد أن التفكير عملية شعورية واعية مائة في المائة ، الى أن أثبت أحد الأطباء أن أي تفكير انما هو خلاصة أو محصلة ما يدور في العقلين الواعي والباطن

حوالي عام ١٨٥٠ ظهرت طريقة جديدة للاتصال مباشرة بالعقل الباطن ، وكان ظهورها أساسا بين الروحانيين ، ثم أخذها عنهم الأطباء النفسيون ، وأساسها أن ينوم المريض (عادة مريض الهستريا) مغناطيسيا ، ثم يعطى قلما وورقة ويطلب منه أن يكتب ما يعين له ، وكان المرضى يكتبون من ذكريات نسيت أو كُبِتَتْ ، وتشبه هذه الطريقة الى حد كبير طريقة استحضار الأرواح المعروفة باستعمال الورقة والقلم في أثناء جلسة روحية في ضوء خافت ، وعادة ما يقوم بالكتابة أكثر حاضري الجلسة تأثرا بالموقف،فاذا ترجمنا هذا الى كلام علمي قلنا أكثر حاضري الجلسة ايحاءً أو الوسيط

لعقل الباطن يدخل عصر التحليل النفسي

لكل زمان طابعه الحضاري الخاص ،كان طابع ؛احر القرن الماضي وأوائل هذا القرن هو التحرر ن القيود والعادات والوهم ، باستعمال الفكر لحرد والتأمل الحر ، وهو الرومانسية ، أما طابع لذا العصر الذي نعيش فيه فهو الواقعية التقنية . واستفاد الأطباء النفسيون ، ومازالوا ستفيدون من كلا الاتجاهين لصالح مهنتهم ، احتدم لجدل أثناء الاتجاه الأول بين المثقفين قال لفلاسفة ان البحث في العقل الباطن لا يدخل في طاق العلم تماما ، بل يتعداه الى ما وراء الطبيعة قال علماء النفس ان ظواهر العقل الباطن هي لتفكير الحمي والذاكرة المنسية ، هي العواطف لمكبوتة ، وهي ليست من اختصاص الاطباء ، وقالوا يضا إن الفصام (وهو مرض عقلي) ليس بالمعنى لمتعارف عليه في الطب ، ولكنه مفهوم من مفاهيم لعقل الباطن) وليس للاطباء صنعة فيه ، ونادى لبعض أن العقل شيء والمخ والأعصاب شيء آخر ، أن العقل غير الكمبيوتر ، أو حصيلة عمل خلايا لمخ

الى أن جاء فرويد ـ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٩ الطبيب النفسي الأشهر ، ودرس التراث الحضاري كله عن موضوع لعقل الباطن ، ثم خرج على العالم بنظريته « الكبت » وقال ان الكبت يولد الانفجار ، ومعنى ذلك أن كبت الرغبات والأفكار ـ وخاصة الحسية ـ سبب الاضطرابات النفسية ، كان الوقت غير هذا الوقت ، والجنس مكبوت حتى ان الكلام فيه كان محرما ، قال فرويد ان الأمراض النفسية هي نتيجة الصراع بين الرغبات المكبوتة في العقل الباطن القوى الكامنة ، ومكانها بين العقلين الواعي والباطن ، ومن هنا تجيء المقاومة التي يبديها المريض لطبيبه خصوصا في المراحل الأولى للعلاج النفسي ، ويعمل الطب أول ما يعمل على مساعدة المريض على التغلب على المقاومة ، حتى يسهل عليه احراج المحتويات المكبوتة وأطلق فرويد على طريقته في العلاج « التحليل النفسي » ولم تكن معروفة قبله

وبعد فرويد جاء كارل جوستاف يونج (١٩٧٥ ـ ١٩٦١) ، وأضاف جديدا الى ما عرف عن العقل الباطن ، كان يونج فيلسوفا أكثر منه طبيبا ، على عكس فرويد الذى كان طبيبا أكثر منه عالما نفسيا ، فعل يونج ما فعله فرويد، بأن درس التراث الحضاري في كل من الغرب والشرق ، وبخاصة في الهند ، ثم قال ان الدلائل تشير الى أنه يوجد عقل باطن عام الى جانب العقل الباطن الخاص بكل انسان ، وأسماه العقل الباطن الجماعي أو السلالي أو المشترك بين جميع الأجناس والسلالات على السواء ، وان محتويات العقل الباطن السلالي لم تكبت ولكنها موجودة (أي توارثت)وتعاقبت مع الانسان على طول نشأته وارتقائه ، قال يونج ان العقل السلالي يحتوي على رموز وقوى قديمة أسماها « الرمور الأولية ، وان هذه الرموز لها طاقة وفاعلية تؤثر دائما في سلوكنا وحياتنا « دون أن نشعر بتأثيرها اطلاقا ، هذه القوى الخفية الرمزية هي ، الصديق والحبيبة (أو الحبيب للمرأة) والأم والأب وقال يونج ان هذه الرموز أو القوى الفعالة قد يكون تأثيرها على المرء ضارا أو نافعا ، فهناك الشرير الضار والنافع الخير ، وكذلك الأب المشتت والمقوم الحكيم

كان والد يونج قسيسا فنشأ يونج نشأة مسيحية صالحة ، لذلك كان علاجه أقرب الى الروحانيات من الواقع الطبي ، وتعاليمه عامة غير مفهومة للغالبية من الاطباء ، وعلاجه يعود بالنفع أكثر على الشعوب الأكثر روحانية وأقل مادية ، ومع ذلك فأقواله عن العقل الباطن السلالي معترف بها ومقدرة من جميع الأوساط العلمية

وهكذا أجمع الأطباء النفسيون في الآونة الأخيرة على أنه يوجد أنواع عديدة للعقل الباطن ، فهناك العقل الباطن الخازن للذكريات والخبرات ، والعقل الباطن « المنشق » ويحتوي على سبيل المثال على الأفكار والحوادث المؤلمة وغير المرغوب فيها ، ثم العقل الباطن « الملهم » أو « الخلاق »وتأثيره واضح في أعمال الأدباء والفنانين ، والعقل الباطن « الموروث » أو السلالي أو الجماعي ، ولاشك انه توجد عقول باطنة أخرى لم تكتشف بعد ، وسيؤدي اكتشافها مستقبلا الى اثراء معلومات الأجيال المقبلة القادمة عن ذلك « الشيء » العظيم المهارة والمقدرة كما تحيله فون هارتمان □

مرثية المساء الأخير

شعر : محمود مفلح

نقطة من هنا ،
نقطة من هناك ،
لقطة من هنا ،
لقطة من هناك ،
عقربٌ أم ملاك ؟!
أنت من باعني ، أم سواك ؟
ونقرأ في صفحة الماء كل الوجوه ،
ونقرأ كل الفصول ،
ونخطو على شفرة الموت ،
كي نستحم بماء « البحيرة » ،
فلمن هذا العذابُ المرير ،
ويحرقنا الشوقُ
تبيعنا القبرات الحبيبة ،
وتحرقنا العواصفُ ،
وتبني العصافيرُ أعشاشها في البنادق ،
فهذا زمانُ الفيالق .
ونخطو ، ويتبعنا البرقُ ،
ونخطو ، ويصهرنا الشوقُ ،
وتسكننا الريحُ ، والزمهرير ،
ويزفرُ تحت الرمادِ السعير .

***

نقطة من هنا ،
نقطة من هناك ،
لقطة من هنا ،
لقطة من هناك ،
وينفسحُ الأفقُ ،

لتمعُ التين ، والتاب ،
تكتمل الصورةُ ،
بصر هذا وذاك ،
تضحك ملء القذائف ،
ل ء الحجارة فوق الرؤوس الصغيرة ،
ل ء السنابل والصخر ، ملء الهجير ،
تكتب أغنية للصباح الجديد ،
مرثية للمساء الأخير

***

ويمنحنا البحر عزفاً فريدا ،
ويمنحنا الجرحُ ورداً جديدا ،
ويمنحنا طلقةً للنفير ،
لنصنع من جرح أيامنا النازفات قناطر ،
ونزرع فيها الزنابق ،
ونصنع منها الدوارق ،
ونسقي الورودَ التي جففوها ،
ونؤوي الطيورَ التي نفّروها ،
نعيدِ صياغةَ كلِّ الفصولِ ،
وكلّ النصوصِ التي حرّفوها ،
ونعشق هذا الصباح المطير
ور ة للاخاء ،
ور ة للرصاص الذي يدمغُ الزيفَ ،
ح تلوب القصائد تبحث عن صيغةٍ للرثاء ،
ور للجذور التي رغم هذا الدجَى
لم تنجب الأوفياء .

منتدى العربي

معوقات وكوابح أمام فنون الإتصال العربي

بقلم : صلاح ده

يتساءل المثقفون العرب ما الذي اصاب الحركة الفنية في الاقطار العربية واحدا الآحر ؟ قبل عشرين سنة او نحوها بدا وكأن السينما والتلفزة وكذلك المسرح والموس ناهيك عن الادب ، مقبلة في الكثرة من الاقطار العربية ، في المشرق كما في المعرب ، تطور كبير ، فما الذي ألمّ بها فأعاق اندفاعتها المباركة الاولى وحَدَّ من انطلاقتها ؟

في كل مؤسسة وهيئة وفي كل دائرة كان ثمة مايشبه الفوران ، « كوادر » شابة محدودة العدد ولكن كبيرة المطامح ، كانت تعمل بحذ واحلاص عظيمين ، وكانت تنتج وتكافح وتحس انها تبني مستقبلا فنيا وضاء قائما على اسس متينة من الموهبة وحب العطاء

ما الذي حدث بعد انقضاء عشرين سنة ؟ تضاعفت الكوادر عدة مرات ، احيانا عشرة أو عشرين ضعفا عما كانت عليه في بداية النهضة الفنية ، غير أن نسبة الانتاج بقيت هي هي ، السينما لا تعطي أكثر مما كانت تعطي ، وانتاج المسرح لم وأعمال التلفزة لم تتقدم ، والموسيقا لم تتة يؤمل منها ، ونحن الآن بلا « اوكسترا صغيرة في معظم اقطارنا تفي ـ على الاقل وسائل الاتصال الاخرى

يقولون الحركة الفنية تعاني من الأدو منها المجتمعات العربية ، فمجتمعات استهلاكية مستسلمة لحضارة غيرنا وعار الكماليات والمتع الخفيفة ، وهذا سبب اسباب انحسار الفن الحق ولكن هل ـ

حو الاستهلاك حجة حقيقية قادرة على الوقوف على قدمين لدى استعراض اسباب تخلف الفن ؟ انها في كل حال تهمة موجهة الى الجمهور اكثر منها الى الفنانين فهل الجمهور حقا هو الذي تقع عليه الملامة الاصلية ؟

ان هنا على مثال لبنان ، كيما لا أذهب بعيدا ، لبنان بلد استهلاكي نموذجي في عالمنا العربي ، ومع ذلك فالفن فيه ـ نسبيا ـ متطور ، تجاربه متنوعة ، بشكل ما مزدهر وفي لبنان حركة ثقافية طباعة ونشر ، ونشر ، ومسرح ، وموسيقا كذلك هو شأن بلدان اوربا وامريكا ، وكندا ، كلها بلدان استهلاكية ، الا أن هذا لم يحل دون تطور الفنون فيها ، على العكس هي رائدة في مجالات الفن ، وعلى ذلك فالمشكلة لا تتلخص بكل سهولة في أن مجتمعاتنا العربية باتت استهلاكية ، وبالتالي سقط فيها الفن العربي مسالكه المشكلة في زعمنا أن المشاهد او المستمع العربي يبحث في الفن عن اغناء روحي ، عن متعة ، عن ارضاء حاجة جمالية ، عن تفسير للواقع ، فهل نجح الفنان العربي هذا كله ، او هل الأسباب متاحة امام الفنان العربي ليعبر عن نفسه وعن فنه خير تعبير بحيث يكون قادرا على منح المشاهد والمستمع ما ينتظر عبر ادائه الفني ووسيلته التعبيرية ؟ ان فنانا عربيا ـ بل الفن في كل مكان ـ لا يكون ناجحا الا اذا كان اصيلا ، نقديا ، معبرا عن لحظة تاريخية محددة ، ساعيا الى تطوير وسائله باستمرار ، لكي يخلق حاجات ومتطلبات جديدة لدى مشاهديه ومستمعيه مع السعي الدائم لاجتذاب رواده بما يمتعهم دون أن يسفف ، وبما يثري ويُعلِّم دون أن يعظ ، فلو كانت الانظمة العربية تريح الفنان وتتيح له حرية التعبير والانتقاد تلبية لحاجة الجماهير في الفن بكلمة الصفة الحرة ، لما كان هذا الانحسار الكيفي والكمي ، في الفن عندنا وفي معظم الاقطار العربية

متطلبات الرقابة

ـ القصيـ... سلطوي في معظم دول العالم العربي سوى جزء منه ، متوار عامة الناس يأخذون ويتقبلون ، وأسوأ ما لدى العرب على حد

سواء ، وهذا لا يعيب ثقافة بلد بعينه ، او أمة بذاتها فحسب دون غيرها من أمم عالمنا الثالث ، بل هو يعيبنا جميعا سواء بسواء ، فيتعطل دور الفن او تتأخر مسيرته ، او يُحرف عن سبيله السوي فالسينما تنتج التوافه او لا تنتج ، وبالتالي ـ حكما ـ ينفسح الطريق امام استيراد افلام غيرنا ، والمسرح يتعطل تعطلا شبه تام فلا يقوم بدوره ، ويعمل التلفزيون كما تعمل الاذاعة من حيث لا يدريان ، في الكثرة من برامجهما على تغليب أذهان الناس وتحويلهم الى قطيع ، وتعمل الدراما عموما على تخدير الجماهير وجعلها وحيدة البعد ، دون انطلاق ودون تفكر للجيد والمفيد والخير

ان وحدانية البعد لدى الجماهير المتقبلة للخطاب الذي تحمله وسائل الاتصال انما تنجم عن النظرة الضيقة والاحادية الجانب الى الوسائل من قبل جل حكومات العالم الثالث المسيطرة عليها ، فالوسائل كلها من وجهة نظر السلطة يجب أن تعبر عن رأيها هي وفكرها هي دون غيرها ، لأن الجماهير في نظرها قاصرة وتحتاج دوما الى توجيهاتها ، والى أن ترضع من لبنها ، لذا تعاني الوسائل من رعاية الدول ، وتئن تحت وطأة عمليات الاحتضان التي تؤدي لا محالة الى الاحتواء والتدجين

وإذا كانت الرقابات في اقطارنا العربية تداري احوالا معينة فلا تنشب مخالبها في كل ماسة ، بل تغطي تلك المخالب بقفازات من حرير ، فقد صار الفنان ذاته ، كاتبا كان او مخرجا ، يمارس رقابة ذاتية ، وفي سبيل تسويق المسلسل الاذاعي او التلفزيوني او الفيلم السينمائي في ٢٢ دولة عربية ، يغلب ان يقوم الكاتب والمخرج ومعهما المنتج ـ دافع المال ـ بتطبيق بنود انظمة الرقابة المعمول بها في ٢٢ دولة عربية تتراوح قناعاتها ما بين اليمين واليسار . مع التشدد في الانصياع لمتطلبات الرقابة في الدول الاكثر سخاء والأقدر على الدفع ، بذلك يرى الوليد الجديد النور مصاغا مسبقا ولحرمات الأقطار العربية كلها ، وبسبب هذا يغلب ان تبقى الموضوعات بلا طعم ولا رائحة ، وتدور حول قصص الحب والكراهية والزواج والطلاق والجريمة والتهريج الرخيص ، او انها تهرب بكل بساطة الى دار الامان : قصص وأساطير التاريخ

وضمن هذا السياق تأتي الانتقادات القاسية التي كان الكاتب الروسي الشهير « غوغول » يوجهها الى مسرحيي زمانه ، فقد كتب في حوالي عام ١٨٣٠ هذه الكلمات التي ما تنفك حية وحارة إلى ايامنا هذه « لقد أضحى الشاذ موضوع الدراما الحالية فيجب دوما أن تحاك فيها حادثة جديدة كل الجدة ، غريبة كل الغرابة ، لم تعرف حتى الآن ، ولم يسمع بها انسان قتل ، حريق ، عواطف وحشية لم تعرفها نفس بشرية في عصرنا ـ الحديث » « ان ما تقصده مقطوعات اليوم هو التأثير المباشر قبل اي شيء آخر ، أن تصفع النظارة على حين غرة ولولفترة وجيزة ، وأن تضع تحت انظارهم اكثر الامور تأثيرا في النفس السحر ، والاجرام ، وكل ما يمكن ان يرعب ويبهر ، وتستشف منه ظلال أعواد المشنقة الداميات »

واخذ غوغول على المسرح ـ في كتابات تقطر مرارة ـ ابتعاده عن واقع المجتمع وصحيح ما هيته ، فجعل يتساءل « اين هي حقيقتنا ؟ ونحن ، اين نحن في اهواء هذه الايام وغراتها ؟ ايمكننا رؤية أية من صور حياتنا في مسرحنا ؟ ان مسرحنا يكذب بفجة وبلا حياء »

ان هذه المآخذ التي جرى بها قلم كاتب منذ قبل أكثر من قرن ونصف القرن قد تنطبق على فنون زماننا ، فالخطاب الفني الشعبي الذي يعبر عن الواقع الحقيقي ويرسم له صورة صادقة نابضة بالحياة وتفوح منه نكهة الحدث المعاش غير مسموح به حتى في أكثر الدول العربية ادعاء بتمثيل الشعب ، واذا وجد حجب ولم يحظ بخدمات وسائل الاتصال والنشر والتوزيع ، لأنها كلها في الوطن العربي قنوات رسمية او شبه رسمية ، فلا يكفي ان المسرح والوسائل السمعية البصرية دخيلة على الوطن العربي عموما وليس لها تقاليد ، ولا يكفي ان الانسان العربي لا يعتبر المسرح مثلا حاجة بسبب تراكمات حضارية ، فإلى ذلك ـ وضغثا على ابالة ـ تمنع عند الانظمة أن يرى صورته في مسرح او فيلم شعبي اصيل قد يبث هنا وهناك

ثقافة النخبة

ان الاستثنائي من النتاج الثقافي له مكانته الخاصة وهو الاكثر اهمية ، ويشيع في الناس ، عامة الناس ، وتتقبله نفوسهم ، وبالطبع ثقافة النخبة لها ... ومكانتها لدى الامم جميعها ، وثقافة النخ... الاقطار العربية تلتقى تمثيلاتها في أرجاء العال... ماذا عن ثقافة الجماهير الشعبية الواسعة ... « الذين ستتحد بهم في حل تناقضاتنا ، ونهتم ... بقاطعهم او بروعهم حين يسألون عن مصيرهم ... بشرية هي مُرتكز كل وجود اجتماعي ، وهي ... المصلحة في كل تغيير » كما يقول الكاتب المغر... الكبير الخطيبي ؟ .

ان قراءة الاسم العربي تستند الى الفا... والفارق اقرار بالتعدد ، ويستحيل الوصول الى الكشف عن غور الاسم العربي الجريح دون اعت... الاعتبار لتعدد اللغات التي تم بها صوغ هذا الج... والفارق ـ كما يقول الخطيبي ـ دوما هو الفاعل المحا... هناك فارق طبقي ، فارق لغوي ، فارق تاريخي فارق جغرافي ، فوراق لانهائية عمدت وسائل الثق... العربية الحديثة ـ كانت سائدة ام في طريق... للسيادة ـ الى قمعها

وهذه الفوارق بالذات التي يعددها الخط... ويجعلها المصدر الاساسي للكشف عن غور الا... العربي الجريح ، وصولا ـ بالطبع ـ الى الهوية العر... الصحيحة ، هي التي تتنكر لها وسائل الاتص... العربية ولا تأخذها في الحسبان ، وبالتالي ، ت... اعمالها تعريبية تساعد على تغييب التعدد وبك... الفوارق ، وتؤدي آخر الامر الى التعليب و... القولبة

والجمهور العربي يتكون في أغلبه من شرائح متكافئة ثقافيا تسودها درجة عالية ومفرغة من الا... وتوزع عليها ثقافة هي أهل لها ـ في اعتبار بعض السلطات التي تحرص على الامساك بوسائل الـ... الجماهيرية وتوجيهها ، ثقافة تليق بالمهمشين و... نفسها مهمشة ومهشمة ، والى ذلك فالجمهور ... لاحول له ولا طول ولا يؤخذ له برأي ، يعيش ... تحت وطأة أرضية موروثة مقدسة ومهيبة لا ... فرص حقيقية لاعادة دراستها وتقويمها خار... سائد من احكام وقيم ومسلمات ومحرمات ... تؤدي هذه الحال وهذا التجاهل حاجة ... الطبيعية الى التواصل ؟ بعكس ذلك يعكس بالاساءة البالغة إلى الفنان الذي لا ...

ـن عمل كافية ، وهي حين تتاح فانها تحاصر ـدولـ ـ عمليا ـ رغم احتصاصها له في الكثرة من ـقطار العربية لا تمنحه مرتبا مريحا وتعتبره في حكم ـظف العادي ، وبالتالي فانه يسري الى وضعه ـجماعي والمادي وهو يسوء اكثر فأكثر ، الامر ـن يضطره في نهاية المطاف الى أن يسعى راكضا ـا الاعمال التجارية الهابطة التي تحظى بالتشجيع ـلاستثمار ، وفي مقدمة تلك الاعمال ما أطلق عليه ـ « التـرودراما » وهي المسلسلات التي تنتجها ـض الاستديوهات التجارية في مناطق خليجية ـنة ، وتكرر الافلام المصرية التقليدية والهابطة في ـعينيات والخمسينيات التي كان ينتجها بعض ـا الحرب وحلفاؤهم

تعميم التزوير

ـاحد وجوه الاشكال الخطيرة أن مشاهدة الافلام ـسمائية تلك كانت تقتضي التردد على دور السينما ـن تكون هذه الدور متوافرة) فيصل تأثيرها ـدودا ، في حين ان المشهد البيتي الذي تشكله

ـرة يساعد على تعميم التزوير او الخطأ على ملايين ـاس في ان واحد ، وبحـو ملحٍ ، واذا كانت ـئات المستنيرة التي تشكلت لديها ملكة انتقادية من ـوى ما ، او تلك التي الفت مشاهدة الافلام تكاد

ـد من امثال تلك العروض التلفريونية وتتحمل ـحها وتأثيراتها ، فيجب أن يذهب تفكيرنا ايضا الى ـ يكون لتلك العروض ذاتها من تأثير سلبي في ـات الملايين من ابناء الدول العربية الأقل حظا في ـقدم الذين انتقلوا نحو مفاجىء من عصر جاهلية ـصورة ـ حيث لاصور ولا مجلات مصورة ولا سيما ـفي الحالات النادرة المتباعدة جدا التي تمر فيها سيارة ـسينما متنقلة ـ الى عصر الصـورة الالكترونيـة

مباشرة ، بكل ما تتضمنه هذه الصـورة في جملة ما تتضمن ، من أورار ومثالب ، وما تنطوي عليه من وجوه التضليل والاستلاب

ثمة وجه آخر يرتبط بالسابق هـو أن الحبكة القصصية التي كان يسردها الفيلم القديم في مدة ٩٠ دقيقة عرض ، باتت تمط في مسلسلات التلفريون ـ نحو يضرب عرض الحائط بكل القوانين الدرامية ـ على ١٣ حلقة تتكون كل واحدة منها من ٦٠ دقيقة واحيانا من ٩٠ دقيقة عرض

جاءت التلفزة اذن تتابع في جانب من جوانبها الدور التخريبي الذي كانت السينما التجارية الرديئة تقوم به ، فتعمم على نطاق واسع القيم نفسها التي كانت السينما تنشرها على نطاق ضيق الخمول الذهني ، التفاهة ، اللامبالاة الفردية جرى ذلك على ايدي الكتاب أنفسهم الذين صنعتهم السينما التجارية وصنعوها ، وصنعهم المسرح التجاري وصنعوه،وتلامذة الأولين والآخرين ، وهؤلاء جميعا سرعان ما تحولوا الى الأداة الجديدة الاكثر ربحا والاقل تطلبا فكريا وفنيا ، والتي تطالب دوما بالمزيد من الانتاج لملء الـ ٦ الى ١٢ ساعة بث التي تقدمها التلفزيونات العربية في مختلف اقطارها كل يوم وفي الاغلب ، حمل هؤلاء بضاعتهم القديمة المكرورة وأعادوا كتابتها مجددا للتلفرة على ١٣ حلقة هذه المرة ، بكل ما تنطوي عليه من قيم متخلفة وعلاقات سطحية مصطنعة وخواء فكري

ان النقاد والكتاب ـ ونحن منهم ونسير على طريقهم ـ إذ يسهمون في الكشف عن المعوقات والكوابح التي تحول دون قيام أدوات الاتصال الواسع بدورها الايجابي كاملا غير منتقص ، فانما ينهضون بجانب من واجبهم تجاه شعوبهم العربية والاسلامية ، يحدوهم الامل بالتحسين ورفع درجة الاداء ، ودفع المسيرة على طريق الرشاد □

● العقول الكبيرة تبحث الأفكار ، والعقول المتفتحة تناقش الأحداث ، والعقول صغيرة تتطفل على شئون الناس .

(د محمد حسين هيكل)

منتدى العربي

تعقيبات

هموم تربوية

في ثلاث مقالات

في المقالات التي نشرتها مجلة العربي في عددها ٣٣٤ ، الصادر في سبتمبر ١٩٨٦م ، لكل من الدكتور محمد الرميحي ، والدكتور عادل عبدالكريم ياسين ، ويوسف ميخائيل أسعد ، نجد أهم الأضواء على نواح ، وجوانب تربوية ، تفتقدها وتفتقر إليها مؤسساتنا ، و « كوادرنا » العربية التربوية ، سواء على المستوى المحلي أو القومي ، فقد أجمعوا ـ بصورة أو بأخرى ـ على أن الثروة الحقيقية للأمة هي استثمار الموارد البشرية على أكمل وجه وحتى يتسنى ذلك لابد لهذه الأمة من التقدم والرقي

واعتمدوا ذلك لقناعتهم أن التربية هي طريق التفاهم المشترك حول عدد من القضايا المتداخلة ، وهي أيضا وراء كل عملية تنموية ، خاصة إذا ما تيسر لها هيئات قادرة على التخلص مما درجت عليه النظم التعليمية الموروثة في بعض بلادنا العربية ، وإذا كانت تتجه للتنمية حقا ، بهدف اللحاق بركاب الأمم المتقدمة ، الأمر الذي يحتاج ـ بالتأكيد ـ إلى تكثيف الجهود على مختلف المستويات ، لتوضع العملية التربوية والتعليمية وجها لوجه أمام التجديد ، والتحديث ، والتطوير ، من منظور الذات العربية الثقافية ، وضمن إطارها القومي في الافادة من تجارب الآخرين

وقد أشار لهذا أيضا المؤتمر الرابع لوزراء التربية العرب ، المعروف بمؤتمر صنعاء ، في ديسمبر سنـ ١٩٧٢ ، والمؤتمر الاقليمي الرابع لوزراء التر ، والوزراء والمسئولون عن التخطيط الاقتصادي في البلاد العربية ، في (ابو ظبي) سنة ١٩٧٧م ، وقد قرر « انه لابد للدول العربية من مضاعفة الجهو الرامية إلى تجديد التربية ، بهدف الاسهام في تعـ الذات الثقافية ، وفي عمليتي التحديث والتنمـ والعمل على إجراء تجديد حقيقي للنظام التعليمي برمته في الوطن العربي ، يتماشى مع روح العصر »

ونحن في الواقع لسنا في مجاله بصدد مناقشة ما ذهب إليه كاتبو تلك المقالات ، وإنما نود الاشارة إلى أن مثل هذه الموضوعات قد أوضحت ان المشكلة ليست مجرد قضية تهم المدارس ، بل هي قضية أمة تود مواكبة متطلبات العصر حضاريا ، لتأخذ مكانها في عالم شديد التنافس ، يتميز بسرعة التغير ، وغز الانتاج ، في شتى مجالات الفكر والحياة ، خاصة بعد أن أصبح للتربية دور واضح في إعداد الا للاسهام حضاريا في مجتمعه المحلي والعالمي يكون مؤثراً في تطور موكب الابداع ، ومستـ محصلات الابتكار ، ومن جهة أخرى تؤكـ الموضوعات على مقولة « المهاتما غاندي » التي « يجب أن أفتح نوافذ بيتي لكي تهب عليه ر التقافات ، بشرط ألا تقتلعني من جذوري »

د ن أحل عد أفصل يركر الدكتور محمد الرميحي
س حلق مجتمع دائم التعليم ، يستمر أبناؤه في
الابحار في رحلة حياتهم ، مرودين بما تعلموا في
ـاسها من أساسيات ، مع عدم الاكتفاء سيل
ـسده ، لأنها لا تعني الاكتفاء من التعليم وتطرق
ـدر عادل عبدالكريم ياسين في مقاله للفكره
ـها ، لكنها جاءت بأسلوب معاير ، فقد طرح تجربه
ماتشادو » ، أول وزير للدكاء في العالم ، تلك
تجربه التي تدعو إلى تعليم الذكاء لأمة نامية كالامة
ـ ويلية ، وذلك عن طريق إنماء الذكاء الانساني ،
ـدده النظر بشكل جذري في المناهج القائمة في
ـ سساب التعلمية ، بدءا من مرحلة الرياض ،
ـهاء بالدراسات الجامعية العليا في تلك البلاد ،
ـصبح تلك المناهج قائمة على تعليم التفكير ، إذ أن
ـده خير وسيلة لانماء الذكاء ، فتعليم التفكير هو
عيم الذكاء

وهذا يعني ان ما تشادو أعطى دوراً واضحا
ـا للذكاء المكتسب في تجربته ، بدليل أنه يصر على
ـ حوض كل سكان بلاده تلك التجربة الرائده ،
ـربده في عصرنا الحاضر ، متوقعا ان تتصدر بلاده
ـ في العالم إذا نجح مشروعه
والجدير بالذكر أن العالم « البرت اينشتاين »
ـ سس النظرية النسبية التي طبقت شهرته الآفاق
ـ يرا بحاجه إلى ما اكتسبه من مهارات وخبرات
معرفيه خلال حياته العلمية ، ولم يؤثر عن
ـسس » انه اعتمد على ذكائه الموهوب في تجاربه
ـ له ، ويبدو أن لدى كاتب مقال (تجربه
ـساده » رؤية واضحه ومعلومات كافية عن تلك
ـربه ، ويتضح ذلك لمن يقرأ مقاله ، لذا كنا نتوقع
ـ يوضح ابعاد تلك التجربة ، مبينا سلبياتها ،
ـابياتها ، ومردود العوائد المتوقعة الفعلية على

مجتمع نام « كالمجتمع الفنزويلي » ، لأنها - في الواقع -
تجربة جديرة بالدراسة ، لكونها تتجه إلى تنمية
الانسان ، وتنمية قدراته ، وابتكاراته ، كي يستطيع
مواكبة نمو المعارف ، وتطورها ، فيصبح مواطنا
صالحا ، قادرا على تحمل المسئولية والتحدي ، في
عصر يشهد انفجار المعلومات ، وتعدد مصادر
المعرفة ، وفي زمن باتت فيه التنمية والتعليم من
الظواهر المعقدة ، والانشطة الموجهة ، فضلا عن
جعل الانسان أكثر نفعا وعطاء لمجتمعه ، وجعله
قادرا على تحقيق ذاته ، ومبدعا في ابتكاراته
والأستاذ يوسف ميخائيل يرى أيضا أن وجود أمة
متفوقه في مجالات الحياة المتباينة يتطلب الأخذ بالمبدأ
الذي ترتكز عليه الفلسفة التربوية الفارقية ، تلك
الفلسفة التي تقوم على تقييم أبناء الأمة وتدريسهم
حسب قدراتهم ، وعقلياتهم ، وميولهم
وإن كانت لنا كلمه في هذا المجال فإننا ندعو
المهتمين في الحقل التربوي إلى الوقوف على مثل هذه
الآراء ، والتجارب ، وإخضاعها للتمحيص ،
والتدقيق ، والدراسة ، للاستفادة من مردودها في
النهوض بأوضاعنا التربوية ، والتعليمية ،
والتنموية ، خاصة إذا عرفنا ان تجربة (ماتشادو)
يجري تطبيقها في بلد نام ، تتشابه ظروفه المعيشية مع
ظروفنا في أقطارنا العربية ، بل إننا لانجانب الصواب
إن قلنا أن هذه الظروف في بلادنا قد تكون أفضل من
ظروف المعيشة في بلاد (ماتشادو) نفسه وقد قيل
« بأن الجهود الفكرية ملك عام ، يمكن لمن يريد،أن
يعتمد عليها ، ويقتبس منها ، وأن يخرج بالعبر التي
تؤدي إلى الحركة والتقدم » فهل نحن فاعلون ؟ □

د زهدي عبدالمجيد سمّور
الكـــويت

---

* صدقني أن نفوس الناس معادن ، ومن المعادن ما تعلو على كل صدأ ، ومن المعادن ما يعلو عليها كل الصدأ

(د طه حسين)

* رجال القضاء . . لا يملكون لأنفسهم رد القضاء

(د عبدالرزاق السهوري)

كتاب العربي مرآة العقل العربي

تعددت الأسماء والمرض واحد

الأكزيما الاحتكاكية (التلامسية) ويظهر الالتهاب مكان حافة الصندل أو الحذاء
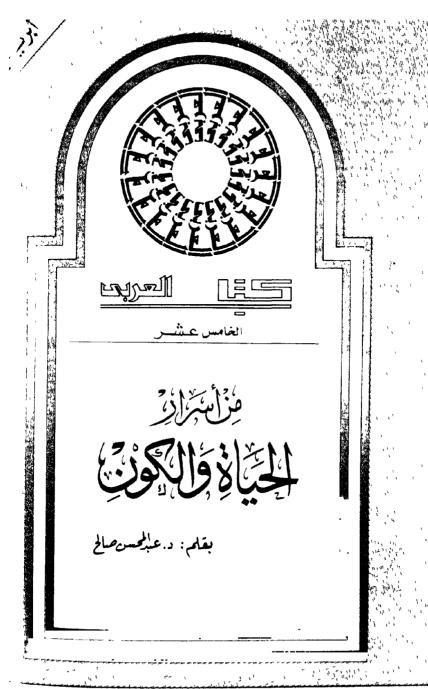
بقلم : الدكتور سامي محمود علي

الجلد ، ذلك الغشاء الرقيق الذي يغطي جسمنا كله ، هو بمثابة خط دفاع أول ضد كل الجراثيم والميكروبات وسواها من وسائل العدوى ، إنه - بحق - البوابة الحصينة التي تتكسر على أعتابها كل موجات الغزو التي تريد أن تفتك بالجسم وتهدم قواه ، ولعلنا - بداية - نتساءل عن هوية ذلك الستار الكثيف الذي يستر ما يدور في أعماقنا فيجعله أمراً شديد الخصوصية ، نتساءل عن هوية تركيبه فما هو الجلد ؟

إنه - كما قلنا - غشاء له خلايا مسطحة ، تداخل بعضها ببعض ، فتصبح كأنها صفائح داخلة ، ملتحمة كل واحدة في الأخرى ، والجلد كون من طبقات كثيرة ، طبقة فوق أخرى ، في لم عجيب مدهش ، حيث إن أي شيء لا يمكن بأي ال أن ينفذ من خلال الجلد دون أن يكون الجلد قد رف أو . بجرح ، والجلد غشاء مرن ، يتحمل ضغوط ومية ، ويعوض ما يستهلك أو يموت منه ستمرار فهو في حالة نمو وتجدد مستمرين إن ضعونية ياة والموت تتكرر كل ثانية في موت خلايا من الجلد وبناء أخرى مكانها

وبنظرة سريعة على قطعة من الجلد ، نجد أن الموت والحياة يقفان جنباً الى جنب ، فسطح الجلد خلايا ميتة أو شبه ميتة ، لا نكاد نلمح فيها شعيرات دموية أو أليافاً عصبية ، وتحت هذه الطبقة مباشرة توجد خلايا حية ، وكلما تعمقنا داخل الجلد نجد أن الخلايا تزداد نشاطاً باستمرار ، حتى نصادف طبقة تتكون من عدة صفوف من الخلايا ، وهي التي ينمو فيها الجلد ، ويندفع إلى أعلى بدلاً من تلك الخلايا التي فقدت بالاستهلاك أو بالاستعمال ، وفي أعماق

الجلد نجد قنوات،في كل واحدة منها شعرة تظهر على سطح الجلد ، ونلمح غدداً عرقية وغدداً دهنية ، ومستقبلات عصبية تتأثر بمختلف الأحاسيس مثل الألم والبرودة والحرارة والضغط هذا هو الجلد ، عالم يموج بالحياة والنشاط ، لكل شيء على سطحه معنى ، ومدلول ، فلون الجلد وملمسه ودرجة حرارته كلها مؤشرات تعكس ما يدور في طوايا الجسم من صحة ومرض والآن ماذا عن الأكزيما ، هل هي ـ حقاً ـ مرض كلنا عرضة له ؟

وهل الأكزيما مرض وراثي ؟

قد يبدو السؤال غريباً لأنه ليس شائعاً أن يقال إن الأكزيما وراثية ، لكننا نسأل ـ بداية ـ ما هي الأكزيما ؟

الأكزيما هي التهاب جلدي ، يصيب الطبقة الخارجية من الجلد ، ويكون هذا الالتهاب مصحوباً فإفراز مائي وقشور ، أو قد يكون الإفراز صديدياً في حالة العدوى بميكروب ، هذا إذا كان الالتهاب حاداً ، إلا أن خلايا المنطقة المصابة تتكاثر وتتقرن ، فتبدو كما لو كانت متورمة ، هذا في حالة الالتهاب المزمن ، والأكزيما في الحقيقة ترتبط بالأسباب المؤدية إلى الحساسية ، لذلك فإن الأعراض تتعدى ـ في أحوال كثيرة ـ التهاب الجلد إلى أعراض عامة ،
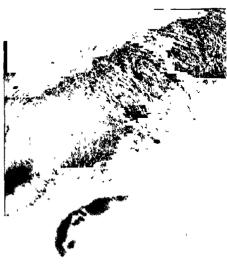
الأكزيما المزمنة ويلاحظ حدوث العدوى الميكروبية

كالحمى والأزمة الصدرية ، وغير ذلك من أعر... الحساسية العامة والآن نعود إلى السؤال ... الأكزيما مرض وراثي ؟

ولحسن الحظ أن كل أنواع الأكزيما ليست وراثية ، لكن ما يمكن أن نسميه بالأكزيما العائلية ، هي تلك الأكزيما التي تظهر في أفراد العائلة الواحدة ، وتظهر أعراض هذا الالتهاب في سن مبكرة من الحياة ، أي خلال الشهور الأولى من العمر ، لكنه لا يحدث عند الولادة ، وتبدأ إصابة الطفل به بظهور قشور وبثور في منطقة الخدين ، ثم ينتشر ليشمل انثناءات الجلد في الذراع والركبة ، ولعل السبب في ظهور العدوى في سن مبكرة ، هو انتقال الأجسام المسببة للحساسية من الأم إلى الجنين عبر المشيمة ، وفي العادة يكون أفراد هذه العائلات مصابين بأمراض حساسية كالربو الشعبي ، أو حساسية الغشاء المخاطي للأنف أو ملتحمة العين ، ويمر المرض ـ بعد إصابته للطفل في شهور عمره الأولى ـ بمراحل من الكمون والشفاء والظهور ، ثم يختفي في سن البلوغ ، ليظهر بعد وقت ليس طويلاً لكنه يكون التهاباً موضعياً على الجلد ، ويلاحظ ذلك ـ بكثرة ـ على النساء اللاتي يستخدمن منظفات المنزل الصناعية ، فتصاب أيديهن بالأكزيما

الأكزيما وحرارة الجو والجفاف

شدة الحرارة والجفاف يؤثران بشكل مباشر على جلد من لديهم قابلية الإصابة بالمرض ، فتؤدي الحرارة والجفاف إلى جفاف « كيراتين » الجلد وتشققه ، مما يدفع المريض إلى الحكة ويجعله عرضة لحدوث جروح تؤدي إلى الإصابة بالأكزيما . وفي الحقيقة أن العوامل النفسية قد تؤدي إلى ذلك أيضاً ، أي تدفع المريض إلى الحكة والهرش ، لأن الذي لديه القابلية للمرض يحاول أن يخفف من حدة توتره بحك جلده والآن نتساءل عن أعراض هذا المرض ومن خلال ما ذكرناه عن ظهور المرض وأسبابه ... أن نحدد الأعراض بتلخيص شديد ، هي ظهور ... تشبه ـ إلى حد كبير ـ جلد السمك ، ورغبة ... حك الجلد مستمرة مع شعور بالهرش ، ويبدو هذ... ش

ـكل بقع كبيرة ، ويؤدي الهرش إلى سهولة
ـابة بعدوى ميكروبية ، ثم يظهر الطفح الجلدي
ـحوباً بأعراض عامة كالحمى والأزمة الصدرية ،

ـحالات نادرة يصاب المريض بالمياه البيضاء في
ـه كما قد تحدث بعض اضطرابات النمو دون

ـر واضح معروف ، ولعلنا الآن نلاحظ أن هذا
ـع من الأكزيما مرض عام أكثر منه مرض جلدي ،
ـة أعراضه بإصابة الجلد

كزيما الاحتكاكية (التلامسية)

هذا نوع آخر من الأكزيما التي تصيب الجلد ،
ـو يصيب أي شخص ، حيث يحدث نتيجة
ـح الموضعي للجلد ، بفعل مادة تثير
ـاسية الجلد ، كجلدة الساعة ، أو الجواهر
ـلي ، أو الأحذية المطاطية ، أو الصنادل أو
ـها ، فعند تلامس الجلد مع احدى هذه المواد ،
ـرار الاحتكاك يحدث الالتهاب ، ويؤدي ـ أيضاً ـ

ـعمال بعض المواد الكيميائية إلى حدوث هذا
ـع من الأكزيما ، لذلك عند تشخيص المرض يلجأ
ـبيب إلى المواد المرجح أنها السبب في الإصابة ،
ـضع جزءاً منها على الجلد ، ويثبته بمادة لاصقة ،
ـركه لمدة تتراوح بين ٤٨ إلى ٧٢ ساعة ، ثم يرى
ـى التغير الذي يطرأ على الجلد في مكان الاختبار

ـن الجدير بالذكر أن أشعة الشمس أيضاً قد
ـب حدوث الأكزيما الاحتكاكية ، وذلك عند
ـرض لها لأوقات طويلة ، بصورة مستمرة

كزيمـا الدهنيـة

ـصيب هذا النوع من الأكزيما فروة الرأس ،
ماكن انثناءات الجسم ، ومنطقة الصدر والظهر
لد جاء اسم هذا المرض من ازدياد الإفراز الدهني في
كان ا صابة ، وتحدث الإصابة بهذا المرض في
رجال كثر من النساء ويظهر مكان الإصابة ـ
روة ال س ـ مليئاً بالقشور ، ثم يصيب المرض بعد
لك م قة الصدر ، فيظهر طفح أحمر دهني
لمس

الأكزيمـا الدائرية (القرصية)

تأخذ الإصابة هنا شكل طفح دائري ، يتراوح نصف قطره بين ١٠ ـ ٤٠ ميلليمترا ، وتكون الإصابة مسطحة ، ومغطاة بالقشور أيضاً لكنها قد ترتفع قليلاً فوق سطح الجلد ، وذلك إذا تلوث مكان الإصابة بعدوى ميكروبية وتكثر الإصابة بالأكزيما الدائرية في اليدين والقدمين ، وذلك نتيجة التلامس بمادة مهيجة ، مثل مادة أكسيد الحديد ، والكروم المعروفة بالكروميت

الأكزيما المزمنـة

تندرج الأنواع السابقة كلها تحت ما يمكن أن نسميه بالأكزيما الحادة ، بيد أن تكرار الإصابة واستمرارها يؤديان إلى إصابة المريض بالأكزيما المزمنة ، وهذه تتخذ صورتين الأولى يزداد فيها الجلد في مكان الاصابة سمكاً ، فيبدو كما لو كان متورماً ، وذلك بفعل الحكة المستمرة التي يقوم بها المريض ، وقد يتقرن الجلد ، فيتخذ ملمساً خشناً ،

أما الصورة الأخرى فتتميز بوجود حويصلات صغيرة منتشرة تثير المصاب فيحكها ، وتعتبر هذه الحكة مشكلة المصابين بالأكزيما المزمنة

ما يمكن أن يفعله المريض والطبيب

علاج هذا النوع من التهاب الجلد يعتمد بصورة كبيرة على المريض الذي يعرف أن هناك مواد معينة ، تسبب له تهيج الجلد ، فيتجنبها ويبتعد عنها وفي حالة الأكزيما العائلية التي يتعرض لها الأطفال حديثو الولادة ، يجب على الأبوين أن يستخدما حمامات الزيت ، ودهن جلد الطفل الصغير « باللوسيون » والدهون لمنع تشققه ويأتي دور العلاج في المرتبة الثانية من الأهمية لشفاء الأكزيما ، وتعتبر

مستحضرات الكورتيرون هي الدواء الأمث
العلاج . ويلاحظ استخدام الكورتيرون ...
مخففة في علاج الأطفال حتى لا يؤثر على نمو الطف

وفي بعض الأحيان يضاف السقط ...
الكورتيرون ، وفي أحيان أخرى يكون لـ ...
استخدام مراهم المضادات الحيوية لعلاج عدوى
الميكروبات ، وقد يصف الطبيب أقراص او حبو
المضادات الحيوية ، وذلك في الحالات الشديدة من
الالتهاب ، أما في حالة التهاب الأكزيما الدهنية فان
المريض يستعمل (شامبو)لغسيل فروة الراس يحتوي
على مادة القطران والكورتيرون إضافة إلى ... مادة
مطهرة من الجراثيم لغسيل فروة الرأس

وصفات شعبيـــة

هناك وصفات شعبية استخدمها الناس لمعالجة
الأكزيما ، وتناقلوها جيلا بعد جيل . ولأثرها الفعال
يحللوها ، وهي لا تزال حتى يومنا هذا علاج العامة
من الناس . وتتلخص تلك الوصفات الشعبية في
استعمال مسحوق بذور الفاصوليا الخضراء ، ونثرها
فوق المنطقة المصابة من الجلد ، ومن المعروف أن
بذور الفاصوليا تحتوي على عدة فيتامينات ، إضافة
إلى مادة (التريجونلين) ، كما يفيد ذر مسحوق زهور
شيح البابونج فوق المنطقة المصابة لعلاجها ، وتذكر
كتب الطب الشعبي أن لبخة الحلبة تشفي الأكزيما
وبخاصة المصابة بعدوى ميكروبية ، ومن الوصفات
المعروفة لبخة الحلبة وهي من أنفع الوصفات لعلاج
الدمامل والخراريج ، ولا يوجد ما هو أفضل منها في
هذا الباب ، ويتلخص عمل اللبخة بوضع كمية من
مسحوق بذور الحلبة في وعاء به كمية من الماء
ويقلب المزيج حتى يصبح كالعجين الرخو ، ثم يجعل
هذا الوعاء ويوضع في إناء آخر أوسع منه به كمية من
الماء في درجة الغليان تصل الى ثلثي ارتفاع الاناء ،
ويستمر في تحريك المزيج لمدة عشر دقائق وعندما
يصبح لونه غامقاً وقوامه كالعجين المرن تكون اللبخة
قد أصبحت جاهزة للاستعمال ، واستخدامها تون
بفردها ساخنة على المكان المصاب من الجلد ، وتغطيه
بقطعة قماش نظيفة ، ويكرر ذلك في ... اليوم
مراراً □

أكزيما عائلية أصيب بها بالغ ، ويلاحظ
الطفح الأزرق للالتهاب خلف الركبتين

الأكزيما الدائرية (القرصية)

الجديد في العلم والطب

حديدة ، فوائد عجيبة

● توصل علماء المحر الى اكتشاف حصائص فريدة ونافعة حدا في مادة (بيتاسكلو دكسترين beta cyclodextrin) ، واول شيء اكتشفوه فيها أنها ليست سامة . وقد ساد هذا الاعتقاد مند التحارب الأولى التي احراها عليها العالم النمساوي فرانز شاردنحر سنة ۱۹۰۳ ، وثاني شيء اكتشفوه هو أساليب تصمم إنتاج هده المادة بتكاليف قليلة نسبيا ، ثم أصبحت الأسواق في سوداست وعيرها ملأى بالأطعمة والأدوية والبهارات التي دخلت في صنعها مادة البتا سيكلودكسترين ، فمن حصائص هده المادة أنها تحد من تبخر الزيوت الطيارة ، مما يطيل في عمر كثير من المواد الغدائية والصيدلانية ، ويحافظ عليها ، ويقيها شر التقلبات الجوية

أما السر في هده المادة فيكمن في بنيتها ، لأن دراتها تبدو كسدادات المطاط المجوفة (انظر الرسم) ، وتتميز هده الدرات بأن سطحها من الخارج وبطانتها من الداخل على طرفي نقيض فيما يتصل بالماء والرطوبة ، فالسطح صديق الماء والبطانة عدوته ، ولو اضفنا المادة المطلوب تصنيعها إلى محلول البتاسيكلودكسترين لوجدنا ان درات هده المادة لا تلبث أن تطرد درات الماء لتحل محلها درات المادة المضافة ، وما أسرع ما تتبلور درات (البتاسيكلودكسترين) مرة ثانية ، آخذة معها درات المادة المضافة ، لتحافظ عليها من التبخر أو التلف

لعلك تتساءل عزيزي القارىء عن الفوائد العملية التي تتيحها مادة

ذرات المادة المراد حفظها

(١) تنفر من الماء وتطرد ذرّاته من حولها .
وصل مثل ذلك في باطن ذرّة البتاسيكلود كسترين .
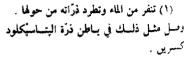
(٢) فهو يطرد الماء أيضاً خلافاً لغلاف الذرة الذي يجذبه .

(٣) وهكذا تختبيء ذرات المادة المراد حفظها في حل ذرات البتاسيكلود كسترين .
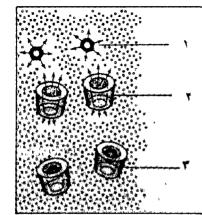
الثوم، والبصل، وماإليها من التوابل ذات الزيوت الطيارة وذات النكهة القيمة يمكن حفظ هذه الأعشاب وأمثالها بواسطة المادة الجديدة التاسيكلود كستريز

التاسيكلودكسترين، فالحديث عن المنافع التي يجنيها الانسان فعليا أقرب إلى الأذهان من الحديث النظري عن السر الكامن وراء تلك المنافع، وتتجلى أكثر تلك المنافع في المواد الغذائية وصناعتها، فالألوان الطبيعية والنكهات التي نحرص عليها في الأطعمة، والتي كثيرا ما تفقدها هذه الأطعمة عند التسخين أصبح في الامكان تثبيتها في المواد الغذائية، والحيلولة دون فقدانها. وقل مثل ذلك في الفيتامينات التي تحتوي عليها المواد الغذائية، والتي سرعان ما تفقد فاعليتها لدى تعرضها للضوء والهواء.

أما البصل والثوم المثقلان بالفوائد الصحية فقد أصبح في الامكان الحصول على فوائدهما، دون التعرض لرائحتيهما اللتين طالما نفرتا كثيرا من الناس منهما، وذلك بإدخال مادة التاسيكلودكسترين في تصنيعهما، وتصنيع الأطعمة التي تحتوي عليهما، ويصدق هذا أيضا على الكراوية وعلى توابل أخرى ذات نكهة طيبة مثل الشبت والسُّمْسق.

ولو تطرقنا إلى صناعات أخرى لوجدنا لهذه المادة منافع كثيرة مفيدة، ففي صناعة الأدوية أصبح في الامكان دمج أدوية كانت متنافرة حتى الأمد، وجعل أدوية أخرى أكثر قابلية للذوبان في الماء ثم جعلها أكثر سرعة في الوصول إلى مجرى الدم، والقضاء على الطعوم الكريهة في بعض الأدوية.

وفي صناعة العطور أصبح في الامكان التحكم بمدى تصاعد رائحتها، وضمان بقاء رائحتها كامنة حين تتعرض لمؤثرات مثل الدفء والرطوبة.

أما في صناعة معالجة الفضلات والقاذورات وتحويلها إلى ماء وأسمدة فإن مادة التاسيكلودكسترين تقي الميكروبات وتحميها من السموم التي طالما فتكت بها. واستوجبت إضافة كميات من الماء العذب، لتسهيل قيامها بدورها في معالجة الفضلات والقاذورات.

وتجدر الاشارة إلى أن الترخيص الرسمي باستعمال مادة التاسيكلودكسترين في مختلف الصناعات قد صدر عن الجهات المختصة في المجر واليابان وهولندة، وهو قيد النظر حاليا في بريطانيا والولايات المتحدة.

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

رائحة العرق الكريهة ضرورية ومفيدة

● لم يغفل العلماء عن وجود «الفرمونات» وأثرها في حياة الحيوان والنبات، وقد عرفوا أن هذه الفرمونات مواد كيماوية، يفرزها كائن حي، فيؤدي افرازها الى التأثير على سلوك كائن آخر، من نفس الجنس والفصيلة، وبخاصة في العلاقات الجنسية، ولم يخطر ببال أي منهم أن هذه «الفرمونات» موجودة أيضا في الانسان، وأنها ذات أثر بالغ في حياته الجنسية، لاسيما في تنظيم حياة المرأة الجنسية، وما أكثر النساء اللواتي يعانين من عدم انتظام العادة الشهرية، ومن مضايقات سن اليأس المزعجة، حين يبلغن ذلك السن.

لاحظ العلماء أن تلك المشاكل وهذه المضايقات أكثر انتشارا بين النساء غير المتزوجات، وبين اللواتي لاينعمن بحياة جنسية سوية من المتزوجات، وانطلقوا من هذه الملاحظة لاجراء الأبحاث والتجارب الخاصة بأثر الفرمونات التي ينفرد بافرازها الرجل، سيما افرازات إبطه، وافرازات عرقه الكريهة الرائحة التي غالبا ما يهـ[...] في

ئحة عرق
ولكنهما
للنساء

ذلك الموضع ، وشملت تجاربهم سبعة رجال وسبع نساء

وقد وضعوا تحت ابط كل رجل مخدة خاصة لمدة (١٨ ـ ٢٧) ساعة اسبوعيا ، واستمروا على ذلك مدة ٣ شهور ، ثم اعتصروا افرازات الرحل (العطرية) ، ومزجوها بالكحول ، ومسحوا بمحلولها شفاه تلك النساء فانتظمت العادة الشهرية لديهن بسرعة ، وكن قد دقن الأمرّين من عدم انتظامها ، فبعد أن كانت العادة لاتعود الى بعضهن الا بعد حوالي (٤٠) يوما ، أو بعد ١٥ يوما ، أصبحت تعود اليهن حيما بعد مضي ٢٩,٥ ، وقد كان دلك ـ بلا ريب ـ نتيجة مسح شفاههن بالافرازات الكريهة الرائحة التي يفرزها ابط الرجل ، تقول « بلا ريب » لأن العلماء حالوا بين النساء السبع اللواتي كن موضع التجارب ، وبين الاتصال الجنسي من أي نوع كان ، ولم يطرأ عليهن تغير الا بعد أن مسحوا بالفرمونات شفاههن ويختلف العلماء حول ما اذا كانت الفرمونات قد تسربت الى أجسام النساء امتصاصا عن طريق الجلد أو استنشاقا عن طريق الأنف ومهما يكن فهم متفقون بأن تناول الفرمونات كسائل يشرب أو حبوب تبلع ، سيكون أكثر فاعلية من مسحها على الشفاه
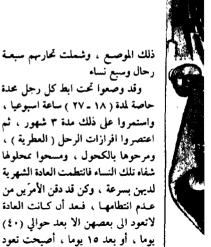
لاعجب اذن أن تنطلق المصانع المختلفة تتنافس في صنع المراهم والعطور على أساس فرمونات الذكور ، وقد تقدم بعضها بطلب الترخيص لمثل تلك المنتجات التي لاأمل في ظهورها في الأسواق قبل مضي (٣-٥) سنوات

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

ح جديد
ـــذام

● تقول منظمة الصحة العالمية ان لقاحا جديدا ضد الجذام سيظهر في الأسواق في مستقبل غير بعيد ، فهو الآن قيد التجارب الميدانية الواسعة النطاق ، في ملاوي وفنزويلا ، والأمل معقود على أن يثبت اللقاح المذكور من الفاعلية ما يمكن الناس من الحد من الوباء الخطير ، بل ربما من القضاء عليه أيضا في وقت لاحق وتفيد الاحصاءات أن مجموع الذين يعانون من الجذام في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يزيد على (١٠) ملايين

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

المطاط
ـــعي

● نجح العلماء في بريطانيا وماليزيا في تطوير المطاط الطبيعي ، وتصنيعه بما يكفل له التغلب على المطاط الصناعي ، في صنع اطارات السيارات الخاصة ، فمع أن اطارات سيارات الشحن الكبيرة واطارات الطائرات والتراكتورات كانت وما زالت تصنع من المطاط الطبيعي ، الا أن اطارات سيارات الركاب الصغيرة تحولت منذ زمن عن المطاط الطبيعي الى المطاط الصناعي الخالص ، أو الممزوج بالطبيعي ، ويعرف المطاط الطبيعي الجديد باسم E. N.R ، وسينزل الأسواق في منتصف هذا العام (١٩٨٧)

سلامة البشرية في سلامة البيئة

إحصائية ذات دلالة

● نشرت مجلة نيوزويك هذه الاحصائية ، للموازنة بين عدد قتلى الارهاب في العالم وعدد قتلى العنف في نيويورك ، فهذا العنف هو إرهاب لاريب ، وإن كان رئيس الولايات المتحدة لايقر بذلك ، وتشمل الاحصائية عدد ضحايا حوادث الطرق وسواهم

٤٣,٥٠٠ ضحايا السيارات وحوادث الطرق في الولايات المتحدة سنة ١٩٨٥م

١,٣٨٤ ضحايا العنف في نيويورك سنة ١٩٨٥م

١٥٠ عدد الذين ماتوا في أثناء الاستحمام في حمامات بيوتهم سنة ١٩٨٤م

١,٠٦٣ ضحايا حوادث القوارب في البحار سنة ١٩٨٤م

٣,١٠٠ عدد الذين ماتوا اختناقا بالطعام سنة ١٩٨٤م

٢٥ عدد ضحايا الارهاب العالمي سنة ١٩٨٥م

من ضحايا حوادث السيارات في الولايات المتحدة .

العالم مجنون مجنون

● تأمل الرسم الايضاحي المعبر الذي نشرته مجلة نيوزويك في عددها الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٨٦م ، إنه يمثل فائض الأطعمة المتراكم لدى السوق الأوروبية المشتركة ، فائض القمح فقط يكفي لبناء عدة أهرامات ، وبالتحديد يكفي لبناء ٧,٥ من الأهرامات الكبرى (بحجم هرم خوفو في الجيزة) ، وفائض الزبدة بكميات يمكن أن [illegible] ناطحة سحاب كبناية (الامبيرستيت) المع[illegible] وفائض الحليب المجفف المسحوق لو استعمل صرح شاهق لبلغ ارتفاع ذلك الصرح [illegible] أميال ، ولتضاءل دونه مبنى (الكلوزيوم) في روما ، ناهيك عن فائض النبيذ ، فهو [illegible]
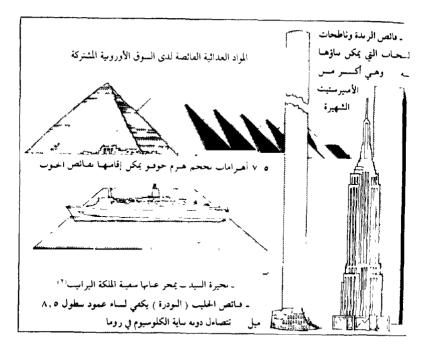
ـهل على السفينة المعروفة باسم ـ الملكة اليزابث ـثانية ـ أن تعوم على سطحه وتمخر عبابه

ولو ذكرنا بعض التفاصيل لما عجبنا لهذه الصروح ـضخمة من مخزون الأطعمة الأوروبية ، فقد بلغ ـدياد فائض حليب البودرة ٥٠٪ سنويا ، وأصبح ـزون الزبدة ضعفي حجمه السابق ، وتراكمت ـلحبوب الفائضة حتى بلغت ١٦ مليون طن ، وحدث ـل ذلك في لحم البقر الذي بلغ فائضه ٦٤٥٠٠٠ ـن ، وفي النبيذ أيضا الذي بلغ مخزونه (٣٧٥) ـيون جالون

على أن هذا الفائض إن كان ثمرة طيبة للنجاح ـقطع النظير الذي أحرزته السياسة الزراعية ـسوق الأوروبية المشتركة فانه كان ـ أيضا ـ باعثا ـل استياء الأوروبيين لا على سرورهم ، وذلك لأنه ـبح عبئا يثقل كاهل الأوروبيين ، ويهدد السوق ـشتركة بالافلاس ، فقد تحولت النعمة إلى نقمة ، ـالسـ ـ هو أن دول أوروبا الغربية لم تفشل بل ـحقـ نجاحا باهرا في تطبيق سياستها الزراعية ـشتركة ، المعروفة بسياسة الحصص لكن أي عبء هذا ؟ ؟ إنه عبء التخزين ، فقد بلغت رسوم التخزين تحملها ٢,٥ ملايين دولار في اليوم الواحد ، وستبلغ بعد خمس سنوات (٣٠٠٠) مليون دولار سنويا ، حينما يصبح مجموع الفائض (٨٠) مليون طن

ويتساءل المرء لم لا يصدرونه ، ويبيعونه بأسعر مخفضة ؟ والجواب إنهم لا يريدون مزاحمة الولايات المتحدة ، ولأن كثيراً من الدول المستوردة للحبوب حققت في المدة الأخيرة اكتفاء ذاتيا إن لم تصبح في عداد الدول المصدرة للقمح . ويتساءل المرء ثانية لم لاتتخلص أوروبا من عبئها أو فائضها بشحنه إلى أفريقيا ، وغيرها من المناطق التي ضربها القحط والجفاف ، علما بأن تلك المناطق المحتاجة ـ على اتساعها ـ ستعجز عن استنفاد الفائض الأوروبي بكامله ؟ !

ولعل الجواب على هذا التساؤل ـ إن كان ثمة جواب ـ ينبغي أن يأتي من دول السوق الأوروبية المشتركة

فن الهند
أسرار وأساطير

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

الرقص في الهند عبادة .. والموسيقا
قيثارة السماء ..
والغناء ترانيم الأرواح .
والملاحم أساطير الآلهة ..
والتمثيل حب ورمز وحياة ..
ولكل لون من الفنون حكاية .
ومسيرة .. وأسرار ..
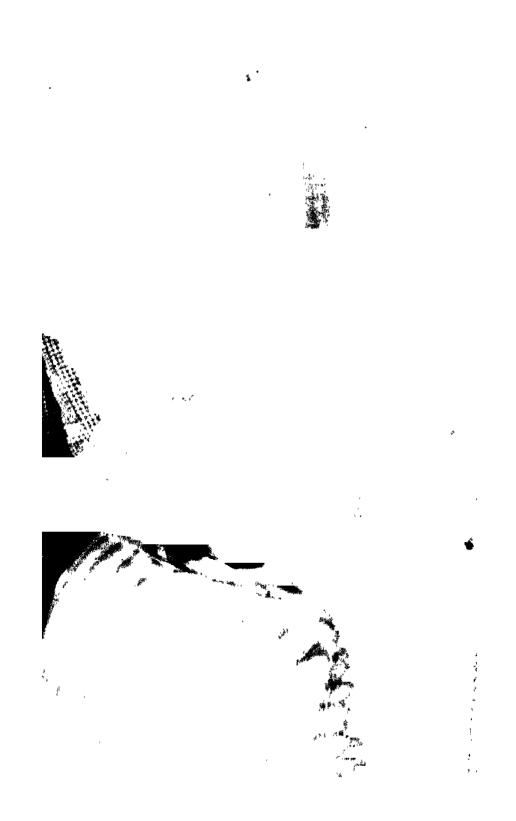
كان « أميتاب باشان » أحد ألمع نجوم السينما في الهند ، يرقد في حالة خطيرة بمستشفى العظام في بومباي ، وكانت الكسور التي حطمت عظامه ناتجة عن مشهد سينمائي لمعركة عنيفة في فيلم كولي (العامل) ، صمم أن يؤديه بواقعية كاملة . والتف حوله أطباء العظام يبذلون جهودا جبارة لانقاذ حياة النجم السينمائي الشهير .. معبود الجماهير ..

كان المشهد المحيط بالمستشفى وردهاته أعظم من أي مشهد آخر قام باشان بالاشتراك فيه طوال حياته .

ولم يكن أحد من كتاب السينما ليستطيع أن يصور حقيقة هذا الذي كان يجري حول المستشفى ، زحام لا يتصوره عقل ، ولا مجال لقدم بين آلاف المعجبين الذين يتزاحمون ليل نهار للاطمئنان على نجمهم الكبير .. بينما العناوين الرئيسية للصحف الصباحية والمسائية تحمل آخر تقارير الحالة الصحية لباشان .. والمعابد تستقبل طوابير المصلين المبتهلين إلى إله السماء لانقاذ معبودهم على الأرض .. وفي نفس الوقت كان أحد الشبان يواصل قطع ثلاثمائة ميل سيرا إلى الخلف تمهيدا لنذر قطعه ، من أجل أن يُشفى الاله نجمه المفضل .. !

ولعله من خلال روعة هذا الحب الجماهيري ، واصل النجم نضالا رهيبا كأحد أبطال الأساطير لينتصر على الموت .. وربما كانت السماء قد استجابت لدعوات الملايين .. !

وعاش أميتاب باشان . .

ولكن الأطباء كانوا قد قرروا ألا يسمح للممثل الكبير بأداء أي دور يميل الى العنف .

وكان ذلك أقسى قرار يتلقاه النجم البطل ، واعتبره أسوأ أيام حياته .

ولم يكن باشان يدري أن القدر قد كتب له شيئا آخر ، فقد استطاع راجيف غاندي رئيس الوزراء أن يقنعه بالتحول من السينما الى السياسة ، فأضواء (البلاتوه) واحدة .. والممثل السينمائي القدير يستطيع أيضا أن يكون قديرا في ساحة التمثيل السياسي .. كل ما يتغير هو فقط كاميرات التصوير .. !

ولم يكن غريبا أن تحقق جماهيرية باشان النصر على منافسه السياسي الحربي المخضرم ، « باهوجانا » الذي احتجب عن الميدان .

والطريق الى السياسة عبر السينما ليس جديدا ، فقد عبره أيضا الرئيس الامريكي ريجان .. ولكن ريجان عندما ترك التمثيل ، خاض تجارب عديدة في الساحة السياسية الحزبية ، قبل أن يصبح حاكما لولاية كاليفورنيا ثم رئيسا للجمهورية .. ولكن الممثل باشان أصبح رئيسا لوزراء مقاطعة « تاميل نادو » - كما حدث مع زميله الممثل راما راو الذي أصبح رئيسا لوزراء « اندرا براديش » - حين تحول النجمان الى السياسة من خلال جماهيريتهما كنجمين سينمائيين ، كان هذا التحول دون أية تجارب سابقة ، وقد فازا بأغلبية أصوات الناخبين لأن تعلق الجماهير بهما أزال الفارق بين الخيال والحقيقة .. فقد امتلأت عيون الجماهير بصورتيهما اللتين طالما شاهدوهما على شاشات التمثيل الخيالي ، كبطلين يقودان العربة السماوية المقدسة .. ! فتصورتهما قادرين أيضا على أداء نفس الدور على مسرح التمثيل الواقعي .

بين الواقع والخيال

خلال زيارتنا لبومباي التقينا بالمنتج والمدير المعروف باسم دابو ، الذي يدير استوديوهات أبيه راج كابور ، أحد قدامى النجوم الكبار .. قلنا له :

ألا ترى أن أفلام السينما الهندية تبدو بعيدة عن الواقعية مغرقة في الخيال ، فيما تصوره من خوارق ومعجزات وتضحيات وعواطف تتجاوز ما يشهده واقع الحياة ؟

أجاب دابو :

إن ذلك الرأي في الحقيقة يظلم السينما الهندية .. فأفلامنا تتجه اتجاها أخلاقيا واضحا .. وهي تحاول إبراز الصورة الأخلاقية المثالية كما تتمناها الجماهير .. فالأغلبية العظمى من الأفلام عبارة عن حكايات وقصص أخلاقية تدعم القيم والفضائل التقليدية وتهدي إليها .. وهي تبرز جوهر الخير عند الفقراء ، وتفوق الولاء العائلي ، وأهمية الايمان والثقة بالآلهة .. وهي كلها فضائل ترتبط بأعماق الفقراء والطبقات الوسطى مهما اختلفت دياناتهم ، وهي بالتالي قريبة إلى قلوبهم وموضع آمالهم . .

هذه الفضائل من جانب آخر قد لا تكون مادة للترفيه والتسلية ، ولكن السينما الهندية تحل هذه المعضلة عن طريق التركيز على التناقض مع هذه الفضائل .. وهكذا يقدم الفيلم بوجه عام ملامح الغنى الذي لا يؤدي حق الفقير ويستغله أبشع استغلال ، ويعرض صورة الشاب المستهتر الذي يخدع الفتيات ويفقدهن نقاءهن بلا أي وازع ..

ر ، ويكشف حقيقة الطاغية الذي يسيطر
ه على أهل القرية ويسرق أقواتهم فيزدادون فقرا
، الأعياء ، ويعري أسرار الارهابي الذي
دم العنف والقوة لتحقيق مآربه الفاسدة وأهدافه
ة .

تهي الفيلم عادة بانتصار الخير على الشر ،
، انتقام السماء ، على أيدي الأبطال والشجعان
اء والأطهار

نا الهند

، أروع الأمثلة في هذا المجال فيلم « أما الهند »
شهدناه مرة ثانية في بومباي
ل لنا مخرجه الشهير « موموهان ديساي » حين
ه في الاستوديو ، ان الهدف الذي أراد تحقيقه
كيد الانسجام والتآلف والتوافق في حب الوطن
صحاب المعتقدات المتباينة في الهند
كي مقدمة الفيلم قصة إخوة ثلاثة فرقتهم
داث في طفولتهم ، كما فرقت بينهم وبين
م وتبنت كل صغير منهم عائلة تدين كل منها
ى الديانات الرئيسية في الهند الهندوكية
لام والمسيحية وحمل الأطفال الثلاثة أسماء
، وأكبر ، وأنتوني

توالى بعد ذلك أحداث الفيلم من خلال سلسلة
غامرات والأغنيات بعد أن أصبح الاخوة الثلاثة
، وقد جمعتهم قصص حب وفتوة وتضحية ،
. بينهم صداقة متينة عبروا عنها في أغنية الفيلم
سية التي تقول إنهم يشعرون أنهم إخوة حتى ولو
مختلفي الآباء والأمهات .

حين نصل الى خاتمة الفيلم نجد الفتيان الثلاثة
تلاقوا يدا واحدة في مواجهة الطاغية الشرير في
ة رهيبة ، وبعد أن حققوا الانتصار عليه انهاروا
بعد أن نزفت منهم كميات كبيرة من الدماء
، نقلوا الى المستشفى كانوا في حاجة إلى عمليات
م عاجلة لانقاذهم من الموت وجد الأطباء أن
ة دمهم واحدة .. ولكنها نادرة . وبينما هم
ون عبثا عن متطوع يحمل نفس الفصيلة ،
.. في امرأة عجوز تطوعت على الفور لنقل دمها
وتشاهد وهي راقدة على السرير وقد امتدت
ديها أنابيب مطاطية تنقل دمها مباشرة إلى
الفتيان الثلاثة .. ونكتشف أن العجوز إنما
م التي فقدوها وتبتعد الكاميرا لتظهر
الخاتمة .. « إنها أما الهند »

الغناء .. ترانيم الأرواح

يندر من الأفلام الهندية ذلك الذي يخلو من الغناء والرقص ، فهما بعض اللوازم المصاحبة للعرض السينمائي . حتى ليصل عدد الأغاني والرقصات إلى ما يتجاوز العشر في الفيلم الواحد .. وأغلب الممثلين والممثلات يرقصون ويغنون ، وإذا كانت بعض الأصوات غير مؤهلة للغناء فإن اللحن يجري على شفاههم فقط بطريقة التسجيل على شرائط من مغنين محترفين ومن أشهر من استخدمت أصواتهم في أغاني الأفلام المغني « كوشور كومار » والمغنية « مانجشكار » ويقولون إن هذه المطربة قدمت حوالي ٢٥ ألف أغنية حتى الآن حصلت عن كل أغنية منها على ٣٠ ألف روبية (حوالي ٣٠٠٠ دولار) ولأن المنتجين يدركون أن عددا كبيرا من المشاهدين يحضرون لسماع الأغاني ، فقد أصبح الغناء من اقتصاديات صناعة الفيلم الهندي وإذا كان عرض الأفلام وحدها لا يحقق عائدا مربحا لأكثر من ٢٥٪ من هذه الأفلام ، إلا أن تحقيق الربح بعد ذلك يأتي من تسجيل وبيع أغاني الفيلم التي تجد سوقا رائجة

إن ميزانية صناعة السينما في الهند تصل الى حوالي ألفي مليون دولار ، ويعمل فيها حوالي ٣٠٠ ألف من العاملين المتفرغين ، بالاضافة الى عدة آلاف من غير المتفرغين وقد بلغ متوسط عدد الأفلام المنتجة خلال ثلاث سنوات الواقعة بين (١٩٨٢ - ١٩٨٥) حوالي ٨٣٣ فيلما ، منها ١٦٥ فيلما في استوديوهات بومباي ، و ١٧٠ في حيدر أباد ، و ١٤٨ في مدراس ، و ١٢١ في كلكتا وليس هناك أي بلد في العالم ينتج نصف هذا العدد من الأفلام في سنة واحدة

هذا العدد الكبير من الأفلام ينتجه عدد من المنتجين الأغنياء ، وأفلامهم تتسم بالطابع التجاري . إلى جانب ذلك فان وزارة الثقافة والاستعلامات الهندية تقدم مساعدات مادية للسينمائيين ، كما تقدم أيضا مثل هذه المساعدات للجمعيات الفنية التي يكونها السينمائيون ، ومن بينها اتحادات السينمائيين في عواصم السينما بالهند التي تشرف على الأنشطة السينمائية . والأفلام التي تنتجها الوزارة هي أفلام لا تهتم بالناحية التجارية وشباك التذاكر .. وهي غالبا أفلام مهرجانات ، أفلام جادة وأفلام تسجيلية ووثائقية ، تتناول كل معالم الهند التاريخية والطبيعية . وقد أنشأت الحكومة هيئة
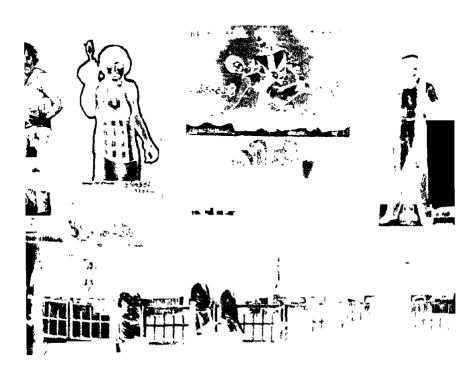
● أفلام السيما الهندية تبدو بعيدة عن الواقعية مغرقة في الخيال عامرة بالرقص والغناء ولكن اميتاب باشان انتقل بسبب تمثيله الواقعي من بلاتوه السيما الى بلاتوه السياسة

مركزية للاشراف على صناعة وتوزيع الأفلام وتداولها في المدارس والمعاهد التعليمية والثقافية

مشكلة لغة السينما

واجهت صناعة السينما الهندية مشكلة اللغة منذ قيامها . فاللغات واللهجات داخل البلاد متعددة مما يصعب معه أن يكون الحوار بإحدى هذه اللغات فقط وأدى هذا إلى تورع مراكز الانتاج في أكثر من مدينة أبرزها بومباي ومدراس وكلكتا ولنفس السبب كانت اللغة « الهندية » التي أحدث صيغتها الموحدة بعد الاستقلال هي التي اعتمدت في الحوار السينمائي بصفتها أكثر اللغات انتشارا وفهما ، بالاضافة الى ذلك فان بومباي التي بدأت فيها صناعة السينما ، كان لديها إمكانات كثيرة من ناحية الاستوديوهات والبلاتوهات والتجهيزات والفنيين المدربين ، مما أتاح لها أن تكون صاحبة المركز الأول للانتاج باللغة الوطنية الهندية بينما اتخذ الانتاج السينمائي في مدراس أكثر من لغة من اللغات المنتشرة في جنوب الهند مما في ذلك لغة التاميل ، والتلغو ، والكانادا ، والمالوية ، مما أتاح لها كمية من الانتاج تبلغ ضعف عدد أفلام بومباي أما كلكتا فقد تخصصت في إنتاج الأفلام ذات الحوار باللغة البنغالية ، وتنتج حوالي ثلث ما تنتجه استوديوهات بومباي

ولكن اهمية صناعة السينما الهندية لا تقتصر على التوزيع داخل البلاد فقد اكتسب الفيلم الهندي شهرة وترحيبا واسعا في الخارج ، حيث استطاعت أفلام كثيرة أن تحصل على جوائز دولية في مهرجانات السينما وكان أبرزها من أعمال مخرجين بارزين مثل راي ، وديساي ، وسين ، ونجوم لامعين من أبرزهم كومار شاهاني وماني كول وشيام بنيجال

وقد اكتسب عدد من ألمع نجوم السينما الهندية شهرة جماهيرية عالمية بلغت الذروة ولا يكاد أحد يجهل أسماء نجوم مثل راج كابور وديليب كومار وأشوك كومار وديف أناند ونرجس

ولا شك أن راج كابور على سبيل المثال يعتبر أحد عمالقة السينما ، وهو أحد نجوم عائلة كابور ذات الشهرة الواسعة في صناعة السينما ، وأولهم وكبيرهم برثفيراج الأب ، والأبناء راج كابور وشاشي كابور الأصغر ، وثالثهم شامي كابور الذي حقق نجاحا كبيرا كمنتج ومخرج ، بالاضافة الى نجاحه كممثل . ومن ألمع أبناء العائلة السينمائية أيضا راندير المعروف باسم دابو وهو أكبر أبناء راج كابور الذي يلعب دورا كبيرا في إدارة الاستوديوهات التي أنشأها والده ، كما لمع أيضا في ميدان الانتاج

وخلال زيارتنا لاستوديوهات راج كابور في بومباي قال لنا أشوك كومار أحد قدامى النجوم الكبار

لقد بدأت مسيرتي في عالم التمثيل منذ عام ١٩٣٢ واستطعت أن أحقق نجاحا أوصلني الى أدوار البطولة وكان من الطبيعي مع تقدمي في العمر أن أؤدي أدوارا تتفق مع سني ، ولكني احتفظت أيضا بالبطولة في دور الأب والآن أصبحت أقوم بأدوار البطولة فقط عندما يكون الدور ملائما لي كممثل وأقولها بصراحة أن تكرار تمثيلي لهذا الدور يجعلني قادرا على التعبير بالحوار المطلوب حتى لو خرجت على النص ، فأدوار الجد تكاد تكون واحدة ! »

وانتسمت النجمة المخضرمة نرجس وهي تضيف إذا سألتني فسأقول إن أفلامنا قد تغيرت كثيرا عما كانت عليه في البداية ففي عام ١٩٤٢ كانت النظرة الى الممثلات أقل احتراما مما يتمتعن به اليوم ولم يكن يلقى الترحيب الاجتماعي اللائق ولكن بعد أن ارتفع المستوى الثقافي في مجالات العمل السينمائي سواء بين الممثلين أو العاملين في الميدان أو المشاهدين ، فقد أصبحت الممثلات موضع الاحترام والتقدير وأحب أن أقول بهذه المناسبة أن كثيرات من الممثلات الجدد كل همهن الوصول السريع الى النجومية ، بدون أن يثبتن أقدامهن في ميدانهن الذي أصبح يمتلىء بأصحاب الوجوه الجميلة دون إبداع في الفن

فما أسهل أن تأتي بعرائس ووجوه يصنعها المكياج . ولكن ما أصعب أن تحصل على فنان

الأطلال

إلى جانب السينما الاستعراضية الغنائية في الهند هناك أيضا أفلام الواقعية الجديدة التي ظهرت في أوائل الخمسينات . وهي سينما تعبر عن واقع المجتمع ، وكان أحد رائديها هو « ساتيا جيت راي » أبو السينما الواقعية في الهند ، والذي أخرج فيلم « الأب باتشالي » وحصل على أكبر جوائز عالمية في مهرجان كان وبرلين وسان فرانسيسكو وكندا ومانيلا . أما الرائد الثاني للواقعية السينمائية التي يمزجها بالخيال فهو المخرج العالمي الواقعي « ميرنال سين » الذي شاهدنا له فيلم « الأطلال » الفائز بعدد كبير من الجوائز العالمية . ونجمة الأطلال

« شاباما عرمي » أشهر ممثلة في كلكتا . والأطلال رسم يعتمد في بدايته على الخيال ويسجل صراعات الشر والمصير الحتمي وهو يصور معركة تترتب عليها علاقات معقدة خيانة واخلاص هروب وتورط كل ذلك وسط حطام مفعم بالمأساة ومرارة الحياة والقصة تحكي عن ثلاثة أصدقاء يذهبون في اجازة لمدة يومين هربا من صخب حياة المدينة للاستمتاع بهدوء الأطلال التي كانت ذات يوم دارا يمتلكونها هناك يفاجأون بالدار وقد أقامت فيها أسرة مكونة من أم وابنتها الأم مشلولة وعمياء تعيش على أمل عودة ابن شقيق لها ، كان غائبا وقد وعد أن يحضر ذات يوم ليتزوج ابنتها . لكن الأمر كان على غير ما تشتهي فهذا الشاب كان قد نسي وعده القديم وتزوج وأقام في المدينة مع زوجته وتعرف الابنة الحقيقة لكنها تحتفظ بها لنفسها دون أن تخبر أمها

وعندما يدخل الزائرون يجدون أنفسهم في وضع غريب ، مما اضطرهم الى تمثيل مسرحية صغيرة تعطي الأم العمياء أملا جديدا وعندما يستعد الأصدقاء الثلاثة للرحيل عائدين الى المدينة يدور حوار بينهم وبين الفتاة التي تتحدث عن الذعر والحزن والوحدة التي ستعاودها مع أمها التي ستعرف الحقيقة يوما ما

وتمضي الحياة . . !

على أن من أشهر أفلام الواقعية ما يتناول المجاعة والفقر مثل فيلم « البحث عن مجاعة » إنه فيلم يمزج الماضي بالحاضر ويعبر عن نظرة غضب الى الوراء حتى لا يتكرر الماضي البغيض مرة أخرى صرخة قوية في شكل كوميدي ساخر تدور أحداثه عام ١٩٤٣ حيث قتل خمسة ملايين من السكان في ولاية البنغال وان المشاهدين لهذا الفيلم ليشعرون بالصدمة وهم ينظرون الى بشاعة الماضي وكيف سيزحف الحاضر إليه فالفقر والجوع ما زالا موجودين

أفلام الواقعية من ذلك النوع ليست عادة للتصدير لأنها تناقش مشاكل المجتمع المحلي حتى الـ[illegible]ع حيث العذاب اليومي من أجل مواصلة الحـ[illegible] سينما الواقعية تعبر عن حياة المجاعات المفزعة و[illegible] تعتبر دراسة علمية في شكل سينمائي لظروف الـ[illegible]ـر التي تقتل كل شيء . الحب العـ[illegible]طف . والحياة نفسها الحياة المؤلمة في الشارع الهندي بدون محاولات للتجميل الخادع كما يحدث دائما في معظم الأفلام الهندية العائلية الاستعراضية التي ما زالت تتكلم عن « هند » أخرى غير الهند الواقعية !

رقص وموسيقا وغناء

الرقص والموسيقا والغناء ترافق كل أنواع الحياة في الهند وهي تبعث البهجة والسرور في الاحتفالات والمهرجانات ، وتجدد ثقة الناس وايمانهم بقيمة تقاليد تراثهم ونسلها

وتستمد فروع الفنون حياتها من جذورها التي تقدمها أسفار « الفيدا » المقدسة ، كتب المعرفة التي تؤدي طقوسها من خلال التراتيم والدعوات والرقى السحرية وصيغ القرابين ويشرح كتاب « ناتيا شسترا » كيف أوعزت الآلهة إلى براهما « الخالق » أن يضيف الى أسفار الفيدا الدينية الأربعة سفرا خامسا عن الفنون يكون تعلمه بسيطا ومقبولا لدى الجميع وهكذا كان هذا الكتاب « ناتيا فيدا » الذي يقدم للناس مختلف الفنون من عمارة وزخرفة ونحت ورسم وملاحم ورقص وموسيقا وإنشاد وغناء

وفي الهند لا تنفصل العقائد والفلسفة والأساطير في أشكالها الفنية ويرتبط الرقص والموسيقا بكل أنواع الاحتفالات أفراح وأعراس وأعياد ميلاد وحفلات تتويج واستقبال ضيوف وتقديم طقوس ومهرجانات حصاد

وللموسيقا والرقص في الهند أساطير وأسرار فمنذ العصور القديمة ، خلع الهنود على نغماتهم الموسيقية صبغة مقدسة ، لا بد لمن يعزفها أن يراعي حرماتها ، لأنها صور من الغناء أداها الاله شيفا نفسه وهناك أسطورة تقول إن العازف « نارادا » لم يكن يهتم بالراجات (أي النغمات) المحددة ، وأنشدها في إهمال وقلة اكتراث ولم يشعر العازف الا والاله فشنو قد أخذه والقى به في نار الجحيم وهناك أطل العازف أمامه فشاهد رجالا ونساء يبكون على ما تحطم من جوارحهم وعواطفهم . وأشار الاله فشنو الى هؤلاء الرجال والنساء وقال وهو يتميز غيظا . هؤلاء هم الراجات والراجينات التي شوهتها ومزقتها وحطمتها بعزفك المستهتر وهنا بكى نارادا وأقسم بين يدي الاله فشنو أن يكون دائما في فنه أكثر اتقانا . . وأروع احتراما وتقديرا . !

في قاعة الاحتفالات بهلتون التاج القريب من تاج محل . شاهدنا عرضا موسيقيا رائعا يصحب غناء

● الـرقص والموسيقى والغناء تـرافق كـل أنـواع الحياة في الهند حيث لا تنفصل العقائد والفلسفة والاسـاطـير عن أشكال الفنون بعـد أن خلع الهنود على نغماتهم الموسيقية صبغة مقدسة وتدرجت الـرقـصـات من الحركات الدينية في المعابد الى الاسلوب القصصي والرمزي الذي يعبر عن أهواء الطبيعة ومزاج الانسـان وتقلبات الحياة

مطربة هندية من الجنوب .

ولاحظنا أن نغمات السلالم الموسيقية تكاد تكون متشابهة . . ولكن الأنغام تباينت حين أتاح قائد الفرقة لكل عازف أن يعرف على آلته الموسيقية المميزة لحنا منفردا لإظهار براعته وكان مما يلفت النظر بين هذه الأدوات قدر فخاري متواضع يسمى « الكاتام » يقوم العازف عليه بعزف مادح من الأنغام الساحرة ، وحينما يصل الى قمة وروعة أدائه فإنه يقذف بالقدر محلقة في الهواء ويمسك به ثانية وبدون أن يفقد دقة واحدة في تسلسل الأنغام

سر الأنغام

والموسيقا هي روح الرقص وهما يرتبطان معا برباط وثيق وفي مركز الفنون بمدينة مدراس وخلال العرض الموسيقي الراقص على مسرح كالاشترا كنا نسمع كلمة « راحا » على كل لسان من المستمعين الهنود ، وتصورنا انهم يقصدون بعض المهراجات القدامى الذين يحضرون الاحتفال ولكننا عندما سألنا مرافقنا عرفنا أن كلمة « راحا » هنا لها معان أخرى لا تمت للماديات بصلة قط ولكنها نغمات عاطفية تتكون من ستة موضوعات أساسية لكل منها خمس صور تسمى « راحيني » ، وكلمة راحا نفسها معناها لون أو عاطفة أو حالة نفسية وأضاف مرافقنا قائلا إن الموسيقي الهندي عندما يريد أن يعزف شيئا من الموسيقا فإنه يختار نغما واحدا من هذه الراحات ولا يغيره . وذلك النغم يختاره الموسيقي من الحالة النفسية التي يريد الايحاء بها وهي تراتق تصويره للفجر أو الربيع أو جمال المساء أو النشوة كما يجب أن يختار الراحا أو النغمة المرتبطة بالزمن الذي يعزف فيه . فلكل راحا زمن معين من اليوم أو السنة حتى ليقال ان أسطورة هندية تؤكد ما لهذه الراحات من قوة روحانية فتقول ان راقصة من البنغال أزالت مجاعة وقحطا عندما غنت إحدى الراحات . . وهي المسماة « سنع مالار » أي نغمة استنزال المطر !

كانت الفرقة التي تؤدي العرض الموسيقي الراقص على المسرح تتشكل من عدد قليل من العازفين إذا قيس عدد أفرادها بالعشرات الذين تضمهم أي فرقة موسيقية في أي بلد آخر . كان بعض الموسيقيين يعزفون على طبول ذات أشكال وأحجام غريبة . وكان البعض يستعمل مزامير مزخرفة كالفلوت وأبواقا ملتوية كأنها الثعابين . أما الآخرون فيعزفون على مجموعة منوعة من الآلات الوترية تبدو عليها علامات الاتقان والبراعة والدقة في الصناعة كما كان بعضها مرصعا بالجواهر والأحجار الكريمة

وكان أحد الموسيقيين يعزف على احدى الطبول التي يسمونها « مريدانجا » وهي تشبه البرميل الصغير ، في كل طرف من الطرفين شد غشاء جلدي رقيق يمكن تغيير درجة نغمته بشده أو بارخائه بواسطة مفاتيح صغيرة من الجلد ، وبين الغشاءين غشاء ثالث أضيف إليه شيء من مسحوق المحيير ومرق الأرز وعصير التمرهندي لكي يحدث نغمة فذة غريبة في نوعها ويقدم الطبال وحده عروضا في الطبل ويؤدي دوره دون أن يستعمل شيئا سوى يديه يخبط براحته أحيانا ، وبأصابعه ، أو بأطراف أنامله أحيانا أخرى

وتبعنا عرف صاحب (التمورة) وهي قيثارة لها أربعة أوتار طويلة تبعث نغماتها موصولة بغير انقطاع ، وهي بذلك كأنها البطانة العميقة الهادئة المصاحبة لموضوع القطعة الموسيقية

أما آلة « الفينا » فهي مرهفة الحساسية لدرجة تميزها عن غيرها من الآلات محددة الأصوات تحديدا واضحا ، وأوتارها مشدودة فوق عارضة رقيقة من المعدن ، وفي أحد طرفيها طبلة خشبية يغطيها غشاء من الجلد وفي طرفها الآخر قرعة جوفاء تردد الصدى وكانت تلك الأوتار دائمة الدندنة بواسطة مضرب صغير في يمين العازف بينما يسراه تغير النغمات بأصابع تتحرك في براعة من وتر الى وتر

والواقع ان الاستماع للموسيقا في الهند فن وحده وهو يتطلب تدريبا طويلا للأذن والروح وقد لا يفهم المرء ألفاظ الغناء نفسه ، ولكنه مع ذلك يتوه بين المعاني العربية وهو يستمع الى الموسيقا كما لا يوجد خلاف حول الأغنية وبأي لغة تغنى ، وما أكثر ما يتذوق المرء الموسيقا ، والغناء الهندي فيستمع الى الغناء ولو لم يكن يفهم معناه .

الرقص الهندي

وهذا هو بالضبط ما يحدث عندما نرى الرقص الهندي ويمكن مشاهدة أساليب الرقص مصورة في أوضاع يصعب تحليلها ، وفي خطوات مثيرة رائعة لرقصات « بهاراتاناتيام وكاتاكالي » وكشيبودي

رقصة بهاراتاناتيام تراث قديم جدا ، يعود تاريخه الى ألفي عام ، شاهدناها في أفضل صورها وأشكالها ، وفي جميع فنونها الكلاسيكية الساحرة « كالاشترا » . . ورأينا جميع الأساتذة الكلاسيكيين

ر الرحال ، لا يرقصون بأنفسهم ، بل يقدمون مليماتهم الشمولية بحركات من أيديهم والرقصة ـطلب من الراقصة التحلل التام من الروابط لدنيوية ، والسمو النفسي في الفن الالهي وهي بـاميكية الحركة وتقوم على توريعات موزونة للأوضاع الخشمانية للساقين والقدمين ، وتتيح لأيدي أن تتقاطع في خطوط مستقيمة وتأخذ أوضاعا برر الأداء الجمالي للتكوين الجسدي

ورقصة كاتاكالي بـأزيائها الرفيعة المستوى ريتها الأنيقة رقصة درامية ساحرة متقنة ، وفي ؛اء تقليدي يقام في الميادين والساحات العامة يصحب الرقصة التي يؤديها الرحال نقر على الطبول ؛عراق المشاهدين في جو سحري والراقصون صعون على رؤوسهم أقنعة وأغطية رأس ويرتدون مابر عربية ويلوسون وحوههم بمكياج يتوافق مع لأنواع المتباينة من الرقصات ويصحب الرقصة واد يتحاورون وهم يعيدون إلى الحياة تفاصيل لحكاية الأسطورية

ورقصة كوشيبودي رقصة الدراما الساحرة قد نشطت وانتعشت في الأزمان السابقة ، وتؤدى حركات نشطة مفعمة بالحيوية

الى حانب ذلك هناك رقصات « سادراتري » تستمر تسع ليال وأكثر الرقصات حيوية ونشاطا سمى « ديوالي » وتقدم في مهرجان الأنوار ، والذي تتفل به في جميع أرجاء جنوب الهند بتقاليد رائعة اهية ، وهي احتفالات الحصاد وتستمر لمدة ثلاثة يام في تاميل نادو

وقد يبدو الرقص الهندي لبعض العيون دعوة احرة غير أنه في الحقيقة فن رائع بعيد كل البعد ن هذه النظرة التي ينظر الآخرون بها إليه وقد ستمر طوال قرون طويلة من التاريخ لونا من ألوان لعبادة ، وعرضا رائعا لجمال الحركة والايقاع ، تكريما وإجلالا للآلهة ، وليس فيه عرض للجسد قدر ما يعنيه من إعطاء صور للكون في دوراته لمتوازنة والتعبير في ظواهره ، وقد كان الاله شيفا نفسه له الرقص . . وكانت رقصته ترمز لحركة العالم نفسه . !

و أجمل فن الرقص الذي قدمته الراقصة المحترفة لتي عرضت علينا رقصاتها في قاعة فندق تاج محل سومب

له قدمت فنا تدل كل حركة فيه ـ وخاصة حرك الرأس والعينين وانثناءات الجسم وتموجات الأصابع واليدين ـ على معان لطيفة دقيقة ، كما تدل على رشاقة في التثني مما لا يعرفه الرقص العربي وجزء كبير من الرقص الشرقي

الرقص له مفاهيم

التلقائية والبديهية والقدرة على بعث البهجة في النفوس هي كلها روح الرقص ، ومطلب كل راقصة وهي تسعى الى التعبير من خلال حركات الجسد والأطراف والعيون مما يحقق أقصى درجات الكمال ويشد الذهن الى أقصى درجات الاستمتاع الفني

قالت لنا روكميني دايفي الرائدة صاحبة الشهرة العالمية في مجال هذا الفن في الهند ونحن في قاعة « تاج محل »

ان مفتاح الفن الجيد ليس في القدرة على توصيل الرسالة الى مشاعر المشاهد وتحقيق البهجة والمتعة لديه إنما هو في القدرة على تبليغ هذه الرسالة الى روح الفنان والمشاهد في آن واحد . .

وفي الهند أكثر من شكل لفن الرقص الكلاسيكي وكل من هذه الأشكال تخصصت فيه مناطق معينة في البلاد ، وهي تمثل نوعية الثقافة والروح الشعبية وتحدد بصماتها الفنية وإذا كان من أبرز هذه الأشكال والأكثر شعبية في الوقت الحاضر رقصة « بهاراتاناتيام » في تاميل نادو ورقصة كاثاكالي في كيرالا وكوشيبودي في أندر براديش ، فإن هناك أشكالا للرقص الكلاسيكي تتداخل مع أشكال أخرى من الرقص الشعبي نصف الكلاسيكي يقدم مصحوبا بالتمثيل الاسطوري وفي الوقت الحاضر فإن الأشكال الرئيسية تقدم في كل أنحاء البلاد وليس فقط في منابعها وهي كلها تقدم بألوان متباينة من الأزياء والشعر والأنغام مع تباين في الآلات الموسيقية المصاحبة لها

وأوضحت لنا ديفي تفاصيل وأشكال الرقصات فقالت إن الرقص الهندي يعتمد على مفاهيم وأفكار تقليدية أو عقائدية أو حكايات وأساطير دينية ، فرقصة « ميريتا » غاية في النقاء ، وهي حركات تجريدية مثالية تعبر عن مفهوم الجمال وتؤدي بإيقاع متزن معبرة عن النشوة الانسانية ببساطة شديدة . أما رقصة « النيريتيا » فهي تعبيرية تمثل فكرة قصيرة محدودة

وتؤدي الراقصة رقصتها بتعبيرات وجهها وإيماءات يديها ، وكل إيماءة تمثل كلمة أو جملة أو فكرة ، وترتبط الايماءات والتعبيرات بنغمات الموسيقا

● الحورو هو معلم جميع الفنون وهو يخضع تلاميذه لقواعد الشكل الفني ويحرص على التناسق الدني وخاصة في ما يتفق مع فن الرقص وتعود العلاقة بين المعلم والمتعلم الى الملامح الرئيسية للثقافة الهندية

المصاحبة حيث تنشأ لغة جديدة يستطيع المشاهد أن يرى كلماتها وهي تتطاير حوله من خلال حركة عينيها وحلاوة الابتسامة على شفتيها وهذه القدرة في التعبير هي ملامح رائعة للرقص الهندي الذي تصاحبه نغمات الراجا التي تتفق مع الحالة النفسية والمزاجية والعاطفية للراقصة كما تنقلها الى المشاهدين والراجا عبر « التالا » التي تعتبر نبضة القلب للأغنية والتي تضبط رتم الايقاع المتناغم المتناسق

أفكار وخيالات

أشكال الرقص الهندي تأخذ أفكارها وموضوعاتها من الميثولوجيا الهندية الغنية بالأساطير والخيالات بالاله فشنو « الحافظ » في تجسداته العشر ، هو أكثر آلهة الهندوس شعبية في عالم الرقص الكلاسيكي ، ومعه روجته لاكشمي إلهة الجمال والثروة ، التي تظهر للناس في هيئة الاميرة سيتا رفيقة الأمير راما ، الذي يتجسد فيه أيضا الاله فشنو في أسطورة « الرامايانا » إلياذة الهند وهما معا مصدر واسع لأفكار الرقص الهندي وهو ما يحدث أيضا عندما تقدم حكايات راقصة تأخذ أفكارها من « المهابهاراتا » أوديسة الهند ، حيث يتجسد فشنو في جسد كريشنا وتكون رفيقته لاكشمي في هيئة رادها ومن خلال حكايات طفولة كريشنا تقدم صور من الأخلاقيات الخالدة والقيم الرائعة في مختلف أشكال الرقص الهندي بالاضافة الى تصوير المشاعر العاطفية

الراقصتان الشهيرتان كمالا ورادا تقدمان عرضهما على مسرح كالا شترا

والانجذاب الروحي بين الرجل والمرأة مع تباين الحا النفسية والمزاجية الانسانية

شاكونتالا والمسرح الهندي

لعل السر في النهضة السينمائية والتمثيلية هو أن الهند من أقدم بلاد العالم وأكثرها شغفا بالتمثيل وهي أشبه في ذلك باليونان أرض الاغريق الأقدمين التي اشتهرت برواياتها التمثيلية الرائعة ولم تكن المسارح القديمة في الهند مقصورة على المدن ، بل كانت متغلغلة في القرى حيث يجتمع أهل القرية في المواسم الدينية والأعياد لمشاهدة المسرحيات التي تقدمها الفرقة التمثيلية للقرية حيث تمثل قصصا وروايات مبسطة مستمدة من صميم حياة القرية نفسها ، بكل معتقداتها وعاداتها ، وقد ظل المسرح الهندي منتعشا الى أن كان القرن الثامن عشر والتاسع عشر حين أصابه الركود ، ثم ما لبث أن أخذ يستعيد نشاطه وقوته في أوائل هذا القرن وزاد نجاحه حتى أصبح في الهند اليوم مسرح قومي ، كما أنشئت أكاديمية وطنية للتمثيل والرقص والموسيقا

وليس هناك بين المثقفين في الهند من لا يعرف مسرحية « شاكونتالا » أروع المسرحيات الهندية القديمة التي كتبها « كاليداسا » والتي تعتبر بحق قمة المسرح الهندي القديم حتى أن « جيته » ـ وهو أقدر أدباء الغرب على التسامي فوق حدود الاقليمية وحواجز القومية ـ اعتبر شاكونتالا من بين أهم ما صادفه في حياته من عميق التجارب ، فكتب عنها معترفا بفضلها « أتريدني أن أجمع لك في اسم واحد ، زهرات العام وهو في ربيعه الناشيء وثماره وهو في خريفه المنحدر الى فناء وأن أجمع كل ما عساه أن يسحر الروح ويبهرها ويغذوها ويطعمها بل أن أجمع الأرض والسماء نفسهما في اسم واحد إذن لذكرت اسم شاكونتالا وبذكره أذكر كل شيء دفعة واحدة كأروع ما يكون »

على المسرح في مدينة مدراس عاصمة الفنون والتمثيل والموسيقا شاهدنا عرضا قدمته طالبات معهد « كالاشيترا » للرقص والموسيقا

فما هي قصة .. مسرحية شاكونتالا ..

لم تكن شاكونتالا تدري أنه الحب ، فقد عاشت حياتها كلها في داخل هذه الصومعة الصغيرة عن طريق الغابة مذ تبناها « كنوى » كبير الرهبان البراهمة ولم تكن تدري حين راحت تدور ع صاحبتها بين الأزهار والورود ، ومن بين شف

الة « العيتا » بين يدي الرئيس الراحل جمال عبدالناصر وهو يتلقاها هدية من كبار الموسيقيين خلال زيارته للهند وفي الخلفية صورة المهاتما غاندى روح الهند الحية

طلق نغم رائع يملأ أفئدة السامعين حبوراً. ان الملك ؛انتا قد قادته قدماه الى هذا المكان ـ إذ ابتعد عن ؛ماله وهو في رحلة صيده متحللا الشجيرات ـ ؛صت في لهفة وشوق الى هذا الصوت الملائكي ، ؛مد بصره متسللا ليشهد أجمل ما رأت عيناه

ولم يكن من الصعب على الملك أن يجد الوسيلة ؛خرج من مخبئه ، ويقترب من الفتاة التي اهترت ؛ادت تسقط من فرط الاضطراب بين يدي ؛احتها. ولم يكن بد أيضا من أن تلتقي العينان ؛ألف القلبان ، وأن يسقط الاثنان في غمرة حب ؛ارف ، بعد أن تتوالى أيام الصبر والملك لا يبرح ؛كانه بحوار صومعة الراهب الغائب ، وفي انتظار أن ؛ود ليبارك بركته على رواحه من ربيبته الرائعة . ؛اكونتالا

ولكن الأيام تمضي والراهب لا يعود ، والقلبان ؛والهان لا يجدان ما يمنعهما من الاقتران بعد أن ؛سرض شاكونتالا على الملك أن يظل الأمر سرا ، ؛لا تـ ؛اهر معه إلا بعد عودة الراهب كنوى ، ؛ستد ؛ه والحصول على بركته . وإذ تتأخر عودة ؛راهب ؛ترفض الفتاة أن تنطلق مع زوجها بدون إذن

أبيها ، يجد الملك نفسه مرغما ـ تلبية لنداء جاءه من عاصمة ملكه ـ أن يغادرها ، بعد أن وضع في إصبعها خاتمه الملكي ، وأن يطلب منها انتظاره حتى يعود ، ليأخذها لتزين قصره الكبير

وتتوقف الحياة في قلب شاكونتالا في انتظار أن يجيء يوم اللقاء وتمضي الأيام الوالهة بالفتاة ، وفي قلبها اضطرام وحودي ، وإذ هي مستغرقة في أحلامها وسرحتها ، لا تنتبه الى الناسك « دروشة » وقد جاء يدق بابها فلم ترد عليه إلا بعد وقت طويل وعندما فتحت الباب آخر الأمر بعد انتباهها وتصورها ان روحها الملك قد عاد ، إذ بها تفاجأ بالناسك يطلب طعاما وإذ أخرجها ذلك من فرحتها ، امتلأت بالناسك ضيقا وتبرما فردته وصفقت من ورائه الباب

وارتفعت لعنة الناسك رهيبة مرعبة

« لك الويل بالعينة بما جرؤت أن تستخفي بضيف مثلي فلينساك ذلك الذي شغلت به ولا يذكرك أبدا وليكرنك حتى آخر الحياة »

وتسمع رفيقتا الفتاة دعاء الناسك ، فتأخذ بهما صعقة مرعبة ، فهما تدركان أن اللعنة ستحيق بالفتاة

فيسأها حبيبها الذي مضى ولم يعد بعد وتنطلقان الى الناسك تستعفرانه وتستعطفانه عليها وتشرحان له أمرها وإذ يرق قلبه يكون جوابه

« كلمتي لا تبطل ولكن أثرها يزول عندما يرى من سيبها خاتم الزواج »

قال هذا ومضى واستردت الفتاتان أنفاسهما ، فقد كانتا تعرفان أن الملك كان قد جعل خاتما يحمل اسمه في أصبع شاكونتالا ، وان هذا الخاتم رقية تذكر من يصيبه النسيان .

في هذا الوقت يكون الراهب كوى قد عاد من حجته المقدسة ولا يجرؤ أحد على إبلاغه بقصة زواج ربيبته بالملك غير أن الراهب يسمع صوتا كأنه يهمس في أذنه ويقول له

« إن في بطن ابنتك جنينا أبوه هو الملك دوشينتا فأبشر »

ويبارك الراهب ابنته ويأمر بعض أتباعه بأن يكونوا على أهبة الرحيل للسير الى حيث قصر الملك ، ومعهم عروسه التي يباركها ويرسلها إلى زوجها مكرمة معززة

ويبطلق الركب في الطريق الى العاصمة

وفي القصر ، بينما دشيانتا في قاعة الحكم ، يبلغه الحراس بقدوم نساك حاملين رسالة إليه من الراهب البراهمي كوى واذ يستقبلهم الملك وهم يدخلون متقدمين شاكونتالا التي غطت وجهها بحجاب ثوب الزفاف ، يطيل الملك إليهم النظر في حيرة ، وهو يتساءل عن رسالة الراهب العجيبة ويتقدم إليه كبيرهم فيقول

« ان الراهب الأعظم أمرنا أن نبلغك انه صادق على الزواج الذي عقدته على هذه السيدة سرا وهو يبلغك أنه يبارك ولدك الذي هي حبلى به »

ويفتح الملك عينيه في دهشة واستغراب

ـ زوجة وقران ؟ وولد أيضا ؟ ما هذا الذي تقولون ؟

وتصعق شاكونتالا ، ويزداد بها الرعب وهي تسمع الملك يقول ·

ـ من قال اني تزوجت هذه المرأة ؟

ويقول رسول كبوى في حيرة أيجمل بملك أن يحيد عن سبيل الحق ، ويخلف العهد ؟

ويصرخ سؤال قائم على إفك وبهتان

ويكشف الرسول الحجاب عن وجه شاكونتالا المصعوقة ليذكر الملك بزوجته غير أن دشيانتا لا يذكر شيئا ، وتحاول شاكونتالا أن تذكره بنفسها فتحكي كيف تعارفا وتزوجا ولكنه يهز رأسه ، ... ينكر كل ما قالته ويتساءل عن الدليل عـ... صدقها وتمد شاكونتالا إصبعها لتعرض على المل... خاتمه وتكاد تسقط على الأرض لقد ... إصبعها خاليا لا خاتم فيه ! فقد سقط ... وهي في الغسل حيث تعمدت في حوض « ساكي » المبارك قرب المدينة

وتلقى شاكونتالا الهون ، ويتحطم رجاؤها ، فترفعها معجزة الى أجواز الفضاء ، حيث تطير إلى غابة أخرى بعيدة عن الجميع

هناك تلد شاكونتالا ولدها « بهاراتا » العظيم الذي كتب على أبنائه من بعده أن يخوضوا معارك « المهابهاراتا » أوديسة الهند

ومضت الأيام

وذات يوم كان أحد السماكين يشق بطن سمكة اصطادها فلمعت لعينيه جوهرة غارة عن فص خاتم ذهبي وكان الخاتم هو نفس خاتم الملك دشيانتا وعليه اسمه الملكي

واقتيد الصياد الى الملك ولا يزال الخاتم الذي حاول أن يبيعه في السوق بين أصابعه وما كادت عينا الملك تقع على خاتمه ، حتى دارت رأسه وإذا بذاكرته تعود اليه وصرخ الملك ابحثوا عن شاكونتالا إنها لم تكذب إنها زوجتي وأم ولدي

ويعود الحب صاعقا عارما الى قلب دشيانتا وينطلق في جنون يبحث عن الحبيبة التي فقدها ويقسم ألا يعود الى قصره إلا ومعه شاكونتالا

وذات يوم والملك على قمة الهيمالايا يواصل رحلة البحث ، إذ بطفل صغير يلعب غير بعيد منه أمام صومعة صغيرة منعزلة على السفح ، ويجري يداعب الطفل وهو يبكي إذ تذكر أن له ولدا لا يعرفه وفجأة يسمع صوت من داخل الصومعة صوت الأم تنادي ولدها بهاراتا

وتخرج شاكونتالا من الصومعة إنها هي حبيبة قلبه بلحمها ودمها وجمالها الملائكي الرائع إلا من مسحة من حزن وأسى ويجثو الملك عند قدميها ويلتمس عفوها . وبعد تردد تستجيب الفتاة لاستعطافه وقدعاد حبهاأقوى مما كان فتغمر ... ويعود ثلاثتهم في الطريق الى القصر ، بينما ... أصوات الموسيقا موسيقا حالمة حانية كأنها ... من السماء ويرقص الجميع مع انسدال الستا... على مسرحية شاكونتالا ☐

على آخر ورعا .
وهنا قاطع الشيخ المتكلم ، ليحول بينه وبين الاسترسال في الحديث عن مرايا حارته ، فقال
- لم ترو لنا الواقعة يا أستاذ خالد
قال الأستاذ خالد ، وهو المتحدث لا تؤاخذني على الاستطراد يا شيخي المهم أننا كنا طابورا طويلا من المنتظرين ، مطمئنين إلى أن أحدا لن يخرق نظام الدور ، فصفنا كان كالبنيان المرصوص لامجال للنفود بين لبنتين منه ، كذا نتحلى بالصبر الجميل ، وأمنية كل منا أن يبلغ منصة البيع عند باب المؤسسة قبل أن ينفد ما في مستودعها من حصار ، إلا أن شيئا لم يكن بحسباننا قد حصل ، فقد وقفت الى جانب صفنا إحدى رافعات مصلحة الكهرباء التي تعرفونها ، رافعة لها دراع طويلة منتهية بسلة ، هي التي يستقلها العامل الذي يصلح المصابيح المعطوبة في الشوارع ، أقول توقفت تلك الرافعة وأطلقت دراعها بسلتها التي كان يمتطيها أحد العمال فوق رؤوسنا المصطفة في الطابور ، وتخطت الطابور كله ، ثم حطت السلة بمن يمتطيها وراء منصة البيع في مدخل المؤسسة ورأينا باعينا أرطال السدورة والخيار والبرتقال تُعَبَّأ في تلك السلة الى أن امتلأت حينئذ ارتفعت الدراع واستدارت ، مارة فوق رؤوس صفنا الطويل ، الى حيث أفرغت سلتها في غرفة سائق الرافعة التي كان محركها يهدر كأنه يهزأ من صبرنا وانتظارنا المهذب
قال أحد السامعين . وسكتم على هذا ؟
أجابه الأستاذ خالد لو أن أحدا زاحمنا على دورنا في الأرض لكان من الممكن أن لا يسلم منا ، اما هذا المزاحم من الجو فقد أخذنا به على غير انتظار ، لعلنا اعتبرنا له تجاوزه على حقنا لطرافة حيلته في التجاوز ، من ناحيتي لم أملك غير أن أضحك ، وضحك معي آنذاك كثيرون ، ولو أننا لم نضحك ماذا كان بإمكاننا أن نفعل ؟ يقول المثل · إذا أُكِلَ زادك بغير رضاك رحِّبْ عليه ومثل ذلك أقول اذا سلب حقك ولم تملك له ردا ، اضحك منه
قال الشيخ هذه سعة صدر منكم ، أنتم الذين رأيتم هذا وصبرتم عليه ، تشكرون وتؤجرون ان شاء الله .
قال رجل آخر من حضور حلقة الشيخ ·

ما دمنا في هذا الحديث فدعوني أقص ـ مضحكة أخرى يا اخوان ، لم تجر لي شخـ سمعتها من ربة بيت كريم زرته في المدينة أيام
قال الشيخ هاتها يا أستاذ بدر الدين
قال الرجل كنت في زيارة ذلك البيـ سيدته ، وهي لاتشكو قلة المال ولا حتى بـ بهذه الواقعة التي جرت لها نفسها ، جر الواقعة عندما كانت في طريقها لحضور الجمعية الثقافية التي هي عضو فيها ، نسائية معروفة ، المشتركات فيها من صـ المجتمع ، قالت توجهت وصديقة جمعيتنا ، وفي طريقنا لفت انتباهنا في مر الشوارع تجمع غير عادي لجمهور من النا عن الأمر فقال لي أحد الوقوف ان صنفا النباتية مفقود من الأسواق منذ زمن ، يجر مخزن مؤسسة التموين في هذا المكان ، ق آنذاك انها فرصة أتيحت لنا ، فلنصم إ لعل كلا منا يحصل على علبة من هذا الـ نبحث عنه ، فلا نقع له على أثر ، وهكـ الدور وأحسب أن باعة المخزن عاملو منحنا اياها مظهرنا اللائق ، وكوننا ا مجموعة من الرجال ، إذ لم يطل انتظارنا على علبة زبدة لكل منا ، وتابعنا سيرنا لـ الجمعية وهي لاتزال في بدايتها
وسكت الأستاذ بدر الدين هنا قليلا الحضور
- ليس في هذه الواقعة ما يضحك يا أ كانت فيها دلالة على تواضع السيدة ذات في وقوفها في الطابور مع الكادحيـ المحتاجين
قال الأستاذ بدر الدين . أهو تواضع يـنـج من الافتقار اليها دون الجاه ، وا السيدات ذوات المكانة في المجتمع ؟ لم تنـ الحكاية كما روتها لي تلك السيدة ، قالت ا الاجتماع في اوله فتطلعت اليها رئيسة الجا عتب . تأخرتما ، وأبحاث جلستنا اليوم خاصة ! ابتسمت صاحبتنا وأخرجت الـ مسمع من الحاضرات مما أخرها ورفيقتها

محيثها ، مشيرة الى علبتي الزبدة في زاوية القاعة ، وهذا حدث ماهو مضحك في الحكاية ، قالت السيدة ما فرغت من كلامي حتى تعالى صوت الحاضرات ، إذا لم يكن كلهن فالكثرة منهن ، متسائلات . زبدة ساتية ؟ ! في أيّ مخزن ، وفي أيّ مكان ؟ فلما سميت لهن المكان الذي ماكان بعيدا عن حيث كنا رأيت الكثيرات يسرعن في مغادرة القاعة ، ويخرجن متجهات الى المخزن الذي أشرت إليه ، تاركات مقر الاجتماع قاعا صفصفا

ضحك بعض الحاضرين لما انتهت به حكاية الأستاذ بدر الدين ، بينما تبسم الشيخ وقال .

ـ لاتلوموا هؤلاء السيدات ، صفوة المجتمع ، على ما أضحككم من تصرفهن ، يجب أن نعترف بأن هذه الحكاية مغزاها المشجع ، مهما كانت المرأة من علو المنزلة الاجتماعية ومن الثروة فهي لاتتخلى عن هموم البيت التي هي ربته والمسؤولة عن أحواله

وهنا تدخل في الحديث المعلم مصطفى ، وهو سائق سيارة في احدى المصالح الحكومية ، قال

ـ ليسمح لي سيدي الشيخ برواية واقعة جرت لولدي طالب ، لاادري كيف تصفونها ، كل من رويتها له ضحك منها ، بينما بكى منها ابني بكاء طويلا

قال الشيخ أخبرنا يا مصطفى بهذه الواقعة ، وليحكم عليها اخوانك الحاضرون

قال المعلم مصطفى ابني طالب ، كما يعرف بعض الاخوان ، تلميذ داخلي في معهد صناعي في المدينة الكبيرة ، قضى اجازة نصف السنة عندنا ، وحين عاد الى معهده زودته أمه بزوادة من الكبة الحلبية ، كبة دراويش كما يسمونها ، كان الصبي فرحا بهذه الزوادة ، فهي تصمد أياما طويلة ، ويقدر أن يلوّن بها وجبات غدائه حين لايعجبه طعام المعهد . في رحلته إلى المدينة توقف الأوتوبيس الذي [illegible] أمام أحد الحواجز المألوفة ، ورقى اليه عسكرى لتفتيش [illegible]ركاب وما يحملون ، ووصل ذلك العسكرى [illegible] طالب وأمره بأن يفتح الجعبة اليدوية التي كانت أمامه [illegible]عل ، وحين وقعت عين العسكرى على محتوى [illegible]ـة رفع كفه وأهوى بها على خد الصبي صفعة [illegible]ة وصاح به منتهرا · كبة ؟ . وكبة دراويش ؟ [illegible]

الزوادة ، منهيا بأخذها تفتيشه ، قال لنا طالب حين عاد الينا بعد عدة أسابيع . بكيت كثيرا يومها ، لم نتعلم في المعهد أن الكبة الدراويش من صنف الديناميت ، لماذا ضربني ذلك العسكرى ؟ كان يمكنه ان يأخذ كيس الكبة دون أن يهينني ومادام قد ضربني ، لماذا لم يترك لي كيس الكبة ؟

أنهى المعلم مصطفى حكاية ابنه بتساؤله هذا ، وعلى الرغم من لهجة الحزن التي كان يتحدث بها ، فقد انطلقت الضحكات من بعض الحضور ، والشيخ نفسه لم يملك غير أن يبتسم ، وإن كانت ابتسامته مصبوغة بالأسى ، قال بصوت خفيض كأنه كان يحدث به نفسه

ـ وما لاترى مما يقي الله أكثرُ

قال المعلم مصطفى ، وهو كما ذكرنا سائق سيارة قليل الحظ من الثقافة

ـ لم أفهم ياشيخي

قال الشيخ هذه حكاية قديمة يا معلم ، قرأناها في كتب الأولين ، فقد رويناها من أكثر من طريق أن عبدالرحمن الأوسط ، أمير الأندلس ، كان في بعض الأسفار ، فعثرت به دابته وكاد يكبو لوجهه ، فتمثل قائلا وما لاترى مما يقي الله اكثرُ هذا الكلام هو عجز بيت شعر لم يكن الأمير يحفظ صدره ، أعني شطره الأول ، فسأل عمن يحفظ بيت الشعر هذا كاملا فجاؤوا اليه بفلان الرحالي الذي كان يروي البيت بتمامه ، وهو .

ترى الشيء مما يُتقَى فتهابه

وما لاترى مما يقي اللهُ أكثرُ

وهذا يعني ، يا ابني يا مصطفى ، أن علينا أن نحمد الله على ما يصيبنا بالغا مابلغ ، ما جرى لابنك طالب يبكي ويضحك في آن واحد ، ولكن الغيب مملوء بما يبكي دون اضحاك ، فلنسأل الله أن يعيننا على ما نراه ، وأن يقينا مما لانراه ، ولا ننس أن أكثر ما نشكو منه هو جراء سوء عملنا ، أما كفانا ما تحدثنا به في مشاغل هذه الدنيا الفانية يا أبنائي ؟ لنعد اذن الى مايهمنا من تعاليم ديننا ، إلى أين وصلنا في الكلام عن زكاة الفطر ياشيخ قاسم ؟

ورجع الشيخ بهذه الجملة إلى بحث أمور الدين بعد أن روّح عن نفسه قليلا بالحديث عن أمور

قصة قصيرة

الرواق. الناس

بقلم : ابراهيم زعرور

اليوم ماتت (أم التايه) ، أسبلت عينيها على صورة تاريخها المنقوص، نشرت الاصابع النحيلة فوق الحشا ثم ماتت ، غار فيها عرق الحياة ، لكن الموت لم يستطع أن يطمس ذلك العموص المتكهف في عتمة محاجرها ، فظل وجهها البيضاوي الشاحب مجلوا بلون كركمي باهت ، ينضو بصفاء نوراني صريح ، وبيص من تسامح صاف . ماتت أم التايه قبل أن تكتمل صورة تاريخها المجيد .

ورث أبو التايه عن أبيه ، عن جده ، عمن لا علم لنا بهم ، داراً فسيحة ، ذات سور عظيم يقف الجمل في ساحتها فلا يظهر ... كتل حجرية ...

فضاء الساحة ، إنه صرح عملاق بثلاث بوابات عريضة جهمة ، تفتح أشداقها في وجه الساحة ، لكنها عارية من الأبواب

ترتفع جوانب البوابات على عمد مربعة منيعة ، تتحول عند قمتها إلى أقواس تنعقد شاهقة بطول قامتين أو أكثر وداخل الرواق بهو رحب ، تنهض في جنباته أعمدة ضخام ، شيدت قواعدها من كتل (عرانيتية) سميكة ، مصمدة رأسيا ... يبدأ الانحناء بعد هذا الارت... الاتجاهات الاربعة ، ليتو...

في منتصف الرواق تقوم مصطبة متوسطة ، تعلو الأرض بارتفاع أربع درجات ، يشغلها أبو التايه وزوجه ، وتحتل الأغنام بقية الرواق

رجل وامرأة وقطيع من الأغنام الرابضة ، ودبيب تاريخ سحيق ، يتمطى في جوف الرواق ، وينبض في جوانب الدهاليز ، هذا هو كل ما هناك

يمصغ الرحل طعام عشائه ببطء ، على ضوء قنديل أنهكته عتمة تقبض النفس ، وينحي حدع المرأة الواهن على شي أمامها ، وهي محزونة كسيرة القلب ، ويداها الناحلتان تتراقصان بتناسق وأدب ، وتتألقان بحركة رشيقة حليقة براهب تتبع أصابعه حروف كتاب

وليس ثمة شيء سوى أنفاس الأغنام الثقيلة ، الروائح الكريهة التي تعبق في جو الرواق الرطب ، وبعض الأغنام الصغيرة تجول باحثة عند أمهاتها ثم تتعرف عليها من روائحها ، وأمهاتها رابضة تجتر أيامها على مهل ، ودبيب التاريخ المنقوص في قلب المرأة ، وأثقال السنين الجاثمة على وحه الرحل

تراخى جسده لهدهدة النعاس ، واستسلم بدنه المهدود لخدر لذيذ ، فهجع ، وسقطت لحيته على صدره ، ثم نام وهنا تركت المرأة أشياءها ،

وقامت إليه ، فمددته على جنبه ، ثم سحبت فو لحافا ، وابتدأت رحلة التحرر من سطوة عد، التعب ، فأخذت الدوائر الروحانية تتداح إشراق مضيئة مضببة لعالم نوراني زاه

فرأى الرجل نفسه صبيا يعلق من قدميه بسلسلة تتدلى من سقف الرواق ، ورآه حائرا وقد صاعت عنه السخال في نزوة لهو طفولية ، ورأى السخال وهي تعيث في الرروع ، وتشوّف التسامح الشفيف وراء قناع الغضب الكاذب على وجه والده

رأى نفسه صبياً يسرح بالسخال ، ثم يافعا يرعى الغنم ، ورأى نفسه شابا يوم تفشى المرض في الماعز فنفق معظم القطيع ، وحلم بالسنين العجاف التي ذهبت بوالده وبالبقية الباقية من الغنم

وأخيرا رآه ملوذا بخبال قنوط على مرأى من أغنام ـ لا يملكها ـ راحت تتحداه وتهز في وجهه أذنابها ، تتقافز أمامه وعرفها بالواحدة هذه لفلان وهذه لعلان هذه ل كان يسوق قطيعا لا يملكه ، يتجمع بين يديه في الرواق بالرأس ، والرأسين من سائر بيوت القرية ، يرعاه (على الدور) في مقابل وجبتي حليب القطيع في يوم الجمعة من كل اسبوع

تاريخ سحيق يمتد بعمق خمسين عاما أو يزيد ، عبرها الرجل راعياً لا يعرف غير الماعز والمراعي وتقلبات الفصول عوالم لا تتوقف عن الدوران في رحلة أبدية شموس تبزغ ، وشموس تغيب ، قطيع سارح وقطيع عائد ، ورحل لا يعرف التوقف ولا يعرف الراحة ، ولو ليوم واحد في حياته

وحتى في اليوم الأول من أيام العيد الكبير ، لم يكن يحظى بأكثر من ضحوية راحة ، يمر بها على ولاياه بقروشه القليلة ، ثم يعود مسرعا ويسرح بالقطيع فالغنم لا تتوقف عن الجوع في يوم العيد أيضا !

ظل يسرح طفلا ، ويسرح صبيا فيافعا وشابا ثم كهلا يسرح مريضا محموما ويسرح سليما ي ، يفرح الناس فيسرح ، ويحزنون فيسرح ، ميش القطمان في خلاياه وتنزف مسام جلده ، حولا ومراعى ، يسمي الأغنام مثلما يسمى الناس والأشجار والشموس ، يدعوها فتهرع ال

ـ ع أولا النقطاء ثم الحفـراء ، والترعـاء ،
ك ـلاء ، والعفراء ، والكحلاء ، والحربـاء ،
يرع الثني والربعي والفحل والفطيم وتهرع
إعناب والأغصان والجبال والشوارع والينـابيع
لنحوم

ويوم تجد احدى الجفراوات نفسها تتسكع حوله
ل المصطبة في أثناء تناوله العشاء ، لم تكن تنجو من
تأنيب طبعا !

كما لم يكن ممكنا أن تقضم رغيف الخبز دون أن
مرض للتقريع أيضا

يدفعها عنه قائلا (روحي الله يرضى عليك بلا
ع حيلي مهدوم) أو يقول لها
(ألا تتركيني حتى أكمل اللقمة يا كافرة ؟ !)
هنا ، تدرك العنزة المتسكعة ان هناك حدودا لما يمكن
، تحصل عليه

من هذا الكل المتآلف بدأ ينمو على أصابع المرأة
مل عظيم

مريم أو فاطمة أو عائشة أو خميسة أو أي اسم آخر
بعد يشكل فرقا ، فقد نسيت الأجيال اللاحقة اسم
رأة الحقيقي تماما ، وصاروا ينادونها أم التايه

فبعد بضعة أشهر من زواجها بدأت تشتهي الأشياء
غريبة في غير موسمها ، ثمرة « سريس » محمرة ،
عنقود بطم[1] ، شنار مشوى ، فقالت النسوة الأكبر
سا انه الوحام ، وبشرنها بالحمل المبكر

فرحت المرأة ، وراحت تتحسس خصوبة بطنها
لبكر وتتوه بين الأسماء ، وسرعان ما بدأت
تساؤلات الفضولية المضطربة تدغدغ مسامعها

- مادا ستسمي بكرك يا فاطمة ؟
- والله ما أنا عارفة ، مازلت تايهة
- مادا ستسمون الولد يا فاطمة ؟
- لا أعرف حتى يأتي الصبي نصلي على النبي
- ألم تهتد الى اسم بعد ؟
- محتارة والله . (وتايهة) بين الأسامي

وظل الأسم تائها على الألسنة .

ومر العام الأول ثم تبعه الثاني فالثالث والرابع الى
ان طلع لحمل ثلاثين حولا لا تنتقص ، دون أن
تصح ا مرة أو يحين أوان القطاف

فاستحكم اليأس في الخصاب ، وجف العود ،
وانطوى الحشا على نذر أمضه طول انتظار الوفاء

ولكن اسم (التايه) التصق بالمرأة مع الأيام ،
فصارت أما لولد لم يولد قط ، وطغى اسم (أم
التايه) على اسمها القديم الذي نسيته الأجيال
اللاحقة تماما

ودفنت المرأه أحزانها في نسج البسط ، وراحت
تتلمس تاريخها المنقوص في خيوط النسيج ، في الليل
تغزل الخيوط ، وفي النهار تنسجها في قطع جميلة
مدهشة

وفي السنوات الأخيرة ، وجدت نفسها غارقة في
قطعة نادرة ، دقيقة التعريق ، لطيفة الحواشي ،
فأخذت تعيش نسيجها على مهل . لم تكن تنسج ،
وانماكانت توقع أحزان أيامها على البساط

تنثني أصابعها السحرية النحيلة ، وتتراقص
كمناقير دقيقة تلتقط الحب ، فيحسبها الرائي تعزف
على وتر أو تتحسس وجه وليد

كان الممكن الوحيد لحياتها هو هذه الحياة الموزعة
بين البساط والرحل والرواق ، فأقبلت عليها بسخاء
عارم ، وشوق تبوح به أصابعها النحيلة ، في علاقتها
السرية بالخيوط

وتجسدت سنوات الشوق في خطوط وتعاريق ،
فبدأ الرواق على النسيج أكثر رواء الواجهة
الأمامية ذات الأقواس والبوابات المرفوعة على عمد
ركينة ، والرقاقات الكلسية التي حملتها النمنمات
الدقيقة بثقل الأيام

ومن الزاوية اليسرى يشع النور المتدفق من شق
في سماء اللوحة الرمادية على الخلفية المعتمة وتطل
من الجهة اليمنى عينان شائهتان في وجه موزع
الضياع بين الطفولة والكهولة الادعام التام لعالم
الوهم بالحقيقة عالم سحري نسجته المرأة ـ
الاصابع بصبر عبقري

وفي منتصف اللوحة ، تشمخ الأعمدة والقباب ،
وتتوزع بين جلال النور وعظمة الظلال ، وفي البهو
المسكون بالصمت الملغز تجول سخال حائرة بين
الأعمدة ، وتتزين الطاقات الدائرية في جانب
الرواق بأفاريز تبرز من حافاتها رموز وحشية لحيوات

---

(1) ـ اث ار البراري والجبال

أسطورية تلبست المرأة حالةً من الوعي المفرط بغموض كون غامض وخاص ، راح ينساب من رؤوس أصابعها شلالات ونوارع ورموزا
فكان الرحل وكان الرواق وكان البساط وتكونت امرأة

وقبل أن تكتمل اللوحة وينطوي البساط ، نطح المحل الأنقط أُمّ التايه ، بينما هو يهد على فحل آخر في نوبة من جنون النطاح
وكما يجدر بالفلاحة الفقيرة كتمت المرأة آلامها عن الرحل ، وباتت ليلتها في ألم لا ينفع فيه قول
وفي الصباح سرح الرحل كعادته منذ خمسين عاما ، وفي الضحى قذف الرحم الماحل بمصعة دموية قدر الكف ماتت لها المرأة تمددت على المصطبة وغنت الخاتمة

اليوم ماتت أُمّ التايه أسبلت عينيها على تاريخها القتيل ، وفردت الأصابع النحيلة على الحشا ثم ماتت غار فيها عرق الحياة ولكن الموت لم يستطع أن يطمس ذلك الغموض الوثني المتكهف في عتمة محاجرها ، فظل وجهها البيضاوي الشاحب مجلوا بلون كركمي باهت ، ينضو بصفاء نوراني صريح ، وفيض من تسامح صاف . ماتت أم التايه قبل ان تكتمل صورتها

(ثم شيء في وجهها أقوى من الموت) هتف في أعماق أبي التايه عندما عاد في المساء ، أخ الصدمة هزها وربت وجنتيها ، النبض ، وتحسس الجسد ، ولكن الأصابع الـ تهدلت كالمرع الذابل ، ثم تشنت بتراخ ، وتساة الى جانبها بصراحة مرعبة ، فأيقن الرحل أن أكثر موتا مما يظن

وكان المحل الأنقط مأخوذا بتجليات العر يتشمم السوائل المثيرة في أنثاه ، ويبعبع بشهوة (الضراب)
وفجأه انقض الرحل فحطم المحل فوق رأسه ثم حطمه بالأرض وفي نوبة هذيانه يمزق شعر الحيوان المهشم « أنت السبب يا كافر أنت السبب » وأمام رعب التساؤل العريري الـ في عيون البهائم المذعورة ، خمد الاعصار في الرحل ، فارتمى على المصطبة الى جانب المرأة غرق في النشيج
عندما كان الرحل يسوى قاع القبر و البساط تحت الجسد ، كان المؤذن يدعو الناس الظهر
ولأول مرة منذ خمسين عاما ، يتأخر الر موعده كل هذا الوقت ، قبل أن يخرج بقط المرعى

حضارات سادت ثم بادت ..

اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة الاتروسكان
أسلاف الرومان

الطريق إلى المقابر التي حرص الاتروسكان على أن تكون في باطن الأرض

ازدهرت حضارة (الاتروسكان) في ايطاليا طوال أربعة قرون ، فيما بين القرن الثامن والرابع قبل الميلاد ، ومعنى ذلك أنها عاصرت قرطاجة ومدن اليونان ، وعاصرت كذلك روما في بداية عهدها ، ولعل قصتها مع روما - اعتبارا من بداية القرن السادس وحتى بداية القرن الرابع قبل الميلاد - هي عشاة الفصل الأخير من حياة (الاتروسكان) وحضارتهم

أصول الاتروسكان مازالت طي الغموض ، فبينما يؤكد (هيرودوتس) انحدارهم عن أهل ليديا في آسيا الصغرى ، ويروي قصة نزوحهم عن الدويلة الغنية التي كان من ملوكها الملك قارون الشهير بكنوزه ، وبقصته مع صولون ، حكيم اليونان ، يذهب المؤرخ (ديونزيوس) إلى أن الاتروسكان ايطاليون أصلاء ، ولعل المؤرخ المذكور أحذر بالثقة في هذا الصدد ، فقد ظهر في بلدة (هليكارناسوس)

الايطالية - جارة بومبي ، وشريكتها في مصير الدمار الذي حل بها ، بسبب ثورة بركان فيزوفيوس - وظهر أيضا في القرن الأول ، وليس في القرن

الخامس (ق م) ، أي في القرن الذي ظهر فيه (هيرودوتس) .

ويتضاعف الغموض الذي يكتنف أصول الاتروسكان ، فلو حاولنا الرجوع إلى كتاباتهم التي تلاشى أكثرها مع ألواح الشمع التي كتبت عليها ، ومع ملفاتها ، ولم يبق من كتبهم ودواوينهم إلا النزر اليسير ، وقد حاول المؤرخون استنطاقه فاستعصى على التحليل ، لأن لغة الاتروسكان بقواعدها اللغوية وبمفرداتها تكاد تكون فريدة في نوعها ، إذ لا يشبهها شيء من لغات العالم القديم ، فهي تختلف عن اللاتينية ، لغة الرومان ، وتختلف أيضا عن لغة اليونان ، وهي اللغة التي أخذ الاتروسكان عنها حروف الهجاء ، وهي الحروف الفنيقية ومهما يكن من أمر فقد تبين لعلماء الآثار أن لغة الاتروسكان محدودة بقدر قلة مفرداتها ، وذلك خلافا للغتي اليونان والرومان

لاعجب إذن إن كانت الآثار والأطلال ـ لا النصوص والكتابات ـ هي المرجع الأول الذي يروي لنا قصة الحضارة الرائعة ، أما المرجع الثاني فهو ماكتبته الشعوب المعاصرة عنهم . ترى ماهي الصورة التي نخرج بها من هذين المرجعين عن حياة الاتروسكان وحضارتهم ؟
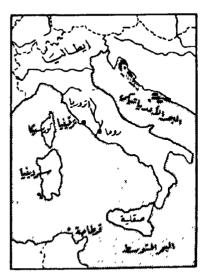
خريطة حضارة الاتروسكان

ترقينيا أهم مدن اتروريا :

عاش الاتروسكان في أواسط ايطاليا وعلى ساحلها الغربي ، واتروريا هو اسم المنطقة التي ظهروا فيها ، وسادوا ، وترقينيا هي المدينة الأولى بين مدنهم التي انتشرت في المنطقة ، والتي قد بلغ عددها ١٢ مدينة في القرن السادس قبل الميلاد ولو ذكرنا أن ترايهنوس هو البطل الاتروسكي الذي وضع حجر الأساس للوجود الاتروسكي في المنطقة لما استغربنا تسمية المنطقة باسم (اتروريا) نسبة إليه ، وقل مثل ذلك في (ترقينيا) التي أسسها بطل آخر من أبطالهم هو طرخون في القرن التاسع ق م ، على مرتفع صخري ، يعلو تربته رماد البراكين ،

وكان لترقينيا ميناء يقع على الشاطئ الغربي ، يعرف باسم (جرافيسكا) ، وكان لموقعه الاستراتيجي المسيطر على طرق الملاحة البحرية أثر كبير في ازدهار ترقينيا ، غير أن أكبر الأثر في هذا الازدهار يعود إلى عاملين اثنين ، أولهما سخاء الطبيعة في المنطقة ، حيث مياه الأنهار الوفيرة ، والتربة الخصبة التي ضاعف عطاءها الرماد البركاني الذي غطاها ، وثانيهما المعادن ، فقد كانت اتروريا غنية بالمعادن التي نجح أهلها في استخراجها من المناجم ، وفي صنع شتى السلع المعدنية منها ، علاوة على تصديرها

الحياة مرح وحبور :

كان الاتروسكان واقعيين بالفطرة ، فما دامت هذه الحياة الدنيا تفتح أمامهم طريق السرور والسعادة فلم لايمضون على هذا الطريق المغري الجذاب ؟ ولم يختارون الطريق الآخر ، وهو طريق البؤس والكآبة ، ماداموا مخيرين بين الطريقين ؟ لهذا كانت الرسوم واللوحات التي زينت بها جدران قبورهم ذات ألوان زاهية منعشة العريب أن هذه الألوان لم تبهت رغم مضي القرون ، أو لعله ليس بغريب ، لأنها في معزل عن ضوء الشمس

واختلفت المشاهد التي حوتها تلك الرسوم ، فقد ضمت مشاهد الولائم والرقص والموسيقا ، ومشاهد

● حضارة (الاتروسكان) ، أسلاف الرومان

نون مهم من يصيد الطيور ، ومنهم من يصيد الأسماك لعل في ألوان هذه اللوحة وفي الحركة الدائبة التي تكاد تنطق بها مايدل على روح الاتروسكان ، وحبهم للحياة ، ونزعتهم إلى المرح والسرور فيها

لطيور وصيد الأسماك ، ومشاهد المباريات
صة بأنواعها ، وشملت كل الالعاب الرياضية
رفها الاغريق ، كمصارعة الأسود ، أو إن
سمها مصارعة الموت ، وهي الرياضة التي
عنهم الرومان ، وأولوها جل اهتمامهم
حتلاف تلك المشاهد في التفاصيل فقد جمع بينها
لحياة ، والحرص على الاستمتاع بها ما أمكن ،
بينها أيضا تكريم المرأة ، بل قل مساواتها
ـ تماما ، بخلاف الاغريق الذين شاب نظرتهم
ساء شيء من الانتقاص إن لم نقل الاحتقار

ـدات الدينية :

يعجب المرء لاعتقاد الاوترسكان بالبعث بعد
، بالخلود ، ويعجب أيضا لجمعهم بين هذا
اد بين تعلقهم بالحياة الدنيا ، وبلذاتها ،
ومسراتها لقد آمنوا بأن الموت ليس فناء ، وإنما هو مجرد تحول أو انتقال من حالة إلى أخرى ، لذلك لم يجد الاتروسكان في الموت ما يخيفهم

أضف إلى ذلك أنهم اعتقدوا بالقضاء والقدر ، فالآلهة هي التي ترسم مسبقا حياة كل فرد من سكان هذه الأرض بتفاصيلها لا بخطوطها العريضة فحسب ، فالانسان في اعتقادهم مسير تماما لامخير ، ولهذا أقبل الاتروسكان على العرافة واستشفاف الغيب إقبالا لم يضاهم فيه أحد من شعوب العالم القديم ، لقد روت أساطيرهم قصة الفتى تاجس الذي خرج من حرث أحد الفلاحين حاملا معه فن التنبؤ بالمستقبل

أما الطرق التي سلكها هذا الفتى فشملت مراقبة البرق ، ودراسة الطيور في طيرانها ، وشملت أيضا فحص الكبد ، لاسيما كبد الاضاحي ، وجمعوا أشتات فن العرافة في كتاب عرفه الرومان وسموه

بعض أرباء الاتروسكان التي شاعت في القرن السادس ق م ماعدا زي الرحل الشبيه بالأرباء اليونانية الذي شاع في ترقينيا وسواها في القرن الخامس قبل الميلاد

المهج الاتروسكي وقد أولوه تقديسهم ، واعتمدوا عليه كثيرا في حياتهم ، إلا أن الاتروسكان فاقوا الرومان من حيث تقديرهم للعرافة ، واعتمادهم على العرافين

البناء والعمران .

وحسبك أنهم كلفوا العرافين بمهمة اختيار المواقع المناسبة للمدن التي أنشأوها ، وتحديد المواعيد المناسبة لمباشرة أعمال البناء ، وفيما عدا ذلك فقد التزم الاتروسكان بالمخططات الدقيقة المفصلة في بناء مدنهم ، فقد وضع مهندسوهم المدنيون الخرائط الخاصة بالشوارع ، والخرائط الخاصة بتصريف المياه ، وبالتمديدات الصحية في تلك الشوارع ، وتميزت شوارعهم بعرضها ، وحسبك أيضا أن الرومان ـ عباقرة العمران في العالم القديم ـ قداقتفوا أثر الاتروسكان في هذا الميدان

ومن طريف ما يذكر أن الرومان أخذوا عنهم شعارهم المعروف ، وهو عبارة عن رزمة من قضبان شدت لحول فأس ، ورأس الفأس بارز من أحد جانبي الرزمة ، والأطرف من ذلك أن موسوليني وحزبه الفاشيستي قد تبنى ذلك الشعار أيضا

ترقينيا وروما

لم ترد المسافة بين المدينتين على ٧٠ كيلو متراً ، ولعل المسافة الحضارية بينهما كانت أقل من ذلك بكثير ، فقد اعتلى عرش روما في عهدها الملكي القديم ملكان اتروسكيّان ، أحدهما ترقينيوس برسكوس (٦١٦ - ٥٧٩ ق م) ، وآخرهما هو آخر ملوك روما ، ترقينيوس سوبربوس (٥٣٤ - ٥١٠ ق م) ، إلا أن سوبربوس هذا طرد طردا ، تحت ضغط الجماهير من الرومان ، وذلك لأن ابن الملك اعتدى على إحدى فتيات نبلاء الرومان (لوكريشا) ، فانطلقت جموع الرومان الحاقدة الناقمة تجوب الشوارع بمظاهرات عارمة ، وظلت على ذلك حتى تم طرد الملك ـ والد الفتى المعتدي - وبذلك انتهى عهد الملكية الرومانية ، وبدأ عهد الجمهورية

ومنذ ذلك الحين مضت روما في صعود السلم ، ومضت ترقينيا في نزوله ، حتى كانت سنة ٣٩٦ ق م ، فإذا بإحدى مدن الاتروسكان تسقط في أيدي الرومان بعد حصار طال أمده (١٠) شهور ، ثم تساقطت مدنهم الأخرى بسرعة الواحدة بعد الأخرى ، وكأنهم استسلموا لقدرهم دون مقاومة □

البيت العربى

مجلة الأسرة والمجتمع

المرأة البحرينية
وحلم المشاركة
فى صنع الغد !

أمراض نسائية
غامضة ..

بقلم : ريم الكيلاني

لم يعد الحديث عن المرأة في البحرين يحمل في طياته ما كان يحمله بالأمس ، ولم يعد الناس ينظرون إلى المرأة على أنها مجرد وعاء يحتوي الأجنة ، فقد حققت المرأة إنجازات كثيرة في ميادين الحياة المختلفة

كانت البداية منذ خمسين عاما ، سارت خلالها المرأة البحرينية في طريق طويل شاق ، وهي تضع نصب عينيها هدفا واضحا جليا ، وهو بناء مجتمع متطور ، تشارك فيه المرأة كالرجل تماما ، وعلى الرغم من صعوبة الطريق الذي بدأ عام ١٩٢٨ بفتح أول مدرسة لتعليم الفتاة ، استطاعت أن تحقق جزءا كبيرا من طموحاتها ، لكن ماذا كان قبل عام ١٩٢٨ ؟

كفاح من أجل البقاء

لا يمكن فصل دور المرأة عن البيئة التي تعيش فيها ، فالظروف الاجتماعية والاقتصادية تؤثر ـ سلبا وإيجابا ـ على دور المرأة وتطورها ، وقد كان لخصوصية المجتمع البحريني أثر في دفع مسيرة تطور المرأة وتقدمها

عن سمات مراحل تطور المرأة البحرينية تحدثنا الشيخة نَيْلة علي الخليفة مديرة إدارة التراث والمتاحف فتقول

« لقد فطرت المرأة البحرينية على الكفاح ومشاركة الرجل في المعيشة ، فقد كانت في مر الغوص تقوم بدورها في الأسرة في أثناء غياب الرو في رحلات الصيد ، وجلب اللؤلؤ ، وذلك بتد شئون بيتها كاملة بعض النساء كن يعملن في بيو الأغنياء ليعلن اسرهن ، كما كانت تقوم بجلب ا الصالح للشرب من المصادر الطبيعية كالعيون والآ التي تبعد مسافات طويلة عن مكان السكن شاركت الزوج في الزراعة والفلاحة وبيع الأسـ التي يصطادها ، وعملت في تربية الدواجن بالاضافة الى بعض الاعمال اليدوية التي ما رست كالحياكة ، وصنع السلال ، وموائد الطعام سعف النخيل .

ولم تكن حتى ذلك الوقت قد نالت الشيء الـ من العلم ، فانصب جل اهتمامها على تربية أط ورعايتهم ، وكانت هي الأم والأب في أثناء غياب الزوج في البحر التي قد تمتد لعدة شهو

ـ برغم التطور الذي حققته المرأة ، فهي ما تزال تحتفظ بذكرى الماضي وبتقاليده العريقة

ولقد كانت برغم الحياة البسيطة التي تعيشها تثبت وجودها في كل لحظة داخل البيت وخارجه »

وتستطرد الشيخة نَيْلة « وبعد اكتشاف النفط ، وجدت المرأة أبواب العلم مفتوحة أمامها ، فدخلت منها لتخرج للحياة الحديثة في ثوب جديد ، لا يتنافى مع عادات وتقاليد مجتمعها المحافظ ، وإنما يواكب مسيرة النهضة والتطور

وبدأت في الصعود درجة درجة من مدرّسة الى ممرضة ثم مهندسة فطبيبة ، وفي البحرين اليوم المرأة الغواصة والباحثة والعالمة ولم يعد هناك مجال حكرا على الرجال فقط ، فقد عملت مبرمجة للكمبيوتر وصيدلانية ومحامية ، وترتب على ذلك أن حققت استقلاليتها الاقتصادية ، وأصبح لها كيانها المستقل في المجتمع ، وتغيرت بذلك نظرة المجتمع لها ، من كونها تصلح للأعمال المنزلية وتربية الاطفال،فقط الى الايمان بضرورة مشاركتها للرجل في عملية التنمية

لقد كانت نظرة المجتمع للمرأة ترى عدم انخراط المرأة في الاعمال المهنية أو الصناعية ، واعتبارها أعمالا مقتصرة على الرجال ، ونحن في حاجة لنساء يسرن بخطوات جريئة ليقتحمن هذا المجال ،

ويعملن في المجالات الحرفية والمهنية ، وقد خطت بعضهن فعلا خطوات سريعة ، فعملن في المصانع كمهندسات وفنيات ، وقد يزيد الاقبال على هذه الأعمال مع افتتاح مصانع وطنية،وفتح فروع للتعليم الصناعي والمهني للفنيات ، مما قد يتيح لهن الفرص للتفوق »

مزاحمة أم منافسة ؟

تمثل النساء جماعة متميزة عن غيرها ، حيث ان لها خصائص فيسيولوجية وحضارية تخضع لعدم المساواة ، كما أن التنشئة الاجتماعية للمرأة تنمي لديها الشعور انها عضو في جماعة هامشية ، وتجعلها تتقبل دورا خاصا بها يميزها عن الرجل في المجتمع

السيدة زهرة التناك المشرفة على الأسر المنتجة بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل تقول « قد يعتبر الرجل أن دخول المرأة الى ميدان العمل ، ومحاولاتها المتعددة لاثبات قدرتها على العمل والانتاج ، مزاحمة له في ميادين العمل التي هي أساسا حكر على الرجل فقط ، خصوصاً أنها بدأت فعلا تصل بنجاحها وانجازاتها لكثير من المراكز المهمة والحساسة

ولكنني أرى من وجهة نظر شخصية ، أن مشاركة المرأة وعملها في المجتمع حق رئيس لها ، فعملية بناء المجتمع لا تعني فقط انشاء بنيان أو تشييد جسر أو تنفيذ مشروع ، ان البناء الحقيقي وهو بناء الفرد تنشئة وتربية بأسلوب تربوي متقدم، والأم كما هو معروف مدرسة ، وهي التي تعلم وتزرع القيم والمبادىء ، وهي التي تغرس الخير أوالشر في النفوس ، وهي التي تخلق انسانا واعيا قادرا ، أو فردا ناقصا يصبح في المستقبل عالة على المجتمع ، فكيف يمكن اذن ـ والمرأة تؤدي كل هذه الأدوار ـ أن يسمو فرد ويتطور مجتمع نصفه الأساسي معطل ؟

ان عملية البناء تتطلب اشتراك جميع أفراد المجتمع ، ولا بد من أجل مجتمع أفضل أن تناط مسئولية التنمية بكل الفئات والأجناس ، وألا تبقى حكرا على فئة أو جنس معين

ان ايماننا بكل ذلك جعلنا نسعى للتطور داخل الجمعيات والمنظمات النسائية ، ومن خلال الوسائل الاعلامية ، حتى تمكنا من تحقيق منجزات خاصة بنا، نثبت من خلالها للرجل أننا قادرات على العمل والانتاج من أجل بناء البحرين » .

ـ هكذا تعمل النساء في مركز الأسر المنتجة

المرأة والعمل

وتستطرد السيدة التناك فتقول « تتفق نساء البحرين على ضرورة العمل لاكتساب خبرات ومهارات جديدة للمستقبل وهي تعمل من أجل تحقيق اتصالها بالعالم خارج نطاق الأسرة، والتعرف على أناس وأصدقاء خارج هذا النطاق

اننا كمجتمع خليجي لا نستطيع انكار سيطرة العادات والتقاليد بقوة ، ويذكرنا هذا بنظرة « دوركايم » بعلم الاجتماع التي تقول « ان الفرد نفسه لا قيمة له داخل المجتمع ، ولكن العرف والتقاليد بصفة عامة هي التي تحدد للأفراد مسارهم »

وفي البحرين حيث تبدو التقاليد قوية ، فإن الذي يعطى للمرأة مركزها الاجتماعي ليس ماتقوم به من عمل ، وانما هو على العكس من ذلك ، فان اقترانها بزوجها هو الذي يحدد نوع المركز الاجتماعي

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن تلاقي المرأة صعوبة في الخروج للعمل وصعوبة في تبوء المراكز الحساسة ، خصوصاً بعد أن اعتاد الرجل أن يكون هو السيد في كل شيء ، ولكن الوضع اليوم تغير ، فهي اليوم ترفض إلاّ أن تكون عضوا أساسيا وفعالا في كافة المجالات ، ولم تعد تقنع بأن هناك بابا يمكن أن يوصد في وجه طموحاتها

من هذا المنطلق بدأت الحركة العملية للمرأة في البحرين ، ! ان احساسنا بعظمة المسئولية الملقاة على عاتقنا ، من تنشئة للأجيال واعدادهم كمواطنين اعداداً تربوياً متكاملا ، جعلنا نسعى دوما - كأمهات - الى تأمين راحتهم وتوفير احتياجاتهم

ولما كان دور المرأة في المجتمع فعالا وبناءً فقد كان لا بد من وقوفها مع الرجل تشاركه وتسانده في حمل أعباء الحياة الحديثة

ولكن ، كيف لامرأة أن تعمل خارج المنزل ، وتغيب عن واجباتها نصف يوم تقريبا ، دون أن تجد راعيا أو مهتما بشئون أطفالها ؟ .

كانت بداية الحركات النسائية في البحرين تعمل من أجل راحة المرأة ، دون اهدار حقها في العمل والانتاج ، وبدأت بعدها المشاريع والأهداف تخرج الى حيز الوجود واحداً تلو الآخر

وقل اعملوا

« أتمت جمعية رعاية الأمومة والطفولة في البحرين خمسة وعشرين عاما من العمل التطوعي الاجتماعي وفي اكتمال ربع قرن من العمل المتواصل للجمعية ، دليل واضح على التوجه السليم والتصميم الأكيد على مواصلة الخدمة الاجتماعية التطوعية ، التي هي اليوم مقياس لتطور الشعوب ونهضتها »

هكذا قالت السيدة سلوى العمران نائبة رئيسة جمعية رعاية الطفل والأمومة وأضافت « بدأت الجمعية بنخبة من السيدات بلغ عددهن حينذاك ٣٠ سيدة ، كن يجتمعن في بعض البيوت لتقديم الخدمة المطلوبة منهن لأي فرد في المجتمع ، وذلك بعد أن تعرقلت فكرة اقامة ناد للسيدات ، هدفه عمل الخير وتقديم المساعدة للمحتاج ، وتوجيه الأسر . بعدها قمتُ ومجموعة من زميلاتي برفع رسالة للمسؤولين ، بخصوص طلب رخصة للجمعية ، وتمت الموافقة على رسالتنا ، وافتتحت الجمعية في ٢٠ يونيو ١٩٦١ ، وكانت الأماني في ذلك الوقت معلقة على انجازات الجمعية التي وضعت لنفسها منهاجا خاصا لا تحيد عنه

لقد سعينا أولاً لمساعدة الأمهات على الارتفاع بمستواهن المعيشي والثقافي والاجتماعي ، ليكنّ امهات صالحات ، يحسنَّ تنشئة الجيل الصاعد ، والأخذ بأيديهن نحو تطبيق مبدأ التضامن الاجتماعي علميا ، والمشاركة الايجابية في خدمة الوطن ، الى جانب اهتمامنا برعاية وتنشئة الأطفال في سن ما قبل المدرسة ، وتهيئتهم للمرحلة الابتدائية

ولم يكن الاهتمام مقصورا على هذه الفئة من المجتمع ، بل تم الاهتمام بالأطفال المعوقين سمعيا وعقليا ، وأخيرا ، تأهيل وتوعية الفتيات والأمهات في الريف ، ورفع مستواهن المعيشي والثقافي والاجتماعي

الحياة أمل

ونكمل مع السيدة العمران حديثها فتقول « تأسس معهد الأمل عام ١٩٨٢ - وهو امتداد لمدرسة بيت الأمل التي تأسست عام ١٩٧٧ - ليسد حاجة ماسة للخدمة التربوية المتخصصة في مجالات التربية الخاصة ، وكان المعهد نتيجة طبيعية نابعة من ادراكنا كأمهات لضرورة رعاية المعوقين ، وايمانا منا بقدرة تلك الفئة على اكتساب المهارات المختلفة التي تساعدها على تنمية قدراتها ، وتحقيق معايير الاستقلالية الشخصية

قامت على هذا المشروع مجموعة من نساء

البحرين المؤمنات بضرورة الاهتمام بهذه الفئة من الأطفال حتى لا يكونوا عالة على المجتمع أو على افراد أسرهم ، وقد أيدت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل هذه الفكرة فقدمت لنا كل مساعدة ممكنة ، وقد قمنا بوضع برنامج تربوي فردي قدمناه للمعوقين في المعهد من أجل تطوير قدراتهم الى أقصى حد ممكن ، وتطوير المهارات وانماط السلوك التي يحتاجها المعوق في حياته اليومية ، ومحاولة تنمية القدرات التي تجعله يعيش بأسلوب أقرب ما يكون الى الحياة العادية

وتحرص المشرفات والمربيات العاملات في مجال رعاية هذه المجموعة من الأطفال ، على مساعدتهم في تنمية المهارات التي من شأنها مساعدتهم على مواجهة متطلبات حياتهم اليومية ، بأكبر درجة ممكنة من الاستقلالية والكفاية الشخصية ، ولم تغفل الوزارة ضرورة عمل دورات تدريبية ، وتشجيع البحوث والدراسات المتعلقة بهذا الشأن التي سيكون لها دور في رفع مستوى الخدمات المقدمة للأطفال المعوقين

ويقدم المعهد أيضا خدمات طبية متخصصة للأطفال المعوقين عقليا ، بالتعاون مع وزارة الصحة ، وبعض العيادات الخاصة ، بهدف توفير الأجواء المناسبة صحيا للأطفال ، وكذلك بهدف التغلب على بعض الصعوبات التي تتدخل في عملية تعلم الطفل لكثير من المهارات

وهناك نية لزيادة عدد الأطفال المستفيدين من الخدمات المقدمة للمعوقين عقليا وسمعيا في المستقبل

أم لكل الأطفال

من أجل مساعدة المرأة والنهوض بمستواها الاجتماعي والعملي ، اعطيناها حقها في العمل ، وهي واثقة من أن طفلها يتمتع برعاية كاملة في دور الحضانة

وقد افتتحت أول روضة أهلية في البحرين عام ١٩٦٥ ، ثم تلاها رياض أخرى ، والهدف من هذه الرياض ودور الرعاية مساعدة الأم في تربية وتنشئة أطفالها ، والارتفاع بمستواها المعيشي ، و تربية الأطفال في جو تتوفر فيه الصحة والرعاية الخلقية والدينية والاجتماعية ، ويتوفر في رياض الأطفال هذه مدرسات تخصص في مجال رعاية وتربية الأطفال ، وهن يعملن على ابراز شخصية الطفل باعتباره كائنا له شخصيته المستقلة ، وعالمه وأحاسيسه الخاصة، فيجب مراعاة هذه الشخصية وملاحظتها ، لتنمو وتستقيم ، وهم لا يقيمون في دور الحضانة بعيدا عن أية مشاركة اجتماعية ، بل يشتركون في كثير من المناسبات الوطنية والاجتماعية والدينية والأعياد ، كما يقومون بزيارات ميدانية للاطلاع على معالم بلادهم ، وتعمل المشرفات على حل مشاكل الأسر اذا دعت الحاجة ، وذلك مراعاة لحالة الطفل النفسية

وما زالت المرأة البحرينية تسعى لتوفير مناخ مناسب وملائم للأطفال ، لا يشعرون معه بالغربة والبعد عن الأم ، وقد تم بناء على ذلك وضع مناهج تربوية حديثة في تربية الأطفال تعتبر دليلا للمربية وتتضمن ارشادات وخبرات ووسائل تربوية ، ومفاهيم وأنشطة تعليمية هادفة

نحو عمل تطوعي

ان اسهام المرأة البحرينية في بناء مجتمع أفضل لم يقتصر على رعاية الأطفال والاهتمام بهم فحسب ، بل هي ما تزال تسعى وتمد يد العون للأسر محدودة الدخل التي لا تجد لها معيلا ، وهي بذلك تحاول أن تجعل كل فرد في المجتمع قوة انتاجية لا تنتظر احسانا من أحد بل تعمل لكفاية نفسها

هكذا تعود السيدة زهرة التاك لتؤكد على نجاح مسيرة المرأة في البحرين

« لقد كان مشروع الأسر المنتجة من أجل رعاية الأسرة ، والوصول بخدمات الرعاية والتنمية الى مواقع أقرب ما تكون للمستفيدين من المواطنين ومساعدة الفرد والأسرة لاكتساب المعرفة والمهارات

ـ ابتسامه الأطفال وفرص اللهو المتاحة لهم خير دليل على نجاح مشروع رياض الأطفال

العملية ، ومساعدتهم في تنمية مواردهم ، وهو أيضا يسمي المشاركة الأهلية من قبل المواطنين بصورة فعالة ، لضمان تحقيق احتياجات الأهالي الفعلية

يتضمن هذا المشروع أربع مشرفات ، يقمن بالاشراف على اربعة مراكز ، يتخللها هذا المشروع ، وهي المحرق ، المنامة ، والرفاع ، ومدينة عيسى ، يقدمن للفرد وللأسرة المساعدة لاكتساب المعرفة ، والمهارات العملية ، والمساعدة على تنمية الموارد .

بدأ تنفيذ فكرة المشروع بعد عمل دراسات استطلاعية لرأى الأهالي الذين تخدمهم المراكز ، وذلك بهدف تحديد احتياجاتهم الفعلية والأنشطة التي حب أن تتم من خلالها ، كذلك فقد قمنا بعمل اسة لبعض الخامات المتوفرة في البيئة لتحديد أوجه دمات التي سيقدمها كل مركز في هذا المجال وتضيف السيدة زهرة قائلة « وهذا المشروع لن من مستوى معيشة الأسرة فقط ، بل سيغير من شكل وطبيعة المساعدات التي تحصل عليها الأسرة من وزارة الشئون ، وذلك عن طريق نشر وتدعيم الصناعات البيئية والمنزلية ، مثل صناعة السجاد والسلال الكبيرة التي تستخدم لحفظ الملابس والموائد التي يوضع عليها الطعام ، واقفاص الدجاج ، الى جانب صناعة الغزل والنسيج ، وعمل قطع كبيرة من الأقمشة تستخدم في عدة مجالات ، كما توفر امكانية تسويق منتجاتها عن طريق انشاء معارض لبيع هذه المنتجات »

ولكن هل هذا هو كل ما حققته المرأة البحرينية

إنّ طموح المرأة في البحرين لم يتوقف ، ففي البداية كانت تتحرك بدافع تحقيق المساواة بينها وبين الرجل ، وحين منحت هذا الحق بدأت تسعى الى التفوق العلمي والثقافي والاجتماعي ، ولم يعد هناك مجال لا وجود فيه للمرأة □

هو..

عاطفة ساذجة

● سوف يفسد أبناءنا بطيبته ، وعجزه عن الحزم ، فالتدليل الزائد والطيبة المفرطة لا تؤديان الا الى مزيد من التهاون والاهمال لدى أبنائنا دائما أقول له ان هناك قواعد في التربية ، وأن الحسم هو محور كل هذه القواعد ، وأشرح له وجهة نظري في أن الحسم لايتعارض مع الحب ، وأن القسوة ليست معناها الكراهية ، وبالنسبة لي ـ أنا بالتحديد ـ فأرى أنه لا يمكن أن يدور بذهن أحد أن هناك أما تكره أبناءها ، وكثيرا ما كنت أقول له ان التدليل يمكن أن يكون له مجاله ، وأوقاته ، لكن هناك أشياء لايمكن التدليل فيها ، والا فسد الأبناء فسادا لا يمكن تداركه نصف خلافاتي معه حول مذاكرة الأولاد ، ونتائجهم في المدارس ، فمنذ اليوم الأول لالتحاق الأبناء بالمدرسة وأنا أعلمهم لكي أخلق عندهم الاعتياد أن هناك واجبا منزليا ، وأن هناك اعدادا لدروس الغد ، وأن هناك ساعات للجلوس على المكتب للمذاكرة ، حتى

في الأيام التي لايطلب منهم أساتذتهم أداء واجبات معينة أجلس معهم لكي نرسم ونلون ، فينبغي أن يعتاد الطفل منذ أول عام له في الدراسة أن هناك وقتا للعمل ، وأن هناك أداء مطلوبا منه ، وأن عليه أن يبذل جهدا في التحصيل واجتزت معهم السنوات الأولى ، وبلغ الأبناء مرحلة الامتحانات الشهرية ونصف السنوية ، ورغم أنهم ما زالوا في مرحلة الانتقال التلقائي من فصل الى فصل الا أنني أولي امتحاناتهم ونتائجهم اهتماما شديدا ، وقد وضعت نظاما للثواب والعقاب ، وكما يتدرج الثواب فان العقاب يتدرج أيضاً وهنا تثور ثائرته ويحتج ويتوسط للعفو عنهم ، أو يجلس معهم يصالحهم ان لم أكن موجودة ، ويدللهم ويهون المسألة كلها ، بدءا من سبب العقاب وانتهاء الى جنس العقاب نفسه ، ويبادر كثيرا الى اثابة المخطىء والمقصر منهم أحيانا بقدر يفوق ما منحت المجيد منهم من ثواب ، وهنا تثور ثائرتي ، فيقابلني هو ببرود شديد ، ودعاوى غريبة من مشاعره وحبه لهم ، وعدم استطاعته لرؤيتهم وهم يعاقبون ، فأصرخ وأثور ، وأقول له إنك في لحظة عاطفة ساذجة ، تفسد ما أفعله ، والعاطفة ليست مشاعر بلهاء ، تتدفق بلا معنى ، لكنها تحتاج الى قدر كبير من العقل والتوجيه ، وهذا لصالحهم هم ، ولمستقبلهم ، ولكن دون فائدة

هي

هي..

فرط حب

● دائما تبالغ في تقدير الأمور ، وفي الاهتمام بالأشياء ، ودائما أقول لها إن المطلوب منا قدر من التوازن ، فاذا شد أحدنا طرف الخيط في معاملة الأولاد فعلى الثاني أن يرخيه ، والا فإن الشدة المستمرة ستدفع أبناءنا الى نتائج أكثر خطورة من تقديرنا ، لكنها تمارس معهم كل مشاعر الأمومة وحنانها ، الا في موضوع الاستذكار والمدرسة ، أحاول أن أفهمها أن هذه الصرامة قد تجعل الأبناء يكرهون العلم والتعليم ، لكنها تقول المهم أن يعتاد الأبناء احترام العلم ، والحرص عليه ، والاهتمام بواجباتهم أتناقش معها ، وأقول لها انهم ما زالوا في المرحلة الابتدائية ، ومازالوا في مرحلة النقل التلقائي من فصل الى فصل ، وأن الأبناء عندما يكبرون سيشعرون بأهمية التفوق ، وأهمية الاهتمام بالمدرسة ، وأن مستقبلهم مهدد اذا لم يلتزموا ، ويأتي ردها على كل هذا المنطق أن هناك أشياء هامة في التربية تبنى ـ أساسا ـ على الاعتياد ، وأن الطفل اذا لم يتعود منذ الصغر على قواعد عامة في تنظيم يومه فانه سيكبر وسلوكه اليومي غير منتظم ، وليس صحيحا ـ هكذا تقول ـ أن نترك الأبناء لهواهم ، يلعبون وقت ما يشاؤون ، ويستذكرون حين يشاؤون ، بل عليهم أن يتعلموا أن هناك وقتا محددا للعب ، ووقتا محددا للاستذكار ، وهذا الاعتياد هو الذي يغرس في نفوسهم النظام ، واحترام قيمة الوقت ، وتعلم حسن تدبير ساعات العمل وأمام منطقها هذا الزم الصمت ، ولكن قلبي لايطاوعني ، ولا يتحمل رؤية أحدهم يبكي لحرمانه من شيء ، أو لمجرد أنها عصبت منه والذي لا أفهمه أن الأطفال رغم كل هذا أكثر تعلقا بها مني ، فما أن تلوح بعضبها حتى تسود الدنيا في وجوه أطفالي على العكس مني تماما،واذا لوحت لهم ـ ولو بضحك ـ أني غاضب فانهم يسرعون الى أمهم ، وينفطر قلبي كلما رأيتهم يحبونها كل هذا الحب وهي تقسو عليهم كل هذه القسوة ، وتعاقبهم ، فأبدأ في مصالحتهم ، واللعب معهم ، وأغدق عليهم الحلوى والنقود والوعود بنزهات كثيرة ، لكنهم رغم كل هذا لايبتسمون الا اذا ابتسمت هي ، وهي لاتبتسم ، بل تثور في وجهي ، وتنتقد طريقتي هذه ، وتصرخ ، لكنني مهما كانت ثورتها لا أحتمل أن أرى أطفالي حزانى

هو

أمراض نسائية غامضة

بقلم : الدكتور علي مبارك *

قد تفاجأ المرأة بأن نسيج خلايا بعض المواضع في جسدها من نفس نسيج بطانة الرحم ، وتبدأ الشكوى من حالات النزيف أو التجمع الدموي غير مدركة أن هذه الخلايا تؤدي وظائفها - كما هي في الرحم - مستمرة بظاهرة الدورة الشهرية

في القاموس الطبي العربي الكثير من المصطلحات والتراجم الطبية التي يصعب على القارىء المتتبع أن يستسيغها لفظا ومعنى، وهي بالتأكيد قد تكون من أعماق لغتنا العربية الأصلية ، ولذلك استسهل المترجمون والأطباء استعمال المصطلحات العلمية كما هي

ومصطلح « انتباذ بطانة الرحم » قد يبدو غريبا للكثيرين من ممارسي الطب ، وقد لاتعرف الغالبية منهم أنها تعني المرض النسائي « اندوميتريوسر » فما هو هذا المرض ؟

قبل أن نخوض بطبيعة هذا المرض لابد من شرح مبسط لتشريح وظائف الرحم ، فالرحم من الأعضاء التناسلية الداخلية عند المرأة السوية الطبيعية الخلق ، وواجباته الأساسية هي استضافة البويضة الملحقة بالحيوان المنوي لتتطور الى جنين ، خلال فترة الحمل الطبيعية البالغة (٢٨٠) يوما أو (٤٠) اسبوعا رحميا ، أما خلال فترات ما بين الحمل فالرحم هو المصدر الاساسي لافرازات الحيض المتكونة من أسجة بطانة الرحم المتهتكة ، مخلوطة بالافرازات الدموية والمخاطية وبعض الخلايا من عنق الرحم وجدران المهبل ، وهذه الظاهرة الطبيعية تحدث بانتظام دوري كل (٢٨) يوما ، وفي بعض

* طبيب أول استشاري رعاية الأمومة - بوزارة الصحة - الكويت .
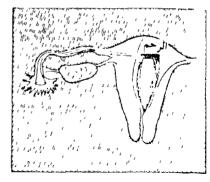
شكل (١)

رسم تخطيطي للرحم وبطانته وقناة فالوب

شكل (٢)
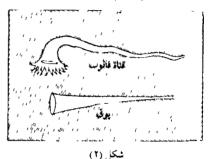
رسم تخطيطي يقارن بين شكل قناة فالوب والبوق

النساء كل ٢١-٢٦-٣٠-٣٥يوما ، ويكون المحرض الرئيسي لها الهرمونات الأنثوية التي يفرزها المبيضان ، وبدورة دقيقة منتظمة ومتناسقة

ان افرازات الحيض هذه تشمل بطانة الرحم التي هي عبارة عن نسيج اسفنجي القوام ، سهل الانفصال عن جدار الرحم العضلي القوي الذي يشكل القاعدة الأساسية التي لايصيبها مثل هذا التهتك النسجي في فترة الحيض ، بل تبقى المصدر الرئيسي لاعادة بناء البطانة دوريا ، وبانتظام أيضا خلال فترة الـ ٢٨ يوما ، هذا التسلسل الدوري يسمى « الدورة الشهرية » ويمكن - لغرض دراسي - تقسيمها الى ثلاث مراحل متلازمة مستمرة ، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الحيض التي تستمر من يومين الى سبعة أيام ، وعند انتهائها تبدأ بطانة الرحم بالتكون مجددا خلال الأيام العشرة التالية ، بتأثير أحد هرموني المبيضين ، ويكتمل نضوج بطانة الرحم تحت تأثير هرمون آخر من المبيضين أيضا ، ويقصد بالنضوج هنا هو ازدياد وتغيير في عدد وطبيعة الأوعية الدموية واللمفاوية والافرازية التي تحتويها بطانة الرحم ، استعدادا لحمل متوقع في كل دورة شهرية ، وعند عدم حصول هذا الحمل تتهتك هذه البطانة كما أسلفت ، وتخرج على هيئة افرازات الحيض ، وهكذا تتكرر هذه الدورة بهذا الانتظام الدقيق

ولاتمام الصورة التشريحية لابد من الكلام عن البوقين أو « قناتي فالوب » ، نسبة الى من وصفهما في البداية ، فهاتان القناتان تسميان بالعربية بالبوقين نظرا لشبه الواحدة منها بالبوق ، فتنفتح كل واحدة منها في التجويف الرحمي في الزاوية العليا لجانب الرحم ، أما طرفها الآخر الذي يشبه نهاية البوق فينتهي بزوائد تشبه الأصابع تلامس المبيض المجاور ، وتكون فتحتها مقابلة له أيضا ، وواجباتها هي احتواء البويضة المتحررة من المبيض في منتصف كل دورة شهرية ، واحتضانها لكي تقابل الحيوان المنوي الصاعد لها من المهبل ، لاتمام عملية التلقيح في الثلث الأول منها ، حيث تبدأ البويضة الملقحة مسيرتها باتجاه التجويف الرحمي ، لتقطع هذه المسافة بحوالي (٦) أيام ، وتنتهي داخل التجويف الرحمي ذي البطانة المهيأة ، كما ذكرت آنفا لاحتضان واستضافة الجنين

ان القصد من هذه المقدمة هو تثبيت حقيقتين مهمتين - الحقيقة الأولى التي يجب التأكيد عليها ، أن نسيج بطانة الرحم هذا يتمتع بخاصية فريدة لايتمتع بها أي نسيج آخر ، وهي الاستجابة لتأثير هرموني المبيضين بالصورة المذكورة آنفا ، ومعنى هذا أن أية قطعة من هذا النسيج مزروعة في أي مكان من

الجسم البشري تتأثر بمفعول هذين الهرمونين ، فتحدث فيها التغييرات الفسيولوجية الدورية المشروحة في البداية ، بما فيها النزف الدموي الذي ينزل على صورة الحيض ، والحقيقة الثانية أن البوقين مفتوحان الى داخل التجويف البطني من جهة ، والى التجويف الرحمي من الجهة الثانية ، ومعنى هذا أن بعض افرازات الحيض قد تتسرب من داخل التجويف الرحمي الى داخل التجويف البطني ، وتستقر بقاع الحوض ، وعلى أي من الأعضاء الموجودة فيه

ما هي ظاهرة (انتباذ بطانة الرحم) ؟

ان انتباذ بطانة الرحم حالة مرضية نسائية تتميز بزرع قطع نسيجية من بطانة الرحم في أي مكان من جسم المرأة بدون استثناء ، واستمرارها بظاهرة الحيض المشابه لما يجري في بطانة الرحم اصلا ، ونتيجة لهذه العملية يحصل تجمع دموي قد يتكيس ويكبر ، وعندما ينفجر ينتشر في المنطقة المحيطة ، لتزيد الحالة سوءا ، ومن ثم تؤدي الى تحولات بعد أن يتحلل هذا السائل الدموي ، لينتهي بتكوين التصاقات نسجية متليفة قد تحدد حرية حركة الأعضاء المجاورة ، أو قد لايحصل هذا التكيس ، بل يستمر النزف الدموي في الفراغات المحيطه ، ويؤدي أيضا الى نفس النتيجة

أين يحصل الزرع ؟

من الأماكن التي تحصل فيها هذه الظاهرة أنسجة وجدران المبيضين نفسها ، وهي المكان الأكثر شيوعا ، حيث تبلغ نسبة الاصابة حوالي ٥٠٪ من الحالات ، كذلك جدران الرحم العضلية ، وقاع الحوض والأربطة النسيجية المحيطة بالرحم ، الا انها قد تحصل في أي مكان كما ذكرت ، حتى في العينين أو راحة اليد أو جدران البطن والسرة وجدران الأمعاء والحالبين ، ولكن كيف يحدث الانتباذ في تلك الأماكن البعيدة التي ليس لها اتصال مباشر مع الرحم أو البوقين أو حتى فراغ الحوض ؟ هذا ما تحيرت فيه النظريات العديدة المطروحة ، منذ أن اكتشف هذا المرض أول مرة من قبل الدكتور « روكيتانسكي » في عام ١٨٦٠ ، فبعض النظريات تقول انه نتيجة لتسرب بعض افرازات الحيض المحتوية ـ كما ذكرت ـ على بعض انسجة بطانة الرحم خلال البوقين ، والاستقرار في قاع الحوض ، ثم النمو كنسيج مشابه لبطانة الرحم

والبعض الآخر منها يذكر أن بعض هذه الافرازات والأنسجة قد تدخل الى الأوعية اللمفاوية ، أو حتى الأوردة الدموية ، ثم تنتقل خلاياها لتستقر في أماكن بعيدة

في حين تقول نظريات أخرى انه نتيجة لبعض التحولات في طبيعة خلايا بعض الأنسجة التي تنحدر أصلا من نفس مصدر أنسجة بطانة الرحم ، وبهذا التحول فانها تجاري بطانة الرحم في ظاهرة النزف الدموي في أثناء فترة الحيض ، وتسبب أكياسا دموية أو أوراما مليئة بالدم الذي تغيرت طبيعته على مر الزمن ، وأصبح على شكل سائل كثيف لزج بني غامق اللون

ولكل نظرية من هذه النظريات براهينها وحالاتها ، الا أن أية واحدة منها قد لاتفسر وجود الانتباذ في أماكن أخرى ، ومن هنا استمر البحث والتقصي لتفسير هذه الظاهرة حتى عام ١٩٨٠ حين ظهرت نظريتان حديدتان

النظرية الأولى تقول بخضوع هذه الظاهرة لعوامل توارث عائلية ، أولها جوانب متعلقة بعوامل نقل الصفات الوراثية أو الصبغيات ، وكان صاحب هذا الرأي هو مجموعة الدكتور سمسون المنشورة في المجلة الأمريكية لأمراض النساء والولادة في عددها المرقم ١٣٧ لعام ١٩٨٠ ، وقد أجريت دراسة تحليلية على مجموعة من النساء المصابات بهذا المرض فوجد أن الاصابات تنحصر في الامهات وبناتهن بنسبة أكبر من اصابات الأقارب ، كما أن دراسة مماثلة أجريت في اليابان قد أظهرت أن النساء اليابانيات
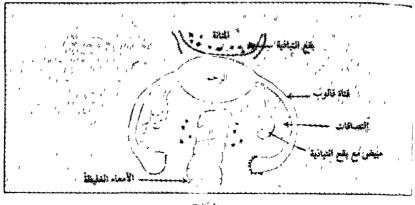
(شكل ٣)

رسم تخطيطي يوضح الرحم والمثانة والأمعاء الغليظة والأنابيب والالتصاقات بينها والبقع الاسادية

معرضات للاصابة بالمرض أكثر من سواهن ! ومن هذه الدراسة أضيفت وجهة نظر جديدة تشير الى العامل العنصري كمؤثر لحصول هذه الظاهرة

ما النظرية الثانية الحديثة التي طرحت في نفس العام من قبل مجموعة أخرى تابعة للدكتور شاندر ، والمنشورة بنفس العدد من المجلة المذكورة ، فتفسر الظاهرة على أساس تغيرات مرضية (باثولوجية) دائمة

والتفسيران ليسا أكثر من كونهما وجهتي نظر فقط ، ولا تزال الظاهرة هذه خاضعة لمختلف التعليلات والتفسيرات من قبل الكثير من الباحثين

التأثيرات السيئة والمضاعفات

وبعد أن استعرضنا طبيعة هذا المرض لا بد من التطرق الى التأثيرات والمضاعفات السيئة التي يخلفها وتسبب فيها اذا ما استقر ، ويهمنا من كل هذا جانب واحد ، هو علاقة المرض بالعقم عند المرأة

من الشروحات السابقة عرفنا أن المرض يُسبب التصاقات بين الأجهزة والأعضاء في تجويف الحوض بشكل خاص ، ومنها قناتا فالوب (البوقان) والمبيضان ، وقد ينمو في جدرانها مما يسبب انسداد البوقين ، ومن ثم عرقلة مرور البويضة الداخلة اليها من أحد المبيضين ، أو مرور الحيوانات المنوية للالتقاء بهذه البويضة لتلقيحها ، وتشير الدراسات التي أجريت بهذا الخصوص الى أن حوالي ٢٠ - ٣٠٪ من حالات العقم عند النساء يكون هذا المرض سببا فيها ، هذا اذا لم تظهر مضاعفات هذا المرض قبل الزواج ، وخصوصا الآلام الحادة في أثناء فترة الحيض ، وفي أثناء التبرز ، كما أن ما تقاسيه المصابة من آلام أيضا أثناء الملامسة الجنسية ، قد يضطرها لاستشارة الطبيب المختص حول هذه الحالة ، وحينئذ قد تكتشف الاصابة ، وفيما تشير اليه هذه الدراسات وهو أن التأخر في الحمل والانجاب قد يعطي فرصة لهذا المرض أن يتطور ، ويلاحظ أيضا أن بعض الشعوب التي تبكر فتياتها بالزواج والانجاب لاتعرف مثل هذا المرض بين سيداتها ، وهذا هو الحال أيضا عندنا نحن العرب ، الا أن الحضارة والمدنية قد غيرت كثيرا في طبيعة بعض القطاعات في المجتمع العربي ، مما أدى الى ظهور متزايد لهذه الظاهرة المرضية

وماذا عن علاقة الانتباذ بالسرطان ؟

كأي نسيج في جسم الانسان معرض للاصابة بنوع معين من السرطان ، تكون هذه الجزر والبقع المزروعة في أماكن مختلفة معرضة للاصابة بنفس نوع السرطان الذي يصيب بطانة الرحم ، الا أن نسبة حدوثه نادرة جدا

كيف اذن يعالج مرض انتباذ بطانة الرحم ؟

فكما تستمر الآراء والنظريات المختلفة في محاولاتها لتفسير نشوء هذه الظاهرة ، كذلك يستمر اختلاف الآراء في الطريقة المثلى لعلاجها والقضاء عليها ، وفي الحقيقة يعتمد نجاح العلاج على عدة عوامل منها الاكتشاف المبكر - ولو بالصدفة لهذا المرض ، ومعالجته رغم أن بعض الباحثين لايؤيد هذا ، بل ينتظر ظهور الأعراض التي توجب التدخل ، وأهمها الآلام الحادة التي تصاحب الحيض أو التبرر أو الملامسة الجنسية ، وأخيرا العقم ، فيرد قسم آخر من الباحثين بالقول ان الحالة عندما تصل الى ظهور أعراض كهذه ، تكون قد قطعت شوطا بعيدا في التغلغل والانتشار ، مما يصعب آنئذ استئصالها ، وقد تنجح محاولات العلاج في الحالات الثلاث الأولى ، الا أن علاج العقم قد يبوء بالفشل نتيجة لما يخلفه هذا المرض من تخريب ودمار في البوقين ، وخاصة اذا تأخر الحمل الأول بعد الزواج ولذلك ينصح هؤلاء الباحثون المتزوجة بالحمل المبكر

وتأثير الحمل على هذا المرض والقضاء عليه يعود الى ان فترة الحمل هذه بامتدادها الى تسعة شهور تقطع حصول الحيض الذي - كما أشرت اليه يحصل أيضا في نفس المواضع التي ينمو فيها المرض . وبانقطاع الحيض فيها تذبل وتضمحل فتموت وقد لاتنمو مرة أخرى ، وعلى هذا الأساس بنيت كافة نظريات العلاج بالعقاقير حيث يعطى العلاج بصورة مستمرة لاتقل عن التسعة شهور أو سنة لايقاف الدورة الشهرية والحيض ، فتموت هذه البقع خلال هذه الفترة من العلاج ، ولكن قد يقضي العلاج على البقع فقط ، أما التأثيرات والمضاعفات التي خلفها كالتليف والالتصاقات وبقايا الدمار فقد تبقى كما هي

هل للجراحة مكان في العلاج ؟

ليست العقاقير والأدوية وحدها هي العلاج المؤ[...] كما أنه ليس الحمل وحده أيضا ، لكن التدخل الجراحي أيضا له أهميته في استئصال الأنسجة التالفة ، واصلاح ما خربه هذا المرض ، فأبسط هذه العمليات الجراحية هي الكي وحرق هذه البقع وأما أصعبها فهو استئصال الأجزاء التالفة وربما يتطلب أيضا استئصال الرحم والبوقين والمبيضين أحدهما أو كليهما والتضحية بهذا والقبول بعدم الانجاب ثمنا للشفاء من الآلام المبرحة التي تتعرض لها السيدة بين الحين والحين]

■ إني أرثي لحال هذا الأب ، فهو بطل في عيون الغرباء وغريب في عيون أطفاله !

« ابراهام لنكولن »
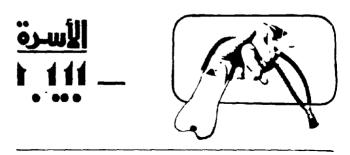
قضايا منزلية

نزلات البرد

ـس هناك اده طلم للحقيقة مما جرى عليه
حاع عامة الناس من اتهام البرد بتهمة هو منها
ى . عندما اتهموه ظلما وعدوانا بحمله من
. ض يشارك بعده اعراض وعلامات ، تسير
ـمى ه السعال وسيلان الانف والاجهاد والتوعك
ـه حتى انهم اطلقوا عليها ـ عن قناعة تامة ـ اسم
ـب البرد الى مصدرها الركام والانفلونزا
لقد جرى الاطباء على درب هذه القناعة ربما
ـ حتى كان عام ١٧٤٣ عندما اصاب المرض
ـ جلتريا اسمه هكسمان فكانت الاصابة شديدة
ـ فـ نفع الطبيب المريض باتهام البرد وحده بل
ـ ـ للبرد شركاء في الأمر لا بد ان يكونوا من
ـ لشياطين لشدة اذاهم ، ومن ثم أطلق عليها
ـ منونرا دي فيريدو وهي كلمة ايطالية تعني
ـ قناعة منه ان هذه النزلة الحادة كانت من تأثير
شياطين معا

الفرنسيين ساروا عبر درب آخر في تسميتهم
ـ سموا اسم حريب بمعنى القبضة لأن
ـ ـ ذهبت الى أن الشياطين تقبض على عنق
ـ وعلى صدره طمعا في كتم أنفاسه

وعلى شاكلتهم ذهب الروس في التسمية ولكن على
اساس ان حريب تعني بلغتهم البحة وهي ما تصيب
مريض الانفلونزا

اما الالمان فقد ذهبوا في تسميتها الى اسم فلو

هكذا اختلفت الأقوام على الاسم ، ولكنهم اتفقوا
على الجوهر ، وهو ان نزلة البرد اذا كان للبرد حقا نزلة
فلن تصل شدتها الى شبه قساوة نزلة الشيطان

وقد حسم الطب هذا الموقف المتسائل وانتهى الى
فك الارتباط بين نزلة البرد والانفلونزا عندما اكتشف
علماء الأحياء الدقيقة عام ١٩٣١ ان المتهم الحقيقي في
قضية الانفلونزا هو فيروس صغير لا بل وصلوا
مؤخرا الى أنها ثلاثة أشكال من الفيروسات،فيما
وجدوا ايضا ان نزلة البرد العادية سببها أيضا فيروس
آخر متخصص بشكل عائلة وحده أو هي مائة من
الفيروسات المتشابهة أطلقوا عليها اسم فيروسات
الركام ، بل حدد بعضهم اسم المرض بدقة فقالوا
مرض التهاب الانف الحاد ، فيما سموا الانفلونزا
باسم النزلة الواحدة ، ومن هنا لا يصح في العرف
الطبي أمر الخلط بين مرض الانفلونزا أو النزلة
الواحدة،وبين الركام أو نزلة الأنف الحاده ، لأنها

مرضان مختلفان متباينان لا تربطهما أية صلة اذا ما إستثنينا بعض الأعراض المشتركة

فالانفلونزا مثلا مرض حاد شديد الوطأة ربما يشيع في فصل الشتاء ولكنه قد يداهم في الصيف أيضا ويتميز بارتفاع شديد في درجة الحرارة ، وانهاك عام للجسم ، ولكن لا يصاحبه نزلة أنف وانما صداع وبحة صوت وسعال حاف ، وقد تمضي النوبه بسلام أو قد تتيح الفرصة لهجمه من الميكروبات أو الفيروسات الضاريه التي تمثل أخطر مضاعفات الانفلونزا،والتي كانت السبب في وفاه عشرين مليون ضحية عقب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ بسبب الالتهابات الرئوية الحاده

فيما تكون هجمة الزكام خفيفة الوطأة تصاحبها حمى خفيفة وجريان أنف،وهي لا تنهك القوى لدرجه تمنع صاحبها عن العمل كما هو الحال مع الانفلونزا

هذا الى أن مضاعفات نزلات الزكام محدوده الخطورة ، غير قاتله ، لا تتعدى أقصاها التهابات الأذن أو التهابات الجيوب الأنفية

وتتشارك الانفلونزا مع الزكام فيما تتشابه به .. الحضانة التي تتراوح ما بين يوم وثلاثة أيام ، وكذلك في طرق العدوى التي أهمها الرحام والاختلاط المباشر بين المريض والسليم

هذا الى عدم توفر العلاج النوعي الحاسم لأي منهما ، حيث لم يوفق الطب بعد الى اكتشاف عقار شاف للأمراض الفيروسية التي تتحصن داخل خلايا الجسم لا خارجها كما هو الحال مع الميكروبات العادية

وعلى هذا يعتمد الطب على الراحة التامة والاكثار من السوائل لتعويض الجسم ما يفرزه منها مع العرق الغزير ، أما العقاقير التي يصفها الطبيب او حتى البعض في تناولها سواء منها فيتامين ج او الاقراص المسكنة فما هي الا لمعاونة الجسم وتقوية مناعته وتسكين آلامه ولا شفاء فيها اطلاقا

طبيب الأسرة

الانترفيرون

● سمعت عن عقار جديد اسمه الانترفيرون ، وقرأت عنه أنه أحدث ما وصل اليه الطب من كشف علمي يمكن أن يكون ذا نفع في أمراض الفيروسات ، وخصوصا مرض الايدز المخيف .

هل لي أن أعرف شيئا عن هذا الانترفيرون ولكم الشكر والتقدير

سلامة سالم
الحديدة ـ اليمن

ـ منذ عهد قديم لاحظ الاطباء أن عدوى الانسان بمرض فيروسي يولد لديه قدرة مناعية ضد كثير من الأمراض الفيروسية الأخرى

قال بعضهم انها الأجسام المضادة التي يولدها الجسم دفاعا عن نفسه ضد المرض الفيروسي ، ولكن هذه الاجسام المضادة للفيروسات ثبت أنها نوعية ، بمعنى أن الجسم المضاد للجدري لا يفيد الا في اتقاء مرض الجدري ولا غير ، وكذلك الحصبة أو النكاف وما اليه ، وهذا ليس هو الهدف الذي نبحث عنه

غير أن رجال البحث العلمي في معهد الأبحاث البريطاني وصلوا عام ١٩٥٧ الى مشارف الحل لهذا اللغز الطبي ، اذ وجدوا أن الخلية المصابة بمرض فيروسي تفرز مادة مجهولة يبدو أنها زلالية التركيب

ـرونيبية) تتسرب الى السائل بين الخلايا ، حتى يصل الى الخلية السليمة ، فتثيرها وتنبهها الى غزو مقبل قادم ، مما يحفز الخلية السليمة ويهيئها لمواجهة أي غزو من أي فيروس غريب ، وهذا ليس شأن الأجسام المضادة النوعية ، والتي يتشارك فيها كثير من الأحياء

لقد وجدوا أن هذه المادة التي أطلقوا عليها اسم الانترفيرون هي خاصة بكل نوع من الأحياء ، حيث ان الانسان لديه انترفيرون بشري ، والحصان يولد انترفيرون خاص بالخيول ، وكذا شأن البقر ، وهكذا ، ولكن هذا الانترفيرون الخاص بأنواع المخلوقات هو من الجهة الأخرى عام ضد كافة الأمراض الفيروسية لقد سعد الأطباء بكشفهم هذا ، قناعة منهم أنهم وضعوا أيديهم على علاج حاسم للأمراض الفيروسية ، أو من أجل وقاية منها على أقل تقدير ، وقد جربوا هذا الانترفيرون حقنا فأعطى لسوء الحظ مضاعفات جانبية تشبه أعراض الانفلونزا ، من صداع وحمى وارهاق وآلام عضلية ومفصلية لهذا احتاروا في قرارهم،هل الانترفيرون الذي تفرزه الخلايا عند غزو فيروس الانفلونزا هو السبب في أعراضها ، وهل لو عطلنا هذا الانترفيرون فإننا نحرر الانفلونزا من الاعراض التي يعاني منها ضحية المرض ؟

ان الاتجاه العام لدى الاطباء هو قصر استعمال الانترفيرون على العدوى الشديدة بفيروسات ضارية فقط ، دون استعماله على الأمراض الخفيفة ، عملا بالحكمة القائلة بدفع الضرر الأكبر بضرر أصغر

لم يصل العلم الى أبعد من هذه الحدود في معرفته عن الانترفيرون ، وعسى أن تحمل لنا الأيام نصرا جديدا في حقول العلاج بواسطة الانترفيرون بإذن الله

الوقاية وضغط الدم المرتفع

والدي يعاني من ارتفاع ضغط الدم ، وقد علمت أن هذا المرض يمكن أن يورث وينتقل من الآباء الى الأبناء ، وحيث انني قلق من هذا الأمر فهل هناك سبيل للوقاية تدلوني عليه ولكم وافر الشكر والتقدير

ي ج م الدوحة

الوقاية بمعناها الدقيق المباشر تبدو أمرا صعبا بالنسبة للاصابة بارتفاع ضغط الدم ، حيث لا تعرف الاسباب الحقيقية المباشرة لاصابة بعض من الناس دون غيرهم ، وهذا ما يدعونه بارتفاع ضغط الدم الأساسي الذي يشكل ٩٠٪ تقريبا من الحالات المرضية ، هذا بالاضافة الى دور الوراثة في الامر ، مما يصعب التحكم فيه في الوقت الحاضر

غير أن هناك عوامل مساعدة تهيىء من لديهم الاستعداد للمرض ان تظهر عليهم أعراضه في وقت مبكر ، وبالتالي تكون المعاناة أشد والمضاعفات أكثر احتمالا ، ومن هذه العوامل المتفق عليها في العرف الطبي -

أ ـ البدانة ان زيادة الوزن عن الحدود المقررة للعمر والجنس تهيىء للاصابة بارتفاع ضغط الدم في عمر مبكر ، وبصورة أشد ، مما لو كان الانسان نحيفا أو معتدل الوزن والبنية

ب ـ الافراط في ملح الطعام والأطعمة المملحة ، حيث يتفق الأطباء أن الصوديوم وهو الشق المعدني في تركيب ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) له دور أساسي في الاصابة بضغط الدم المرتفع وشدتها ، ومن هنا تعتبر مدرات البول أحد عناصر العلاج ، كما يعتبر تفادي ملح

الطعام والأطعمة الغنية بالصوديوم أحد الأسس الأولى في العلاج والوقاية معا

ج ـ مراعاة الاقلال من الأطعمة الدهنية ، حيوانية المصدر أو ما يدعوها بالدهون المشبعة ، نظرا لغناها بالكوليسترول والأحماض الدهنية ، التي تؤدي الى تصلب الشرايين ، وينطبق هذا على الأطعمة الأخرى الغنية بالكولسترول كالبيض والكافيار وما اليه

د ـ الراحة الجسدية والنفسية والبعد عن الاجهاد الجسدي والتوتر العصبي

هـ ـ ممارسة الرياضة الخفيفة كالمشي والسباحة وما اليه

و ـ الاقلال أو الامتناع اذا أمكن عن التدخين والكحول ، لما ثبت أن الافراط فيهما يقود الى أمراض القلب والشرايين ، وبالتالي الى شدة المعاناة من ضغط الدم المرتفع

ز ـ الفحص الدوري والكشف المبكر ، حيث ان ضغط الدم المرتفع لا أعراض له تدل عليه ، حتى يبدأ الانسان معها علاجا مبكرا ، فان قياس ضغط الدم بين حين وآخر هو من قواعد الوقاية الرئيسية

هذا هو شأن الوقاية بالنسبة للاصحاء ، أما بالنسبة للمرضى فان الوقاية لها مفهوم آخر ، هو حماية المصاب من مضاعفات ضغط الدم المرتفع الخطيرة ، وأهمها نوبات القلب ونزيف المخ ، أو أمراض العيون والكلى ، حيث ان ارتفاع ضغط الدم لا يؤدي الى معاناة تعيق المصاب ، وانما الخوف كله من مضاعفاته الخطيرة التي تداهم على حين غرة

ومن هنا تصبح الوقاية أساسها التزام العلاج والتحكم في ضغط الدم وضبطه في الحدود الطبيعية عليها بأن ارتفاع ضغط الدم لا يشفى تلقائيا ، وانما يحتاج الى موالاة العلاج على المدى الطويل ، مع مراعاة الاطمئنان على مستواه بالقياس الدوري والالتزام بالقواعد الطبية التي يشير بها الطبيب المختص □

ردود سريعة

*** السيد أحمد محمد سيد ـ اسيوط ـ ج م ع**

ـ ننصحك بممارسة الرياضة والحرص على التغذية الجيدة

***السيدة حناوي الفضل ـ ادلب ـ سوريا**

ـ نعتذر عن جهلنا بالمراكز المتخصصة في أطفال الأنابيب في البلاد العربية ، فهذا يحتاج الى متخصصين ، واستعدادات خاصة متوفرة في البلدان الأوروبية

*** السيد ن ي ـ طرطوس ـ سوريا**

ـ نأسف أن نقول إن نمو الطول يتوقف بعد سن العشرين تقريبا ، كما لا ينفع قص الشعر لمنع تساقطه ، لأن الأمر غالبا وراثي ، الا اذا كان هناك مرض ما ، وهنا ينفع علاج المرض في وقف ظاهرة سقوط الشعر

*** الاخ عصام احمد عباس ـ الحصاحيصا ـ السودان**

ـ تبدو أن مشكلتك برمتها (والصداع على وجه الخصوص) تعود الى معاناة نفسية تحتاج الى مراجعة اخصائي في الأمراض النفسية ومباشرة العلاج معه

ضعف الحيوانات المنوية

*** السيد ن ج ـ حلب ـ سوريا**

ـ لاتأثير للتدخين أو الكحول على قضية الضعف واكتشاف السبب يحتاج الى تحليل وفحص من الطب المختص ليكون العلاج المناسب للداء.ومستقبل الانجاب مرهون بدرجة الضعف ونجاح العلاج

« ريكشا » !

توقفت فى كلكتا يوما وليلة ، وانتهزت فرصة الزيارة القصيرة الخاطفة لرؤية واحدة من المدن الكبرى والمهمة بالهند ، الزحام خانق ، والشوارع تمتلىء بالبشر ، والسيارات "والأوتوبيسات" والباعة ، ونظرا لضيق الشوارع وعدم تمهيدها بدرجة كافية ، فإن السير بها يحتاج الى صبر وبطولة ، وفى وسط هذا الزحام والضجيج رأيت عربات « الريكشا » تسير فى الطريق فى ممر خاص مخصص للنقل البطىء ، ووقفت فى الشارع تسمرت قدماى وأنا أتابع سيلا من العربات يسير بعضها بلا زبائن ، والبعض الآخر به ركاب

نحن الآن فى نهاية القرن العشرين ورغم ذلك فما يزال الانسان يعمل أعمالا يعتمد فيها على الانسان لا على الحيوان ، رغم كل التقدم فى وسائل المواصلات وكثرتها ، ومع ذلك فالعربة الخشبية التى يجرها انسان عارى الظهر والصدر مازالت وسيلة انتقال البعض ، ولقد قرأت كثيرا عن عربات « الريكشا » فى الأدبيات الأوروبية التى انبهرت بالهند ، واستدلت انسابها فترة من الزمن ، وظل تصورى أن هذه الوسيلة غير الآدمية قد انتهت بانتهاء فترة الاستعمار ، ولكن مفاجأتى الحقيقية لم تكن فى بقاء « الريكشا » ، ولكن فى زبائن الريكشا أنفسهم ، كلهم مواطنون ، أو هذا ما رأيته ،وما أن يستقل الشخص منهم العربة ، ويرفع سائقها ذراعيها ، ويتهيأ للجرى بها ، حتى يضع الراكب ساقا على ساق ، وتنتفخ أوداجه ، ويتيه برأسه ، ولقد كان منطقيا أن يكون كل هذا التيه لو أن « الريكشا » وسيلة نقل مميزة أو غالية ، ولكنها ليست كذلك ، فهي أرخص وسائل النقل كلها ، فما الذى يدفع ركابها لكل هذا التيه والخيلاء ؟ انها أحط مشاعر الانسان عندما يستيقظ ويجد متعته فى استعباد انسان آخر ويتملكه شعور السيادة على البشر ، احساسك بأنك تستذل انسانا آخر مساويا لك ، هذه المشاعر الدونية والأحاسيس المريضة التى حرمتها كل الأديان السماوية والرسالات المقدسة ، وادانتها كل الدعوات الاصلاحية ، وحاولت اقتلاعها كل مبادىء الأخلاق ، ولكنه الفقر هو الذى أبقى على سائقى « الريكشا » ، وأتاح الفرصة لكل المشاعر المريضة أن تنمو وتترعرع ، وتضيع كل أفكار وكتابات المفكرين والكتاب على مدى مشوارهم الطويل من أجل الحرية والاخاء والمساواة والانسانية ، فيا أيها الانسان ما أشد ظلمك لأخيك الانسان

محمود عبد الوهاب

الموت فوق صدرها

علي عبدالقيوم *

حين تمرد الريحُ بالخشبِ المتآكلْ
تستعيرُ الشبابيك صوتَ النساءِ الثواكلْ
وتنام المصابيح قبل اليتامى
فَإلام تسهرين مع الريح والبرد مرهقةً
على مغزل الانتظار   إلاما ؟ !
ثم تملت عن كفكِ الراعشة
راعشات الخيوط
تنسل عبر الجدار   إلاما ؟ !
فتقومين محمومة دائخة
تصلحين غطاء الصغار   إلاما ؟ !
ايه يا زوجة في انتظار قتيل بعيد
إلاما ؟ !
كان في علمه أنها بانتظار المحاصِ   إلاما ؟ !

*** ***

حين تملت تلك الخيوطُ الملونةُ الراعشة
ويروي على الماء والرمل والصخر
صوتَ ارتطام الحقيقة بالحلم
والفعل بالعجزِ
واليأسِ بالشوقِ والرغبة القاتلة
والمودةَ بالافك والبسمة السافلة
أتماسكُ يا طفلتي الناحلة !
أتماسكُ أم يا ترى

* شاعر من القطر السوداني ، يعمل في معهد الكويت للأبحاث العلمية .

يهبط الماءُ عن جثةٍ
شوهتها دمو‌ع التماسيح دون أنيابها !

*** ***

سأعي بصوت الملايين
فلتفتح الأرض أبوابها
إن موتي عميق
ولكنَّ صحوك أعلى وأعمق
سأموت كما ترغبين معلق
من فؤادي الذي
إيهِ لكن فؤادي ممزق

*** ***

سأصلي صلاة فدائك مرتفعاً
قبل أن ينحروني
حين أركع
أركع مستقبلاً وجهك المنتصر
حين أسجد
فلتذكري
أن وجهي جريح ، عفيف ، مدمى
غاص ـ كالشمس في الماء ـ
بين نهديك ، كما
غاص في عنقي خنجر صدىء منكسر

بقلم : محمد خليفة التونسي

سُؤالان وَجوابان

١ ـ بين التنوين والاضافة

في رسالة من السيد / أحمد عبدالله حمدان العوريفي (الزرقاء ـ الأردن) يورد أسئلة ، نلخص اثنين منها هنا ، ونجيب عنهما فيما يأتي

س ١ ـ « الموفونَ نذورهم المقيمين الصلاةَ المؤتون الزكاةَ » الكلمة الأولى في كل من هذه العبارات الثلاث اسم فاعل ، وجمع مذكر سالم ، فلماذا ثبتت النون فيها مع أن النون تحذف بالاضافة ؟ ومتى نكتب هذه النون ؟ . ومتى نحذفها كما في قولنا « مُدَرِّبُو الرياضةِ ، ومُعَلِّمُو الحساب ؟ »

ونشير بدءا الى أن الأولى أو الصحيح أن نقول في كل من هذه الكلمات وما إليها إنها « صفة فاعل » لا اسم فاعل كما هو المشهور ، لأن الاسم يدل على مسمى (ذات ، أو معنى) ، والصفة تدل على وصف لموصوف[1] ، وهذه الصفات الثلاث هنا تسمى « صفات محضة »[2] لأن كلا منها يجري على فعله في العمل وفي الدلالة على حدث وزمن ، ومن أجل ذلك يسميها بعض النحاة الكوفيين « فعلا » ، و « أل » في هذه الصفات موصولة ، والصفة بعدها صلة لها توضحها[3] ، فالموفون تعني الذين يوفون وهكذا

والصفات يلحقها التنوين كما يلحق الأسماء ولكن تنوين الاسم يدل على تنكيره ، وتنكير الصفة يدل على زمن معين هو المستقبل ، كقوله تعالى « ولا تقولَنَّ لشيء إني فاعلٌ ذلك غدا » والفرق بين قولنا « هو كاتبُ الرسالة » بالاضافة دون تنوين[4] ، وبين قولنا « هو كاتبٌ الرسالةَ » بالتنوين هو أن الجملة الأولى تدل على أنه كتب الرسالة والثانية تدل على أنه سيكتب الرسالة

فاذا ثَنَّيْنا الصفة أو جمعناها جمع مذكر سالما لحقتها نون بدل التنوين في المفرد ، فتقول : مقيمان (مقيمَيْن) ومقيمون (أو مقيمين) ، وهذه النون تثبت عند إعمال الصفة عمل الفعل فتنصب معمولها كالأمثلة المذكورة في البداية

« الموفون نذورَهم ، المقيمين الصلاةَ ، المؤتون الزكاةَ » فاذا أضيفت الصفة هنا الى ما بعدها حذفت النون[4] فيقال « معلما الحساب ، ومعلمو ... وقاطنا البيت وقاطنوه » ويلاحظ هنا أن الصفة ... « أل » تدل على الأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، كما يرى معظم النحاة [5]

ـ التخلص من التقاء الساكنين

س ٢ ـ يجزم المضارع اذا سبق بأحد حروف الحزم وعلامته السكون ، ويلغى السكون عند التقاء ساكنين فيستعاض عنه بالكسرة ، كقوله تعالى « ولما يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم » فلماذا وضعت الفتحة على الميم في الفعل « يتمّ » من قولنا « مضت سنتان ولما يتمَّ تحصيل المبلغ المطلوب ؟ »

ـ هذه قضية صوتية أخرى ، فلغتنا تأبى التقاء ساكنين في وصل الكلام ، غالبا حين يكون آخر كلمة ساكنا وأول الكلمة التي تليها ساكنا أيضا ، فاذا قلنا « قالتِ العرب ، وغربتِ الشمس » كسرنا أول الساكنين نطقا وهو تاء التأنيث ، للتخلص من التقاء الساكنين أي لتخفيف الجهد على جهاز الصوت في نطقهما معا ، وتحريك الأول بالكسر ليس مطردا ، لكنه الأكثر ، وان كان بعض نحاتنا قد عده الأصل ، فقد يكون التخلص بالفتح كما في قولنا « لما يتمَّ[٦] تحصيل المبلغ » للتمييز بين هذا الفعل ونحوه في حالة الجزم وحالة الرفع (هكذا تكلمت العرب)

ويكون التخلص بالفتح أيضا اذا كان الأول نون « من » الجارّة ، كقولنا نستمد الماء منَ النهر » « والسكر منَ القصب » ، وقد يكون التخلص بحذف الأول لفظا لا كتابة اذا كان حرف مد (ألفا ، أو واوا أو ياء) مثل . أولي الألباب ، وفي البيت ، ومثل اكرما الجار ، وكلا الأمرين ، وعلى الأرائك ، وكلتا الجنتين » ومثل أولو الأمر ، عبدوا الله ولم يؤجروا الزكاة ومثل في الجنة ، علمي ابْنك ، وقد يحرك الساكن الأول بالضم ، مثل عليكمُ السلام وعليهمُ السلام ، وقد يحرك بالضم أو الكسر اذا كان في قافية مطلقة مضمومة أو مكسورة ، مثل كُلُّهُمُ ، وكلِّهِم ، وبعض العرب يفك الادغام في مثل « يُتمّ » ، فيقول لم يُتْمِمِ الخطة ، (وفعل الأمر في كل ذلك كالمضارع) فيقال أتمِمِ الخطة ، فيحرك الساكن الأول بالكسر ، كما في رسالة أبي بكر لخالد بن الوليد حين أرسله من العراق الى الشام « أتمِمْ يُتمِمِ الله عليك »[٧]

---

١ ـ ٢ تراجع « صفحة لغة » عنوانها « بين الأسماء والصفات » العربي / العدد ٣١٢ (نوفمبر سنة ١٩٨٤) ، وقد تنتقل الصفة الى الاسمية حين لا تجرى مجرى فعلها في دلالته على حدث وزمن ، ولا تعمل عمله في نصب المفعول ، كقولنا الناظر ، القائد ، المهندس ، المجاهد ، وتسمى الصفة حينئذ « صفة غالبة » فالصفات نوعان « محضة » تعمل ، و « غالبة » لا عمل لها

٣ ـ تراجع صفحة لغة عنوانها « أل معرِّفة وموصولة » العربي / العدد ٣٣٦ ((أكتوبر سنة ١٩٨٦)

٤ ـ لا تجتمع الاضافة مع التنوين ولا مع النون ، وتلاحظ وحدة الأصل بين التنوين والنون ، وكلاهما ينطق في وصل الكلام ، وان كان التنوين لا يكتب ، والنون تكتب ، وهذه قضية رسم خاصة بلغتنا ، ومعلوم أن اللغات أصوات تنطق ، قبل أن تكون حروفا ترسم

٥ ـ اذا كان الفعل يتعدى الى مفعولين جاز أن تضاف صفة الفاعل الى أحدهما ، وينصب الثاني ، كقوله تعالى « جاعل الملائكةِ رسلا »

٦ ـ يلاحظ أن الميم المشددة في « يتم » هما حرفان في النطق ، أولهما ساكن أصلا ، والثاني ساكن أيضا بالجزم ، ولكنه حرك بالفتح

٧ ـ يلاحظ أن العرب خصصوا علامة لما يسميه النحاة حالة « الرفع » في الأسماء (والصفات) والأفعال ، وجعلوا علامة مشتركة بين حالتين من بقية الحالات الثلاث النصب والجر والجزم ، فالضمة خاصة بالرفع كقولنا « تشرقُ شمسٌ » والواو والنون للرفع كقولنا « المؤمنون ينتصرون » وعلامة مشتركة بين النصب والجر في المثنى وفي جمع المذكر السالم ، هي الياء والنون ، فالمثنى كقولنا زودت الرحلين بحصانين ، وجمع المذكر السالم كقولنا ألحقت الأوروبيين بالأمريكيين ، وحذف النون علامة مشتركة في حالتي النصب والجزم في الفعل المضارع اذا كان من الأفعال الخمسة ، كقولنا المجتهدان لم يفشلا ، ولن يفشلا والكسرة علامة النصب والجر في جمع المؤنث السالم ، كقولنا للمدرساتِ حجراتٍ خاصة والفتحة علامة النصب والجر في الممنوع من الصرف ، كقولنا شاهدت في بغدادَ مساجد كثيرة

هكذا غنى الآباء

عتاب صديق

لابن الرومي

في العدد ٣٢٧ (فبراير شباط سنة ١٩٨٦) نشرنا في هذا الباب أبياتاً لشاعرنا ابن الرومي في « وصف جمال مغنية ، وأشرنا الى بعض مرايا شعره ، وهي ماثلة في أبياته هناك وأبياته هنا ، ونزيد على ما قلنا انه كان تعيس الحظ في حياته لأنه كان مختل الأعصاب ، فضره ذلك في معيشته ونمه في شعره كان شديد التشاؤم اذ كان يتوحس شراً من المخاوف التي يختلقها خياله وأوهامه ، وكان كثير من الناس يتشاءمون منه ، وقد يسحرون ، مع اعجابهم بشعره ، وما زال كثير كذلك حتى الآن ، وكان يشكو ضيق رزقه ، لأنه صاحب أسرة وكان قليل الحيلة في الأحوال المختلة المحيطة به ، وكان لتعثر حظه كثير الشكوى من زمانه وحلطائه

وهذه الأبيات جزء من قصيدة مشهورة أبياتها ٧٨ يعاتب فيها صديقاً يسمى أبا القاسم الشطرنجي ويمدحه ، اجتزأنا منها هنا أبيات العتاب

يَـا أَخِـي أَيْـنَ عَـهْـدُ ذَاكَ الإِخَـاءِ ... أَيْـنَ مَـاكَـانَ بَـيْـنَـنَـا مِـنْ صَـفَـاءِ

كَـشَـفَـتْ مِـنْـكَ حَـاجَـتِي هَـنَـوَاتٍ ... غُـطِّـيَتْ بُـرْهَـةً بِـحُـسْـنِ الـلِّقَـاءِ[1]

تَـرَكَـتْـنِي وَلَمْ أَكُـنْ سَـيِّءَ الـظَّنْـ ... ـنِ أَسِـيءُ الـظُّنُـونَ بِـالأَصْـدِقَـاءِ

يَـا أَخِـي هَـبْـكَ لَمْ تَهَـبْ لِيَ مِنْ سَـعْـ ... ـيِـكَ حَـظًّا كَـسَـائِـرِ الـبُـخَـلَاءِ

أَفَـلَا كَـانَ مِـنْـكَ رَدٌّ جَـمِـيـلٌ ... فِـيـهِ لِـلـنَّـفْسِ رَاحَـةٌ مِـنْ عَنَاءِ ؟

أَجَـزَاءُ الـصَّـدِيـقِ إِيـطَاؤُهُ الـعُـشْـ ... ـوَةَ حَـتَّى يَـظَلَّ كَـالْـعَـشْـوَاءِ[2]

تَـارِكـاً سَـعْـيَـهُ اتِّـكَـالاً عَـلَى سَـعْـ ... ـيِـكَ دُونَ الـصِّحَـابِ وَالـشُّـفَـعَـاءِ

كَـالَّـذِي غَـرَّهُ الـسَّـرَابُ بِمَـا خَـيَّـ ... ـلَ حَـتَّى هَـرَاقَ مَـا فِي الـسِّـقَـاءِ

ـا أَبَـا الْقَـاسِمِ الَّـذِي كُنْتُ أَرْجُـو ... ـهُ لِـدَهْـرِي قَـطَعْـتَ مَتْـنَ الـرَّجَـاءِ
لا أُجَـازِيـكَ عَـنْ غُـرُورِكَ إِيَّـا ... يَ غُـرُوراً وُقِـيـتَ سُـوءَ الْجَزَاءِ
ـلْ أَرَى صِـدْقَـكَ الْحَـدِيـثَ وَمَـا ذَا ... كَ لِـبُـخْـلٍ عَـلَيْـكَ بِـالإِغْـضَـاءِ
أَنْـتَ عَيْـنِي وَلَـيْسَ مِـنْ حَـقِّ عَـيْـنِي ... غَضُّ أَجْـفَـانِهَا عَـلَى الأَقْـذَاءِ
ـَا بِـأَمْـثَـالِ مَـا أَتَـيْـتَ مِـنَ الأَمْـ ... ـرِ يَحُـلُّ الْـفَـتَى ذُرَا الْـعَـلْيَـاءِ
بِـذْلَ الْـوَعْـدِ لِـلأَخِـلاَّءِ سَـمْـحـاً ... وَأَبَى بَـعْـدَ ذَاكَ بَـذْلَ الْـعَـطَاءِ
ـفَـدَا كَـالْخِـلاَفِ يُـورِقُ لِـلْعَـيْـ ... ـنِ وَيَـأْبَى الإِثْـمَـارَ كُـلَّ الإِبَـاءِ[3]
لَيْسَ يَـرْضَى الـصَّـدِيقُ مِـنْـكَ بِبِشْـرٍ ... تَحْـتَ مَخْـبُـورِهِ دَفِـينُ جَـفَـاءِ
لَـيْسَ لِـلْمُـكْـثِرِ الْمُـنَـغَّصِ عَـيْشٌ ... إِنَّمَـا عَـيْشُ عَـائِشٍ بِـالْهَـنَـاءِ
يَـا أَبَـا الـقَـاسِـمِ الَّـذِي لَـيْسَ يَخْـفَـى ... عَـنْـهُ مَـكْـنُـونُ خُـطَّةٍ عَـوْجَـاءِ
أَتَـرَى كُـلَّ مَـا ذَكَـرْتُ جَـلِيـاً ... وَسِـوَاهُ مِـنْ غَـامِضِ الأَشْـيَـاءِ؟
ثُـمَّ يَخْـفَـى عَـلَيْـكَ أَنِّي صَـدِيـقٌ ... رُبَّمَـا عَـزَّ مِـثْـلُهُ بِـالـغَلاءِ؟
لا لَـعَـمْـرُ الإِلٰـهِ، لٰـكِـنْ تَـعَـاشَـيْـ ... ـتَ بَـصِـيـراً فِي لَـيْـلَةٍ قَـمْـرَاءِ[4]
ظَـالِمـاً لِي مَـعَ الـزَّمَـانِ الَّـذِي ابْـتَـ ... ـزَّ حُـقُـوقَ الـكِـرَامِ لِـلُّؤَمَـاءِ
ثَـقُلَتْ حَـاجَـتِي إِلَـيْـكَ فَـأَضْـحَـتْ ... وَهْـيَ عِـبْءٌ مِـنْ فَـادِحِ الأَعْـبَـاءِ
وَقَـضَـاءُ الإِلٰـهِ أَحْـوَطُ لِـلنَّـا ... سِ مِـنَ الأُمَّـهَـاتِ وَالآبَـاءِ
عـير أن الْـيَـقِـينَ أَضْـحَـى مـريـضـاً ... مَـرَضـاً بَـاطِـنـاً شَـدِيـدَ الْخَـفَـاءِ
مـا وجـدتُ امْـرأً يَـرى أَنَّـهُ يُـو ... قِـنُ إِلَّا وَفِـيـهِ شَـوْبُ امْـتِـرَاءِ
لَـو يَـصِـحُّ الْـيَـقِـينُ مَـارَغِـبَ الـرَّا ... غِـبُ إِلَّا إِلَى مَـلِيـكِ الـسَّمَاءِ
وعَـسِـيرٌ بُـلوغُ هَـاتِـيـكَ جِـدًّا ... تِـلْكَ عُـلْيَـا مَـرَاتِـبِ الأَنْـبِـيَـاءِ
وعَـزِيـزٌ عـلـيـك غَـضِّـيـكَ بِـالـلَّوْ ... مِ وَلَـكِـنْ أَصَـبْـتَ صَـدْرِي بِـدَاءِ
أَنـتَ أَدْوَيْـتَ صَـدْرَ خِـلِّكَ فَـاعْـذِرْ ... هُ عَـلَى الـنَّـفْـثِ إِنَّـهُ كَـالـدَّوَاءِ
قَـدْ قَـضَـيْـنَـا لُـبَـانَـةً مـن عِـتَـابٍ ... وَجَمِـيـلٌ تَـعَـاتُـبُ الأَكْـفَـاءِ
والَّـذِي أَطْـلَقَ الـلِّـسَـانَ فَـعَـاتَـبْـ ... ـتُـكَ عَـدِّيـكَ أَوَّلُ الـفُـهَـمَاءِ
وأَسـا الْمَـرْءُ لَا أَسُـومُ عِـتَـابِي ... صَـاحِـبـاً غَـيْرَ صَفْـوَةِ الأَصْـفِـيَـاءِ
ذا الْحِـجَـا مِـنْـهُـمُ وذا الحِـلْمِ والْـعِـلْـ ... ـمِ وجَـهْـلٌ مَـلاَمَـةُ الْجُـهَـلاَءِ
إِنَّ مَـنْ لاَمَ جَـاهِـلاً لَـطَبِـيـبٌ ... يَـتَـعَـاطَى عِـلاَجَ دَاءٍ عَـيَـاءِ

---

١ ـوات صغائر، مفردها هنة، والمعنى أن طلباتي الصغيرة كشفت حقيقة ضميرك التي كنت تعطيها بحسن ـائك لي

٢ شوة النهار، والعشواء الناقة الضعيفة النظر، أي أنه أضله ولم يرشده

٣ لاف شجر الصفصاف، حسن المنظر، بلا ثمر

٤ شيت تظاهرت بعدم الابصار

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالإضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع والمطلوب منك أن تجد إجابات الشبكة التالية ثم الرجوع الى الحل المنشور في مكان لاحق من هذا العدد للتأكد من صحة إجاباتك

الكلمات الأفقية

١ ـ إمام فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أواخر القرن الهجري الأول
٢ ـ من كبار مفكري التاريخ عاصر المأمون ولقب فيلسوف العرب ، مودّة
٣ ـ يقع في الخلد مقلوبة ، من أتباع أحد الأديان السماوية
٤ ـ تجدها في نبع ، الجزء السائل بعد تجلّط الدم ، أراد
٥ ـ مقدمة الجيش ، جهنم
٦ ـ عملية لتعويض الدم المفقود ، ضمير جمع
٧ ـ نصحت ، يصمّ
٨ ـ أكثر من الكلام دون طائل ، سال الدّم من أنفه
٩ ـ عاشق ولهان ، غير محترف
١٠ ـ فرقة اسلامية ظهرت في نجد تأخذ بصريح الكتاب والسنّة

الكلمات الرأسية

١ ـ عاصمة صغيرة لدولة عظمى ، بالغ في الإلحاح
٢ ـ قصائد جاهلية خالدة
٣ ـ تراجع معكوسة ، نصير أو حليف معكوسة ، حاد عن السّيل
٤ ـ حرف نصب ونفي ، حديث
٥ ـ حيوان قطبي معكوسة ، (الخيل) اطلقت صوتا ، اسم فعل بمعنى اسكت
٦ ـ معدن قاس فضي اللون ، الفائدة أو الربح الفاحش على المال
٧ ـ من أسماء الله الحسنى
٨ ـ قبائل من البربر تعيش في الصحراء الافريقية شمولي
٩ ـ احزمهم ، من أحرف العطف
١٠ ـ بحر ، قائد بحري بريطاني هزم الفرنسيين في موقعة الطرف الأغر

حل مسابقة العدد الماضي فبراير ١٩٨٧

مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف : ادوارد يوكسن   عرض : بهاء الدين محمود
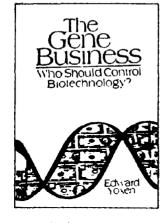
الجينات هي الوحدات المتحكمة في نقل الصفات الوراثية في الكائنات الحية . ومنذ السبعينيات حدث ما يمكن اعتباره ثورة في عالم الهندسة الوراثية . ومع أن هذا العلم كما يقول المؤلف يعود الى الزمن الذي صنع الانسان فيه أول قطعة من الجبن ، إلا أن آثاره المستقبلية يصعب التكهن بها . والكتاب بحث في هذا العلم وتحذير من تحويله الى تجارة . . .

يبدأ المؤلف كتابه بقوله « إن ثمة شيئا ما يحدث هذه الأيام وهو الثورة التقنية ، والتي من خلالها يتم الاعداد لهجوم شامل من شأنه أن يغير اقتصاد الدول المتقدمة والنامية على حد سواء » - ثم يمضي المؤلف في تحليله لهذه الثورة التقنية فيذكر أن هذه الثورة من الأصول البعيدة ما تمتد حدوره في تربة التاريخ عبر آلاف السنوات حينما استطاع الانسان الأول صنع قطعة الجبن الأولى من عملية تخمر اللبن ، كما استخدم الانسان العمليات الحيوية في الكثير من الصناعات كصناعة الغذاء ، والأصباغ ، والأدوية،والوقود، والورق وفي غضون سبع أو ثماني سنوات تحولت التقنية الحيوية Biotechnology من مجرد أبحاث أكاديمية إلى ثورة صناعية ، وإلى موجة جديدة من الاستثمار وكذلك إلى تجارة ثم يمضي المؤلف تحت عنوان غريب وهو « الثدي الأيل للزوال » فيمحر قصية هامة ، فيذكر أن لبن الأم ما هو إلا خليط من الدهون، والبروتينات والأجسام المضادة ، ويتميز لبن كل جنس من الأجناس الحيوانية بمميزات خاصة به ، كما يقوم كل مكون من مكونات لبن الأم بوظيفته المنوطة به من بناء للجسم ودفاع عنه إلخ على أن العلماء قد استطاعوا مؤخرا أن يصنعوا بعض مكونات هذا اللبن داخل بعض أنواع البكتريا وذلك بواسطة علم الهندسة الوراثية ، وأبسط تفسير لما يحدث الآن هو أن العلماء قد توصلوا إلى كيفية التحكم في عملية انتاج هذه المكونات ، وتعتبر هذه الأبحاث من أهم الأبحاث التي تُعنى بها كبرى شركات إنتاج الألبان في العالم وهي شركة (نستلة) الشهيرة ، وهذا مثل بسيط على خطورة علم التقنية الحيوية ويشمل هذا الحقل التجريبي مجالات أخرى مثل معرفة كيفية تكوين الدم ، الدموع ، العرق ، وامكانية تكوين هذه المواد صناعيا داخل بعض البكتريا المبرمجة والتي تُعطى لها التعليمات لتكوين مثل هذه المواد وبكميات وفيرة ، ثم يمضي المؤلف قائلا « إن علم الوراثة يملك القدرة على صنع الكثير وإننا - إلى هذه اللحظات - قانعون ومسرورون بما حققناه في مجال الانتاج الحيواني والنباتي ولكن المؤلف لا يلبث أن يعود فيذكر تحت عنوان « الثورة التقنية وإنحلال المجتمع » إنما يجب أن نضع الضوابط الاجتماعية المناسبة قبل تحقيق أهداف الثورة التقنية وذلك حتى لا نصلُ الطريق بما قد يكون فيه عواقب وخيمة على البشرية جمعاء

الكائن الحي والآلة المعقدة

في الفصل الثاني يذكر المؤلف أن الكثير ما زال يتذكر فترة دراسته الأولى وذلك التعريف الأولي عن الخلية الحية بأنها قادرة على التغذية - الانقسام - التنفس - إلى آخر هذه الصفات ولا يستطيع أحد ما أن يعترض على مثل هذا التعريف الذهبي الذي مكَّن العلماء من تحليل طريقة عمل الخلايا وبالتالي من العمل في حقل العلوم الحيوية وبخاصة علم الوراثة

وهذا ما دعا بعض العلماء إلى القول عن أي كائن حي يريد إجراء التجارب الوراثية عليه « دعونا نتعامل مع هذا الكائن كما لو كان نوعا معقدا من الآلات » وقد تعامل بعض العلماء بعد الحرب العالمية الثانية مع بعض الكائنات الحية على هذا الأساس وساعدهم في ذلك علماء الحيوية الجزيئية فكانوا يحللون ويتوصلون إلى كيفية عمل الجينات ولهذا فإن علماء الحيوية الجزيئية عَرَّفوا الحياة بأنها ما تفعله الجينات،ولا يمكن أن ننسى عام ١٩٤٤ حين إكْتُشف تركيب الجينات من الحمض النووي الديوكسي ريبوري (DNA) ، وهنا برز السؤال الهام للعلماء إذا كنا نعلم مِمَّ تتركب الجينات فكيف يتم ترتيب هذه المواد لتنقل الصفات الوراثية ؟ ثم جاء عام ١٩٥٣ حين رسم عالمان من جامعة كامبردج هما واطسون وكريك أنموذجاً لتركيب هذا الحمض النووي (DNA) وهو عبارة عن حلزون ثنائي ،

حد العالمان على جائزة نوبل بموجب هذا العمل
م ١٩٦٢ ، ثم يذكر المؤلف أن علم الحيوية
لجزيئية قد أصبحي في أواخر الستينيات من أهم علوم
لحياة كما ازداد إهتمام الدوائر العلمية والتجارية
زداد دعم الحكومات له،وربما كان يعزي مثل هذا
تأييد لهذا العلم إلى إرتباط أبحاثه بأبحاث مقاومة
سرطان ، كما استطاع العلماء في أواخر الستينيات أن
نقلوا بعض الجينات من بعض الخلايا إلى أخرى ،
طع بعض الجينات من خلية وتركيبها في أخرى ،
د سميت هذه الأبحاث بـ « أبحاث إعادة إتحاد
لحمض النووي الديوكسي ريبوزي »

وفي عام ١٩٧٣ أعلن بعض العلماء الأمريكيين
خطط لوصل جينات من كائنات حية مختلفة
صها بالبعض ، وقد جارت تلك الفكرة الاهتمام
كبير ، بيد أن أحدا لم يستطع التنبؤ بالنتائج التي
تترتب على مثل هذه التجارب المثيرة مما دعا العلماء
مؤتمر لاحق عام ١٩٧٣ إلى وضع بعض القيود على
ل هذه الأبحاث بحيث تحقق للبشرية النفع
كبير ، وتضمن في الوقت ذاته الأمان للعاملين في
ل هذه التجارب . ثم يمضي المؤلف إلى جزء آخر
حدث عن دخول التجارب العلمية لبعض العلماء
حقل التجارة والسوق إذ اتخذت بعض الشركات
صناعية من التجارب المعملية أداة للكسب
ستخدمة في ذلك أسس الهندسة الوراثية بوصف
هذا العلم مجال تنافس كبير بين الهيئات العلمية
لشركات . كما يقدم هذا العلم في الوقت ذاته
فعات أكبر للحياة المستقبلية كما حدث في بعض
علوم الأخرى مثل العلوم الألكترونية وعلوم الفضاء
لأقمار الصناعية .

وفي الباب الثالث يعرض المؤلف أسس علم
هندسة الوراثية وتركيب الخلية الحية وطريقة عملها
م يعرض فكرة عمل الشفرة الوراثية The
Genetic Cod ويُشفِقُ المؤلف على القارىء من
رض لمثل هذه المعلومات المُملة التي ربما تكون غير
همية للقارىء غير المتخصص .

يعرض المؤلف تجربة مثيرة عن كيفية تكوين
م حمراء داخل جسم الانسان وكيف أن ذلك
ج إلى (٢٦٠ مليون جزيء من مادة
هيموجلوبين) اللازمة لمثل هذا التكوين وكيف يتم

وضع هذه الجزيئات الدقيقة جدا معاً ، ثم تصدر
التعليمات الوراثية المتتالية لانجاز مثل هذه الكرية في
وقت قياسي . ثم يتعرض المؤلف لمثال آخر وهو
تكوين جزيء هرمون الانسولين داخل البنكرياس
وهو الهرمون المستخدم في علاج مرض السكر وكيف
أن هذا الهرمون كان يُستخرج في الماضي من بنكرياس
الحيوانات ، واستطاعت أبحاث علماء الوراثة أن
تنتجه بكميات وفيرة باستخدام أساليب الهندسة
الوراثية مما حقق للبشرية الخير الكثير .

بيع مستقبل طبي

يستهل المؤلف بابه الرابع بهذا العنوان متحدثا عن
تطبيقات علم التقنية الحيوية في مجال الصحة ومقاومة
الأمراض وكيف أننا سوف نلتقي عند نقطة الالتقاء
الهامة وهي أن هذا العلم سوف يقلل بدرجة كبيرة من
معاناة الانسان ، ويذكر المؤلف أن حوالي ثلثي سكان
العالم يتمتعون بخدمات صحية جيدة تكفلها لهم
شركات صناعة الدواء في هذه المناطق من العالم ، غير
أن الثلث الباقي سوف يستطيع أن يتخطى حاجز
التجاهل أو الاهمال في هذا المضمار باعتماده المستقبلي
على علم التقنية الحيوية - ثم يعدد الكاتب بعض
المجالات التي يساهم فيها هذا العلم برفع المستوى
الصحي للبشرية جمعاء مثل مجال إنتاج اللقاحات
والأمصال وإنتاج مادة الأنسولين - كما ذكرنا من قبل -
ثم أخيرا عقار الانترفيرون الذي عُلِقَتْ عليه الامال
لفترة كبيرة لعلاج السرطان ، كما فكر بعض العلماء في
استخدام الانترفيرون في علاج بعض الأمراض
الفيروسية مثل الحصبة ، الأنفلونزا ، الهربس ، لأن
مثل هذه المادة تمكن الخلية من حماية نفسها من
الاصابة مرة أخرى ، ثم فتر الاهتمام بمادة
الانترفيرون في منتصف الستينيات لبعض الصعوبات
في إنتاجها وإستخدامها ، ثم ينتقل المؤلف إلى جزء
آخر ليتحدث عن هرمونات النمو ويضع لهذا الحديث
عنواناً مثيرا هو « هرمونات النمو تُلطِخ السوق »
ويعرض فيه كيفية إستخراج تلك الهرمونات
واستخداماتها ، ثم يتساءل في ثنايا سطوره عن سر
هذا الطلب الهائل على هرمونات النمو وعن سر
الحاجة إليها وهل سيبقى الطلب عليها في إزدياد مطرد

وما الداعي لهذه الزيادة ؟ ثم ينهي المؤلف هذا الباب فيعلن أن إنتاج الجديد من العقاقير سوف يفتح آفاقا جديدة لعلاج الكثير من الأمراض ، وضرب مثالاً على ذلك بنجاح العلماء في إنتاج المزيد من عوامل التجلط باستخدام علم التقنية الحيوية داخل بعض أنواع البكتريا ، ذلك العمل الفذ الذي سوف يُنهي آلام الكثير من مرضى الهيموفيليا ويوجه المؤلف أخيرا نداء إلى الشركات المنتجة لمثل كل هذه العقاقير بألا يشغلوا أنفسهم بالربح الكثير عن أهدافهم في إنهاء معاناة البشر

زيادة إنتاج النباتات

ثم يتحدث المؤلف عن العلاقة الأزلية بين البشر ومهنة الزراعة فيذكر أن هذه المهنة من أول النشاطات التي عرفتها البشرية ، ثم يقرر الكاتب أن كثيرا من الهيئات العلمية في جميع أنحاء العالم تهدف في المقام الأول إلى زيادة الانتاج الزراعي ، ومن ثَمّ فقد استطاع العلماء إستنباط أنواع جديدة من النباتات المألوفة مثل النبات الهجين بين الطماطم والبطاطس الذي سماه العلماء "POMATO" (بوميتو) ، وهذا النبات ينتج أوراقا فوق سطح التربة تعطي ثمار الطماطم ، وجذوراً داخل التربة تعطي ثمار البطاطس ، وليتصور القارىء معنا إلى أي مدى يصل العلم بالانسان لانتاج مثل هذا النوع من النباتات ، كما تمخضت أبحاث العلماء عن إنتاج أنواع من البطاطس قادرة على مقاومة الأمراض ، علىً أن المؤلف لا يخفي اعترافه بأن زيادة إنتاج المحاصيل تسبب إرهاق التربة مما يتطلب معه المزيد من الأسمدة التي دخلت هي الأخرى مجال التصنيع على نطاق واسع يفي بمثل هذه الاحتياجات ، ثم يذكر المؤلف الأهمية الاستراتيجية للحبوب الزراعية ، فالأمم التي تنتج غذاءها تملك استقلالها ، ولهذا فقد تحدث المؤلف عن هذا الموضوع في إحدى فقرات الباب الخامس تحت عنوان (الحبوب المفتاح الجديد إلى الاستقلال) ، فيذكر كيف أن الشعوب على مختلف أجناسها تحاول أن تفي باحتياجاتها من الحبوب لتضمن استقلالها وعدم تبعيتها لدول بعينها ، ويختم المؤلف هذا الفصل بدعوته العالم الثالث للدخول في سباق إنتاج الحبوب باستخدام نظام التقنية الحيوية والهندسة الوراثية للحفاظ على إستقلالها

المال لا ينمو على الشجر

ويتحدث المؤلف عن مجالين رئيسيين هما الكيمياء ، والطاقة ويتساءل في ثنايا حديثه قائلا هل سيكون علم التقنية الحيوية الحل الأوحد لمشاكل هذا العالم ؟ ثم يجيب المؤلف عن هذا التساؤل قائلا

أولا يجب على الشركات الكيميائية أن تبذل جهودا أكبر لزيادة إنتاجها وبخاصة في مجال الطب مثل الصناعات الدوائية وصناعة المواد المستخدمة في التشخيص المعملي

ثانيا من الممكن أن يقوم علم التقنية الحيوية بحل مشاكل الغذاء في جميع أنحاء العالم ولنبدأ ذلك على سبيل المثال بالمصادر الرخيصة من المواد الكربوهيدراتية مثل السليولوز والسكر والتي من الممكن تكسيرها إلى جزئيات أصغر وإعادة تجميعها إلى جزئيات أكبر تفي بالسعرات التي يحتاجها الجسم البشري

ثالثا من الممكن أن يفتح علم التقنية الحيوية آفاقا جديدة لامكانية العمل في درجات حرارة وضغط أقل تساهم في إجراء المزيد من الأبحاث التي لا يقدر علم الهندسة الوراثية على إستيعابها في الوقت الحاضر

كما يدعو المؤلف إلى الاهتمام بالفحم بوصفه على حد اعتقاده ـ البديل الغذائي لبني البشر و

ل ، وربما يزول تعجب القارىء حين يعلم أن
يتكون من عناصر الكربون ـ الهيدروجين ـ
جين وهي نفس العناصر المكونة للمواد
هيدراتية ، ولذا فإن المؤلف يدعو إلى الاهتمام
، وتكسير جزيئاته وإعادة دمجها لتكوين جزيئات
إضافة بعض العناصر الأخرى اللازمة لحسم
، لهذه الجزيئات،ليحتل الفحم مثل هذا الدور
لحل مشكلة الغذاء.

يذكر المؤلف تحت عنوان « المال لا ينمو على
، إنما ينمو داخله » أنه من الممكن الاستفادة
يا الأشجار ومخلفات الغابات وقصب السكر
الأرز وغيرها من المواد ذات الأصول النباتية
لاح ما اصطلح على تسميته
"BIOMASS" (بيوماس) وهو بديل
، المستقبل للتغلب على مشكلة زيادة أسعار
، ومشتقاته ، ثم يورد المؤلف تجربة رائدة
ا الصين خلال الحرب العالمية الثانية بأن
حت مركبات طيارة من بعض الزيوت النباتية
دامها كبديل للبترول ، كما ظهر إتجاه جديد
الأيام الأخيرة لاستخدام بديل آخر للبترول
زيت فول الصويا ـ وزيت زهرة عباد الشمس ـ
، بعض البذور النباتية الأخرى) وكانت لهذه
ب النتائج المشجعة على الاستمرار فيها
كذا ينتقل بنا الكاتب من مثال لآخر ليبرهن على
، أن ذكره من قبل من أن المال لا ينمو فوق
ار بل يسري داخلها إنما هو حقيقة لا وهم

ين نتجه من هنا ؟

ول المؤلف في الباب الأخير أن يتلمس الطريق
اريء ، فيتساءل إلى أين نتجه من هنا ؟ ثم
لمؤلف أنه من الصعب على المرء أن يؤلف كتاباً
دا الكتاب دون أن يحاول التخمين والتنبؤ بما
سوف يحدث في المستقبل ، وإننا الآن وضعنا أيدينا
على إتجاهات معينة ربما تكون خاطئة في حينها ولكنها
ربما تصبح الفكرة المهيمنة والصحيحة خلال عشر
سنوات قادمة على سبيل المثال لتوضيح الرؤية
العائمة . ثم يتحدث المؤلف عن أمله في أن يشمل
علم التقنية الحيوية قطاعات أكثر من الناس وذلك
لمقدرة هذا العلم على إحتواء وحل معظم مشاكل
المجتمعات البشرية ، ثم يدعو المؤلف إلى المزيد من
التأييد لمثل هذا العلم من جانب الدوائر المالية ،
الصناعية ، والسياسية في شتى دول العالم ، كما يدعو
المؤلف قراء هذا الكتاب إلى التفكر فيما سوف
يحدث في المستقبل وإلى أن يسألوا أنفسهم ماذا
سيقدم علم التقنية الحيوية للبشر من خدمات في
الوظائف ، في أساليب العمل ، في الأنشطة المدنية ،
في مجال الصحة ، في البيئة المحيطة بالانسان ، وفي
مجال الطاقة ، إلى آخر مثل هذه الأنشطة الانسانية ،
ثم يضرب المؤلف مثلاً على ذلك في علم الكيمياء،فقد
غيرت الكيمياء الصناعية من أسلوب التعامل مع
(عملية التخمر) خوفاً من أخطار التعرض للكائنات
الدقيقة مثل البكتريا التي ربما تُعَرِّضُ القائمين على
إتمام مثل هذه العملية لبعض الأمراض ، ثم يذكر
المؤلف مثلاً آخر وليكن (قمامة المنازل) فلو
أصبحت سلعة ذات قيمة في ظل علم التقنية الحيوية
للاستفادة منها فمن يستطيع التنبؤ بالمتغيرات التي
سوف تحدث لعمال النظافة ؟ وهكذا يحاول المؤلف
أن يُشْرِكَ القارىء في التنبؤ بما سوف يكون عليه
المستقبل وما يحمله علم التقنية الحيوية في جُعْبَتِهِ

ثم يتساءل المؤلف في آخر كتابه عن إمكانية تصور
المستقبل ويدعو القراء إلى اتخاذ موقف إيجابي تجاه ما
يتمخض عنه العلم من إبتكارات ، كما يدعو إلى
مناقشة العلماء مناقشة موضوعية،وأخيراً إلى المشاركة في
صنع مثل هذا المستقبل عن طريق قنوات الاتصال
المتاحة في هذا العصر الذي نعيشه الآن من الجرائد ،
الملصقات ، الكتب ، المجلات ، الراديو ،
التليفزيون ، السينما ، والفيديو □

■ إننا لا نحب المرأة لما تقوله ، ولكننا نحب ما تقوله لأننا نحبها !

« اندريه موروا »

من آثارنا في بيت المقدس

تأليف : كامل جميل العسلي   عرض : حمودة زلوم

المكان لايصيع بعكس الزمان ، قد يغتصب ، وقد يزال ، لكنه يبقى أثرا باقيا أو دارسا ، أو يظل وصفه مسجلا في الكتب والخرائط وفي الأذهان ، والقدس هذه المدينة العظيمة التي تعاقب عليها الغزاة والمغتصبون ، تعرضت للكثير من عمليات التعيير والهدم ، لتناسب تاريخ آخر المغتصبين

لكن أبنية المدينة وحاراتها وأسبلتها تعلن أنها مدينة عربية

هدا الكتاب تتمة لثلاثة كتب وصعها المؤلف ، حـول التراث الاسلامي في القدس ، وقد تناول في الكتاب الأول « معاهد العلم في بيت المقدس » ، وتناول في الكتاب الثاني « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، وتناول الكتاب الثالث « أحدادنا في ثرى بيت المقدس » ، أما كتابه « من اثارنا في بيت المقدس » الذي نحن بصدد عرضه فهو دراسة لبعض آثار بيت المقدس ـ التي لم تتناولها الكتب الثلاثة السابقة ـ مثل تكية حاصكي سلطان الشهيرة ، وحامات القدس ، ومصادر المياه ومنشآتها من العيون والآبار والبرك والقنوات والحمامات والأسبلة

وقد قام المؤلف بالقاء المزيد من الضوء على جانب من تراثنا العظيم في القدس ، وبخاصة التراث الأثري ، ولاشك انه بذل جهدا كبيرا ليقدم مادة جديدة غير مكرورة وغير معروفة نسبيا

خاصكي سلطان

وزع المؤلف كتابه ، على خمسة فصول ، أفر الفصل الأول عن (حاصكي سلطان) وهي أكـ مؤسسة خيرية في فلسطين في العهد العثماني ، وقـ استمرت في القيام بخدمات جليلة مختلفة للفقر والمحتاجين والمسافرين لمئات السنين ، وذلك بفضل

ـسنها (حاصكي سلطان) التي أنشأتها سنة
٥هـ ، و (حاصكي سلطان) هي جارية من
ري السلطان (سليمان القانوني) أعظم سلاطين
عثمان (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ) ، كانت روسية
ـل ، نحيفة ، ذات شعر أشقر ، اختطفها التتر
بلدة « روحا تينو » الروسية ، وباعوها في
انبول لوكلاء السلطان ، ويسميها المؤرخون
بيون « روكسيلانة » أو « روسلانة » ، ولكن
ن بيت الكسوة في القصر السلطاني أطلق عليها
« حرم » ومعناه الضاحكة أو المرحة ، اذ كان لها
ب مرح في الغناء ، افتتن السلطان بها فأصبحت
صكي سلطان) ، أي محبوبة السلطان ، وذلك
أن أنجبت أول مولود له ، ويبدو أنها استولت
مشاعره تماما ، فخرج على تقاليد البلاط ،
ـجها بعد أن أعتقها من الرق ، واستطاعت بما
ـها من تأثير على السلطان ان تضمن لابنها
سلطان سليم الثاني » فيما بعد العرش

كانت (حاصكي سلطان) شغوفة بأعمال الخير ،
ـست في استانبول جامعا ، وفي أدرنة جامعا
، وست في استانبول مدرستين هما « حاصكي
م » و « قاهرية » ومستشفى وحمامين وتكية ،
امت في مكة المكرمة قرب الكعبة المشرفة تكية
ـا ، وكذلك قامت بوقف « تكية حاصكي
طان » بالقدس ، التي كانت من أهم المنشآت في
ـينة على الاطلاق ، وقد بدأ العمل بها سنة
٩هـ ، واستقدمت لذلك عددا من معلمي البناء
نجارين والفنيين من مدينة دمشق ، وتتألف هذه
قفية من مسجد ذي أروقة وقبة ، ويقوم على
ـدة عالية ، وعمارة تحتوي على مطبخ وفرن وبيت
ـة ، وبان عالية مسقوفة ، وخمس وخمسين
ـرة بيت حول المسجد وقفتها « للمجاورين من
ـاء المؤمنين وأتقياء الموحدين » وكذلك خان
ع وقفته على عامة أبناء السبيل وأصحاب السفر
حيل
ولكي تضمن (حاصكي سلطان) لهذه
ـسات البقاء والاستمرار في أداء خدماتها ،
ـ عليها أوقافا كثيرة في أربعة (سناجق) في
ية وفلسطين ، وهي سناجق غزة ، والقدس ،
ونابلس ، وطرابلس ، وتتضمن هذه الأوقاف قرى
ومزارع وحانات ودكاكين وطواحين وحمامات

والجزء الأهم من تكية (حاصكي سلطان) كان المطبخ الذي تقدم فيه الوجبات المجانية ، حيث ظل يقدم الطعام المجاني طوال ذلك العصر وبعده ، أما الفرن فكان يخبز يوميا ألفي رغيف ، وفي أيام الجمع وليالي رمضان والأعياد كانت تقدم الأطعمة الفاخرة

خانات القدس

ويفرد المؤلف الفصل الثاني للحديث عن « خانات القدس » موضحا أن « الخان » كلمة فارسية ، معناها الأصلي « مخزن البضائع » ثم أصبحت تعني « الفندق » سواء كانت في المدن أو خارجها على خطوط المواصلات القديمة ، فقد انتعشت الخانات في القرن السابع الهجري ، لا كمنزل للمسافرين فحسب ، بل كمكان لقضاء الأعمال التجارية ، وأصبحت أهمية المدن التجارية تقاس بعدد الخانات الموجودة فيها

وتحتوي الخانات على غرف للمسافرين ، ومخازن للبضائع ودكاكين واسطبلات للحيوانات ، كما كان فيها حمامات ومصليات ، ولما زار الرحالة التركي (أوليا جلبي) مدينة القدس في القرن الحادي عشر الهجري ، ذكر أن فيها ستة خانات فقط ، ولا شك أنه يقصد الخانات التي كانت تستقبل الزوار عند زيارته تلك والواقع ان في المدينة ستة عشر خانا ، أشهرها خان السلطان ، وخان العادرية ، وخان القطانين ، وخان الفحم ، وخان الزيت وخان العانة ألخ ، والجدير بالذكر ان خانات القدس كانت مؤسسات وقفية ، حيث تؤجر ويمنح ريعها في أوجه البر ، ووجود هذا العدد من الخانات يؤكد ما لمدينة القدس من مكانة اقتصادية وسياحية لوجود أكثر هذه الخانات في منطقتي باب القطانين وباب السلسلة ـ وهما متقاربتان ـ مما يدل على أنهما كانتا قلب المدينة التجاري في العصور الوسطى

أما الفصل الثالث فهو عن (مصادر المياه ومنشآتها) في القدس ، ويشير المؤلف أن نقص المياه كان من المشاكل الكبرى التي واجهت سكان المدينة منذ آلاف السنين ، وفي القديم كانت القدس

تعتمد على المطر وعيون الماء الموجودة في وادي سلوان ، لهذا كان من الطبيعي أن تكون القدس الكنعانية بنيت على سفح جبل (أوفل) الذي ينتهي بوادي سلوان ، حيث كانت العين الرئيسية ، ومع ذلك فقد أتى على المدينة ردح من الزمن لم تعد فيه مياه الينابيع ومياه الأمطار كافية لازدياد عدد السكان وتوسع المدينة ، لذلك سحب الماء الى المدينة في قناة تبدأ من وادي العروب الكائن بين القدس والخليل ومع ذلك فقد كانت تمر على سكان المدينة فترات كرب شديدة تشح فيها المياه لسبب أو لآخر

عيون سلوان

وتعتبر عيون سلوان وقنواتها أهم مصادر المياه في المدينة ، فقد كانت المورد الوحيد ، الذي ورده آباؤنا في القدس ، وتزود السكان بما يتراوح بين ٧٠٠ و ٤٠,٠٠٠ قدم مكعب من المياه يوميا ، وتبعد هذه العين حوالي ٣٠٠ متر عن الزاوية الجنوبية الشرقية لسور الحرم ، ومن هذه العين حفر اليبوسيون نفقا الى داخل مدينتهم على جبل (أوفل) ، لتأمين المياه أوقات الحصار ، وفي العصر الروماني (ابتداء من القرن الاول ق م) كانت القدس تعتمد على مياه الأمطار ، لأن عين سلوان الأصلية كانت قد سدت ، ولم يكن مكانها معروفا ، الا أن القناة التي كانت تنقل مياهها الى بركة سلوان القديمة ، كانت معروفة ، وتقول التقاليد المسيحية ان المسيح عليه السلام استعمل هذه المياه لشفاء الرجل الأعمى (يوحنا ٩ ٧) ، ولذلك أصبح المكان مقدسا عند المسيحيين ، وقد بنت الامبراطورة (يودوكيا) البيزنطية كنيسة ومستشفى فوق البركة

وفي العهد الاسلامي ، كانت عين سلوان معروفة ومشهورة ، وقد أشار اليها عدد من المؤرخين والرحالة المسلمين ، أمثال المقدسي ، وناصر خسرو ، والادريسي ، وياقوت الحموي ، وشيخ الربوة الدمشقي ، ومجير الدين الحنبلي ، وقد قال فيها أبو العلاء المعري في اللزوميات

وبعين سلوان التي في قدسها
طعم يوهم أنها من زمزم

وفي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ابان الحروب الصليبية قدس النصارى عين سلوان باعتبارها المكان الذي غسلت فيه السيدة العذراء ملابس الرضيع عيسى المسيح عليه السلام ، ولذلك سموها (عين العذراء)

ومن مصادر المياه في القدس أيضا (بئر أيوب) التي تقع أسفل وادي سلوان ، وهي بئر كبيرة يتفجر ماؤها بغزارة أيام الشتاء ، وهي منسوبة الى النبي أيوب عليه السلام الذي قيل أنه استحم بها وشفي باذن الله

البرك والحمامات

ومن مصادر المياه في القدس (البرك) التي يوجد منها عدد كبير ، غار معظمها ، وبعض تلك البرك كان ذا أهمية دينية أو تاريخية ، ومن أشهرها (بركة السيدة مريم) التي تقع قرب باب الأسباط ، خارج السور ، وهي جافة الآن ، و (بركة الحج) التي كانت خارج سور المدينة الشمالي ، وليس لها أثر في الوقت الحاضر (وبركة السراي) التي كانت تسمى (بركة بني اسرائيل) ويقول الهروي عن أصل هذه التسمية « وشمال الأقصى بركة بني اسرائيل ، يقال ان بختنصر (نبوخذ نصر) ملأها من رؤوسهم . و (بركة الغنم) و (بركة السلطان) و (برك سليمان) التي تقع بين القدس والخليل ، حيث كانت مياهها تصل الى القدس عبر قنوات مسقوفة

والفصل الرابع يفرده المؤلف عن (الحمامات الاسلامية في القدس) فيؤكد أن الحمام منشأة حضارية ، عرفها المسلمون منذ القرن الأول للهجرة ، واهتمام المسلمين بالحمامات راجع الى أسباب صحية ودينية ، وتدل البقايا الأثرية على أن الأمويين اهتموا بالحمامات اهتماما خاصا ، كذلك رأينا الاهتمام بها يظهر في العصر الأيوبي والمملوكي والعثماني ، وتمدنا المصادر التاريخية بمعلومات ذات شأن عن الحمامات الاسلامية في العصور الوسطى ، حيث ازداد عددها زيادة كبيرة ، ففي القرن السابع الهجري كان في دمشق (١١٧) حماما ، وفي حلب (١٧٤) حماما ، وفي فاس (١٠٠) حمام ، وفي استانبول (١١١) حماما ، وفي القدس (٣) حماما

محب اذا كان الحمام مركزا من مراكز الحياة
اعية في العصور الوسطى ، لأن كثيرا من
ات المهمة ، في حياة الناس ، كانت مرتبطة
العروس كانت تذهب الى الحمام لتستحم
مسها ، والعريس كذلك ، والنساء كن
له كصالون للتحميل ، وكانت الحمامات
ل كمنشآت صحية للعلاج من الأمراض
ة

حمامات القدس ، فقد كانت المرافق العامة
فة في المدينة منذ القدم ، فقد شاد (هيرود) في
الأول قبل الميلاد ، عددا من الحمامات ، وفي
، الرابع الهجري ، كان في القدس عدة
ت ، يؤكد ذلك المقدسي في كتابه « أحسن
سيم » ، وفي القرن العاشر الهجري كان في
ثلاثة عشر حماما ، أشهرها (حمام الشفا)
ام العين) و (حمام باب الأسباط) و (حمام
ود) و (حمام السيدة) و (حمام السوق)
ام الصخرة) وقد ذكر الرحالة التركي (أوليا
) في القرن الحادي عشر الهجري ستة منها في
(سياصتنامة)

لى الرغم من أن حمامات القدس ، كانت
، في الاتساع وفخامة البناء ، الا انه لا يمكن
ها بالحمامات الأموية من حيث فخامة البناء ،
لحمامات الكبرى في استانبول والقاهرة ودمشق
ث الاتساع

ة القدس

فصل الخامس يفرده المؤلف عن (أسبلة
،) والأسبلة جمع سبيل ، وهو في اللغة الطريق
حقيقي أو مجازي ، ولكن في أصل اللغة الفعل
. وأسبل الماء بمعنى صبه ، وقد يغري وجود
، على استنتاج أن السبيل بمعنى (عين الماء)

ن هذا الفعل ، غير انه استنتاج غير
، والأرجح أن استعمال كلمة (سبيل) لعين
جرى على الألسنة ، لأن اقامة السبيل أو
كانت عمل خير في (سبيل الله) ، وسبيل
مة أطلقها المسلمون ، على كل فعل يقصد به
ير ، ومنها تيسير الماء لمن أراد الحصول عليه ،

وكلمة سبيل بمعنى عين ماء ، بدأ استعمالها في أواخر
القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الهجري ، وكان
ذلك في عصر المماليك ، أما الكلمة التي كانت
تستعمل قبل ذلك فهي (سقاية) أو (مسقاة) أو
(صهريج) ، كما تؤكد ذلك النقوش الموجودة في
مدينة القدس وسواها

والسبيل يقام عادة عند (حانوت) يخصص لوضع
الأواني المعدة له ، وكان يجلس في الحانوت (السقاء)
الذي كان يقوم على خدمة قاصدي السبيل

ومما هو جدير بالذكر ، انه كان يلحق بالأسبلة -
أحيانا - ما يدعى بمكتب السبيل لتعليم الأطفال ،
وقد اقيمت في البلدان الاسلامية الألوف من هذه
السبل ، ففي القاهرة وحدها كان هناك حوالى مائتي
سبيل ما بين عامر وخرب في القرن الماضي ، وقد
انتشرت هذه السبل بوجه خاص في الأماكن الحارة
والقليلة الماء ، وانشاء السبل عادة معروفة عند كل
الملل في جميع الأجيال ، الا أنها عند المسلمين أكثر ،
فكثيرا ما يحفر أهل الخير آبارا في الطرق بين البلاد ،
كما بين بلاد الشام وبلاد العرب وبين مكة والمدينة ،
وقد يبنون بجوارها بيوتا تأوي اليها المارة وأبناء
السبيل ، وأبنية السبل كانت تتفاوت فيما بينها تفاوتا
كبيرا ، فمنها ما كان آية من آيات الهندسة كسبيل
(قايتباي) في القدس ، ومنها ما كان غاية في
التواضع مثل سبيل باب حطة

ويوجد في القدس ثمانية وعشرون سبيلا ، آثارها
جميعا موجودة الى الآن ، منها خمسة أقيمت في العصر
الأيوبي ، وسبعة في العصر المملوكي ، وأربعة عشر
في العصر العثماني ، واثنان لا يعرف تاريخهما ،
وأشهر هذه السبل سبيل قايتباي ، والكاس ،
وتنكز ، والقرمي ، والواد ، والسلسلة ،
وسليمان ، وستنا مريم ، وباب الخليل ، وباب
خان الزيت ، وغيرها

ان هذه الدراسة أشبه ما تكون بكرة ملتهبة تلقى
في كهف مظلم ، لتدحض المزاعم الصهيونية ،
ولسوف تعود القدس مدينة عربية مزدهرة بالحرية
والسلام والحضارة ، مهما فعل الصهاينة ، ومهما
قالوا ، لأنهم لن يستطيعوا تغيير الحقائق الكبرى
للتاريخ □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب/ شعر أحمد السقاف
المؤلف/ أحمد السقاف
عدد الصفحات/ ٤٢٨ من القطع الصغير

في هذا الديوان جمع الشاعر الكويتي أحمد السقاف أشعاره الكاملة التي تغطي فترة عنية من فترات النهوض العربي ، كما تعطي فترات أخرى كثرت فيها الأحداث المأساوية

تعود بعض قصائد الديوان إلى بدايات الأربعينيات ، وبعضها إلى الخمسينيات ، وتغطي فترة تمتد حتى الثمانينيات ، وإن غلب على قصائد الديوان الطابع التقليدي بشكله العمودي وجرسه وموسيقاه ، إلا أن الديوان قد ضم بعض القصائد الحديثة التي اعتمدت التفعيلة الواحدة

■■

الكتاب/ وسمية تخرج من البحر ـ رواية
المؤلفة/ ليلى العثمان
الناشر/ شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات/ ١١١ من القطع الوسط
سنة النشر/ ١٩٨٦

تعود ليلى العثمان في روايتها الثانية ـ بعد رواية المرأة والقطة ـ إلى عالمها الأثير ، عالم الكويت القديمة ، بالأزقة الضيقة وبيوت الطين ، وعالم الغوص ، والبحر القاسي الساحر في نفس الوقت

قصة حب بسيطة بين فتاة ثرية وابن (دلالة) تقدم لأهل تلك الفتاة بعض الخدمات ، لكن هذا الحب يصطدم بالعادات والتقاليد ، والفروق الاجتماعية ، ثم يحتوي البحر وسمية في جوفه ، فيصبح البحر في نظر (عبدالله) ـ العاشق ـ الذي فقد وسمية،مكمنا للموت ، ومبعثا للألم

■■

العنوان/ كتاب السياب النثري
المؤلف/ حسن الغرفي (جمع وتقديم)
الناشر/ دار البلابل للنشر ـ فاس ـ المغرب
الحجم/ ٢٢٠ صفحة من القطع الصغير
سنة النشر/ ١٩٨٦

الشاعر العربي بدر شاكر السياب معروف بآثاره الشعرية ، لكن الجانب الآخر في السياب ظل غير معروف ، وهذا الجانب هو مقالات السياب في قضايا عامة ، تتعلق بالأدب والفن إلى جانب المقدمة التي وضعها لديوان « الأساطير » ، ومقدمته لمختاراته الشعرية ، وكذلك حواراته وندواته ورسائله

وتوقف النقاد عند أهمية هذا الكتاب فقالوا إنه سيسهم في إلقاء الضوء على كثير من الجوانب الابداعية في شعر السياب ، وسيوجه البحوث والدراسات التي تتناوله كشاعر وجهة جديدة

■■

الكتاب/ التطور العقلي لدى الطفل
المؤلف/ جان بياجيه
ترجمة/ سمير علي
الناشر/ دار ثقافة الأطفال ـ بغداد
عدد الصفحات/ ١٣٨ من القطع الصغير
سنة النشر/ ١٩٨٦

الكتاب ـ بحجمه الصغير ـ عبارة عن ترجمة
، كان العالم السويسري الشهير « جان
، قد كتبها في أواخر أيامه
الفصل الأول عرض عالم (علم نفس الطفل)
لقضايا التكوين النفسي والتطور العقلي لدى
منذ ولادته ، وفي الفصل الثاني تعرض
ه » إلى سيكولوجية الذكاء ، ومفهوم التوازن
يعطيه أهمية كبرى في دراساته ، ليقدم بعد ذلك
حالة لطفل ينتقل من حالة غير مستقرة إلى حالة
، من الاستقرار

■■

الكتاب/ قاموس الكمبيوتر العربي (انكليزي ـ
)
المؤلف/ الدكتور محمد فريد عنايم
الناشر/ دار النشر العالمية المحدودة ـ دالاس ـ
الولايات المتحدة
عدد الصفحات/ ٧٧٠ من القطع الكبير
سنة النشر/ ١٩٨٦

، قاموس (انكليزي ـ عربي) لمصطلحات
الكمبيوتر ، ذلك العلم الذي أصبح يكتسب أهمية
متزايدة في حياتنا يقوم المؤلف في هذا العمل
بمهمتين في نفس الوقت ، فهو يترجم إلى
ما يراد باللغة الانجليزية ، كما يقدم شرحا
في توضيح التعريف الذي اختاره المؤلف

■■

الكتاب/ قصص اولى(مجموعة قصصية)
المؤلف/ هاشم غرايبة
الناشر/ دار الأفق الجديد ـ عمان ـ الأردن
عدد الصفحات/ ١٣٦ من القطع الوسط
سنة النشر/ ١٩٨٥

المجموعة الأولى من القصص لهاشم غرايبة
لواقع مجموعته الثالثة ، وقد ضمت قصصا
من مجموعتيه الأولى والثانية إلى جانب قصص أخرى
جديدة للكاتب نفسه

تصور قصصه أجواء الريف الأردني بطابعه
المميز الذي يجمع إلى الفلاحة والارتباط بالأرض شيئا
من حياة البداوة والخشونة التي تقترب من أجواء
الصحراء القاحلة،بقيمها المحتلمة قليلا عن قيم
مجتمعات الفلاحين

لكن هذا المجتمع الريفي ليس مجتمعا ساكنا ، بل
تجري تحت سطحه الصامت الخشن تحولات مهمة ،
يقوم بها الأولاد الذين يتحدون المختار ، وتقوم بها
البنات المتمردات على قيود الأهل ، وتحدث فيه
قصص حب سرية ، قد تصدع السطح الهادىء لهذا
المجتمع

■■

العنوان/ معجم المصطلحات الأدبية
المؤلف/ ابراهيم فتحي
الناشر/ المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ـ
تونس ـ بيروت
عدد الصفحات/ ٤١٦ صفحة من القطع الوسط
سنة النشر/ ١٩٨٦

يقدم هذا الكتاب تعريفا وشرحا موجزين لكل
المصطلحات التي لها علاقة بدراسة الأدب ، مرتبة
ترتيبا هجائيا ، من حرف الألف إلى الياء ، ويقدم
شرحا لكل المدارس والنزعات النقدية والشعرية ،
مثل التجريبية ، والتصويرية ، والواقعية المتدلة ،
والوجودية ، والنزعة التعبيرية التعليمية ،
والعاطفية ، والمستقبلية ، كما يتعرض لبنية النص
الأدبي ، ومصطلحات دراسة الأدب القديم ،
ومصطلحات المسرح ، وفنون الشعر العربي القديم ،
ومصطلحات فهم الشعر الاغريقي ، وأسماء الآلهة ،
وأنواع الصور البلاغية، كالاستعارة وغيرها ، كما
يقدم الكتاب تعريفا مكثفا بمختلف أنواع الكتابة
الأدبية ، مثل السيرة الذاتية ، والمذكرات ،
والرواية ، واليوميات

---

* العمل ينقذنا من ثلاث مساوىء كبيرة : الملل واستراق النظر والحاجة .
(فولتير)

مسابقة العربي الثقافية

العــدد ٣٣٩
فبراير ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 ـ الكويت . . « مسابقة العربي العدد ٣٤٠ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ ابريل ١٩٨٧

أرفق الحل مع هذا الكوبون
كوبون مسابقة العربي
العــدد ٣٤٠

١ ـ نتحدث كثيرا عن الكعب فما الذي يدل عليه اللفظ في الفصحى على وجه الدقة ؟
* العقِب (بكسر القاف)
* الرُسغ (بضم الراء)
* الكاحل

٢ ـ يصاب المرء بالدوار (الدوخة) اذا هو أكثر من الدوران حول نفسه لماذا ؟

٣ ـ لماذا يبكي المولود لحظة ولادته ؟
* ليتمكن من مباشرة التنفس
* لأنه جائع ، ويريد أن يرضع
* طلبا للحركة والنشاط لأن بكاء المولـود أشبه مايكون بالحركات الرياضية التي يؤديها المرء حين استيقاظه

٤ ـ طعم الحلاوة وطعم المرارة تذوق أحدهما بمقدمة اللسان ، وتذوق الآخر بمؤخرته ، فأيهما أدركته بمقدمة اللسان ، وأيهما بمؤخرته ؟

٥ ـ حوزة العنق يسميها الانكليز تفاحة آدم ترى ماهي وظيفتها ؟
وما الذي تحفظه
* الغدة الدرقية ؟
* الغدة النخامية ؟
* الحبال الصوتية ؟

٦ ـ أي القلوب أسرع نبضا قلب المرأة أم قلب الطفل أم قلب الرجل ؟

٩ ـ تفرز المعدة أحماضا هاضمة ، وتبلغ هذه الأحماض من القوة والفاعلية مايمكنها من اذابة معدن الزنك ، لكنها لاتستطيع اذابة بطانة المعدة لماذا ؟

* لأن بطانة المعدة تفرز مادة قلوية تحيّد الحوامض

* لأن الأحماض لاتمس بطانة المعدة ، بل تصب في الطعام مباشرة بعد افرازها

* لأن خلايا بطانة المعدة تتجدد باستمرار وسرعة لا تسمح للأحماض باذابتها

١٠ ـ عظم الانسان والاسمنت المسلح قويان ، وشديدا الاحتمال ، لكن أحدهما أقوى من الآخر بأربع مرات فأيهما الأقوى ؟

١١ ـ من المعروف أن الجسم البشري يحتوي على الحديد وغيره من المعادن بمقادير محددة ترى ماهو مقدار مايحتويه جسم رجل واحد من الحديد ؟

* مايكفي لصنع ابرة طولها ١٠ مليمترات

* مايكفي لصنع مسمار طوله ٢٥ مليمترا

* مقدار الحديد الذي يحتوي عليه جسم رجل واحد ضئيل ، لا يسمح بصنع أي شيء

١٢ ـ أين يقع القفا (بفتح القاف) من جسم الانسان ؟

في أعلى الظهر (خلف العنق) .

في أسفل الظهر (فوق الساقين)

ـده القلوب الثلاثة حسب سرعة لأسرع فالأقل سرعة

قع طبلة الأذن في الأذن الداخلية أم في

ـمير جنس الجنين فيعرف أنه ذكر او

تكوّنه في بداية الحمل

الجنين غير محدد الجنس ، حتى يبلغ

(٦ ـ ٧) أسابيع

ـس الجنين لتظهر ذكورته أو أنوثته

العمر (٨ ـ ٩) أسابيع

حل مسابقة العدد ٣٣٧

١ - « حكاية مملة » هي القصة التي كتبها أنطون تشيكوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤) ، والتي نشرت عام ١٨٨٩ (راجع عدد يونيه ١٩٨٦ صفحة ١٢١)

٢ - يعيش الانسان الثلجي الوحشي في مناطق جبلية مختلفة في العالم ، وعلى وجه التحديد في اقليم نيبال على سفوح جبال هملايا ، ويسمى (يتي) أو (حيتي) عند أهل نيبال ، وهو ذو جسم ضخم ، يغطيه شعر كثيف ، ويسير معتدل القامة ، وله أظفار كمخالب الوحوش وذلك حسبما يؤكده النيباليون

(راجع عدد يناير ١٩٨٦م صفحة ٣٨)

٣ - اسم كتاب التاريخ الذي وضعه ابن خلدون ومهد له بمقدمته الشهيرة هو (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)

(راجع عدد يناير ١٩٨٦ م صفحة ١٠١)

٤ - ترتب الدول الأربع المذكورة في السؤال من حيث اعتمادها على الطاقة النووية في محطات توليد الكهرباء فيها كالتالي

بلجيكا ٦٠٪ ، فالسويد ٥٠٪ ، فالولايات المتحدة ١٧٪ ، فالاتحاد السوفياتي ١١٪

(راجع عدد سبتمبر ١٩٨٦م صفحة ١٧)

٥ - المستكشف الذي قتله (لابو لابو) بطل الفلبين هو فرديناند ماجلان ،وكان ذلك في معركة (ماكتان) التي وقعت في مياه شواطىء الفلبين يوم ٢٧ ابريل سنة ١٥٢١م

(راجع عدد ابريل ١٩٨٦م صفحة ٧٨)

٦ - الأخوان رايت مدينان للصقور في تطوير اختراعهما للطائرة ، فقد انطلق أحدهما وهو (ولبور) يراقب الصقور في طيرانها يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر ، حتى أدرك السر في قدرة الطيور على الاحتفاظ بتوازنها في الهواء ، وكان ذلك سنة ١٨٩٩م

(راجع عدد يناير ١٩٨٦ صفحة ١٤٤)

٧ - « حكم الشعب لصالح الشعب من أجل الشعب ذلك هو الديمقراطية » قائل هذا القول هو ابراهام لنكولن (١٨٠٩ - ١٨٦٥م)

(راجع عدد يونيو ١٩٨٦م صفحة ٤٢)

٨ - النحل هو الأشبه بحمام الزاجل ، من حيث قدرته على العودة الى وطنه

(راجع عدد فبراير ١٩٨٦م صفحة ١٥٤)

٩ - اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم - سمي بالطلاء لاتقانه فن التجميل ، ومايتطلبه من عقاقير ودهون ومساحيق ، ولاعجب ، فقد كان شيخ الكيماويين في القيروان في القرن التاسع الميلادي

(راجع عدد مارس ١٩٨٦م صفحة ١٠٩)

١٠ - نفق الشهيد أحمد حمدي يربط بين ضفتي قناة

:يسمبر ١٩٨٦

ـن الغربية والشرقية ، وهو يمتد تحت مياه من مكان يبعد عن مدينة الاسماعيلية ٨٠) كيلومترا ، وقد بدأ العمل في بنائه في عام ١٩٧٧م ، واستمر حتى عام ١٩٨٢ ، ، تكاليفه حوالي ١٢٠ مليون جنيه ، ويبلغ يلومترا ونصف كيلومتر

(راجع عدد يونيو ١٩٨٦ صفحة ٨٦)

١١ ـ المحطة الاذاعية الأولى في الاعتماد على الطاقة الشمسية هي محطة اذاعة بريان ، في ولاية أوهايو الأمريكية ، وقد بدأت بثها الاذاعي في ٢٩ آب ١٩٧٧م

(راجع عدد مارس ١٩٨٦م صفحة ٥٢)

١٢ ـ كتاب « تهافت الفلاسفة » لأبي حامد الغزالي » وكتاب « تهافت التهافت » لابن رشد

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

ـئزون في مسابقة العدد ٣٣٧ ديسمبر ١٩٨٦

ـة الاولى حسن محمد أبو نعسة / مدرسة وادي الحوارث / القاع / لبنان
ـة الثانية سليمة حاجي /طارق بن زياد / الجزائر
ـة الثالثة مسرور أحمد الأعظمي / الهند

ـزون بالجوائز التشجيعية

ـمد عبدالله عبدالرحمن / طرابلس / ليبيا
ـمود حسن محمد رباع / عمان / جبل الجوفة / الأردن
ـقصاب حسن / ربقة الشابات / الصويرة / المغرب
ـيه ابراهيم اسماعيل / محافظة المنوفية / شبين الكوم / جمهورية مصر العربية
ـدالله أحمد محمد العلي / الأحساء / المملكة العربية السعودية
ـفوان بو عصيدة / صفاقس / تونس
ـري رمضان محمد الأغا / دبي / دولة الامارات العربية المتحدة
ـيل عبده محمد الأغبري / صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية .
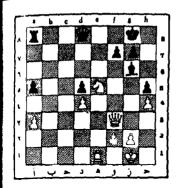
الدور الحاسم في مباراة الثأر

انتهى الجزء الثاني من مباراة الثأر ، المعقدة في مدينة لينغراد السوفيتية ، بين بطل العالم الحالي جاري كاسباروف (٢٣) ، ومواطنه الروسي بطل العالم السابق أناتولي كاربوف (٣٤ سنة) ، بفوز الأول واحتفاظه بلقب البطولة . وكانت نتيجة المباراة في الأدوار الأربعة والعشرين التي لعبها البطلان على مرحلتين ، الأولى في مدينة لندن العاصمة البريطانية ، والثانية في مدينة لينغراد السوفيتية ، وهي كما يلي ، ويبدأ اللعب فيها كاسباروف المباراة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١	١١	١١
نتيجة المرحلة الأولى	½	½	½	١	—	½	½	١	½	½	½	½
نتيجة المرحلة الثانية	½	١	½	١	—	—	—	½	½	١	½	½

والنتيجة هي (١٢٫٥ - ١١٫٥) لصالح بطل العالم الحالي اتصف الجزء الأخير من المباراة بالحماسة والاثارة البالغة ، فقد كاد المتحدي أن ينتزع البطولة باقتدار بفوزه ثلاثة أدوار متتابعة ، هي الخامس والسادس والسابع ، وهو أمر نادر في مباريات البطولة المكونة من أربعة وعشرين دورا ، لم

الدور الذي اخترناه لكم في هذا العدد من مباراة لينغراد هو الدور الثاني والعشرون الذي حسم الصراع بين البطلين ، وهو من افتتاحية جامبيت الوزير المرفوض

	□ كاسباروف	■ كاربوف
١	د ٤	ح - و ٦
٢	حـ ٤	هـ ٦
٣	ح - و ٣	د ٥
٤	ح - حـ ٣	ف - هـ ٧
٥	ف ر ٥	حـ ٦
٦	ف × و ٦	ف × و ٦
٧	هـ ٣	ت
٨	ر - حـ ١	حـ ٦
٩	ف ـ د ٣	ح - د ٧
١٠	ت	د × حـ ٤
١١	ف × ح ٤	هـ ٥
١٢	حـ ٣	هـ × د ٤
١٣	هـ × د ٤	ح - ب ٦
١٤	ف - ب ٣	ف - و ٥
١٥	ر - هـ ١	أ ٥
١٦	أ ٣	ر - هـ ٨
١٧	ر × هـ ٨	و × هـ ٨
١٨	و - د ٢	ح - د ٧
١٩	وزير - و ٤	ف - ر ٦
٢٠	حـ ٤	و - د ٨
٢١	ح - أ ٤	حـ ٥

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٣٧
ديسمبر ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ خالد الدالي ـ الجيزة/ ج م ع
٢ ـ ربا السيروان ـ دمشق/ سوريا
٣ ـ صلاح شعيب ـ الدمام/ السعودية
٤ ـ سامي يوسف ـ عمان/ الأردن
٥ ـ اسماعيل الميرعي ـ مرده/ ليبيا

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ منيره يعقوب ـ قابس/ تونس
٢ ـ مراد صالح ـ البيضاء/ المغرب
٣ ـ تيمور داغستاني ـ السعودية/ حفر الباطن
٤ ـ محمد النبهان ـ سورابايا/ أندونيسيا
٥ ـ مى السيد ـ مدني/ السودان

٢٢	ر هـ ١	ب ٥
٢٣	ح حـ ٣	و ـ ب ٨
٢٤	و ـ هـ ٣	ب ٤
٢٥	ح ـ هـ ٤	ب × أ ٣
٢٦	ح × و ٦ +	ح × و ٦
٢٧	ب × أ ٣	ح د ٥
٢٨	ب × د ٥	حـ × د ٥
٢٩	ح هـ ٥	و ـ د ٨
٣٠	و ـ و ٣ ! (الشكل ١)	ر أ ٦
٣١	ر ـ حـ ١	م ـ حـ ٧
٣٢	و ـ حـ ٣ !	ر ـ ب ٦
٣٣	ر ـ حـ ٨	و ـ د ٦
٣٤	و ـ ر ٣ !	أ ٤
٣٥	ر ـ أ ٨	و ـ هـ ٦
٣٦	ر × أ ٤	و ـ و ٥
٣٧	ر أ ٧	ر ـ ب ١ +
٣٨	م ـ حـ ٢	ر ـ حـ ١
٣٩	ر ـ ب ٧ (لمنع و ـ ب ١)	ر ـ حـ ٢
٤٠	و ٣	ر ـ د ٢
٤١	ح ـ د ٧	ر × د ٤
٤٢	ح ـ و ٨ +	م ـ حـ ٦
٤٣	ر ـ ب ٤ !	ر ـ حـ ٤
٤٤	ر × حـ ٤	د × حـ ٤
٤٥	و ـ د ٦ !	حـ ٣ (لمنع و ـ د ٢ +)
٤٦	و ـ د ٤	يستسلم

مسابقة العدد (٣٤٠) مارس ١٩٨٧
مات ٤
مهداة من القارىء محمد قربي

حل مسابقة العدد ٣٣٨

يناير ١٩٨٧

مفتاح الحل : و ـ هـ ٥

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

رسالة من مدير المركز الدولي الإسلامي للبحوث السكانية

● أسعدنا الاطلاع على خريطة « المسلمون في العالم » الموزعة مع عدد يناير ١٩٨٧ لمجلتكم (العربي) ، بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي على أرض دولة الكويت ، ولاشك أن توزيعها بهذه المناسبة السعيدة هو خير هدية تقدم للمسلمين رؤية علمية واضحة عن حاضرهم ومستقبلهم

ويسرني أن أحيطكم علما بأن المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية سيعقد مؤتمره السابع في الفترة من ١ ـ ٦ مارس سنة ١٩٨٧ ، وموضوعه « السكان في العالم الإسلامي » ، وقد دعي إليه عدد كبير من العلماء المتميزين من البلاد الإسلامية ، وممثلي المنظمات الدولية ، وسيناقش في جلساته قضايا . « الإسلام والتنمية البشرية » ، و« سكان العالم الإسلامي » ، و« الموارد البشرية في العالم الإسلامي » و« هجرة السكان في العالم الإسلامي » ، و« التعليم والسكان في العالم الإسلامي » إلخ

وستوزع خلاله مطبوعات المركز التي تتضمن أنشطته العلمية في مجال السكان والتنمية ، وفي اعتقادنا أن توزيع خريطتكم بما فيها من معلومات علمية وإحصائية ، تعتبر مرجعا علميا جديرا بأن يتداوله أكبر عدد من المشاركين سيسهم في إثراء المناقشات والتوصيات .

وكلنا أمل أن نحصل منكم على أكبر عدد من هذه الخريطة الثمينة لتوزيعها أثناء انعقاد المؤتمر ، كما نرحب بكل من يريد الاشتراك

مدير المركز الدولي الإسلامي
أ د فؤاد الحماوي

العربي

ـ نشكر للسيد مدير المركز الدولي الإسلامي رسالته الكريمة المعبرة عن اهتمامه وتقديره لهدية مجلة العربي التي قدمناها باعتبارها جزءا مكملا للرسالة التي يحملها العدد الممتاز بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الخامس في دولة الكويت ، ويسرنا بهذه المناسبة أن نذكر بأننا أرسلنا عددا مناسبا من الخريطة للمركز الدولي ، تلبية لرغبتهم ، ولتوزيعها على المشاركين في المؤتمر في أثناء انعقاد جلسته في التاريخ المشار إليه ، ونتمنى لهذا المؤتمر التوفيق والنجاح في المهام التي يتطلع إلى إنجازها لمصلحة الأمة الإسلامية

حول حضارة الأنباط مرة أخرى

● نظراً لأهمية حضارة الأنباط ، وتعميما للفائدة ، أود أن أضيف بعض المعلومات عن هذه الحضارة إلى ما ورد في باب « حضارات سادت ثم بادت » للاستاذ يوسف زعبلاوي في العدد رقم ٣٣٥ شهر اكتوبر سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي .

سكن الأنباط العرب المنطقة التي تقع جنوب الأردن وفلسطين ، أي في أرض الأدوميين واعتمادا على ما خلفوه من آثار حضارية يمكن القول

بائل عربية ، استخدمت الأبجدية الآرامية
ة ، وطورتها إلى شكل عرف باسم الخط
الذي يعتبر أصلا انحدرت منه الأبجدية
التي نكتب بها
كر الألواح الآشورية كثيرا من تلك القبائل ،
بطو أو نبيط ، وربما يعني هذا الاسم قبيلة
، إلا أن أقدم وثيقة تاريخية تذكر الأنباط
لا جدال فيها هي نقش يوناني يذكر الحملة
ردها القائد اليوناني « انتيباس » في عام ٣١٢
للهجوم على البتراء عاصمة الأنباط
ستنادا إلى ما تم العثور عليه من نقوش وقطع
استطاع علماء الآثار وضع قائمة بأسماء ملوك
، تبدأ بالحارث الأول الذي بدأ حكمه عام
ق م وتنتهي بنهاية حكم الملك النبطي رابيل
عام ١٠٦م ، أما بالنسبة للعاصمة فقد أطلق
اصمة الأنباط في التوراة تسمية سلع أو سالع ،
الشق في الصخر ، أما المصادر (الكلاسيكية)
انية الرومانية) فتذكر هذه العاصمة باسم
) أي مدينة الصخر ، في حين نجد أن المصادر
ة المبكرة تذكر هذه المدينة باسم الرقيم ،
م هو حفر البيوت والقبور في الصخر ، ومن
ثار الأنباط أيضا بناء ضخم ، يبلغ عرضه نحو
راً ، ويصل ارتفاعه إلى ٤٥ متراً ، ومعظم آثار
اء تدل على تأثر فن البناء النبطي بالفن
ني ، أما النقوش الكتابية النبطية فقد عثر عليها
طق مختلفة ، مثل حوران وسيناء ، مما يدل على
نفوذ الأنباط إلى هذه المناطق .

فيصل خليل الفوريين
الجامعة الأردنية / كلية الآداب
عمان ـ الأردن

المجلة

شكر للقارىء الكريم ما تفضل به من
ت ، تعتبر إضافة إلى ما سبق نشره حول
الأنباط ، وجدير بالذكر أنه وصلتنا رسائل
من قراء أفاضل ، تحمل إضافات الى
المعلومات التي نشرت حول هذه الحضارة الهامة ،
وقد وجدنا أن ما تحمله رسالة هذا القاريء يعطي
كثيراً مما جاء في بقية الرسائل فللجميع الشكر على
المتابعة .

استطلاع لقاريء عن

« مشكلة القات في اليمن »

● ما يزال القات يمثل أكبر الأخطار على أبناء اليمن

من الناحية الصحية . يقول الدكتور عباس الحملي يؤدي القات إلى التسمم في بعض الأحيان لدى المدمنين ، كما يضر بالرئتين والشرايين والقلب ، وبالنسبة للنساء الحوامل فإن المادة المائية في القات ترخي البطن ، وتؤثر على الجنين ، وتؤدي إلى تشوه الوليد

من ناحية الوقت يستعد المدمنون على تعاطي القات في اليمن لتناوله ابتداء من الساعة الواحدة بعد الظهر تقريبا ، فبعد تناول الغداء علفة يذهبون الى السوق لشراء القات ، ثم يذهبون إلى المقبل (مكان تجمع مدمني القات) ، حيث يستمرون في تعاطيه مدة خمس ساعات ـ على الأقل ـ يوميا ، وهذا وقت يضيع كل يوم هدرا ، وتضيع معه إمكانية الإفادة من مثل هذا الوقت في العمل أو الراحة

من الناحية الاقتصادية · إن الأسعار الباهظة للقات التي يحصل عليها المزارعون تشجعهم على التوسع في زراعة القات ، وزيادة إنتاجه ، فإنتاج بستان لا تزيد مساحته على هكتار ونصف يباع بثلاثمائة ألف ريال يمني والفرد المدمن للقات ينفق في الشهر الواحد لاشباع هذه الحاجة مايعادل ٥٠٠ دولار شهرياً .

ولو أدركنا نسبة من يتعاطون القات من الشعب اليمني البالغ تعداده تسعة ملايين لأدركنا حجم الخسارة التي تصيب الاقتصاد اليمني نتيجة لهذه العادة الخطيرة .

حوار القراء ..

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

ولو تخيلنا مساحات الأراضي التي تزرع الآن بالقات وهي مزروعة بالفاكهة والحبوب والبن الذي تجود زراعته في اليمن لأدركنا الوجه الآخر للعوائد الضائعة على هذا الاقتصاد

ناصر احمد قائد
الجمهورية العربية اليمنية

العربي

ـ بعث إلينا القارىء الكريم حديثا مطولا عن مشكلة القات في اليمن ، وكأنه نوع من الاستطلاع تنقصه الصور ، ولقد اخترنا منه ما يتسع المجال لنشره .
فشكرا للقارىء الكريم وعذرا للاختصار

عديدات الأرجل ليست من الحشرات

● قرأت في العدد رقم ٣٣٧ ديسمبر سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي مقالا للاستاذ حسن محمد بدوي بعنوان « عالم السماد الوحشي » في صفحة ٩٥ ، في الفقرة الثالثة قبل الأخيرة ورد مايلي

« قد يأخذك العجب عندما ترى هذه الحشرة وهي تزحف بألف رِجْل ، في اتساق عجيب » والصواب أن ما ذكره الكاتب ليس حشرة ، لأن طائفة الحشرات تتميز بأنها بست أرجل ، ولذا تسمى Hexapoda ، أما ما ذكره فينتمي إلى طائفة عديدات الأرجل ، أي ذوات الألف رِجْل Diplopoda ، لذا لزم التنبيه

كما ورد خطأ مطبعي في الفقرة التالية « ومثل حركة المد والجزر فإن التركيبات العضوية للسماء تعلو وتنخفض في نظام غريب » ، والصواب هو (للسماد) وليس (للسماء) كما ورد

فيصل صيلمان علي
اليمن / صنعاء

أشباه العناكب ليست من الحشرات أيضا

● قرأت المقال المنشور في العدد ٣٣٧ ديسمبر سنة ١٩٨٦ من مجلة (العربي) على الصفحة ١٠٤ بعنوان « الجرب تنقله حشرة تبحث عن الدفء » بقلم الدكتور محمد عبدالله المشاري ، وأرى أنه قد يكون من المفيد نشر التوضيح التالي

« إن المسبب والناقل للمرض (وليس الناقل فقط) هو من أشباه العناكب Mites ، تختلف هذه عن الحشرات بصفات كثيرة ، أهمها أن لها ثماني أرجل وللحشرات ستا ، وأجزاء جسمها الثلاثة (الرأس ، والصدر ، والبطن) ملتحمة في قطعة واحدة ، بينما هذه الأجزاء منفصلة في الحشرات

ومن حيث التصنيف العلمي فإن أشباه العناكب Mites تتبع Class ARACHNIDA order Acarina والحشرات insects تتبع Class INSECTA لذلك فإن المسبب للجرب هو من أشباه العناكب ، وليس من الحشرات فوجب التنويه مع الشكر والتحية

د خليل حسن الشول
الشجرة / الأردن

قضية تكفير المسلم ، وغيرها

● في العدد رقم ٣٣٥ شهر اكتوبر سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي قرأت ما كتبه الدكتور محمد عماره تحت عنوان « حول قضية تكفير المسلم » ، وقد أعطانا كاتب المقال صورة حية لنهج الداعية الإسلامي الأستاذ أبي الأعلى المودودي إزاء تحرجه من تكفير المسلم ، وكنا بحق نتطلع إلى رأي كاتب المقال نفسه في هذه المسألة التي أصبحنا نسمعها كثيرا من بعض إخواننا الشباب في السودان ، ومن بعض أساتذة وعلماء مرموقي المكانة ، ويهمني أن أضيف إلى ما ورد في مقال الدكتور محمد عمارة ما أورده الإمام

النووي رضي الله عنه في رياض الصالحين في باب « تحريم قوله لمسلم يا كافر » . عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) « إذا قال الرجل لأخيه . يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » متفق عليه ، وعن أبي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله (ﷺ) يقول « من دعا رجلا بالكفر ، أو قال عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه » ، (حار عليه أي رجع عليه) متفق عليه

فإلى مريد من إلقاء الضوء على هذه القضية الهامة والله المستعان

حمود أحمد سعيد

الخرطوم / السودان

العربي

- تهتم مجلة العربي بمختلف القضايا التي تهم الأمتين العربية والإسلامية ، سواء في جوانب العقيدة أو المصالح القومية ، أو الجوانب الثقافية ومتابعة موضوعية لأعداد « العربي » في الأعوام الأخيرة يتأكد حرص المجلة على مشاركة صفوة من أصحاب الأقلام في كل هذه المجالات ، كما يتأكد حرص القراء على المتابعة الإيجابية الواعية

التدخين هذا المبيد البشري

● في العدد ٣٢٠ يوليو سنة ١٩٨٥ من مجلة « العربي » في مقال الدكتور بدوي بدران ، وهو بعنوان « التدخين هذا المبيد البشري » قرأت في صفحة ١٢١ مايلي

« والسبب غير المباشر الذي يجعل المدخنين يولعون بالتدخين هو شعورهم بالانتعاش ، ويأتي هذا الشعور نتيجة لتوسع شرايين الدماغ ، بسبب تأثير النيكوتين الموسع للشرايين ، وبعد فترة وجيزة تعود الشرايين للانقباض » الى نهاية الفقرة .

وفي ص ٢٢ في فقرة أخرى من المقال إشارة الى « أن التدخين يؤدي الى تقلص الأوعية الدموية ، ويسبب تصلب الشرايين » .

وفي العدد ٣٢٨ مارس سنة ١٩٨٦ في مقال الدكتور رياض العلمي بعنوان « ومن بعض الغذاء داء » ص ١٦٦ ورد مايلي « يمتاز النيكوتين بأنه قلوي سائل كما يضيق الأوعية الدموية »

ولعلكم ترون بوضوح أن ثمة تناقضا في المعلومات ، فكيف يؤدي التدخين الى توسيع الأوعية الدموية وتضييقها في آن واحد ؟

خالد مرعي

حماة / سوريا

العربي

- نصح ملاحظة القارىء الكريم أمام كاتب المقال الدكتور بدوي بدران ولعله من المناسب أن نشير هنا إلى أن الشعور بالانتعاش الذي يحدثه التدخين إنما يحدث للمدخنين الجدد ، أما المدخنون القدامى فلا يشعرون بذلك الانتعاش إلا عند تدخين السيجارة الأولى في صباح كل يوم ، ثم يختفي هذا الشعور مع مواصلة التدخين

والتعلق بالتدخين لا يعزى الى هذا الشعور إنما يعزى إلى النيكوتين الذي يؤدي انخفاضه في الدم إلى نوع من التوتر يزول بالتدخين ، ومن المعروف أن النيكوتين يصل إلى المخ في غضون سبع ثوان من بدء التدخين ، ولا يحتاج لأكثر من ٢٠ ثانية للوصول إلى أصابع القدمين ، لكنه لا يبقى في المخ أكثر من نصف ساعة ، يشعر المدخن بعدها بالحاجة إلى التدخين

والنيكوتين سم قتال أيضا ، فقطرة واحدة منه تكفي لقتل رجل ، حتى لو لم يبتلعها واكتفى بوضعها فوق لسانه ، وإن كان نيكوتين التبغ لا يفتك بالمدخنين فورا فما ذلك إلا لأن مقاديره في التبغ محدودة غير مكثفة ، لكنه أيضا يتلف الأعصاب ، ويضيق الأوعية الدموية ، وهناك أيضا غاز أول أكسيد الكربون الذي يحول بين دم المدخن والأوكسجين ، ثم هناك القطران ، وهو أخطر سموم التبغ جميعا ، وهو المسئول عن كثرة تعرض المدخنين لبعض أنواع مرض السرطان □

■ أعظم الأعمال في هذه الدنيا . تبدأ دوما بشخص واحد .

(رالف إمرسون)

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت

مارس ١٩٨٧ م

قلق الموت

تأليف : د. أحمد عبد الخالق

الكتاب ١١١

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

دعوة للترشيح لجوائز

المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

المقدمة من

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

تشجيعاً للبحث العلمي في مجال إنجازات الحضارة العربية الاسلامية في حقل الطب وفروعه ومجال التطبيق لذخائر هذا التراث على ضوء التمحيص العلمي التجريبي وفق منهاج العصر الحاضر والنظرة الفاحصة لأحكام الاسلام ذات الصلة بصحة الفرد والمجتمع وأخلاقيات الممارسة الطبية، تعلن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عن تخصيص جائزة كل سنتين في كل من المجالين الآتيين

١) مجال الممارسة مبنية على التجربة المختبرية أو السريرية المحكومة بالضوابط العلمية المرعية

٢) مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول من التحقيق

شروط الترشيح للجائزة :

- يشترط فيمن يحصل على إحدى الجائزتين أن يكون انتاجه منشوراً وذا أهمية في حقل العلوم الطبية الاسلامية وواعياً بالمنهاج العلمي العصري

- تقبل ترشيحات الجامعات والمؤسسات العلمية والهيئات العالمية، وكذلك ترشيحات الشخصيات المتخصصة لنفسها أو لغيرها

٣ ـ ترسل الترشيحات إلى العنوان الآتي

السيد مدير عام

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص. ب (٢٥٢٦٣) الصفاة

الكويت 13113

تلكس : ٤٤١٦٠ ـ كيفاس

وتقبل، مشفوعة بالسجل الذاتي والانتاج العلمي للمرشح في الفترة من ١٩٨٧/٤/١٥ ولغاية ١٩٨٧/١٠/٣١

٤ ـ لا يعاد الانتاج المقدم الى مرسله سواء فاز بالجائزة أو لم يفز ولا تقبل الاعتراضات على قرارات لجنة التحكيم

تتألف الجائزة من مبلغ وقدره (٣) ثلاثة آلاف دينار كويتي ودرع المؤسسة وشهادة تقديرية

وسوف تشكل لجان تحكيم من متخصصين لدراسة الترشيحات واختيار الفائزين وسيدعى من يفوز بالجائزة للحضور إلى الكويت لاستلام جائزته في حفل يقام لهذا الغرض

وحري بالبيان أن المقصود بالانتاج بحث علمي عميق ودقيق وموثق لمسألة محددة ذات صلة واضحة بالطب الاسلامي على مستوى المتخصصين وليس تناولا عاماً من قبيل الثقافة العامة

* *

العدد ٣٤١ السنة الثلاثون ابريل ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

دار التحرير

Issue No.341 Apr . 1987 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITA 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة:

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهمًا
البحرين ٢٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٣٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

عزل جينات السرطان ص٩٣ أعجوبة المعادن ص١٣٠ حسناء باريس ص١٤٠

■ حديث الشهر :

■ المثقفون العرب بين الحسرة الأمل
- د. محمد الرميحي ٨

■ الثقافة والشـــارع :
- فتحي رضوان ١٨

■ العقلانية الإسلامية .
- د. محمد عمارة ٢٤

■ الطريق إلى يافا (قصيدة) .
- يوسف الخطيب ٢٨

■ طه حسين وثقافة العصر .
- د. أحمد عُلبي ٣٠

■ الاستخدام التآمري للقوة
« نموذج حرب السويس » .
- أمين هويدي ٣٥

■ سنان حسابي من الدين إلى
السياسة عبر الرواية .
- د. محمد موفاكو ٤٢

■ تعالوا نتعلم كيف نختلف !
- د. يحيى الجمل ٤٧

■ للمناقشة : ما حقيقة الربا ؟
- فهمي هويدي ٥٣

■ السحر ليس للبيع (قصة) .
- شوقي جـلال ٥٨

■ الفصل بين الطب والفلسفة .
- د. عادل البكري ٦٤

■ عزل جينات السرطان إعجاز علمي .
- عبد الرحمن حريتاني ٩٣

■ استخراج اللؤلؤ في الشعر الجاهلي
- د. حسين عطوان ١٠٨

■ أسرار احتكار الفضة وخسارة العرب .
- د. غسان حتاحت ١١٢

■ الفيلم العربي يبحث عن المتفرج العربي .
- رؤوف توفيق ١٢٠

■ الألمنيوم أعجوبة معادن القرن العشرين
- محمد علي النقي ١٣٠

■ من روائع الإبداع العالمي :
حسناء باريس بين الفن والسياسة .
- جمال قطب ١٤٠

■ مقبرة الأربعين (قصة) .
- د. محمود موعد ١٤٨

■ مرضك هل له علاقة بالكهربائية ؟
- د. سامي عزيز ١٠٢

■ قراءة في روايات عدنان عمامة .
- وليد أبوبكر ١٠٦

■ كان طيفه حقل عنب (قصيدة) .
- محمد البقلوطي ١١٠

صورة الغلاف

في طيبه مدينة الاقصر المستلقية في أقاصي مصر ـ المدينة ذات المائة باب ـ عاشت « العربي » في عمق التاريخ المصري القديم منذ عهود الفراعنة وحتى العصر الحديث
(طالع ص ٦٨)

□□□□□□□□□□□□□□□□□

بدرو
تينيث

حامد
أحمد

استطلاعات
مقابلات

المدينة ذات المائة باب ! ، الأقصر . حيث الحياة موت والموت حياة !
ـ سليمان مظهر ٦٨

وجهاً لوجه :
د. بدرو مارتينيث ...
ـ د. حامد أبو أحمد ١٠ ...

الفيلم العربي يبحث عن المتفرج العربي ص ١٢٠

عرضك هل له علاقة بالكهربائية ؟ ص ١٥٢

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القارىء ٧
■ السؤال ١٧
■ منتدى العربي :
ـ قضية : العام والخاص في الأدب الفلسطيني
ـ أحمد المصلح ١١٥
ـ تعقيبات : ملاحظات تربوية .
ـ د. أمل علي المخزومي ١١٨
■ الجديد في العلم والطب .
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي .. ١٢٥
■ سلامة البشرية
في سلامة البيئة ١٢٨
■ أرقام : انفجار « الترمومتر » .
ـ محمود المراغي ١٤٦
■ جمال العربية :
ـ صفحة لغة : سؤالان وجوابان
ـ محمد خليفة التونسي ١٨٢
ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء .
بين التدلل والتذلل
لأبي فراس الحمداني ١٨٤
■ الكلمات المتقاطعة ١٨٦
■ مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : تأملات في مستقبل تطور التربية ـ ياسر الفهد . ١٨٧
ـ من المكتبة العربية . عروبة الجزائر عبر التاريخ .
ـ رشيد خشانة ١٩٢
ـ مكتبة العربي : مختارات ... ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد (٣٣٨) .. ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ اكتشاف مزايا الطرف الآخر سبيل إلى السعادة الزوجية .
ـ راجي عنايت . ١٦٢
■ الغذاء الصحي بعد بلوغ الخمسين
ـ د. ابراهيم فهيم ١٦٦
■ طبيب الأسرة الخطأ والصواب في الإسعاف الأولي المنزلي
ـ د. حسن فريد أبوعرالة ١٦٩
■ مساحة ود لا نسمع ولا نرى !
ـ محمود عبد الوهاب ١٧٣
■ هو هي ١٧٤

عزيزي القارئ

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

« التحرير الفني » فن خاص ومتقدم ، منتشر في الصحافة المعاصرة وبخاصة الغربية

أما في الوطن العربي فانه لم يصل الى المرتبة المتقدمة المرجوة حتى الآن .

« والتحرير الفني » كما عرف عالميا يقتضي تحديد الأفكار بالفقرات والانتقال السلس من فقرة الى أخرى ومن فكرة الى أخرى . . وكذلك تحديد المعنى بأكثر ما يكون من الدقة ، دون إطناب يضيع القارىء معه في متابعة الفكرة من جانب ، ودون اختصار من جانب آخر يؤدي الى نفس النتيجة

هذا التحرير ذو المستوى الرفيع هو ما نحاول في « أسرة العربي » أن نقدمه ، وفي بعض الأحيان نقسو على أنفسنا في تقديمه دون تسامح .

ففي الاجتماعات الشهرية التي تقوم بها أسرة العربي لتقييم ما تم نشره ، نمحص المجلة من ألفها الى يائها محاولين استقصاء نقاط الضعف في التحرير وفي الطباعة على أمل أن نقوم هذا الضعف في الاعداد التالية ، ويتحول لقاء أسرة العربي الى نقد موضوعي للعدد بصرف النظر عن مسؤوليات أعضاء هيئة التحرير الشخصية في العدد نفسه والهدف من ذلك هو أن تكون موضوعات المجلة متقاربة من حيث الصياغة والتحرير بحيث تبدو في مستوى واحد

من خلال هذا العمل الدؤوب نستطيع أن نقول للقارىء إن مستوى التحرير عندنا يسير جنبا الى جنب مع المستوى الفني والثقافي ، وهي ثلاثية ترتكز عليها المطبوعة ، أية مطبوعة جيدة ، ونحن في العربي نسعى الى هذه الجودة بوعي كامل

ومن أجل مزيد من هذه الخدمة الثقافية ينضم إلى أسرة كتاب « العربي » الكاتب الكبير فتحي رضوان ، ليكتب لك في هذا العدد عن « الثقافة والشارع » ، ويكتب الدكتور يحيى الجمل مقالة بعنوان « تعالوا نتعلم كيف نختلف » ، كما تجد ـ عزيزي القارىء ـ مجموعة من المقالات لكتّاب العربي منها « العقلانية الاسلامية » للدكتور محمد عمارة ، « وطه حسين وثقافة العصر » للدكتور احمد علبي ، و« الفصل بين الطب والفلسفة » للدكتور عادل البكري ، بالاضافة الى موضوعات اخرى طبية وعلمية ، منها « الالومنيوم . . أعجوبة معادن القرن العشرين » ، « واعجاز علمي في عزل جينات السرطان » ، « وسر العلاقة بين المرض والكهربائية »

وحين نقدم لك بعض مادة هذا العدد فاننا نقول إن الكمال لله وحده ، لا يستطيع بشر أن يدعيه ، وأننا نحاول ـ فقط نحاول ـ تقديم تحرير راق ممتاز وموضوعات جديدة تضيف إضافات ايجابية لحصيلة المثقف العربي العلمية .

المحـــرر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

■ لو أردنا أن نحصر الكتابات العربية الحديثة التي كان لفظ « المثقف »
« المثقف العربي » طرفا فيها ، لربما احتجنا الى سفر صخم ، ولـو أردنا ا
نحدد مفهوما قاطعا مانعا للمثقف لاحتجنا أيضا لمثل ذلك السفر . فلا
أصبح « المثقف » في كتاباتنا العربية ـ مفهوما أو دورا ـ من الموضوعات المح
التي يعود اليها الكتاب بين فترة وأخرى ، يبحثون عن دور لهذا المثقف
بمجتمعهم وأمتهم .

وهذا النقاش حول دور المثقف ـ على كل حال ـ ليس ظاهرة خاصة
نحن العرب ، فقد سبقتنا ـ وربما سوف تلحقنا ـ أمم أخرى طرحت ، و
تطرح ، نفس الاشكالية في ظروف تطورها للبحث عن دور لأبنائها الواع

لعلنا ـ في الوطن العربي ـ قد حمّلنا « المثقف » أكثر مما يحتمل لحل المشكلات المعقدة الوطنية والقومية ، وعقدنا الندوات تلو الندوات لفهم دوره وتطلعاته ، ورفض بعضنا الاعتراف بأن المثقف هو نتاج لمجتمعه وظروف تطوره أكثر منه قائدا فكريا يشير بالحلول في المشاكل المعلقة فتحل عقدتها .

ولعل التشتت العربي البادي للعيان ، والحرائق الملتهبة في شكل حروب قطرية أو حدودية أو أهلية ، على امتداد مساحة الوطن العربي ـ سواء كانت نار تلك الحرائق بارزة ملتهبة أو مختفية تحت الرماد ـ لعل ذاك التشتت وتلك الحرائق تجعل بعضنا يعود الى التساؤ ل من جديد :

ما هو دور المثقفين العرب لتبصير الأمة بكل تلك المخاطر التي لا تهددها الآن فقط ، ولكن تهدد بقاء أجيالها القادمة ، وما هي المخارج المعقولة لهذا الضياع الكبير ؟

نظـــارة المثقفـــين :

■ أبلغ تعبير عن القصور الذاتي لبعض المثقفين العرب ، هو ماقرأته في احدى الدراسات التي تقول ان كلا منهم يلبس نظارة زجاجها من لون معين ! وانني أسارع بالقول بأن هذا التعبير قد يكون عاطفيا أكثر منه موضوعيا . الا أن النتيجة العلمية متقاربة ، وهي الاختلاف الشديد بين المثقفين في رؤ ية الموضوعات المتعلقة بالأمة ، بواقعها ومستقبلها وبأولوياتها المبتغاة والمرغوبة .

واذا كان الاختلاف في الرأي ـ في حدود المنطق ـ ظاهرة صحية ، الا أن التناقض الى درجة العداء والتعطيل والتحزب الضيق ، والخروج على مصالح الأمة للدعوة الى مصالح أعدائها ، فيه تعويق ضار بمسار الوطن والأمة .

وبعيدا عن الدخول في متابعة مدرسية لتحديد من هو المثقف الذي نعنيه فيما اذا كان متخصصا في موضوع محدد أم ملما بموضوعات شتى . . فإن مايعنينا أن للمثقف دورا اجتماعيا يتخذ من خلاله موقفا واعيا يربط الانسان بوطنه ومجتمعه وأمته ، دورا تنويريا في أساسه وياديا في طرحه لموضوعاته .

فالمثقف العربي ينتمي الى أمة ذات شخصية تاريخية ، وذات طموح مستقبلي ، ومهددة من أعداء شنوا عليها الحرب تلو الحرب ومازالوا يفعلو . .

من هنا فإن المثقف العربي مسئول عن الدفاع عن شخصية هذه الأمة وتراثها الروحي والمعنوي والمادي ، حيث ان هذا الدفاع له علاقة بشرف المواطن وشرف الكلمة أيضا ، فوجب عليه أن يبحث عن مواطن تخفيف

المثقف
العـ
نـ
لمجتم
وظرو
نطـ

حـ
طـور
انتقـال
ـن
ـقـافـة
ذاكرة
١
ـقـافـة
ابـداع

مواضع الألم ، والدعوة الى رص الصفوف في مواجهة الأعداء المشتركين
والمثقف مسئول أيضا عن تجاوز ارباكات الوضع السياسي القطري
وعدم رهن المواقف الثابتة بمواقف متحولة ، لأن الوقوع في ذلك يعني خسار
بناء أرضية مشتركة للمثقفين العرب ، وخسارة تكوين جبهة ثقافية واحدة أ
متقاربة ، تحدد فيها الأولويات الوطنية والقومية التي يمكن ان تفرض بعد ذلك
حطوات حقيقية وملموسة على صناع القرار .

ان أحد الأخطاء الخطيرة لأي مثقف أن يجاري ارباكات الوضـ
السياسي القطري ، أو أن يتعامل مع الآخرين ممن هم خارج القطر من موقف
« المعلم » على أساس أن هذا الموقف سهل وغير مكلف ، بل قد يكون له و
بعض الأحيان مردود ايجابي ! ان فعل ذلك يقع في اطار المزايدة أكثر منه عمل
في اطار الاصلاح والتنوير .

وقد يكون لبعض المثقفين خارج الوطن العربي مواقف اكثر حدة ـ وهم
على البعد ـ يتعاملون من منظور مثالي بعيد عن الواقع ، غير ملمين بالامكانات
المتاحة والواقع المعاش فيضرون أكثر مما ينفعون .

●●●

قيمة الكلمة ودور الثقافة ، هو أنها تستطيع التأثير في الناس وفي الحياة
وتدفع الى واقع أفضل ، وهي لن تستطيع أن تفعل ذلك اذا فقدت
موضوعيتها .

ان مسئولية المثقف هي في الدراسة الموضوعية لهذا التشتت ، وفهم
اسباب الحرائق ، وتجاوز الارباكات القطرية الى منظور قومي يتجاوز
الخلافات الصغيرة ويتفق على الغايات

والسؤال الذي يجب طرحه :

هل هو من قبيل المصادفة حقا اغراق الوطن العربي في لجة من الحرائق
الصغيرة والكبيرة ، وتعميق تشتت أقطاره وتطويقه بتناقضات وفتن داخلية
وما هو دور المثقفين العرب ـ على اختلاف اجتهاداتهم ـ في تفسير ذلك
والتنويه عنه ، ورسم مخارج حقيقية لتجاوزه ؟

اتفاق على الأسباب فقط :

■ رغم التباين الشديد في التيارات الفكرية والثقافية العربية اليوم ، بين سلـ
ومعاصرة ، وتراثية وحديثة ، وقومية وقطرية ، ورغم التشتت في لـ
الفكري العربي العام الذي نلمسه بوضوح ، الا أن الجميع ـ مهما تعدد

الاجتهادات ـ مدرك أن هناك (محنة) مظاهرها واضحة جلية ، أما كيفية تجاوز هذه المحنة . . فهنا تبدو الاجتهادات واسعة بل متباينة ، بعضها تغلب عليه الحسرة وأخرى مفعمة بالأمل . وقد طفق المجتهدون والمثقفون العرب في السنوات العشرين الأخيرة (أي منذ ١٩٦٧) ، وبعد سقوط مسلمات عربية ظلت ثابتة نسبيا الى ذلك التاريخ ، طفق المثقفون العرب ـ في مجابهة قاسية مع الذات تذكرنا بالنقد الذاتي القاسي الذي يحدث بعد أن تفشل أمة في تحقيق ذاتها كما حدث مرارا في التاريخ الحديث ـ يبحثون عن اسباب لهذا الواقع المؤلم .

وهنا اتجهت مجموعة من المثقفين العرب لنقد المجتمع العربي ، انها مجموعة تغمرها الحسرة ، شككت في كل ما يمكن ان ينسب الى الأمة العربية من قدرة ، بل ان بعضهم ذهب الى اتهام الشخصية العربية بأنها شخصية (ثنائية) تحمل الشيء ونقيضه في نفس الوقت ، وكأنها خارج السياق الانساني ، كما ان البعض استعار تشبيهات استشراقية فيها اتهام مباشر للعقل العربي بأنه « جامد وساكن » . وظهرت كتابات تقارن بين الشخصية العربية والشخصية الصهيونية ! وروج الاعلام الصهيوني العالمي لهذا المنحى

من المقارنة ، فأطلق حملة من أمثلتها كتاب للكاتب الصهيوني جون لافيـ ـيه اكاذيب مقذعة حول (العقل العربي) أردفه بكتاب عن « العقل الاسرائيلي » المتطور !

وشهدت السبعينيات وبداية الثمانينيات ، تفشي النقد الذاتي القاسي لدى طائفة كبيرة من المثقفين العرب مما شكل بحد ذاته ظاهرة ثقافية مازالت منتشرة في الوطن العربي .

وفي المقابل فقد بحث آخرون ـ في الواقع العربي ـ من منطلق الأمل ـ وظهرت تيارات فكرية آخذة في التبلور لتمثل حالة معاكسة للنقد القاسي بالنقد العلمي ، فكتابات الدكتور محمد عابد الجابري ـ المفكر العربي المغربي ـ في « الخطاب العربي المعاصر » وفي « تكوين العقل العربي » مثال للنقد الذاتي المستنير حيث نجد دعوة مكررة لفهم « العقل العربي » ومحاولة دفع مفاهيم جديدة ونقد ماهو مسلم به من مفاهيم سائدة واعطاء بدائل ، قد لا تكون مقبولة اليوم ولكنها تفتح آفاق النقاش على مصراعيها .

ولعل آخر ما أثاره هذا التيار من قضايا للمناقشة هي قضية « الهوية العربية » وقد طرحها الجابري في ابريل الماضي ـ وفي مقال مطول حول المثقف العربي وإشكالية النهضة ـ فيطرح مسألة « الهوية العربية » على أنها مجموعة من الثنائيات : عروبة واسلام ، دين ودولة ، أصالة ومعاصرة ، وحدة وتجزئة وفي الموضوع الأخير (وحدة وتجزئة) يأتي الجابري بمحاولة غير تقليدية من مثقف عربي حيث مازالت الفكرة السائدة لدى الغالبية من المثقفين العرب

■ ماهو دور المثقف لتبصير الأمة بما يحيط بها من أخطار؟

تقول : (ان الوحدة هي اهم الطرق الناجعة لتجاوز محنة العرب) .

يقول الجابري في ثنائية الوحدة والتجزئة (إننا أمام تعميم لمظهر اقليمي عربي على باقي الاقطار العربية ، لقد اعتدنا القول ان التجزئة التي لحقت بالوطن العربي هي بسبب عامل خارجي هو الاستعمار ، وهذا صحيح بمعنى ، ولكنه غير صحيح بمعنى آخر) . . يعترف الجابري بأن التجزئة في بعض المناطق العربية من جراء الاستعمار ، ولكن الجابري يستطرد فيقول (ان القول ان الاستعمار هو المسئول الأول والأخير عن وجود الدولة القطرية

صـو
الأمـ
في
مستقـ
أفضـ
أصبـ
هـ
الهـد

بذه أو تلك انما يعني ان البلاد العربية قبل الاستعمار كانت موحدة . . وهذا
نظرنا غير صحيح ، ذلك لأنه اذا كانت معظم أقطار الوطن العربي قد
توحدت » تحت الحكم العثماني ، فانها كانت غير موحدة قبل ذلك) .
إن انتماء الجابري كمثقف الى العروبة لا يحتاج الى كبير اثبات كما يقول
كما نعتقد ، ولكنه يطرح (كلاما لم يعتد سماعه الكثيرون) .

من هذا المنطلق يبحث الجابري في موضوع الوحدة من مظور جديد ، هو يعتقد أنه (لا معنى للقول مثلا ان الوحدة بين بلدين عربيين - مهما كان نوع الوحدة بينهما - محاولة تعرقل الوحدة الشاملة . بل يجب تشجيع كل المحاولات التي تؤدي الى التضامن ، والى نوع من العمل المشترك الذي يؤدي الى اتاحة الفرصة للقاء أبناء الأمة العربية والحد من اختلافهم واحتكاك بعضهم ببعض في كافة المجالات) وهذا يعني ان ثمة طريقا آخر للتضامن العربي - ان لم يكن انجاز الوحدة الشاملة كما تصورت في الستينيات - فلا يجب التمريط في وحدات اقليمية ان أمكن ذلك .

الجابري يتعجب من طرح ثنائية (العروبة / الاسلام) ويقول :
(اننا لم نشعر يوما - نحن المغاربة - بأن هناك فرقا بين الاثنين أو أن هناك مشكلا في الاختيار بين العروبة والاسلام) . ويضيف الجابري (أستطيع أن أؤكد اننا عندما نقرأ كتابات مشرقية حول مشكل الاختيار أو المفاضلة بين العروبة والاسلام فاننا نجد أنفسنا امام كتابات لاتنفذ مما تريد أن تقوله الى وجداننا وعقولنا . ان المشكل هو - اساسا - مشكل محلي وليس مشكلا عربيا) التعارض كما يرى الجابري بين العروبة والاسلام تعارض محلي واقليمي في بعض المناطق العربية ، ولكنه ليس موجودا في كثير من المناطق العربية الأخرى .

قضيتان يحاول الجابري كمثقف طرحهما مساهمة في اطفاء بعض الحرائق الناتجة عن سوء فهم لهما : الأولى قضية الوحدة التي يجب قبولها متدرجة وخضوعا لواقع معاش ، وذاك يترتب عليه احلال التضامن والوفاق والبحث عن هوامش مشتركة دون القفز الى مثاليات ، والانطلاق منها ، مما يسبب تعويق الفهم المشترك بيننا واضعاف لحمة التضامن المطلوبة .
والقضية الثانية هي العروبة والاسلام التي لا يرى أغلب العرب تناقضا بينهما وحيثما وجد هذا التناقض وجب احلال التسامح والتوافق محل العداء والتنـ لأن الجميع يشترك في ثقافة معظم عناصرها متسقة .

يبقى هناك من يقول بأن هذه الخطوط من التفكير معقولة ومقبولة ومنطقية .. كما يبقى آخرون يرونها غير ذلك ، الا انها محاولة جادة لمعرفة الذات وطرح أمل جديد .

المجتمع العربي :

■ فئة أخرى من المثقفين العرب تسب عجز فاعلية المثقف العربي في مجتمعه الى أسباب موضوعية قابعة في المجتمع نفسه . هذه الأسباب هي التي تعوق أيضا الوقوف أمام هذا التشتت والضياع العربي ، وتتيح فرصا مناسبة لاشتعال الحرائق ، فالعجب من هزيمة جيوش المثقفين العرب - كما يقول الطاهر لبيب (مفكر تونسي) - هو عجب لا مبرر له في الواقع ، باعتبار أن أغلبية أهل المعرفة مرتبطون نشوءا ومصيرا بمراحل تطور مجتمعاتهم التي توظفهم في تلبية حاجاتها ، وان المجتمعات العربية ضعيفة التناقض الاقتصادي / الاجتماعي ، وهذا الضعف في معظم المجتمعات العربية حال دون بروز تيارات فكرية قوية وشبه سائدة حتى بصرف النظر عن محتوى هذه التيارات ، ويعود آخرون بجانب الطاهر لبيب لهذا الموضوع ، مثل أحمد مجدي حجازي (في المستقبل العربي ٨٥/١١) فيربط تخلف دور المثقف في المجتمع العربي بتخلفه الاقتصادي / الاجتماعي ، ولا يجب أن نتوقع - كما يقول حجازي وآخرون - دورا للمثقف العربي خارج المجتمع الذي ينتمي اليه ويبرز بين جنباته .

إلا أن أحد المثقفين العرب البارزين - هو هشام شرابي - حاول أخيرا أن يفهم اشكالية الشتات والتنافر العربي من منظور فهم المجتمع نفسه ، فكان أن طرح الأمر في ندوة (المفكرون العرب في المهجر التي عقدت في باريس في ديسمبر الماضي) يقول شرابي انه كي نفهم الآخرين علينا ان نفهم انفسنا ، واننا نستطيع ان نفهم أنفسنا من خلال نماذج معرفية ثلاث يعتقد هشام شرابي

أنها تشكل الوعي العربي الحالي ، ومن خلالها يمكن فهم المجتمع . هذه النماذج هي :

النموذج التقليدي (البطركي) ـ وهو مفهوم بحد ذاته معقد بعض الشيء ويعني بشكل عام (النظرة الأبوية التسلطية المطلقة في النظر الى الأمور وإدارتها) ، والنموذج الثاني هو (البطركي الحديث) ، أما الثالث فهو (النموذج النقدي) .

يتميز الوعي في النموذج الأول ـ كما يقول شرابي ـ بمفاهيم الوصفية والسردية وتأكيد القيم ، وهي لا تعرف الذات نفسها الا من خلال اختلافها مع الآخرين ، فالآخرون نفي لها او تهديد . هذا الوعي يتميز بالرفض المطلق للاختلاف ، ويرى في أية اختلافات تناقضا كليا معه .

أما الوعي (البطركي الحديث) فهو لدى شرابي وعي للتوفيق بين التراث والحداثة ، بين الماضي والحاضر ، ولكنه ينقد هذا الوعي حيث ان منهجيته لا تختلف عن منهجية الوعي الأول في الوصفية والسرد وتأكيد الماضي ، ويعود شرابي الى نقد نموذج الوعي هذا بقوله (ان الهرب من الواقع والتراجع نحو طفولة مستحيلة ضرب من ضروب الخلل النفسي في الأفراد ، أما في الجماعة فهو ظاهرة تخفي فوضى فكرية واجتماعية تهدد المجتمع بأسره ، هذا الوعي يخترع الحقائق ويبني النماذج كما يريد . . تارة يستمدها من منظور تراثي يفسره على هواه . . واخرى يصنعها من نسيج ينتقيه كما يحلو له)

ويلاحظ الكاتب في النموذج النقدي ان هناك وعيا ثالثا ، أو نموذجا ثالثا للوعي ، وهو ما يسميه « بالنقد العربي الحديث » ـ الذي برز في السبعينيات ـ خاصة في المغرب العربي وفي اوساط المثقفين العرب في الخارج كما يعتقد ، ومازال هذا الوعي ذو النزعة الاستقلالية والثورة على التبعية الثقافية في مرحلة التطور والنضوج .

ويحدد هشام شرابي أولويات عمل المثقف العربي ـ بصفته من المثقفين العرب المهاجرين ـ بأن المشكلة التي تشكل اليوم خطرا مباشرا (هي الهجمة الشرسة التي تشن على العرب والاسلام في الغرب على مستوى الفكر والممارسة . . وتظهر في ثلاثة أشكال متنوعة : اعلامي وسياسي وثقافي) .

هذه النماذج من الكتابات تنظر الى أن تعويق عمل المثقف العربي ناتج من أسباب موضوعية موجودة في مجتمعه ، وتعطل جانبا كبيرا من وعيه لذاته وللآخرين ، ولكنها أيضا نظرة أمل للمستقبل ، لأن الوعي الصحيح ـ ولو كان في القلة ـ يتشكل باطّراد .

من ثقافة الذاكرة إلى ثقافة الإبداع .

■ محصلة كتابات المثقفين العرب - باجتهاداتهم المختلفة - هي أننا في طور الانتقال من « ثقافة الذاكرة » - ان صح التعبير - الى « ثقافة الابداع » ، صحيح أن الأغلبية ما زالت تحن لثقافة الذاكرة ، ولكنه صحيح ايضا وبنفس القوة أن ثقافة الابداع بدأت تظهر وتأخذ لها مكانا معقولاً في الكتابات الحديثة ، ولم تعد مفاهيم فكرية مثل الحقيقة والعلم والعقل تبدو كمفاهيم خارجة عن الزمان والمكان العربيين ، أو مفاهيم تقع في اطار الثنائية التي تعود عليها بعضنا فترة طويلة ، بل أصبحت للطليعة المثقفة مفاهيم تدافع عنها ، وتتقبلها فئات اجتماعية تتسع تدريجيا .

ولم يعد الخوف من المستقبل انطلاقا من الواقع السلبي الذي نعيشه هو الهاجس والمثير ، بل أصبح صوت الأمل في مستقبل أفضل من خلال معرفة الواقع معرفة علمية هو هدف المثقف العربي .

ان معرفتنا - كعرب - لمصالحنا المشتركة وأهدافنا القريبة والبعيدة ، بل ولفهمنا لمقاصد أعدائنا فينا ، كلها قضايا لها أهميتها . ؟ مناقشة كل تلك القضايا وتوضيحها وجدولة أولوياتها وتحديد مسارات الاستقلال الاقتصادي والتنمية الشاملة والتعاون هي مهمات المثقف العربي اليوم ، وهي مهمات لا يستحسن قبول العزاء فيها .

محمد الرميحي

أ. ا ا

الشيخ جابر الأحمد　　　الرئيس حافظ الأسد　　　خافير بيرير دي كويلار

■ الحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا هي « اسرائيل » أفريقيا ، و « اسرائيل » هي جنوب أفريقيا العنصرية المغروسة في الوطن العربي والعالم الاسلامي »

■ إن مواجهة التحدي الحضاري المعاصر هي الميزان الأمثل لارادتنا وقدرتنا

■ إننا ندعـو إلى تعاون عـالمي ، لتأمين الانسانية أفرادا ومجتمعـات من أخطار الارهاب الطائفي والعنصري والدولي ، وما يرتبط به من تهديد وابتزاز ، مع التفرقـة الأمينـة بينه وبين الحق المشروع في الـدفاع الشـريف عن الأوطان واستعـادة الحقـوق السليبة »

من خطاب الشيخ جابر الأحمد

أمير دولة الكويت في المؤتمر الاسلامي الخامس

■ لقد بات لزاما على المجتمع الدولي بأسره أن يضع نصب عينيه ضرورة التوصل إلى طريق محدد لانهاء الحرب العراقية الايرانية التي طال أمدها

خافير بيرير دي كويلار

سكرتير عام الأمم المتحدة

■ إذا ما ضربت « اسرائيل » دمشق بقنبلة ذرية فإن آثارها سترتد عليها ، ولن تسلم من مضارها

الرئيس حافظ الأسد

■ يجب التفريق بوضوح بين أعمال الارهاب الاجرامية الظالمة التي يرتكبها الأفراد أو الجماعات أو الدول وبين النضال الوطني المشروع للشعوب المستعمرة والمقهورة ضد الاحتلال الأجنبي أيا كان نوعه

من قرارات مؤتمر القمة الاسلامي الخامس

■ إن ما تطالب به الشعوب الاسلامية ليس مجرد بيان لتحكيم العقل ، وليس مجرد دعوة للسلام فقط ، بل ما تنتظره من قادتها هو العمل الجاد والموحد الذي يهدف إلى تحكيم كتاب الله بين الطارفين المسلمتين المتحاربتين ، العراق وايران »

عبدالعزيز الصقر

رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت

الثقافة والشارع

بقلم : فتحي رضوان

الكاتب العربي الكبير فتحي رضوان يقدم منظوره الابتكاري حول مفهوم الثقافة . وهو يضع أمام قارىء « العربي » خبرته الطويلة في هذا الاطار الحيوي الذي اختلفت حوله الأقلام العربية .
ترى من هذا المثقف في رأي الأستاذ فتحي رضوان ؟

قد يبدو عنوان هذا المقال محتويا على تضارب ، فالوهم الشائع يقول ان الثقافة والشارع متنائيان ، بل متناقضان

فالثقافة غايتها ترقيق الشعور وإرهاف الحس والنظرة الى الأشياء والأشخاص بحب ولطف ، والوقوف أمام العناصر والألوان بتسامح ، ومحاولة فهم وهيام بالفن وبالجمال ، يتساميان عن الغلظة والجفوة

والشارع ضجيج لا يهدأ ، وتدافع من أجل الكسب والسبق لا ينقطع ، وما يشبه الشجار يتجدد ، وميل للأثرة والهيمنة لا يخف فكيف يلتقي النقيضان ، ويتجاور الضدان ؟!

ولكن في الطبيعة والحياة ، تتجاور النقائض وتتلاصق حتى يبدو النقيضان شيئا واحدا ألم ... الله البحرين ، هذا ملح أجاج وذاك عذب فرات ... ولكن لا يبغي أحدهما على الآخر ، ولا يحل

حم منها والأوسع نطاقا ، من الأصغر والألطف
، أو يمحو وجوده ؟

الثقافة تيار متجدد أشبه شيء بالكهرباء لا
، ولا نشم لها رائحة ، ولا نعرف لها حجما ،
ها موجودة وفعالة ومؤثرة لا ندري من أين
، ولا إلى أين تذهب ، حينما نطفىء المصباح
ربي ، أو نوقف المحرك الدوار ، أو نعطل
ا من أجهزة الاذاعة ، سواء كانت مرئية أو
وعة وتشبيه الثقافة بالكهرباء ، تشبيه سليم
حيح فالثقافة تدفع وتحرك ، وهي تضيء
ر ، وهي تدفىء وتمنح القوة وكذلك
رباء

افة والشعب

لقد انتهى الرأي عندي ان الثقافة لها مزايا تغاير
، وبين العلم ، فهي أولا شعبية ، وهي ثانيا
.. ، وهي ثالثا معارضة

. قافة تعيش في أحضان الشعب ، وبين ظهراني
هير ، تصدر عنه وتعبر عن حواجه ،
اساته ، وتصور أدبه وفنه ، ومن ثم فلا أحد
صاحبا لمنجزاتها ، ولا مؤلفا لها ، ولا راسما
ها ، ولا واضعا لألحانها ، ولا منسقا لأحداث
تاريخها ، ولا مبتكرا لألغازها وأحاجيها ، ولا مفتنا لقصصها ولا (لحواديتها) التي تروى للأطفال قبل النوم ، فهي تنبثق وحدها ، وتتطور على مر الأزمان ، وتتنقل من قرية الى قرية ، ثم من جيل الى جيل ، وتتشكل حسب البيئات ، وحسب الأزمان وحسب الأذواق ، ومع ذلك تبقى محتفظة بقالبها الأصلي ، وبأكثر سماتها وأظهر خطوطها

وهي حين تؤدي دورها بميلادها ثم بتنقلها ، ثم بذيوعها وانتشارها ، تدخل في سجل التراث الشعبي ، وتبقى فيه ، وبعضها يبدو أنه اندثر ثم تمر قرون ، فاذا به يعود سيرته الأولى ، حيا معروفا ، ممتعا للسامعين وللرواة فمن أين ينبثق ، وفي أية ظروف يولد ، هل تلده المصائب الشعبية ، والملمات العامة ، والأحزان المشتركة ، كذلك مع انبثاق البطولات ، وظهور الأبطال ؟ هذه هي حقائق ميلاد هذه الثقافة العريزة المتدفقة المتنوعة التي تكون (موالا) و (فرورة) و (حدوته) ، و (قصة طويلة) ولحنا عذبا سهلا سريع التنقل

ولكن الذي يستوقف النظر أن خفاء اسم صاحبها ومبدعها ، وناقلها ومورعها ، هو سمة الثقافة الأصيلة التي تميزها عن أشياء أخرى مثل (العلم) أو المعرفة (العقلية) أو الأدب المدروس في المعاهد والجامعات ، والثابت في صحائف الكتب ، مشروحا ومعلقا عليه ، هذا كله شيء والثقافة شيء آخر

فالذين قالوا في وقت ما ـ وربما في العصور المتقدمة ـ ان الثقافة أخذ من كل شيء بطرف ، فهذا الذي يأخذ من كل شيء بطرف ليس مثقفا ، ولا اتصال له بها ، فقد يكون سمير مجالس يجلس في حلقات الأثرياء الأماثل الذين يحبون أن يتزينوا بزي المثقف ،وأن يزدان مجلسهم بواحد يروي الشعر ، وثان يروي الطرائف ، وثالث يتلو بعض آي الذكر الحكيم ، أو بعض ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ويحسب الجاهلون الذين يغشون هذه المجالس ، ويسمعون فيها أقوالا مصقولة ، وأبيات شعر جيدة النظم ، رقيقة الحاشية ، وقصصا قصيرة سريعة تروي أشياء من حياة الخلفاء والملوك والسلاطين ، كما تروي نوادر الادباء شرقيين وغربيين ، وقد يندس في هذا الكلام بعض أسماء أجنبية ، وعبارات بالانجليزية والفرنسية ، هذا كله ليس ثقافة لا القائل مثقف (بالكسر) ولا السامع مثقف (بفتح القاف) إنما هذا كله لون رقيق من إزجاء الفراغ ، قد يرتفع قليلا أو كثيرا عن سمر مجالس أخرى ، يسعى المتحدثون فيها الى ما يجرح الحياء ، ويجرح الفضيلة ، وهو أمر يساق في قوالب وصيغ لا يمكن أن تصدر عن الادباء والشعراء وأهل الرأي

الثقافة ليست عدوا للعلم

ويخطىء الذين يتصورون أن الثقافة ليست أخذا من كل شيء بطرف فقط ، بل يصرون على أن (العلم) عنصر من عناصر الثقافة ، وأن المثقف لا يكون كذلك إلا إذا رفع رأسه الى السماء فرأى الأجرام ، فشغل بعض الوقت بحركات النجوم ومسار الأفلاك ، وعرف السدائم والمجرات ، وأدخل في حديثه إشارات الى الكواكب التي عرفها الانسان الآن وقد يتصورون ان المثقف لا يكون كذلك إلا اذا أجال بصره في كتب تتحدث عن الحيوانات وأنواعها ، والبلدان ومواقعها الى آخر ما يدخل في نطاق (العلم) الواضح أن الثقافة ليست عدوا للعلم ، ولا تنفر منه ، ولا تقطع صلتها به ، ولكنه ليس عنصرا من عناصرها ، لأن الثقافة تصدر من الوجدان وتمضي الى الوجدان ، والعجيب ان الثقافة فيما تصل الى أعلى مراتبها ، تصقل العقل ، وتوسع ميراثه ، وتزوده بوقوده ، وتجدد حيويته وتبعث نشاطه ، وتدفع به الى مجالات على اتساع الفضاء ورحابته

ثقافة معارضة

ولننتقل الى سمة أخرى من سمات الثقافة بعد تلقائيتها ، وعدم الوقوف على صانعها ومبدعها ، ومع تجددها المستمر مع الزمان والمكان ،

هي (معارضة) أنشأها الاحتجاج ، ووسع نطاقها الاعتراض على ما يجري لا في دنيا الحكم والسياسة ، ولا في نطاق الاجتماع والتقاليد المرعية فحسب . بل هي في الوقت نفسه شكوى واستغاثة

فالانسان الذي يولد في هذا العالم ، أعزل من كل ما يدافع به عن نفسه ، تحيط به ظلمات متكاثفة

فلا يعرف من أين أتى ولا إلى أين يذهب ويرى أقوياء يطغون ، وأصحاب سلطة يفعلون ما يشاءون ، ويرى الى جانب هذا كوارث بغير سبب ،

وجوائح بغير مقدمات وجهلا مطبقا بالقواعد التي يعمل على أساسها عقله وبالدوافع التي تحرك بدنه ، بل يرى أينما ذهب ظلمات متكاثفة ، ويرى علما ناقصا ، وادعاء متزايدا ، وأخطاء تسمى حكمة ، ثم تنكشف عن ويلات ومصائب

ودعاوى يقننها القانون ويحميها السلطان ، ثم يظهر أنها كذب في كذب وتضليل في تضليل

هنالك يصرخ الانسان طالبا العون ، طالبا الملاذ ، طالبا الرشاد ، خائفا على نفسه من مصير يريده في الظلمات ضياعا ، ويأس يضاعف آلامه وأوجاعه هذه الشكوى وهذا التخبط ، وهذا الاصرار على المعرفة في مجاهل التيه ، وانقطاع السبل ، هو المراد الأول للثقافة ولذلك فقد انبثقت شكوى ملتهبة ، تكاد تشبه قذائف النار جريئة ، صارخة ، تكره القيود ، تكره الموروث ، تكره السلطان ، تكره القبول والرضا ، وتدعو الى الثورة والسخط والتمرد ، ثم تتقن الثقافة أساليب

الشكوى ، فيجلس مؤلفها المجهول ، ويصوغ
واويل شاكية باكية ، وحكاية ساحرة هازئة ،
العارا معقدة متحدية ، ويقول للفلاسفة
المفكرين ، والأصوليين والمشرعين أنا الأب
الشرعي ، لكل ما قلتم ، وما أخرجتم من كتب
ملسف الكون ، وفلسفات تغير الزمان والمكان ،
وتدعو الى عالم جديد والى دنيا ليس فيها ماقي دنيا
الانسان ، ثم يبدو أن هذا كله عبث لا نفع منه ولا
جدوى فيه

ثقافة شعبية

ولكن لا يزال للثقافة سمة أخرى ، فهي بعد أن
عرفنا أنها تلقائية وأنها معارضة ، فهي شعبية

وهي في هذا الجانب من سماتها تجمع النقائض ،
فهي بقدر تواضعها ، وبساطتها هي مدعية وفخورة
ومتألقة

فهي شعبية تسير في أسمال المتسولين ، ولكنها
ترفع رأسها شامخة فالنكتة تراها أحلى مذاقا وأحر
طعما على ألسنة العامة في الأزقة ، وعلى المقاهي حيث
تفوح رائحة عرق الجالسين على مقاعد مهترئة تكاد
تسقط ، والخمر الرخيص يثير في سماء المقهى
المتواري ، سحابا ثقيلا ، يرهق الأنفاس ، وتضيق
له الصدور

تقال الملحة حافية غليظة ، تذكر الأسماء النابية ،
وتشير الى مواضع الجسم المستورة ، ويضج
الجالسون بقهقهات مصحوبة بسعال عنيف ينقطع
ليتجدد ، وقهقهة لا نعرف أهي ضحكة أم هي
حشرجة

هذا البعض من الأدب الساخر والنقد الهازىء ،
والهاتك للحرمات ، يقوله أناس كادوا يفقدون
أبصارهم لكثرة ما نظرت عيونهم في أماكن احتنقت
بالتبغ الرخيص وغيره من وسائل الترفيه والتخدير
وهم يروون ملحهم وفكاهاتهم ويضحكون ، يخيل
اليك أنهم يخافون حتى الارتعاد من أي إنسان يلبس
ثوبا نظيفا ، ويحمل عصا ولو كانت رفيعة ، ولكنهم
إذا اطمأنت نفوسهم وأخذ ينطق لسانهم بالملح
والفكاهات والتعليقات ، يخيل اليك أن كلا منهم
يحسب نفسه سيد الكون ، فهو يسخر من السلطان
والحاكم والفلاسفة والمفكرين ، ويصورهم بأقبح
الصور ، ويعريهم من مظهرهم الوقور ، ويكشف
سترهم طبقة بعد طبقة وثوبا بعد ثوب

والآن وقد عرفنا أن الثقافة تلقائية لا يعرف
مبدعها ولا مورعها ، وأنها معارضة حلقها أصلا
الاحتجاج والاعتراض ، وحلقتها أصلا الشكوى
والتمرد ، والسؤال الغاضب ، فهي أخيرا شعبية
تصدر من الشعب ، وتتوجه الى الشعب ، وهي لا
تسكن القصور بل هي تعيش وتنمو ، وتزداد سلاطة
لسان ، في الحارات والأزقة ، تتغذى بطين الأرض ،
وتعاشر هوامّ الفقر ، ومع ذلك فهي متكبرة
مترفعة ، لا يعجبها العجب ولا الصيام في رجب ،
فتسخر من الجاهل ، والمضطرب ، كما تسخر من
الفيلسوف والمفكر ، وتريد شيئا ما مجهولا ، ولكنها
لا تكف عن طلبه والسعي وراءه والالحاح في
معرفته ، بقي أن نعرف ماهي رسالتها . أهي
سخرية وغضب وتمرد فحسب ، وهل هي تراث
ماض لا يتجدد أم أنها تصنع من جديد ، وتضيف الى

الموروث أشياء لم تقل من قبل ، وترسم صورا لم يبدعها رسام ولم تخرجها ريشة

هي كذلك هي قديمة وحديدة ، ولا تكف عن الاهابة والاثارة ، والتهييج ولكن من الذي يصنعها الآن ؟

في الأغلب الأعم أناس هم أقرب الى الأمية لم يذهب أكثرهم الى مدرسة ، وإن ذهب بعضهم الى الكتاب والمعهد ، فما أسرع تركهم لمقاعد العلم والدراسة ، وإن كان منهم متعلمون

أناس قد ترى في القرية زجلا منهم ، يحفظ شيئا من موروث الشعر ، وبعض القرآن ، ولكنه يمتاز بصفتين ، الأولى وجدان متقد ، يتذوق الجمال ، في القول وفي الآدميين نساء ورجالا ، ذرب اللسان طويله ، لا يبحث عن الرزق ، ولا يهمه المال ، ويرتاد المجالس ، ثم يتحدث فتنصت له القلوب ، والآذان ، ويحفظ الناس ما يقول ، وترسخ في ذاكرتهم ملحه وقصصه وأساطيره

في الماضي كان (هوميروس) الشاعر الأعمى الأمي ، هو مثقف اليونان ، وكان شعراء الجاهلية العربية هم المثقفون ، وفي الحاضر نجد مثقفين لم يتموا تعليمهم ، ولكنهم قالوا شعرا ، نثرا وزجلا ، لا يبلى ـ وسحروا فيه من الملك والحكومة والمجتمع كان بيرم التونسي أحدهم ، وكان بديع خيري في مثل تأثيره ، وكان عبدالله النديم زعيما من زعماء الثقافة الحديثة

وكان من نفس الصنف ـ وإن لم يكن في نفس التأثير ـ سعيد عبده ، وإن كان طبيبا إلا أن حملاته الثقافية كانت زجلا بالعامية ، وكان محمود رمزي نظيم شاعرا بالفصحى ، وزجالا بالعامية ولكنه مات مرويا

وكان من أكبر المثقفين أيضا محمود مختار المثال الذي لم يتم تعليمه ، وإن كان قد ثقف نفسه فكان مثالا ورساما وشاعرا

فالثقافة هي شحن الوجدان ، وملء النفس بالحركة ، وبالتطلع الى التجديد ، وبالرغبة في الابداع المحموم ، والابتكار المشتعل وهي خالية من العلم ولكنها تدفع الناس اليه ، وتحمسهم فيه ، وفي الحرية أيضا

ولذلك فالثقافة والشارع صديقان متحابان ، وليسا شيئين متعاديين أو متناقضين □

بين القلب والعقل

● اشتهر جورج ولز الأديب العالم بأنه كان من الكتاب القلائل الذين جمعوا بين التفكير العلمي والأسلوب الأدبي في أعماله ومؤلفاته ، وقد سألوه يوما ما هو العلم ، وما هو الأدب ، وما هو الفرق بين الاثنين ؟ فقال ولز العلم عقل ، والأدب قلب ، وكما أن الانسان لا يستطيع أن يعيش بأحدهما ، فهو ميت لا محالة عندما يتوقف قلبه ، وهو حي ميت عندما يتوقف عقله عن العمل ، كذلك الكاتب لا يمكن أن يكتب بقلبه وحده ، ولا يمكن أن يفكر بعقله وحده ، بل لا بد للعقل والقلب أن يمتزجا في كل رأي .

بقلم : الدكتور محمد عمارة

أيهما أجدر بالتقييم والاهتمام العقل أم النقل ؟ حول هذه الثنائية دارت معارك المفكرين المسلمين ـ وقد شارك فيها الساسة أيضا ، وانقسم الرأى بين مؤيد لهذا الموقف ومشايع لذاك ، فهل وصل الفريقان الى يقين ؟

في الحضارة اليونانية القديمة . وكذلك في صورتها الحديثة ـ الحضارة الغربية المعاصرة انحاز الفلاسفة الى « العقل » و « براهينه » بوصفها أداة وحيدة لادراك الحقيقة في الظواهر والأشياء

ففي المجتمع اليوناني ، كانت السيادة للوثنية ولم يكن هناك « وحي » الهي ، ولا « نقل » ديني ينافس « العقل » أو يزامله في ميادين التفلسف والتأمل والتفكير

ولأن النهضة الحضارية الغربية ـ رغم تبلورها في مناخ مسيحي ـ كانت علمانية الروح والجوهر والطابع وبسبب رفض اللاهوت المسيحي ـ كما تبلور في الكنيسة الكاثوليكية الغربية ـ اعتماد « العقل » سبيلا الى « الايمان » ـ فقد جاءت هذه النهضة الحضارية الغربية الحديثة امتدادا للموقف اليوناني القديم ، في الاعتماد على « العقل » وحده أداة للتفلسف والتأمل والتفكير

تلك قسمة تميزت بها الفلسفة والابداع الفلسفي في الحضارة الغربية ، منذ اليونان وحتى عصرنا الحديث . فالعقل ، وحده ، هو أداة الفلسفة والتفلسف و « الوجدان . والنقل » وحدهما ، السبيل الى التدين والايمان ! . .

موقف الفلاسفة الاسلاميين

واذا كان هذا الموقف قد عرف طريقه الى شر
من شرائح تيار الفلسفة والتفلسف في تراثنا العر
الاسلامي فان القطاع الأعظم من تيار الفلـ
الاسلامية قد اتخذ من هذه القضية موقفا متمي
ومغايرا فالتيار العقلاني في حضارتنا العر
الاسلامية ـ وفرسانه « المعتزلة » بخاصة ، و « أ
العدل والتوحيد » ، بعامة ـ قد انطلقوا ، على در
التفلسف والابداع الفلسفي ، من « النقل » ،
القرآن الكريم الذي أعلى مقام العقل ، واستفا
من اقتصاد الاسلام في الحديث عن « الغيبيات »
فصاغوا ـ قبل ترجمة الفلسفة اليونانية الى العربي
وربما للمرة الاولى في تاريخ الفكر الفلسفي ـ صا
« علم الكلام الاسلامي » ـ « علم التوحيد » ـ فلـ
اسلامية مؤسسة على الوحي الالهي ، فيها تـ
« العقل » و « النقل » ، وتآخت « الحكمـ
و « الشريعة » ، وجاورت « العقليات » السمـ
وشد التوحيد في الألوهية من أزر « الطبـ
والسببية » . . واستطاعوا بهذه العقلانية الاسـ
المتميزة النهوض بمهمة مجادلة الفلاسفة واللاهو
من أبناء الملل الأخرى ، فوظفوا الفلسفة ـ لـ

الأولى في التاريخ - سلاحا بيد الدين ، وكان لهم ، في هذا الميدان ، فضل نشر الاسلام في البلاد التي ازدهرت فيها الأبنية العكرية التي استرشدت بميراث اليونان الفلسفي والمنطقي في المناظرة والجدال

صنع هذا التيار العقلاني قسمة العقلانية الاسلامية في حضارتنا ، تلك التي أدهشت مفكري الغرب من تميزها بالتدين ، فكتب الفريد جيوم يقول « ان قوة الحركة الاعتزالية مردها . اقامة علم الكلام الاسلامي على أسس ثابتة من الفلسفة ، مصرين في الوقت نفسه على أن تكون تلك الأسس منطقية مع وجوب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية »

وعلى عكس المسيحية وحضارتها الغربية ، التي وقفت فلسفتها عند « العقل » - في معاداة « للنقل » - ودعا دينها الى أن يؤمن المؤمن بما يلقى الى قلبه دون نظر عقلي على حد قول القديس أنسلم (١٠٣٣ - ١١٠٩ م) - جعل المعتزلة « النظر » أول واجبات الانسان لأن النظر العقلي هو سبيل معرفة الله والايمان به ، وعليهما يترتب الايمان بالرسالة والرسل والوحي والكتاب ومن هنا جاء اعتمادهم على « العقل » مع الكتاب والسنة والاجماع بل تقديمه عليها ، لا تقديم تفضيل ، وانما تقديم ترتيب فقالوا ان « الادلة أولها دلالة العقل ، لأن به يميز بين الحسن والقبيح ، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة ، وكذلك السنة ، والاجماع ، وربما يتعجب من هذا الترتيب بعضهم ، فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة ، والاجماع ، فقط ، أو يظن أن العقل اذا كان يدل على أمور فهو مؤخر ، وليس كذلك ، لأن الله تعالى لم يخاطب الا أهل العقل ، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة ، والاجماع ، فهو الأصل في هذا الباب ، وان كنا نقول : ان الكتاب هو الأصل من حيث أن فيه التنبيه على ما في العقول ، كما أن فيه الأدلة على الأحكام . . ومتى عرفنا ، بالعقل ، الها منفردا بالالهية ، وعرفناه حكيما ، تعلم في كل ، أنه دلالة ، ومتى عرفناه مرسلا للرسول ، وميز ، بالأعلام المعجزة ، من الكاذبين ، علمنا أن قول الرسول حجة . واذا قال صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على خطأ[1] وعليكم بالجماعة[2] » ، علمنا أن الاجماع حجة

فاعتماد العقل هنا ، وتقديمه ، ليس غضا من شأن « النقل » بل مؤازرة ومؤاخاة وتأييدا ، فهم لم يقولوا بانفراد العقل بالمعرفة ، وانما اعتمدوه دليلا لمعرفة الأصول الشرعية ، فعندهم - كما يقول الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ ٩٤٥ - ١٠٥٥ م) - : أن « السبب المؤدي الى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيئان أحدهما علم الحس ، وهو العقل ، لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول ، اذ ليس تعرف الأصول الا بحجج العقول فالعقل . أم الأصول وثانيهما معرفة لسان العرب ، وهو معتبر في حجج السمع خاصة »

هكذا وعلى هذا النحو وفي مواجهة كل « الثنائيات » صاغ التيار العقلاني القسمة العقلانية لحضارتنا العربية الاسلامية ، فوازنوا - « بالوسطية » - وجمعوا وألفوا بين ما يمكن جمعه وتأليفه من المتقابلات والأقطاب ، التي عُدّت في الحضارات الأخرى نقائض لا يمكن تعايشها ، فصلا عن الجمع والتأليف بينها ثم هم قد كانوا فلاسفة ودعاة الى الدين . وعلماء ورجال دولة ،

وفرسان العلوم النظرية والعلمية معا ، يبحثون في الالهيات ويجرون التجارب على النباتات والحيوانات فلقد كان فيهم من « أشراف أهل الحكمة » مشتغلون بعلم الحيوان ، يجرون فيه التجارب والملاحظات والاستقراءات ، ويقولون في شرفه وقدره : « ان هذا العلم يتفرغ للجدال فيه الشيوخ الجلة ، والكهول العلية ، وحتى ليختاروا النظر فيه على التسبيح والتهليل ، وقراءة القرآن ، وطول الانتصاب في الصلاة ، وحتى ليزعم أهله أنه فوق الحج والجهاد ، وفوق كل بر واجتهاد ؟ ! » - على حد قول الجاحظ في (كتاب الحيوان) .

---

١ - الحديث لابن ماجة : « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة »

٢ - بألفاظ متفاوتة ، مع اتحاد المعنى - : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة

قداسة النص

كان الامام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م) يمثل في بغداد العباسية النقيض الصريح لفكرية التيار العقلاني الاسلامي فعداؤه المفهوم للفلسفة اليونانية قاده الى معاداة علم الكلام الاسلامي وتجريح جميع المتكلمين ونفوره من العقلانية وقف به عند النصوص وحدها بل عند ظواهر النصوص ، ولم يكن الامام أحمد بداهة فيلسوفا ولا متكلما بل لم يكن في الحقيقة فقيها ، وإنما كان محدثا ، جمع واحدا من أكبر مسانيد الحديث النبوي الشريف وصاغ أصول «المنهج النصوصي» ، المعتمد على الأخبار وحدها ، والرافض لما عدا النصوص من أدوات التفكير والبحث والبرهان

فأركان منهجه الخمسة - كما يحددها الامام السلفي ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١ هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) تجعل محوره الأوحد - تقريبا - هو النصوص «فالأصل الأول النصوص والأصل الثاني ما أفتى به الصحابة» - وهي نصوص - «والأصل الثالث . اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم» نصا من النصوص - «والأصل الرابع الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف» وهي نصوص يقدمها - مع ضعفها - على غيرها من سبل الاستدلال - «والأصل الخامس القياس للضرورة ، اذا لم يكن عنده في المسألة نص ، ولا قول الصحابة ، أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو ضعيف» !

لقد كان معاديا «للرأي» وأصحابه ، ينهى عن سؤال أصحاب الرأي ، ويقول . ان «ضعيف الحديث أقوى من الرأي» !

بل لقد صاغ الامام أحمد بنفسه منهجه النصوصي هذا صاغه شعرا فقال

دين النبي محمد آثار
نعم المطية للفتى الأخبار
لا تخدعنّ عن الحديث وأهله
فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى طرق الهدى
والشمس طالعة لها أنوار

فالدين عنده «نصوص» . بل و«ظواهر هذه النصوص» فقط !

وهذه «النصوص - وحدها - هي «ا لعلم» أيضا ووفق الصياغة الشعرية لواحد من أع[لام] هذا التيار كما وردت في كتاب «اعلام الموقعين» فإن

«العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابه ليس خُلْف ف[يه]
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
بين النصوص وبين رأي سف[يه]
كلا ولا نصب الخلاف جهالة
بين الرسول وبين راى فق[يه]
كلا ولا رد النصوص تعمدا
حذرا من التجسيم والتشب[يه]
حاشا النصوص من الذى رُميت به
من فرقة التعطيل والتمو[يه]

فالنصوص وحدها هي العلم ، ولا ع[لم] بالرأي ، ولا مدخل له فيها حتى لو أدت ظواهره[ا] «التجسيم والتشبيه» في حق الذات الالهية ؟ !

وتبعا لهذا «المنهج النصوصي» ، رفض الا[مام] أحمد «الرأي» و«القياس» - الا عند انع[دام] النصوص ولو الضعيفة ، وبشروط تجعله معدو[ما] ورفض «التأويل» و«الذوق» و«العق[ل]» و«السببية» . وكل ما عدا ظواهر النصوص أدوات الاستدلال

ولقد كان هذا المنهج النصوصي يستقطب قط[اعات] من «العامة» ، بحكم القصور الفكري الذى ي[قف] بهم عند المحسوس ، وظواهر النصوص اقترف نفر من المعتزلة - وليس تيار المعتزلة كما ي[قول] كثيرون - خطيئة استخدام سلطة الدولة في الض[غط] على الامام أحمد كي يقول بقولهم في «[خلق] القرآن» ، وأبى الرجل ذلك ، وتحمل في س[بيل] المجاهدين ما نزل به من الاضطهاد في عهود الخ[لفاء] الثلاثة الذين كانوا على مذهب الاعتزال · المأمو[ن] والمعتصم والواثق اكتسب الرجل [...] واعظاما لدى قطاعات عريضة من جمهور ال[عامة] وكثير من المفكرين والعلماء فأضفت محنته [على] مذهبه الفكري ما لم يكن يجتذبه ولا يكتسبه بغير المحنة وهذا الاضطهاد .

لعقلانيين

ث الانقلاب التركى المملوكى . . وتعسكرت
وكان هؤلاء الترك المماليك عسكرا جفاة
الأفق ، لا دربة لهم ولا قدرة على استيعاب
نية الاسلامية . اذ كانت مداركهم وأحلامهم
ں مستوى العامة فى هذا الميدان . ثم هم
حاجة الى تأييد العامة فيها اعتزموا من
ت ، وما دخلوا فيه من صراعات مع التيار
ں ، الذى كانت له السيادة والهيمنة حتى ما قبل
المتوكل العباسى . لكل ذلك ، وجدنا
، - الترك المماليك ينتزعون أئمة التيار العقلانى
واقع القيادة والتأثير ، الفكرية والسياسية ،
ون بالكثيرين منهم فى السجون ، أو ينفونهم
لأرض ويأتون بمضطهدى الأمس ، أقطاب
النصوصى ، يملأون بهم هذه المراكز للتوجيه
ير والتنفيذ ، لقد كان انقلابا فكريا كاملا
ـ فيه مقولات التيار العقلانى فكرا محرما ومجرما
قه الاضطهاد وغدا فيه أئمة هذه العقلانية
ـع التنديد ، وأسرى للملاحقة والسجن
ضطهاد

وها هو شاعر هذا الانقلاب - على بن الجهم
٢٤ هـ ، ٨٦٣ م) - المقرب من الخليفة المتوكل
ب المعتزلة ويتحدث عن انتصار حزب المتوكل
لى « الواثقية » - نسبة الى الخليفة المعتزلي
لواثق » الذى حدث الانقلاب على فكرية
ـده وتوجهاته ها هو على بن الجهم يصور لنا
ا الذى حدث فيقول

ـسافرت الروافض والنصارى
وأهل الاعتزال على هجائى
عـابون وما ذنبى اليهم
سوى علمى بأولاد الزناء ؟ !
ـا المتوكلى هوى ورأيا
وما « بالواثقية » من خفاء

ـه انقلاب واضح وجاد ضد التيار العقلانى
حر « المحدثين » ، أصحاب بضاعة « الاسناد »
ں ـجون ، ليحل محلهم فيها القائلون بالعدل
التو حيد

و ن لن نتحدث عن تصاعد الاضطهاد الذى
صار أئمة التيار العقلانى . . فقط نود ان نشير الى
ان اضطهاد فكرهم قد بلغ فى عهد الخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٣ هـ ، ٩٩١ - ١٠٣١ م) الى الحد الذى اجتمع فيه أئمة التيار النصوصى ، بتشجيع من الخليفة ، فأصدروا مرسوما سمى « الاعتقاد القادرى » ، حرموا فيه فكر التيار العقلانى ، وحرموا فيه فكرية العدل والتوحيد ، على نحو يشبه المراسيم الكنسية الغريبة عن روح الاسلام ، والنادرة الحدوث فى تاريخ المسلمين وفى هذا الاعتقاد صدرت أوامر الخليفة :

١ - بمنع تدريس علم الكلام والمناظرة فى مسائله ، وخاصة الاعتزال ومقالات أهله ، وأنذر المخالفين بالعقوبة والنكال ، نفيا وسجنا وقتلا ! . .

٢ - وبلعن المعتزلة على منابر المساجد ، حتى يصير ذلك سنة من سنن الاسلام !

٣ - وبتحريم قول المعتزلة في « التوحيد » وفي « خلق القرآن »

٤ - كما يحرم قول المعتزلة فى « العدل » . ويتحدث عن أن الخلق لاقدرة لهم ، بل « كلهم عاجزون » !
٥ - ويحرم قول المعتزلة فى « المنزلة بين المنزلتين » ويقرر مذهب « المرجئة » فى هذا الموضوع

ولقد صدر هذا « المرسوم الفكرى » باعتباره « اعتقاد المسلمين » ، ومن خالفه فقد فسق وكفر » ؟ !

نعم حدث هذا ، رغم امتياز الاسلام وحضارته بالتأكيد على أن الاجتهاد فرض كفاية ، أى فريضة اجتماعية ، أكثر أهمية وآكد فى التكليف من فروض العين ، يقع اثم التخلف عنها على الأمة جمعاء ، ورغم اتفاق أئمة الاجتهاد في الأمة على مشروعية « التعددية » الفكرية عندما قرروا ان اجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهدين الآخرين !

وعلى الذين تحيرهم معرفة الأسباب والبدايات والملابسات التى أصابت ابداعنا الحضارى فى الصميم بماعرف بـ « اغلاق باب الاجتهاد » .

عليهم أن يمسكوا بخيوط هذا التحول ، الذى أحدثه هذا الانقلاب ، ففيه تكمن البداية ، ومنه بدأ التراجع والجمود والتخلف والانكسار ! □

طه حسين وثقافة العصر

بقلم : الدكتور أحمد عُلَبي

لانجد حرجاً في القول بأن طه حسين في ذاته ظاهرة ثقافية فريدة ، فهذا الرجل النابه خرج الى الدنيا وهو لايراها ، إذ كان عمره بضع سنوات عندما أغلقت النوافذ التي يطلّ منـها على الكـون وسحره ، عرف الحياة بأذنيه ولم يدركها بعينيه ، وحصّل العلم والثقافة بسمعه وبصيرته ولم يطالعها ببصره الذي أسدلت عليه ستائر الظلام الى الأبد ، فلم يتوسل القلم سبيلاً الى تدوين ذلك التراث الكتابي المنّوع الحافل الذي تركـه ومضى مرتحلاً عن دنيانا ، وإنما أملاه على أناس عمدوا الى تسجيله ، فأيّ موهبة جيّاشة كانت تختبئ في إهابه النحيل ؟!

أحسب أن الكلام على طه حسين مثقفاً أو رجل ثقافة ـ كما يقول الفرنسيون ـ يتشعّب بنـا ويستفيض ، لأن صاحبنا الجليل بلغ من العمر عتياً كما نقول ، إذ كـان لدى وفـاته في ١٩٧٣ ، عـام العبـور ، قـد قـارب الخـامسـة والثـمـانـين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) وليس يعنينا العمر البيولوجي لهذا الرائد في ثقافتنا العربية النهضوية الحديثة ، فكم من أديب خفت صوته وانقضى تغريده قبل ربع قرن من انقضاء أجله ، ولكن طه ظل ذلك الفارس الذي يمتطي صهوة الكلمة ، ويرمي بالصوت عالياً صادحاً مسؤولاً ، ولم يترجل الا مكرهاً ، وذلك في سنواته الأخيرة ، عندما ألحّت عليه وطأة المرض . وتشعّبُ الحديث عن طه حسين ـ رجل ثقافة ـ يأتي من أنه غطى الساحة الفكرية حوالى نصف قـرن ، كان خلالها مالىء الدنيا المصرية والعربية ، وشاغل جمهور الأدب ، والصوت الجَهْوَريّ المثير الذي لا يعلوه آخر في جرأته وتقحّمه وطليعيّته ، وذلك بالتحديد في المرحلة المترامية بين ثورتين ، عنينا ثورة ١٩١٩ التي تزعمها الوفد عبر سعد زغلول وثورة يوليو ١٩٥٢ ، التي وقف على رأسها جمال عبدالناصر ممثلاً للضباط الأحرار ، بين سعد وجمال كـان طه حسين فارس الحلبة يصول ويجول ويقرع الأذهـان بآرائه وكتبه ومحاضراته ، ويستثيرها بمواقفه السياسية والاجتماعية وإصلاحاته التربوية ، فالثقافة ليست ترفاً نخبويا مجانياً ، كما أنها ليست طلاء خارجياً خادعاً ، والمثقف الحقيقي ليس من يلوذ بها ر أمر

العاصف والمسؤولية ، فالثقافة بحد ذاتها التزام ، وطه في رأينا كان نموذجاً للمثقف العربي الذي يمتشق سلاح الموقف يتحصن به ويقارع ، لأن الثقافة في نهاية المطاف موقع في الصراع الاجتماعي وموقف

واذا كان الكثيرون من كتابنا العرب يختلقون هذه الشنشنة بين الأدب والسياسة ، طه حسين كان المثال المتقدم على أن التعارض بينهما خط أحمر وهميّ ، لقد كتب طه ، بالاضافة الى تراثه الأدبي والفكري والتربوي في السياسة ، وتمرّس بها وزيراً للتعليم ، فتنص الفرصة السلطوية لتمرير مطامحه التربوية في مجانية التعليم ونشره غذاء للملايين الفقراء ، كان رجل الثقافة طه حسين متمسكاً بالسياسة ، خائضاً في شجونها ، فلم يصرفه العلم والأكاديمية وطلب المعرفة عن أن يكون له موقف وطني وموقع سياسي ، وكان منخرطاً لزمن في حزب الأحرار الدستوريين عقب عودته من فرنسا ، حتى اذا ما آنس لديهم فتوراً وطراوة حيال القضايا الوطنية والاجتماعية انتقل عام ١٩٣٣ الى صفوف حزب الوفد ، في مرحلة كان الوفد خلالها يعاني اصطهاداً قاسياً وإرهابا يكيله له إسماعيل صدقي ، وظل طه على وفديته حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ وهذه النقلة في الموقع السياسي قام بها طه حسين طلباً للاتساق بين موقفه الفكري وموقفه الاجتماعي ، فللأحرار الدستوريين أرستقراطية فكرية عقلانية مستنيرة في تاريخ مصر ، وقد نادوا بضراوة بالحرية الفكرية ، بيد أنهم كانوا أعداء طبقيين للحرية الاجتماعية ، وأدرك طه أن الحريتين لا تنفصمان ، فانحاز الى حزب الجماهير في ذلك الوقت.والسياسة لدى طه جزء من تركيبته كمثقف طليعي كان دائما يحرص على إعلاء القيم ، قيم الأدب والفن والحقيقة والنزاهة الفكرية والنفس المبدعة ، إن الاهتمامات التي شغلته ، على تنوعها ، كانت تتلاقى في بؤرة توحد بينها ، إذ ان هذا المثقف الكبير كان يـ ـع على شتى الموضوعات ، برغم تباينها ، من خلال شخصية ثقافية متجانسة متكاملة لا اختلاط بها و تشتت

عقل « متأورب »

إن كلامنا المقتضب ههنا على طه رجل ثقافة سيتو ـ نقدات طائر وليس ضرّبات إزميل ، ولا يداخلنا ريب أن الدور الثقافي المهم الذي نهض به طه ، وتفوق فيه على الكثيرين من أبناء جيله اللامعين من أمثال أحمد أمين وعباس محمود العقاد ، وتوفيق الحكيم ، وغيرهم ، يعود في حيز كبير منه الى ما أحببنا أن نُطلق عليه في كتابنا « طه حسين ، رجل وفكر وعصر » (دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥) « تغريبة » طه ، أي الرحيل بفكره شطر الغرب ، يقبس منه الآراء الجديدة والمنهج وثمرات الحضارة والأسلوب العلمي والفكر العلماني . ليس طه حسين أول من « اغترب » بعقله أو « غرب » ، فلقد سبقه على الدرب آخرون طرقوا أبواب هذه الحضارة الغربية ، ليتعلّموا ويتشبّعوا بإنجازات الطبقة البورجوازية الأوروبية ، والبورجوازية الفرنسية منها بشكل أخص ، مفجرة الثورة الفرنسية الكبرى ، وذلك في ميادين العلوم والصناعات والفنون إن بونابرت جاء مصر غازياً ، بيد أنه اصطحب معه بعثة علمية لافتة من العلماء والمستشرقين والتِقْنيين ، ولا يملك المرء إلا أن يدهشه عددها ، مائة واثنان وعشرون ، وإلا أن يعجب بالسِفْر النفيس الذي أطلعته وهو « وصف مصر » وفعل السحر فعله ، فبعد ربع قرن ، أي في عام ١٨٢٦ على وجه التحديد ، أرسل محمد علي الى فرنسا بعثته الأهم التي كانت تتكون من أربعين طالباً للعلم ، وعلى رأسهم إمام للبعثة قُدِّر له أن يكون بعدها أبرز رجالاتها وأبعدهم أثراً وصيتاً وهو رفاعة رافع الطهْطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) ، وانتبهوا الى تاريخ هذه البعثة التي وردت الغرب ، إنه عام ١٨٢٦ ، في حين أن اليابان التفتت الى العلم في الغرب لتفيد منه عام ١٨٧١ فأرسلت بعثه ايواكارا التي غادرت في عهد الامبراطور فيجي الى أوروبا والولايات المتحدة ، لتمضي عامين ، ونجحت اليابان وأخفقنا نحن ولهذا كلام يطول في غير هذا الموضع ، وحبذا لو يخوض فيه المهتمون

وامتاز طه حسين على معاصريه وسابقيه في أن موقفه من الغرب والثقافة الغربية كان جازماً باترا قاطعا ، لا جَمْجمة فيه ولا جَلْجلة ، ومن غير تحفّظ أو تحوّط ، رفاعة وغيره من المفكرين العرب من أمثال أحمد فارس الشدياق وخير الدين التونسي وجورجي زيدان انتهوا ، بنسب متفاوتة ، الى عملية توفيقية

بين الاسلام والوحي والتراث والمعتقدات والتقاليد من جهة ، وبين الغرب وعلومه وعقلانيته وإيمانه المطلق بحرية البحث والمعتقد وعلمانيته من جهة أخرى ، كانوا جميعاً يسترشدون بحديث شهير للنبي « صلعم » . « الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أهل الشِرْك » وقد أخذوا من الغرب بعض حكمته ، لأنهم كانوا في خوف على الهوية ، في حين أن الأزهري طه فتنته حكمة الغرب ، ومضى مصعداً الى ينابيعها المتمثلة في اليونانية واللاتينية،رأي طه أن حكمة الغرب هذه لاتقُسمُ ولا تُجتزأ ، فإما أن تنهلها قاطبة وإما أن تدعها ، فصمم على أن يكون طالبا لها على الكمال والتمام ، وبلغ الأمر بطه أن امتد طموحه ، ما دمنا في رأيه ، نفكر شأن الأوروبيين ونتعلم ونقرأ ونعيش ونتزيا ونخطط حياتنا ونشاطنا الاقتصادي والسياسي ، الى أن يرى في كلمة الخديوي إسماعيل ، في أن مصر جزء من أوروبا ، حقيقة بدهية حاول طه أن ينظر لها في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » الذي صدر عام ١٩٧٨ في زعم طه أن مصر كانت دائماً متوسطيّة العقل والثقافة ، وأن هذا الأبيض المتوسط شدها على الدوام الى أوروبا ، ولولا الاحتلال العثماني لمصر الذي قطعها لقرون ثلاثة عن ذاتها الأوروبية لكانت لها مشاركة في النهضة العصرية التي عرفتها أوروبا ، ولقد بلغ الشطط بطه الى أن يقول في كتابه المتقدم الذكر « نحن إذن مدفوعون الى الحياة الحديثة دفعاً عنيفاً ، تدفعنا اليها عقولنا وطبائعنا وأمزجتنا التي لاتختلف في جوهرها قليلاً ولا كثيراً منذ العهود القديمة حداً عن عقول الأوروبيين وطبائعهم وأمزجتهم » .

وظلت « المتوسطية » فكرة راسخة في تكوين طه حسين الثقافي ، برغم كر الأحداث وانقلاب الظروف في مصر بالذات ، حتى أنه ليجاهر بها قُبيل وفاته ، وهذه المتوسطية كانت سلاح الداعين الى القومية المصرية ، وذلك في مقارعتهم التيار الاسلامي العثماني والتيار العروبي معا

الوطني المصري

كانت ثقافة طه حسين مشدودة الى مصريته ، متفتحة في نطاقها ، طاعنة فوق ضفاف النيل لا تعدوه ، يرى طه أن الحضارة المصرية استمرت مشتملة الجذوة ، وأن الأمة المصرية الخالدة [illegible] كل وافد عليها بطابعها فاتحاً كان أو فلسفة أو [illegible] واستوعبته ومصرته ، مصر منذ الفراعنة حتى ثورة يوليو ظلت ، في رأي طه هي إياها . تصمد للغزاة وتكافحهم أو تهضمهم وتستولي عليهم ، ولم يشذ العرب المسلمون في ذهنه عن هذه القاعدة ، طموح طه الثقافي منجذب الى الشخصية المصرية التي ينبغي في ميدان التعليم والتربية أن يكون سبيل تكوينها مرتكزا على عناصر ثلاثة العنصر المصري القديم ، والعنصر العربي الممصر ، والعنصر الأجنبي بمختلف روافده وأزمانه ولكن مصرية [illegible] لم تقد خطاه الى نبذ العرب وتجاهل دورهم الحضاري المبدع ، والى مواجهة ما هو مصري بما هو عربي كما فعل بعض الغلاة من أمثال توفيق الحكيم وحسين فوزي وسلامه موسى ، ولقد كانت جريدة « السياسة » الناطقة باسم الأحرار الدستوريين حزب البورجوازية المصرية الكبرى ـ هي المنبر الاعلامي والايديولوجي الذي حمل أفكار دعاة القومية المصرية ، على أن طه حسين ، برغم اعتزازه وتبصره بدور العرب التاريخي ، كان على المستوى السياسي معادياً لفكرة العروبة ، وللوحدة العربية مصر هي مصر ، والمصري فرعوني وسيبقى ويسعه أن يبقى ! وهكذا فالمشروع التربوي الذي دعا اليه طه ، والرسالة الثقافية التي ندب نفسه لتأديتها كلاهما صب في بوتقة الوطنية المصرية ولم يستشرف على العموم الأفق العربي ، ولكن هذه القوقعة تحل ، موضوعيا وتاريخياً ، دون الاشعاع العربي لطه حسين ، ذلك أن مصر لعبت باستمرار دورا قيادياً في الوطن العربي ولهذا فان العُزلة التي حلت بها عقب اتفاقيات كمب دافيد ، قد أضعفت مصر كثيراً ، لأنها على المستوى الجغرافي السياسي « الجيوبوليتيكي » فقدت دورها التاريخي العظيم إن زعامة عبد الناصر العربية المدهشة منبعثة من وعيه المرهف لهذا الدور الاستراتيجي

كانت ثقافة طه الأوروبية تتمحور حول الفرنسية ، والقوم الذين فتن بهم هم الفرنسيون النزاعون الى الحرية ، وعاصمة الحضارة في العالم الحديث هي في رأيه باريس بلاريب أو منافس وهي تشغل ما شغلته أثينا في العالم القديم ، وهو يـ [illegible]

، باريس في انجذاب وقدسيّة حديث العاشق
لهان المتيم ، إن عقل طه الأوروبي تشكل في فرنسا
خلال سنوات الدراسة الخمس (١٩١٤ -
١٩١) ، وكاد صاحب هذا العقل المتأورب
فرنس أن يغدو منحازاً لكل ما هو فرنسي أدبا
علما وفلسفة ، فطه ربيب الثقافة الفرنسية ، وظل
ى آخر حياته متشبعاً بدورها الريادي وأصالتها
حضارية

ولنا أن نعتقد أن تغريبة طه حسين التي استقطبتها
يس ، إبان سنوات الطلب ، كان لها خط مصيري
حياته ، إذ تكون عقله وتم خياره الثقافي في
سا ، ولهذا نجد طه في حياته يدبج المقالات
وافرة التي لا يحصرها عد في رجالات الأدب
رنسي وفي كتاب المسرح هناك ، إذ لم يكن طه مجرد
قارىء ، لهذا الأدب يتذوقه ويسيغه ويعرضه
اطنيه ، بل كان أيضا « مشاهدا » له برفقة زوجته
ران ، وذلك عبر زياراته المتوالية ، وخصوصا في
عطل الصيفية ، لفرنسا وعاصمتها وجبالها
راها ، وكم كتاب من مؤلفات طه الشهيرة أملاه
خلال الصيف هناك ، نظير « مستقبل الثقافة في
مصر » و « الأيام » و « الوعد الحق » وجمعت
صداقة أو المعرفة الوطيدة بين طه وبعض أدباء
نسا الكبار ، مثل أندريه جيد وبول فاليري
اعون ، ودفعه احتفاله بالأدب الفرنسي الى نقل
ض روائعه الى العربية ، إذ الترجمة تؤدي دائما دورا
ويا في التواصل الحضاري ، وهكذا نقل طه الى
عربية « أندروماك » لراسين (١٩٣٥) و « زاديج أو
القدر » لفولتير وأوديب « لجيد (١٩٤٧) ، وعندما
رف طه على دار الكاتب المصري تدفقت منها
كتب المترجمة تنقل الى العربية آثار موروا ومورياك
بريميه وستندال ودوديه ودو سانت إكسوبيري . . .
هذا حسد طه دور الجسر الثقافي بين باريس
لقاهرة . وكانت مجلة « الكاتب المصري » التي
س لحـ رها طه حسين مثالا لهذا التواصل مع
لثقافة الفرنسية ، ولقد تُرجمت على صفحاتها
اسات صينة في نظرية الأدب ، كما أن المجلة ،
هذا هو الأهم ، كانت بلا ريب نموذجا أوروبيا
صحا و حدثا ثقافيا في تاريخ الصحافة الأدبية
مدنا

العلمي والعلماني

ولئن قادت الرحلة الأوروبية طه حسين ومجايليه الى خيارات غربية ، فان ظروف مجتمعهم حملت جُلهم على أن يطوعوا مقارباتهم الفكرية لضرب من التوفيقية ، بين ماضيهم الذي غدا محافظاً وحاضرهم المتطلع الى الحداثة والعقلانية ، إنهم يبحثون في الاسلام عن نقاط تشابه مع هذه الخيارات وعن مرتكزات لها ، فيغدو الاسلام لدى بعضهم دينا تقدميا ، ويصبح أبو ذر الغفاري أول اشتراكي في الاسلام ! وهذه التوفيقية تزايدت عند معظم مجايلي طه حسين ، في حين أن طه كان نابذا هذه التوفيقية ، ساعيا الى العلم الخالص من غير مراعاة أو مجاملة أو تقية ، وبقي طه غربيا مثابرا على خياره ، شأن أستاذه أحمد لطفي السيد ، في حين أن معظم الذين خاضوا معه تجديد الفكر العربي عادوا الى شرقيتهم ، وأسقطوا من حسابهم المنهج النقدي والاستشراف العقلاني ، إن طه لم يتخل عن موقفه الغربي ، ولم يرتض التوفيقية منهجا له ، وعندما عمد الى كتابة إسلامياته فلم يكن هذا لديه هروبا من الساحة وراء الماضي يستتر به، لقد التفت الى هذا الماضي عبر مفاهيم غربية ، متوسلا المنهاج الحديث يسعى به الى الحقائق التي يفضي اليها البحث العلمي الحر ، وهكذا كان أيضا شأن العقاد والحكيم وهيكل في إسلامياتهم فقط ، في حين أنهم في الميادين الثقافية الأخرى جنحوا الى التوفيقية أو المصالحة .

رفض طه حسين التوفيقية ، وقاده هذا الرفض الى أن يكون علمانيا . ولئن كان مسبوقا في علمانيته بأعلام من أمثال فرح أنطون ، يعقوب صروف ، وشبلي شميل ، فلقد ابتعد عن الخوض في المسألة الدينية ، لاعتقاده أن الدين والعلم يختلفان في طبيعتهما وجوهرهما وتوجههما ، وانبرى بالتالي لأمور عملية ، واذا كان علي عبدالرازق طرح في كتابه الشهير « الاسلام وأصول الحكم » (١٩٢٥) مسالة الحكم ، ودعا الى الفصل بين الدين والدولة ، واذا كان عبدالرزاق السنهوري في مجلداته القانونية آلف بين التشريعين الاسلامي والغربي ، فان طه التفت الى القضية التربوية من منظار علماني صرف ، ويتبدى هذا بوضوح في كتابه « مستقبل الثقافة في

مصر » (١٩٣٨) وعبر خطواته التطبيقية في الادارة والسلطة ، وسبق لنا أن أطلقنا على كتاب طه تعبير « مانيفستو العلمانية في مصر » لأن « مستقبل الثقافة في مصر » صياغة منظمة لرسالة التعليم المدني الذي ينبغي أن تنهض به الدولة ، وعليها أن تشرف أيضا على التعليم الأجنبي والتعليم الأزهري ، إن العلمانية التي كانت مدا عاليا في مصر ، إبان العقود الأربعة الأولى من هذا القرن ، سرعان ما انتكست وهوى حملتها الى منهج التقليد ، أو لاذوا بالانزواء ، أو طووا صفحة العلمانية ، شأن منصور فهمي ومحمد حسين هيكل ، لقد عادوا الى توفيقية الشيخ محمد عبده التي سعت الى المصالحة بين الاسلام والحداثة ، هذه التوفيقية التي مازالت طافية على الفكر العربي المعاصر بمختلف اتجاهاته

الليبرالي الراديكالي

بيد أننا نخدع أنفسنا اذا اعتقدنا أن طه حسين أضحى مثقفا أوروبيا ، أو فرنسيا بالتحديد ، ولم تعد تجمعه جامعة بالثقافة العربية ، طه في صميمه ابن العربية ، منها عب وتكون وحدانه ، وعبر حروفها الجميلة ترك آثاره الباقيات ، ومن تراثها البديع ارتوت روحه وتشبعت ، ولئن رمى طه العمامة في البحر ، وهو يعبره الى أوروبا ، فلقد بقي الرأس ، رأسه ، بين كتفيه لم يبرحها ، أتاتورك نزع عن رؤوس مواطنيه الطربوش وألزمهم البيريه ، فهل صارت رؤوسهم كما أمل وسعي ؟ لم يفد طه على فرنسا أرضا قاحلة لم تتمخض عن شيء من الانبات الثقافي ، فلقد وردها وهو يحتقب الثقافة الأزهرية ، برغم نقمته عليها ، وكان قد عاصر الجامعة المصرية ، الأوروبية النمط ، منذ نشأتها عام ١٩٠٨ ، وهو أول دكتور يتخرج فيها ، وأنجز لنيل هذا اللقب أطروحته « تجديد ذكرى أبي العلاء » وهكذا فطه عرف الثقافة الغربية ناضجا ، ولم يدركها حالي الوفاض ، لذا كان أخذه لها أخذ إنسان حر قدير متمرس ، وعندما سئل طه عن مذهبه كان في جملة ما قاله : « وأخاصم في نقل المناهج العربية الحديثة لأفرضها على دراسة الأدب والتاريخ في مصر » بيد أن هذا « النقل » الذي اشتملت كتابات طه على أصداء منه ، لم يكن البتة مجرد صدى بليد فاتر حرفي ثم إن المنهج الفكري يتكيف مع الموضوع المعالج ، زد أنه حظ إنساني مشاع لعقول الناس جميعا ، بحيث إن البلد نفسه الذي أطلقه ليس بوسعه أن يدعي « مُلكيته »

إن التطلع نحو أوروبا أو الغرب الثقافي لم يكن طه حسين فيه بدعاً ، فهو أمر تلقائي مابرح مطروحا على مثقفينا اليوم ، وما زال يستثير الجدل حوله في كل حين ، وخصوصا مع صعود الأزمات وتوالي النكبات ، إن المثقفين والسياسيين المصريين الذين عاصرهم طه كانوا في غالبيتهم يتطلعون باعجاب وذهول الى منجزات الحضارة الأوروبية ، ويأملون بتطبيق معالمها ونُظمها ومؤسساتها على أرض الكنانة ، فمن خبز الفكر الليبرالي البورجوازي الأوروبي اغتذوا ، من تراث أعلامه استلهموا القدوة والطموح وربما كان طه حسين من أوفر أبناء جيله إخلاصا لهذا التراث الليبرالي الوافد ، وحرصا عليه ، وتبنيا له ووفاء ، وذلك أن ليبرالية طه حسين لم تكن شكلية تقليدية ، وإنما صاحبُها مدفوع الى العمل واستنهاض الجماهير لنصرة قضاياها ، فغدت ليبرالية راديكالية

أليس طه صاحب « المعذبون في الأرض » ؟ وطه حسين أبو مجانية التعليم الوطني ، وأبو الجامعات ، ورائد الثورة التعليمية في مصر ، والليبرالية في وسط شرقي متخلف ، يشوبه الاستبداد والحكم الملكي الفردي ، معلم لا يستهان به بتاتاً إنها الثورة في مستنقع الشرق □

■ إنك لا تستطيع أن تمنع طيور الأسى من أن تحلق فوق رأسك ، بيد أنك تستطيع أن تمنعها من أن تعشش فيه

كونفوشيوس
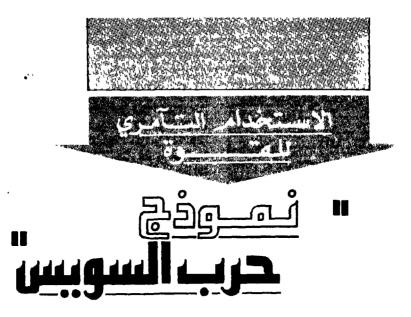
بقلم : أمين هويدي

«كان تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ أزمة بكل المعاني التي يتفق عليها دارسو السياسة والاستراتيجية، واذا كان لكل أزمة نقطة صعود كبرى، فان هذه النقطة كانت معركة كسر احتكار السلاح، لأن هذه المعركة تعلقت بموازين القوى في الشرق الأوسط، أي أنها مست بؤرة الصراع في المنطقة».

في أي عمليات مشتركة تستخدم فيها الدول قواتها المسلحة ضد أي دولة أو أكثر، تنشأ قيادات مشتركة للقيام بالتخطيط والتجهيز وادارة العمليات، ولكن لم يكن الأمر كذلك في العدوان الثلاثي على مصر، لأمور كثيرة لا داعي للخوض فيها، كانت الاجراءات التي اتبعت في تلك الأزمة اجراءات غلبت عليها النواحي التآمرية.

كان من الطبيعي أن تغلف السرية تحضيرات الحملة التعسة، فهذا مبدأ من مبادىء الحرب، ولكن لم تكن السرية هي العامل الأساسي، بقدر ما كان الجهد لابعاد أي شبهة عن جماعية العمل المشترك بين أطراف العدوان.

كانت هناك قيادة مشتركة بين القوات البريطانية والفرنسية، ولكن لم تكن اسرائيل الطرف الثالث في العمل ضمن هذه القيادة ـ بل كان البريطانيون مثلا ... من مجرد الاجتماع بالاسرائيليين وقت الاعداد للمؤامرة التي شهدت «سيفر» ـ بالقرب من باريس مسرح نشاطها، وحينما تم الاتفاق أصر «بن جوريون» رئيس وزراء اسرائيل على أن يوثق هذا الاتفاق في وثيقة كتابية أعدت من صور ثلاث، احتفظ بها كل طرف في ملفاته «سري للغاية» أو كما يقول «كريستيان بينو» مازالت تفصيلات مؤتمر «سيفر» لايعلمها إلا عدد ضئيل للغاية من الأحياء الى يومنا هذا، فلم يتم تحرير أي محاضر لهذا الاجتماع، بل تم تدمير كل النسخ الأصلية للاتفاق المكتوب بعد العدوان الثلاثي بقليل، ولم تعد هناك سوى صور نادرة للغاية من نص الاتفاقية، عند بعض الذين أتيح لهم حضوره» ولقد استمعت بنفسي الى «كيث كلاين» رئيس المعهد البريطاني الملكي، أو ما يطلق عليه «شاتهام هاوس» في ندوة أقامتها اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الأسيوية الافريقية، أنه استمع الى مدير مكتب بن «جوريون» في ندوة أقامها الاسرائيليون في بئر السبع، وهو يعترف باحتفاظه باحدى صور الاتفاق، وسوف يقوم بنشرها في كتاب سيصدره عن حرب السويس

دوافع مختلفة

وبالرغم من تسرب الأنباء عن المؤامرة بعد العدوان ، إلا أن المشتركين فيها أصروا على الانكار ، الى الحد الذي أصدر فيه « موشيه دايان » كتابه « يوميات معركة سيناء » خلوا من قصة المؤتمر الذي عقد في سيفر ، وحضره مع بن جوريون وشمعون بيريز ، وان اعترف فيه بالتعاون مرات ومرات مع الدولتين الأخريين ، بل نجد أن روبرتس هنريكس في كتابه « ١٠٠ ساعة الى السويس » ، والعميد الامريكي « مارشال » في كتابه « انتصار سيناء » قد أغفلا ذكر أي شيء عن المؤامرة ، إلا أن بعض الكتاب الليبراليين بدأوا يكشفون عن المؤامرة في كتب متتابعة ، فقد أشار اليها الأخوان بروميرجر في كتابهما « أسرار الحملة على مصر »

وأشار الى أدوار الدول في التآمر المعلّق السياسي ج ر ثورنو في كتابه « أسرار الدولة » الذي أصدرته مكتبة بلون في باريس ، كما أشار اليها الدكتور ميخائيل باروزهار في كتابه « جسر على البحر المتوسط » الذي أعده أصلا كبحث لنيل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية ، وقد أكد الباحث بأن مسألة الجزأين هي التي ألقت بفرنسا في أحضان اسرائيل ، وان بريطانيا عرفت من فرنسا في منتصف ١٩٥٦ ان اسرائيل تستعد للهجوم على مصر ، وان الحلف الفرنسي ـ الاسرائيلي قد مر بمرحلة مباحثات استغرقت شهري أغسطس وسبتمبر ، وان الاتفاق وقع في ١٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، وينص هذا الاتفاق على أن يقوم الفرنسيون والاسرائيليون بعمل مشترك ضد مصر ، وانه في يوم ١٦ اكتوبر ١٩٥٦ أخطر بن جوريون بأنه يستطيع الاعتماد على البريطانيين ، فان الفرنسيين قد نجحوا في اكمال اضلاع المثلث

كانت اتفاقية كسر احتكار السلاح حافزا لاسرائيل للتحرك المحموم ، لاستعادة التوازن غير المستقر ، ولم يكن أمامها الا فرنسا ، وفي نفس الوقت كانت رئاسة أركان حرب شاحال لا تكف عن تقديم اقتراحاتها لبن جوريون ، للتصديق لها على القيام بعمليات تعرضية للاستيلاء على قطاع غزة ، بحجة اتخاذه قاعدة للعمل الفدائي ، والتحضير لاحتلال شرم الشيخ ، لكسر حظر مرور السفن الاسرائيلية في خليج العقبة ، ولكن كان من رأي بن جوريون عدم التسرع والانتظار للظروف الأفضل

تفاصيل المؤامرة

وبدأت عمليات نقل السلاح من فرنسا في ا[illegible] ١٩٥٦ ، محدودة في أول الأمر ، فتم نقل [illegible] طائرات المستير لتتصدى لطائرات الميج ، كما [illegible] في نقل بعض الدبابات AMX ، أما بريطانيا [illegible] أمدت اسرائيل ببعض طائرات الميتور المق[illegible] الليلية ، وبعض دبابات الشيرمان ، وقد تسبب نقل السلاح الفرنسي أزمة وزارية داخل و[illegible] حيموليه بين وزيري الخارجية والدفاع ، اذ كان رأي كريستيان بينو ايقاف عملية الأمداد في ا[illegible] حل سياسي لمشاكل المنطقة ، إلا أن رئيس الوز[illegible] انضم الى مورسين بورج مانوري وزير الدفا[illegible] مؤيدا استمرار عملية الامداد ، وكانت عملية السلاح هذه السبب في توطيد الاتصالات الجانبين الاسرائيلي والفرنسي ، إذ كان موشيه د[illegible] يقوم بزيارات متعددة الى باريس ، هو وشمع[illegible] بيرير ، للتغلب على بعض الصعاب أو للاشراف اتمام عقود حديدة ، وحينما أعلنت مصر عن تأ[illegible] القناة ، تقدم موشيه دايان يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٦ . في اليوم التالي للتأميم ـ باقتراح الى بن جوري[illegible] للقيام باحدى العمليات الثلاث الآتية احت[illegible] سيناء ، والسيطرة على القناة ، أو احتلال ش[illegible] الشيخ ، أو الاستيلاء على قطاع غزة ، كما ور[illegible] مذكرات دايان عن تاريخ حياته

وفي نفس الوقت كلف « انتوني ايدن » ـ ر[illegible] وزراء بريطانيا ـ رئاسة هيئة أركان الحرب المش[illegible] بدراسة امكانية القيام بحملة عسكرية ضد مص[illegible] وفعلا تم وضع الهيكل العام للخطة (٧٠٠) كانت تقضي باحتلال الاسكندرية ، ثم التقدم القاهرة لاحتلالها ، لاسقاط نظام عبدالناصر ، [illegible] يكن لدى بريطانيا قوات متاحة تحت يدها لا[illegible] العملية بمفردها ، الا بعد اجراء تعبئة عامة ، ا[illegible] الذي يتناقض مع الرغبة في اتمام عملية اله[illegible] الخاطفة ، الا ان ضغط كل من اليمين واليسا[illegible] فرنسا على حكومة حي موليه للقيام بعمل عس[illegible] ضد مصر ، دفع رئيس الوزراء بالقيام باتصالات زميله البريطاني ، أدت الى الاتفاق على القيام [illegible] مشتركة ضد مصر ، واتفق على تسمية ال[illegible] بالاسم الكودي « هاميلكار » ، كما تم الاتفا[illegible] تعيين قيادة مشتركة لتنفيذ العملية قائدها ا[illegible] « تشارلس كيتلي » ، كما عين الح[illegible]

« هيوستوكويل » قائدا للقوات البرية المشتركة ، وكان نواب القادة من الفرنسيين ، وكان أول عمل يقوم به الجنرال ستوكويل هو تغيير الاسم الكودي من هاميلكار الى موسكتيرا ، ولعلنا لاحظنا أن الاتصالات حتى الآن كانت ثنائية بين لندن وباريس ، وان قاعدة الغزو أو رأس الكوبري سوف يكون ميناء الاسكندرية ، لقربها من قبرص ومالطة - القاعدتين البريطانيتين - ولقربها من القوات البريطانية الموجودة في ليبيا

وبدأت اسرائيل تدخل في العملية من الباب الخلفي نتيجة للأصوات التي بدأت ترتفع في وزارة الدفاع الفرنسية ، من ضرورة اشراك اسرائيل ، فوصلت برقية عاجلة جدا يوم ١/ ٩/ ١٩٥٦ من الملحق العسكري الاسرائيلي في باريس ، موجهة الى دايان ، يخطره فيها بالنوايا البريطانية الفرنسية ، ويضيف اليها أن الادميرال « بارجو » قائد الاسطول الفرنسي يرى وجوب دعوة اسرائيل للاشتراك في العملية ، ووافق بن جوريون على التعاون الفوري من ناحية تبادل المعلومات ، اما اذا كان التعاون يعني اشراك القوات الاسرائيلية ، فان الأمر يحتاج الى قيام دايان رئيس أركان الحرب بزيارة باريس للاتفاق على التفاصيل ، وبعد عديد من الاتصالات سافر وفد اسرائيل ، مكونا من جولدا مائير وزيرة الخارجية ، وموشيه كارمل وزير النقل ، وشمعون بيريز مدير وزارة الدفاع ، وموشيه دايان رئيس الأركان ، ليجتمع بالفرنسيين ، اذ أخذت لندن في التردد في الاشتراك في العملية ، الا أنه بعد أن حسم أنتوني ايدن أمره بالتدخل ، بدأ الاتفاق الثلاثي يتكون ، ليؤدي في النهاية الى عقد معاهدة سيفر السرية

ويترك لكريستيان بينو يحدثنا عن « محادثة تليفونية مفاجئة تلقيتها بعد ظهر يوم ٢١/ ١٠/ ٥٦ من رئاسة مجلس الوزراء ، طلب مني محدثي أن أذهب وحدي الى فيلا في ضاحية سيفر ، حيث سألتقي بشخصيات اسرائيلية حضرت الى فرنسا في سرية تامة ، وكان اختيار سيفر بسبب قربها لمطار فيلا كوبليه العسكري المحظور على الصحفيين ، فأخذت سيارتي الخاصة ، وبعد أن ضللت الطريق بعض الوقت ، اهتديت الى المنزل المطلوب ، وأدخلني أحد معاوني وزير الدفاع حجرة الطعام ، حيث وجدت مجموعة من الأشخاص يحتسون الشوربة ، كان الجالسون بن جوريون وجولدا مائير وديان وبيريز الى جانب وزير الدفاع الفرنسي ، وقد أدركت أن هناك قرارات خطيرة لا رحمة فيها سوف تتخذ خلال هذا اللقاء ، وبعد قليل لحق بنا جيموليه ، ولم يحضر هذا اللقاء الأول ممثل للحكومة البريطانية ، فأخذ بن جوريون الكلمة فقال . ان اسرائيل قررت الهجوم على مصر ، ونحن دولة صغيرة ، يقع قلبها على مقربة من حدودها ، ولا مجال أمامنا للتراجع ، اذ نحن مهددون بالاختناق ، بسبب الخطر المصري الذي يمنع وصول البترول الينا ، وسوف نصل الى شرم الشيخ على أقل تقدير ، ونطالب بتأمين غطاء جوي ، لأننا نخشى الطيران المصري ، لأنه تحت سيطرة السوفييت ، إلا أننا علمنا بعد ذلك أن هذه المعلومة غير صحيحة

وتساءل بن جوريون هل أنتم على استعداد للضغط على البريطانيين لمشاركة السلاح الجوي في الدفاع عنا ؟ اننا في حاجة الى اجابة واضحة خلال ٤٨ ساعة » ويستطرد بينو وافق جي موليه على الفور وتحمس وزير الدفاع للفكرة ، أما أنا فقد كنت ضد فكرة الحرب الوقائية ، ولكني وافقت بعد ذلك على مساندة الطيران الفرنسي للجيش الاسرائيلي ، وسافرت صباح اليوم التالي الى لندن ، واجتمعت صباح ٢٢/ ١٠/ ١٩٥٦ بمجلس الوزراء البريطاني بالكامل ، لأروي لهم ما حدث مساء اليوم الماضي ، وكان ايدن على علم بما اتفقنا عليه في اتصال تليفوني تم معه بعد نهاية اجتماعات أمس ، وفاجأني ايدن بالموافقة على تدخل الطيران البريطاني ، وبانزال قوات بريطانية وفرنسية لاحتلال صفتي القناة ، لمنع الجيش المصري والاسرائيلي على حد سواء من عبور القناة ، وكان من الواضح أن الوزراء - وبخاصة سلوين لويد وزير الخارجية - موافقون على هذه الفكرة ، واتفقنا على أن يذهب لويد وباتريك دين سكرتير وزارة الخارجية البريطانية الى سيفر لنقل وجهة النظر البريطانية ، واعترض بن جوريون - عند الاجتماع به - على الأفكار الجديدة ، الا أنه عاد ووافق عليها

الاتفاق

ونتيجة لهذه اللقاءات تم توقيع بروتوكول سيفر يوم ٢٤/ ١٠/ ٥٦ من ثلاث صور ، وقد تضمن البنود الآتية .

١ - اعلان قرار اسرائيل بشن هجوم واسع النطاق على مصر يوم ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦ ، بهدف الوصول الى منطقة قناة السويس

٢ ـ تصدر حكومتا فرنسا وبريطانيا نداء مزدوجا الى الطرفين المتحاربين ، تطلبان من مصر وقف العمليات العسكرية وانسحاب قواتها لمسافة ١٠ أميال ، من غرب القناة ، وقبول امتلاك القوات البريطانية والفرنسية القناة بصفة مؤقتة لتأمين حرية الملاحة

٣ ـ اذا رفضت مصر مقترحاتنا نشن يوم ٣١/ ١٠ عمليات عسكرية ضد القوات المصرية

٤ ـ بوسع اسرائيل ارسال قوات لاحتلال الجزء الغربي بين خليج العقبة وحزر تيران وصنافير لتأمين حرية الملاحة لسفنها في الخليج

٥ ـ تتعهد اسرائيل بعدم الهجوم على الأردن

٦ ـ يبقى الاتفاق سريا

٧ ـ ضرورة موافقة الحكومات على الاتفاق

وفي نفس اليوم وقع وزير الدفاع الفرنسي بورجيس مونوري اتفاقا ثنائيا بين فرنسا واسرائيل ، يقضي بتعهد فرنسا بتأمين حماية المجال الجوي الاسرائيلي ، وذلك بارسال سرب مدعم من طائرات مستير الى اسرائيل ، ما بين ٢٩ ـ ٣١/ ١٠/٥٦ ، وارسال سفينتين حربيتين الى الموانىء الاسرائيلية في نفس الفترة

وتم ادخال تعديلات جوهرية على الخطة موسكيترا الى موسكيترا المعدلة الى موسكيترا المعدلة نهائيا ، واستبدلت فيها الاسكندرية كمنطقة انزال لقوات الغزو بمنطقة بور سعيد ـ بور فؤاد ، وأصبح الهيكل العام لخطة الغزو كالآتي :

١ ـ تقوم اسرائيل بتنفيذ خطة « قادش » كمجهود ثانوي بغرض

أ ـ خلق حالة صراع مسلح على مشارف القناة ، تكون ذريعة لشن الهجوم

ب ـ استدراج أغلب القوات المصرية نحو شرك مدبر يجهز لها في سيناء للقضاء عليها بضرب أجنابها ومؤخرتها

جـ ـ تحاول اسرائيل القضاء على القوات المصرية في مواقعها في المنطقة رفح ـ العريش ـ جبل لبنى ، وتصل الى مسافة ١٠ أميال شرق القناة ، لتأمين الجناح الأيسر للقوات البريطانية أثناء تقدمها لاحتلال القناة ، وعليها بعد ذلك تطهير قطاع غزة وساحلي العقبة والسويس

٢ ـ المجهود الرئيسي تقوم به القوات البريطانية والفرنسية بعد ضربة جوية مركزة ، بالتقدم على الاتجاه العام لقناة السويس بغرض .

أ ـ الاستيلاء على منطقة قناة السويس

ب ـ الاستيلاء على رأس الشاطىء في بور سعيد ، ثم تطور هجومها للاستيلاء على الاسماعيلية ، ثم استغلال النجاح حسب تطور الموقف من الجهة الداخلية المصرية ، إما في اتجاه السويس للاستيلاء عليها ، استكمالا لسيطرتها على منطقة القناة ، أو صوب القاهرة للاستيلاء عليها لحسم الحرب ، ولا داعي للخوض في تفاصيل الخطط اذ يخرجنا ذلك عن الغرض الأساسي للموضوع

الجانب القريب من التل

في الجانب الآخر من التل كان التآمر لاستخدام القوة يجري على قدم وساق ، وفي الجانب القريب من التل كانت المعركة السياسية على أشدها ، وكان توقع العدوان قائما في الأيام الأولى للتأميم ، ولكن أخذ يتضاءل بطول المدة ، فعلى الرغم من أن الصراع العربي الاسرائيلي في نظر القيادتين السياسية والعسكرية في ذلك الوقت له صفة الاستمرارية لوجود أسبابه إلا أن احتمال قيام اسرائيل بالعدوان بسبب تأميم القناة كان مستبعدا ، ولو انه كان دائما في الحسبان ، كما كان احتمال قيام بريطانيا وفرنسا باستخدام قواتها المسلحة قائما عند تأميم قناة السويس ، ولكن أخذ هذا الاحتمال يتضاءل لدى القيادة السياسية للأسباب الآتية :

١ ـ فقد كان هناك تصور انه بعد موافقة مجلس الأمن على النقاط الست ، فان المشكلة أصبحت في طريقها للحل السياسي

٢ ـ تم تحديد موعد لقاء وزير خارجية مصر ووزير خارجية بريطانيا وفرنسا في جنيف ، بحضور داج همرشولد سكرتير الأمم المتحدة ، وحدد يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ـ وهو يوم بداية العدوان ـ موعدا للقاء

إلا أن استبعاد العدوان لم يكن واردا لدى القيادة العامة للقوات المسلحة ، فقد ورد في تقريرها للموقف العسكري في شرق البحر المتوسط ، الصادر في سبتمبر ١٩٥٦ ، ترجيحا لقيام فرنسا وبريطانيا بالهجوم على مصر ، وذكر التقرير انه من المحتمل أن يوجه الهجوم ضد منطقة الاسكندرية ، لاستدراج قواتنا المدرعة الى غرب النيل ، بذلك تهيأ فرصة للعمل من منطقة القناة بنجاح ، عموما فلن يكون الفاصل الزمني بين العمليتين كبيرا ، ثم

مطر لقناة السويس أثناء العدوان

حاول التقرير اعطاء صورة للعمليات المنتظرة كالآتي

١ ـ القيام بعمليات جوية بغرض شل قواتنا الجوية ، والتمهيد للعمليات البرية والبحرية

٢ ـ توجيه القوات البرية من قاعدة ليبيا ومالطة ضد الاسكندرية ، للاستيلاء على الميناء ، واستدراج قواتنا المدرعة الى الغرب

٣ ـ توجيه القوات المنقولة جوا من قاعدة قبرص ضد منطقة القناة ، لاحتلال مجموعة المطارات بها ، وتعزيز هذه القوات بعناصر مشاة ومدرعة من قبرص للسيطرة على منطقة القناة

٤ ـ قد يصاحب هذه العمليات قيام اسرائيل بعمليات تعرضية على الجبهة الشرقية ، لاحتلال القواعد المتقدمة بها ، وقد توجه هذه العمليات ضد العريش خاصة ، لعزل قواتنا في قطاع غزة

٥ ـ استخدام قاعدتي القناة والاسكندرية لحشد قوات اضافية للانطلاق نحو القاهرة في هجوم مزدوج .

ثم عادت القيادة العامة للقوات المسلحة في تعديلات العمليات الحربية التي أصدرتها للدفاع عن حماية مصر ، بناء على تقديرها للموقف لتحدد الآ

ـ من المحتمل أن تقوم الدول الغربية بأعمال عد ية ضد مصر ، وكرد فعل لتأميم القناة

من المحتمل أن يتم الهجوم كالآتي

لاستيلاء على منطقة القناة بعمليات جوية بحرية

ب ـ الاستيلاء على قاعدة الاسكندرية بعمليات جوية بحرية

جـ ـ الهجوم على القاهرة بعد ذلك

٣ ـ القيام بعمليات انزال جوي في منطقة الدلتا

٤ ـ ألا يغفل ما قد تقوم به اسرائيل في مثل هذه الظروف

٥ ـ توضع النقاط الخاصة التالية موضع الاعتبار

أ ـ حرمان العدو من الاستيلاء على منطقة القناة بأي ثمن .

ب ـ اتخاذ الترتيبات لمراقبة منطقة بير عديب على البحر الأحمر ، وتعطيل أي عمليات انزال بها ، والقضاء على أي قوات تتقدم منها شمالا أو غربا (لأن الطريق من بير عديب يوصل الى القاهرة في الغرب) .

جـ ـ منع أي قوات معادية نزلت في بور سعيد من التحرك جنوبا الى الاسماعيلية

د ـ اتخاذ الترتيبات للقضاء على أي قوات معادية تهبط جوا بالمنطقة

هـ ـ السيطرة على المنشآت المصرية بالمنطقة ، وتأمين المعابر على القناة ، مع وضع خطط النسف الضرورية لتدمير الأغراض المتفق عليها ، على ان يعتبر بدء انزال أي قوات معادية على منطقة القناة أمرا بتنفيذ هذه العمليات

وفي تلك الفترة الحرجة صدرت التعليمات بتعزيز قوات الحرس الوطني ، وكنت أعمل لفترة قصيرة أركان حرب لهذه القوات ، تحت قيادة السيد كمال الدين حسين ، وأنشئت القوات ، وسلحت في كافة المحافظات ، خصوصا المحافظات المحتملة للعدوان

خطة الدفاع

وبعد ذلك ـ وبصفتي أركان حرب قوات الدفاع عن القاهرة ـ قمت بوضع خطة كاملة للدفاع عن العاصمة شرق النيل ، متخذين الخط المار من مرتفعات طريق السويس الى جبل المقطم ، الى وادي حوف ، خطا أماميا للدفاع من الشرق ، وخط أبورواش خطا أماميا للدفاع من الغرب ، مع الدفاع عن العاصمة من داخل قطاعات محددة ، والقتال من منزل الى منزل ، ومن الطريف انه عند التحقيق معي فيما عرف بقضية ١٥ مايو بعد موت عبدالناصر ، كان المحقق يركز على خريطة عقد المواصلات التي عثروا عليها عند التفتيش والاستيلاء على أوراقي ، وأوضحت له الموقف بأن هذه الخريطة كانت معدة للدفاع عن القاهرة ضد العدوان الخارجي ولم توضع بأي غرض آخر !!

أما عن التوزيع الاستراتيجي للقوات المصرية فقد اتسم بالحكمة في تلك الفترة ، اذ ورعت فرقة معززة على الحدود للدفاع عن منطقة العريش وأبو عوجيله ، أما باقي القوات بما فيها القوات المدرعة فكانت في الخلف بل وغرب القناة ، وكان هذا التوزيع سائدا من أول الثورة ، وقبل الدخول في معركة الاستقلال ضد القوات البريطانية في القناة ، اذ كان تصورنا في قسم الخطط بالعمليات الحربية كالآتي

١ ـ يواجه الجيش عدوين في وقت واحد بريطانيا في منطقة القناة ، واسرائيل على حدودها الشرقية

٢ ـ لا يمكن نجاح المفاوضات المقبلة مع بريطانيا الا بمساندة القوات العسكرية ، على أن يعطي الثقل الأكبر لاستخدام القوات الفدائية

٣ ـ لا يمكن لمصر خوض أي معركة عسكرية ناجحة سواء كانت دفاعية أو هجومية ضد اسرائيل ، طالما ظلت القوات البريطانية في منطقة القناة تهدد خطوط مواصلاتنا نحو الشرق

٤ ـ العدو الرئيسي في الوقت الحالي هو بريطانيا في القناة ، والعدو الثانوي هو اسرائيل

٥ ـ لابد من اخلاء سيناء من قواتنا العسكريه ، حتى لا تكون عامل ضغط علينا

عند بدء العمليات الفدائية ، اذ يمكن للقوات البريطانية منع مرور الامدادات والذخائر من كوبري الفردان ، أو من أي معابر أخرى على القناة ، وتتخذ من ذلك ورقة ضغط في يدها

وتم سحب أغلب قواتنا بعد موافقة القيادة السياسية على ذلك ، وتمت خطة الاخلاء تحت اشرافي وبسرية كاملة ، ولم يبق في سيناء الا قوات رمزية ، عززت بعد انتهاء المفاوضات المصرية البريطانية بعقد معاهدة ١٩٥٤ ، ولكن احتفظ بالجزء الأكبر من قواتنا في غرب القناة ، وكان من ضمن الترتيبات الجيدة التي ساعدت على تنفيذ الخطة بنجاح كامل الآتي بعد

١ ـ كان يسمح بعودة نصف الجنود فقط الذين ينزلون في الاجازات الى وحداتهم بسيناء ، ويبقى النصف الآخر في أماكنه الجديدة غرب القناة

٢ ـ بدىء في تخفيف المعدات في ليال متتابعة بالقطارات التي تخترق القاعدة البريطانية ، واتخذت ترتيبات هائلة للتمويه والخداع

٣ ـ كان يحجز من كل قطار يصل الى العريش أو رفح عدد محدود من عربات السكة الحديد ، وأحيانا القاطرات ، واحتاج ذلك الى حسابات دقيقة معقدة للتوفيق بين حجم ونوع الأحمال المراد نقلها ، وبين سعة ونوع وسائل النقل المتاحة

٤ ـ واتخذت بعض الترتيبات لارسال بعض الوحدات الى سيناء نهارا ، لاظهار نيتنا في تعزيز قواتنا في الشرق ، على أن تعود هذه الوحدات ليلا على فترات

٥ ـ استمرار ارسال معدلات المواد التموينية دون نقصان ، حتى لا يشعر البريطانيون بتخفيف القوات

٦ ـ منع تداول المكاتبات بخصوص الاخلاء

وفي الوقت المحدد فوجئت القيادة البريطانية بسيل من القطارات تعبر كوبري الفردان الى مواقعها الجديدة غربي القناة

الانسحاب تفاديا للفخ

وهناك سؤال يصح أن نطرحه . هل كان هذ... عند قيام اسرائيل بالعدوان يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ... والقائها بقوات المظلات على مدخل ممر متلا ...

الشرق احساس قاطع لدى القيادة السياسية المصرية بالتواطؤ الثلاثي ؟ ويمكن للانسان أن يقطع بأن هذا الاحساس لم يكن موجودا ، بدليل صدور الأوامر لقواتنا في مواقعها الدفاعية ، بالقرب من حدودنا الشرقية ، وعلى الأخص في منطقة أبو عوجيله بالدفاع عن مواقعها كالخطة الموضوعة ، ثم دفعت قواتنا ليلة ٢٩/ ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ لملاقاة العدو عند ممر متلا كما دفعت الفرقة الرابعة المدرعة صباح ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ لاتخاذ مواقعها في منطقة بير روض سالم في سيناء ، بل فكر في ليلة ٣٠/ ٣١ اكتوبر في اسقاط قوات المظلات المصرية غرب منطقة الكونتلا ، لقطع أي اتصال بين أي قوات برية معادية وبين قوات المظلات المعادية في الاسماعيلية وقد حملت بنفسي هذه التعليمات الى القيادة الشرقية في منطقة الاسماعيلية ، وكانت قوات المظلات مستعدة في مطاراتها لتنفيذ العملية ، إلا أن تطور الأحداث حال دون اتمامها ، ثم هناك دليل آخر هو اعطاء الأوامر للمدمرة ابراهيم[1] ، للقيام بعملية ضرب حيفا من البحر ، وقامت المدمرة بمأموريتها التعسة ، وتم أسرها بتعاون أساطيل دول العدوان

اذن فيمكننا أن نقطع بأنه في يومي ٢٩ ، ٣٠ اكتوبر لم يكن هناك احساس قاطع لدى القيادتين العسكرية والمدنية بوجود تواطؤ ، إلا أنه حينما قامت طائرات الكامبرا البريطانية في الظهور فوق مسرح العمليات ، ثم توجيه الانذار البريطاني الفرنسي ، تولد الشك الذي أصبح يقينا .

وعلى أثر ذلك عقد جمال عبدالناصر اجتماعا في القيادة العامة للقوات المسلحة بكوبري القبة ، حضره بعض أعضاء مجلس الثورة ، وحينما أثير موضوع التواطؤ كان من رأي عبدالناصر سحب قواتنا فورا من سيناء ، لانقاذها من الفخ الذي نصب لها قبل فوات الأوان ، وكان عبدالحكيم عامر يعارض الانسحاب من الناحية العاطفية ، إلا أن عبداللطيف بغدادي يذكر في مذكراته ـ وكان حاضرا داخل غرفة الاجتماع ـ « ان عبد الحكيم عامر كان يرى ان استمرار القتال سيدمر البلاد ، والشعب ... النظام ، وهو يفضل ترتيبا على ذلك ايقاف ... ، وان صلاح سالم أيد ذلك ، مضيفا أن على ... عبدالناصر اعلان وقف القتال والاستسلام ، على أن يسلم جميع أعضاء مجلس الثورة انفسهم لتريفليان السفير البريطاني .

وسرعان ما اعترف صلاح سالم بخطئه بعد أن هدأت أعصابه الثائرة ، وتطوع لقيادة منطقة السويس ، وقد رأيته بنفسي ، وكنت موجودا في غرفة الخرائط الملحقة بالغرفة التي تم فيها الاجتماع ، وهو يخرج مباشرة من الحجرة حاملا سلاحه ، متوجها الى مقر قيادته الجديدة ، واجتمع عدد من رحال الأحزاب المنحلة ، وقرروا تشكيل وفد لمقابلة ناصر لاقناعه بقبول الانذار ، إلا أن ناصر رفض المقابلة ، وأنذرهم بضربهم بالرصاص لو أصروا على موقفهم ، وفي تلك الظروف الصعبة كانت استراتيجية مصر كالآتي

١ ـ عدم قبول الانذار ، وكان ذلك أول صدمة لأطراف العدوان

٢ ـ سحب قواتنا من سيناء ، على أن تقوم قواتنا بالقرب من الحدود بالدفاع الى آخر طلقة ، وآخر رجل ، حتى تتيح الوقت لاتمام عملية انسحاب القوات الرئيسية ، وتمت عملية الانسحاب بأقل حسائر ممكنة

٣ ـ تجنب اشراك قواتنا الجوية ضد القوات الجوية المعادية

٤ ـ الدفاع عن مدن القناة ، وعدم اخلاء أي مدينة تحت أي ظرف من الظروف ، وتمركزت القوات المسلحة تحيط بها قوات جيش التحرير والفدائيين على طول القناة وفي المدن ، استعدادا للمقاومة الشعبية ، ووزعت الأسلحة دون قيد على أفراد الشعب

٥ ـ تعطيل الملاحة في قناة السويس ، فنسفت بعض السفن المحملة بالاسمنت ، والمعدة من قبل ، وغرقت الى القاع ، وأصبحت القناة غير صالحة للملاحة .

وصمدت الجبهة الداخلية والتفت حول قيادتها ، ولم يحدث ما توقعته قوات الغزو ، وأفلتت قواتنا المسلحة من الفخ الذي أعد لها في سيناء ، وتحولت مدن القناة مناطق دفاعية متينة ، وأغلقت القناة ، وأصبحت غير صالحة للاستخدام ، وخرج الشعب العربي من المحيط الى الخليج في مظاهرات عارمة تؤيد مصر وقائدها □

---

(1) ... البحرية الاسرائيلية اصلاح المدمرة ابراهيم وضمتها الى قواتها البحرية تحت اسم المدمرة ايلات التي اغرقناها في ... الاقليمية بعد عدوان ١٩٦٧ ، راجع (أمين هويدي ـ اضواء على نكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف) .

سنان حساني
من الدين إلى السياسة عبر الرواية

بقلم : الدكتور محمد موفاكو

ليس من النادر أن يكون القادة شعراء ، فالثوار الكبار شعراء كبار كما يقال ، لكن سنان حساني ، الرئيس اليوغسلافي ، ليس شاعرا ، بل روائيا كبيرا . فكيف قطع حساني رحلته نحو الرواية ؟ .

بعد وفاة الزعيم تيتو (أيار/ مايو ١٩٨٠) لم يعد هناك كثير مما يثير الصحافة خارج يوغسلافيا ، فما يجري كل سنة من انتخاب رئيس جديد ليس فيه سوى الإشارة إلى رقمه المتسلسل ، كأن يقال الرئيس الأول بعد تيتو ، والرئيس الثاني بعد تيتو ، وهكذا ، لكن في هذه السنة اختلف الوضع مع « الرئيس الثامن بعد تيتو » ، وهو السيد سنان حساني ، لأن الصحافة قد وجدت فيه ما يميزه عن الآخرين ، وقد ركزت الصحافة حينئذ (أيار/ مايو ١٩٨٦) على ما هو جديد ومثير في هذا التغيير ، وبالتحديد ركزت على كون السيد حساني أول الباني يصبح رئيسا ليوغسلافيا ، وثالث الباني يصل الى الحكم في البلقان ، بعد كنعان ايفرين في تركيا ورامز عليا في ألبانيا .

فوصول سنان حساني الى هذا المنصب كان له مغزاه فعلا ، هذا بالاضافة الى أن حساني كان معروفا منذ ربع قرن كروائي في يوغسلافيا ، ووصوله - كروائي - الى هذا المنصب بشكل حقيقي لم يألفه الناس ، سواء في الداخل أو الخارج ، وقد كان وصوله الى هذا المنصب بعد أن نشر ثماني روايات

ترحت الى عدة لغات في يوغسلافيا ، وقد حول بعضها الى افلام ومسلسلات معروفة ، ولذلك فان اسمه أكثر ارتباطا بشهرته كروائي أصيل من ارتباطه به كرئيس عابر في تاريخ يوغسلافيا ، وانطلاقا من هذا يبدو لنا أنه من حق هذا الروائي ألا يبقى مجهولا لقراء العربية ، خاصة بعد أن صدرت أهم رواية له في اللغة العربية (*) .

في الكتّاب

ولد سنان حساني سنة ١٩٢٢م ، في قرية بوجران التي تقع في جنوب يوغسلافيا ، وبالتحديد في إقليم كوسوفا . عائلته ألبانية مسلمة ، وسط محيط قروي فقير ، وعلى الرغم من أن حساني قد ولد بعد عقد من نهاية الحكم العثماني في هذه المناطق (١٩١٢ - ١٩٢٢) إلا أنه أدرك شيئا من بقايا العهد العثماني الطويل ، من الكتاتيب ومدارس اللغة العربية والقرآن الكريم ، وقد كانت تلك الكتاتيب حتى ذلك الوقت تستوعب أقران سنان حساني ، سواء في قريته أو في مدينة جيلان القريبة منها . وهكذا انضم حساني الى أحد هذه الكتاتيب في سن مبكرة ، حيث بدأ يتعلم مبادىء اللغة العربية وبعض سور القرآن الكريم بالأسلوب القديم الذي كان يعتمد على الاستظهار أكثر من الفهم ، ثم ذهب الى المدرسة الابتدائية ليجمع بين تعلم اللغة العربية في الكتاب وتعلم اللغة الصربية في المدرسة ، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية بسنواتها الأربع ، وبعد فترة من التردد رجحت كفة اللغة العربية والقرآن الكريم في نفسه فذهب الى مدينة سكوبية القريبة وتابع دراسته في المدرسة الإسلامية « غازي عيسى بك » ، التي افتتحت أبوابها في سنة ١٩٣٦ .

[...]ت هذه المدرسة فريدة من نوعها ، تجمع [...]ا بين الطابع العربي الإسلامي وبين بقية المواد العلمية التي كانت تدرس حينئذ في المدارس الرسمية الأخرى . كان الطلاب في هذه المدرسة يتعلمون اللغة العربية بنحوها وصرفها وقواعدها الأخرى بالإضافة الى التجويد والحديث والفقه والعقائد الخ . وقد وجدنا في وثائق هذه المدرسة ما يفيد أن الطالب سنان حسانوفيتش (كما كان يسمى حينئذ) قد نجح - مثلا - بتقدير جيد جدا في السنة الدراسية ١٩٣٨ - ١٩٣٩ .

لقد كانت تلك المدرسة بوابة تفصل بين عالمين بالنسبة للطالب الفتى القادم من القرية الصغيرة إلى المدينة الكبيرة ، وكانت ملتقى للشباب التقدميين والساخطين على الاضطهاد الاجتماعي القومي السائد في البلاد ، وكان من مفارقات هذه المدرسة أنها خرجت نخبة دينية ، وأخرى ثورية ، وبهذا لعبت دورها في تغيير الوضع بعد ذلك .

في سنة ١٩٤١ حدث الانعطاف الأهم في حياة سنان حساني ، ففي ربيع تلك السنة تخرج في هذه المدرسة الاسلامية ، وكان يفترض به أن يكون أحد (الكوادر) الدينية في منطقته ، لكن القدر طوح به في اتجاه آخر ، فقد انهارت في نفس الوقت - مملكة يوغسلافيا ، بعد أن تعرضت للغزو الالماني ، وأغلقت أبواب المدرسة ، فعاد حساني إلى قريته ، وانضم فورا إلى حرب التحرير الشعبية التي انطلقت تحت قيادة الحزب الشيوعي ، وفي السنة اللاحقة انضم حساني إلى الحزب ، وأصبح مفوضا سياسيا لاحدى فصائل الأنصار المسلحة ، وبقي في موقعه هذا - في الكفاح المسلح - إلى أواسط سنة ١٩٤٤ ، حين اعتقله النازيون ، ونفوه إلى معسكر للاعتقال قرب فيينا ، فبقي فيه أسيرا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ثم أطلق فعاد إلى جمهورية يوغسلافيا التي ولدت خلال وجوده في معسكر الاعتقال .

في خريف ١٩٤٩ ، برز اسم سنان حساني - لأول

---

* [...]ت « الرياح والهلوط » عن مؤسسة الابحاث العربية ضمن سلسلتها المعروفة « ذاكرة الشعوب » في اواخر ١٩٨٦ .

مرة ـ خارج يوغسلافيا ، لكن هذا لم يكن يرتبط بالادب أو السياسية بل بالدين . ففي تلك السنوات كانت صورة يوغسلافيا قاتمة في العالم الاسلامي ، بعد المحاكمات التي جرت في نهاية الحرب لبعض زعماء المسلمين ، مما دفع القيادة اليوغسلافية إلى تشكيل وفد ديني لتوضيح الصورة عن يوغسلافيا في العالم الاسلامي ، وليقوم في الوقت نفسه بأداء فريضة الحج ، كإشارة إلى رغبة السلطة الجديدة في يوغسلافيا بالسماح للمسلمين اليوغسلاف بالذهاب إلى الحج ، وقد تشكل الوفد ـ حينئذ ـ برئاسة رئيس العلماء المسلمين في يوغسلافيا فاتق أفندي ، ودخل في عضويته سنان حساني ، بالاضافة إلى ثلاثة شيوخ ، وقد توجه الوفد إلى بيروت ثم إلى القاهرة ، حيث قام هذا الوفد بدوره في توضيح الصورة، سواء في لقاءاته مع الصحافة ، أو مع علماء الأزهر ، ثم استعدوا للسفر إلى السعودية ، ويذكر حساني في مذكراته أنه لبس مع أعضاء الوفد ملابس الاحرام في مطار القاهرة ، وسافروا محرمين إلى جدة ، ثم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وتجدر الاشارة هنا إلى أن أعضاء هذا الوفد تلقوا ـ خلال وجودهم في مكة المكرمة ـ دعوة من الملك الراحل عبد العزيز بن سعود الذي استضافهم في أحد الأيام مع غيرهم من أعضاء وفود البلاد الاسلامية ، وبعد انتهاء الحج ذهب أعضاء الوفد إلى دمشق ، ثم غادروا المنطقة إلى يوغسلافيا

بعد عودة هذا الوفد الديني إلى يوغسلافيا تخلف سنان حساني عن رفاق الطريق نتيجة لالتزاماته الحزبية الجديدة ، فبعد عودته من مكة والمدينة أوفده الحزب إلى بلغراد للالتحاق بمدرسة العلوم السياسية المخصصة (للكوادر) الحزبية ، وبقي هناك إلى أن تخرج سنة ١٩٥٢ وبعد عودته إلى الجنوب بدأ يرتقي سلم المناصب السياسية ، فأصبح سكرتيراً للاتحاد الاشتراكي في إقليم كوسوفا ، ثم رئيسا له ، ثم مديراً للمؤسسة الصحفية ودار النشر « ريلينديا » ، وبعد ذلك انتخب نائبا لرئيس مجلس الشعب في جمهورية صربيا ، وفي أوائل السبعينات عين سفيرا ليوغسلافيا في الدانمارك ، وبعد عودته انتخب نائبا لرئيس مجلس الشعب الفدرالي وبعد هذا الانقطاع عن الجنوب عاد في أوائل الثمانينات إلى منطقته ليتولى رئاسة الحزب في أقليم كوسوفا إلى أن أنتخب أخيرا عن هذا الاقليم في مجلس الرئاسة الفدرالى ، وفي أيار / مايو انتخب نائبا للرئيس ، وأخيرا انتخب رئيسا ليوغسلافيا في أيار / مايو ١٩٨٦ .

لقد برز اسم سنان حساني بقوة في الخمسينات ، لكن ذلك لم يكن في مجال الدين أو في مجال السياسة بل كان في مجال الرواية ، فبعد عدة محاولات نشر سنة ١٩٥٧ روايته الأولى « بدأ العنب ينضج » التي استقبلت باهتمام كبير ، ثم تابع بعدها إبداعه الروائي فأصدر روايته الثانية « ليلة عكرة » سنة ١٩٦١ ، فالثالثة «حيث يتفرع النهر » سنة ١٩٦٣ ، فالرابعة ، ـ وهي الوحيدة التي كتبها للأطفال ـ سنة ١٩٦٧ بعنوان « الولد حامل الوسام » ، ثم الرواية الخامسة « الرياح والبلوط » سنة ١٩٧٣ فالسادسة « طفولة جون فاترا » سنة ١٩٧٥ فالسابعة « للحبر الابيض » سنة ١٩٧٧ ، وأخيرا الرواية الثامنة « النهر الفائض » سنة ١٩٨٠ وبهذا الانتاج الروائي أصبح حساني ـ بحق ـ من أغزر الروائيين إنتاجا في الأدب الألباني بشكل عام ، سواء في ألبانيا أو في يوغسلافيا وربما يبدو هنا من الضروري أن نوضح أن الألبانيين كانوا قد انقسموا في مطلع القرن العشرين ـ بشكل متساو تقريبا ـ بين الدولتين الحديدتين ، أي ألبانيا ويوغسلافيا ، مع الفارق طبعا في حجمهم في كل دولة ، ففي ألبانيا يشكل الألبانيون الغالبية العظمى ، بينما يأتون في يوغسلافيا في المرتبة الثالثة بعد الصربيين والكرواتيين ، وما يهمنا هنا هو أن نوضح أن الأدب الألباني يتألف من هذين الفرعين الرئيسيين ، اللذين يفصل بينهما ـ

الحدود بين الدولتين ، بالاضافة إلى بعض الغصون الصغيرة الممتدة في الدول المجاورة .

لقد حظيت روايات سنان حساني في الواقع باهتمام متواصل ، سواء في المحيط الألباني أو اليوغسلافي بشكل عام ، فقد أعيد طبع معظم رواياته مرتين أو ثلاث مرات في اللغة الألبانية ، وترجمت أيضا إلى لغات أخرى في يوغسلافيا ، ومن بين هذه الروايات حازت رواية « الرياح والبلوط » - التي ترجمت الى العربية - على شهرة واسعة في يوغسلافيا ، بعد أن تحولت إلى فيلم سينمائي ومسلسل تلفزيوني خلال عام ١٩٧٩ ولا بد أن نذكر هنا أيضا أن حساني قد حصل في ذلك الوقت - ١٩٧٨ - على أعلى جائزة في يوغسلافيا ، وهي جائزة أفوي ، تقديرا لانجازاته الروائية

كان حساني قد بدأ تجربته الروائية تحت تأثير الواقعية الاشتراكية التي تربى عليها في نشأته ، الا أنه سرعان ما تحرر من القَوْلَبَة (الأيديولوجية) في رواياته اللاحقة بفضل التغيرات التي حدثت في هيكل السلطة في يوغسلافيا ، وحسب هذا الاتجاه نعتبر رواية « الرياح والبلوط » أهم محطة روائية في تجربة حساني ، وهي التي أثارت - كرواية وكفيلم وكمسلسل تلفزيوني - كثيراً من الاهتمام وفي الواقع أن هذه الرواية تعبر في ذاتها عن مدى تأثير الحرية في الابداع الفني ، فقد كتب المؤلف هذه الرواية ، ونشرها بعد أن سقطت - سنة ١٩٦٦ - الدولة الأخطبوطية لمراكز القوى في يوغسلافيا التي كان الكتّاب في ظلها - كما قال أحدهم - يزنون كل كلمة يكتبونها بميزان الصيدلي

لقد كانت هذه الدولة الاخطبوطية الخفية قد بدأت تتشكل في أعقاب القطيعة بين يوغسلافيا والدول الاشتراكية سنة ١٩٤٨ ، حين كان لأجهزة الأمن دورها الكبير في حماية يوغسلافيا من المحاولات الكثيرة التي بذلت في الخارج لقلب نظام الحكم ، إلا أن هذا الدور الكبير لأجهزة الأمن تحول بعدئذ إلى دور أكبر بكثير ، فتمكن من السيطرة على كل الدولة ، وقد بينت الوثائق الأخيرة التي كشفت خلال ١٩٨٤ مدى الازدواجية الغريبة التي كانت تتحكم بالواقع اليوغسلافي ، فهذه الدولة الأخطبوطية المركزية المسلحة بأيديولوجية معينة تتعارض تماما مع الأيديولوجية المُعْلَنة للدولة الفدرالية (التسيير الذاتي) ، وهذه الازدواجية الغريبة كانت خافية تحت السطح بالنسبة للناس البسطاء الذين كانوا يكتفون بقراءة الجرائد اليومية التي كانت - خلال ١٥ سنة تقريبا - تسهم فقط بتثبيت الأوهام بأن كل شيء على ما يرام

إن رواية « الرياح والبلوط » تتعرض بل تشرّح بجرأة هذا التحول الغريب الذي أصاب التجربة اليوغسلافية ، والذي كاد أن يقود إلى كارثة لولا سقوط هذه الدولة الأخطبوطية في صيف ١٩٦٦ ، وعلى هذا فإن هذه الرواية لها قيمة كبيرة في الأدب الاشتراكي ، سواء في يوغسلافيا أو في دائرة أوسع بكثير ، وهي وثيقة فنية لصيرورة هذا « التشوه » - وهو التعبير الرسمي عما حدث - الذي لحق بالتجربة اليوغسلافية التي كانت تهدف من رفضها للستالينية أن تبني بديلا لكل ما هو ستاليني في الاشتراكية .

الثالوث الصعب

في حالة حساني يمكن أن نقرر أن التردد بين الثالوث الصعب - الدين و الأدب والسياسة - يفرض على صاحبه عدم الاستقرار وسط التجاذب بين أقطاب هذا الثالوث . وقد لا تكون هذه اللحظة مناسبة ، لكن يمكن أن نقول - ولدينا ما يبرر ذلك - إن حساني قد بدأ في الدين ، وأبدع في الأدب وصمت في السياسة ، تحت تأثير الظروف الطارئة ، فقد نشر آخر رواية له سنة ١٩٨٠ ، أي في السنة التي توفي فيها تيتو ، وبعد أقل من سنة كان الوضع قد انفجر في الجنوب (كوسوفا) ، ثم في الشمال (صربيا) ، كردة فعل وبرز هنا وهناك التعصب

القومي الذي صاحبه نبش الماضي كتعبير عن الحنين إليه ، وبذلك دخلت البلاد ـ بأسرها ـ في نفق لا نهاية له ، وفي هذه الظروف بالذات جاء صعود حساني السياسي منذ عام ١٩٨١ كرمز للمعتدلين بوجه المتشددين . في الستينيات والسبعينيات كان اسم حساني لا يظهر في الصحف إلا في مناسبات ، مثل صدور رواية جديدة له ، أو نشر مقال عن إحدى رواياته ، بينما أصبح اسمه في بداية الثمانينيات يتردد بكثرة بمناسبة الاجتماعات الحزبية المختلفة التي كانت لا تنقطع ، وحتى بعد أن توفر له الوقت ، وبعد أن أصبح عضوا في مجلس الرئاسة ، فضل حساني أن يصرف كثيراً من وقته في الكتابة الروائية ، وأن يتوجه للكتابة المباشرة ، التاريخية والسياسية ، للمساهمة في معالجة الوضع ، فأصدر سنة ١٩٨٥ كتابه الأخير « كوسوفا ـ الحقائق والاكاذيب » الذي أراد منه أن يكشف بشكل نقدي عن الأساس التاريخي لجوهر التعصب القومي في يوغسلافيا لدى الألبانيين والصربيين ، وكان من الطبيعي ألا يعجب الكتاب المتشددين في هذا الطرف أو ذاك ، بل إن حساني قد تعرض لنقد شديد خلال أمسية سياسية لرابطة الكتاب في بلغراد في ربيع ١٩٨٦ ، مع أنه كان حينئذ يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية .

كان حساني كروائي يتمتع بموقع يسمح له أن يعرف ماذا يجري في أروقة السلطة ، وأن يتعرض من حين إلى آخر إلى ما يتشوه في هذه السلطة ، لكن بعد أن وصل إلى قمة السلطة وجد نفسه بعيدا عن عالمه الروائي ، بل في تناقض مع عالمه الروائي أحيانا ، فلقد اشتهر حساني كروائي برائعته « الريح والبلوط » التي تعتبر نقدا مرا لمرحلة ما قبل ١٩٦٦ في يوغسلافيا ومن المفارقات المرة الآن أن يتصادف وحود حساني في منصب الرئيس مع تصاعد الحنين إلى الماضي في يوغسلافيا ، وبالتحديد الحنين إلى مرحلة ما قبل ١٩٦٦ التي تحولت ـ بقدرة قادرة ـ إلى مرحلة ذهبية في تاريخ يوغسلافيا

ففي أيلول ١٩٨٦ انعقدت ندوة عن الوطنية اليوغسلافية في مدينة ايفان غراد ، وهناك اعتلى المنبر الكاتب بارتريش يوفانوفيتش ، وأثار تصفيق المشاركين عندما ذكر أن سبب المشاكل في يوغسلافيا الآن يعود إلى الانعطاف الذي حدث خلال ١٩٦٦ ، وأن فترة ١٩٦٦ ـ ١٩٨١ ـ التي ترمز الآن إلى تفرد تيتو بالسلطة ، هي صفحة سوداء في تاريخ يوغسلافيا

إن هذا الحنين إلى الماضي الذي له مغزاه الكبير في يوغسلافيا ، ليس في الواقع إلا أحد جوانب الحملة على تيتو التي بدأت تتضح أبعادها وقواعدها منذ خريف ١٩٨٦ وهكذا فقد كتب على سنان حساني ، وهو الذي شهد مختلف التغيرات والتقلبات في يوغسلافيا ، أن يكون شاهدا من هذا الموقع الحرج على الانطلاقة العلنية للحملة ضد تيتو

ليس من السهل على الروائي أن يصمت في هذه الظروف ، لكن حساني اضطر أخيرا إلى أن يعترف بأن مسؤولياته كعضو في مجلس الرئاسة (منذ ١٩٨٣) ـ وبخاصة الآن كرئيس للجمهورية ـ لم تترك له الوقت ولا المكان لكي يتعاطى الأدب □

الخير كله

● عن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جمع الخير كله في ثلاث خصا[ل] النظر والسكوت والكلام ، فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو ، وكل سكوت ليس [فيه] فكرة فهو غفلة ، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو ، فطوبى لمن كان نظره عبرا ، وس[كوته] فكرا ، وكلامه ذكرا ، وبكى على خطيئته ، وأمن الناس شره

بقلم : الدكتور يحيى الجمل

الدكتور يحيى الجمل ـ من القطر العربي المصري ـ شغلته كما شغلت هموم الأمة العربية ـ وهو السياسي والمحامي واستاذ القانون ـ فطفق ث عن أسباب المشكلات العالقة بدلاً من البحث عن ظواهرها فقط .
ولعل مناقشته هنا تنطلق من موقف حضاري شُغِلَ عنه المختلفون .
إن الاتفاق على الاختلاف فعل حضاري راق يبدأ الكاتب بتناوله في المقال ، وهو أول مساهمة له في « العربي » .

ا لانعرف كيف نتفق أصبح أمرا شائعا ،
ن المشكلة الحقيقية أننا لا نعرف أيضا
ـ واذا كان اتفاقنا على كثير من
، أصبح أمرا صعبا فان اختلافنا ـ وما أكثر
ـ هو أبعد مايكون في وسائله عن

أن المتحضرين هم الذين يعرفون كيف
كيف يوظفون هذا الخلاف لكي يصبح
ق ، ذلك على حين أننا في الوطن العربي ـ
أقول في العالم الاسلامي كله ـ لانعرف
ـ

عوة أطلقها من على صفحات « العربي »
أفرادا وجماعات ، حكومات وقادة ،
ونقول لأنفسنا : اذا كان قد عز علينا
الاتفاق فلنتعلم كيف نختلف

وأسباب الخلاف بين المتحضرين في عالمنا المعاصر أعمق وأشد حدة من أسباب الخلاف بيننا ، ومع ذلك فهم يواجهون خلافاتهم على نحو مغاير تماما لما نواجه به خلافاتنا ، ويصلون عادة الى ما لانستطيع الوصول اليه وهو جعل الخلاف بداية لنقطة من نقاط الالتقاء ثم الاتفاق
لماذا ؟

كنه الداء وبداية الدواء :

علينا أن نعرف كيف يديرون خلافاتهم وكيف ندير خلافاتنا ، لعلنا بذلك نضع أيدينا على كنه الداء وبداية الدواء ونقطة البدء عند المتحضرين جميعا ـ من غرب أو من شرق ـ أن الاختلاف في الرأي أمر

طبيعي ، وأن الاختلاف في الرأي لايعني بذاته أيضا أن أحد المختلفين على صواب كامل وأن الآخر على خطأ كامل ، وأن الحقيقة المطلقة لايستطيع أحد أن يدعي أنه وحده هو الذي يلم بها ويملكها وأن غيره محروم منها تماما هذه هي القضية الاولى التي يجب أن نقتنع بها تماما اذا كنا نريد حقا أن نتعلم كيف نختلف كما يختلف المتحضرون ، وأن نجعل من الخلاف بداية للالتقاء ثم الاتفاق

علينا أن ندرك بوضوح أن الاختلاف أمر طبيعي ، وأنه لا أحد وحده يملك الصواب ، وأن هذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ومن ثم فاننا نستطيع أن نقول ان حق الخلاف في الرأي هو من الحقوق الاساسية لبني الانسان

فاذا وقر في أذهاننا أن هذه حقيقة من حقائق الوجود الانساني،وتقبلناها وتعاملنا معها على هذا الأساس ، فاننا بالضرورة وبناء على ما تقدم سنتحرر أن يتهم بعضنا بعضا عند الاختلاف بالخيانة والعمالة والجهالة . وهي أوصاف بشعة ولكنها سهلة علينا الى حد أنه يندر أن نجد أحدا لم يتهم أحدا بهذه الاوصاف،سواء بين الساسة أو بين المفكرين في هذا الجزء المنكوب من العالم

اذا وقرت هذه الحقيقة في أنفسنا وأذهاننا ـ أن الاختلاف في الرأي والتوجهات أمر طبيعي ـ فان الشيء البديهي بدلا من تراشق الافتراءات أن نسأل لماذا نختلف أو ماهي أسس الخلاف وأسبابه ؟ كذلك يتعين علينا أيضا أن نسأل من يختلف مع من ؟

وعلى ضوء إجابتنا على هذين السؤالين نتقدم خطوة أخرى لنسأل ثم ماذا بعد ؟

ولست هنا بصدد بحث أسباب الاختلاف في مواقفنا نحن العرب ـ أفرادا كنا أم جماعات ـ ولكنني بصدد اقتراح منهج لادارة الاختلاف على نحو مايدير المتحضرون اختلافاتهم حتى لاتكون خلافات عقيمة . وحتى نصل الى بر الأمان

حق الاختلاف :

نقطة البدء اذن هي الاقرار بحق الاختلاف وبأنه من طبائع البشر ، ثم بعد ذلك البحث وراء أسباب الاختلاف ودواعيه ، ثم تحديد من هم المختلفون فيما بينهم وبعد ذلك تبدأ محاولات التغلب على الخلاف

واذا كان الذي يعنينا هنا ويحزننا أيضا هو مايدور في وطننا العربي من خلاف بين ساسته وأولى الأمر فيه ـ خلافات تبدو وكأنها مستعصية على كل حل ـ فاننا لابد وأن نواجه تلك الظاهرة التي نعتقد أنها من الظواهر المرضية ونحاول أن نشخصها من أجل معالجتها

لماذا يختلف الناس عموما ولما نختلف نحن ؟

يختلف الناس عموما لأسباب تستعصي على الحصر ، ولكن أبرزها سببان

ـ اختلاف المصالح

ـ اختلاف المكونات الحضارية والثقافية ، مما يؤدي الى اختلاف النظرة العقلية الى الامور

ولاشبهة في أن اختلاف المصالح بين فرد وفرد ، أو بين جماعة وجماعة أدبية ، أو بين دولة ودولة ، تأتي في مقدمة أسباب الاختلافات بين هذه الكيانات وبعضها وأغلب صور الصراع في العالم ـ سواء كان ذلك الصراع سلميا أو كان صراعا عسكريا ـ هي صراعات حول مصالح مختلفة

ولاشبهة أيضا أن اختلاف التكوين العقلي والنفسي وما يؤدي اليه من اختلاف حضاري بين شعب وشعب ، يعكس نفسه بدوره على العلائق بين الشعبين ، فاذا اختلفت المصالح كان الاختلاف الحضاري مدعاة لحدة الخلاف و[illegible] وصعوبة حله ، وعلى عكس ذلك فان الاختلاف في عنصر من العنصرين والاقتراب من العنصر الآخر يجعل الخلاف أقل حدة وعنفا ، ويجعل امكانية التغلب عليه أكثر منالا

ياك حلافات بين الولايات المتحدة الامريكية
تحاد السوفيتي
وهناك حلافات بين المملكة المتحدة ـ بريطانيا ـ
ر من دول القارة الأوروبية

وفي الصورة الاولى ـ بين الولايات المتحدة
ريكية والاتحاد السوفيتي ـ فان الاحتلاف يشمل
رين معاً اختلاف المصالح الى أبعد المدى
تلاف التكوين العقلي والنفسي الى درحة بالغة
ساع ومن هنا فان الاحتلافات بين هذين
طبين تبدو بالغة الحدة بالغة العمق ، وتتعدى دائرة
حتلاف لتدحل دائرة الصراع

أما في الصورة الثانية ـ بين بريطانيا ودول القارة ـ
ثمة خلافا في المصالح وخلافا في المزاج النفسي
ن الحلاف هنا في عنصريه على السواء لايبلغ من
دة والعمق ما يبلغه الحلاف في الصورة السابقة ،
لك فإن إمكانية تطويقه والتعامل معه والتغلب
ه قائمة وموجودة

وفي الصورتين معاً ـ صورة الصراع في الحالة
ولى والاحتلاف في الحالة الثانية ـ فلا أحد يتهم
دا بالخيانة أو العمالة أو الجهالة وانما هي أمور
سونة ، دواعيها واضحة وطرق التصدى لها أيضا
روفة

والتصدى للخلافات يأخذ صورة من ثلاث وفقا
ـة الحلاف ومداه
لحوار
لتعايش
لحرب

ـ واحدة من هذه الصور تتسع لكثير من
والأطياف

لحوار وهو الوسيلة الأولى والأكثر أهمية
تعددا في عالمنا المعاصر، فانه يبدأ كما قلت
بأن الاختلاف طبيعي نظرا لاختلاف
واحتلاف النظرة العقلية لدى الشعوب

المختلفة ، ثم يبدأ المتحاورون التسليم بهذه المقدمة
في حصر نقاط الاختلاف ونقاط الالتقاء بين هذا
وذاك ، وطرح البدائل المختلفة من استمرار الخلاف
الى تضييق هوته الى غير ذلك من البدائل

المهم أن يبدأ الحوار وهدفه الأساسي هو الوصول
الى نوع من التعايش بين المختلفين يحقق لكل منهم ـ
وفقا لامكانياته ووفقا لما تتيحه له ظروفه الموضوعية ـ
أكبر قدر من الفائدة له وأقل قدر من الضرر لغيره

ويتولى الخبراء تحويل ذلك كله الى معادلات
وأرقام واتفاقات

ويعلم كل واحد منذ البداية وحتى النهاية أنه لن
يكون الرابح على طول الخط ، ويعلم كل واحد
أيضا أن هدف الطرف الاخر هو تقليل خسارته الى
أبعد قدر ممكن

وعلى هذا الاساس ومن هذا المنطلق يؤمنون
بالحوار ويباشرون الحوار .

وقد يجدى الحوار ويوصل الى صورة أفضل من
التعايش بين المختلفين ، وهذا هو الغالب

وقد تنسد مسالك الحوار ، وهنا يواجه
المتحاورون ذلك بوضوح ، ويرجئون الحوار الى
جولة أخرى أو جولات وفيما بين ذلك تتحقق
صورة من صور التعايش قد يكون تعايشا حذرا
وقد يكون مترقبا لايخلو من توتر ، وكل من الطرفين
« يعمل » من أجل أن يزيد من أسباب قوته وأن يقلل
من أسباب ضعفه ، حتى اذا بدأت جولة ثانية من
الحوار كان في مركز تفاوضى أفضل مما كان عليه من
قبل

وقد تبلغ حدة الخلاف الى المدى الذي تصل فيه
الى صورة الصراع .

وحتى الصراع في عالمنا المعاصر لم يعد أمرا يمكن
تركه للانفعالات

وعلى أي حال فان ادارة الصراع ـ وهو مايطلق
عليه أحيانا التناقض العدائي ـ غير ادارة الحوار

أضواء على واقعنا :

وإذا انتقلنا الآن من التعميم الى التخصيص فماذا سنجد ؟

اذا انتقلنا من العالم الفسيح الى وطننا العربي ، فماذا سنرى ، وماذا سنجد ؟

هل هناك اختلاف حقيقي في المصالح بين قطر وقطر ؟

وهل هناك اختلاف في المزاج العقلي والنفسي لشعوب هذه الاقطار

سنتجرد أو نحاول أن نتجرد ـ ونحن نطرح هذين السؤالين ـ من انتماءاتنا الفكرية ولا نجعلها يمرصان علينا اتجاها معينا للاجابة انا نرى أقطاراً غنية ، فوائضها تزحم حزائن المصارف في العوالم المختلفة ، ونرى أقطارا تئن من وطأة الدين وذل السؤال

ونرى أقطارا مزدحمةبـالبشر وأقطارا يندر فيها البشر وأقطارا أرضها صحراء وأخرى تجري فيها ومن تحتها الانهار وأقطارا أخذت من أسباب حضارة العصر وعلمه بنصيب مهما كان محدودا وأخرى تحاول جاهدة أن تربط أسبابها بهذه الاسباب

هذا كله واقع وهو واقع يرفضه أمثالنا من القوميين ولكن رفضنا له لن يغير من حقيقة هذا الواقع شيئا أبدا ان مجرد الرفض هو موقف سلبي يحمل من العقم أكثر مما يحمل من الفائدة والجدوى

ولكن هذا الواقع يقول أيضا ان هذه الاقطار جميعا تعيش على بقعة واحدة متصلة من الارض ، ويقول ان هذه الاقطار وحدودها قد اصطنعت اصطناعا لم تشارك فيه ارادة الشعب العربي . ويقول أيضا ان هذا الشعب عاش حقبة طويلة من تاريخه في ظل احساس حقيقي بوحدة الوجود ووحدة المصالح ويقول أيضا ان الحقبة الاستعمارية أولا والنفط ثانيا كانت وراء هذا الواقع الذي يرفضه بعضنا ويقبله آخرون ، ولكنه واقع لابد من التعامل معه على أي حال وفي هذا الواقع اختلفت بعض مصالح الشعوب والاقطار على المدى القريب

وأنا أقول ان هذا الاختلاف في بعض المصالح على المدى القريب لاينفي وحدة هذه المصالح على المدى المتوسط بله البعيد

ان عالم اليوم هوعالم التكتلات الضخمة وليس عالم الشظايا المتناثرة هنا وهناك . وهذه التكتلات أو الكيانات الكبيرة لاتتكون اعتسافا وانما تقوم على أسس من التقارب الموضوعي .

دول أوروبا الغربية على كل ما بينها من اختلافات في المصالح وفي المزاج النفسي وفي اللغة ، ومن ثم في الثقافة ، تقترب كل يوم خطوة جديدة ـ حتى وان كانت صغيرة ـ من بعضها البعض. وليس لها من وسيلة لتحقيق ذلك غير جولات الحوار . وبعيدا أيضا عن كل الانتماءات الايديولوجية فان أقطار الوطن العربي يجمع بينها ، الى جوار وحدة اللغة ومن ثم وحدة الثقافة التي لايستطيع أحد أن يختلف بشأنها ، وحدة الجغرافيا ووحدة التاريخ ووحدة المصير . وهذه كلها عوامل لابد وأن تؤدي ـ رغم بعض الاختلافات التي لاننكرها ـ الى ضرورة الحوار توطئة لمزيد من التقارب والالتقاء .

لماذا اذن مع هذا كله لانحسن لغة الحوار ؟

ولماذا اذن مع هذا كله يقترب المختلفون اختلافا حقيقيا من بعضهم ، على حين تتسع بيننا نحن شقة الخلاف ؟

لماذا ؟ هل هي لعنة من لعنات الفراعنة أو من لعنات الجاهلية الاولى

لا هذا ولا ذاك

وانما هي أسباب واضحة ظاهرة للعيان

من هم المختلفون :

ولعل السؤال الثاني الذي طرحناه في البداية ولم نعرض له حتى الآن يمهد لنا الطريق لمعرفة هذه الأسباب

ـؤال الثـاني هـو الـذي يقـول : من هم
ـون ؟
ـ تختلف شعوب الامة العربية مع بعضها
ـت حقيقية وجادة وعميقة لاتجدي معها لغة
، وانما تجدي معها لغة الاتهامات والقذائف
ـية وما يشبه الصراع ؟
مراقب موضوعي قد يرى بين هذه الشعوب
الاختلافات ، ولكنه يرى بينها من أسباب
ـ ماهو أكثر بكثير جدا من أسباب الاختلاف .
ـاقب موضوعي يرى أن هذه الشعوب تتكلم
حدة ، وأنها ذات مزاج نفسي وعقلي متقارب
ـه الى حد بعيد ، وأنها رغم ما فعله الاستعمار
ـت اليه الحقبة النفطية العارضة في حياتها
ـ بينها اختلافات بعيدة وعميقة في المصالح ،
كس ذلك هو الصحيح .
ـ ما هذا الذي نسمعه على السطح من ضجيج
ـ ومهاترات وقذائف من حمم الالفاظ ؟ ومن
؟
ـ هي من الشعوب أم هي من بعض حكام هذه
ـب وأجهزة اعلامها ؟
ـيء الطبيعي في الاختلاف بين الشعوب
ـل والاقطار أن تكون هذه الخلافات بين هؤلاء
من ناحية ، وهؤلاء جميعا من ناحية أخرى ،
بالتراص أن الأصل في الحكام أنهم يمثلون
ـم ويتحدثون باسمهم ويعبرون عن مصالحهم
هذا هو الشيء الطبيعي ولكن الشيء غير
ـي أن تلتقي مصالح الشعوب وأن تلتقي لغة
ـب وأن تتقارب الطبائع والأمزجة بين
ـب - وأكرر بعيدا عن كل انتماء أيديولوجي -
ـلك لاتستطيع تلك الاقطار أن تلتقي على كلمة

لابد وأن تكون العلة هي فيمن يتحدثون باسم هذه الشعوب أو في بعض هؤلاء الممثلين على الأقل .

لابد وأن تكون العلة كامنة في أن بعض هؤلاء الممثلين لايمثلون شعوبهم حقيقة ، ولايعبرون عن شعوبهم حقيقة ، حتى وإن كانوا أعلى الناس صوتا في ادعاء هذا التمثيل وذلك التعبير .

ولابد وأن يرتفع ذلك التناقض أولا بين الشعوب ومن يحكمون الشعوب

وقد انتهت الانسانية من خلال تجارب كثيرة ومريرة الى رسم الطرق التي تؤدي الى أن يكون الحكام ممثلين حقيقيين لشعوبهم

لا سبيل الى ذلك الا بالارادة الحرة والرأي الحر والتعبير الحر والايمان الصادق بحق الاختلاف

الخطوة الاولى اذن أن تستقر حقوق الانسان في كل قطر عربي وفي كل أقطار العروبة وأن يكون واضحا أن حقا أساسيا من هذه الحقوق هو أن يختلف الناس في آرائهم وفي كيفية التعبير عن آرائهم وفي الدفاع عن هذه الرؤى والاتجاهات

ولابد وأن يترتب على ذلك كله أن يكون حكام هذه الأمة معبرين عن رؤى هذه الأمة ومصالحها ، وليسوا فقط معبرين عن رؤاهم هم ومصالحهم ومواقفهم هم ، وأن يدرك هؤلاء ، وهؤلاء جميعا أنهم جزء من تاريخ هذه الأمة ، وليسوا هم تاريخ هذه الامة بماضيها وحاضرها ومستقبلها كما يتصور البعض - عندئذ ستعرف جميعا كيف نختلف . . وكيف نتحاور . . ثم كيف نتفق . والأمر كله - من قبل ومن بعد - لله

ثم للشعب العربي اذا كان مايزال يريد أن يصبح جزءا فاعلا في حضارة بني الانسان . □

* استخدام المال : هو الميزة الوحيدة لامتلاكه . (بنيامين فرانكلين)

١٥ أبريل ٢٠٠٠

كتاب العربي

الخامس عشر

من أسرار الحياة والكون

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

كتاب العربي مرآة العقل العربي

العدد ٣٤١ - ابريل ١٩٨٧

بقلم : فهمي هويدي

ما حقيقة الربا؟

سؤال يفجره كتاب جديد حول الاجتهاد

أحدث ما أحرجته المطابع العربية في قضية الاحتهاد - فيا نعلم - كتابان ، أحدهما صدر ـاهرة بعنوان « الاحتهاد » للشيخ الدكتور ـعم النمر ، وهو من علماء الأزهر المعاصرين ، ـ مجمع البحوث الاسلامية ، وقد كان وزيرا للأوقاف قبل عدة سنوات ، وآخرهما صدر في ـت بعنوان مماثل تقريبا ، هو « الاحتهاد في ـيعة الاسلامية » للشيخ الدكتور يوسف ـاوي ، عميد كلية الشريعة في جامعة قطر ، ـد من أشهر فقهائنا المعاصرين

ـدور الكتابين خلال فترة زمنية وجيزة ، وفي ـلموضوع ، يعكس اهتماما بمسألة الاجتهاد ، ـ في مكانه ، فضلا عن أنه يعد استجابة لواحد ـطلبات المرحلة ، خصوصا في ظل المشاعر ـية المتنامية التي تفتقر إلى وعي متنام بنفس

أننا إذا عددنا العناصر المطلوبة لترشيد الاسلامية ، وتحقيق الاحياء الاسلامي ، تحتل قضية الاجتهاد رأس قائمة تلك العناصر ، ولاينبغي أن ينكر أحد أن تعطيل الاجتهاد والتقاعس في ممارسته ، يعد أحد الأسباب الأساسية لتعثر التطبيق الاسلامي ، إضافة إلى الأسباب الأخرى ، المتمثلة في دور القوى الاستعمارية ، وحرصها على قطع الصلة بين هذه الأمة وبين شريعتها

وقد أتى على المسلمين حين من الدهر لم يقف فقهاؤهم فيه عند حد الاعراض عن الاجتهاد والاصرار على التقليد ، لكنهم ذهبوا إلى حد اتهام عنوان الاجتهاد ذاته ، واعتباره نوعا من الضلال ، وسبيلا للتحايل على النصوص ،والانخلاع عن الدين وحتى زماننا هذا ، فإن كلمة الاجتهاد في الشمال الافريقي مازالت محملة بهذه الشبهات ، ربما تأثرا بظروف تاريخية واكبت الاحتلال الفرنسي ، أسيء فيها استخدام عملية الاجتهاد ، ووظف ذلك الباب لنقيض الغرض منه

لاتخل خصوصية ذلك الظرف بحقيقة هي أن الاجتهاد هو المصدر الثالث للشريعة الاسلامية - بعد القرآن والسنة - باتفاق الأصوليين ، وأن ممارسة ذلك

الاجتهاد على نحو واسع - ومسئول بطبيعة الحال - شرط أساسي للاحياء الاسلامي المنشود ، ومن هنا فإن أي حوار جار حول الاجتهاد يكتسب أهمية بالغة ، فضلا عن أنه يعد علامة على اتجاه المسيرة الاسلامية في الطريق الصحيح

لسنا بحاجة إلى أن ندلل على أهمية الاجتهاد ، وجدواه أو ضرورته ، فضلا عن أننا لسنا بحاجة لأن نكرر على الأسماع في كل مرة يطرق فيها الموضوع أو يفتح ملفه ، أن الأولين اجتهدوا ، لأني أحسب أن المطلب يظل قائما ، ولأننا مدعوون إليه ، سواء اجتهد الأولون أو لم يجتهدوا ، فتلك مرافعة زائدة في قضية محسومة ، ومحاولة لاثبات ماثبت بالدليل والتجربة

أقول ذلك لأن كثيرين ممن تعرضوا للموضوع استهلوه بمثل تلك المقدمة التي تحرص دائما على أن تبرهن على أن « الاجتهاد ضروري ، ومشروع ، ومسبوق ، وهذا هو المدخل الذي لجأ إليه الدكتور عبد المنعم النمر ، واستغرق أكثر من ٥٠ صفحة في شرحه وإثباته بمختلف الأدلة والبراهين الشرعية والتاريخية

إن الأمر الذي يعنينا الآن بقدر أكبر هو ممارسة الاجتهاد في قضايانا المعاصرة ، وليس فقط الدعوة إليه ، والتنبيه إلى أهميته ، ولذا فقد يهمنا أن نتفق ابتداء على مجالات الاجتهاد التي يكاد يجمع الباحثون - وبينهم الشيخان النمر والقرضاوي - على أنها تدور في حدود المعاملات وليس العبادات ، وأن الهدف منها إما استنباط حكم شرعي جديد في أمر لم يكن معروفا من قبل ، أو مراجعة حكم انتهى إليه فقهاء السلف ، لكنه لم يعد محققا للمصلحة المرجوة منه في زماننا

يورد لنا الشيخ النمر نماذج من اجتهادات الفقهاء التي ينبغي أن يتغير فيها الحكم ، وتتغير بصددها الرؤية ، بعدما تغيرت الأزمنة والأعراف ، فاذا قال أحد الفقهاء - قبل عدة مئات من السنين - إن الزوجة الاولى لاتتضرر من الزواج عليها ، فذلك قول ينبغي ألا يؤخذ بحسبانه « قضية مسلمة » ، نستشهد به على حال النساء في زماننا ، ونحكم عليهن بمقتضاه ، متناقضين مع الواقع القائم أيضا ينبغي ألا نحكم بأن أكثر مدة الحمل سنتان أو ثلاث ، أو أربع أو خمس أو سبع ، بناء على أن الأئمة قالوا بذلك (ص ٣٦٧) « وإذا جاء في كتب الأحناف أن زوجة المفقود تظل على ذمته ، حتى يموت آخر أقرانه ، أي حتى تصل إلى سن اليأس والشيخوخة ، ثم لها أن تتزوج بعد ذلك ، فلا يليق أن يتمسك حنفي بهذا القول ، لمجرد أنه ورد في كتب السابقين »

« وإذا جاء مثلا في كتاب فقهي ، أن الزوجة التي فارقها زوجها بعد كتاب العقد مباشرة ، ولم يختل بها ، أو كان العقد بوكالة وهو بعيد ، ولم يلتقيا ، هذه الزوجة إذا جاءت بولد بعد مدة الحمل أثناء غياب الزوج في أقصى المغرب ، وهو في أقصى المشرق ، نحكم بانتساب الولد إلى هذا الزوج الغائب ، لأنه ربما يكون من أهل الولاية ، وأهل الخطوة » إذا جاء مثل هذا في كتاب فقه - يضيف الشيخ النمر - فمن الغياب العقلي أن نلتزم به ، ولابد أن نبعد حكاية « أهل الخطوة » هذه في أحكامنا الشرعية »

وإذا جاء إنسان وأفتى بما في كتب الشافعية من أن نبش الأذن بعود لاخراج بعض الرواسب منها يفطر الصائم ، لأن العود وصل إلى الجوف ، ثم أثبت علم التشريح أن الأذن ليس بها فتحة إلى الحلق - كما في الأنف والعين - يمكن أن توصل للمعدة ، لم يجز لنا علميا أن نتعلق بهذا القول ، ولايجوز أن نفتي به (ص ٣٦٨)

وإذا جاء في بعض كتب الفقه عدم الثقة بحساب المنجمين وأقوالهم في ثبوت هلال رمضان ، من غياب العقول ، أن نأتي بعد ألف سنة أو أقل أو أكثر ، ونطبق ذلك الآن على علماء الفلك الذين وصلوا في دقة حساباتهم الفلكية إلى اطلاق مر...

، وإنزالها في مكان يحددونه ووصلوا إلى
نت الخسوف والكسوف ، ومكانها (ص

ـ الشيخ النمر ، على هذه النماذج قائلا إنه .
ـان الأئمة لم يقبل بعضهم الأخذ بفتوى
ي قضية مسلمة وقالوا نأخذ منهم ، ونرد
، وقال الامام مالك « كل يؤخذ منه ويرد
إلا صاحب هذا القبر » ، يعني رسول الله
لله عليه وسلم فليس لنا أبدا أن ننزل كلام
ي مسائل فرعية لاسند لهم فيها إلا احتهادهم ،
وق منزلة كلام الصحابي وفتواه ، ونعلو بها إلى
ها في مصاف كتاب الله وسنة رسوله
إطار المسائل المستجدة ، الجديرة بالاجتهاد ،
لنا المؤلف كلاما مهما في المعاملات الاقتصادية ،
أخطر ماورد في الكتاب وأخرؤه ، وينطلق
ـ الشيخ النمر إزاء هذه القضية من رفض
ـاد إلى الحديث المنسوب إلى النبي عليه الصلاة
لام الذي يقول « كل قرض جرّ نفعا فهو
، كما ينطلق من فكرة ترجيح المصلحة على
لدة ، المقدرة شرعا
عن صحة الحديث ينقل المؤلف عن الشيخ
د شلتوت ـ شيخ الأزهر الأسبق ـ تشككه في
ـه ، ودعوته إلى عدم الاستناد عليه والشيخ
رت ومعه الشيخ النمر يذكران أن الحديث قد
ه الحافظ بن حجر ، مؤلف « فتح الباري في شرح
ـاري » ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ الذي في متنه
وغ المرام » الذي حاه العلامة محمد ابن اسماعيل
سعا اليمى ، المتوفى سنة ١١٨٢هـ ، فشرحه
نص ، وسمى شرحه « سبل السلام » .
وم ـهم أن نورد هنا ماجاء في المتن والشرح ،
سه ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كل
عن منفعة فهو ربا » ، رواه الحارث بن أبي
امة إسناده ساقط ، لأن في إسناده سوار بن
سعد ـمداني المؤذن الأعمى ، وهو متروك (وله

شاهد ضعيف عن فضالة بن عبيد عند البيهقي) ،
أخرجه البيهقي في المعرفة بلفظ « كل قرض جر منفعة
فهو وجه من وجوه الربا » ، (وآخر موقوف عن
عبدالله بن سلام عند البخاري) ، لم أجده في
البخاري في باب الاستقراض ، ولم ينسبه المصنف في
التلخيص إلى البخاري ، بل قال « إنه رواه
البيهقي في السنن الكبرى عن ابن مسعود ، وابن أبي
كعب ، وعبدالله بن سلام ، وابن عباس ، موقوفا
عليهم ، فلو كان في البخاري لما أهمل نسبته إليه في
التلخيص . والحديث بعد صحته ـ أي إذا ثبتت
صحته ـ لابد من التوفيق بينه وبين ماتقدم ، وذلك
بأنه محمول على أن المنفعة مشروطة من المقرض ، أو
في حكم المشروطة ، أما لو كانت تبرعا من
المقترض ، فقد تقدم « أنه يستحب له أن يعطي خيرا
مما أخذ » ـ انتهى (ملحوظة مابين قوسين هو من
كلام ابن حجر ، وماعداه شرح الصنعاني) .

وقد عقب الشيخ محمود شلتوت على الحديث
بقوله حديث هذه حاله ، لايصح الاستشهاد به
على معاملة ، ولايستخرج منه حكم لها ، لأنه غير
صحيح ، وإسناده ساقط ، وراويه متروك
الخ ، ولهذا أحب أن ألفت نظر الباحثين الفقهاء إلى
هذا ، فلقد بلغ الأمر أن صار قاعدة عامة ، تبنى
عليها الأحكام ، وهي قاعدة هشة كما ترى (هامش
ص ٣٠٥)

بمثل ذلك قال الشيخ النمر ، وعقب على الحديث
بسؤال هذا نصه « كيف يجري (مثل ذلك
الحديث) مجرى الأحاديث الصحيحة المعتمدة ،
ويجعلون منه قاعدة شرعية عامة ، يبنون عليها
الأحكام ، على اعتبار أنها قاعدة ، قامت على حديث
من أحاديث الرسول ، وهو كما ترى لم يصح عن
الرسول ؟

ويحكمون بالحل أو الحرمة على معاملات بناء
عليه ، مع أن التحريم مقام خطير ، لايجوز الاقدام
عليه إلا عند التأكد من دليله ؟

بناء على هذا ينتهي الشيخ النمر إلى القول · « فإن من الأنسب والأليق بالعلماء ، وطالبي العلم ، أن يتركوا الاستشهاد به كحديث يبنى عليه التحريم ، ولنحصر عقولنا فيما ورد في القرآن والسنة الصحيحة ، لنبني أحكامنا على أسس متينة ومقبولة (ص ٣٥٣)

لم يجادل أحد في حرمة الربا ، لا الشيخ النمر ولا السابقون عليه أو اللاحقون ، لكن السؤال الذي يطرحه مؤلف الكتاب يدور حول حقيقة ذلك الربا المحرم والملعون في مواضع عدة من السياق القرآني

يطرح الشيخ النمر سؤاله : ماهو الربا ؟ وفي الاجابة يقول روي عن عمر بن الخطاب قوله · « . . وددت لو أن الرسول لم يقبض حتى يبين لنا الربا بيانا شافيا . » ، وقوله « تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا » (ص ٣٧٥ من الكتاب ، والنص منقول عن المحلىّ لابن حزم حـ ٨ - المسألة ١٤٧٩ في الربا)

ثم يضيف بأن الله سبحانه وتعالى عندما حرم الربا ونهى عنه ، كان معناه مستقرا في أذهان مسلمي العصر الاسلامي الأول ، لكن عمر كان يريد تحديدا واضحا من الرسول ، حتى لايترك الأمر لمفاهيمهم وأعرافهم وكثير من المفسرين يقولون بأن « أل » في الربا للعهد ، أي الربا المعهود لكم ، المعروف لديكم ، وهو الزيادة في المال نظير الزيادة في أجل الدفع ، فبدلا من أن يكون السداد في أواخر العام مثلا ، يطلب المدين تأخيره للسنة المقبلة ، ويزيده في الربح ، لأنه عاجز عن السداد في الأجل المحدد ، وقد يتكرر هذا ، حتى يصل الدين إلى ضعفه أو أضعافه ، ويعجز المدين ، وتنزع أملاكه ، كما يحصل الآن بين الدائنين والبنوك .

أي أن الربا الذي كان معروفا هو « ربا النسيئة » الذي لاخلاف حول حرمته ، والمسمى عند الأصوليين « الربا الجلي » ، وهو الذي نزلت فيه الآيات · « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، « اتقوا الله وذروا مابقي من الربا »

ويقرر الشيخ النمر بعد هذا الايضاح ، وبعد نقضه لصحة الحديث المنسوب للنبي ، أن إطلاق الحرمة على كل زيادة على رأس المال يقف في وجهه أن الرسول كان يؤدي ويربي ، أي يعطي فوق ماكان وأحسن ، باعتبار أن هذا أحسن في القضاء « وأحسنكم أحسنكم قضاء » - كما روى عنه عليه السلام - فليس مطلق الزيادة إذن ربا دائما ، بل لابد أن تكون زيادة لها ظروفها

هنا يتبنى الشيخ النمر قول القائلين بأن الزيادة الممنوعة هي التي يفرضها الدائن الموسر مقدماً على المدين الفقير المحتاج ، حيث يفترض أن المدين قد استدان لسد حاجاته الضرورية ، أو ليربح من عمل ليكسب قوته الضروري ، ولذا فإنه يصبح من الاستغلال البغيض الذي يحرمه الاسلام بشدة أن يستغل المسلم الغني حاجة غيره فيفرض عليه زيادة نظير إمداده بمال لسد حاجته ، وهو أمر لاخلاف حوله أيضاً ، لكن هناك حالات يستدين فيها الانسان ، لا لسد حاجته ، ولكن للتوسع في نشاطه الاقتصادي ، وزيادة دخله ، ورفع مستواه ، كأن يستدين لاصلاح أرض أو إقامة مصنع أو تشييد بناء أو غير ذلك من مختلف مجالات الانماء فهل هذه الحالات وأمثالها مما ينطبق عليها حالة المحتاج إلى مال يسد به حاجاته الضرورية ؟ وهل الزيادة على رأس المال التي يطلبها الدائن - سواء كان شخصا أو مصرفا - تعتبر ظلما واستغلالا في هذه الحالة ؟ وإذا لم يفرض المقرض شيئا على المقترض ، بل هو الذي حدد الربح من ناحيته للمقرض الدائن ، فهل هذا يسمى ربا ، وقد عرفنا في الربا أن الدائن هو الذي يفرض ؟ - (ص ٣٨٠) .

في نهاية الأمر يقرر المؤلف أن · استغلال حاجة المحتاج ، هو المعنى الكريه الذي حرم الله من أجله الربا والزيادة ، أما حيث لا يوجد هذا المعنى

ىلا تكون الزيادة محرمة ، وعرض لبحث
ح عبدالجليل عيسى عضو مجمع البحوث
ي سنة ١٩٧٢م ، وذكر فيه أن من يستدين
، حنيه ليصلح أرضا تدر عليه وعلى الوطن
ىر إنتاجا ، وقال إن هنا أربع فوائد
ىفسدة ، والقاعدة أن المفسدة إذا عارضتها
احجة قدمت المصلحة ، ثم قال فهل
قول ان هذه المعاملة حرام ؟ وما وجه
وقال إنني لا أدرك سببا لتحريم هذا
ىه الغاية ، مهذه الفائدة
ت ذاته أشار الشيخ النمر الى بحث قدمه
ىد عبدالله دراز الى أسبوع الفقه الاسلامي
باريس سنة ١٩٥١ عن الربا ، وقال فيه .
الربا ليست قضية مبدأ ، لكنها قضية
وليس هناك مسلم على وجه الأرض يجيز
لا خرج عن الاسلام ، وإنما الخلاف حول
املات الحديثة ، وما إذا كانت تنطوي على
، وهو خلاف ثابت لدى السلف الصالح ،
ر أئمة فقهاء الاسلام ، وسيظل قائما ما
اة باعتباره خلافا حول التطبيق »
شيخ النمر وغيره أرباح صناديق التوفير
دها بعض الحكومات لتشجيع الناس على
ويجيز أيضا شهادات الاستثمار المصرفية

حيث يودع بعض الناس أموالهم ، ويحصلون على شهادات أو صكوك بقيمتها ، تحقق أرباحا أو جوائز بعد فترة زمنية معينة ، ويقول إن مجمع البحوث الاسلامية وافق على بعض أنواع هذه الشهادات ، وإن لم يعلن ذلك رسميا ، وهو أيضا يجيز التأمين على الحياة ، ويورد آراء لفقهاء آخرين ممن يتفقون معه في الرأي ، وبنفس القدر يجيز القروض التي تمنح للمشروعات التعاونية ، وأصحاب المشروعات الاقتصادية الأخرى ، نظير فوائد أو أرباح سنوية

لكن مؤلف الكتاب لم يقرر صراحة إجازة فوائد الايداع في البنوك ، وإن حام حول هذا المعنى بإشارات واضحة الدلالة ، وما إخراج هذه الفوائد من دائرة الربا إلا علامة على ذلك

الأمر في النهاية يحتاج إلى بحث جاد ، ومناقشة فقهية ، تحدد ماهية الربا ، خاصة بعد نقض الحديث الذي يعتبر كل قرض جر منفعة ربا ، والتدليل على عدم جواز الاستدلال به ، وهي مناقشة حريّ بأهل الفقه والعلم أن يقصدوا إليها بوضوح ، لايحتمل اللبس ، ويبدد حيرة الحائرين ، ويجيب على أسئلة المتسائلين ، ذلك عن كتاب الشيخ عبدالمنعم النمر في الاجتهاد ، أما كتاب الشيخ يوسف القرضاوي فهو جدير بأن نخصص له حديثا آخر . □

أخلاق الصالحين

●سأل الخليفة هارون الرشيد أبا يوسف قاضي القضاة في عهده : « صف لي أخلاق أبي حنيفة » فقال أبو يوسف : « كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله ، مجانبا لأهل الدنيا ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ، ان سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب . . وما علمته يا أمير المؤمنين الا صائنا لنفسه ودينه ، مشتغلا بنفسه عن الناس ، لايذكر أحدا الا بالخير » فقال الرشيد : « هذه والله أخلاق الصالحين » .

قصة مترجمة

ليس الابن

بقلم : دوريس ليسنج* □ ترجمة : شوقي جلال

عاشت عائلة فاركرز سنوات دون انجاب ، ثم رزقت أخيراً بوليدها تيدي عمت الفرحة والسعادة الأسرة ، واشتد تأثرها بفرحة خدمها الذين هرعوا ليقدموا لسادة البيت الهدايا من الدجاج والبيض ، وليحتفلوا معهم بالوافد الجديد ، ويطلقوا زغاريد الفرح والبهجة فوق الرأس الذهبي الصغير الأزغب ، ذي العينين الزرقاوين وتقدم الخدم لتهنئة زوجة السيد فاركرز ، وكأنها حققت انجازاً عظيماً لا يطاوله شيء ، وكان هذا هو شعورها الدفين حقاً ، الذي كشفت عنه ابتسامتها الدافئة الودود لضيوفها المعجبين من أهل البلد ، الذين أطالوا المكث ، وتباطأوا في الانصراف

ومضت أيام وشهور ، وقص تيدي الصغير شعره للمرة الأولى انحنى الطباخ « جيدون » ليجمع القصاصات الذهبية الناعمة من على الأرض ، وأمسك بها بين يديه في توقير واجلال ، وابتسم للصبي الصغير وقال :

« يا ذا الرأس الذهبي الصغير » وأصبح هذا هو اسم الطفل بين أهل البلد . وجمعت صداقة حميمة بين جيدون وتيدي منذ البداية واعتاد جيدون كلما فرغ من عمله أن يرفع تيدي ويحمله فوق كتفيه ، ويتجه به نحو شجرة كبيرة ظليلة ، يلعب معه هناك ، ويشكلان لعباً صغيرة غريبة من أغصان وأوراق الأشجار ونصال الأعشاب ، أو يصنعان تماثيل لحيوانات من الطين وبعد أن تعلم تيدي الخطو ، اعتاد جيدون أن ينحني أمامه ويقرقر بصوته يستحثه على المشي ، ثم يمسك به قبل أن يسقط الى الأرض ، ويحمله بين ذراعيه ، ويقذف به في الهواء حتى تتقطع أنفاسهما من شدة الضحك وازداد اعجاب زوجة السيد فاركرز بالطباخ العجوز لوله الشديد بطفلها

لم يكن هناك طفل ثان ، وذات يوم قال جيدون « آه يا سيدتي ، لقد رزقكم الله بهذا الابن الوحيد ، وان ذا الرأس الذهبي الصغير هو أجمل ما لدينا نحن في بيتنا عندما سمعت الأم لفظة « نحن » شعرت بنبضة حب دافئة تسري في دمها نحو طباخها ، ولهذا زادت أجره عند نهاية الشهر لقد قضى في خدمتها شهوراً عديدة ، وهو الوحيد من بين أبناء البلد الذي يصطحب زوجته وأطفاله معه في بيت الخدمة ، ولم يطلب أبداً العودة الى قريته التي تبعد بضع مئات من الأميال ويحدث أن تقع العين بين الحين والآخر على صبي أفريقي يناهز تيدي عمراً ، يحدق بعينيه في رهبة من بين أفرع الأعشاب الطويلة يتفرس الصبي الأبيض ذا الشعر الأشقر الأسطوري وعينيه

---

* أديبة بريطانية برعت في الوصف

الزرقاوين اللتين لا يرى مثلهما الا عند أهل الشمال . وقد يظل الطفلان يحدق كل منهما في الآخر بعينين واسعتين ، تفيضان دهشة واهتماماً وحدث ذات مرة أن مد تيدي يده في فضول ولمس وجنة الطفل الأسود وشعره .

كان جيدون يرقب المشهد عن قرب ، وحين أبصر تيدي يفعل ذلك هز رأسه في تعجب وقال « آه يا الهي ، هذان طفلان سواء ، سيشب احدهما ويكبر ليصبح سيداً ، بينما سيكون الآخر خادماً » وابتسمت الأم وقالت في حزن « نعم يا جيدون » ، هذا ما كنت أفكر فيه الآن

وتنهدت وتمتم جيدون بصوت خفيض « انه واقع الحال » كان جيدون مسيحيا ، اعتنق المسيحية على يد ارسالية تبشيرية ، وكانت عائلة فاركرز شديدة التدين ، وجمع هذا الشعور الديني في رابطة حميمة بين السادة والخدم

وحين بلغ تيدي السادسة من عمره اشترت له أمه دراجة صغيرة ، واكتشف الطفل الصغير سحر السرعة ونشوتها واعتاد الصغير أن يقضي سحابة نهاره يطوف بدراجته حول البيت يجري ويسرع بين أحواض الزهر ، وتهرع أمامه الدجاجات وهي تقأقيء في هلع ، وتهرب الكلاب مهتاجة ، ثم ينهي الصبي جولته بدفعة فورية سريعة على شكل قوس في اتجاه باب المطبخ ويصيح بأعلى صوته « جيدون ، انظر . تعال لكي تراني » ويضحك جيدون ويقول « عظيم جدا يا ذا الرأس الذهبي الصغير » . واعتاد أصغر أبناء جيدون ، وهو صبي يعمل الآن راعياً ، أن يأتي خصيصاً ليشاهد الدراجة الصغيرة كان يتأملها بعينيه ويخشى الاقتراب منها ، ولكن تيدي يستعرض مهارته أمامه ويصيح به « يا أفريقي ابعد عن طريقي » ويسرع بدراجته يحوم بها في دوائر حول الطفل الأسود ، الذي يستبد به الخوف فيهرع خائفاً ليحتمي بالأشجار

ويسأله جيدون بصوت فيه تأنيب مغيظ . « لماذا تخيفه ؟ »

ويرد تيدي في تحد وقح « لا عليك ، انه صبي أسود ليس الا » . ثم يضحك عالياً بملء فمه استدار جيدون ونأى عنه صامتاً مطرق الوجه

وعندما رأى الصبي ذلك انسل مسرعاً الى داخل البيت ، وعاد يحمل برتقالة أعطاها لجيدون وهو يقول له

« هذه لك » لم يشأ الصبي الاعتذار أو ابداء الأسف له ، ولكنه أيضاً لا يحتمل فقدان جيدون وحبه له أمسك جيدون البرتقالة في عزوف وعلى كره منه ، وندت عنه تنهيدة عميقة وقال في ذهول « قريباً جداً ستذهب عنا الى المدرسة يا ذا الرأس الذهبي الصغير وعند ذاك تكون قد كبرت » ثم هز رأسه في هدوء وحسرة وقال في نفسه « وهكذا تمضي حياة كل منا » وبدا وكأنه قد باعد بينه وبين تيدي ، وأضحت هناك مسافة تفصل بينهما ، لا استياء ، بل اذعاناً لقدر محتوم يرضى به صاغراً ألقى الطفل بنفسه بين ذراعي جيدون وتطلع الى وجهه مبتسماً كم من مرة تأرجح الصبي فوق كتفيه ، وكم من الساعات قضاها يلاعبه ويداعبه ولكن جيدون الآن عازف عن أن يمس جسده جسد الطفل الأبيض كان رقيقاً معه حقاً ، ولكن نمّ صوته عن جدية حزينة ، مما جعل الصبي يعبس وينأى عنه كسيماً وحدا هذا بالطفل الى أن يسلك معه سلوك السادة ؟ فقد أصبح مع جيدون ملتزماً بقواعد الآداب والسلوك ، يتعامل معه في إطار الرسميات والشكليات ، واذا حدث ودخل عليه المطبخ ليسأله شيئاً ، فانه يسلك معه سلوك السيد الأبيض مع خادمه الذي لا يتوقع منه غير الطاعة

ولكن حدث ذات يوم أن أقبل تيدي يعدو دخل المطبخ مترنحاً ، ويداه فوق عينيه يصرخ من شدة الألم ألقى جيدون بوعاء الحساء الساخن الذي كان في يده ، واندفع نحو الصبي وانتزع يديه من على عينيه وصرخ قائلاً « أفعى » كان تيدي يجري بدراجته الصغيرة حتى أنهكه التعب ، وشاء أن يستريح ، فتوقف قليلاً ، واتكأ باحدى قدميه على طرف حوض مليء بالنباتات واذا بإحدى أفاعي الأشجار قد التف ذيلها حول فرع الشجرة ، وتدلى رأسها ، فنفثت سمها الزعاف غزيراً في عيني الطفل مباشرة . أقبلت الأم تعدو في هلع عند سماعها الجلبة والضوضاء أمسكت بطفلها تيدي وضمته الى صدرها ، واحتضنته بقوة وهي تبكي «

سيذهب بصره ... سيعمى يا
» وهن بصر الصبي وقارب على
وانتفخت العينان وتورم الجفنان حتى
حجم قبضة اليد ، وتشوه وجه تيدي
صغير ، بعد أن غطته نتوءات ارجوانية يتز
غريب وقال جيدون . « انتظري لحظة
آتيه بدواء » وانطلق يعدو ، وغاب بين

لأم طفلها الى داخل البيت ، حيث غسلت
« البرمنجنات » انها لم تسمع بوضوح
ون ، أو ربما لم تعبأ بها ، ولم تعرها أدنى
لكن حين فشلت وسائلها العلاجية ولم
على الاطلاق ، طاف بخاطرها صورة
البلد الذين فقدوا بصرهم ، لأن أفعى
بها في عيونهم وهنا بدأت تتلهف الى
ها ، وقد تذكرت ما سمعته عن حدوى
شاب البلدية ووقفت الى النافذة ،
الطريق تحدق في الأحراش ، وطفلها
تلع بين ذراعيها ولم تمض دقائق حتى
دون مقبلاً يركض وفي يديه شجيرة .
ون « لا تخشي شيئاً يا سيدتي . هذا
شي عيني ذي الرأس الذهبي الصغير »
اق الشجيرة ، حتى لم يبق منها سوى حذر
صغير وضع جيدون الحذر في فمه دون
، ومضغه بقوة الى أن أمتلأ فمه بالمضغة
ثم انتزع الطفل من بين ذراعي أمه ،
بين ركبتيه ، وضغط بابهاميه على العينين
، حتى صرخ الصبي من شدة الألم
لأم محتجة « جيدون . . جيدون »
ون لم يعبأ بصراخها ، وجثا فوق الطفل
ألماً ، ورفع الجفنين المتنفختين الى أعلى ،
العينان ، ونفث بعض ما في فمه بقوة مرة
في العين الأولى ، واتبع ذلك بالعين
وأخيراً رفع الصبي في حنان من على
وضعه بين ذراعي أمه وقال : « ستتحسن
لكن الأم انخرطت في بكاء مر ، واستبد
وف ، وعجزت عن أن تشكره اذ كان من
ليها أن تصدق أن طفلها الوحيد سيحتفظ
بعد ساعتين زال الورم وبدت عينا الصبي
حمراوين ملتهبتين ، ولكن أصبح تيدي قادراً على الإبصار .

قصد السيد فاركرز وزوجته المطبخ حيث قابلا جيدون ، وأعربا له عن شكرهما . وكرر كل منهما الشكر مرات ومرات ، وأحسا بالعجز عن العرفان بالجميل ، وأنهما لا يملكان ما يعبر بحق عن مدى تقديرهما وعرفانهما . وقدما لجيدون الهدايا له ولزوجته وأطفاله ونفحاه علاوة ضخمة زيادة على راتبه ، ولكن خيل اليهما أن كل هذا لا يساوي شيئاً بالقياس الى عيني تيدي اللتين شفيتا تماماً الآن .

ومن المألوف حين يقع حادث كهذا في القرية ، أن يشيع خبره ، وسرعان ما يتردد على ألسنة الناس ويحكيه كل شارد ووارد لقد قص السيد فاركرز وزوجته القصة على جيرانهما ، وتناول الناس القصة بالتعليق ، وتناقلوها من حي الى آخر ان الغابة مليئة بالأسرار . وكل من يفد الى أفريقيا ، أو يقصد الأحراش على الأقل ، سرعان ما يعرف الحكمة القديمة المأثورة ، التي تتألف عناصرها من ورق الشجر والتربة وفصول السنة

وبلغت القصة المدينة ويبدو أن شخصاً ما حكاها أثناء حفل سامر ضم لفيفاً من الناس ساعة الغروب وكان من بين الحاضرين طبيب سمع القصة ، ولكنه أنكرها وكذبها تماماً ، وتحدى أن تكون صادقة في قليل أو كثير وعقب على ما سمعه قائلاً « هراء هذه أمور يبالغ فيها الناس كثيراً عندما يتناقلونها واننا نحرص دائماً على تحري حقيقة مثل هذا النوع من القصص ، الا أننا لم نصل الى شيء أبداً »

ولكن حدث على أية حال أن وصلت سيارة غريبة الشكل ، عبارة عن معمل متنقل ، وتوقفت أمام المنزل وخرج من السيارة رجل يحمل حقيبة بها أنابيب اختبار ومواد كيميائية

أحس السيد فاركرز وزوجته بمزيج من الحيرة والسرور والكبرياء ودعوا الباحث الوافد لتناول الغداء ، وقصا على مسامعه القصة من جديد للمرة المائة كان الصبي الصغير تيدي واقفاً هناك أيضاً ، عيناه تفيضان حيوية ، كأنهما يؤكدان للباحث صدق الرواية . وأوضح الباحث مدى الفائدة التي ستعود على البشرية لو أمكن استخلاص هذا العقار وبيعه

للناس . وسر السيد فاركرز وزوجته لهذا الاهتمام ، وأحسا بالغبطة اذ سيصبحان سبباً لاسعاد البشرية ، وانجاز عمل فيه خير الناس أجمعين ، وهو ما يتفق مع طبيعتها البسيطة العطوفة المحبة للخير ولكن ما أن شرع الباحث في الحديث عن الأموال التي يمكن الحصول عليها من وراء هذا الكشف ، حتى انتابها احساس بالقلق ، وأبديا عدم ارتياحهما ذلك لأن شعورهما تجاه المعجزة (وكان هذا هو رأيهما فيما حدث) شعور قوي وعميق وديني ، مما يجعلهما يشعران بالاستياء عند التفكير في ربطها بالمال لمح الباحث أمارات الاستياء على وجهيهما ، فتراجع وعاد الى الحديث من جديد عن حب الانسانية ولعله لم يبال كثيراً ، فهذه ليست المرة الأولى التي جاء فيها وهو يتشكك في صدق السر الخرافي للأدغال

وأخيراً وبعد أن فرغوا من الغداء استدعى السيد فاركرز جيدون الى غرفة المعيشة ، وأوضح له أن هذا السيد الموجود ضيفاً عليهما طبيب مرموق ، وعالم كبير ، وفد من المدينة الكبرى ، وأنه انما قطع هذا الطريق الطويل لا لشيء ، الا لكي يرى جيدون استشعر جيدون بعض الخوف لسماعه هذا ، فهو يفهم المقصود . لمحت السيدة زوجة فاركرز طبيعة الشعور الذي ساوره ، فبادرت لتبين له أن السيد الكبير انما جاء بسبب تلك المعجزة التي حدثت على يديه وشفت عيني تيدي

أخذت عينا جيدون تتنقل ما بين السيد فاركرز وزوجته ، ثم أخيراً الى الصبي الصغير الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالموضوع وأخيراً قال جيدون باستنكار « هل يريد السيد الكبير أن يعرف الدواء الذي استخدمته ؟ » ونمّ صوته عن ريبة وقلق ، وكأنه لا يصدق أن الأمر يصل بأصدقائه القدامى الى حد خيانته والوشاية به عاد السيد فاركرز ليوضح له مدى فائدة هذا الدواء الذي يمكن استخلاصه من الجذور ، وكيف يمكن طرحه للبيع في الأسواق ، وكيف يمكن أن يفيد آلاف البشر ، سوداً وبيضاً ، ومن أقصى أفريقيا الى أقصاها .

وساد صمت حديد بعد هذا التوضيح المسهب ، وأبدى جيدون لامبالاة إزاء كل ما سمع ، ثم قال انه لا يتذكر هذا الجذر النباتي بدا عابس الوجه ، مقطب الجبين ، غاضب الملامح ، عدواني التعبير ، حتى وهو يرمق بنظراته السيد فاركرز و، اللذين اعتاد أن يعاملها كأصدقاء قدامى الضيق الى نفوس الجميع ، ومحا هذا الاحساس بالذنب الذي انبثق في باطنهم ، سلوك جيدون الذي ينطوي على اتهام لهم وساورهم احساس بأنه انسان غير عاقل سرعان ما زايلهم هذا الاحساس ، وأدركوا أنه لا يلين ، وأن العقار السحري سيظل في مكمنه مجهولاً ، لن يفيد به سوى القلة المتناثرة من الافريقيين العارفين بسره من أهل البلد ، العاملين هنا وهناك ، ربما في حفر الخنادق للبلدية بقمصانهم الممزقة ، وسراويلهم القصيرة المرقعة ، ولكنهم يولدون ليشفوا المرضى ، ويتوارثون هذه المهنة ومن يدري ، لعلهم من أقارب أو أبناء الأطباء السحرة القدامى ، الذين اعتادوا في قديم الزمان تغطية وجوههم بأقنعة شوهاء ، واستعمال عظام نخرة وغير ذلك من خصائص السحر الشاذة

بيد أن الجميع واصلوا الحاحهم والضغط عليه ومحاجاته ، مستخدمين كل ما يملكون من براعة وقدرة ، على الرغم من السخط الذي تملكهم وظل جيدون على كلمته ، يردد قوله انه لا يتذكر ، أو انه لا يوجد حذور نبات من هذا النوع ، أو ان هذا ليس هو موسمه ، أو ان شفاء عيني تيدي لم يكن بسبب الحذر داته ، بل نتيجة اللعاب الذي نفثه من فمه . قال هذه الحجج الواحدة تلو الأخرى ، غير عابئ بما تنطوي عليه من تناقضات بدا فظاً عنيداً حتى أنكره آل فاركرز ، فلم يروا فيه خادمهم العجوز الرقيق الهادىء المحبوب ، بل رأوا مواطناً من أهل البلد الأفريقيين ، أمياً عنيداً صلب الرأي ، يقف أمامهم مطرق الرأس خافض العينين مرتخي اليدين ، ويشد بأصابعه أطراف إزار المطبخ ، ويكرر ويعيد أي إجابة رافضة تطرأ على دهنه

وفجأة بدا وكأنه استسلم - رفع رأسه وسدد نظرة جامدة غاضبة ، طاف بها على الوجوه البيضاء المحيطة به ، وخالها حلقة من الكلاب الشائحة تطوقه ، وتضيق عليه الخناق وتعوي وتطارده ثم قال « سأهديكم الى الجذر المنشود »

ساروا خلفه فرادى صفاً واحداً . كان الوقت ظهراً والحر لافحاً ، والطقس هجيرا ، السماء

ملبدة بسحب تنذر بأمطار ساخنة . كل شيء حارق كأنه الجحيم ، الشمس فوق رؤوسهم صينية من السرور معلقة في السماء ، والهواء يسوده وميض أبيض ملتهب يغطي الحقول ، والأرض رمضاء تشوي الأقدام ، والريح مترية ساخنة محملة بذرات الرمال تلسع الوجوه كان يوماً قاسياً مروعاً لا يفيد معه الا ان يستلقي المرء في استرحاه على أرض شرفة هاوية يترع المشروبات المثلجة ، وخاصة في مثل تلك الساعة التي حرجوا فيها

وتذكر أحدهم يوم نهشت الأفعى تيدي ، وكيف عاد جيدون بعد عشر دقائق فقط ، حاملاً الجذر بين راحتيه ، وسأل في ضجر « ألم نبعد كثيراً يا جيدون ؟ » ولكن جيدون أجاب في أنفة وصدود ، وفي صوته رنة أدب غاصب . « اني أبحث لكم عن الجذر يا سيدي » والحقيقة أنه كثيراً ما حاد هنا وهناك ينحني على الأرض ويمد يده بين الأعشاب بحركة فيها فتور تنطوي على اهانه وتحقير وسار بين الأحراش عبر ممرات مجهولة قرابة الساعتين ، وسط هذا الهجير والقيظ اللافح المهلك ، حتى تصبب العرق غزيراً على أجسادهم ، وتصدعت رؤوسهم ، ولكنهم لزموا الصمت التام صمت آل فاركرز بفعل الغضب الشديد المكظوم ، وصمت الباحث لأنه وجد دليلاً جديداً يؤكد صدق شكوكه ، انه لا يوجد نبات من هذا النوع وهكذا كان صمته لباقة لا غير

وأخيراً وعلى بعد ستة أميال من البيت ، قرر جيدون أنهم قد نالوا كفايتهم ، أو ربما تبخر غضبه ورايله في تلك اللحظة والتقط من بين الأعشاب حفنة من الأزهار الرقاء ، دون أن يكلف نفسه عناء النظر اليها ، بل بدا وكأنه يأتي عملاً عفوياً عارضاً والغريب أنها أزهار موجودة بوفرة ومنتشرة على طول الممرات والدروب التي سلكوها

ناول الأزهار للباحث دون النظر اليه . ثم استدار وقفل عائداً وحده ، تاركاً لمن معه أن يتبعوه اذا شاءوا

وبعد أن عادوا جميعاً الى البيت قصد الباحث المعد ليشكر جيدون ؟ . . . كان دمثاً شديد الأدب ، على الرغم من النظرة الساخرة التي تطل من عينيه ولكن لم يكن جيدون هناك وألقى العالم الأزهار باهمال فوق المقعد الخلفي للسيارة . وأدار الزائر المرموق محرك سيارته وعاد أدراجه الى معمله

عاد جيدون بعد فترة الى المطبخ ليعد طعام العشاء ، ولكنه كان عبوساً متجهماً تحدث الى زوجة السيد فاركرز حديث خادم كاره متمرد ومضت أيام قبل أن يعود الود الى مجراه ثانية بينهما

حاول آل فاركرز استقصاء حقيقة الجذر النباتي بسؤال العاملين في المزرعة . ولكنهم كانوا يتلقون أحياناً اجابات مشفوعة بنظرات استياء وامتعاض وقال أهل البلد أحياناً أخرى لا نعرف شيئاً عن هذا ، لم نسمع أبداً عن هذه الجذور » ولكن الصبي الذي عمل عندهما راعياً للبقر منذ زمان طويل ، وبات يثق فيهما بعض الشيء قال لهما . « اسألا خادمكما الموجود في المطبخ إنه طبيب يعيش بينكما انه ابن طبيب ذائع الصيت ، طبقت شهرته الآفاق ، اعتاد أن يعيش في هذا الاقليم ، ولا يوجد داء الا وله عنده دواء يشفيه » ثم أردف قائلاً في أدب حم « طبعاً انه ليس نداً للطبيب الأبيض ، نحن نعرف هذا ولكنه ملائم لنا نحن »

ومضت أيام ، وبعد أن زالت الجفوة بين آل فاركرز وبين جيدون ، عادوا الى الضحك والمداعبة وحدث أن سألت الزوجة ذات مرة جيدون « متى سترينا يا جيدون الجذر الذي يستحدم ترياقاً لنهشة الأفعى ؟ » ولكن جيدون هز رأسه ضاحكاً وقال ، وفي نفسه بعض الضيق « لقد أريتكم اياه ياسيدتي هل نسيتم ؟ » .

ومضت سنوات وأصبح تيدي تلميذاً بالمدرسة ، واعتاد أن يدخل على جيدون المطبخ ، وقال له ذات مرة « أنت يا جيدون ، أيها الصعلوك المتشرد ، هل تذكر يوم أن سخرت بنا جيعاً ، وحملتنا نتبعك سيراً على الأقدام أميالاً عبر الأحراش بلا جدوى ؟ لقد كانت مسافة طويلة حتى اضطر أبي الى أن يحملني » ولكن يتضاعف ضحك جيدون في أدب وبعد طول ضحك ، انتصب واقفاً ومد قامته وفرك عينيه المعجوزتين ، وتطلع في أسى الى تيدي ، الذي يبتسم له في خبث وقال : « آه يا ذا الرأس الذهبي الصغير . ها أنت قد كبرت ، وعما قريب ستصبح شاباً وسيداً يملك مزرعة خاصة به . » □

بقلم : الدكتور عادل البكرى *

من الأطباء الذين يذكرهم التاريخ في العصر العباسي المتأخر ، طبيب خدم الحضارة العربية ، هو وعائلته التي ظهرت ببغداد لأول مرة خلال القرن الثاني الهجرى ، والتي أسهم أبناؤها من الأطباء في إرساء علوم الطب لفترة تجاوز الثلاثة قرون ، وشاركوا في حمل مشعل الحضارة التي أنارت للعالم سبيله ، وكانت أساسا لقيام النهضة الحديثة .

أما الطبيب فهو عبيدالله بن جبرائيل بن عبيدالله ، وأما عائلته فهي عائلة(بختيشوع) نسبة الى مؤسسها بختيشوع بن جورجيوس بن جبرائيل وكان جورجيوس هذا أول من قدم من هذه العائلة الى بغداد ، وكان رئيسا لأطباء جنديسابور ، وله خبرة واسعة بالطب والمداواة ، وهو ممن عملوا على ترجمة الكتب اليونانية الى العربية ، وقد استدعاه الخليفة المنصور في سنة ١٤٨ هـ لاصابته بمرض في معدته ، بعد أن فشل أطباء بغداد في علاجه ، فلما وصل مدينة السلام ودخل على المنصور ، دعا له وحدثه أحسن حديث ، فتعجب المنصور من حسن مظهره ، ومن حديثه ومنطقه ، فأكرمه وأمر بتخصيص دار له ، وتوفير ما يحتاجه اقامته ومعيشته

وبقي في بغداد مدة أربع سنوات ، حتى أصـ[...] بمرض ، فالتمس من المنصور أن يأذن له بالرحـ[...] الى بلده واهله ، فأذن له المنصور بذلك ، ومـ[...] عشرة آلاف دينار ، وأنفذ معه خادما لمرافقته

معاهد علمية

وجنديسابور التي جاء منها هذا الطبيب هي [...] في خوزستان ، أي عربستان ، اشتهرت بمدرسـ[...] الفلسفية التي أوجدها الرهبان النساطرة الذين نز[...] اليها ، بعد أن طردهم البيزنطيون من بـ[...] الأناضول ، وقد سموا بالنساطرة نسبة

* كلية الطب ـ الجامعة المستنصرية ـ بغداد

ـطو يوس بطريك القسطنطينية الذي قال بناسوتية
ـسيح ، مما أثار حفيظة رجال الدين ، فأبعدوه هو
اتباعه من بيزنطة ، فصاروا يتنقلون من بلد الى
ر ، حتى توفي نسطوريوس منفيا سنة ٤٤٠ م ، ثم
ـتطاع بعض اتباعه بعدئذ أن ينتشروا في غربي آسيا
ي سوريا وبلاد مابين النهرين ، ويبثوا أفكارهم
قوال ومذاهب منتزعة من الفلسفة اليونانية ، كما
لموا مع الفلسفة علوم الطب والكيمياء والفلك

أنشأوا في الرها ونصيبين وحران مدارس تدرس
للغات السريانية ، وكان لهذه المدارس شأن عظيم
معاهد علمية في أواخر القرن الخامس الميلادى ،
اشتهرت مدينة الرها ـ وهي مدينة أورفة التركية
ـاليا ـ بهذه العلوم أكثر من غيرها من المدن ، حتى
عيت (أثينا الشرق) ، وكان فيها جامعة تدرس
علوم الدينية والانسانية ، وكان أكثر اساتذتها من
ؤلاء الساطرة ، غير أنه لم يطل مقامهم فيها ،
ـث سرحوا الى حنديسابور البعيدة عن أراضي
رنطة غير أن العرب لم يلبثوا أن فتحوا بلاد فارس
ع حنديسابور سنة ١٩ هـ ، فأصبحت هذه البلدة
مدارسها ومستشفياتها تحت اشراف العرب
رعايتهم

وقد اعتنى العرب بهذا المستشفى وأنفقوا عليه
موالا كثيرة ، وكانت اللغة العربية مستعملة فيه الى
جانب السريانية واليونانية ، حتى أن أساتذة
لمستشفى كانوا يتكلمون بها ، وقد عمل بعضهم على
رجمة الكتب اليونانية الى العربية

عائلة من الأطباء

أما بختيشوع بن جورجيوس فقد اشتهر كأبيه
بعلوم الطب والمعالجة ، وكان قد ولاه ادارة المستشفى
مكانه عندما استدعاه المنصور الى بغداد ، وقدم هذا
الى بغداد أيضا في خلافة هارون الرشيد لمعالجة
الخليفة من صداع لحقه ، واختبره الرشيد في أول
مقابلة ... معه ، وتأكد من غزارة علمه ، فأكرمه
ووهـ ... ه مالا كثيرا ، وجعله رئيسا لأطباء بغداد ،
وقد ... ـب بختيشوع ولدا طبيبا اشتهر شهرة
واسعـ ... وهو جبرائيل بن بختيشوع الذى أصبح
الطبيب الخاص للخليفة الرشيد ، وكان لايرد له

الطبيب بختيشوع يشرح درساً في الطب

طلبا ، وقال يوما من كانت له حاجة فليطلبها عند
جبرائيل ، ثم صار بعدئذ طبيبا لكل من الأمين
والمأمون ، مقربا اليهما ، كما كان في عهد أبيهما
الرشيد ، وتوفي جبرائيل بن بختيشوع وترك عددا من
المؤلفات الطبية ، كما ترك ابنا اشتهر بالطب ايضا
وهو بختيشوع بن جبرائيل

وقد نال بختيشوع بن جبرائيل هذا منزلة عظيمة
عند الخليفة المتوكل ، وبلغ مالم يبلغه أحد من الأطباء
آنذاك من المكانة والثروة ، حتى كثرت أمواله ،
وصار يضاهي الخلفاء في مظهره ومعيشته . وهو أول
من أوجد طريقة تكييف الهواء في المنازل صيفا

وشتاء ، ففي الأيام الشديدة الحر كان يجلس في غرفة ذات طاقات ، يدخل منها هواء مبرد ، بعد مروره على مواضع فيها ثلج مكبوس ، فيندفع الهواء من هذه الطاقات الى الغرفة التي يجلس فيها فيبردها ، أما

في الشتاء فكان الهواء يمر على جمر من الفحم الذي يوقد في كوانين كبيرة ، ينفخ فيها غلمان بأجربة (مفردها جراب) من الجلد كتلك التي عند الحدادين ، فيدخل الهواء الحار الى الغرفة فيدفئها

اما عبيد الله بن جبرائيل الذي خصصناه بالدراسة في هذا المقال ، فهو من أشهر أحفاد هذه الأسرة ، وكان قد قضى شطرا من حياته في بلدة (ميافارقين) ثم انتقل الى بغداد ليصبح من أشهر أطباء المستشفى العضدي ، ويقول عنه ابن أبي أصيبعة انه كان فاضلا في صناعة الطب ، مشهورا بجودة الأعمال فيها ، متقنا لأصولها وفروعها ، ومن جملة المتميزين من أهلها والعريقين من أربابها .

كما كان معاصرا للطبيب البغدادى ابن بطلان ، ويجتمع به ويأنس اليه وبينهما صحبة

فصل الطب عن الفلسفة

وفي حديثنا عن عبيد الله بن جبرائيل لابد أن نذكر أنه أول من اعتبر الطب علما مستقلا ومنفصلا عن الفلسفة ، بعد أن ظل فترة طويلة مرتبطا بها وتابعا لها ، وقد أوضح ذلك بكتابه المسمى (وجوب النظر على الطبيب في الأحداث النفسانية) الذي نشره

فيلكس فرانكه ببيروت سنة ١٩٧٧ ، والذي سمى الطبيب بموجبه عالما وليس صاحب مهنة ، وكان جالينوس لايعتبر الطب علما بل صناعة يدوية وحرفة ، أما ما يلحق بهذه الصناعة (أي صناعة الطب) من علم ومعرفة نظرية فهو جزء من الفلسفة وليس غير ذلك ، وهذا الرأى أخذ به بعض الأطباء العرب ، منهم على بن رضوان المصرى المتوفى سنة

٤٥٣ هـ ، وكان هذا لايطلق اسم الطبيب الا على من يشتغل بالفلسفة ، وكان يقول ان الذي يريد أن يتعلم الطب يجب ان يحصل عليه من الكتب وليس من أفواه المعلمين ، وبذلك فهو يجعل الطب علما نظريا صرفا حاله حال الفلسفة والأدب .

وبمثل هذا الرأى قال أبو بكر الرازي الذي كان يعترض في كتابه المسمى (السيرة الفلسفية) على أولئك الذين يقولون ان الأطباء ليسوا فلاسفة ، لأنهم في تصرفهم ومعاشهم لايشبهون الفيلسوف سقراط في زهده وتقشفه ، وهو يعتقد أن في قولهم هذا نقيصة تستوجب مثل هذا الاعتراض ، فيقول دافعا عن نفسه تهمة كونه طبيبا بدون فلسفة (ولم يظهر من أفعالي ما استحققت أن يقال انه ليست سيرتي سيرة فلسفية ، فاني لم أصحب السلطان صحبة حامل السلاح ، ولامتولي أعماله ، بل صحبته صحبة متطبب ومنادم يتصرف بين أمرين أما في وقت مرضه ، فعلاجه أمر بدنه ، وأما في وقت صحة بدنه ، فايناسه والمشورة عليه)

ولذلك جاء عبيد الله بن جبرائيل لنقض هذا الرأى ، وليدعو الى القول بأن الطب هو غير الفلسفة ، وهو علم مستقل لا ارتباط له بالفلسفة ، الا مما يدخل في منطق الاستقراء والاستنتاج التي تتطلبها الفحوص السريرية والمتابعة العلمية ، كما دعا الى دراسة الطب بالممارسة والتجربة لا بالقراءة فقط ، ولهذا السبب صار عبيد الله بن جبرائيل الى جانب ابن بطلان في رأيه المعارض لابن رضوان المصرى الذي كان يدعو الى دراسة الطب بشكل نظري

ان هذه الدعوة الى جعل الطب غير مقيد باتجاهات الفلاسفة وتأثيرهم الفكري ، جعل الطبيب ينطلق بمهنته ويعمل في مجال بحثه للتحرى عن أسباب الأمراض ، وعن الأدوية ، وتطبيق المعالجات بأسلوب واقعي دون الالتزام بنظريات اليونان ، الأمر الذي ساعد على تطور الطب العربي بعدئذ بشكل متميز ، ولذلك يعتبر الكتاب الذي وضعه

عبيد الله بن جبرائيل في هذا المجال دعوة الى تطوير الطب ، كما انه في الوقت نفسه دعوة الى اخضاع الاضطرابات النفسية للمعالجة الطبية ، وفيه رد صريح على من يقول ان الطبيب يجب ألا يعالج الحالات النفسية ، كما انه يؤكد أن الألم النفسي يولد أمراضا جسمانية ، وهذا مايؤكده الطب الحديث

وليس هذا كل مافي الأمر ، فان لهذا الطبيب آراءه الخاصة التي تعكس فلسفته في المسائل الطبية التي

..ر بها في كتاب آخر من كتبه المهمة هو كتاب (الر.ضة الطبية) وكان قد بدأه بمقدمة يقول فيها (الفاصل من الناس من اختصه الله تعالى بثلاثة : ..ل يعرف به ذوات الأشياء وحقائقها ، وأدب ..دي به الى أسنى الأمور وأفضلها ، ودين ينحاز به ..ن المآثم ويجتنبها) ويحتوى الكتاب على عدد من ..سائل تتراوح بين القصر والطول في مواضيع طبية ..نوعة ، هي الجنس ، والنوع ، والطبيعة ، ..لمزاج ، والروح ، والنفس ، والعقل ، واللذة ، ..لحس ، والفكر ، والغضب ، والحركة ، ..لزمان ، والمكان ، والمعرفة ، والقياس ، ..لبرهان ، والعلة ، والنوم ، والرؤيا ، والصحة ، ..لغذاء ، وغيرها من المواضيع

يقول عن العضو انه جزء من بدن الانسان ، ..حاز بحيز خاص ، وأعد لفعل ما . . اي انه يجب .. يكون له كيان محدود ذو ابعاد ، بحيث يشغل ..ما خاصا ، فلا يمكن أن يكون العضو شيئا معنويا ..غير ملموس ، وهو يقسم الأعضاء الى بسيطة ..مركبة ، والمركبة منها يقسمها الى رئيسة ..مرؤوسة ، والأعضاء الرئيسة هي التي تسيطر على ..أفعال الحيوية في الجسم ، وتقوم بالنمو والمحافظة ..ى الوجود ، وهي أربعة . الدماغ الذي تنشأ منه ..عصاب وتنتشر في سائر البدن ، وتقوم بأعمال ..س والحركة ، ثم القلب الذي تنشأ منه العروق ، ..عطي البدن الحرارة والحياة . ثم الكبد الذي له ..يته في توصيل الغذاء الى أقسام البدن ، فيكون منه ..مو والتعويض عما يتحلل منه ، ثم الأعضاء التي ..همتها القيام بالتكاثر والمحافظة على النسل ، أما ..أعضاء البسيطة فهي المتشابهة الأجزاء التي كل جزء ..ها يشابه العضو الكامل ، كالعظام والغضاريف ..لأعصاب والعروق والشحم واللحم وما يشبه ..ك اما الحس فيقول عنه انه قوة للنفس مدركة ..م ..وسات

..نف.. والبدن

..س يكون من اعتدال الطبائع ، وتشترك فيه ..البدن معا ، فالنفس تمثل قوة الحس ، أما البدن فهو آلته ، وعدد الحواس خمس هي البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس ، فالنظر يحس الألوان والأشكال والأعداد ، والسمع يحس الأصوات بما فيها النغم والطنين والدوى ، والشم يحس الروائح ، والذوق يحس الطعوم ، واللمس يحس الأشكال والخشونة والملامسة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

ويقول عن الصحة انها حال للبدن بها تتم الأفعال الجارية المجرى الطبيعي ، وهي تقال على وجهين : الصحة على الاطلاق ، وهي الصحة الكاملة التي هي غاية الكمال وهذا الضرب غير موجود .

ثم الصحة التي لنا عرض ، وهي الموافقة للمزاج والهيئة ، أي التي توافق مزاج الانسان ، حتى لو كان في غير تمام الصحة كأن يكون ضعيف الكبد ولكنه يكون صحيحا . وبالاجمال فان الأطباء يسمون كل من كان يقدر أن يفعل أفعاله الطبيعية صحيحا ، ويكون حفظ الصحة بملاحظة الأسباب الستة الضرورية للحياة وهي : -

(١) الهواء المحيط بنا (٢) مايؤكل ويشرب (٣) النوم واليقظة (٤) الحركة والسكون (٥) الاحتقان والانبعاث (٦) الأحداث النفسانية .

فمتى حافظ الانسان على هذه العوامل الستة دامت له صحته ، ومتى اضطربت وجرت على غير تقدير جلبت له المرض ، وان الدواء من شأنه أن يغير طباعنا (أي طباع الجسم الذي أثر فيه المرض ، فيرجعه الى طبيعته الأولى) .

وقد توفي عبيد الله بن جبرائيل سنة ٤٥٠ هـ ، وترك مؤلفات طبية غير ما ذكرناه ، منها كتاب (مناقب الأطباء) وقد ذكر فيه شيئا من أحوالهم ومآثرهم ، وكان قد كتبه سنة ٤٤١ هـ ، وكتاب (طبائع الحيوان وخواصها) ألفه للأمير نصير الدولة وكتب غيرها ، الا انه لم يترك من الاولاد والاحفاد ما يجدد بهم تاريخ الأطباء الكبار من أسرة بختيشوع ، فكان هو خاتمة الأطباء الذين ينسبون الى هذه الأسرة العريقة ، والذين نذكرهم كلما ذكرنا تاريخنا الزاهر في عصر الحضارة العباسية . □

الحياة موت والموت حياة!

استطلاع : سليمان مظهر
تصـويـر : سليمان حيدر
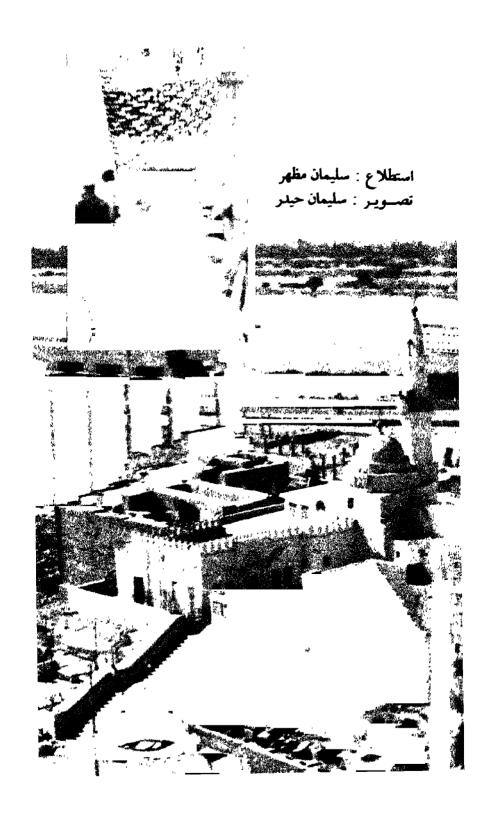
« إن طيبة . . هي أعظم كلمة في أية لغة من لغات الأرض . . وإن الانسان لتأخذه الحيرة والدهشة من جمال آثارها وسموها وبهاء صنعتها . . وما من شك في أن شعباً من الشعوب العريقة في الأرض لم يستطع أن يسمو بفن العمارة سمو المصريين القدماء . كأنهم لم يكونوا بشراً مثلنا . . كأنما كانت لهم قامات العمالقة » . « شامبليـــون »

في طيبة مدينة الأقصر المستلقية في أقاصي صعيد مصر . . رأينا مشهداً عجباً !

رجال ونساء وأطفال يتزاحمون وهم يسيرون ببطء في موكب طويل مهللين مكبرين ، ومن جوانب الطرق تتدافع كل طوائف الشعب لتشارك في المسيرة ، ومن الأفواه ترتفع آيات الحمد والشكر والثناء ، ومن الصدور تنطلق دعوات الرجاء والابتهال تشق طريقها نحو السماء !

ونتأمل في دهشة قلب الموكب . .

زورق مذهب في شكل قارب فرعوني يحمله الناس على المناكب والأكتاف ، بعد أن أخرجوه من خزانته عند جدار مسجد « سيدي أبو الحجاج » القائم في فناء معبد الأقصر . وكانوا قد أجروا عليه عمليات الدهان والترميم ثم اتجهوا ليضعوه على عربة مكشوفة بين التهليل والتكبير ، قبل أن ينطلقوا في موكب مهيب ليدوروا به في شوارع المدينة بين معبدي الأقصر والكرنك وطريق الكباش ، وهم يحملون الزورق على أكتافهم بين الحين والحين ، ومن خلفه زورقان آخران أصغر منه . وعندما ينطلق الموكب على الجانب الشرقي للنيل تتجه الأنظار جميعاً الى الضفة الغربية حيث مدينة الموتى . ثم يواصل الموكب سيره وسط الدعاء وآيات الحمد ليعود مرة ثانية الى فناء المسجد . . وهناك يتجمع الناس يتقدمهم محافظ المدينة وأحفاد سيدي أبي الحجاج والرسميون والعسكريون ، لاستكمال احتفالهم بمولد سيدي أبي الحجاج الأقصري . الذي يعتبرونه ولياً من أولياء الله الصالحين

ونتذاكر ما شهدناه من رسوم نقشت قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة على جدران معبد الأقصر المطل على النيل .

من خلال النقوش على الجدار رحنا نتتبع المراحل التفصيلية لاحتفالات « أوبت » الدينية .

تبين النقوش أنه حين كان أبناء طيبة يحتفلون بعيد آمون خلال الشهر الثاني من فصل الفيضان وبعد انتهاء موسم الحصاد وجني الكروم ، كان تمثال الإله آمون يخرج من معبد الكرنك في زيارة خاصة لزيارة « حريمه » في معبد الأقصر . . موطن حياته الزوجية الخاصة ، حيث يقضي أحد عشر يوماً مخصصة لخروجه الإلهي في عيد « أوبت » الكبير . . ويتجلى على طول الطريق لأتباعه المؤمنين به المتحمسين له . وكان الكهنة يحملون على مناكبهم محراب آمون في زورقه القدسي الفخم المتوهج ببريق الذهب . ويسيرون به ـ ومن خلفه زورقا زوجته موت وابنه خونسو ـ في موكب مهيب يتقدمه حملة البيارق واللافتات والأبواق لافساح الطريق لموكب الإله . . فيستقبله الناس بالحمد والتهليل والدعاء . . وحين يبلغ مطلع الموكب مرفأ النهر ـ وهو ما زال قائماً حتى الآن ـ يرفع محراب آمون فوق زورقه ليتهادى على مياه النيل ويسير الزورق من الشمال الى الجنوب ضد التيار حيث يجدف رجال عراة الصدور في زوارق السحب بكل قواهم يساعدهم رجال آخرون يشاركون في السحب بالحبال من جانب النهر . . بينما قارعو الطبول والضاربات على الصنوج يصاحبون بحركاتهم موكب الزوارق المقدسة التي تصحبها سفينة الملك وسفن أخرى مكدسة بكل أنواع الهدايا والقرابين من مباخر فاخرة ، وآنية بديعة ، وصناديق وأدوات للزينة ، وعطور وبخور يحملها خدم عديدون وعلى الشاطىء يخر الناس احتراماً كلما مر بهم الموكب في سفنه المقدسة تتهادى على صفحة المياه . فاذا وصل معبد الأقصر نحرت الذبائح وقدمت القرابين وتقاطر الناس أفواجاً للاشتراك في هذا العيد العظيم . فاذا مارست السفن على رصيف معبد الأقصر ، حمل الكهنة حملهم المقدس على الأعناق مرة أخرى ، ودخلوا المعبد بين الدعوات والأهازيج حتى يصلوا الى المقاصير المقدسة ، حيث تودع تماثيل الآلهة الثلاثة في أماكنها من قدس الأقداس . . .

لقد استمرت الأقصر تشهد ذلك الموكب الذي لمئات من السنين . وحين دخل المصريون في دين الاسلام استمر أهل المدينة المحدثون يمارسون في

احتفالهم الديني بمولد سيدي أبي الحجاج نفس ما كان أجدادهم القدامى يفعلونه ، ولكن بعد أن أضافوا الى موكب الولي المسلم سفينة آمون المقدسة . وكانوا وهم يعملون ذلك يدركون أنهم إنما يحافظون على تقاليدهم ويتمسكون بتراثهم

المدينة ذات المائة باب :

والأقصر مدينة تمتد على ذراع النيل على طول الضفة الشرقية . . وتقع على مسافة حوالي ٦٧٠ كيلومتراً جنوب القاهرة ، وتبتعد عن أسوان والسد العالي بحوالي مائتي كيلومتر .

وقد كانت ذات يوم بعيد قلب اقليم من أقدم أقاليم مصر ، حين اتخذ أهله ـ رمزاً لهم ـ شعاراً يسمى بلغتهم « واست » ومعناها القوة والصولجان وهو لفظ عرف به الاقليم منذ أقدم العصور . ثم أطلق على عاصمته اسم طيبة . وتعني مدينة الإله الكبرى أما تسميتها الحديثة فقد كان ذلك على يد العرب الذين تخيلوا معابدها قصوراً سموها الأقصر ، وازنوا بين واحد من معابدها وبين قصر النعمان بن المنذر الذي كان يسمى « الخورنق » فسموا المعبد بذلك الاسم الذي حرف الى « الكرنك » أما المؤرخون فقد عرفت المدينة لديهم باسم « المدينة ذات المائة باب » لاتساعها الهائل ولتعدد ابواب معابدها التي كانت تشغل المساحة التي تحيط بالكرنك وتمتد ضواحيها حتى تشمل معبد الأقصر

ومنذ اللحظة الأولى لوصولنا الى الأقصر أحسسنا أننا نغوص في عمق التاريخ ، وكان الهواء الذي تتنسمه مختلطاً بعبق مصر القديمة ، يحمل الينا همسات زاخرة بألوان كثير من الأحداث ومظاهر العادات والتقاليد ، عاشها المصريون لعدة آلاف من السنين وما زال الناس في الأقصر يواصلون الحياة على بقاياها وذكرياتها ومنابع كنوزها حتى اليوم . .

دخلنا معبد الأقصر . ويسمونه « معبد الحريم » نسبة الى ذلك الوصف التفصيلي الذي شهدناه محفوراً بالنقوش على جدران المعبد لمشاهد احتفالات أعياد الإله آمون ورحلته من معبد الكرنك الى معبد الأقصر لزيارة زوجاته . . كما تنطبق التسمية أيضاً على المعبد بالنسبة للغرض الرئيسي الذي شيده من أجله الملك أمينوفيس الثالث (امنحتب) .

لنا ذلك الغرض واضحاً حين وقفنا في « قاعة الولادة » ومعنا مرافقنا الأثري أحمدتوفيق ، وهو

● خريطة تبين موقع الاقصر . والبر العربي

يشرح لنا تفاصيل النقوش المحفورة على الجدار الغربي من القاعة التي أمر الملك بتسجيلها بالتفصيل . قال لنا .

لم يكن من حق أي ملك أن يتوج فرعوناً إلا إذا كان من دم ملكي . ولكن أمينوفيس كان يفتقر الى هذا الحق لأن أمه كانت ابنة أمير أسيوي . وقد كان أحد الحلول هو أن يتزوج من أخت مصرية من دم ملكي خالص فيكون من حقه أن يتوج فرعوناً ، وإذ لم يستطع أن يفعل فقد اهتدى الى طريقة أخرى تحقق له هذا الشرط ، وذلك بأن يشيد هذا المعبد ويقيم فيه « حجرة الولادة » التي يذكر فيها ـ كما هو مبين في النقوش الهيروغليفية المكتوبة ـ أن الإله آمون رع قد ضاجع والدته فحملت منه ليكون هو مولودها من الإله . . !

المعبد يعتبر نموذجياً ، شارك في تأسيسه بصفة أساسية أمينوفيس الثالث ورمسيس الثاني ، بينما هناك إضافات من فراعنة آخرين ، وبعض إضافات من العصر الروماني ثم من العصرين المسيحي والاسلامي بعد الفتح .

المدخل الرئيسي هو الصرح الأول الذي شيده رمسيس الثاني . . بينما الصرح الثاني هو ما شيده
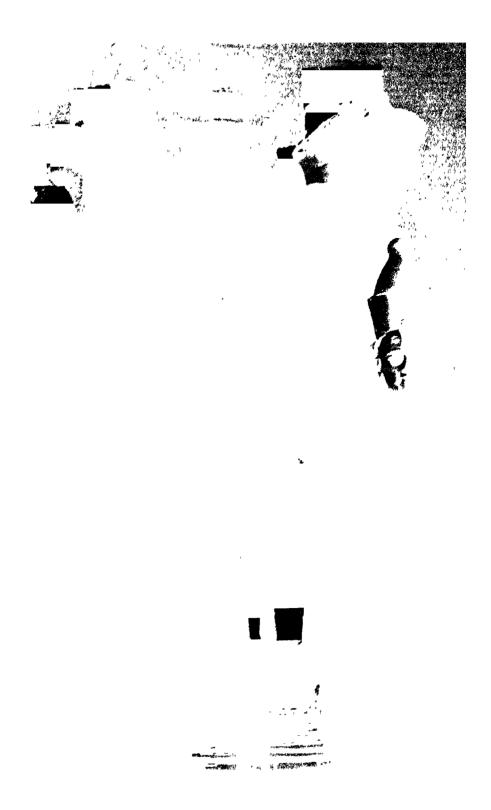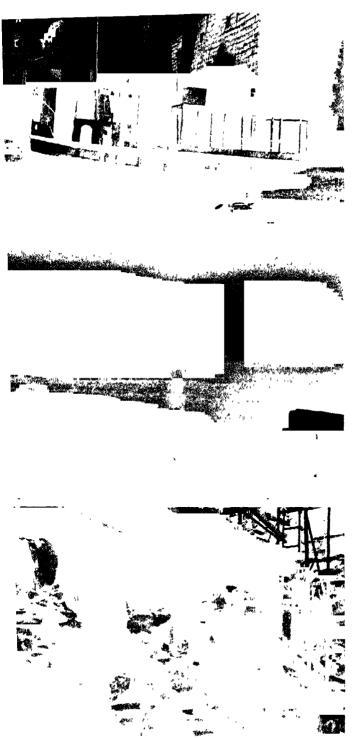
● تمثال رمسيس الثاني يتصدر واجهة معبد الأقصر وهو أعمدته (الى اليمين) بينما يبدو المعبد نفسه الى اليسار وقد احتل فناءه مسجد سيدي أبو الحجاج وأمامه القارب الذي يحملونه في عيد مولده شبها باحتفالات « أوبت »

●(في الصور الوسطى) يجري النيل مخترقا طيبة الأحياء « بالشرق » وجبانة الملوك والملكات في البر الغربي حيث تجري عمليات الترميم في مقابرها كما تبدو في الصورة أسفل

أمينوفيس حيث نرى الهيكل وقد تهدم معظمه وأخمته أعمدة الفناء المحرومة وأعمدة أخرى على شكل البردى

ثالوث طيبة وتعدد الآلهة :

في الفناء الذي يلي الصرح الأول نحد أحد الفراعنة قد شيد مقصورة لثالوث طيبة المقدس

ثالوث طيبة يتكون من الإله آمون ، ممثلاً أحياناً بصورة آدمية ومتجسداً أحياناً في هيئة كبش ثم روحته موت في صورة أنثى العقاب ثم ابنهما حونسو الذي يرمز الى القمر ويتمثله المصريون على هيئة إنسان أو إنسان برأس صقر يحمل على رأسه الهلال يعلوه قرص

أما آمون إله طيبة فقد بدأ يحتل مركزه في عهد الدولة الوسطى ، ثم زادت سطوته وأخذ ينافس رع رب هليوبوليس فلما أراد كهنة طيبة أن يجعلوا من معبودهم إلهاً عاماً لا منافس له بمصر أضافوا اليه اسم رع فصار « آمون رع »

على طول الشاطىء في طيبة الأقصر القديمة حيث مدينة الأحياء على الشاطىء الأيمن للنيل كانت القصور والمنشآت ودور الوزارات والسفارات وبيوت الأمراء والموظفين تبدو رائعة غاية في الجمال ، أرضها مردانة برسوم أزهار اللوتس ، وجدرانها مزخرفة برسوم ملونة لأسراب الطيور ، وكانت أروقة القصور والبنايات واسعة عامرة بكل ما هو فاتن ورائع وجميل

ولكن ديار هؤلاء البشر كلها كانت منشأة من اللبن الهش لأن المصري القديم لم يكن يهتم ببقاء مبانيه السكنية بقدر اهتمامه بمعابد الآلهة ومقابر الموتى . لهذا فإن مباني المدينة لم تستطع أن تواجه مرور الأزمان فتبددت وذهبت أدراج الرياح بينما كانت المعابد وديار الآلهة مقامة من الحجر فبقيت شاهداً على عظمة المصريين القدماء على مدى التاريخ

ذلك ما سمعناه من الأثري المصرولوجي الدكتور محمد الصغير مدير آثار مصر العليا وأضاف « ومع ذلك فقد اكتشفنا أخيراً أحياء من المدينة القديمة أعطتنا فكرة عن حياة الناس وطرق معيشتهم داخل بيوتهم ونحن نواصل الآن عمليات الحفريات حيث نتوقع كشف ضاحية هامة من ضواحي طيبة ونعمل حالياً على استكمال كشف طريق الكباش الممتد بين معبدي الأقصر والكرنك

« الانسان الجديد »

قبل أن ننطلق الى الكرنك لا بد أن نلتقي بالانسان الجديد في طيبة بعد أن تحول اسمها الى الأقصر

هنا في الأقصر على الضفة الشرقية من النهر سوق دائمة تفترش جوانب الطرق حيث تعرض الخضراوات والفواكه والمأكولات والثياب والقلل القناوي ومشغولات الألبستر وتمر عربات « الكارو » و « الحنطور » والعجلات التي ما تزال لها سوق رائجة برغم امتلاء الشوارع بالسيارات من كل نوع وعلى العربات ما تزال نسوة محجبات ببراقعهن يغطين بها شعرهن الأسود يقعدن القرفصاء بينها بنات باسمات في عمر الزهور يغنين ويصفقن في ثياب ملونة فاقعة الألوان أو ينطلقن محجبات في مرايلهن الزرقاء في الطريق الى مختلف معاهد التعليم

أما الرجال والأطفال فلهم شأن آخر إنهم في العالم يختلفون كثيراً عن أمثالهم في الجانب العربي من النهر فمع وجود السياح وجولاتهم في الشوارع أو في مناطق الآثار ، يعمل الرجال تراجمة ومرشدين ، وإن كانوا لا يعرفون من اللغات إلا كلمات تعلموها من كثرة التقائهم بالأجانب أما الباقون فهم إما موظفون في تفتيش الآثار أو في الفنادق ، وإما عمال أو إداريون أو كتبة أو صيارفة أما من يعجزون عن أن يكونوا شيئاً من ذلك فهم إما حراس أبواب أو سائقو عربات أو باعة مأكولات وخضراوات أو عاديات عتيقة مقلدة

وإذا أتيحت لك فرصة مشاركة الناس في جلسة شعبية فستحس أنك لم تبتعد كثيراً عن عادات وطبائع ظلت تشكل حياة الناس لآلاف من السنين ، لم يطمسها توالي العصور ولا اختلاف العقيدة ولا مضي السنين والأزمان وقد أحسسنا بذلك ونحن ندور بين الباعة والدلالين في سوق الجمال وسمعنا مثله ونحن نتأمل المزارعين في مزارع القصب وفي حقول الخضراوات وحدائق الفاكهة

وكان الحديث معهم إذا اقترب من ذكر موعد زراعة أو حصاد أو فترة زمنية قريبة أو بعيدة لم نكن نسمع سوى أسماء الشهور بالتقويم الذي نسميه اليوم بالشهور القبطية ، وهي فرعونية الأصل حيث كان التعامل مع الزرع والأرض ومواسم العمل والانتاج يرتبط برصد النيل ومواعيد فيضانه ومواسم ري الأرض وزرعها

ومهما تحدثت إلى أي فلاح في الأقصر وما حولها من أقاليم الصعيد فلن يجيبك بغير هذه الشهور ، ولن يتعامل مع أرضه إلا بهذا التقويم الذي ساير موكب الحضارة المصرية لأكثر من ستة آلاف سنة

الكرنك . . آية المجد :

وننطلق الى الكرنك المدينة المقدسة

عند مدخل الكرنك الكبير وبين صفين من الكباش يصحبنا مفتشا آثار الأقصر والكرنك عبد النبي حسن وأحمد شوقي

ونقف عند الواجهة الرئيسية للكرنك قبل أن نلج بابه الكبير ننصت ونسمع

هذه المدينة المقدسة التي يلفها الآن الصمت لم تكن لعبادة الإله آمون وحده فحسب ولكنها كانت خلية دائبة وعالماً حافلاً بالعمل ليل نهار

هناك بردية من عهد رمسيس الثالث تروي أن الكرنك كان يضم أكثر من ثمانين ألفاً من الرجال كلهم في خدمة آمون ، موزعين بين ١٢٥ فئة ، وقد وكلت اليهم العناية بحوالي نصف المليون من الدواب وأكثر من ٤٠٠ حديقة ، وحقل مساحته نحو ألفين ونصف الألف من الكيلومترات المربعة و ٨٣ زورقاً و ٤٦ معملاً و ٦٥ نجعاً

وكان هناك عمال يحترفون أعمالاً متواضعة تبعاً لاحتياجات الحياة كالعناية بالحظائر والحيوانات والحدائق ومكابس ورق البردي . وكانت هنا أيضاً أعمال جليلة وحرف ومهن من بينها صياغة الذهب والفضة ونحت الأواني الخشبية والنقش على الحجر

ولكن كانت هناك قبل كل أولئك وهؤلاء الأجهزة المذهلة لتنظيم الكون وحركة حياة الناس

على الشرفات كهنة من علماء الفلك يرصدون مسارات النجوم وعندهم حساب شروق الشمس وأطوار القمر وآخرون عاكفون على لوحاتهم يرسمون خريطة الأمبراطورية المصرية وفق آخر حدود لها . . وخريطة أخرى أشد تعقيداً للحياة الثا[illegible] ومن وراء هؤلاء جميعاً أشباه لهم يعملون [illegible] أنواع معينة متقدمة من الأفران وقد ملكوا سر [illegible] الذهب والفضة بوسيلة علمية تسمى اليوم [illegible]كتروم» . ويصنعون من هذا المزيج رقائق [illegible] يكسون بها وجوه المسلات وكان من علماء [illegible]ك من همهم حساب الزمن ، وقد قسموا السنة [illegible] عشر شهراً والشهر الى ثلاثين يوماً ، كما [illegible] الى ثلاث عشرات ، وبقيت من السنة في نهايتها خمسة أيام لم تدخل حساب السنة أطلق الناس فيها من قيد الزمن حتى لا يحسوا مر العمر . ! أما اليوم فقد قسموه الى ٢٤ ساعة في الصيف والشتاء على السواء ذلك أن ساعات الليل في الصيف قصيرة أما في الشتاء فتطول ، مما كان يحتم على هؤلاء العلماء أن يتتابعوا في دورات من العمل المتصل حول الساعات المائية التي تسجل الدقائق واحدة فواحدة بقطرات الماء .

ثم . نخوض في غمار أبهاء الكرنك

قبـــل آلاف السنين :

عندما نكون في قلب معابد الكرنك لا بد أن نسرح بخيالنا الى ثلاثة آلاف سنة مضت . . لنتصور كيف كانت صورة المعابد في ذلك الزمن البعيد . . ونقارن بينها وبين الأطلال الباقية

لنتصور أنفسنا في تلك الأيام أمام المعابد في زمن بهائها ومجدها حينما كان يؤمها الآلاف من الناس وحينما نمر في طرق المدينة الضيقة بين معبد الأقصر ومعابد الكرنك نجد أنفسنا نسير في طريق فسيح عبر مئات من الأمتار وعلى كلا جانبيه صف طويل من تماثيل على هيئة أبي الهول لبعضها رءوس بشرية ولكن معظمها برءوس كباش أو بنات آوى

وإذ نصل الى المدخل الرئيسي نشهد برجين عاليين يرتفعان وبينهما باب مرتفع ، وكلما انتقلنا من معبد إلى معبد وجدنا أنفسنا أمام مسلتين عاليتين من الجرانيت المنقوش بالهيروغليفية والمصقول كالمرآة كما نجد بجانب المسلات تماثيل ضخمة للملك الذي أمر بتشييد المعبد وهو واقف أو جالس على عرشه لابس تاج مصر المزدوج الأبيض والأحمر

ونقف أمام الباب المصنوع من خشب الأرز المجلوب من لبنان . ولكننا لا نرى الخشب لأنه مصفح بالفضة ومصور بأجمل الرسوم . ونمر من الباب فنجد أنفسنا في فناء فسيح بين بناء أشبه بالدير تحمل سقفه عمد من الحجر منقوش عليها أعمال فرعون العظيم وعطاياه المقدمة الى إله المعبد ، وفي الوسط مرصع بالعقيق واللازورد والأحجار الكريمة .

ثم نسير الى قدس الأقداس فلا نرى أثراً لضوء النهار ، ونجد الغرفة صغيرة يضيء ظلمتها مصباح ضئيل يحمله تابع الكاهن الذي يقف الى جانب الهيكل والغرفة مغلقة الأبواب مصفحة بالذهب وفيها تمثال لإله مزين وبين يديه المأكولات والمشروبات والرياحين ويقوم جيش من الكهنة كل

يوم بحدمته ويلبسونه ويرينونه ويقدمون له القرابين وينشدون ترانيم في مديحه.

كان المعبد في الأصل عبارة عن مبنى صغير أقيم في الدولة الوسطى. وأول من وسعه بشكل ملحوظ الملك تحتمس الأول عام ١٥٣٠ ق. م. ويوجد الآن بداخله معابد متعددة بخلاف البحيرة المقدسة. وهو يحتوي على ست بوابات وأحواش متعددة. ويؤدي المدخل الى فناء يوصل بالتالي الى بهو أعمدة أقامه سيتي الأول ورمسيس الثاني، يحمل السقف بواسطة ١٣٤ عموداً في ١٦ صفاً يبلغ ارتفاعها حوالي ٢١ متراً ويبلغ قطرها ٣,٥ أمتار، وللأعمدة تيجان بعضها بشكل زهرة البردى والبعض الآخر ناقوس بشكل زهرة اللوتس. وتتم الإنارة عن طريق فتحات في فرق المنسوب في الارتفاع حيث أن الممرات الجانبية أقل ارتفاعاً، ويصل ارتفاع العمود بها حوالي ١٢,٥ مترا وبقطر حوالي مترين ونصف المتر وله تاج بشكل زهرة البردى المقفلة. ويعطي الفراغ الداخلي الشعور بوجود غابة من الأعمدة وأنه فراغ بدون نهاية أي فراغ غير محدود. والأعمدة والسقف مزينة بكتابات ونقوش وهي كلها تثير في النفس الاحساس بالعظمة.

مسلة حتشبسوت بالكرنك

ونقف متأملين مسلة حتشبسوت - المسلة الباقية من مسلتين كلفت الملكة مهندسها سنموت بتقطيعهما من محاجر أسوان احتفالا بذكرى التتويج، وأمرت بإقامتهما للإله آمون في ساحة الأعمدة التي تتوسط الصرحين الرابع والخامس من معابد الكرنك.

المسلة ترتفع الى حوالي ٣٠ مترا على قاعدة مربعة طول ضلعها حوالي مترين ونصف المتر ويبلغ وزنها حوالي ٣٢٣ طنا، وكانت قمتها المحدبة مكسوة برقائق الذهب والالكتروم. وقد سجلت حتشبسوت على قاعدة المسلتين قصة قطعهما والسبب الذي أقيمتا من أجله. يقرأ لنا مرافقنا الأثري ما سجلته على القاعدة بالهيروغليفية.

«أقيم هذا الأثر لأبي آمون رع، رب عروش الأرضين الكائن في طيبة. وقد أقيمت له المسلتان من الجرانيت الصلب من الجنوب (أي من محاجر الجنوب في أسوان) ورأس كل منهما مغطى بالالكتروم من أطيب الأنواع في كل البلاد، ويمكن رؤيتهما من جانبي الوادي، وتنتعش الأرض لروعتهما ويرتفع قرص الشمس من بينهما حين تشرق من الأفق. لقد قمت بذلك العمل من قلب مفعم بالحب لأبي الاله آمون. وكنت أفكر في خالقي حين حفزني قلبي الى أن أقيم له هاتين المسلتين من الالكتروم واللتين تطاولان السماء. إن قلبي دعاني الى أن أفكر فيما سيقوله الناس، فأنتم يامن سترون هذا الأثر على مر السنين وسوف تتحدثون عما فعلت. احذروا أن تقولوا نحن لا نعرف لماذا أقيمت هذه الأشياء. ان هاتين المسلتين هما لأبي آمون حتى يبقى اسمي مخلدا في هذا المعبد للأبد. إن كل مسلة قطعت من حجر واحد من الجرانيت بدون وصلة أو انقسام وقد تم العمل فيهما في المحجر في سبعة شهور فقط».

المسلة في الواقع تطورت فكرتها عند المصريين القدماء من أحد الرموز المقدسة التي عرفت في مدينة هليوبوليس، وهو عبارة عن حجر ذي قمة مدببة يعرف باسم «بن بن». وفي الأسرة الخامسة بدأت المسلة تقوم بدور هام في معابد الشمس وأصبحت هي الرمز الحقيقي لاله الشمس رع. وكانت المسلة التي تشبه قمتها الحجر المقدس «بن بن» تقام في مؤخرة المعبد المكشوف ترتفع فوقه قاعدة هرمية. وعندما تسقط أشعة الشمس المشرقة على قمة المسلة المغطاة برقائق الذهب تعكس أشعتها المتوهجة وتبدو من بعيد كقرص الشمس، مما أدى الى الاعتقاد بأن المسلة نفسها هي مسكن الاله ومركزه ورمزه المقدس.

الحياة موت والموت حياة

اذا كان هذا هو الحال في طيبة على الضفة الشرقية من النهر، فماذا هناك في الغرب. عندما نعبر النيل وننتقل الى الضفة الأخرى، حيث وادي الملوك ووادي الملكات، وحيث الجبل الهرمي الشكل الذي كان يقدسه قدماء المصريين ويسمونه «قمة الغرب» أو «القمة الكبرى» أو «جبانة طيبة». وهو الجبل الذي يعيش سكانه الأحياء الآن على تراث الموتى من الأجداد.

احتل سكان الجبل مدافن الضفة الغربية وخاصة فوق مقابر الأشراف، ومدوا منطقتهم من أعلى الجبل حتى أعمق شعاب الأودية المجاورة. وعلى مدى سنين طويلة وحتى اليوم قامت حياتهم على التجوال في أرجاء التلال، والخوض في كل مسالكها ومنعرجاتها، والحفر في كل منطقة يقعون عليها ويستشعرون انها يمكن أن تؤدي الى أحد القبور ليقيموا عليها مساكن جديدة لا تكلفهم شيئا ويجعلوا من الجدران ساترا وهم يحفرون ليخترقوا

بطن الجبل الى القبر ويستخرجوا منه ما تقع عليه أيديهم ويحرص كل صاحب مسكن من مساكن الجبل على ألا يخرج من الكنز الذي يعثر عليه إلا ما يتناسب مع مطالبه وما يسهل حمله وبيعه ، مع مواصلة الحفاظ على بقية الكنز كرصيد احتياطي له ، فلا هو يسمح لأحد باختراقه ، ولا هو يستولي على كل ما فيه فهو يعتبره وكأنه صندوق توفير أو مخزن بترول يسحب منه بالقدر المطلوب للاستهلاك والبيع ، وعلى قدر ما تستوعبه احتياجاته

ولكن ليس كل سكان الجبل قادرين - وفي ظل القوانين والرقابة الصارمة - على ممارسة هذه المهام بالسهولة التي كانت تحدث من قبل من هنا فإن بقية سكان القرية والقرى المجاورة غير القادرين على نبش القبور أو العاجزين عن العثور على دفائن جديدة ، يعيشون على أعمال ومهن أخرى يمارسونها الترجمة والدلالة والخفر والحراسة ، كما يعمل البعض منهم في صناعة الأواني المرمرية والتماثيل والعاديات المقلدة بقدرة متميزة ، حيث أقيمت مصانع خاصة تنقل إليها صخور الألبستر لتصنع وتباع للسياح أو تصدر الى الخارج في أحد هذه المصانع الصغيرة بقرية العساسيف وقفنا نشاهد ونتابع صناعة التماثيل والآثار التي يبرعون في تزييفها لبيعها للسياح طريقتهم في ذلك بسيطة لا تعقيد فيها فهم يصنعون تماثيل من الطين شبيهة بما تعودوا أن يجدوه في المقابر وما يستثير شهية السياح وبعد أن يحرقوا التماثيل المقلدة يدفنونها في الرمال الساخنة ، وقد يدفنون بعضها في البرسيم ليكسوها اللون الأخضر ، كما يدفنون بعضها في روث الحيوانات ، وذلك للتغلب على مشكلة الزمن وتترك هذه الدفائن المقلدة لعدة سنوات قد تصل الى عشر وخلال تلك الفترة تتحول التماثيل وكأنها معرقة في القدم بفعل الأحماض الموجودة في الروث أو البرسيم ، ولا تستطيع أن تفرق بينها وبين التماثيل الأثرية الحقيقية حيث تباع للسياح وكأنها « انتيكات » أو من الآثار المكررة

... أن أبرز ما يتفنن فيه أهالي القرنة والقرى العـ...ـة هو نشر الرسوم المحفورة على جدران الـ... وهي تشكل لهم موردا ماليا كبيرا و... ـة أن كل الخفر والحراس من أهل القرنة ... ـها . هم الآباء والأعمام والاخوة وا... !

... القرنة بالذات هم أول من يعرفون أن بطن الجبل مايزال عامرا باللقيات والكنوز والمومياوات ، وإن كانوا يتظاهرون دائما بمساعدة رجال الآثار ، بل يدلونهم في بعض الأحيان على اكتشافاتهم وبخاصة التي يكون من الصعوبة بالنسبة لهم استخراجها لما يتطلبه ذلك من تكلفة أو جهد لا تحتمله مجهوداتهم الفردية والجماعية

حكاية القرنة النموذجية

طبيعة أهالي المنطقة بحكم موقعهم وإقامتهم فوق التلال وتنقلهم المستمر للاقامة فوق القبور والمدافن المحفورة ، هم أقرب الى البدو وهم لهذا لا يقبلون الاستيطان على الطريقة الحضرية فما البال إذا كان توطينهم في مناطق أخرى سهلية يحرمهم من الكنوز المخبوءة في باطن التلال ؟

وقد كان ذلك هو السبب الرئيسي لرفضهم الانتقال الى قرية القرنة النموذجية

زرنا هذه القرية التي أقيمت في السهل المنخفض تحت التلال وجدنا أن مساكنها مشيدة على الطراز الصعيدي الذي استوحاه مشيدها المهندس المعماري حسن فتحي من المساكن النوبية القديمة

القرية كما شهدناها تتكون من منتجع كامل سكاني وإنتاجي وتسويقي فالسكاني يضم البيوت ودار العمودية ، والانتاجي يضم محلات للصناعات اليدوية والبيئية مثل الكليم والفخار والخشبيات والأواني الحجرية ، أما السياحي فهو مسرح مكشوف لأهل القرية وللضيوف الى جانب ذلك هناك مدارس لتعليم الحرف ومدرسة لصناعات النسيج والصياغة المنتشرة حول المنطقة في اخميم ونقادة والاقصر وقد أقام المهندس حسن فتحي بين ١٩٤٨ و ١٩٥٢ المدرسة الصناعية والسوق المفتوح والسوق المغطى لبيع السلع السياحية

وفجأة وقع حادث أوقف استكمال تنفيذ المشروع ، فقد هاجمت مياه الفيضان موقع القرية ، فتساقطت بعض الجدران وتشققت المباني وبدأ المشروع يعاني من وجهات النظر المضادة التي استغلت توقف العمل ونجحت في إبعادمنشىء المشروع عن إتمام العمل

سمعنا وجهة نظر المهندس حسن فتحي فيما حدث قال :

كان الأهالي وراء المؤامرة على المشروع ، فقد قاموا بكسر الجسر والحاجز الطيني بين النهر والسهل ، مما جعل القرية تغرق في مياه الفيضان ،

وذلك حتى لا يضطروا الى السكن فيها وترك مصدر رزقهم من نبش القبور في بطن الجبل

وقد أسهم في تنفيذ المؤامرة من جانب آخر المهندسون والقائمون على التخطيط المعماري المعارضون للمشروع ، فهم يفصلون المباني سابقة التجهيز أو المقامة بالخرسانة المسلحة ولا يفهمون أو يقدرون قيمة مباني الطين

الآن كيف تبدو قرية القرنة النموذجية ؟ البيت الكبير تحول الآن الى مركز للشرطة ، والبيوت التي كانت معدة لاقامة أهالي القرنة تستعمل الآن للاسكان الاداري في المحافظة وتأجيرها للعمال القادمين من خارج الأقصر

وتوقف انتقال الأهالي من تلال القرنة واستمروا يمارسون حياتهم فوق الجبل في الظاهر ، وفي باطن الجبل في حقيقة الأمر

قصة المومياوات الملكية

على أن القوانين الرادعة التي تفرض على من يريد الحفر أن يحصل على ترخيص مسبق ، كما تلزم أي مكتشف للقيات بأن يسلمها للسلطات مقابل أن يحصل فقط على نسبة محدودة مما يعثر عليه من الآثار المكررة هذه القوانين تقف حائلا دون ممارسة هذه الأعمال إلا فيما ندر ، وما يزال البعض لا يستطيع أن ينسى حدثين مهمين لها تأثير كبير على أعماق أهالي القرنة

ولكل حدث من الحدثين قصة مثيرة

أما الأول - وهو قصة المومياوات أو الخبيئة الملكية - فيمكن أن يتصورها الذين شاهدوا فيلم « المومياء » الذي أخرجه الفنان الراحل شادي عبدالسلام ، وتناول فيه تفاصيل الكشف الذي حدث قبل حوالي مائة سنة ، وإن قام بتغيير بعض الأحداث وتعديل أسماء بعض الأبطال فالآن سليم لم يكن سوى عبدالرسول الذي رد ولده محمد عبدالرسول إلى مصر مومياوات حوالي أربعين من عظماء أجدادها - سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد - حين أفضى لعالم الآثار المصري أحمد كمال بسر خبيئة القبو الجنائزي في الدير البحري

كانت هناك أسباب خاصة جعلت حوالي خمسين مومياء ملكية تبقى سليمة ففي عهد الملك سيامون في زمن الأسرة الحادية والعشرين عمل الكهنة على وضع خطة محكمة ونفذوها بدقة فقد نفذوا إلى كل قبر ملكي عرفوه فأخرجوا سرا كل مومياء ملكية فنقلوا ١٣ منها إلى قبر أمنحوتب الثاني السري أما السبعة والثلاثون الباقية فقد حملت في موكب سري إلى بئر عميقة في الشمال الغربي من ساحة الدير البحري ، يؤدي اليه ممر طويل ينتهي بحجرة دفن كانت تشغلها من قبل ملكة نصف منسية هي « أنجمبي » وكانت الحجرة عبارة عن مقصورة طولها ثمانية أمتار وعرضها سبعة أمتار وقد استطاع الكهنة أن يعملوا كل ذلك بثقة بعد أن أحسوا أنهم لم يعودوا قادرين على كفالة حراسة أجدادهم في مقابرهم ، ذلك أن الحلي الذهبية والمقتنيات الأخرى الثمينة كانت قد اختفت منذ زمن بعيد ولم يكن باقيا لانقاذه سوى التوابيت والجثث المحنطة التي يحمل بعضها تحت اللفائف بعض المتعلقات الذهبية دون بقية الكنوز التي تم سرقتها وكان من بين المومياوات جثث أعظم فراعنة مصر امنحتب الأول وتحتمس الثاني وتحتمس الثالث ورمسيس الأول وستي الأول ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث وسقنن رع وولديه كاموس واحمس محرر مصر من الغزاة الهكسوس

ظل هذا المخبأ مختفيا مدة ثلاثة آلاف سنة حتى عثر عليه ذات يوم من شهر فبراير ١٨٧١ وكان أحمد عبدالرسول من شيوخ سكان القرنة يعتمد في معيشته على بيع الأشياء الممنوعة التي يجدها نتيجة لحفريات غير مشروعة وفي ذلك اليوم قرر أن يزيد من حرأته فأتى بأخيه محمد عبدالرسول وربطه وأنزله بواسطة حبل الى دهليز عميق غامض كان قد هداه اليه أبوه عبدالرسول ، بعد أن عرف شيئا عن هذا المكان ، وقام ببعض العمليات الاستكشافية الصوتية ، وذلك برمي الصخور في الحفرة وحين أصبح محمد في الداخل كان مجبرا أن يقتحم حائطا حداريا حجريا وعندما قام بذلك وجد نفسه أمام المومياوات فصرخ وطلب أن يسحبوه إلى أعلى ونزل أخوه أحمد

وبرغم الذعر والهلع ، إلا أنه راح يجوس المكان وعند ذلك شعر أن المومياوات كانت ما تزال تلبس المجوهرات بما فيها رمز الصل (الافعى) وهو علامة السلطة عند ملوك مصر ، وهكذا عرف أنه اكتشف أحد قبور الفراعنة

لم يكن بوسع أحمد عبدالرسول أن يبوح بالسر إلا لشخص واحد فقط ، كان يشتري منه طوال عشر سنوات مما يعثر عليه من أشياء ثمينة ويصرفها أوروبا هو القنصل مصطفى أغا وأثارت مثل هذه اللقطات الثمينة إعجاب الخبراء ، ولكنها لفتت

● معبد الدير البحري حيث تملأ حتشبسوت دائما أنظار العالم من خلال الابداع الذي صنعه مهندسها سيموت مستغلا الخلفية الجبلية الصخرية لتكون سندا لمعبد الملكة التي يبدو تمثالها ومسلتها في قلب الكرنك برغم كل محاولات التشويه والتدمير والانتقام

الوقت نفسه ارتياب ماسبيرو مدير الآثار في الحكومة المصرية الذي قدر أن أحدا ما قد توصل إلى قبور فراعنة من الأسرة ٢١ وتأكد له ذلك حين عرف من تحرياته أن مصطفى أغا وراء هذه العملية ، ولكن لأنه كان يتمتع بالحصانة الدبلوماسية فقد قبض على أحمد عبدالرسول وحده وأنكر هذا كل شيء رغم ما تعرض له من ضرب مبرح فلم يكشف عن أسراره ولكن حدث بعد أن أطلق سراحه أن وقعت مشاجرة بينه وبين أخيه محمد عبدالرسول الذي كشف للسلطات عن مكان خبيئة المومياوات الذي عثر عليه أخوه

ونقلت المومياوات الملكية الى المتحف المصري وفقد آل عبدالرسول وأقاربه من أهالي القرنة ذلك الكنز الثمين !

ذلك هو الحدث الأول الذي أكد تفاصيله الشيخ علي عبدالرسول حفيد محمد عبدالرسول الذي أبلغ السلطات عن الدفينة وكنا قد التقينا به في فندقه الذي يسمى مرسم الاقصر بالقرنة وقد توارث الشيخ علي عن جده أسرار القرنة ومقابرها ومواقعها وما تحتويه من لقيات مدفونة

أما الحدث الثاني وهو إيقاف العمل في كشف كنز الملك سيتي فتلك قصة أخرى روى لنا تفاصيلها الكاملة الشيخ علي وهو الذي يرتبط باسمه ذلك الحدث وما صحبه من مشكلات

قال لنا :

بعد سنوات من كشف خبيئة المومياوات الملكية التي دل جدي محمد عبدالرسول السلطات على مكانها جاء من يسمونه عالم الحفريات الايطالي جيوفاني بلزوني الى أسوان في مغامرة للبحث عن منابع النيل وعندما مر بالأقصر وشاهد المقابر في بطن الجبل قرر أن يمارس هواية المغامرة في وادي الملوك الذي كان في ذلك الوقت (حوالي عام ١٨٠٠) نهبا « سداح مداح » للمغامرين وليس به غير خفيرين اثنين للحراسة ولا يبيتان فيه بالليل

كانت الامور « سايبه » وكل من يعرف مقبرة « يكحت » وما يعثر عليه يقسم بالنصف بينه وبين الحكومة وفي الواقع كان هذا التسيب هو سبب الخلاف الذي قام بين جدي محمد عبدالرسول وإخوته أحمد وعبدالرحمن وموسى بعد كشف خبيئة الملوك ، لأنه عندما أراد أن يبلغ في أول الأمر رفضوا قائلين له ان الحكومة لن تعطيهم إلا النصف ونقلوا أربع صفائح ملأوها بما كانت تتزين به المومياوات من مجوهرات وباعوها وعندما اختلفوا بعد ذلك ذهب جدي فأبلغ السلطات عن الخبيئة المهم عـ..ما جاء بلزوني وأخذ يمارس حفرياته بإذن الحكومة ..ان جدي يشتغل معه رئيسا لعمال الحفر وفي حفرياته الأولى وصل بلزوني إلى دهليز ضيق طوله حوالي ثمانية أمتار ، وفوجىء في نهايته بمئات من المومياوات متراكمة بعضها فوق بعض

في الحقيقة لم تكن هذه المومياوات للملوك بل كانت للعمال والفلاحين وأزواجهم وأولادهم وحيواناتهم أيضا غير أن أهم ما حققه بلزوني في حفرياته قبل أن يغادر مصر كانت مقبرة الفرعون سيتي الأول

البحث عن الكنز

المقبرة كانت تملؤها وتسد سراديبها الأتربة ، ولا تصدقوا من يقول انه فتح المقبرة لأنها كانت معروفة ولكن الأتربة كانت تردم مدخلها

كان العمال تحت إشراف محمد عبدالرسول يشتغلون في رفع الحجارة المتراكمة في السرداب الداخلي . وكان المعروف أن الفراعنة يحفرون في المقبرة أكثر من سرداب للتضليل في هذا السرداب بالذات وبعد إزاحة الحجارة عن درجات سلم دخل جدي بعد أن لفت نظره المدخل الحجري الذي يعرف بحكم خبرته في حفر القبور أنه باب الدخول الى الكنز المخبوء وأدرك أنه توصل إلى كنز سيتي فطلب من العمال أن يعيدوا الحجر إلى مكانه ويردموا فوقه قائلا لهم

« أول ما ييجي الخواجه تطفو السراج وما تشتغلوش في السرداب اللي فيه السلم وعليه الحجر » وفعلا عندما جاء بلزوني أطفأ العمال السراج وبدأوا الضجة والهيلاهوب وأثاروا الغبار وعندما هدأ الغبار أحاط العمال بتابوت المرمر الذي اكتشف في وسط القاعة ، وقال له جدي إن هذا هو أقصى ما وصلوا إليه

ولما لم يجد بلزوني غير التابوت المرمري فارغا ، عمل على نقله وباعه بحوالي ٢٠٠٠ جنيه ونقل بعد ذلك الى لندن وسافر بلزوني بعد ذلك ولم يعد

المهم هنا أن جدي لم يعش كثيرا بعد ذلك وقبل أن يموت كشف سر كنز سيتي لأبي عبدالرسول ، وأوصاه أنه لو جاءت حكومة « زينة » فليشت.. والحكومة ستقسم معه الكشف مناصفة وحسـ.. وصية جدي ظل أبي ينتظر . فلما جاءه الموت حكى.. قصة كنز سيتي ووصية أبيه له

واصل الشيخ علي حديثه فقال بعد أن قاه..

ر ووجدت الأمور تسير بشكل يتفق
ي كتبت الى الحكومة وأبلغتها بـأي
حد كنوز الفراعنة في أحد مقابر وادي

نة يرأسها العالم الأثري الدكتور أنور
س آخر من الحكومة ، وسألني هل أنت
ل ؟ قلت له ايوه وأنا في الحقيقة
، معهم وعندما سألوني عن
ت لهم ان المقبرة في وادي الملوك ولم
انوا يعرفون طبعا أن هناك حوالي ٧٥
طلبوا مني أن أقابلهم وأذهب لأدلهم
فقلت لهم لا أنا كتبت لكم أي
ن للعمال الذين سيحفرون معي ،
ار تعين العمال وسنقوم بالعمل تحت
سين من مصلحة الآثار حتى لا تقولوا
لصوصا ليسرقوا وعندما يصدر هذا
رسمي وباسمي سأدلكم على المكان
ور أنور شكري إعرائي بأنه سيعينني
» فأجبته حتى لو عينتني وزير
لم يكن أمامهم إلا أن يتفقوا معي
يح وهو الذي يعطيني الحق كما هو متبع
على نصف ما يتم العثور عليه من الآثار
وتم دفع التأمين لأجر الأنفار على
ما تكاليف العربات التي تحمل الرديم
المقاطف والفئوس على المصلحة
ل قد بدأ في ١٠ رمضان من حوالي ٢٢
ة في يوم ٣٠ رمضان وكنا قد أعدنا حفر
وصلنا إلى درجات السلم والواجهة المثبتة
س القديم والتي تؤكد أن الاكتشاف قد
ر الأمر بإيقاف العمل وقفل السرداب
مدخله

سبب الذي قالوه في رسالة مازالت محفوظة
لتأمين الذي دفعته انتهى ، وأن المصلحة
نت آخر بتحمل المصاريف ماليا وعلميا
م الاستمرار وعرضت استعدادي لدفع
خر حتى لو بعت كل ما أملك ، فقالوا انه
يخص المصلحة من تكاليف » فالبند لا
واستمر ايقاف العمل بالمقبرة

هذا التوقف أكثر من ٢٢ سنة !
هم الذي أتصوره ألا ينسب الكشف لي ،
ورون أنني وقد تجاوز عمري التسعين
صبح المصلحة هي صاحبة الحق بعدي .

ولكني أقول لهم إن الأعمار بيد الله وأنا لن أموت إلا
بإذن الله ، وسيظل الكشف مرتبطا باسمي حتى لو
اشتغلوا لأني سأظل صاحب الحق طالما عشت
ولدي من المراسلات والخطابات الرسمية ما يؤكد
هذا الحق وقد نشر عنها في الكتب والصحف في المانيا
وفرنسا وانجلترا

طريق الخلود . .

وننطلق لزيارة قبور الأشراف ووادي الملوك
ووادي الملكات ومعابدهم الجنائزية لنشهد
ونسمع ونرى

انتحب المصريون القدماء هذه البقعة الصحراوية
على الشاطىء الأيسر للنيل مكانا لجبانتهم العظيمة
لأسباب عدة أهمها مواجهتها لطيبة الأحياء ، ثم
الجفاف الذي يكفل حلود الأجساد كما ان الغرب
لديهم هو الجهة المقدسة لاعتقادهم أنه الطريق الى
جنة الخلود

وقد احتار الملوك أحد وديان « قمة الغرب »
ليحفروا فيه مقابرهم ، وهو الذي ندعوه بوادي
الملوك ، حيث يضم ٦٢ مقبرة بينها مقابر ملكية
منحوتة في الصخر ، كل منها تزيد على أكثر من مائة
متر منقوشة وملونة ، وتحتوي على مناظر عديدة من
عدة كتب دينية مثل « كتاب الموتى »

هذه المقابر الملكية تلف منها الكثير تلفا تاما بفعل
لصوص المقابر في العصور الماضية وقد كان الملوك
الأقدمون أنفسهم يخشون هؤلاء اللصوص الذين لم
يتورعوا حتى في زمن الفراعنة عن نبش قبورهم
وسرقة كل ثمين من محتوياتها لذلك اتخذ الملوك
طرقا خاصة للمحافظة عليها ولتضليل اللصوص عن
حجرة الدفن ، فحفروا آبارا في سراديب المقبرة
وسدوا الأبواب الأخرى المؤدية اليها ثم عينوا
الحراس يقومون بالمراقبة ليل نهار حول هذا
الوادي وتعاقبت الأجيال واللصوص دائبون على
انتهاك حرمة المقابر للحصول على مابها من كنوز

والصورة العامة التي شهدنا عليها مقابر الملوك هي
أنها متشابهة في تصميمها . وتتكون من عدة
سراديب متتابعة ، ومن حجرات جانبية أعدت
لوضع الأثاث الجنائزي والأدوات الخاصة بالميت
وفي نهاية السراديب عادة رحبة تؤدي الى قاعة ذات
أعمدة هي حجرة الدفن حيث يوضع التابوت في
قسم منخفض منها ، ويكون عادة من الحجر الصلب
وبداخله توابيت أخرى تحتوي على مومياء الملك .

لعل أبرز ما زرناه في وادي الملوك مقابر توت عنخ

● ما ترال النفوش والرسوم في مقابر البر العربي رائعة الألوان كأن لم يمص عليها ثلاثة آلاف عام
ترال ملامح وحه علي عىد الرسول تؤكد تصميمه على تحقيق أمله دون أن يترك لحظة واحدة مكان
بيوت القرية التي طالما أخرحت من بطن الحىل كنور الاقدمين

آمون ورمسيس السادس . . ومقبرة سيتي . الممنوع زيارتها حاليا لاجراء الترميمات إلا بتصريح خاص

المقبرة كانت أول ما اكتشف من قبور الفراعنة في وادي الملوك . وتعد أجمل المقابر قاطبة من ناحية النقوش والاتقان والمهارة في دقة النحت والحفر

البعث . . والعالم الآخر

انحدرنا من ممر الى آخر ، ومن قاعة الى أخرى حتى وصلنا الى القاعة الرابعة ـ والمسماة بيت أوزوريس الذهبي ـ وتنحدر حوالي ١٤٠ مترا عن المدخل الخارجي . خلال مرورنا بالقاعات كنا نجد أن كل قاعة منقوشة ومنحوتة بالكتابات الهيروغليفية ، وتبدو على الأعمدة صور الملك وهو يقدم القرابين للآلهة التي ترحب به أما الرسوم على الجدار فتمثل رحلة قارب الشمس في العالم السفلي والأخطار والمصاعب التي تصادفها الروح فثمة مسوخ وأرواح شريرة تطاردها ، وثمة أفاع وخفافيش وتماسيح تنفث نارا وتحمل سهاما ، فمن وقع في قبضتها عذبته بكل أنواع التعذيب والتنكيل ، فتمزق قلبه وتقطع رأسه وتغلي أطرافه في آنية ، أو تعلقها فوق بحيرات النهر أما الروح التي تتجاوز تلك الأخطار فتمر في الحقول المقدسة حيث يعيش المختارون في نعيم يزرعون ويحصدون

في جانب من الجدار توجد رسوم لأعداء الشمس وقد ألقى بهم في الجحيم ، مرموزا إليه بشكل أفران تشتعل بها النيران ممثلة بنقط حمراء ، وقد وقف إلى جوانبها آلهة يقذفون من أفواههم الحمم ، ويحملون في أيديهم سيوفا قصيرة لقتل من يتسرب من الجحيم من هؤلاء الأعداء ومن المناظر الرمزية المهمة رسم لأعداء الشمس وهم يعدمون حيث تمثل أجسادهم وهي تحترق في فرن وأرواحهم على هيئة طيور تحترق في فرن آخر وظلالهم بشكل مراوح في فرن ثالث ورؤوسهم في فرن رابع !

قريب من هذه المشاهد ما رأيناه في مقبرة رمسيس السادس حيث نقشت على جدارها مشاهد قصة الحساب والبعث فقد اعتقد قدماء المصريين أنه بعد موت الانسان وتحنيط جثته ومواراتها في القبر ، تذهب روحه الى أبواب قصر أوزوريس في العالم الآخر ، حيث توجد « قاعة الحق » التي تحاكم الأرواح ولا بد للروح من معرفة الأسماء السحرية للأبواب قبل ولوجها ، بحيث اذا لفظت تلك الأسماء فتحت الأبواب ودخل الروح وفي حد في قاعة الحق ميزان كبير يقف بجانبه الآله تحوت يسجل نتيجة المحاكمة بينما يجلس حول القاعة اثنان وأربعون قاضيا من الآلهة لهم سلطة معاقبة الآثمين

وتعترف روح الميت أمام القضاة بأخطائه وبعد أن يكمل اعترافه يؤخذ قلبه ويوزن في كفة تقابلها ريشة يرمز بها لربة الحق « معت » فإذا رجحت أخطاؤه حسناته كان الرجل كاذبا ويلقى قلبه إلى وحش هائل نصفه بشكل تمساح ونصفه الآخر بشكل عجل البحر ، وهو جالس وراء الميزان ليلتهم قلوب الفاسدين ، أما اذا كان القلب صالحا فإن حورس ابن أوزوريس يأخذ الرجل من يده ويقوده الى حضرة القاضي أوزوريس فيحكم له بالحق ويخول له الدخول الى السماء

وبعد أن تجتاز الروح قاعة المحكمة تمر بمسالك وعرة وأخطار عظيمة ، حتى تصل الى الأرض النضرة الجميلة في مكان بعيد من الجهة الغربية ، وهناك يحيا الميت ويعيش خالدا في سلام أبدي وسعادة دائمة يزرع ويحصد ويلعب ويستريح

عند مدخل القاعة الأخيرة التي كانت من قبل مقبرة للملك رمسيس الخامس ثم استغلها لنفسه الملك رمسيس السادس كعادة الفراعنة يستلفت النظر مشهد في دقيق يمتد بين الجدارين الجانبيين ويشمل المدخلين المشهد يمثل بقرة وقد رسمت على بطنها نجوم وفوقها تسبح سفن وهي تمثل السماء المرفوعة على كفي اله الهواء « شو »

مقبرة توت عنخ آمون

برغم الشهرة العريضة لآثار الملك توت عنخ آمون التي عثر عليها هوارد كارتر عام ١٩٢٢ والمعروضة الآن في المتحف المصري حيث أصبحت احدى مفاخر مصر وهي تجوب أنحاء العالم في رحلات مستمرة الا أن المقبرة حسبما شهدناها هي أصغر مقابر الملوك ولعل صغر حجمها ووقوعها في أسفل نقطة في الوادي ، وتحت مقبرة رمسيس السادس حيث أزيلت الأتربة والانقاض التي استخرجت من مقبرته ، هو الذي حماها من عبث اللصوص ، وحفظها حتى ظهرت بكل مافيها من محتويات

ويظهر أن موت الملك شابا في عمر لم يصل الى العشرين كان وراء دفنه في تلك المقبرة الصغيرة التي يرجح أنها كانت معدة لرئيس وزرائه « آي » الذي خلفه على العرش

هبط مدخل المقبرة الى سرداب مستطيل ومنه الى
حجرة مسعة كان بها عند الكشف معظم الأثاث
الجنائزي الذي شهدناه في قاعة توت عنخ آمون
بالمتحف المصري حيث كان هناك تمثالان من الخشب
المدهون بالقار يمثلان الملك ، يقف أحدهما يمينا
والآخر يسارا متواجهين كأنهما حارسان لحجرة
الدفن . أما حجرة الدفن فكان بها أربع مقاصير
متداخلة صنعت من خشب أرز لبنان السميك معطاة
سطوحها من الداخل والخارج بصفائح من الذهب ،
نقشت عليها نصوص ومناظر جنائزية ، وبداخلها
تابوت من حجر الكوارتز . أما المومياء فقد كانت
ملفوفة في ست عشرة طبقة من اللفائف ، وقد
وضعت فوق الرأس والكتفين صورة لتوت عنخ
آمون على شكل قناع من الذهب المطروق ،
ووضعت المومياء مع قناعها داخل تابوت من الذهب
الخالص حلي بنقوش بديعة ، ثم وضع التابوت
الذهبي داخل تابوت ثان مغطى سطحه بصفائح
الذهب وطعم بزجاج متعدد الألوان . ووضع هذا
الأخير بدوره داخل تابوت ثالث يشبه التابوت
الذهبي لكنه صنع من الخشب وغطي بالذهب .
وكانت هذه التوابيت الثلاثة داخل التابوت الحجري
الذي شهدناه حيث ما زال متروكا بالمقبرة مع التابوت
الثاني وبداخله مومياء الملك بعد أن جردت من
لفائفها الأصلية والجواهر التي كانت تحيط بها وأعيد
لفها في لفائف جديدة ، وقد رفع الآن غطاء التابوت
الحجري وغطي بالزجاج حتى يمكن مشاهدة التابوت
الثاني الذي يمثل الملك لابسا لحيته المستعارة وعلى
جبهته رأسا العقاب والصل رمزا الوجهين القبلي
والبحري ، وهو يحمل في يديه صولجانين أحدهما
يمثل الحكم والحق والثاني يمثل القوة والسلطان .

تحلى جدران حجرة الدفن رسوم أتمها النقاشون في
عجلة إذ هي مرسومة بالألوان فقط على الحجر بعد أن
طلي بالحبر . ففي الجدار الأيمن منظر رمزي لموكب
جنازة الملك حيث يبدو الناووس الذي به توابيته
موضوعا على زحافة يجرها الكهنة . ويلي ذلك في
الجدار المواجه منظر لرئيس الوزراء « آي » يلتحف
جلد ـ ، ممثلا الكاهن الأعظم وهو يقوم بعملية
« فتح ـسم » لتمثال الملك وهي من الطقوس الدينية
اللا ـ للمتوفى كي يستطيع أن يتلو التعاويذ

ويظهر ـ مشهد آخر يمثل الملك يقدم التوابيت للآلهة
وقد ـ خلفه قرينه (كا) الذي رمز إليه بإنسان
مدرا ـ مرفوعين فوق رأسه .

قبور وادي الملكات

قبل أن نذهب الى وادي الملكات حيث دفنت
الملكات وأولادهن الذي يحتوي على أكثر من ١٥
مقبرة لملكات وأمراء . نسمع من الأثري محمد نصر
مفتش آثار القرنة أخبارا جديدة عن مقبرة الملكة
نفرتاري زوجة الملك رمسيس الثاني ، التي ما تزال
مغلقة في وجه الزيارة منذ حوالي أربعين سنة .

كانت الملكة نفرتاري أحب زوجات الملك إليه ،
وكانت من أجمل نساء عصرها . ومقبرتها تعد أجمل
المقابر الأثرية على الاطلاق .

إن أجمل النقوش التي تبرز جمال الملكة ـ كما
شهدتها من قبل ـ صورتها وهي تقف في عظمة مرتدية
ملابس تكاد تكون من طراز عصرنا الحالي . فحلية
رأسها الذهبية على شكل عقاب ، وقرطها يتدلى من
أذنيها بشكل ثعبان ، وضفيرتا شعرها تتدليان على
كتفيها من تحت التاج الذي يعلو رأسها وقد صممت
أطرافها بحلية من الذهب . وما ترتديه من لباس
شفاف مصنوع من الكتان تظهر من تحته تقاطيع
جسمها ، وهناك حزام يلتف برشاقة حول خصرها
وقد تدلت أطرافه المزركشة بالذهب . أما أكمامها
القصيرة فتظهر من تحتها محاسن ذراعيها وتبدو
أظافرها مصقولة لامعة كأنما عولجت « بالمانيكير » .

هذه المقبرة التي ما تزال ألوانها زاهية براقة رائعة
تعاني الآن من مشكلة الأملاح ولهذا منعت زيارتها
لسوء حالة نقوشها وألوانها وخوفا من تعرضها لمزيد
من الأخطار قبل إجراء الترميم والعلاج اللازم
لتثبيت الألوان والنقوش ، وكذلك لأن الحرارة
والرطوبة تؤثران على المقبرة بما في ذلك أنفاس
الانسان داخلها مما يؤثر على حالتها .

الجهود مبذولة الآن لعلاج مشكلة الأملاح
بالتعاون مع معهد جيته الامريكي . وقد جاء الخبراء
الامريكيون ومعهم نتائج تحليل العينات التي سبق أن
أخذوها من ألوان ونقوش وأحجار وسيتم اجراء
التجارب عليها لصيانتها وعلاجها .

ونزور مقبرة « أمنحبشف » في وادي الملكات ،
وهو أحد أبناء الملك رمسيس الثالث وقد مات في
الثانية عشرة من عمره . المقبرة تتميز بما فيها من
نقوش جميلة محفوظة ألوانها وبما تبرزه من العطف
الأبوي إذ نرى الملك يقدم بنفسه ولده المتوفى الى
الآلهة في العالم الآخر !

على الجدار الذي يقع الى اليسار نشهد منظرا يمثل
الملك رمسيس الثالث يحتضن الآلهة ايزيس التي

● توت عنخ آمون يرقد آمنا في مقبرته بوادي الملوك بعد أن نقلت كنوزه الى المتحف المصري (فوق) بينما تمثالا ممنون يقومان كأنهما يحرسان مدينة الموتى (الى اليمين) ويبدو الانسان الحديث في الصفحة المقابلة وهو يرمم آثار أجداده في مقبرة نحت حيث أروع ما أبدعه الفنان المصري القديم

ترحب بقدومه ، وقد سار خلفه الاله تحوت ويلي ذلك منظر يمثله وهو يقدم عطورا للاله بتاح في مقصورته . وقد تبعه ابنه الأمير حاملا ريشة هي رمز الامارة . . ونلاحظ هنا اختلاف ملابس الملك وهو يقدم ابنه الى الآلهة المختلفة . فهو مرة بملابس قصيرة وأخرى بملابس كاملة وهو يلبس تارة تاجا ملكيا وتارة تاجا من نوع آخر . والملابس التي يرتديها الملك وابنه جميلة جدا وزاهية الالوان بينما يتميز الأمير الشاب بخصلة الشعر التي تتدلى بجانب رأسه وهي رمز الشباب والامارة .

عند نهاية السرداب توجد حجرة صغيرة في زاويتها يوجد هيكل عظمي لجنين لم يكتمل نموه يبدو محنطا ، وقد جرد من تابوته وأكفانه مما يؤكد براعة المصريين في فنون التحنيط التي شملت حتى الأجنة !

حتشبسوت والدير البحري

قبل أن ننتقل الى مدينة الأشراف ومقابرهم نمر على أبرز المعابد الجنائزية القريبة من الجبانة وهي معابد كانت بالنسبة للملوك أمرا ضروريا ، إذ أنها تعد مكملة لحاجيات الفرعون المتوفى ، حيث نقرت مقابر الملوك في الصخر بحيث لم يكن من المستطاع تشييد المعابد بجوارها ، لذلك شيدها الملوك على حافة الصحراء وأصبحت منفصلة عن المقابر وهمزة الوصل بين عالم الأموات في الجبانة وعالم الأحياء على الشاطىء الآخر للنيل ولم يكن لدى الملوك من بأس في إبعاد معابدهم الجنائزية عن مقابرهم جريا وراء فكرة إخفاء المقبرة وابعادها عن أيدي اللصوص . . فالعقيدة الراسخة هي أن روح المتوفى تحوم داخل مقبرته ولكنها لا تلازمها بل تبرحها حرة الى حيث تشاء . فترحل مع الشمس « رع » في رحلاتها لتتجدد حياتها كل يوم كما تتجدد الشمس والروح قادرة ـ مهما بعد المزار أو المعبد عن المقبرة ـ على الذهاب إليه لتنتفع بالقرابين والصلوات المقدمة اليها .

ومن أهم المعابد الجنائزية التي ما تزال قائمة على أطراف الصحراء معابد القرنة والرمسيوم ودير المدينة ومدينة هابو . . ثم أشهر هذه المعابد معبد الدير البحري . . للملكة حتشبسوت . . أشهر ملكات مصر

ان معبد الدير البحري متفرد في طرازه . . ولا يوجد بين المعابد المصرية ما يشابهه . . إذ أنه بني من ثلاث طبقات تعلو إحداها الأخرى . وقد قام بتشييده سنموت أحد مهرة المهندسين في ذلك العصر . . وقد كرس المعبد لتقديم العبادة والقرابين الى الملكة وأسلافها ، غير أنه كان مكرسا أيضا لتسجيل إثبات أن أمها أنجبتها من الالة آمون ومن حقها في الملك كما سجلت على جدرانه رحلة اسطولها الى بلاد بونت (الصومال) ومن سوء حظ هذا المعبد أنه تحمل كثيرا من نتائج الاختلاف بين حتشبسوت وأخيها تحتمس الثالث الذي بذل كل جهده لتشويه صورتها وازالة اسمها من على جدران المعبد ومن على كل أثر من آثارها بما في ذلك مقبرتها وتماثيلها بالكرنك .

رسوم من الحياة الدنيا

تعال بنا ننتقل الى المقابر الخاصة . مقابر الأشراف والنبلاء لقد اتخذ هؤلاء من سلسلة التلال الممتدة بين الوديان والأرض الزراعية مقابر لهم . فنرى مئات من مقابرهم منتشرة في قرى ذراع أبو النجا والعساسيف وشيخ عبد القرنة وقرنة مرعي ودير المدينة والمناطق الأخرى . وكل هذه المقابر تحتوي على مناظر من الحياة اليومية مثل مناظر الزراعة والحرث والبذر والحصاد ومناظر الحفلات وتقديم الزهور ، وهي جميعها ملونة وألوانها ما زالت باقية زاهية منذ أكثر من أربعة آلاف سنة والمناظر المرسومة على الجدران جنائزية محضة وهي خاصة بالحياة الدنيا وكان القصد من تصويرها أن يتمتع صاحب المقبرة في الآخرة بما كان يتمتع به في الدنيا ، إذ كان الاعتقاد أن تلك الرسوم تحتوي على أشياء حية حقيقية يتمتع بها المتوفى ، ويحدث ذلك بمجرد تلاوة صيغ جنائزية وتعاويذ سحرية نقشت على الجدران

لقد وجد من هذه المقابر عدد كبير يبلغ حوالي ٤٢٠ وكلها مفتوحة ، الا أن المحفوظ نقوشها منها لا يتجاوز الأربعين وأبرز أمثلتها مقبرة « نحت » التي صحبنا إليها الأثري محمد نصر مفتش آثار القرنة

المقبرة من أجمل مقابر الجبانة وهي صغيرة محفورة في الصخر . وقد غطى سقفها وجدرانها بالملاط ونقشت فوقه الصور والرسوم . وكان صاحبه نحت كاتبا للمخازن ومنجما للاله آمون في عهد تحتمس الرابع . جدران الحجرة مزينة بصور رائعة الجمال زاهية الألوان وفي سقفها رسوم هندسية بديعة

وتتابع الرسوم الرائعة على جدران المقبرة

من أجمل الرسوم منظر وليمة يجلس خلالها نحت

رحت ولدهما يقدم اليهما القرابين . بينما تقوم
فتيا بالعزف على آلات موسيقية ، فتلعب
على أوتار عود ، والثانية العارية ترقص وقد
ربابة ، والثالثة تنفخ في مزمار مزدوج . .
لست السيدات المدعوات على حصير يتحدثن
ل الزهور وهناك خادمة تصنع عقدا من
حول عنق إحدى السيدات ، بينما يبدو عازف
يعزف على عوده ويلفت النظر تحت مقعد
رسم لقط يلتهم سمكة . .
مشهد آخر يبدو المتوفى وزوجته وأمامهما مائدة
ت فوقها كمية من القرابين من بينها ثور
ع وتوجد صفوف من مناظر زراعية وقد
نحت تحت مظلته يراقب الأعمال كما كان يفعل
يا وفي صف ثان مشهد لحرث الأرض بعد
ها وقطع مابها من الأشجار وتكسير القطع
ة من التربة ثم بذر القمح ، ويرى أحد العمال
، من قربة من الجلد معلقة في شجرة كي يبرد
س ماء
الصف الأوسط مشهد لحصاد القمح وحزمه في
لنقله ويلاحظ رجل يشد عقدة الشبكة ،
امرأتان تنزعان سيقان الكتان كما يرى في
الأعلى ذرى القمح وكيله وحصر مقداره ،
ط طيور السمان المعلقة من أرجلها . في أحد
د يبدو نحت وزوجته جالسين تحت مظلة بينما
الخدم القرابين أمامهما

ا يرممون الآثار

ستمع الى معتش آثار القرنة الذي صحبنا الى

مقبرة نخت هي واحدة من مجموعة من المقابر
الآن بعمليات ترميمها . . ومشروع ترميم هذه
تشارك فيه السويد ، وهو يقضي بعمل سطح
ي للمقبرة حتى يمكن المحافظة على نقوشها من
ك الزائرين ومن الاضرار بها . وخاصة أنها
مل النقوش التي وجدت في المقابر المصرية

ستمع لى أخبار جديدة حول أعمال الترميم
ير الأ يس على الاكتشافات الجديدة ولكن على
ط عل هو موجود حاليا ، ونحن نقوم بترميم
انه الا الموحودة في المنطقة فخلال ثلاث
ب قد ترميم ٧ مقابر من أكبر مقابر وادي
هي رة رمسيس الرابع ورمسيس الثالث
المتحد رئيس ميتران ومقبرة مرنبتاح ومقبرة

حورمحب ومقبرة سيتي الثاني ومقبرة تا أوسرت ومقبرة رمسيس الأول .

ثم قمنا بترميم آخر بالنسبة لمقابر الأشراف في مقبرتين : مقبرة بجوار رعمسوس تسمى (خاحنمات) ومقبرة (بابازا) وهذه كانت مقبرة سقط فيها العديد من الأحجار الأثرية وكانت مليئة بالرديم تم تنظيفها وبناء جدرانها وصرحها العلوي وهو مبنى من الطوب اللبن ، وقد أمكن لنا بناء وضرب الطوب اللبن محليا بنفس الحجم الذي كان مستخدما ، وأمكن إعادة ترميم الصرح والجدران الخارجية ، كما أمكن لنا ترميم وتركيب أكثر من ٥٤٠ قطعة أثرية منقوشة أعدنا تركيبها في مكانها الأصلي، هذه العملية ليست سهلة لأن كل حجر لابد من دراسته وتحديد مكانه من خلال دراسة نقوشه وعمل موازنات بين هذه المقبرة ومقابر أخرى حتى يمكن معرفة المكان الصحيح لهذه القطعة أو لهذا الجزء

هناك مقبرة أخرى ضخمة نقوم بعمل ترميمات بها هي مقبرة « منتمحات » وهي كبيرة جدا وبها الآلاف من القطع المنقوشة التي تحتاج الى ترتيب وقد تم تنظيف المقبرة ومعرفة المدخل الحقيقي لها وتنظيف الحجرات الجانبية والآبار ، وتم إضافة فناء آخر مفتوح بأعمدته حسب الرسم أو التخطيط المعمول للمقبرة من قبل ، وحاليا نقوم بتركيب الأحجار الساقطة فيها وقد أمكن تركيب حوالي ٢٠٠ حجر أثري الى مكانه الأصلي ومازلنا نواصل العمل في المقبرة حتى الآن

ان هناك جهودا ضخمة مبذولة في ترميم الآثار للمحافظة على الموجود منها .

ونحن الآن نعمل لادخال إضاءة حديثة الى المقابر حتى لا تتأثر ، ولكي تتضح الرؤية أمام الزوار بطريقة أفضل دون أن تؤثر الحرارة أو الاضاءة على أي نقوش أو أي ألوان

آثار لم تكتشف

ومن الأثري محمد نصر نسمع خبرا جديدا آخر . هناك مقابر لم تكتشف بعد وهي موجودة أسفل البيوت التي يسكنها أهالي الجبل الآن ، ولو أمكن نقل الأهالي وازالة هذه البيوت وتنظيف الموقع ، فستكتشف مقابر جديدة والدليل على ذلك أنه منذ ثلاث سنوات اكتشفت المقبرة رقم ٣٤٩ وهي أسفل أحد البيوت ، مجرد المدخل خارج البيت ولكن المقبرة تحت البيت ، وهذا دليل على وجود

● المهارة بلا تعبية في صناعة الالبستر في وادي القرنة

مقابر أخرى عديدة لم تكتشف ، ويمكن الكشف عنها لو أمكن تنظيمها ونحن نخطط الآن لاقامة قرية ينقل اليها الأهالي والبيوت في نحر القرنة وهي غير القرية النموذجية التي أقامها المهندس حسن فتحي من قبل

وقد تم اختيار الموقع وتم حسبه واخلاؤه من الآثار ، وأعطى التكليف لكلية الهندسة جامعة الاسكندرية لوضع تخطيط لهذه القرية ، حتى يمكن نقل الأهالي وبناء مساكن لهم جديدة عبارة عن وحدات متناسقة ومتشابهة ومتفقة مع البيئة وسيكون في هذه القرية أماكن لمصانع الالبستر وأماكن للسياح لشراء ما يلزمهم من الهدايا التذكارية وهكذا نتخلص من عمليات النبش غير القانوني لآثار البر الغربي

قبل أن نمضي قال لنا فتى من أبناء القرنة لقد زرتم آثار الاقصر ومقابر الفراعنة ومعابدهم الجنائزية ، وشاهدتم عن قرب حياتنا ، وعرفتم كيف فعل آباؤنا وأجدادنا ومع ذلك فإننا على مدى الأجيال متهمون بأننا لصوص مقابر وسارقو موميا‌وات وناهبو آثار ولكن من الذي صنع كل ذلك الذي رأيتم ألسنا نحن ؟ ألسنا الورثة الحقيقيين لما أقامه آباؤنا وشيده أجدادنا ؟ ألسنا الأحق بالأسماء التي تطلق على كل أثر من الآثار ؟ أنتم تعرفون ما شيد باسم خوفو وخفرع وسيتي وتحتمس ورمسيس ولكن أين اسم حدى الذ حفر ، وأبي الذي بنى ، وعمي الذي نقش ، وخا الذي حمل ، وأخي الذي ضحى بحياته وهو يشار في اقامة البناء الشامخ ويموت تحت أنقاضه وند داخل سراديبه ؟

أليس هؤلاء هم العمالقة الحقيقيين الذين صنع كل شيء بأيديهم وعقولهم وجهدهم وعرقهم ودمائهم ثم ضحوا بالأرواح حين كان الفراعنة يدفنونهم موتى أو أحياء بعد الانتهاء من حـ القبور وإخفاء الكنوز ودفن الملوك ، حتى تحمه السر معهم فلا يبوحوا به للمنقبين والمعتد والمنتقمين واللصوص ، وحتى لا يخطر ببالهم لو ظل أحياء أن يستعيدوا لأنفسهم ما أخفوه أو يطمعوا دفنوه ؟ هؤلاء هم في الحقيقة من صنع كل هـ المعجزات التي عاشت آلافا من السنين ولـ من صنعها هم الملوك والفراعنة والذي يملك يأمر ويغدق الذهب والمال ويستخدم السياط ووسا الترهيب والترغيب ليس كمن يصنع ويبد ويشيد ويقيم

الذين يذكرهم التاريخ ويتحدث باسمـ المؤرخون في كل زمان ومكان هـ الملـ والفراعنة أما الناس الذين يصنعون المعجزا بأيديهم فلا يذكرهم التاريخ ويروحون عـ النسيان هؤلاء يحيون وهم موتى اما نحـ فنموت ونحن أحياء !

هناك جينات مفردة تسبب السرطان ، وجدها العلماء أولاً في الفيروسات وبتتبع التاريخ التطوري للحياة ثبت بأن خلايا هذه الفقاريات كانت تمتلك هذه الجينات غير السوية ، وان هذه الجينات كانت تحدث النمو السرطاني في تلك الأزمان الغابرة التي مضت

ولكن ! بعد كشف جينات السرطان هل نستطيع القول بأن آلية السيطرة في الخلية السرطانية قد عرفت ، وأنه بات من السهل على العلماء والباحثين التحكم في آلية هذه الخلية السرطانية وبالتالي التحكم في السرطنة ذاتها متى أرادوا ؟

قبل هذا قد نتساءل هل استطاع العلم بكل تقنياته أن يقدم لنا تفسيراً شاملاً لكل ما يجري في الخلية الحية العادية من عمليات ؟ وبالتالي هل استطاع العلم وبكل امكانياته الهائلة أن يشرح لنا كيف تستطيع الخلية العادية أن تسيطر على عملية نموها ؟

لقد حقق العلم والعلماء انجازاً عظيماً في حقل أبحاث السرطان ، وقدمت فرق الباحثين للبشرية أهم بداية للكشف الكامل عن آلية السرطنة المعقدة التي تصيب الخلية العادية والأسباب التي تؤدي الى النمو السرطاني

أبحاث متحمسة .

بدأت أبحاث وتجارب العلماء على الفيروسات التي تسبب الأورام في الحيوانات ثم تبعتها أبحاث متحمسة على الفيروسات التي تسبب الأورام في الانسان،ودلك لتعيين مكان التشويش الأساسي في كروموسومات الخلية حيث تكون بداية انطلاق النمو السرطاني الذي لا يتوقف كشف العلماء عن هذه الأمكنة وحددوها ثم كشفوا عن نوعية وتركيب الانزيمات التي تحفز النمو السرطاني ثم كشفوا الجينات التي ترسل بالشيفرات الوراثية

لاصطناع هذه الأنزيمات البروتينية ثم عزلت الجينات المتحولة في الفيروسات الارتكاسية فتوضحت بنية ونوعية العمليات الكيميائية والتفاعلات المسؤولة عن احداث النمو السرطاني وكان كشف الفيروسات الارتكاسية قد قدم فهماً متكاملاً للجينات المتحولة

ثم تم الكشف عن الجينة (SRC) في ورم سرقوم ، وهذه الجينة لها القدرة على نقل الخلايا الى الحالة المتحولة التي يحدثها السرطان بعد تصنيعها لبروتين معين اكتشف هو الآخر وسمي بـ (PP 60-V-SRC) ، وهو الذي يقوم بتحويل الخلية العادية الى خلية سرطانية ، والأبحاث المتعمقة أثبتت بأن الجينة في الفقاريات ومنها الانسان تظل لفترات طويلة في المسلك التطوري دون أي تبدل رئيسي ، وهذا ضروري للجنس البشري ليحافظ على استمراريته ودوامه واعتبر العلماء الجينات المتحولة جزءا من شبكة التوازن والتنظيم الدقيق الذي يسيطر ويتحكم « في عمليات نمو وتطور واستقرار الخلايا العادية ، وان النشاط المفرط لواحدة من تلك الجينات المتحولة يستطيع الاخلال بذلك التوازن وجعل الخلايا تتجه في طريق النمو السريع والمستمر الذي لا يتوقف حتى يسبب السرطان وان الجينات المتحولة تنتقل وراثياً

بحوث بالمئات وعلماء بحاثة بالمئات عملوا في مئات المخابر ومراكز الأبحاث السرطانية لعشرات السنين ، ليقدموا هذا الفهم غير المتكامل لآلية السرطنة في خلية واحدة هي التي يبدأ بها شكل من أشكال السرطان المائة ويرى البروفسور (روبرت أ واينبرغ) أعظم علماء السرطان ان الطريق الحافلة بالوعود المثمرة هي طريق البحث الأساسي عن آلية السرطنة وكيف تتم ، كما يقول البروفسور ميشيل ويحلر وربما أصبحنا بكشوفنا هذه على وشك الوصول الى نهاية الطريق

تجربة من تجارب كثيرة لاظهار قدرة مادة على ... السرطان بعد احداثها تحولات في DNA الـ...

قامت ثلا ـ فرق مستقلة من الباحثين الأميركيين
من ل جينات حاصة من حلايا تستطيع أن تحول
الخلايا العادية الى خلايا سرطانية ومعظم هده
الجينات المعزولة من سرطانات بشرية .
واعتبر عمل فرق البحث الثلاث المكونة من
عشرات العلماء البارزين أعظم انجاز طبي في تاريخ
البشرية ، ونصر كبير احترق به العلماء حصون هذا
الداء الخبيث ولنتمكن من أن نلم بهذه الأبحاث
والتجارب الهامة سنشرح بعض أساسيات علم الخلية
وتركيبها وهو شيء لا بد منه للقاريء العادي

الخليـــة الحيـــة

الخلايا هي وحدات الحياة الأساسية واللبنات التي
تبنى منها جميع أجسام الكائنات الحية والنباتات ،
وجسم الانسان يتكون من (١٠٠) مليون خلية
تقريبا يتشكل من تجمعاتها بالآلاف والملايين جميع
أنسجة الجسم وأعصابه وتظهر الخلية في أبسط
حالاتها ككرة يحيط بها عشاء خارجي رقيق ، وفي
وسطها نواة أصغر منها وأكثر كثافة تحتوي
على الكروموسومات التي تحتوي على المعلومات
الوراثية مد بدء الخليقة حتى آخر مخلوق بشري
ويقدر علماء الوراثة انه لو امكننا ترجمة التعليمات
الوراثية في خلية انسانية واحدة الى اللغة الانجليزية
لكانها ستملأ (١٠٠٠) مجلد من دائرة المعارف ، علماً
بأن الترتيب «النكليوتيدي» لمعظم كروموسومات
الانسان ما زال مجهولا والنكليوتيدات شيفرات
وراثية مبرمجة لتكون هذا المخلوق الذي يختلف عن
غيره من المخلوقات ، ولتعطي هذا المخلوق صفات
ومسلكاً تطورياً يختلف عن غيره من المخلوقات
وأخيراً فان هذه الشيفرة الوراثية تحدد بدقة وبأنماط
متغايرة بدء المخلوق ونهايته فهي بالأحرى شيفرة
معلومات الكون والوجود والموجودات وفيها
يكمن السر الكبير الذي يجسد عظمة الخالق
سبحانه

الطفـــرات :

إن عملية تو ارث الأشكال والصفات بين الأجيال
المتعاقبة تتم أحياناً بنفس النمط والتتابع السهل ،
لكن في أحيان كثيرة تظهر خصائص وصفات
تطورية جديدة لا تشابه تلك التي تميز الأجيال
السابقة ، وهذه هي التي ندعوها علمياً بالطفرة ،
والطفرة أو التحول الجيني أو (تغير الجينات) هي
أساس التغير في الكائن الحي ، ونشوء الطفرات
عملية مستمرة لا تتوقف خلال مراحل تطور
الكائنات الحية جميعاً ، وإن كان حدوثها قليلاً
ومتباعداً زمنياً في الكائنات الحية الراقية بينما تحدث
بكثرة وبأزمان متقاربة في الكائنات الحية الدقيقة
كالبكتريا والفيروسات والفطريات،والانسان يوجد
في خلاياه أهلية استعداد لحصول الطفرة والتغير ،
ولكن لا يحصل التغير فجأة كما في الجراثيم وما
الطفرة والعبور بين الكروموسومات والانقسام
الاختزالي الا ملامح للمسالك التي يتغير بواسطتها
السلوك الوراثي للكائن الحي
ومنذ سنوات قليلة فقط أصبحنا على معرفة أكيدة
بأن بعض أنواع السرطان يسببها تشويش ملحوظ في
أحد الكروموسومات ، لكن لما كان للانسان (٢٣)
زوجاً من الكروموسومات في كل خلية وكل زوج من
هذه الكروموسومات يحتوي على آلاف الجينات فقد
وجب علينا أن نحدد هذه الجينات غير السوية التي
تسبب هذه الأنواع من السرطانات من بين آلاف
الجينات التي تنتظم في الكروموسوم ، ذلك أن فك
رموز الجينة السرطانية وتحديدها من بين السياق الذي
يشكله تتابع الجينات على الكروموسوم سيسمح لنا
بمقابلتها بأي جينة سوية لا تسبب السرطان ، وهذا
بالتالي سيمكن العلماء من تحديد الكروموسوم الذي
تنتمي اليه وهذه عملية هامة جداً لفرز
الكروموسوم المشوش من بين (٢٣) زوجاً ولأن
الداء القاتل يكمن بين جينات هذا الكروموسوم
ينتظر الفرصة للظهور ولتدمير الكائن الحي
والعطل هنا ليس على مستوى جينة واحدة بل انه على
مستوى الكروموسوم بأكمله والذي يحتوي على آلاف
الجينات
ومؤخراً قام عالم الأحياء المجهري الأميركي
البروفسور جورجي يانس بعمل فذ وانجاز كبير حين
استعمل تقنية جديدة في مجال الفحص المجهري
لكروموسومات سحبت من نواة خلية انسانية ثم
لونت لكي يميز فيها أشرطة وراثية مستعرضة أكثر
عدداً من تلك التي كانت يتميز من قبل، واستطاع
العالم جورجي بمهارة أن يفصل ويميز (١٥٠٠)
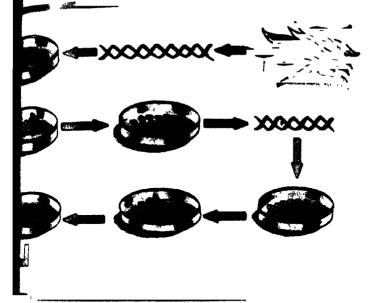
مراحل التحارب الكثيرة التي أحراها البروفسور وايسرع وفريقه لعزل (جينات السرطان)

البروفسور روبرت أ واينرع في مركز أبحاث السرطان في Ntt

لدوسو ... كوبر (الواقف) في معهد سيدني فاربر للسرطان في مدينة بوسطن
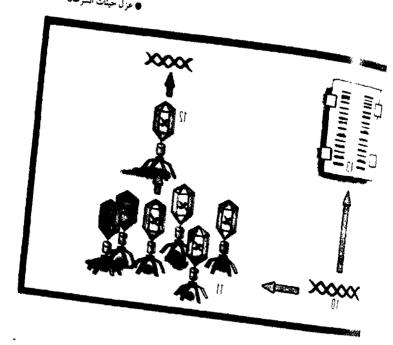
شريط وراثي مستعرض ، وهذا يعني أن ما يحتويه كل من هذه الأشـرطة الـ (١٥٠٠) المـذكورة مـا معدله (٢٠) جينة وسطياً فقط ، ذلك لأن العـدد الكلي للجينات في خلية الانسان هو حوالي (٣٠) الف جينـة تنظم في (٢٣) زوج كـروموسـوم وكان انجازاً مهماً سهل الكثير من عمليات البحث عـلى علماء الوراثـة ، ذلك أن متـابعـة التنليـل من الجينات على الشريط الوراثي أسهل بكثير من متابعة الكثير منها ، والعلم للآن لم يتمكن من متابعـة الا العدد المحدود من تتالي الجينات على الكروموسوم ، ويوم يتمكن من متابعة الكثير مهما يصبح الانسـان ورقة مفتوحة بكل أحواله وآماله وأمراضه

جينات غير سوية :

ثمة جينات غير سوية مسؤولة عن إصابة الانسان بأنواع عديدة من السرطان ، بمعنى أن هذه الجينات السـرطانيـة إن وجدت في خـلايا فـرد ما فستجعله عرضة للاصابة بالسرطان ، بل أكثر عرضة للاصابة بنوع معين من أنـواعه العـديدة هـ الكشـ البارز تحقق بفضل جهود عشرات العلماء الباحثـ الأميركيين الذين عملوا في ثلاث من فـرق البحـ المستقلة واستطاع كل فريق عزل جينات معينة مـ خلايا بشرية ، لها القدرة على أن تحول الخلايا السو الى خلايا سرطانية ، وتتأتى معظم هذه الجينات مـ سرطانات بشرية.والحقيقة أن هذا الاكتشاف المطـ قد يقدم الدلالة على ان بعض أنواع السرطان تكمـ في التغير الاحيائي، أو الـطفرة التي هي عبـارة عـ تعديل مفاجيء طاريء يتم في الكروموسوم على حـ واحدة وتبعاً لهذا يأمل العلماء وعلى المدى القا في استحـداث وسائـل جـديـدة يكـون بمقـدوره تشخيص أنواع السرطان مبكراً ومن ثم علاجها وهذا يؤمن الوقاية المسبقة بعد اجـراء مسح شامـ للأفراد المعرضين للاصابة بالسرطان وربما ، وها أمـل بغد متفـائل ، يسـتطيع العلماء وضـع المصـ السـرطاني بجـاهـزيـة الاسـتعمـال المسبق لـظهو المرض وبعد هـذا الكشـف الهام الـذي دلنا عـ
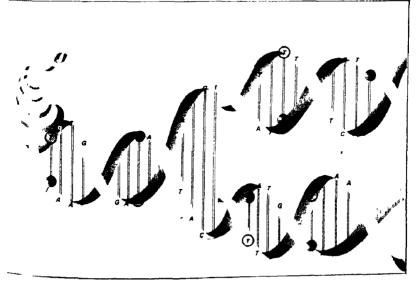
نموذج لجزئي الـ DNA اللولبي المزدوج في كل خلية حية ونشاهد فيه كيف أن المادة المسرطنة قد ...ت الاعلام الوراثي وجعلت الحرف t يقابل الحرفين GA في الحالة العادية ودائماً الحرف A يقابل الحرف G والـ... T... يقابل الحرف C وأثناء تناسخ الـ DNA كما نشاهد بنقل الاعلام الوراثي المغير هذا بحيث يبقى الحرف G ... طـ... مقابل الحرف T في الشريط الجديد الذي يشكل خلايا سرطانية تحدث الورم (السرطان).

ود جينات السرطان بعد عزلها يبقى على العلماء
ابعة بحوثهم الهامة لزيادة معرفتنا بجينات السرطان
.»وبآلية عملها التي تحدث بها السرطان المعين
بعدها ربما نعلم لماذا يتعرض بعض الأشخاص
اصابة بالسرطان أكثر من غيرهم بل لماذا
رض بعض الأشخاص للاصابة بهذا النوع من
سرطان دون غيره وربما استطاع العلماء في وقت
ب أن يشرحوا لنا التكتيك الوراثي الذي تتبعه
سرطانات الوراثية التي تتواصل في عائلة واحدة ،
صيب جيلاً من بعد جيل وكذلك فان كشف
رل (جينات السرطان) سيفتح الآفاق أمام العلماء
عداد البحوث الأكثر دقة لتحديد ما اذا كانت مادة
ا هي فعلاً التي تثير جينة ما لتسبب نوعاً من
سرطان

نعلم منذ سنين عديدة أن الخلية العادية تتحول الى
لية سرطانية اذا ما حصل تغير احيائي (طفرة) في
لحامض النووي (DNA) لتلك الخلية والـ (DNA)
ذا الجزيء الطويل المزدوج اللولبة والذي يشكل
صرة مصغرة عليها الاعلام الوراثي الذي يمثل
اث البشرية الى يومنا هذا يشكل ـ مادة الجينات
لكروموسومات في نواة الخلية مع بعض
روتينات ، ولقد انطلق العالم الأميركي (بروس
س) من مبدأ استقراء الطفرات التي تسببها مواد
رة لظهور السرطان ، فأعد اختباراً يسمح باظهار
رة إحدى هذه المواد على احداث هذه التغيرات
ي تسبب السرطان ، وأحضر المادة المعنية وادخلها
زرع للبكتريا من نوع السالمونيلا ، وبعد انقضاء
ر الحضانة لهذه البكتريا أي الفترة بين العدوى
رض وظهور أعراضه بحث عن بكتريا أحدثت
ويلا في حامضها النووي الـ (DNA) فوجدها
وكان معنى هذا أن المادة موضوع التجربة
أحداث البدل (الطفرة) في البكتريا
هل هذه المادة التي أحدثت التغير
) في الحامض النووي الـ (DNA) قادرة على
لتغير في خلية حيوان ثديي .
ا الاختبار الهام لا يستطيع أن يجيبنا عن
لذا كان لا بد من الذهاب في الأبحاث
ة الى أبعد من ذلك بكثير وهذا فعلاً ما

أبحاث مجهرية :

منذ أكثر من سنتين تقريباً قام عالم الأحياء المجهري البروفيسور الأميركي (روبرت أ وابنبرغ) على رأس فريق عمل في مركز ابحاث السرطان وشعبة علم الأحياء في معهد ماساسوشوستس للتكنولوجيا الشهير في مدينة كمبردج قرب بوسطن بسلسلة أبحاث وتجارب هدفها البحث في خلايا سرطانية عن جينة أو عدة جينات طرأت عليها تحولات مفاجئة من شأنها أن تسبب الأورام السرطانية وقامت هذه التجارب على مبدأ بسيط ولكن في البداية انتهى البروفسور وابنبرغ وفريق بحثه (من زرع) خلايا سرطانية بشرية واستخلصوا من هذه الخلايا السرطانية الحامض النووي (DNA) بكامله ، وبعد أن عزل وابنبرغ وفريقه هذا الـ (DNA) الذي يفترض بأن فيه جينة السرطان أدخلوه في زرع لخلايا ليفية من فأرة ولم يدخلوه في زرع خلايا انسانية لأن هذه الأخيرة ترفضه ثم وضعوا هذه الخلايا الفأرية والـ (DNA) البشري في علب (بتري)الشفافة بحيث تغطي طبقة واحدة منها الوسط الغذائي وتغدو قابلة للفحص بالمجهر البصري وبعد أن اندمجت الخلايا الفأرية في الـ (DNA) المعزول كما نعلم من خلايا سرطانية بشرية تسرطنت هذه الخلايا وبدأت في التكاثر بشكل غير منضبط وبسرعة أكبر مما تتكاثر به الخلايا العادية . وبعد حوالي (١٥) يوماً على هذا الزرع لوحظ وبشكل واضح جداً وبالعين المجردة ظهور (انتفاخات) صغيرة على شكل دوائر رمادية اللون تكونت على سطح الزرع في علب (بتري) على يسار الطبق وتبين لدى فحصها بالمجهر بأنها (خلايا سرطانية) وللتأكد مما اذا كانت تحتوي على (جينات بشرية) عزلت هذه الخلايا السرطانية وحدها وأخضعت هذه الخلايا السرطانية لسلسة متعاقبة من عمليات الزرع المكثف وثبت للعلماء وجود الـ (DNA) البشري في وسط الـ (DNA) الفأري مع مجموعة خلايا سرطانية . ومنها استخلص الـ (DNA) الجديد الذي أصبح يتضمن بلاشك عدة جينات سرطانية مركزة ، ثم أعاد وابنبرغ وفريقه زرع هذه الجينات السرطانية المركزة في زرع خلايا ليفية جديدة لفأر جديد . فحصلوا ثانية على انتفاخ جديد على شكل ورم سرطاني مكون من خلايا

سرطانية أكثر تركيزاً من الزرع الأول ثم عزلوا هذه الخلايا السرطانية المركزة لوحدها وأخضعوها لعمليات زرع جديدة مكثفة على اعتبار أن جميع هذه الخلايا تحوي جينات سرطانية ولكنها جينات بشرية ممزوجة بجينات فأرية

ألوان من السرطان :

بهذه الطرق المعقدة المتشابكة استطاع فريق بحث البروفسور وايبرج أن يحدد هوية (عدة جينات سرطانية) مختلفة تسبب الاصابة بسرطان المثانة وسرطان القولون وأحد أنواع سرطان الدم ، وتمكن فريق بحث الدكتور جفري كوبر من عزل جينة سرطان الدجاج أما فريق البروفسور ميخائيل ويغلر فقد توصل الى عزل الجينة التي تسبب سرطان المثانة والجينة التي يبدو أنها مشتركة وتسبب سرطان الرئة وسرطان المستقيم وقد سبقت تجارب عزل جينات السرطان من الخلايا السرطانية البشرية تجارب وأبحاث كثيرة على الحيوانات ومنها الفئران والأرانب ، ودلت نتائج هذه التجارب المبدئية على أن هناك جينات مختلفة تسبب أنواعاً مختلفة من السرطان

واذا كان الباحثون الأميركيون قد أحاطوا تفاصيل عزل جينات السرطان بالكثير من الحيطة والسرية ، الا أنهم أفاضوا في تبيان النتائج المرتقبة لاكتشافاتهم هذه ومدى أهميتها في المستقبل القريب وبحسب ما يذكره البروفسور وايبرغ فان هذه الجينات السرطانية المعزولة ليست جزءاً من التراث الوراثي العادي للانسان ، بل انها جينات حصل فيها تغير أحيائي نتيجة لاصابتها بعوامل مسببة للسرطان كأن يكون فيروس مثلاً أو مادة كيميائية أو شعاع وعلى هذا فان الجينة المتحولة كانت جينة عادية غير مسببة للسرطان . فأثر عليها عامل خارجي فحولها الى جينة سرطانية وبحسب رأي البروفسور وايبرج فان هذه الجينة العادية تنقلب الى جينة سرطانية إما لأنه حصل فيها تحول لم يعد يعطيها القدرة لتتحكم في اعطاء الشفرة الوراثية لتصنيع المادة المطلوبة منها لمنفعة الخلية ، أو لأن الجينة بعد أن أصابها التحول بعامل ما قد بدأت في صنع (مادة جديدة) غير معروفة لا تلزم الخلية وقد تكون هي السبب في تسرطن الخلية ومن الممكن أيضاً في رأي الدكتور كوبر أن الخلية تتسرطن وتسبب السرطان لأن الجينة المتحولة أعطت أوامرها بتصنيع المادة الجديدة بكميات كبيرة تزيد عن حاجة الخلية

ويرى البروفسور واينبرغ أن الطريق الحافلة بالوعود والآمال هي طريق البحث في آلية السرطنة ، أي بمعنى كشف جميع العلائق الفيزيائية والكيميائية التي تؤدي الى ظهور السرطان فهناك حوالي (١٠٠) نوع من السرطانات البشرية يقابلها عدد أقل من الجينات السرطانية قد تكون (٢٠) أو (٣٠) أو ربما (٤٠) جينة عانت من تحولات أصبحت بتأثيرها مسببة للسرطان ، وهذه التحولات تحت عن الأنسجة الصامة التي اصطنعت عند فأرة بوساطة أربعة منتجات كيميائية مختلفة وكان التساؤل هو هل أن أشكال السرطان الأربعة سببتها جينة سرطان واحدة بعد أن طرأ عليها التحول في كل مرة أم أن التحول أصاب أربع جينات مختلفة سببت كل جينة شكلاً من أشكال سرطان النسيج الصام ؟ والجواب كان أن الجينة نفسها تحولت في كل شكل من أشكال سرطان النسيج الصام بشكل مختلف بالطبع لكن الجينة هي نفسها رغم استخدام العلماء لمواد مختلفة تسبب السرطان ونفس الأمر انطبق على سرطان الدماغ عند الفأر وهكذا فان لسرطان الدماغ جينته الخاصة ولسرطان الأنسجة الصامة جينته الخاصة به أيضاً ولكل نوع سرطان جينة خاصة به

والمرحلة القادمة للبحوث ستكون المعرفة الدقيقة لكيفية التغير الذي تحدثه الجينة في أيض الخلية التي تحويها ، والأيض هو مجموعة العمليات الكيميائية التي ترتبط ببناء المادة الحية وهدمها في الخلية وبها تؤمن الطاقة الضرورية للعمليات والنشاطات الحيوية

وبعد فان السرطان كما كل شيء في هذا الوجود آلية محكمة وترتيب مقدر ونظام معجز ولـ[illegible] حللاً أو عارضاً أو عشوائية تصيب الخلية فتصطر أو يصيبها الجنون كما توصف وما كان [illegible] الضبط والاحكام والنظام لا يكشف الا بضـ[illegible] وأحكام ونظام يماثله وحين تكشف آلية السر[illegible] بكل دقائقها فان سراً من أسرار الوجود يكون اكتشف

وجهاً لوجه

د. بدرو مارتينيث   د. حامد أبو احمد

■ بعض الأدباء في الوطن العربي جديرون بالحصول على جائزة نوبل
اكثر من الذين حصلوا عليها بالفعل . ■ المجتمع العربي مازال في مرحلة
وأزمة وكذلك الأدب ■ يعيش العرب في هذه المرحلة صراعا
ضد عدو غير ظاهر هو « الزمن » ! ■ ليس كل ما يأتي من الغرب سيئا
وبنفس الوقت ليس طيبا ايضا ! ■ النقد الذي يرتكز على المادة اللغوية
ويتناسى البعد الرئيسي للنص وهدفه وقيمته .

المستعرب الاسباني الدكتور بدرو مارتينيث مونتابيث يعمل حاليا رئيسا لقسم اللغة العربية بجامعة مدريد « اوتوما » ، وقد عمل من قبل عميدا للكلية ثم رئيسا للجامعة . حاوره الدكتور حامد ابو احمد الذي يحمل دكتوراه في الأدب الاسباني الحديث من جامعة مدريد منذ سنة ١٩٨٣

ومن أعمال الدكتور مونتابيث المنشورة في مجالي التأليف والترجمة « القصيدة فلسطين فلسطين في الشعر العربي المعاصر » (١٩٨٠) و « كتابات حول الأدب الفلسطيني (١٩٨٤) ، و « مختارات من الشعر العربي المعاصر » بالتعاون مع كارمن رويث براڤو وروسا إيرابل مارتينث (١٩٨٥) و « وكتاب عرب واقعيون » (١٩٧٠) « واكتشافات في الأدب العربي الجديد (١٩٧٧) و « مدخل الى الأدب العربي الحديث » الطبعة الثانية ١٩٨٥ و« أغانٍ عربية جديدة لغرناطة (١٩٧٩) الخ

ومن الخصائص المهمة التي يتميز بها الدكتور مونتابيث عن غيره من المستعربين الأوروبيين أن كل من يلتقي به أو يتعامل معه يحس وكأنه عربي فهو يدافع بحرارة عن قضاياهم ، ويتحدث عن مشاكلهم بوضوح وصدق . وكأنما يحس في أعماقه بأن العرب مؤهلون لأن يكونوا أفضل بكثير مما هم عليه الآن

* قلت للدكتور مونتابيث انت أحد المستعربين القلائل المتخصصين في الأدب العربي الحديث ، ولك أبحاث كثيرة وترجمات منشورة في هذا المجال من أهمها كتابك « مدخل الى الأدب العربي الحديث » ، فما هي ـ في رأيك المنجزات التي حققها الأدب العربي خلال الأربعين عاما الأخيرة ؟

ـ لاأدري بالضبط هل تعني بسؤالك هذا المنجزات التي حققها الأدب العربي نفسه أو المنجزات التي تحققت بوساطة حركة الاستعراب في مجال دراسة الأدب العربي الحديث ، وأظن أنك تعني النقطة الأولى

ومن ثم فاني سوف أقصر حديثي عليها في ايجاز ، وعندما نتحدث عن المنجزات نقسمها قسمين « منجزات داخلية وأخرى خارجية »

وفيما يتعلق بالقسم الثاني فان الأدب العربي الحديث معروف حاليا أكثر مما كان عليه منذ أربعين عاما ، لاشك في هذا ، والترجمات منه الى اللغات العالمية الكبرى مثل الاسبانية والانجليزية والفرنسية والروسية الخ أصبحت أكثر أهمية ، على الرغم من أنها مازالت حتى الآن أقل بكثير مما يستحقه ـ موضوعية ـ هذا الأدب

ولاشك أنه لابد من مواصلة هذا الطريق لنشر هذا الأدب ، ولكن مع محاولة تجنب بعض الأخطاء التي يشيع ارتكابها فمثلا تترجم بعض النصوص التي لاتستحق الترجمة ، ولاتعني في الواقع شيئا في نطاق الأدب العربي المعاصر ، على الأقل بالنسبة للجوانب المتعلقة بالأصالة ، والقيمة ، وحسن التمثيل لحركة هذا الأدب وهناك ترجمات كثيرة تتم بوساطة علاقات الصداقة ، أو المواءمة على أي نحو كان أو ربما لجهل المترجم أو الناشر بالوضع الحقيقي للأدب العربي ، وهذا على أية حال ، يضر أكثر مما ينفع ، لأن الترجمة هي أيضا ، اختيار ، ولكي تختار يجب أن تعرف جيدا الاطار الشامل وكما قلت لك فان هذه النظرة تخطىء أحيانا ، وكذلك فانه ليس علينا أن نترجم فقط ، وبشكل يحافظ ـ قدر الامكان ـ على دقة الترجمة وبراعتها ، وانما علينا أيضا أن ندرس هذا الانتاج الأدبي بعمق

وفيما يتعلق بحركة الاستعراب الغربية فان الأدب العربي المعاصر لم يدرس حتى الآن الا على نطاق ضيق ، أو تتم دراسته فقط في دوائر مازالت محدودة ، وهذه معركة لابد من كسبها أيضا ، وتجربتي الشخصية في هذا المجال أظهرت لي أنه ليس من السهل ادخال هذا الأدب العربي في الوسط الغربي ، لأسباب من بينها أن الغرب قليل التأثر بهذا الأدب ، ولولا ذلك لحدث شيء له صدى عالمي ضخم ، مثل منح جائزة نوبل - مثلا لكاتب عربي ، حيث أن هناك في الوطن العربي من هم أكثر جدارة بها من بعض الذين حصلوا عليها بالفعل

وفيما يتعلق بالمجريات الداخلية ، فلا شك أن الأدب العربي مازال يمر حتى الآن بمرحلة انتقال وأزمة في محاولة للتكيف مع العالم المعاصر ، ولكن هذا في رأيي أمر له مايبرره ، ولاشك أنه أكثر مدعاة للأمل على عكس مايتصور الكثيرون ، والحق أنه لم يكن هناك مفر من ذلك ، لأن المجتمع العربي نفسه ، بأجمعه ، مازال في مرحلة انتقال وأزمة بحثا عن هذا « التكيف » والأدب هو أيضا « حدث اجتماعي » فضلا عن أنه « حدث جمالي » وعندي فان أحد الانجازات المهمة هو أن يتضاعف عدد الكتاب العرب الجيدين ، وهم سواء كانوا داخل الوطن العربي أو خارجه ، يزدادون يوما بعد يوم وعيا بهذا الواقع الانتقالي وبالأزمة ، وهم يحملونها على عاتقهم ويحاولون ايجاد طرق واشكال مناسبة لحاور هذا الواقع ، ومن ثم فقد تجنبوا الدخول في عمليات [illegible] صغيرة وثانوية ، عبثية ، بيزنطية ، زاد لديهم الوعي الأكثر نصاعة بالمهمة الحقيقية للكاتب من الواضح أن هؤلاء الكتاب مازالوا حتى الآن [illegible] بية ، وكثيرون منهم يضطرون للعيش [illegible] ج بلدهم نفسه ، أو حتى خارج الوطن الكتابة [illegible] ن هذه الظاهرة « للوعي الجديد » وهي العرب [illegible] صية وتضامنية في الوقت نفسه ، الظاهرة مشجعة ، على الرغم من أنها مازالت حتى الآن أقل تطورا مما يجب أن تكون عليه

الحداثة .. كيف .. وإلى أين ؟!

* من الموضوعات المطروحة على الساحة الثقافية العربية الآن موضوع « الحداثة » وهي تطرح من منظورات ووجهات نظر مختلفة ، وفقا لثقافة كل كاتب أو متحدث ، فكيف ترى - بصفتك مثقفا عربيا - هذه الظاهرة ؟ وهل تعتقد أنها مجرد « موضة » عابرة أم أنها ضرورة حياة وشكل من أشكال مواجهة الواقع ؟

- فعلا ، فمنذ فترة وموضوع « الحداثة » يمثل « موضة » في الوطن العربي ، تدور حوله مناقشات وتعقد له اجتماعات عديدة ، وندوات ومؤتمرات ، بالاضافة الى رواسب كثيرة من الكتابات حول هذا الموضوع ، ولاشك أننا يجب أن نعترف بأن جزءا كبيرا من كل هذا الاهتمام الظاهر يمثل « موضة » بالمفهوم السيء للكلمة بمعنى أنه في الأساس مجرد اجابة عن مصالح شخصية ، أو صادر عن جماعات ضغط ، أو لأهداف تجارية ، وحتى يأتي أحيانا لأسباب سياسية أو انطلاقا من توجهات ثقافية خاطئة ، لكن هذا لايعني أن الاهتمام الأصيل أيضا لايوجد ، وذلك لأن الكثيرين من العرب أصبحوا يهتمون بشيء هو قدرتهم على أن يواجهوا ، من منطلق اجتماعي ثقافي ، المتطلبات الانسانية ، (ولا أتحدث عن شيء غير هذا ، لأن كل ماعدا ذلك خارج نطاق الضرورة) للعالم الراهن ، وللحظة الحالية التي يعيشها ، حيث يبدو هذا العالم كل يوم أصغر مما كان عليه بالامس ، ومن هنا تتراكم التحديات والأخطاء ، وتصبح فروق التخلف أكبر بكثير ، أي أن صور التخلف تتضاعف والمؤلم أن هذه المناقشات حول الحداثة طويلة جدا معقدة ، بينما

يبدو أن علينا في عالم اليوم أن نفعل كل شيء بسرعة وبطريقة آلية ، وهذه المناقشات أيضا ، لابد وأن تكون على نحو ما بطرية ،وتتطلب جهود التنظير في العادة الكثير من الصبر والأناة ، وإلا تنوء بالفشل ، أو لاتسفر الا عن صيغ سهلة ومتسرعة تكون بمنأى عن المجال الذي أنشئت من أجله ، ومن ثم لايتولد عنها الا الكثير من الاحباط

أنا أعرف أن العرب - وليس العرب فقط في عالم اليوم - يعيشون الآن نوعا من « الصراع ضد الزمن » ، وهذا الصراع من أسوأ أنواع الصراعات ، لأن العدو في هذه الحالة غير ظاهر ، وغير محدد ، وغير مدرك ولكن لابد أن يكون هناك اقتناع بأنه لايمكن احراز النصر في هذا الصراع الا بالدأب والارادة مع المعرفة الدقيقة للأهداف النهائية التي نمضي وراءها ، دون أن نصاب باليأس أو بالتعجل العقيم ، ويتطلب هذا أيضا الوصول الى درجة كبيرة من تحديد المفاهيم ، أي أن علينا أن نعرف بدقة ماذا تعني المصطلحات التي نستخدمها ، بل كل واحد من هذه المصطلحات التي نستخدمها ، وأي مراقب لأوضاع الوطن العربي حاليا يظهر له بوضوح شديد ، أن هذا التحديد للمفاهيم نادر جدا ، فالمفاهيم تمتد أو تنكمش وفقا لرغبة أو مصلحة من يستخدمها ، حتى تخدم بشكل صارم طروحاته الجزئية ، وهي بذلك تصبح مثل « قطعة اللبان » وحتى نفس مصطلح الحداثة الذي يمكن أن نطلق عليه المعاصرة يطلق على أشياء شديدة الاختلاف فيما بينها ، ويستخدم بمفاهيم شديدة التنوع ، حتى ليأتي أحيانا بدون مضمون ، وكل هذا عملية طويلة جدا ، وصعبة ومعقدة كما ذكرت من قبل ، ولابد أن نفسح الوقت للقيم العليا الجديدة حتى تداع وتنقى ، انها ليست معركة فكرية فقط ، لأن المعارك الفكرية لم توجد أبدا وحدها بشكل صارم ، وبخاصة في عالم اليوم ، ولكن الذي يجب أن نطلبه من المثقفين والفنانين والعقول المبدعة هو أن يكونوا في حالة تأهب وفي حالة يقظة مطـ[...] حتى يستطيعوا التمييز بين المعاني الحقيقية والزائفة ، ويعملوا بمقتضى ذلك ، فالمثقف والفنان لا يمكنهما أن يتنازلا عن ذلك ، وهكذا يؤدون رسالتهم الاجتماعية ، وبهذا يكونون عونا لشعوبهم ، وبهذا ينزعون الأقنعة من على وجوه بعض حامليها في مجال الكلمات والأفكار ، وفي هذا الحوار حول « الحداثة » يجب على العرب أيضا أن يتحاشوا الوقوع في خطأ البحث عن صيغ لاتزيد عن كونها تقليدا للآخرين « صيغ مستوردة » فليس كل مايأتي من الخارج - من الغرب مثلا - سيئا ، كما أنه ليس كل ما يأتي منه طيبا ، وانما لابد أن نتعرف على الاشياء بعمق ، نقيمها ثم نختار بناء على هذا التقييم ، حتى نأخذ مايصلح لنا ونرفض ماليس بمفيد ، أو ما هو ضرر ، ومما يثير الغرابة أن من يتابع موضوع الحداثة يتأكد له أن كل مادار من مناقشات حولها خلال السنوات الأخيرة في الوطن العربي لاتزيد عن كونها مجرد اعادة صياغة أمينة لمناقشات حامية دارت حول نفس الموضوع في القرن الماضي وفي بدايات هذا القرن ، ويبدو أن العرب محكوم عليهم بأن يظلوا في مناقشات متواصلة حول الحداثة ، دون أن يصبحوا محدثين بأي حال من الأحوال ، ونحن الاسبان لدينا أيضا تجارب في مثل هذه المناقشات المحرقة وغير النافعة

أجيال من الشعراء الجدد

* اذا تركنا موضوع « الحداثة » وتناولنا الأعمال الابداعية ، وبالاخص في مجال الشعر ، نرى أنه كان لكم منذ فترة طويلة دور بارز في متابعة أجيـ[...] الشعر الحديث في الوطن العربي مـ[...] عقد الخمسينيات حتى الآن ، وآخـ[...] كتاب أصدرتموه في هذا المجال هو « مخـ[...]ت من الشعر العربي المعاصر » ، ويضـ[...]ارات

شعرية مترجمة الى الاسبانية لخمسة وثلاثين
شاعرا عربيا محدثا يمثلون فترة زمنية تناهز
الأربعين عاما ، أي منذ أواخر
الأربعينيات حتى الآن
فما هو تقييمكم لانتاج الأجيال الجديدة
من الشباب في الوطن العربي ؟

ـ منذ ثلاثين عاما ، ومجال نشاطي المهني الرئيسي
متمثل في معرفة الأدب العربي المعاصر ودراسته
بخاصة الشعر ، وأعتقد أني منذ فترة من الزمن أقرأ
الشعر العربي أكثر مما أقرأ في الشعر الاسباني ،
لا . على الرغم من أني في الواقع أقرأ شعرا من كل
ساليب والاتجاهات ، والشعر يمثل مجال قراءتي
رئيسية والمفضلة ، وأظن أيضا أن لدي معرفة
بسطة بهذا الأدب العربي المعاصر ، والسنوات
سمح لي أن أتحدث وأحلل من منظور تاريخي بشكل
م ومفصل وبانورامي ، بحيث أركز حديثي على
سه التطور المتواصلة ، وفكرتي في هذا الصدد
لازمة وواضحة فخلال سنوات الخمسينيات
ستينيات ظهر بشكل عام ، وبخاصة في مجال
معر ، أكثر الانتاج قيمة وأهمية في كل ما أنتجه
دب العربي المعاصر ، وانتشرت أكثر الاتجاهات
ء وتجديدا وهي تحمل طابعا عالميا واضحا ، دون
فقد طابعها العربي الأصيل وأنا لا أتحدث هنا
مفهوم الجيل أو المدرسة ، لأني أعتقد أن هذه
مصطلحات تستخدم بسهولة شديدة ودون مطابقة
امه . والحق أنه كان ثمة انسجام تام في هذا
موضوع ، لأن تلك الفترة (الخمسينيات
ـــ) كانت هي الفترة التاريخية التي كان
صر ب فيها نوع من الأمل ، شيء هكذا يشبه
مرو جماعي ـ الذي لم يكن واضحا بشكل كاف
ناس بلاشك لكنه كان موجودا
وك ـطن العربي في ذلك الوقت قد أوشك أن
رك ـة المكان الذي يشغله في الزمان وفي
نور لاشك أن هذا المشروع أو بالأحرى « شبه
المشروع » قد تقهقر ، وذلك بسبب أخطاء داخلية
كبيرة ارتكبها المسئولون العرب ـ ليس السياسيين
فقط ، وان كانوا هم في المقام الأول ـ سواء في
الحسابات أو في الطروحات أو في الأهداف ، ولكن
المؤلم أن يتحقق المرء من أن هذا المشروع لم يحل محله
مشروع آخر يستحق الذكر ، وبالفعل فإن الوطن
العربي يخلو تماما من أي مشروعات جماعية محددة
وممكنة منذ حوالي عشرين عاما . وهذا شيء فظيع ،
فمن قبل كان هناك قدر من الوضوح ، ليس كثيرا ،
ولكن بعضه على الأقل ، ولكن الظلام الآن يبدو
مطلقا ، فكيف لاينعكس هذا على الأدب ، سواء فيما
يعرف عادة « بالشكل » أو « العمق » ، وسواء في
مجال التعبير أم مجال المضمون » ؟ وبهذا لا أريد أن
أقول انه لم تحدث فيها بعض محاولات ذات أهمية ، أو
لاتوجد أسماء لها قيمة ، وانما على العكس يوجد هذا
وذاك ، ليس فقط في مصر ، وانما في أقطار عربية
أخرى ، سواء في المشرق أو المغرب ، ولكنها حسب
رأيي شواذ تؤكد القاعدة أو الاتجاه العام ، أي أنه ـ في
رأيي ـ قد وجد بصورة عامة خلال سنوات
الخمسينيات والستينيات مستوى أكثر ارتفاعا ،
وقدرة كبيرة على التجديد ، ومواقف واضحة
وثابتة ، سواء على المستوى الأخلاقي ، أو على
المستوى الجمالي ، وكانت الاهداف والتطلعات
مرسومة بشكل أفضل ، وضمن هذا الاطار العام
برز عدد كبير من الأفراد المتفوقين تفوقا واضحا ،
وبعد ذلك وجد الأفراد أيضا وبرزوا ، ولكن داخل
اطار أو بانوراما أكثر تذبذبا واضطرابا ، مع نزعة
عدوانية عقيمة وهائلة تخفي كثيرا من صور
الاحباط ، وفي مستوى واضح التدني ، أما
التجديدات الجزئية التي حدثت أيضا خلال هذه
السنوات الأخيرة ـ والتي لاشك في حدوثها وبخاصة
في مجال القصة والتي تظهر بشكل خاص في الجانب
الشكلي وفي جانب التكتيك ، هذه التجديدات
لايمكن أن تخفي هذا الهبوط في المستوى .

البنيوية والنقد الأوروبي

* هل تابعتم الاتجاه النقدي الأخير في الوطن العربي الذي يدور حول البنيوية وعلوم اللغة ؟ لقد شاع هذا الاتجاه خلال عقد السبعينيات وحتى الآن في النقد العربي ، ورغم شيوعه الا أن جمهرة القراء والكتاب أيضا يحسون حاليا بأن النقد العربي يمر بأزمة خطيرة ، وليس النقد فقط ، بل الثقافة العربية بكل فروعها وقد أعطى البنيويون العرب ـ على الرغم من أنه لم يفهمهم أحد حتى الان ـ انطباعا بأن النقد البنائي هو الاتجاه الوحيد الموجود في العرب حاليا ؟ فهل ترى ـ بصفتك كاتبا وناقدا أوروبيا ـ أن هذا صحيح ؟ واذا لم يكن هذا صحيحا فما هو وضع النقد الأوروبي حاليا ؟

ـ إن النقد الأدبي مجال يدور حوله دائما كثير من الجدل ، وتكتنفه صعوبات في التشكيل والنمو ، ومن المستحيل عمليا أن يبلغ النقد الأدبي مرحلة واضحة ، أو مستوى متميزا في اطار مجتمعات درجة التنمية الاجتماعية والثقافية فيها ، بكل مظاهرها ، ليست على نسق واحد ، وليست متقدمة وبالفعل فانه يمكن أن تظهر نماذج رائعة من الانتاج الأدبي في مجتمعات قليلة النمو ثقافيا ، ولكن من المستحيل عمليا أن يبلغ النقد الأدبي في هذه الظروف مستوى عاليا ، وأعود هنا الى فكرة عرضتها من قبل وهي بطء عمليات التنظير ، وضرورة تحديد المفاهيم ، وبالاضافة الى ذلك فعادة ماتسيطر على مجال النقد الأدبي ، اتجاهات شديدة التطرف ، قاعدية (دوجماطيقية) وصارمة بحيث تتناول دراسة وتقييم شيء بالغ التعقيد والخصوبة ، مثل العمل الأدبي من منظور واحد في التحليل والتفسير ، ويبدو لي أن هذا خطأ شنيع ، وسواء كانت هذه الطريقة أو تلك ، فان النتيجة هي تقليل قيمة العمل الأدبي و [illegible] وعندئذ يصبح وكأنه مجرد منظر لاعمال [illegible] والتفكير فيه ان اللجوء الى أشكال مختلفة للاقتراب من النص أمر ضروري وخاصة بعض المعهود من حياة الناس والشعوب التي تصبح فيها الأشكاليات أكثر كثافة وتأزما وتراكما ، واذا كنا لانستطيع أن نضع الأدب ـ وهو الشيء الجوهري ـ في قالب واحد ، أو نوجزه على صورة واحدة ، فاننا لانستطيع ايضا أن نضع النقد في قالب واحد أو نوجزه على صورة واحدة ، وهذا مترتب على ذلك بدرجة كبيرة ، وبشكل مبدئي ، فان أي اتجاه أو مدرسة نقدية تكون لها قيمتها بصفتها منهجا ، ولكن من الواضح أنها لاتكفي لاعطاء التفسير النهائي والشامل ، وهذا الأمر بالطبع ينطبق على البنيويين ، وعلى أي نوع آخر من النقد الذي يرتكز أساسا على المادة اللغوية ولاشك أن هذه دعامة رئيسية ـ أو على الأقل احدى الدعائم الرئيسية ـ للنص الأدبي ، ولكنها ليست الوحيدة ، وفي معظم الأحيان لاتعكس البعد الرئيسي للنص ولاهدفه أو قيمته ، واذا طبقت اراؤهم ومناهجهم بطريقة وحيدة وقسرية (دوجماطيقية) ، كما أقول ، فإن التحليل النهائي الذي يقوم به الناقد لابد أن يؤدي الى « تكسيح » النص وتمزيقه وخنقه ، وعادة فان بعض النقاد يمارسون بصرامة مايمكن أن نسميه « النقد الكيميائي » وهو نقد تجريدي تماما في كل مظاهره تقريبا ، ولكن يجب أن أوضح بأن هذا الخطأ يمكن أن يقع فيه البنائي وغير البنائي ممن يتخذون قاعدة دوجماطيقية في النقد كما ذكرت من قبل

ومن العجيب أن يتحقق المرء من أن الغالبية العظمى من النقاد العربيين ذوي القيمة في [illegible] الحالي ، يتجهون من جديد الى ممارسة مايمكن أن نسميه « النقد الكامل أو الشامل » ، ولاشك أن هذا أيضا ليس بالامر السهل ، لأن النقد في هذه [illegible] أيضا يمكن أن يقتصر على الطلاء أو عنصر الخ[illegible]

ولكن اختيار هذه « اللوغاريتمات » ، حتى ولو طبقت جيدا ينتهي أساسا بالطابع الآلي الذي يكون في العادة قليل الاحترام للنص الادبي نفسه ، وهذا ماحدث في اتجاهات كالتي أشرت اليها أنت ، ويجدر بنا أيضا أن نشير الى أن جزءا كبيرا من هذا النقد الذي تدينه ، والذي يمارس الى حد غير معقول في الوطن العربي منذ عدة سنوات هو أيضا « نقد مستورد » ، وقد حاولتم أن تنقلوه الى الوطن العربي ، والى الأدب العربي دون أن تقوموا بعملية تفكير مسبقة ، وعملية اختيار وتكييف كافية ورصينة ، وهذا يشبه مايحدث في أشياء أخرى كثيرة ، حيث يلاحظ في جميع المجالات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو أدبية ، أنكم تتبعون « الموضات » في تقليد أعمى ، وهذا لايؤدي الى حدوث اضطراب في مجال النقد فقط ، وانما ـ وهذا هو الأسوأ ـ في الانتاج الأدبي نفسه فكثير من الكتاب ، قبل أن يكتبوا ، يفكرون ببساطة فيما يمكن أن يقال عنهم ، وكيف سيتم الحكم على عملهم ، وهذا ليس في صالح الخلق الأدبي على الاطلاق ، الذي يجب أن يكون قبل أي شيء ، حرا ومستقلا ، ان الاضطراب النقدي يزيد ويساعد بدون أدنى شك على الاضطراب الابداعي ، وأنا لا أنحاز بالطبع الى النقد الانتقائي ـ الذي لايقبل صبرا ـ ولكني أرفض تماما أي نوع من النقد الدوجماطيقي (القاعدى) القسري ، الذي يتعامل عادة مع النص بشكل اعتسافي ، بحيث يختفي النص ويختفي معه كل اشكالياته الفنية ، ولافرق عندي بين أن يقوم بذلك هذا أو ذاك ، أيا كانت المنطلقات التي ينطلق منها كل منهم

حركة الاستعراب

* وأخيرا أود أن نتحدث عن حركة « الاستعراب » في اسبانيا ، وعن المدرستين الموجودتين حاليا وهما مدرسة الدراسات العربية القديمة ، وبخاصة الاندلسية ، ومدرسة الدراسات العربية المعاصرة التي أنت زعيمها أو أبرز ممثليها

ـ ان الحديث عن حركة الاستعراب الاسبانية الحالية ، بكل مايمكن أن تعنيه أو يكون لها من قيمة لايجب علينا أن نخوض فيه نحن المستعربين الاسبان ، وانما يقع ذلك على عاتقكم أنتم ، ومن جهة أخرى فانه لايروق لي أبدا أن أتحدث عن مدرستين ، وأعتقد أنها طريقة خاطئة في طرح المسألة وتبسيطها ، أو وضع قناع لها ، وعندي فانه ليس هناك الا حركة الاستعراب التي تجيب أو لاتجيب عن المتطلبات الفكرية والعلمية والانسانية لعصرها ، والتي تنسجم أو لاتنسجم مع حاجات واهتمامات الفرد والمجتمع ، وكلا الأمرين يمكن حدوثهما ، سواء انصب اهتمامنا على القديم أو على الحديث ، إن التسلسل التاريخي هنا لايعني شيئا ، إن حركة الاستعراب « مثل أشياء أخرى كثيرة إما أن تكون عملا فكريا وعلميا و« إنسانيا » ـ وأركز بالخصوص على هذه الصفة الأخيرة ـ يطرح بشرف ودقة تاريخيين من جانب من يقوم به ، وإما أن تكون عملا لاقيمة له على الاطلاق ، إن حركة الاستعراب فيها أيضا إجابة عن جماع مفهوم الحياة والوجود ، والمرء يكون مستعربا بنفس المقياس الذي يكون به انسانا ، وهذا هو السهل الممتنع في آن واحد □

* أعظم الرجال شأنا هو الذي يقف ـ ولو وحده ـ بجانب عقيدته

(هنريك إبسن)

العربي ـ العدد ٣٤١ ـ ابريل ١٩٨٧

استخراج اللؤلؤ في الشعر الجاهلي

بقلم : الدكتور حسين عطوان *

ذهب بعض الدارسين إلى أن ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي يكاد يخلو من ذكر البحر أو الإشارة إليه ، فإذا ذكر فيه فذكْرُ يدل على الجهل ومن غريب الأمر أن هذا الزعم شاع بين كثير من الناس ، حتى ظن فريق منهم أنه حكم قاطع ، لا نزاع فيه ، لكن واقع الشعر الجاهلي ينفي هذه التهمة !

إن السبب فيما ذهب إليه بعض الدارسين من أن الشعر الجاهلي يكاد يخلو من ذكر البحر هو أنهم لم يستقصوا دواوين الشعراء الجاهليين ، ولم يراجعوا غيرها من المصادر المختلفة ، ككتب الحماسة والمختارات ، وكتب الأدب ، وكتب التراجم والطبقات ، وكتب البلدان ، وكتب النحو واللغة والمعاجم ، وما على بعض هذه الكتب من شروح واستدراكات ، ففيها غير قليل من القصائد والمقطوعات والأبيات النادرة

الشعراء وصفات البحر .

الصحيح أن الشعراء الجاهليين عرفوا البحر واستمدوا منه كثيراً من معانيهم ، وصورهم فوصفوا اصطناع العرب له في الملاحة واستخراجهم اللؤلؤ منه ، لكن معرفتهم به واستلهامهم له ، وتصويرهم لمظاهر الحياة فيه لاتعدل معرفتهم بالصحراء ، واستلهامهم وتصويرهم لمظاهر الحياة فيها ، بل هي ذلك وأ قد أكثر الشعراء الجاهليون من تشبيه الـ

* أستاذ الأدب بالجامعة الأردنية

المرعله في الصحراء بالسفن العظام التي تسير في عرض البحر ، وكرروا هذا التشبيه بألفاظ وتراكيب مطابقة أو متقاربة ، وراوحوا في تكرارهم بين الإيجاز والتفصيل ، وذكر بعضهم البحر وأمواجه ، والسفن وأشكالها ، وأجزاءها وحركاتها ، والملاحين وأصولهم وأجناسهم ، وبلدانهم ، والنواتيه ، وملابسهم ، وأعمالهم ، ورؤساءهم ، واستخدام الكلمات والمصطلحات البحرية التي تليق بذلك كله ، وتعبر عنه تعبيراً دقيقاً ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى

الرحلات البحرية التجارية

وصف بشر بن أبي خازم الأسدي الرحلة البحرية التجارية وصفاً رائعاً ، أوله قوله

أحالد صفقهم ولقد أراني

على قرواء تسجد للرياح

وقد أحاط في وصفه لها بطريقة صنع العرب سفنهم ، وصلاتهم التجارية ببلاد الهند ، والبضائع التي كانوا يجلبونها منها ، كالطيب والمسك والعطر والسلاح

وشبه بعضهم كثرة قومه ، وقوتهم ، بأمواج البحر العاتية المتصلة ، وأشار بعضهم إلى تنازع القبائل على سواحل البحر الطيبة ، وحرص كل منها على أن تكون خالصة لها دون سواها ، وذكر بعضهم الضرائب التي كان يدفعها الملاحون إلى الجباة في الموانيء التي كانوا يرسون سفنهم فيها ، ويعرضون بضائعهم للبيع بها

شعراء البحرين واللؤلؤ .

وأهم موضوع سبقوا إليه وجوّدوا فيه هو وصف استخراج اللؤلؤ من البحر ، وكان هذا الموضوع مقسماً بين الشعراء الجاهليين على اختلاف منازلهم ، أما الشعراء الذين كانوا يستوطنون بوادي نجد مدن الحجاز وقراها البعيدة عن البحر ، فقد جاء وصفهم له موجزاً لا يجاوز البيت الواحد ، لأنه لم يكن لهم معرفة به ، أما الشعراء الذين كانوا يسكنون أرض نجد القريبة من سواحل البحرين ، أو الذين كانوا يسكنون نواحي الحجاز المشرفة على بحر القلزم (الأحمر) فجاء وصفهم له وسطاً بين الطول والقصر ، لكنه لم يكن وافياً متماسكاً ، بل مقطعاً مفككاً ، لأنه كان لهم علم قليل به ، وأما الشعراء الذين كانوا يعيشون في بلاد البحرين واليمامة وسواحلها وجزرها فجاء وصفهم له طويلاً مفصلاً ، كاملاً متلاحماً ، متقناً محكماً ، لأنه كان لهم بصر واسع به ، وقد تميز بذلك منهم شعراء بكر بن وائل ، من أهل البحرين واليمامة ، إذ كان في البحر المطلّ على ديارهم وفي جزرهم أشهر مواطن استخراجه ، وأكبر أماكن بيعه واتخذوا - جميعاً - تشبيه المحبوبة بالدرة وسيلة إلى وصف استخراج اللؤلؤ من البحر

ومثال التشبيه الموجز للمحبوبة بالدرة قول امريء القيس بن حجر الكندي

خُدلّجَةٌ رَوْدَةٌ رَخْصَةٌ

كَدُرَّة لُجّ بأيدي الحَوَلْ

وقول النابغة الذبياني

قامتْ تراءَى بين سِجْفَي كِلَّةٍ

كالشمس يومَ طلوعِها بالأسْعَدِ

أو دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُها

بَهِجٌ متى يَرَها يُهِلَّ وَيَسْجُدِ

وقول قيس بن الخطيم الأوْسيّ

كأنّها دُرَّةٌ أحاطَ بها الـ

غَوَّاصُ ، يَجْلُو عَنْ وجهِها الصَّدَفُ

فهؤلاء الشعراء الثلاثة اقتصر كل واحد منهم على تشبيه المحبوبة بالدرة المصينة ، المتوهجة في حسنها ، وروعتها ، وعزتها ، ومنعتها ، وعَرَض للغوّاص الذي استخرجها من أغوار البحر السحيقة المخيفة ، ولم يزد أي واحد منهم على ذلك شيئاً ، لأنهم جميعاً لم يكونوا ذوي خبرة بالغوص والغواصين ، حتى يمدوا الوصف ويغنوه ، وينقحوه ويحكموه

ومثال الوصف المتوسط قول المخبل السعدي

كعقيلة الدُّرّ استضاء بها
محرابَ عرشٍ عزيزها العُجُمُ
أغلى بها ثمناً، وجاء بها
شختُ العظام، كأنه سهمُ
بلبانه ريتٌ وأخرجها
من ذي غواربَ وسْطُهُ اللُّخُمُ

فهو يشبه صاحبته بدرة كبيرة نادرة، اشتراها ملك من الفرس بثمن مرتفع، وزين بها صدر مجلسه، فكانت تتألق فيه، وتسطع سطوعاً قوياً، ينير جوانبه وأركانه، وتتلألأ فيه، وتبرق بريقاً شديداً يخطف الأبصار، ويخلب الألباب، ثم يشير إلى بعض صفات الغواص الذي استخلصها وأدواته، فيذكر أنه دقيق العظم، رقيق الجسم، كأنه السهم في نحوله وخفته، ومضائه وسرعته، وأنه كان يمجّ الزيت في قاع البحر ليضيء له، وأن أثر الزيت كان عالقاً بصدره، بعد أن غاص عليها، وانتزعها من بحر هائج مائج، فيه وحوش البحر المفترسة التي تلتهم الغواصين.

مهنة الغوص:

أما وصف المخبل السعدي فكان مختصراً قصيراً، وسهلاً يسيراً، وأما وصف أبي ذؤيب الهذلي فكان أطول منه بقليل، لكنه كان معقداً عسيراً، فيه طائفة من الألفاظ الغريبة المهجورة، وفيه عدة من التراكيب الصعبة الوعرة التي اختلف شراح الشعر وعلماء اللغة فيها، ولم يتفقوا على معانيها.

يلوح في وصفي هذين الشاعرين بدايات الأسلوب القصصي الساذج الذي يقوم على السرد المباشر، إذ فيه حدث بسيط لا ينمو، ولا يتفرع، ولا يتأزم فيه بطل، أصم كالصخر، لا يشعر، ولا يتأثر، ولا يثور في نفسه حوار ولا صراع، وفيه خطر يحيط بعمل البطل، يتمثل في الأسماك المتوحشة، أو في الأمواج العاتية، لكن هذا الخطر لا يزداد ولا يكبر، ولا يتعاظم ولا يتفجّر، ولا يكاد يلحق الأذى بالبطل كما أن وصفهما لا يتسلسل تسلسلاً منطقياً، يفرضه التصور النظري للبناء الفني، أو التطور الواقعي للحدث، بل هو أبيات مفردة متناثرة، وأجزاء متباعدة مبعثرة، لا يضبطها شيء محدد، ولا ينتظمها سوى أنها معانٍ شتى في موضوع واحد، هو استخراج اللؤلؤ

كأنها دُرّةٌ زهراءُ أخرجها
غوّاصُ دارينَ يخشى دونها الغرقا
قد رامها حِجَجاً مُذْ طرَّ شاربُهُ
حتى تسعسعَ يرجوها وقد خفقا
لا النفسُ توئسُهُ منها فيتركها
وقد رأى الرُّغْبَ رأيَ العين فاخترقا
ومارِدٌ من غُواةِ الجنّ يحرسُها
ذو نيقةٍ مستعدٌّ دونها ترقا
ليست له غفلةٌ عنها يُطيفُ بها
يخشى عليها سُرى السارين والسَّرقا
حِرصاً عليها لوَ انَّ النفسَ طاوعها
منه الضميرُ لبالى اليمَّ أو غرقـ
في حَوْمِ لُجّةِ آذيٍّ له حَدَبٌ
مَنْ رامها فارقتْهُ النفسُ فاعتلقـ
مَنْ نالها نال خُلداً لا انقطاع لَهُ
وما تمنّى فأضحى ناعماً أنقـ
تلكَ التي كلّفتكَ النفسُ تأمُلُها
وما تعلّقتَ إلا الحَيْنَ والحَرقـ

يشبه الأعشى صاحبته بالدرة المشرقة، ثم يمضي إلى الكلام على استخراجها، فيفيض في وصف رغـ الغواص فيها، ومعاناته في سبيل الحصول عليها فقد أولع منذ أن كان غلاماً يافعاً بها، وظل يد إليها حتى صار شيخاً كبيراً، وكان في أثناء ذ يغالب نفسه، وبينها، لعلها تقصر عن النز إليها، وتنساها، لكن نفسه لم تكف عن إغـ بطلبها، ناصحة له أن يتجمل بالصبر، مهونة

الأمر ، مادة له في الأمل ، مقربة لـه بلوغ المراد ، وكانت لا تتوانى عن تشجيعه ، حاثة له أن يقلع عن التردد ، حاضة له على أن لا يرهب البحر ، محرضة له على أن لا يهاب الخطر ، مزينة له أن يغوص على الدرة ، فإما أن يسلم ويغنم ، وإما أن يغرق ويهلك ، فكان يزداد حيرة على حيرة . إذ كان شغفه بها لا يضعف ، لأنها درة نفيسة ، إن حازها فاز بأمنيته في الحياة ، وأقبلت عليه الدنيا ، لكن خوفه من الموت لم يبارح خاطره ، فتلك الدرة عزيزة المنال ، في قعر بحر عميق ، متراكب الأمواج ، يحميها مارد جبار ، آناء الليل وأطراف النهار ، يدور حولها ، ويسهر عليها ، ولا يفارقها ولا يسهو عنها ، يمنع الغواصين من التقاطها ، فإن غاص عليها ، ودنا منها ، تصدى المارد لـه وقتله لم يـزل مـوزع العاطفة ، مقسم الفكر ، لا يستقر على حال ، ولا يدري ما يصنع ، هل يصغي إلى هـوى نفسـه ، ويصاع لـه ، ويعمـل بـه ؟ أو يصم أذنيـه عن سماعه ، وينفر منه ، ويـزورّ عنه ؟ وبعـد تردد لم يلبث أن جمع أمره ، وعقـد عزمـه ، فغاص على الدرة ، وتناولها

ويسجل الأعشى صورة تاريخية للغوص في الجاهلية ، فيعرض لبعض أمكنته وأدواته ، وموسمه ومدته ، أما أمكنته فيسمي منها (دارين) ، وهي فرضة بالبحرين ، أي محط للسفن فيها ، بينها وبين الساحل مسيرة يوم وليلة بسفر البحر ، وهي (أوال) [بضم الهمزة وفتحتها] ، وهي جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين ، وهي دولة البحرين اليوم

وكانت البحرين القديمة أكبر من ذلك بكثير ، فهي اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان قصبتها (هجر) ، وربما عَدَّ بعضهم اليمامة من أعمالها والصحيح أن اليمامة عمل برأسه في وسط الطريق بين مكة والبحرين ، بينها وبين البحرين عشرة أيام ، وهي من نجد ، وقاعدتها (حَجْـر) وبحر فارس وبحر البحرين وعمان واحد ، على ساحله الشرقي بلاد فارس ، وعلى ساحله العربي بلاد العرب ، وفي هذا البحر مواضع كثيرة للغوص على اللؤلؤ ، أشهرها (خارَكُ) وقطر وعمان وسَرَنْدِيب

ويـذكـر الأعشى من أدوات الغـوص السفن الطويلة التي كان الغواصون يستخدمونها ، ويجوبون بها أرجاء البحر ونواحيه ، حتى يبلغوا أقاصيه ، بحثاً عن مواضع اللؤلؤ ، كما يذكر المراسي الثقيلة التي كان الغواصون يرمون بها في البحر ، فتهوي فيه حتى تصل إلى قاعه فتستقر ، وتمنع سفنهم من السير ، وكذلك يذكر الحبال التي كان الغواصون يستعينون بها حفظاً لأنفسهم من الضياع والهلاك . فإن الغواص يغوص بحبل معه طرفه ، وطرفه الآخر مع صاحبه على ظهر السفينة ، ولم يفت الأعشى ذكر الزيت الذي كان الغواصون يسكبونه في قاع البحر ، لينير لهم فيمكنهم من رؤية اللؤلؤ ، وكانوا يمسكون الزيت في أفواههم ، ويصبونه منها

ومعنى ذلك أن وصف الأعشى لاستخراج اللؤلؤ له قيمة تاريخية كبيرة ، لما يتضمن من دلالات اجتماعية وحضارية كثيرة

صاغ الأعشى وصفه صياغة ناصعة صافية ، لا التواء فيها ، ولا خفاء ، إذ اختار له الألفاظ السلسة المألوفة ، وبنى منها جملاً قصيرة دقيقة ، فكانت معانيه قريبة معروفة ، فـزاد ذلك وصفه رشاقة ورقة ، وجعله أكثر لطافة وطرافة □

* الكلام ممزوج بالصدق والكذب ، أما الصمت فصدق لاغشّ فيه .

(ميخائيل نعيمة)

احتكار الفضة وخسارة العرب!

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

في السبعينيات من هذا القرن ظهر كتاب اسمه « مليار دولار شيء أكيد » للكاتب بول ايردمان بيعت منه ملايين النسخ ، وفيه يحكي عن المضاربات في الذهب ـ قبل أن تحصل فورة الذهب بسنوات وفي هذه الرواية تدور عمليات مضاربات ومؤامرات يكون الخاسر الرئيسي في نهايتها هم العرب الذين استكثر العالم عليهم ثروتهم البترولية المتناقصة !

تعتبر عائلة هانت من أكثر العائلات الأمريكية ثراء ، حتى انه ليقال « انهم لو أرادوا أن يفلسوا وعملوا على ذلك ما استطاعوا » وكبير هذه العائلة هو نيلسون بنكر هانت ، ومركز شركاته الرئيسي في مدينة دالاس (تكساس) وتذكرنا المغامرات المالية لهذا الرجل بمسلسل « دالاس » المشهور ومايقوم به بطله جي آر من أمور تعتبر يسيرة جدا أمام مايقوم به نيلسون بنكر هانت

تقول كارولين هانت زوجة هذا الرجل « لست أدري لماذا ينظر الناس الينا على أننا مختلفون عنهم ، فغدا سأذهب مع بنكر الى باريس لحضور سباق الخيل الذي تشترك فيه فرسنا « داليا » ، ثم ننتقل بعدها الى غينيا الجديدة حيث سيقوم بنكر ببعض الأعمال المتعلقة بشركته البترولية ، بينما سأحاول أن أدرس هناك عادات قبائل صيادي الرؤوس البشرية ثم سننتقل بعد ذلك الى مونتريال لمتابعة سباق خيل آخر تشترك فيه بعض جيادنا ، ألا ترى أننا أناس عاديون جدا ؟ »

وبنكر هانت ـ رغم ثروته الطائلة ، يعيش عيشة متوسطة بسيطة (بالموازنة مع أنداده الاثرياء وليس بالموازنة مع حياتنا نحن) ـ فهو لايشرب الخمر ولايدخن ، ويندر أن يقيم الحفلات أو يحضرها

هو يدير امبراطورية كبيرة تضم أكبر شركة بترول مستقلة في أمريكا ، وأكبر مصانع السكر فيها

اضافة الى مئات المطاعم ، ومساحات شاسعة من أغلى الأراضي في ولاية تكساس كما أن لديه مايزيد على ألف حصان سباق أصيل ، وشقيقه الاصغر

لامار يعتبر نفسه رياضيا ، اذ يمتلك فريق كرة قدم كاملا في مدينة كانساس سيتي

أما ثروة هذه العائلة فقد جمعها أبوهم هارولد سون لافاييت هانت ، وكان ابن جندي في جيش الجنوب في الحرب الاهلية الامريكية ، ورث عام ١٩٢٠ خمسة آلاف دولار ، استطاع أن يجعلها أضعافا مضاعفة من خلال ارباحه في لعب القمار (البوكر) وفي اكتشافه آبار بترول غنية ، حتى وصلت هذه الثروة الى ملياري دولار عام ١٩٥٤

ولم يقتصر نشاط هذا الرجل على تنمية ثروته بل شمل كذلك انجاب الاولاد

فقد أنجب من زوجته الأولى ليدا بنكر ستة أولاد (أحدهم متخلف عقليا) وبعد وفاتها عام ١٩٥٥ تزوج من سكرتيرة سابقة له اسمها روث راي كان قد أنجب منها قبل الزواج أربعة أولاد آخرين ، ثم بعد وفاته عام ١٩٧٤ تبين أنه كانت له علاقة مع سيدة اسمها فراين تاي أنجب منها أربعة آخرين ، بحيث أصبح مجموع عدد أولاده اربعة عشر ولدا مابين ذكر وأنثى

ومن الأقوال المأثورة عنه « لقد أبطلت التدخين لأني وجدت أنني أضيع سنويا من وقتي مايساوي (٣٠٠) ألف دولار في فك أغلفة « السيجار » واشعاله »

أما أشهر مغامرات ابنه بنكر هانت المالية فكانت محاولته مع شقيقه هربرت احتكار فول الصويا في أواخر السبعينيات ، ثم محاولة احتكار الفضة في اوائل الثمانينيات بمشاركة بعض الأثرياء العرب

محاولة احتكار الفضة :

تختلف معدن الفضة عن الذهب في أن استعمالات الذهب الصناعية محدودة على عكس استعمالات الفضة الواسعة

لقد بدأ اهتمام بنكر هانت بالفضة في السبعينيات عندما تبين له أن انتاج العالم من الفضة يقارب (٣٠٠) مليون « أونصة » سنويا بينما تريد الحاجة لها على (٥٠٠) مليون « أونصة » أما الفارق بين الانتاج والاستهلاك فكان يأتي من بيع المدخرات التي تملكها الولايات المتحدة وكندا والمكسيك والهند وبعض دول الشرق الأوسط

وبدأ بنكر وشقيقه هربرت شراء الفضة ، فابتاعا وتسلما (٢٥) مليون أونصة مهابسعر (٣) دولارات للواحدة ، وبهذه الصفقة بدأت عملية شراء منظمة

وأدى ذلك الطلب على الفضة الى رفع سعرها الى (٦،٧٠) دولارات « للاونصة »ولكن هذا الرقم انخفض بعد أن أغرى ارتفاع ثمن الفضة المكسيك فكان أن أنزلت الى السوق (٥٥) مليون أونصة وبقيت عائلة هانت محتفظة بمشترياتهاحتى جاء عام ١٩٧٩ وكان السعر قد بلغ حوالي (٦) دولارات

وأخذ هانت يشترى عقودا مستقبلية للفضة ، ويتم ذلك بأن يدفع المشترى جزءا هامشيا من ثمنها يقدر ب (٢٥ ٪) ، على أن يتسلمها في تاريخ معين ويسدد باقي الثمن فاذا ارتفع السعر في ذلك التاريخ يكون قد ربح ، بينما اذا هبط يكون خاسرا ومثل هذه العقود المستقبلية تشمل بضائع كثيرة تباع وتشترى عادة دون أن يكون هنالك تسلم فعلى لها (ومثل هذه الصفقات محرمة حسب الشرع الاسلامي)

وفي صيف عام ١٩٧٩ ارتفع سعر أونصة الفضة الى (١١) دولارا وكان من أسباب ذلك اقبال هانت على الشراء وخلافا لما جرت عليه العادة في أسواق العقود المستقبلية فقد طالب هانت بأن يتسلم فضته ، وقد كان ، مما جعله يخزن مقادير هائلة منها ، وسرت شائعات قوية أن هانت في سبيله الى احتكار معظم الفضة الموجودة في العالم

وأخذ هانت ينصح بعض معارفه الخلص - ومعظمهم من أثرياء العرب - بشراء عقود مستقبلية للفضة ، وكان سعرها آنذاك (١٦) دولارا للاونصة وأخبرهم أنه يتوقع أن يرتفع هذا السعر الى (٢٥) دولارا ، وقد كان ثم أبلغهم أنه سيصل فيما بعد الى (٧٥) دولارا

سر مساهمة العرب

يقول الخبراء والمراقبون ان هانت لم ينصح العرب بذلك عن محبة ومودة ورغبة في أن يريد ثرواتهم ، انما نصحهم بذلك لانه كان بحاجة الى

أموالهم كي يريد الطلب على الفضة التي يمتلك منها الكثير ، وكلما زاد الطلب ارتفع السعر وبدون مساهمة العرب لم يكن ممكنا وصول سعر الفضة الى ماوصلت اليه فيما بعد

وخلال خريف عام ١٩٧٩ استمرت الاسعار في تصاعد مستمر ، بحيث ان هانت وشركاءه ومعظمهم من العرب ، أصبحوا يملكون مابين فضة فعلية وعقود مستقبلية مايزيد على (٢٠٠) مليون أونصة ، وبحيث ان ربح هانت وحده زاد على سبعة مليارات دولار وقارب سعر الفضة وقتها (٥٠) دولارا للاونصة وكثر المال بيد هانت فأخذ يستثمره في شراء العقارات والبحث عن البترول وفجأة انقلب الوضع ، وكان سبب الانقلاب وضع قوانين جديدة وأنظمة حكومية من قبل الدوائر المسؤولة في أميركا للقضاء على محاولة احتكار الفضة

فقد كان العرف في العقود المستقبلية أن يدفع المشترى (٢٥٪) من القيمة فقط ، ورفعته الحكومة الامريكية الى (٣٥٪)

كما حدد المسؤولون عن تنظيم هذه الامور المقادير من الفضة التي يمكن للمشترى أن يتسلمها فعليا بـ (٢,٥) مليون أونصة سنويا

كما حرمت الأنظمة الجديدة على أي كان أن يحتفظ بعقود مستقبلية تزيد على حد معين وأضيف الى ذلك أن رفع مجلس الاحتياط الفيدرالي سعر الفائدة على الدولار ، فكان أن انتقل الكثيرون من شراء الفضة وعقودها المستقبلية الى ادخار أموالهم في البنوك وهبط سعر الفضة الى (٢٠) دولارا للأونصة

وأخذت بيوت المصاربات المالية تطالب هانت وشركاءه بدفع الاموال المتوجبة عليهم لتغطية الزيادة في القيمة الهامشية من (٢٥٪) الى (٣٥٪)

ولم يتمكن هانت شركاؤه من دفع هذه المبالغ الطائلة التي تبلغ مئات الملايين ورفضت البنوك أن تقرضهم لان الاقراض للمضاربة أمر ممنوع

وكان أن قرر هانت وشركاؤه نقل عملياتهم الى أسواق أوروبا ، واصدار سندات تعتمد على مايملكونه من فضة وهي تزيد على (٢٠٠) مليون أونصة ، وظن بعض الناس أن الاقبال على هذه السندات سيكون كبيرا ولكن العارفين ببواطن الامور كانوا يعلمون أن الغاية من عرض هذه السندات انما هي الحصول على المال لدفع ماترتب على هانت وشركائه من التزامات فكان أن أحد الناس يقبلون على بيع الفضة مما أدى الى انهيار سعرها حتى بلغ (٤) دولارات للأنصة الواحدة

وكان أن أفلست بعض دور المصاربات الصغيرة وأحد مكتب المصاربات المشهور باخ ـ هالس ـ ستيوارت ـ شيلد (ومعظم المسيطرين عليه من اليهود) يطالب هانت بمبالغ تزيد على مليار دولار، وتبعته في ذلك بقية مكاتب المصاربات وأخذت هذه وتلك تبيع أسهم هانت التي تحتفظ بها لتغطية هذه المبالغ بينما أن هانت أن يبيع الفضة بهذا السعر المخفض ، ونتيجة ذلك ارتفع السعر الى عشرة دولارات للأونصة الواحدة

وطالبت مكاتب المصاربات والدور المالية ايقاف التعامل بالفضة حتى تتجلى الاوضاع وتستقر الامور

وفي النهاية وبعد أن ترك السوق في انهيار لعدة أيام قررت الحكومة اتاحة الفرصة للمصارف كي تقرض مكاتب المصاربات التي كادت أن تفلس ، وعاد سعر الفضة الى حوالي (١٢) دولارا للأونصة ، واستقر على هذا السعر أو قريبا منه منذ ذلك الوقت وحتى الآن مع تموجات يسيرة فيه

عند تحليل هذه المقامرة ومحاولة احتكار الفضة ، هناك اجماع على أن أكبر الخاسرين فيها هم أثرياء العرب الذين اشتركوا في ذلك فعائلة هانت مازالت تملك كثيرا من مدخرات الفضة ، بينما كانت مشاركة العرب بعقود مستقبلية غدت غير قابلة للتسليم بعد أن تغيرت أنظمة اللعبة

ثم ان هانت بدأ بالشراء يوم كان سعر أونصة الفضة (٣) دولارات بينما بدأ العرب بالشراء عندما أصبح سعرها خمسة أمثال ذلك المبلغ وعندما وصل سعر الفضة الى عشرين دولارا توقف هانت عن الشراء بينما استمر العرب في ذلك حتى بلغ السعر (٤٠) دولارا

وهكذا فان خسارة العرب بلغت مليار الدولارات وان كان لايمكن معرفة حقيقة الخسارة تماما

قضيـــة

العام والخاص في الأدب الفلسطيني

بقلم : أحمد المصلح

ليس هناك من يزعم أن الأدب الفلسطيني أدب فريد متميز ، لكن تعقيدات القضية الفلسطينية وتداخلاتها العربية تجعل من هذا الأدب جزءا متميزا من الواقع الثقافي العربي الشامل. فأين ينتهي الوطني الفلسطيني ، وأين يبدأ القومي العربي في هذه العلاقة الوثيقة بين هذين المستويين ؟

تثير مسألة الأدب الفلسطيني اشكالية مزدوجة ، تتلبس قطبي المشروع الحضاري العربي المعاصر: القطب الثقافي والقطب التاريخي فهي من جهة تضع الدارس أمام مقولات تنشد البرهان ، مثل مشروعية التحرك ابداعيا داخل الأمر الثقافي العربي بهوية أدبية فلسطينية كما يزيد الأمر تعقيدا حينما نضع الفعل الفلسطيني الثوري في إطاره القومي الواسع ، إطار المواجهة الحضارية العربية مع نقيضها الصهيوني الامبريالي وهي من جهة أخرى تفترض انقطاعا ، سواء على مستوى الخطاب الادبي أو على مستوى الخطاب التاريخي وذلك حين تركز على قطاع ثقافي تاريخي محدد ، وهو القطاع الفلسطيني

من هنا فان اختبار الاشكالية في ضوء المعطيات الواقعية للمسألة برمتها يعيد صياغة المسألة وفق رؤية تركيبية جديدة

ضمن هذه الرؤية نستطيع أن نتبين ثلاثة مستويات أو ربما أربعة مستويات في الحركة الثقافية الفلسطينية الحديثة. ففي سنة ١٩٤٨ خلق واقع خاص سواء على المستوى الديمغرافي او الثقافي ، اذ اقتطع القسم الاكبر من فلسطين لتقام عليه « اسرائيل » ، في الوقت الذي تحول فيه العرب الفلسطينيون الذين بقوا في أراضيهم الى عرب دولة « اسرائيل » ، بينما انخرط الجزء الباقي من فلسطين

فيها بعد جغرافيا وبشريا في وحدة عضوية مع شرقي الاردن في اطار المملكة الاردنية الهاشمية ، وأدارت الادارة المصرية قطاع غزة

وقد شهدت هذه الفترة نمطين ثقافيين فلسطينيين ، الأول هو ماعرف بأدب الارض المحتلة ، والآخر تكيف مع الوضع الجديد في اطار المشروع الثقافي العربي العام

ومن المؤسف ان النمط الأول من الثقافة الفلسطينية كان غائبا أو مغيبا عن ضوءه الذي ادعم في القومي العام الى ان التفت اليه الأديب الشهيد غسان كنفاني فأذاعه على الناس

وفي سنة ١٩٦٧ استكملت « اسرائيل » وحلفاؤها من المعسكر المعادي عملية الاستيلاء على الأرض الفلسطينية بكاملها فأصبحت فلسطين جغرافيا وبشريا موحدة تحت قبضة الاحتلال وفي هذه الفترة انفتحت الثقافة الفلسطينية في عموم الوطن الفلسطيني على بعضها البعض ، وهذا أسهم في تعزيز تلاحم النموذج الثقافي من جهة ، وفي تعزيز فاعلياته المقاومة على المستوى الثقافي الحضاري من جهة أخرى وتعتبر قصيدة فدوى طوقان التي قالتها حين اجتمعت بشعراء الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ « لن ابكي » التي حسدت من خلالها تحولا جذريا في مسارها الشعري تعزيزا لهذا الاستنتاج

أحبائي مسحت عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية
لألقاكم وفي عيني نور الحب والايمان
بكم بالارض بالانسان

وبعد نكبة ١٩٦٧ ، صار واضحا أن هناك تعزيزا جديدا لنمط ثقافي فلسطيني بدأ منذ سنة ١٩٤٨ ، وهو المسمى بأدب المنافي الفلسطينية وبدأ هذا النموذج يتطور مع تطور حركة النضال الفلسطيني المتمثل بالثورة الفلسطينية في اطار مؤسسته العامة منظمة التحرير الفلسطينية التي اكتسبت صفة مستقلة داخل المشروع القومي العربي العام في سنة ١٩٧٤م

ويمكن أن نضيف مستوى آخر وهو حصار بيروت والخروج من لبنان والتوزع على مناطق جغرافية متعددة،وما تلا هذا الخروج من أبعاد سواء على المستوى الخاص أو العام

وبديهي أن هذا المستوى أفرز ابداعا أدبيا متميزا داخل اطار أدب المنفى بشكل أو بآخر وشعر على سبيل المثال لا الحصر الى قصيدة محمود درو مديح الظل العالي والى غيرها من قصائد شعر ال الفلسطيني

* * * *

من هنا يصبح القول ان تداخل الث بالتاريخي على نحو جدلي فاعل يتيح لنا أن أحدهما في ضوء الآخر بيسر

ومن هذا المنطلق نرى أن المسألة الفلسطينية أ وشعبا،أيديولوجيا وابداعا تتشكل باستمرار ، تمترج فيه الملموس بالمتخيل،والواقع بالحلم فتص الثورة وطنا والوطن ثورة ، ذلك أنه « في الو الذي يحاولون فيه الفصل بين القضية والثو يكون الانتماء للثورة هو المعيار الوحيد للمواط فالثورة في غياب الوطن هي الوطن » كما كتب الش « حنا مقبل » ، في جريدة المعركة التي كان يصد الكتاب الفلسطينيون في اثناء حصار بيروت

كما تصبح القصيدة حوار سفر أحيانا و للوجود أحيانا أخرى ، يقول محمود درويش الصدد « لاوطن لنا ولامنفى هذه اعجوبة أ في مسلسل عجائب الشعب الفلسطيني، منذ طرد أرضه وهو محروم حتى من المنفى لامنف وطن ، لكن هناك شيئا لايستطيع أحد حرمان وهو القصيدة ، وهي معنى اقامتي على أية أ وفوق أي بحر »

ومن هذه الرؤية نفسها تتكشف أمامنا ج العلاقة بين قرية الشجرة في فلسطين المحتلة وبين المريسة في مدينة بيروت وهذه العلاقة بمقدورها الآن كما كانت دائما أن تجيب عن ال حول معنى استشهاد الشاعر الفلسطيني عبد الر محمود قبل رفيقه الشاعر على فودة بأربعين تقريبا

كما تجيب هذه العلاقة أيضا عن هـ ال الفلسطيني الذي يلون خارطة العالم بقص حسين وقصص ماجد أبوشرار ، ورقاب كنفاني

من جانب آخر فان الثقافي التاريخي ال يكن يتحرك بمعزل عن حركة الكل الثقاف العر

ر الدكتور صوان السيد في دراسة له بعنوان
للشعوب العرب والاحتياح الصهيوني للقضية
لسطينية »
، م من مثقف عربي كبير أو صغير ، الى اليمين
، والى اليسار ، لم تكن له علاقة ما بشكل ما
صي او اكثر من فصائل المقاومة الفلسطينية العاملة
نطاق منظمة التحرير الفلسطينية » ولاشك ان
موضعة القضية الفلسطينية داخل القضايا المتشابكة
وطن العربي ، وضمن قضايا التحرر بالعالم ،
ب دورا كبيرا في شمول الاهتمام بهذه القضية
و الصلات بمنظمة التحرير الفلسطينية لاتعود
لصلة هذه القضية فقط ، بل لأن منظمة التحرير
ها كانت درعهم الواقي ووطنهم المعنوي طوال
ازيد على العقد من السنين
ولعل أشد مظاهر هذا التداخل الثقافي التاريخي في
لمشروع الحضاري العربي الراهن كثقافة واضاءة هو
لك الذي قدمته لنا الاجابات الطالعة من شظايا
لسؤال ـ البيان الذي أمره الصمود الاسطوري
الذي جسدته بيروت في عام ١٩٨٢ في مواجهة الغزو
الاسرائيلي للبنان ، وذلك على لسان تجمع الكتاب
والأدباء والصحفيين الفلسطينيين واللبنانيين والعرب
في بيروت الحصار ، بيروت الموت المتمرد على
الموت ، في حرب الثمانين يوما يقول البيان
لاخيار سوى المعركة ، ليس وراءنا الا البحر أو
الصحراء ، وليس أمامنا سوى النصر ، ولاشيء غير
النصر ، ومن هنا من هذه القلعة ، قلعة الخلاص
والصمود . ينادي الدم العربي المحبوس في العروق
من المحيط الى الخليج ، للاسهام في ولادة هذا
الفجر ، الذي تجبل به جراح مقاتلينا وثقوب
أحذيتهم الشريفة فهنا المحك ، ولعله المحك
الأخير في هذه الحقبة من الزمن ، محك المعادن
البشرية ، ومحك جدوى حياتنا من هذه المعركة ،
وفيها يصاغ كل شيء من جديد
لاخيار سوى المعركة ، لان ماعداها انتحار ،
ومن دخان سيطلع النهار ؟؟ »

من هنا تأخذ الاشكالية التي تثيرها مسألة الادب الفلسطيني ، بالتكشف التدريجي ، فاذا الذي كان خاصا أصبح عاما ، واذا القومي يتلبس الوطني ، واذا الانقطاع يصير اتصالا واذا نحن أمام حقيقة عبر عنها الكاتب المغربي نجيب العوفي بقوله

« اذا كان التاريخ المعاصر يتحرك في زي عسكري كما يقال ، فان التاريخ العربي يتحرك بامتياز في زي فلسطيني لقد أصبحت ذاكرة هذا التاريخ مسكونة الى حد الدوار بالهاجس الفلسطيني ، وأصبحت كل مدارات هذه الذاكرة تتمحور حول هذا الهاجس وأشد مايكون التباسا وتماثلا له ونعمم مدار الابداع هنا جغرافيا ليشمل الابداع العربي برمته ، كما نعممه اصطلاحا ليشمل الانواع الادبية والفنية برمتها ، لقد أصبحت فلسطين هي نار القرى التي تتسامر حولها الكلمة العربية مشرقا ومغربا »

في ضوء هذه الحقائق مجتمعة نخلص الى ان النص الادبي الفلسطيني نص متحول ، يمتزج فيه التاريخي بالثقافي والخاص بالعام والوطني بالقومي ليصبح بالتالي نصا ابداعيا يعيد ترتيب الاشياء ، ويعطي للمشروع الحضاري العربي الراهن امكانية الدخول في الزمن

الصحافة قديمة

● ثبت من فحص بعض أوراق البردي ، المحفوظة في متحف اللوفر بباريس ، أن
ال اعنة كانوا أسبق الناس الى الصحافة ، ففي هذه الأوراق صفحات انتقادية ، كانت
تـ ـر في سنة ١٧٥٠ ق م ، وكان لدى أهل بابل في العراق سجلات يثبتون فيها الحوادث
مة يوما بعد يوم ، كما كان الرومان يصدرون صفحات يلصقونها على جدران وأبواب
حر والميادين العامة ، كإعلانات متضمنة آخر الأنباء ، وبعض القصص والمعلومات
مة

تعقيبات

ملاحظات تربوية

بقلم : الدكتورة أمل المخزومي *

قرأت موضوع «توازن القوى مناورة يتعلمها الطفل من أمه » للسيد راجي عنايت في مجلة العربي الغراء ، صفحة ١٦٢ العدد ٣٣٣ الصادر في اغسطس ١٩٨٦

يسرني أن أسرد جملة من الملاحظات للنقاط التي ذكرها السيد عنايت ، والتي جاءت في عرض الموضوع

١ ـ إن مناورة توازن القوى يتعلمها الطفل في العائلات المفرطة التساهل ، في معاملتها للأطفال ، سواء كان الأب أو الأم أو كلاهما مصدراً لذلك التساهل ، ويدرك الطفل هذا التساهل في المعاملة رغم صغر سنه ، ويجعل سلوكه قائماً على مناورة توازن القوى ، وهناك نماذج كثيرة من تلك العائلات ، يستوعب وصفها صفحات ، لكن لا أريد الاسهاب في ذلك

٢ ـ تعتبر شخصية الطفل حصيلة تفاعل الوراثة مع البيئة ، ولا يمكن الفصل بينهما ، كما يصعب التمييز أيهما أقوى أثرا من الآخر في حياة الطفل

٣ ـ إصرار الأم على التزام الطفل بالحد[ود] المعقولة التي وضعتها ، وهذا الاصرار ذاته قد [يخلق] خلاف بينها وبين طفلها فإن أدرك الطفل [أن] الحدود المعقولة التي تصر أمه عليها وتلزمه بها ، سيلتزم طوعيا بدون إكراه ، وهذه الطوعية [في] الالتزام ستصبح جزءاً من شخصيته الحا[لية] والمستقبلية ، لأنها جاءت عن اقتناع ، وبدون إجبار .

ثم أتناول الطريقة الثانية في المعاملة التي طر[حها] السيد عنايت ، وسماها الطريقة المثلى ، وأ[بدي] الملاحظات التالية حولها

يحب الطفل الذي سماه هشام لعب الكر[ة في] الحديقة ، وهذا شيء طبيعي ، لأن اللعب حر[كة] يمارسها الفرد في جميع الأعمار ، وتأخذ هذه المما[رسة] الوقت الطويل من الطفل ، لأنها جزء من [تكوين] شخصيته وتربيته ، ولأنها بمثابة تدريب له [في] المستقبل من ناحية ، وتفريغ لطاقته [من ناحية] أخرى ، أما إجبار الطفل على التخلي عن [هذه] ال...

---

* الأستاذة المساعدة في علم النفس الاجتماعي ، جامعة أنقرة ـ تركيا

رىلك وهو مهمك في ممارستها هو الخطأ بعينه ، ان نطع منعة الطفل وهي في أوجها يضر بالطفل ، يؤدي به إلى صراعات نفسية مختلفة في المستقبل ىن ماذا نعمل تجاه هذا الطفل الذي يمارس لعبة لكرة في الحديقة في الوقت الذي تريد منه الأم أن يدخل البيت ويغسل يديه ووجهه ؟ في مثل هذه حاله على الأم اتباع المبادىء التالية -

١ - أن تعتمد الأم في معاملتها وتربيتها للطفل على لاتباع لا على الاجبار والتحدي

٢ - إعداد لعبة أخرى يفضلها الطفل ليلعب بها في بيت ، كأن تعد له عربات تناديه ليدخل البيت وهي لوح له بها ، فالمحتمل أنه يأتي راكضاً متحلياً عن لكرة وهو سعيد ، ونعطي احتمالاً آخر وهو ألاّ يستجيب الطفل لذلك ، وفي هذه الحالة نتبع طريقة أخرى لاقناعه ، كأن تطلب الأم منه أن يأتي ليلعب معها لعبة أخرى يفضلها حيث سيأتي لأنه شعر بأن الأم ترغب في اللعب معه .

٣ - عدم جذب الطفل من ذراعه لغسل وجهه ويديه ، بل على الأم أن تحبب إليه غسل اليدين والوجه بالطرائق المختلفة ، وذلك بذكر الأحاديث الشريفة وحكايات القصص المسلية عن الطفل النظيف ، وما إلى ذلك ، فهذا الموقف سيؤدي إلى أن تصبح النظافة لدى الطفل عادة يمارسها بدون قسر أو إجبار و على الأم أيضا أن تمتنع عن تقبيل طفلها وهو متسخ الوجه واليدين ، وأن يكون تقبيلها له عادة وهو نظيف ، أو بعد أن يكون نظيفا ، لأن التقبيل بمثابة التعزيز للطفل ، وهو يؤدي إلى تكرار السلوك المرغوب فيه وتقويته

٤ - عدم تعويد الطفل على ممارسة البكاء والاستمرار عليه ، فإن دفع الطفل للذهاب إلى حجرته ليبكي ما يشاء أمر غير مقبول لأبسط قواعد التربية ، بل على الأم أن تبعده عن عادة البكاء مهما كلف الأمر وعليها مثلا أن تعده بالحلوى إن سكت وغسل و[illegible] من آثار البكاء ، فالحلوى تعزيز له أيضا ونعلم بأن الطفل يحب الحلوى ولا يرغب بالبكاء بديلاً لها

٥ - يجب أن يكون مركز الأم لدى الطفل لا يختلف عن مركز الأب ، وهذا واجب يقع على عاتق الأم ، فعليها أن تحيط طفلها بالرعاية والطمأنينة والحب الذي يؤدي إلى التعاطف والتفاعل الايجابي بينها وبين طفلها ، كما تعطي المعاملة المتوازنة مؤشرا بمكانة الأم وشخصيتها ، على أن لا تختلف عن مكانة الأب وشخصيته لدى الطفل

٦ - لماذا ندع الطفل في موقف حيرة من أمره ؟ إن ما يجب علينا هو أن نطلعه على نتائج البكاء والعناد والصراخ ، ونحمله يدرك بأن هذه المواقف لا تؤدي إلى الايجاب ، وإنما تؤدي إلى إيذاء نفسه وتعذيبها ، وأن عليه التحلي والابتعاد عن الألم ، واتباع الطرائق التي توصله إلى اللذة والتعزيز

٧ - إن مقابلة السلوك غير المرغوب فيه الذي يصدر من الطفل بسلوك غير مرغوب فيه أيضا لايؤدي إلا إلى تعقيد العلاقة التي تربط الطفل بالأم

٨ - لقد ورد في مقال السيد عنايت بأن الطفل يتعلم مناورة توازن القوى من أمه ، وهذا يعني أن الأم كانت متساهلة في معاملتها مع الطفل سابقا ، وأن هذا التساهل قد خلق لدى الطفل عدم الاهتمام بالأوامر التي تصدر عن الأم ، وهذا صحيح ، على أن تصحيح الأمر بالقسوة في المعاملة يؤدي إلى العناد لدى الطفل لأن من أساليب المعاملة الخاطئة التساهل في المعاملة والقسوة فيها أيضا ، وهما على طرفي نقيض ، والأشد منهما هو التذبذب في المعاملة فكيف يحق لمرب أن يطلب من الأم أن تكون متذبذبة في معاملتها مع طفلها ؟ أرجع مرة أخرى لكي أقول إن المعاملة المثالية هي اللطف في المعاملة مع توضيح للأسباب بأسلوب يمكن إقناع الطفل به عما هو صحيح ، على أن الأمر إذا تطلب الحزم فليكن الأبوان حازمين ، مع عدم الخروج عن مبدئهما الأساسي □

بقلم : رؤوف توفيق

في كل يوم تعقد المهرجانات السينمائية في بلدان عربية مختلفة ، يشاهد خلالها النقاد أفلاما من بلدان عربية أخرى ، ثم يغادر المخرجون بأفلامهم الى مهرجانات قادمة ٠ أما المتفرج العادي العربي ، فلا يكاد يشاهد الأفلام العربية سوى نسبة ضئيلة موازنة بالافلام الأجنبية لماذا ؟ وكيف ؟ وما هي الطريقة التي يجد بها الفيلم العربي متفرجه العربي ؟

أمر يدعو للأسف ، قبل أن يدعو للدهشة تلك الحدود الوهمية التي تعطل انتشار الفن العربي داخل الاقطار العربية نفسها،وأوضح صورة لذلك ما يحدث في السينما العربية،فمن المعروف أن فرص العرض والتنقل بين الأسواق العربية ما زالت محدودة جدا لكثير من الافلام العربية ، كتلك الافلام التي تنتجها الجزائر والمغرب وتونس وسوريا والعراق

والنتيجة الطبيعية لهذا الوضع هو الدو... البطيء جدا لعجلة الانتاج السينمائي ... الاقطار فهي كثير من الأحيان لايريد الا... ثلاثة أفلام في العام ، وقد ينخفض الى ... فقط !!

يستثنى من ذلك السينما المصرية ، التي ... انتاجها ما بين ٦٠ الى ٧٠ فيلما في العام ... نتيجة لتاريخ السينما المصرية وانتشارها في ...

العربية واستمرارية الانتاج وتدفقه بحرارة عاما بعد عام وأيضا لحجم الفنانين والفنيين العاملين في هذا المجال

وقد حرص مهرجان قرطاج السينمائي (١٤-٢٥اكتوبر٨٦) أن يعقد ندوة لمناقشة « المسالك الجديدة لتوزيع السينما » في محاولة للوصول الى صيغة مناسبة لتلك الأزمة التي تعيشها السينما العربية والافريقية

ومثل كل الندوات الثقافية والفنية تفرعت المناقشات ودخلت في تفاصيل كثيرة والقيت بداخلها كل هموم السينمائيين ، ابتداء من مشاكل الانتاج والتمويل ، إلى مشكلة انصراف الجمهور عن دور العرض السينمائي ، والاكتفاء بالجلوس امام التليفزيون ، الى مشكلة تناقص دور العرض نفسها وخطورة الاكتفاء بمشاهدة الأفلام عن طريق أجهزة « الفيديو » وفي هذه الندوة طالب السيد حمادي بوعين ، الاستاذ المساعد بالجامعة التونسية ، بضرورة اسهام التليفزيون في انتاج الافلام ، وبث الحماس في الجماهير لتأصيل عادة الذهاب الى السينما وكذلك ضرورة الاستخدام الحسن لشكات الفيديو

ومن تونس أيضا تحدث السيد رضا التليلي ، مدير مركز الدراسات والتوثيق للتنمية الثقافية وتساءل عن سبب عدم اقبال الشباب التونسي على دور العرض السينمائي وأجاب عن تساؤله بقوله

● مشهد من الفيلم السوري « المغرير » لدريد لحام

ان هذا الجيل الذي ولد مع التليفزيون تحول الى جيل تلفزيوني لايعرف السينما كممارسة ثقافية إلا بشكل هامشي و بالتالي لم يعد الذهاب الى دور السينما ، أحد تقاليد المتفرج التونسي !

جزء من الحقيقة

ورغم أن هذه المقولة تحمل جزءا من الحقيقة الا أنها لاتعبر عن الحقيقة كلها فقد أثبتت الدراسات والاحصائيات - وحتى ملاحظات العين المجردة - أن الغالبية العظمى من جمهور السينما الآن ، سواء في أوروبا أو أمريكا أو الاقطار العربية ، هم من الشباب والشابات من سن١٧الى٢٥عاما باعتبار أن أصحاب هذه السن لايميلون كثيرا الى الجلوس في منازلهم لمشاهدة الافلام عبر شاشة التلفزيون ، أو من خلال أجهزة الفيديو وانما يخرجون للذهاب إلى السينما في صحبة أصدقائهم على الأقل كنوع من التعبير لروتين يومهم وارتباطاتهم الدراسية

سوق عربية مشتركة

ونعود لندوة مهرجان « قرطاج » في البحث عن منافذ جديدة لتوزيع الافلام ونستمع الى رأي الناقد السينمائي السوري « صلاح دهني » الذي طالب بانشاء سوق عربية مشتركة تقوم بتنشيط عملية توزيع الفيلم العربي الجيد ، والفيلم الاجنبي الجيد ، بكل وسائل النشر المتاحة

وهذا الرأي يؤكد ما سبق أن قيل مرارا في ندوات سابقة ، أو بين كتابات النقاد السينمائيين العرب ، الذين طالبوا بحماية الفيلم العربي داخل بلاده بقيام المؤسسات المشتركة بين الأقطار العربية برعاية الانتاج السينمائي العربي ، وكفالة توزيعه بطريقة لائقة وذلك كحل ضروري لتدعيم الفكر السينمائي العربي وكذلك الفنانين العرب بدلا من تركهم يصنعون البطالة ، ويهدرون طاقاتهم وابداعاتهم في الانتظار الطويل وقد يلجأون - أحيانا - مضطرين الى الهجرة بدواتهم الى أوروبا أو الهجرة باحلامهم وراء المشاركة في الانتاج والتمويل من جانب فرنسا (خصوصا بين مخرجي السينما الجزائرية والتونسية والمغربية ، بحكم

● لقطة من الفيلم التونسي « صفره والوحش »

الارتباط الثقافي وسهولة اللغة) مما قد تكون نتيجته الاهتمام بارضاء ذوق المتفرج الأوروبي وفكرة ، على حساب المتفرج العربي اوما أكثر نماذج التورط السينمائي مع البريق الأوروبي
ولم تنته الندوة التونسية في البحث عن منافذ جديدة لتوزيع الافلام الا بمزيد من الكلام والحماس والتوصيات ، التي غالبا ما ستجد مكانا بجوار زميلاتها في الندوات والمؤتمرات السابقة مجرد مساحة جديدة في أحد الملفات بأحد الادراج اوتظل المشكلة كما هي ، تبحث عن الخلاص الحقيقي
ولاشك أن اللغة المنطوقة في الفيلم العربي ، تمثل أحد عوائق الانتشار داخل مختلف الاقطار العربية وذلك لاختلاف اللهجات ومعاني الكلمات وصعوبة فهم وتتبع حوار الافلام

أحبك ((برشه))

وقد نشرت مجلة « الفن السابع » التي تصدر في تونس (عدد ابريل ٨٦) مقالا اختار كاتبه أن يناقش مشكلة اللغة المنطوقة في الفيلم التونسي فضرب مثلا طريفا قال فيه

« تمثلوا معي مشهدا عاطفيا ، يكون فيه ا الوسيم في خلوة مع حبيبته المراهقة فوق ـ العمارة ، وعلى البطل أن يقول لحبيبته « أحبك يا حياتي »
(ولنكن الآن الفيلم مصريا سيقول ا« بحبك أوي أوي يا حياتي) ولاشـ هذه الجملة ـ بغض النظر عن موقعها الدرا المشهد ـ تستسيغها الأذن التونسية الى حد الا والمشاركة
ولكن ـ يستمر الكاتب في مقاله ـ فلنحر الجملة مع بطل تونسي ، في فيلم تونسي فنسبة « أنا أحبك برشة برشة يا حياتي » ولاشك أ الجملة ينقصها نوع من القبول كما كان الحا البطل المصري وهنا سيسارع المخرج الى الا عن كلمة « برشة برشة » لأنها غير مو ـية وكذلك كلمة « يا حياتي » لأنها كلمة لاتـ ـ الواقع اللغوي في مثل هذه المواقف وسيـ ـه بجملة أخرى مثل « نموت عليك يا عز ـ والنتيجة تكاد تكون دائما واحدة ويصـ المقال في تحليله الطريف ، الى عدة حلو

... مصري في ... في
... في « زهرة الصدول »

شكلة اللغة ، وهو يقس الحلول كالآتي
اعماد اللهجة المصرية في أفلاما التوسية ،
، بلا شك مدعاة للضحك
اللغة العربية ، وعندئد سقط من الفيلم
ه وستحول حاضرنا ومستقبلنا الى ماض
عة الفرنسية ، وتلك لعمري هزيمة
سام بحملة توعية شاملة في السينما (أشبه
لات محو الأمية) لتعليم أبجدياتها ودلك
، من الله
احيرا في اعتقاي بأن هدا هو الحل الأمثل -
ثار من الانتاج ومن فرص العمل وفرص سياسة
مل بالمثل لحماية انتاجنا وفنانينا »
سى كاتب دلك المقال ان يدكر الحل الميسور
رع وهو اللجوء الى اللغة الثالثة ، مثل
التي هي خليط ما بين المحلية الدارجة ، واللغة
سه الفصحى ، والتي تأخد من المفردات اللغوية
وأسهل ، واكثر قبولا وفهماً
ماما تجربة الحوار السيمائي للشاعر محمد
رط و ... سان دريد لحام في فيلميهما « الحدود »
لتمر ...
كلما ... م مدى ثراء اللغة العربية ، وعدوبة
سقاد ... فقط المسألة تحتاج لبعض الجهد
و ... الحب
لم نفقد ... اللغة عن أسرارها الجميلة !

وكل ما يكتب أو يقال في هده المؤتمرات واللقاءات السينمائية يعكس مدى أزمة السينما العربية في الوصول الى جمهورها

وأوضح تعبير عن هده الأزمة أن عشاق السينما لايتعرفون على السينما العربية الا من خلال المهرجانات السينمائية التي تقام في بلادهم وعلى هدا فقد كان مهرجان قرطاج السينمائي فرصة للتعرف على أهم ملامح السينما العربية الجديدة

من الجزائر عرض فيلم « الطاحونة » للمخرج أحمد راشدي والفيلم يحمل معالجة جريئة وجديدة لموضوع السلطة والجماهير ، من خلال ما حدث في فترة التأميمات بالجزائر ، وحيث يختار المخرج احدى المدن الجزائرية « تبيسه » ليصور علاقة رئيس مجلس المدينة بسكانها تلك العلاقة الحميمة القائمة على الاحترام المتبادل والمشاركة الى أن يأتي خبر لمسئول الحزب في المدينة ، بأن الزعيم - رئيس الدولة - سيزور المدينة ولابد من أن تتقدم له المدينة بهدية والهدية بالتأكيد هي مصنع ، أو مكان يطبق عليه التأميم ! ويبحث رئيس المدينة مع زملائه عن أي شيء يصلح للتأميم ، فلا يجدون فالمدينة فقيرة وأهلها يعانون من مشاكل قديمة ومستعصية

ولكن هدا الوضع لايعجب مسئول الحزب ، ويبدأ مع زملائه أعضاء الحزب في البحث عن مكان يصلح للتأميم فلا يجدون غير طاحونة « مسيو فابر » وهده الطاحونة مجرد آلة بدائية فقيرة ، يعمل عليها هدا الفرنسي العجوز الدي رفض العودة الى بلاده وقرر أن يستكمل حياته في هدا المكان مع زوجته

يستطرد الفيلم من هده الفكرة الدكية ، وبأسلوب ساخر ليطرح كل المفاهيم المتصارعة بين محاولة ارضاء السلطة ، ومحاولة التعبير الحقيقي عن الام وأحلام الجماهير

ويلعب الفنان عزت العلايلي دور البطولة في هدا الفيلم - كرئيس لمجلس المدينة الدي يرفض تزييف الواقع وينطق طوال الفيلم باللهجة الجزائرية وأحيانا بالفرنسية ويشاركه أيضا النجم المصري حسن مصطفى » مع عدد كبير من نجوم السينما الجزائرية

ولا يقلل من قيمة هذا الفيلم ، سوى فقدان وحدة الاسلوب الفني ، والسقوط في فخ الايقاع البطيء أحيانا ، واللهث أحيانا أخرى ، والدخول في تفصيلات جانبية ، ومناقشات كلامية كثيرة

سوريا والعراق وتونس

ومن الجزائر أيضا يأتي فيلم « سنوات التويست المجنونة » ليقدم أيضا فكرة جريئة وجديدة عن الثورة الجزائرية ولأول مرة تظهر على الشاشة تلك النماذج من الشباب والعجائز الذين وقفوا من الثورة موقف المتفرج وأحيانا موقف الساخر الذي يجدها فرصة للهو والضحك وأحيانا موقف المتخاذل الذي يهرب من المواجهة الحقيقية مع المستعمر ويكتفي بسماع نشرات الأخبار « سرا ولكن بفضول » والفيلم ينتهي تلك النهاية المنطقية ، بأن الثورة تستقطب الجميع ، حتى الذين هربوا منها ، وذلك عندما يصل المستعمر داخل بيوتهم ، ويهددهم في حياتهم وكرامتهم !

والفيلم شديد الجاذبية والتماسك ومليء باللمحات الفنية الموحية عن سيناريو واخراج «محمود الزموري » ، وبطولة « ماليك الأخضر حامينا » ابن المخرج الجزائري محمد الاخضر حامينا بالاشتراك مع مصطفى العنق

ومن الواقع الساخن في الاراضي العربية تقدم العراق فيلم « العاشق » للمخرج منير فنري ليرمز به للروح الوطنية التي ترفض الاستسلام للمعتدي سواء أكان هذا المعتدي هو الاستعمار أم الاقطاع أم أدعياء الدين

ومن لبنان الملتهبة يخوض المخرج جان شمعون والمخرجة مي المصري تجربة سينمائية مثيرة فقدما فيلما وثائقيا يحمل شهادات سكان جنوب لبنان إزاء الاعتداء الاسرائيلي الوحشي

وهذه الشهادات الصوتية والمرئية للمكان والانسان تفوق أي خيال درامي فالواقع هنا بكل قسوته وبكل صلابة الانسان بتعبيراته الصادقة المجروحة بالالم والاضرار تصل مباشرة الى وجدان المتفرج وعقله ـ مهما كان موقعه ـ فالواقع هنا أكثر تأثيرا وجاذبية وصدقا خصوصا أن الجراح كلها ما زالت مفتوحة ، ولهذا السبب ـ الالتزام بالواقع الحي ـ كان هذا الفيلم « زهرة القندول » … من الفيلم اللبناني الآخر « انفجار » لمخر… حجار

وفيلم « انفجار » يحاول ـ بطريقة تقليدية ـ تجـ[سيد] بعض الأخطاء في المجتمع اللبناني التي أد[ت] … انهيار الوضع الأمني والحرب الطائفية والغزو الاسرائيلي

ومن سوريا يتقدم المخرج « سمير ذكر[ى] … بفيلمه الجديد « وقائع العام المقبل » وقد وقف في … العرض بالمهرجان ، ليهدي الفيلم الى روح الف[نان] شادي عبد السلام الذي عاش يحلم باخراج فيلم « أخناتون » ومات والحلم لم يتحقق

وبطل فيلم « وقائع العام المقبل » هو … الشاب العاشق للموسيقا والذي درس علومها … الخارج وعاد الى بلده دمشق يدرب تلاميذه ويحلم بانشاء فرقة موسيقا أوركسترا ويطل طو[ال] رحلته مع أحداث الفيلم وراء هذا الحلم بين المعوقات الروتينية وأيضا المعوقات الشخصية … الفتاة التي أحبها

والفيلم يقدم العديد من المشاهد السينما[ئية] الجيدة ولكن مايعيبه هو التطويل الزائد والتفريعات الكثيرة واعجاب المخرج بـ… اللقطات التي لاتخدم التسلسل الدرامي بل … الى التشتيت والملل ، ولو اختصر منه ثلث ساعة … الأقل لكان فيلما متميزا

وقد فازت ممثلة الفيلم « نائلة الاطرش » بـ… أحسن ممثلة من مهرجان قرطاج ومن الـ… التونسية لايمكن أن تخطىء العين فيلم « ر… السد » لمخرجه « نوري بوزيد فالفيلم ينبض بالـ… وروح الفن لولا أن مخرجه تورط في … مشاهد الفيلم باعلان الحنين والاعجاب بأيام الـ… وذكرياتهم الجميلة (!!) وكان هذا يرضي … السينما الأوروبية ويطلب منها صك الاعتـ[راف] بفيلمه في نفس الوقت الذي أثار فيها غضب … من المتفرجين العرب واستيائهم

وهكذا تموج السينما العربية بالمحاولات … ولكن ما يدعو للأسف أن تظل هذه المـ[حاولات] محبوسة داخل الحدود الاقليمية دون أن تتاح … الحركة والتنقل والتنفس بين الجماهير العربية

الجديد في العلم والطب

إعداد يوسف زعبلاوي

الاهتمام بتشريح جثث الموتى مجددا

مدرس والاتحاد الطبي الأمريكي يناقش موضوع تشريح جثث الموتى، بالتعاون مع معهد الطب الأمريكي في الولايات المتحدة، فهذا التشريح الذي يحدد أسباب الموت الحقيقية شاع في القرن الماضي، وفي مطلع القرن العشرين، حتى بلغت نسبة الجثث التي شرحوها في مستشفيات الولايات المتحدة قبل حوالي ٤٠ عاما ٥٠٪ من جثث الذين ماتوا في تلك المستشفيات أما الآن فلا تزيد تلك النسبة على ١٣٪، من هنا كان قلق الهيئتين الطبيتين السالفتي الذكر ذلك أن تشريح الجثث لا يفيد في تحديد أسباب الموت الحقيقية فحسب، ولكنه مصدر لايستهان به من مصادر المعرفة الطبية

فتشريح الجثث هوالذي أثبت العلاقة الوثيقة بين التدخين وسرطان الرئة وهو الذي ساعد على اكتشاف مواطن الشدود في أمراض القلب، أضف الى ذلك أنه يحدد مدى الضبط، او عدمه، في التشخيص والعلاج الذي تلقاه صاحب الجثة، والذي قد يكون سبب موته قبل الأوان، فتشريح الجثث اذن يكشف عن الأخطاء التي يرتكبها الأطباء، والتي قد تكون قاتلة فهو اذن يعرض أولئك الأطباء للقضاء والمحاكمة، لا عجب اذن أن قلت حماسة الأطباء والمستشفيات لاجرائه، حتى لم يعد يجرى الا في النادر

وثمة أسباب أخرى للعزوف عن تشريح جثث الموتى، فظهور أساليب التصوير الحديثة مثلcat Scan وسواها ضمن المزيد من الضبط في التشخيص،

وأغنى بالتالي عن ذلك التشريح، أضف الى ذلك الكلفة، فتشريح الجثة الواحدة يكلف ما بين ـ/ ١٠٠٠ دولار و ـ/ ٣٠٠٠ دولار، وبرامج التأمينات الصحية لاتشمل هذه التكاليف، اضف الى ذلك أن الكثيرين يرون في تشريح الجثث تدخلا في خصوصيات أصحابها، وعدوانا على حريتهم، وهذا لا يجوز مطلقا حتى بعد موتهم

وأغرب ما في الأمر أن الجامعات والكليات ومعاهد الطب في الولايات المتحدة ألغت مادة التشريح في برامجها التعليمية فالأسباب التي قد تبرر الغاءه في المستشفيات لا يمكن أن تبرر الغاءه من برامج تدريس الطب في الجامعات فقد كان قوام درس التشريح، وما زلنا نذكر كيف عدل بعض طلاب الطب عن المضي في دراستهم بسبب تشريح الجثث في السنة الاولى من دراستهم، لأنهم لم يتحملوا منظر جثث الموتى، ناهيك

حد العلماء يدعون للعودة إلى تشريح الجثث

بتشريحها الذي كثيرا ما سبب لهم الاعياء

ولعلك تسأل عن كيفية تشريح الجثث في المستشفيات لدى موت أصحابها مباشرة ، واليك موجزا بذلك

١ - يشق الجراح الجثة من أعلاها الى أسفلها على شكل (Y) بحيث يصل الضلعان العلويان الى الابطين ، وينتهي الثالث الى أسفل البطن

٢ - يأخذ الطبيب عينات من الدم والبول وسوائل الجسم الأخرى

٣ - يخرج الطبيب أعضاء الميت الداخلية ، ويتفحصها من حيث اللو والملمس والحجم ، ويستطيع الح م الميت كان مدمنا اذا كان كبده شاح اللون دابلا او انه كان معتل القا اذا كان قلبه منبعجا أو مترهلا متصخما

٤ - ثم يزن الطبيب أعضاء الميت كلا حدة فهو يستطيع استنتاج الكثير أساس وزن تلك الأعضاء واختلافها ينبغي أن تكون عليه

ويرجح البعض أن المناقشة التي تج حاليا في أمريكا ستنتهي بالعودة تشريح الجثث كثيرا أو قليلا

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

تلسكوبات المرايا السائلة

الجزء العلوي من التلسكوب الجديد

طموح العلم والعلماء لايقف عند حد ويصدق هذا أكثر ما يصدق على علماء الفلك وعلى التلسكوبات التي ابتكروها وما زالوا يبتكرونها لمشاهدة المزيد من السماء ، ومعرفة المزيد من حاضرها وماضيها

ففي سنة ١٩٤٨ استكملوا انشاء تلسكوب (هل) على قمة جبل (بالومار) وبلغ قطر مرآة هذا التلسكوب ٢٠٠ بوصة ، وشعر الناس بأن من المستحيل صنع مرآة أكبر من مرآة تلسكوب (بالومار) ، وان هذا التلسكوب هو بلا ريب نهاية المطاف بالنسبة الى الفلكيين

وجاءت سنة ١٩٧٤ ، واذا بالاتحاد السوفياتي يقيم مرصدا على قمة جبل سميرودريكي وقد بلغ قطر مرآة هذا التلسكوب ٢٣٦ بوصة ، فهو ادن أضخم من تلسكوب (بالومار) بنحو ٢٠ /

وتوقف العلماء عن صنع مرايا أك حجما من هذه ، وقد ثبت لهم أن الم الأكبر حجما ليست غير ممكنة فحسب ولكنها غير مرغوبة أيضا فالطاة أن قطر ٢٠٠ بوصة هو قطر دروة ال والفاعلية ، وان المرايا التي يزيد قط على ذلك يقل نفعها بنسبة كبرها

لذلك عمد العلماء الى ابتك التلسكوب المتعدد المرايا ، فأقاموا جبل (هوبكنز) في ولاية (اريزو تلسكوبا بمرايا ست ، وعلى صغر المرايا وسهولة حملها ونقلها وتركيبه فانها تستطيع تجميع الضوء ، وكأن بقطر ١٧٦ بوصة وذلك تبعا لو في الأمكنة المناسبة التي تضمن بالان والانحراف وما إلى ذلك طاقة مع

لتجميع الضوء

وجاءت سنة ١٩٨٦ وإذا بأحد العلماء يبتكر تلسكوب المرآة السائلة ، ويصمم لها قوة تجميع تفوق قوة تلسكوب بالومار بحوالي ٥ أضعاف

أما المخترع فهو (إرماندو بورا) عالم الاستروفيزياء في جامعة لافال في كويبك بكندا غير أن هذا العالم يصر بانه ليس المخترع ، ويؤكد أن اسحق نيوتن عرف أسرار السوائل الدوارة ، وبنى بالفعل أحد التلسكوبات العاكسة الرائدة ، ويؤكد أيضا أن روبرت وود ، من جامعة هوبكز ، بنى سنة ١٩٠٨ تلسكوبا بدائيا على غرار تلسكوبه ولو اتيحت لوود هذا مثل الوسائل التكنولوجية المتاحة حاليا ، لنجح في صنع التلسكوب السائل قبل أكثر من سبعين عاما

وأما التلسكوب المبتكر الجديد فقوامه اناء خشبي بقطر ٤٠ بوصة ، وبعمق قليل نسبيا ، ومملوء بالزئبق السائل ، ويدور الاناء على قاعدة دوارة بطء شديد ، ولكن بانتظام محكم دقيق

ويكمل دورة واحدة كل ٦ ثوان بالضبط ، ويرتفع الزئبق بلطف تبعا لذلك الدوران ، ولكنه لا يتجاوز حافة الاناء ، بل يرتد الى وسط الاناء تماما ، كما يحدث للشاي الذي تحركه بالملعقة وهو في الفنجان ، ويأخذ الزئبق شكل القطع المتكافىء وفقا لقوانين الفيزياء ، وهو نفس شكل المرايا الصلبة في التلسكوبات التقليدية

تُرى هل سيستطيع العلماء بوساطة التلسكوب السائل مراقبة الكون كما كان قبل أن يخلق ويصبح كونا ؟!

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

هرمون لطول العمر

نجح العلماء لأول مرة في الربط بين التعمير وبين ارتفاع مقدار ما يحتويه الدم من هرمون دهياس (Dheas) أو أن شئت اسمه بالكامل (Dehydro- pian Drosterone Sulfate) ومعنى هذا أن في استطاعة العلماء اطالة عمر الراغبين في العمر المديد ، وذلك باعطائهم المزيد من ذلك الهرمون ،

ولكن هل هذا ممكن حقا ؟ !

فالعلماء يجهلون كيف يعمل الهرمون على اطالة العمر وكيف يحد من احتمالات الموت لا سيما في مرضى القلب هذا على الرغم من انه مجرد هرمون ستيرويدي تفرزه غدة الادرينال بل أكثر هذه الهرمونات وفرة في الجسم

* صديق كاتم تعطيه مفتاح عقلك وقلبك معا ـ وأنت آمن ـ ليرى فيهما كل شيء .

(أحمد لطفي السيد)

خامة جديدة لصنع الورق

من المعروف أن الورق يصنع ـ في العالم ـ من الخشب ، ومن المعروف أيضا أن صناعة الورق اعتمدت على ثلاثة أنواع من الخشب ، أو الشجر ، للحصول على الخامة المناسبة لصنع منتجات الورق المختلفة ، غير أن أشجار تلك الأنواع الثلاثة ـ وهي الخشب القاسي والخشب الطري وخشب الكينا ـ كانت تستغرق وقتا طويلا لكي تنضج وتصبح جاهزة للقطع ، وما زالت كذلك . فأشجار الخشب القاسي تحتاج إلى نصف قرن ، وأشجار الخشب الطري التي تعتبر سريعة النمو تحتاج إلى ٢٥ عاما ، لكن شجر الكينا ـ وهو من الأشجار القاسية الاستوائية ـ يتميز على كلا النوعين المذكورين في أنه لا يحتاج إلى أكثر من ٧ سنوات لكي ينمو ويصبح صالحا لاستخدامه في صناعة الورق

لا عجب إذن إن درجت بلاد السويد ـ وهي شهيرة بصناعة الورق وبالغابات أيضا ـ على استيراد خشب الكينا من مواطنه الاستوائية بكميات كبيرة لا تقل عن ٥٠,٠٠٠ طن سنويا ، أما اليابان فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما وظفت مبالغ ضخمة ـ تزيد على ١٧٠ مليون دولار ـ من أجل زراعة شجر الكينا في البرازيل لصالح صناعة الورق اليابانية ، وهي صناعة ناشطة جدا كسائر الصناعات في اليابان

فاجأنا العلماء مؤخرا باكتشاف شجرة أخرى تتفوق على شجرة الكينا تفوقا مطلقا ، إنها (الكناف) ـ واسمها العلمي ...af Hibicus) التي تنمو ويصبح طولها ١٥ ـ ... في أقل من نصف سنة وبالتحديد في ١٥٠ ... وهي وفيرة المحصول ، فالفدان الواحد من الكناف يعطي ٦ أطنان من الخشب سنويا ... هذا لا تختلف شجرة الكناف ـ موطنها شرق ... الاستوائية ـ عن سائر الأشجار الاستوائية من حاجتها إلى خصوبة التربة ، والدفء ، وماء ... وضوء الشمس ، لكنها أشد حاجة إلى ضوء ... من سواها ، فقد ثبت أن الظل يؤذيها

بادرت وزارة الزراعة الأمريكية إلى ... البحوث المخبرية والميدانية على شجر الكناف ... أوسع نطاق ممكن ، وقد أنفقت على تلك ... والتجارب مالا يقل عن ١٠ ملايين دولار ... حتى منتصف عام ١٩٨٦ ، ولعل تلك ... تذهب هباء ، وحسبك أن تلك البحوث والـ... قد كشفت عن مزايا في خشب الكناف لم ... الحسبان . فالورق الذي يصنع من عجينة الـ... الخالصة أو الممزوجة بعجينة عادية أخرى من عجينة الكينا وغيرها ، وأقل حاجة إلى الحبر ... ميزة هامة جدا بالنسبة إلى ورق الجرائد ... الجرائد ـ كما لا يخفى ـ في طليعة ... أنواع ... رواجا

ثم إن ورق الكناف لا يصفر إلا ...

الورق المصنوع من الكينا وسائر الخامات الأخرى ، وتتجلى هده القابلية للاصفرار أكثر ما تتجلى في ورق الجرائد ، ويعزى ذلك إلى مادة لحنين **(Lignin)** اللاستيكية التي توجد في خامات الورق التقليدية ، ولا توحد في عجينة الكناف إلا بكمية محدودة أصف إلى ذلك أن شحن حشب الكِناف أسهل بكثير من شحن الأصناف الأخرى ، فهو يضغط في بالات ، ويخزن بعيدا عن الرطوبة

والجدير بالذكر أن علماء وزارة الزراعة الأمريكية بحثوا مؤخرا في عزل حمائر معينة من شأنها أن تقضي على مادة (اللحنين) ، وتغني صناعة الورق عن استعمال مواد كيماوية سامة قد اضطرت لاستعمالها لتخليص الورق من مادة (اللحنين) وتعرف هذه الخمائر باسم علمي هو (Phanerchaet Chrysosporium)

... وقع الذي اكتشفوا فيه خامة لصنع الورق

السخّام فى القطب الشمالى

كشف علماء البيئة السخام أو الهباب **Soot** حول القطب الشمالي نفسه وقد عثروا ... في بعض البقاع بكميات لا تقل عن كمياته في ... المصانع في الولايات المتحدة الامريكية

ومعنى هذا ارتفاع في درجة الحرارة ومعناه أيضا التلوث الذى اخذ ينتشر حتى في المناطق النائية

ومن شأن السخّام المذكور أن يرفع حرارة المنطقة بقدر يبعث على قلق العلماء فهو يملأ الجو بطبقة لا يقل سمكها عن ٥٠٠ متر ويعمل على تصعيد الحرارة الآتية من الشمس والمنعكسة من سطح الجليد الى فوق

فى مجاهل الأمزون

أعلن العلماء الانكليز عن بعثة علمية سيقومون بها هم وعلماء آخرون من البرازيل ... بعض مجاهل الامزون وذلك بقصد دراسة جامعة تشمل دراسة الأحياء النباتية والحيوانية ... التربة وإعادة الحياة الى الغابات علاوة على الامراض الاستوائية وستبدأ البعثة اعمالها في مطلع هذه السنة وتستمر بها حتى نهايتها

أما الموقع الذى اختاره العلماء لهذه الدرسات الشاملة فهو جزيرة ماراكا غير المأهولة الواقعة في مجرى نهر (اوراديكوريا) في أقصى شمال البرازيل وتبلغ مساحة هذه الجزيرة ٦٠ × ٢٥ كيلو مترا

وتضم البعثة ٦٠ عالما نصفهم انكليز و ٢٠ منهم برازيليون والبقية من دول أخرى مختلفة وستقوم بأعمالها تحت رعاية الجمعية الملكية الجغرافية (الانكليزية)

العربي - العدد ٣٤١ - ابريل ١٩٨٧

أعجوبة معادن القرن العشرين

بقلم : محمد علي النقي*

منذ خمسة آلاف سنة اكتشفت مركبات الألمنيوم ضمن الطين الذي استعمل في صناعة الخزف بوادي الرافدين ، واستخدم المصريون مركباته في صناعة الأدوية ، لكن سبب تأخر البشرية في معرفة الألمنيوم كمعدن منفصل هو خاصيته المميزة في سرعة التفاعل والاتحاد مع المعادن والمواد الأخرى فما هي قصة هذا المعدن القديم الحديث ؟

رغم أن مركبات معدن الألمنيوم استعملت منذ آلاف السنين في منطقتنا العربية إلا أنه لم يعرف بشكل محدد ومنفصل إلا مع بداية عصر الأبحاث والتجارب ، عصر النهضة الصناعية ، وحتى في هذه الفترة كانت كمياته قليلة ، وأسعاره باهظة تفوق سعر الذهب ، رغم أنه يشكل ٨٫١٪ من القشرة الأرضية .

وبعد أن تطورت وسائل الفصل والاستخلاص ، وتزايدت كمياته المعروضة ، أصبح الألمنيوم أحد العوامل الهامة في تطور الصناعة ، فهو يدخل في كثير من أوجه التصنيع في الصناعات الدقيقة والصناعات الثقيلة ، وكذلك الصناعات الخفيفة التي تشمل اللوازم اليومية لحياة الإنسان

وقد ساعد على انتشار هذا المعدن وتنو[ع] استخداماته ماله من خواص ومميزات مفيدة ، تجعل بالإمكان توظيفه في عدة مجالات ، وهذه المميزا[ت] هي خفة الوزن ، وسهولة التشكيل ، وقو[ة] التحمل ، وإمكانية صقله بألوان ، وكونه موصلاً جيداً للحرارة ، ومقاوماً للصدأ ، وعاكساً للكهر[باء] والنور .

ومن الجدير بالذكر أن الأحجار الكريمة كالياقو[ت] الأحمر والأزرق ، والزمرد ، وغيرها من أنواع

* نائب رئيس مجلس ادارة شركة المنيوم الكويت

ورات أك يد الألمنيوم

وقد اشـ اسم الألمنيوم من الاسم اللاتيني لأحد ركباته (سحر الشب) وهو (ألومين) ، وقد أطلق عالم البريطاني السير همفري ديفي عليه ـ بداية ـ اسم لوميوم ، وما لبث بعد فترة (أي في سنة ١٨٠٧م) أطلق عليه اسماً جديداً ، هو ألمنيوم ALUMINIUM ، فلم يلق هذا الاسم القبول من علماء والمختصين ، لكن هذا الاسم سار على ألسنة ناس واشتهر هذا المعدن به

كان للعالم البريطاني السير همفري ديفي اهتمامات اسعة بمركبات هذا المعدن المجهول وأكاسيده ، كان مقتنعاً أن للألومينا أساساً معدنياً ، لذلك بدأت اولاته لاستخلاص هذا المعدن ، لكن محاولاته اءت بالفشل

كمية بحجم رأس الدبوس .

انضم إلى قائمة المكتشفين العالم الدانمركي هانز ستيان أورستيد ، وقد تمكن من إنتاج الألمنيوم لكنه وجاً بالزئبق ، لذا وصفه بأنه معدن ثقيل ، يشبه قصدير في لونه ولمعانه وبعد عشرين سنة تمكن فريدريك فوهلر ـ وهو عالم فيزيائي من جامعة وتنكن ـ من استخلاص الألمنيوم نقياً ، فكان أول ن شاهد الألمنيوم بكمية بحجم رأس الدبوس ،

ان ذلك في عام ١٨٤٥م ، وقد استخدم فوهلر طريقة العالم الدانمركي هانز كريستان اورستيد ، وهي طريقة بسيطة ، تعتمد على التفاعل بين مزيج الزئبق والبوتاسيوم مع كلوريد الألمنيوم ، ومن مزايا هذه الطريقة أنها مكنت فوهلر من تحديد مزايا هذا المعدن وصفاته ، وقد كانت مزايا إيجابية مشجعة ولكن مع ارتفاع التكاليف وبعد ذلك استطاع عالم الفرنسي هنري سانت كلير ـ بعد نجاح تجاربه في حجرة في معامل حافل الكيميائية في فرنسا ـ أن يصنع معدن الألمنيوم على هيئة قضبان عرضت على العامة لأول مرة في عام ١٨٥٥م في معرض باريس

استخدامات الألمنيـــوم :

منذ ذلك العام عرف العالم الألمنيوم كمعدن باهظ الثمن ، ذي صفـات مميزة ومعـريـة ، تستعمله الطبقات الراقية ، فقد كان نابليون الثالث امبراطور فرنسا يتباهى باستخدام الألمنيوم في صناعة أواني مائدته ، كما تباهى أمير آخر بأن (حشخاشته) مصنوعة من الألمنيوم وفي عام ١٨٩٣م صنع تمثال ايـروس من الألمنيـوم النقي ، ووضـع في ميدان بيكاديللي في لندن ، كما صنع من هذا المعدن الشكل الهرمي لقمة النصب التذكاري في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي ربيع عام ١٩٨٦م خرجت العاصمة الفرنسية بأزياء نسائية للسهرة مصنوعة من الألمنيوم

وقد أثارت مزايا هذا المعدن ـ كخفة الوزن وعدم التآكل والصلابة ـ اهتمام الامبراطور نابليون الثالث خاصة بالنسبة لاستعمالـه في صناعـة المعدات العسكرية ، فأخذ يمد العالم الفرنسي هنري سانت كلير بالأموال الطائلة لإجراء تجارب اكتشاف وسائل تمحص من تكـاليف الإنتاج ، وانخفضت التكلفة بالفعل ، لكن رغم هذا ظلت استعمالاته ـ آنذاك ـ محدودة جداً

ثم بدأ الألمنيوم يدخل ساحات الحروب من خلال الآليات والمعدات الحربية ، حتى بات يشكل النسبة الكبيـرة في صناعـة الطائرات الحـربيـة ومهابط الطائرات ، حيث تبلغ نسبة استعمالـه في ذلك ما يقارب ٩٠٪ كذلك في الطرق المؤقتة ، والجسور ، والعبارات التي تكاد تكون كلها من الألمنيوم ، وحتى المتفجرات دخل في صناعة آليتها أجزاء من الألمنيوم ، وقد كانت حرب فيتنام أكبر ساحة حرب استعمل فيها معدن الألمنيـوم ، فعندما انتهت هذه الحرب المدمرة انخفضت أسعاره خلال فترة زمنية معينة

هكذا سار هـذا المعدن بثبات ، نظراً لخواصه ومزاياه العديدة ، يزاحم المواد والفلزات الأخرى ،
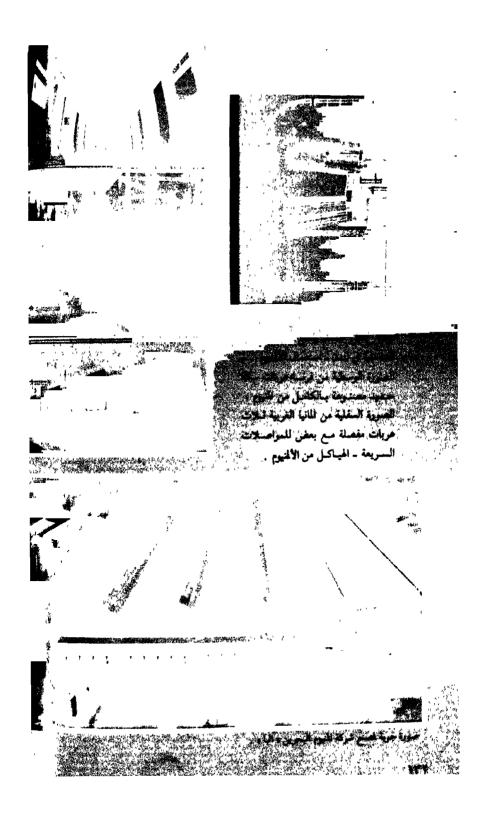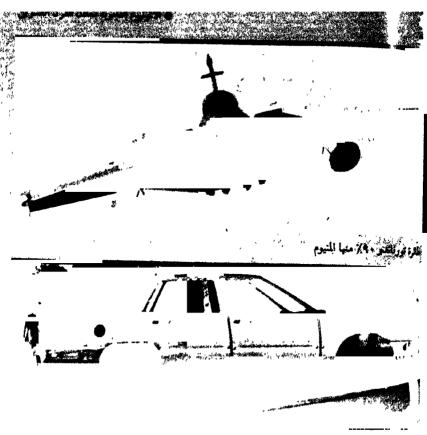
... حديد مصنوعة بالكامل من ... الصورة السفلية من ألمانيا الغربية ... عربات منفصلة مع بعض للمواصلات السريعة ـ الهياكل من الألمنيوم .

صورة جوية لمصنع شركة ...

ويحل محل واحد منها بعد آخر ، إلى أن شاع استعماله في المنازل في الأواني المنزلية ، وعلب المعلبات الغذائية والمشروبات ، وكذلك في المعارض والمكاتب وغرف النوم ، حيث أصبح جزءاً من الأثاث المكتبي والمنزلي شاع أيضاً في الشوارع والأزقة والأحياء ، فأصبح يغطي واجهات المباني والنوافذ والأبواب وغيرها ، وفي وسائل المواصلات كالطائرات والسيارات والزوارق وعربات القطارات والحافلات وعلامات الطرق وإشاراتها ، وفي مجال الطاقة الكهربائية كأبراج نقل الطاقة ، وأسلاك الكهرباء وقضبانها ، وأعمدة النور ، ولم يعد هناك موقع عمل ، أو مسكن أو متنزه إلا وفي أجزاء من تكويناته معدن الألمنيوم ، بل لقد دخل هذا المعدن في صناعة هوائيات الارسال والاستقبال ، والمدرجات ، والكراسي ، والجواخر ، والأجهزة الكهربائية ، والألكترونية ، بل والأقمار الصناعية ، وسفن الفضاء ، ومعدات غزو الفضاء

مصادفات القـــدر :

يعد حدث اكتشاف طريقة فصل الألمنيوم الذي كان لها أكبر الأثر في انتشاره ، وانخفاض سعره ، من عجائب القدر ، ومصادفات التاريخ غير المعقولة ، ففي عام ١٨٦٣م ولد طفلان على صفتي المحيط الأطلسي ، هما بول هيرو في فرنسا ، وتشارلز مارتن هول في الولايات المتحدة ، وعندما أصبحا رجلين استطاعا أن يكتشفا طريقة واحدة لاستخلاص معدن الألمنيوم ، تعتمد على نفس الأسس العلمية ، وهي طريقة إنتاج معدن الألمنيوم بالتحليل الكهربائي ، ولا زالت هذه الطريقة مستخدمة إلى يومنا هذا ، وتسمى طريقة هول هيرو وقد تقدم العالمان في نفس الوقت ـ كل واحد منهما في بلده ـ ليسجلا براءة اختراعهما ، فثارت زوبعة بسبب تشابه الاختراعين ، لكن هيرو وفق إلى تسجيل براءة اختراعه في ٢٣/ ٤/ ١٨٨٦م في فرنسا ، أما هول فاضطر للانتظار مدة تقارب ثلاث سنوات حتى تمت إجراءات تسجيل براءة اختراعه في ٢/ ٤/ ١٨٨٩م ، لكنه لم يقف مكتوف اليدين ، بل سعى جاهداً حتى عرف اختراعه ، وقدر أهمية ذلك الاختراع ولكي يستمر حدث الاكتشاف في غرابته ، شاء القدر أن يتوفى هذان العالمان سوية سنة ١٩١٤م ، وهما لم يتجاوزا الثانية والخمسين من العمر

وفي عام ١٨٨٨م أوجد الكيميائي الألماني النمساوي كارل جوزيف باير طريقة متطورة لإنتاج معدن الألومينا النقي من خامات البوكسايت المحتوي على نسبة قليلة من السيليكا ، وتعتمد طريقة باير أساساً ـ على الطاقة الحرارية العالية أكثر من اعتماده على الطاقة الكهربائية ، وبذلك لا تحتاج هذه الطريقة إلى الكميات الهائلة من الطاقة التي تمتص المصهرات ، لكنها معقدة التطبيق لهذا تعتبر طريقة (باير وهول هيرو) أفضل طريقة .

وفي عام ١٩٠٧م توصل الكيميائي الألماني (فيلم) إلى اكتشاف عملية تقسية أمكن بواسطتها تطوير سبائك الألمنيوم ، بحيث تكتسب صلابة مماثلة للحديد ، مما يساعد على استخدام هذا المعدن الحديث في الاستعمالات المعمارية وفي سنة ١٩٠٩م تم اكتشاف (دورا لومين) ، وهي سبيكة خليط من الألمنيوم والنحاس والمغنيسيوم والمنغنيز ولهذا كان لاكتشاف (هول) و (هيرو) و (باير) أهمية كبيرة في استخلاص معدن الألمنيوم ، وإنتاجه بأسعار مناسبة وتجارية

والألمنيوم معدن غير قابل للاحتراق ، صحي غير سام ، خفيف الوزن ، قابل للسحب والطرق مقاوم للتفاعلات الكيميائية ، موصل جيد للحرارة والكهرباء ، يتميز النقي منه بالمتانة ، وقد تطورت أساليب صناعته ، وتطورت استعمالاته واستخداماته ، ولهذا اتفق على تسميته أحد العجائب للقرن العشرين

شارلز مارتن هول
- أمريكي

بول لريس توسايست
- فرنسي

رص وطلب

كان لاكتشاف (هيرو) و (هول) تأثير فوري
انخفاض سعر الألمنيوم إلى ٤/٣ السعر السائد قبل
كشاف وذلك خلال بضع سنوات ، كما ارتفع
انتاج العالمي بثبات من ١٧ طناً عام ١٨٨٦م إلى
ثر من سبعة آلاف طن في عام ١٩٠٠م ، وفي عام
١٩٢م وصل الانتاج العالمي إلى (٧٥٠٠٠٠)
سبعمائة وخمسين ألف طن ، وفي عام ١٩٤٥م
صلت الطاقة الإنتاجية العالمية إلى مليوني طن ،
ن الطلب بدأ يقل على الألمنيوم بعد الحرب العالمية
انية ، حتى سنة ١٩٥٣ م

وفي الوقت الحاضر وصلت الطاقة الانتاجية
طلة العالمية للألمنيوم الأولي إلى ما يزيد على خمسة
ر مليون طن ، عدا إنتاج الدول الاشتراكية ،
ذا إضافة إلى أربعة ملايين طن من الألمنيوم
لخردة) المعاد تصنيعه

ومن هذه الكمية ينتج الوطن العربي في البحرين
ن ومصر كمية تقارب ستمائة ألف طن سنوياً ،
أن لدى هذه الأقطار خططاً للتوسع وهناك
ساريع المملكة العربية السعودية والعراق
لجزائر حول هذا المجال ، في حين أن ليبيا قد
أقدت بداية عام ١٩٨٥م على انشاء مصهر
ألمنيوم منطقة (وارة) ، ويشمل المشروع محطة
لتوليد الكهرباء ، ومصنعاً لفحم الكوك ، وميناءاً

بحرياً ، إضافة لمصهر الألمنيوم ، وتكلفة هذا المشروع تبلغ بليوني دولار ، وتعاقدت إمارة (أم القيوين) في دولة الإمارات العربية المتحدة على انشاء مصهر المنيوم سمي «شركة المنيوم أم القيوين»، وذلك في بداية عام ١٩٨٦م

الألمنيوم في الوطن العربي :

كان لاستخراج النفط والغاز الطبيعي في منطقة الخليج في وطننا العربي أثر كبير في التوجه نحو صناعة الألمنيوم ، حيث أن هذه الصناعة بحاجة إلى كميات هائلة من الطاقة ، ولأن مصادر الطاقة ومنابعها تعد قوى جذب وإغراء لتوطين هذه الصناعة ، وكذلك كان لمشروع السد العالي العالمي أثر كبير للتفكير في إنشاء مصهر الألمنيوم

كانت وزارة المالية الكويتية في بداية الستينيات من هذا القرن هي أول جهة عربية أعدت دراسة لمشروع مصهر الألمنيوم في الوطن العربي ، عندما كان صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت وزيراً للمالية حينذاك ، وذلك للاستفادة من الغاز الطبيعي الذي كانت الاستفادة منه في ذلك الحين محدودة وعندما أنشئت هيئة الشعيبة الصناعية أعد لمشروع مصهر الألمنيوم الكويتي موقع في ميناء الشعيبة البحري ، إلا أن المشروع تأجل لأسباب من ضمنها سببان مهمان ، أولها التلوث البيئي الذي يمكن أن يسببه المشروع ، والثاني الكثافة العمالية والفنية التي يحتاج إليها المشروع ، لكن البحرين كانت مستندة إلى أوضاع السوق العالمي للألمنيوم ، وإلى توفر الطاقة ، وتوفر العمالة المحلية ، عندما أجرت الدراسات ، وأقرت إنشاء مصهر البحرين للألمنيوم ، ثم صدرت في انشائه براءة أميرية في ١٩٦٨/٨/٩م وقد كانت القطر الأول في الوطن العربي الذي بدأ إنتاجه في مايو ١٩٧١ . وشركة مصهر البحرين للألمنيوم - حالياً - تملك منها الحكومة البحرينية ٧٥,٩٪ ، وتملك منها حكومة المملكة العربية السعودية ٢٠٪ ، أما الباقي فمساهمات

العمليات والمراحل اللازمة لانتاج طن واحد الألمنيوم

صورة من قسم السبك في شركة مصر للألمنيوم

لشركات عالمية وقد تجاوزت الشركة طاقتها الإنتاجية المقدرة ، وطورت مصانعها في مراحل مختلفة ، وهي ـ في الوقت الحاضر ـ تخطط لزيادة طاقتها الحالية لتصل مع نهاية ١٩٨٧م إلى مائتين وعشرين ألف طن وللشركة ميناء بحري خاص ، إضافة إلى محطة توليد الطاقة ، ومعمل الكربون لإنتاج كتل الوقود

ثم تلت مصر البحرين ، فقررت إنشاء مصهر المنيوم في منطقة نجع حمادي القريبة من مصادر الطاقة المتولدة من مشروع السد العالي ، وهذا المصهر يستهلك كمية كهرباء تزيد عن ٣/١ ثلاثة مليارات ونصف كيلوات في الساعة سنويا ، وهذه الكمية تشكل ثلث كمية الكهرباء المنتجة من مشروع السد العالي وقد كان المشروع ـ أساساً ـ بالتعاون الفني مع الاتحاد السوفيتي ، ثم أجريت توسعات على مراحل مختلفة لزيادة الإنتاج وتطويره ، حتى بلغت الطاقة الإنتاجية للمصنع ١٧٠ ألف طن ويبلغ إجمالي (الكوادر) البشرية ١٠٤٠٥ من مختلف فئات المجتمع المصري وللمصنع ميناء نهري بنجع حمادي ، وميناء بحري على البحر الأحمر في سفاجا ، ولشركة مصر للألمنيوم مدينة سكنية متكاملة من جميع النواحي ، تشتمل على الأنشطة الاقتصادية والتعليمية والصحية والزراعية وغيرها ، ثم أنشيء ثالث مصهر في الوطن العربي ـ وهو الثاني في الخليج العربي ـ في دبي (الإمارات العربية المتحدة) وقد بلغت طاقته الإنتاجية ـ بعد التوسعات التي أجريت ـ ١٧٠ ألف طن متري سنويا ويعتبر من أحدث مصاهر الألمنيوم

أما بالنسبة لخامات هذا المعدن فقد أثبتت التجارب أن في وطننا العربي مناجم لخاماته ، منها مثلاً ما أعلنته وزارة البترول والثروة المعدنية بالمملكة العربية السعودية عن الاكتشافات التي تمت في منطقة الزبيرة ، والتي ما زالت الدراسات تجري للتأكد من الجدوى التجارية للمشروع ، خاصة أن المنطقة التي اكتشف بها خام البوكسايت بحاجة إلى طرق للمواصلات ، وإلى المتطلبات الأساسية للمشروع وبالنسبة للألمنيوم نصف المصنع (الألمنيوم الثانوي) كان لبنان هو القطر العربي الأول في الوطن العربي الذي بدأ صناعة (البثق) بالتعاون مع شركة (بتشينيه) الفرنسية التي انتشرت منتجاتها على الساحة العربية دون منافس ، فترة زمنية تعدت عقداً من السنين ، ثم تلتها مصر التي حصرت إنتاج مصنعها لتلبية حاجات مصانعها الحربية

الكويت والألمنيوم

أما الكويت فكانت الثالثة من حيث إنشاء مصانع البثق ، لكن الإنتاج تأخر لأسباب إدارية ، فسبقتها البحرين في إنتاج قطاعات الألمنيوم من مصنع بثق الألمنيوم ، ثم تلتها المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ، ثم العراق ، وسوريا ، ومصر ، والأردن ، وتونس ، والمغرب

ومنذ بداية العقد الحالي بذلت جهود مكثفة من جهات مختلفة في أرجاء وطننا العربي للم شمل القائمين على صناعات الألمنيوم ، منها منظمة الخليج للاستشارات الصناعية التي دعت سنة ١٩٨٠ المصنعين في الدول الأعضاء في المنظمة إلى ندوة لاستعراض استراتيجية صناعة الألمنيوم ، وندوة الأواني المنزلية في ديسمبر ١٩٨٤ ، ومنها أيضا الجامعة الأمريكية في مصر التي دعت سنة ١٩٨٠ الصناعيين في جمهورية مصر العربية إلى مؤتمر الألمنيوم المصري ، أما شركة ألمنيوم الكويت فبالتعاون مع غرفة تجارة وصناعة الكويت والاتحاد العربي للصناعات الهندسية ومنظمة اليونيدو الدولية أقامت المؤتمر العربي العالمي الأول للألمنيوم الذي انعقد في ٢٣/١٠/١٩٨٣م ، وقد دعي إليه جميع مصنعي الألمنيوم في الوطن العربي ، وعدد من الاتحادات والهيئات والشركات ذات الاختصاص ، وقد حقق المؤتمر نجاحاً عالمياً ، وكان أول لقاء على المستوى العربي ، كما كان بمثابة تظاهرة عربية وفي مجال

لؤتمر الحد قراراً بانعقاده كل سنتين ، وقد تم انعقاد لؤتمر العربي الثاني للألمنيوم في اكتوبر ١٩٨٥م في لقاهرة في جمهورية مصر العربية ، وسينعقد المؤتمر لثالث في ٢٣/ ١٠/ ١٩٨٧م في مدينة دبي (الإمارات لعربية المتحدة)

الآن قد انقضى قرن كامل على اكتشاف بول هيرو وشارلر لأسس صناعة الألمنيوم ومقوماتها ، رباسلوبها المتطور الحديث ، دي التكلفة المتدنية ، وانتشرت هذه الصناعة عالمياً ، وتطورت استعمالاتها ومجالاتها وبالرغم أنه لم يمض ربع قرن مد أن تعانقت هذه الصناعة بوجهها الحديد مع مرابعنا الخيرة فقد أصبحت هذه الصناعة لدينا حقيقة رائعة ، وعلى مستوى الوطن العربي باتت تشكل ثاني أهم صناعة بعد صناعة البترول ومشتقاته « البتروكيماويات » أفلا يحق لنا أن نفخر بذلك ؟

لكن أين نحن من هذا المطاف الصناعي ؟ هل أنهيناه أم لا زلنا نسير فيه ؟ وإلى أين المسار ؟

ستظل هناك تساؤلات تطرح على صناعة الألميوم ، سواء الخليجية منها خاصة أو العربية عامة

إن منطقتنا التي تنتج ٢/ ٣١/ من الإنتاج العالمي للألميوم الأولي ـ وبغض النظر عن البرامج الوسمية ، والتوقعات المستقبلية لمضاعفة هذه السنة ـ هي بداتها تعكس مدى أهميتها عالمياً فما هي العناية والرعاية التي تحظى بها هذه الصناعة لدينا ؟

ـ هل تتناسب النمو العمودي لصناعة الألمنيوم القائمة حالياً مع النمو الأفقي لمجالات صناعات الألمنيوم وهل النمو الأفقي مجدٍ ، أم هو بحاجة لمساعدة لدعم والتشجيع ؟

ـ ستحق الاتحاد العربي للألمنيوم أن يرى النور ـ في مصاف اتحادات الألمنيوم الإقليمية والعالمية ومن أي مربع من مرابع العروبة سيبزغ نوره الموحود ؟ □

ابراج الكويت

استخدم فيها خمسون طنا من الالمنيوم ، بلغ مجموع قطاعات الالمنيوم المستخدمة في انشاء ابراج الكويت عشرين قطاعا من النوع المفرغ ومدعمة بجسور داخلية والانسودة كانت باللون الفضي وبسماكة ٢٥ مايكرون .

أما وحدات الالمنيوم فهي على هيئة مثلثات بأحد عشر قياسا مختلفا . . . . . مع العلم بأن طريقة وصل زوايا المثلثات كانت باللحام المستمر مع اسلاك المنيوم

عدد الأبراج ثلاث

* الاصغر . . للانارة
* الاوسط . . . . . في منتصفه كرة تستعمل كخزان مياه
* الاكبر . . . . حجما وارتفاعا (١٨٧ مترا) ويتخلله كرتان :

السفلية : وهي اكبر الكرات يستخدم نصفها العلوي كمطعم وصالة استراحة ، ونصفها السفلي كخزان مياه .

العلوية : هي اصغر الكرات حجما وفيها استراحة دوارة

والكرات الثلاث مكسية من الخارج بأقراص مطلية بثلاث طبقات من المينا الملونة ويبلغ عددها ثلاثين الف قرص بسبعة ألوان مختلفة ما بين الأزرق والاخضر والرمادي وبثلاثة أقطار بطول ٤٠ سم ، ٣٠ سم ، ٢٣ سم .

بين الفن والسياسة

بقلم : جمال قطب

« كانت حسناء زمانها ، وفي صالونها نجوم العصر في الأدب والفن والسياسة ، بينما كان الفنان يرسم صورتها لمح صورة أخرى لها ، قد رسمها تلميذه ، فجمع فرشاته وألوانه ، وترك لوحتها قبل أن تتم » .

. التي رسمها لمدام ريكاميه واهتم فيها باصفاء الذكاء والرصانة على شخصيتها

باريس عاصمة فرنسا ومدينة النور .. لها تاريخ ذو شئون وشجون مع الفن والفنانين والثقافة الانسانية بصفة عامة ، ولا يمكن لأي باحث في مجال الفنون الجميلة إلا أن تكون باريس محورا لاهتماماته ، وذلك منذ أفول عصر النهضة الايطالي بأساطينه العظام في القرن السادس عشر ، لكن معظم الآثار الفنية ذات القيمة التي ظهرت في فرنسا خلال القرون الثلاثة التي سبقت الثورة الفرنسية كان إما مستوردا أو مسلوبا باعتباره من غنائم الحرب

ومنذ أن استقدم الملك فرنسيس الأول في عام ١٥١٦ رسام عصر النهضة الايطالي الأشهر « ليوناردو دافنشي » لتزيين البلاط الفرنسي بإبداعاته أصبح الاهتمام بالفن وإكبار شأنه من التقاليد المتوارثة بين رجال الحكم في فرنسا ، فلما حل القرن الثامن عشر - وهو قرن الصحوة الفنية والوعي الثقافي في عواصم العالم المتحضر آنذاك - وجدنا أن البلاط الفرنسي قد استقطب خيرة الرسامين الذين أنجبتهم البلاد ، فوجدوا أنفسهم منساقين إلى إرضاء تلك الطبقة الارستقراطية المترفة ، فبالغوا في إظهار الجماليات المثالية ، والابهارات البصرية ، بكل ما تنطوي عليه من الانغماس في البهرجة والرونق والبريق الزائف ، حتى صارت أعمالهم الناعمة الحالمة أقرب إلى الخيال الوردي من تجسيد الواقع ، وكانت تقوم أساليبهم على الزخارف والأقواس الملتفة في انحناءات لينة ، كأنها قواقع تلتف حول بعضها ، ولذلك عرف هذا الأسلوب في تاريخ الفن باسم « الروكوكو » Rococo ، وهو اسم مقتبس من الكلمة الفرنسية Rocaille، ومعناها النقوش القوقعية الشكل ، كما أطلق على هذا النوع من الفن اسم (فن البلاط)

وهنا يختلف الأمر بين جدية الأبحاث الفنية والمضامين الرصينة التي رأيناها في فن عصر النهضة الايطالي في القرن السادس عشر ، وبين هذه الابهارات الشكلية المترفة التي غرق فيها د البلاط (الروكوكو) الفرنسي في القرن الثامن عشر

فالأول فن عبقري ، ذو قيم عبقرية مبدعة ، والثاني فن زخرفي ، يقوم على إرضاء متطلبات البذخ و (الارستقراطية) وكما هو معروف ، فإن لكل فعل رد فعل ، وبقدر التطرف في الأمور تكون ردود أفعالها متطرفة ، فقد حدث في عهد لويس الخامس عشر أن كشفت الحفريات التي كانت جارية حينذاك في ايطاليا عن أطلال وتماثيل وصور فنية رومانية تحاكي في رصانتها الفن الاغريقي القديم (وهو أصل الفن الروماني) ، فكانت هذه المكتشفات بمثابة بعث جديد للروح الوطنية في نفوس الشباب الأوروبي كله ، ووجد فيها الفنانون متنفسا للتحليق في آفاق الأصالة والتراث العريق ، وتمردا - في الوقت ذاته على فن الرفاهية الزائف (الروكوكو) ، وأصبح هذا الشعور الدافق بالوطنية الشعبية يمثل حركة فنية مستعرة ، تزعمها رسام شاب ، قدر له - بعد ذلك أن يصبح فنانا عظيم الشأن والنفوذ ، هو (جاك لويس دافيد) كان نهج دافيد في الفن هو العودة في التاريخ الروماني ، ليتتقي منه المواقف البطولية والموضوعات الوطنية ، ويصيغ منها لوحاته ، و سيما بعد قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ والتهاب الشعور الفرنسي العام ، وتحوله إلى تيار جارف ، ينادي بالحرية في الشعوب الأوروبية كلها ، وقد دعمت الثورة فنانها (دافيد) بانتخابه عام ١٧٩٢ عضوا بالجمعية الوطنية ، وعضوا بمحكمة الثورة الفرنسية كذلك ، فأصبح رئيس المصورين في فرنسا ، يسير بأمره كل ما يتعلق بشئون الفن ، فقضى بقبضته الحديدية على كل أثر لمدرسة (الروكوكو) ، وفرض مذهبه الجديد المرتكز - أساسا - على العودة إلى الجذور ، وإلى الكلاسيكية الاغريقية القديمة ، تلك التي تتميز بالـ ... الهادىء ، وبالأسلوب الرصين البارد المتزن ... الخطوط القوية المستقيمة ، وقد سمى هذا ...

سم الكلاسيكية الحديدة ، أو الكلاسيكية
الثلة وإذا كان (دافيد) قد جعل الرسامين في
ره يحسون بأن المقصلة في انتظار رقابهم إذا لم
وا في لوحاتهم بسقوط (الروكوكو) ، وبحياة
لاسيكية الحديدة ، فلا شك أن هذا هو السبب
بسي في انهيار مدرسته بعد أفول نجم الثورة
سية التي نصبته حاكما للفن ، وبذلك صرب
صارخا للاستبداد الفكري في التاريخ
مي دافيد إلى بروكسل عام ١٨٢٥ ، عقب
سار نابليون ، ونفيه إلى (سانت هيلانه) ، وبقي
د في منفاه حتى وافاه الأجل وإن كانت أهدافه
بة وطنية خالصة ، قد تم بها تحرير الفن الفرنسي
ميوعة الأداء ، والانغماس في الزخرف السقيم ،
أن (دكتاتوريته) الطاغية لم تترك أدنى قسط
سانين - في عصره - من الاختيار ، أو الاقتناع
رية ، بدلا من إلزامهم برهبة متسلط جبار
ر تاريخ الفن لدافيد نفسه - كفنان - أنه أحد
اقرة العظام عبر قرون التاريخ ، فله إبداعات
مة كثيرة ، يزدان بها كثير من المتاحف داخل فرنسا
سارجها ، من أهمها رائعته الشهيرة « مدام
كاميه » التي رسمها عام ١٨٠٠ ، وهي إحدى
ب متحف اللوفر المميزة ، يقف أمامها زوار
حف الكبير مشدوهين ، يبحثون عن شيء ما ،
تتركز عيونهم على أسفل اللوحة من جانبيها
س ، فيدركون أنها لوحة لم تكتمل ، ولهذا قصة
مرفها بعد أن نستعرض معا حياة صاحبة اللوحة ،
اتنة الفرنسية مدام ريكامييه .

سنا العصر بين الفن والسياسة

كان أجمل نساء ذلك العهد المليء بالمتغيرات
لتحـ ت والحركة والحيوية والحروب والثورات ،
كان مصدر إلهام للفنانين في عصرها من رسامين
معر أدباء وسياسيين . يذكر التاريخ أنها قادت
ولا سيا في مفاهيم الطبقات المثقفة ، وارتدت

صالون مدام ريكامييه كانت تتصدره صورتها التي رسمها لها جيرار

بالذوق الفرنسي - في وقت العنف والثورة - إلى سابق عهده من الرقة والشاعرية ، كان اسمها (برنار) ، وهي فتاة رائعة الحسن ، آسرة الجمال ، رشيقة القوام ، ساحرة اللحاظ وعلى الرغم من هذه الفتنة الصارخة التي ينبض بها جسدها الرشيق ظل أبوها لا يطمح إلا إلى زواجها من رجل مناسب ، من طبقته الوسطى التي ينتمي إليها ، وساق القدر إلى طريقها أحد الأثرياء البارزين في المجتمع الفرنسي ، وهو (جاك ريكامييه) الذي ما أن وقع بصره عليها حتى أسرع إلى والدها الطبيب يطلب يدها ، ورغم أن فارق السن بين ريكامييه وبرنار كان كبيرا - كان أكبر من والدها - إلا أن سلطان المال قد أذاب كل الفوارق ، فهو أحد رجال المال والبنوك المرموقين في باريس .

تم زواجها وهي لم تزل في الخامسة عشرة من

عمرها ، وحملت الاسم الذي عرفت به في التاريخ ، وهو مدام ريكاميه كانت هذه الفاتنة متوقدة الذكاء ، ذات تطلعات طموحة ، وآمال عراض ، كرست فكرها وأعدت نفسها لبلوغ غايات كبيرة ، فأقبلت على الاطلاع . وتعلم اللغات . واكتساب الثقافة ، وقد أتاح لها ثراء زوجها أن تقيم صالونها الشهير لرجال الفن والأدب والسياسة ، يؤمونه كل مساء . ملتفين حولها ، وكانت بينهم كالنجمة المتألقة . تنتقل في رشاقة من مكان إلى آخر كالفراشة المبهجة . يتأملها الفنانون والشعراء . فيبادرون إلى إفراز انطباعاتهم فنا وشعرا ، ينير وجه الحياة

كان ريكاميه يعرف - تماما - ان زوجته فاتنة ساحرة آسرة وأنها مطمع لهذا الجمع الراقي الذي يلتف حولها في الليل والنهار، لكنه كان يتباهى باقتنائها كما يتباهى باقتناء التحف النادرة والدرر الثمينة فهذا يكفيه !

كان ذلك الجمع نخبة مختارة من رجالات الدولة ومفكريها وفنانيها ومن العجب اننا رأينا مسيو ريكاميه يفخر في احاديثه بجمال زوجته وبعشاقها - أيضا - من هؤلاء الرجال العظام . والمعروف ان المعايير في أخلاقية العلاقات آنذاك لم تكن بنفس مقاييسنا التي تحكمها القيم والنخوة والفضيلة . ومن هؤلاء الكبار الذين أوقعتهم في حبائلها وهم من رواد صالونها الشهير لوسيان بونابرت . والبرنس اوجستاس ، وشاتوبريان وقد حظي شاتوبريان (وهو من أعظم الساسة والأدباء في فرنسا) بمنزلة خاصة لدى مدام ريكاميه ، فقد كان يقاربها في السن ، حيث كان من مواليد عام ١٧٦٧ بينما كانت من مواليد عام ١٧٧٧ ، ولهذا أثمرت هذه العلاقة الوطيدة بينهما عن أعمال خالدة لشاتوبريان ، تعتبر من آيات الأدب العالمي

على الرغم من مآثر هذه الفاتنة على الفن والفنانين يجد الفنان نفسه أمامها بين شقي رحى ، يبدع فنا

فرنسا ... انتهى ... [illegible] ... ريكاميه فقد ... من باريس بعد ... استهدفته لنشوره في عهده

ويحلق في نور الهامها ، أو يحترق بنارها في بعض الأحيان . كما حدثنا بذلك تاريخ الفن في نسخ كثيرة عن ضحايا الملهمات الفاتنات ، وإن كان صالون مدام ريكاميه منتدى من أهم صالونات الفكر والفن في باريس وكان يؤمه صفوة من نخبة في جميع المجالات ، إلا أن الرجل هو الرجل مكان وزمان ، وليس من المعقول أن يرى امرأة ذات جمال أخاذ ويستطيع أن يقاوم سحر الطاغية ، ولذلك وجدنا أن هذه الحسناء قد ... عقول كثيرين ، وعبثت ما طاب لها العبث ... الرجال ، حتى تألقت في المجتمع الفرنسي ... لها من النفوذ السياسي ما جعل نابليون بونابرت ...

ا عن فرنسا كان طموحها قد دفعها إلى أن
م أنصار الملكية المناهضين لسياسة نابليون
الات الثورة ، وفي عام ١٨٠٥ نكب زوجها
ائر مالية جسيمة أتت على ثروته ، وانفض
ع من حولها ، ولم يبق منهم إلا صديقها المخلص
، فرنسا المرموق شاتوبريان ، وقد كان ـ في واقع
ر ـ هو سيد القصر بلا منازع عاشت مدام
كاميه حتى الثانية والسبعين من عمرها ، وماتت
١٨٤٩ ، بعد أن فارق الحياة رفيق عمرها
وبريان قبلها بعام واحد

تكتمل اللوحة

ذكرنا أن لوحة دافيد لملهمته الفاتنة لم تكتمل في
ض جوانبها ، وقلنا إن لذلك قصة ، فقد أقبل
نان (زعيم فناني فرنسا) على رسم اللوحة مبهورا
جمال مدام ريكاميه ، وشخصيتها ، وحاديثها ،
توالت الجلسات ، حتى أشرفت اللوحة على
نهاية ، لكن الفنان اكتشف في ركن قصي من
ذا البهو الكبير الذي كان يرسم فيه أن هناك لوحة
ى للفاتنة ، يرسمها لها تلميذه جيرار ، ولم يكن
الفنان السهل ، فقد شب عن الطوق ، وأخذ
ـ أستاذه في رسم كبار الشخصيات ، بل لقد
ه أسلوب نفسه ، وعندما فوجيء دافيد بمنافسة
له في رسم حسناء باريس ، وفي ذات الوقت
ـ لها صورتها ، وفي نفس المكان من
ـ م على أن يتوقف عن العمل عند هذا
ـ عندما أكملت الفاتنة زينتها ، ودخلت البهو
ها أمام الفنان دافيد لم تجده ، بل وجدت
ـ عليها « إني أعلم أن للغانيات هوى
ـ ، ولكن للفنان أيضا كرامته التي إذا
ضاع منه كل شيء ـ فاسمحي لي أن
العمل بلوحتك عند هذا الحد ، ويكفيك
اللوحتين ستكون مكتملة تماما ، وأنا

لا أنتظر منك شكرا وبالرغم من أن لوحة دافيد قد حظيت بالنصيب الأوفر من الشهرة والتقييم الفني

كانت مدام ريكاميه تعتز أكثر بلوحة جيرار ، لأنه أضفى عليها جمالا وحيوية أكثر من لوحة أستاذه

* الفنان الفرنسي جاك لويس دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥)

دافيد ، كما أنه قد اقتطع من سنها عدة سنوات ، فبدت في لوحته (التي انتهى من رسمها عام ١٨٠٢) كأنها لم تبلغ العشرين بعد والمرأة هي المرأة دائما

أما دافيد ـ وهو صاحب مذهب الكلاسيكية الجديدة ذات الجمال البارد الرزين ـ فقد افتقر في تعبيره إلى الشحونة ، والاثارة التي كانت أهم ما تحرص عليه حسناء باريس ! وعندما ننظر إلى الصورتين نرى أن جيرار قد نجح في إضفاء هذه المعاني على ملهمته العابثة اللعوب !

هكذا كانت مدام ريكاميه ذات جمال وطموح وذكاء متقد ، ولذلك سيطرت على عقول الرجال وقلوبهم ، فليس بالجمال وحده ، ولا بالذكاء وحده ، تتربع حواء على عرش التألق في دنيا الرجال □

العربي ـ العدد ٣٤١ ـ ابريل ١٩٨٧

أرقام

بقلم · محمود المراغي

انفجار الترمومتر!

قديما ، كان العالم مدينا للعرب بالكثير في مجال العقائد السماوية و المعارف الانسانية على السواء

حديثا ، أصبح العرب مدينين للعالم المتقدم مرة في مجال العلوم والتقنية ، ومرة في مجال المال والاقتصاد

وقد استغرق ذلك فترة زمنية طويلة لكن ايقاعا مختلفا كان في الفترة الأخيرة ، فاعتمادنا على الخارج يتزايد سواء في مجال العلوم أو مجال المال ، والأخير يستوقف النظر

الكثيرون يتحدثون عن حقبة الرخاء التي شهدتها المنطقة العربية بعد ارتفاع أسعار النفط في بداية السبعينيات ويتحدثون عن وفرة تجاوزت دول الفائض الى دول العجز ، نتيجة التعاون الاقتصادي ، وانتقال العمالة ، كما يتحدثون عن الأموال عابرة القارات التي فاضت عن الحاجة اليومية للوطن العربي في بعض اللحظات

ولكن

وعندما خيمت على العالم أزمة جديدة اسمها أزمة المديونية وعندما تهدد الموقف الاقتصادي في كثير من البلدان الدائنة والمدينة على السواء وخيّم شبح الافلاس والتوقف عن السداد ...رزت المنطقة العربية كواحدة من المناطق التي تتفاقم فيها المشكلة

. كم . . وأين ؟

تختلف المصادر حول مديونية الوطن العربي وتزداد الحيرة اذا حدث اقتراب من منطقة مهمة اسمها القروض العسكرية و مع ذلك فالأرقام المعلنة تضع مؤشرا واضحا للمشكلة

تقول بيانات أولية أذيعت في ندوة أخيرة بمدينة عمان أن ديون العرب المدنية ـ غير العسكرية وغير القصيرة ـ قد بلغت (١٥٤,٤) مليارا من الدولارات في اكتوبر ١٩٨٦

يلفت النظر في الرقم الذي أذاعته مصادر مصرفية العديد من الأمور

الأمر الأول وفقا للأرقام المتاحة ، ...ت مديونية العرب غير العسكرية (٢٠) مليار من الدولارات في الشهور العشرة الأولى من ...ام ١٩٨٦ بمعدل مليارين كل شهر أو ما ...ب السبعين مليونا كل يوم ! وعلى هذا النحو فقد ...اد

حجم المديونية من (١١٩,٥) مليارا في نهاية ١٩٨٤ الى الحجم الجديد (١٥٤,٤) مليارا في اكتوبر ١٩٨٦

الأمر الثاني أن الديون لم تستثن أحدا على وجه التقريب ، فعدد الدول المدينة (١٩) دولة ، ولم تفلت غير دولتين السعودية والكويت وان كان آخر تقرير لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية الصادر في ديسمبر ١٩٨٦ يضيف الدولتين في بند آخر ، هو بند الديون التجارية التي تقترضها المصارف والمؤسسات التجارية ، وبحجم كبير بلغ (١٣,٤) مليارا بالنسبة للسعودية ، وتسعة مليارات بالنسبة للكويت في عام ١٩٨٥

ويشير نفس المصدر الى تحول خطير في هيكل المديونية العربية ، فبينما كان الاقتراض في معظمه منذ سنوات من مصادر رسمية كالحكومات والمؤسسات الدولية ، وبينما كانت هذه المصادر تعطى بشروط ميسرة وآجال طويلة تزايد في الآونة الأخيرة الاقتراض من المصارف التجارية بشروط صعبة وفوائد عالية

بتحليل الأرقام أيضا ـ وهو الأمر الثالث نجد أن درجة من التركز قد حدثت ، فهناك ست دول هي مصر ، والامارات ، والجزائر ، والمغرب ، والعراق ، والسودان ، قد بلغت مديونيتها المدنية وحدها (١٠٩) مليارات ، أي مما يعادل ثلثي قروض العرب على وجه التقريب ، و بينما بلغت أكبر مديونية لمصر (٤٢,٦) مليار دولار هبطت مديونية ثلاثة بلدان الى تحت المليون ، وهي البحرين ، وقطر ، وجيبوتي ، وتشير الأرقام الى أن القروض لم ترحم دولا نفطية أو غير نفطية فمن المجموعة الأولى (دول النفط) تبرز مديونية الامارات العربية (١٣,١) مليارا ، كما تبرز الجزائر (٣١) مليارا ، وفيها أيضا وبكميات أقل سلطنة عمان وليبيا والعراق

.. هل من تفسير ؟

تكتمل الصورة اذا أضيفت أعباء الدفاع ، فالمنطقة طبقا للاحصاءات الدولية من أكبر مستوردي السلاح وتكتمل الصورة اذا وضعنا أسباب ارتفاع المديونية بالترتيب

تسليح أكثر ـ استهلاك أكثر ـ مشروعات تنموية أكثر وقد شاع ذلك في كل البلدان العربية على وجه التقريب ، وبدت آثاره واضحة في بعض الأقطار في عبء الديون التي وصلت مقدار فوائدها ثلاثة اضعاف الدين الأصلي وتمتد الى القرن الواحد والعشرين

ولا يجهل أحد الآثار المترتبة على ذلك ، فمعظم الصادرات في البلدان ذات المديونية القليلة تذهب لسداد الديون مما يهدد التنمية ، بل يهدد القدرة على استيراد سلع الاحتياج اليومي

أيضاً ، وفي سلسلة النتائج نجد ما يشير له تقرير مجلس الوحدة الاقتصادية العربية من شروط صندوق النقد الدولي ، ونادي باريس ، مما يمس السيادة ، ويدفع للمزيد من الأزمة

هي اذن حالة متفاقمة ، تتسم في الوقت الراهن بأنها تكاد تصبح مرضا مزمنا ، يعبر عن حالة من اللاتوازن في الاقتصاد العربي

وقد يكون السؤال . ما المخرج ؟

وقد تكون هناك اجابة واحدة . نمط آخر من العمل الاقتصادي والتنموي ، نمط آخر من الاستهلاك ، نمط آخر من العلاقات الدولية ، نمط آخر من العلاقات العربية ـ العربية . . وبما يساعد على أن يستعيد الوطن توازنه الاقتصادي ، وحينذاك لن يمد اليد للآخرين ، ولن تظل الأنظار شاخصة وقلقة الى أين يصعد ترمومتر الديون ففي نقطة معينة ينفجر الترمومتر □

ياجمال) ، نلعب (طاق طاق طاقية) ونتخذ أحيانا من القبور أحصنة كانت تحملنا الى آفاق بعيدة ، كنا نجرى ، نقفز ، نتدحرج ، نتسابق ، نتصارع ، نحفر أوكارا وأقنية ، لا يصدنا عن كل ذلك برد الشتاء ولا مطره ، ولا وهج الصيف ولا غباره ولكل فصل ألعابه المفضلة

وكنا لا نكاد نذكر علاقة القبور بالموت حتى يحمل اليها نازل جديد ، فنشارك بحماسة ، فى طقوس الدفن ، ننضم الى الموكب المهيب ، نحمل حزم الآس الخضراء الطويلة ، نرحل مع المؤذن ، الذى يقود الموكب بصوته الحنون ، الى عالم غريب ، نتنشق رائحة عطر غريب حاد مسكر ، نرى حين نصل المقبرة ، بقلوب واجفة ،الكفن الأبيض اللامع الذى يلف الميت ، ينتقل من التابوت الخشبى الى القبر وسط أصوات التهليل والتكبير ، نشارك فى احضار الحجارة لسد الثغرات التى تتركها الصخرة البيضاوية من جوانب القبر ، وفى نقل الطين واهالة التراب ، وأخيرا نجلس خاشعين مع الجالسين اذا زاره الملكان أنكر ونكير بعد انفضاض الناس

ولكن المقبرة ، ومن عجب ، قد حفرت فى أعماقى دروبا من الهول والرعب حين كان يجن الليل ، فاذا اضطررت وقلما أضطر ، الى المرور الى جوارها ليلا ، فقد كنت أجرى قبل الوصول اليها ، كالريح لا ألوى على شىء ، لا ألتفت ناحية القبور ، ولا ألتقط أنفاسى حتى أكون قد دخلت فى الزقاق الجانبى ، وحتى تكون القبور قد غابت عنى ، كانت تستيقظ فى رأسى وقلبى كل الحكايات عن عالم الجن والعفاريت والأشباح ، وتصحو لدى كل هاتيك القصص التى سمعتها عن الأموات الذين ماتوا ظلما ، يقومون ليلا بين القبور يعلنون عن الظلم الذى لحق بهم ، وعن الأولياء الصالحين ، طوال القامة دائما ، مكتنزى الجسم ، يرتدون الأبيض من قمة الرأس الى القدمين ، يخرجون من القبور يطوفون بينها ، يسبحون بحمد الله ، ثم يعودون آخر الليل الى قبورهم الكبيرة المتميزة التى أحيطت بجدران طينية ، ذات نوافذ حديدية خضراء ، يرتعش فيها دائما نور شموع لا يدرى أحـ م وضعت ، ومتى أضيئت

وحين أصبح والدى من نزلاء مقبرة الأربعين أن دفن فى قبر جدى ، كنا قد انتقلنا الى حى جد مجاور ، وكنت قد دخلت مرحلة جديدة ، وغادر عالم الطفولة ، ولكنى ، مع ذلك ، لم أتعلم المشى الليل قرب المقبرة دون احساس بالرهبة والتح والخوف ، اذ تستيقظ الأصداء العميقة البعيدة نفسى وكنت ، فى النهار ، أنحرف عن طريق الحديد الى الطريق القديم فى أوقات متباعدة وأعرج على المقبرة باحثا بين القبور الطينية المتشا عن قبر والدى ، لاقرأ ذاهلا الفاتحة على رو وروح جدى ، كنت فى هذه اللحظات أدخل ع مسحورا غريبا ، لا أخرج منه حتى أستأنف طريقى ، وتأخذنى من جديد أمور الحياة اليوم المستعجلة دوما

غبت عن المدينة سنوات ثلاثا ، حملت فيها مدي وشوارعها وروائحها وهمومها معى ، وذات ي عدت اليها ، وكان لا بد لى أن أعود ، واقتاد طريقى الى درب مقبرة الأربعين ، قلت فى نفسى لأقرأ الفاتحة على روح والدى وجدى بعد هذا الغيا الطويل ، وقفت مصعوقا ، وخيل الى فى بداية الأ أنى أخطأت الطريق ، فقد ارتفع مكان المقبرة ثلا عمارات متماثلة ، شاهقة ، تناطح السماء ، ونج ثقيلة كما تخيلت ، على صدور الأموات ، وبي والدى وجدى والأربعون شهيدا ، والمظلوم والأولياء الصالحون ، ولما صحوت من هول المفا بسطت كفى بغير وعى وقرأت الفاتحة ، وانسلل هاربا

وانقطعت هذه الأيام عن سلوك الطريق القد الى المقبرة ، فمن بعيد أرى ـ سواء أكنت ماشيا راكبا ـ العمارات المتماثلة ، الثقيلة ، الشاهقة تناط السماء ، فأبسط كفى ، وأقرأ الفاتحة على روح والد وجدى والأموات جميعا ، وعالم طفولتى الذى - يوما

* لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه .

(ابن الزبير)

صدر العدد
١٥
من مجلة
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ في هذا العدد:
• الخوفُ لا يُجدي (حكاية)
• فيلكا.. الجزيرة السعيدة "استطلاع مصور"
• صناعة المنسوجات الإسلامية
• همام.. في كأس التفوق "قصة كاملة بالرسوم"
• الدلفين يواجه الفك المفترس !!
• كيف تعمل العربات البرمائية ؟
بالإضافة إلى الأبواب الثابتة:
■ دائرة معارف العربي الصغير.
■ اصنع بنفسك.
■ إسلاميات.
■ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
■ صفحة الكمبيوتر.
٦٤ صفحة بالألوان

بقلم : الدكتور سامي عزيز

يؤكد الدكتور «نوردنشترم» ـ أستاذ العلاج والتشخيص بالأشعة بسويسرا ـ أن الإصابة بالسرطان تحدث اختلالا في كهربائية الجسم ، وأن العلاج بالتيار الكهربائي غير المتردد يساعد الوسائل الدفاعية للجسم على التخلص من السرطان . فما هي تطبيقات هذا الاجتهاد ؟ وما هي النتائج في هذا المجال ؟

يستحق اكتشاف الدكتور «نوردنشترم» أن نسميه اكتشاف هذا العصر ، فلأول مرة نجد كتابا طبيا يحدثنا بالتفصيل عن ارتباط الكهربائية بالمرض ، رغم معرفتنا منذ أكثر من ٢٠٠ سنة بالتأثير المغناطيسي الكهربائي على الجسم البشري ، وقد ذكر ذلك في الكتاب الذي أصدره سنة ١٩٨٣م ، وهو يقع في ٣٥٨ صفحة ، ويشتمل على أفكار علمية ، تعرض لأول مرة ، لم نكن نعلم عنها شيئا من قبل . عنوان الكتاب «دوائر كهربائية حيوية» ، وهو كتاب (إكلينيكي) عملي «ونظري» ، يؤكد فيه مؤلفه الدكتور «بجورن نوردنشترم» أنه تعرض [illegible] علمية ، ورؤية مختلفة عن نظرتنا السابقة .

سبق للمؤلف أن قدم لنا عديداً من الابتكارات الطبية في فترة الخمسينيات ، خاصة في مجال الاستخدامات (الاكلينيكية) للأشعة ، وقد أصبحت أفكاره حاليا من الأمور المؤكدة المتبعة في مختلف مستشفيات العالم .

ومع بداية الستينيات تم تعيينه في أكبر المناصب في مجال تخصصه ، فأصبح رئيسا للقسم التشخيصي بالأشعة في معهد (استوكهولم كارولينكا) ، ثم … واحدا من أبرز رواد البحث (الراديولوجي) … العالم . وفي سنة ١٩٨٥م تم تعيينه رئيسا للجنة نوبل التي تقوم باختيار المرشحين لجائزة نوبل في الطب . وتعتبر البحوث التي نشرها … موضوع مقالنا هذا من أحدث ما قدم للطب …

الجسم البشري أشبه بالبطارية التي تولد الكهرباء ، فالشعيرات الدموية تؤدي عمل أقطاب البطارية ، والأوعية الدموية بمثابة أسلاك التوصيل ، وبلازما الدم تقوم بمهمة الموصل الجيد للكهرباء

الجسم والدوائر الكهربائية

طبقا لنظرية « نوردنشترم » يمكن تشبيه كهربائية الجسم بالبطارية ، ففي البطارية تكتمل الدائرة الكهربائية بعزل (الأيونات) المختلفة الشحنة عن بعضها ، وعند غلق الدائرة يمر التيار خلال سلك التوص نتيجة لمرور (الأيونات) داخل البطارية بين الق بين . أما في أجسامنا فتوجد دوائر كهربائية مشابه فعند تعرضنا للإصابة أو العدوى أو ظهور ورم ف مكان ما تتراكم (الأيونات) ذات الشحنة الموجب الأنسجة المصابة ، وتبقى الأنسجة السليمة القري ن مكان الإصابة محملة (بالأيونات) ذات الشح لسالبة ، ونتيجة لهذا العزل والتباين في (الأيونات) ينشأ جهد كهربائي ، يمر تياره خلال الشرايين والأوردة وجدران الشعيرات الدموية ، مما يؤدي الى انتقال كريات الدم البيضاء من تيار الدم إلى مكان الإصابة ، أما مواد الأيض المتخلفة فتمر في الطريق المضاد (من مكان الاصابة الى تيار الدم) ، وهذا النظام الكهربائي - كما يؤكد نوردنشترم - يهدف الى إيجاد توازن بين أعضاء الجسم الداخلية ، وفي حالة الاصابة يمثل النظام الكهربائي أساسا علجيا لعملية الالتئام ، وهذا الأساس الكهربائي - في مفهوم نوردنشترم - لا يقل أهمية عن الدورة الدموية ، وانتظام مرور الدم عبر أعضاء الجسم المختلفة ، لذلك فأي اضطراب في هذه الشبكة الكهربائية - بحسب نظرية نوردنشترم ، يساهم بقدر

كبير في نشوء السرطانات والأورام ، وغيرها من الأمراض

والواقع أن معرفتنا للعلاج بالكهرباء ترجع الى فترة بعيدة من الزمن ، فمع بداية هذا القرن أنكر العلماء استخدام التيار الكهربائي المغناطيسي كدواء عام ، وأكدوا ان هذا الاتجاه يذكرنا بطب العصور الوسطى ومنذ ذلك الوقت ظل العلاج بالكهرباء شيئا من الممنوعات علميا

لكن بظهور كتاب « نوردنشترم » يبدو أن الأمور ستتغير كثيرا ، فالكتاب يقدم لنا عددا من الدلائل والبراهين على الدور الذي تقوم به الكهرباء في العلاج ، ويؤكد أن الإصابة بالسرطان تنتج عن اختلال كهربائي في موازين الجسم الداخلية

معرفتنا الحالية بكهربائية الجسم

الواقع ان الطب التقليدي الذي نمارسه حاليا لا ينكر - بصورة قاطعة - القوى الكهربائية الموجودة في أجسامنا ، فهناك التفاعلات الكيميائية المختلفة التي تشارك فيها الهرمونات ، والأنزيمات ، وغيرها من العوامل المساعدة ، كما توجد بعض القوى الطبيعية ، مثل ضغط الدم الحادث على الشرايين والأوردة ، والضغط الداخلي للعين ، وغيرها ،

والأهم من هذا كله معرفتنا للتغيرات الكهربائية التي تحدث بطول الليفات المكونة لجهازنا العصبي ، والتي تنتج مع كل حركة نقوم بها ، أو حتى مع أي انقباضة بسيطة لعضلاتنا ، والواقع أيضا أن الحياة - بجملتها - لا يمكنها الاستمرار بدون هذا الفيض الهائل من الأيونات التي تمر عبر أغشية الخلايا ، والتي تصاحب كل عملية حيوية وتظهر معرفتنا لكهربائية الجسم بوضوح في رسام القلب الكهربائي ، ورسام المخ الكهربائي ، وغير ذلك من وسائل الفحوص التي تعتمد في جوهرها على أسس علمية طبيعية وكهربائية

ورغم كل ذلك يؤكد « نوردنشترم » أن هذه الصورة غير مكتملة ، وأن فهمنا للقوى الكهربائية المتولدة في أجسامنا ليس بالقدر المطلوب ، فالبحوث الطبية - مثلا - قدمت لنا خلال المائة سنة الماضية آلاف الآراء التي تناقش الجانب الكيميائي والفيزيقي والكهربائي للعمليات الحيوية التي تحدث في أجسامنا ، إلا أنها - مع الأسف - عجزت عن إيجاد تفسير شامل ، يبين العلاقات التي تنشأ فيما بينها

ويرى « نوردنشترم » أن معرفتنا بالدوائر الكهربائية البيولوجية ستتيح لنا - دون شك - فهم بعض العمليات الحيوية الهامة ، كما ستقدم لنا التفسير العلمي لبعض سبل العلاج المستخدمة حاليا ، كالابر الصينية ، والعلاج الكهرومغناطيسي مثلا وللتأكيد على ان نظرياته ليست مجرد انطباع (أكاديمي) بحث قدم لنا وسائل علاجية جديدة ، تعتمد في جوهرها على الاستخدامات الكهربائية ، مثل علاج سرطان الرئة واورام الثدي بالكهرباء ، وعلى الرغم من أن بحوثه مازالت في سنواتها الأولى فقد حققت نجاحا غير متوقع

إبرة العينات :

ولد « نوردنشترم » في قرية صغيرة ، بمنتصف السويد ، تسمى (روجندا) ، سنة ١٩٢٠م ، ثم انتقل منها الى مدينة (بوللناز) التي عاش فيها أجداده مدة تزيد على مائتي سنة وفي جامعة (ابسالا) أكمل تعليمه الجامعي ، وقضى فترة تدريبه بعد التخرج بمستشفيات (استوكهولم) ، وبعد الحرب العالمية الثانية التحق بجمعية الصليب الأحمر بالسويد ، حيث شارك في تطعيم أطفال الملاجئ ضد مرض الدرن ، بمنطقة جنوب النمسا

وفي ربيع سنة ١٩٥٦ عاد الى (استوكهولم) ، ومرة اخرى فاجأنا بابتكار جديد في تشخيص [illegible] الرئة ، وامكانية تحديد ما اذا كانت اورا[illegible] أو حميدة ، بدون أي اجراء جراحي ، والوا[illegible] طريقته اتسمت بالبساطة والعملية والبعد عن التعقيدات ، فبمساعدة التصوير الاشعاعي [illegible]

تحديد مكان الورم في الرئة ، وباستخدام ابرة رفيعة تم رشقها في جدار الصدر ، ووصل طرفها الأمامي الى قلب الورم ، أمكن أخذ عينة من أنسجة الورم ذاته لدراستها تحت (الميكروسكوب) وعلى الرغم من أن زملاءه في البداية قد ترددوا كثيرا في الاقتناع بهذه الطريقة ، بل وأكدوا خطورتها الا ان « نوردنشترم » لم يتوقف ، بل زاده موقفهم حماسا ، واستمر في بحوثه ، الى أن اعترفت بها مستشفيات الطب وكلياته في الولايات المتحدة ، وذلك بعد أكثر من ٢٠ عاما من البحث والتطوير المتواصل ، وبذلك استحق أن يلقب برائد التشخيص بابرة العينات وهذه الطريقة الجديدة قد تم بالفعل تطبيقها بنجاح في عدد من مستشفيات العالم ، في مجالات طبية مختلفة ، بالاضافة الى اورام الرئة

مفهوم جديد للكهربائية .

ترجع نظرية « نوردنشترم » في كهربائية الجسم الى ملاحظة بسيطة ، لفتت انتباهه ، وظل يسعى لتفسيرها مدة تزيد على عشر سنوات ، فقد لفت انتباهه وجود هالة من الضوء ، تحيط بحافة بعض اورام الرئة عند تصويرها بالأشعة ، ولأن المنظر كان يذكره بأشعة الشمس المحيطة بقرصها المضيء سمى ذلك (الهالة) ، وعند مراجعته لآلاف الأشعات تبين له أن القليل منها يُظهر هذه الهالة المحيطة بالورم ، بينما الأورام الأخرى التي تحتل نفس المكان من الرئة ونفس الحجم والشكل تبدو بدون هذه الهالة ، ، والمحير ايضا أن بعض أورام الرئة ظهرت بهالة نيره ، احتفت الهالة عند اعادة تصويرها ، وعندما [illegible] ص « نوردنشترم » هذه الأشعات التي التقطها [illegible] عدد من زملائه أنكروا وجود هذه الهالات وقالوا بأنها ليست بذات قيمة ، وأنها لأسباب [illegible] صناعية ، قد تكون تصاحب التصوير [illegible] حي) ، بدليل أنها قد تظهر ثم تختفي ، وبعضهم [illegible] ه اهتم بملاحظة هذه الأشياء عديمة القيمة

لكنه استمر في البحث عن سبب هذه « الهالات » ، بيد أنه رغم ابتكاره لابرة العينات ، وتمييزه للأورام الحميدة من الأورام السرطانية ، عجز عن ايجاد تفسير واضح لهذه الهالات ، وأسباب ظهورها ، واختفائها ، وفي سنة ١٩٦٥م بدأ في دراسة كهربائية الأورام ، والواقع أن اتجاهه هذا جاء أيضا بطريق المصادفة ، فلم يكن أمامه وسيلة اخرى لدراسة الأورام ، اللهم الا اذا حاول فحصها خارج الجسم البشري ، وهذا امر غير ممكن ، ومن جهة اخرى فإن تجاربه على السرطانات في الآدميين تحتم عليه أن ينهج طريقا في البحث ، لا يعرض المريض الى أي مضاعفات

بدأ « نوردنشترم » يفكر في ابتكاره الخاص بابرة العينات لتشخيص اورام الرئة ، وكان لابد من ابتكار طريقة جديدة ، تقدم مزيدا من المعلومات ، وقد تفسر في نفس الوقت اسباب هذه الهالات التي تحيط ببعض الأورام ثم قام بتحويل ابرته الى قطب كهربائي ، وأصبحت بحوثه تهتم بدراسة أنسجة الورم ، وبالصفات الكهربائية له ، وخلال دراسته للجهد الكهربائي للورم ، ومقابلته بالانسجة المحيطة به ، تبين ان الأورام ذات (الهالة) غالبا ما يصاحبها وجود جهد كهربائي ، كما لاحظ ان الخلايا المكونة لقلب هذه الاورام غالبا ما تكون في حالة تحلل ، نتيجة لعدم وصول القدر الكافي من الدم اليها

لكن ما هو الجهد الكهربائي للأورام ؟

وكيف توصل « نوردنشترم » إلى نتائجه الحالية ؟

لقد بدأ بحوثه بدراسة كهربائية الدم ، لأن الدم هو الشيء الوحيد الذي يمكن اجراء التجارب عليه خارج الجسم ، دون حدوث أي اضرار أو مضاعفات للمريض ، وأول الملاحظات التي سجلها « نوردنشترم » ان الجهد الكهربائي للدم عند تحلل خلاياه يكون موجبا ، ثم يتحول الى سالب ، وخلال يومين يأخذ في التذبذب بين الموجب والسالب ، حتى
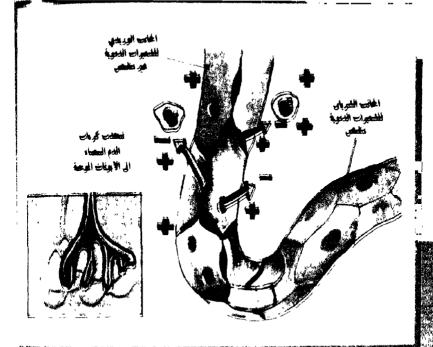
رسم مضخم لمقطع من الشعيرات الدموية ، يوضح كيف تخرج كريات الدم البيضاء الى منطقة الاصابة

يحدث تحلل تام لجميع خلايا العينة ، وهذه النتائج تفسر لنا ما توصل اليه هذا العالم عند دراسته لأورام الرئة التي اشتق منها الأساس الذي بنى عليه نظريته الآتية :

اولا : « إن أي إصابة في الجسم تحدث جهدا كهربائيا ، يأخذ في التذبذب بين الموجب والسالب ، حتى يصل في النهاية الى حالة من الاتزان ، يعتقد « نوردنشترم » أنها فترة الالتئام » .

ثانيا : « مصدر الطاقة الكهربائية (أو البطارية) لهذه الدوائر الكهربائية التي تحدث في الجسم ناتج عن موت الخلايا الموجودة بقلب الورم » .

ثالثا : « تقدر المقاومة الكهربائية لجدران الشرايين والأوردة بأكثر من ٢٠٠ مرة لمقاومة الدم للكهربائية . ولهذا يمكن اعتبار الأوعية الدموية بمثابة أسلاك توصيل معزولة كهربائيا ، وأن الدم الذ يجري فيها بمثابة موصل جيد للكهربائية بين الو والأنسجة المحيطة به »

رابعا : عند مرور تيار كهربائي عبر قطبي دا كهربائية ، يصل طرفي القطبين منها في أحد الأو الدموية ، تتجه كريات الدم البيضاء ذات الشح السالبة إلى القطب الموجب ، كما تتكون بع الجلطات الدموية نتيجة مرور التيار الكهربائي الوعاء الدموي ، والواقع أن تجربة « نوردنشتر هذه والنتيجة التي توصل إليها تفسر لنا ـ عل أسا علمي ـ السبب في خروج كريات الدم الب الأوعية الدموية ، وانجذابها إلى مكان الإ وهذه الظاهرة معروفة منذ أكثر من مائتي سن التفسير العلمي لها غير معروف حتى الآن

[illegible]

...رات في نظرية نوردنشترم

يؤكد العلماء أن سبب رفضهم لأفكار ...وردنشترم » يرجع إلى تكتمه ، وعدم عرضه ...وثه ، طوال هذه المدة الطويلة التي زادت على ...شرين عاماً ، فهو لم يهتم بنشر بحوثه هذه في ...دوريات العلمية المعروفة ، ورغم أنه كتب ما ...رب من ١٤٠ مقالة وبحثاً علمياً في مجالات ...لتشخيص بالتصوير الإشعاعي وغيرها ، إلا أن ...بحوثه المنشورة في كهربائية الجسم لم تتعد ثلاثة ...بحوث ، نشر أولها سنة ١٩٧١م ، ثم نشر ثانيها سنة ١٩٧٤م ، وأخيراً نشر ثالثها سنة ١٩٧٨ .

ويرد « نوردنشترم » على هذه الاتهامات بقوله : « إن بحوثي الثلاثة التي نشرتها خلال فترة السبعينيات لم تحرك ساكناً ، وقد نشرت فيها معظم أفكاري ، وتحدثت كثيراً مع زملائي في هذا الوضوع ، لكنهم جميعاً لم يفهموا ما أقول ، بل لم يتعبوا ... راسته ، أو حتى البحث في صحته ، لقد اتهموا ... أفكاري بالتطرف ، والبعد عن المنهج العلمي ... وللأسف لم يقدموا أي دليل علمي يهدم نظرياتي ... ، ثم يواصل حديثه فيقول : « أما مرجع تعجلي ... نشر الكتاب على نفقتي فهو خوفي أن تصبح بحوثي ... أفكاري في طي النسيان ، فقد فاجأتني نوبة

[illegible] « نوردنشترم » [illegible] الاستفادة من هذه النظرية [illegible] « ... ودس » ، وهي من [illegible] (لامالندا) بكاليفورنيا [illegible] مراجعة قيمة عن كل جديد في [illegible] الكهرومغناطيسية [illegible] الأمريكية » ، إلا أنه مع الأسف [illegible] « نوردنشترم » ، [illegible] يستطيع في الوقت الحالي أن [illegible] النظرية ، وأنه قد اشترى [illegible] « نوردنشترم » ، لكنه حتى الآن لم [illegible]

علاج السرطان بالكهرباء

نشرت مجلة « ناشيونال اينكوايرر » منذ عدة سنوات مقالاً « لنوردنشترم » ، يؤكد فيه إمكانية علاج السرطان بالكهرباء ومنذ ذلك الوقت أدرك « نوردنشترم » أهمية الاستخدام العملي لنظرياته ،

فقد تلقى عقب نشره للمقال مباشرة آلاف الرسائل والمكالمات الهاتفية التي تستفهم عن العلاج الجديد ، وإمكانية الاستفادة منه ، ومدى فعاليته . ثم تغير اتجاه « نوردنشترم » ، وبدأ يفكر في كيفية الاستفادة

من النتائج التي توصل إليها ، والعمل على ابتكار وسيلة علاجية جديدة للسرطان ولا شك أن علاج السرطان يثير اهتمام عامة الناس ـ وبخاصة المرضى وذويهم ـ بالأطباء والعلماء والباحثين المهتمين بالسرطان

يشير « نوردنشترم » في كتابه إلى الحالات التي عالجها فعلا بهذه الوسيلة الجديدة ، وأول هذه الحالات بدأ في علاجها في شهر يونيو سنة ١٩٧٨ ، وكانت مريضة تبلغ من العمر ٦٦ عاما ، تعاني من انتشار سرطاني بالرئتين ، نتيجة سرطان بالمبيض ، وبعد ادخال قطب رقيق جدا إلى نسيج الرئة ـ حيث الانتشار السرطاني ـ وإمرار التيار الكهربائي تكونت بعض الأنسجة الليفية حول الورم خلال الشهر الأول ، وبعد سبعة شهور بدأ الانتشار السرطاني في الاختفاء ، وبهذا تم علاج هذه السيدة بجلسة علاج واحدة ، لم تتجاوز مدتها ساعة ، ولم تمكث في المستشفى بعد العلاج ، بل أمكنها العودة إلى البيت مباشرة وقد ظلت بصحة جيدة مدة تزيد على خمس سنوات ، دون عودة الورم إليها

والحالة الثانية كانت فتاة تبلغ من العمر ١٩ سنة ، وجد برحمها نوع من الأورام النادرة ، وبعد إزالة الرحم جراحيا ظهر الانتشار السرطاني في الرئة على الناحيتين ، وبلغ قطر أكبرهما ٤ سنتيمترات ، ولم تستجب للعلاج بالأشعة ، ورفض فريق الجراحين إجراء أي تدخل جراحي لها ، نظرا لتأخر حالتها ، وتم علاجها بالعقاقير المضادة للسرطان ، لكن الورم استمر في النمو ، وتدهورت حالتها ، وفي النهاية لجأوا إلى « نوردنشترم » الذي عالجها باستخدام الأقطاب الكهربائية ، وخلال أربع جلسات أمكن استكمال العلاج اللازم لها ، وبدأت الأورام في الاضمحلال ، وتحسنت حالتها ، وعاشت مدة تزيد على سبع سنوات بعد ذلك ولكن كيف تستطيع الكهرباء علاج السرطان ؟

يفسر « نوردنشترم » هذه الظاهرة معتمدا على الأسباب الآتية

أولا بما أن كريات الدم البيضاء (المهاجم القاتل للخلايا السرطانية) تحمل شحنة سالبة وجب جذبها إلى منطقة الورم السرطاني ، حتى يصح العلاج بالكهرباء ، ويمكن تحقيق ذلك برشق القطب الموجب في منطقة الورم ، حتى تنجذب كريات الدم البيضاء إليه

ثانيا على الرغم من أن الخلايا السرطانية تنقسم بطريقة أسرع من خلايا الجسم الطبيعية فهي قابلة للاضمحلال والواقع أن فكرة العقاقير القاتلة للخلايا السرطانية تعتمد ـ في أساسها ـ على تغيير العوامل الخارجية ، حتى تقتل الخلايا السرطانية ، دون المساس ـ بقدر الامكان ـ بخلايا الجسم الطبيعية ، وكذلك باستخدام المجال الكهربائي يتم خلق نوع من التغيرات الخارجية في محيط الورم ، وحول القطب الكهربائي المرشوق فيه ، مما يساعد على قتل الخلايا السرطانية

ثالثا يؤدي التفاعل الحامضي حول القطب الكهربائي المرشوق في الورم إلى تحلل خلايا الدم الحمراء الموجودة بالقرب من الورم ، ثم يحدث تغير كيميائية (هيموجلوبين) الدم ، مما يعرقل نقل الأوكسجين اللازم لنمو الخلايا السرطانية ، ويؤدي إلى هلاكها

رابعا يعمل المجال الكهربائي على جذب جزيئات الماء إلى خارج الخلايا السرطانية ، مما يسبب انتفاخا في الخلايا المحيطة بالورم ، ثم يؤدي إلى زيادة الضغط الحادث على الأوعية الدموية المغذية للورم ، وإلى قلة الدم الوارد إليها

خامسا التفاعلات الكيميائية التي تحدث حول القطبين يتخلف عنها بعض الغازات التي تتجمع في قلب الورم ، وينتج عنها ضغوط (ميكانيكية على خلايا الورم ، مما يعجل بقتلها

ويتضح من الأسباب السابقة التي ذكرها « نوردنشترم » أن التغيرات التي تصاحب الع...

بالكهرباء (ميكانيكية العلاج بالكهرباء) مقبولة ، ومقنعة ، وتتفق مع ما نؤمن به من وسائل لعلاج السرطان ، إلا أن الأمر ليس بهذه البساطة ، فمازالت الفروض التي طرحها « نوردنشترم » تثير بعض الجدل والمناقشة في الأوساط العلمية

نظرة للمستقبل

يؤكد « نوردنشترم » أن الحالات التي عالجها ـ بعد موافقة لجان العلاج بالمستشفى ـ كانت حالات سرطانية متأخرة للغاية ، وفي وضع سيىء ، أو هي حالات لم تستجب إطلاقا لأي علاج آخر ، وكل هذه الحالات كانت في مرحلة الانتشار السرطاني العام ، لذلك حتى لو نجح في تحطيم سرطان الرئة فيها لابد أن يموت المريض بسرعة ، ولهذا يطالب « نوردنشترم » تلك اللجان أن تسمح له بمعالجة الحالات السرطانية في المراحل الأولى التي لم يظهر بها أي انتشار سرطاني بعد

لا شك أنه مع الحالات السرطانية في مراحلها الأولى سيحقق نجاحا أكيدا ، فالثابت الآن أن العلاج بالكهرباء ناجح بدرجة أكبر في التخلص من الأورام ذات الحجم الصغير التي يقل قطرها عن ٤ سنتيمترات ويعبر « نوردنشترم » عن ذلك بقوله « إنه وسيلة علاجية ، وليس نوعا من المعجزات ، حتى نتوقع نتائج أفضل من هذه » لكن من يدري كيف ستكون الحال بعد عشر سنوات ، فربما تتحقق المعجزات

وعلى الرغم من ذلك لم يحقق « نوردنشترم » ـ على الصعيد العالمي ـ الشهرة التي يرجوها في هذا المجال

وبعد ، فنحن الآن أمام علم جديد ، لا نعرف حدوده ، فربما تكون البحوث التي بدأها « نوردنشترم » في كهربائية الجسم فتحا جديدا ، لتغيير مفهومنا عن (فسيولوجيا) الجسم ، و (ميكانيكية) حدوث الأمراض ، بل قد تكون انقلابا جذريا في موازين العلاج الحالية □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ اكتشاف الطرف الآخر سبيل الى السعادة الزوجية

■ الغذاء الصحي بعد بلوغ سن الخمسين

بقلم راجي عنايت
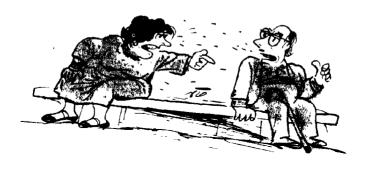
كان النقاش ساخنا بين الزوجين ، كل منهما يعدد للآخر نواقصه ، ساردا بالتفصيل الأخطاء التي تشيع المتاعب في حياتهما الزوجية طلبت منهما التوقف ، وعرضت عليهما أن يقوما بتجربة صغيرة ، يعودان بعدها إلى حربهما الكلامية . قلت « أريد أن يقضي كل منكما خمس دقائق في الحديث عن الأشياء التي تعجبه في الطرف الآخر » ، وكان شرطي الوحيد ألا يستخدما (الاستدراك) في حديثهما من طراز « هو كذا ولكن » و « الحق أنها كذا ، إلا » فجاءت نتيجة هذه التجربة أو اللعبة المفيدة مثيرة لد الزوجين

يقول أحد خبراء المشاكل الزوجية عند الزوجان ذكر ما يعجب كلا منهما في الآخر فإن في حد ذاته - يدخل بسرعة تطورا إيجابيا في الزوجية ، وذلك لأن كل طرف منهما سيتبين عد الجوانب الإيجابية في الطرف الآخر ، كان يتج أو يتناساها ، وغالبا ما يسمع أحد الطرف الطرف الآخر عن جانب من جوانب إعجابه مرة في حياتهما الزوجية

ويقول الخبراء ان القاعدة الأساسية في هذا هي أنه متى أظهر الطرفان تقديرا لبعضهما ، وبدأ كل منهما في اكتشاف النواحي الإيجابية في الطرف الآخر ، أصبح الطريق سهلا أمام نمو العلاقة نموا صحيا متزايدا والخطوة الأولى في هذا السبيل هي معرفة كل طرف بالآخر ، معرفة أصدق وأدق . أما الوسيلة الأفضل في التعرف على الطرف الآخر فهي التساؤل والتنصت ، حتى لو كان زواجكما قد مضى عليه أكثر من عشرين عاما . وعليكما معا ان تتحاورا فالاحاديث السطحية التي غالبا ما نعتمد عليها كبديل للحوار الحقيقي

الأعذار الجاهزة .

نحن أميل إلى أن نتحدث بأمانة وبصراحة عن أنفسنا . عندما نجد من يسمعنا فعلا ، فكل ما لديه حاجة الى أن يتبادل مكنونات نفسه مع الآخرين ، نحن اقدر على كشف مشاعرنا الأعمق ، عندما يتوفر لنا الأليف الموثوق به ، القادر على التقبل والتفهم

والملاحظ أن كثيرا من الناس يقاومون رغبتهم الطبيعية في الانفتاح على الآخرين ، ولديهم في هذا الصدد اعذار جاهزة منها

- الأفضل أن نترك للطرف الآخر مجالا للتخمين
- اذا ما كشفت نفسي للطرف الآخر فان العلاقة ستفقد كثيراً من الإثارة
- من الصعب أن تكون حبيبا وصديقا في نفس الوقت
- أمي كانت تقول لي دائما لا تكشف كل أوراقك للآخرين
- يسيء الطرف الآخر أن يجهل عني بعض الأشياء
- يخبر العلاقات البشرية خبيري جيل إن أكثر الناس يخشى البوح بأسراره وخفايا نفسه ، لاعتقاده بأن هذا سيفقد الطرف الآخر لذة

الاستكشاف ، مما يشيع الملل في العلاقة وهو يرى أنه على العكس من ذلك ، عندما يعمد الزوجان المتآلفان إلى توسيع شبكة الاتصال والتفاهم المتبادل بينهما وتعميقها ، فإن هذا يؤدي إلى اتساع آفاق العلاقة بينهما

كشف الخفايا

في بداية العلاقة غالبا ما يتجنب الطرفان الدخول في أسئلة حول المسائل الحساسة ، كما يعمد كل طرف إلى رسم صورة جذابة لنفسه عندما يتقدم إلى الطرف الآخر ، وهو يحرص أن تعكس هذه الصورة كل المعلومات السارة عن مركزه المالي ، وأخلاقه ، وخلفيته العائلية ، ودرجة تحصيله العلمي ، وعلاقاته الاجتماعية ، ومكانته العملية ومثل هذه الصور المرسومة بدقة قد تطمئن الطرف الآخر ، لكنها تعطل تحقق الألفة

يعمد الرجل والمرأة في بعض الأحيان ، وعند مرحلة التعارف الأولى إلى تجنب تبادل المعلومات الشخصية ، بهدف الحد من تورطهما ، وفي أحيان أخرى يستبعد الأزواج جانبا واسعا من مجالات النقاش والتفاهم ، وهم بهذا يخدعون أنفسهم إذا ظنوا أنهم نجحوا في إقامة علاقة طيبة ، واتصال وثيق

مثال ذلك السيدة سعاد ، متزوجة منذ تسع سنوات ، تقول كزوجة حديثة العهد بالزواج كنت أقضي معظم وقتي مع طفلي الصغير ، وأشعر طوال الوقت بالوحدة ، وبأنني غير مفهومة ، وكان أكثر ما يسيئني هو إحساسي أن زوجي لا يشغل باله بأحاسيسي ووحدتي ، ويتصور أنه ليس في الإمكان أفضل مما كان كنت أحاول أن أطمئن نفسي وأريحها قائلة « هذا هو الزواج على أي حال ، واين هو الإنسان الذي يشعر بالسعادة ؟ كنت أفعل هذا حماية لبيتي وأسرتي ، وحتى لا أتهم بنكران الجميل . ولم أجد في نفسي الشجاعة يوماً لكي أطرح

مشكلة وحدتي على شريك حياتي ، ولعل مرجع ذلك إلى أنني نشأت على عقيدة مفادها أنه كلما قل الكلام عن شيء سهل إبعاده عن حياتنا ولما كنت أبذل كل جهد ممكن لإخفاء تعاستي ظل زوجي سنوات طويلة يظن أنني أشعر بنفس السعادة التي يشعر بها

وكان هو الذي شعر أولا بأن حياتنا يمكن أن تحمل لنا ما هو أكثر ، فبدأ يسألني عن شعوري الحقيقي والعميق ، وكان هذا بداية لانفتاحنا الكامل على بعضنا ، وبداية للثقة المتبادلة بيننا ، وبالطبع كانت عملية إخراج خفايا نفسي إلى الضوء عملية مؤلمة ، لكننا وجدنا في آخر الأمر المفتاح السليم للثقة الكاملة ، والارتباط العميق المتبادل وهكذا بدأت السعادة تعمر حياتي

مأساة نابليون الثالث :

لكن هناك من الأحاديث مايسيء أشد الإساءة للعلاقة الزوجية ، ويضر بها أبلغ الضرر ، ذلك هو حديث الشكوى المتواصلة ، فالشخص دائم الشكوى يخلق لدى الطرف الآخر حالة عدوانية ، مما يؤدي إلى انفصام العلاقة ، وخير دليل على هذا تلك الأمثلة التاريخية التي يسوقها ديل كارنيجي

وقع نابليون الثالث ، ابن أخ نابليون بونابرت ، في حب ماري أوجيني ، أجمل امرأة عرفها التاريخ ، وتزوجها ، وعندما قال مستشاروه إنها لا تزيد عن كونها ابنة كونت اسباني غير ذي مكانة كان يرد عليهم بقوله « وماذا في هذا ؟ » لقد وقع أسير شبابها وجمالها وسحرها ، قال في حديث رسمي للشعب الفرنسي « لقد فضلت أن أرتبط بامرأة أحبها وأحترمها على أن أرتبط بامرأة لا أعرفها »

تمتع نابليون الثالث وعروسه بالصحة والثراء ، والقوة والشهرة ، والجمال والحب ، وبكل مؤهلات العلاقة الكاملة ، لكن - للأسف - سرعان ماخبت نار ذلك الحب المشتعل ، وتحولت إلى رماد كان بإمكان الامبراطور نابليون أن يصنع من أوجيني امبراطورة ، لكنه بكل سلطانه وبكل قوة حبه لم يستطع أن يضع حدا لإلحاحها الدائم بالشكوى

فقد استولى عليها شيطان الغيرة ، واشتعل داخلها نيران الشك ، فسخرت من قراراته وأنكرت عليه كل محاولة للاختلاء بنفسه ، وكانت تندفع إلى مكتبه أثناء انهماكه في شئون الدولة وتقاطع أهم اجتماعاته ، كانت تخشى أن تتركه بعيدا عنها ، فيقضي وقته مع امرأة أخرى ولم تمكن المكانة الملكية ، ولا الجمال ، من الابقاء على حب الحب ، عندما تسلطت على حياتها الأبخرة السامة للشكوى الدائمة الملحة

تعاسة ابراهام لنكولن :

يواصل ديل كارنيجي حديثه فيقول إن المأساة الكبرى في حياة ابراهام لنكولن كانت زواجه وليس اغتياله ، فعندما أطلق بوث الرصاص عليه مات على الفور ، ولم يتعذب ، لكنه بقي مدة ٢٣ سنة يحصد أشواك بذور زوجته ، فقد كانت زوجته دائمة الشكوى ، كثيرة الانتقاد له ، ولم يكن فيه ما هو معقول أو مقبول في نظرها ، كانت تقول إنه يمشي وقد انحنت كتفاه ، وهو يخطو بطريقة سخيفة ويحط قدميه على الأرض بغلاظة ودون أي رشاقة كما لم يكن يعجبها خروج أذنيه عن رأسه في زاوية قائمة ، وكانت تقول له دائما إن أنفه ليس مستقيما وأن شفته السفلى بارزة إلى الأمام بطريقة مضحكة وكانت تسخر من التناقض بين ضخامة كفيه وقدميه وصغر رأسه

فهل أدت هذه الشكوى الدائمة ، والانتقادات الجارحة إلى أن يتغير شيء في لنكولن ؟ إن الشيء الوحيد الذي تغير هو شعوره نحوها ، فقد أصبح نادما على زواجه التعس بها ، بل لقد صار يتحاشاها بقدر ما تسمح به الظروف

إذا أردت أن تعرف مدى قدرتك على إدراك الطرف الآخر ، ومدى إدراكه لمزاياك ، وحبه الإيجابية ، أجب عن هذه الاسئلة

* ما الذي يعجب كلا منكما في الآخر ؟
* ما هي المشاكل السابقة التي أمكنكما معالجتها بنجاح ؟
* ما هي الخبرات الطيبة السعيدة التي مرت بكما ؟
* ما الذي يعجبك في العلاقة القائمة مع الطرف الآخر ؟
* ما هو النشاط السار المشترك الذي تستمتعان به ؟
* ما الذي يفعله كل منكما طوال يوم لإظهار اهتمامه بالطرف الآخر ؟
* ما الذي يجب أن يفعله الطرف الآخر لك كي تشعر بأنك محبوب عنده ، وحائز على تقديره ؟
* ما أحلامكما المشتركة للمستقبل ؟

بإمكان طرفي علاقة التآلف أن يؤكدا على مزايا كل منهما ، ويضاعفا إدراكها ، وتقدير كل منهما لذاته ، وذلك عندما يلتزم الطرفان بالفهم والتقدير والاهتمام ، وسيشعران بالحيوية والتجدد ، وبأن رباطهما قد أصبح وثيقا

الحداول المتبادلة

قد ندرك أهمية الاتصال المتبادل بين الطرفين ، لكن صعوبة ذلك تظهر عند التطبيق ، فالمجتمع يقدم نماذج جاهزة للأحاديث الاجتماعية اليومية السطحية التي يتبادلها الناس ، والمفروض أن يتجاوز طرفا علاقة التآلف هذا إلى حوار أكثر عمقا وإحساساً ، ويتبادلا خلاله التعرف على مشاعرهما ، وتوقعاتهما ، وآمالهما ، ومخاوفهما ، واحتياجاتهما الشخصية

وكخطوة أولى يمكنك أن تجرب مع الطرف الآخر التدريب التالي - أكتب عن بعض المجالات في علاقتكما التي يتحقق فيها الاتصال والتفاهم الجيد ، ثم اكتبا عن بعض المجالات التي يكون فيها الاتصال ضعيفا ، ثم أعطيا نفسيكما ساعة لمناقشة ماكتبتما ، وعلى كل طرف أن يحاول الاستماع والفهم ، وأن يعلن عن مشاعره ، ويسعى إلى الفهم لا إلى اللوم ، أو الدفاع عن النفس

اختبار الزواج السعيد .

في دراسة حول وسائل الاتصال والسعادة الزوجية توصلت ليسلي نافاران إلى أن الذي يميز بين الزواج السعيد والتعيس هو موقف العلاقة من النقاط التالية ، وبترتيب أهميتها

١ ـ المزيد من الحديث المتكرر حول الأحداث السارة التي جرت خلال عام
٢ ـ الشعور الغالب بأن الشخص مفهوم من الطرف الآخر ، وأن الحوار النفسي متصل
٣ ـ الإكثار من مناقشة الأشياء التي تقع في دائرة الاهتمام المشترك
٤ ـ ضعف احتمال تبدد التفاهم أو قطع الاتصال أو كبته باللجوء الى مط الشفتين إظهارا لعدم الرضا
٥ ـ تبادل الأحاديث عن المشاكل الشخصية بشكل متكرر ودائم
٦ ـ الإكثار من استخدام بعض الكلمات التي لها معناها الخاص بينهما
٧ ـ الاشتراك غالبا في الحديث عن معظم المسائل
٨ ـ إحساس كل طرف بمشاعر الطرف الآخر ، ومحاولة كل من الطرفين التكيف مع مشاعر الطرف الآخر ، وأخذ هذه المشاعر في الاعتبار عند الحديث
٩ ـ قدرتهما على المناقشة الحرة في الموضوعات الحميمة ، بلا قيود أو حساسيات
١٠ ـ القدرة على معرفة ما مر بالطرف الآخر خلال يوم ، دون الإلحاح بالسؤال عن التفاصيل □

الغذاء الصحي بعد بلوغ الخمسين
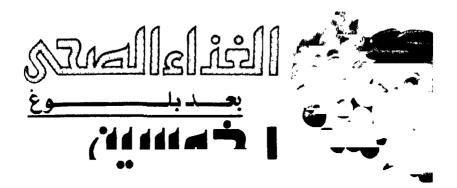
بقلم · الدكتور ابراهيم فهيم *

تبدأ أعراض الشيخوخة غالبا في سن الخمسين ، إذ تحدث عندئذ تغيرات فعلية في كيمياء خلايا الجسم ، وقد ثبت أن معظم هذه التغيرات ينشأ عن سوء التغذية ، وليس المقصود بسوء التغذية قلة الغذاء فقط ، لكنه يشمل أيضا عدم توازنه ، وسوء اختياره ، أو كثرته بالنسبة لاحتياجات الجسم الفعلية

يبلغ متوسط العمر في عالم الحيوان تسعة أضعاف عمره قبل البلوغ ، وبتطبيق هذه القاعدة يتجاوز متوسط عمر الانسان مائة عام ، لكن الواقع يقول ان متوسط العمر في أرقى الممالك لا يتجاوز ٧٠ عاما وقد ألقى علم التغذية الحديث ضوءا كبيرا على هذا الموضوع ، إذ أثبت أن الغذاء الصحي من حيث النوع والكم يطيل العمر ، ويزيد النشاط والحيوية

يجب أن يتطور الغذاء في مختلف مراحل العمر ، ليمد الجسم بالوقود الملائم لأوجه نشاطه ، وبناء أنسجته ، والمحافظة على حيويته ، غير أنه في هذه السن المتقدمة تتضاعف أهمية الغذاء المناسب لصيانة الآلة البشرية ، فلا شك أن هناك فارقا كبيرا بين وضع الفحم للآلة الميكانيكية دفعة واحدة في اليوم وبين وضعه لها على فترات،وكذلك بين استعمال قطع كبيرة واستعمال مسحوق ناعم ، فقد ينحسر وقودها إذا أتخما الموقد ، إذ لا يكتمل الاحتراق في هذه الحالة ، كما أن جدران الموقد تتآكل سريعا إذا لم نصمم حسن التهوية ، فالتوازن إذن بين الغذاء واحتياجات الجسم أمر يتوقف عليه شيء كثير

المعمرون والغذاء

إن قبائل الهانزا التي تقطن جبال الهملايا تتميز بكثرة عدد المعمرين عن قبائل هندية مجاورة

* استاذ بكلية الطب بجامعة عين شمس

لا تقل اهمية الغذاء وضرورة اختيار نوعه للكبار عن اهميته للصغار

حسب عمها في شيء سوى طرق التغذية . فالقبائل المعمرة تتغذى بلبن الماعز والفاكهة والحبوب بالشمس ، بينما تتغذى القبائل المجاورة على الحبوب والبترول والأطعمة الدهنية الدسمة

ولعل أكثر أخطاء التغذية شيوعا بين المتقدمين في السن هي كثرة الأكل التي تؤدي إلى البدانة ، ومن مضاعفاتها من أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين ، مع أن احتياجات متقدمي السن للغذاء كوقود محدودة ، إذ تبلغ الحاجة الوقودية ذروتها في سن ٢٥ ، وتقل تدريجيا بعد ذلك ، وعلى كل حال ففي جميع مراحل العمر يجب ان يكون هناك توازن بين ما نتناوله من غذاء وما نقوم به من نشاط

الضروري من الغذاء

ما يحتاج إليه متقدمو السن فعلا هو الاكثار من المواد اللازمة لحيوية الأنسجة ، إذ أن الجسم لا يختزنها ، ومن هنا يجب أن نمده به يوميا ، لكن الشيوخ يعرضون عن ذلك ، لأن معظم الاغذية البروتينية صعبة المضغ ، ولا تلائم أسنانهم التالفة أو المستعارة . وأغنى المصادر الغذائية بالبروتين اللحم والجبن والسمك والبيض واللبن والحبوب واللوز والبندق

كما يجب عند تقدم السن الحرص على مد الجسم بكميات كافية من الكالسيوم للمحافظة على صلابة العظام ، والكالسيوم متوفر في اللبن والجبن والكرنب والفول الأحضر والجزر ، ومده أيضا بكميات كافية من الحديد اللازم لبناء كريات الدم الحمراء التي تحمل الاكسجين إلى مختلف الانسجة ، كي يتم احتراق الأغذية الوقودية ، فالحديد عنصر ضروري لحيوية كل خلية ، والمصادر الغنية به هي صفار البيض والكبد والخضراوات والسبانخ والخبز والحبوب واللحم والقراصيا والزبيب والبلح ، ومما يجب أيضا الاكثار منه في هذه السن الفيتامينات على الأخص ، كما يستحسن عدم الاكتفاء بمصادرها

الغذائية الطبيعية وحدها ، بل تدعيمها بتناول حبة أو اثنتين يوميا من المستحضرات الصيدلية التي تحتوى على مجموعة كاملة من الفيتامينات المركزة

احذر الملح

وننصح متقدمي السن بالاقلال من ملح الطعام بقدر المستطاع ، إذ أن المزيد من الملح يحتفظ بسوائل زائدة في الأنسجة ، بطريق الضغط الأسموزي ، مما يلقي مزيداً من الأعباء الثقيلة على القلب

كما ننصح متقدمي السن أن يقللوا من تناول المشويات ، مع العناية بزيادة صحن الأطعمة عن المعتاد ، أما الخضراوات فيجب أن تغلى في كمية قليلة من الشوربة ، وتقدر الاحتياجات اليومية من الماء بستة أكواب ، يدخل من ضمنها القهوة والشاي بكميات قليلة ، وعصير الفاكهة بكميات مناسبة ، ونحذرهم من تناول المشروبات الكحولية ، وننصحهم أيضا بألا يملأوا معداتهم بالطعام ، بل يمكنهم توزيع الكمية اليومية على وجبات صغيرة بالطريقة الآتية على سبيل المثال

الساعة ٦ صباحا ـ كوب شاي خفيف باللبن
الساعة ٨ صباحا ـ كوب عصير فاكهة ، وبيضة مسلوقة واحدة ، وقطعة بقسماط ، وكوب شاي خفيف باللبن

الساعة ١٢,٣٠ ظهرا ـ طبق شوربة خضار ، وطبق سمك مسلوق ، وقطعة من الجبن ، وفاكهة ، وبطاطس مسلوقة ، وفنجان من القهوة أو الشاي الخفيف

الساعة ٦ مساء ـ شوربة عصير طماطم ، وصدر دجاجة مسلوق ، أو ثلث رطل لحم بقري مسلوق ، وفاكهة

الساعة ١٠ مساء ـ شوربة وبقسماط ، لبن زبادي منزوعة منه القشدة

ونعتقد أن هذا النظام الغذائي المبني على الاكثار من البروتين والكالسيوم والحديد والفيتامينات ، والاقلال من النشويات والدهنيات وملح الطعام ، هو أصلح نظام غذاء بعد سن الخمسين ، إذ أنه يقلل من الاصابة بتصلب الشرايين ، وضغط الدم ، ويعمل على إطالة العمر ، والاحتفاظ بحيوية الشباب وفتوته

تجرى بحوث كثيرة في الوقت الحاضر على الأغذية الغنية بالبروتين والفيتامينات والمعدنيات ، المحتوية على نسبة ضئيلة من النشويات والدهون ، الخالية من الملح تماما ، لمعرفة أثرها في إطالة العمر ، والاحتفاظ بفتوة الشباب وحيويته ☐

■ لا أريد لبيتي أن يكون مستورا من جميع الجهات ، ولا أريد أن تكون نوافذي مغلقة ، أريد أن تهب على بيتي ثقافات كل الأمم ، بكل ما أمكن من حرية ، لكني أنكر على أي منها أن تقتلعني من جذوري

غاندي

■ المرأة تبقى طفلة الى أن تصبح أما

« يونـج »

قضايا منزلية

الخطأ والصواب في الإسعاف الأوّلي المنزلي

في البدء علينا أن نتفق على أن الاسعاف الاولي ليس ضربا من ضروب التمريض ، ولا هو حد فنون الطبابة ، وانما هو حماية المصاب من مضاعفات اصابته ، والحفاظ على حياته ، ومحاولة التخفيف من آلامه الجسدية والنفسية في غياب الطبيب

وأي فهم آخر للاسعاف الاولي هو بداية السير على درب الخطأ ، والاسعاف الاولي فن قائم بذاته ، يعتمد العلم والخبرة والتدريب حتى يمكن اتقانه ، ومع هذا فإن اكثر الذين يتطوعون لهذه المهمة دون علم او خبرة أو تدريب ، مما قد يعود بالضرر على المصاب ، ويؤدي الى مضاعفات كان المريض في غنى عنها ، ولا يعني الاسعاف الاولي أن نقدم دائماً وبالضرورة على تصرف ما ، بل قد يكون الاسعاف الامثل احيانا هو الامتناع عن أي تدخل لاصلاح ماقد يسوء ضررا وما هو بالضرر . وفيما يلي بعض التصرفات الخاطئة في حقل الاسعاف الاولي مما قد يضر المصاب اكثر مما ينفعه

أولا الحروق

الحروق نوعان : إما أن تكون حروقا جافة كما هو الحال مع النار أو الأحماض الكاوية ، واما حروقا مبللة كما هو شأن الماء الساخن ، وكلاهما يؤدي الى تمدد شديد في الأوعية الدموية ، وتلف لطبقات الجلد وتدمير لأطراف الاعصاب

والحروق درجات متفاوتة ولكن البعض قد يسارع الى اسعافها باستعمال المراهم ، بل إن بعضهم قد يضع معاجين الاسنان قناعة بفائدتها ، والاولى هو استعمال كمادات الماء البارد فورا لأنها تقبض الاوعية الدموية ، وتسكن الالم ، وهذا هو المطلوب حتى يصل المريض الى المستشفى

واذا ما ظهرت بعض الفقاقيع فقد يلجأ البعض الى ثقبها ، وهذا اخطر ما في الامر لانه تلويث متعمد للاصابة ، والاجدر تركها على حالها ليتصرف معها الطبيب المختص كما يجب

ثانيا الرعاف

الرعاف هو نزول الدم المفاجيء من الانف مما قد يلجأ معه البعض الى احناء الرأس الى اسفل ، والنفخ من الانف لازالة الدم ، وهو التصرف المعاكس للمطلوب ، لان الاسعاف الصحيح هو رفع الرأس الى أعلى مع فتح الفم والتنفس منه ودون نفخ
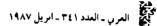
الانف ، كما يستحسن وضع كمادات الماء البارد على الجبهة والانف مع سد الانف والضغط عليه بالاصابع لوقف نزيف الدم

ثالثا صبغات اليود والميكروكروم

فيما مضى كان للناس قناعة تامة في جدوى صبغتي اليود والميكروكروم لتطهير الجروح ، غير أن التجربة والعلم اثبتا أن تطهير الجرح من التلوث يحتاج الى زمن أطول من مجهود مسحة عابرة ، وهذا الزمن كفيل ايضا بتدمير انسجة الجرح المصابة مما يؤثر على عملية الالتئام ، لهذا اوقفت السلطات الصحية في اغلب الدول استعمال هذه الصبغات ، واكتفت بغسل الجروح بالماء الجاري والصابون ، فهذا افضل للالتئام ولم تثبت له ضرر اطلاقا كما يتوهم بعض الناس

رابعا الاذن واعواد القطن

ما اكثر الناس الذين يعمدون الى تنظيف اذانهم باعواد القطن او بأية اداة مشابهة فقد ثبت ان هذه الوسيلة تدفع بالمادة الصمغية الذهبية او اي مادة اخرى داخل الاذن امامها حتى تلتصق بغشاء طبلة الاذن مما يسبب الاذى دون ان تخرجها ، والحل الاسلم هو استشارة الطبيب المختص ليتصرف سواء بالغسل او ازالة المواد الغريبة بطريقته الخاصة

خامسا تدفئة المريض

التدفئة في عرف الطب لا تعني زيادة درجة حرارة المريض وانما المحافظة على درجة حرارته الطبيعية وهي ٣٧ درجة مئوية ، هذا فمن الخطأ ان نعمد الى استعمال الدفايات بشتى انواعها لانها تزيد حرارة الغرفة ، وانما الأصوب هو استعمال الأغطية المناسبة كالبطاطين الصوفية ، التي تعمل على حفظ درجة حرارة المريض من أن تتسرب كما هو الترموس

سادسا الكمادات

هناك نوعان من الكمادات هما الباردة والساخنة وعند اصابة المفاصل أو العضلات بالتواء أو كدمة يسرع البعض الى استعمال الكمادات الساخنة دون ادراك ان ما حدث هو جرح داخلي ، وتمزق [illegible] نزيف وارتشاح داخلي ، لابد من وقفه وهذا [illegible] الكمادات الباردة ، لهذا ينصح عند الاصابة [illegible] كدمة باستعمال الكمادات الباردة فورا [illegible] الكمادات الساخنة فهي تستعمل مع الاصابات القديمة ، وتنشيط الدورة الدموية

سابعا التسمم بالكيروسين

شيوع التسمم بالكيروسين بين الاطفال الذين يشربونه عن طريق الخطأ ، وهذا أمر خطير [illegible] السمية ، مما يدفع بالبعض لمحاولة اجبار المصاب على التقيؤ دون ادراك للمضاعفات ، لان الكيروسين سريع التطاير والتبخر ويؤدي تسربه الى القصبة الهوائية والرئتين الى التهاب حاد وقاتل

لهذا فلا يجدر بالمسعف ان يعمل على تقيؤ [illegible] بل نقله الى المستشفى باسرع وقت ممكن ، [illegible] اعطائه بعض زيت البرافين

ثامنا الكسور

من المبادىء الرئيسية في اسعاف الكسور [illegible] تحريكها الا للضرورة القصوى ، ومع هذا فقد يعمد البعض الى تعديل العظم المكسور او تحريك المصاب دون عناية مما قد يؤدي الى قطع الاعصاب وخاصة حال كسر العمود الفقري ، أو تجريح الانسجة واتلاف الاوعية الدموية ، وهي مضاعفات [illegible] المصاب في غنى عنها ، ويفترض نقل المصاب [illegible] تثبيت العظم بجبيرة مناسبة دون تحريك ليتولى الطبيب المختص حتى لا تؤدي الى [illegible] الاسعاف الخاطىء

تاسعا الصرع

يبدو للمشاهد ان نوبة الصرع أمر مثير مما يدعو الى أي تصرف مهما كان ، وخاصة محاولة ايقاف [illegible] المريض وتشنجاته ، وهذا أمر غير مرغوب فيه يترك المريض دون تدخل اللهم سوى محاولة [illegible] شيء ما بين الاسنان حتى لا يقطع المصاب لسا[illegible] مع نقله الى موضع امن مناسب اذا كان هناك خطر

.. المريض في مكانه ، مع انتظار زوال النوبة ومراقبة المريض فقط

عاشرا أقراص الاسبرين

يستعمل الاسبرين مسكنا ومخفضا للحرارة ، لكنه في الاصل مادة حامضية تسمى حامض ... سيلسليك ، تؤذي أغشية الجسم المخاطية ، لهذا ... تعاطيه والمعدة خالية من الطعام ، كما يمنع وضع الاقراص على الاسنان عند الالم ، فساعة بمفعولها الموضعي ، لانها تؤدي الى احتراق أنسجة اللثة وليس تسكين الالم فالاسبرين عقار للاستعمال الداخلي فقط هذه بعض من التصرفات البعيدة عن المنطق السليم في الاسعاف الاولي ليست من باب الحصر وانما هي من باب الاستشهاد على سوء التصرف دون علم أو خبرة □

د حسن فريد ابو غرالة

طبيب الأسرة

بريد

غاما غلوبيولين

Gamma globulin

● أصيبت طفلتي بمرض الحصبة ، واشتد بها المرض حتى وصلت الى حال خاف معها الأطباء من مضاعفات لا تحمد عقباها ، فأمروا بحقنها بما يسمى بالغاماغلوبيولين ، مما أنقذها من خطر محدق كان سيودي بحياتها

هل لي أن أعرف ما هو معنى غاماغلوبيولين ، ولكم وافر الشكر والتقدير ؟

سالم أ أ

دير الزور ـ سوريا

... يتميز الدم بوجود زلاليات أو بروتينات معينة ، ... ذات وزن جزيئي عال ، اهمها ما يسمى بالألبومين ... الذي هو الغلوبيولين ، وهذه الأخيرة ترتبط ارتباطا ... بالأجسام المضادة التي يخلقها الجسم لتقوم ... بالدفاع عنه أمام غزو الأمراض ، التي صنعت ... لأجله ، لهذا قد يطلق على مجموعة الألبيومينات ... التي تخصصت في التعامل مع الأجسام المضادة ، وحملها عبر تيار الدم باسم الغاما غلوبيولين أو غلوبيوليات المناعة

ان هناك خمسة أنواع من الغاما غلوبيولين ، يرمز لها بالأحرف الانجليزية Ig وقد اعطيت حروفا لتمييز بعضها عن بعض هي Ig ، IgA ، IgM ، IgE ، IgD وتعتبر الثلاث الاولى منها هي المتخصصة في قضية المناعة ، بل هي تشكل ٩٥٪ بالمائة من الالبيوميات

ان الغاما غلوبيولين IgG هو الأوسع انتشارا والأهم ، لأنه يمثل ٧٥ بالمائة من هذه الغلوبيوليات المناعية ، وهو الوحيد القادر على اختراق حاجز المشيمة في رحم الأم الحامل ، والذي يمكنه أن يحصن الجنين بحصيلة من الأجسام المضادة ، التي تقيه عبر رحلة العمر الأولى ضد الحصبة والنكاف وما اليه من أمراض الطفولة الأولى

اما زميله IgA فقد نجده في سوائل الجسم كاللعاب والدموع وافرازات الامعاء والمخاط

غير أن IgA وجدوه بوفرة في أحوال الحساسية ، لهذا فهو لا يتولى أي دور مناعي محدد ، أما IgE فلم يتوفر للأطباء من المعلومات ما يكفي للاستدلال على مهمته ، وربما كان له دور في حصار الأورام

السرطانية ، وعليه نجد ان الحاما جلوبيولين أو جلوبيولينات المناعة ، وعلى وجه التحديد ، IgG يستخلصونه من دم بعض الحيوانات التي تم تحصينها ضد مرض ما ، أو سموم معينة على هيئة مصل مشبع بجلوبيولينات المناعة ، ليحقن به مريض يعاني من نوعة مرض لا يمتلك له في جسمه رصيدا كافيا من الأجسام المضادة ، ومن هنا يصبح الحاما جلوبيولين ذا نفع كبير مثلا عند الاصابة بشلل الأطفال ، مع الخلو من الحصانة (بسبب اهمال التطعيم) كما قد يستعمل في علاج الحصبة ،أو ربما الكاف ، وما اليه من أمراض على سبيل ما يعرف بالمناعة السلبية أو المؤقتة ، الى أن يبني الجسم أجسامه المضادة الذاتية فيما يعرف بالتحصين الايجابي (أو التطعيم) وفي أحوال معينة قد يحتاج الطبيب الى حاما جلوبيولين بشري ، تفاديا للحساسية التي يسببها استعمال مصل حيواني ، فيلجأ الى دم انسان سبق تحصينه أو اصابته بمرض معين ، يستخلص منه الحاما جلوبيولين المتوفر في مصل هذا الانسان ، ليحقن به المصاب طلبا لحمايته من هجمة مرض معين ، قد يودي بحياته في احوال فقر المناعة الذاتية

« الايدز » A .I .D .S .

● لقد اصبح مرض الايدز حديث الساعة ومع هذا لايعرف احد له اصلا ولافصلا ، واحيانا تقرأ اسم مرض الايدز،فأين الحقيقة في هذا المجهول الذي هبط من على البشر ، ليرعبهم في الظلام من حيث لايحتسبون

ص ع

• الكويت

- الايدز على ماعرف عنه حتى الآن مرض فيروسي قاتل يتخذ من الخلايا المناعية المعروفة باسم خلايا « تي » (T) مسرحا لتكاثره ونموه ، فيدمرها ويتلفها وهو بهذا يعجزها عن اداء وظيفتها في انتاج اجسام مضادة للامراض مما يسلب الجسم قدرته على التصدى لأي مرض آخر مهما هان شأنه أو عظم ، ومن هنا أطلقوا على هذا المرض اسم ظاهرة فقدان المناعة المكتسبة Acquired Immune deficiency Syndrome

ولما وجدوا في الاسم طولا يصعب حفظه فقد اختصروه باتخاذ الحرف الاول من كل كلمة فيه رمزا فأصبح يلفظ على هذا النحو AIDS أو الايدس وقد يلفظه البعض بالايدز فالامر سواء

ان اول بادرة لهذا المرض الغريب ظهرت عام ١٩٧٩ في امريكا،ولكن بداية موجته تعود الى عام ١٩٨١ ثم شاع بعدها وانتشر حتى انهم يقدرون عدد ضحاياه في الولايات المتحدة وحدها عام ١٩٨٠ بحوالي ١٢ الفا

ولما كان هذا المرض غامضا يتشابه في طريقة عدواه مع مرض التهاب الكبد الوبائي من حيث انتشاره عن طريق الحقن الوريدية ونقل الدم ، والاتصال الجنسي الشاذ ، بينما في أعراضه يتشابه مع احد انواع السرطانات الجلدية النادرة المسمى كابوسي Kaposi فقد اجتهد جمهور العلماء في البحث عن مصدره،وتتجه اصابع الاتهام الى نوع من القرود الافريقية الوحشية تدعى بالقرود الخضراء تعيش في غابات اواسط افريقيا يقال أن فيروس هذا المرض يصيبها دون أن يؤذيها وقد ينتقل الى الانسان عن طريق عض هذه القرود المصابة

وصادف في اواسط السبعينيات وجود مهاجرين من جزيرة هايتي عاشوا في دولة زائير يبدو انهم أصيبوا بهذا المرض ونقلوه عند عودتهم الى الولايات المتحدة عبر أنه استشرى وانتشر بطريق آخر غير عض القرود

ان اكتشاف الفيروس بوساطة العلماء الفرنسيين في معهد باستير بفرنسا فتح باب الامل واسعا في الوصول الى دراسة شاملة قد تقود الى طريق الوقاية والتطعيم ان لم يكن العلاج الحاسم ايضا

والأمل أن تنحسر موجة هذا المرض الغ[illegible] العاري وان تعود الطمأنينة الى قلوب ال[illegible]

لا نسمع ولا نرى !

ليلة واحدة أمضيتها في احدى مدن العالم الثالث ، وفي صباح يوم مغادرتي لها ، استيقظت مبكرا ، فقد كان أمامي بعض أوراق ورسائل أود قراءتها والانتهاء منها قبل مغادرتي المدينة ، وعندما مددت يدي أزيح ستائر النافذة فوجئت بمنظر لم أنسه حتى الآن عشرات الأسر ، رجال ونساء وأطفال رضع ، وصبية وفتيات يرقدون على رصيف الشارع في مشهد مؤلم وموجع خلف الفندق العريق ، وفي الشارع الحلمي يرقد عشرات البشر ولم يقف ذهني أمام شكل التناقض البسيط رغم وضوحه ، ففي مساء الليلة السابقة كانت مطاعم الفندق ومقاهيه وحاناته ترحر بالرواد قاطنين وغير قاطنين وفي نفس الوقت كان هؤلاء البشر يعدون الأكياس القديمة ويصنعون منها أغطية ووسائد لكي يناموا لم أقف كثيرا عند هذا التناقض الصارخ ، فقد قفز عقلي الى خريطة وطننا العربي الى أقطار كثيرة به ، ومدن كثيرة ، وأحياء كثيرة تعاني من ذات الأزمة ونفس الألم ، وأعترف أنني سمعت كثيرا عن بشر بلا مأوى ، وعن سكان المقابر ، وسكان العشش والخيام ، ورأيت في ليالٍ كثيرة بشرا ينامون في الحدائق العامة ، أو أسفل الجسور ، أو عند محطات القطارات ، ولكن ما سمعته لم يكن كافيا كي أدرك حجم ومعنى المأساة ، وما رأيته كان محصورا في تصور انها حالات فردية لبعض الأشقياء والمتشردين الذين تزدحم بهم مدن العالم الثالث ، ولكن رؤية أسر كاملة تنام وتمضي ليلها على هذا النحو كان رؤية جديدة لم تتح لي من قبل ، وتوالت التساؤلات على ذهني أيها أكثر الحاحا وأهمية أن توفر للانسان رغيف خبز أم توفر له سكنا ؟ وأيها أكثر آدمية أن يبيت الانسان جائعا أم يبيت مستورا ؟ وأعترف أنني لم أصل الى اجابة حاسمة ، فكلا الخيارين مؤلم ، والأكثر ألما أن هناك من يبيتون جوعى وهم نيام في عرض الطريق ، ولكن الذي لا جدال حوله ، أننا نحيا أزمة حقيقية ، وأن الأزمة امتدت الى نخاع العظم في مجتمعاتنا ، وأنها ليست أزمة ضرورات أساسية ، بل تتجاوز آثارها هذا المعنى لتصل الى كل قيم المجتمع ونظامه الاجتماعي من علاقات وانماط سلوك ، ومازلت أذكر شكوى فتاة عربية في احدى الصحف كانت تقول إنها كانت تنام في غرفة واحدة مع سبعة أشقاء وأب وأم ، وإنها سمعت ورأت مالا يليق بفتاة في العشرين أن تسمعه وتراه ، ويبدو لنا أيضا في انشغالنا بأشياء أخرى لا نسمع ولا نرى ما ينبغي أن نسمعه وأن نراه □

محمود عبدالوهاب

هو..

تحت رعَايَـتي

لم أخطىء فى تفسير كل الملاحظات التى استوقفتنى فى أرقها، وتفكيرها وانشغالها الدائم، وخروجها المستمر، والتلفونات الكثيرة التى لا يجيب فيها أحد لو رددت عليها، وعندما أصبحت ملاحظاتى تمثل حالة قلق عندى جلست معها ذات مساء وحدنا قلت لها كل ما رصدته وكل ما أتصوره، واعترفت هى أيضا بأنها تعرف شابا كان زميلها فى الجامعة وسبقها فى التخرج بعام، وأن كل ما بينهما هو حديث و« دردشة » وأحلام ولكنهما يشعران بشىء خاص يجعلهما يحبان هذا السر داخلهما، ولأنى أعرف ابنتى جيدا، فقد صدقتها، وفتحت لها صدرى كى تتحدث وتحكى لى وتجيب عن أسئلتى وتساؤلاتى، وعندما ذهبت الى غرفتها لتنام ظل عقلى يقظا يفكر فى حل، وطريقة نحمى بها ابنتنا، ونرعى بها هذه العلاقة، بحيث تكون تحت سيطرتى وتحكمى، عندما عاد أبوها فى نفس الليلة رويت له كل ما لاحظته، وكل ماقالته ابنتى وأخذت أرقب ملامح وجهه وهى تتغير وتتلون ومعدل اشتعال سجائره المرتفع، وختمت حديثى بأن طرحت عليه اقتراحا يريحنا جميعا، كان اقتراحى ببساطة هو أن نفتعل مناسبة ما، ثم أحث ابنتى لكى تدعو هذا الشاب الى البيت، وبعد ذلك نحاول أن نضمه دوما فى دائرة علاقتنا ونسمح له بزيارتنا زيارة مقننة وفق مواعيد محددة، أو ندعوه ليجلس معنا ومع آخرين من أصدقاء ابنتنا فى أماكن عامة، وقلت له إنى بذلك أضع ابنتى تحت عينى وأحميها من الخطأ، وأكسر دائرة الغموض والخصوصية التى تحيط بالعلاقة، فينطفىء بريقها وضغطها على مشاعر ابنتى، وبالاضافة الى ذلك فإننا - بحكم السن والخبرة، وبمشاركته لنا - ستمكن من توجيه العلاقة والتحكم فيها وخصوصا أن بينى وبين ابنتى وبين هذا الشاب اختلافات متباينة فى السلوك، وطريقة التفكير، وستشعر مع الوقت أن الأمر برمته كان مجرد نزوة وحداثة بلا معنى سرعان ما ينطفىء والأهم من ذلك كله أنى سأوثق جسور الثقة بينى وبين ابنتى وستشعر معى بأمان أكثر، وسوف تتيقن عندما ترى الأمر كما سأصوره لها - بأنى أساعدها وأقف بجوارها وأصون أسرارها، ولكنه لم يتفهم كل هذا المنطق وثار وأرغى وأزبد وأخذ يتحدث عن التقاليد والعادات والاحترام قلت له إننى فى سبيل الدفاع عن ابنتى مستعدة لأن أواجه أى شىء وكل شىء ولكنى لست مستعدة أن أضع قيودا على حريتها وتصرفاتها بشكل يجعلنى أفقد ثقتها، وأن الاحترام ليس أن يكذب الأبناء على الآباء ولا أن يخافوا منهم، ولكن الاحترام أن يكون الأبناء أكثر صدقا مع آبائهم واكثر ايمانا بأن عليهم حقا يجب أن يلتزموا به ولكنه ثار وثار رغم أن ابنتى فى خطر

هي..

نبدأ بالعقل

وصعتني بين المطرقة والسندان ، وأورثتني القلق والخوف البالغ ، ليس عندي في هذه دنيا أغلى من ابنتي ، وكان ظني دوما أنها ستمضي في نوار عمرها بلا مشاكل ولا مصاعب ، ولم يكن ور بخلدي انها ستفجر هذا الاختلاف في وجهات نظر بيني وبين أمها حول مشكلة من مشكلات انها ، كنا طوال عمرنا متفقين دوما حول كل يتعلق بابنتنا من حيث تعليمها ومستوى تحصيلها الدراسي وعلاقاتها بأصدقائها اختيارهم واختلاطها بصديقاتها ، والى أي حد مدى تتطور علاقاتها بزميلاتها حتى أوصلتنا هي هذا الحائط الذي اصطدمنا به تقول أمها إنها مقترحاتها تحمي ابنتها ، وإننا معا سندبر المسألة ونحكم فيها وسأبدو أنا كمن لايعرف ، بينما ... د شريكا في السر مع أمها في التخطيط والتفكير والتحكم في العلاقة ، هكذا تتصور اننا مضطرون نحمي عن ابنتنا ونداري عنها ، قلت لها إني ضد ده الفكرة كلها لأننا بذلك نسقط كل حواجز يبة والخشية ، وخير لنا أن تظل ابنتنا في قلق دائم خوفا من أن نعرف ونلحظ ، من أن تسقط كل الهيبة ، وتطمئن الى أننا نعرف ونقر فإن عاقبة ذلك أسوأ من كل النتائج التي من الممكن أن تتوصل اليها أمها باقتراحاتها ، فسوف تستسهل ابنتنا الأمر ، وقد نجدها بعد أسبوعين تقول ان الأمر كله كان وهما كما تتوقع أمها ، ولكنها بعد أسبوع ثالث قد تأتي وهي ترقص وتهلل فرحا لأنها تعرفت بشاب آخر

ومن هنا فقد تعبت في ايضاح فكرتي لأمها ان دورنا هو أن نُفَهِّمَ ابنتنا بالعقل والاقتناع أن هذه العلاقات ليست الا لهو صغار ، وأن الأكثر أهمية أن تلتفت الى دروسها ومحاضراتها ، وان علاقة الصداقة يجب أن تظل في اطار الصداقة ، وفي نفس الوقت نبدأ في تخليص ابنتنا من أوهام الحب والأحلام الرومانسية ، ونحاول أن نجعلها تدرك بواقعية عبء الحياة وقيمتها وخططها لمستقبلها ونبدأ معها مناقشة أفكارها عن المستقبل والارتباط و وان نفعل هذا بعفوية أو نتعمد ان تكون هكذا ونفعله وسط صديقاتها وأصدقائها في جلسات عائلية وندير الحوار كأننا ننظم مسابقة

بهذا الشكل التربوي أتصور أننا قادرون على أن نتحاور بابنتنا أزمتها ولكن أمها لم تستوعب ما أقول ، وسمعت كل آرائي ، وتشنجت وتمسكت بأفكارها التي - على مايبدو - أفسدتها أفلام السينما الأمريكية وغيرها وتركت ابنتنا في أزمتها وحدها

هو

العربي - العدد ٣٤١ - ابريل ١٩٨٧

قـــراءة في روايـــات

عدنان عمامة

دراســـة الـواقـــع ونـقـــد التـجـربـــة المــرة

بقلم : وليد أبو بكر

بسبب الظروف العربية عامة ، وظروف ما يحدث في بيروت خاصة ، ضاعت الفرصة على كثير من الكتاب والكتابات ، فلم تنتشر بالقدر الذي تستحقه ، خصوصا حين يجيء التوزيع فيها بحجم النشر ، لذلك فان التعرف على بعض الكتابات الجديدة ، يدخل في باب الاكتشاف الذي يستحق التنويه به بعد ذلك

اذا تجاوزنا ديوان (السجين - ٦٥) الذي أصدره الكاتب الفلسطيني عدنان عمامة عام ١٩٧٧ ، باعتباره المحاولة الأولى للتعبير (وهي غالبا ما تكون شعرا) فسوف نلاحظ أنه دخل عالم الكتابة الروائية بنجاح بعد ذلك ، حين استوحى حنينه وذكرياته من الأرض التي غادرها طفلا ، وسجلها في روايته الأولى (الخزعندار) التي أصدرها عام ١٩٧٩ ، ليصور روح المقاومة التي قادها الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني ، بامكاناته القليلة ، التي لم تمكنه من الدفاع عن الأرض ، رغم ما بذل في ذلك من دم ، فاضطر الى الرحيل ، ليموت في الغربة ، تاركا مهمة التحرير للأجيال التي أنجبها

رواية (الحومة) التي صدرت عام ١٩٨٢،تميزت عن كثير من الروايات الفلسطينية في الغربة ، بأنها عايشت المجتمع الذي يعيش فيه الفلسطيني ، مكانا وتناقضات فهي لم تختر المخيم الفلسطيني ، كما فعلت بعض روايات الشهيد غسان كنفاني ، ولا ... المقاوم الفلسطيني كم فعلت بعض قصص وروايات يحي يخلف ورشاد أبو شاور ، ولا اختارت التجمع الفلسطيني المعزول ، وانما اختارت الفلسطيني داخل مجتمع الشام ، حيث يعيش ، وتعيش معه تجمعات متنوعة

والحومة اسم حي قديم في الشام ، تملكه الأوقاف ، وتتجمع فيه العائلات الفقيرة من الفئات المختلفة أصولا من الفلسطيني الى المغربي والأرمني وهو حي قريب من مناطق السكن الرخيصة التي تعيش فيها عائلة أحمد سلامة ، المناضل القديم ، سائق الشاحنة الحالي ، الذي يحافظ على كبريائه ، ويقاوم بها ، كما تقاوم زوجته ، لكن لا يفلح في تربية ولده الكبير (خليل) الذي يثير فضائح كثيرة ، وينتهي في الحومة ، بلا عمل مع زوجته وأولاده

والحومة ، كمكان ، هي الاطار الذي تدور حول

كثير من الأمور الأخرى التي يلاحظها عرفان أحمد سلامة ، شخصية الرواية الرئيسية ، فتؤثر في اتجاهاته النضالية ، وتقوده الى اختيار الاتجاه الذي يرى فيه سبيلا الى تحرير بلاده ، ثم يقوده هذا الاتجاه الى السجن

والسجن ، بالنسبة لعرفان ، مراجعة حسابات ، وذكريات ، اضافة الى أنه تعطيل للقدرة على العمل ، حتى وان كان مؤقتا والذكريات تتجه الى الحومة ، لأنه وجد فيها مكانا صالحا لنشر فكره ، ولأن بعض ثماره ، ولأنه ـ وهو يتردد على أحيه ـ أحس في الحومة حياة طبيعية ، تتمثل في علاقات الناس ، وقناعاتهم المتجانسة ، كما وجد فيها حبّه الأول في حياته ، الذي تمثل في الفتاة التونسية ـ شبه العامية ـ صالحة ، التي تحلم بالرحيل الى حدورها في القيروان

هذه الذكريات تنسجم مع واقع عرفان في اتجاهات ثلاثة تبدأ بالحلم الذي يبدو مستحيلا حيث توجه ، فحلم عودته تعطله أوضاع محيطة ، لا تسمح بالنضال الحقيقي في اتجاهه ، لأنه يتناقض مع واقعها ومصالحها ، وحلم صالحة يبدو مستحيلا ايضا ، تعطله الحاجة الى المال ، ولكنه حين يجد سندا من عرفان (بدوافعه الداخلية) يتحقق ، ثم يموت قبل أن يصل ، فصالحة ، التي عايشت مناضلا ، لم تستطع مقاومة الانسجام مع مظاهرة شاهدتها لحظة وصولها ، فكانت رصاصة ما كافية لقتل ما تحقق من الحلم

وصالحة ، بالنسبة لعرفان ، نوع من الحب المستحيل ، ينجذب اليها حياة ، وتنجذب ، لكنهما ، رغم حميمية اللقاء لا يلتقيان ، لأن حلم العودة ، بالنسبة لكل منهما ، يظل الهاجس الأساسي الذي تدور من أجله كل التجارب (الحسنة والسيئة) وتنتهي عند حده كل العلاقات

هناك تشابه ما بين صالحة وعرفان ، حتى وان اختلفت بهما السبل ، وهناك ما يوحي بالتشابه في النهاية لعودة ، وحتى وان كانت طريق الموت ، أو كان الم ـ طريقا لها

وبقية شخصيات الرواية تغذي هذا الاتجاه خليل ـ الذي لم يعرف طريقه ـ أضاع كل طريق ، وغيره سكان الحومة يتسلى بغيره ، أو بالشعوذة والسحر ، أو بالسرقة لكن عندما يحين وقت الجد ، تلتقي الأيدي دفاعا عن الحومة ، وهذا اتجاه آخر في تصوير واقع الحومة عبر الذكريات ، والحومة ، بالنسبة للرحال من سكانها خاصة ، ليست نهاية المطاف ، والفكر الذي زرعه عرفان ، كان له أثره ، فحين تلوح فرصة للعمل يتجه الرحال اليها ، فيسعون الى الانضمام للمقاومة ، وتفرغ الحومة ممن يدافع عنها ، فتحين ساعة الهدم ، ليكون الاتجاه الثالث في الذكريات ، صورة يمكن أن تستعاد بالنسبة لما حدث ، على مستويات أوسع

عرفان يخرج من السجن ، وقد فقد الكثير مما اطمأن اليه في واقعه صالحة رحلت ثم ماتت ، والحومة هدمت وبرز في مكانها شيء حديد

عرفان لابد له من خطوة مختلفة ، لكنه لا يقوم بها ، وانما الذي يقوم بها نيابة عنه هو (الولد سلمان) في آخر روايات الكاتب ، التي صدرت عام ١٩٨٤ ، وحملت هذا الاسم

الولد صار رجلا .

تبدو الحرعندار والحومة نوعا من تفريغ الشحنة الانفعالية التي يشدها الحنين الى مكان ، استعدادا للغوص في تجربة أكثر ارتباطا بالنضال الفلسطيني ، وهو الأمر الذي فعله الكاتب في (الولد سلمان)

هذه الرواية تقدم قراءة عميقة لتجربة المقاومة الفلسطينية خلال جيلين يفصلهما عام ١٩٧٠ ، الجيل الأول هو الذي أسس ، وكانت له تجارب فكرية وحربية حاول أن يقدمها للمقاومة ، وهو يرى أنها قادرة على أن تعطيها قدرة على الاستمرار ، وتحاور كل العقبات التي تواجهها ، هذا الجيل لم يكتف بحمل السلاح ، واتقان استخدامه ، وتعليم ذلك للآخرين ، ولكنه حاول أن يقدم (تنشئة فكرية) للثورة ، تحفظها من الزلل ، ولم تحقق محاولاته النجاح المطلوب ، وتم احهاصها نهائيا عام ١٩٧٠ ، فتخلى هذا الجيل عن مهمته ، وفقدت المقاومة كثيرا من العقليات المفكرة التي تفرعت لها من أقطار عربية مختلفة ، يستطيع القارىء أن يتعرف على عدد منها ، حين يدقق في الأسماء والصفات ، اضافة الى الأسماء الفلسطينية الكثيرة التي اختارت (التقاعد) ، مما يذكر بتجربة رشاد أبو شاور في (البكاء على صدر

الحبيب)

لكن رواية عدنـان عمامـة لا تقف عند حـدود البكاء ، وانما تتخطاه الى حدود البحث عن أسباب الموت المجاني ، في حيل تال ، دخل المقاومة حماسة لها ووطنية برزت عند الحد العاصل ، وان كانت قد مهدت دوافع أخرى أول الأمر

رواية (الولد سلمان) قـد تكون (حتى الآن) أهم روايـة عن بيـروت الثـورة وبيـروت الغـزو الصهيـوني ، والرحيـل ، اذا تذكـرنا أن كثيـرا مما كتب ، لم يـلمس الجـرح كـما يجب أن يـلمس ، الروايات سبقت الحدث الكبير ، ولن تحس التعامل معه (بيروت بيروت لصنع الله ابراهيم) أو تعاملت معه من خلال صورة سابقة شكلتها (نشيد الحياة ليحيى يخلف) أو كادت أن تلمس ، فتعرضت كثيرا (بيروت ـ البكاء ليلا ، ميشيل أو الأقـوى لشوقي عبدالحكيم) أو صورت الجرح بعد أن نزف (الرب لم يسترح في اليوم السابع لرشاد أبو شاور)

رواية (الولد سلمان) عايشت الجرح منذ كان خدشا حتى صار قاتلا ، بل عادت الى الجلد قبل أن يخدش ، وهي تتذكر (الخزعندار) الذي قاوم في كل اتجاه ، قبل أن تضيع بلاده من يديه ، ويضيع

الولد سلمان لا يروي ، ولكن أخاه الكبير هـو الذي يروي عنه ، وعن تجربته الشخصية أيضـا ، وهذا الأخ امتداد لعرفان صاحب الفكر في الحومة ، وهو ابن رجل رحل من أرضه بعد احتلالها ، وسكن الشام ، وعمل سائقا لشاحنة

هذا الأخ ، بعد الاحباط الذي أصـاب الأمة في حزيران ، وجد طريق النضال في المقاومة ، فذهب الى الأردن ، حيث بدأت تتجمع منذ البداية ، وكان معه رفاق ، حاولوا أن يعملوا ، وكان حولهم ما يثير الشجن ، ويعطل الطاقـات ، وينتهي الى الخروج عام ١٩٧٠م

التجربة الأولى لا تحاورها الرواية كثيـرا ، وان كانت تنقد بعض جوانبها ، الرواية تركز على ما جاء بعد ذلك · في الشام ، حيث صار تجمع المقاومة ، بدت سلبياتها بوضوح ، حين لم تستفد من التجربة الأولى ، وبدأت تخسر العديد من مفكريها ، الكاتب لا يروي تاريخا في روايته ، وانما يروي أحداثا تدخل في البناء الروائي ، لكنها تشبه التاريخ ، انه يروي

عن محاولات جادة لاعادة التوازن الى فكر ... وفعلها ، ويروي كيف أحبطت هذه المحاو... فأحبط أصحابهـا واحدا بعـد الآخر

ثم بدأت التجمعات تتجه من بيروت مركز... وبسبب اغراء الحياة في بيروت ، صار الانضمام « الفدائية » اغراء ، وكان مفـاجئا أن ينضم الـ... سلمان الى الفدائية ، وخصوصاً أنه كان ولدا أرع... يصايق بنات الجيران باستمـرار ، الولـد سلما... يستشر أخاه ، ولم يستشر أحدا ، أرسل ليبلغ وا... رسمية ، سيدة البيت المطلقة ، انه راحل الى بير... لينضم الى الفدائية ، وأخـوه حاول أن يـناقشه خلال تجربته ، فسمع الجواب المثير بيروت أ... وبالنسبة للولد سلمان ، وكل ولد أغرته بيرو... كـانت الحياة شيئـا مختلفا ، فـالولـد سلمان يـر... صديقاته الى أمه ، بدلا من الرسائل ، لكن بيرو... تكن هـذه الحياة وحسب ، ففيهـا من يقاوم و... الولد سلمان ، والوجود الفلسطيني والعربي كا... والولد سلمان يدخل في تجربة قاسية ، حين يسقط الزعتر ، وهي تجربة تكاد تعلمه ما تعلمه أخوه قـبل ، فيرحـل الى قبرص ، وهنـا تبدأ رحلة ا... المحرب في البحث عن الولد سلمان ، البحث الثورة بجسدها الحديد ، وروحها الحـديد ، و البحث الناقد الذي أرادته الـرواية ، حيث تـو... جسد الولد سلمان على كل البقاع

حركة ونقد ·

هذه الرحلة ، رحلة في المكان والزمان تبد... بيروت ، في مخيماتها ، في مكاتب فصائلها ، ا... يعرف الولد سلمان حيثما يكون السؤال عنه ، و الولد سلمان لا يكون موجودا في المكان الذي يتـ... السؤال ، انـه ، بعـد أن أحس بخـطر العـ... الصهيوني ، ثم واجهه في غزوه الثاني ، يسال أخوه فيقال له في الرشيدية ، حين يصل يقا... مكان آخر وهكذا ، فالولد سلمان موجو... في مكان ، الا المكان الذي يصل اليه أخوه ، ... يسترجعه

وحين يجيء الغزو الأخير ، يقاومه الولـ... في كل مكان ، لكنه لا يظهر الا عبر الصـ... يعرفها الجميع (الولد جدع) ، والولد أيه...

بعد تجربة تل الزعتر ، ص اكاتيب بدلا من السات ، وصارت محا ـه .هشة أحيـه ، لأنه أصبح واعيا ، ويريد أد - تنظيم الأمور ، لكن الوقت لم يعد معـه ، ر يقتـرب من بيروت ، والولد سلمان يقاو ـ ، والغزو يقترب ، والولد سلمـان يقاوم في الد ـار ، وأخوه يقـاوم في الناحية الأخرى ، وتكاد دبابة للعـدو أن تسحقه ، لولا أن ولدا مثل الولد سلمان استطاع أن يحميه

الولد سلمان في الثورة يتقن الفعل ، لكن الغزو حركه من مكـان إلى مكـان ، وحتى تجيء لحـظة الرحيل ، والولد سلمان لا يظهر

حين يستعد أخوه للرحيل ، في البناية التي تطل على صبرا من دورها السادس ، يخيل اليه أنه يرى الولد سلمان في الشارع ، وأنه يكبر ويكبر ، حتى يصبح عملاقـا بحجم شـارع صبـرا وشـاتيـلا ، ويستلقي على ظهره ويغمض عينيه ومن جهة شرق بيروت ، يظهر مائة رجل في أيديهم السـكاكين والبلطات والبنـادق « اقتـربـوا من الـولـد ، أوقفوه وراحوا يضربونه بالسكاكين والحراب ، وأفرغو ـادقهم في عيونه ، قطعوه قطعا صغيرة ، كل قطـ بحجم باب أو نافذة « في صبرا سال الدم ساقية ميرة ، تركوه هكذا وراحـوا » وأنت تكاد تسأل ا الذي جعل الولد سلمان ينام ؟

القد على تصوير الناس في الأمكنة ، أسلوب حياة حركـة ، وعلاقـات هي ما يميـز روايات

عدنان عمامة ، فمن خـلال (الخزعنـدار) تتعرف على الحياة في طبريا ، ومن خلال (الحومـة) تحس بنكهة الشام وحياة الناس في أحيائها القديمة ، ومن خلال (الولد سلمان) ترى الشام ، وبيروت ، في عيون الذين أحبوها وعـانوا منهـا ومن أنفسـهم ، فالمكان بطل في هذه الروايات ، مثلما هي شخصياتها التي تحتل مساحـات حدث ، والتي لا تحتـل ، لأن الكـاتـب يهتم بـالشخصيـة العـابـرة ، اهتمـامـه بالشخصية الأساسية ، فلا يترك احدى شخصياته ، دون أن يوصلها الى موقع جديد ، يختلف عن الموقع الذي ظهرت فيه أول الأمر

لكن هـذا لا يشكل أهم السمـات في روايـات عمامة ، لأنه قد يشكل عاملا مشتركا لدى كثير ممن يكتبـون ، والسمة الأسـاسية التي يتميـز بها هـذا الكاتـب ، تكمن في الأسلوب الخاص الـذي يكتب به ، حتى قيل انه صاحب « صوت متميز في الرواية الفلسطينية ، فله أسلوبه الخاص ولغته الخاصة » ، وهو أمر لا يغيب عن قارئه ، منذ السطور الأولى انـه يكتـب ، وكأنـه يتحدث ، ولكن بلغـة عربيـة سليمة (قد يشوبها القليل من الأخطاء النحوية) ، ومع ذلك ، فهي تبدو مثل حديث حميم ،من صديق الى صديق ، وبلهجة فلسـطينية حميمـة ، وبذلـك يقترب من قرائه ، حتى درجة الهمس ، وكأنه يبوح لهم بأسراره الخـاصة ، رغم المنحى الجـديد الـذي يتخذه في شكله الروائي

ولعل أبرز سمات هذا الأسلوب ، هو الاقتصاد في اللغـة ، فـالثـرثـرة غـائبـة ، حتى في السـرد والوصف ، والكلمات لا تزيد عما تريد أن تقول ، كما أن الأحداث تسير في الاتجاه ذاته ، لتكون بالقدر الـذي تريـده الفكـرة ، أو الـذي يـرسـم الصـورة المطلوبة

وعلى الرغم من أن الروايات الثلاث ، تحكي عن أحداث من الذاكرة ، الا أن قدرتهـا على النقـد ، توحي عما يفترض أن يكون عليه الفكر والسلوك ، في المستقبل ، وتفتح بابا لهـذا المـستقبل . لا يقفله أي احباط

واذا كـانـت الخزعنـدار والحومـة تمهيدا لكتـابـة (الولد سلمان) ، فان الرواية قد كتبت بالفعل ، لتكرس كاتبها واحدا من كتاب الرواية القادرة على أن تكون فعلا حقيقيا □

ـ الآنَ أعشاشها في الفؤادْ .
عانقني ، واحترقنا ،
الحُلمُ عادْ .
ـتُ لهُ :

ـا العابِرُ من دَمي لِدَمي ،
ـا الطالِعُ الآنَ مثل بنفسجةٍ
ـ طلي ، ومن عَظمي ،

بقلم . محمد خليفة التونسي

سـؤالان وَجَوابان

في صفحتنا اللغوية السابقة (العربي/ العدد/ ٣٤٠/ مارس سنة ١٩٨٧) أجبنا عن سؤالين من خمسة أسئلة وجهها الينا السيد/ أحمد عبد الله حمدان العوريمي (الزرقاء/ الاردن) ، وهنا نلخص سؤالين من الاسئلة الباقية ، ونجيب عنهما

إعراب كلمة

س ٣ ـ ما اعراب « كلمة » في الآية القرآنية « كبرت كلمة تخرج من أفواههم »

ـ هي تمييز منصوب

المسند والمسند اليه

س ٤ ـ طلب مني أحد الدارسين الجامعيين استخراج آيات من القرآن كأمثلة على المسند والمسند اليه ، وهو باب أراه جديدا في قواعد اللغة العربية ، فسألته ان كان يريد بكلامه المضاف والمضاف اليه ، فلم يجب

لانه هو ايضا لا يعرف ، وانا اسألكم هل التسمية لمسمى واحد أم غير ذلك ، وان كان الاخير فأر[جو] افهامي معنى المسند والمسند اليه

ـ للعلوم ـ على اختلاف مجالاتها ـ لغاتها الخا[صة] التي تتمثل في مصطلحاتها ، ويكاد كل علم يستقل بمصطلحاته ، ويتوقف فهمه على فهمها ك[ما] يحددها أهله ، لا بمعانيها الشائعة في اصل اللغة يتداولها المتكلمون ، ولهذا درج كثير من علمائنا [عند] الشروع في كتابة موضوع ما أن يعرفوه لغويا ، [ثم] يوضحوا معناه اصطلاحا (أي اصطلاح[ه] الخاص)

فنحن نقول مثلا هذه حجرة لها أربع [جدران] وباب ، ولا نقصد بالكلمات « الحجرة وجوا[نب] وباب » معانيها اللغوية ، بل نقصد بكل منها [معناه] الخاص ، فليست الحجرة أيَّ مساحة محج[ـورة] محجورة أو محدودة بأي حد ، بل هي بناء ... وليست النافذة أي فتحة أو ثقب ، بل فتحة ... جدار ، وليس الباب أي مسلك بل موضع ...

أو الخروج ، أو أداة تفتح وتعلق على وفق الحاجة ، وهذه هي معاني الكلمات في علم الريازة (العمارة) والباب في العمارة غير الباب في تقسيم مؤلف،وغير الباب في علم كعلم النحو والصرف والاشتباه أو الاشتباك بين المسند والمسند اليه ، وبين المضاف والمضاف اليه،مصدره التوقف عند ظاهر المعنى اللغوي العام وهو نسبة المسند إلى المسند اليه ، ونسبة المضاف الى المضاف اليه ، ففي كلا الجانبين منسوب ومنسوب اليه بضم كلمة تدل على المنسوب الى كلمة تدل على المنسوب اليه

ويحسم الاشتباه أو الاشتباك بين الجانبين اذا عرفنا ما يدل عليه كلا المصطلحين في كلا الجانبين ، عرفنا العلاقة بين كل مصطلح وصاحبه في كل جانب ، وأهم ما يسعى فهمه في اي كلام بأي لغة هو معرفة علاقات كلماته بعضها ببعض في سياقها وهذه العلاقات من اهم الخصائص التي تميز لغة من لغة ، ومعنى جملة من معنى جملة مهما تتشابه الفاظها

والعلاقة بين المضاف والمضاف اليه تخالف العلاقة بين المسند والمسند اليه كما يختلفان وظيفة وترتيبا في سياق الكلام فالمضاف غالبا اسم يُضم الى مثله ليعرف به أو يتخصص به ، فاذا قلنا مثلا عاصمة مصر ، أو كتاب هذا ، أو مفتاح الحجرة ، أو أبي ، فكل من الكلمات عاصمة ، وكتاب ، ومفتاح ، وأب ، كانت نكرة فلما اضيفت الى الكلمة التي تليها والتي هي معرفة صارت معرفة ، واذا قلنا مفتاح سيارة ، أو حجرة دراسة ، أو كوب لبن ، فكل من الكلمات « مفتاح ، وحجرة ، وكوب » ، نكرة تخصصت باضافتها الى الكلمة التي تليها ، والكلمة الأولى في كل كلمتين مزدوجتين تسمى مضافا والثانية تسمى مضافا اليه ، ولابد ان يتقدم المضاف على المضاف اليه في ترتيب الكلام ، وقد يكون المضاف صفة مثل طويل القامة ، وحسن الرأي ، وطيب القلب ، والوصف هنا مضاف الى معموله

وهذه الاضافة لفظية لا تفيد تعريفا ولا تخصيصا وقد يكون المضاف اسم زمان والمضاف اليه جملة كقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقُهم

ويختلف الاسناد بين المسند والمسند اليه عن الاضافة،فكل جملة تتكون غالبا من ركنين:مسند ومسند اليه فاذا قلنا مثلا طلع القمر ـ فلفظ « طلع » مسند ، لانه يفيد اسناد الطلوع الى القمر ، ولفظ القمر مسند اليه لانه يفيد ان الطلوع منسوب اليه ، فالمسند هو المحكوم به أو المخبر به او المتحدث به ، والمسند اليه هو المحكوم عليه او المخبر عنه أو المتحدث عنه ، وهذه النسبة أو هذا الاخبار أو هذا التحديث يسمى « إسنادا » والمسند يفيد الحكم على المسند اليه ثبوتا أو نفيا فاذا قلنا « الله واحد لا شريك له » كان حكمنا يفيد ثبوت « أحدية الله » ويفيد نفي الشرك له ومن أمثلة المسند خبر المبتدأ ، مثل « الله احد » والفعل التام ، مثل طلع القمر ، واخبار النواسخ (كان واخواتها وان واخواتها)

ومن أمثلة المسند اليه المبتدأ مثل « زهير شاعر » وفاعل الفعل التام ، مثل « قد أفلح المؤمنون »ونائب الفاعل كوفىء المجتهد ، واسماء النواسخ (كان وأخواتها ، وان وأخواتها)

ويسمى المسند اليه في علم المنطق « موضوعا » ، لأن الانسان يضعه أمام فكره ليضيف اليه من الاحكام مايراه ، ويسمى المسند « محمولا » لأن الانسان يحمله على الموضوع الماثل امامه أويسنده إليه

وباب الاسناد و المسند اليه ليس من جديد عصرنا ، بل هو قديم ، ولكن علماء القواعد لا يتعرضون له في كتب النحو بهذه المصطلحات ، بل في كتب البلاغة عند بداية كلامهم على « علم المعاني » ومن أشهر من بحث هذه العلوم البلاغية عبد القاهر الجرجاني (٤٧١) هـ ولبعض من سبقوه إشارات الى موضوعاتها ، ولبعض من لحقوه توسع فيها ومنهم السكاكي (٦٢٦ هـ) صاحب كتاب « المفتاح » □

هكذا غنى الآباء

بين التدلل والتذلل

لأبى فراس الحمدانى

اسمه الحارث بن سعيد بن حمدان ، أبوه من قبيلة تغلب ، وامه رومية ، كناه ابوه بأبي فراس (كنية الأسد) فكان فارسا كما أمّل فيه ، وقد اشتهر في الشعر بكنيته ونسبه (ابو فراس الحمداني) ، وكان الحمدانيون اهل فروسية ورياسة ، وقع بأسهم بينهم طمعا في السلطة ، وحين كان شاعرنا في الثالثة قتل ابوه ، قتله ابن اخيه ناصر الدولة لتزاحمهما على ولاية الموصل ، والملك عقيم . تربى ابو فراس في رعاية أمه ، وكان بها بارا طول عمره ، وقد ضمه اليه سيف الدولة ابن عمه وزوج اخته الذي كان امير حلب في الشام ، فأحسن تربيته على ايدي علماء في الادب والعلم والفروسية ، وكان يحبه لقرابته وصهره وشجاعته ونبله ، وعندما كبر شاركه في حروبه مع الروم وولاه منبج ، وفي موقعة حولها حاصره جيش رومي فأصيب بسهم في فخذه وأخذ اسيرا الى القسطنطينية ، وبقى هناك الى ان افتدته امه واميره سيف الدولة ، وقد عاش بعده ، ثم قتل وهو شاب (٣٢٠ - ٣٥٧هـ ٩٣٢ - ٩٦٧م) على يد قائد لابن سيف الدولة

وهذه الأبيات هنا من مقدمة قصيدة وصف فيها اسره وجلادته ، وقد غنت بعضها مغنيتنا الكبيرة السيدة أم كلثوم ، والقصيدة ٥٤ بيتا ، وله ديوان مطبوع يضم مقطوعات وقصائد كثيرة ، منها قصيدة تبلغ ٢٣٠ بيتا

أراكَ عصيَّ الدمعِ شيمتُك الصبرُ — أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاقٌ ، وعندي لوعةٌ — ولكنَّ مثلي لا يذاعُ له سرٌّ
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى — وأذللتُ دمعاً من خلائقه الكِبْرُ
تكاد تضيء النار بين جوانحي — إذا هي أذْكَتها الصبابةُ والفكر
معلّلتي بالوصل والموتُ دونه — إذا مت ظمآناً فلا نزل القـ...
حَفِظْتُ وَضَيَّعْتِ المَوَدَّةَ بَيْنَنَا — وَأحسنُ ، من بَعضِ الوَفاءِ لكِ ، الـ...
وَما هَذِهِ الأيّامُ إلا صَحَائِفُ — لأحرُفِها ، مِنْ كَفّ كاتِبها ، بَشـ...

ـمسي مِنَ الغَـادِينَ في الحَيّ غَـادَةٌ   هَـوايَ لَهَـا ذَنْـبٌ ، وَبَهجتُهـا عُـذْرُ[6]

تَـرُوغُ إلى الـوَاشِيـنَ فيّ ، وإنّ لي   لأذنـاً بهـا ، عَنْ كُـلّ وَاشِيَـةٍ ، وَقْـرُ[7]

بـدَوْت ، وأهـلي حَـاضِـرُونَ ، لأنـي   أرى أنّ داراً ، لَستِ من أهلهـا ، قَفْـرُ[8]

وحـارَبْـتُ قَـوْمـي في هَـواكِ ، وإنّهُمْ   وَإيّـايَ ، لَـوْلا حُبّـكِ ، المـاءُ والخَمـرُ

فإنْ يَـكُ مَـا قَـالَ الـوُشَـاةُ وَلَمْ يَكُنْ   فَقَـد يَهدِمُ الإيمـانُ مَـا شَيّـدَ الكُفـرُ[9]

وَفَيتُ ، وَفي بَعضِ الـوَفَـاءِ مَـذَلّـةٌ ،   لإنْسَـانَـةٍ في الحَيّ شِيـمَتُـهـا الغَـدْرُ

وَقُـورٌ ، وَرَيْعَـانُ الصِّبَـا يَسْتَفِـزّهَـا ،   فَتَـأرَنُ ، أحْيَانـاً ، كَـمَا أرِنَ المُهـرُ[10]

تُسَـائِلُني . مَـنْ أنتَ ؟ وَهْـي عليـمَـةٌ ،   وَهَـلْ بِفَتىً مِثْـلي عَـلى حَـالِـهِ نُكـرُ

فَقُلتُ كَـمَا شـاءَتْ وشـاء لَهَـا الهَـوَى   قَـتيـلُكِ ! قَـالَـتْ أيّهُمْ ؟ فَـهُمُ كُـثْرُ

فَـقُلتُ لَهَـا . لَـوْ شئـتِ لَمْ تَـتَـعَنّتي ،   وَلَمْ تَسـألي عَني وَعِـنـدَكِ بي خُبـرُ ![11]

فقـالَتْ لَقد أزْرَى بِكَ الدّهـرُ بَعـدنـا ،   فَقُلتُ مَعـاذَ اللهِ بَل أنتِ لا الـدّهـرُ[12]

وَمَا كَـانَ لـلأحـزَانِ ، لَـوْلاكِ ، مسلَكٌ   إلى القَلْبِ ، لكنّ الهَوَى للبِلى جِسـرُ[13]

وَتَهْـلِكُ بَـيـنَ الهَـزْلِ وَالجِـدّ مُهـجَـةٌ   إذا مـا عَـداهَـا البَينُ عَـذّبَـها الهَجْـرُ[14]

فَـأيْقَـنْتُ أنْ لا عـزّ بَعدي لِعـاشـقٍ ،   وَأنّ يَـدِي مِمّـا عَـلِقْتُ بِـهِ صِـفْـرُ[15]

وَقَـلّبْـتُ أمْـري لا أرَى لِيَ رَاحَـةً ،   إذا الـبَـيـنُ أنْـسَـاني ألَـحّ بيَ الهَـجْـرُ

فَعُـدْتُ إلى حكمِ الـزّمـانِ وَحكمِهَـا ،   لَهَـا الـذّنْبُ لا تُجـزَى بِـهِ وَليَ العُـذْرُ

١ـ لوعة حرقة

٢ـ أصوابي أصعمي سطت يد الهوى تحادلت واستسلمت

٣ـ حوانحي صلوعي أدكتها أشعلتها الصبابة الشوق

٤ـ معللتي مطمعتي القطر المطر ٥ـ النشر محو الكتابة

٦ـ الغادة الفتاة الناعمة اللينة بهجتها جمالها ، وهذا يدعو الى مسامحتها

٧ـ تروغ تميل الواشي ناقل كلام السوء وقر ثقل المعنى أنها تسمع لمقالة السوء عني ، وأما أسد أذني

٨ـ بدوت سكنت البادية ، حاضرون يسكنون الحاضرة ، القفر الخلاء ٩ـ لم يكن لم يصدق

١٠ـ وقور رزينة ريعان الصبا بداية شبابها يستفزها يستحمها ويحركها تأرن تمرح

١١ـ لم تتعنتي لم تعاندي وتسألي للمغالطة الخبر العلم

١٢ـ أزرى بك أصابك بالعيب ١٣ـ الجسر القنطرة ، والطريق

١٤ـ عداها البين جاوزها الفراق ١٥ـ صفر فراغ ، أي فارغة

* أكثر الناس تردهيهم الأماني ، ويعبث بعقولهم الاغراء ، فإذا هم من صرعى الغرور ! .

(د طه حسين)

الكلمات المتقاطعة
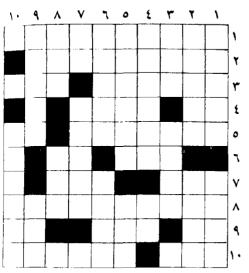
يهدف هذا اللعبر الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك ، وربطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقابلة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم

الكلمات الأفقية

١ حطة عامة
٢ من أمهات المعاجم العربية للزبيدي
٣ يتْعْس ، مجلس القوم
٤ أكثر من الكلام ، يصدر صوتا حادًا
٥ أحمر اللون ، جلد رقيق يكتب فيه
٦ جمع رِمّة ، تألم
٧ فصل الكلام ، شقّ بالمصع
٨٧ قصاص مصري معروف
٩ ما يدخل العروة ، رافعة مقلوبة ، أعمى
١٠ صلف مقلوبة ، النحلة المحتارة

الكلمات الراسيه

١ من كبار غزاة التتار ، صحابي يلقب بأسد الله ورسوله
٢ فيلسوف وجودي ، منسوب لمدينة في حضرموت
٣ تجدها في تجارة ، من جموع حرم
٤ مادة مشعة من اكتشاف مدام كوري ، تعني وشوش
٥ انقسام الشخصية ، اقترب
٦ توَنّحْس ، عذراء
٧ إرواء مقلوبة ، منها ما هو ذهبي وما هو بدني
٨ خليج صغير ، حيرات
٩ يأخذ بالرأس ، من الحروف العربية
١٠ عملية يستخرج بها الحبيب

حل مسابقة العدد الماضي مارس ١٩٨٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	و	ا	ص	ل	ب	ن	ع	ط	ا	ء
٢	ا	ل	ك	ن	د	ى	■	و	د	■
٣	س	م	ن	■	■	ك	ب	ا	ب	ى
٤	ن	ع	■	م	ص	ل	■	ر	ا	م
٥	ط	ل	ى	ع	ه	■	س	ق	ر	■
٦	ن	ق	ل	ا	ل	د	م	■	ه	ن
٧	■	ا	و	ص	ب	■	ى	س	م	ل
٨	ل	ب	■	ر	■	ر	ع	ق	■	س
٩	ح	■	ص	■	ص	ب	■	ه	ا	و
١٠	■	ا	ل	و	ه	ا	ب	ى	و	ن
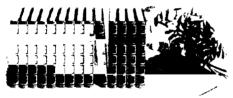
مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف : مجموعة من المختصين التربويين

عرض وتحليل : ياسر الفهد

Reflections on
the future
development of
education

EDU
CAT

Unesco

صدر هذا الكتاب برعاية اليونسكو ، باللغة الانجليزية ، في باريس عام ١٩٨٥ م وهو يحلل الاتجاهات التربوية الأساسية في العالم منذ الستينيات ، منطلقا بعد ذلك الى سبر أغوار المستقبل ، وتقصي العوامل الرئيسية التي يمكن أن تؤثر في التربية حتى نهاية القرن الحالي ، ومعنى ذلك أن الكتاب الذي يعتمد على نتائج ندوة دولية سبق أن عقدت في باريس في بداية الثمانينيات ينظر الى الوراء والى الأمام في آن واحد ، واضعا الماضي والحاضر والمستقبل في منظار البحث والتقصي ، وقد اشترك في تأليف الكتاب لفيف من كبار المختصين التربويين العالميين ، منهم (ايفان بيرند ، وتورستن هوزن ، وجين بليا ، وشابور راسخ ، وانحريد ايد ، ولويس سوتو ، ودنيس أوزبورن ، وغيرهم)

نظرة إلى الوراء

يبدأ الكتاب بتسليط بعض الأضواء على ماضي التربية ، مبينا أن جذور التعليم النظامي نشأت في أوروبا ، في العقود السابقة للثورة الصناعية ، وقد استمر تطور التعليم الأولي والالزامي في عدة بلدان أوروبية ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، أما التعليم الثانوي والعالي فظل محصورا ضمن صفوة من الناس وهذه الحال تمثل المرحلة الأولى من تطور التربية ، كما يراها الكتاب ، وتشمل المرحلة الثانية الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين ، الأولى والثانية ، فخلال هذه الفترة التي رافقها بدء انطلاقة التقنية أحرز التعليم الثانوي توسعا ملحوظا ، بينما لم يحقق التعليم العالي تقدما مماثلا ، وفي المرحلة الثالثة التي تبدأ في الخمسينيات ، مع انبثاق الثورة العلمية والتقنية والنمو الاقتصادي السريع ، أخذ التعليم في مختلف مراحله الأولية والثانوية والعالية ينتشر بشكل لم يسبق له مثيل ، وخلال الستينيات والسبعينيات ارتفعت الأصوات تنادي بالتعليم من أجل الجميع ، بدلا من تعليم الصفوة ، وبرز مبدأ ديموقراطية التعليم ، ليحل محل الاتجاه نحو تعليم الاقلية ، ونتيجة لذلك ازداد عدد المسجلين في مدارس العالم منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٨٠ بمقدار الضعفين تقريبا ، فارتفع من رهاء (٤٣٦,١) مليونا الى (٨٤٥,٣) مليونا ، وكان معدل التوسع الكمي في أعداد المتعلمين أكبر في الدول النامية ، من الدول الصناعية ، اذ بلغت نسبته ١٢٢٪ تقريبا عند الأولى ، مقابل ٧٨٪ عند الثانية

ولهذا الارتفاع أسباب عديدة ، منها النمو « الديموغرافي » ، وحاجة الثورة الصناعية الى « كوادر » مؤهلة ، ودور « اليونسكو » في تشجيع التعليم

والى جانب التوسع الكمي في أعداد المتعلمين - خلال العقدين السابقين الذي صاحبه توسع مماثل في أعداد المعلمين - حدثت تطورات تربوية نوعية هامة ، ترمي الى اصلاح التعليم وتحديثه ، من بين هذه التطورات إدخال العمل في التعليم ، وربط التربية بالحياة اليومية وبالبيئة المحيطة ، والتوسع في التعليم المهني ، وازدياد الفعاليات التعليمية خارج المدرسة ، وربط مضمون التعليم بقيم المجتمع ، كاحترام الآخرين ، والشعور بالمسؤولية ، والدفاع عن السلام والعدالة ، وتبني المبادىء الأخلاقية

ومن الملاحظات الهامة ذات المغزى التي يقدمها (ايفان بيرند) - أحد مؤلفي الكتاب - أن التطور التربوي هو شرط ضروري للتطور الاقتصادي والاجتماعي ، والدليل الملموس الذي يسوقه على ذلك أن التقدم التربوي الكمي والكيفي هو الذي فتح الباب على مصراعيه أمام الثورة الصناعية في أوروبا ، حيث أن التعليم هناك هو الذي [illegible] لامتصاص المعرفة التقنية الجديدة ، ويؤكد ([illegible]) أنه بدون متعلمين لن يكون هناك أي [illegible] صناعي ، أو تغيرات اجتماعية واقتصادية [illegible] قطر .

مشكلات تربوية معاصرة

بعد هذه الوقفة مع الماضي - لاسيما مع العقدين الأخيرين - ينتقل الكتاب الى رسم صورة عن الواقع التربوي الراهن ، ، من خلال عرض أهم المشكلات التربوية المعاصرة التي تعاني منها الدول المتقدمة والدول النامية على السواء بدرجات مختلفة ، وبقدرات متباينة على مواجهتها ، ومن بين هذه المشكلات الطلب الهائل المتزايد على التعليم الرسمي ، ناهيك عن التفجر التربوي المتمثل ببقاء مزيد من المتعلمين في المدارس والجامعات فترات أطول مما كان عليه الحال في الماضي ، حتى لقد أصبحت هذه المؤسسات التعليمية حرءا من الحياة اليومية للافراد مدى الحياة ويذكر الكتاب أيضا مشكلة تقصير الأسرة في واجباتها التعليمية ، وما يترتب على ذلك من زيادة الاعباء الملقاة على عاتق المدرسة ، مما يجعل التقسيم المناسب للمهام بين المدرسة والأسرة من تحديات المستقبل البارزة وهناك أيضا - مشكلة مجاراة المتعلم للمعلومات الجديدة ، وضرورة لحاقه بها ، فالمعلومات في عالمنا المتغير المتقدم تقنيا تعتق مع مرور الزمن ، مما يوجب على المدرسة أن تزود الطالب بمعلومات صالحة مدى الحياة ، ولما كان هذا غير ممكن دائما فان الطالب يظل بحاجة الى تجديد تعليمه ، حتى يواكب التقدم ، ويلحق بركب المعلومات المتغيرة باستمرار ولم ينس المؤلفون المشكلة الناجمة عن استعمال التقنية في التعليم ، ففي حين نجد معظم الكتابات تصفق وتهلل لهذا الاستعمال ، وتدعو الى التوسع فيه ، يحذرنا الكتاب من أن هذا ينطوي على مشكلة هامة ، وهي مشكلة انعدام التفاعل بين المعلم والتلميذ ، وغياب الفرص لبناء جسور الثقة بينهما ولم يغفل المؤلـ ون - أيضا - عن مشكلة ضعف الاتصالات الشـ صية بين صانعي القرار التربوي وبين المعـ ن ، وذلك بسبب توسع النظام التعليمي وازد د الوحدات الادارية ويشير الكتاب - كذلـ - الى مشكلة انعدام التوافق بين الكم والكيف السر ن في البلدان النامية ، فقد أدى الضغط من أجل لتحاق بالمدرسة الى التضحية بالكيف لحساب الكم ، مع كل ما يعنيه من تدهور في مستوى التعليم وهناك أخيرا مشكلة الهدر الناجم عن التسرب والرسوب

تحديات المستقبل

بعد القاء الأضواء على ماضي التربية ومشكلاتها الحاضرة نأتي الى الموضوع الرئيسي الذي يتمحور حوله الكتاب الذي يتعلق بمستقبل تطور التربية . يتم هذا التطور بعملية معقدة للغاية ، لأن التربية ليست قطاعا مستقلابذاته، بل انها تتفاعل بصورة مستمرة مع قطاعات أخرى في المجتمع ، كالاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها يبين المؤلفون أن دور التربية سيزداد تعقيدا في المستقبل ، لان عليها أن تتعامل مع موضوعات جديدة ، نابعة من مشكلات المجتمع المعاصر ، لم تكن تتعامل معها في الماضي ، منها موضوعات نزع السلاح ، وحفظ السلام ، والقضاء على العنف والفقر والبطالة ، وحماية البيئة والغاء الفوارق بين الدول الغنية والدول الفقيرة والسيطرة على التقدم العلمي والتقني ، ومواجهة مشكلات الطاقة ، وغير ذلك . ولعل أهم ما يعالجه كتاب (تأملات في مستقبل تطور التربية) عرض العوامل التي يتوقع أن تؤثر في تطور التربية حتى نهاية القرن الحالي وتأتي على رأس هذه العوامل التغيرات « الديموغرافية » ، فاحصاءات الأمم المتحدة تشير الى أن سكان العالم سيزدادون بين عامي (١٩٨٠)و(٢٠٠٠) بنسبة ٤٠٪ ، أي أن عددهم سيصل الى ٦,٢ آلاف مليون نسمة في نهاية القرن الحالي ، وسيؤدي ذلك الى ارتفاع أعداد من هم في سن التعليم ، ثم ازدياد أعداد المسجلين في المدارس ، مع ما يستلزمه ذلك من نفقات وأماكن ومعلمين

ويذكر الكتاب بعد ذلك العوامل الاقتصادية ، فقد أدى الكساد الاقتصادي العالمي الى البطالة ، والتضخم ، وازدياد الطلب على الوظائف ، وكذلك أدى الى وضع قيد على الانفاق على التعليم ، وهذا كله يقتضي تخطيطا تربويا جديدا لمواجهة الاوضاع المذكورة ، لاسيا في الدول النامية .

ولم ينس المؤلفون عامل العلم والتقنية ، فازدياد

دور هذا العامل في حياتنا اليومية يجعل الانسان بحاجة الى التعرف على التقنيات العلمية المحسنة باستمرار ، ولاشك أن السنوات القادمة الممتدة من الآن حتى نهاية القرن العشرين سوف تشهد تقدما كبيرا في علوم الطاقة النووية والالكترونات و« السيبرناطيقا » و« الأتمتة » وغيرها ، مما يؤدي الى ضرورة ادخال تغييرات في المناهج لاسيما مناهج العلوم ، كما يستلزم اعداد المتعلمين لمواجهة التغير ، ومواكبة التطورات الحديدة ، والتكيف بفعالية مع البيئة

وهناك أيضا العوامل البيئية ، فالاستثمار غير المعقول للمصادر الطبيعية ، والاستعمال غير المنظم للتقنية الملوثة ، أديا الى الاخلال بتوازن البيئة ، والى اثارة التساؤل حول علاقة الانسان بالطبيعة ، وهذا الوضع يلقي على عاتق التربية مهمة ادخال مواد خاصة بحماية البيئة ، ومحاربة التلوث الى المناهج

ويذكر الكتاب أيضا العوامل الاجتماعية ، كالقيم والمعتقدات الدينية ، ونماذج السلوك ، والفقر ، والفوارق الاجتماعية ، وعدم تكافؤ الفرص ، وكذلك الفراغ الناجم عن زيادة الانتاجية ، والتقدم التقني ، وما يرافق هذا الفراغ من الاكثار من أوقات العطل والنشاطات الترفيهية ، خاصة في الدول المتقدمة وتوقع أن يكون لكل هذه العوامل ـ كما يقول الكاتب ـ تأثير في مسار تطور التربية ، وكذلك الأمر بالنسبة للعامل السياسي ، وعلى الأخص في دول العالم الثالث ، فالتربية في هذه الدول تعتمد على المؤسسات المستقرة ، وعلى التزام قوي من جانب الدولة ، لذلك فان ترعرع الاستقرار الناجم عن استمرار التمزقات الداخلية في الدول الصغيرة سوف يؤثر سلبيا في أوضاع التربية ، ومن جهة ثانية فان العامل السياسي كثيرا ما يكون حصيلة قوى اقتصادية واجتماعية ، لها ـ هي نفسها ـ تأثير في التطور التربوي

ويؤكد المؤلفون أيضا أهمية العامل الدولي ، فاذا تحقق نزع السلاح ، وساد السلام العالم ، فان كثيرا من الأموال المخصصة للسلاح والاقتتال ستكرس للانفاق على المشروعات التربوية

مقترحات وحلول :

يقدم لنا الكتاب كثيرا من المقترحات والحلول لدفع عجلة التربية نحو التقدم ، على الرغم من الأوضاع العصيبة التي يتوقع أن تمر بها ، فالمؤلفون يشددون على ضرورة ربط التعليم بالتطوير ، وتكييف نظام التعليم ومحتواه مع التقدم العلمي والتقني ، ومع حاجات السوق والعمالة ، كما يدعون الى توزيع أكثر عدلا وانصافا في الخدمات التعليمية ، الى تحقيق توازن أكبر بين التعليم الأولي ، من جهة ، والتعليم الثانوي والعالي من جهة أخرى ، وينادي الكتاب بتوجيه التعليم نحو أهداف جديدة ، مثل محاربة العنف والجنوح ، وتدهور البيئة ، مع الاهتمام بالاستثمار الزراعي ، خصوصا في البلدان التي يهددها القحط والمجاعة ، أما في مجال الدوام فيقترح المؤلف توفير مرونة أكبر في الدوام المدرسي ، سواء بالنسبة لسن الالتحاق أو عدد أيام الدوام الفعلي للطالب ، في اثناء السنة الدراسية ، كما يوصي بالعناية بالدوام الجزئي ، والتعويض عن الدوام الكامل الطويل بتحسين نوعية التعليم ومن الاقتراحات الأخرى للكتاب إعادة تقييم دور المعلم في التعليم ، فهناك ازدياد هائل في تكاليف الموظفين ، يقابله نقص في اعداد المعلمين المؤهلين بشكل جيد ، وهذا يجعل من الضروري ... الوسائل الكفيلة بالافادة من وقت المعلم بطريقة اقتصادية ، ومن بين هذه الوسائل التوسع في استعمال وسائل وتقنيات جديدة في التعليم

ومن الموضوعات التي يوليها الكتاب اهتمامه مسألة النفقات ، اذ أن مستقبل التربية برمته يه...

الى حد كبير - على النواحي المالية والاقتصادية ، وقد بين إحصاء أجرى في عام ١٩٧٨ أن متوسط ما تنفقه الدول النامية على التعليم يبلغ ٤،١٪ من دخلها القومي العام ، يقابل ذلك ٥,٩٪ في الدول المطورة ، واذا كان تكاثر السكان يوجب توسيع التعليم ، فان الكساد الاقتصادي لم يسمح بزيادة الانفاق على التعليم بدرجة تكفي لمواجهة التوسع المرتقب ، لذلك يقترح المؤلفون ترشيد الانفاق على قطاع التربية بدلا من زيادته ، مبينين أن الدول يمكن أن تتبع عدة طرق لتحقيق الترشيد ، من ذلك تحسين الكم التربوي ، على حساب الكيف ، مع المحافظة على معدل النفقات ، وهذا سيؤدي الى زيادة أعداد التلاميذ بالنسبة لكل معلم ، ورفع قدرة استيعاب الابنية المدرسية للتلاميذ ، وخفض أعداد الموظفين الاداريين ، وتقليص استخدام الوسائل التعليمية ، أما خيار تحسين الكيف على حساب الكم فيؤدي الى عكس ذلك تماما ، أي تخفيض نسب التلاميذ الى المعلمين ، وتحسين نظم الادارة والتفتيش ، والتوسع في استخدام الوسائل التعليمية ، الخ ، والسياسة التربوية لكل قطر هي التي تحدد اختيار الاتجاه الكمي أو الاتجاه الكيفي ، وقد بينت الدراسات - كما يقول المؤلفون - أن معظم دول العالم قد اختارت الخيار الكمي

ومن الحلول المطروحة في الكتاب تعديل الهرم التعليمي ، فنحن نجد اليوم في الدول النامية مثلا أن التعليم الثانوي والعالي أكثر توسعا من التعليم الأولي ، مع أنه أكثر كلفة منه ، ويقترح الكتاب تقليص التعليم الثانوي والعالي لصالح التعليم الأولي الأقل كلفة ، وذلك توفيرا للنفقات ، وصرفها في مجالات تربوية أخرى ومن مقترحاته أيضا التوسع في التدريب المهني ، نظرا لأن هذا التدريب مردودا ماليا بعيد المدى لصالح الاقتصاد القومي

و[illegible] عو المؤلفون أيضا الى السعي لرفع كفاية النظم التربوية ، والعمل على انقاص أعداد المتسربين والر[illegible]ين ، وعلى الرغم من أن هذا ينطوي على زيادة النفقات على المدى القصير ، فانه يؤدي الى [illegible] على المدى البعيد

[illegible] حل تلجأ اليه بعض الدول مثل كوبا [illegible] وا ، يتمثل بالافادة من المتطوعين بدون أجر ، أو الذين يتقاضون أجورا ضئيلة في التعليم ومعظم هؤلاء لايحملون شهادات ، لكنهم قادرون على التعليم ، لاسيما في مجالات محو الأمية وتعليم الكبار ، ومما يقترحه الكتاب أيضا زيادة الضرائب على بعض السلع الاستهلاكية ، لانفاقها على برامج التعليم

اهتم المؤلفون بموضوع العلاقة بين التربية ووسائل الاعلام (المذياع ، والتلفاز ، والصحافة ، والسينما) ، ودعوا في فصل خاص من الكتاب الى اعادة النظر في هذه العلاقة ، واحلال التعاون بينهما محل الصراع والتنافس ويتهم المربون مؤسسة الاعلام - عادة - بالمبالغة في التأكيد على التسلية والامتاع ، على حساب الحقائق العلمية ، ويعتقد مؤلفو الكتاب أن وسائل الاعلام تستطيع أن تساعد التربية ، وتخفف عنها الأعباء ، لأن بإمكانها أن تنقل الرسالة التعليمية نفسها بملايين النسخ ، فان هناك اليوم حاجة لتعليم المزيد من الناس ، وكذلك لتعلم المزيد من المواد والموضوعات الجديدة ، مما يزيد الأوزار الملقاة على عاتق التربية

ولم يغفل المؤلفون عن صعوبة التعاون بين حقلي التربية والاعلام ، وهم يعتقدون أن هذا التعاون محكوم الى حد بعيد بتقدم التقنية،لاسيماالحاسوب (الكومبيوتر)لأن هذا من شأنه أن يوفر فرصا جديدة لاستخدام وسائل الاعلام في المهام التعليمية

ملاحظات

تبقى لنا بعض الملاحظات على هذا الكتاب أولها أن هذا الكتاب - على الرغم من أهميته البالغة - لايمكن أن يندرج ضمن الكتب التي تستند الى علوم المستقبل ، فما عرضه المؤلفون بخصوص احتمالات مستقبل التربية انما هو تأملات وتصورات ، لادراسات مستقبلية منهجية ، كما أنه من جهة ثانية ، لايقدم لنا صورة واضحة عن مستقبل التربية ، ومساراتها القادمة ، بقدر ما يلقي الأضواء على العوامل التي ستؤثر مستقبلا في تطور التربية ، ومع ذلك فان الافكار المستقبلية التي يعرضها الكتاب تعد على درجة كبيرة من الاهمية والقيمة العلمية ، لأنها تساعد المخططين التربويين على استباق الاحداث ، وتطويق الأزمات التربوية القادمة قبل استفحالها □

من المكتبة العربية
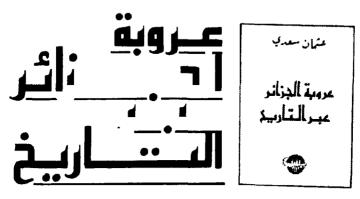
عرض : رشيد خشانة

تعرضت بلدان المغرب العربي أكثر من أي جزء آخر من الوطن العربي الى حملات منهجية لتشويه شخصياتها الوطنية ، وضرب انتمائها التاريخي والحضاري ، ولا جدال في أن الجزائر عانت أكثر مما عانى سواها من هذا المخطط الاستعماري ، بسبب اصرار ما كان يسمى « بالامبراطورية الفرنسية » على ضم الأرض الجزائرية الى التراب الفرنسي ، واعتبارها جزءا منه ، وليس مستعمرة عادية مثل تونس أو السنغال أو المغرب لذا قدم الجزائريون أكثر من مليون شهيد ليحصلوا على استقلالهم .

لم يكن جلاء الاستعمار عن أقطار المغرب العربي ، وعن آخر قلعة له فيه ،وهي الجزائر ، ليعني انتهاء وجوده الثقافي ، واقتلاع تأثيره الفكري في العقول ، خصوصا في النخبة المثقفة التي تربت على قيم فرنسا وتاريخها وثقافتها لذلك ، ظهرت في العقود الأخيرة دعوات تتزعمها تلك النخبة(الفرنكوفونية)،وتنادي بفصل المغرب العربي عن المشرق ، وبمراجعة انتمائه الى الحضارة العربية ، وتصدى لهذا التيار المعادي للعروبة مثقفون وكتاب قوميون ، انكبوا على دراسة تاريخ أقطار المغرب العربي ، ليثبتوا أنها تشكل كـ[illegible] حضاريا متجانسا نما وتطور في قلب المجرى الك[illegible] للثقافة والحضارة العربيتين ، ولم يترك مجالا لـ[illegible] « أمم أو كيانات قومية » متمايزة عن العروبة كـ[illegible] يزعم ذلك دعاة الفرنسة والانعزالية

ولعل أحد أهم الردود على مزاعم هؤلاء [illegible] الأديب عثمان سعدي الصادر عن « الشركة الـ[illegible] للنشر والتوزيع » (الجزائر) تحت عنوان « [illegible]

الجزائر عبر التاريخ » ومؤلف الكتاب مناضل وطني ، انخرط في أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية ، ثم انضم الى جبهة التحرير الوطني الجزائري ، وعمل في مكاتبها بالمشرق العربي خلال سنوات الثورة المسلحة ، وكان سعدي من الذين هجروا المدرسة الفرنسية بعد أحداث ٨ مايو (ايار) ١٩٤٥ الدموية ، اقتناعا منه بأن اللغة الفرنسية هي التي قتل على عباراتها وأنغامها خمسة وأربعون ألف جزائري وجزائرية في ثلاثة أيام ، فدخل مدرسة التهذيب الأهلية العربية بتبسة ، وعندما افتتح المعهد العربي الأهلي معهد عبدالحميد بن باديس بقسنطينة سنة ١٩٤٧ ، كان من طلبته ، وتخرج في أول دفعة له ، ثم كان ضمن أول بعثة طلابية توفدها الحركة الوطنية إلى المشرق العربي ، فدرس في جامعة القاهرة عام ١٩٥٢ ، وحصل منها على الليسانس في الآداب العربية عام ١٩٥٦ ، ثم حصل على الماجستير من جامعة بغداد عام ١٩٧٩ ، عن رسالة حول « الثورة الجزائرية في الشعر العراقي » وتقلد منذ عام ١٩٦٢ عدة مناصب دبلوماسية وسياسية

بربر وعرب

يعرف عثمان سعدي كتابه بأنه « دراسة تاريخية تثبت عروبة هذا الجزء من الوطن العربي منذ العصور التاريخية السحيقة في القدم ، ومنهم البربر . ومؤلف هذا الكتاب واحد منهم ، فهو كتاب « يرد على المشككين في عروبة الجزائر والمغرب العربي الذين يؤلفون حزب (الفرنكوفونية) بدول المغرب العربي « الأربع » ، ومن هنا نرى المؤلف يضعه في سياق المعركة الفكرية بين العروبة وأعدائها ، يقول « تدور في هذه السنوات بالجزائر وبقية أقطار المغرب العربي مناقشات تشكك في عروبة هذه المنطقة من الوطن العربي ، وعروبة المغرب أصيلة منذ فجر التاريخ ، فسكانه القدماء ينتمون الى السلالة السامية ، كما ينتمون حضاريا وثقافيا الى المنطقة الممتدة من ساحل عمان شرقا الى شواطىء المحيط الأطلسي غربا ، وهذا هو الذي يفسر لماذا فشل الرومان والوندال والبيزنطيون ، في دمج المغرب بالمجموعة الأوروبية وبالثقافة اللاتينية ، على الرغم من استمرار حكمهم في السيطرة على المغرب أكثر من ثمانية قرون ، وهو الذي يفسر لماذا اعتنق البربر الاسلام ، واندمجوا في الثقافة العربية في نصف القرن الأول من الفتح الاسلامي للمغرب »

إن الذي يدهش في هذا الكتاب هو أن الدفاع عن العروبة صادر عن نبض بربري فخور بعروبته ، اذ يقول المؤلف في السطور الأولى من الفصل الأول الهدف من هذه الدراسة اثبات الأصول العربية للبربر ، وأنا أتكلم في هذا المجال بلا عقدة ، فأنا من الذين يقال عنهم بربر ، أنا من الشاوية ، من منطقة الكاهنة ، وصومعة الكاهنة المشهورة تقع على مرمى حجر من منزلي في دوار ثازبنت ، وبئرها التي كانت تشرب منها جيوشها تقع في مغارب القبيلة التي أنتمي اليها ، وكسيلة وبوعرطا وتاكفاريناس وغيرهم من منطقتي ، أي من جبال أوراس (اللمامشة)

لكن الفرق بيني وبين بعض المنتمين الى البربر من دعاة النزعة البربرية ، هو أنني درست اللغة العربية ، وتتلمذت سواء في المدارس الثانوية أو في الجامعة ، على يد أساتذة عرب وقبائل (أي بربر) ، مسلمين ووطنيين ، فتحوا عيني على حقيقة أصول البربر العربية ، بينما تتلمذ ذوو النزعة البربرية على أساتذة مستعمرين ، وبطريقة أوضح ، على يد الآباء البيض ، والآباء البيض في تاريخ الجزائر لم يكونوا يحملون تحت جلابيبهم البيضاء الدعوة المسيحية ، وإنما كانوا يحملون الأفكار الاستعمارية التي تعمل على غرس الوجود الفرنسي الاستعماري بالجزائر »

وطنية ذلك العصر

يعود عثمان سعدي الى الفترة التي سبقت الاسلام ليبرهن على ، العلاقة بين الساميين والحاميين ، ويستعرض الهجرات البشرية التي تمت من المشرق نحو شمال افريقيا كما يتوقف عند آراء طائفة من المؤرخين الأوروبيين حول هذه المسألة ، وكذلك آراء المؤرخين العرب من أمثال الطبري والمغربي السلاوي وابن خلدون لينتهي الى أن سكان شمال أفريقيا الأصليين - أي - البربر - اندمجوا وتفاعلوا مع الفينيقيين ، واعتبروا أنفسهم وإياهم دائما من أصل واحد ، فتحالفوا معهم ضد الرومان ، كما أن

قرطاجة كانت تعتبر امبراطورية مشرقية افريقية في جنوب المتوسط ، في مواجهة امبراطورية روما شمال البحر ، ولذا كانت الوطنية المغربية في ذلك العصر تتمثل في التحالف مع قرطاجة ضد روما ، وبسبب وضع البربر للرومان في خانة الدخلاء ، رفضوا اعتناق ديانة الكنيسة ، لأنها جاءت من أوروبا وحملها مستعمرون ، بخلاف وضع الكنيسة في المشرق العربي

ويشير سعدي الى أن المؤرخين الأوربيين النزهاء شهدوا على تناقض البربر مع الرومان ، وعدم اندماجهم بحضارتهم ، من ذلك أن محرري مادة « بربر » في دائرة المعارف يونفرساليس كتبوا يقولون « لم تخضع القبائل البربرية للرومان ، بل استمرت في تمردها ضدهم ، فالحضارة الرومانية لم تدمج في بوتقتها البربر ، كما أن الحضارة الرومانية لم تؤثر الا على قلة قليلة جدا من المغاربة »

هذه القطيعة مع الغزاة استمرت ايضا عند غزو (الوندال) وهي القبائل الجرمانية التي اجتاحت شمال افريقيا في القرن الخامس الميلادي ، وتكررت الظاهرة نفسها مع البيزنطيين ورثة ممتلكات روما ، فلم يكد يمضي عامان على احتلال البيزنطيين للمغرب ، حتى اندلعت ثورات البربر ضدهم لكن ما أن جاء الاسلام ودخل العرب المغرب العربي مرة أخرى حتى استجاب ، ولم تكد تمر فترة تقل عن خمسين سنة ، حتى وجدنا المغاربة وقد صاروا جميعا مسلمين عربا يتحدثون العربية ويكتبونها ، ويخطبون بها بفصاحة تندر حتى بين خطباء الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ، ويرد عثمان سعدي سبب هذا التفاعل السريع الى « التشابه » الكبير بين حياة البربر والعرب ، وبين تراثهم الحضاري والثقافي والفني ، أي أن البربر عندما دخل العرب بلادهم تصوروهم غرباء عنهم مثل الرومان ، فتصدوا لهم بمقاومة شرسة ، وما ان احتكوا بهم في القتال حتى اكتشفوا في العرب أصولهم

ويتوقف المؤلف عند قصتي الكاهنة وكسيلة ـ وكلاهما قاد المقاومة المحلية ضد الفتح العربي ـ ليكتشف التشويه الذي ألحقه المؤرخون العربيون بهذه الفترة التاريخية ، وكيف استغل أعداء انتماء الجزائر العربي من ذوي النزعة البربرية الاستعمارية قضية كسيلة استغلالا مغرضا رغم أن هذا الزعيم البربري لم يقاوم العرب انطلاقا من ايمانه ببربريته ضد غزو اجنبي عربي ، وانما بدافع رد الفعل على أخطاء ارتكبها عقبة بن نافع ، قائد الفتح العربي في حقه ، بدليل أنه دخل الاسلام في البداية ثم ارتد بعد هذه الأخطاء

أصول اللغة البربرية

ومن دلائل عروبة البربر أيضا لغتهم ، فمحررو دائرة المعارف(يونيفرساليس)يرون أن اللغة البربرية ذات أصل حامي سامي ، ويؤكدون أن « أكثر طريق مؤكد الى الحقيقة هو نسبة اللغة البربرية الى الاصول الحامية السامية ، التي تجمع في بوتقة واحدة البربرية والمصرية القديمة والكوشية والسامية » وتورد دائرة المعارف ان « روسلر المستشرق الألماني يذهب الى الحد الذي يدخل فيه البربرية في اللغة السامية التي تعتبر العربية فرعا منها » ، كما يقر محررو دائرة المعارف نفسها بأن « اللغة البربرية في استعمالها الحالي هي امتداد لصيغ اللغة العربية ، ويضيف المؤلف الى كل هذه الشهادات تحليلا تفصيليا للأبجدية التي يستخدمها البربر ، مبرهنا على أصولها الفينيقية ، ثم يعرض السمات المشتركة بين البربرية والعربية من خلال الألفاظ ، وصيغ الاشتقاق والتأنيث والضمائر الخ

في الفصل الثاني من الكتاب الذي يحمل عنوان « البعدان الوطني والقومي للثقافة الجزائرية » يحلل المؤلف الترابط بين البعد المعادي للاستعمار والبعد العربي القومي فيقول « اذا استعرضنا تاريخ الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية ، وجدنا أن الاستعمار الفرنسي عمل طوال وجوده على تدمير الثقافة القومية للبلاد ، وحقق نجاحات لم يتمكن من تحقيقها في ميادين أخرى ، لأن الاستعمار عمل على تدمير الثقافة بواسطة النفس الطويل المخطط له سلفا ، ومن أكبر العقول الاستراتيجية التي كانت تفكر للاستعمار الفرنسي بالجزائر ، وذلك بإفراغ الشخصية الجزائرية من مضامينها الوطنية والقومية واحلال مقومات الشخصية الفرنسية في الفراغ

ثقافي الذي يوجدونه في الذات الجزائرية » .

ويتابع المؤلف تحليله منتقلا الى الطرف النقيض ، أي الى المقاومة الوطنية ، فيقرر أن « المجتمع الجزائري استطاع بوساطة أحزابه ومنظماته الوطنية التصدي للمسألة السياسية وللمسألة الاقتصادية وللمسألة اللغوية ، لأنها مسائل واضحة منظورة ، لكن هذه الأحزاب عجزت عن مواجهة الخطة الاستعمارية الثقافية ، لاحتوائها مضامين خافية عن العين المجردة ، وقبل ان يخوض في هذه المضامين طرح عثمان سعدي سؤالا جوهريا هو الآتي من نحن ؟ ويجيب فورا . « نحن عرب نقيم في جزء لا يتجزأ من وطن كبير اسمه الوطن العربي ، نحن أفراد في شعب اسمه الشعب الجزائري الذي هو جزء لا يتجزأ من أمة هي الأمة العربية ، تعمل الامبريالية الدولية الآن ، ومنذ أكثر من قرن ، على نهب خيراتها ، وتستعمل أقوى سلاح ضدها ، وهو تجزئتها ، مع الاصرار على الحفاظ على هذه التجزئة وتكريسها ، ضمانا لنهب الخيرات العربية المتمثلة في البترول العربي والبترودولارات العربية ، وأنا لا أتصور ثقافة جزائرية اذا لم يكن لها بعد قومي ، أي عربي ، ودون أن ترتكز على القيم الاسلامية » ويضيف « إن أخطر ما ورثناه عن العهد الاستعماري هو تشويه المفاهيم تشويها يتناقض مع التاريخ ، ومع المنطق والعلم » ، ويشير في هذا السياق الى أن صفتي « وطنية » بمعناها الاقليمي ، « وقومية » بالمعنى العربي الواسع توجدان بقاموس اللغة العربية ، بينما لا توجد بالفرنسية الا كلمة « وطنية » للدلالة على الصفتين

الأمة والوطن والقومية

ويتناول المؤلف مفاهيم الأمة والوطن والقومية في دروسا بمختلف مدارسها ومراحلها التاريخية ويستنتج المؤلف من عرضه لتجارب الوحدة الأوروبية ، ومن نقده لفكر النخبة المثقفة في المغرب العربي خلاصة مؤداها انه « لا مبرر لنا كجزائريين أو تونسيين أو موريتانيين أو مغاربة أن نعمل على تكريس التجزئة وبقائها ، وانما ينبغي علينا أن نجعل من أهدافنا الاستراتيجية تحقيق الوحدة العربية ، حتى الاشتراكية التي تنشأ في كل قطر عربي على حدة ، سوف تكون ناقصة ، لن تكتمل أو تنجز الا مع تحقيق الوحدة العربية ، خصوصا ونحن نعيش في عصر التكتلات العظمى والقوى الأعظم ، عصر السوق الأوروبية المشتركة ، وعصر الكوميكون ، وعصر التجمع الاقتصادي الأمريكي ، والتجمع الياباني

ومن هذا المنظور نراه يوازن بين المرحلة الراهنة ومرحلة التحرر من الاستعمار الفرنسي ، فيقرر أنه كان هناك مبرر قوي قبل استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ لرفع شعار « الأمة الجزائرية » للرد على الفرنسيين الذين كانوا ينكرون على الجزائريين الهوية الجزائرية المنفصلة عن الهوية الفرنسية ، لكن بعد أن حصلت الجزائر وبلدان المغرب العربي الثلاثة الأخرى على استقلالها ، لم يبق مبرر في استمرار رفع هذا الشعار

ويضيف الكاتب الى هذين الفصلين فصلين آخرين ، يتمثل الأول في مناقشات جرت على صفحات جريدة « الشعب » الجزائرية بينه وبين مثقف آخر حول موضوع « الشخصية الوطنية الجزائرية » ، أما الثاني فهو ورقة قدمت الى ندوة نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ، وكانت بعنوان « دور الشعر الجزائري في بث الوعي القومي » ، وفي هذين الفصلين توسع المؤلف في مناقشة بعض القضايا الفرعية التي لم يتوقف عندها طويلا في الفصلين الأولين من الكتاب

وجملة القول أن كتاب الأستاذ عثمان سعدي هو أحد المعالم التي تنير الطريق الى خلع الرداء الأوروبي الاستشراقي الذي حملته طائفة كبيرة من المثقفين في المغرب العربي ، سواء انتموا الى « المدرسة الفرنكوفونية » أو إلى « المدرسة البربرية » ومن ثم فهو لبنة أولى لصياغة رؤية عربية صافية لتاريخنا القديم والحديث والمعاصر ، اذ أن احدى المهمات الثقافية الكبرى التي تأخر الشروع في انجازها هي اعادة كتابة تاريخ المغرب العربي وتخليصه من شوائب المستعمرين وتحريفاتهم ، وارجاعه الى نهر التاريخ العربي ، وهذه ليست مهمة المؤرخين وحدهم ـ بالمفهوم الضيق ـ وانما تتطلب من النخبة المثقفة على اختلاف مشاربها الفكرية حالة من النهوض القومي لانجاز هذه المراجعة الشاملة والتصحيح □

مكتبة العربي

مختـــــارات

الكتاب الليل الرحم ـ مجموعة قصصية
المؤلف محمد روميش
الناشر دار الهلال ـ القاهرة
عدد الصفحات ١٣٦ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٦م

الطبعة الثانية من قصص محمد روميش التي نشرت في طبعة محدودة منذ سنوات ، وقد أضيفت الى المجموعة الأولى قصص أخرى ، تلقي ضوءا على النتاج الأخير لهذا القاص الذي يعتبر من أفضل كتاب جيل الستينيات في مصر ، وإن لم يكن من أكثرهم شهرة .

الريف المصري الذي تناوله كثير من الكتاب نراه هنا في صورته الحقيقية ، وبشخوصه النابضة بحياة تجمع بين الوداعة والفظاظة ، والشجاعة وحياة الفطرة الأولى .

وأهم ما يميز هذه المجموعة القصصية أنها تقدم صورة الفلاح من الداخل ، هواجسه وأحلامه ونظرته الى الحياة والعالم ، وليس عبر وصف خارجي ، يمس قشرة الحياة الفلاحية

■■

الكتاب . هذا الفلسطيني ماشهد ـ شعر
المؤلف : طلعت محمود سقيرق
الناشر دار المختار للطباعة ـ دمشق
عدد الصفحات . ٨٨ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٦م

في كتابه الشعري الرابع يواصل الشاعر الفلسطيني طلعت محمود سقيرق أغنياته لوطنه ، بلغة لا تخلو من نفس خطابي ، وعاطفة واضحة

وقصائد الديوان في معظمها سجل للأحداث الدامية ، وللمجازر ، والمآسي التي تعرض لها الفلسطينيون في صبرا وشاتيلا ، أو في الضفة العربية المحتلة ، أو في ذلك الجزء من فلسطين الذي احتل عام ١٩٤٨م ، والذي تساوى فلسطينيوه في مجازرهم مع فلسطيني المنافي

■■

الكتاب تلك الرائحة ـ رواية
المؤلف صنع الله ابراهيم
الناشر دار شهدي للطباعة والنشر ـ القاهرة
عدد الصفحات ١١٨ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٦م

حين نشرت هذه الرواية الصغيرة في منتصف الستينيات أثارت ضجيجا عاليا على أكثر من مستوى ، على الرغم من أنها لم تنشر كاملة آنذاك ، كما لم تنشر كاملة في طبعتين تاليتين في القاهرة وبيروت

لكن هذه الطبعة التي صدرت في القاهرة أخيرا تحتوي على النص الكامل للرواية ، بالاضافة الى مجموعة من القصص القصيرة التي كتبها الروائي في مراحل مختلفة من تطوره الفني ، فقد استهل صنع الله الكتاب بمقدمة ، شرح فيها « حكاية » الروا[ية] وألقى ضوءا على المرحلة التي كتبت فيه[ا] والملابسات التي رافقت نشرها في المراتب الث[لاث] السابقة

وبصدورها كاملة أتيح للقارىء العربي الاطلاع على نص هو من أكثر النصوص الأدبية أهمية ، والمؤلف يعتبر من أبرز الروائيين العرب

■■

الكتاب الوجه الأحر للطب ـ الجزء الأول
المؤلف الدكتور حسن فريد أبو عرالة
الناشر مطابع الرسالة ـ الكويت
عدد الصفحات ١٩٣ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٦م

في هذا الجزء من الكتاب ينحو الدكتور حسن فريد أبو عرالة منحى جديدا في طريقة يقدم بها المعلومة الطبية ، تجمع بين الطرافة والمتعة ، فتأتي المعلومة في إطار مشوق ، قد يكون طرفة أو مثلا أو اسما لامعا

ورغم أن هذا الكتاب لا يغني عن الكتب الطبية العميقة إلا أنه مفيد للقارىء العادي الذي يلتمس المعلومة الحقيقة المسلية المفيدة في آن واحد

■■

الكتاب المطبوعات الحكومية في المملكة العربية السعودية
المؤلف الدكتور محمد ناصر السويدان
الناشر دار المريخ ـ الرياض ـ السعودية
عدد الصفحات . ٦٧٣ من القطع الكبير
سنة النشر . ١٩٨٦م

في هذا العمل يحاول المؤلف مواكبة حركة الطباعة والنشر التي اتسعت وتشعبت بشكل كبير في الوطن العربي أخيرا ، وذلك من خلال ضبط هذه المطبوعات والدوريات والكتب ضبطا «ببليوغرافيا» كما يقول .

وقد كرس المؤلف عمله هذا لتقديم ترتيب «ببليوغرافي» للمطبوعات والدوريات التي صدرت في المملكة العربية السعودية ، والتي لاحظ المؤلف أنها اتسعت بشكل باتت معه بحاجة إلى من يفهرسها ، فكان هذا العمل الذى بذل فيه جهداً واضحاً

■■

الكتاب الفاجوميات
المؤلف . أحمد فؤاد نجم
الناشر . دار الخليل للطباعة والنشر ـ دمشق ـ ومكتبة اس رشد ـ الخرطوم
سنة النشر . ١٩٨٥م

إنه الكتاب النثري الأول لشاعر العامية المصري المعروف أحمد فؤاد نجم ، سجل فيه بأسلوب بسيط وسهل مجموعة من الذكريات والملاحظات والآراء الشخصية ، خلال فترة شهدت عدداً من التقلبات والتغيرات السياسية والاجتماعية

والشخص الفاجومي ـ كما يصفه نجم ـ هو الشخص غير المدجن ، الرافض لمحاولات التطويع والاذلال .

■■

الكتاب مقدمة في مسرح الأطفال
المؤلف حسب الله يحيى
الناشر دار ثقافة الأطفال ـ بغداد
عدد الصفحات ١١٨ من القطع الصغير
سنة النشر ١٩٨٥م

يحاول المؤلف في هذا الكتاب الصغير الحجم أن يقدم فهمه الخاص لمسرح الطفل ، وللطريقة التي يمكن بها للفنانين أن يدخلوا الطفل الى هذا العالم الذي يجمع السحر والفن والمتعة في آن واحد .

وفي محاولته هذه يستشهد المؤلف بأقوال مسرحيين كبار ، وبأمثلة تدعم أفكاره وفهمه لهذه العلاقة الاشكالية . □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٤١
ابريل ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي :
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٤١ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ مايو ١٩٨٧

(عالم الحيوان)

١ ـ ما الفرق بين اللِّحية (بكسر اللام) وبين اللُّحى (بفتح اللام) ؟

٢ ـ أي الحيوانات التالية أقدر على التمييز بين الألوان

* الثور * الحصان * الكلب

٣ ـ أي اللسعات أشد وأكثر أذى لسعة النحلة الأنثى ، أم لسعة اليعسوب ، أم النحلة الذكر ؟

٤ ـ أي الحيوانات التالية أكثرها انجابا وتكاثرا

* الأرنب * القطة * الكلب
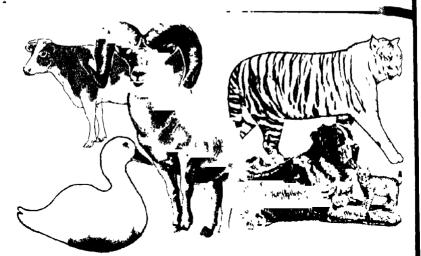
٥ ـ الفئران من القوارض كما هو معروف ، ترى أي الأطعمة التالية تفضل الفئران أكلها

* الأجبان * اللحوم * الحبوب

٦ ـ تستطيع الطيور كلها الطيران الى فوق والى تحت والى الجانبين أما الطيران الى الخلف فلا يستطيعه الا طير واحد فقط أي طير هذا ؟

٧ ـ أي الحيوانات التالية أقرب الى جسم الانسان ، فيما يتصل بزرع الأعضاء ، بحيث لو زرع أحد أعضاء ذلك الحيوان في الجسم البشري لما رفضه هذا الجسم ، أو لكان رفضه له أقل من رفضه فيما لو كان العضو المزروع منتزعا من حيوان آخر

* القرد * الحمل * الخنزير

٨ ـ أي الحيوانات التالية لبنها أقرب الى لبن المرأة الأم

* الناقة * البقرة * الأتان

٩ ـ الزرافة هي أطول الحيوانات عنقا فأي الحيوانات هو صاحب أطول أنف بينها ؟

١٠ ـ هل كانت الديناصورات كلها ضخمة ، أم أن بعضها كان صغير الجسم ، بحجم الخروف أو الكلب ؟

١١ ـ أي الطيور لا يصنع عشا لبيضه بل انه يحتفظ ببيضه فوق قدمه وكأنه العش ؟

١٢ ـ ما المقصود بلفظ هامة ؟

* القامة * الصدر * رأس أي شيء

حل مسابقة العدد ٣٣٨

١ ـ يبلغ مجموع المسلمين في الهند ٩٤,٥٧٢,٠٠٠ نسمة ، أي ١٢٪ من مجموع السكان البالغ (٧٨٨,١٠٠,٠٠٠) نسمة ، وذلك وفق أرقام منتصف عام ١٩٨٥ ، وتستطيع احتساب عدد المسلمين في شبه القارة الهندية الآن ، أو في أي وقت تشاء ، اذا علمت أن نسبة الزيادة السكانية بين الهنود تبلغ ٢,٢٪

٢ ـ قد تمطر السماء سمكا في أعقاب الاعصار اذ قد يبلغ الاعصار من القوة والسرعة ما يمكنه من شفط الأسماك من البحار وقذفها الى السماء . ولا تلبث هذه الأسماك أن تتساقط الى الأرض مع الأمطار وقد حدث ذلك بالفعل مرات ومرات ، نذكر منها أمطار سنة ١٨١٧ في بلدة (أبين) في اسكتلندة ، وأمطار عدد من مدن انكلترا سنة ١٩٠٠م

٣ ـ أقل النجوم حرارة هي النجوم الحمراء ، وأشد النجوم حرارة هي النجوم الزرقاء والبيضاء .

٤ ـ الرمال لا تغطي من سطح الصحراء الكبرى الا ١٠٪ فقط . أما بقية مساحتها فجبال أو صخور أو أرض حجرية أو واحات

٥ ـ سلسلة جبال منتصف المحيط الأطلسي هي الأضخم . . بل انها أضخم من السلاسل الثلاث الأخرى مجتمعة .

٦ ـ ابتسامتك تحرك ١٧ عضلة من عضلاتك أما عبوسك فيحرك ٤٣ عضلة هل من مبرر لتبديد طاقتك بعد الآن ؟ لم لا تبتسم بدلا من أن تعبس ؟!

٧ ـ الاغريق لم يخصّوا النساء بأي من الألعاب الأولمبية ، بل انهم ذهبوا الى حد حرمانهن من مشاهدة تلك الألعاب ، فضلا عن الاشتراك فيها ، وذلك تحت طائلة العقوبة

٨ ـ جبل كينيا وجبل اكستاسيهوتل (في المكسيك) يقعان في المنطقة الاستوائية ، وتكلل قممهما الثلوج أما جبل افرست والجبل الأبيض فلا يقعان في المنطقة الاستوائية ، وإن كللت قممهما الثلوج

٩ ـ انت لا تحرك الا الفك الأسفل في كل الحالات ، أما الفك الأعلى فثابت لا يتحرك

١٠ ـ تسونامي هو الاسم الذي يطلق على الأمواج العملاقة المدمرة ، ونذكر من هذه الأمواج تلك التي أحدثها بركان كراكوتا في أندونيسيا ، وذلك حين ثار ثورته الكبرى سنة ١٨٨٣ ، فقد بلغ ارتفاع تلك الأمواج ٣٦ مترا ، وذهب ضحيتها (٣٦٠٠٠) نسمة ، ونذكر أيضا الأمواج التي أحدثها الزلزال الذي ضرب الاسكا سنة ١٩٦٤ . فقد بلغت سرعتها لدى اقترابها من الشاطىء (٨٠٠) كيلومتر في الساعة ، وبلغ ارتفاعها ٦٧ مترا .

يناير ١٩٨٧

١١ ـ صخرة آيرز العجيبة توجد في استراليا ، وتقع في أواسطها ، بالقرب من جبل أولحا وتذكر أن بالامكان رؤية هذه الصخرة من على بعد ١٠٠ كيلومتر

١٢ ـ « قلب له ظهر المجن » هذا مثل يضرب لمن كان لصديقه على مودة ورعاية ، ثم تغير وحال عن العهد ، ويضرب أيضا للمحاربة بعد المسالمة ، لأن ممسك المجن اذا جعل ظهره خارجا لم يكن الا ليتقي بـه ، ولا يفعل ذلـك الا المحارب

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٨ يناير ١٩٨٧

الجائزة الاولى محمد مصطفى السمري / الابراهيمية / الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية

الجائزة الثانية رزان الميداني / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

الجائزة الثالثة فاطمة المناوي أحمد الحضيري / سبها ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ حمان علي كاظم الفتال / كربلاء ـ الجمهورية العراقية

٢ ـ فطيمة النقالي / فاس ـ المملكة المغربية

٣ ـ اسماعيل أحمد بدري / المعهد الثانوي / سيد بوزيد ـ الجمهورية التونسية

٤ ـ أحمد محمد عمر بن شعيب / المنصورة / عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

٥ ـ شمرة طلعت ريتون / الجامعة الأردنية / عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية

٦ ـ ...ة علي محاسنة / الرياض ـ المملكة العربية السعودية

٧ ـ ...د أيمن أبو التوت / قونيا ـ تركيا

٨ ـ ...ا زهير الرجحي / صاحية اليرموك ـ دولة الكويت

أولمبياد الشطرنج السابع والعشرون

افتتح في قاعة المركز التجاري في دبي في الرابع عشر من شهر نوفمبر الماضي أولمباد الشطرنج السابع والعشرون وهو أول حدث شطرنجي دولي يعقد على أرض عربية ، وقد شارك في هدا المهرجان الضخم ١٠٨ دول ودلك يعتبر رقما قياسيا ، وقد تورعت في أرجاء المدينة قطع شطرنجية ضخمة احتفاء بالمناسبة ، من أبرزها قطعة تمثل حصانا بارتفاع عشرة أمتار نصبت خارج قاعة اللعب وقد جرى تتويج بطل العالم السوفييتي جاري كاسباروف ومواطنته مايا شيبوردانيدزي بطلة العالم للسيدات رسميا في حفل الافتتاح

وقد تمكن الفريق السوفييتي من الاحتفاظ ببطولة العالم للمرة الرابعة على التوالي برصيد ٤٠ نقطة ، وتلاه الفريق البريطاني ثم الأمريكي أما بالنسبة لفرق السيدات فقد فاز الفريق السوفيتي بالمرتبة الاولى وتلاه الفريق المجري ثم الصيني وقد تصدرت العراق الفرق العربية (٣٠ نقطة) وتلتها مصر ثم لبنان وتونس

ومن أبرز أفراد الفريق السوفييتي في هذا الاوليمبياد البطلان ارتور يوسوبوف واندريه سوكولوف وقد اخترنا لكم الدور السابع من المباراة التي جرت بينهما في مدينة ريجا السوفيتية في أواخر العام الماضي والتي تأهل سوكولوف بموجبها لملاقاة بطل العالم المهزوم أناتولي كاربوف في شهر فبراير من هذا العام ، وسيلاقي المنتصر منهما بطل العالم الحالي في شهر سبتمبر من نفس العام والدور من طابق « روي لوبيز »

□ سوكولوف	■ يوسوبوف
١ ـ هـ ٤	هـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	ح ـ جـ ٦
٣ ـ ف ـ ب ٥	أ ٦
٤ ـ ف ـ أ ٤	ح ـ و ٦
٥ ـ ت	ح × هـ ٤
٦ ـ د ٤	ب ٥
٧ ـ ف ـ ب ٣	د ٥
٨ ـ د × هـ ٥	ف ـ هـ ٦
٩ ـ جـ ٣	ف ـ جـ ٥
١٠ ـ و ـ د ٣	ت
١١ ـ ح (ب) ـ د ٢	و ٥
١٢ ـ هـ × و ٦ (بالتجاور)	ح × و ٦
١٣ ـ أ ٤	ف ـ و ٧
١٤ ـ ح ـ ز ٥	ح ـ هـ ٥
١٥ ـ و ـ ز ٣	و ـ د ٦
١٦ ـ ف ـ جـ ٢	جـ ٦ ؟

ف ـ ز ٦ كانت أفضل

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٣٨
مارس ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ سميرة بو سعيد ـ حبيس/ تونس
٢ ـ طارق مدثر ـ الخرطوم/ السودان
٣ ـ مؤيّد وحيد ـ بغداد/ العراق
٤ ـ طارق محمد عيسى ـ الاسكندرية/ ج م ع
٥ ـ نوّار طيان ـ بيروت/ لبنان

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ هند القطان ـ الخالدية/ الكويت
٢ ـ حاتم نجم ـ الرياض/ السعودية
٣ ـ عبدالله منصور ـ بني وليد/ ليبيا
٤ ـ عبيدة شيحاي ـ القامشلي/ سوريا
٥ ـ ارحاف عبدالعزيز ـ سيدي قاسم/ المغرب

١٧ـ ح × و ٧	ح × و ٧
١٨ـ ح ـ ب ٣	و × ر ٣
١٩ـ حـ × ر ٣	ف ـ ب ٦
٢٠ـ ح ـ د ٤	حـ ٥
٢١ـ ح ـ و ٥	ر (و) ـ هـ ٨
٢٢ـ أ × ب ٥	أ × ب ٥ (الشكل)
٢٣ـ ح ـ هـ ٧ +	م ـ و ٨
٢٤ـ ح ـ ر ٦ +	م ـ ر ٨
٢٥ـ ر × أ ٨	ر × أ ٨
٢٦ـ ف ـ هـ ٣	د ٤
٢٧ـ حـ × د ٤	حـ ٤
٢٨ـ ب ٣	ح ـ د ٦
٢٩ـ ب × حـ ٤	ح × حـ ٤
٣٠ـ ر ـ ب ١	ح ـ أ ٣
٣١ـ ر ـ أ ١	ب ٤
٣٢ـ ف ـ ب ٣ +	م ـ حـ ٧
٣٣ـ ح ـ هـ ٧	ر ـ هـ ٨
٣٤ـ ح ـ حـ ٦	ح ـ ب ٥
٣٥ـ ـ حـ ٤	ح ـ حـ ٣
٣٦ـ × ب ٤	ح ـ ر ٤
٣٧ـ ـ د ٣ +	م ـ ر ٨
٣٨ـ ـ جـ ١	ح × هـ ٣
٣٩ـ × هـ ٣	ر × هـ ٣
٤٠ـ × حـ ٣	ر ـ هـ ١ + (ثم يستسلم)
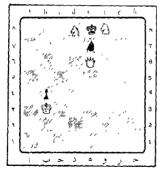
مسألة العدد ٣٤١ ابريل ١٩٨٧
مات ٢
مهداة من القارىء بشار محمد (الكويت)

حل مسألة العدد ٣٣٩
فبراير ١٩٨٧

مفتاح الحل هو ترقية البيدق إلى حصان ثم الكش بالنقلة التالية

على هذه الصفحات .. ترحب " عربي "

تحية من معلم بالعام الجديد

● السيد الفاضل / رئيس التحرير

« العربي » جامعة ثقافية لايستغنى عنها قارىء متتبع لنبض الثقافة في الوطن العربي ، ولقد أعطت المجلة أسلوبها وطريقتها لكل المجلات التي جاءت بعدها

ولقد أحسنتم باخراج « كتاب العربي » الى حيز الوجود ، ثم بتقديم « العربي الصغير » مجلة مستقلة متكاملة للفتيان والفتيات العرب

وأسعدني بخاصة أن أجد أن كثيرا من الأمور التي كتبت لكم بشأنها وربما كتب لكم غيري ، تخرج الى حيز التنفيذ في العربي الصغير ، فباب « اصنع بنفسك » الرائع يسد النقص الكبير في مجال المعرفة التطبيقية ، فبينما نجد في الصحافة الأجنبية ذلك الثراء في المعرفة التطبيقية التي تعلم التلميذ كيف يصنع المقعد أو الراديو أو آلة التصوير البسيطة ، لانكاد نجد مجلة متخصصة في العربية تعنى بهذا الشأن ، كما أن المقالات التي تؤكد على التعريف بالكمبيوتر ، وعلى أهمية دوره في شتى نواحي الحياة المعاصرة ، بدأت تتتابع أيضا على صفحات العربي ، وكم أسعدني أن تخصصوا بابا ثابتا للكمبيوتر في العربي الصغير .

لقد أمتعتنا العربي بتجوالها بين فروع المعرفة ، كما أسرتنا بقصصها العربية والمترجمة ، واستطلاعاتها التي تحمل العالم بين يديك

ومع بداية العام الجديد ، فإننا نهنىء العربي على جهودها ، ونأمل كالعادة في المزيد من الجهد والعطاء

ولابد أن نشكر جهود كل العاملين ، بدءا برئيس التحرير ، وانتهاء بالعامل الذي يساعد في ايصال العربي الى كل أنحاء المعمورة

وبهذه المناسبة آمل من العربي أن تولى قضية المعلم اهتماما خاصا ، فتشرع في عمل متكامل ، يتناول المناهج الدراسية ، علوم العصر ، التعليم الذاتي ، وكل ما من شأنه أن يساعد المعلم على القيام بدوره الخطير في هذا العصر ، سواء أخرج هذا المشروع في كتاب العربي ، أم في سلسلة مقالات في مجلة العربي .

ان مثل هذا المشروع انما هو خدمة لاتنسى للأجيال القادمة ، لن ينساها كل من يعمل في حقل التعليم فلا يزال العلم والتعلم هما السبيلان الوحيدان لردم الهوة بيننا وبين الدول المتقدمة

مصطفى ياسين
مدرسة القادسية سكاكا
المملكة العربية السعودية

ـ نشكر للقارىء الكريم تحيته الطيبة للعربي ، ومع أننا نسعد بمثل هذه الرسائل التي نعتبرها من أجمل دوافعنا للمزيد من الجهد والعطاء ، الا أننا في العادة لا نشير اليها في حوار القراء ، وقد آثرنا في هذه المدة أن نختار هذه الرسالة من بين رسائل عديدة تحمل ذات المشاعر لأنها تنطوي الى حوار التحية على دعوة نثق في أهميتها ، وهي التركيز على دور المعلم ، ونشر كل ما يسهم في معاونته على تحقيق هذا الدور . وفي الواقع ، فان مجلة « العربي » تحرص ضمن تقاليدها على ابراز كل ما هو جديد ومهم في حقل التربية والتعليم ، باعتبار أن التعليم الجيد والتربية القويمة هما الثورة الدائمة والمستمرة من أجل التقدم .

ونعد القارىء الكريم بمواصلة هذا التقليد في اطار توازن الموضوعات في العربي أو كتابه ، ولعل الجهود المبذولة في نشر الفكر التربوي تكون حافزا للمسئولين في الأقطار العربية على اعطاء قضايا التعليم والمعلم ما تستحق من دعم تتناسب مع أهميتها ، فقد لايكون القصور في هذا المجال هو قصور في توافر الفكر التربوي الجديد والجيد ، بل في توفير الدعم المالي المناسب لترجمة هذا الفكر الى امكانات مادية وبشرية ماسة . وهذا لايجيء الا باقتناع المسئولين بخطورة دور التربية والمعلم في هذا العصر

حول استعمال الأرقام الأجنبية في العربي

● وردتنا رسائل عديدة من القراء بين العتاب والانكار والتساؤل والدهشة لاستعمال مجلة العربي في العدد الممتاز يناير سنة ١٩٨٧ للأرقام الأجنبية في ترقيم صفحاتها

منها رسالة من القارىء عبدالرحمن ديبردي من حلب / سوريا يتساءل فيها

كيف تلجأ العربي لاستخدام هذه الأرقام ، وهي المجلة التي تنادي بتعريب التعليم الجامعي ، وتخاطب كل العرب باللغة العربية ؟

ورسالة من القارىء عبيد الوكاع من الحسكة / سوريا ، يقول فيها

فوجئت بهذا التعديل في كتابة الأرقام بمجلة العربي ، وهو تعديل لامبرر له ولا معنى ، ولا تظنوا أنه مجرد تعديل في الشكل ، بل هو تعديل يمس المضمون ، فكيف نستسيغ ترقيم مجلة العربي التي تصدر للوطن العربي ولكل من يقرأ العربية في العالم بأرقام أجنبية ؟

اما القارىء جورج ابراهيم حداد من بيروت ، فقد رأى من واجبه أن يعلق على استخدام مجلة العربي للأرقام الأجنبية بالقاء الضوء على كيفية وصول هذه الأرقام الينا ، فأشار الى كتاب « السندهند » الذي أخذ عنه العرب الأرقام الهندية ، التي سميت فيا بعد بالأرقام العربية ، وقد قسمت الأرقام في هذا الكتاب الى قسمين هوائية وغبارية

والأرقام الهوائية هي الأرقام التي تسمى الآن العربية ، وهي ١ ـ ٢ ـ ٣ ، أما الأرقام الغبارية فهي الأرقام الاجنبية 1-2-3 وهي مرتبة على أساس عدد الزوايا لكل رقم ، فكل رقم يحمل عددا يوازيه من الزوايا . ثم يضيف . ان الارقام الهوائية ، أي العربية هي السائدة في دول المشرق العربي ومصر والسودان ، أما الأرقام الغبارية ، أي اللاتينية فهي السائدة في دول المغرب العربي ، بالاضافة الى دول أخرى من العالم

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

العربي

- انما اذ نشكر لقراء العربي غيرتهم وحماسهم للغة العربية ، نود أن نوضح لكل من كتب الينا أن المسألة لاتعدو انه كان هناك اقتراح من الجامعة العربية ، وزع على مختلف الجهات والأقطار العربية ، باستخدام الأرقام الأجنبية لتوحيد استعمال هذه الارقام بين المشرق العربي والمغرب ، ولاعتبارات تتعلق بتوحيد مصطلحات الرموز البريدية العالمية ، وقد حاولنا أن نضع هذا الاقتراح موضع التجربة لعدة أشهر ، تمشيا مع مقترح الجامعة العربية ، وتعرفا على النتائج العملية لمثل هذه التجربة

ردود خاصة

● السيد / نوري سيدو - سوريا / حلب .

- بالنسبة لدعوتك الرقيقة لمجلة العربي لعمل استطلاع في سوريا فيسرنا أن نخبرك بأنه حين ينشر هذا الرد ستكون بعثة مجلة العربي قد قامت بزيارة القطر السوري العزيز في اطار خطتها لاستطلاعات الوطن العربي ، أما بقية اقتراحاتك حول أبواب جديدة في مجلة العربي فثق أننا نأخذ بعين الاعتبار هذه الاقتراحات في مجلس التحرير ، مع كل الاقتراحات الأخرى التي يتفضل بها القراء الأعزاء

● السيد / عبدالكريم حمزة - سوريا - حلب .

- بالنسبة لاقتراحك بأن تقوم مجلة العربي بدعوة المسئولين عن التربية في الوطن العربي لاقامة مؤتمر لمناقشة قضايا التربية ، بهدف الوصول الى نوع من توحيد المناهج التربوية في الأقطار العربية باعتبار أن ذلك هو الركيزة القوية للوحدة العربية المنشودة ، فمع تقديرنا لما وراء الاقتراح من نية طيبة ، نود أن نشير الى أن مثل هذه المهام لاتدخل في نطاق مسئوليات مجلة العربي ، لأن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية تقوم فعلا بهذا الدور

● السيد / أحمد الشقيري - المغرب / اليوسفية

- بالنسبة لملاحظتك عن غياب العنصر النسائي في باب « وجها لوجه » وتساؤلك عما اذا كان لا يوجد لدينا أديبات يمكن أن يظهرن في هذا الباب ؟

نقول أن ملاحظتك لاشك صحيحة ، ونود أن نوضح أن هذا الموقف ليس مقصودا ، وبالتأكيد لدينا كاتبات جديرات بالحوار معهن في هذا الباب ، ونرحب بأي حوار مع أي أديبة أو كاتبة عربية ، ماداما في مستوى ما ينشر في هذا الباب ووفق منهجه ، وهو أن يكون الحوار بين كاتبتين ، أو كاتب أو كاتبين ، لهما نفس الاهتمام ، ويفضل أن يكونا من جيلين مختلفين

● السيد / حسين أبو بكر العيدروس - حضرموت/ اليمن

- بالنسبة لاقتراحك اضافة باب شهري يعنى بالنواحي الفنية ، وبخاصة الفن التشكيلي ، للتعريف بما وصل اليه هذا الفن من تطور عبر العصور ، وبأشهر الفنانين ، وبأهم أعمالهم ، ومتابعة المعارض والندوات الفنية في الوطن العربي وفي الخارج فاننا وان كنا نرى أن مثل هذا الباب يناسب أكثر مجلة فنية متخصصة - الا أن العربي تنشر عادة في اطار سياستها مقالات تناقش أو تتابع أمور الأعمال الفنية في مختلف المجالات ، ومع ذلك فستجد اعتبارا من هذا العدد بابا شهريا جديدا يقدمه الفنان التشكيلي الأستاذ جمال قطب يلبي من خلاله رغبات القراء المهتمين بالفنون التشكيلية

كويت
هونغ كونغ

سان فرانسيسكو
نيويورك
لندن
فرانكفورت

عالم الوطني الجديد

الخدمات الإستثمارية

• استثمر أموالك الفائضة أو مدخراتك في محافظ استثمارية تتناسب مع احتياجاتكم الشخصية من خلال شركاتنا الاستثمارية في لندن ونيويورك.
• في صندوق الوطني للاستثمار في السندات وهي أداة استثمار ملائمة للمدخرات الصغيرة.

• عالم الوطني يوفر لك خبراته في الاستثمارات المالية من خلال فروعه وشركاته الاستثمارية المنتشرة في أهم المراكز المالية العالمية.

• اتصل بدائرة الخدمات المصرفية الشخصية
هاتف رقم ٢٤٢٩٤٤٦.
خدمة الوطني الممتازة
هاتف رقم ٢٤٣٥١٤٦ او ٢٤٦٣٧٥٢
اكتب إلى: دائرة الخدمات المصرفية الشخصية
ص.ب ٩٥ الكويت الصفاة 13001
يسرورك مندوبنا لبحث الخدمة الاستثمارية التي تناسبك.

بنك الكويت الوطني

بنك تعرفه وتثق به منذ عام ١٩٥٢

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أبريل ١٩٨٧ م

العلم والمشتغلون بالبحث العلمي
في المجتمع الحديث

تأليف : د. جون پ. ديكنسون

ترجمة : شعبة الترجمة باليونسكو

٥٠٠ فلس

الكتاب ١١٢

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٣٩٩٦ ، الكويت

****

رمضان كريم
الشاشان
والانغوش
المنفى..
والحياة!

العدد ٣٤٢ السنة الثلاثون مايو ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No. 342 May 1987 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

الأرض بلا ميكروبات ص٣٥

هل يمكن أن يلد الرجال؟ ص١١٨

سبته ومليلية . ص١٥٢

■ حديث الشهر

■ التفكير . في غير المألوف !

ـ د محمد الرميحي . ٨

■ العمل الإسلامي ومسألة ترتيب الأولويات

ـ د أحمد كمال أبو المجد . . ١٨

■ ردم الهوة والخيار الصعب

ـ د شاكر مصطفى . ٢٣

■ الاختيار (قصيدة)

ـ د . كافية رمضان . . ٢٨

■ الصحوة الإسلامية بين الحسور والعقبات

ـ د . عبدالعزيز كامل . ٣٠

■ الأرض بلا ميكروبات كوكب ميت

ـ د سمير رضوان . . . ٣٥

■ الردع ، وتوازن القوى ، ودروس حرب السويس

ـ أمين هويدي ٤١

■ الفصام جنون فرد ، أم جنون مجتمع ؟

ـ د حلمي نجم ٤٧

■ مستودع الأفكار

ـ فتحي رضوان ٥٢

■ مواقف إنسانية . « ولكم في القصاص حياة »

ـ د عبدالوهاب حومد ٥٨

■ للمناقشة استدعاء الفقه الى قلب العصر

ـ فهمي هويدي . ٦٣

■ رائحة الأشياء (قصة)

ـ محمد كمال محمد . ٩٠

■ رمضان في ربوع القدس

ـ د صبحي غوشة . . . ٩٦

■ الصوم وحكمة تدبير الحياة

ـ د محمد فتحي الدريني ١٠٨

■ فتى دير الغصون (قصيدة)

ـ يوسف عبدالعزيز . ١١٢

■ دروس مستفادة في إدخال تقنية الفضاء

ـ حمدي قنديل ١١٤

■ هل يمكن أن يلد الرجال ؟

ـ د محمد أحمد الكاريتي . ١١٨

■ سبتة ومليلية أرض عربية

ـ د خالد محمد نعيم ١٥٢

■ سبق صحفي (قصة مترجمة)

ـ عبداللطيف عبدالحميد . . . ١٧

عدالوهاب البياتي

د حليل العطية

استطلاعات ومقابلات

■ مآذن لها تاريخ

- سليمان مطهر ٦٨

■ وجها لوجه : عبد الوهاب البياتي

- د حليل العطية ١٠٣

■ الشاشان والأنغوش .. من المنفى الى حياة جديدة
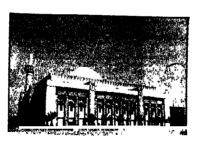
- سليمان الشيخ ١٣٢

صورة الغلاف

● في بلاد الشاشان بالاتحاد السوفيتي قرآن ومسجد وشيخ وحياة جديدة بعد المنفى

(اقرأ ص ١٣٢)

مآذن لها تاريخ ص٦٨

رمضان في ربوع القدس ص٩٦

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

العربي ـ العدد ٣٤٢ ـ مايو ١٩٨٧

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القارىء ٧

■ أرقام : في قاعات الجامعة

ـ محمود المراغي ٥٦

■ منتدى العربي :

ـ قضية : الشعر بين التجربة والإلهام

ـ د . عبدالعزيز المقالح ١٢١

ـ تعقيب : ملاحظات على مقال « دورة الحياة والموت »

ـ د . عامر شيخوني ١٢٦

■ الجديد في العلم والطب

ـ إعداد : يوسف زعبلاوي ٢٧

■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠

■ جمال العربية :

ـ صفحة لغة : أسئلة وأجوبة

ـ محمد خليفة التونسي ١٨٠

ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء : وصف زلزال لحافظ ابراهيم . ١٨٢

■ الكلمات المتقاطعة ١٨٤

■ مكتبة العربي :

ـ كتاب الشهر : الفكر القومي والعالم الاستعماري

ـ جمال ورحة ١٨٥

ـ من المكتبة العربية : الحكايات الشعبية الكويتية

ـ د . عبدالحميد يونس ١٩٠

ـ من مكتبة العربي : (مختارات) ١٩٤

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦

■ حل مسابقة العدد (٣٣٩) .. ١٩٨

■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠

■ حوار القراء ٢٠٢

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ ذات الرداء الأبيض

ـ وفاء طه ناجي ١٦٢

■ هو هي ١٧٠

■ طبيب الأسرة داء القطط أكثر الأمراض انتشارا

ـ د حسن فريد أبو عرالة ١٧٢

■ مساحة ود الحب في زمن الكوليرا

ـ محمود عبدالوهاب ١٧٥

عزيزي القارئ

احدى فوائد شهر رمضان الكريم علينا نحن المسلمين أنه تجديد سنوي للجسم والنفس ، وعودة سنوية أيضا للتفكير في الانسان كمخلوق حلق كي يعمر الأرض ، ويسعد نفسه ، ومجتمعه ، وفي هذا العدد من « العربي » حشدنا مجموعة من المقالات ذات الصلة الوثيقة بهذا الفرض العظيم الذي يحث على الزهد والتنسك من جهة ، والذي يحقق المساواة بين المسلمين من جهة أخرى .

كتب لنا الدكتور محمد فتحي الدريني عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق عن الصوم وحكمة تدبير الحياة ، وطاف بنا الدكتور صبحي غوشة في رحاب القدس واحتفالات مواطنيها بمقدم الشهر الكريم ، ومن منظور أوسع شارك الدكتور كمال أبو المجد بمقال حول العمل الاسلامي وترتيب الأولويات ، وناقش الدكتور عبدالعزيز كامل موضوع الساعة الذي اختلف واتفق حوله كثيرون وهو الصحوة الاسلامية بين الجسور والعقبات » .

ونظرا لما للمسجد من مركز ديني إسلامي كبير ، من حيث هو مدرسة ومكان للاجتماع والعبادة ، قدمنا لك استطلاعا تاريخيا ملونا عن المآذن والمنارات في البلدان الاسلامية ، يتعرض لأصولها ، وكيف تطورت فنيا ومعماريا

ومن جهة أخرى نقدم لك في هذا العدد رحلة إلى بلاد الشاشان والأنغوش ، فما هي تلك البلاد ، وما قصة شعبها ؟

كما ننقلك إلى « سبتة ومليلية » المدينتين العربيتين المغربيتين اللتين تجاهدان لنيل استقلالهما عن الاستعمار الاسباني والعودة إلى الوطن الأم .

ومن الموضوعات الأخرى ما كتبه لنا الدكتور شاكر مصطفى حول ردم الهوة والخيار الصعب !

ونكمل ذلك بكثير من الموضوعات الطبية والثقافية ، والأبواب الثابتة .

إنها مائدة حافلة ، وغنية بالألوان الثقافية والعلمية ، تماما كمائدة الافطار الرمضانية المتنوعة والمفيدة .

« وكل عام وأنتم بخير »

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

■ يعتاد الناس والمجتمعات في معظم الأوقات نمطاً من التفكير ، وطرق العمل ، ونظاماً من المعاملات ، ثم تصبح تلك الأنماط عادة ، بغيرها لا تستقيم الحياة لديهم ، أما التفكير بشيء يخالفها أو ينقضها فذلك جريمة لا غفران لها .

واذا كانت تلك العادات وطرق التفكير سليمة ، بمعنى أنها تخضع للمحاكمة العقلية بين فترة وأخرى ، فيقبلها العقل ، وتستقيم مع المنطق السليم ، فلا غبار على ذلك ، إلا أن المشكلة هي عندما تصبح تلك الطرق من التفكير وأنماط العمل وأشكال المعاملات كأنها شيء مقدس يجب أن لا يمس ولا يقترب منه ولا ينقد ، وقتها تصبح الأفراد والمجتمعات التي تكبلها تلك الطرق من التفكير أسرى العادة عاجزة عن مسايرة العصر ، بل ضعيفة الى درجة عدم القدرة على مقاومة أي مرض خارجي سياسياً كان أو اجتماعياً .

■ ولقد فكرت ملياً في هذه الاشكالية ، بعد أن جمعتني الصدف مع أحد الأساتذة الخريجين حديثاً من إحدى الجامعات الغربية ، وذلك عندما اشتركنا معاً في محاضرة لنخبة من الدارسين ، حول السلوك الإداري والمجتمع ، فوجدت الزميل الكريم - ربما على غير قصد منه - يطيل في شرح ما اعتقد أنه سلوك اجتماعي غير سوي ، مؤثر على الإدارة ، لكن أمثلته جلها - ان لم تكن كلها - مأخوذة من ذاك النظام السياسي الاجتماعي الذي تعلم في ظله ، وعرف الأمثلة من خلاله ، وهو مجتمع غربي .

وقد بدا لي أن الدارسين لم يستطيعوا المتابعة ، أو الربط بين واقع عملهم ووجهة نظر ذلك الزميل ، في كيفية حل المشكلات التي تصادفهم .

منذ تلك الحادثة وأنا أراقب مراقبة مقصودة - كما يقول أهل الذكر - هذه الظاهرة ، وهي تتلخص في عدة أسئلة أضعها أمام القاريء حتى يصير هضمها ، والوصول إلى ما أبتغيه منها ، سهلاً ميسوراً وواضحاً . من بين تلك الأسئلة المتعددة : « هل يقدم علماؤنا العرب حلولاً لمشكلاتنا ؟ » ، وأنا أعني هنا مشكلاتنا الواقعية ، لا ما يتخيلونه من مشكلات ، نتيجة تعليمهم الغربي ، أو ما قرءوه من تلك المشكلات على أيدي أساتذتهم أو في كتب موضوعة . وبمعنى آخر هل يحصل طلابنا على معلومات ومهارات معرفية نابعة من تحليل لمشكلاتنا التنموية الشاملة أم أن أكثر ما يحصلون عليه من « علم ومعرفة » هو من خبرة المجتمعات الأخرى ، والقليل القليل من خبرة مجتمعاتهم التي يعيشون فيها ويتمنون النهوض بها ؟

وإذا أردنا أن نبسط الأمر أكثر قلنا : هل يقدم مهندسونا - مثلاً - حلولاً لمشكلات السكن والطاقة والطرق والتصنيع ، بحيث تكون لهذه الحلول علاقة بما نواجهه من مشكلات ؟ .

وبنفس المنطق نقول : هل يقدم اقتصاديونا حلولاً لما نواجهه من مشكلات اقتصادية في نقص الماء ، وضعف الزراعة ، وتدني التصنيع ، وتبعية التجارة . . ؟ وهل يقدم احتماعيونا - بالمثل - حلولاً لمشكلاتنا الاجتماعية الخاصة بالمرأة ، والشباب ، والطائفية ، والعرقية ، ومشكلات فقراء المدن والريف ؟ وبنفس السياق أيضاً نتساءل : هل يقدم علماء السياسة والإدارة عندنا حلولاً لمشكلات الحكم والادارة التي تواجهنا نحن ، لا التي ننقلها من الآخرين ؟

معادلة جديدة تبرز في العالم بين المعرفة والثروة!

في مجموع تلك الأسئلة وأمثالها يكمن - في رأيي - أسلوب طرح المسألة التي أود عرضها ، وهي : هل نقدم لطلابنا على امتداد الوطن العربي في الجامعات والمدارس معلومات لها علاقة بواقع مشكلاتنا البيئية ، سواء أكانت اجتماعية أم مادية ؟

أميل الى الاعتقاد بأننا - في الأغلب الأعم - لا نفعل ذلك ، والأسباب كثيرة ، يعرفها كل من اشتغل بالتعليم من قريب أو بعيد ، أو على الأقل يعرفها أغلبهم ، وخاصة من حاول منهم الوصول إلى فهم العملية التعليمية في بلداننا ، من منطلق ابتكاري ، لا من منطلق نقلي .

ثمار النقل .. جهل بواقع الحياة

■ إذا استجدنا بالشواهد فهي - أيضاً - كثيرة ، فالطبيب الذي يتخرج في إحدى كليات الطب في جامعاتنا ربما يعرف عن أمراض متفشية في المجتمعات الغربية أكثر مما يعرف عن أمراض التراخوما ونقص الغذاء والبلهارسيا والملاريا وغيرها وهي من الأمراض التي تنتشر بكثرة في بيئتنا .

وأزعم أن مهندسينا المعماريين يعرفون كيف يواجهون متطلبات السكن والمواصلات في البيئات الباردة أكثر من مواجهة مشكلات البيئات الحارة ، وعلماء السياسة عندنا لا يخرجون عن هذا المنوال ، فهم يتحدثون عن « الديمقراطية الانجلوسكسونية » وحقوق الرئيس في النظام الأمريكي ، وربما عن أشكال حكم الحزب الواحد ، لكن عطاءهم الابتكاري في هذا المنحى الهام من شئون الحياة العامة لدينا قليل ، بل نادر .

ويتبع هذا الطريق علماء الإدارة والاجتماع ، ولا يكاد المرء يستثني أي قطاع علمي في العلوم البحتة والتطبيقية* أو العلوم الاجتماعية الا النزر اليسير الذي يمكن أن يشار إليه بأنه مساهمة حقيقية وواقعية لمواجهة المشكلات التي نشكو منها ، أو نريد تخطيها .

يعرف كل من درس القانون في بلادنا - على سبيل المثال لا الحصر - أن معظم الأمثلة التي يلتقطها - وهو طالب - في كتب القانون أمثلة تبدأ بالقول (ففي حكم محكمة الاستئناف في ليون في فرنسا في عام كذا في دعوى تتلخص وقائعها .. الخ) وان لم تكن ليون فهي لندن أو باريس .

---

* هذا التعميم بحد ذاته جزء من البنية الثقافية والعلمية للمجتمعات المتقدمة وهو كمن يحاول الفصل بين الثمار والجذور في الشجرة الواحدة
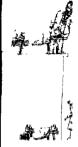
وفي كليات الزراعة عندنا قد تأخذ دراسات نباتات الزينة وترتيب الحدائق أولوية على الاهتمام بالغذاء وتنمية الثروة الحيوانية .

هذا التوجه يحمل أكثر من معنى ، فهو يعني أننا حتى الآن لم نراكم من المعلومات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ما يكفي كي يصبح ذخيرة للتحليل ، واستخراج مفاهيم عامة منه ، ترقى الى فرضيات معقولة ، يمكن الاستعانة بها ، وتدريسها لطلابنا ، لربط النظرية بالواقع ، كما أن هذا التوجه يعني - أيضاً - أننا خلطنا خلطاً عجيباً بين المنهج العلمي الذي يكون صالحاً في معظم الأوقات والأماكن إذا استخدم استخداماً صحيحاً ، وبين المحتوى الذي يختلف - ويجب أن يختلف - بين شعب وآخر وثقافة وأخرى ، بل بين إقليم وآخر حتى في نفس البلد إن كان امتداده شاسعاً .

معاهدنا التقنيّة تخرّج فنيّين يحمون سياراتهم الأجنبيّة بتعويذة!

هذا الخلط بين المنهج والمحتوى نشأ عنه أن كليات العلوم والزراعة والطب والادارة . . . الخ يعتمد معظم التدريس فيها على الرواية بدلاً من الدراية ، فينقل فلان عن فلان ويتم الاستشهاد بالمرجع العلمي كما يتم الاستشهاد ببيت شعري ، أو مثل شعبي لحسم النقاش سواءً بسواءً ! وتخرج معاهدنا التقنية فنيين يحمون سياراتهم الأجنبية الجديدة بتعويذة !

هــل هي تبعـيّـة ؟

■ إن ما يقلقني هو أن ما نشاهده يبدو وكأنه شيء من التبعية العمياء ، فعندما تحدث في بلادنـا انتخابـات عامـة ، نجد أكـثر من صاحب رأي يكتب في الصحف مطالباً بأعلى صوته أنه يجب أن يكون لدينا مؤسسات لقياس الرأي ! ويشـير الكـاتب الى (جـالـوب) كمثـال يمكن أن يحتـذى ، وينسى البيئـة الاجتماعية التي يتحدث عنها ، وينسى كيف يتعـامل النـاس في بلاده مع الأسئلة الخاصة ، لا سيما إن جاءت من غرباء ، وينسى ـ أيضاً ـ أشياء أخرى كثيرة . وحتى في بلاد الغرب نجد أن هذا النوع من (قياس الرأي) ـ وأنا أسوق ذلك على سبيل المثال لا الحصر ـ غير دقيق ، وأذكر أنه قد نشرت مرة بهذا الخصوص مفارقة لا تخفى على اللبيب ، في كتاب كان عنوانه (ترتيب الفئات الاجتماعية في بريطانيا) فقد سئلت زوجات العمال ، نعم العمال : « في أي فئة تضعين نفسك في المجتمع ؟ » فأجاب ستون بالمائة منهن بأنهن من «الطبقة المتوسطة » ! هذا ما حدث في بريطانيا ، فما بالك لو طرح مثل هذا النوع من الأسئلة في ظروف عادية على أحد مواطنينا ! ؟

* * *

وعلى هذا القياس فإننا نشاهد ما ينقله علماء الإدارة ، فتـارة عندمـا تصبح الصيحة « الإدارة بالأهداف » تصبح لدينا كذلـك ، وعندمـا تكون الصيحة « الإدارة بالاستراتيجية » أو « بالحوافز » تصبح لدينا كذلك أيضاً ،

□ كليات الزراعـة تهتم بتـدريس نباتات الزينـة وتـرتيب الحـدائق أكثر من الاهتمام بالغـذاء والثروة الحيوانيـة !

وينسى بعضنا أن الادارة في العالم الثالث ، وفي وطننا العربي لها مواصفات وظروف تختلف كلياً عن الإدارة في مجتمع رأسمالي صناعي متقدم ، فإدارتنا معظمها حكومي ، يشكل الدافع الاجتماعي والسياسي في التـوظيف فيها الضغط الأكبر ، وكذلك هي مجال للتوظيف من أجل توزيع الثروة أو خلق فرص عمل أكثر منها ادارة للانتاج حسب معناها في تلك المجتمعات . ولقد ثبت أن ثلث العاملين أو ربعهم في الادارة العامة في كثير من دول العالم الثالث ليس هناك حاجة إليهم .

فمشكلاتنا الحياتية تحتاج اذن لحلول مبتكرة وربما غير مسبوقة لايقاف هذه التبعية العمياء في النقل والتلقين ، وبالتالي توجيه طلابنا والدارسين المهتمين في المجتمع ككل إلى إيجاد الحلول المبتكرة المبتغاة ، وحتى يتحقق ذلك فلا بد من دراسة البيئة بمعناها الواسع ، الاجتماعي ، والاقتصادي ، والنفسي ، والمادي .

أما استمرار متابعة الصيحات الجديدة التي تبدو ـ لأول وهلة ـ مبهرة تأخذ بالأنفاس ، ثم نقلها لطلابنا على مقاعد الدراسة دون أن يكون بينها وبين حياتهم في المجتمع رابط حتى لو كان متخيلاً ، فذلك انقطاع وفصل بين ما هو متعلم في الفصل الدراسي ، وما هو واقعي ملموس ومشاهد .

قد تكون إحدى بدايات هذا الانقطاع هو ما نلمسه في بيئات عربية عديدة في الآونة الأخيرة ، من ضعف الدافع الاجتماعي ـ على أقل تقدير ـ لقبول المتعلمين أصحاب الشهادات . بل لقد أصبح تعبير « صاحب شهادة » يثير الابتسام المخلوط بسخرية مبطنة أكثر مما يثير الإعجاب ، لأن واقع الأمر قد أظهر للناس أن صاحب تلك الشهادة ليس لديه حلول لمشكلاتهم ، أو لديه حلول نظرية منقطعة ومعلقة في الهواء .

والأزمة المقلقة لكثيرين منا أننا في مجتمعات تحتاج إلى العلم ، أكثر من أي شيء آخر ، لمساعدتها في تجاوز عنق الزجاجة التنموي ، والعلم بمعناه الصحيح هو الطريق الوحيد لاجتياز ذلك ، وعندما يصبح هذا (العلم) بكل تخصصاته المتعددة علماً منفصلاً عن المجتمع ، منظوراً إليه من الجموع الكبيرة كشيء لا ضرورة له في النهاية ، لأنه لا منفعة منه ، عندئذ تصل الأزمة الحضارية إلى الحلقوم .

أمثلة شتى .. والداء واحد

■ هذا الانفصال وتلك التبعية يمكن أن نرصد لهما بعض الأمثلة ، ففي بداية الستينات صدر كتاب لأحد الاختصاصيين النفسيين في جامعة هارفارد ـ ذاع صيته بعد ذلك ـ عنوانه (مجتمع الانجاز) ، وكان محاولة عجيبة من الكاتب للاجابة عن سؤال اختلقه ، مفاده : لماذا تشجع بعض الثقافات (المجتمعات) ـ أكثر من غيرها ـ أبناءها على الانجاز ، أي على النجاح في المشروعات العامة والخاصة .

وقد اختار الكاتب مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تبدو في الظاهر مقنعة لدراسة أسباب الانجاز .

تلك الظواهر استمدها من المجتمع الأمريكي بالطبع ، فدرس الك
أهازيج الأمهات لأطفالهن في المهد ، وقصص الأطفال والقصص الشعـ ،
وقنوات عديدة يتم توصيل القيم الاجتماعية خلالها بشكل واع أو غير وا
وفي النهاية وجد الكاتب أن الثقافة الأمريكية تحث على النجاح ، وأن عامل
النجاح الذي سماه « ن » يوجد مضاعفاً في المجتمع الأمريكي !

فالنجاح في المجتمع الأمريكي ـ كما يقول الكاتب ـ غير مرتبط بالصدفة أو الحظ (فالرجل يصنع حظه) ، هذا بعكس ثقافات أخرى تحث أبناءها على قبول الحظ والصدفة ، والمكتوب ، وتضع أفرادها أمام صعوبات قدرية ، خارج حدود الإدارة الإنسانية ، لا تستطيع أن تتخطاها .

ـ لقد كان الانحياز في ذلك الكتاب واضح المعالم لا تخطئه عين ، ومع ذلك ترجم إلى لغات عديدة ـ منها العربية ـ بل ودُرِّس لطلابنا !

ولا يحدث هذا في الكتب فقط ، بل اننا في بعض الأوقات ـ كما هي الحال اليوم ـ نجد أنفسنا وقد استعرنا أشكالاً من التعليم كاملة ، كما حدث على سبيل المثال في تدريس (الخدمة الاجتماعية) التي نشأت وتطورت في المجتمعات الغربية الصناعية ، واستعارها الرواد في الوطن العربي كما هي وعلمناها لطلابنا بقضها وقضيضها كما يقال ، الى أن انتبهنا أخيراً لخطأ ذلك النقل فأخذنا نتحدث عن (توطين الخدمة الاجتماعية) ، وأعتقد أننا ما نزال عن ذلك بعيدين .

الحلقة المفقودة بين مقاعد الدراسة ورحابة المجتمع .. أين هي ؟

إنني لا أقصد هنا أن فكرة أو فلسفة تدريب بعض مواطنينا على الاهتمام بأشكال الرعاية الاجتماعية هي فكرة أو فلسفة خاطئة ، ولكنني أقصد أن الطرق والمناهج التي درسناها لطلابنا فترة طويلة في هذا الموضوع ـ ومثلها في ذلك مثل كثير من برامج التدريس ـ إنما نقلناها دون توطين ، ولا تكييف ، فجاءت أصداؤ ها في عقول طلابنا غريبة ، غير مفهومة .

وإذا كانت الخدمة الاجتماعية ـ كمثال ـ أصبح نقدها مطروقاً نسبياً ، فاننا أمام أخطر موضوع مطروح اليوم ما زلنا عاجزين عن توطينه ، وأقصد دراسة الإعلام والاتصال ، صحيح أننا نستخدم وسائل الاعلام الحديثة كالمذياع والتلفاز والصحافة ، لكن دراستها كعلم مُوطن له علاقة بالوا
ما زالت بعيدة عن التحقيق ، وكل من كتب في الموضوع أو قرأ فيه يعرف هناك كثيراً من البحوث والدراسات المتوفرة أساسها غربي ، أما الدراسا

العربية فهي قليلة ، بل نادرة ، ولعلي أشير إلى واحدة من المعضلات في ذلك ، فكتاباتنا العربية تنقد الصحافة المؤممة في بعض بلادنا نقداً مراً ، كما تنقد الصحافة المملوكة لأفراد من جهة أخرى بنفس المرارة ، فماذا تريد ! !

أين تكمن الأسباب ؟

■ موضوع مثل ما نطرقه اليوم وهو محتوى ما نقدمه لطلابنا ، وهل هو قريب من الواقع مخاطباً له ، وسلاح بيد أبنائنا لمواجهة مشكلات اليوم والغد ، ليس بالموضوع الهين ، كما أنه موضوع لا تجدي فيه التمنيات ، فتاريخ العلم الحديث في الوطن العربي تاريخ ليس بالبعيد ، ولم نستطع حتى الآن ـ لأسباب كثيرة ـ أن نراكم ثروة من المعلومات والمعارف في المجالات المختلفة تؤهلنا للارتقاء الى تعميمات معقولة ، حيث ان ثروة البحوث العلمية البحتة

والتطبيقية والاجتماعية ما زالت مزدهرة لدى الشعوب المتقدمة ، وإذا أر أن
نفسر ذلك سوف نجد أن معظم ما تنفقه شركات الأدوية مثلاً على بحوثها ،
ومن ثم على انتاج الأدوية ، يذهب الى الأدوية التي تعالج أمراضاً معروفة في
الغرب ، أما في العالم الثالث ـ ونحن منه ـ فلا معرفة الا بالأدوية العامة أما
أمراضنا المستوطنة فلا تصرف عليها تلك الشركات شيئاً يذكر ، هذا مثال
لواقع حال البحوث العلمية في مجال حيوي كالدواء والعلاج ، وهو واقع قائم
نتيجة لعدم فهمنا وإدراكنا ، ان البحث العلمي مجال يمكن أن ننفق عليه كثيراً
من المال اليوم كي ينبت في الغد ويورق ، وقد لا يحتاج إلى أشهر معدودات
وإنما إلى سنين طويلة حتى يؤتي ثماره ، وكل هذا يحتاج إلى عقلية تفهم ذلك
وتعيه . فالناس على قدر عقولهم

ابتكاريون لاحرفيون

■ ومن أسباب المشكلة التي تحدثنا عنها أن استخدامنا للمنهج العلمي ما زال استخداماً غير مرن ، فالعلم أساسه الشك والابتكار ، والتفكير في غير المألوف له تطبيقات وصور عديدة ، كما أن العلم يحتاج إلى (ابتكاريين) ، وليس الى (حرفيين) من ذوي التفكير الآلي الميكانيكي ، فالعلم الاقتصادي الغربي ـ مثلاً ـ إن ظل في إطار النظريات التقليدية لن يقدم لنا شيئاً يذكر لحل مشكلاتنا المستعصية ، وكذلك أيضاً العلم الاجتماعي والعلم البحت . . ولا يوجد مجال اليوم نشهد فيه صراعاً أكثر سخونة من الصراع في مجال العلم بين ثقافة الحرفيين والآليين ، وثقافة المبادرين بالابتكار .

واذا ظلت مدارسنا وجامعاتنا تصر على الاحتراف والنقل بدلاً من الابتكار ، انفصمت العلاقة بين ما يدرس ويقرأ ، وبين الحياة برحابتها ، وتولدت علاقة آلية (ميكانيكية) بين المدرسة وبين الوظيفة ، تزيدنا تخلفاً على تخلف .

ان صيحة العصر هي المزاوجة بين العلم والمجتمع ، واستخدام التقنية الحديثة في كثير من المجالات ، فقد تغيرت المعادلة القديمة عما كانت عليه عندما كانت ثروة الأمم وسلطتها تعتمد على مصادرها الطبيعية ، واستثمارها المالي ، وأصبح الميزان يرجح بكفته بوضوح الى الاستثمار في البشر ، والمعرفة كمصدر (استراتيجي) للتقدم . . . فهل نحن فاعلون !؟

العمل الإسلامي ومسألة ترتيب الأولويات

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

من أعقد المشاكل التي تواجه حركات التغيير الاجتماعي تحديد نقطة البداية في هذا التغيير ، وترتيب الأولويات في برامج الاصلاح ، ذلك أن الزعماء والمصلحين يبدأون مسيرتهم في أكثر الأحيان وهم يحملون فكرة أو عقيدة أو مذهبا في الاصلاح ، يطرحونه على الناس ، ويدعوهم إلى اعتناقه والالتفاف حوله ، مرجئين حديث البرامج العملية ، وترتيب الخطوات المتعاقبة للحركة إلى مراحل تالية من مراحل عملهم السياسي والاجتماعي .

الواقع الاجتماعي لا يلتزم دائما بتقديرات القادة والزعماء ، وقد يفاجئهم بالتفاف الناس حولهم ، واستجابتهم لدعوتهم ، واجتماعهم حول قيادتهم ، فإذا هذه الجموع تسأل - في استعجال - هانحن قد جئنا ، ولبينا ، فماذا نفعل الآن ؟ وإذا بالأتباع والخصوم - على السواء - يطالبون بتحديد مراحل الحركة ، وأولويات العمل ، والقيادات ما تزال - بعد - تبحث عن أطراف الخيوط ، وتجتهد في تمييز ما يحتاج إلى العمل السريع ، وما يحتمل الإرجاء والانتظار ، وإذا طال بها أمد هذا البحث أو عجز اجتهادها عن تقديم الجواب فإن جماهير المؤيدين والأتباع لا تجد مفرا من أن تمارس هي ذلك كله على مسئوليتها ، وتجتهد فيه بحسب مزاجها ، وبمقدار نصيبها من المعرفة والحكمة ، وما تتمتع به من حكنة وبصيرة وفهم لأصول العمل الاجتماعي ، وهي في اجتهادها هذا تتعرض للخطأ والصواب ، كما تتعرض لتفاوت النقد واختلاف الآراء ، فإذا بها تستظل بمبدأ واحد ، وترفع راية منهج واحد في الإصلاح ، ومع ذلك تتنازع أمرها بينها ، وتتفرق بها سبل الحركة وزوايا النظر إلى الأولويات

ترتيب الأولويات

والحركات الاصلاحية التي تسعى إلى بناء النهضة على أساس إسلامي ليست مستثناة من هذه الظاهرة ، ولا هي معفاة من مخاطرها ومحاذيرها ، بل لعل مشكلتها في ترتيب أولويات العمل أن تكون أشد وأكبر ، ذلك أن ترتيب الأولويات في إطار عمل إسلامي تتنازعه اعتبارات مختلفة ، وتتورعه معايير عديدة، فهو ليس قائما على تقدير الأهم والمهم من حيث المصلحة الاجتماعية العامة فحسب ، وإنما يتداخل في تحديده عنصران متميزان

أولهما . ترتيب القيم في إطار التصور الاعتقادي الشامل الذي يقوم عليه الاسلام ، وهو ترتيب قد يتفق وقد لا يتفق مع الترتيب القائم على رعاية المصلحة الاجتماعية كما يقررها الناس

العـــر الثاني مــلاحـظة درجــة الثبــوت
، وقطعية ، المصـدر الذي يستنـد إليه الحكم محـل
البحث . فما ثبت بدليل قطعي يكون أوفر نصيبا من
الطلب والالحاح في برامج الاصلاح ، بينما تتراخى
في الترتيب أمور أخرى إذا لم يحمل دليل ثبوتها درجة
اليقين التي تحملها نصوص أخرى ربما كانت تعالج
أمورا أقـل أهميـة ، أو أقـل اتصــالا بـالمصلحـة
الاجتماعية الظاهرة

ولا نحب بهذا الحديث أن نزيد مسـألة تـرتيب
الأولويات تعقيدا وصعوبة أمام العاملين تحت لواء
حركة النهضة الاسلامية ، وإنما لابد أن نذكرهم ،
ونسلم معهم كذلك بـأن عليهم في سعيهم لترتيب
أولويات العمل أن يلاحظوا حقيقتين كبيرتين

الأولى أنهم لا يستـطيعـون أن يغفلوا الــواقـع
الاجتمـاعي الذي يعملون في إطـاره ، وأن يصنعوا
لحركتهم أولويـات خاصـة بها ، منعـزلة تمـاما عن
حاجات النــاس في الأزمنـة المختلفـة والأمكنـة
المختلفة ، مستندين في هـذا المنهج إلى أن الاســلام
حاكم لا محكوم ، وأن على الناس أن يعيدوا ترتيب
حياتهم على أساس « الأولويات » الاسـلاميـة ، كما
يحددها لهم أولئك المصلحون والدعاة ، (ذلك أن
رعاية المصلحـة أصل إسـلامي ثابت ، والسيـاسة
الشرعيـة كـما يقـول ابن قيم الجـــوزيـة قسم من
الشريعة ، أي جزء من أجزائها ، وليـس قسيما لها ،
ولا بديلا عنها ، وهي - كما يعرضها ابن عقيل - فعل
ما يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح ، وأبعد عن
الفساد)

الثانية . أنهم لا يستطيعون - مع ذلك - ترك الأمر
كله « للواقـع الاجتماعي » ، يحـدد لهم أولويـات
عملهم على أساس المنفعة الاجتماعية وحدها ، ذلك
أن كل ترتيب لأولويات المنافع الاجتماعية لابد أن
يحمل في ثنايـاه رؤية معينـة ، تعكس قيما محـددة ،
والاستسلام الكامل للواقع الاجتماعي يعني التخلي
عن الدور الأساسي في توجيه المجتمع .

كذلك لا تستطيع الحركات الاسلامية أن تتخلى
عن ممـارسة اجتهـاد متجدد ، لتحـديـد أولـويـات
عملها ، في ضوء الواقع الذي يتجدد ويتغير كثير من
عناصره ، ولهذا يغدو التواصل مع المجتمع ، وفهم
قوانين حركته ، والتفاعل المستمر مع قواه المختلفة
شـرطـا ضـروريـا لممـارسـة الاجتهـاد في تـرتيب
الأولويات ، بغيره يتعرض العمل الاسلامي لمخاطر
الحركة ضد تيار التاريخ ، ولاحتمالات الخطأ الفادح
في رصد مشاكل المجتمع ، وتحديد المصالح الحقيقية
لأفراده وفئاته مجتمعين ومتفرقين

مداخل متعددة

وفي ضـوء التسليم بهذه الحقـائق ، وفي ضـوء
استقـراء الـواقـع الاجتمـاعي والسيـاسي للعـرب
والمسلمين نستطيع أن نقدم اجتهادا جديدا لأولويات
العمل الاسلامي المعاصر ، مقـررين أن على رأس
هذه الأولويات أمورا ثلاثة ، كل ما عداها يأتي بعدها
في سلم الأولويات

الأولوية الأولى المشاركة مع القوى السيـاسية
والاجتماعية الأخرى في دفع أخطار التبعية السياسية
والاقتصادية عن العرب والمسلمين

ووضـع هـذا الأمـر في المـرتبـة الأولى من سلم
الأولويات يرجع إلى أسبـاب عديـدة ، منها أنـه لا
قيمة - اليوم - لجهد يبذل في إصلاح المسار الداخلي
للمجتمع إذا كان كيـانه كله يتعـرض للخضـوع
والتبعية لقوى دولية كبرى ، وهو نوع من التبعيـة
جديد في صورته ، فريد في حجمه ، مخيف مفزع في
آثاره ونتائجه ، ولا يجوز - بحال - قياسه على صور
الاستعمـار القديم أو الحـديد حيث كـانت الدول
المستعمرة (بفتح الميم) تحتفظ بكيـانها الداخـلي في
أكثر الأحيان ، وتظل تنتظر لحظة تاريخية مواتيـة ،
يتخلص فيهـا الشعب من مستعمريـه ، ويستـأنف
مسيرته من جديد

أما التبعية الجديدة فإن مداخلها متعددة ، أولهـا

الضعف العسكري للدول العربية والاسلامية، واتجاه كثير منها إلى طلب الحماية من الدول الكبرى في وجه أخطار أقلها حقيقي ، وأكثرها مصطنع وموهوم ، وثانيها الاعتماد - شبه الكامل - على عدد محدود من الدول الكبرى في تزويد الشعوب العربية والمسلمة بالجانب الأكبر من غذائها وكسائها ودوائها ، وهو اعتماد متصاعد ، يحمل في ثناياه أسباب استمراره ، واستقراره كصورة ثابتة للعلاقات بين الدول الدائنة والدول المدينة ، وهي صورة من شأنها وضع استقلال الدول المدينة - بجوانبه المختلفة - تحت رحمة الدول الدائنة ، ومن شأنه - كذلك - تصاعد حجم التبعية مع زيادة حجم المديونية ، وانتقالها من ميدان إلى ميدان ، ومعنى هذا أن الدول الدائنة المتبوعة سوف يكون لها - بالضرورة - قول ورأي في أخطر الشئون الداخلية للدول التابعة وأدقها ، ومن هنا يغدو مصير حركات النهضة والانبعاث ، وتحديد المصادر الأساسية لتلك النهضة داخلا بدوره في دائرة نفوذ الدولة المتبوعة ، متأثرا برغبتها ، وأهداف سياستها - ولهذا تغدو مشاركة الحركة الاسلامية لقوى المجتمع الأخرى في دفع أخطار تلك التبعية جديرة بموقع الصدارة بين أولويات العمل الاسلامي ، وهي مشاركة من شأنها - فوق ذلك - أن تبني جسورا عديدة مع تلك القوى ، وأن تفتح أمام الحركة الاسلامية أبوابا للمشاركة في سائر ميادين العمل الاجتماعي ، غير منعزلة ولا مقطوعة عن التيار الرئيسي لحركة المجتمع

تشخيص أزمة الانسان المعاصر

الاولوية الثانية لفت الأنظار إلى ما يحمله الاسلام لانسان هذا العصر من وسائل فعالة وجدية في علاج الآثار الجانبية المسيئة للثورة العلمية والتقنية وتلك - في الحقيقة - مهمة شديدة الطموح ، بالغة الصعوبة ، كما أنها مقيدة بشروط عديدة ، وإلا كان الحديث عنها أحلاما في اليقظة ، وإسرافا في الخيال والتمني

والمدخل لفهم هذه الأولوية مدخل ثلاثي

أ . فهو يقتضي أولا تحريك الوعي لحقيقة « العالمية » في ظواهر هذا العصر ، ذلك أن دوائر الولاء والانتماء الوطني والاقليمي والقومي لم تعد قادرة على فرض نفسها على أشد الظواهر المعاصرة خطورة وتأثيرا على الحياة المادية والمعنوية للناس ، فلقد قضي الأمر ، وتحول العالم إلى « قرية واحدة صغيرة » ، نتيجة للثورات العلمية والتقنية ، خصوصا في مجال الحركة والانتقال ، ومجال تبادل المعلومات والاتصال إن أخطر الأوبئة الجديدة لم تعد تعرف حدود الأوطان والقوميات ، كما أن أخطار التلوث بالاشعاعات الذرية وبالكائنات الدقيقة العضوية لم تعد - هي أيضا - تحترم حقائق التاريخ أو الجغرافيا ، بل إن المشروعات الاقتصادية الكبرى قد صارت - هي أيضا - متعددة الجنسيات ، مخترقة لحدود القوميات ، حتى الارهاب والعنف المنظم وضعت في أيدي أصحابه وسائل تدبير وتدمير حولته - أيضا - إلى ظاهرة عالمية ومن هنا يحتاج « المسلم المعاصر » إلى أن يعترف بهذه « العالمية » الجديدة ، وألا يقيم بين نفسه وبين العالم نفس العلاقة المعقدة التي أقامها بينه وبين الغرب أزمانا طويلة ، تردد خلالها بين الرفض الكامل والقبول غير المشروط ، فاقدا - في الحالتين - قدرته على النظر الموضوعي ، والانتقاء الواعي الذي لا تتدخل فيه الهواجس والمخاوف ، كما لا تتدخل فيه مشاعر نقص الثقة والاحساس بالضعف

ب . وهو يقتضي بعد ذلك تشخيص أزمة الانسان المعاصر ، وهو تشخيص لم يعد المسلمو[ن] وغيرهم يختلفون فيه كثيرا ، وخلاصته أن إطلا[ق] قوى العقل ونشاطها الهائل في ميادين السيطرة ع[لى] المادة وتسخيرها لمنفعة الانسان قد صنع حضا[رة] « شيئية » ، بدلا من « الحضارة الانسانية » ، فأصب[ح] الانسان المعاصر يجد أنه - أو هكذا يظن - في حيا[ة]

ألوان ، اعداء لا آخر لها من الأشياء ، وتراجعت - تدريجيا - حرارة علاقته بالآخرين من الناس ، وترتب على ذلك انتشار سعار المادية والأنانية ، وانتشار ألوان المنافسات الوحشية على حيازة الثروة ، وزادت معها العلاقات الانسانية فتورا وبرودة وصمما ، وعلى سطح هذه الحضارة « الشيئية » طفحت الجريمة واستشرى العنف الفردي والجماعي ، وأصبحت الانسانية ذات يوم لتكتشف أنها قد استغرقها الموضوع على حساب الذات ، وتراجع عن ساحتها الأنس الحقيقي الذي يستمده الانسان الفرد من علاقته الحميمة مع سائر الناس

ح ولا يمكن أن يكون للمسلمين إسهام حقيقي مبدع وفعال في علاج هذه الآثار الجانبية المدمرة إلا إذا حددوا فهمهم للاسلام ، وتجاوزت أبصارهم وبصائرهم حدود التفسيرات التي فرضتها ظروف لم تكن تحمل ما يحمله هذا العصر من تحديات هائلة ، تعترض مسيرة الانسان من وراء كل الحدود - (حدود اختلاف الألسنة والألوان والمعتقدات)

أبعاد الفهم

والفهم الذي نتحدث عنه تتجلى فيه الخصائص التالية

١ - أنه فهم إنساني ، يرتفع بالعقل والوجدان - معا - فوق حواجز اللون واللسان والانتماء القومي ، ويرى في البشرية أمة واحدة ، يخاطبها الوحي ، وتحتاج في مسيرتها إلى هداية الحق

٢ - أنه فهم يتحرر من الالتصاق بالماضي وحده - ويتوجه إلى الحاضر والمستقبل ، ويرى عظمة الاسلام الحقيقية في انعتاقه من نسبية الزمن ، وفي تجدد وتعدد الصيغ الاصلاحية التي يقدمها لمواجهة عالم متحرك دائم التجدد والتغير

٣ - أنه فهم مدرك لوظيفة الانسان على هذه الأرض ، وهي وظيفة تبدأ بالبناء والتعمير ، وتتوج بالهداية وإشاعة الحق والعدل ، فلا مكان - بعد اليوم - في معسكر المسلمين للعاجزين والهاربين من الحياة - ولا مكان فيه كذلك للذين استعبدتهم زينة الحياة ، وشغلتهم عوارض الطريق عن دورهم الرائد الذي اصطفاهم له الله خلفاء في أرضه ، وحملة لأمانته ، ودعاة إلى الخير وإلى الرحمة التي جاء بها رسله ، والتي أنزلها في كتبه

٤ - أنه فهم مستوعب لحقائق التأثير والتأثر في دنيا الناس يعرف أن الناس لا تأخذ بالحكمة ولا تقبل بالنصيحة من الضعفاء والعاجزين ، وأن المسلمين - لذلك - لا يستطيعون أن يكونوا هداة لغيرهم ، إلا إذا صلح أمرهم بينهم ، ولذلك فإن التعجيل « بالنهضة الداخلية » للمسلمين هو تعجيل - في الوقت ذاته - بأداء المسلمين لدورهم المنتظر في رد البشرية إلى التوازن الذي ضاع بين مطالب « المادة » في الانسان ومطالب الروح فيه ، وبين دواعي الاثرة والأنانية وتوكيد الذات ، ودواعي الايثار والعطاء والعفو وتقديم الفضل للآخرين

نماذج التمزق

الأولوية الثالثة جمع شمل المسلمين ، وتصفية المعارك الداخلية بين روافد التيار الاسلامي

ونحن هنا لا نخلط بين التمزق الذي نخشى عواقبه وبين التعدد في الآراء والأخطار الذي هو سنة من سنن الله في خلقه ، والتمزق الذي نريد « للعمل الاسلامي » أن يتخطاه تمزق مزدوج

أ فهو تمزق على مستوى الأقطار والدول والأنظمة

ب وتمزق على مستوى روافد التيار الاسلامي التي تلتقي على ساحة الاصلاح ، ولا تستطيع - مع ذلك - أن توحد صفوفها ، أو أن تجتمع على مواقف ، أو أن تضم جهدا مبذولا إلى جهد ، ووجه الخطر في التمزق الذي تغشانا - نحن المسلمين سحابته السوداء القاتمة أنه تجاوز دائرة الاجتهاد والنظر ، واقتحم مجال العمل ، ووضع العاملين للاسلام في هذا العصر على طرق متقاطعة متنافرة ، يهدر بعضهم

جهد بعض ، ويحول ـ لو استطاع ـ دون نجاحها ، وأنه ـ فوق ذلك ـ يتم في غياب منهج معقول للاختلاف ، يحفظ به الود ، وتصان به مشاعر الانتماء المتبادل ، وينسق به الجهد المبذول قل أو كثر

إن استمرار هذا التمزق على مستوى الحركات الاسلامية لا يغلق الباب في وجه كل أمل مشروع في مستقبل المسلمين فحسب،وإنما هو يضع الآخرين في حيرة لا آخر لها إزاء التيار الاسلامي بكل روافده ، إذ كيف يتأتى لأحد أن يعرف الحقيقة وسط هذا المهرجان الصاخب الذي يتبادل فيه الجميع الاتهامات ، ويصر فيه كل أحد على أنه وحده يحمل الحقيقة كاملة ، وأن الصورة التي يعرضها هي وحدها الصورة الصحيحة للاسلام ؟

شروط النهضة

ويخرجنا من هذا الضياع أمران

١ ـ أن يستوعب الجيل المعاصر من المسلمين حجم الأخطار القادمة ، فإنها طوفان لا عاصم معه من أمر الله « إلا من رحم » ، وأن يستوعبوا ـ كذلك ـ حقيقة استحالة استقلال قطر مسلم واحد بدفع هذه الاخطار عن نفسه وعن سائر المسلمين

٢ ـ ان يعلم الجيل كله أن اختلاف الرأي سنة من سنن الله في الناس ، وأن المسلمين الأوائل الذين بعث فيهم رسول الله (ص) قد اختلفوا فيما بينهم ، وقد اختلف الصحابة واختلف التابعون واختلف من جاء بعدهم ، وأن القضية اليوم ليست ألا نختلف ، وإنما هي أن نتعاون على الخير حتى حين نختلف

على أن هذا التعاون يطرح سؤالا بالغ الأهمية ، ولابد له من جواب ، وهو هل تستطيع روافد التيار الاسلامي المتعددة والمختلفة فيما بينها أن ترتفع فوق حزازات ما بينها من خلاف ، وأن تتجاوز ذلك كله ، استشعارا لحجم الأخطار القادمة أم أن الأمر يحتاج إلى تسويات وتصفيات ، ترتفع فوق عبارات المجاملة ، والتستر على المشاكل في مواجهة الآخرين ؟

ذلك سؤال تصعب الاجابة عنه ، ولكننا نقول لروافد الحركة الاسلامية إن التاريخ لن يتوقف حتى تسوى خلافاتها،وان الجماهير التي أقبلت على روافد تلك الحركة لصبرها حدود ولسعة صدرها آخر وأن التعاون بينها ما يزال ممكنا وميسورا إذا ميزت في مظاهر خلافاتها بين الأمور العارضة التي تحتمل الاتفاق والاختلاف ، والأمور الأساسية التي لا يجوز الخلاف حولها ، ولو فعلت ذلك لقربت مسافة الخلف بينها ، ولفتحت للتعاون أبوابا، هي عينها أسباب القوة وأسباب النهضة

ولقائل بعد ذلك كله أن يقول

وأين ـ في سلم الأولويات ـ قضية تربية الجيل المسلم ، وقضية القيم الغائبة من حياة المسلمين المعاصرين كقيم العدل والحرية واحترام العقل؟ وجوابنا أن ذلك كله داخل في أولويات العمل في الجبهة الداخلية للحركات الاسلامية ،ولكن هذه الجبهة الداخلية تقف اليوم كلها على مفترق طرق ، وعلى شفا جرف ، والأولويات التي تحدثنا عنها هي أولويات تفرضها « العالمية » الجديدة ، كما تفرضها ضرورات خروج الحركات الاسلامية من عزلتها ، واغترابها عن العالم من حولها، وهو الخروج الذي يحمل في طياته بوارق الأمل للحركات الاسلامية ، وللمسلمين ، وللدنيا كلها □

---

* المؤمن : لا يضيع في الكون . وانما يضيع الكون في المؤمن

(محمد اقبال)

بقلم : الدكتور : شاكر مصطفى

قل أي نبوءة مستقبلية واسكت ، اذن تنهمر حلقة الأصدقاء جميعها حولك بالنبوءات وأحاديث النبوءات . المستقبل بما يحمل من مجهول ، مثير ، محير ، يمتلكنا ، ما من انسان لا يفكر فيه . لا يتوق لمعرفته ولو في دجل العرافين وثرثرة قارئة الفنجان . . .

على الرغم من أن « الرجم بالغيب » تجاوز على علم الله ، فالناس يحاولونه ، وهم يعلمون عبث المحاولة ، وقديما كان الناس لا يأبهون للغد الدنيوي العاجل العد الأخروي الآجل هو الأهم الدنيوي قبل الموت ، غيب مجهول مفتوح لارادة الله يطرح فيه جميع الاحتمالات على الأرض أما الأخروي بعد الموت ، فمعلوم كله . انه يوم الحساب والناس يعرفون انه يتفق كل الاتفاق مع أعمالهم في الدنيا ، فالعدل الالهي لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

الآية في العصر الحاضر صارت معكوسة ، أصبح العالم « يخطط » ، يضع السيناريوهات للمستقبل الدنيوي العاجل . نحن نضعه بأيدينا لبنة لبنة كما كنا دوما نضع من قبل دون أن ندري وشيئا فوضوي غير نظيم ـ وأما المستقبل الأخروي فهو ـ وك الآن لله يدبر أمره كيف يشاء

المنظوران في الحالين مختلفان يستندان الى أيديولوجيتين متناقضتين

أيديولوجية السكون والسلبية والهرب الى الماضي ، ودوران التاريخ في حلقة يرتبط آخرها بأولها ، والتحذير بترك الأمور لله « لا تفكر ، الله يدبر » و .

دع المقادير تجري في أعنتها
ولا تبيتن إلا خالي البال

وأيديولوجية الحركة والايجابية والاقدام على المستقبل ، وسير التاريخ في خط مستقيم يتقدم باستمرار،والعمل على تغيير الشرط الانساني بواسطة الانسان نفسه

وما التناقض هو الذي يهمنا هنا ، ولكن التواكل لم يعد يطعم خبزا وترك الأمور تجري في أعنتها غالبا ما ينتهي بالكوارث التي لا تعدم من يراها قادمة ويحسب حسابها بالفكر المنطقي وبالورق

والقلم ! . . والنـاس اليوم ، ولـو ظلوا على الانصراف لراحة البال وترك التفكير ، يتقبلون أيديولوجية التخطيط في مختلف نواحي الحياة . هذه الصيحة العالمية التي ترن في كل مكان كأجراس العيد ، ترتبط بالمنظور الآخر الى المستقبل ، منظور « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » ! فالايمان يزداد يوما بعد يوم بأن المستقبل أكثر شأنا من الحاضر (الذي لا وجود له في الواقع) ، ومن الماضي الطويل الذي يجره الانسان وراءه ليرى فيه كالمرآة مدى ابتعاده عن أيام الكهف الأولى وعن الوحش الكامن فيه . فهو يتجه لهذا وذاك أكثر شأنا وأخطر من أن يترك سدى . وان التخطيط لما سوف يأتي سمة من سمات الفكر العلمي الحديث وشرط من شروط الحياة الحديثة

أن نكون أو لا نكون

على اننا نمضي خطوات أخرى فنقول ان علم المستقبل أضحى مذهبا فكريا كاملا له مدارسه وعلماؤه ومهندسوه ومؤتمراته وكتبه ومخططاته

وخطوة أخرى فنقول ان الوطن العربي على شفا انقلاب بنيوي جذري ، وخطوة ثالثة فنقول ان قضية التخطيط المستقبلي أضحت مسألة بقاء بكل معنى البقاء « ان نكون أو لا نكون » هو الرهان العربي المقبل المتعلق بالتخطيط ما يسمونه بالتحديات للوطن العربي ، بتنظيمها ، بتحديد قوتها ومدى خطرها ، بتوضيح أولياتها ، باعداده لمواجهتها هنا مجاله الأوسع أعرف ان الوطن العربي اليوم ينزف اقتصاديا لا يخدعنا البترول ودخله اننا منه أشبه بوارث يبيع قطعا من الأراضي التي ورث لينفق الانتاج الحقيقي « الزراعي والصناعي » ، يتضاءل ونحن نستورد ٧٥٪ ـ ٨٠٪ من موادنا الغذائية في انتظار أن نصل لاستيراد ٩٠ أو ٩٥٪ منها عن قريب . وللخلاص لابد من فهم معطيات النظام الاقتصادي العالمي المقبل المبني على التقنية الجديدة وانشاء مجموعة اقتصادية عربية « ديناميكية » فعالة متجاوبة معه

وأعرف اننا على التبعية السياسية كل اعمالنا ردود فعل وكل نظمنا تنظر ، قبل أي حصة ، فيما اذا كانت الخطوة ترضي هذه الجهة أو تلك وكلنا سجناء أفلاك تدور حول هذه الشمس السوداء أو تلك الحمراء ودون الخلاص من هذه التبعية أهوال من بينها التعاون العربي الفعال والسيطرة على انتاج السلاح والاستناد الى قاعدة اقتصادية متينة

وأعرف الى هذا وذاك اننا على الأمية الحضارية في مجال العلم والتقنية لم تتشرب جموعنا المبادىء الأولى في هذا ولا تلك ثورة العلم التي وصلت الى هندسة « الجينات » الوراثية بين ما وصلت ، وثورة التقنية التي أوصلت الانسان الى القمر والأفلاك ، والثورة في مجال المواد الجديدة ، وثورة « الالكترونيات » الدقيقة مما تبعها من ثورة المعلومات وثورة الاتصال ، كل هذه الثورات ماتزال تجري في كوكب آخر نحن غرباء عنه حتى الرثاء القادة لا ينظرون الى تشجيع العلم والتقنية على انها قوام كل أمة في الغد ولكن على انها « ديكور » للدولة والا فلماذا لا نخصص للبحث العلمي في بلادنا ما يزيد على ٠٣ ، / من الدخل القومي ونجد له ٣/ ـ ٤/ من الدخل أي عشرة أضعاف الى ١٢ ضعفا في أي أمة أخرى ؟ ولماذا ننفق ٥,٥/ ـ ٦/ من دخلنا القومي على التسلح أي أكثر من ١٦ ـ ١٨ مرة مما ننفق على العلم ؟

وأعرف أخيرا ـ الى هذا ـ ان التنمية الشاملة انما تبدأ بالتخطيط للخلاص وان هذا التخطيط يبدأ من الذات وينتهي بالذات

لكني أريد أن أقف فقط عند حذر هذه المتحولات كلها عند المنبع وأقصد التخلف الثقافي والتخطيط للخلاص من هذا التخلف هنا ... في اعتقادي مربط العنز ومن هنا نبدأ .

ردم الهوة المتزايدة في السعة والعمق انما يبد... المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الفكر ...

مطمع « العلم » ان لم نؤمن مسبقا انه الطريق وان المعرفة هي القوة كما يقول باكون وعبثا نحاول الديمقراطية ومانزال ننتظر « الدكتاتور العادل » ، بلا يمكن اصطياد عصفور واحد وعلى العينين عصابة - كما يقول ماو تسي تونغ وعبثا نصرخ لإصلاح الاقتصاد ومايزال ثلاثة أرباع غذائنا اليومي مستوردا ، فإن الناس لا يتخلصون من البؤس بمجرد الهتاف للثورة - على حد قول ميرلو بونتي

ولن ألح كثيرا في الوقوف عند عقبة العلم والتقنية انها الأساس في ثقافة الغد والحديث عن العلم ومكانه الخطر في هذه الثقافة ، وعن التقنية ودورها في النقلة الحضارية ، دفع لأبواب مفتحة على مصاريعها

ان ما نشهده اليوم من آلاء التراكم العالمي الهائل يضعنا بالرغم منا على أبواب عصر مختلف لقد تغيرت صورة الكون بين لانهايتيه الصغرى والكبرى وانقلب التوازن العلمي والتقني القديم كمّا ونوعا وسرعة وبخاصة في « الالكترونيات » الدقيقة وتطبيقاتها ، وفي المضادات الحيوية وفي هندسة المكونات الوراثية وفي تكييف الحياة العقلية بالعقاقير،وفي أبحاث الذرة وتطبيقاتها،وفي أبحاث الفضاء وتقنية الصواريخ ومركبات الفضاء وفي « الأتمتة » الذاتية،وفي أبحاث الاتصال،وفيما يسمى ثورة المعلومات وامتد هذا الانقلاب كله الى ما وراء العلوم البحتة « والبيولوجية » والتطبيقية ليمس العلوم الاجتماعية والانسانية والاقتصادية كل ذلك في مدى زمني لا يزيد على نصف قرن ! ولو افترضنا ان الانسان موجود منذ خمسين ألف سنة ، وقسمنا هذه الفترة الى أعمار متصلة كل منها خمسون سنة لكن كل هذا الذي تم من الثورة انما تم في العمر رقم ١٠٠٠ !! أغريب بعد هذا أن نفكر بالمستقبل ونخطط له ؟

واذ كان الفكر المستقبلي علميا بالضرورة فان هذه المسألة تعني الكثير انها تعني :

أولا

ان من يملك العلم في المستقبل أي يملك المعلومات وتقنية استخدامها يملك العالم .

ثانيا

ان اقامة العلم كقوة حية نشطة في المجتمع هي حره من مشكلة التحول من الأمية الحضارية الى التنمية الشاملة وذلك لا يكون بنقل العلم ولكن بنقل المنهج والطريقة

ثالثا

ان تغير الثقافة العربية نوعيا ، شرط ضروري لقيام الحركة العلمية على قاعدة متينة واسعة من الفكر والفهم والاستيعاب للعصر

رابعا

ان هذا التغير لا يكون الا بثورة ثقافية ، أي بربط الثقافة العربية مع العصر عن طريق العلم والتقنية ان العلم ليس معرفة ولكنه أسلوب في الفكر ينقله من تجريد الطبيعة الى تحريكها ومن سكونية الوجود الى حركية الوجود ومن العبثية الى السببية

خامسا

ان عملية كسب العالم ونقل التقنية لا تكفي لأن هذين النشاطين ليسا ثابتين ولا كمّيين .

انهما في حركة دائمة متطورة التطور السريع الرهيب من جهة،ويحتاجان الى توفر مجتمع علمي مواز يستطيع المتابعة لهما والمشاركة فيهما والاسهام في الابتكار من جهة أخرى

سادسا

ان نفقات كسب العلم ونقل التقنية ، والثورة الثقافية لمساندتها ، تتجاوز القدرات المادية لأي دولة عربية ، وان المستقبل للتكتلات البشرية الواسعة . وان تغيير المسار الفكري العربي يفرض هنا التكتل المادي والبشري بفرض التوحد والا ظللنا على ترك مزاريبنا تصب في الأقنية الغربية وظللنا على الشرب من تلك الأقنية

مقابل هذه التحديات المصيرية نلاحظ ان الهوة بين ثقافتنا التي نحيا وبين الثقافة العالمية تتسع بازدياد رهيب . قدر اتساع الهوة الاقتصادية بين الشمال والجنوب . الكتاب الاحصائي لليونسكو سنة ١٩٨٥ يكشف المؤشرات الخطرة ففي البلدان النامية - وليست البلاد العربية بأحسنها - هناك ١٢٥ باحثا علميا لكل مليون نسمة ، في حين تقدم البلاد الصناعية المتقدمة ثلاثة آلاف وان نصيب البلدان النامية من عدد الباحثين العلميين لا يجاوز كثيرا ١٠٪ من المجموع ، وان ما تنفقه على البحوث والتنمية لا يشكل الا ٦٪ من اجمالي ما ينفق عليها على المستوى العالمي أي انه لا يجاوز ١٢,٥ مليار دولار من أصل ٢٠٨ مليارات دولار !

في حين تنفق الدول النامية على « أحقادها » الصغيرة التي تخلقها لها الدول الكبرى وتلهيها بها ١٥٠ مليار دولار ثمنا للأسلحة القديمة ولافراغ مخازن هذه الدول منها لاستقبال أسلحة أحدث

ان اقتصاد الغد ، ومؤشراته ظاهرة في اقتصاد اليوم وسوف يقوم كثقافة الغد سواء بسواء على التقنية الحديثة التي تتطلب انتاجا كبيرا وأسواقا كبيرة اقتصاد الخمسينيات انتهى والتحدي لم يعد قضية علمية - ثقافية فقط ولا قضية سياسية ولكنه مسألة « بقاء »

حاجات الغد

من هنا صار التفكير في المستقبل العربي ككل يفرض نفسه فرضا واذا لم نشأ ان ندخل في التخطيط الشامل اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وفصلنا ان نتركه لأهله واختصاصييه ، فان ذلك لا يمنعنا من التفكير في الوسائل وفي الأسس الأولى للتحرك المخططون لا يمكن أن ينطلقوا من فراغ ولابد من التخطيط لوسائل الوصول بقدر التخطيط لأهداف الوصول كما لابد من النظر في الأسباب والأهداف على ضوء التغيرات المستقبلية المتلاحقة وحاجات الغد . فهل ترانا نستطيع اقتراح بعض الخطوط ؟ قد يكون بعضها معادا نضمه لاكمال الصورة أما بعضها الآخر فمشتق من رؤية للغد مرعبة وهل يجدي الرعب وحده انا أمام أعمال جبارة أولية من ملامحها

١) سد منابع الأمية ليس بالمعنى الالفبائي ولكن بالمعنى الحضاري أيضا أمية الوطن العربي تضعه في أسفل السلم انه يكاد يكون آخر مناطق العالم تحررا منها ، رغم كل الجهود التي تبذل ، ورغم التزايد المادي في الانفاق والتزايد الانتاجي في الأعداد المتعلمة تصل الأمية في الوطن العربي الى ٥٤,٦٪ في حين انها في مجموع القارة الافريقية لا تجاوز ٥٣٪ ، وهي في آسيا وأمريكا اللاتينية أكثر انحصارا بكثير ، فهل نأمل في تقدم الى الغد ، وقيود الأمة كتل من الرصاص في الأرجل ، والمحيط هو المحيط ؟

٢) اتخاذ جميع السبل لتكثيف الثروة البشرية العلمية وربطها لا بالأرض فقط ، ولكن بالثروة المادية للأرض وبالمشاكل الاقليمية المتوطنة لابد من اتساع القاعدة العلمية التقنية وبمختلف الدرجات قبل انتظار النبوغ في بعض ميادينها ثروتنا البشرية مهدورة وما يتفتح منها هو العصافير المهاجرة

٣) دعم خبرات الترجمة وتقنية الترجمة بل انها لم تعد عملا يقوم به كل من عرف القفز بين لغة وأخرى لقد صارت علما وقواعد وفروعا وأنواعا وصار لكل علم لغة ، ولكل ترجمة (من فورية وأدبية وشعرية وطبية وفيزيائية وسياسية) مختصوها وتقنيتها ، والعاملون في الترجمة سيكونون جزءا متمما لعلماء المستقبل انك لا تستطيع الاعتماد على اللغة الأجنبية وحدها لا يتفاعل الفكر معك بعمق ووضوح الا في لغتك لغتك أنت الترجمة هذا « العلم المهمل » يجب أن تدفع به جامعاتنا الى المقدمة بقوة ، تنظيما وتقنينا واختصاصا انه الجسر الوحيد الى الابداع

٤) الاتجاه الى تقنية المعلومات لقد وصلت ثورة المعلومات الحد الذي لابد معه من التعامل المباشر مع

بياناتها المتقدمة وبلادنا تصنف ضمن البلاد الجائعة
ملوماتياً لم يعد الكتاب كافيا ولا المكتبة
المعلومة « أضحت رأسمال الغد وطرائق
الحصول على المعلومات أضحت سبيل العلم
أول نظم المعلومات هي العلم المساند لكل
العلوم في المستقبل ، والعلم الذي يسد الفجوات
القائمة بين العلوم تقنية المعلومات تقيم الحوار
التواصل بين مختلف قطاعات العلوم في انسيابية
كاملة وبلغات أرقى وأيسر ومعالجة أقدر
أسرع ، وذاكرة أضخم وأذكى ، واتصال أوسع
أعي كل ذلك من أجل محاكاة بعض خصائص
الذهن الانساني وعمل بنوك المعلومات ، انها
تدرس حواص المعلومات ومتغيراتها والعوامل التي
تحكم تدفقها ووسائل تجهيزها للافادة القصوى
منها ، كما تشمل انتاج المعلومات وبثها وتجميعها
معالجتها التحليلية التركيبية وتنظيمها واحتزانها
استرجاعها وتفسيرها ثم بثها من جديد انه علم
يتصل بمختلف العلوم من طبيعية « وبيولوجية »
انسانية واجتماعية فحسب ، ولكنه يقوم أيضا على
الرياضيات والمنطق وعلم اللغة وعلم النفس وتقنية
الحاسبات « الالكترونية » وبحوث العمليات وفنون
الطباعة والاتصالات و أخيرا علم المكتبات
الادارة ـ العالم كله يتحول من المجتمع الصناعي الى
مجتمع المعلوماتي،أفلا يستحق هذا كله الاعداد له ؟

٥) الاتجاه الى تقنية الاتصال والاعلام . فثلاثة
أرباع ثقافة الغد سوف تأتينا عن طريق وسائل
الاتصال ولابد من السيطرة على عمليات الاتصال
الاعلام لتكوين القاعدة الثقافية التحتية
ضرورية ، ولمساندة العملية العلمية ، والرسالة
الاعلامية هي النقطة المركزية في عملية الاعلام .
دورها في التنمية الثقافية انما يحدده مقدار ما تحمل
المضمون الثقافي المستقبلي . والسيطرة على وسائل
الاتصال من الأقمار الصناعية والشبكات الفضائية
أنظمة البث الاذاعي والتلفزيوني

« والكابلوفيزيوني » وما سوف يستحدث منها
بالاضافة الى الوسائل التقليدية من صحيفة وكتاب
ووكالات أنباء ومسارح وقاعات موسيقا ومحاضرة
ومطابع كل ذلك يقتضي وجود الأجهزة
البشرية التقنية بجوارها ووجود الانتاج الجذاب
الأسر الذي يبعد منافسة وسائل الاتصال الأخرى ،
ويوقف تدفقها الوحيد الطرف حتى الآن بدون
هذه الأجهزة وذلك الانتاج تكون الثورة الثقافية
النوعية التي نرحو عبثا في عبث ما نبنيه في سنة
يهدمه السيل في لحظات ! و
متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

إنها تدور بالفعل !

لقد طال الحديث وما ذكرنا الا بعض الخطوات الأولية الضرورية للبدء بأي تخطيط للغد ولكنها ملامح نقتطفها على الطريق ثورة العلم والتقنية وضعتنا برغمنا أمام التحدي الجذري الأرض كلها تنقلب تحت أرجلنا وتدور ونحن لا نشعر هل نشعر بدوران الأرض ؟ ولكنها تدور بالفعل ، وتدور معها قوى العلم الدوران الرهيب ولا سبيل الا ادخال الرأس في هذا الدوران لنستطيع اجتياز عتبة القرن الواحد والعشرين ـ وهي جد قريبة ـ دون أن يصيبنا الدوار العاصف ونسقط على الهوامش البعيدة الانسانية

ليس من عودة الى عقلية التواكل القديم ولا الى الاعتماد على التدخل الالهي للانقاذ فقد جعل الله لكل شيء سببا وقال . « وقل اعملوا » ، كما قال « فاذا عزمت فتوكل على الله » ، وقال · « نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » ولم يقل أبدا تواكلوا وأنا الكفيل بكم . ردم الهوة هو الخيار الوحيد ، وان يكن الخيار الصعب . ولكن هل من سبيل غيره ؟

هل من سبيل ؟ □

شعر : الدكتورة كافية رمضان

الصحوة الإسلامية بين الجسور والعقبات

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

عندما كنت أجمع نقاط هذا المقال ، وأتصور خطوطه العامة ، وضعت القلم ، وتخيلت موقعي مركز دائرة ، وأفكار المقال وخطوطه منتشرة على سطحها ومحيطها . . .

وأقصد هنا الموقع المادي أو الجغرافي . .

١ ـ رحلة المكان

كان من قدري أن أعيش في التقاء مجموعة من خطوط التماسّ

نافذة مسكني تطل على خليج الكويت في رأس السالمية . وأمامي الميناء البحري إلى جزيرة فيلكا وخط الأفق الشرقي لا يكاد يخلو من سفينة مقبلة على الخليج أو صادرة عنه وفي الليل ـ اذا كان الجو صافيا ـ تبدو أنوار الجزيرة زهورا مضيئة أو نجوما باسمة جاءت تزور الارض

والى الغرب قبلة الصلاة والارض المقدسة . وما زال أهل الكويت يميزون في المدينة القديمة بين الشرق والقبلة

هذا خط التماسّ الاول بين البر والبحر .

يأتي بعد هذا خط التماسّ الثاني بين القطاعين العربي والآسيوي من العالم الاسلامي ، وتشتد قوة هذا الخط إذا ضممنا اليه الروابط الافريقية ، وهي قديمة مع الخليج برا وبحرا

وعندما أراد خيالي أن يسبح شرقا في العالم الاسلامي الآسيوي ، استوقفه أخدود من الدم وحرائق أشعلتها الحرب العراقية الايرانية وكيف يستطع الخيال الجريح ، كسير الجناح أن يطير ؟

ومن مسكني ليلا ـ وأحيانا نهارا ـ تصل الى سمعي رعود القذائف ومع كل قذيفة روح تزهق ، أو بنيان يتحطم ، أو سفينة تصاب ، أو غصون خضراء تتكسر ، وأحقاد تتزايد .

والكل مسلمون . لهم نبي واحد وقبلة

واحدة وقرآن واحد

فلندع الرحلة شرقا لنرى إخوة في أفغانستان ، عاشوا قرونا يتنفسون الحرية هم أبناء جبال كأنها في ارتفاعها وشموخها صورة كبرياء الأرض ، وتنحدر من ثلوجها النقية أنهار تحمل في تدافعها وهدوئها الخصب والنماء ، ترعاها سواعد قوية وقلوب نقية

رأيت هذه الوجوه الشماء من قريب في بشاور (نوفمبر ١٩٨٦) غير بعيد من حدود بلادها عزيزة في هجرتها مع تصميم على العودة واستمعنا الى بطولات حرب وصمود وشاهدنا شبابا من الكويت ومن أقطار العالم الاسلامي ، وبعض المؤمنين بكرامة الانسان في الغرب ، وهم يبذلون الجهد الطبي والاجتماعي والاقتصادي لعون اللاجئين حتى ترتد موجة الهجرة عودة ، يحلو بها ويسمو وجه أفغانستان لأبنائها

ولك أن تتابع الرحلة شرقا لترى تأثير هذه الحروب على القلق السكاني في الأقطار المجاورة . ثم ترى النشاط التبشيري المنتظم في الأطراف الشرقية للعالم الاسلامي ، ونحن عنه ساهون حتى الكلمات أصابها التشويه تخريب العقائد أصبح تبشيرا ، كما سموا الاحتلال ونهب الثروات من قبل « استعمارا » ؟

وفيما بين الموقع الذي أحدثك منه ، والأطراف الشرقية لعالمنا الاسلامي ، قامت حروب الطوائف والعقائد والعنصريات ، كأنها « مرض الايدز » السياسي والاقتصادي طاعون حديد لم نستطع حتى الآن أن نتخذ له مصلا واقيا

سنترك الشرق الى حين ، ونتجه غربا في عالمنا العربي وسنقف عند النواة التي تفجرت منها أكثر من حرب .

نقف عند القدس الشريف والمسجد الأقصى فلسطين . ولك أن تربط بها أكثر ما حدث في جميع الأقطار العربية حولها دون استثناء ، من حروب مباشرة في ميادين القتال مع اسرائيل ، الى حروب داخلية عربية عربية ، هي عند اسرائيل أحد الآمال المنشودة - أن يقتل العربي العربي ، وأن تتحول بعض الخلايا الطيبة في الجسم العربي الى خلايا سرطانية جشعة تتغذى على الجسم الذي يؤويها

ولو تابعت الرحلة غربا ستجد في كل قطر عربي مايشغله بنفسه أو مع جيرانه العرب أو الأفارقة المسلمين

ثم هناك عبر الصحراء هذه الحرب الصامتة الجيش الغازي يتكون من حبات الرمل ، وفرسانه الرياح السافية ، وضحاياه الأرض الزراعية والمراعي ، ومن بعدها سكان الارض ، التي سادها الموت واتسعت بها مملكة الخراب

هذه الحرب ممتدة في العالم الاسلامي الافريقي على جبهة تبدأ من مشارف البحر الاحمر حتى المحيط الاطلسي

أليست هذه الحرب أولى أن نخوضها من حرب الأشقاء والجيران أو ما يطلق عليه بعض المحللين الغربيين « حرب الأغنياء الذين يشترون الموت بالمال »

والآن هل كنت أمينا مع القارىء عندما وضعت كلمة « الصحوة الاسلامية » في عنوان المقال ، ثم رأى نفسه يسير معي في أرض الدم والدمع ؟ . .

نعم هذا بعض الحق وكان الحديث عن العقبات فماذا عن الجسور والمعابر ؟ فلنتركها الى حين ولنحاول أن نقوم معا برحلة أخرى عبر الزمان ، وقد كانت رحلتنا الأولى عبر المكان وبهذا تتكامل الصورة ، ويبدو موقع الصحوة الاسلامية زمانا ومكانا ، ننظر منه إلى مشارف المستقبل

٢ ـ رحلة الزمان

لقد لقي الاسلام في مساره صنوفا من التحديات ، وتجلت حيوية أجياله في قدرتها على مقابلة هذه التحديات ، لتجعل من عقباتها معابر إلى

آفاق أوسع ، ولنمر عليها مسرعين .

أولا : كان التحدي هو « الدعوة » أن يصل الاسلام الى الآذان والعقول والقلوب وأن يتحمل المسلمون مسئولية ذلك . ونالهم من الأذى البدني والاجتماعي والاقتصادي والفكري الكثير ، وهاجروا الى الحبشة ، وحوصروا في شعب بني هاشم ولكنهم استطاعوا تكوين « القاعدة البشرية » التي تستطيع حمل هذه الأمانة

ثانيا كان عليهم تكوين « قاعدة أرضية » من أجل ذلك جاءت الهجرة الى المدينة ، وتكونت دولة الاسلام الأولى ، حيث الأرض والبشر والتنظيم في وحدة إسلامية جامعة وكان على هذه القاعدة أن تنمو داخليا ، وأن تكون ذاتها خارجيا وكأن مجالات التحدى اتسعت

ومرت حياة المدينة في مرحلتين أساسيتين أولاهما قبول التحدي من مشركي العرب ومن فيهم من اليهود في خط من الحصون تمتد من المدينة الى تيماء مرورا بوادي القرى وخيبر وفدك

والثانية قبول التحدي من دولتي الفرس والروم وبعض هذا التحدي مازال مستمرا حتى الآن

ثالثا مرحلة الكوفة وقد استغرقتها الحروب الداخلية بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان ، وبدت فيها بعض الثمار المرة لفتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وسالت فيها دماء ما زالت رطبة حتى الآن دماء نبعت منها دماء جديدة ، وثارات ولدت ثارات ورغم هذه الصراعات في عهد الخليفة الراشد الرابع ، فقد أرسل جيشا فتح السند (٣٩ هـ/ ٦٦٠ م) وأبرز عناية الخليفة بهذا الوجه من آفاق الفتح الاسلامي

رابعا . كان التحدي في عهد بني أمية أكثر اتساعا ، ورغم هذا حاولت دمشق أن تمسك بالمبادرة في يدها . وتمثلت التحديات في آفاق ثلاثة رئيسية

(١) الصراعات الداخلية بين القوى الاسلامية

(٢) تنظيم وتحديث الدولة وضبط التوازن بين الأصالة الاسلامية والعربية وبين الحضارات التي لقيها الاسلام ، وبخاصة ما كان في الدولة الرومية

(٣) حماية الدولة الاسلامية برا وبحرا ومد حدودها ومن أجل هذا خاضت حروبا امتدت شرقا الى الاطراف الغربية للصين ، وشمالا حتى القسطنطينية ، وغربا حتى المحيط الاطلسي ، وعبرت جبل طارق حتى أدركت السهول الحوبية في فرنسا ، هذا مع المحافظة على نواة عربية إسلامية تحمل المسئولية العليا والقيادات متعاونة مع الشعوب التي قبلت الاسلام دينا

خامسا صورة التحدي في العهد العباسي أصابها تعديل جديد ، برز فيه الوجه الحضاري . وحوار الحضارات حوارا كان عقلانيا أحيانا ، عنيفا داميا أحيانا أخرى وشهد العالم الاسلامي تمزق وحدته السياسية ، وبرزت خطورة سيطرة العناصر التركية المجلوبة على الجيش ، وسيطرة أسر عربية وغير عربية على أجزاء من الدولة ، وأصبح مضمون الخلافة رمزا أكثر منه حقيقة واقعة ، وانعكس هذا استغلالا للمنتجين الحقيقيين في الزراعة والصناعة والتجارة ، وثورات وتطلعات الى السلطة في أقطار الدولة ، مما مهد الطريق أمام زوال الخلافة العباسية عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م على يد التتار

سادسا ومع بروز مراكز بديلة لبغداد في قيادة أجزاء من العالم الاسلامي، إلا أن أكبر التحديات في هذه المرحلة كان عسكريا وأبرز ما فيه الخطران التتاري والصليبي وقد استطاعت المراكز البديلة صد الهجمات والاحتفاظ بالوجود الاسلامي وإن تعددت فيها القيادات ، ولو صحب التعدد تعاون لاستطاع أن يثمر للاسلام خيرا ، ولكن الصراع الذي حدث بينها امتص الكثير من طاقة الاسلام

سابعا ولعل أخطر ما حدث هو سبق دول غرب أوروبا إلى كشف العالم الجديد ، والطواف حول

الافريقي وحول العالم . وبهذا أمكن تطويق العالم الاسلامي والضغط عليه واختراقه وتمزيقه في قطاعاته الأسيوية والافريقية والعربية . وأصبح التحدي الكبير هو كيف تحافظ الدول الاسلامية على استقلالها وأكثرها عجز عن ذلك

ثامنا وجاءت تباشير الصحوة الاسلامية مع القرن العشرين على مستوى وطني . ولكل قطر شأن يعنيه ، واستطاع بعضها أن يستعيد استقلاله ، وفويت الموجة بعد الحرب العالمية الأولى ، وعلت بعد الحرب العالمية الثانية ، وإن استطاع الاستعمار أن يغرس خنجرا غائرا في جسم العالم الاسلامي ، مبدأ بوطن قومي لليهود ، أفرخ قيام اسرائيل كقاعدة استيطانية توسعية ، تتلقى المدد الدائم - البشري والمادي والمعنوي - من عدد من الدول الكبرى ، وتمثل تهديدا دائما للعالمين العربي والاسلامي ، ولها تعاونها المنتظم مع قاعدة مناظرة في جنوب افريقيا

تاسعا ومع ثورة الاتصال المعاصرة ، وتوافر موارد اقتصادية في بعض أجزاء العالم الاسلامي كالنفط ، ومزيد من الاحساس بالأصالة من ناحية ، والرغبة في التكتل الواعي من جهة اخرى ، وقوة الاحساس بالأخطار المحدقة بالعالم الاسلامي ، ظهرت الحاجة الى تنظيم تجمع جديد تبلور في إنشاء « منظمة المؤتمر الاسلامي » بعد المحاولة الآثمة لحريق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩ .

ولم نكن وحدنا في هذا الاتجاه التجمعي - العرب ، الأفارقة ، كتلة عدم الانحياز - مجموعات نرجو أن تتعاون دون تداخل أو تعارض

والآن ، وبعد رحلتي الزمان والمكان ، ما صورة التحدي المعاصر ؟

٣ - التحدي المعاصر

[illegible]ك أن تقول انه « التحدي الشامل »

إذا رجعنا - كمثال قريب - الى مقررات مؤتمر القمة الاسلامي الخامس الذي شهدته الكويت في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ جمادى الاولى ١٤٠٧هـ - لرأينا صورة هذا الشمول الذي يضم الآفاق السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتربوية ثم هو ينطلق من نقطة مركزية هي المسجد الأقصى والقدس الشريف وفلسطين ، لتنداح دوائره حتى تضم العالم الاسلامي كله والجاليات الاسلامية في مهاجرها الحديدة وهي مقررات تعنى بالبشر ، كما تعنى بالأرض التي يعيشون عليها ، وتربط بين الأصالة والنظرة المستقبلية ، وتنظر الى التراث ككيان له نموه وحيويته المتجددة

وهنا يطرأ سؤال

ما العلاقة بين حجم القدرات وحجم الآمال ؟

وكيف نقيم الجسور بين الواقع والأمل فوق أخاديد الطريق ، ورغم العقبات ؟

إن رصد الآمال بعض الطريق ونحن في حاجة الى ما يمكن أن نسميه « الامل والعمل » ، أو « الكلمة والعمل » الكلمة الحية القادرة على أن تكون عملا ، مصداقا لقوله الله تعالى .

« وقل اعملوا » وإذا انقطعت الكلمة عن أصولها أصابها اليتم وإذا انقطعت عن العمل أصابها العقم وإذا ظلت تتردد من لقاء الى لقاء عاشت في طفولة لا تبلغ رشدا ، ولا تعطي ثمرا

ولو نظرنا الى التحديات في تعا[illegible]بها الزماني وامتدادها المكاني ، رأينا [illegible] لكل منها « خصوصية » ، تتفرد فيها بصفات ، وتتشابه مع غيرها في أخرى فنقل التجربة - أي تجربة - بحرفيتها وإسقاط العوامل الزمانية والمكانية غير وارد .

وتصوير العصور أو الاقطار الذهبية في الحضارة الاسلامية « كنماذج تحتذى جملة وتفصيلا غير وارد فالزمان في تغير ، يحدث بطيئا أحيانا وسريع أحيانا .

ولو تشابه الزمان والمكان فكيف ندرك قوله تعالى « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف

ألستكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » (الروم ٢٢) ، وقوله تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الرعد . ١١) . والحياة حوار بين عوامل الاستمرار والتغير ، بل إن الاستمرار هو تغير بطيء ، والتغير استمرار قصير الأمد

ودراسة الأحداث للعبرة والذكرى والله يقول « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » يوسف ١١١)

ولكل مشكلة دراستها الخاصة التي تفيد من التجارب السابقة والعلم الحديث ، والعوامل الطبيعية والبشرية لموقع المشكلة زمانا ومكانا وتكوينا

٤ ـ الطريق

ويفرض هذا على العالم الاسلامي المعاصر « تشكيل عقلية اسلامية » قادرة على الاحاطة بهذا كله وهو عمليا فوق طاقة فرد أو جماعة محدودة

بين هؤلاء جميعا قدر مشترك من الايمان بالله والاخاء وحب العلم ونكران الذات والصبر ، ولكل مجموعة روح فريق تتعاون به ، وللكل تنظيم إسلامي ، يضع الخريطة العامة التي تتوزع بها المسئوليات ، عابرة الحدود السياسية والعصبيات الضيقة ، والتوترات الاقليمية

هذه العقلية تحتاج في تشكيلها إلى رعاية دائمة فهي لا تبدأ من فراغ ولا تعيش فيه . وتشكيلها حوار متصل يستهدف مزيدا من الوعي بمشكلات العصر ومسئولياتنا في عالمنا الاسلامي ، كحضارة متفاعلة مع المسيرة العالمية .

ونود أن تصبح هذه العقلية تيارا قويا قادرا على امتصاص كثير من الطاقات التي تبددها الصراعات الضيقة والطائفية والاهتمامات الجزئية الانعزالية ، لنتوجه جميعا إلى مقابلة التحدي الحضاري المف ص على العالم الاسلامي ، ذلك التحدي الذي يسا امتداده المكاني وتغيراته الزمانية وتشا اته الموضوعية

يضاف إلى هذا أننا اذا كنا نتجه إيجابيا نحو هذا الهدف ، فهناك من يحاول صرفنا عنه ، وتبديد طاقاتنا في مسارب جانبية وهذا يفرض علينا مسئولية مضافة ، وهي مقاومة العقبات التي يصنعها الآخرون في طريقنا فكريا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا

وكنموذج لهذا الصراع والهجوم المنتظم على الاسلام والعروبة في العالم الجديد ، أشير الى كتاب « بول فندلي · من يجرؤ على الكلام اللوبي الصهيوني وسياسات أميركا الداخلية والخارجية» وقد صدرت طبعته الاولى الانجليزية والعربية عام ١٩٨٥

وبول فندلي ظل اثنين وعشرين عاما عضوا في الكونجرس الامريكي من ولاية ألينوى وعندما اتصل بالعرب مباشرة ، وأخذ يعلق رأيه الصريح في وجوب أن تستمع الولايات المتحدة إلى كل الأطراف بتوازن ، حاربه اللوبي الصهيوني حتى تمكن من أن يحول بينه وبين إعادة الانتخاب عام ١٩٨٢ وتوفر فندلي على هذا الكتاب الذي يسد ثغرة واسعة في المكتبة الامريكية والعربية

فالطريق طويل والعمل فيه محتاج الى تنسيق على الصعيد الاسلامي العالمي ومبدؤه . الانسان المسلم في قطاعاته الاربعة العربي والافريقي والآسيوي وجاليات المهاجر الجديدة وفي اهتماماته المتكاملة

وأولى الهيئات بشئون تنظيمه ومتابعته هي منظمة المؤتمر الاسلامي .

والأمل كبير في أن تقوم الكويت في هذه الد رة الخامسة لرئاسة المؤتمر ، بدور رائد نحو هذا الهدف المنشود . □

بل واقع الأمر أن حياة الانسان وغيره من الأحياء الراقية ليست ممكنة أصلا لولا الميكروبات ، أما حياة الميكروبات فمستمرة حتى لو بادت الأحياء الراقية جميعها . وهذا ما أهدف إلى إيضاحه على الصفحات القليلة التالية .

الميكروبات أحياء وديعة

أود في البداية أن أدعو القارىء إلى نبذ الاعتقاد الشائع الذي مفاده أن الميكروبات ليست سوى تلك الأحياء الضارة التي يثير اسمها الذعر في النفوس ، لارتباطه بكثير من الأمراض والأوبئة ، إذ ليست هذه في الحقيقة إلا نسبة يسيرة للغاية من هذه الأحياء ، أما جمل الميكروبات من بكتريا وفطريات وطحالب فكائنات مسالمة وديعة ، دقيقة التركيب ، سريعة القدرة على التكاثر ، شديدة النشاط ، تقطن جميع البيئات المحيطة بنا من تربة ومياه وهواء وأغذية ، وكثيرا ما تقترب منا اقترابا لصيقا دون أن نشعر بها ، ودون أن نملك لها دفعا ، فتتعايش معنا في وئام وسلام ، ملتصقة بجلودنا ، أو متخللة أجوافنا كأجهزتنا الهضمية بأعداد لا تحصى ولا تعد . ولقد استنبط العلماء طرقا لعزل هذه الأحياء ، وفصلها في صور نقية ، بغية دراستها والتعرف عليها ، واستأنسوا كثيرا منها وروضوه بعد أن باح لهم بأسراره ، وسخروه من أجل فائدة الانسان ، تماما كما استأنس أجدادنا الأقدمون الحيوانات ، والنباتات البرية ، وانتقلوا خلال ذلك من مرحلة الصيد إلى مرحلة الزراعة والاستقرار . وتشير الاتجاهات البحثية الجديدة إلى أن إنسان المستقبل سوف يزداد اعتماده على الميكروبات في إنتاج غذائه ودوائه وكسائه ، وفي الحصول على الطاقة اللازمة لبعض صناعاته .

نادرا ما يتذكر الانسان أنه أحدث ظاهرة حياتية على الأرض ، بمعنى أنه أحدث الأحياء على الإطلاق ، ونظرا لأن الله قد سخر له شتى الأحياء

لم يحتفظ جثمان لينين بقوامه كل هذه السنين (منذ سنة ١٩٢٤) الا لأنه معقم تماما ومعزول عن ميكروبات الجو

الأخرى فإنه كثيرا ما يعتبر نفسه الأصل على كوكب الأرض ، وما عداه من أحياء جاءت ضيوفا عليه . والثابت لدى العلماء أن البكتريا - على وجه اليقين - كانت هي أولى الأحياء التي ظهرت على كوكب الأرض ، وهي التي عمرتها حينما لم تكن أحياء أخرى سواها قد خلقت ، كما أن هناك من الأسباب القوية ما يدفع العلماء إلى الاعتقاد بأن جميع أحياء الأرض قد تطورت عن البكتريا ، على أن الثابت ثبوت اليقين هو أن البكتريا هي أصل المادة العضوية التي تتشكل منها أجسام أحياء الأرض بما فيها الانسان ، كما أنها هي مصدر الأكسجين الذي تتنفسه هذه الأحياء .

الميكروبات أصل المادة العضوية

لكي تقرب هذا الموضوع من ذهن القارىء لابد لنا أن نوغل - معا - في الماضي السحيق حقبة مقدارها أربعة آلاف وخمسمائة مليون سنة ، وهي مقدار العمر الذي حدده العلماء لكوكب الأرض ، ولم يقدر العلماء هذا العمر جزافا ، إنما حسبوه بمقاييس علمية ، على درجة كبيرة من الدقة ، لا يسمح المجال هنا بالتعرض لها .

كانت الأرض في ذلك الحين كرة ملتهبة ، وكا...

اما من المواد العضوية ، وهي المواد
أجسام الأحياء ، وأهمها البروتينات
هوله ، ومع درجات الحرارة المرتفعة
كوكب الأرض في البداية،لا يتصور
واد التي نعلم أنها تحترق بالحرارة
لم تكن الأرض مكونة إلا من مواد غير
ا يلح علينا سؤال منطقي ، وهو متى
ضوية التي تتكون منها أجسام الأحياء

لارض - بعد نشأتها - خالية تماما من
حقبة من الزمن ، يقدرها العلماء - بناء
دقيقة - بحوالي بليون ونصف بليون
لطأ استبعاد هذه الحقبة الزمنية من عمر
ض ، لأن تغيرات طبيعية وكيميائية لا
لت خلال هذه الحقبة ، ممهدة لنشأة
، ومن ثم نشأة الأحياء ، وتتضمن
الطبيعية التي تمت في هذه الحقبة برودة
ية للكرة الأرضية وتصلبها ، ثم تكثف
معه في تقعرات نشأت عن تقلص حجم
نا البحار والمحيطات القديمة ، وكان
أساسي في جو الأرض وتركيبها خطوة
لنشأة المادة العضوية ، ونشأة الخلايا
م اليوم - بالتأكيد - أنها قد ظهرت لأول
، التي كانت على درجة معقولة من
مح ببقاء المادة العضوية ثابتة ، وإن كان
ن مايزال ملتهبا ، وتذكرنا البراكين
تمرة بذلك بين الحين والحين . ولقد
ل زمنا بين العلماء حول مصدر المادة
لى الأرض ، فهناك من كان يرى أن
المادة - في الأصل - الفضاء ، وهذا قول
اط مواطن الخطأ فيه ، إذ من المعلوم اليوم
لتي تصلنا من الكواكب الأخرى لابد أن
الهواء محتكة به ، فيتولد من ذلك قدر من
كن لأية مادة عضوية أن تبقى ثابتة معه .

إذن لابد من أن المادة العضوية التي تشكلت منها
الأحياء الأولى قد نشأت على سطح الأرض من المواد
المتوافرة في ذلك الزمن القديم . واختلف العلماء -
أيضا - حول المادة العضوية الأولى هل تكونت أولا
ثم تشكلت منها خلايا الأحياء الاولى ، أم أن الأحياء
الاولى قد نشأت أولا ، ثم من تحللها بعد موتها
تراكمت المادة العضوية . ولا يستلزم الأمر إلا قليلا
من التفكير لكي يتوصل المرء إلى أن الافتراض الأول
هو الأكثر قبولا ، إذ يستوجب قبول الافتراض الثاني
أن نفسر من أين جاءت المادة العضوية التي تشكلت
منها الخلايا الأولى ، والمقبول لدى أصحاب
الاختصاص الآن هو أن التغيرات الطبيعية
والكيميائية (والضوء كيميائية) التي قد حدثت في
جو الأرض - أثناء الحقبة الاولى من عمرها التي
امتدت بليونا ونصف بليون سنة - قد أدت الى تحول
بعض المواد غير العضوية المتوافرة بكثرة إلى مواد
عضوية معينة ، تدخل في تركيب الخلايا الحية ، كما
يعتقد العلماء أن هذه المواد العضوية قد تراكمت في
مياه المحيطات - بالذات - على مدى ملايين من
السنين ، حيث لم تكن هناك بعد أحياء تتغذى بها ،
وقد بلغت وفرتها حدا جعل علماء اليوم يطلقون على
مياه البحار القديمة - بما فيها من مواد عضوية - اسم
« الحساء العضوي » . وليس الأمر - كما قد يتبادر إلى
الأذهان - مجرد تخمينات ، بل هي أفكار موضوعية ،
مؤيدة بالتجربة العلمية التي لا يتسع المجال هنا
للتعرض لها تفصيلا ، على أنه من المفيد أن نذكر أن
العلماء - في تجاربهم هذه - قد حاولوا تقليد هذه الفترة
من تاريخ الأرض ، من الناحيتين الكيميائية
والطبيعية ، فجمعوا مواد غير عضوية - لاشك أنها
كانت موجودة في جو الأرض القديم - ثم وضعوها
تحت ظروف شبيهة بالظروف القديمة ، منها الحرارة
والاشعاع والكهرباء وغيرها من مصادر الطاقة
المالية ، ولما حللوا الناتج كيميائيا ثبت لديهم
احتواؤه على أخلاط من مواد عضوية ، تدخل في

تركيب الخلية الحية ، كالأحماض الأمينية والسكاكر والدهون وغيرها ، ثم لابد من أن الخلايا الحية الأولى قد نشأت من مكونات هذا « الحساء العضوي » ، ولا يمكن لمثل هذه الخلايا إلا أن تكون مشابهة في صفاتها لبعض أنواع البكتريا التي تعيش على سطح الأرض اليوم ، ثم لابد أن هذه البكتريا قد عاشت تتغذى على المادة العضوية المذكورة ، وظلت تتكاثر فيها بنشاط حتى استهلكتها أو أوشكت .

وربما يسأل سائل : وهل كان لهذه الأحياء قدرة على تحمل الظروف البيئية القاسية في ذلك الوقت كالحرارة العالية ونقص الاكسجين وغير ذلك ؟

نعم ، إن أحفادها تعيش بيننا اليوم ، وهناك من البكتريا مجموعة تفضل درجات الحرارة التي تقترب من درجة غليان الماء ، ومنها ما يتحمل الاشعاع الذي يقتل سواها ، ومنها أيضا ما يعيش بمعزل عن الأكسجين . ثم إن هذه الأحياء لابد أنها كانت تحتمي من الاشعاعات الشديدة الخطورة بالمعيشة في طبقات عميقة نسبيا من مياه المحيطات ، ويقدر المتخصصون ـ بناء على حسابات على درجة مرضية من الدقة ـ أن مثل هذه البكتريا الأولى قد ظهرت منذ حوالي ثلاثة آلاف مليون سنة ، ولما نضب المحتوى العضوي للحساء حولها اضطرت إلى التطور في أنشطتها ، كي تستطيع أن تصنع بنفسها غذاءها العضوي من المواد غير العضوية المتوافرة بكثرة ، وذلك من خلال ما يعرف بعملية التمثيل الضوئي ، وعمليات أخرى مشابهة مازالت تقوم بها إلى اليوم أحفاد بكتيرية لم تتطور كثيرا منذ ذلك التاريخ .

وبموجز ما ذكرنا فنقول إن المادة العضوية التي تشكلت منها الأحياء الأولى لابد أنها قد نشأت من خلال تفاعلات كيميائية محضة ، ولكن هذه المادة سرعان ما استهلكت كغذاء لهذه الأحياء التي اضطرت للتطور منتجة المادة العضوية بنفسها من المواد غير العضوية ، وعلى المادة العضوية الجديدة هي التي تغذت بها كائنات أخرى لاحقة ، وشكلت منها أجسامها ، وتطورت ، حتى أصبحت ا[illegible] على ما نراه اليوم حولنا .

الميكروبات أصل الاكسجين

ظل جو الأرض ـ من قبل ظهور الحياة وإلى ما بعد حوالي ألف مليون سنة من ظهور أوائل البكتريا ـ خاليا من الاكسجين ، وغني عن القول أن جميع أنواع البكتريا التي تطور بعضها عن بعض خلال هذه الحقبة كانت لا هوائية في تنفسها ، ومازال هناك ـ كما ذكرنا ـ أحفاد لهذه البكتريا إلى اليوم ، باقية بلا تطور يذكر في هذه الصفة . وقد حدد علماء الأحياء خطى التطور بدرجات متفاوتة من الدقة ، ورغم اختلافهم فيما بينهم في كثير من التفاصيل إلا أنهم متفقون تماما على قفزات تطورية محددة لا يجادلون فيها أبدا ، ونشأة الاكسجين في الجو هي إحدى هذه القفزات التطورية المتفق عليها ، إذ أن نشأة الاكسجين في الجو مرتبطة بظهور أنواع من البكتريا ، تعرف بالبكتريا الخضراء المزرقة التي تطورت عن البكتريا الأولى ، وكانت أولى الأحياء على الاطلاق التي أنتجت غاز الاكسجين كناتج ثانوي عن عملية التمثيل الضوئي . ومن المثير حقا أن أنواعا من هذه البكتريا التي بقيت على حالها منذ زمن بعيد تستطيع أن تنتج الاكسجين ، رغم أنها لا هوائية ، مما يجعلنا نتصور أن أسلاف مثل هذه الأنواع هي التي أنتجت أول أكسجين في جو الأرض ، وأن تجمع الاكسجين في الجو هو الذي قلب ميزان الحياة على الأرض تماما ، ومهد لتطورها بأسلوب أدى إلى ما آلت إليه اليوم ، فلولا البكتريا الخضراء المزرقة لما تكون اكسجين ، ولظل جو الأرض لا هوائيا ، ولسلك التطور وجهة أخرى ولنشأت كائنات أخرى لا هوائية راقية ، لا تتفق في صفاتها مع كائنات اليوم .

ولا تقتصر أهمية الاكسجين من الناحية التطورية على ما ذكرنا ، بل إن دوره أعمق من ذلك بكثير

ومن المعروف أن هذا الغاز إذا عولج بطاقة عالية تحول إلى غاز الأوزون الذي يتميز بقدرة فائقة على امتصاص الاشعاعات الكونية ، وقد تجمعت مع الزمن طبقة من الأوزون الذي نتج من تعرض أكسجين الجو للاشعاع - هذه الطبقة موجودة الآن على ارتفاع يصل في متوسطه الى ٢٥ كيلو مترا عن سطح البحر - تغلف جو الأرض بإحكام ، مكونة سياجا يحمينا من إشعاعات الكون القاتلة التي تنهال على كوكب الأرض بصفة مستمرة . وتراود المعنيين بسلامة البيئة مخاوف شتى من أن تحدث الملوثات الغازية فجوات في طبقة الأوزون هذه ، مما قد يعرض الحياة على الأرض للخطر ، وهي مخاوف لها ما يبررها بالتأكيد ، كما أن عوامل التجارب النووية ، ودوي الطائرات التي تخترق حاجز الصوت ، وصواريخ الفضاء ، ربما تكون لها نفس الآثار على هذه الطبقة . نستخلص من هذه الفقرة نتيجة جديدة ، مفادها أن الميكروبات هي التي كانت السبب الأول في تكوين الاوكسجين الجوي ، ولولاها لما تكون غاز الأوزون بكميات تشكل الطبقة التي تحمي الحياة الآن ، ولظلت الأشعة الكونية تضرب سطح الارض بلا هوادة ، مهلكة الحياة ، وكأننا في حرب نووية دائمة .

ماذا لو عقمنا كوكب الأرض ؟

رأينا أن الميكروبات هي أصل الحياة على كوكبنا ، وهي التي مهدت لتطورها ، حتى صارت إلى ما هي عليه الآن . فهل يا ترى انتهت أهميتها عند هذا الحد ؟ وهل يمكن للحياة الكائنة على الأرض اليوم أن تستمر بلا ميكروبات ؟ ولكي نرد بإجابة موضوعية عن هذين السؤالين دعنا ننظر في شأن الحياة على الأرض لو أننا عقمناها ، ويحسن أن نجيب أولا عن سؤال يأتي بالتداعي ، وهو : هل بامكاننا حقا أن نعقم الأرض ؟ ويدون الخوض في التفاصيل هذا مستحيل ، لأن جميع المحاولات سوف تفضي أولا إلى

هكذا سوف تصبح تربتنا الزراعية - جدباء فقيرة .. لو أننا قتلنا الميكروبات في الأرض .

هلاك الأحياء الأخرى ، قبل أن تصاب الميكروبات بسوء ، ومع ذلك فيا لا نستطيع إدراكه بالتجربة العلمية نستطيع محاولة إدراكه بالاستنباط العلمي ، وإليك بعض ما يمكن أن ينجم عن تعقيم كوكب الأرض ، وهو ليس محض خيال ، بل واقع علمي منطقي .

عندما يموت الانسان ويوارى جثمانه في الثرى ترتفع روحه إلى بارئها ، أما جسده « فيفنى » ، وواقع الأمر أنه يصبح غذاء لميكروبات التربة ، فتهضم مكوناته وتحللها ، كما نهضم - نحن - اللحم ونحلله ، وتعيد المادة العضوية في الجسد إلى سيرتها الأولى ، أي إلى مادة غير عضوية ، وما ينطبق على الانسان ينطبق على شتى الأحياء ، وعملية التحلل هذه حلقة أساسية في دورات العناصر الطبيعية على كوكب الأرض ، فكميات العناصر في النهاية ثابتة لا تتغير ، لكنها تظهر في صور مختلفة . ولنأخذ أحد أهم هذه العناصر وهو الكربون الذي يمثل عاملا مشتركا في جميع المواد العضوية ، فعندما تحلل الميكروبات المادة العضوية في أجسادنا يتحول الكربون إلى غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يتصاعد

إلى الجو ، ولاكتمال الدورة تقوم النباتات الخضراء بتحويل هذا الغاز مرة أخرى إلى الصورة العضوية خلال « التمثيل الضوئي » ، موفرة بذلك غذاء لأجيال جديدة من البشر ، فالكربون الذي في أجسادنا - نحن - كان في أجساد من سبقونا ، وسوف يظهر في أجساد من يأتون بعدنا ، ويتضح من ذلك أن تعقيم الأرض معناه تجميد دورات العناصر عند مرحلة المادة العضوية الكائنة في الأجساد الحية الميتة ،

وعاجلا أو آجلا سوف تتجمد كل المادة العضوية على هذه الصورة ، وعندئذ لن تجد الأجيال مادة عضوية تبني منها أجسادها ، . وإذا أبى القارىء إلا أن نبرهن له على ذلك بالتجربة العلمية فليقم بزيارة الكرملن في موسكو ، وليشاهد جثة لينين مثلا ، فكأنه مات الآن ، وقد احتفظت الجثة بقوامها كل هذه السنين لأنهم عقموها ، وحفظوها داخل صندوق كامل الاحكام معقم ، ولولا ذلك لحللت الميكروبات هذا الجسد كما تحلل غيره من أجساد خلق الله

سوف نغرق في مخلفاتنا

سوف يستغرق الأمر بعض الوقت بالطبع ثم تتوقف عجلة الحياة تماما ، وفي أثناء ذلك لن تتوقف الآثار السلبية لتعقيم كوكب الأرض ، ومن ذلك أن جميع مخلفات الانسان والحيوان والنبات سوف تتراكم منذ اللحظة الاولى ، يوما بعد يوم ، حتى تصبح تلالا ضخمة ، وسوف تشمل هذه المخلفات إفرازات الانسان الطبيعية ، كالبراز والبول ، إضافة الى المخلفات الناتجة عن أنشطتنا اليومية ، وعن الصناعة ، وستزيد المخلفات عن ملايين الأطنان يوميا لمدينة متوسطة الحجم ، وسوف تتراكم المخلفات الغازية الناتجة عن احتراق وقود السيارات والطائرات ، وكذلك الغازات المصاحبة للنفط التي تتغذى بها أنواع كثيرة من البكتريا .

لن يجد الجيل الأخير من البشر ما يقتات عليه ، وسوف يموت الناس جوعا ، فاللحوم التي يأكلها الانسان ليست سوى إنتاج مباشر للميكروب - في أجواف الحيوانات المجترة ، أما التربة فستصبح جدباء ، لا حياة فيها ، لأن ميكروبات التربة هي المسئولة - مسئولية مباشرة - عن خصوبة التربة ، فهي التي تحول شتى العناصر إلى صور متاحة كغذاء لنباتات المحاصيل ، وسوف يعاني الانسان من نقص شديد في كثير من الفيتامينات ، فقد أصبح من المعروف أن بكتريا معينة - تقطن جهاز الانسان البشري - هي التي تفرز فيتامينات ، وتوفر حاجة الانسان من هذه المواد ، وما هذه إلا بعض الأمثلة لما قد يحدث على كوكب الأرض إذا عقمناه .

خلاصة القول أن الحياة برمتها على سطح كوكبنا ما كان لها أن تنشأ - أصلا - لولا الميكروبات ، ولو أننا استطعنا أن نلغي وجود الميكروبات من الأرض - ولن نستطيع - فنحن سنحولها - ببساطة - إلى كوكب ميت تماما .

فهل يحق لنا بعد ذلك أن نقول بأن الميكروبات خلفاء غير مرئيين للانسان ؟ كلا ، وأحسب أن القارىء قد أصبح يتفق معي على أن ما يمكن أن يقال في شأن هذه الأحياء هو شيء من قبيل العنوان بهذه المقالة

لي كلمة أخيرة تتعلق بموضوع هذه المقالة ، فكثيرا ما يضيق الانسان السوي بوجود الشرور على الأرض ، ويتساءل المؤمن مستغفرا : أما كان من الأجود أن يخلق الله الحياة بلا شرور ؟ ولعل القارىء قد تبين مما كتبناه أن مثل هذه النظرة قاصرة جدا في الواقع ، بل هي وليدة خطأ عام ، ينزلق إليه الانسان كلما حكم على جزئية بمعزل تام عن الأمر ككل ، فالذي يضيق صدره بميكروبات الكوليرا والسل وغيرها لاشك أنه يصبح أكثر قبولا لوجودها على كوكب الأرض حينما يدرك أن رفض الميكروبات بجملها له أوخم النتائج ، فسبحان الذي خلق الخير والشر ، كلا لا يتجزأ ، وقدر لكل دوره في الدنيا . □

الـردع وتوازن القوى دروس حـــرب السويس

بقلم : أمين هويدي

« تظل حرب السويس واحدة من الحروب التي تعد مادة جيدة للدراسة والتحليـل ، فقد تشـابكت في الحرب وحـولها كـل قوى العصـر ، إقليمية ودولية ، ومازالت هده الحرب إلى يومنا هدا نموذجا لدراسة استخدام القوة الساخنة والباردة (ديناميكيا) ساخنا و (استاتيكيا) باردا

لم تبدأ حرب السويس يوم ٢٩ اكتوبر عـام ١٩٥٦ ، لكنهـا بـدأت قبـل دلـك بـأشهـر طويلة ، وقد تـدرجت البدايـات حتى وصلت إلى نقطة الصدام السـاخنة يوم بدء العمليات العسكرية ، وبينما أخذ الصراع الاقليمي يشتد وتـرتفع درجـة حرارتـه بـين مصـر وأطـراف المثلث التـآمـري ـ « اسرائيل »وبريطانيا وفرنسا ـ وفق توزيع الأدوار الذي تم بين المتآمرين،كان هناك مستوى آخر لادارة الأزمـة ، يقوم بـه اللاعبـون الكبار ، وإدا كـانت صورة المواجهة العسكريـة هي ما يمكن أن نـسميـه « الاستخـدام (الدينـاميكي) المتحرك للقـوة » فإن إدا « الأزمـة من قبل الـلاعبين الكبـار (السوفيت والا سريكـان) كـان من نـوع الاستخـــدام البـارد (ا ستاتيكي) للقوة ، ويقصد به استخدام القوة في حـ الثبات

يعـد الانذار السـوفيتي الذي وجهـه بولجـانين رئيس ورراء الاتحـاد السوفيتي يـوم ٦ نوفمبـر عام ١٩٥٦ درسا (كلاسيكيا) تقليديا لاستخدام القوة في حالة الثبات

لهجات مختلفة

كان الانذار عبارة عن أربع رسائل موجهة إلى كل من الولايات المتحدة الأميركيـة وبريـطانيا وفـرنسا و « إسـرائيل » ، وكـانت بتوقيـع بولجـانين رئيس الاتحاد السـوفيتي في دلك الوقت

وكـان الانذار بلهجـات مختلفـة ، فبينـما كـانت اللهجة حاسمة تشجع على أخذ مـوقف مشترك إلى ايزنهاور أصبحت لهجة حاسمة فيها تهديد باستخدام الصواريخ لكل من أنطوني إيدن ، وجي موليـه ، لكنها حملت الازدراء والتحقير لبن حوريون

وقد دار حوار كبير ـ ومازال ـ عن حقيقة رد الفعل الذي أحدثه هذا الانذار لكني سأكتفي بنقل رد

الفعل على لسان كل من المرسل إليهم

يقول داويت ايزنهاور في كتابه « النضال من أجل السلام » ما نصه : « لقد كتب إلي بولجانين مقترحا إرسال قوة مشتركة لبلدينا إلى مصر ، لوضع حد للقتال ، إذ أنه مالم تتوقف الحرب الجارية فإن الموقف يمكن أن يتطور إلى حرب ثالثة » ، « وقد عقدت اجتماعا لاصدار بيان على رسالة بولجانين ، وقلت للمجتمعين إن البيان يجب أن يشمل تحذيرا واضحا وهو أن أعضاء الأمم المتحدة ـ ومن ضمنهم الولايات المتحدة ـ سوف يعارضون أي محاولة لافشال خطة الأمم المتحدة لفرض إيقاف إطلاق النيران بالقوة ، ثم قلت للمجتمعين إن السوفييت وهم يرون فشلهم في دول الكتلة الشرقية قد يقدمون على أي مجازفة شرسة ، كما فعل هتلر في أيامه الأخيرة ، فليس هناك أخطر من (دكتاتورية) تجد نفسها في مثل هذه الظروف » ، ثم يستطرد في موضع آخر من كلامه فيقول . « اجتمعت بهيئة الأركان المشتركة ، وقدمت اقتراحات عديدة بخصوص حالات الاستعداد التي يجب علينا اتخاذها ، ووافقت على بعضها ، وأمرت باستدعاء الجنود من إجازاتهم كعلامة للروس على استعدادنا لمواجهة التهديد ، واتصلت بإيدن هاتفيا ، وقلت له إن من الحكمة أن يتمشى مع قرارات الأمم المتحدة الآن دون شروط ، لأن هذا سيحرم السوفييت من أي فرصة لخلق المتاعب ، ووافق ايدن قائلا إنه لو أمكنه الاحتفاظ بمركزه كرئيس للوزراء حتى الصباح فإنه سيتصل بي »

وقال كريستيان بينو ، وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت ، عن تهديد بولجانين ما نصه « أرسل بولجانين أربع رسائل ، الأولى موجهة إلى ايزنهاور ، وثلاث رسائل موجهة إلى كل من جي موليه ، وايدن ، وبن جوريون . يمكن تلخيص الرسالة التي تلقيناها في أنه سيكون للحرب التي تشنها فرنسا وانجلترا ـ مستخدمتين في ذلك « اسرائيل » ـ عواقب وخيمة على السلام العالمي ، وأن من واجبي ـ كما يقول بولجانين ـ أن أبلغكم أن الحكومة السوفيتية عاقدة العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين ، وإعادة السلام إلى منطقة الشرق الأوسط ، وتنتهي الرسالة بدعوتنا إلى التعقل وضبط النفس ، أما الرسالة الموجهة إلى إيدن فأكثر عنفا ، إذ كانت تحمل تهديدا مباشرا باستخدام الصواريخ السوفيتية ضد بريطانيا ، ومن المؤكد أن هذه الرسالة أثرت على إيدن ، لكنها لم تفعل التأثير الحاسم الذي يدفعه إلى إيقاف القتال ، فالعامل الحاسم كان ـ بلا جدال ـ تهديد ايزنهاور بضرب الجنيه الاسترليني ، وكانت قد بدأت بالفعل مضاربة ضد العملة البريطانية في وول ستريت ، ووراء هذه المضاربة البنك المركزي الأمريكي ، ولو استمرت تلك المضاربة لأدت إلى كارثة محققة للاقتصاد البريطاني

كانت الولايات المتحدة بمساندة شركات البترول الكبرى تشن هجوما على بريطانيا في مجال يعتبر نقطة قوة لأمريكا ، ونقطة ضعف لبريطانيا ، والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة وإن كانت لم تبلغ عن القنوات الرسمية بنوايا فرنسا وبريطانيا و « اسرائيل » إلا أنها كانت تعلم أننا سنقوم بالهجوم عن طريق بعض الاتصالات ، كذلك فقد أفسح الأسطول السادس الأمريكي المجال في البحر المتوسط لقوات الانزال الفرنسية والبريطانية ، وأؤكد أن ايزنهاور ضغط على حلفائه حتى يتجنبوا المواجهة مع السوفييت ، ولا نعلم ـ بالضبط ـ ماذا دار من حديث عبر الهاتف بين ايزنهاور وإيدن ، لكن رئيس الوزراء البريطاني كان يبدو منكسرا تماما ، وقد ناقشته طويلا ـ فيما بعد ـ في هذا الموضوع ، فأكد لي أن تهديد ايزنهاور للجنيه الاسترليني كان العامل الحاسم في قرار وقف القتال ، والانسحاب الذي تم بعد ذلك » لكن لم يذكر (بينو) شيئا عن الحافز الذي دفع ايزنهاور إلى الحرب الاقتصادية على بريطانيا .

جي موليه

بن جوريون

ايزنهاور

...اد أيضا

...في مذكراته « الضغوط استمرت ... ٥ نوفمبر لوقف النيران وقبول وجود ... ، لكننا لم نوافق ، إذ ما فائدة وجود الأمم المتحدة ودون جنود ؟ وفي الليل ... بولجانين التي أذاعها قبل أن نتسلمها ، ... بها أن الحرب على مصر يمكن أن تتطور ... ية ثالثة ، وهدد بأن موسكو ستلجأ إلى ... أ تدهور الاسترليني في الأسواق العالمية ... تعريض مركزنا الاقتصادي كله لكارثة ... د هبط فعلا احتياطنا من الذهب ... ما مقداره ٢٧٩ مليون دولار ، وهذا ... ن الاحتياط » ثم يقول « وحينها ... سادس من نوفمبر لم نتأثر بأي من هذه ... ي اتخاذ قرارنا ، مادام القتال قد توقف ... ، ولذلك فقد انتفى مبرر التدخل » ... ث فيه ـ وكما يظهر مما كتب إيدن ـ أن ذكر ... عبثا كبيرا عليه فتجاهلها أما عن رد ... « اسرائيل » فأنقل من كتاب « حياتي » ... ما نصه « لقد حققنا أغراضنا من ... كن خسرت بريطانيا الحرب ، وكذلك ... كان مصدر الضغط الرئيسي هو الانذار ... ي لم يكتف بمشاهدة الهزيمة المصرية ولا ... د بتدخله في المجر ، لكنه أخذ يصيح

معلنا أن هناك تآمرا على مصر ، وهدد بالتدخل ، وبذلك أصبح ظاهرا أن العالم كله أصبح ضدنا » ، ثم ننقل عن موشيه دايان قوله « في مساء ٥ نوفمبر أصدر رئيس الوزراء بولجانين تهديده للدول الثلاث وفي رسالته إلى « اسرائيل » ندد بالعدوان الاسرائيلي ، والأعمال الامبريالية ضد مصر ، وطلب منا إيقاف العمليات الحربية في الحال ، والانسحاب من الأراضي المصرية ، وقال إن الحكومة الاسرائيلية وهي تتصرف بإجرام وبلا مسئولية تلعب بمستقبل السلام ، بل بمستقبل شعبها ، وهذا سينعكس على مستقبل استمرار « اسرائيل » كدولة ، وإن الحكومة السوفيتية تتخذ في هذه اللحظة إجراءات لمنع استمرار العدوان ، ولايقاف الحرب ، ثم ختم رسالته باستدعائه للسفير السوفيتي ، وبطلبه من « اسرائيل » أن تفهم الرسالة جيدا وتقدرها وحينها رأيت بن جوريون أدركت أنه على الرغم من إعطائه أهمية كبرى للموقف السوفيتي وعدم تجاهله لمغزاه العميق لم يتصرف تصرفات تنم عن ارتعاش المفاصل ، ولم يسيطر عليه الخوف ، بل كانت الرسالة دافعا له إلى المقاومة ، لكن الأمر الذي أغضبه هو الفوارق بين لهجات الرسائل ، وأن عبارات الرسالة التي وصلت إلينا تنم عن الاحتقار والازدراء

ومن دراسة قام بها « مايكل بريشر » أحد كبار أساتذة العلوم السياسية في الولايات المتحدة نورد ما

جاء بعنوان « عملية صنع القرار في السياسة الخارجية « الاسرائيلية » . « سألت عددا من أبرز شخصيات « اسرائيل » ، ومن المتصلين بعملية صنع القرار السياسي فيها عن السبب الذي دعا بن جوربون إلى اتخاذ قرار بقبول الانسحاب من الأراضي المصرية ، وكانت ردودهم ـ كما سجلها في الصفحة ٢٩٠ من المجلد الثاني من دراسته ـ على النحو الآتي :ـ

جولدا مائير إنني مقتنعة بأنه تصرف كرد فعل للتهديد السوفيتي

شمعون بيريز تسألني عن السبب في هذا القرار ؟! إنه التهديد السوفيتي

ابا أيبان الأنباء الخطيرة التي جاءت مساء ٧ نوفمبر وطوال يوم ٨ نوفمبر عن استعدادات سوفيتية لاستخدام القوة

بن جوريون لم يكن يهمني ما قاله بولجانين ، أو ما يحتمل أن يفعله ، بل كان اهتمامي كله بموقف الامريكيين ، فقد كنت أعلم شدة وطء وسائل ضغطهم علينا ، مما يجعلنا نرضخ لطلبهم بالانسحاب »

لكن رد بن جوريون هذا جاء مناقضا لخطابه الحماسي في الكنيست الذي أعلن فيه ضم سيناء وقطاع غزة إلى « اسرائيل » ، فبعد ٣٦ ساعة وصله الانذار السوفيتي ، فألغى كل ما صرح به ، ووافق على الانسحاب

صور متعددة للقوة

ليس في نيتنا مناقشة كل هذه الأقوال بل سنجعل حديثنا عن القوة ، فالقوات متشابكة بعضها ببعض على المستوى الاقليمي ، وباستخدام القوات المسلحة ، لكن على المستوى العالمي كانت وسائل القوة الأخرى تتحرك وتتفاعل

● فالوسيلة السياسية تتحرك في اتصالات ثنائية وجماعية ، وفي مناقشات في المنظمات الدولية ، وفي مجلس الأمن على وجه الخصوص

● ووسائل حربية بالتهديد باستخدام القوة ، واتخاذ الاجراءات الفعالة التي تساند التهديد حتى تكسبه المصداقية ، وهو ما نعبر عنه بالردع

● ووسائل اقتصادية ، كمحاولات الولايات المتحدة لضرب الاسترليني ، وكلها وسائل يستخدمها الكبار في التأثير على مجريات الأمور ، حينما يتقاتل الصغار ، لأن المواجهة المباشرة بين القوى الكبرى مستحيلة في ظل ميزان الرعب النووي

الحصاد

الاستراتيجية العظمى للدولة هي استغلال كافة إمكانياتها السياسية والاقتصادية والحربية ، لتحقيق أهدافها ، وعلى هذا الأساس يمكن تقييم نتائج هذا الصراع الذي دار فترة شهور متتالية ، استخدمت فيها كل وسائل الصراع، كان الغرض النهائي الذي اتفقت عليه دول العدوان هو إعادة السيطرة على قناة السويس ، عن طريق إسقاط حكم عبدالناصر ، وإعادة توازن القوى إلى إطاره السابق ، إلا أن هذا الغرض لم يتحقق ، فقد حصلت القناة لمصر ، وانسحبت « اسرائيل » من سيناء وقطاع غزة ، وبقي نظام عبدالناصر ، بل ازداد شعبية في الوطن العربي ، في الوقت الذي سقط فيه انتوني إيدن ، واعتزل منصبه في ٢٠/١١/١٩٥٦ ، كما سقطت وزارة جي موليه في ٢١/٥/١٩٥٧ ، وكان ذلك تمهيدا لسقوط الجمهورية الرابعة ، وتولي ديجول الحكم ، ومعنى ذلك انتصار كامل لمصر وعلاوة على ذلك فقد تم الآتي

١ ـ في ١/١/٥٧ صدر القرار الجمهوري بقانون رقم ١/١٩٥٧ بانقضاء اتفاق ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ في يوم ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ ، وهو تاريخ العدوان البريطاني على القناة ، وبذلك ألغيت المعاهدة التي عقدت مع مصر ، وصادرت مصر كل محتويات القاعدة ، معدات ومخازن ومنشآت

٢ ـ صادرت مصر أموال رعايا بريطانيا وفرنسا وممتلكاتهم ، وفرضت الحراسة عليها ، وتم تمصير المؤسسات التجارية والمالية والبنوك

٣ ـ ارتفع شأن مصر في العالم ، إذ أعطت مثلا لكافة الدول الصغيرة على أن إرادتها الذاتية كفيلة باستعادة حقوقها

٤ ـ تم بناء السد العالي

٥ ـ تم كسر احتكار السلاح ، وبدأ سباق التسلح في المنطقة الذي استمر حتى الآن ، وقد انتهى الصراع بتحولات خطيرة في موازين القوى ، على الصعيدين العالمي والاقليمي

فعلى الصعيد العالمي دار الصراع الاقليمي منذ أزمة السويس على أساس ثنائية الأقطاب ، وليس على أساس القطب الواحد ، إذ كان الاتفاق الثلاثي عام ١٩٥٠ قد حدد إطار توازن القوى في المنطقة ، إلا أن كسر احتكار السلاح عام ١٩٥٥ كسر هذا الاتفاق ، وفتح الباب على مصراعيه لازدواجية سوق السلاح ، وبدأ الاتحاد السوفيتي يتواجد في المنطقة عن طريق تبادل المصالح بينه وبين بعض الدول في مجالات متعددة ، وأصبح الاستقطاب أهم وسائل إدارة الأزمات الاقليمية ، كما كانت أزمة السويس سببا في تغير طبيعة العلاقات داخل التكتل العربي ، إذ حلت الولايات المتحدة بصفة نهائية محل بريطانيا وفرنسا ، محاولة سد الفراغ ، يقول دوايت ايزنهاور في الصفحة ١١٥ من كتابه « النضال من أجل السلام » كان هناك سبب آخر لدعوة الملك سعود لزيارة واشنطن في ٣٠ يناير ١٩٥٧ ، ففي ذلك الوقت ـ وبعد تجربة السويس ـ لم يكن عبدالناصر بحاجة ـ تعديل موقفه للعمل مع الكرملين فحسب ، لكن كان يتطلع إلى زعامة العالم العربي الذي يمثل في حد ذاته اتحادا إسلاميا ، كان يأمل في توحيده ، لتحقيق مطامعه الأخرى وللقضاء على هذه النوايا أردنا استكشاف إمكانية بناء الملك سعود للقضاء على زعامة عبدالناصر ، وكان اختيار الملك اختيارا معقولا للقيام بهذا الدور ، فهو ضد الشيوعية ، ويتمتع بمركز خاص بين الدول الاسلامية ، ولذلك لم تكن دعوتي للملك مجرد تكريم له ، لكنها كانت لغرض هام آخر ، صممت على تحقيقه »

هذا عن إحدى محاولات الولايات المتحدة للدخول إلى المنطقة ، عن طريق فكرة الحلف الاسلامي ، بزعامة الملك سعود ، وقد سبق ذلك محاولة أخرى ، هي محاولاتها لفرض مشروع ايزنهاور ، فقد تقدم الرئيس ايزنهاور في ٥/١/١٩٥٧ إلى الكونجرس بمشروعه الذي عرف بعد ذلك بمشروع ايزنهاور ، وقد كانت ظروف وملابسات هذا المشروع سببا جعله موضع رفض وارتياب في المنطقة ، فقد أذيع هذا المشروع بعد فشل العدوان الثلاثي مباشرة ، وقبل إزالة آثاره ، وقد افترض المشروع أن المنطقة تعاني من الخطر الشيوعي ، في حين أن العدوان كان مجسدا في « اسرائيل » والمعسكر العربي ، ورمزه العدوان الثلاثي ، كما افترض أن الفراغ الناجم عن سقوط بريطانيا وفرنسا لا يملؤه إلا النفوذ الأمريكي ، متجاهلا أن الدفاع عن المنطقة يجب أن ينبثق من داخلها

تسببت أحداث القناة في إيجاد جفوة في العلاقات الفرنسية الأمريكية ، وكانت أحد الأسباب الرئيسية التي دعت الجنرال ديجول إلى ترك البنية العسكرية لحلف الأطلنطي ـ فيما بعد ـ وبالتحديد في بداية عام ١٩٥٩ ، كما استخدم ديجول ذلك حجة سياسية حاسمة في ذلك الوقت ، لم يجهر بها علنا ، لكنه استخدمها في الحوار الذي دار آنذاك حول هذه القضية ، فقد قال ـ المصدر هنا كتب ، ومصادر عديدة ، وأقوال كريستيان بينو كذلك ـ إنه إذا انفجرت الحرب في أوروبا فلا يمكن الاعتماد على التدخل الأمريكي لصالحنا ، والدليل على ذلك أن تدخلهم في أزمة السويس كان تدخلا مضادا لنا ، ومن ثم اتخذ قراره الشهير ببناء القوة النووية

الفرنسية المستقلة ، أو ما سمي قوة الردع الفرنسية المستقلة .

لكن أهم النتائج التي تخلفت عن إدارة أزمة السويس بالنسبة للصراع الاقليمي بين العرب و « اسرائيل » كان زرع أسباب حرب ١٩٦٧ ، إذ ظل توازن القوى هو العامل الحاسم في تحقيق الاستقرار ، ولم يكن هذا التوازن قائما على الصعيد العالمي ، فالوجود السوفيتي في قلب المنطقة ، وهي مصر ، لم يكن أمرا مرضيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، وسياستها الكوكبية ، وكان لابد من القضاء على هذا الوجود ، أو تحجيمه على أي تقدير ، ولم يكن التوازن مرضيا من ناحية الصراع الاقليمي ، إذ تزايدت قوة مصر بحصولها على السلاح السوفيتي ، ودخلت دول أخرى مثل سوريا والعراق ـ مشترية ـ سوق السلاح الشرقي ، وكان هذا أمرا لا يمكن السكوت عنه ، ثم كان هناك خلل في التوازن بين نظم الثورة ونظم الثروة ، الأمر الذي كان يقلق بال الادارة الأمريكية

وكما ذكرنا من قبل فإن افتعال الأزمة الاقليمية أمر جائز في عملية الصراع ، لاصلاح توازنات النظام العالمي الاقليمي ، وكان افتعال الأزمة بين سوريا و « اسرائيل » وتصاعد الأصوات بطريقة صاروخية ، وتغذية أسباب الأزمة وتعميقها ، وعدم استغلال الامكانيات المتاحة لحلها سلميا ، كل ذلك كان بغرض التمهيد لعدوان ١٩٦٧ ، لاعادة إصلاح موازين القوى في المنطقة

القوة في العلاقات الدولية

لعلنا رأينا وضع القوة العسكرية في العلاقات الدولية على المستوى العالمي والمستوى الاقليمي ، ورأينا كيف أنها أصبحت ـ كما كانت من قبل ـ وكما سوف تكون في المستقبل ـ وسيلة لتغيير الأمر الواقع ، أو الأمر الراهن ، وهذا أمر خطير ، لكنه ـ للأسف الشديد ـ أمر واقع ، في ظل التطور الخطير للأسلحة ، أو ما يمكن أن يعبر عنه بوحش التقنية

فالقوة بما لديها من صفة تدميرية قادرة على السيطرة ، وهي قوة القهر ، وقد أصبحت القوة العسكرية في النظام الدولي تمثل علاقة مستقرة بين الدول ، وتسمح لحكومة ما بأن تجبر حكومة أخرى على التصرف بطريقة ما ، لم تكن لتلجأ إليها لو تركت وشأنها ، والقوة يمكن أن تؤدي أغراضها وهي في حالة السكون إذا عرف الجانب الآخر مقدارها ومدى تأثيرها عليه لو استخدمت ، وهو ما يعرف بالردع ، كما يمكن أن تؤدي أغراضها وهي في حالة الحركة ، أي ما يعبر عنه بالقتال ، ويفشل الردع إذا بدأ القتال

وكما رأينا فإن القوات المعتدية حاولت الضغط بالتهديد باستخدام القوة لردع مصر عن الاستمرار في سياستها ، ولما فشل الردع كان القتال ، ورأينا أيضا كيف أن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ كل بطريقته الخاصة ـ نجحا في ردع العدوان ، فأوقف القتال أي حينما يفشل الردع تبدأ الحرب وحينما ينجح الردع يستبعد العدوان ، وهذه القاعدة هي التي تجعل الحفاظ على السلام أغلى من نفقات الحرب ، وتجعل من خلل التوازن في منطقة ما حافزا على قيام الأقوى بالعدوان ، وتحفز نوازعه العدوانية على محاولة كسب الأراضي ، واختراق الحدود

فالاستقرار العالمي أو الاقليمي لا يمكن أن يتم تحت تهديد نووي ، أو بردع تقليدي ، أو بضم الأراضي ، وطرد السكان ، لأن مثل هذا الاستقرار استقرار رديء ، حتى لو أدى إلى اتفاق سياسي ، أو معاهدة تنظيم للعلاقات ، وهو اتفاق رديء لأنه أسس على توازن قوى الموقعين عليه ، لكن الاستقرار الحقيقي هو الذي يؤسس على توازن المصالح بين أطراف النزاع ، فالنظام الاقليمي العالمي الذي لا يقوم على أساس توازن المصالح نظام مؤقت ينتهي إلى صراع دام في اللحظة التي تتغير فيها موازين القوى □

جنون فرد .. أم جنون مجتمع ؟

بقلم : الدكتور حلمي نجم*

لا يزال الفصام أحد الأمراض المستعصية على التشخيص النهائي ، رغم المحاولات العديدة لفك مغاليقه واقتحام أبوابه ، وللدكتور ر د . لانك آراء جريئة ومبدعة في هذا المجال ، مما جعلها مادة لا ينتهي الجدل فيها .

في هذا المقال عرض لأبرز آراء الدكتور « لانك » حول هذا المرض الذي لم يكتشف بعد .

تعتبر أعمال « ر د لانك » ثورة في الطب النفساني ، فقد ظهر هذا الطبيب في أوائل الستينيات ، داعيا لا لاعادة النظر بأصول هذا العلم ، بل لدحضها من الأساس ، وأنشأ لنفسه مدرسة سميت فيما بعد بالمدرسة « المضادة للأطباء النفسانيين» ولعل كتابه الأول « فصام النفس » من الكتب الفريدة التي أحدثت ذلك التأثير الذي لا يمكن أن يمحوه الزمن

ولد « لانك » في « غلاسكو » في عام ١٩٢٧ ، وتخرج في جامعتها عام ١٩٥١ ، واشتغل بعد تخرجه طبيبا نفسانيا في الجيش بين عامي ٥١ ـ ١٩٥٣ ، ثم طبيبا نفسانيا في مستشفى غلاسكو الملكي ، وفي قسم الطب النفسي في جامعتها حتى عام ١٩٥٦

وهو يعمل الآن طبيبا ومحللا نفسيا في « أدنبرة » ولا يزال عاكفا على تحسين نظريته في مرض الفصام ، والعلائق المضطربة في العائلة

* اختصاصي الأمراض العصبية والنفسية في مستشفى رويال ـ ليفربول في المملكة المتحدة .

مرض الفصام . اضمحلال الشخصية .

ولعل من المفيد هنا أن نتعرض ولو بشكل مختصر الى مرض الفصام ، والرأي النفسي التقليدي لهذا المرض ، كي يكون القارىء الكريم على بينة منه عندما يقرأ رأي « لانك » فيه

لقد عرف القدماء أمراضا ذهانية وصفوها في كتبهم ، وهي تشبه الى حد بعيد ماهو متعارف عليه اليوم بمرض الفصام (الشيزوفرينيا) لكنهم لم يطلقوا عليها هذا الاسم ، وكان « كريبلي » هو أول من وصف هذا المرض بدقة ، وأطلق عليه اسم مرض الخرف المبكر ، ولخص أعراضه بالهلاوس وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجي ، واضطراب الأفكار ، وفقدان البصيرة في السلوك وفي المحيط ، والأوهام ، وجمود العاطفة ، وأول من أطلق مصطلح مرض الفصام على هذا المرض هو « بلويلر » عام ١٩١١ ، لاعتقاده بأن الاضطراب الأساسي في هذا المرض هو انقسام أو انشطار العمليات العقلية عند هؤلاء المرضى

ومرض الفصام في معظم حالاته مرض مزمن ، يبدأ بانعزال المريض تدريجيا وتقوقعه على نفسه ، واهماله مظهره وسلوكه الاجتماعي وتبدأ شخصيته بالاضمحلال والتلاشي من خلال فقدان الحواجز بين الذات والموضوع حيث تذوب الأنا في المحيط ، وتبدأ الهلاوس والأوهام ، فيتوهم المريض أنه لاشيء (الأوهام العدمية) أو يتوهم أنه عظيم (أوهام العظمة) ويفتقد قابليته على معايشة المجتمع والمحيط تدريجيا ، ويعيش في عالمه الحلمي الخاص فيتيه فكريا وجسديا

ولعل من المعضلات الكبرى التي تواجه الطب النفسي هي عدم استطاعة الفحص الطبي الدقيق ، وجميع الأجهزة العلمية المتطورة اكتشاف خلل عضوي رئيسي في هذا المرض ، ورغم اكتشاف بعض الاضطرابات الكيماوية في أجسام و ... هؤلاء المرضى ، الا أن الدليل على أنها هي الس... مرضهم يسير جدا ولهذا تبقى علامات الاستفهام منتصبة تتراقص ساخرة من كل من يدعي أنه اكتشف السبب ولهذا يظل الرأي المقبول علميا الآن هو أن مرض الفصام ماهو الا نتيجة لاجتماع أسباب متعددة عضوية ونفسية واجتماعية في مريض واحد

انفصام النفس ابحار في المجهول

كان كتاب فصام النفس هو أول كتاب « للانك » ظهر في الستينيات ، يقول لنا الكاتب في مقدمته ان هدفه الأساسي من هذا الكتاب هو جعل عملية الجنون مفهومة كما يقول بالحرف الواحد انه لا يحاول أن يضع نظرية شاملة لما يدعى بمرض الفصام (الشيزوفرينيا) ، كما لم يحاول أن يكشف عن المناحي البنيوية والعضوية من مرض الفصام ، ولا يحاول أن يصف علاقته بمرضاه الذين ذكرهم في كتابه ، أو يحاول شرح طرقه في علاجهم

ويكشف الكاتب عن دينه للفلسفة الوجودية وتراثها ، ولايأتي هذا الدين كعلاقة بين كاتب غارق في الفلسفة الى حد الانغلاق وقارىء جاهل فلسفيا ، اذ أنه لا يستخدم مصطلحات فلسفية معقدة الا لماما ، بل يلجأ الى استخدام مصطلحات مبسطة مثل (الانغماس والتحجر) وهذا مايميزه عن الكتاب الآخرين ، ويجعله أقرب الى ذهن الانسان العادي

ان المريض مضطرب كليا في معرفته لطبيعة تجربته التي يمر بها (وجوديا) ، كما أنه مشغول البال بحفظ نفسه أكثر منه اشتغالا باسعادها أو ارضائها ، ويبدو أن ظروف الحياة العادية تعدل بشكل مستمر معدل استقراره النفسي المحفوظ نسبيا ، وبهذا لا يستطيع الاستمرار مع نفسه المضطربة الا بعد فقدانه الشعور الطبيعي بوحدة النفس ، وهذا لا يكون الا بانفصامها ، انها تنفصم الى النفس المتجس...

الذهان الداخلي .

ويستعمل « لانك » مصطلحي الجنون والذهان بصورة متكررة ، وبشكل لا يختلف كثيرا عن استعمال الأطباء النفسيين للتعبير عن افتقاد الارتباط مع العالم الخارجي ، وفقدان المنطق لدى المريض ، لكنه يوضح عدم الاختلاف بين السلوك الذهاني والسلوك الفصامي ، بوصفه الذهان الداخلي فيقول « قد تكون بداية مرض الفصام في بعض الأحيان درامية ومفاجئة ، وأعراضها ساطعة الوضوح ، بشكل لا يفسح المجال للتشكيك بالتشخيص ، ومع هذا لا توجد البداية النوعية المفاجئة في سلوك المريض في معظم الحالات ، ويحدث التغيير تدريجيا على مدى سنوات بحيث لا يمكن الجزم عند نقطة معينة ببداية الأعراض الفصامية » وتعتبر هذه الاشارة اشارة رئيسية قدمها « لانك » على شيوع الذهان الداخلي الذي يختبيء طويلا عن العالم الخارجي ، وأن النوع الحاد من السلوك المضطرب ماهو الا ظاهرة مضللة للمراقب الذي يبدأ عندما يتخذ المريض قرارا بالكف عن السلوك الطبيعي في العالم الخارجي ، ولهذا يبدو الانتقال من السلوك الفصامي الى السلوك الذهاني الواضح أقل عما عندما يصفه « لانك » مقارنة بوصفه من قبل الاطباء النفسيين الآخرين ، وذلك لفرضيته الأساسية من أن هناك طلا من المفهومية لهذه العملية ، حتى عندما تكون معلقة تبقى في نظره محجوبة الرؤية بغلاف « سميك » شفاف

ويمضي « لانك » في وصفه عملية تطور مرض الفصام فيقول « طالما نسمع بتسلسل (الجيد الرديء المجنون) حيث ينشأ الطفل معتمدا على أمّه عندما لا تسمح له بالاستقلال في تجربته الحياتية عنها ، وتعتبره طفلا مثاليا لمطاوعته لها ، وغالبا مايتمرد هذا الطفل في مرحلة المراهقة عليها ، وبهذا يسلك سلوكا غير جيد من وجهة نظرها ، ومن ثمة يعتبر رديئا ،

والنفس المعتقة ، وبهذا يصبح شاعرا بجسده كجسم مغمور مع مجموعة أجسام بعيدة عنه مغمورة في هذا العالم ، لكنه يستطيع مراقبته بنفسه الداخلية التي تصبح نواة « النفس الوهمية » التي تعيش في المحيط الخارجي ، والتي يمكن تمييزها بواسطة النفس الحقيقية المعزلة عن هذا العالم ، وبهذا تصبح النفس الحقيقية كثيرة الوعي والنقد ، بينما تتكون النفس الوهمية من عدة أجزاء غير مخلصة ومطيعة لرغبات الاشخاص المحيطين بالمريض

وتعريف « لانك » للعقل مشهور جدا اذ يقول يقاس الجنون أو العقل بدرجة التشابه أو الاختلاف بين شخصين ، عندما يكون أحدهما عاقلا من وجهة نظر المجتمع والرأي العام » . ويبدو هذا صحيحا لدى المرضى وأصدقائهم الذين يرعبون بازالة العار والانتقاص الذي لحقهم ، بعد اعتبارهم مرضى نفسيين ، فحق الطبيب في تقرير العقل من الجنون حق غير مكتسب وراثيا من خلال دوره الذي يلعبه بذاته العلمية ، وانما هو حق مكتسب منح له للتبادل بعقليته المتميزة

ولايوجد علاج ناجع له في معظم الأحيان ، لأن أسباب هذا السلوك باقية ، فهو رد فعل للعلائق غير الصحية في العائلة يتصاعف بثورة الوالدين عليه ويأتي تشخيص الطبيب لمرض الفصام في الابن كتصريح لكرسة الوالدين ، واعفاء لهذا الشخص من مستلزمات السلوك الاجتماعي المقبول ، ولايفهم الوالدان حتى بعد توضيح الطبيب لهما من أن ابنهما موجود مستقل عن ذواتهم ، سلوكه هذا تعبير عن هذا الوجود المستقل (حيث انهما اما ان يكونا جاهلين أو مشدوهين في هذا العالم)

ويقدم لنا « لانك » تعليلا مقنعا للأصوات التي يهلوس بها هؤلاء المرضى ، على أنها آتية من نفوسهم التي انشطرت « حيث تضمحل النفس في مرض الفصام المزمن الى عدة بؤر ، يكون لكل منها حس أنوي مستقل ، وتدرك البؤر الاخرى كذوات مختلفة أو خارجة عنها ، وبهذا تدرك الفكرة الآتية من « النفس الأخرى » على أنها آتية من العالم الخارجي طالما أنها تدرك بالنفس المدركة على أنها ليست نتاجا لتخيلها أو جزءاً منها ، وبهذا تكون النفس الأخرى هي مصدر الهلوسة ، وبهذا يجعل « لانك » من السلوك المتكلف(والكريكتورى)في بعض الأحيان مفهوما ، وتصبح المصطلحات الغريبة واللغات الجديدة تعليقات مختفية لافكار منطقية في نفس مريض الفصام ، ويضرب لنا مثال الشابة التي تقول « انها جرس يقرع » وتعني بذلك « ان نفسها ممتلكة (بفتح اللام) وهو تعبير مفعم بالمعاني والمنطق بالنسبة لها فقط

لقد جاهد « لانك » وعلى مدى مائتي صفحة في شرح وتوضيح أعراض مرض الفصام ، وجعلها مفهومة ومنطقية للقارىء العادي والطبيب النفسي ، وكان يصرخ محتجا في أماكن كثيرة من الكتاب ، مناصرا أولئك الضحايا الذين غبنوا حقهم في الحياة السعيدة ، فعاشوا معذبين رغم امتلاكهم مقومات الحياة النفسية السعيدة ، بل ربما كانوا أغنى من الناس الطبيعيين انه يقول « لقد اختار المجتمع والعائلة بالخصوص هؤلاء الأشخاص ككبش فداء بعد وصمهم بالجنون ، تبريرا لاخفاقها في بلورة علائق عائلية طبيعية

تأثيرات « لانك » .

كانت بداية « لانك » بكتاب « انفصام النفس » بداية حسنة ، حيث سلط الضوء على كتب ومساهمات « لانك » اللاحقة التي تمثلت « بالعقل والجنون والعائلة » و « سياسة الخبرة » وكتب أخرى ، لقد تغيرت الأفكار على مدى السنين ، وأصبحت اكثر تطرفا (راديكالية) وعاطفية ،كما أن مسحة روحية وصوفية بدأت تتضح في كتاباته التي تلت والتي انتقدت بشدة ،فقد استنكر البعض حتى في خارج وسط علماء النفس نزعته لتمجيد مرض الفصام في كتبه الأخرى « ليس الجنون اضطرابا بالضرورة ، بل قد يكون اختراقا وسبرا للأغوار ، انه حرية وتجدد ، كما انه استعباد وموت وجودي » وفي تعبير آخر « هل نستطيع أن لا نرى ان هذا الابحار هو مالا يجب أن نعالج منه ، وانه طريقة طبيعية لعلاج حالتنا المستعيثة من الغربة والتي تدعي بالسلوك الطبيعي ؟ ! »

ترى هل استطاع الكاتب أن يفي بعرضه ، وان يقنع الآخرين بامكانية فهم مرض الفصام ؟ لقد تابع الأطباء النفسانيون آراءهم في الستينيات ودرّسوا تلاميذهم على أن مرض الفصام مرض ذاتي خال من أية أسباب نفسية أو عوامل بيئية ، وقد بدا للكثير في مرات عديدة أن الجنون ماهو الا عدم استطاعة الفرد الاستمرار بالحياة ، وأصر سليتر وروث في كتابهما الرائد « طب نفسي سريري » حتى في طبعته الأ-ـ-ـة عام ١٩٨١ على عجز العوامل البيئية في احد-ـ مايدعى بمرض الفصام ، بينما تحفظ الكثير من المؤ-ـ مثل (موراى ، هل ، ثورلي) في كتابهم «-ـ

نفسي للدراسات العليا » عندما ذكروا « لانك » دون تعليق

وقد تعرض « كلير » في كتابه « طب نفسي محترم » الى « لانك » عدة مرات مؤكدا كرهه لطريقة تشخيص المرضى بشكل تقليدي ، مذكرا « لانك » بوجوب تحديد وتعريف الحالة قبل الخوض بتحليل معانيها وأسسها ، مشيرا الى أن أطباء النفس قد ذكروا تأثير العوائل على المرضى قبل « لانك » ولكن لاكما فعل هو ، لقد كان « كلير » صائنا رغم أن انتقاداته بقيت عائمة حالية من فقرة تلخيصية لأراء « لانك » ، بينما أهمل بعض المؤلفين « لانك » كليا ، ولم يذكروا ولو عبارة واحدة عنه ، الا أن أثره بدا واضحا في معظم الكتب المقررة ، مما يدل على أنه غيّر بشكل أو بآخر نظرة الأطباء النفسيين الى مرض الفصام

وقد ذكر بعض المؤلفين آراءه دون الاشارة اليه مثل « مايرسم » حيث قال « قد نتفق عموما على أن أعراض مرض الفصام ليست حالية من معنى ، وأن مرض الفصام ماهو الا شكل من أشكال رد الفعل لأولئك المعوقين نفسيا وجسديا » ويؤكد « هندرسون » « وكلاسبي » في كتابهما في طبعته الأخيرة على أن أعراض مرض الفصام ماهي الا نتيجة لتفاعل شخصية المريض مع المجتمع والحياة ، ولكنهما يختتمان فصلهما قائلين « ان الفصام مرض أو مجموعة من الأمراض تكون مسبباتها عوامل عضوية متوارثة »

ويتعرض كتاب « الرفيق للدراسات النفسية » الحديث نسبيا في طبعته الأولى ١٩٧٠ من تأليف « [illegible] ، فورست ، أفليك » للانك وينتقده لا[illegible] حدامه مصطلح « الانبحار الروحي » ، كما يؤكد ع[illegible] انه لم ينصف الآباء عندما اتهمهم واعتبرهم أس[illegible] المرض ، كما ناقش كل من « كارستير » و[illegible] دي » أعمال « لانك » واستنتجا ان أهم ما[illegible] « لانك » هو دفاعه عن مرضى الفصام ، واحترامه لهم ، ومعاملته لهم نداً لند ، لقد طلّق « لانك » النزعة التقليدية التي تستصغر من شأن هؤلاء المرضى أو تنعتهم بالعار ، ويبقى السؤال هو اصرار « لانك » على عدم اعتبار مرضى الفصام مرضى ، بل اعتبرهم بطريقة أو بأحرى أرفع مستوى من الناس الطبيعيين ، لأنهم لم يستطيعوا أن يصلوا الى نتيجة مع مايسمى بالسلوك الطبيعي ، اذ أنهم لم يرتضوه ، وتبقى هذه القضية معلقة قد تساعد مرضى الفصام ، أو من يحاول أن يمد لهم يد العون في اكتشاف فهم أوضح لهذه الحالة

بحث (فون/ ليف)

لقد استحثت أعمال « لانك » العاملين في معهد الدراسات النفسية في جامعة لندن ، فأجريت بحوث على هؤلاء المرضى وعوائلهم ، وتمخضت نتائج بحث (ليف ، فون) عن أن هذه العوائل تمتاز بما يطلق عليه المستوى العالي من الانتقادات العاطفية

ولم يقتصر تأثير « لانك » على نظرة أطباء النفس الى مرضى الفصام ، بل امتد التأثير الى الطرق العلاجية ، حيث استخدمت أفكاره في بعض الملاجيء والجمعيات ، وضم عدد من مرضى الفصام الى مايسمى بالمجتمعات العلاجية ، كما استخدمت نتائج بحث (فون ، ليف) لايجاد طريقة علاجية تقلل من الانتقادات العائلية لهؤلاء المرضى ، من هنا يتضح تأثير « لانك » في الطب النفسي ، ونظرته الى مرضى الفصام وعلاجه ، ورغم أن هذا التأثير بدأ تدريجياً ،الا أنه أخذ يتسع مع السنوات وآن الأوان له كي يؤتي ثماره ، ورغم أن « لانك » أنحى باللائمة على الوالدين والعائلة مما جعله يبدو غير عادل في بعض الأحيان الا أن مساهمته عظيمة في الطب النفسي ، اذا أخذنا جانبا واحدا من تأثيراتها المتعددة ، ألا وهو اثارة الأطباء النفسانيين كي يتفحصوا ممارساتهم وآراءهم التي توارثوها على مدى طويل واعتبروها كمسلمات □

مستودع الأفكار

بقلم : فتحي رضــــوان

كنت أتحـدث مـع السيـد الصادق المهـدي في الخرطوم ذات مساء فقال انا في حاجة الى « ثِنْــك تــانــك » Think Tank أي مستــودع للأفكار ، ندعو له عدداً من كبار المفكرين عندنا ، الذين تخصص كل منهم بشكل واضح في جانب من حياتنا الفكـرية ، بعضهم علماء طبيعـة ، وكيمياء وريـاضة ، وبعضهم أسـاتذة تـاريخ لا يؤرخـون فحسب ، بل يفلسفون تاريخنا ، ويستبطنون معانيه ويستخرجون دلالاته ، والبعض الآخر أساتذة قانون لا يشرعون ولا يعلقون على ما يصدر من تشريعات في بلاد العرب أو في بلاد المسلمين ، بل وينقبون على دوافع تشريعاتنا بعيـدة وقريبـة ، وما يعتريها من قصـور في البناء أو عثر في التعبير ، أو نقص في مواجهة المشكلات وأخيرا منهم علماء اللغة الذين لا يقنعون بإقرار قواعد اللغة ونحوها وصـرفها ، وهي القواعد الجارية والمعمول بها فعلا ، بل إحداث ثورة فيها لا تخرج اللغة عن خصائصها القومية ولا صفاتها الموروثة ، بل تطور وتعدل فيها اطمأن إليه بحجة أنه من أصل اللغة ، وهو في واقع الأمر تحجر وجمود

وراقتني الفكرة ، وأدرتها في رأسي أياما وقلت في نفسي انا لو سلمنا بهذه الـدعوة ، وعملنـا على إنجاحها في شجاعة وتجرد صادق مكلف ومضن وجب أن تستوعبنا الظاهرة العربية ، وهي ما درجت عليه بعض صحفنا من أن تخص بعض الذين يكتبون لها بصفة المفكر .

وقد سمعت كاتبا كبيراً يعلق على هذه العادة في اعتقاد هذا الكاتب أن الذين يكتبون في صحفنا صنفان ، صنف يكتب ولا يفكر ، أو يكتب قبل يفكر ، وهناك آخرون يفكرون ، والأوائل يكتبون كلاماً جيداً منسقاً منمقاً مؤثراً بارعاً ، ولكنه لا يق

نا جديدا ، أو لا يقول شيئا على الاطلاق ، إنما هو
ذا الكلام الدارج الذي يشبه ما يتحادث أطرافه
لثقفون عندما يجتمع بعضهم ببعض فيثرثرون ثرثرة
رد فيها أسماء الكتاب والمؤرخين والقراء ، أو بعض
ماكتبوا ، دون أن يرد في الحديث معنى دو أهمية ، أو
رأي دو خطر ، أو اقتراح دو قيمة هو كلام
أساتذة ماهين يعلو على التوافه ، ولكنه لا يسمو إلى
كبار الحقائق فلا يهز فكرا ، ولا يحرك خاطرا
ولا يدعو الى نقاش يتعمق في مسألة ما وما يزال
يدور حولها ، ويغوص في أعماقها حتى يخرج
بجديد هؤلاء المفكرون في كل اتجاه وفرع يجب
أولا أن يفرغوا للبحث والتفكير والانتاج
الذهني المتصل
ثانيا يجب أن تضمهم هيئة أو نظام يجعل عمل
أحدهم مكملاً ومتصلا بعمل الباقين
ثالثا يجب أن تزود هذه الهيئة بثلاثة أجهزة
حسنة الاعداد تقوم (أ) بالاحصاء ، (ب) بالترجمة ،
(جـ) بالتنسيق والتبويب
وهذه الهيئة يجب أن تكون محلية أولا ، وقومية
ثانيا

محلية أي تقوم في كل قطر من أقطار الوطن
العربي ، وتعمل في ظل نظام ، وتشتغل أولا بظروف
وعيوب ونقائص مجتمعه الفكري ثم بحثها بصفة
عامة

وقومية ، يجتمع أعضاؤها المحليون أو مندوبون
عنهم في مؤتمر كل ثلاث سنوات أو أكثر أو أقل ،
ساقشون في كل دورة لانعقاده في فكرة واحدة مؤثرة
ومهمة في المجتمع العربي
ولكن قبل أن نستكمل الحديث في هيئة « ثنك
تا ـ » أي مستودع الأفكار ، وكيف يتكون ، ثم
كـ ـ يعمل ، وكيف يستفاد منه على مدى الأعوام ،
ـ ـ أولا وقبل كل شيء أن نلقي نظرة على بدايات
نا الفكرية الحديثة منذ أواخر القرن التاسع عشر
بدايات القرن العشرين وحتى اليوم

حقيقة اليقظـة

لاشك في أن القرنين:الثامن عشر وقبله السابع عشر كانا يمثلان عصر التناقض والاضطراب ، والفتوة والتحرك كانا باختصار فترة ما قبل النهضة ومقدماتها

في القرنين السابع عشر والثامن عشر صمدت الحواجز بين المنطقة العربية والعالم الخارجي ، ولكنها لم تسقط تماما من جهة ، ولم يكن سقوطها مشيراً باليقظة التامة ، بل كان نذيرا بالغزو الاستعماري الذي أخذ شكل الفتح العسكري والسياسي والهيمنة الفكرية والروحية

استيقظ العرب على طرقات الغزاة القائمين على الأبواب ، واقتحامهم للثغور وتسللهم الى الحكومات ، وإغراء العرب بالتغيير والتجديد ، مع تخويفهم منه ورفضهم له وتعثرهم في الأخذ به والبعد عنه

كانت يقظة أشبه ما تكون بيقظة من كان يعاني كابوسا مروعا راهقاً للأنفاس ، فلما استيقظ بقي الكابوس يطارده ، وبقيت رؤاه وأشباحه تروح وتغدو أمامه ، فما يدري أهي حقيقة يلمسها باليد ويراها بالعين ويسمعها بالأذن ، أم هي تهيؤات وتصورات يعدو وراءها فتختفي ، ويسكن في مكانه فتركبه ، وتشد جسمه ووجهه ذات اليمين وذات اليسار

ولا نطيل الحديث في وصف هذه المحنة محنة القرنين الممهدين لليقظة ، وننتقل الى القرن التاسع عشر ، فإذا النهار قد استطاعت سحبه ، وإذا الغيوم انقشعت والأشباح اختفت ، وحقائق الحياة الصادقة كالأسياخ المحماة ، تكوي العين والجبهة ، وتؤكد للعربي انه فقد استقلاله وبات أسيراً تابعاً ثقافته تحللت ، وإرادته تفككت وطاقاته تبعثرت وطريقه الى النهوض والوثبة طويل مليء بالعقبات

واذا تركنا الجوانب المتعددة لحياتنا في هذه الفترة ، وقصرنا القول على الجانب الثقافي ، رأينا أن أول ما طالعنا من أسباب النهضة والتحرر (الصحافة) فقد صدرت في مصر صحف أنشأها وأشرف عليها اللبنانيون الذين تعلموا في الكليات المسيحية في سوريا ولبنان ، وهاجر هؤلاء الذين قرأوا الكتب الحديثة بالفرنسية في الأغلب الأعم وبعض الانجليزية ، فشغلت الصحافة القراء العرب ، وألهمتهم وأوحت اليهم بأفكار جديدة سمع بها العالم حديثا ولم يسمع بها العرب مطلقا ، كل المذاهب والمبادىء المثيرة عرضت نفسها على العرب بدءا من القومية ومرورا بالاشتراكية والعلمانية والديموقراطية ، وبداروين ومذهب النشوء وبقليل من فرويد وأقل مذاهب التصوير الحديث فماذا كانت النتيجة ؟

السطحية والجزئية

النتيجة إصابة الثقافة ولاسيما في مصر بمرضين خطرين

أولهما السطحية ، وثانيهما الجزئية

دعت الصحافة اليومية والمجلات الاسبوعية الكُتّاب الى الكتابة السريعة التي تتطلبها المطبعة ، وتقتضيها الصحيفة فالدراسات الطويلة التي تستنفد من الكاتب الأيام والشهور لا تطيقها الصحيفة والمجلة ، فأصبحت المقالات فصولا سريعة غاية السرعة ، تتلطف للقارىء ولا ترهقه ، فكانت السطحية ، ثم كانت تجزيء الكتاب الى أجزاء صغيرة تتناول فكرة محددة كل يوم ، وألف القارىء العربي الكتب التي تضم فصولا عديدة كل فصل يعطي القارىء لمحة قد تزيغ لها الأبصار وتَملّ منها الأفهام فكانت أشهر الكتب في مصر حصاد الهشيم ، قبض الريح ، صندوق الدنيا للمازني ، أوقات الفراغ ، وتراجم شرقية وغربية الهيكل ، وساعات بين الكتب ، ومطالعات في الكتب والحياة للعقاد ، وفي الصيف وحديث الاربعاء لطه حسين فصول متفرقة أسماؤها تدل على سطحيتها وقلة عمقها ، فمن ساعات بين الكتب الى أوقات الفراغ ، ومن حديث الصيف الى حصاد الهشيم ، وقبض الريح ولا أحد ينكر أن هذه الكتب معارض تقدم للقارىء عشرات من الأفكار والصور والخواطر ، سريعة ومتلاصقة وخفيفة ولطيفة ، ولكنها لا تشبع رأياً ، ولا تعمق مذهبا ، ولا تطيل الوقوف أمام شخصية،وتكاد تتطابق بعضها مع بعض ، فكانت النتيجة أن بقي القارىء العربي واقفا على شاطىء الفكر يرى أمواجه ويسمع تلاطمها ، ويرى امتداد البحر ، ولكنه لا يهبط بقاربه الى الماء ولا يحمى من دوار البحر ، ولا يعالج من غثيانه فكانت النتيجة الأكيدة أن الفكر العربي عاش النصف الأول من القرن العشرين يتناقش ويجادل فصائله بعضهم البعض ، ويختلفون أشد الاختلاف ، ويتصارعون كأعنف مايكون الصراع ، دون أن يحلوا مشكلة ، ولا أن يلتقوا على رأي ، ولا أن يهتدوا الى عقيدة فالعقاد وطه والمازني وهيكل وعبدالرحمن شكري،لاهم من أهل اليمين ولا هم من أهل اليسار ، وكل مشكلة على حالها ، وكل مذهب كأي مذهب آخر يتحاوران ولا يغلب أحدهما الآخر

والنتيجة الثانية التي هي ثمرة هذه السطحية والجزئية والاقتناع بها والاكتفاء بحلولها أن جميع البديهيات قلبت رأساً على عقب

أيهما الصحيح ؟

مثلا ، بقينا في مصر لا نعرف هل كان الغزو الاجنبي والاستعمار الغربي هو سبب تخلفنا ، أم أن تخلفنا هو الذي استدعى هذا الغزو وذلك الاستعمار ؟ كما بقينا نعتقد أن عدم اتحادنا واتفاقنا سبب تدهورنا وضعفنا ، في حين أن العكس الحقيقي ، فنحن قد تدهورنا أولا وتدب د

لصعب وبالتالي تفرقنا وتبعثرت وحدتنا ، فتاريخ لأمم تؤكـد أن الضعفاء لايتحـدون ، وأن أول مرات القوة هو الاتحاد وطننـا أن فكرنـا الديني مد لأننا لا نجتهد ، وفي واقع الأمـر اننا كنـا قد وقفنا عن الاجتهاد ، لأن صلاتنا بتراثنا الثقافي نقطعت تماماً ولم نعد نقوى على الاجتهـاد ، لا نعرف سلبه ، ولا ندفع ضرائبه ، وليست هذه أمثلة قليلة لما انقلب في حياتنا من أمور فوضعنا لحصان وراء العربة ، أو وضعنا العربة أمام لحصان ،لا يهم ، وأضعنا وقتا طويلا في هل مرحلة أتت بالبيضة أو البيضة فقست مهنا مرحلة ؟ واستمررنا في هذا الطراز من الجدل الى ، أصبحنا مثلما كان أهل بيرنطة يعروهم

المسلمون وهم يمسكون بتـلابيب بعضهم بعضا لخلافهم حول هل الملائكة ذكور أم اناث !!

المهم أننا في حاجة الى مستودع أفكار يحضره لنا علماء من أعلى طراز ، يحصرون الأفكار على أعلى درجة من الوصوح والنقاء والشمـول نعم الوصوح والنقاء والشمول

لا يهمنا ما يصلون إليه من نتائج مهما كانت موانع الأخذ بها ، يعني سواء كانت موانع من العقيدة أو المذهب أو من التقليد والانحيار ، أو من دواعي الكسل أو إقصاء الخلاف مع الغير ولا سيما الأقوياء ، ولابد أن نصمي على هؤلاء حصانة فلا يفصلون ولا يعانـون ولا يحقق معهم ولا يتطاول عليهم متطاول □

خطبة للنبي(صلعم)في فضل شهر رمضان

● روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في آخر جمعة من شعبان ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال « أيها الناس ، إنه قد أقبل إليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة ، شهر هو عند الله أفضل الشهور ، وأيامه أفضل الأيام ، ولياليه أفضل الليالي ، وساعاته أفضل الساعات ، وهو شهر قد دعيتم فيه إلى ضيافة الله ، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ، أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ، ودعاؤكم فيه مستجاب ، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة ، وقلوب طاهرة ، أن يوفقكم لصيامه ، وتلاوة كتابه ، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه ، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقروا كباركم ، وارحموا صغاركم ، وصلوا أرحامكم،واحفظوا ألسنتكم ، وغضوا عما لايحل النظر اليه أبصاركم ، وعما لايحل اليه الاستماع أسماعكم ، وتحننوا على أيتام الناس ، يتحنن على أيتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم ، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم ، فإنها أفضل الساعات ، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده ، ويجيبهم إذا ناجوه ، ويلبيهم إذا نادوه ، ويستجيب لهم إذا دعوه

أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ، ففكوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم ، فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا أن الله أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين ، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين »

بقلم : محمود المراغي

في قاعات الجامعة

ماذا نتعلم ؟ سؤال يبدو ساذجا ، فالمعرفة قد أصبحت عنصراً أساسياً في عالمنا المعاصر ، ولكن إذا دخلنا في التفاصيل وتساءلنا قائلين ماذا نتعلم ؟ فإن الأمر يختلف باختلاف حاجة كل مجتمع ، ودرجة تطوره ، وفلسفته في التطور لكن كل المجتمعات متفقة على أن قدرا أساسيا من التعلم قد أصبح ضروريا ، ولهذا دخلت فكرة الالزام بعض المراحل التعليمية ، لكن الأمر يختلف كلما تقدمت مراحل التعليم ، ففي الجامعات ، أو ما يسمى التعليم العالي يبدو التفاوت شديدا ، فالشرق غير الغرب ، والفقراء غير الأغنياء ، والدول الصناعية غير الدول الزراعية ، وبالتالي فإننا إذا طرحنا سؤالا نقول فيه من يذهب إلى التعليم العالي ؟ ولماذا ؟ وجدنا إجابات مختلفة أشد الاختلاف

لقد حاولت منظمة اليونسكو أن تحدد عدد الذين يتلقون تعليما عاليا أو جامعيا في مختلف البلدان ونسبهم ، وذلك لمرحلة من العمر تتراوح بين عشرين وأربعة وعشرين عاما ، وفي عام محدد هو عام ١٩٨٣ وبصرف النظر عن دقة اختيار هذه السن كمؤشر على أعداد طلاب التعليم العالي فإن الأرقام التي أذيعت والتي نشرها تقرير « التنمية في العالم » ذات دلالة كبيرة

فأهم الأرقام يدل على أن التفاوت صارخ بين الفقراء والأغنياء في أقل البلدان نموا ، ففي جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا تبلغ نسبة الشباب الذين يدخلون في مرحلة العمر المذكورة (١ ٪) ، بينما تبلغ النسبة في الولايات المتحدة الأمريكية (٥٦ ٪) ، وبين النسبتين تقف مختلف البلدان والمجموعات الدولية

وعند القاع تقف المجموعة التي يسميها البنك الدولي ذات الاقتصاديات المنخفضة الدخل ، وهي ٣٦ بلدا ، يقل فيها متوسط دخل الفرد عن (٤٠٠) دولار أمريكي في العام ، وتبلغ نسبة التعليم العالي في هذه البلدان (٤ ٪) ، ثم تليها الدول ذات الدخل المرتفع المصدرة للنفط (١٠ ٪) ، فالدول ذات الدخل المتوسط التي يبلغ عددها (٦٠) بلداً ، وتبلغ فيها نسبة التعليم العالي (١٢ ٪) ، ويلي كل تلك الدول في الشرق والغرب الدول الصناعية الغربية (٢٧ ٪) ، ودول أوروبا الشرقية (٢٠ ٪)

المدينة لاتكفي

هذه الأرقام تطرح سؤالا لماذا يكون التفاوت كبيرا على هذا النحو ، رغم أننا نعيش في عالم متواصل ، تنتقل فيه المعرفة في لحظات ، كما

أنماط المعيشة والاستهلاك بشكل غير مسبوق ؟
... أن مستوى الدخل ، أو النشاط الاقتصادي هو السبب الأول ، فتوفير فرص التعليم حتى لو توافرت الرغبة أمر مرهون بالامكانيات المادية ، فالجامعة والمعمل والكتاب والأستاذ أمور يتم احترالها في النهاية برقم للانفاق ، يستطيع المجتمع أن يقدمه أو يعجز عن تقديمه ، ويستطيع الفرد - في بعض الحالات - أن يتحمله أولا يستطيع تحمله ، فالمستوى الاقتصادي عنصر حاسم ، سواء بالنسبة للانفاق على التعليم ، أو بالنسبة لقدرة الأفراد ، أو بالنسبة لحاجة سوق العمل ، فاحتياجات مجتمع صناعي متقدم تختلف عن احتياجات مجتمع زراعي أو رعوي

وفي المجتمعات الفقيرة يتراجع كل ذلك القدرة على الانفاق والرغبة في الانفاق ، فسوق العمل له طبيعته وقد يكون الخروج المبكر إلى العمل ، أو قد يكون اشتغال الأطفال هو المقابل والنقيض الذي نلحظه في المجتمعات الفقيرة إذن العنصر الاقتصادي هو العنصر الحاسم ، لكن ليس كل شيء هو ، والدليل ما يحدث في أكثر من مكان في العالم

الشرق والغرب ودول أخرى

في داخل دائرة الغرب يبدو التفاوت كبيرا ، فالنسبة في الولايات المتحدة الأمريكية ٥٦/ ، وفي كندا ٤٢/ ، لكنها في بريطانيا واليابان ٢٠/ ، فالفلسفة هنا غير الفلسفة هناك ، ودرجة الاعتماد على التقدم التقني مختلفة عندما نعبر المحيط من أمريكا الشمالية إلى أوروبا ، ونفس الشيء إذا اتجهنا أكثر فأكثر إلى الشرق ، حيث تسجل بلدان أوروبا الـ نية الثمانية نسبة متواضعة هي (٢٠/) فقط
هنا - في حالة أوروبا الشرقية - نلحظ أمرين
ولى هو التفاوت الكبير مع الغرب ، حتى تكاد ... المترددين على التعليم العالي أن تكون نصف من ... عليه في الدول العربية

تراجع النسبة بالقياس لتاريخ سابق أبرزته الاحصاءات وهو عام ١٩٦٥ لقد كانت النسبة في هذه البلدان (٢٦/) ، فأصبحت (٢٠/) فقط ، وكانت النسبة في كبرى هذه البلدان وهو الاتحاد السوفيتي (٣٠/) ، فأصبحت (٢١/)

وقد يفسر التطور التقني الفرق في الحاجة لخريجي التعليم العالي في كل من الدول الصناعية الشرقية والغربية ولكن تراجع النسبة عما كانت عليه في الستينيات يحتاج إلى تفسير آخر ، الأرجح أنه تقارب الدخول ، فعندما يزداد التقارب ، وعندما يحصل العامل الفني على راتب يفوق راتب المهندس ، أو يتساوى معه ، أو يقترب من ذلك، فإنه لا يوجد حافز كبير لتعليم عال يستغرق عدداً كبيراً من السنوات ، وقد نضيف تفسيرا ثالثا وهو أن الدول الاشتراكية خاضعة لخطة شاملة ، تقدم من الخريجين بقدر الحاجة ، بينما يختلف الأمر في الدول العربية وقد تكون هناك البطالة التي تعلو نسبتها وتنخفض

على أي حال ليس التعليم في الشرق والغرب وحده هو الذي يلفت النظر ، فهناك دول متوسطة الدخل ارتفع فيها التعليم العالي حتى بلغ (٣٥/) ، من هم في السن المذكورة ، كما حدث في اكوادور ، وفي كل من السعودية والهند ، فقد بلغت النسبة (٩/) ، وفي ليبيا بلغت (١١/) ، وفي الكويت بلغت (١٤/) وهي أعلى نسبة في دول نفطية ، وقد شهدت الدول النفطية قفزة كبيرة ، فبينما كانت النسبة (١/) عام ١٩٦٥ م تضاعفت عشر مرات عام ١٩٨٣ م ، ولكن بقيت رغم إمكانياتها المالية وراء النسب التي سجلتها الدول الصناعية وهنا نعود لقضية سوق العمل ، وقضية أخرى هي قضية المرأة ، وهل تتعلم حتى النهاية ، أم تلازم المنزل ؟ وهل تعمل أم لا تعمل ؟ وبينما تلعب الحاجة الاقتصادية دور الحافز لتعليم المرأة في المجتمعات الفقيرة فإن الوفرة قد تلعب دورا عكسيا ، تدعمه التقاليد الموروثة □

مواقف انسانية

بقلم : الدكتور عبد الوهاب حومد

هناك من الناس من تأخذهم رأفة بالمجرمين ، فيطالبون بإلغاء عقوبة الاعدام ، لما تنطوي عليه من قسوة ، لكن ماذا عن الضحايا الذين قتلوا غدرا ؟ وماذا عن المجتمع الذي يتربص به المجرمون فيفسدون عليه هدوءه ، ويهددون وحدته وتماسكه ؟ .

لا أعـرف كيف يختار الأدبـاء مـواضيـع رواياتهم ،ولا الطريقـة التي يحـركـون بهـا أبطالها ، ليصلوا إلى الهدف الذي رموا إلى تحقيقه ، ونشره بين الناس

لكنني أقدر تقديرا أنهم فريقان ، فريق تسترعي انتباهه واقعة من وقائع الحياة ، بطرافتها ، أو غرابتها ، فيعمل فيها فكره ، ويتدبر ما تتركه في نفسه من انطباعات ، تبدأ جوالة في أرجائها ، غامضة في مدلولها ، إلى أن تلقحها العاطفة ، ويرويها الخيال برحيق الابداع ، فتأخذ بالتكـ الرحو ، ثم التماسك ، حتى تتحد لوجودها شـلا من هيكل أدبي ، يعجبه ويرضى عنه ، وبعد د يستقطر نسائم الالهام ، ليصوغ موضوعه شعر نثرا ، ويدفعه إلى القراء متعة أو عظة ، لكن ا

هو ، لأنه قد مارس ذاته ، وأمتع
نفسه
ں قناعة اقتنع بها ، من منطلق غير
له عقيدة وشرعة ، يلتزم بها ،
ں ، أسطورة أو فلسفة « مسبقة
رحال هذا الفريق ونسائه
ار ، ومرضى الفكرة الثابتة
ولين يتأدبون للأدب ، إشباعا
عا للقارىء ، وإمتاعا لنفسه ، في
ملتزمون بفكرة ، احتلت كل فراغ
وها عقيدة ، ومنهاجا
القاعدة التي ينطلق منها الكاتب
هيكل الصرح الذي يبنيه يصبح
فاسدة ، لا يلبث أن ينهار حين
بصير ، ومنطق سليم ، أو حين
، فيتبدد أيدي سبأ

هؤلاء الملتزمين اثنان من الكبار ،
لسي ، وفيكتور هوغو الفرنسي ،
انبه الصواب في أطروحته ، لأنه
لثوابت ، وأعمل منطق الوقائع ،
افي ابن طفيل الذي تفتحت عيناه
وادي آش ، في أكناف غرناطة
ن أجل غاية سامية ـ بأن العقل
، على اكتشاف أسرار الطبيعة ،
لسائل الالهية ، وبخاصة وجود
ـان منقطعا عن البيئة والحياة

الشاعر فيكتور هوغو ، وشاعرية
ل القرن التاسع عشر ـ حديقة
يحها العبق عشاق الفن السامي في
المتحضر ، وأصبحت قصائده
قلوب الذين تشجيهم الكلمة

المعطرة ، وتسحرهم القافية الشادية ، والايقاع المتوازن

لكن هذه الشاعرية الفذة المترفة جمحت بصاحبها الخالد ، حين نقلها إلى موقع هي فيه غريبة ، فكانت له جوادا حرونا ، ما لبث أن قذف به في حلبة من حلبات الزيغ والضلالة

الجريمة ودور المجتمع

عالج هوغو في « بؤسائه » قضية نصيب المجتمع من المسئولية عن الجريمة التي يرتكبها الفرد ، حين يقف هذا الفرد في مواجهة مجتمعه ، ودولته ، معتديا ، وظالما ، وانتهى به تفكيره إلى إلقاء المسئولية ـ بكل ثقلها ـ على المجتمع ، واعتبار الفرد الأثم ضحية بريئة ، ما كان في طوقه ولا قدرته إلا أن يسقط في الحمأة ، حتى لو لم يكن ينوي السقوط ، أو يريده ، لأنه لا يعدو أن يكون أكثر من أداة مادية ، تدفعها وتسيرها مجموعة منسقة من العوامل الاجتماعية ، تألبت عليه ، فقهرته ، ودفعته في الطريق الذي رسمته له

اخترع مؤلف البؤساء شخصية « جان فالجان » الذي ترك له أخوه المتوفى أرملة وستة أطفال ، وتركة ثقيلة من الفقر والحرمان ، فوجد نفسه ملزما باعالتهم ، وبرد غائلة الجوع عنهم ، فقام بواجبه حسب توفر العمل له ، لكنه أصبح ذات يوم بلا عمل يدر عليه أجرا ، فعجز عن تحمل رؤية الصغار جياعا ، فانتظر حتى أرخى الليل سدوله ، وتسلل إلى فرن البلدة ، وكسر واجهته ، وسرق رغيفا من الخبز لصغاره ، غير أن رجال الأمن المترصدين لأمثاله كانوا أسرع منه ، فألقوا القبض عليه ، وانتهى به التحقيق إلى محكمة الجنايات ، بتهمة ارتكابه سرقة جنائية موصوفة ، لاجتماع ظرفين من ظروف التشديد ، هما الليل والكسر حكمت عليه المحكمة بالأشغال الشاقة خمس سنوات ، لكنه لم يكن قانعا بعدالة الحكم ، فتمرد عليه ، وحاول

الهرب من السجون عدة مرات ، وفي كل مرة كان يفشل ، فتزداد عقوبته تطبيقا لأحكام القانون ، حتى بلغ ما أمضاه في السجن ـ من أجل هذا الرغيف ـ تسعة عشر عاما ثم ابتسمت له الظروف ، فنجح في اجتياز القضبان ، واستقر في بلدة صغيرة نائية ، واتجر ، فأصاب مالا وفيرا ، وتصدق وأحسن ، حتى صار عمدة البلدة ، إليه يفزع أهلوها للفصل في خلافاتهم ، ومنه يستمدون الرأي في تصريف أمورهم وتبنى طفلة يتيمة « كوزيت » ، فأحسن تربيتها ، وأصهرها بيت كريم ، لكن القانون لم يتركه في توبته واستقامته ، وحياته الأسرية الهانئة ، فألقي القبض عليه حين اكتشفت حقيقته ، وأعيد إلى السجن لاستيفاء مدة العقوبة ، بعد أن أصبح شيخا متهدما ، إلا أنه نجا بنفسه ، ومات ميتة مؤلمة مؤثرة

تجنيه على القضاء

أول ما يؤخذ على المؤلف تجنيه على التشريع الجنائي ، وعلى القضاء أيضا فكأنه لا يعرف أن « حالة الضرورة » مؤسسة راسخة في كل قلب ، وهي ليست في حاجة إلى أن تُقنّن ، وقديما قال المفكرون ، « ليس للضرورة قانون » ، وسرقة جان فالجان حالة صارخة من حالات الضرورة ، كما أنه لا يعقل أن يحكم قاض ـ في أي زمان أو أي مكان ـ بهذا الحكم القاسي الجائر على عاطل عن العمل سرق رغيفا ليسد به رمق جياعه ، ويضاف إلى ذلك أن المؤلف تجاهل مبدأ التقادم الجنائي حين أطلق رجال الشرطة في أعقابه ، للقبض عليه وسجنه

الخيال يعين الأديب على معالجة مواضيع شعرية أو نثرية فنية ، لكنه لا يصلح لحل مشاكل إيمانية واجتماعية معقدة ، ومن هذا المنطلق أستطيع أن أنعت المطالبين بإلغاء عقوبة الاعدام ـ في أيامنا هذه ـ بالحالمين والشعراء ، لأنهم ينطلقون من منطلقات نظرية ، لا نجد لها سندا مقنعا على أرضية صلبة من الواقع

ومن عجب أن العمل على إلغاء هذه العقوبة في التشريع الوطني أصبح التزاما دوليا ، تمليه المادة السابعة من المعاهدة الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية[1] ، فقد نصت هذه المادة على أنه « لا يجوز التذرع بأي نص من نصوص هذه المادة لتأخير أو لمنع إلغاء عقوبة الاعدام ، من قبل دولة عضوة في هذه المعاهدة » ، كما أن (البروتوكول) السادس لاتفاق جنيف الخاص بحقوق الانسان قد أقر وجوب إلغاء هذه العقوبة في وقت السلم ، وقد أصبح نافذا منذ أول آذار (مارس) ١٩٨٥ م

نحن وعقوبة الاعدام

الأقطار العربية أعضاء في هيئة الأمم المتحدة ، وقد وقعت على المعاهدة المذكورة ، فالتزمت دوليا بأحكامها ، وكان عليها أن تتحفظ على هذه الفقرة ، طالما أنها لا تنوي التقيد بمضمونها ، وليس سرا أنها فقرة تصطدم بقاعدة شرعية إسلامية ، تتبنى مبدأ القصاص ، ومبدأ القصاص ـ علاوة على موقعه العقيدي ـ يلبي حاجات المجتمع لا ريب ، وينشر الطمأنينة في الناس ، ويحقق مبدأ من مبادىء العدالة المطلقة ، قد وقف إلى جانبه عدد من أساطين الفكر قديما وحديثا ولست أذكر من القدماء إلا جان جاك روسو الذي نادى باجتثاث كل من يخل بالعقد الاجتماعي الذي أبرمه مع المجتمع « حين يكون عاصيا » وخائنا للوطن ، باعتباره عدوا عاما ، ومونتسكيو الذي يريد إبقاء عقوبة الاعدام ، وقصر تنفيذها على القتلة وحدهم ، (وهذا هو القصاص) ، لأنها دواء للمجتمع المريض » ، ثم لا أذكر من المعاصرين إلا الفقيه العالمي غار [illegible]

(١) أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها رقم ٢٢٠٠ م بتاريخ ١٦ ـ ١٢ ـ ١٩٦٦

والأ... اد دوفابر تقوم نظرية الأول على الاحتفاظ بهذه العقوبة في القانون ، لكن لا تنفذ إلا في الجرائم الخط... ة ـ وليس هناك جريمة أخطر من قتل الأبرياء ـ وقد سهلها باقتناء السلاح ، يحتفظ به المرء خشية أن يحتاجه يوما ما وهذا هو ما يفعله ـ عمليا ـ كثير من الدول ، فعقوبة الاعدام ماتزال نافذة في عدد من الولايات الأمريكية المتحدة ، لكنها لا يكثر استعمالها ، ويوجد الآن في سجون هذه الدولة نحو ١٦٠٠ شخص محكوم عليهم بالاعدام ، ويعيشون في « أروقة الموت » منذ سنين

لهذا كان قرار دول السوق الأوروبية المشتركة بإلغاء هذه العقوبة في بداية هذا العام ، باعتبارها عقوبة قاسية ، منافية للطبيعة الانسانية ، تمثل انتهاكا لحق البقاء ، مجافيا للعدل وللمنطق

وهذه العقوبة تمثل في جوهرها العدل المطلق ، وتنسجم خير انسجام مع الطبيعة الانسانية ، إذ ليس احب إلى هذه الطبيعة من إذاقة القاتل ما أذاقه للبريء الذي أزهق روحه بغيا وعدوانا ، ثم إنها تحافظ ـ عمليا ـ على « حق البقاء » بإخافتها للذين تسول لهم أنفسهم ارتكاب الكبائر ، وتحتث عضواً فاسدا برهن على أنه لا يصلح للعيش في وسط المجتمع

ولأن للوقائع العملية منطقا كمنطق الأرقام اخترت من أوراقي هذه الجريمة الفظيعة التي يحمل ملفها رقم ٦١ لعام ١٩٥٨ ، أعرضها عرضا لا يجرح المشاعر الحساسة ، ولا يخالف الأمانة العلمية ، لتكون نموذجا على ما يمكن لبعض المجرمين أن يرتكبوه من جرائم ، وقد تحتم عليّ أن أتحد فيها موقفا ففعلت ، وإني به لقانع

مثال من الواقع

في قرية وادعة كان يعيش رجل تقدمت به السن مع زوجة مريضة ، وولد في مقتبل الصبا ، وكانت له ابنة ، تزوجها قريب في قرية ليست بعيدة كثيرا عن مسكنهم ، ولم تكن الأرض التي تتعيش منها هذه الأسرة معطاء ، لكثرة ما فيها من صخور سوداء ، تنبيء عن الطبيعة البركانية للمنطقة ، وتمنع استنبات الزرع فيها بوفرة كان على هذه الأسرة أن تعيش على الكفاف ، لضآلة المورد ، وأن توفر لفتاها ما يصلح من شأنه بين رفقاء المدرسة والحي

ذات صباح انطلق صوت الناعي ، ينعى الأم المريضة ، ووارى الأهل والجيران الجثمان ، وانكفأ الوالد على نفسه يجتر أحزانه ، ويتدبر أمر بيته وخدمة ولده ، وكانت مهمته شاقة بسبب طبيعة العمل ، وضرورة رعاية الأرض

وأدركت ابنته ما يعانيه فنصحته بأن يختار له زوجة ، تحمل عنه عبء البيت ، فتردد ، ثم كلفها بالبحث عن امرأة ، تقبل بحالته ، ولم يطل بها البحث كثيرا ، فقد وفقت إلى فتاة يتيمة الأبوين ، تعيش في كنف قريبة ، تؤويها مقابل ما تقوم به من عمل في البيوت

كان سبب اعتراض الأب على هذه الخطبة أنها دون العشرين من عمرها ، وأنه الآن في عمر يزيد عن عمر أبيها ، لكنه رضي مع ذلك على اعتبار أنها مقطوعة الجذور ، وقد يعجبها أن تصبح ربة بيت وتزوجها ، وهي مرتاحة النفس ، وهو منقبض الصدر ، كأنه كان يستشف حجب الغيب ، فيرى أن هذا الزواج ليس فأل خير ومرت الشهور الأولى ، وهي تحمل في أحشائها بذرة الشر المختمر

وأصبح ابنه الفتى كثير الغياب عن المدرسة ، وكان يتذرع كل يوم بذريعة ، حتى أخذت الألسنة تسلق الأسرة بتلميحات حينا ، وتصريحات حينا آخر ، وأخذ رذاذ الاشاعات ينفذ إلى آذان الأب ، فراح يرهف السمع ، ويفتح العين ، حتى تيقن أن بيته يعيش في مأساة حقيقية ، ثم افتعل شجارا مع ابنه ، انتهى بطرده إياه من البيت ، لكن عاطفة الأبوة عادت ، فتغلبت على كل الاعتبارات الاجتماعية حين عرف حالة الضياع التي يعيشها وحيده ، فاستعاده حسيرا كسيرا ، غير أن جذوة الشر عادت

فتأججت في شرايين الفتى وروحه أبيه ، فاتخذا قرارا بيتاه وهو الخلاص من العقبة ومن المحرن أن المناسبة لم تتأخر ، فقد وضعت البنت المتزوجة وليدها الأول ، وجاء الرسول بخبر الفرحة ، فأصبح لزاما على أفراد الأسرة أن يتوجهوا إليها ، ليزجوا إليها التهنئة

كانت الشمس تدلف نحو الأفق ، حين توجه الثلاثة إلى القرية الأخرى، هربا من الحر الشديد ، وطمعا في نسمات عليلة من نسمات الأمسيات التي اعتادت أن تتبختر كل مساء في مثل هذا الفصل

كان الشيخ يركب حماره ، وأمامه يسير ابنه ، وخلفه تتحرك الزوجة . وكانت خطوات القافلة متثاقلة ، تتناغم مع قرع حوافر الحمار على الحجارة في طريق ترابي ، لتدخل إلى سكون الظلمة والوحشة شيئا من الحركة والصوت ، وبين حين وآخر كان النوم يرش على عيني الشيخ قطرات من الخدر ، فيسلم نفسه إلى أذرعة مورفيه (إله النوم في الميثولوجيا اليونانية)

فيسقط رأسه على صدره ثم لا يلبث أن يصحو ليعاود النوم مرة أخرى ، كأنه طفل لفه الليل بثوبه ، فاستسلم إلى أحلامه

أنس الولد إلى وحشة الهدوء ، وانقطاع السابلة ، فأخذ برسن الحمار ، وانحرف به عن الطريق ، ثم تركه على هواه ، وانتقى حجرا أملس صلدا ودانى والده ، وعن قرب ضرب به رأسه بكل ما في زنده من قوة ، فانطلقت من الأب صرخة مدوية ، وتهاوى مترنحا ، فدفعه الظالم وألقاه على الأرض ، وانهال على رأسه بحجر يضربه ، ولم تثنه استغاثات أبيه وهو يلفظ أنفاسه ، ثم حمل حجرا صخما ، هشم به هذا الرأس الذي لم يعد في حاجة إلى ضربة أخرى ، لتنطلق روح هذا الوالد إلى الذي لا تغفل عينه ، تشكو إليه العقوق والغدر

جر المجرمان الجثة إلى حفرة ، وهالا عليها التراب والحجارة ، واستأنفا سيرهما ، لاتمام واجب التهنئة ، فقدماها ، وزعما أن الوالد سوف يحضر بعد أيام حين يبلّ من مرض ألم به

وعادا بعد الزيارة إلى البيت طائنين أنهما أنجزا الجريمة الكاملة ، وأشاعا أن الولد عادر إلى الحاضرة في سفر قد يطول ، لكن القدر كان أسرع من كيدهما ، إذ دلت الطيور الجارحة عين العدالة على موضع الجثة، وهتكت الأستار

تبادل الآثمان التهم ، ثم أنهت التحقيقات والاعتراف وتقرير الطبيب الشرعي مهمة المحكمة ، وصدر حكمها بإعدام المجرم وحبس المجرمة مدى الحياة ، وهذا الحكم المخفف على المرأة تكون المحكمة قد طلت وفية لتقليد يكاد يكون عالميا ، وهو الاقلال من أحكام الاعدام على النساء ما أمكن ، غير أن هذه النظرة عرف تعاملي ، درجت عليه المجتمعات ، وليس حقا قانونيا أو مكتسبا ، وكثيرا ما سمعنا عن نساء ، من أرقى الأوساط الاجتماعية ومن أدناها طوّقت المشانق أعناقهن الجميلة

كان المرسوم الجمهوري المتضمن تصديق الحكم أمامي ، أقرؤه ، وأعيد قراءته ، متفكرا مستعبرا ، ثم أقرأ تقرير مدير السجن عن تحسّس سلوك المجرم خلال فترة وجوده في السجن

لكن الجريمة كانت من الفظاعة بدرجة سدت عليّ أبواب كل تفكير ، فأصدرت الأمر إلى النيابة العامة لتوقظه في صباح اليوم التالي ، مع أنفاس الفجر في زنزانته ، وتتلو عليه الحكم والتصديق ، وتسأله عما يوصي به ، ثم ليلف الجلاد حبلا من قنب على رقبته ، ويسحب الكرسي من تحت قدميه ، لينتفض عدة انتفاضات في الهواء ، ثم يهمد كل شيء ، ويخيم السكون جزاء وفاقا

وسبحان العادل الذي قال « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب »
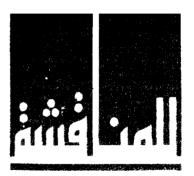
بقلم : فهمي هويدي

استدعاء الفقه
إلى قلب العصر

ـيح الدكتور يوسف القرضاوي حول
في الشريعة الاسلامية ، يمثل محاولة
قه الى قلب العصر ، على الصعيدين
قي ، وفضلا عن ذلك ، فانه يتصدى
من داخل الحركة الاسلامية لأخطر
د سيد قطب ، التي تنسب الى واقعنا
ـ « الجاهلية » وهي المقولة التي
وسـاط شباب المشتغلين بـالعمل
ى باتت تشكل احدى الركائز الفكرية
ـائل الاسلامية النشطة في زماننا
لأسباب أخرى سنمر بها ـ فان كتاب
ـي يضيف الى رصيدنا الفكري الكثير
ـد نعرضه ونفصل فيه قدر الامكان
الشيخ القرضاوي الى أن الفقيه ليس
ع الفقهية ، وتمكن مما قاله السابقون
للاحقون ، ولكنه « من أتقن مبادىء
قدر عـلى استخراجه من القول الى
ـ أن العبرة في الفقيه ليست بما حفظه

وحصله ، ولكنها بقدرتـه عـلى استنبـاط الاحكـام الشرعية ، وتمكنه مما يسمى بآلة الاجتهاد

وفي شروط المجتهد ـ وفي مقدمتها العلم بالقرآن والسنة والعربية والأصول والاجماع ـ فانـه يضيف شرطين ، أحـدهما لم يكن محل اتفاق الأصوليين ، والثاني لم يقل به أحد من قبل

أمـا الشّـرط الأول فهــو العلم « بمقــاصــد الشريعة » ، وهو الذي نبه اليه الامام أبو اسحـاق الشاطبي الغرناطي (المتوفى سنة ٧٩٠هـ) في كتابه الشهير المـوافقـات ، وكـان أول من دعــا اليـه ، والشاطبي هو أفضل من صاغ مقـاصد الشـريعة ، ورتبها طبقا لأهميتها في مراتب ثلاث « ضرورية » لاتستقيم حيـاة الناس بـدونها ، مثـل حفظ الـدين والنفس والعقل والعرض والمـال ـ و « حاجيـة » مما يلزم الناس لليسر والسعة ، واحتمال مشاق التكليف وأعباء الحياة ـ و« تحسينية » مما تقتضيه المروءة ومكارم الأخلاق

اهتم الامام الشاطبي بالمقاصد حتى جعلها سبب

الاجتهاد لامجرد شرط له . اذ جعل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين أولها فهم مقاصد الشريعة على كمالها ، وأنها مبنية على اعتبار المصالح برتبها الثلاث ـ والثاني هو التمكن من الاستنباط بناء على فهمه هذا

ويعقب الشيخ القرضاوي على رأي الشاطبي ـ مؤيدا ومعززا ـ فيقول لهذا كان العلم بمقاصد الشريعة في غاية الأهمية ، حتى لايغلط عليها الغالطون ، ويجروا وراء الأحكام الجزئية مهملين المقاصد الكلية ، فيخلطون ويخبطون

ويبرر الدكتور القرضاوي كون فقهاء الأصول لم يشيروا الى هذا الشرط ، بقوله انهم ربما يكونون قد اكتفوا بما ذكروه من وجوب الرسوخ في معرفة القرآن والسنة ، مما يؤدي بدوره الى معرفة مقاصد الشريعة ، ثم انهم أشاروا الى أهمية معرفة القواعد الكلية للشريعة ، وان لم يفردوها بالذكر

الشرط الثاني الذي أضافه الشيخ القرضاوي داعيا الى ضرورة توفره في المجتهد هو معرفة الناس والحياة ، لأنه لا يجتهد في فراغ ، بل في وقائع تنزل بالأفراد والمجتمعات من حوله ، وهؤلاء تؤثر في أفكارهم وسلوكهم تيارات وعوامل مختلفة نفسية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، فلا بد للمجتهد أن يكون على حظ من المعرفة بأحوال عصره ، وظروف مجتمعه ، ومشكلاته وتياراته الفكرية والسياسية والدينية »

لقد أشار الفقهاءفي مواضع عدة إلى أهمية معرفة الناس لمن يتصدى لأمور الفتوى ، وقال ابن القيم إن المفتي أو الحاكم الذي يفتقد هذه المعرفة « كان ما يفسد أكثر مما يصلح » ولكن الأصوليين لم يدرجوا هذا الشرط فيما ينبغي أن يتوفر في المجتهد ، وإذ يؤكد الشيخ القرضاوي على اعتبار ذلك الشرط ، فانه يقول بأنه مطلوب « ليكون الاجتهاد صحيحا واقعا في محله » وهو يذهب الى ضرورة أن يكون المجتهد ـ أيضا ـ ملما بثقافة عصره ، حتى لايعيش منعزلا عن المجتمع الذي يعيش فيه ويجتهد ـ ويصنف تحت هذا العنوان علوم النفس والتـ ـة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ

ونلاحظ هنا أنه يدعو أيضا الى احاطة النسـ ببعض المعارف العلمية الأخرى ، مثل الفيزياء والكيمياء والرياضيات ، ويبدو أن الدكتور القرضاوي قد عدد تلك المعارف وفي ذهنه صورة الفرد أو المجتهد المطلق ، وهي صورة وان كانت مثلى ، الا أنها صارت متعذرة في زماننا ، أي في ظل تعدد المعارف والعلوم بالصورة التي يعجز بشر فرد عن الالمام بها فضلا عن استيعابها ، وقد أدرك ذلك الشيخ القرضاوي ، حيث دعا في موضع آخر من الكتاب الى أن يتم الاجتهاد من خلال فريق أو مجمع فقهي ، بعدما صار محققا أنه لم يعد بمقدور مجتهد فرد أن يتصدر للفتيا العلمية لهم ، مما يمكنهم من تحديد الحكم الشرعي في كل حالة ، خصوصا في الأمور الطبية والاقتصادية المعقدة ، التي لايطالب أهل الأصول بالاحاطة بها

لذا ، فاننا اذ نشكر للدكتور القرضاوي ابرازه لأهمية معرفة الفقيه لأحوال الناس والحياة ، وللواقع الثقافي العام ، فاننا نحسب أنه ذهب بعيدا في دعوته الى ضرورة احاطة الفقيه بقدر من المعارف العلمية التي تمكنه من الافتاء في قضايا الاختصاص وقتل الجنين أو التحكم في جنسه (على حد تعبيره) ـ ونفضل أن يكون الاجتهاد الفقهي في تلك القضايا الدقيقة معتمدا على رأي أهل الاختصاص العلمي ومشورة منهم

يؤيدنا الدكتور القرضاوي بطريق غير مباشر ، عندما يعالج في موضع آخر من كتابه فكرة « تجزؤ الاجتهاد » ، بمعنى أن يتمكن الباحث من فـ ـع معين القانون أو الاقتصاد أو الطب لكي يصبح قادرا على أن يجتهد فيه بحيث « يستطيع الـ ـاد الاقتصاد المتمكن اذا درس ما يتعلق به في ا ـه والمصادر الاسلامية أن يجتهد في هذا الـ ـ

لابتعـ ـاه ، ومثل دلـك استاد القـانون الجنـائي أو الدسـوري أو عيرهما كل في احتصـاصه »

لكن اشترط لدلك شرطين أن يكون الباحث مؤهلا للفهم والاستنباط ، وأن يدرس موصوعه أو مسألته دراسة متعمقة ، تمكنه من الاحاطة بجميع جوانبها ، حتى يستطيع أن يجتهد فيها

ومهم من السياق أنه يقـر هـدا النـوع من الاجتهاد ، الذي نحسب أن لـه شـأنـه في واقعنـا المعاصر ، حيث باتت الحاحـة ملحة الى التحصص الدقيق في مختلف فروع المعرفة

وفي تناوله لمسألة الاجتهـاد ، فـان الـدكتـور القرضاوي يقف في قلب العصر ، عندما يحاول القاء صوء كاشف على اثنين من المحالات التي حدث فيها تطور صحم في العصر الحديث ، وهما محالا الاقتصاد والطب

عن الاقتصاد يقول ان كثيرا من معاملاته جديد مائة في المائة ، وبعصها شبيه بالقديم ، أو مركب من القديم والجديد ، وهناك من يدهب الى الرفض أو التشدّيد فيها من باب التحوط ، لكنه يتحفظ على هدا النهج ، مستندا الى قول الامام سفيان الثوري « انما الفقه الرخصة مع الثقة ، أما التشديد فيحسنه كل أحد » !

هو أيضا يحدر من « فتح الباب على مصراعيه لكل جديد ، واباحة كل ما هو واقع ، بدعوى المصلحة حينا ، وبدعوى الضرورة حينا ، وبتخريجات واهية متكلفة حينا آخر » وفي نهاية الأمر ، فانه يدعو الى احصـاع هده الأعمـال والمؤسسـات الجـديـدة للبحث الجاد ، من جانب أهـل التخصص الفقهي لاسقاط الحكم اللائق بها في صوء الأدلة الشرعية

صرب الشيخ القرضاوي مثلا بالنقود الورقيـة التي اصبحت عمـاد التعـامـل في هـدا العصـر ، وتساءل ألها حكم النقود المعدنية ، التي جاءت بها النصوص الشرعيـة من الدهب والفضـة ، في كل شيء في وجوب وحرمة الربا ، وقضاء الديون ـ وعيرها ؟

يصرب مثلا آحر بالعملات التي تتدهور قيمتها باستمرار ، وحكم من كان عليه دين قديم من هده العملات ، ويريد أن يوفيه اليوم بعد هبوط القدرة الشرائية هبوطا عير عادي ؟ هل توفى القيمة داتها فيصار الدائن ، أم تراد فتحل شبهة الربا ؟

في عير النقود ، هناك مسائـل البنوك وشـركات التأمين ، التي عقد في شأنها عديد من المؤتمـرات ، وعالجها البعص في بحوث مختلفة ، وتم الاتفاق حول أشياء ، والاختلاف حول أشياء ، والتعليق حـول بنود أخرى ، ومع دلك فالتفاصيل بغير حصر ومحال الاجتهـاد يحتـاج الى مـزيـد من جهـود البـاحثـين والمتخصصين

المحـال الثـاني الـدى يلفت الأنـظار الى قــدرة الاجتهاد فيه هو ميدان الطب الحديث ، ورغم أن قضايا هندسة الوراثة والأجنة وأطفال الأنابيب تطرح تحديات مثيرة أمام أهـل الفقه والاجتهـاد ، الا أنه صـرب مثلا بـالأسئلة التي تثيـرهـا عمليـة زراعـة الأعصاء ، وقد أحيلت اليـه من قبل جـامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وكانت منظمة الطب الاسلامي في جنوب أفريقيا هي التى توجهت بتلك الأسئلة ، ومنها

ـ هـل يجوز زرع أعصـاء الحيوان لانقـاذ حيـاة الانسان أو لتحسين أنشطة بعص أعصائه ، حتى لو كان الحيوان خنزيرا ؟

ـ هل يجوز للمسلم الموافقة على نزع أعضاء من جسمه وهو حي ، لاستعمالها في الزراعة لمصلحة طفله أو أحد أبويه ؟

ـ هل يجوز زرع الأعصاء فيها بين المسلمين وغير المسلمين ؟ وهل يجوز للمسلم أن يتبرع بجسمه بعد الوفاة ؟

ـ متى يجوز الاعلان عن وفاة الانسان ، ادا توقف قلبه أو توقف المخ ؟

هذه الأسئلة مثارة في حياة المسلمين الذين يبحثون عن حكم شرعي صحيح لكل حالة ، في هذا الموضوع ، وفي غيره مما يحتاج الى جهد فقهي كبير لملاحقة مستجداته ومتغيراته

والشيخ القرضاوي ، اذ يسترعي الانتباه الى تلك القضايا الحيوية ، يرى أيضا أن الاجتهاد لا ينحصر في دائرة المسائل الجديدة « بل له مهمة أخرى مع التراث الفقهي ، لاعادة النظر فيه على ضوء ظروف العصر وحاجات الناس ، لاختيار أرجح الآراء وأنسبها بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، بناء على قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والانسان ويضيف قائلا ليس صحيحا أن الأول لم يترك للآخر شيئا ، بل الصحيح ما قاله أهل التحقيق كم ترك الأول للآخر ، بل كم فاق الأواخر الأوائل !

هنا يقرر ينبغي أن يكون الاجتهاد في عصرنا اجتهادا جماعيا ، في صورة مجمع علمي يضم الكفايات الفقهية العالية ، ويصدر أحكامه في شجاعة وحرية ، بعيدا عن كل المؤثرات والضغوط الاجتماعية والسياسية ومع هذا لا غنى عن الاجتهاد الفردي ، الذي ينير الطريق أمام الاجتهاد الجماعي

يرى الدكتور القرضاوي أن الاجتهاد المطلوب لعصرنا نوعان انتقائي يقوم على الترجيح بين أحد الآراء المنقولة في تراثنا الفقهي ، وانشائي ، يستهدف استنباط حكم جديد في مسألة من المسائل التي لم يعرض لها أحد من السابقين

التصوير من نماذج الاجتهاد الانشائي ، وهو ما حسمه منذ أكثر من نصف قرن الشيخ محمد بخيت المطيع - مفتي مصر الأسبق - في رسالة شهيرة له بعنوان « القول الكافي في اباحة التصوير الفوتوغرافي » اذ قال في صدد الاباحة ، ان علة التحريم هي مضاهاة خلق الله ، وهذا التصوير ليس مضاهاة من ذلك النوع ، انما هو خلق الله نفسه انعكس على الورق ، كما تنعكس الصورة في الـ... واستطاع الانسان بالعلم أن يثبتها بوسائط معينة

يتصل بذلك ما أشار اليه الشيخ القرضاوي في شأن « التماثيل » ، عندما تعرض في موضع آخر من الكتاب لما أسماه « مزالق الاجتهاد المعاصر » وهو ينتقد من أباحها استنادا الى أن التصوير حرم في الاسلام لقرب العهد بالوثنية ، وما كان فيها من صور تعبد من دون الله ، في حين أن العقول تحررت في زماننا ، ولم يعد ثمة مجال لأن يعبد انسان القرن العشرين صورة أو تمثالا

وفي رده على ذلك يقول ان التأويل مردود كله ، فالنصوص التي حرمت التصوير قد نصت على علته ، وهي مضاهاة خلق الله ، وليس مشابهة الوثنية - أما تحرر العقول في القرن العشرين « فليذهب صاحب هذا الكلام الى الهند وبلاد كثيرة في آسيا وأفريقيا ، ليرى أن الوثنية لازالت معشعشة حتى في رؤوس كبار المتعلمين »

واذا نقدر لشيخنا الجليل رأيه ، لكننا نحسب أن مضاهاة خلق الله ليست تامة في التماثيل التي هي بلا روح ، فضلا عن أن المضاهاة ليست منهيا عنها لذاتها ، ولكن لأنها قد تفتن الناس في دينهم ، الأمر الذي قد يغري بالعودة الى الوثنية ، ولئن رد الدكتور القرضاوي على تحرر العقول في القرن العشرين وبعدها عن الوثنية ، باشارته الى معتقدات بعض البلاد الآسيوية ، فربما أصبح الكلام أضبط وأدق لو أنه حرم التماثيل ان كانت تفتح الباب لشبهة التعبد بالأوثان ، في مثل تلك الدول ، وهو أمر لا يسري بحق في بقية ارجاء الكرة الأرضية

وربما كان اجتهاد فقهاء الشيعه بمثابة حل وسط لذلك المشكل ، من حيث انهم يبيحون التماثيل ... المكتملة ، المنحوتة في الخشب أو الحجر ، التي لا تتحقق فيها شبهة المضاهاة ، من حيث انها تبرز ... فقط من جسم الانسان ، ولا تصوره كله

و.. ـ أن يعرض عـديدا من محـاولات الاجتهاد المعاد ، فان الشيخ القرضاوي يحدد لنا ٩ ضوابط لاجتهاد معاصر وقويم وهي

لا احتهاد بعد بدل أقصى الجهد في تتبع الأدلة ، لا محل للاحتهـاد فيما ثبت بـالـدلالـة القـاطعـة في القران ، مثل فرضية الصيام أو تحريم الربا والخمر ولحم الخرير ، لا يجور التشدد في الأمور الظنية ، وتحويلها الى قطعيات محجة الاحماع أو غير دلك ، صرورة الوصل بين الفقه والحديث ، باعتبار أن أكثر المشتعلين بالحديث لا يهتمـون كثيرا بـالدراسـات الفقهية والأصولية ، والحذر من الوقوع تحت صغط الواقع بتبرير كل شيء بدعوى المعاصـرة ، وأهمية الترحيب بكل حديد نافع والتحلي عن موقف مقاومة كل حديد ، طالما أنه لا يغير من الأصول شيئا ، وألا نهمل روح العصر وحاجاته ، والانتقال من الاحتهاد الفردي الى الجمـاعي ، وافسـاح الصـدور لخـطأ المحتهد

في الجـزء الأخـير من كتـابـه يتصـدى الشيـخ القرضاوي لـرأي الأستاذ سيـد قطب الـذي يعتبر المجتمع الراهن لا يجدي معه احتهاد أو استنباط ، « فدلك عبث أو هزل ، لأننا نعيش مجتمعا جاهليا ، يرفض حاكمية الله تعالى ، وبالتالي فعليه أن يسلم أولا وبعد دخولـه الى الاسلام لنـا أن نجتهد لحـل مشكلاته في رحابه » ، هذا الرأى أثبته لنا الاستـاذ قطب في تفسيره للقرآن « في الظلال » ـ وفي كتابيه « معـالم في الـطريق » و « الاســلام ومشكـلات الحضارة »

وفي رده على هذا الرأي فإن الشيخ القرصـاوي يق ـل انه لا مقارنة بين مجتمعنا الراهن والمجتمع ا ـهلي في مكة ، الذى دعاه الرسول عليه الصلاة و ـلام الى الاسلام ، ذلك مجتمع وثني كافر ، وفي م ـعنـا ناقصـو دين وبـلا دين ، ولكن الأكثـريـة الساحقة مؤمنـة وملتزمـة بالاسـلام وبشعائـره على المستـوى الفردي ، « ولهـذا يكـون من الاسـراف والمجازفة الحكم على هؤلاء جميعا بأنهم جاهليون »

يضيف أن ثمة شريحة من أبناء الثقـافة العـربية يحاولون الفصل بين العقيدة والشريعـة في الدين ، وينحازون للأولى دون الثانية ، لكن ذلك ينبغي أن يحمل باعتباره تدينا منقوصا ، وليس جاهلية تقتضي دعوة صاحبها الى الاسلام من جديد

في نقضه لرأي الاستاذ قطب ، فان القرضـاوي استشهـد ببعض كتـابـات المشتغلين بـالـدعـوة الاسلامية ، من أمثال الاستاذ عبد القادر عـودة في رسالته « الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه » ، وفيها اشارة واضحـة الى أن اهمال تحكيم الشـريعة الاسلامية في بعض شئون الحياة العامة ، لم يكن تحديا لسلطان الله ، وانما هو ناشىء عن عدم ادراك حقائق الشريعة والهيمنة الغربية ، التي حرصت على ازاحة الشريعة عن التطبيق مند بسطت سلطانها على العالم الاسلامي

لقد اشترط الأستـاذ قطب لممارسة الاجتهـاد ـ بالاضافة الى الشروط المعتمدة ـ شرطين هما مزاولة العقيدة والمنهج في الحياة العامة ، ومزاولـة العقيدة والمنهج في الحياة الخاصة للشرع ، وهو ما سلم به الشيخ القرضاوي في شقه الثاني دون الأول ، حيث قال « أما الشرط الأول فلا أعلم لـه سندا ، ولا أعرف أحدا قال به ، ولا أحد مانعا يحول بين الفقيه المسلم وبين الاجتهـاد السليم لبيـان رأي الشـرع الاسلامي في واقع المجتمع اليوم ، خصوصا وأن أكثر المشكلات الجديدة ليست وليدة المجتمع الجاهـلي ، وانما هي وليدة التـطور الاجتماعي والتقـدم التقني الحديث »

وفي ختام رده يقول الـدكتور القـرضاوي ، ان « قطب » صاحب « العدالة الاجتماعية » أقرب الى السداد من « قطب » صاحب « المعالم » ! □

مآذن
لها
تاريخ
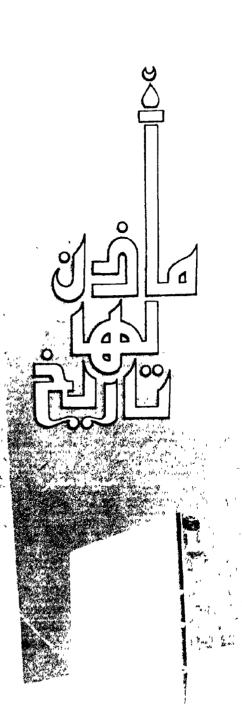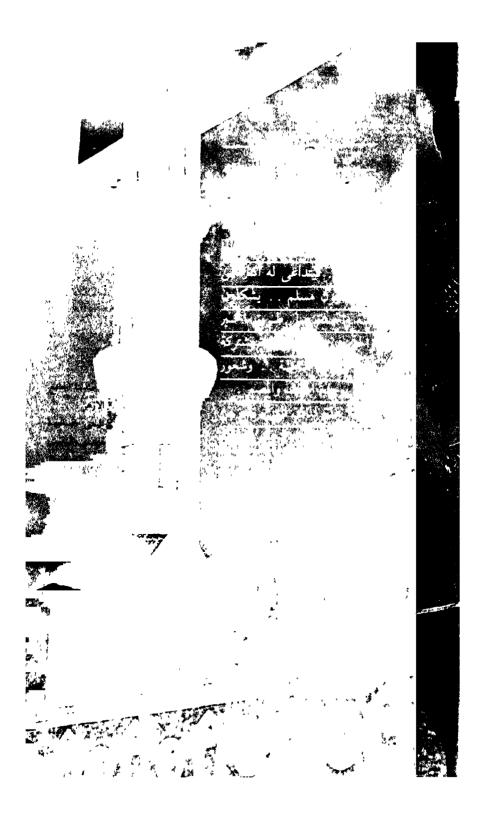
تبدأ القصة مع بزوغ شمس الاسلام ، ومنذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام حين كان الناس يجتمعون اليه للصلاة بغير دعوة وكما يقول ابن هشام في السيرة ان النبي (ص) هَمَّ أن يتخذ بوقا كبوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم ولكنه كَرِهَ ذلك ، وأمر باتخاذ ناقوس يدعى به المسلمون للصلاة كما يفعل المسيحيون ولكن أخبره عبد الله بن زيد بن ثعلبة أن طائفا طاف به ليلة في منامه ، وزين له الدعوة الى الصلاة بالأذان ، فأقره النبي على ذلك ، وأمر مولاه بلال بن رباح أن يؤذن به داعيا الى الصلاة

ومهما يكن من شيء فإن بلالا كان يؤذن من فوق سطح بيت عال عند مسجد النبي . وكان هو بذلك أول مؤذن في الاسلام

والواقع ان المساجد الاولى لم تكن لها مآذن ولا منابر

ولم يكن هناك بناء قائم يؤذن من فوقه للصلاة ، بل إن أول ذكر للمنارات في الاسلام هو ما رواه « البلاذري » من أن زياد بن أبيه عامل معاوية على العراق ، بنى لجامع البصرة منارة من الحجر عام ٤٥ هـ / ٦٦٥ م ، وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعاد بناءه بالحجر على نحو يتناسب مع ما وصلت إليه البصرة في ذلك الوقت من اتساع وعمران وزيادة سكان إلا أن أول مآذن المساجد هي تلك التي شيدت في جامع عمرو بن العاص ، الذي أقيم في فسطاط مصر سنة (٢١ هـ / ٦٤٢م) فقد شيدت مآذنه الأربع بمعرفة مسلمة بن مخلد والي مصر لمعاوية بن أبي سفيان ، الذي أعاد إنشاء المسجد وجعل له مآذن في أركانه عام (٥٣هـ / ٦٧٢م) وكانت عبارة عن أبراج صغيرة مربعة سميت بالصوامع وأمر بأن تبنى منارات في معظم مساجد الفسطاط الأخرى، كما كلف مؤذني جامع عمرو بن العاص بأن يبدأوا الأذان للصلوات ، ثم يتبعهم المؤذنون من فوق المنارات

وقبل الخوض في حديث المآذن فإننا نلاحظ أن اسم « المنارة » أطلق على المآذن أول ما ظهرت في العمارة الاسلامية ويمكن القول ان المآذن نشأت عن الأبراج والصوامع والمنابر ، ثم امتزجت طرزها معا فظهرت مآذن المساجد التي مازال بعضها باقيا حتى اليوم وتفرق بعض النصوص بين الصوامع التي بنيت في أركان جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ، وبين المنارات التي بنيت في المساجد الأخرى وكانت الصوامع أقرب الى الأبراج في ضخامة الهيئة ، وأما المنارات فكانت أقل حجما وأقل ارتفاعا واستعمال لفظ « منارة » يدل على أن المنارات كانت هيئات معمارية مقتبسة من المنارات التي كانت تنشأ على السواحل أو على قمم الجبال

وكان استعمال الحجر أو الطوب في بناء المآذن يتوقف على مادة البناء المستعملة في الأقاليم ففي أسبانيا استعمل الحجر ، وفي المغرب غلب استعمال الطوب ، وفي مصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى وبلاد الجزيرة استعمل الحجر ، بينما استخدم الطوب في العراق وقد غلب استعمال الطوب في إيران وأفغانستان ، بينما استعمل في الهند الحجر والطوب على السواء

كانت جميع المآذن في العالم الاسلامي في العصر المبكر تتبع بشكل عام تكوينا معماريا مشتركا وينحصر الاختلاف في النسب المعمارية للقواعد وطبقاتها العالية أو أبدانها ، وذلك من ناحية طول ضلعها ان كانت مربعة المسقط ، أو قطرها ان كانت مستديرة بالنسبة لارتفاعها ، ومن ناحية عمل جوسق أو عمامة في نهايتها وفي جميع الحالات كان الجوسق العلوي (رأس المئذنة) يعطي بقبة تتبع الأسلوب المحلي السائد في المنطقة أو الاقليم وغالبا ما كانت الشرفات تغطى بمظلة من الخشب وذلك في الأقطار التي تكثر فيها الأمطار حتى تحميها وتمنع ماء المطر من التسرب الى السلم الحلزوني داخلها ولقد أضافت المآذن بشتى أشكالها الى المساجد جمالا ورونقا ورقة

الساحة الاسيوية الشاسعة الأرجاء وقد اعتمدنا في ذلك على مجموعة من المراجع التاريخية والاسلامية مع مشاهدات شخصية وتحقيقات صحفية خلال استطلاعات العربي في « عالم الاسلام »

ونتنقل بين مآذن المساجد في مختلف بقاع العالم الاسلامي بادئين بالقلب والأقاليم الوسطى حيث مهبط الاسلام وبداية انتشاره ثم بالجناح العربي حتى المحيط الاطلسي . ثم الجناح الشرقي في الساحة الآسيوية الشاسعة الأرجاء

منارات المساجد المباركة

المسجد الحرام أقدم مساجد الاسلام وأوسع مساجد الدنيا ، وترجع هيئة الحرم ـ قبل التجديدات الاخيرة ـ الى أيام المماليك ثم العثمانيين حيث تشبه عمارة المسجد الحرام مساجد القاهرة ومساجد تركيا وفي صدر الاسلام كانت الكعبة يحيطها جدار اقل من القامة وغير مسقوف ولم يفكر أحد من

مئذنة مسجد قباء أول مسجد بني على التقوى في المدينة (اقيمت المئذنة ١٢٤٥هـ / ١٨٢٥م)

الخلفاء الراشدين في تزيينه لكن بنى أمية أخذوا يعملون على تطوير عمارة المسجد الحرام فأمر عبد الملك بن مروان عام ٧٥هـ برفع جدرانه ، وأضاف الوليد بن عبد الملك توسعة جديدة ولكن أول مئذنة أقامها أبو جعفر المنصور وفي سنة ٩٤٤هـ (١٥٨٦م) بنيت للحرم مآذن كبراها مستديرة على الطراز العثماني ذات ثلاث شرفات للأذان ، وتحت هذه المئذنة الكبرى التي عرفت بمئذنة الخليفة أنشأ السلطان سليمان القانوني مدرسة للفقه سميت بالسليمانية وكان عدد المآذن حول الحرم قد بلغ ست مآذن ، ثم أضاف اليها السلطان أحمد العثماني مئذنة سابعة عندما اعترض رجال الدين على اتخاذه ست مآذن لمسجده باستانبول ، وهو عدد لا يسمح به إلا للكعبة الشريفة ، فاضطر أن يأمر ببناء مئذنة سابعة للحرم المكي

و . أصلح محمد على والى مصر مآذن الحرم عندما قام بإعادة بنائه كله سنة ١٨٢١ وتم التجديد الكامل لمباني الحرم وعمارته على الهيئة التي تبدو عليها السوم منذ عام ١٩٥٨ في عهد الملك سعود تحت إشراف أخيه (الملك) فيصل وفي العمارة الجديدة أقيمت مآذن على نمط جديد يبلغ عددها الآن سبع مآذن بعد أن أزيلت المآذن القديمة التي كانت تقع في وسط المطاف الحالي والمآذن الجديدة نمط حديث تتكون من دورين ، كل دور عبارة عن فانوس مضلع الشكل يقف على بدن مرتفع له ظلة مائلة الى الخارج على شكل نصف الجمالون ، والقاعدة مربعة حتى ارتفاع مباني عمارة المسجد ، وبداخلها درج وشبابيك لإنارة السلم وتهويته . أما الجوسق فوق مظلة الدور الثاني فعبارة عن شكل الكمثرى يعلوه شكل اسطواني ثم عمود الهلال الذي تتحلله أشكال كروية والبدن به نوافذ تحت الفانوس العلوي للتهوية والاضاءة

اما المسجد النبوي في المدينة فإن قبته الخضراء ومآذنه الأربع تعتبر آية من آيات فن العمارة وقد أعيد بناء المئذنتين على الواجهة البديعة التي عرفت بواجهة الملك عبد العزيز ، وارتفاع كل منهما ٧٥ مترا ، وهما متشابهتان كل واحدة منهما تقوم على قاعدة مربعة حتى ارتفاع مباني المسجد وتنتهي بشرفة مربعة يقوم فوقها البدن المضلع ، ثم تجيء ثلاثة أدوار أخرى تتصاعد كلما ارتفعنا نحو القمة التي يعلوها جوسق يقف على أعمدة رشيقة صغيرة ، وفوقه هلال ، وبين الجوسق والهلال شكل بيضاوي ، وتتخلل البدن في الدور الثاني فتحات دائرية للتهوية والاضاءة

وكان الحرم النبوي قد احترق في رمضان عام ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م ولم يسلم منه سوى القبة وفي عهد الظاهر بيبرس حاكم مصر المملوكي - وبعد صد الغزو التتاري - أرسل الصناع من مصر الى المدينة حيث أعادوا بناء المسجد على ذات الهيكل وأضيفت اليه مئذنة عالية

وقد قام السلطان العثماني عبد المجيد بعمارة كبرى في المسجد ، وكان من بين ما قام به تشييد المئذنة المجيدية على طراز رائع

وذكر الرحالة برتون الذي زار المدينة عام ١٨٥٣ ووصف المسجد النبوي ان عدد مآذن المسجد في ذلك الوقت بلغ خمس مآذن بينها منارتان بشكل بيضاوي صلب

وبعد التجديد الحديث للحرم أصبح عدد المآذن الموجودة أربع مآذن

أما مسجد قباء فترجع مئذنته الى العصر العثماني في عهد السلطان محمود الثاني ١٢٤٥هـ / ١٨٢٥م قام بها محمد على والى مصر وقد كانت أول مئذنة له قد أقيمت عندما جدده عمر بن عبد العزيز

إحدى مآذن
المسجد النبوي
الشريف .. وإلى
أسفل لوحة
نادرة تبين تخطيط
المسجد الشريف
(٧٠٩م - ٩١
هـ) وتظهر مآذن
المسجد الخمس
على الأسوار كما
تبدو الروضة
الشريفة والمنبر
النبوي وفي
الصفحة المقابلة
مئذنتان حديثتان
للحرم المكي
بعد تجديده
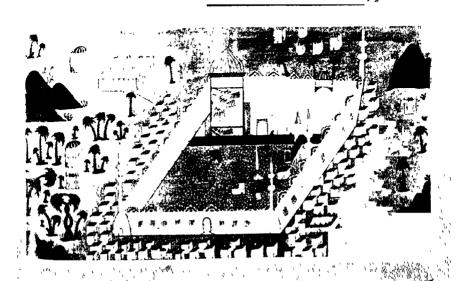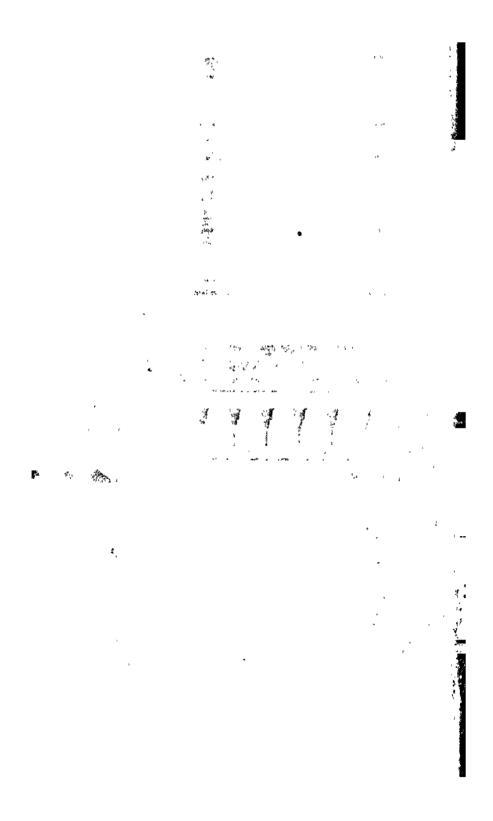
المآذن في مساجد مصر

وفي مصر - حيث جامع عمرو بن العاص الذي يبلغ عمره أربعة عشر قرنا ، ومايزال قائما حتى الآن - تقوم مجموعة من المساجد القديمة المعرقة في التاريخ ، وخاصة في القاهرة التي تحمل اسم المدينة ذات الألف مئذنة

ومن أقدم المساجد ذات المآذن الأثرية البديعة في مصر جامع احمد بن طولون (٢٦٥هـ) ومئذنة تتكون من أربع طبقات ، الأولى قاعدة مربعة ، والثانية مثمنة ، والثالثة والرابعة على نفس الهيئة وهي اسطوانية الشكل وأما السلالم فمن الخارج على شكل مدرج حلزوني ، والمئذنة مشيدة بالآجر ، وتمتاز على غيرها من المنارات باتساع عرضها ، وقد أقيمت على نسق منارة المسجد الذي بناه الخليفة المتوكل في مدينة سامرا والمعروفة « بالملوية » ومئذنة ابن طولون تعتبر ثانية مئذنتين ذواتي سلم حلزوني وهي أكثر تناسقا وانسجاما وتقوم عند الجدار الخلفي للمسجد كله

على أن أبرز المآذن في مصر هي مآذن الجامع الأزهر ، الذي تمت عمارته سنة (٣٦١هـ - ٩٧٢م) وقد أنشئت عند تأسيسه منارة واحدة ، ثم أصبح له فيما بعد خمس منارات يؤذن عليها في أوقات الصلوات الخمس وفي ليالي رمضان والمواسم وكانوا يعرفون أوقات الصلاة عن طريق الميقاتي ، وكان يعرف الأوقات بالنظر في المزولة التي ماتزال قائمة حتى اليوم على أحد جدران صحن الأزهر وكانت المساجد في القاهرة تتبع في الأذان أصوات المؤذنين في الأزهر

وترجع المئذنة الرئيسية الى عصر المماليك حيث أقامها السلطان قايتباي على يمين الباب الواقع بين مدرسة الطيبرسية والمدرسة الأقبغاوية ، وبنيت من حجارة منحوتة بقي منها الآن مداخلها الى جوار هذه المئذنة توجد مئذنه ذات رأسين أقامها سنة (٩١٥هـ - ١٥١٠م) السلطان الغوري ، وهي منارة ضخمة ماتزال باقية حتى اليوم ، وتمتاز بتلبيس القاشاني ببدن طابقها الثاني ، كما تحتوي على درجين فيما بين طابقها الأول والثاني ولا يرى الصاعد في أحدهما الآخر أما المنارتان الاخريان خلف المحراب القديم فأقامها الأمير عبد الرحمن كتخدا وهما يقومان أمام الجانب الكبير الذي يطل الآن على ميدان الأزهر

والواقع أنه نتج عن إضافات كتخدا أن . . للجامع الأزهر ست مآذن اذا أضيفت الى الخمـ . مئذنة أقامها الأمير علاء الدين أقبغا في زمن السلـ . الناصر بن قلاوون وقد هدمت المنارة التي كا . تقع الى يمين باب المزينين فبقي من المآذن خمس

أما جامع الحاكم ، الذي شيده الخليفة العزيز بالله ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله الفاطمي (٤٠٣هـ - ١٠١٣م) فيمتاز بأن على طرفي واجهته الشمالية مئذنتين من الحجر يتوسطهما مدخل الجامع وقد تهدمت أجزاء من المئذنتين على الرغم من أن ركيزة هرمية بنيت حول قاعدة كل منهما لتدعيمها واحدى المئذنتين أسطوانية على قاعدة مربعة والأخرى مثمنة فوق قاعدة مربعة أيضا ولكن قمتي المئذنتين سقطتا بسبب زلزال عام ٧٠٢هـ فأعيد بناء القمتين في السنة التالية وصنع هذا العوض على شكل قبة فبدت كأنها (مئذنة قبة)

الطابع الفاطمي والمملوكي

في مقدمة الآثار الاسلامية المتبقية في حي الأزهر جامع محمد أبي الذهب ، ويمتاز بمارته الحجرية ذات الخمسة الرؤوس ، وبقبته الضخمة ذات الشبابيك القنديلية

أما المسجد الحسيني فلم يبق فيه من آثار العصر الفاطمي والأيوبي سوى الباب الأخضر والمنارة التي تعلوه وهي حافلة بالزخارف الأيوبية البديعة

ويلاحظ في مساجد مصر ابتداء من العصر الفاطمي ، أن الاتجاه كان يسير نحو تصغير بدن المئذنة مع الاهتمام باحكام بنائه وصقل أحجاره حتى يكون ذلك عونا على المحافظة على ثبات المئذنة برغم ضيق قاعدتها وارتفاعها

وشرع المعماريون في نفس الوقت في تحويل القاعدة من مربع الى مسدس ، ومثمن ثم الى هيئة اسطوانية أحيانا وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا بحيث نجد أن المآذن الفاطمية ثم المملوكية تتطور تطورا سريعا نحو هيئة المآذن المصرية التقليدية المعروفة حتى اليوم ومن المساجد المملوكية مسجد السلطان الغوري في الغورية بمئذنته ذات الرؤوس الأربعة بخلاف مئذنته ذات الرأسين في الجامع الأزهر .

أما مجموعة السلطان قلاوون ومسجده ، فتطل عليها أضخم مئذنة بنيت في مصر ، وهي وحدها
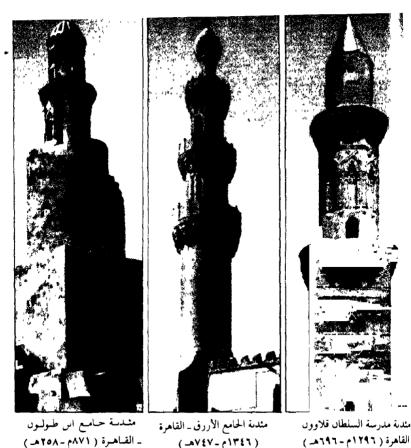
مئذنة مدرسة السلطان قلاوون القاهرة (١٢٩٦م - ٦٩٦هـ)

مئذنة الجامع الأزرق - القاهرة (١٣٤٦م - ٧٤٧هـ)

مئذنة جامع ابن طولون - القاهرة (٨٧١م - ٢٥٨هـ)

ى قائم بذاته يضم ملامح كثيرة من المآذن مغربية فبدن المئذنة بناء ضخم مربع يرتفع فى الجو والى عشرين مترا حتى شرفة الأذان الأولى ، وهى رفة واسعة انيقة وبعد الشرفة يستمر بدن المئذنة ساعدا نحو ثمانية أمتار أخرى وهنا نجد الشرفة ثانية يحيط بها سياج حديدى ، ويعلو ذلك كله جوسق ضخم ارتفاعه ستة أمتار من الحجر لزخرف ، وأعلى الجوسق مظلة من الحجر تقوم وقها عمامة المئذنة . وجدران المئذنة الأربعة مزينة نوافذ كبيرة تقوم على عقود مدببة . وهذه النوافذ ضىء داخل المئذنة وسلمها العريض

ومن أعظم المآذن المنارتان العظيمتان لمسجد لسلطان حسن (٧٦٤هـ - ١٣٦٣م) وهما تقومان فى ـانب القبلى الشرقى ويبلغ ارتفاع كبراهما ٨١ ـا وكان المقصود فى البداية أن يكون للمسجد ر ع مآذن ، ولكن لما سقطت المئذنة الثالثة بعد إتمام ـها قنع السلطان بالمئذنتين

وقد امتازت المآذن فى الطراز المملوكى برشاقتها واعتدال ارتفاعها ، وأن معظمها ذو قاعدة مكعبة يعلوها بدن مثمن فدورة علوية اسطوانية الشكل

والواقع أن المعماريين المصريين تألقوا فى زينة جدران المآذن وشرفاتها بالزخارف المنقوشة فى الحجر . وكان ذلك يضفى على ذلك الطراز من المآذن جمالا ورقة ومازالت المئذنة المصرية متميزة بهيئتها النحيلة الطويلة وتوازنها التام فالنسب دائما محفوظة بين بدن المئذنة وارتفاع شرفاتها وكما هى العادة كان يرتفع داخل المئذنة سلم حلزونى متقن

وهذا السلم يصل الى أعلى البدن حيث الشرفة الأولى ، وقد يرتفع سلم آخر داخل امتداد المئذنة طولا حتى يصل الى الشرفة الثانية ، ولكنه لا يكون فى هذه الحالة حلزونيا بل مجرد درج هدفه تمكين الناس من الوصول الى أعلاها لاصلاح أى عطب يصيب أجزاءها العلوية

مئذنة مسجد السلطان حسن بالقاهرة ١٣٦٣م ـ ٧٦٤هـ

مئذنة المسجد الجامع ـ (الاموى) ـ دمشق (٧٠٥م ـ ٨٦هـ)
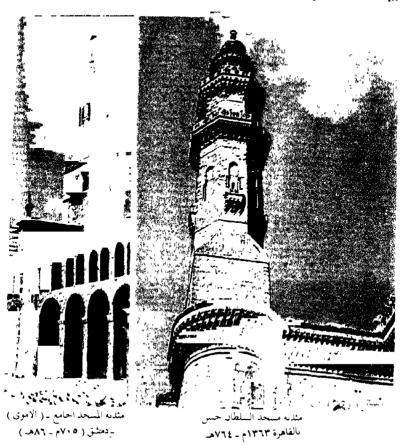
مآذن فلسطين والشام والجزيرة

في فلسطين لم يكن هناك طراز خاص في بناء المآذن ، وكان التأثر بالأساليب المصرية ظاهرا ، وداع بناء المئذنة المربعة ثم المثمنة الأضلاع على قاعدة مربعة . أما المسجد الأقصى فقد أصبح بصورته وحجمه الحاليين بأمر الخليفة المهدي العباسي ، وكانت بداياته ترجع الى عمر بن الخطاب الذي أمر باقامة مسجد في الحرم القدسي غير بعيد من موضع الصخرة التي بنيت عليها القبة .

أما المسجد الجامع (الأموي) بالشام فقد كان إنشاؤه في منطقة بها معبد وثني قديم ، كان له برج مربع في كل ركن من أركانه الأربعة ، وقد استعملها المسلمون للأذان ولاتزال احداها قائمة في الركن الجنوبي الغربي .

وكان المسجد قد أنشيء أيام معاوية بن أبي سفيان على أنقاض المعبد الروماني بعد أن كان قد تحول الى كنيسة . وانتفع المسلمون بالبناء وحولوه الى مسجد جامع . وبعد سنوات رفعوا فوق الأبراج ظلات خشبية تقوم على عمد يستظل بها المؤذنون عندما يرفعون الأذان . فلما جدد عبد الملك بن مروان منارة الجامع الأموي وأعطاه صورته الحالية جدد أيضا ظلات المآذن ولايزال بعضها باقيا حتى اليوم .

وتعتبر مآذن الجامع الأموي أول محاولة لإقامة المآذن في الشام . والبناء الحالي لمآذنه يعود الى العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية . والمئذنة الغربية فيه
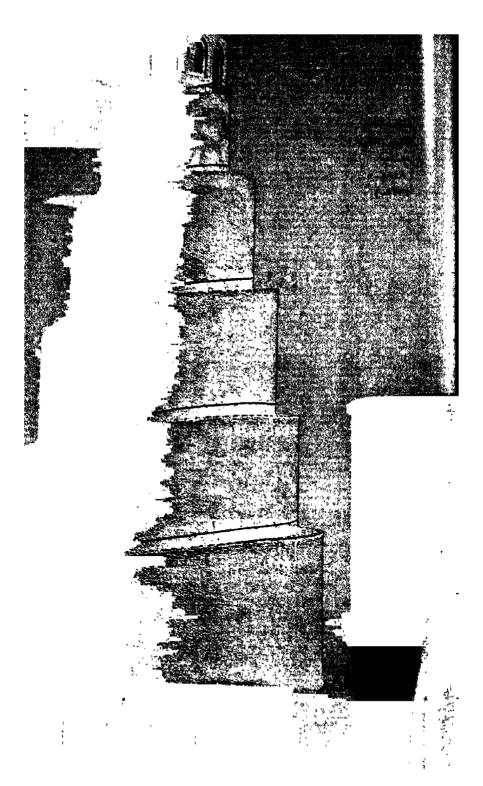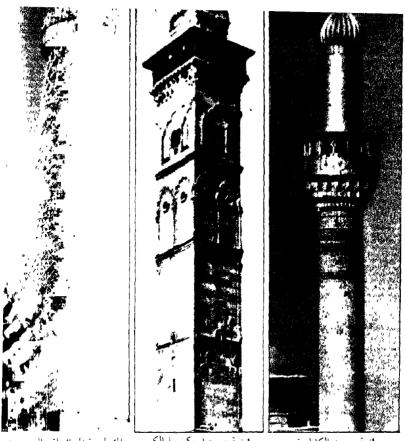
مئذنة مسجد الكاظمية ـ بغداد (ق١٥م ـ ق٩هـ)

مئذنة مسجد زكريا الكبير ـ حلب (١٠٩٠م ـ ٤٨٣هـ)

المئذنة المائلة ـ النورى الموصل (١١٧٢م ـ ٥٦٨هـ)

أحمل وارشق وقد بنيت رمن السلطان قايتباى

وأقدم منارة أقيمت فى بلاد الشام بخلاف أبراج المسجد الأموى ليست مئذنة ، وإنما هى منارة مازالت قائمة بين اطلال قصر الحير الشرقى ، وتم إنشاؤها حوالى ١١٠هـ/٧٢٩ م ،وهى عبارة عن برج مرتفع أنشىء فى وسط القصر ليدل عليه من بعيد وتشبه هذه المنارة فى دلك منارة (مجصة) التى ترجع الى نفس العصر الذى بنى فيه قصر أحيصر التاريخى المشهور وهى اسطوانية الهيئة مبنية بالآجر وكانت وظيفتها الأخرى الدلالة على القصر الذى يقوم فى منطقة صحراوية كثيرة التلال العالية التى تحجب القصر

وقد سارت مآذن الشام على خطة البدن المربع وظلت دائما على هيئة البرج ولهذا قل أن تصل الى ارتفاعات عالية وفى العادة تكون شرفة الأذان فوق البدن وتعلوها ظلة خشبية لتحمى المؤذن وتسمى الجوسق

وفى العراق وبلاد الجزيرة عرف المعماريون طرز مختلفة من المآذن ، فشيدوا مئذنة سامرا (الملوية) ومئذنة « أبو دلف » وقد طلتا مع منارة احمد بن طولون فى مصر فريدتين فى العمارة الاسلامية كما شيدوا أيضا المآذن المربعة والمثمنة والاسطوانية

والمسجد الجامع فى سامرا شيده المتوكل العباسى بين عامى ٢٣٤ و ٢٣٧هـ ومنارته (الملوية) حلزونية ترتفع فى الحو خمسين مترا فوق القاعدة المربعة

مئذنة مدرسة تشفت منار ـ الاناضول (١٢٧١م ـ ٦٧٠هـ)

مئذنة جامع شاهزاد ـ استانبول (١٥٤٨م ـ ٩٥٥هـ)

مئذنة جامع اوشيريفيلي ـ ادرنة (١٤٤٧م ـ ٨٥١هـ)

ومن المنارات المميزة أيضا منارة الجامع النورى فى الموصل ، وتمت عمارته الأولى حوالى ٥٤٣هـ (١١٤٨) م فى عهد نور الدين محمود الاتابكى

وهذه المنارة ماتزال قائمة حتى اليوم وتعرف فى الموصل باسم (الحدباء) ويزيد ارتفاعها على خمسين مترا وهى مشيدة بالآجر وتتألف من قاعدة مربعة

وبدن اسطوانى يضيق تدريجيا فينقص قطره من نحو ثلاثة أمتار فى البداية الى أكثر قليلا من مترين قبيل

القمة التى تشبه الخوذة . وهذه المئذنة غنية جدا بزخارفها الهندسية المؤلفة من اختلاف وضع الآجر

ويلحق ان بلاد الجزيرة عرفت أنواعا طريفة من المآذن من بينها منارة فى مدينة بطس بين حلب والرقة

امتازت بارتفاعها وبشكلها المثمن الأضلاع

ويلاحظ ان المآذن فى العراق والجانب الشرقى من عالم الاسلام يغلب عليها ان تكون القاعدة على شكل دائرى ، ويتبع ذلك أن تكون الشرفات العلوية

مستديرة أيضا وتعتمد هذه المآذن فى بنائها على قطع كبيرة من الحجر المنحوت ، وقد تحمل هذه الأحجار على هيئة فصوص من الخارج وكانوا يلجئون أحيانا

الى توسيع مساحة سطح البدن فى الشرفة الأولى بحرجات تؤيدها كوابيل وتعود المئذنة الى الارتفاع مرة أخرى فى صورة اسطوانية ملساء أو

مزينة بالنقوش ، وقد تنتهى المئذنة عند هذا الارتفاع الثانى بشرفة يعلوها جوسق يختم المئذنة من اعلى

مئذنة جامع شيللا ـ
الرباط (١٣١٠م ـ ٧١٠هـ)

مئذنة مسجد الكتيبية ـ
مراكش (١١٢٥م ـ ٥١٩هـ)

مئذنة جامع المصورة ـ
تلمسان (ق ١٤م ـ ق ٨هـ)

الأبراج ، وقد استعملت كثيرا لأغراض الدفاع العسكرية ، ولهذا فقد جعلت دائما عند الجدار المقابل لجدار القبلة أى فى مؤخرة المسجد ، ويكون الدخول اليها من داخل الصحن أو من خارج الجامع وهى فى العادة عبارة عن بدن ضخم يقوم عند منتصف جدار الصحن وقد يرتفع هذا البدن فى هيئة مستطيل ضخم يصل ارتفاعه الى ما يزيد على عشرين مترا أحيانا ويبنى داخل هذا البدن بدن آخر ، أصغر منه ، ويكون السلم أو الدرج المنحدر بين البدنين ، حتى اذا وصلنا الى الشرفة الأولى يرتفع البدن الداخلى وحده بجدارين واحد منهما داخل الآخر ، وهما يحصران بينهما السلم حتى سطح الشرفة الثانية ثم يرتفع الجدار الداخلى وحده حتى تصل المئذنة الى أقصى ارتفاعها ونظرا للارتفاع الشاهق للبدن الأصلى فإنهم كانوا يقسمونه فى العادة الى أدوار ينتهى كل دور ببسطة تدور مع البناء وتفتح فيها النوافذ ثم يعود السلم أو الدرج الى الارتفاع مرة أخرى وهكذا

وفى بعض مساجد المغربين الأوسط والأقصى يغطى بدن الصومعة بمربعات القاشانى الزخرفى ، مما يكسب الصومعة كلها منظرا فريدا ، كما نرى فى صومعة مسجد القرويين ومسجد فاس فى نفس المدينة

فى جامع القرويين بنيت المئذنة التى مازالت تستوقف الأنظار بارتفاعها الشامخ وخطوطها الهندسية الرائعة ، وقد أعيد بناؤها عند توسعة المسجد عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م ، فأصبح كل ضلع من أضلاع قاعدتها خمسة أمتار وارتفعت فى الجو عشرين مترا ، وكسيت بالقاشانى وزين رأسها بتفاحات صغيرة موشاة بالذهب وعلى الرغم من أن المئذنة يضيق اتساعها بعد الشرفة الأولى إلا أن السلم الداخلى يتصل حتى قرب قمتها وقد أعيد العمل فى هذه المئذنة الجميلة عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م فأتقنت كسوتها ونوافذها وكسيت بالجص والقاشانى وزينت شرفاتها بشرفات على هيئة الأهرام وأقيمت على رأسها قبة صغيرة وهكذا اتحدت هذه المئذنة شكلها واستقامت مشرفة على فاس من علو شاهق بعد ان صقلت حتى أصبحت كالمرآة

أما جامع الكتيبية فى مراكش فمئذنته هى أجمل ما يتميز به وهى دون شك أروع مآذن المساجد الباقية فارتفاعها فى الجو يصل الى ٦٧ مترا ومركزها أو قاعدتها بناء ضخم من ستة طوابق فيها

مئذنة مسجد الزيتونة ـ
تونس (٩٩٠م ـ ٣٨٠هـ)

مئذنة المسجد الكبير ـ
صفاقس (ق٩م ـ ق٤هـ)

برج خير الدا ـ الجامع الكبير
الاندلس (١١٧٢م ـ ٥٦٨هـ)

عرف كثيرة ، حتى اذا وصلنا الى شرفة الأذان انطلقت بقية المئذنة مستقيمة فى الجو كأنها سهم مارق الى السماء ، وجدرانها كلها مغطاة بأفارير متوالية من الزخارف والنوافذ ذات عقود من كل صنف

وهذه النوافذ منسقة على هيئة تتمشى مع السلم الداخلى الذى يصل الى أعلى هذه المئذنة السامقة

لم يتأثر الطراز المغربى بغيره من الطرز الاسلامية تأثرا كبيرا وكان تطوره بطيئا بالنسبة الى تطور سائر مآذن الطرز الاسلامية وكانت أهم المراكز الفنية فى هذا الطراز فى الاندلس بأشبيلية وغرناطة وقرطبة

وكانت المنارات تبنى فى معظم الأحيان من الآجر على شكل برج مربع تعلوه شرفات كأسنان المنشار ثم برج أصغر منه حجما وفى جوانب البرج أو المنارة صفوف من النوافذ ذات الحليات المعمارية الجميلة وكانت المنارة تشيد عادة فى وسط الجهة المقابلة لإيوان القبلة ولكنها كانت تقوم بجوار جدار المحراب فى جامع « تنمل »

ومئذنة مسجد اشبيلية الجامع (المسماة بالخير الدا) هى الباقية من ذلك المسجد تبلغ أدوارها حتى الشرفة الأولى ، وقد صنعت النوافذ فى هيئة زخرفية جميلة وغطيت المسافات بينها بهيئات نوافذ وأبواب صماء وعقود زخرفية جعلت من جدار البدن آية من آيات الابتكار الزخرفى وكان البدن الداخلى يرتفع بعد ذلك دون نوافذ نحو سبعة أمتار أخرى تنتهى بالشرفة الثانية ثم تختم المئذنة بجوسق تزينه من أعلى كرات مطلية بالذهب وقد تهدم ذلك الجزء الأعلى كله بعد أن تحولت الصومعة الى برج للنواقيس المسيحية وعوضت بجوسق حجرى يقوم على أعمدة رخامية تحمل النواقيس

وعلى هذا الطراز نجد بقية المآذن فى الأندلس

وكثير جدا من هذه المآذن التى ظلت تسمى بالصوامع مبنية بالآجر من الطوب المحروق أما صومعة مسجد قرطبة الجامع فكانت مبنية بالحجر على أسلوب يقارب مئذنة جامع اشبيلية .

ويتميز جامع قرطبة بأن مئذنته تقع في أقصى جدار الصحن وجعلت على هيئة برج ضخم ذي شرفتين للأذان ، ويصعد اليها بسلم من الداخل . وهذه المئذنة مازالت باقية حتى اليوم وإن كانت قد حولت أيضا الى برج للنواقيس

مئذنتا مدرسة شيفيت سيفاس - الاناضول ١٢٧١م - ٦٧٠هـ

جولة في الجناح الشرقي

وبعود الى مآذن الجناح الشرقي من العالم الاسلامي فمند القرن السادس الهجري (١٢ م) عمّ استعمال المآذن السلجوقية الاسطوانية الشكل الشاهقة الارتفاع وانتشرت في ايران خاصة وكان المؤدن يؤدن فوق سطح المسجد ولا يؤدن فوق المئذنة لارتفاعها العظيم

وكانت المآذن الاولى في إيران معظمها مثمن الشكل ثم علبت المآذن الاسطوانية مند القرن الخامس الهجري (١١ م) وأصبحت تحمل الزخارف الهندسية في الطوب المشيدة منه أو بكسوة من القاشاني وكانت المئذنة الايرانية دقيقة الطرف قليلا وتنتهي في أعلاها بردهة تقوم على دلايات أو مقرنصات وتكسبها شكل الفنار وقد أصبح لمعظم المساجد الايرانية منذ القرن ٩هـ (١٥ م) مئذنتان تحفان بالمدخل، وتختفي قاعدة كل منها خلفه إلا في بعض المساجد، فإنهما ظاهرتان وتزيدان المدخل ضخامة وارتفاعا

وفي آخر العصر السلجوقي كانت المآذن ذات ثلاثة أقسام يصغر كل قسم منها عن الذي بأسفله وكانت هذه المآذن تزين بنقوش من الآجر متكررة الوضع تغطي الجسم كله أحيانا أو تغطي مناطق منه ويستخدم الآجر في الكتابة عليها بصورة بارزة كما استعمل القاشاني في تزيين المآذن في آخر ذلك العصر ومن السمات البارزة في العهد السلجوقي أن القسم العلوي من المئذنة كان يطلى باللون العامق

وتختلف المآذن السلجوقية في إيران عن سائر المآذن الشامية والمصرية والمغربية في أنها لا طبقات لها ولا نوافذ فالمئذنة بناء شاهق مبني لذاته وليس فيها درجات تقود الى ردهات أو دورات يسير فيها المؤذن وفضلا عن ذلك فإن المئذنة الاسطوانية الشكل والشاهقة الارتفاع قد عمّ استعمالها في ايران، بينما ظلت المآذن في القسم الغربي من العالم الاسلامي موكولة الى ذوق الافراد، فكانوا يتصرفون في تشييدها بعض التصرف في حدود الطرز السائدة في كل إقليم

ومن أبرز المآذن في إيران مآذن «مسجدي شاه» في اصفهان وهو يعتبر مجموعة مبان في مبنى واحد

وبوابته تقوم على جانبيها مئذنتان تعتبران أثرا فنيا كاملا قائما بذاته، وهما مستديرتان تنتهي كل منهما بجوسق تعلوه اسطوانة وعمامة

والمسجد الجامع في شيراز يمتاز ببواباته البديعة المبنية بالحجر الرملي وهي مزينة بالقاشاني وتحف بكل منها مئذنتان قصيرتان لكل واحدة منها جوسق وعمامة

اما في آسيا الصغرى فقد بدأت المآذن على يد السلاجقة ايضا حيث قنع المعماريون الأول أن تكون المئذنة اسطوانية متوسطة الارتفاع هي البدن حيث الشرفة الاولى ثم يرتفع البناء مرة أخرى دون سلم خارجي حتى تصل المئذنة الى الارتفاع الذى يراه المعماري مناسبا لها ثم ينهيها بمخروط

أما بقية المآذن من الطراز السلجوقي بآسيا الصغرى فأغلبها مستدير ومنها ما هو مضلع ذو ستة

مئذنة المسجد الجامع ـ هيراط (ق١٥م ـ ق٩هـ)

مئذنة مدرسة شيردور ـ سمرقند (١٦٤٦م ـ ١٠٥٦هـ)

مئذنة مسجد الشاه ـ مشهد ـ ايران (ق١٥م ـ ق٩هـ)

أو ثمانية أضلاع ، ويتصل المعمارى في التضليع ، ولا يكون للمئذنة في معظم الأحيان الاشرفة أذان واحدة في نهايتها وكل المآذن من الحجر المنقوش بالزخارف أو من الآجر الزخرفى من ألوان متعددة وقد تزين وتغطى تماما بالخزف أو بمربعات القاشانى أو فسيفساء الخزف

وقد تطور الأسلوب السلجوقي في آسيا الصغرى على أيدي المعماريين العثمانيين حتى أصبحت المئذنة التركية أشبه بقلم رصاص مسنون أوسهم ذاهب الى السماء وفي أحيان كثيرة لم يكتف المعمارى بمئذنة واحدة بل أنشأ اثنتين على طرفى الواجهة ، مما أكسب المسجد العثمانى جمالا بديعا ، وأبرز الأمثلة مسجد السلطان بايزيد الثانى كما استعان المعماريون الاتراك بالقباب في إكمال الصورة الجمالية للمسجد

ومن المساجد العثمانية التى تشهد بتأثير المهندس المعمارى الشهير سنان في تطور العمارة العثمانية مسجد السلطان أحمد باستانبول وهو مثال طيب للمساجد العثمانية ومن أجمل مساجد الأستانة وأفخمها .

وللمسجد ست مآذن عالية ممشوقة ويقال ا السلطان أحمد كان يريد أن يبز مسجده « أيا صوفيا وكما سبق القول اضطر أن يأمر ببناء مئذنة سابعه للحرم المكى حين اعترض رجال الدين على اتخاذ ست مآذن لمسجده ، وهو ما لم يكن مسموحا به إلا للحرم المكى.

أما مسجد أيا صوفيا ، فبعد الفتح وتحويل الكنيسة الى جامع صلى فيه السلطان محمد الفاتح صلاة الجمعة ، أمر بتحويلها ، وبنى لها منارة خشبية في الزاوية الجنوبية ، ثم بعد مدة أزيلت المنارة الخشبية وشيدت محلها منارة رفيعة من القرميد ، وفي عهد السلطان بايزيد الثانى أضيفت اليها منارة من الحجر أما المنارتان الواقعتان في الغرب فإنهما قد بنيتا أيام السلطان سليم الثانى

وفي أدرنه يوجد جامع ذو ثلاث شرفات ، وله أربع منارات اثنتان منهم في زواياه الامامية والأخريان في زواياه الخلفية وهى ذوات شرفات مختلفات في العدد والمنارة ذات الشرفتين تسمى المنارة الماسية والمنارتان اللتان لكل واحدة منهم شرفتان تسميان بالمنارتين ذواتى الاحاديد الحلزونية

وأ ثالثة المنائر فهى ذات ثلاث شرفات وهى سبب تسمية الجامع (أوج شرفلى) أي الجامع ذى الثلاث شرفات

ومثل ذلك جامع السليمية في أدرنة وله أربع منارات من ذوات الثلاث شرفات ويبلغ ارتفاع الواحدة منها ٦٨ مترا

الطراز الهندى والمغولى

نشأ الطراز الهندى الاسلامي وقوامه الأساليب الفنية الهندية القديمة وما دخل عليها من أساليب فنية في العصر الاسلامى ولم تكن طرز المعابد الهندية القديمة وما يليها شرقا تعرف وسائل للنداء على الصلاة فكانت المئذنة عنصرا جديدا في عمارتها ولهذا اجتهد المعماريون المسلمون في ابتكار أساليب خاصة لبنائها ولأن المساجد الأولى في الهند كانت مجرد ساحات مسورة بأسوار عالية يقام فيها بيت صلاة وقبلة ومحراب ، ولأنها كانت تستخدم أيضا كحصون يحتمى بداخلها السلاطين والحراس فقد اتخذت المئذنة في الغالب شكل برج للحراسة والمراقبة

ومن أبرز أمثلة المآذن « قطب منار » في دلهى - ويرجع تاريخها الى عام ١١٩١ م - وهي ضمن مسجد « قوة الاسلام » وسميت بذلك الاسم نسبة الى قطب الدين ايبك اول سلاطين مماليك الهند وهي أشبه بنصب تذكارى رفيع الذرا ارتفاعه ٧٢ مترا وقطر قاعدته يزيد على ١٥ مترا ثم تضيق المئذنة في صعودها شيئا فشيئا حتى يصل قطر قمتها الى ثلاثة أمتار

والمئذنة مضلعة تبدو أضلاعها وكأنها أعمدة متلاصقة وللمنارة ثلاث شرفات للأذان تقوم كل شرفة منها على مقرنصات بالغة الجمال ، وهى أضخم مئذنة في عالم المساجد ، وقد كانت المنارة مكونة من سبع طبقات لكن الموجود منها الآن خمس فقط ، بنى كل منها أحد السلاطين وفي كل طابق نقش حول المنارة آيات من القرآن الكريم وبعض مكاتيب كل سلطان

والمنارة مقامة من الحجر الأحمر ولكنها تختلط في أعلاها بالمرمر مع الحجر الأحمر وكانت الطبقة السادسة ترتفع حوالى أربعة أمتار ولكنها سقطت بسبب زلزال عام ١٨٠٣ ثم أعيد بناؤها ، ولكنها أزيلت نهائيا خوفا من خطر سقوطها

وهناك نماذج بارزة في الهند مثل مسجد السلطان « اعتماد الدولة » بمآذنه المضلعة ، وضريح محمود عادل شاه في بشاور بمنارته العالية الطبقات

أما مسجد « فاتح بورسكرى » الذى أقامه شاهجهان ١٦٤٤م فله مئذنتان على طرفى واجهة المسجد التى تطل على الصحن ، وهذا في ذاته وضع غاية في الغرابة للمآذن والمئذنتان رفيعتا الذرا ترتفعان في الجو أكثر من أربعين مترا وتنتهى كل منهما بجوسق ثم عمامة بصلية الشكل

أما مآذن « تاج محل » فهى إحدى العجائب ، فالمبنى العام يأخذ شكل مصطبة واسعة مربعة ، أقيم البناء في وسطها وبقى حوله من جميع الجهات فضاء وفي كل زاوية من زوايا المصطبة الأربع قامت منارة عالية ارتفاع كل منها حوالى ستين مترا ومكسوة بالمرمر ومدهونة بخطوط متعرجة ثابتة ، المعجزة الهندسية في بناء المنارات الأربع أن كلا منها يميل الى الخارج من طرفه الأعلى بمسافة معينة والحكمة من ذلك أنه إذا حدث وتعرضت إحدى هذه المنارات للسقوط بسبب أي طارىء مثل الصواعق والزلازل أو عوامل التعرية والزمن ، فإن المنارة تسقط بعيدا عن مبنى الضريح !

المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفيتى

عندما نتجه الى مساجد مناطق ما وراء النهر والموجودة الآن في المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفيتى ، نجد أن طراز المآذن من الحجر المنقوش بالزخارف أو من الآجر الزخرفى من ألوان متعددة وتوجد نماذج بديعة في خط يبدأ من طشقند في التركستان ويمتد الى سمرقند وبخارى وشهريار فيما وراء النهر وفي بلخ وكابل وغزنة وهراة في أفغانستان

في مدرسة شيردار في سمرقند نجد الواجهة عبارة عن باب داخلى يرتفع عرضه أكثر من خمسة عشر مترا وعلى جانبى هذا الباب الداخلى مئذنتان طويلتان بطنتا بالقاشانى وقد قيل ان المئذنة التى تقع على اليمين كانت على وشك السقوط فأعادوا ترميمها كأثر تاريخى وأما المئذنة التى تقع على اليسار فتبدو وكأنها فصلت أو نترت من قاعدتها دون أن تتفتت أحزاؤها فربطت بالسلاسل القوية حتى لا تسقط ، وقيل انه كانت هناك مئذنة ثالثة اختفت الآن

أما مدرسة « أولوج » التى بناها أولوج بك سنة ١٤١٢م فلها أربع منارات دقيقة الصنع مبطنة بالقاشانى وقد دفن تيمورلنك في مقبرة هذه المدرسة

برج مسجد مسعود الثالث بغزنه
- افغانستان (١١٤١م - ٥٣٦هـ)

مئذنة قطب منار - دهلى
(١٢٠٠م - ٥٩٧هـ)
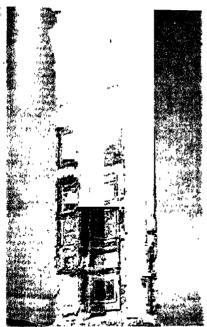
ومسجد الجمعة في بخارى شيد في القرن السادس عشر ، وتمت إقامة مسجد آخر مكانه هو القائم حتى الآن ويسمى مسجد كلبان ومئذنته المعروفة والقائمة حتى الوقت الحاضر يرتفع برجها فوق بنايات المدينة الاخرى . ويبلغ ارتفاعها ٤٦ مترا برغم أن جزءها السفلى مغروس في الارض بسبب ارتفاع مستوى الساحة المجاورة وقد زينت المئذنة من أسفلها حتى أعلاها برسوم بالطوب المزخرف بمهارة رائعة

وهناك مئذنة أنيقة في « وابكنه » اقيمت عام ١١٩٦ وهى قريبة من مئذنة كلبان بأسلوبها المعمارى

ويمتاز تصميم شكل المئذنة في « جرقوغان » بالاصالة . وقد أقيمت عام ١١٠٨ وهى تقع على مقربة من مدينة ترمذ وبرج المئذنة عبارة عن حزمة من ست عشرة مادة مربوطة في اعلاها بنطاق كتبت عليه الآيات القرآنية وكانت المئذنة أعلى مما هي عليه الآن بكثير ، ولكن القسم العلوى منها تلف ومع ذلك فإن المرء يمكنه أن يتصور أن أجزاءها الاصلية كانت في البداية متناسقة جدا ، اذا أخذ في الاعتبار تلك المظلة التى ترتفع بها المئذنة في السماء حتى في حالتها الحاضرة

في سمرقند نجد مسجد بيبي خانم وهو عبارة عن مجموعة منشآت تحيط بها أسوار على شكل مستطيل وبوابة المدخل الرئيسي للمسجد على جانبيها مئذنتان . وقد ارتفعت المآذن في أركان الأسوار التى تحيط بالمجموعة وتتصف بوابة المسجد والمئذنتان المثمنتا الاضلاع المجاورتان لها بكثرة مواد التزيين والزخارف وهى من رخام وأحجار منقوشة وفسيفساء التراببع وقد تخربت قبة المسجد الخارجية والجزء الأعلى للبوابة والمئذنتان بسبب زلزال عنيف عام ١٨٩٧م

وفي جمهورية اذربيجان بلغت الحياة مستوى عاليا من التطور . وقد حفز انتشار الاسلام على تشييد بنايات دينية جديدة من مساجد ومآذن وأضرحة وتعتبر مئذنة مسجد محمد في باكو (١٠٧٨م) من أقدم المنشآت الباقية سليمة حتى الآن وهذه المئذنة تسمى (سيق قلعة) وتعود المئذنة بأشكالها الهندسية إلى نماذج المآذن في مناطق أذربيجان الشمالية وقد شيد برج المئذنة الاسطوانى الحجر وفي قسمها العلوى يوجد مسطح دائرى بارز يحيط به حاجز حجرى مزين بزخرفة محددة هندسية الشكل ويبدو برج المئذنة الضخم الذى وحاجز الشرفة المطبق كأنه حصن دفاعى

مئذنه مسجد الدوله الكبير بالكويت (١٩٨٦ - ١٤٠٦هـ)

سجد الدولة في الكويت

قبل ان نمضي ، نلقي نظرة أخيرة على واحدة من
أحدث مآذن بلاد الاسلام . إنها مئذنة مسجد
الدولة بالكويت ، الذى افتتحه أمير الكويت الشيخ
جابر الاحمد الصباح في الأول من شوال ١٤٠٧هـ ٨
يونيو ١٩٨٦ في صلاة عيد الفطر . والمسجد مقام على
مساحة كلية تبلغ حوالى ٤٥ الف متر مربع ،
ومساحة رواقه الكبير حوالى ٥٣٠٠ متر مربع ، وهو
قطعة فنية رائعة يتحلى فيه الفن الاسلامي الأصيل
مئذنة المسجد أندلسية الطراز يبلغ ارتفاعها حوالى
اربعة وسبعين مترا من سطح الأرض ، وبداخلها
مصعد كهربائي يؤدى الى الشرفة المصلعة والمزينة
بنقوش جميلة وإضاءة بديعة . وشرفة المئذنة تتوسط
البدن الذى يرتفع القسم الثانى منه بشكل أصغر
نسبيا من القسم الاول أسفل الشرفة . وقمة البدن
يعلوها هلال بينما تتخلله نوافذ للتهوية والاضاءة
وزخارف بسيطة تعطيها رشاقة وجمالا . وتعطى
الاضا[ءة] الداخلية والخارجية للمسجد والمئذنة منظرا
رائعا [في] ساعات الليل

إن [هـ]ـذه المئذنة هى العليا بين كل مآذن مساجد
الكو[يت] القديمة والحديثة . وقد كانت المآذن ذات نمط
معم[ار]ى مميز ، رغم أنها كانت ذات بدن قصير
نسبيا ، مع تكامل عناصرها من البدن الى الشرفة
وحتى القمة الدائرية أو المدببة أو البصلية أو الكمثرية
المضلعة من الخارج في شكل فصوص طولية أو
ملساء ، ويعلو قمة المئذنة هلال من المعدن فوق عمود
معدنى قصير تربطه بعض الاشكال الكروية أو
الكمثرية . وهى كلها مآذن لمساجد مازال اكثرها
قائما حتى الآن

***

قال أبو الدرداء لابنه : يا بني ، ليكن المسجد
بيتك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « المساجد بيوت المتقين فمن يكن المسجد بيته
يضمن الله له الروح والرحمة والجوار على الصراط
الى الجنة »

وعن ابن عباس قال : المساجد بيوت الله تضيء
لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض

ولقد كان بناء المساجد من الضرورات الاساسية
لأى مجتمع اسلامى ، حيث يلتقى المسلمون ويؤدون
الصلوات معا في أوقاتها وينظمون شئون حياتهم
الدينية والاجتماعية ويتلقون الوعظ في أمور
دينهم . وكانت هذه الحاجة الوظيفية أساسا لأشد
الابتكارات العربية الاسلامية أصالة في اقامة بيوت
الله . وارتفاع مآذنها ليرتفع من فوقها نداء
المؤذن : الله اكبر . حي على الصلاة ☐

قصة قصيرة

□□□□□□□□□□□□

رائحة الأشياء

بقلم : محمد كمال محمد

فاضت مياه البحر منسرقة في عاصفة الليل ، وغطت الشوارع الرملية المشبعة بماء المطر ، وتدفقت في الطرقات المعبدة منتشرة في بحيرات تحاصر مداخل المدينة

وكنت أعبر النهر بالقارب من قريتنا المقابلة ، والصباح يخترق الأفق الأسود عبر البحر عند مصب النهر

كان الشارع الممتد حتى شاطىء البحر الشرقي خاليا كعادته في الشتاء . من بعيد كان صوت (حبْروبي) العجوز يشرخ السكون باللعنات ، وكان يقف في وسط الشارع بين أقفاصه وأرففه الخشبية التي جرفتها المياه من على رصيفها المقابل ، وحوله على مسافة كانت عشته البوصية التي سقط أحد جدرانها

علقت على كتفي علاقة كراساتي ، وخضت في المياه باتجاه (حبروبي) ، صاح بيَ وأنا أحمل معه الأرفف والأقفاص

ـ لا تعطل نفسك يا تلميذ ! اذهب الى مدرستك

وظللت ألقي بالقش المبلل خارج الأقفاص ، وأرصها فارغة إلى جوار العشة فوق بعضها ، وحبروبي ينظر إليها في أسف ، فسوف تبقى خالية أياما ، فلن يأتي من قريتنا ببضاعته حتى ت الأمطار ، وتعود الأرجل القليلة التي تقطع مدينة المصيف في الأيام الشتائية

ـ حملق في السماء السوداء وقال

ـ فاتت الأربعينية ، وبقيت التسعينية

ثم نظر إليَّ بامتنان ، وهمهم ونظرته تنحدر حذائي ذي الرقبة الطويلة ثم قال

ـ ينفعك في المطر هذا الحذاء ، وأكثركم يلبسه القرية ، فالوحل فيها حتى الركب

كان حبروبي يأتي من قريتنا ، تسبقه أقفا الخضر والفاكهة مع ولادة شمس الصبح ، لأحمله على مؤخرة القارب حتى الشاطىء المقابل ، وك يمشي متمهلا بخطواته الزاحفة ، ويحيط رأسه وكت بكيس قديم مفتوح الجانبين كأنه بابا (دولاب) ويدلي قدمه بحذائه العسكري الواسع من ف المرساة الخشبية ، فيحطها على مؤخرة القارب وتحول في الجالسين عيناه الضيقتان كثقب معتا ويومىء بذقنه للزراع مسلما ، وينحط منزلقا و أقفاصه ، بينما الصمت الغامض المألوف برائحته بلا اسم يلف القارب ، وخفيف الأنفاس مسمو السكون الموغل في عرض النهر

ـ ولد ، يا تلميذ ، هل ستجيء لتقيد

الحساب ؟ !

يخاطبني وأنا أنحني لأربط حبل القارب بوتد المرساة ، وينتصب واقفا ، ويخرج يديه من جيبي معطف الشرطة الأصفر الذي غاب لونه خلف طبقة دامه ، ويتطوح في القارب المتأرجح بحركة الأرجل المعطلة ، ثم يحمل قفصا يلقي به على خشبة المرساة ، وتتصادم ساقاه ببعضها فيدمدم بالشتائم ، ويعقد ذيل جلبابه الطويل مزمجرا

- ساعدني يا تلميذ !

وأنقل معه الأقفاص ، وأرصها بجانب فتحة السور الحجري ، فتنبسط ملامحه ، ويقول في موده

- لماذا لا أراك هنا كل يوم ؟

يرد الولد الذي يرافقني متنزها في القارب ، إني لا أشتغل في غير أيام الجمع والاجازات ، ويلتقط جبروني برتقالتين من القفص ، ويدفع بهما الى صدري كأنه يضربني بهما قائلا .

- ... ، سيعجبك !

يعـ ... ي الولد بعينه ، لأطلب له برتقالا ، بينما يطلق ... روني السباب على من يسميه الأحدب الذي يشتر... ـه بضاعته

- ... طي ، ولا أعرف كيف أحاسبه ، ستجيئني وأنت راجع من المدرسة ؟ سأنتظرك يا تلميذ !

ويلمح الولد وهو يختطف البرتقالتين من حجري ، فيلوي رقبته إليه ناهرا

- مسعور ، تلميذ مدارس أنت ؟ !

ويقذفنا بحزمة من الحرور الأصفر

* * *

كان يحتدم عصبه عندما يساومه أحدهم في الشراء

« جاحدون ، لا تساومون حين أجيء لكم بالأشياء ، من غيري يتعب نفسه بلا فائدة في هذه المدينة الخراب ، هل أكسب كثيرا منكم ؟ سوف ينتهي الشتاء ، وبعده لن أريكم وجهي ! »

ويدير ظهره الى أقفاصه ، ويجرجر من جانبها حجرا ، ويجلس عليه بعيدا ، ويدس يديه في حجره ، ويهز رأسه مطأطئا « سأعود الى بلدي »

في بداية الصيف كان يجيء رجال البلدية ، فيحملون أقفاص جبروني ليلقوا بها في مقلب القمامة ، ويخلوا مكانه أمام دكان البقالة المغلق في الشتاء ، فيروي خلف مبنى المطافيء متداريا بقفصين من الطماطم والبطاطا تحت شجرة قليلة الأغصان ، بينما يمتليء المصيف بالناس ، وتفتح الدكاكين التي تبيع كل الأشياء ، ولا يعود جبروني يرى الوجوه التي تشتري منه في الشتاء ، يوزع على جيرانه عساكر المطافيء درنات البطاطا وهو يخاطب نفسه مرددا « سأعود إلى بلدي ، لماذا أبقى ؟ سأعود إلى بلدي » ويظل هكذا حتى يجيء شتاء آخر

في الأيام المشمسة كان جبروني يسحب كيسه من عشته ، تاركا أقفاصه ، ليتربع على الرصيف المقابل ، مفترشا الكيس ، مسندا ظهره على باب المقهى المغلق ، ويمد ساقيه أمامه لدفء الشمس ، ويناديه أحدهم ليبتاع منه ، فيرخي جفنيه مخاطبا الأرض بصوت غليظ ، طالبا من هذا المشتري أن يزن لنفسه ما يريد من أشياء ، وأن يجيء له بالنقود ، ثم يرفع وجهه للشمس منتشيا ، ويقول .

« كنت أشتغل حمالا في معسكر الانجليز ، منذ زمن ، قبل أن يجيء أبوك إلى الدنيا . هل مات منذ زمن ؟ ولم يترك لكم شيئا ؟ لقد أخبرني بذلك صاحب السفينة التي تشتغل عنده . هل يعطيك نقودا كافية ؟ لا أظن ، فأهل قريتكم يحبون اكتناز الفلوس ، مع أنهم يكسبون كثيرا من البحر » .

ثم يصمت طويلا ، يمصمص شفتيه ثم يقول :

ـ « طالما كسبت أنا ، كنت أخرج (القرش) من فم العفريت ، وأخفيه بين حجرين » !

ويلف سيجارة ويبلل في بطء طرف ورقتها بلسانه الداكن ، ويحك ساقيه ، فتخشخش أظافره جلده بصوت مسموع ، ويقول :

« كنت في المعسكر ، أحمل كتلة من الخشب لا يقدر على حملها ثلاثة رجال ، كنت أترك كل شيء هناك ، وأتسلل إلى مكان مكشوف لأتشمس ، حينذاك كانت الدنيا لا تساوي شيئا عندي » .

كان يحكي لي كثيرا ، وكنت أقترب منه أكثر .

كانت الممرضة الانجليزية الجميلة تأتي إلى هناك ، بعد انتهاء نوبتها بخيمة المعسكر ، لتحادثه ، وتتأمل قعدته في دفء الشمس « لم يعد برد ولا مطر ، « أبدو ؟ » تناديه بعبده ، وتهز رأسها في أسف عندما يجيبها أن نوة الحسومات لم تأت بعد . وتقول له . جئت لشمسكم الدافئة أحتضنها يا عبده ، وأود عندما يعيدونني إلى بلادنا لو أسرقها منكم ، وأحملها معي « متى . أبدو . . تنتقل الشمس الصغرى ـ قلت هذا في الشتاء الماضي أبدو ـ متى تجيء الشمس الكبرى . أبدو ؟ » ، ويبتسم لعينيها الزرقاوين قائلا . تتعجلين الربيع سيدتي ؟ فتقول له : بلادكم الخضراء في الربيع ساحرة يا عبده ، ثم تفترش الرمال الساخنة بجواره ، وتقول . « أنت رياضي أبدو ؟ » ، فيقول لها لا أعرف الرياضة ، لقد ولدت ـ لا أدري ـ هكذا قويا ، وتتحسس بيدها الناعمة عضلات ذراعه ، فيهرب من هذه اللحظة ويثني ذراعه مطبقا على أصابعها الطرية متظاهرا بداعبها ، فتصرخ [illegible] متوحش ، [illegible] ثم [illegible] بابتسامة واسعة ، تكشف عن [illegible] أسنان كحبات الفحم » .

* * *

ثانية المرأة السمينة وهي تزن الفول الأخضر فحملق جيروني [illegible] ثم اتجه ناحيتها في قعدته من الرصيف المشمس ، وقام إليها مسرعا

كانت تجيء له من الريف ، بعد أن تشتري السمك الذي تبيعه الجمعية في الشارع المجاور أحيانا ، حين المشترين في الشتاء أقل زحاما ، وكان يزن لها الفاكهة والخضر ، ويرد إليها نقودها ، بعد أن تلقي بها وسط نقوده في قعر القفة المشروخ الذي يضمه بين الأقفاص .

كانا يتحادثان بابتسام ، وكانت تضع ما تأخذه من جيروني تحت ملاءتها ، وتستند بذراعيها على صدرها العريض ، فتبدو الأشياء كأنها جزء من جسدها السمين ، وتبقى كفيها فقط تطلان من تحت صدرها لتشير بهما وهي تتكلم .

كنت أقول لجيروني متسائلا لماذا تشتري المرأة منه ، وقريتنا تمتلىء بذات الأشياء ، فلا يرد وكانت تناديني باسم أبي ، وتوصيني وهي تحادثه مبتسمة بجيروني ، وكان جيروني يخبط كتفي [illegible] عينيه المتوهجتين كطرف سيجارة مشتعل ، ويقول

ـ اعمل بوصية أم ونس !

وترمي نظرته المبتسمة خلفها وهي تطرق (بشبشبها) على الأرض الرملية اليابسة في دلال ، ثم يقول .

ـ « كان في مثل سنك ، وكان يقرأ لي حكايات السندباد ، وكان يحلم بتلك البلاد البعيدة »

فقلت :

ـ هل مات ؟

ثم [illegible] التم للكلمة المسرعة ، وأطـ[illegible] [illegible] ، و (بربش) جيروني بعينيه ، ويجول

محملق في وجهي ، ثم قلت له إنها في موسم سيف تتكسب من غسل المفروشات في فنادق صيف ، وفي الشتاء تشتري (ملاءات اللف) من مدينة المجاورة ، وتبيعها لنساء قريتنا ، فلماذا سرقك ؟ !

فظل صامتا ثم قال

ـ طلبت منها أن تأخذ النقود لتشتري لنا نسيت سم ذلك الشيء !

هززت رأسي متنبها لكذبته ، ففكر كتفي بكوعه قال

ـ لا يهم !

وفي الصباح كان يلملم أشياءه الصغيرة ليحلي لعشة ، وألقى بقعر القلة الفارغ بين القش الأقفاص الخالية ، بعد أن أفرغها القروش في جيب معطفه المتآكل ، وقال

ـ سأبيع الفاكهة على طريق البحيرة هناك ، طلب بي ذلك لأكون قريبا من البيت

كنت قد جئت له بجلبابه (الطحيبي) الجديد من خياط قريتنا ، ففرده بين ذراعيه ، ومسحت عيناه العمشاوين في صدره ، يتأمله بإشراقة لونت تجاعيد وجهه ، وجلس على قفص ، وطرح الجلباب على ركبتيه ، يملس بيديه المشققتين على (قيطانه) البني ، ونظر محملقا في الفراغ وقال

ـ بقي أن أستحم قلت لي مرة

* * *

سرت الى العوامة الراسية في النهر ، وجبروني من حلفي ، لأسخن الماء له ، كي يستحم ، وكنت سرقت مفتاحها من صاحب السفينة (المعدية) التي كان يحرسها لصاحبها في الشتاء حتى يعود صاحبها في بداية الصيف

كان يهتز بوهن وهو يدعك عظام صدره البارزة ، ويغمغم في تمن قائلا

ـ ما أحلى عافية الصبا !

ويهمهم وأنا أقف عند نافذة الحمام أرقب الطريق

ـ ستزورني عندها دائما ؟

ثم قال بامتنان وتلدد وهو يصب على جسده الماء الساخن

ـ سوف أدعو لك

ثم قال بصوت مرتفع

لقد أخذت حماما منذ زمن في هذا النهر عندما جئت هنا ، كنت لا أعرف أن مياهه مالحة ، تأتيه من البحر ، ومنذ ذلك اليوم لم أنزل فيه

وملأ (الليفة) بالرغوة المعطرة ، ودس الصابونة في طياتها كأنه يحشوها ، وعاد يغرف الماء بالكوز من الصفيحة التي يرتفع بخارها كثيفا فوق الموقد ، ويضرب صدره بالماء ، فاتحا فمه في نشوة ، وضاما ركبتيه بتلدد

وابتعدت عن النافذة ، وانتزعت صوتي من حلقي قائلا

ـ كان عندها رجل ، إنه زوجها الجديد

فعلقت يده في الهواء وهي قابضة على (الليفة) ثم استدار نحوي بوجهه محملقا ، وهمهم في حشرجة

ـ زوجها ؟ متى !

فقلت له

ـ كانت معه أشياء ، أحضرها من سفره على المراكب ، ليغري بها المرأة التي يريد أن يتزوجها.

وانفرجت ركبتاه متأرجحتين ، وتصادمتا ، وأفلتت من يده (الليفة) ،وأسند رأسه إلى الحائط ، وانغلقت عيناه ، وتركت يده الكوز الفارغ ، وظلت كتفه متكئة على ماسورة المياه الباردة

وارتجفت أرض العوامة تحتنا ، بمرور سفينة يهدر محركها وهي تعبر بجانبنا متجهة إلى مدخل البحر

وفتح جبروني عينيه ، ومال بجسده ، ومن رأسه على الحائط وقال

ـ سأعود إلى بلدي

وهبطت ذراعه إلى جانبه

وانسلت من صدره آهة واهنة كالتثاؤب

في الأسواق

كتاب العربي

الخامس عشر

من أسرار الحياة والكون

بقلم: د. عبد المحسن صالح

كان الشعور بالاختلاف والتغير هو أول ما لفت نظري الى شهر رمضان. فبعد أحد عشر شهرا من الحياة العادية، يأتي هذا الشهر المبارك لتغير مواعيد الطعام والشراب والخروج من البيت والعودة اليه. وبالنسبة لنا نحن الاطفال في ذلك الوقت، كانت حياتنا أيضا تتغير مع كل ما يتغير من حولنا. ولذلك لم نجد صعوبة في صيام رمضان منذ الصغر، فقد كان كل أفراد العائلة الذين يكبروننا سنا يصومون رمضان وكان علينا لذلك أن نصوم حسب اقتدارنا وحسب أعمارنا، فبدأنا بصعود «درج الصخرة» أو «درج المئذنة» وهي تعبيرات استعملها أهلنا لتحديد أوقات الصيام، حتى الظهر أو العصر، لاشعارنا بأن هذه المراحل لابد أن يمر بها الصغار قبل وصولهم السن التي تسمح لهم بالصيام الكامل. وقد شد انتباهي في ذلك الوقت المبكر ارتباط درجات الصيام بدرجات الصخرة المقدسة التي ارتاحت منذ مئات السنين تحت قبتها القديمة العظيمة.

كنا نتحمس لصيام رمضان كثيرا، ولكن حماسنا الأكبر كان للسحور فقد كان الاستيقاظ ليلا لتناول وجبة السحور متعة ومغامرة ولذة وكسرا لروتين الحياة اليومية في باقي شهور السنة، وكذلك كنا كأطفال نحاول أن نتأخر في تناول السحور وكنا نوقت مواعيد الافطار والامساك حسب المدفع أو حسب ما نسمعه من المؤذن في جامع الشيخ جراح أو حسب إنارة المئذنة بالكهرباء وقت مدفع الافطار.

وكان صوت «المسحر» أو المسحراتي معلنا حلول موعد السحور متعة اضافية بالنسبة لنا نحن الاطفال لذلك كنا دائما نترقب مروره والاستئناس في وحشة الليل بصوته وصوت طبلته بايقاعها المنغم الجميل.

المسحراتي والثورة

كان «مسحراتي» الحارة هو الشيخ أدهم الذي تعودنا على مروره المنتظم في حارات القدس ضاربا طبلته ومرددا كلماته المعتادة التي أخذت نغما مميزا يتناسب مع ايقاع الطبلة الذي كان يشـ[illegible] سكون الليل

يا نايم وحد الدايم   يا نايمين وحدوا الله

يا عبادا الله وحدوا الله

وكثيرا ما سمعنا عن نشاطات أخرى للشيخ أدهم الذي كان يجيد تغيير صوته وسحنته أثناء الكلام. فقد كان له دور مهم في نقل الرسائل بين القيادات الوطنية الفلسطينية اثناء ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، وكذلك بين القيادات في الداخل وبعض القيادات التي هربت من بطش الانجليز الى دمشق وبيروت وبغداد. لكن لذلك قصة أخرى.

وكثيرا ما كان الارهاق يصيبنا من جراء الصوم خاصة عندما يصادف قدوم الشهر المبارك في فصل الصيف، وهو موعد امتحانات المدرسة، ومع ذلك كنا نصر على اكمال الصيام، متحملين الارهاق والتعب، وبالنسبة لي أنا وبعض زملائي ممن كانوا تلاميذ في مدرسة المطران بالقدس كان للصيام معنى آخر هو التحدي والتمسك بالهوية الوطنية، فقد كان في المدرسة عدد كبير من الطلاب اليهود. وكان اعلان الصيام بمثابة اعلان للهوية الوطنية بالنسبة لنا نحن العرب المسلمين. ومع ذلك فقد كان الاغراء بالافطار بالنسبة لنا كبيرا اذ كان لكل منا نحن الاطفال جيب خاص من القماش نربطه حول وسطنا فوق الملابس، نجمع فيه ما يتوفر لنا أثناء النهار من حلويات ومكسرات وفواكه، ونحتفظ بها حتى نأكلها بعد الافطار، لكنها كانت بالنسبة لنا عامل إغراء لايقاوم في بعض الأحيان.

لم يكن هناك أيام طفولتنا راديو أو تلفزيون وقليلون منا من كانوا يمتلكون ساعات، فكان توقيت الافطار يتوقف على مدفع رمضان الذي كان منصوبا في مقبرة «باب الساهرة»، أحد أبواب القدس القديمة، وهو مدفع تركي قديم يقوم على حدمته «طوبجي» عجوز كان يحشوه بالخرق والبارود ويطلقه حسب أوقات معينة مسجلة لديه. وقد جدد شباب هذا

ع في أواخر أيام الانتداب ، ولذلك كنا نقف
ح البيوت في انتظار سماع صوت المدفع ، أو
ع المؤذن من فوق مئذنة جامع الشيخ جراح
ان ذلك يتم غالبا بعد الذهاب الى السوق لشراء
المأكولات المرتبطة لدينا بقدوم رمضان مثل
ص الذي كنا نشتريه من « الحمصاني » ، حيث
الاطفال يذهبون اليه ومعهم الليمون الحامض
وم ، وأحيانا « الطحينة » ويعودون بأطباق
ص مزينة بالبهارات الحمراء وحبات الحمص
ل والفلفل الاخضر ، وفي الطريق الى المنزل
ا نشتري « الخروب » و « السوس » أو
رقسوس » و « التمر الهندي » من البلدة
ة ، حيث كان محل الحاج رشيد قليبو في مدخل
العامود أو بوابة دمشق كما يشار إليها في المراجع
بية وكاد الحاج رشيد يكشف عن براعة
ة في عرض بضاعته ، خاصة اذا صادف حلول
ان في فصل الصيف حينئذ كان يصف
ات العرقسوس والخروب المعرقة من شدة
ها فوق الواح الثلج ، أو في أوعية كبيرة مليئة
ج المكسر ، فتبدو منعشة رطبة لذيذة ولم يكن
ها للبيع الا قبيل الافطار بساعة فقط حتى تحتفظ
وبات بطعمها اللذيذ الطازج ونكهتها القوية
بالرغم من وجود الانتداب البريطاني ، ووجود
من اليهود في الاسواق نادرا ما كان هناك في
ارع من يجهر بافطاره ، حتى بعض العائلات
حية التي كانت تسكن بين المسلمين ، كانت تمتنع
لأكل والشرب في الأماكن العامة احتراما للشهر
يته لدى اخوتهم المسلمين

ر والحواية »

ا مضان في القدس في الثلاثينيات بهجته
ة خاصة في البلدة القديمة حيث الشوارع
ت « الأحواش » المظلمة و « القناطر »
د وحيث الدور المتلاصقة والأبواب الصغيرة
التي تعلوها النوافذ المغطاة بشبك الخشب - كانت هذه الشوارع مظلمة أو قليلة الانارة ليلا فكانت تضفي على أيام رمضان روعة وهدوءا وطمأنينة تتناسب مع قدسية الشهر المبارك .

وكان الاطفال ينتشرون ليلا في هذه الحارات والأزقة وهم يحملون الفوانيس الورقية الملونة ، وفي كل منها شمعة صغيرة تنير حيزا صغيرا من الظلام المحيط ، بينما كان البعض الآخر من الاطفال يستعملون فوانيس مصنوعة من البرتقال الكبير الحجم حيث كانت تقطع في قشوره فتحات على هيئة شبابيك أو أبواب صغيرة ، ثم يفرغ ما في داخل البرتقال من لب وتوضع داخلها شمعة فتصبح فانوسا جميلا ورخيصا ، وكان الاولاد الصغار يجتمعون في حلقات ثم يدورون على المنازل « للحواية » أي لجمع ما يتيسر لهم من سكان الحي وهم ينشدون لهذا كان يطلق على هؤلاء الأطفال اسم « الحواية » الذين كانوا يقسمون أنفسهم الى فريقين فريق ينشد سمير لينا فيرد عليه الفريق الآخر يوحيا

وكويسة يوحيا وعريسه يوحيا
مثل القمر يوحيا
ولا بدر يوحيا.
لولا سمير ما جينا
حلو الكيس واعطونا
اعطونا حلوانا
صحنين بقلاوة
جاى علينا جايه
نطرد الحواية

وطبعا ، فان سمير وام سمير ، وأبو سمير يقومون بتوزيع الحلوى كالبرازق والملبس أو غيرها من الحلويات على الأولاد الذين كانوا يجمعوها في كيس من قماش يحملونه معهم وبعد ذلك يقومون بتقاسمه ويستمر الأولاد في جولاتهم حتى ساعة متأخرة من الليل ، فالوالد عادة ما يكون خارج البيت اما للتعبد أو لقضاء سهرة رمضانية في احدى

المقاهي وهي فرصة لا تعوض للاطفال ليكتشفوا ليل القدس العابق برائحة التاريخ

كان الرجال يذهبون للتعبد في المسجد الاقصى ، أو تحت قبة الصخرة ، حيث كانت تنتشر الحلقات الدينية التي يقيمها عدد من رجال الدين للوعظ ولمناقشة أمور الدين والدنيا فقد كانت الأوضاع السياسية غير مستقرة مما جعل هذه الحلقات متنفسا لتزويد المواطنين بشحنات وطنية ضد الانتداب البريطاني وضد الحركة الصهيونية ومن واحدة من حلقات المساجد هذه خرج الشيخ الشهيد عز الدين القسام وغيره من رجال الدين الثوريين في فلسطين

وكانت هذه هي السلسلة الثانية من الحلقات فقد كان هناك حلقات دينية أخرى تتم في الأقصى يوميا ويقوم بالتدريس فيها عدد كبير من العلماء الأجلاء ـ وكان لكل واحد منهم يوم معين

ويبقى المواطنون يتدارسون بين صلاتي الظهر والعصر وبين صلاتي العصر والمغرب أي ساعة الافطار كان المقرئون يتلون الآيات القرانية بأصواتهم القوية الجميلة وبخلاف المقرئين المحليين كانت مصر ترسل ثلاثة مقرئين في كل رمضان ليرتلوا الآيات في الاقصى وأذكر من هؤلاء صديق المنشاوي و مصطفى اسماعيل والشيخ محمد عبد الباسط عبد الصمد الذي كان في أواخر عهد الانتداب مقرئا ناشئا

أما في الليل فيبقى هؤلاء لاداء صلاة التراويح التي كانت تستمر حتى ساعة متأخرة من الليل ، وبعض الناس كانوا يواصلون التعبد حتى صلاة الفجر وكثيرا ما كان يحضر الى القدس لقضاء العشر الأواخر من رمضان بجوار الأقصى المبارك ، مسلمون من أماكن بعيدة من فلسطين أو البلاد العربية الأخرى ، وبعض قناصل الدول الاسلامية في فلسطين وأذكر منهم الصادق المجددي (الأفغاني) الذي كان قنصلا لافغانستان في فلسطين والذي كان يواظب على الاعتكاف في الأقصى في أيام ... الأخيرة

« كراكوز ـ عواظ »

كان بعض الرجال يقضي سهراته الرمضانية ... المقاهي لسماع الشاعر الشعبي ، أو « الحكواتي » وهو يقرأ على السامعين قصص الزير سالم ، وتغر... بني هلال ، ومغامرات عنترة ، بأسلوب مش... جميل ، وبحركات تمثيلية تسهم في تكملة العر... المسرحي البسيط الذي كان يقدمه من على كرسـ... الذي وضع فوق طاولة ، ليشرف على الجميع ليلهب حماس الجمهور الذي كان يصل النقص... والخلاف بين أطرافه أحيانا حد التشابك بالأيدي

ومن أشهر المقاهي التي كانت تقدم هذا النوع ... الترفيه ـ مقهى الباسطى ، ومقهى زعترة ، ومقهى ... مى ، ومقهى صيام في مدخل باب العامود وكا... أشهر « الحكواتية » الشيخ صالح خميس

أما القسم الآخر فكان يذهب لمشاهدة « كراكوز عواظ » ، أو فن الفرجة المعروف باسم « خيال الظل وهو عبارة عن قطعة كبيرة من القماش الأبيض تسلط من خلفها قوية لتلقي ظلال الدمى الورقية على الشاشة البسيطة ويقوم بتحريك هذه الدمى شخصا... يحاولان تقليد صوتي كراكوز وعواظ اللذين يناقشا... مشاكلهما العائلية مثل ظلم الزوجة وغيرها من المشاكل وتستمر السهرة ساعات متأخرة من الليل ، ومن المقاهي التي كانت تعرض هذا النو... مقهى علون في باب حطة ومقهى الباشورة ... ومقهى باب المغاربة

مع اقتراب شهر رمضان من نهايته كانت ... جديدة من النشاط والحيوية تدب في شو... القدس ، فينشط باعة الحلوى ويعرضون الك... والبقلاوة والمشبك على « بسطات » صغيرة أعـ... لهذا الغرض . وكان أبناء القرى المجاورة للمد... يحضرون لشراء منتجات المدينة ، بعد أن ظلوا ...

العام سعو فيها منتجاتهم الزراعية ويظهر دور القدس كمركز تجاري الى جانب كونها حاضرة دينية مقدسة

وكان هؤلاء يصحبون أولادهم وبناتهم ليشتروا منه تجهيزات العيد من ملابس ولوازم أخرى ويختلطون بعائلات القدس الفقيرة الذين كانوا يصحبون أطفالهم لشراء الملابس الجديدة ، أو تعديل ملابس إخوتهم الكبار بحيث تناسب من هم أصغر سنا وحجما أو لاصلاح هذه الملابس والأحذية بعد لبسها من جديد في تلك المناسبة

ويختلط نساء القدس بالنساء القرويات بأنواعهن جملة يجبن الأسواق لشراء الأقمشة والحرير لخياطة ثياب جديدة أو لتعديل الفساتين والثياب القديمة

وأكثر الفئات نشاطا في أيام الاستعداد للعيد بعد النجار والخياطين وباعة الأحذية كان الحلاقون الذين كانت « صالوناتهم » تشهد اقبالا استثنائيا بحيث كانوا يسهرون حتى ساعة متأخرة من الليل قبل الانتهاء من قص شعور زبائنهم

وكان هذا الاقبال الكبير يشكل فرصة لبعض حلاقين المتجولين الذين كان بعضهم يحضر من خارج القدس يحمل كل منهم كرسيا أو « صفيحة » وعدة الحلاقة البسيطة وينصبها في الأسواق العامة وخاصة في باب العامود،وهو المدخل الرئيسي للمدينة القديمة ، أما المرآة فأمرها بسيط اذ يمكن للزبون أن يحملها بيده وينظر الى ما تصنعه يد الحلاق من حين وآخر

ولم تكن ساحة الحرم المترامية الأطراف مكانا للصلاة فحسب بل كانت مكانا للقاء أيضا،وكانت الساحة الخارجية الملاصقة لسور الحرم الشريف قرب باب حطة مكانا للاحتفالات الشعبية وفي الأيام الأخيرة من رمضان كانت الحياة تدب في هذه الساحة ويبدأ أصحاب المراجيح بنصب مراجيحهم والتهيئة للألعاب الأخرى ، ويتوافد باعة الحلوى والمخللات « والسيشات » ليستفيدوا من هذا التجمع الكبير

أطفال وباعة ومشترون في أسواق القدس القديمة

رمضان والاحتلال الأول

بقيت الأحوال هكذا حتى عام ١٩٤٨ ، وقيام الكيان الصهيوني فوق أكثر من نصف فلسطين ، حيث بدأت بعض ملامح رمضان القديمة تختفي تحت وطأة عوامل عدة والبهجة التي كان يثيرها شهر رمضان بدأت تخف تدريجيا وأثقلت الناس هموم القهر والشعور بالهزيمة والاحباط ، وتفرق شمل كثير من الأسر ، وعانت عائلات كثيرة من الاملاق والفقر نتيجة فقدان موارد رزقها أو بسبب سفر رب العائلة سعيا وراء الرزق

حتى الأطفال خف حماسهم وقل تجوالهم ، والحكواتية لم يعودوا الى مقاعدهم في المقاهي الا نادرا ، واختفى « كراكوز ـ عواظ » مع دخول الراديو ثم التلفزيون ولأسباب أخرى حتى الندوات الدينية قل عددها ودور المسحراتي فقد

الكثير من رونقه ، وفقد الكثير من حماسه وفقد بعضا من حرية حركته ، فقد قامت اعتراضات من بعض الفنادق والمؤسسات تشكو « ازعاجه » للنزلاء في منتصف الليل لذلك « انكمش » دور الشيخ أدهم ولم يعد يتجول إلا في مناطق محددة من القدس

وحتى حلقات الذكر التي كانت تقام في الجوامع تقلص عددها حتى كادت تتلاشى لم يعد أحد يعتمد على صوت المدفع ، فقد جاء الراديو ثم التلفزيون ليطغى على صوت المدفع وصوت المؤذن وهو ينادي من فوق المئذنة ولم يعد هناك حمص من « الحمصانية » ، فقد أصبحت كل عائلة تطحن حمصها بنفسها ، وبارت تجارة الحاج رشيد قليبو مع انتشار الثلاجات التي أصبحت تقوم بالتثليج والحفاظ على السوس والخروب أياما طويلة وهكذا فقدت شوارع القدس وحاراتها وأزقتها طابع الهدوء في ظل الانارة الخافتة وعلت الأصوات والجلبة والضوضاء ، ولكن هذا لم يمنع زحف المواطنين الى المسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة . فكانت ساحات الحرم القدسي تكتظ بالمصلين القادمين من كل أنحاء ما تبقى من فلسطين ومن الضفة الشرقية لنهر الأردن بحيث عوضت بعض ما فقدته القدس من طابع مميز خلال الشهر المبارك

القدس بلا حكواتي

وجاءت الضربة القاصمة حينما احتلت القوات الصهيونية باقي أرض فلسطين في ٥ يونيو(حزيران) ١٩٦٧ ، ودخلت القوات الغازية مدينة القدس ودنست المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة ، وهدمت حارة المغاربة وعددا آخر من البيوت والمساجد وعاثت قواتها فسادا في المدينة ، واكتظت شوارعها بالمستوطنين وجنود الاحتلال ومجنداته وبالسياح والمتسكعين ، فأفقدت المدينة المقدسة ما تمتعت به من هدوء وروعة وقدسية خلال القرون الماضية . وخفت صوت الأذان وتوقف الأطفال عن التجول في الشوارع والا[...] ، و[...] الفوانيس ، وأصيب كل شارع وحا[...] وحو[...] وقنطره وزقاق برذاذ من الارهاب الذي أ[...] الاحتلال

ولكن ، بالرغم من كل هذا القهر والاحباط بالرغم من كل ما يعانيه أبناء شعبنا ، فانهم باقون على العهد ـ عهد الأجداد الأوائل ـ الذين حافظوا على القدس عبر القرون الغابرة ـ صامدين يتحدو[ن] سلطات الاحتلال الصهيوني بعزيمتهم وحجارته[م] وخناجرهم ، وحيدين في بحر عربي واسلامي واسع

يتمسكون بأرضهم وبايمانهم وحقهم في الحياة الكريمة يقومون بعباداتهم رغما عن العدو ، ويؤمون المسجد الأقصى ـ الذي حاول الصهاينة احراقه واقتحامه عدة مرات ـ باعداد متزايدة ويقيمون صلاة الجمعة وخاصة في رمضان بشكل تشهد البلاد له مثيلا بحيث يغطي المصلون ساحات الحرم الواسعة وخارجها وكأنهم يقولون للعدو الصهيوني ـ هانحن منغرسون في أرضنا وباقون فيها الى الأبد أما أنتم فطارئون عليها

لقد عبر الشاعر الياس قنصل عن المأساة بقوله

سيذكر العار أن العرب دمرهم
يوم الكريهة مجهول ومردوا[...]
وليس يبرأ من اثم الهوى أحد
فكلنا عن ضياع القدس مسؤو[ل]

كلنا مسؤول عن ضياع القدس ، ولذلك علي[نا] أن نكون مسؤولين عن تحريرها وعودتها الى أصالتها وقدسيتها وروعتها ، وعودة المؤذن ليرتفع صو[ته] عاليا ، وعودة ليالي رمضان وصلاة التـ[ـر]اويح والمسحراتي وعودة الأولاد « الحواية » الى ا[لـ]ـحوار[ي] عبر المدنسة ، وعودة « الحكواتي » ليروي تـ[ـاريخ] فلسطين وعودتهم الى أرض الوطن ولنر[...] ونحن نستمع الى « مدفع » رمضان وهو يطلق [...] احتفالا بالتحرير والعودة والنصر

وجهاً لوجه

عبدالوهاب البيّاتي و د. جليل العطية

■ كتبت القصيدة الأولى في درس الرسم ! ■ لغز دار المعلمين العالية ؤ بغداد ! ■ حصاد طوافي فى العالم شعر لا غير ! ■ الإبداع ليس حكر على لون أدبي أو فني ■ المرأة واقع ، ورمز ومثل أعلى . ■ أرشي نجيب محفوظ لجائزة نوبل ، لأنه مخلص ومبدع وأمين . ■ قصيدتي تول « من قبل أن تولد » !

عبد الوهاب البياتي لا يحتاج الى بطاقة تعريف ، إنه شاعر الفقر والثورة ... هموم الإنسان وعذاباته منذ أن وعى وجوده ، وطوف في الآفاق ، وأبحر في أساطير الشرق ، ثم ألقى عصا الترحال في مدريد ليتنفس عبير رائحة الأندلس .

في مقهى باريسي يطل على كنيسة عتيقة ـ كانت آخر معاقل ثوار « كومونة باريس » التاريخية ـ وفي حفل سري أطفأ البياتي ستين شمعة من عمره المكدود ، فقد دب هذا الشاعر على كوكبنا الحزين ، ودرج مدة ستين عاما ، أربعون عاما منها كتب فيها الشعر للناس ، وعى للحرية

فما هو حصاد كل هذه الرحلة ؟

يجيب عن هذا السؤال البياتي في حوار أجراه معه بهذه المناسبة الدكتور خليل العطية .

* في حياة كل إنسان نقطة تغيير مجرى حياته ، فما هي ؟ ومتى تم ذلك ؟

ـ التحول الكبير في حياتي هو عالم الكتب !

كنت في الخامسة عشرة ـ والمفكرة تشير الى سنة ١٩٤٠ ـ وكان العالم يغرق في تنور الحرب عندما وجدت في الكتب الدينية والكتابات الرومانسية مفاتيح أبواب بعض الواحات التي كانت تنتظرني ، ولكن كنت أمر بها عجولا ، وقد توقفت قليلا عند جبران ، ثم تنقلت بين الكتّاب واحدا فواحدا ، كالعقاد والمنفلوطي ، وطه حسين ، وكان كل واحد منهم يظللني رمنا قصيرا تحت خيمته ، لكن سرعان ما أشعر بالاختناق فأغير ، وهكذا

القصيدة الأولى

* قصيدتك الأولى ماذا تتذكر منها ؟

ـ في أحد أيام عام ١٩٤٢ كتبت قصيدة في درس الرسم ، وكنت طالبا في الإعدادية المركزية ببغداد ، وكان مدرس الرسم آنذاك الفنان عطا صبري ، وعندما بدأ يفتش دفاتر الرسم وجد أني لم أرسم شيئا ، بل كتبت قصيدة في الورقة البيضاء ، وعندما قرأها سألني باستغراب : هل كتبت هذه القصيدة ؟

وحين تأكد أنها لي راح يتحدث عنها بإعجاب تاركا دفاتر الطلاب ، وموضوع الرسم جانبا ، لكن حديث الأستاذ لم يفرحني قط ، بل لقد شعرت بالغصة والعذاب ، لأن القصيدة لم تعجبني ، ولما عرضتها على مدرس اللغة العربية الاستاذ الراحل صادق الملائكة ، والد الشاعرة نازك الملائكة فأعجب بها وطلب مني أن أتركها معه ، ثم جاء اليوم التالي ، وقرأ القصيدة أمام الطلاب بإعجاب وعندما انتهى من قراءتها قال : إن هذه القصيدة من نظم عبد الوهاب أحمد ، فشعرت بالخجل الشديد وتواريت وراء الكتاب الذي كان أمامي

وبعد أيام ظهرت القصيدة نفسها في (صحيفة الحائط) الخاصة بالمدرسة ، فقرأها معظم الطلاب وصرت معروفا بينهم لكثرة ثناء المدرسين على موهبتي الشعرية المبكرة

العلاقة مع السياب

* ارتبط اسمك باسم السياب ـ فمتى تعرفت عليه ؟ وما هي انطباعاتك عنه

ـ في اليوم الأول لدخولي دار المعلمين العالية ـ كلية التربية فيما بعد ـ ببغداد التقيت ببدر شاكر السياب

الحديقة . وكان ذلك فى خريف عام ١٩٤٤م ، وكان لقاؤنا مجرد صدفة ، بادرني السياب بالسلام مقدما الى نفسه . وكان معروفا فى الوسط الطلابى ببغداد ، حيث كان يلقي بعضا من قصائده الوطنية والسياسية فى الاحتفالات والتظاهرات الطلابية

فى ذلك اليوم بدأت صداقتنا ، وأصبحنا نلتقي كل صباح ، فنجلس قرب بائع الشاي الذى يحتل احدى الغرف الصغيرة فى الكلية ، وغالبا ما كان حديثنا يمتد فيبتلع الدرس الأول كله

كان كل واحد منا يقرأ قصائده للآخر ، وكان هو يشعر بتفوقه على ، لأنه معروف أكثر مني ، لكني لم أكن أشعر بالغيرة على الإطلاق ، لأنني أحس فى أعماقي أنني أعد نفسي لسنوات طويلة قادمة ، أي أن روحي كانت تسكن فى المستقبل كما نشترى بعض الكتب بنقودنا القليلة ، أو نستعير بعضها أحيانا من الأصدقاء ، أو من مكتبة الدار ، وأبدأ أنا بقراءتها أو يبدأ هو ، وكان النقاش يدور بيننا حول ما ينشر من قصائد وأشعار ، سواء فى الصحف العراقية ، أو العربية التى كانت تصدر فى تلك السنوات ، وبخاصة الأدبية منها

وقد لمست فيه منذ الدقائق الأولى ذلك الجموح الرومانسي العنيف ، إذ أن روحه كانت مسكونة بالسور الأبيض ، والطبيعة التى لم تدركها الشيخوخة ، وكان يحلم دائما بطبيعة غسلها المطر ، طبيعة أخرى غير التى نراها ونعيشها فى الواقع

واستمرت هذه الصداقة الى أن تخرج قبلى بسنة ، افترقنا ، ولم نلتق بعد ذلك إلا بالصدفة ، وقد رأيته فى بغداد بعد التخرج مرات ليست كثيرة ، وقد كنت فى مدينة وكان هو فى مدينة أخرى ، ورأيته مرة فى بيروت ، وكان المرض قد بدأ يدب فى جسده ، وكان عاطلا فى إحدى دور النشر ، ورأيته مرة أخرى فى دمشق فى أحد المقاهى ، وكان لقاء عابرا أيضا ، وغادرت دمشق بعد ساعات من ذلك اللقاء

يتصور كثيرون أن هناك خلافات حادة بيننا ، لقد كان هناك خلافات ، لكنها لم تكن قط خلافات شخصية ، بل كانت خلافات بين اتجاهين

دار المعلمين

* لدار المعلمين العالية ببغداد نصيب وافر فى رفد الثقافة العربية بأسماء لامعة ، مثل نازك الملائكة ، وسليمان العيسى ، وشاذل طاقة ، وغيرهم وكنت مع السياب فى طليعة المجموعة - فما سر تلك الدار ؟

- لا أدري ، أحيانا تتجمع الجداول الصغيرة أو الأنهار الصغيرة فتكون نهرا كبيرا ، وذلك النهر الكبير هو دار المعلمين العالية ، فقد كانت مجمعا بشريا ، وكان الذين يدرسون فيها يأتون من جميع أنحاء العراق ، من القرى ، ومن المدن البعيدة والقريبة ، ومن شمال العراق ، ومن جنوبه ، ومن وسطه ، بل ومن بعض الأقطار العربية ، كما أن الأساتذة الذين كانوا يدرسون فيها فى تلك السنوات من خيرة الأدباء والكتاب الذين اشتهروا فى تلك السنوات على مستوى العراق والوطن العربي ، وكانت هناك حركة ، وهناك نار تشتعل ، ومن خلال اشتعال هذه النار البطيئة ، أو السريعة أحيانا ، كانت تظهر بعض المواهب التى ذكرتها ، وهناك أسماء أخرى كثيرة غير ما ذكرت

وكانت دار المعلمين العالية بؤرة صراع بين عالم يموت وعالم لم يولد بعد ، وكان الشاعر الذى يريد أن ينطلق خلافا للتقاليد الأدبية والشعرية فى ذلك الوقت يشعر أن العالم الذى يقابله عالم أشبه بالميت ، لكنه - أي الشاعر - هو الوحيد الذى لم يمت بعد

الشاعر والنحلة

* أنت مسافر ، وعاشق للسفر ، بل إنك تعتبر السفر قناعا للموت والميلاد ، فماذا خرجت من كل هذه الأسفار ؟

ـ تسألني عن حصاد هذه الأسفار وحوابي بعجز بيت سائر لأبي نواس ، يقول .

فإذا عصارة كل ذاك آثام !

ياصديقي عصارة كل ابحاري شعر يشبه النحلة التي تطوف بالبساتين والحدائق وتحلق بها وتطير ، وتحط على آلاف الزهور ، ذات العطور المختلفة ، والألوان المتباينة ، لكنها في النهاية تجني عسلا

لقد استفدت ـ طبعا ـ من جميع الشوارع التي مررت بها، ومن جميع الكتب التي قرأتها ، ومن جميع الأصدقاء الذين التقيت بهم ، فأحيانا قد ألتقي بصديق صدفة في شارع ، أو في مدينة من مدن العالم ، وقد يسلم على صديق ، أو يقول لي جملة بسيطة ، لكن هذه الجملة البسيطة لا تلبث أن تتحول الى قصيدة شعرية ، ربما يحدث ذلك بعد يوم واحد ، وربما بعد عشرين سنة !

هكذا هي نفس الشاعر ، تتجمع فيها الغيوم والأحزان والدخان والكلمات والذكريات والعطور والألوان والموسيقا ، وتتحد في بوتقة واحدة ، وتتحول الى قصائد .

وفي النهاية يبقى الألم الإنساني هو المحرك ، وهو الدافع في كل هذه المدن التي مررت بها ، فقد رأيت بشرا يتعذبون ، ويضحكون ، ويتألمون ، ويسيرون في طريقهم ، وكنت أتوقف أحيانا في هذا الشارع أو ذاك عندما أجد إنسانا غريبا ، يجري مسرعا ، وكنت أود أن استوقف هذا المسرع في مشيه وأسأله الى أين أنت ذاهب ؟ وكنت أجيب أحيانا قبل أن يجيب هو عن سؤالي ، لأنه لا يدري !

وتلك هي حيرة البشر ، وعذابهم في مسيرتهم الكبرى نحو المستقبل ونحو اليوم التالي ، فحركتهم ـ داخلية كانت أو خارجية ـ ورحلاتهم ، وهجراتهم مع الأبجدية والحروف والكلمات هي التي كانت تحركني ، فلم أكن مسافرا « سائحا » ، يبحث عن المتعة ، بل كنت مسافرا أبحث عن الحقيقة ، وعن النور ، مثلي مثل السندباد الذي كان يخرج في أسفار بعيدة بحثا عن الكنز ، لكنه اكتشف في نهاية عمره أن الكنز مدفون فيه ، أو تحت عتبة داره !

قصيدة النثر

* قصيدة النثر صيحة ، مايزال بعضهم يصر على أنها لون شعري ـ فما رأيك ؟

ـ لست ضد الألوان الأدبية ، إنما ضد اللونين واللاّشعر واللاّشعر ، فعندما يكون الإنسان مبدعا فإنه يبدع بأي لون من الألوان ، وله الحرية المطلقة في ذلك ، لكن بعض الشعراء العموديين يتحدثون عن قضية الشكل ، وتفصيل هذا الشكل أو ذاك ، علما بأن الإبداع ليس حكرا على لون ، بل هو مرتبط بمبدعه ، الإنسان المبدع يكون مبدعا ، حتى عندما يصرخ أو يبتسم أو يقول لا ، وهناك فرق بين صرخة هذا المبدع وصرخة من ليس كذلك

* المرأة ماذا تعني عندك ؟

ـ هي عنصر أساسي ومهم ، إنها قوة من قوى الإبداع في شعري ، وأنا لا أتوجه إليها مباشرة في شعري ، بل اتخذت من حبها وسيلة وغاية ، للوصول الى وسائل وغايات أبعد منها ، فأنا منها وإليها ، وهي واقع ورمز ومثل أعلى ولا أفصل في شعري بين هذا الواقع والرمز والمثل الأعلى

ولادة القصيدة

* لكل شاعر طقوس معينة في كتابة أشعاره، فهل لنا أن نعرف كيف تكتب قصيدتك ؟ وكيف يهبط عليك الإلهام الشعري ؟

ـ تخطيط القصيدة يتم في مخيلتي بصمت ، فأنا أكتب قصائدي على الورق ، بل أكتبها ابتداء في ذاكرتي ، وأمحو وأضيف وهي في ذاكرتي أيضا وبعد أن أنتهي من كتابتها في الذاكرة أضعها على

الورق ، أي أن ماهية القصيدة في ذهني ووجودها يأتيان مرة واحدة متداخلين متحدين ، دون أن يكون لأحدهما سبق على الآخر ، وقد أكتب بعض قصائدي ثم أكتشف ماهيتها أو ملامحها ، فهي كما يقول المتصوفة « تولد قبل أن تولد » ، وعندما تولد تكون مكتملة ، وتكون ماهيتها متناسقة ، بحيث أشعر أني لا أستطيع إضافة أي شيء إليها أو حذف أي شيء منها ، وكل ما أقوم به بعد كتابة القصيدة هو أني أتوقف أحيانا عند كلمة أو تعبير ، هنا أو هناك ، فأشعر مثلا أن هذه الكلمة قلقة في مكانها ، مثل شعور المهندس المعماري بوجود حجر غير مستقر في مبنى كاتدرائية « كبيرة » مكتمل البناء ، فأرفع هذه الكلمة ، وأضع كلمة ملائمة مكانها ، بحيث لا تلبث أن تصبح هذه الكلمة جزءا عضويا في بناء القصيدة الكلي ، أما عن العبارات أو الجمل الشعرية فقد أتوقف أحيانا عند هذه الجملة أو تلك ، فأرى مثلا أن هذه الجملة ناقصة التكوين ، وعلي أن أضيف إليها بعض الكلمات ، لكي تكتمل ملامحها ، أو أرى أن الكلمات أكبر في المعنى أو الصورة التي تكتنز بها القصيدة ، أو أرى أن المعنى أو الصورة غير واضحين بالنسبة لقارىء لا أعرف من هو ، فأحاول إعادة صياغة مثل هذه الجمل الشعرية ، دون الإخلال بمكانها ، وبموقعها من السياق العضوي للقصيدة ، أي أنني أستبدل بها جملة شعرية أخرى ، أكثر نصوعا من الجملة الأولى ، دون أن تكون نقيضا لها .

أما متى تأتي لحظات الإلهام الصادقة فتلك قضية ، يصعب شرحها، لكنني أعتقد أن الوحدة بين ماهيتها ووجودها قبل كتابتها هي العلاقة الوحيدة التي يحسها الشاعر .

هل هو زمن الرواية ؟

* يقال إن عصر الشعر قد انقرض ، وبدأ زمن الرواية ، فما رأي البياتي ؟

ـ هذه مقولة لا يتحمل مسؤوليتها إلا قائلها ، لكنها قد تصبح عليه ، أو على أحد ما، أو على ظاهرة ما ، إذ ليس هناك مواسم للقصة أو للرواية ، إنما هناك متسع للإبداع في كل أنواع الفنون الأدبية في كل العصور ، وازدهار الرواية الأمريكية اللاتينية ـ على سبيل المثال ـ لم يمنع ازدهار الشعر هناك ، بل إنه ربما تفوق على هذه الرواية بكثير من نماذجه ، إذا لم نقل إنهما يسيران في خطين متوازيين ، ويتقدمان معا

أما الرواية العربية فأعتقد أنها حققت إنجازات مهمة ، لا تقل عن إنجازات الشعر ، وبخاصة الروايات التي لامست الإنسان العربي ، وكينونته ، واخترقتها بعيدا عن الظرفية المتغيرة ، ومن ذلك روايات نجيب محفوظ ، والطيب صالح ، ويحيى حقي ، وعبد الرحمن منيف ، وفؤاد التكرلي في روايته الوحيدة التي ترجمت مؤخرا الى الفرنسية ، ويتميز منيف بأن معظم رواياته تدور حول القضية التي تتوهج في داخله ، ولهذا فإنها صادقة فنيا وواقعيا ، وهذا الرأي ينطبق على أعمال بقية زملائه ، وهي أعمال ـ بالرغم من اختلاف الأزمنة والأمكنة والحيوات التي تتمحور حولها ـ تعتبر إشراقة مبشرة في أدبنا العربي ، بجانب أعمال نجيب محفوظ التي فتحت الطريق أما تطور الرواية العربية ، نظرا لتاريخه الطويل ، وإبداعاته التي حققها ، بدءا بالثلاثية ، ومرورا « بشلة الحرافيش » وإنني أرشح نجيب محفوظ لجائزة « نوبل » لأنه مخلص وأمين في الكتابة ، ولأنه من أكثر الأدباء العرب تعبيرا عن البيئة العربية ، ولأن انتاجه يرتبط بالأرض والإنسان ، كما أن بعض انتاج يوسف إدريس يؤهله لمثل هذا الترشيح . □

الصوم وحكمة تدبير الحياة

بقلم الدكتور محمد فتحي الدريني*

شُرع الصوم في الاسلام عبادةً روحيةً خالصة ، وعلى نقيض ماتقتضيه الفطرة الانسانية مادياً ، مما هو من لوازمها ، بل ومقوماتها حياةً وبقاءً وليس لهذه العبادة مظهر إيجابي يمكن الاستهداءُ به لادائها ، كما هو شأن سائر العبادات والشعائر ، لأن قوامها كف النفس عن مشتهياتها الحلال ، فكانت عبادة سرية بين العبد وربه ، تمثل سريتها عنصر المراقبة المستكن في ضمير المؤمن ، لله تعالى !

لانرى فيما ذهب إليه بعض المتفقهة في تفسير الحكمة الغائية للصوم ـ على أساس من فلسفة الجوع والحرمان ـ تعليلا كافيا ، لادراك الصلة التي تربط الصوم ـ بما هو مجاهدة نفسية واقعية ـ بالحياة الانسانية ، يدبر أمرها ، بما يصلها بالمعنى الحق الذي يتفهم الصائم من خلاله كنه بشريته تجاه مقام الألوهية ، فيؤدي به ذلك إلى تجرد روحي ، يستشعر معه سلطان الله تعالى على نفسه ، بما يغرس خشية الله في قلبه

فليس التجويع أو الحرمان ـ في حد ذاته ـ مما يورث خورا في الجسم ، وانهاكا للقوى مما يصح أن يعتبر ـ في الشرع الحنيف ـ غرضا مقصودا لله تعالى أصالة ، لأن هذا بالعقوبة أشبه منه بالعبادة وماعهد في شرعة الاسلام أن تقام العبادات المحضة المفروضة على معنى العقوبات ، غاية ومقصدا

صحيح أن الجوع يورث وهنا في الجسم ، نتيجة أو أثراً لازما لانقطاع مصادر الغذاء عنه في فترات متتالية تستغرق شهرا كاملا ، لكن هذا معنى تبع

* عميد كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

ـ بشري ـ لايرقى إلى مستوى الحكمة الالهية المقصودة أصالة من هذه العبادة الروحية الخالصة، مما يستشفها الباحث مما ورد في آية الصوم نفسها، موصولة بالتقوى في معناها الكلي الذهني المجرد، الأمر الذي يستوحب أن تفسر موصولة بالهدى القرآني نفسه، وهدفه العام، إذ لا نجد جزئية في هذا التشريع ـ حكما أو مقصدا

ولاتنحصر هذه «الحكمة» أيضا فيما يردده بعضهم من تقوية الارادة، وقوة الاحتمال والمجالدة، وإشعار ذوي اليسار بوطأة الحرمان، ومرارته على النفس في تجربة عملية واقعية، بحملهم ذلك على تقدير ما يعانيه الفقراء المكدودون، إذ لو كان الأمر كذلك، لكان تشريع الصوم خاصا بهم، لانحصار هذه الحكمة فيهم، وليس الأمر كذلك بالبداهة، بل هو تشريع عام، قد كتب علينا، كما كتب على الذين من قبلنا، لوحدة النفس البشرية، ووحدة مايستهدفه من مقصد عام تدبر به أمرها في حياتها، وأحيالها المتعاقبة

وبيان ذلك أن الصوم شرع لاشعار الانسان بشرية كيانه التي تتسم بالحاجة الصارعة إلى الطعام والشراب، ومن لوازمها الفناء، نجد هذا بيِّنا في تأكيد القرآن الكريم على بشرية الرسل، كي لا يتخذوا آلهة من دون الله، في مثل قوله تعالى «ما المسيح ابن مريم إلا رسول، قد خلت من قبله الرسل، وأمه صدِّيقة، كانا يأكلان الطعام»، وليس هذا من لوازم الألوهية، لأنه ـ سبحانه ـ يُطعِم ولا يُطعَم، وأكد القرآن الكريم هذا المعنى في الرسل جميعا «وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام، وماكانوا خالدين»، فالطعام والشراب والـ[illegible]ماء، من لوازم البشرية، فجاء الصوم إيقاظا [illegible]ي الانسان لكنه بشريته، ليعرف قدره، فلا [illegible]علي على مقام الالوهية، ولا يظلم ولايطغى، [illegible]حكمة الغائية للصوم موصولة ـ كما ترى ـ بأصالة [illegible]حدة التوحيد، وما يستوحب ذلك من الايمان

بعقائد الاسلام، وبالقيم التي تنبع منها، وامتثال أمر الله تعالى في كل ماشرع، مما يتعلق بصلاح الفرد نفسه خاصة، وما يتعلق بالأمة، بل والمجتمع البشري عامة

ويؤكد هذا ويوضحه، أن مفهوم «التقوى» الذي أشار إليه القرآن الكريم، غاية للصوم، رجاء أن يحققها الصائم عملا فيما فصله القرآن الكريم من عناصرها، أو أن يعد نفسه إعدادا كافيا عن طريق الصوم للنهوض بها، كما يؤكد هذا ما رسمته الحياة الواقعية للرسول ﷺ في هذا الشهر المعظم، أقول إن مفهوم «التقوى» قد فصله القرآن الكريم، والسنة العملية المطهرة تفصيلا، بحيث يعتبر منهجا عمليا لتحقيق مفهومها الذهني المجرد، وقد فصله في آية البر، وآية والبر والتقوى ـ في هذه الآية الكريمة مفهومان كليان جامعان، متطابقان في مدلوليهما، لقوله تعالى «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة والكتاب، والنبيين، وآتى المال على حبه، ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء، وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»

مجاهدة النفس

أشار القرآن الكريم إلى أنه أنزل في شهر الصيام «هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان»

أما كونه هدى للبشر كافة فيشعر بأنه من اليسر والوضوح بحيث يسعهم أن يعقلوه، ويدركوا معانيه ومراميه، مصداقا لقوله تعالى، «ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مذَّكر»، وقوله عز شأنه «بلسان عربي مبين»، فالهدى معنى قريب مشترك فهمه بين الناس كافة

أما « البينات » فهي أدق وأخص معنى ، لأنها شواهد ودلائل إقناع ، تحمل في طياتها أصول برهان قضاياها ، وعناصرها عقلية تنهض بحقيقتها ، من دقيق المعاني الذي يتضمنه هذا الكلم الالهي المقتدر البليغ المعجز ، وهذا يفتقر ـ بلا ريب ـ إلى طاقات عقلية ، وفضل اجتهاد ، وبحث يقوم على التفكير المتعمق من أهله ، لتبينها واستبطانها ، وتمثلها ، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم في الجمع بين « العقل والوحي »

والصوم مجاهدة نفسية واقعية تؤول إلى تجرد روحي ، وتفتح عقلي ، وإشراق نفسي ، وقد اتخذه الله تعالى وسيلة فعالة لتمكين العقل والنفس من اجتلاء تلك « البينات » التي قوامها شواهد وأدلة إقناعية وتمثلها ـ مفهوما وغاية ـ تنهض بالحقائق الكبرى في هذا الوجود ، وعلى رأسها الايمان بالخالق البارىء جل وعلا ، وما يفيض عنها من القيم العليا ، والمثل الخالدة من الحق ، والعدل ، والحرية ، والمساواة في الاعتبار الانساني ، والرحمة ، والاحسان ، والفضل ، والتضحية والجهاد ، لتأصيلها وإعلائها ، والايثار وانكار الذات ، وغيرها مما يمثل في مجموعه مثلا عليا للانسان ، ويعتبر « فرقانا » فاصلا بين الحق والباطل ، أوفيصلا حاسما بين عهود جاهليات قد زالت وانقضت ، وبين حياة إنسانية فضلى قد ابتدأت بنزول هذه النعمة الكبرى على البشر كافة « وبينات من الهدى والفرقان »

ولا مرية أن للظروف ـ ولا سيما الروحية الخالصة ـ تأثيراً بالغا على الملكات والقوى المعنوية في النفس الانسانية ، فالمشاعر ترهف وتتقد ، والنفس تصفو وتشرق ، والعقل يشحذ ويتفتح ، فينبرى للتفكير والامعان والتأمل ، ويغدو بصفاء النفس والروح ، ويصبح أقدر على اجتلاء أسرار هذا البيان الالهي المعجز ، وما كان يسهل عليه النفاذ إليها ـ حقيقة وغاية ـ لولا هذا الظرف المتجرد ، مما ينطلق فيه الروح من أغلال المادة وأوضارها ، ليحلق في أفق رحب من المعاني ، والحقائق ! والنفس فيتقوّى ، ويرقى إلى استشرافها ، ليقتدر على ما يوحه السعي لرعائب هذا الروح ، ويتخذ من الجسد مطية ذلولا لتحقيقها بحكم سلطانه عليه ، ولا ريب أن « قوة الروح » هي الكنز المعنوي للانسان ، به تتحقق إنسانيته ، أنى كان ، والصوم من أقوى روافده ، مما يمده من القوة التي يعلو بها عن المشتهيات المادية ، ومنازع الهوى ، وشره « الانانية » الرابضة في أعماق النفس البشرية ، وليس هذا قولا منا نزعمه ، أو نتخيله ، أو نبدعه ، وإنما هو الواقع الحيوي الذي كان يحياه الرسول نفسه ـ ﷺ ـ في شهر الصيام خاصة وفي كل عام ، ليضرب للبشرية في أحقابها المتطاولة ، مثلا واقعيا حيا فيما يدبر الصوم من أمر الانسان تدبيرا يؤثر على كيانه ، جسداً وروحاً وعقلاً ونفساً وارادةً ، حيث كان ـ ﷺ ـ في شهر رمضان يهجر النوم إلا قليلا ، ويجتزىء بما يقيم الأود من الطعام ، ويرتقي الجبل « غار حراء » ليستعين بالصوم والتجرد ، على التفكير ، استجلاء للحقيقة الالهية العليا ، في هذا الجو الروحي النقي الخالص ، وكان ﷺ لايني ـ في هذا الشهر المعظم ـ يرسل الفكر عميقا أيضا في ملكوت السموات والأرض ، مما يثير فيه وعياً كونياً فضلاً عن وعيه الذاتي الاعتقادي ، تجاه مقام الألوهية ، حتى إذا أخذ منه التأمل والفكر كل مأخذ ، انعطف على العبادة خشوعا ، إعداداً للنفس ، وتهيئة لها ، لتبليغ الرسالة

معراج إلى الكمال

وليس رفع الانسان بالآيات إلا لكونها معراجه للارتقاء به إلى المستوى الانساني الفاضل ، وما نظن أن غير الاسلام قد خبر أبعاد الطبيعة البشرية كلها وقدرها ثم أقامها ـ على ضوء من حقيقتها الكاملة ـ في مثل هذا المقام الرفيع ، نأيا بالانسان عن مصادر الذلة وأسباب الهوان ، وهو ماعبر عنه القرآن

الكريم . بالاخلاد إلى الأرض ، واتباع الهوى ،
على أن الارتقاء إلى هذا المستوى الانساني الرفيع ـ مما هو خليق بالبشرية أن تعمل جادة على بلوغه ـ لن يتأتى ـ على مايوحي به البيان الالهي ـ إلا بالأمور الآتية

أولها ـ بينات الهدى ـ عقائد وعبادات ومباديء وقيم ، وهي عناصر مضمون التقوى

ثانيها ـ العقل المتفهم المدرك لدقائق تلك البينات ، ودلائلها ومراميها

ثالثها ـ التجرد الروحي الذي يستلزم التفتح العقلي ـ ضرورة ـ تهيئة للنفس ، وإعدادا لها ، لتقبل هذا الهدي السماوي وبيّناته ، ثم أدائه ، وإنفاذه رسالة ، عن قناعة واختيار ذاتي وهو مانهضت به عبادة الصوم تفسيرا معقولا ومقنعا للوجود الانساني كله على وجه هذه الأرض ، ، مما يذهب بالحيرة التي ساورت الفلاسفة ـ منذ القدم ـ في تفسير هذا الوجود ، منشأ ومصيراً !!

وإعداد النفس ، وتهيئتها لتقبل الهدى وبيناته ، ثم أدائه وإنفاذه ، رسالة عن اختيار ذاتي ، ومرضاة لله تعالى ، وهو الحكمة الغائية من الصوم المعبر عنها بقوله سبحانه « لعلكم تتقون » إذ كلمة « لعل » كما تكون للرجاء ، تكون للاعداد والتهيئة أيضا ، على ماذهب إليه كثير من المفسرين ، وماضرب به الرسول ـ ﷺ ـ من مثل حي في التجرد والاعداد في شهر الصيام مما يؤكد هذا المعنى

رابعها ـ أن الانسان يعجز بالعقل وحده ـ مجرداً عن « البينات » ـ أن يتولى قيادة نفسه ، فضلا عن أن يملك قدرة على قيادة غيره ، إذ غالبا ما يفقد المرء ـ بحكم سيطرة الهوى الغالب المتبع ـ الهيمنة على مركز القيادة في نفسه ، وهو « العقل » ، وذلك إما بتعطيل أحكامه ، أو العبث بسلامة منطقه ، أو لقصوره عن إدراك الحقائق العليا في الوجود الانساني ، ولا سيما حقيقة النفس البشرية ذاتها ، لتعقدها تلك الحقائق العليا التي قامت « البينات » على أساسها ، وحيا ، مبرأة من دوافع الأنانية ، وبواعث الهوى ، والعصبية ، أيا كانت صورها

ولاجرم أن تلك الحقائق الكبرى التي نهضت بها بينات الهدى في الاسلام ، هي ماتقتضيه الفطرة الانسانية نفسها ، إذا برئت من العوارض التي يلتاث بها نقاؤها ، وسلامتها ، لقوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » .

اختلال التوازن

إن « المشكلة الحقيقية » التي واجهها الاسلام في « الانسان » هي « الأنانية » ، وما تستتبع من الهوى ، ترى ذلك بينا في توجيهات رسالته ، تشريعا ، فضلا عن عقائده ، وعباداته ، لما « للأنانية » من أثر في اطراح القيم ، والاستخفاف بالمثل العليا ، لسبب بسيط ، هوأن « الأناني » أو العنصري وأضرابها ـ والعنصرية ضرب من الأنانية الحادة المسرفة ـ يشعر أن الدنيا كلها قد خلقت من أجله هو أو يعتقد ذلك ، وأنه هو محورها ، وأن ليس ثمة من غرض يسعى إليه في حياته إلا تحقيق مصالحه الذاتية المباشرة ، ويشيع هذا المعنى في الشعب الأناني العنصري فيحمله على الاعتقاد أنه شعب الله المختار ، وهْما وخرافة ، وأن غيره من شعوب الأرض دونه ، حتى في جوهر الانسانية ، وأن تلك الشعوب ذات الأعراق المختلفة ، إنما خلقت ـ في وهمه ـ مسخرة لمصالحه الخاصة ، بل وللهيمنة عليها ، إلى آخر ماتمليه هذه العقيدة ، والفكر المتعنصر الضال الذي هو بالأساطير أشبه ، ومن هنا ، كان الانسلاخ عن « البينات » ـ في نظر الاسلام ـ تدنيا وهبوطا سحيقا عن المستوى الانساني الذي عبر عنه القرآن الكريم بالاخلاد إلى الأرض ، واتباع الهوى ، وفيه من الفساد في الأرض مافيه !! □

فتى دير الغصون

شعر:
يوسف عبد العزيز

أخيراً
ها تركتَ البحرَ في قفصٍ ،
وجئت ،
تُراكَ تهجسُ بالنَّهارَ الأزرقِ الفتّانِ ؟

□

مثلكَ ما اكتوى بدموعِ نرجسةٍ ،
ومثلكَ ما رأى شجراً ،
يصفِّقُ للطّيورِ ،
مشقَّقَ الكفّينِ ،
يا ابنَ الماءِ ،
والقمرِ الذي يحبو على الحيطانِ ،
أين أضعْتَ قلبَكَ ،
واقترفتَ الشّعرَ ،
حتّى جمَعتْ أمواجها بنتُ النَّشيدِ،
وَفِضْتَ بالنّيرانِ ؟؟

□

أينَ أضعتَ قلبكَ ؟
أيُّ زهرٍ خاسرٍ يبكي على الشُّرفاتِ أنتَ ،
وأيُّ طيرٍ ينقرُ الصُّوّانَ ؟!
في هذا المدى النّاريِّ
ليسَ لقبّراتِ الحقلِ أفقٌ ،
حيثُ تنتشرُ الطّواويسُ الكثيرةُ ،
والجرادُ يهبُّ من جبلٍ بعيدٍ نابحاً ،
ويمزّقُ الرُّمانَ
ما أبهى غبارَكَ أيُّها القرويُّ ، مثلي ،
أيُّها الضِّلعُ المطاردُ في زوايا الصَّدرِ ،
يا زيتونةً ،

● دير الغصون: قرية فلسطينية، تقع في قضاء مدينة طولكرم المحتلة

ىيونة ،
رث
الندى
حدثني عن (دير الغصونِ) المقيمةِ عندَ باب البحرِ ،
رهي تضيء بالزّيتِ المقدّسِ في المساءِ سراجَها ، وتنامُ ،
عابقة بطعم اللّوزِ ، تاركةً وعولَ الارضِ تهذي في البراري ،
والسور تصيحُ في أبراجها

حدثني
عن رحفةِ النّعناعِ في منديلها البريِّ ، حين تمسُّهُ النّسماتُ ،
عن حجل (يبرجمُ) في سهوب الغيمِ محتشداً على
أكمامها ، وحجارةٍ مكسوّةٍ زَغَباً ، يفيضُ حليبُها
في الصُبحِ حين يشبّبُ الرّعيانُ

□

من أصمت قلبَكَ ؟
أي شيطانٍ حجيميٍّ يقودُ خطاكَ
نحو صلالكَ الآتي ؟
تترك (دير الغصون) الجميلةَ عند بابِ البحرِ ،
سأل حارةَ الزّيتونِ
عن طيبٍ ، تسيلُ يداهُ ورداً ،
عن شفقٍ راحَ يطلبُ مهلكًا
مهلاً ،
سحدثكَ القصيدةُ ،
والسّماء الناعِمة ،
رتشيد روحُكَ في ضَبابِ الحُبِّ ،
يا عص من الليمونِ أخْضَرَ ،
يا شر كاً في القصيدةِ
مُشر

دروسٌ مُستفادة في : ادخال تقنية الفضاء

بقلم : حمدي قنديل

ان عملية نقل التقنية أبعد من شراء المعدات مصنعة وجاهزة ، ولابد أن تكون مسبوقة بدراسة شاملة لقدرات المجتمع الذاتية ، وامكانيات تطويع هذه التقنية لابتداع وسائل خاصة بهذا المجتمع تسهم في تعزيز كافة فروع التنمية .

مرت الآن سنتان على إطلاق القمر الصناعي العربي ، ولم تأت الشبكة الفضائية حتى الآن بالنتائج المرجوة منها . ولسنا هنا في معرض تقييم هذه التجربة ، بل ان المراقب الحريص عليها يود أن نغمض العين عن مثالبها في الوقت الذي تتولى فيه زمام الأمر في المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية ، ادارة جديدة لها مكانتها ، ورثت عن سابقتها تركة مثقلة ، وفي الوقت الذي تحاول فيه المؤسسة تبني طرق جسورة جديدة ، من بينها فتح الباب أمام الجهات غير الحكومية للمشاركة في العمل الاذاعي . وهو درب غير مألوف في دنيا الاعلام العربي ، سوف تكون له عواقب هامة تتوقف على مدى كفاءة تلك الجهات ، وأمانتها وجديتها . كل ما نريده الآن هو أن نطرح وراءنا تحقيق مشروع القمر العربي في حد ذاته ، في الوقت الذي نستخلص منه العبرة التي تفيدنا عند ادخال أي تقنية جديدة ، خاصة اذا كانت هذه التقنية في مجال الاتصال والاتصالات وما شابهها

ونقل التقنية من الدول الصناعية الى الدول النامية قضية خطيرة طال الحديث عنها . ولكن الأخطاء التي ارتكبت في الماضي في طول العالم وعرضه ما زالت تتكرر هنا وهناك . وما زال العالم الثالث أبعد ما يكون عن استيعاب الدروس المستفادة . ويبدو أننا لم ندرك بعد أن نقل التقنية عملية متكاملة ، وليست نقلا لبضاعة أو استيرادا لمنتجات جديدة . ومعظم ما نراه الآن في الدول النامية يكاد يثبت لنا قول باـ ث الفضاء الهندي الشهير(ياش بال)من أن ما نراه ل س نقلا للتقنية ، فهو لا يعدو أن يكون صفق ت ومعاملات تجارية ليس لنا فيها فضل أكثر من قي نا بسداد المال مقابل حصولنا على السلعة . وربما انه ـ

إذا القول على صفقة القمر العربي ، التي يمكن أن
تستفيد منها بخبرات متعددة يمكن اجمالها في هذا
العرض .

تطويع التقنية

إنه من الضروري - على حد قول تقرير لليونسكو
حول سياسات الاتصال في الأقطار العربية - ان نربط
بين مفهوم اقتناء نتاج الدول المتقدمة صناعيا ايا كان
وبين تطويع التقنية ، اذ أن التقنية لا تنقل كما هي ،
بل تمر بمجموعة من المراحل المتكاملة تعتمد أساسا
على تجميع المعلومات ثم تحليلها لاستنباط قرار
معين . وهذه المراحل تبدأ بالوقوف على التقنيات
الاجنبية البديلة ، ثم تقييم لمدى نجاح أو فشل تطبيق
كل من هذه التقنيات ، وبعد ذلك الوقوف على
الظروف البيئية الخاصة بنا ، ثم دراسة واختيار
أنسب التقنيات في ضوء ادائها الفعلي ، ومدى
تواؤمها مع البيئة ، وأخيرا تطويع التقنية المختارة
لتصبح قابلة للتطبيق في بيئتنا العربية . وعلى سبيل
المثال ، فقد كنا مفتونين في بداية تفكيرنا في مشروع
القمر الصناعي العربي بالنظام الفضائي في كندا ،
والامكانات التي يتضمنها للبث التلفزيوني الى
التجمعات السكانية المتناثرة في المناطق النائية ،
فاستعرنا منه فكرة ادخال قناة لجزيرة الاشعاع على
القمر ، يمكنها أن ترسل البث الى البيوت مباشرة .
ولم نأخذ في الاعتبار الظروف السياسية التي تحول
دون استخدام هذه القناة في بث برنامج واحد الى كل
الأقطار العربية التي تسيطر حكوماتها على وسائل
الاتصال بشكل مباشر أو غير مباشر .

تحديد الاحتياجات

ـ تحديد الاحتياجات بدقة ، خطوة هامة لابد أن
تسـ القرار بالاختيار التقني . وربما لا تكون هناك
حا ـ على الاطلاق لأي تقنية جديدة . ولابد من
خـ مكثفة لمعرفة ما اذا كان من الأنسب لبلد أو
مجـ عة من البلدان أن تحصل على أحدث التقنيات ،
أم تكتفي بالحصول على معدات أكثر تواضعا . ولا
يعلم أحد تماما ما اذا كانت الاكتشافات التقنية
الحديثة تجعل المعدات أقل أم أكثر كلفة . وفي بعض
الأحيان تخصص مبالغ ضخمة لمعدات أكبر قدرة أو
أكثر تعقيدا مما هو ضروري . وهكذا فقد يلجأ
البعض الى الأقمار الصناعية بداع أو بغير داع ، أو
الى أقمار أكثر تعقيدا مما نحتاجه فعلا .

إن ادخال التقنية يعتمد أساسا على تطوير القوى
البشرية ، والخبرات الفنية المتعلقة باستخدامها .
وقد أعطت الجزائر نموذجا كافيا لابد من احتذائه
عندما استخدمت أقمار « انتلسات » الدولية في عام
١٩٧٤ إذ اهتمت اهتماما خاصا بتدريب الفنيين
والمهندسين الذين قاموا بالمشاركة في تنفيذ وإنجاز
المشروع ولكننا نجد أن هذا التخطيط غائب في
حالة القمر الصناعي العربي . وعندما طلبت مؤسسة
« عربسات » من هيئاتها الأعضاء أن ترشح لها عددا
من المهندسين للتدريب على تشغيل الشبكة اعتذر
الكثيرون عن تلبية هذا الطلب لندرة المهندسين
المؤهلين لهذا العمل . واحتياج الهيئات التي يعملون
بها اليهم . وهكذا جددنا للسنة الثالثة على التوالي
عقد الشركة الأجنبية التي تشرف على مراقبة
التشغيل .

تطوير المعارف والعلوم

إن ادخال التقنية الحديثة لا يعتمد فقط على
تدريب القوى البشرية المتخصصة في هذا المجال أو
ذاك ، ولكنه يستلزم تطويرا عريضا للمعارف
والخبرات والمهارات في كل الميادين ، ابتداء من محو
الأمية حتى أكاديميات البحوث ، ومن جهود تبسيط
العلوم للمواطنين العاديين الى الحد من استنزاف
الكفاءات العلمية ، وهجرتها الى الدول الصناعية .

ويستلزم من الجامعات أن تطوّر مناهجها بحيث
تتضمن مناقشة التقنيات الجديدة ، وخاصة تلك التي
تعني أكثر من غيرها بلدا بذاته أو منطقة معينة . فكم

كان لدينا يا ترى من الجامعات التي تدرس مناهج الفضاء ، وكم كان لدينا من مراكز بحوث الفضاء في الوطن العربي ونحن نعد للشبكة الفضائية . وهل يمكن أن تثبت تقنية كهذه مثل النبات الشيطاني في بيئة لا تحترم العلم ولا العلماء الاحترام الكافي ؟

إن الاختيار التقني أمر يعبر عن الاختيار السياسي والاجتماعي للمجتمع ، الذي يشكل الأرضية الرئيسية لاتخاذ قرار دون غيره . فهل ستقوم وسيلة تقنية معينة بخدمة المحرومين من السكان أم يستفيد بها أهل الصفوة وحدهم ؟ وهل سنعزز بها الحوار والتواصل بين فئات الشعب المختلفة وبينها وبين السلطة ، أم نستخدمها لبث المعلومات والتوجيهات والارشادات في اتجاه واحد من الحاكم الى المحكوم ، ومن العاصمة الى الاقاليم ، وبذلك نعني بوضع محطة رئيسية واحدة للارسال الى جانب كرسي الحكم ، وكل ما عداها محطات للاستقبال والتلقي ؟ وهل نضع التقنية في يد القطاع الخاص لأننا نؤمن به كأداة للانتعاش الاقتصادي ، أم نخضعها لمشيئة الدولة ولرعاية الدولة ونؤكد بها سيادة الدولة ؟

إن قرار ادخال تقنية معينة لا يتعلق فقط بالمعدات ولكنه يتعلق بالرسالة التي تحملها هذه المعدات . ومن أكبر المآخذ على مشروع القمر العربي فيما يتعلق باستخداماته الاذاعية والتلفزيونية أنه عني بمعدات الشبكة أكثر من عنايته بالبرامج التي سوف تنقلها . وكان الكثيرون من الاذاعيين يأملون أن تقوم الأقطار العربية - التي أنفقت ما يزيد على اربعمائة مليون دولار على الشبكة الفضائية بأقمارها الصناعية ومحطاتها الأرضية - برصد واحد أو اثنين في المائة من هذا المبلغ على البرامج التلفزيونية التي يمكن تبادلها وبثها ولكننا كعادتنا مغرمون بالشكل لا بالمحتوى ، وبالغلاف لا بالرسالة .

إن قرار ادخال التقنية يجب الا يقتصر فقط على ادخال المعدات ذاتها حتى ولو تم تطويعها بما يتناسب والبيئة والظروف المحلية ، فالتقنية معدات مادية غير أنها تضع في مرتبة ثانية تشغيل المعدات وصـ ـهـ ويتساءل محمد عبده يماني : « ماذا يكون مـ ـرنا أدخلنا (كمبيوتر) بالغ الحداثة ثم حجب الصانع وسائل الصيانة وقطع الغيار ؟ » ويروي لنا المهند الأردني اسامة عصفورة من خلال تجربته العلم كيف أن « عدم التزام قسم من الشركات الصا بتوفير قطع الغيار اللازمة لتشغيل أجهزتها للم الزمنية المتفق عليها قبل الشراء يؤدي الى عـ الاستفادة منها بالكفاءة المطلوبة . هذا بالاضافة ا أن العديد من الشركات الصانعة تحجب كثيرا مـ المعلومات الهندسية والرسومات لبعض الدوائ الالكترونية التي تساعد مهندسي الصيانة والتشغ على القيام بأعمالهم . لكن الشركات تقو بضرورة استبدال القطع غير الصالحة كلها مـ الألواح الالكترونية على سبيل المثال ، وارسا للشركات الصانعة لاصلاحها . وهذا يعني بالاضا الى ارتفاع كلفة التشغيل وطول فترة الاصلاح عد تمكين مهندسي التشغيل والصيانة من معرفة تركيب الأجهزة التي لديهم بالتفصيل المطلوب » .

التنسيق بين القطاعات المعنية

إن الاختيار التقني في مجال الاتصال يجب أن يـ بتنسيق وثيق بين الأجهزة الاعلامية وهيئا الاتصالات . وقد رأينا كيف أن التخطيط لمشرو القمر الصناعي العربي يمكن أن يتخذ نموذجـ للاسلوب الذي لابد من تحاشيه . فقد كان رجال الاتصال يعملون في واد ورجال الاتصالات يعملو في واد آخر . وتاريخ الاعداد للمشروع يعكس الشد والجذب بين الطرفين اللذين يبدوان كما لو كانا زوجين أنجبا طفلا ثم افترقا ، وفي حين أن أحد ما يدعي الأحقية برعاية الطفل فان الآخر قد أبعده حوزته ، وحتى قبل أن يبدأ التفكير في مشروع الـ العربي ، أو يبدأ التعامل مع الأقمار الصناعية اطلاقها في المنطقة ، نجد أن خطط الاتصالات

باحد في اعتبارها مصالح أجهزة الاعلام في أحيان عديدة ، على النحو الذي لاحظناه مثلا بشأن الشبكات الأرضية التي تمد دون أن تحتوي على امكانات للنقل التلفزيوني .

الخطة الشاملة

مهما كان لهيئات الاتصالات والاعلام معا من علاقة تبدو أوثق اتصالا بالقرار الذي يتخذ بشأن الاختيار التقني في مجال الاتصال ، إلا أن هذا القرار لا يعنيها وحدها ، وإنما يعني قطاعات عديدة من المجتمع . اقربها الى الذهن في حالة « عربسات » قطاع التربية . والكل يعلم أن قرار اقامة الشبكة الفضائية تم بمعزل عن التربويين . والأدهى من ذلك أنه تم تبرير القرار الى حد كبير بدعوى أن المشروع سوف يساند العمليات التربوية وسيعين على محو الأمية ، وسيقوم بتدريب المعلمين وسيبث برامج تعليمية واحدة في وقت واحد في المدارس العربية . كما أن القطاعات الأخرى المعنية بالتنمية كانت غائبة عند اتخاذ القرار أثناء عمليات التخطيط . ولا يدري اليوم أحد ـ بعد اطلاق القمر بسنتين ـ ما اذا كان في نية الهيئات الطبية ـ على سبيل المثال ـ أو في نية الجامعات أو غيرها من المؤسسات في المجتمع ، استخدام القمر العربي لخدمة أنشطتها . كما أن أحدا لا يعلم على وجه التحديد ـ اذا ما سقنا مثلا آخر ـ على أي نحو تستفيد بنوك المعلومات بالقمر ، أو هل هي في حاجة اليه أساسا ؟

التعريف بالتقنية الجديدة

وإذا كان قد فاتنا أن تشترك كافة الهيئات المعنية في التخطيط لادخال التقنية الجديدة ، فلا أقل من تعريفهم بها حتى يتبينوا اذا ما كان بمكنهم استخدامها ، وهكذا فلابد من توفير المعلومات الكافية عن هذه التقنية والتوعية بشأنها . وهي واحدة من المجالات التي لم تقم فيها الادارة السابقة لعربسات بأي جهد حتى من قبيل الترويج التجاري للاستخدامات المختلفة للقمر العربي .

وقبل أن يطلق القمر بعامين دعا عبدالعزيز الرواس وزير اعلام عمان الى اصدار الكتب والكتيبات والشرائح والافلام ونشرة دورية للمعلومات تعرف بالمشروع . وقال ان عربسات ـ كأي مشروع استثماري ـ يحتاج الى ترويج والى مندوبي مبيعات .

وأضاف ان هناك هوة كبيرة في المعلومات بين هؤلاء الذين يصممون للقمر ، ويخططون لاستخدامه ، وبين اولئك الذين يتوقع منهم أن يتخذوا القرارات العملية بشأن الاستخدامات المختلفة .

المساواة بين المصالح المختلفة

إن الاختيار التقني في مجال الاتصال أمر يتعلق بوسائل الاعلام جميعا ، وليس بواحدة منها على حدة . ويحتاج كثيرون عند اتخاذ قرار بهذا الشأن ، الى أن يفكروا في أكثر هذه الوسائل بريقا وهي التلفزيون ، ويبحثون عن مصالحه دون غيرها أو قبل غيرها ، باعتبار أن العناية بشئون الوسائل الأخرى أمر ثانوي ، أو أمر يسير يمكن إيجاد حلول له دون عناء . وقد رأينا كيف ينطبق ذلك على القمر الصناعي العربي كما انطبق على غيره من نظم الاتصالات في الماضي . رأينا كيف أن مصالح الاذاعة الصوتية على سبيل المثال اختفت في الظل ، وكيف أنه لم توضع خطط لانماشها بواسطة القمر . كما أنه في الوقت الذي تزداد فيه حركة المواطنين العرب بين الأقطار العربية ، ويزداد اهتمامهم بشئون بعضهم البعض ، وتزداد أعداد قراء الصحف بينهم ، وتزدهر الصحف في بعض البلدان ، ويرتفع في الوقت ذاته أجر نقلها بوسائل النقل التقليدية مثل الطائرات ، لم يتم اجراء دراسة حول امكانات الاصدار الآني لطبعات من الصحف العربية في بلدان عربية أخرى . ويظل القول أن التعامل مع التقنية يجب أن يتم في ضوء سياسة اتصالية شاملة ، يشترك في وضعها الاعلاميون جميعا . ◻

بقلم : الدكتور أحمد محمد الكباريتي*

ليس من المستبعد أن تتم الأبحاث قريبا لتقلب المعايير المألوفة لدينا بشأن الحمل والولادة ، وقد يكون من الممكن في القريب العاجل أن يقدم العلم لنا . . الرجل الحامل ، ولنذكر انه منذ عشر سنوات فقط كان من المستحيل التفكير في مواضيع مثل أطفال الأنابيب والأجنة المثلجة والقلوب البلاستيكية وغيرها ، مما أصبح الآن مألوفا لنا واعتدنا على حدوثه !

تقدم الجراح وفتح في بطن المريض الراقد أمامه في غرفة العمليات فتحة طولها ٥ سم ، ودس فيها كيسا يحوى رحما به بويضة ملقحة ، وأنهى عمله بطريقة تجميلية ، حتى لا يترك ندبة كبيرة بعد التئام الجرح ، وانتظر فريق الأطباء . . هل يلفظ الجسم هذا الرحم الغريب المزروع فيه ؟! ولما لم يحدث ذلك ، تنفس الأطباء الصعداء ، وظهرت عليهم علامات الرضا والنجاح ، فقد بدأ الجسم الغريب في النمو ، وكون مشيمة ، وبدأ في امتصاص غذائه من الأمعاء ، و عجب فقد كانت تلك تجربة تحدث لأول مرة ، ف المريض الراقد على منضدة العمليات كان رجلا زر في جسمه لتوه رحم انثى به بويضة ملقحة ، وسي الرجل الحمل ، ويلد جنينا صحيحا معافى وسيتمكن العلماء كذلك من حمل البشرى له ان ك المولود ولدا أو أنثى قبل الولادة ، ان ذلك ليس تخيلات العلماء ، بل من المستطاع حدوثه ، و توجد عقبات كبيرة في سبيل تحقيقه ، ولكن

* استاذ علم الوراثة ـ كلية العلوم ـ جامعة الكويت

٢ ـ في حالات اللواطيين، فقد يكون من المرغوب في هذا النوع من الشذوذ أن تلبى رغبات دفينة لديهم ، في أن يكونوا إناثا بالفعل ، ولعل الحمل والولادة من الأمور التى تلبي رغباتهم النفسية الدفينة ، وفي هذه الحالة لا ينقص مثل هذا الزوج شيئا الا بويضة ملقحة ، حتى يتحقق له تكوين أسرة وجو عائلي كامل !!

٣ ـ أليس ذلك رغبة ما يسمى بالجنس الثالث ؟ فهم يتعاطون الهرمونات المؤنثة ، ويصرفون الكثير من الجهد والمال حتى يبدوا كالنساء ، فاذا حملوا وولدوا حقق لهم ذلك كبرى الأمنيات التى تصبو نفوسهم اليها .

٤ ـ ومن أجل الانصاف فان العلماء الآن ليسوا متحمسين لاجراء مثل هذه التجارب على الرجال ، على الأقل في الوقت الحاضر ، فهم في شغل عن ذلك بما هو أهم ، اذ يجد العلماء انه يمكن مساعدة الاناث اللاتي حكم الزمان عليهن باستئصال ارحامهن ، وقد تكون عملية زرع رحم جديد به بويضة ملقحة ، من الأماني الكبيرة التى يمكن تحقيقها لهن

تجارب مستمرة

ولنرجع مرة ثانية الى كيفية اجراء تجارب الحمل والولادة للرجال ! اكتسب العلماء خبرات كبيرة من ظاهرة الحمل خارج الرحم التى تحدث في بعض الاناث ، حيث تستقر البويضة الملقحة في النسيج الدهني الغني بالشعيرات الدموية ، وتبدأ البويضة الملقحة في الانقسام مكونة المشيمة التى لها القدرة على امتصاص الغذاء من جسم الأم ، لتنمو وتكون جنينا ، ولدينا الآن ٢٤ حالة معروفة لأمهات تم استئصال الرحم لديهن ، ومع ذلك فقد تمكن من الحمل ، وولادة أطفال أصحاء ، بزرع بويضة ملقحة في بطونهن ، وتثبت هذه الحالات أنه ليس هناك عائق في أن يحدث مثل هذا في الرجال .

...ك ما يدعو لذلك ؟ هل هناك ما يدعو الرجل أن ...ل ويلد تماما كالأنثى ؟

...س كل الحالات

لقد أصبح هذا الموضوع الشغل الشاغل لبعض ...لماء ، فيما يسمونه بالبلدان الصناعية المتقدمة ، ...لا حديث للمجلات ـ سواء كانت علمية او شبه ...لمية ـ الا مناقشة هذا الموضوع ، كأن العلم قد ...هى من حل كل مشاكله ، ولم يبق الا أن يلد ...لرجل قد يكون ذلك ترفا علميا ، ولكن تعالوا ...معا لنرى وجهات النظر التى تناولها العلماء بالبحث والمناقشة بالنسبة لهذا الموضوع ، قد يكون من المطلوب أن يلد الرجل في الحالات الآتية .

١ ـ الحا...ت الشاذة من الجنس (الخنثى) التى يتكون ...يها أع...ضاء تناسلية مذكرة ومؤنثة ، والتى أصبح الآن ـ ...ع تقدم الطب ـ أمر معرفة سببها ممكنا ، وكذلك اجراء جراحات تصحيحية لبعض منها ، وتحويل... الى ذكر ظاهريا ، بعداستئصال ما يكون بها من أع...ضا...ء مؤنثة

أجرى أحد العلماء تجربة على نوع من القردة ، فزرع في ذكر من هذه القردة بويضة ملقحة في تجويف البطن ، وحدث فعلا الحمل ، غير أن هذا العالم انهى الحمل بعد أربعة أشهر ، بعد أن استنفد البحث أغراضه ، فلم يكن العرض من هذه التجربة أن يثبت هل يمكن أن يحمل الرجال ، بل كان الغرض اثبات مدى اعتماد الجنين على نفسه في حالة نموه في منطقة خارج الرحم

ان اجراء مثل هذه العمليات ـ بالطبع ـ ليس بهذه السهولة التي ذكرناها في أول المقال ، فمن المعروف أن كثيراً من حالات الحمل خارج الرحم قد تنتهي وتفشل في الأشهر الأولى من القيام بها ، بسبب النزيف الدموي ، وقد يلزم في حالة الرجل ، أن يبقى في المستشفى راقدا في الفراش ، وتحت الرعاية الطبية طوال شهور الحمل التسعة ، كي يستقبل وليده المنتظر ! وليس ذلك فقط ، بل ان هذه العملية محاطة بكثير من المخاطر ، أقلها أن الرجل بعد هذا الحمل سيفقد المقدرة على ممارسة الجنس السوي ، اذ يفقد العضو التناسلي لديه القدرة على الانتصاب

العلماء منقسمون على أنفسهم في موضوع حمل الرجل ، فالبعض يرى أن حمل الرجل عمل معيب لذلك لن يقوموا بإجراء التجارب عليه ، والبعض الآخر ـ كالعادة ـ يتحمس لاجراء مثل هذه التجارب ، تماما شأن أي اكتشاف علمي جديد ، والطريف أن فريق العلماء المتحمسين لاجراء مثل هذه التجارب يتنبأ أن تقل نسبة الجرائم في العالم إن حمل الرجال ، حيث أن ذلك سيعبر من الأمور المألوفة ، وسيصبح الرجل هادئا غير ميال للعنف

هل يقوى الرجل على ذلك ؟

ويحتدم النقاش بين العلماء ، هل يلد الرجل أم لا ؟ ويتدخل المناصرون للمرأة ويقولون لا !؟ فقد يتخلص الرجل من عقده النفسية ، فعندما يحمل ويلد سيتخلص من عقدة النقص انه أقل [illegible] من النساء !!

ويرى البعض أن الرجل يحصل على كل ما يطلبه ويبغيه ، فلم يبق أمامه شيء سوى أن يحمل ويلد ، وبالتأكيد فان الرجل سيحصل على هذا المطلب كذلك مادام قد وضعه ضمن اهتماماته ، تماما كما حدث في العصور السابقة

هل يعتبر الحمل والولادة من الأمنيات التي يجب الرجل أن يحصل عليها ؟ اني لا أعتقد ذلك ، فالحمل والولادة عمليتان مجهدتان مصحوبتان بالآلام والتوجعات التي لم يخلق لها الرجل ، فآلام الحيض الشهرية التي تأتي للمرأة ، وتمر دون أن يلاحظها أحد في معظم الأحيان ، فإذا افترضنا أنها جاءت للرجل ، فانه لابد أن يرقد بسببها طريح الفراش ثلاثة ايام أو أربعة شهريا ، فما بالك بآلام الوضع ؟ إني لا أظن أن الرجل بتكوين جسمه الضعيف بيولوجياً سيتحمل كل هذه الآلام ربما يتبادر الى الذهن أن الرجل اذا حمل فلن يلد ولادة طبيعية ، فليس هناك فتحة مهبل ، ولا عنق رحم ، بل سيجرى له عملية قيصرية ، فاذا سلمنا بذلك ، فهل يقوى جسم الرجل ويستوعب كل هذه التغييرات الفسيولوجية التي تصاحب عملية الحمل والولادة ؟ وهل ستقوى عضلات بطنه على حمل هذا العبء الثقيل في شهور الحمل الأخيرة ؟ هل هناك في فراغ البطن وعظام الحوض متسع لهذا الكم الهائل في الوزن والحجم للجنين الكامل ؟

أنني أتصور أن الرجل لا يقوى على حمل جسمه في الشهور الأخيرة ، والجنين في بطنه يبرز أمامه عشرات السنتيمترات ، ولنترك الحمل للنساء اللواتي خلقن لذلك ، وليفكر الرجال في شيء آخر أ[illegible]ل لهم وأجدى من هذا .

وصدق الله العظيم حين يقول : « ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا »

قضية

الشعر بين التجربة والإلهام
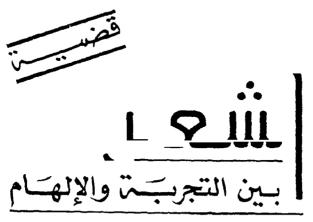
بقلم : الدكتور عبدالعزيز المقالح

هل الشاعر إنسان قادر على التذكر والتركيز ، فيتولد عن ذلك التذكر وعن ذلك التركيز عالم ـ الظل والضوء ، ترى فيه العين العادية من الصور لاتجاهات ما لاحصر له ولا عد ؟

ام أن الشاعر إنسان ملهم ، يأتيه فيض تلقائي من ـال . وتنثال عليه الصور والمعاني من عالم ـهول ؟ وهل يستطيع المبدع أن يبدع من الفراغ ، ـ يوجد ما ليس موجودا ؟ وكيف يتلقى المبدع ذلك ـدع ، ومن أين ؟ وهل الشعر جوهر مكثف ـمو ـة قديمة من الخبرات ، استوعبها العقل ، ـسها ما يشاء في لحظة من اللحظات ، وأضاف ـها ـ نشاطه الابداعي ما جعلها عملا فنيا ـكتمـ ؟ وما دور الحلم والتخيل في صورة الواقع ، ـ ـسانه واقعيته ، أم يقويان من هذه الواقعية ، ـ ـها وضوحا وجمالا ؟

لحظة الاشراق

تواردت هذه الأسئلة إلى ذهني بعد حوار عميق وطويل ، دار في ملتقى أدبي ، ضم عددا من الأدباء اليمنيين ، في حضور إخوة لنا وزملاء من أدباء الكويت الشقيق وشعرائها ، وكان الحوار يدور حول لحظة الابداع أو لحظة الاشراق في الفن ، وعن دور التجربة والالهام في عملية الابداع الأدبي والشعري على الأخص وقد تضاربت الآراء وتأرجحت حول اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ، وبالرغم من أن الاتفاق كان تاما تقريبا حول حقيقة أن العمل الأدبي لايعبر عن الواقع المحسوس فقط ، وإنما يعبر كذلك عن واقع آخر روحي نفسي ، وأن العمل الأدبي كما يكون تعبيرا عن الواقع فإنه يكون كذلك تعبيرا عن الحلم أقول بالرغم من الاتفاق التام

حول هذه الحقيقة فإن لحظة الاشراق واللقاء بين الشاعر وقصيدته ، وبين الرسام ولوحته ، وبين الموسيقي وموسيقاه ستظل موضع بحث لا ينتهي ، وستبقى تلك اللحظة سرا يستعصي على الكثيرين

ولأن المبدعين يختلفون في حجم مواهبهم ، ومن ثم في حجم ثقافتهم ، كما يختلفون في نوعية الاستقبال ، ثم في نوعية الارسال واختلافهم كذلك في درجة الانفعال والاستجابة ، ولأن الأمر كذلك فإن من الصعب الحديث عن تجربة محددة ، أو عن مجموعة من التجارب ، باعتبارها قاعدة عامة ، يمكن تطبيقها على بقية المبدعين ، وقد أثبتت الأحاديث العابرة لبعض الشعراء الذين ضمهم الملتقى القصير أن كل شاعر منهم يتفرد بأسلوبه ، وبطريقة كتابته للقصيدة أو تقليصها ، وقد كان الصديق خالد سعود الزيد وهو من كبار الشعراء في الكويت ، أسرعنا ـ جميعا ـ إلى تقديم نماذج من استجابات شديدة التميز والخصوصية في كتابة الشعر ، وهي استجابات متنوعة ، وغنية الأساليب ، لم يتسع الوقت إلا لعرض ثلاثة نماذج منها

أولا الاستجابة البطيئة

ثانيا الاستجابة الواقعية التي تتوقف على تجربة ما

ثالثا الاستجابة الفورية ، وليدة الإلهام المسبوق برغبة ملحة

وقد بدأت الاستجابة البطيئة مع أول تجربة له في كتابة الشعر ، وتعود معه إلى سنوات الصبا ، عندما رأى ذات ليلة الامام علياً كرم الله وجهه يزوره في المنام ، فاستيقظ وهو يريد أن يقول شيئا ، يعبر به عن فرحته بتلك الزيارة الكريمة ، وقد ظلت صورة ذلك الزائر الجليل تطوف بمخيلته الصغيرة ، يستنير منها حتى بلغ الثامنة عشرة ، ويومئذ كتب أبياتا ثلاثة ، توقف بعدها التدفق الشعري ، وعادت الاشراقة بعد أعوام ليكتب بيتين آخرين ، ثم توقفت إلى ما بعد زيارته للنجف الأشرف،حيث كتب هناك عدداً من الأبيات،ضمها الى سابقاتها،ثم توقفت

الاشراقات الشعرية بانتظار لحظات أخرى تكون الاستعداد فيها أحسن ، والدفقة الشعرية مواتية أكثر ، وبذلك فإن القصيدة لن تكتمل في وقت محدد ، بل سوف يستمر تكونها طول العمر ، وهي تجربة فريدة ، ومثيرة ، وتكاد تكون ـ فيما أعلم ـ الأولى من نوعها

تجربة الحبب

انتقل الشاعر خالد الزيد الى الحديث عن استجابة أخرى ، ذات أسلوب مختلف ، فقد رأى عندما كان في اسطنبول ـ كما يذكر ـ رجلا في مقهى ، يشرب (بيرة) ، وقد شد انتباهه الحبب الذي يتصاعد إلى فم الكأس بعد كل مرة يقوم الشارب فيها بإفراغ جزء من محتوى الزجاجة إلى الكأس ، وكان الحبب يعلو ويتصاعد إلى فم الكأس ، ثم تبدأ فقاعاته في الهبوط والتلاشي ، كأنها تسكن في قرارة الكأس ميتة خامدة غير منظورة ، راعه هذا المنظر البسيط ، وأراد أن يكتب قصيدة ، يصور بها هذا الصراع السريع الزوال ، لكن خالد الزيد بسبب نزعته الصوفية وعمق تدينه لا يشرب الخمرة ولا يعاقر ما يتصل بها من مشروبات (روحية) ، ومع ذلك فقد ذهب تحت تأثير المنظر واشترى صندوقا كاملا من زجاجات البيرة ، وحمله معه إلى حيث يسكن ، وبدأ بعد تجربة رجل المقهى ، يسكب من الزجاجة إلى الكأس ، ثم ينظر إلى الحبب وهو يعلو ثم ينخفض ثم يهبط إلى قاع الكأس ، وبعد أن يتلاشى الحبب يريق محتواه على الأرض ، وهكذا استغرقته التجربة ، وراعه كيف يبدأ الحبب كبيرا ، ثم يتناقص ، ويخبو نهائيا ، مخلفا بعض النقط الصغيرة قبل أن تندمج نهائيا في السائل الذي يفرغه فيما بعد جوف التراب ، ولم يتوقف الشاعر ـ كما حكى ـ إلا بعد أن أهرق ما في ذلك الصندوق من زجاجات ، وكان في كل ذلك العمل الطفولي يحاول استيعاب المنظر ، وامتلاك تجربة تؤهله لكتابة قصيدة

الاستجابة هنا استجابة واقعية صرفة ، قد خرج الشاعر بقصيدة مبتكرة ، جديرة بالعناء ، وهي على صغر حجمها قطعة فنية ، تعبر عن معاناة الشاعر أثناء عملية الخلق والبناء الفني ، لم يفقدها الوصف الخارجي ومحاولة النقل عن الواقع المباشر مع الابداع أو جمال التخيل ، كما لم يمنع المحتوى أن يكون للقصيدة بعد أو مدلول آخر ، يكشف عن علاقة جديدة لفهم الأشياء وهذه هي القصيدة

قدْ ساقه حببُ
ماله أينٌ و لا تعبُ
والكأسُ يحضنهُ
وبه من قاعها لهبُ
وهو منحدرٌ
مادرى أن الذُّرا عطبُ
كأنّ الأرض ثائرةٌ
فهْي مِنْ أعماقها تثبُ
مثل دي ألَم
جرحت أعماقهُ النُّوبُ
دفع أولِه
أحمرٌ في القاع ملتهبُ
روحُ الخمرِ إنْ سَكبَتْ
فله في صُنعها عَجَبُ
أرى الصهباءَ مُغْريَتي
لو يُجاوي كأسها الحَبَبُ

قصيدة الصنعائية

ومن غربة الواقع ومعطياته الحسية إلى معطيات الالهام في نموذج آخر لخالد الريد ، قد قدم له حديث طريف ، يسحر الألباب ، ولا أقول يعبث ... يكشف عن الطريق والمكابدة إلى قصيدة صنعاء التي حملت فيها بعد عنوانا جميلا هو (تحية الدة المدن العربية صنعاء) ، فكيف وصل خالد المرود يد إلى هذه القصيدة ؟ وأين التقى بها جاهزة ومغسولة بنور إشعاع العشق ، ومتسربلة بصدق انفعالات الوجدان ؟ كشف الشاعر خلال حديثه التلقائي عن مستوى آخر من مستويات الكتابة الشعرية ، وكيف تتكون الاشراقة الأدبية فجأة ، وتبرق في الذهن دون مقدمات ، وذلك عندما كان في طريقه مع بقية الأدباء من الكويت الشقيق إلى اليمن شطريه ، وقد حاول قبل السفر ان يستدعي ما استطاع اليه من الشعر ، وأغمض عينيه أكثر من مرة بانتظار صوت الحلم ، إلا أن التعبير استعصى ، وفي عدن ـ وكانت المحطة الأولى للقاء ـ أعاد المحاولة دون جدوى ، لكنه قبل أن يغادر عدن بساعات ذهب لزيارة مقام (العيدروس) ، وهو واحد من مشاهير الصوفية ، وضريحه من أشهر الأضرحة التي تزار في الجزيرة العربية بعد ضريح الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد تناقل بحارة الخليج أخبار العيدروس وكراماته ، وكانت نذورهم السخية تنهال عليه أثناء العواصف وفي الساعات التي يضطرب فيها الخليج ، أو تضطرب الأمواج في بحر العرب

ذهب الشاعر إلى مقام (العيدروس) ، وألقى برأسه الحاوية على كتفه العريض المورق ، وطلب اليه قصيدة عن صنعاء ، وماكاد يبارح المقام العيدروسي إلا والقصيدة تورق وتزهر في نفسه ، ثم تكتمل وتظهر كأجمل ما تكون الأشعار أسلوبا ومعنى ، وقد أملاها كاملة على زميله في الحياة ورفيقه في الرحلة الدكتور سليمان الشطي الذي يؤكد أن الشاعر قد أملاها عليه دفعة واحدة ، وكأنه كان يقرؤها من الذاكرة ، ولا يكتبها ابتداء ، وهذه هي القصيدة

أفديكِ يا كأسَ النديم
وصورةَ الحسنِ المُخبَّا
رُحماكِ لَسْتُ أنا الملومَ
إذا خَبَيْتُ إليكِ خَبّا

هــذا أديمــي مــس أديمــك
شــقَّ ، ثــم أتَى ولــبَّــى
ومشى قـديمي فـوق أرصـك
حــامــلاً عــبْــداً وربَّــا
رصــوانُ يــشــهــدُ أنَّ لي
قــدْمــا مصى ، ومكــان قُــرى
لــو فُــتِّــحــتْ أبــوابُهــا
لــدحــلتُهــا حــسَــداً وقلْــا
وصــممــتُهــا حــتى تــكــون
هــي المُــلــبِّــي والمُــلــبَّــى
صـعــاءُ يــا كــأس الــنــديم
تــدُبُّ في الأعــضــاء دبّــا
أُوَّاهُ كــم مهلتْ صــلوعــي
مــــك ، فــاكــهــةَ وأبَّــا
رحــاكِ لــســتُ أنــا المــلــوم
إدا مــشــيــتُ إلــيــك صــبّــا
نــشــوانَ يحــمــلــي الهــوى
قــلــا ويــدْني مــسك قــلْــا
لا ســرَّ مــا بــيــي وبــيــــك
فــارفــعــي لــلحــب ســحْــا
طُــهــران قــد مُــرحــا فــما
تــدري مــتى شــربــاً وعــبَّــا
لم أدر مــــد لــقــائــنــا
من دا هــوى ، ومن استتبَّــا

شرارة الالهام

أمامنا الآن ثلاثة أنماط ، أو ثلاثة أساليب لحالة الابداع ، وهي تحص شاعرا واحدا ، وبحص بالتحديد النمادج الثلاثة من أعماله الشعرية المختلفة التي تؤكد أن لكل نموذج حالة استجابة خاصة ،

وبعد أن أعدت النظر في هده الاستجابات وجدت أنها تصــور أهم حالات الابــداع ، وأن معظم الحالات قد لا تخرج كثيرا عن هذه الاستجابات ،

وهي حالة الابداع عبر مراحل زمنية ... ويلة مصحوبة بإعادة السطر والحذف وال... سعـ... والاصافة ... الح ، وحالة الابداع م... حلا التجارب الحياتية الواقعية التي تشبه إلى حد كـ... حالات التجريب العلمي ، وهي تسعى إ... استخلاص صور وتعابير شعرية ، تقترب م... الواقع ، أو تعيد تكوينه بطريقة أدبية ، ثم أخـ... حالة الابداع الفوري ، وهي في حالة تجربة الصدي... الشاعر خالد سعود الزيد ـ مع تقديري لما ارتبط من تفسيرات روحية ـ لم تأت فجأة ، ولم تهبط م... الفراغ ، لكنها جاءت عن استعداد دهني كامل وعن احتشاد مسبق ، ورغبة جارفة ، ساعدت ع... تلك الاستجابة الفورية ، وليس في تفسير أي رفـ... لمفهوم الالهام ... وفي رأيي أنه ليس ثمة تنافر بـ... التجربة الواقعية والالهام ، وأن الالهام يلعب دو... كبيرا في المخترات المادية ، وتكاد معظم الفروـ... العلمية تبدأ بالشعر ، أو بشرارة تقدح في الدهن كأنها إضاءة قادمة من سماء الالهام ، تعبر الدهن وتستحود على المستقبل بعد استحوادها على الماضي ولهذا فكل عمل إبداعي ـ في الشعر خاصة ـ ... مزيج من الحقيقة والحلم ، ومن الواقع والخيال

إدا كان الحديث قد انزلق بنا تلقائيا دون أن ندر... فإنه قد يدفعنا الى تلمس بعض الاساليـ... والطرائق عن الكتابة الشعرية عند بعض الشعر... الأوروبيين ، وسوف ... نتوقف بادىء دي بدء ع... شاعر ، يتخذه الواقعيون دليلا لهم ، وهو يفخر ـ أحايين كثيرة ـ أن شعره واقعي حتى العظم . ه... الشاعر هو (ستيفن سندر) الذي حدثنا عن عـ... في نظم الشعر ، وكأنه عالم كيميائي في مختبر ، سجـ... ملاحظاته الدقيقة عن المعلومات التي توصل ا... ها وهو يكاد ينظر إلى الابداع باعتباره نشاطا إنسـ... ـنا يتعلق بالمعاناة ، وبالجهد المبدول في التـ... كـ... والتذكر ، وبالاحساس العميق بالأشياء ، و... من كل دلك فهو لا ينكر دور الايمان ، ثم دور ...

.. الشعر . وهو يرى أن إيمان الشاعر يتجلى أولا في .. الصدق برسالته ، وثانيا في إيمانه بحقيقته ، .. إلى إخلاصه لمهمته . والحقيقة أنه لا يمكن أن .. ثمة إيمان ـ أبدا ـ أعظم من ثقة المرء بأنه يبذل .. جهده لكي يحقق غاية ما يتمناه ، وهذا هو ـ .. ـ ما كان يقف وراء إلهام كافة الشعراء .. وفي نفس الوقت فإن هذا الايمان يقترن .. شديد ، لأن الشاعر يعلم أن القرار ـ .. ليس بيده ، بل كل ما يستطيع فعله هو أن .. نفسه ، وأن يقدم كل ما تستطيعه امكاناته .. مدعومة بكل ما لديه من مهارة استطاع .. ، ومن ثم يقف بانتظار حكم الزمان ..

الايمان بالشعر

.. (...) قبل أن يتحدث عن الايمان في .. التي خصصها للحديث عن تجربته في كتابة .. أو في (نظم الشعر) كما ظهر بعنوان الترجمة ، .. كان ذلك الشاعر قد أسبق حديثه عن الايمان .. حديث مطول عن الالهام سوف أعود إليه في .. صفحات تالية . وقد قدمت الحديث عن الايمان على .. عن الالهام ربما لأن الايمان ـ في تصور الشاعر .. ـ سبق الالهام ، فقد دفعه الايمان بالشعر إلى .. الشعر ، وأكدت سطور كثيرة من تجربته أن الايمان .. الشعر قد سبق الكتابة الشعرية ، وسبق مرحلة .. الالهام . ومن ذلك قوله : (وبوسعي من خلال .. أوضح طبيعة هذا الايمان كل التوضيح ، .. عندما كنت في التاسعة ذهبت إلى منطقة البحيرات ، .. كان يقرأ لي والدي بعض قصائد (وورد .. ورث) ، حينذاك بدأ إحساسي بقدسية مهمة الشعر ، وبت أشعر دائما أن مهنة الشعر هي مهنة مقدسة تماما ، كأعمال القديسين)

وفي مجال حديثه عن الايمان والشعر يسعى الى توضيح أثره في الشعراء ، وكأنه بذلك يدافع عنهم ، أو يدفع التهم التي لحقت بهم وما تزال ، فهم أنقياء وأسوياء بفضل الشعر الذي لابد أن يغسل نفوسهم . ومن خلال لحظات الابداع التي تتخلل حياتهم ، وتضيء حوالك أيامهم ، وعلى الرغم من صحة المقولة بأن الشعراء مغرورون وطموحون ، الا أن غرورهم وطموحهم هو من أنقى نوع يمكن بلوغه في هذا العالم ، لأن القديس ينكر الطموح ، وانهم يطمحون لأن يقبلهم الآخرون كما هم ، وطبقا لما تبينه في شعرهم تجاربهم الذاتية الصميمة ، ومدركاتهم الحسية الأدق ، ومشاعرهم الأعمق ، واحساسهم الأشد بالحقيقة ، فهم لايستطيعون المخادعة حول هذه الأشياء ، لأن ماهيتهم الحقيقية لاتتجلى في العواطف النبيلة التي يعبر عنها شعرهم وحسب ، بل أيضا في الحساسية والتحكم في اللغة ، والقافية والموسيقا ، والأشياء التي لايمكن الحصول عليها . وبما أنه لايمكن أن يكون ثمة خداع ، فإن الشاعر شأنه شأن القديس ، يقف في كل عمل من أعماله أمام منصة يوم الحساب الأبدي ، وصحيح أن النجاح قد يدغدغ غروره ، لكن حتى النجاح قد يساهم في ادراكه ، وبأن الشعبية لاتؤمن له (تقديرا) ماسا في كل العصور ، ذلك التقدير الذي يسعى من أجله ، اذ ماذا يعني أن ينال المديح والثناء من عصره الغارق في الجرائم والغباء اذا كانت العصور المقبلة الأفضل من عصره ستنظر اليه باعتباره التعبير النموذجي عن جرائم هذا العصر وغباوته ؟ . □

* لولا حب الوطن لخرب بلد السوء (عمر بن الخطاب)

تعقيبات

ملاحظات على مقال

دورة الحياة والموت

نشرت العربي في العدد الممتاز الذي صدر في ربيع الثاني ١٤٠٧ ، مقالة تحت عنوان « دورة الحياة والموت النباتية هل تؤدي إلى فك أسرار الشيخوخة الانسانية ؟ » بقلم بدور عبدالكريم ولي عدة ملاحظات على المقالة المذكورة ، فقد ورد في هذه المقالة « المعروف أن أوراق النباتات التي تنتج الشطر الأعظم من الكائنات الدقيقة ـ المستعصية على الرؤية إلا عبر المجهر الالكتروني ثلاثي الأبعاد ـ إنما تؤمن في الوقت ذاته المواد اللازمة والجوهرية من أجل النمو النباتي بالذات » وسأركز الكلام على الأخطاء العلمية التي وردت فيها ، فلا أعتقد أن أي عالم معاصر يوافق على أن أوراق النباتات تنتج الشطر الأعظم من الكائنات الدقيقة ! وقد تبين منذ أيام (باستور) أن الكائنات الدقيقة لا تنتج من المواد المستهلكة ، وإنما تنتج هذه الكائنات من تكاثر نوعها ذاته ، والتكاثر من صفات الحياة وليس من صفات الأوراق الميتة ثم ما هي هذه الكائنات الدقيقة المستعصية على الرؤية إلا عبر المجهر الالكتروني ثلاثي الأبعاد ؟ يكفي المجهر الضوئي لفحص الغالبية العظمى من وحيدات الخلية ، ويكفي المجهر الالكتروني الثنائي الأبعاد لفحص الكائنات الدقيقة حتى الفيروسات أما المجهر الالكتروني الثلاثي الأبعاد فيستخدم عادة لفحص السطوح والأغشية الخارجية للكائنات الحية والمواد المختلفة

ثم جاءت المقالة بتعريف علمي جديد . « النيماتودات أي الديدان المجهرية الأحادية الخلية » في حين أن النيماتودات هي الديدان الأسطوانية الخيطية ، وهي حيوانات معقدة التركيب من عديدات الخلايا وليست « أحادية الخلية »

وجاء في المقالة مبالغات لا تستند إلى معرفة بحقائق الأمور « البروفسور السويدي ليبارت نيلسون بأساليبه الخارقة في التصوير عبر المجهر الالكتروني يمكنه من خلالها تكبير الأحياء المتناهية الدقة حتى ١٦٠٠ مرة بل حتى ٢٥٠٠ مرة وأحياناً حتى ٥٣٠٠ مرة » ولنعلم أن المجهر الضوئي العادي يمكن أن يكبر الأشياء ١٠٠٠ مرة ، وأن المجهر الالكتروني الذي صمم في جامعة تورنتو في كندا سنة ١٩٣٨ يمكن أن يكبر الأشياء ١٠٠,٠٠٠ مرة ، وأن المجاهر الالكترونية الحديثة يمكن أن تكبر الأشياء ٤٥٠,٠٠٠ مرة

وفي معرض الحديث عن البكتريات ذكرت المقالة « ذلك أن كائنات أكبر منها تنتسب إلى فئة أحاديات الخلايا ـ وهي أيضاً فئات لا ترى إلا بالمجاهر الالكترونية » ونكرر القول هنا بأن أغلب أنواع البكتريا ووحيدات الخلية يمكن رؤيتها بالمجهر الضوئي العادي ثم تقول المقالة « البكتريا التي تحتوي إفرازاتها على كائنات أدق منها حجماً ، أي أحاديات الخلية » والبكتريا هي بذاتها من الكائنات الوحيدة الخلية و تحتوي إفرازاتها على « كائنات أدق منها حجماً » □

د . عامر شيخوني ـ ا ـوحة

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوى
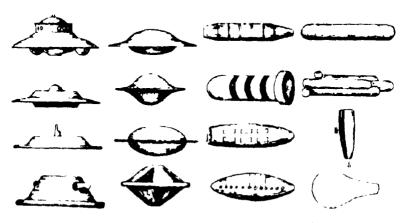
رسم يبّين بعض الاطباق الطائره كما ظهرت على صفحات مجلة بيوسانتست

الأطباق الطائرة ثانية

يذكر المرء من الظواهر الخارقة مثلث برمودا ، والوحش الاسطوري في بحيرة نيس، ويذكر أيضا رجل الثلج الذي يظهر ويختفي في مناطق أواسط آسيا ، في نيبال بوجه خاص ، وتبقى ظاهرة الأطباق الطائرة أعجب تلك الظواهر وأبعثها على الدهشة وحب الاستطلاع وما ذلك الا للصلة التي يتحسسها المرء بين تلك الاطباق أو « الأشياء الطائرة المجهولة الهوية » وبين عوالم وحضارات أخرى قائمة في الفضاء الخارجي ، وتتفوق على حضارتنا تفوقا مطلقا

لاعجب اذن أن استعصى تفسير هذه الظاهرة على علمائنا فذهب بعضهم الى أنها من نسيج الوهم والخيال ، وأكد بعضهم الآخر أنها حقيقة واقعة ولكن تفسيرها ضرب من المستحيل

من هنا كان حرص العلماء جميعا على تتبع أخبار الصحون الطائرة حيثما ظهرت وعلى التركيز على دراسة كافة التفاصيل التي تتمخض عنها زياراتها لأرضنا ، ومن هنا كان الاهتمام البالغ الذي أولوه لظهور أطباق طائرة في سماء ألاسكا في أواخر السنة الماضية (١٩٨٦) وفي ١٧ نوفمبر منها على وجه التحديد

يقول قائد الطائرة وهو ياباني يبلغ من العمر ٤٧ سنة « كان طبقا ضخما . أضخم من طائرة الجمبو بمرتين وكان على شكل الجوزة وكان ثمة شيئان

آحران على حانبي الطبق وكأنهما صحون حراسة »

على أن أهم ما يدكر عن لقاء ألاسكا هدا هو أنه طهر على شاشة الرادار وقد رآه المراقبون الحويون ، العسكريون والمدنيون ، في مراكز المراقبة على الأرص عير أن أشرطة دلك الرادار التي تسحل عادة كل ما يطهر على شاشته ، لم تسحل شيئا من دلك اللقاء وكأن يدا سحرية مسحت شريط التسجيل مسحا

وأعرب ما في الأمر أن الطيار الياباني الدي كان يقود طائرة شحن تابعة للخطوط الحوية اليابانية ، في رحلة من ريكيافيك عاصمة ايسلندة الى انكوراج في الاسكا هبط بطائرته الى ارتفاع ٣١٠٠٠ قدم بقصد تحاشي الطبق الطائر الدي التقى به وهو على مستوى ارتفاعه الأول (٣٥٠٠٠ قدم) دلك بعد [illegible] المراقبين الحويين ولكن [illegible] الطائر هبط هو وحارساه الى مستوى ارتفاعه الثاني وبقي مواكبا لطائرة اليابانية بنفس سرعتها وعلى بعد بضعة أميال منها حتى ادا اقتربت الطائرة من انكوراج في الاسكا احتفى الطبق الطائر والصحنان المرافقان بسرعة مدهلة

والحدير بالذكر أن سلطات الطيران المدني أحصعت الطيار الياباني ورفيقيه لفحوص طبية ونفسية مختلفة ثم استجوبتهم حتى ثبت لها أنهم كانوا يتمتعون بكامل وعيهم أثناء اللقاء ويؤكد الطيار أن كل ما راه من شكل الطبق وأضوائه وسرعته يثبت بما لايقبل الشك أنه من صنع حضارة متفوقة من حضارات الفضاء الخارجي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مختبر علمي يشفي من السرطان . . ولكن بثمن

● أصيب الدكتور نلسون الجراح المتقاعد (٥٧ سنة) بسرطان الرئة وتفشت الأورام الخبيثة حتى بلغت الرئتين والعظام وأصبح موته العاجل في حكم المؤكد ، ولكن نلسون بقي حيا رغم مضي الشهور وشفي من أورامه تبعا للمعالجة التي تلقاها في بلدة فرانكلين في تنسي بالولايات المتحدة وفي شركة أو مختبرات المعالجة بالهندسة البيولوجية على وجه التحديد حقا لقد دفع مبلغا كبيرا - ٣٥٠٠٠ , دولار ولكنه اشترى بذلك المبلغ حياته

وتجدر الاشارة الى أن الدكتور روبرت أولدهام مؤسس الشركة المذكورة كان من كبار الباحثين في معهد السرطان الأمريكي وذلك طوال أربع سنوات ولكنه ما لبث أن انفصل عن المعهد وأسس شركته الجديدة الفريدة في نوعها سنة ١٩٨٤.

نقول فريدة لأنها تختلف عن الشركات العادية اختلافا كبيرا فهي مختبرات للأبحاث الطبية والعلمية ، ولكنها لاتعمل بالمجان كمختبرات معهد السرطان وسواها وانما تضع حصيلة بحوثها العلمية في خدمة من يريد من المرضى لقاء المال

وتتحصص هذه المختبرات في الهندسة البيولوجية وفي استعمال ما يعرف في المصطلح الطبي باسم Biological response modifiers وتصنع للمريض مثل الاجسام المضادة التي يطلقها جسمه بالذات للدفاع عن نفسه وتتوصل الى ذلك عن طريق تعصيص تلك الاجسام ، وانتاجها بالكمية المطلوبة ، بواسطة أساليب الهندسة البيولوجية ولاغرابة أن نجحت تلك الأجسام المضادة في كبح السرطان والتغلب عليه فهي السلاح المضمون الذي تصنعه أجهزة المناعة في الجسم ، وتكبح بواسطته ما قد يتعرض له الجسم من أمراض . ان لم تقض على تلك الأمراض وتشف الجسم من شرها نهائيا

ومما يذكر أن عدد الذين اتصلوا بالشركة بقصد الاستفسار بلغ (٢٠٠٠) مريض كان أكثرهم من الأطباء وقد تمت معالجة ٢٠٠ منهم كتب لهم الشفاء التام بعد أن كانوا ينتظرون الموت بين يوم ويوم

ولعلك تظن أن المعالجة بهذه الطريقة الجديدة تستغرق شهورا عديدة والحقيقة هي أن فترة العلاج في المختبرات الجديدة تبلغ أسبوعين فحسب

ويأخذ الكثيرون على هذه الشركة الجديدة سرعتها المادية ومجافاتها للمشاعر الانسانية وحصرها الشفاء من الأمراض بالأغنياء ولكن آخرين يباركون أعمال الشركة ويرون في اثرائها السريع دليلا على نجاحها وحسبك أنها انتقلت مؤخرا من مقرها القديم الى مقر آخر جديد ، يبلغ ايجاره ٤ ملايين دولار سنويا □

● حدث الرسول صلى الله عليه وسلم في رمضان فقال

« من فطر منكم صائما مؤمنا في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ، ومغفرة لما مضى من ذنوبه »

فقيل « يارسول الله ، ليس كلنا بقادر على ذلك »

فقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ، ولو بشق تمرة ، اتقوا النار ولو بشربة من ماء . »

* * *

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن أبواب الجنان فى شهر رمضان مفتحة ، فاسألوا الله ربكم أن لا يغلقها عنكم ، وأبواب النيران مغلقة ، فأسألوا الله ربكم أن لايفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة ، فأسألوا الله ربكم أن لا يسلطها عليكم »

سلامة البشرية في سلامة البيئة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

قصة فراشة كندية .. في المكسيك

● كثر الحديث عن تفاقم التلوث في (مكسيكو ستي) حتى ظن الكثيرون أن حكومة المكسيك هي المسؤولة عن تدهور البيئة في العاصمة وأنها في العالب لا تقيم وزناً كبيراً لسلامة البيئة وما أبعد دلك عن واقع الحال كما يتبين من قصة الفراشة الملكة

لقد درجت هذه الفراشة على أن تأتي الى المكسيك من كندا كل عام بالملايين ، وتقيم في غابات شجر التنوب (Fir) فيها وهي غابات منتشرة في المناطق الجبلية في البلاد لقد درجت على القيام بغزوتها هذه عقب شهر نوفمبر ، حتى اذا حل شهر مارس واستكملت الفراشة ما قطعت من أجله آلاف الأميال . أعني طلب الدفء والتزاوج . عادت أدراجها الى أصقاع الشمال

ومع أن هذه الغزوات كانت مستمرة منذ أكثر من ١٠,٠٠٠ سنة الا أن العلماء لم يكتشفوا أمرها الا قبل أكثر من عشر سنين ، سنة ١٩٧٥ بالتحديد ، وفجأة اكتشف العلماء شيئاً آخر في مطلع الثمانينيات وأواخر السبعينيات

اكتشفوا أن مساحات كبيرة من غابات التنوب أخذت تختفي . وأن مَهاجر الفراشة الملكة أخذت في التقلص ، ذلك أن فلاحي تلك المناطق الذين ألِفوا تحطيب خشب التنوب من أقدم الأزمنة ، اقتربوا في تحطيبهم من البقاع التي تقيم فيها الفراشة ، وكادوا أن يأتوا عليها لولا أن اكتشف العلماء أمرهم ، وهبت الحكومة المكسيكية تسن قوانين الحماية ، وتتخذ اجراءات الانقاذ على أوسع نطاق ممكن ، حقاً لقد استهدفت من هذا وذلك وضع حد للتحطيب ، وانقاذ الغابات ، ولكنها استهدفته لا كغاية وانما كوسيلة ولم تكن الغاية سوى الحفاظ على المواقع التي هاجرت اليها وأقامت فيها الفراشة الملكة وسواء هذا أو ذاك فقد أثبتت الحكومة المكسيكية مدى اهتمامها بالبيئة وقد بلغ حد التضحية في سبيل فراشة كندية تزور المكسيك لبضعة شهور ثم تعود

وكان مرسوم سنة ١٩٨٠ أول تلك القوانين قوانين حماية الفراشة الملكة ولكن الحماية التي تحدثت عنها تلك القوانين بقيت أقرب الى التمني منها الى الواقع . .

من هنا كانت الاجراءات الصارمة التي اتخذتها حكومة المكسيك في شهر آب الماضي (١٩٨٦) فقد حددت تلك الاجراءات مواطن الفراشة الملكة ، واعتبرتها معازل بيئية محرمة . ثم حظرت التحطيب حظراً تاماً في منطقة تحيط بتلك المعازل وتبلغ مساحتها ١١٠٠٠ فدان ، ولم تقف الحكومة المكسيكية عند هذا الحد ، بل حددت منطقة أخرى ثالثة تحيط بالمنطقة السابقة ، وتبلغ مساحتها ٠٠٠ فدان ، ووضعت شروطاً وقيوداً عديدة للترخيص

بقي أن نشير الى مصدر رزق آخر أتيح لسكان المنطقة من حيث لا يدرون ، وعاد عليهم بمنافع أنستهم أعمال التحطيب السابقة وكل ما كانوا يجنون وما ذلك المصدر الا السياحة . فقد تدفق السياح الأمريكيون على المكسيك في الشهور الماضية ٥٠,٠٠٠٠ سائح أو يزيد ودفع كل واحد منهم (٦٠) سنتاً ، وهو الرسم المطلوب لمشاهدة منظر الفراشات الرائع واشتروا الهدايا المختلفة التي رسمت عليها الفراشة الملكة بألوانها الزاهية ، ودفعوا أثماناً سخية فيها . ولعل ما كسبه أهل المنطقة في موسم السياحة الشتوي الحالي يفوق ما كانوا يكسبونه من التحطيب ولعلهم يرددون في لغتهم ما يعنيه المثل العربي « رب ضارة نافعة »

ويتساءل المرء لا محالة لم يهاجر الى المكسيك الجيل الخامس فقط من الأجيال التي تنجبها الفراشة الملكة في السنة وهي ٣ ـ ٥ أجيال ؟ ولم لا تتوقف الفراشات المهاجرة في المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة ، وهي تشبه كثيراً المكسيك من حيث الطقس والاقليم ؟ ثم كيف تهتدي هذه الفراشات الى نفس المواقع التي هاجر اليها أسلافها واستقروا فيها . ؟

هذه الفراشات تزور المكسيك لبضعة شهور ثم تعود

أعمال التنمية في هذه المنطقة

ثم انصرفت حكومة المكسيك الى معالجة مشكلة الحطابين في تلك المناطق معالجة جذرية فالتحطيب هو مصدر رزقهم الوحيد ، ولا بد من ايجاد مصادر أخرى للرزق تحل محله من هنا كانت البرامج الواسعة التي بدأوا وضعها موضع التنفيذ ، وقد شملت فيما شملت انشاء البساتين ، وتحسين محاصيل المزروعات التقليدية ، وإقامة البيوت الزجاجية ، وأحواض زرع الأسماك وساهم في هذه البرامج منظمة موناراكا ، وهي هيئة أهلية مكسيكية تسعى لحماية البيئة . وساهم بها أيضاً صندوق الكائنات البرية العالمي ، وذلك عن طريق أحد أقسامه ، وهو القسم المختص بالبرامج الكاريبية واللاتينية الذي تبرع للحكومة المكسيكية مؤخراً بمبلغ ٢٢٠,٠٠٠ دولار .

الطقس .. وبنية الشمس

قد تكون الشمس كالبصلة وقد تكون مكونة من عدة طبقات من الغاز متباينة ، وتدور الواحدة حول نفسها بسرعة خاصة بها . هذا ما قاله مؤخراً علماء فلكيون من جامعة جنوب كاليفورنيا برئاسة الدكتور ادوارد رودس .

ومعنى هذا أن طقس الأرض يتأثر أكثر ما يتأثر بأي تغير قد يطرأ على حركات الشمس الداخلية . . فلو اختلت سرعة إحدى تلك الطبقات في دورانها حول نفسها . . اختلالاً ضئيلاً لا يزيد على ١٪ ، لكان في ذلك ما يكفي لتغير مناخ الأرض . . من مناخ جليدي ثلجي الى مناخ بالغ الحرارة ملتهب . . □

من المنفى الى حياة جديدة!

استطلاع : سليمان الشيخ

تصـــوير : سليمـان حيدر

إن الحكم بالنفي على فرد لأسباب ودواع معينة أمر يمكن فهمه وتـ
دواعيه . لكن الحكم بالنفي على شعب بكامله أمر يدخل في نفق الأسئ
وربما يدخل في دوائر عدم الفهم
شعب الشاشان في الشمال القفقاسي نفي جميعه عن أرضه الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية ، فما هي الدواعي ؟ وما هي الأسباب ؟ وكيف يعيش الآن ؟

يختصر القفقاسي جوابه عندما تسأله عن بلاده ، فيجيبك

« إنها بلاد الجبال العالية ، ويضيف قائلا هي البلاد التي كتب عنها تولستوي ، وبوشكين ، وليرمنتوف » !

* فلماذا يكتب هؤلاء الأدباء البارزون في الأدب الروسي والأدب العالمي عن هذه البلاد التي أغرقتها القيصرية الروسية بالجهل واستنزفت خيراتها ؟

القفقاسيون الشاشانيون والانغوش يقولون ذلك ، ويضيفون قائلين إن القمم العالية ، وشواطيء نهر « تيرك » قد تركت بصماتها على أدب هؤلاء الكتاب ، فجاءت طبيعتنا وطبيعة شعبنا مسجلة أدق تسجيل في أدب هؤلاء الكتاب الكبار

والداغستانيون يقولون ذلك أيضا ، وكذلك البلكار والكباردين والاوسيت والشركس وهم شعوب قفقاسية ، فما الذي دفع هؤلاء المشهورين إلى العيش في تلك البلاد ، في مرحلة شهدت فيها ثورات وتمردات عديدة (بداية القرن التاسع عشر) ؟

لقد كانت منطقة جبال القفقاس تعتبر من جنوب روسيا القيصرية ، بعد أن انتزعتها من الأتراك العثمانيين ، ومن ملوك الفرس ، وبعد أن قضت على بعض الامارات المحلية التي كانت قائمة آنذاك وفي منتصف القرن التاسع عشر وصل الزحف الروسي إلى دروته في السيطرة على المناطق الجنوبية ، ومن ثم سيطر الروس سيطرة كاملة على تلك المناطق وتم انتزاعها من أيدي الدول الأخرى أو الامارات المحلية

ان تخليد تلك المنطقة في نتاج الكتاب المشار إليهم يعود إلى سبب قهري ، تمثل في نفي بوشكين سنة ١٨٢٠ م إلى تلك المنطقة ، ثم نفي ليرمنتوف سنة ١٨٣٧ م إليها أيضا ، ويذكر انه عاش سنوات قليلة من صباه فيها ايضا ، ويعتبر هذا النفي هيناً إذا ماقيس بالنفي إلى سيبريا

وقد جاء هذا النفي بسبب انتقاد الشاعرين المذكورين للأوضاع التي كانت قائمة آنذاك ، والتحريض على مساويء النظام القيصري ومادله وظلمه الذي ورعه على الشعوب التي خضعت له

أما تولستوي فإنه كان من النبلاء الاقطاعيين ، حذبه الجيش فعين فيه ملازما ، واشترك في الحرب التي كانت دائرة في القفقاس ، وأمضى هناك من سنة ١٨٥١ إلى سنة ١٨٥٥

شعبنا نحن :

يكتسب كلام سكان الجبال مصداقية عند من يقرأ بعض أعمال هؤلاء الكتاب ، كروايات الحاج مراد ، والقوقار ، ونهاية حب ، وغيرها ، لتولستوي ، ومن يقرأ بعض أشعار بوشكين التي تحمل أسماء بعض المناطق في القفقاس ، ومن يقرأ رواية « بطل من هذا الزمان » لليرمنتوف

يقول أحمد ملساجوف في كتابه « شعب جبال القفقاس » المنشور بالانجليزية والصادر عن وكالة نوفوستي السوفيتية سنة ١٩٨٤ « من يقرأ تولستوي فإنه يقرأ عنا » ويضيف قائلا : « هذا النهر القوقازي الشهير « تيرك » نال حظا أكثر من أي نهر آخر في بلادنا ، فقد تغنى به تولستوي ، وبوشكين ، وليرمنتوف ، وأثنوا عليه »

ثم يقول « إننا نفصل في بلادنا ـ الشاشان والانغوش ـ استعمال كلمة (ويناخ) ، وهذه الكلمة مؤلفة من مقطعين ، معناها « شعبنا نحن » أو « قومنا نحن » ، وتطلق على شعبي الجمهورية « الشاشان والأنغوش » من أجل اختصار ثنائية هذا التكوين

يقول الكاتب . انظروا ، إنهم يشبهوننا ، هكذا

يقول الشاشان والانغوش عن بعضهم بدهشة منذ زمن طويل ، نعم مثلنا ، فنحن نتكلم نفس اللغة ، ولنا نفس العادات »

عزيزي القارىء ، على السفوح الشمالية لجبال القوقاز تقع جمهورية الشاشان والأنغوش ، مساحتها ١٩,٣٠٠ كم٢ ، يسكنها حوالي مليون وربع المليون نسمة ، لغتهم من عائلة اللغات القفقاسية أو القوقازية ، ويقطع بلادهم نهر « تيرك » الذي ينبع من جبال القفقاس في جمهورية جورجيا ، ويسير في عدة جمهوريات قفقاسية سوفيتية ، طوله حوالي ٥٠٠ كيلو متر ، ويمر فرع منه في العاصمة غروزني ، يسمى فيها نهر سيلنج) ويصب في بحر قزوين أي الخزر كما كان يسمى من قبل

يقول السيد موسى حسين دوشو كيف مدير مصنع الملابس التقليدية في العاصمة غروزني « أعتقد بأن اسم « الشركس » كان يطلق على كثير من مناطق القفقاس من قبل ، لأن الحدود السياسية بين القبائل والشعوب القفقاسية حديثة العهد ، لا يتعدى عمرها مائة سنة تقريباً

ويمكن الاشارة إلى أن الزي كان موحدا من قبل ، وفيه كثير من التشابه ، وهو أقرب إلى الزي الشركسي الحالي »

وقد أكد نفس الكلام السيد أصحب مكييف السكرتير الأول لمنظمة الحزب الشيوعي في منطقة زاران « نظاران » ، فقال « نحن جزء من العائلة الأثينية القفقاسية ، ويبدو أن (الشركس) كان هو الاسم الغالب على كثير من المناطق والأنحاء في الزمان القديم »

في مؤلفات الأدباء :

يبدو الكلام السابق أقرب إلى الحقيقة عندما نقرأ أدب تولستوي وبوشكين وليرمنتوف ، إذ أنهم كثيرا ماكانوا يخلطون في أسماء الشعوب التي تسكن منطقة القفقاس ، فهم تارة يطلقون عليها اسم (الشركس) ، بل كثيرا ماكانوا يستعملون أسماء قبائل تنتسب إلى هذا الشعب أو ذاك من شعوب القفقاس ، وهذا يدل على أن المنطقة لم تكن بعد قد عرفت الحدود السياسية الثابتة المتعارف عليها حتى منتصف القرن التاسع عشر ، كما أن القبائل لم تكن قد استقرت تماما في مناطق سكناها ، لذلك فإن الخلط في إطلاق الأسماء والاماكن كان شائعا ، ويبدو أن الأمر مازال كذلك .

في رواية « نهاية حب » يذكر تولستوي أن الجيش الروسي نزل في قرية (نوفوميلينسكايا) في بلاد القفقاس ، ويستمر الكلام في الرواية عن القفقاس والقفقاسيين ، ولايحدد شعبا بعينه ، وتتكرر في الرواية أسماء مثل نهر « تيرك » ، و « ابريك وابركة » و « سكان الجبال » وغيرها ، وإذا مابحثنا عن تفسير لمعنى هذه الكلمات ، فإننا سنجد أن كلمة « الأبركة » ماهي إلا تعبير كان يطلقه الروس على سكان الجبال الذين حملوا السلاح وقاوموا الجيش الروسي

وهذا يعني أن بعض سكان السهول قد خضعوا للجيش الروسي ، وتعاونوا معه ، في حين أن بعض سكان الجبال قد تمردوا عليه وثاروا ولو نظرنا إلى المرحلة التي كتب عنها تولستوي لأدركنا أنها هي نفس المرحلة التي ثار فيها الشيخ شامل ، وشاركه كثير من شعوب القفقاس في ثورته ، وقد كان مركز تلك الثورة في داغستان ، إلا أنها كانت منتشرة في كثير من أنحاء القفقاس

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل في تلك الرواية أن تولستوي يذكر أن المنطقة غنية بالعسل ، وبنات دوار الشمس ، كما أنه ينهي روايته بايراد اسم أمكن من خلاله الاستدلال على المنطقة التي كانت مسرحا لأحداث تلك الرواية ، فقد جاء في صفحة (١٣٦) من الرواية مايلي

« أيشفى لوكاشكا ؟

ـ الله أعلم ، ليس في القرية طبيب ، وهم يلتمسون ذلك

ـ وأين يمكن أن يلتمسوا ذلك ؟ في غرورنايا ؟ »

وهنا ينكشف سر مسرح الأحداث ويصبح واضحا ، فإن غروزني هي عاصمة جمهورية الشاشان والانغوش الآن ، والقرية المشار إليها في الرواية قريبة منها

والغريب أن هذه الجمهورية مازالت مشهورة إلى الآن بعسلها الجبلي الصافي الذي يعرض كثير منه على الطرقات للبيع كما يمكن رؤية حقول واسعة كثيرة مزروعة بنبات دوار الشمس

ويبدو أن هذه المنطقة لم يكن قد انتشر فيها الاسلام ، لأن سكان القرية ـ حسب الرواية ـ كانوا من المسيحيين ، لكن هناك إشارات بأن بعضهم و بعض جيرانهم كانوا من المسلمين

وهذا الكلام الوارد في الرواية يتفق مع الكلام الذي سمعناه في غروزني ، عاصمة الشاشان
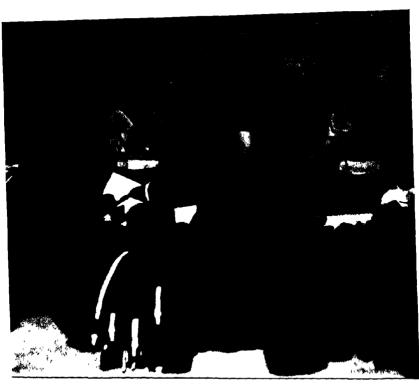
* نموذج للمرأة الشاشانية الأنغوشية بلباسها الحديث وهي تعرض نماذج من الصناعات الشعبية ، (أقصى اليمين)

* الآلة تدور والإنسان يبدع (أعلى)

* يفصح الرقص عن هوية خاصة للناس في كثير من الأحيان،فتاتان أنغوشيتان ، ولباس أنغوشي ، ورقص الجبال الذي يجعل الأرض ترتج من دقات الأرجل عليها . (يمين)

والانغوش ، فقد قالوا بأن الاسلام لم ينتشر بينهم إلا منذ قرنين تقريبا على يد الداغستانيين والأتراك

لمحة تاريخية .

تذكر بعض المصادر التاريخية أن مجموعة من الشاشان قد نزحوا عن بلادهم إلى بلاد الشام سنة ١٩٠٥ تقريباً ، وتذكر بعض الاحصاءات الرسمية أن عددهم في الأردن الآن يقترب من الخمسة آلاف نسمة ، كما يوجد بعضهم في منطقة الجولان السورية المحتلة أيضا .

وهذا النزوح لايعتبر الأول في حياة هذا الشعب والشعوب القفقاسية الأخرى ، لقد كان شعب الشاشان شريكا للشراكسة في هجراتهم ونزوحهم زمن الدولة العباسية التي نازلت دولة اليهود الخزر التي كانت قائمة في منطقة القفقاس ، واستولت على أجزاء منها ، وقد استطاع بعض الشراكسة ومن بينهم الشاشان كما ذكر لنا السيد واحة ، مسؤول العلاقات الخارجية في نقابات مدينة عروزني ، أن يصبحوا حكاما لمنطقة الشرق العربي في جزء من الفترة التي أطلق عليها « فترة حكم المماليك » ، جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد السادس ما نصه

وحيجن (أو الشاشان) من فروع الشركس كما في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي سنة ١٨٧٢ م)

ويضيف السيد واحة قائلاً كما أننا - الشاشان والانغوش - قد شاركنا في الثورات التي قامت في منطقة القفقاس ضد القوى التي تتابعت في احتلال بلادنا ، كالفرس والأتراك والروس وغيرهم

وبسبب هذه الثورات فإن كثيراً منا قد تشتت ونرح ، أو قُضي عليه ، وقد أصبحنا جزءاً من الامبراطورية الروسية بعد القضاء على ثورة الشيخ شامل في منتصف القرن الماضي ، وقد تلت ذلك تمردات كثيرة ، منها تمردات وقعت في نهاية سبعينيات القرن الماضي ، ومنها في بداية هذا القرن (سنة ١٩٠٥ م) ، إلا أن الأوضاع استقرت فأصبحنا جزءاً من الامبراطورية الروسية حتى قامت الثورة سنة ١٩١٧ ، فأصبحنا جمهورية

مع رئيس الوزراء :

قال لنا رئيس وزراء الجمهورية الشاشانية الانغوشية السيد موسى عبدالرحمن كريم عندما قابلناه في العاصمة غروزني « لقد تـ[illegible] جمهوريتنا - أي الجمهورية السوفيتية الاشـ[illegible] الشاشانية الانغوشية ، ذات الاستقلال الذا[illegible] ١٩٢٢ م ، وقد احتفلنا بالذكرى الستين لا[illegible] سنة ١٩٨٢ م .

ويضيف السيد رئيس الوزراء قائلا إ[illegible] جمهوريتنا ذات حكم ذاتي ضمن الاتحاد السوفيتي . وشعبنا - في الأساس - يتكون من فرعين هما الشاشا[illegible] والانغوش ، أضيف إليهما فرع ثالث ، والفر[illegible] الأول - الشاشان - هو الأكثر عددا ، إذ يصل عدد[illegible] إلى مايزيد على نصف عدد السكان ، في حين أ[illegible] الفرع الثاني - الانغوش - يصل عدده إلى ربع عد[illegible] السكان ، أما الفرع الثالث فهم مواطنون سوفيـ[illegible] من قوميات أخرى سوفيتية ، ينتمون إلى حوالي [illegible] قومية ، ويمثلون ربع عدد السكان تقريبا

● بماذا يتفق الشاشان مع الانغوش وبماذا يختلفو[illegible] عنهم ؟

- إن لغتنا واحدة ، وكذلك عاداتنا وتقاليد[illegible] تقريباً ، والاختلاف الوحيد هو في اللهجة ، فهنا[illegible] بعض الاختلافات البسيطة في تقديم بعض الحرو[illegible] أو تأخيرها في بعض الكلمات

وعلقت قائلا إن الأمر يشبه حالنا - نحـ[illegible] العرب - من ناحية اللغة ، فلغتنا واحدة ، لكـ[illegible] لهجاتنا مختلفة

فقال أعتقد أن الأمر كذلك

فقلت ليسمح لي السيد رئيس الوزراء بذكـ[illegible] بعض المعلومات المتداولة والشائعة التي يقول بعضـ[illegible] بأن إعلانا ثانيا للجمهورية قد تم سنة ١٩٥٧ ، بـ[illegible] صدور قرار من الحكومة المركزية السوفيتية بإعا[illegible] شعبكم من المنفى الذي كان فيه

قال رئيس الوزراء باختصار : « إن الأمر [illegible] أخطاء الماضي ، ونحن الآن بصدد تطوير الـ[illegible] الخدمات لشعبنا ، وتوجهنا وخططنا تركز [illegible] خدمات الرفاهية للناس ، والاسراع في إنجازها »

وقد ذكر لنا السيد أصحب الذي أشرنا إليه سا[illegible] أن هناك أخطاء قد حصلت في الفترة الماضية وبخاصة زمن ستالين فسألناه .

- ماهي هذه الأخطاء ؟

لكن السيد أصحب لم يشأ الاجابة بإضافة على [illegible] السؤال ، فبقي سؤالنا دون جواب شاف ، بيد [illegible] رئيس الوزراء مضى يتحدث عن أمور الحاضر كالأمية التي تم القضاء عليها ، والمهارات العد[illegible]
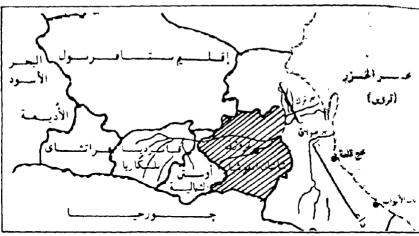
جمهوريات وأقاليم شمال القفقاس في الاتحاد السوفييتي من بينها جمهورية الشاشان والأنغوش ذات الحكم الذاتي

ي أصبح يجيدها الناس (فبين كل ألف شخص اك ٩٠٠ يحملون شهادات متخصصة) ، والجامعة كلياتها العديدة ، والمعاهد التقنية التي وصل عدد طلبة فيها مع طلبة الجامعة إلى ٢٨ ألف طالب ، لمطبوعات الكثيرة ، والمدارس التي وصل عددها ، ٥٩١ مدرسة متوسطة وثانوية ، بالاضافة إلى معاهد المتخصصة ، وواصل حديثه فتكلم عن علاقات بين العرب والسوفييت ، ومشاكل طقتنا ، والحروب القائمة فيها ، ثم أبدى تمنياته وحدة والتقدم لبلادنا .

لكن جواب السؤال المتعلق بنفي شعب الشاشان لانغوش بقي معلقا

منفى :

قلت للسيد واحة ـ مرافقنا الانغوشي ـ بعد انتهاء مقابلتنا مع رئيس الوزراء ـ « ياواحة » ، إن معلومات المتوفرة تفيد بأنه نتيجة « لتمسك شعبكم بـ عمدت السلطات الحاكمة إلى إقصائه إلى مجاهل ـ بريا (هكذا جاء نص المعلومات في كتاب البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة في العالم ـ سر ») ، وجاء في الموسوعة الميسرة مانصه ، الاتحاد السوفيتي جمهورية الشيشان والأنغوش ـ تعاونها مع الألمان في الحرب العالمية الثانية »

فقال . إن ذلك ليس صحيحا كله !

فسألت : ماهي الحقيقة إذن كما تعرفها ؟

ـ قال إن واقعة النفي صحيحة ، لكن ليس إلى سيبيريا فقط ، فبعض شعبنا قد نفي إلى جمهورية كازاخستان ، وهذا الاجراء اتخذه ستالين مع بعض الشعوب السوفيتية الأخرى التي تعاون بعض رجالاتها مع الالمان لقد احتل الالمان كثيراً من أراضينا في الحرب العالمية الثانية ، بل لقد وصلوا إلى مشارف غروزني العاصمة ، وقصفوها بطائراتهم ، فتخاذل بعض الناس ، ومنهم بعض رجال الدين ، فتعاونوا مع الالمان ، فجاء رد فعل ستالين بنفي كل الشعب ، مع أن كثيرين منا كانوا ضمن الجيش السوفيتي ، وفي فيالق الأنصار . وكما قال لك السيد رئيس الوزراء ، فإن ماتم هو خطأ من ضمن أخطاء أخرى تمت في الماضي

* قلت وماهي الفترة الزمنية التي بقيتم فيها في « منفاكم » ؟

ـ قال لقد بقينا من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٥٦ ، وقد منح الناس في الجمهوريات التي نقلوا إليها البيوت ، ودخل الأطفال المدارس ، وتم تقديم كامل الخدمات

* إن المعلومات تذكر أيضا يا (واحة) أنه قد تم تأليف فيلق « إسلامي » من بعض مواطنيكم ومن جمهوريات أخرى ، بل وقد أعلن هتلر قيام جمهوريات إسلامية في مناطقكم ، على أنقاض الجمهوريات السوفيتية ؟

ـ فأجاب واحة إن هذه المعلومات صحيحة ،

لكن المقصود منها كان الدعاية الاعلامية ، وإظهار حسن النوايا لكسب الناس ، وكل ماكان يريده هتلر هو تأمين البترول من بلادنا ، لذلك فإنه أمر بإيقاف قصف آبار بترولنا ، على أمل أن يحتلها ، لكن هجومه أوقف على بعد حوالي ١٠٠ كيلومتر من غروزني

* وبعد ذلك ما الذي تم ياواحة ؟

ـ انكسر الالمان ، وضاعت الدعايات الاعلامية المضللة سدى ، وعاد شعبنا إلى بلاده ، وتم الاعلان عن قيام الجمهورية السوفيتية ثانية سنة ١٩٥٧ م

* لقد دفعتم ثمنا عاليا ؟

ـ لقد سقط على مذبح الحرب العالمية الثانية ٢٠ مليون إنسان من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، وبالنا نحن نصيبنا من الضحايا والظلم الذي وقع ، بيد أن المهم هو الحاضر والمستقبل ، ووقف الحروب ، والبحث عن كل مامن شأنه توطيد السلام ، ودفع عجلة التقدم

النفط الناضب :

التقارير العالمية المنشورة عن النفط تشير إلى نقص واضح في الانتاج من المكامن التقليدية في الاتحاد السوفيتي ، ومن بينها مكامنه في جمهورية الشاشان والانغوش ، ولنمتحن هذه المعلومات طرحنا الأمر على خانتشادروف مينا سوفيتش المدير العام لشركة النفط في العاصمة غروزني ، فقال ـ

ـ إن شركة النفط في غروزني ومنطقتها من أقدم الشركات في الاتحاد السوفيتي ، فقد تأسست زمن القياصرة سنة ١٨٩٣ م ، ومنذ ذلك الزمان والبترول هو من أهم الثروات فيها ، وبعضه نوع من النفط الخفيف الخاص بالطيران وقد وصل عدد العاملين في الشركة إلى حوالي ٢٤ ألف عامل وموظف ، وكثير من الفنيين العاملين في الشركة استعانت بهم شركات أخرى في الاتحاد السوفيتي ، وساهموا بجهودهم لتطوير الانتاج في الاماكن الجديدة ، كما حصل في جمهورية جورجيا ، وفي سيبيريا ، وغيرهما ، وشركتنا تقدم كثيراً من الخدمات ، من بيوت ودور استحمام ومميزات أخرى تتعلق بتسهيل الحياة على العاملين فيها

* هل مازال الانتاج كما كان من قبل ؟

ـ لقد قل الانتاج عما كان عليه من قبل ، لأننا خلال ٩٠ سنة كنا نستخرج النفط من عمق يصل إلى ٤ آلاف متر ونصف تقريبا ، في حين أننا بدأنا بالحفر للوصول إلى أعماق تزيد على العمق السابق بـ[illegible] متر ، لذلك قل الانتاج في منطقتنا إن النفط [illegible] ناضبة ، يجب أن نعترف بذلك ونعلنه ، وكلـ[illegible] الضغط في الآبار أمكن أن يتحول النفط إلى [illegible] ونحن نتنج منه الآن حوالي مليار ونصف مليار متر ، في حين أن إنتاجنا كان أكثر من ذلك بكثير

* المعلومات تقول إن إنتاجكم وصل في بداية السبعينيات إلى ٢٠ مليون طن من النفط سنويا فما مقدار إنتاجكم في هذه الفترة ؟

ـ إن إنتاجنا الآن حوالي ٥ ملايين طن نفط سنويا

* ماالذي تم بالنسبة للعاملين في الشركة ؟

ـ مازالوا في أعمالهم ، وبعضهم التحق بالشركات العاملة في سيبيريا

* إذن فنقص الانتاج في المناطق التقليدية السوفيتية حقيقة صحيحة ، فمن أين يعوض الاتحاد السوفيتي هذا النقص ؟

ـ من سيبيريا ، إنها بلاد واسعة كبيرة ، وعظيمة الامكانات ، فمنطقة واحدة منها هي (سيبيريا الشرقية) ينتج فيها مايزيد على ٣٦٠ مليون طن من النفط ، وسيبيريا مرحلة طويلة ، تحتاج إلى وقت ، وإمكانات ، ليتم استغلال كل الثروات فيها

* هل يمكن القول أنه لاتوجد أزمة نفط في الاتحاد السوفيتي ؟

ـ يمكنك أن تقول ذلك بكل ثقة ، إننا مازلنا نصدر نفطنا إلى الأسواق الأوروبية الغربية ، إضافة إلى أسواق دول أوروبا الشرقية الشقيقة

الزراعة والمزارع :

* تشتهر الجمهورية الشاشانية الانغوشية بالزراعة ، وبخاصة القمح والذرة والكرمة ونبات دوار الشمس والتفاح وأنواع من الخضار والفواكه الأخرى ، وبما أن الأرض ـ كل الأرض ـ في الاتحاد السوفيتي ملك للدولة فإنك ترى مساحات كبيرة وواسعة متخصصة بزراعة نوع واحد من أنواع الحبوب أو الخضار أو الفواكه ، بشبكة من المزارع الجماعية التي أقيمت في كل البلاد (الكولخوزات والسوفخوزات)

زرنا إحدى المزارع المخصصة لتربية الحيوانات ، وقد صحبنا فيها السيد أصحب ، وقابلنا فيها مدير المزرعة السيد مراد ، وغيره من مسؤولين وإداريين

• ساحة الجندي المجهول في غروري ، يتولى حراستها صباح كل يوم شبان وشابات ، بحركات وطقوس منتظمة

• ساحة للعب ، وساعة للجد في إحدى روضات المزرعة القريبة من مدينة نازاران

ميد رئيس وزراء الجمهورية

السيدة فاطمة نائبة وزير الثقافة

السيد حسين دوتوكيس

قال السيد مراد مساحة المزرعة حوالي ٢٢ ألف كتار ، متخصصة في إنتاج اللحوم والحليب ، مل فيها ٧٥٠ عاملا ، وفيها حوالي ٥ آلاف من لحيوانات اللبونة ، من بينها ١٣٠٠ بقرة ، والعمال م بيوتهم في المزرعة ، وكل الخدمات متوفرة في لمنطقة

يوجد داخل المزرعة قريتان ، فيهما أربع دارس ، ثلاث منها ابتدائية ، وواحدة ثانوية ، سع لحوالي ٧٥٠ طالبا ، والمدرسة الابتدائية واحدة تتسع لحوالي ٤٠٠ طالب وطالبة ، وهناك ـدة روضات للأطفال ، تابعة للمزرعة تتسع لواحدة منها لحوالي ٢٠٠ طفل وطفلة

ويصل عدد السكان في المنطقة إلى حوالي عشرة لاف نسمة ، ويتراوح عدد الأطفال في الأسرة مابين ، و ٦ أطفال ، وقد تأسست المزرعة سنة ١٩٥٧ ، نحن نزرع فيها حبوبا وحصارا وفواكه أيضا بعد المزرعة بضع كيلومترات عن مدينة نراران ، في المنطقة مستشفى ، وفي كل قرية عيادة مع فريق طبي

* لقد رأينا بعض الظواهر التي نأمل أن نجد تعليقا عليها لديكم « هكذا علقت »

فقال السيد مراد على الرحب والسعة

* قلت لقد وجدنا على الطرق ، وفي مداخل المدن والقرى بعض الباعة ، خاصة من النسوة الكبار في السن والأولاد والبنات ، وهم يبيعون بعض الغلال ، كالبندورة والتفاح والاجاص والبطيخ والعسل وغير ذلك ، فهل الباعة يبيعون هذه الغلال لحسابهم ؟ وكيف تجمعت لهم هذه الغلال ؟

ـ كما تعرف فإن الأرض تملكها الدولة ، والناس أحراء فيها ، لكن هناك استثناءات معينة ، إذ يتم منح قطع من الأراضي صغيرة المساحة في خارج المدن لكثير من الناس ، لاستغلالها لحسابهم ، فيبني الناس فيها بيوتا ، يقصدونها أيام العطل والاجازات ، وفي أوقات فراغهم ، ويزرعونها مزروعات مختلفة ، نتاج هذه المزروعات يبيعونه لحسابهم الخاص طبعا ، وهناك مساحات صغيرة من الأرض ضمن مساحة البيت في المدن والقرى تتم زراعتها ، نتاجها يبيعه الناس أيضا لحسابهم الخاص ، كما أنه يتم صرف جزء من أجر العامل من محصول الأرض التي يعمل فيها في بعض الأحيان

ويمكن القول بأن نظام المحاصصة مطبق جزئيا عندنا ، أي أن العامل الذي يجمع عشرة أكياس من البطاطا يوميا ـ على سبيل المثال ـ يحصل على كيس واحد منها ، إضافة إلى راتبه الشهري طبعا

كما أن العائلات الكثيرة الأطفال تحصل على مساعدات من الدولة ، ومنها مساعدات عينية ، تلجأ إلى بيع بعضها للحصول على مقابل مادي

* وكم هو المعدل الوسطي لأجر العامل او الفلاح ؟

ـ المعاش الشهري للعامل أو الفلاح يصل حوالي ٢٥٠ روبلا في الحالات العادية ، ويمكن يزيد على ذلك ، أما هذا العميد ـ عميد العمال

أبهرهم ـ بهاء الدين قد زوييف فهو يحصل على حوالي ٤٠٠ روبل ، بسبب مهارته ، ومبادراته التي تأتي في كثير من الأحيان لصالح العمل وتوجد في المزرعة مدرسة مهنية لزيادة مستوى أداء العاملين ، وهي تتبع نظام الدورات ، ويدرس فيها بعض عمال المنطقة وفلاحوها ، إضافة إلى غيرهم من مناطق أخرى

حروف اللغة :

قبل الثورة سنة ١٩١٧ ، كان قليل من السكان يقرأون بالعربية ويكتبون بها ، وكانت منتشرة في الأوساط الدينية ، وما كان يتم تدريسه لهم لم يتعد بعض الدروس في اللغة والشريعة فقط ، لذلك كانت الأمية منتشرة انتشارا كبيرا في بلادنا هذا ما قاله لنا السيد أصحب سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في منطقة نزاران

وأضاف إن لغتنا الخاصة كانت تكتب بحروف عربية من قبل ، لكن الأمر اختلف بعد الثورة ، بكتابتها بالحروف اللاتينية في البداية ، ثم تحولنا إلى الروسية

* ولماذا تم تغيير الحروف من العربية إلى ماعداها ؟ هل هو موقف متكامل بدأ بالموقف من الدين وانتهى بحروف اللغة ؟

ـ التعامل مع الأديان نظمته القوانين ، ولا يوجد فرق في التعامل بين دين وآخر ، والفرد حر في معتقداته الدينية شرط أن لايخالف في أدائها قوانين البلاد ، أما بالنسبة للغة فإن الاجراءات التي اتخذناها أوصلتنا إلى القضاء الكامل على الأمية ، لقد كانت لغتنا تكتب بالحروف العربية ، وكانت بحالها آنذاك غير قادرة على استيعاب العلوم ، وتطورات الحياة التي تلاحقت ، فاضطررنا إلى تغييرها

أما السيدة فاطمة نائبة وزير الثقافة في الجمهورية ، ومسؤولة الثقافة الجماهيرية فيها فقد قالت عندما وجهنا إليها السؤال المتعلق بتغيير الحروف العربية أنا اختصاصية في اللغة ، ويمكن القول باختصار أن العلماء حاولوا في عشرينيات هذا القرن تطوير لغتنا المكتوبة بالحروف العربية ، كي تستوعب العلوم والتقنية الحديثة ، إلا أنهم فشلوا في ذلك فاتجهوا للاستعانة بالحروف اللاتينية مع الاستعانة بكثير من الموروث الثقافي الشاشاني الانعوشي ، ثم تم الاستقرار على استخدام اللغة الروسية مؤخرا

إنه لسبب سبب علمي محض كما أرى

الدين والعادات .

الكلام المتداول عن موقف السلطة السوفيتية ـ في بعض الأوساط ـ من الثقافة والفنون يركز على أنها تحاول زيادة الاهتمام ببعض الجوانب فيها ، على حساب جوانب أخرى ، خاصة المتعلق منها بالجوانب الدينية ، وتقول بأن ذلك الأمر يتم من أجل توفير البدائل التي تتوافق مع خططها وتوجهاتها

على سؤال حول هذا الأمر سمعنا اجتهادات قالها السيد أصحب ، والسيدة فاطمة ، والسيد ستروفانوف انا تولى النائب الأول لوزير الثقافة في الجمهورية ، والسيد صوتصائف ميلكاليت مدير المسرح الوطني ، وقد تطابقت وجهات نظرهم الى حد كبير في هذا المجال وتلخيصها كالتالي -

« إننا نهتم كثيرا بالعادات والتقاليد الشعبية ، ونحاول أن نعطي لها مكانتها في حياتنا ، لأن فيها جزءا من قسمات شعبنا المميزة ، وإننا نركز على الحي والحيوي الذي يمكن أن يطور الحياة ، ويغنيها ، ويعطيها دفعات تقدمية نحو الأمام ، اننا نستعين بما هو متوافق مع مانعتقد أنه ينقل شعبنا نحو آفاق التقدم ونعتقد أن كثيرا من الشعوب تفعل مانفعل

وبعض مافي التراث يعيق التقدم ، كالموقف من المرأة ، وعدم تعليمها على سبيل المثال ، وقد كان رجال الدين يعدون مثل هذا الاتجاه ، فهل يريد بعضهم منا أن نبقي على هذا التقليد ؟ انه تقليد رجعي ، هذا هو مجمل مواقفنا من كثير من الأمور والقضايا

اننا نأخذ بما يمكنه أن يخدم الحياة ، ويطورها ، ويتوافق مع الدستور والقوانين المرعية ، أما ماعدا ذلك فانه لايعنينا في شيء ولايلزمنا ، حتى لو كان جزءا من تقاليد شعبنا القديمة ، فاننا لانتعامل بقداسة مع التقاليد ، بل نتعامل بتفتح وادراك لما يمكنه أن يطور شعبنا ، ويفتح آفاقا للتقدم في حياته

* ماهي حقيقة « الصحوة الدينية » التي تتحدث عنها بعض الأوساط في بلادكم ، وألم تلاحظوا أو ألم تواجهوا في العشر سنين الأخيرة تحركات معينة ذات طابع ديني ؟

ـ عندما طرحنا هذا السؤال ووجهنا بعدة أسئلة ، واستفسارات ، لشرح معنى ما نريد أن نسأل عنه ومغزاه ثم جاء الجواب

ـ ليقل الاعلام الغربي والاعلام الذي يواليه في
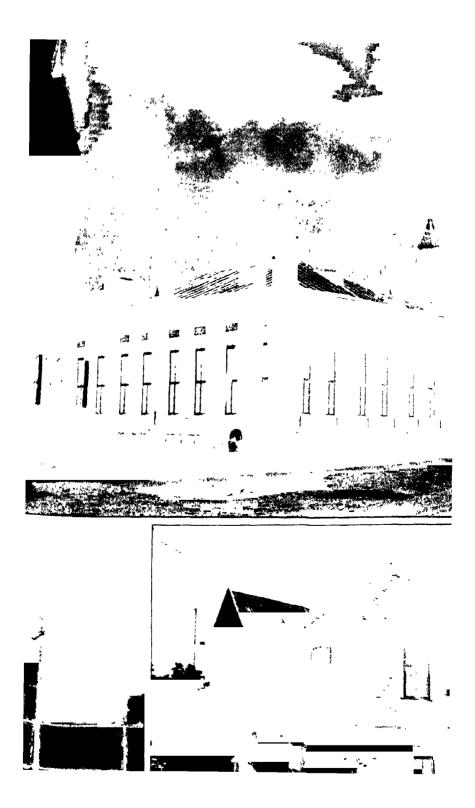
هـل تصـدق أن
رجال الشلاثة هم
لأمين العام للحزب
الشيـوعي في مدينة
غـودرمس ، وشيخ
المسجد ،
ومسـاعـده ؟ نعم
صـدق ذلك ، وهم
داخل المسجد أيضـا
وليس خارجه

* وجـه شاشـاني ،
وغطاء رأس ، عليه
نـقـوش مميـزة ،
يستعمـل للصلاة في
أغلب الأحيان

* السيـد جمال ليلى
يقف مـع صديقين
من أصـدقائـه أمـام
بيته ، وبعض النساء
يظهرن خلفهم
(أقصى اليمين)

* آيـات منقـوشـة
بتكـويـن فـي في
مسجـد مـديـنـة
غودرمس (يمين)

عبر الغرب مايقول ، وليطلق الاشاعات ، لكننا نقول أن عجلة حياتنا تسير بوتيرة متسارعة ، لمواجهة مشاكل البناء التي تعترض طريق شعبنا ، ولايجاد وسائل الرفاه والتقدم له ، وان ماتقول به بعض الأوساط ماهو الا أضغاث أحلام يحلمون بها ، ان المتدينين موجودون ، لكنهم مواطنون يؤدون واجباتهم وأعمالهم مثل غيرهم من الناس صحيح ان حياتنا لاتقوم حسب الشرائع الدينية ، لكنها لاتضيق بالمتدينين ، ولاتعترض على من يريد تأدية واجباته الدينية ، ان كان في المسجد أو الكنيسة أو الكنيس أو غيرها من أماكن العبادة أو في البيوت ، لكن بشرط الابتعاد عن اذكاء نار الحزازات والاختلافات الدينية ، أو مجابهة الدستور والقوانين السوفيتية

التعامل مع الفنون :

وفي لقائنا الذي تم في المسرح الوطني مع السيدة فاطمة مسؤولة الثقافة الجماهيرية في البلاد سألناها عن الموقف من الثقافة ، وكيف يوظفونها ؟

ـ قالت انا ننظر للثقافة من منظور استراتيجي ، يؤكد على أهميتها كصناعة ثقيلة ، توفر الأرضية المناسبة للبنى الأخرى ، ونوفرها بصورة مجانية لجميع الناس لاسيما ماتعرضه النوادي الثقافية من مسرحيات درامية وعروض سينمائية ، وعروض فنية غنائية وغيرها

ويوجد في الجمهورية ٣٨٠ ناديا جماهيريا ، ويصل عدد المكتبات العامة الى ٤٤١ مكتبة

وهدف النادي الثقافي في الأساس هو التقاط المكونات الثقافية من بين الناس ثم اعادتها اليهم بصورة ثقافية فنية ممتعة ، وبواسطة هذا الأسلوب نحافظ على كثير من التقاليد الشعبية ، ويمكننا تطويرها أيضا ، فان الهدف الاساسي للنادي هو أن يكون وسيلة اشعاع ثقافي ، يتلقى من الجماهير ويعطيها ، يأخذ ماهو خام ويلتقطه ، ثم يبث الثقافة المغربلة المتطورة الموضوعة ضمن أسس علمية فنية

ـ وأضاف مدير المسرح الوطني في غروزني الى كلام السيدة فاطمة قوله ان المسرح الوطني قد تم تأسيسه سنة ١٩٣١ ، ويوجد في العاصمة ثلاث دور عرض مسرحية ، تعرض مايزيد على (٥٠) مسرحية في السنة ، بينها مايزيد على ١٥ مسرحية من تأليف كتاب محليين ، والبقية يتم اختيارها من بين كتابات الكتاب السوفييت ، أو كتاب عالميين آخرين ، ويوجد مسرح خاص بالأطفال

وأكد أن دور الفرق المسرحية لايقتصر على تقديم العروض في المدن فقط ، بل يتعداها الى تقديم العروض في ساحات القرى وميادينها ، وبعض عروض الفرق يتم تقديمها في مدن سوفيتية أخرى ، وقد وصل بعضها الى موسكو عاصمة البلاد كلها ، وأكد بأن العاملين في المسرح قد تخرجوا من معاهد فنية متخصصة

ومادمنا نتكلم عن الفنون والفرق التي تقدمها فانه يجدر بنا الاشارة الى عرض الرقصات الفنية الذي شاهدناه في مسرح الفنون بمدينة نارازان ذات الأغلبية السكانية الانغوشية (عدد سكانها حوالي ٧٥ ألفا) ، وقد اعتمد على تقديم فقرات فنية للرقصات الشعبية المنوعة ، منها محلية ومنها رقصات لشعوب أخرى من شعوب الاتحاد السوفيتي ـ قال لنا السيد بيلان مدير الفرقة وخريج قسم البالية من معهد موسكو الفني سنة ١٩٨٣ ان عدد أفراد الفرقة يصل الى حوالي ٩٠ فردا ، بين عازف ومؤد وراقص وراقصة ، يقدمون رقصات هي عبارة عن مزيج من الفن التقليدي المحلي والفن المطور ، وبعضها يبقى عليه كما هو دون تطوير أو تحوير وأضاف قائلا ان الفرقة قد تم تأسيسها سنة ١٩٨٣ ، وقد قدمت بعض عروضها في عاصمة الجمهورية غروزني ، وفي موسكو أيضا ، وللفرقة برنامج سنوي لايقتصر على تقديم العروض في المدينة فقط ، بل يتضمن تقديم العروض على مسارح المصانع وفي القرى وميادينها وقد اشترك في أداء الرقص مع الفرقة طفل عمره ٥ سنوات ، وقد أدى بعض الرقصات الفردية

والرقص الشعبي في بلاد القفقاس عموما يعتمد على حركات عنيفة سريعة الايقاع ، تقتضي الوقوف على اصابع الارجل أحيانا ، والتوقيع المتتالي بواسطة الأرجل والأكف

تقاليد حتى في الصناعة :

« يمكن ابراز المكونات الوطنية الخاصة في الصناعة أيضا » ، هذا ما قاله لنا السيد موسى حسين دوشكييف المدير العام لمصنع الملبوسات في مدينة غروزني وأضاف : هناك انماط تقليدية من الملابس النسائية ، نصنعها أحيانا كما ورثناها ، وفي بعض الأحيان يضيف عليها بعض التطوير والتحسين مصمموا المصنع ، أما باقي المصنوعات فانها ح

السد حاتشادروف مياسوفيتش

السيد موسى بيو

السيد اصحب مكييف

س النمط التقليدي الى النقشات والأساليب الحديثة

صحيح أن مصنعنا مارال في أول شبابه (أنشيء سنة ١٩٧٦ بعد اندماج مجموعة من المصانع الصغيرة) لكنه يملك من الخبرات مايؤهله الى تغطية احتياجات الجمهورية ، بل والتصدير الى جمهوريات أخرى من جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، ويعمل فيه حوالي ٢٥٠٠ عامل وعاملة ، معظمهم متخرجون من معاهد فنية صناعية ، وننتج حوالي ١٦٠ نوعا من الملبوسات بعد أن كنا ننتج ١٣ نوعا في البداية

ومن الطبيعي أننا نواكب التطورات الحاصلة في مجالنا الصناعي ، لذلك فان التقنية الحديثة يتم ادخالها في كثير من محطات العمل ويوجد ٩ أقسام أو على الأصح ٩ مصانع صغيرة قائمة في مدن وقرى الجمهورية الأخرى ، وهي عبارة عن فروع تابعة لهذا المصنع ، وقد اشتركنا في معارض دولية لصناعة الملابس ، وحصلنا على (ميداليات) ذهبية على تصاميمنا المتعلقة بملابس النساء

واننا نراعي اجراءات السلامة بالنسبة للعاملين والعاملات في المصنع كما ترى ، في المصنع نقابة للعاملين فيه ، ولجنة حزبية ، ومركز تدريبي ، و ستراحة للاستجمام ، ومن ضمن خططنا ا سموحة بناء بيوت خاصة بالعاملين في المصنع ، و وصات خاصة بأطفالهم

صحيح أن الدولة توفر كل ذلك الآن ، لكننا ـ ن أن نساهم كادارة للمصنع ـ في التخفيف عن حل الدولة ، بايجاد بدائل مناسبة فيه ، وفوارق الأجور لاتتعدى الضعفين بين العامل المبتدىء والعامل الممتاز الذي أصبح يملك خبرة طويلة في عمله ، والمعدل الوسطي للأجرة يصل الى حوالي ١٥٠روبل شهريا

زائر المرة الأولى :

زائر المرة الأولى لاي بلد يحاول قدر الامكان الالمام بالصورة العامة للبلد الذي يزوره ، وبما أن زيارتنا لجمهورية (شيشانيا انغوشيا) كانت الأولى ، فاننا نسجل بعض الانطباعات العامة حول بعض مارأته العيون وسمعته الآذان

ـ كأي بلد شرقي آخر ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، كان معتنقو الاسلام فيه هم الأكثر بالنسبة للديانات الأخرى ومازالوا كذلك ، فان بعض المظاهر التي لها دلالاتها مازالت حاضرة ، ومنها على سبيل المثال

ـ تكوينات فنية ذات طابع شرقي واسلامي على شرفات البيوت والنوافذ ، كالتكوينات الهندسية وشكل الهلال ، وتكرار هذه التكوينات في عدة أشكال وعدة أوضاع .

ـ كتابة الأسماء والآيات القرآنية بالعربية ، أو باللغة المحلية ذات الحروف العربية على المقابر ورسم الهلال

ـ استمرار ارتداء المرأة الشاشانية الانغوشية غطاء رأس يغطي رأسها ، وبخاصة النساء الكبيرات السن ، أما الصبايا فان معظمهن يضعن منديلا
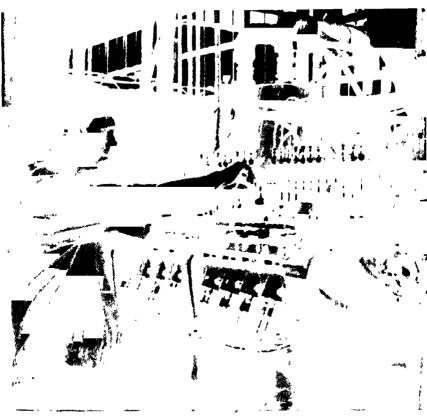
* عامل ومصنع لتكرير البترول بالقرب من عرورري

شريطا على جزء من شعرهن

وتعرف أن هذه الفتاة (شاشانية انغوشية) في معظم الأحيان - من المنديل أو الشريط المتداخل بخصلات شعرها

- بالرغم من أن عدد سكان العاصمة عرورري لايتجاوز ربع مليون نسمة ، وأن الأغلبية فيها من الشاشان ، فانك لاتجد فيها مسجدا ، بل تجد فيها كنيسة وعندما سألنا مرافقنا (واحة) أن يفسر لنا هذا الامر قال -

- ان القانون عندنا - كما في جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي - يبيح لعشرين فردا فأكثر أن يتقدموا بطلب لبناء مكان عبادة ، والصرف ورعاية كل شؤونه ، فاذا ماوجدت السلطات الرسمية أن الطلب جدي ، وأن مقدميه يملكون الأهلية المناسبة منحتهم الاذن بذلك ، وعلى مايبدو أن هذا الأمر لم يتم في مدينتا من قبل المؤمنين المسلمين

علقت قائلا لكننا رأينا مساجد خارج المدينة في بعض القرى المحاذية للطريق ، فهل يمكن ارجاع الأمر الى أن الريفيين مازالوا متمسكين أكثر سكان المدينة بالأمور الدينية ؟

- أجاب واحة لا أعتقد أن الأمر كذلك ، وكا أعرفه أنه يوجد من يصلي في المدينة أيضا ، لـ يصلون في بيوتهم

لم تشف الاجابة غليل الأسئلة في نفسي ، فما مني الا أن بحثت عن اجابات مقنعة في الـ فوجدت أن بعض المصادر تقول بأن مدينة عرو (وتعني بالروسية المخيف أو الرهيب) قد بـ الروس عندما احتلوا كل منطقة القفقاس ، مايقرب من قرنين من الزمان ، بالقرب من مـ النفط والغاز ، بل وكان الروس فيها أغلبية سنوات قليلة ، ومن الطبيعي اذن وجود الكـ فيها ، وبخاصة أن الدولة القيصرية كانت الديانة المسيحية الارثوذكسية وأما المسلمون ا كانوا يدينون بدين يلاقي رعاية أقل ان لم يكن ـ في زمن القيصرية فان أغلبيتهم كانت تتمركـ الجبال ، وبخاصة أولئك الذين حملوا السلاح

• بعض حيرات الأرض تباع على الطرقات لاحظ مناديل النساء

وقاوموا السلطة ، وحين قامت السلطة السوفيتية سنة ١٩١١ انقت على حرية الاعتقاد الديني ، لذلك تم ناء بعض المساجد في عروزني وعيرها

الا أن ماحصل أثناء الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة لمواقف بعض قطاعات الشعب الشاشاني الانعوشي المؤيد لهتلر ، (لاسيما مواقف بعض رجال الدين) دفعت القيادة التي كان على رأسها ستالين لاتخاذ رد فعل عنيف ، فأصدرت الأوامر بنفي الشعب كله الى المنافي ، فتم اهمال المساجد وهناك محاولات جارية الآن لترميم بعضها وبخاصة في العاصمة عروزني

ـ ع ما زرنا المستشفى المركزي في مدينة (ناراران) قد نا الدكتور كتيبف متيم محمد مدير المستشفى معـ ـات تفصيلية عن دور المستشفى ، والأقسام العاملة فيه (٢٨ قسما) ، وعدد العاملين ، و اختصاصاتهم ، ونسبة الأطباء للمرضى (طبيب لكل ألف مريض وهي ـ حسب رأيه ـ من أفضل الـ ـ عالميا) ، وذكر ملاحظة أثارت الاهتمام ، اذ

أنه نفى وجود مدمنين على المشروبات الكحولية أو المخدرات ، وأنه لايوجد أي قسم في المستشفى يعالج هذه الحالات ، بل أضاف بأنه لايوجد مثل ذلك في كل مستشفيات الجمهورية وسألت عن أسباب ذلك ، وهل الأمر يتعلق بالاجراءات الأخيرة التي اتخذتها السلطة السوفيتية في كل الجمهوريات للحد من الاقبال على المشروب فجاء الجواب « ان الأمر في بلادنا يعود الى ما قبل ذلك بكثير ، اذ أن المسكرات غير مقبولة ، وغير مستساغة حسب التقاليد التي ورثناها عن آبائنا ، وأن قلة نادرة من الناس عندنا تحتسي المشروب ، الا أنها تحاول أن تتستر على نفسها ، ولاتمارس ذلك علنا »

فعلقت قائلا ان الأمر لايخرج عن نطاق الموروث الديني الذي ينهى عن المنكر

وسمعت تعليقا يقول لقد أصبح ذلك جزءا من تقاليدنا وعاداتنا

وأردنا أن نمتحن مصداقية معلومات عدم الاقبال

على المشروب ، فجلسنا في المقهى الرصيفي التابع للفندق الذي كنا ننزل فيه في مدينة عرورني ، وهناك تابعنا الرواد والرائحين والغادين ، وكانت حصيلة مالاحظناه التالي -

من النادر جدا أن ترى امرأة تدخن ، ومعظم من يدخنون من الرجال (قلة قليلة ، ايضا) وهم من الشبان ، وأقل القليل منهم هو الذي يحتسي الخمر ، ومن النادر مصادفة السكارى التقليديين بترنحاتهم وأصواتهم العالية وضجيجهم في الطرق الرئيسية

مسجد غودرمس :

تقع مدينة (غودرمس) على بعد حوالي ٥٠ كيلو مترا من مدينة (عرورني) ، وهي مدينة تتربع في سهل زراعي تجد عند مدخلها عشرات النساء والاولاد والبنات ، يبيعون العسل والفواكه والخضار ، عدد سكانها حوالي ٦٠ ألف نسمة غالبيتهم من الشاشان ، وقصدنا مسجدها الذي تملأ جوانب حيطانه الآيات القرآنية الكريمة المكتوبة بلغة عربية سليمة

قال امام المسجد الشيخ أبو بكر عبد الرشيد الذي يتجاوز عمره ٧٥ سنة ان طول المسجد ٣٨ مترا ، وعرضه ١٢ مترا ، ومبناه عبارة عن طابق أرضي واحد ، يتسع لحوالي ألف مصل ، وقد بني قبل سنة ١٩١٧ ، وكانت فيه مدرسة دينية ، أغلقت ، وأصبح على من يود دراسة علوم الدين أن يلتحق بمدرسة (مير عرب) في مدينة بخارى ، ونحن نقوم بتجديد البناء وترميمه بين فترة وأخرى وحول صلاة النساء في المسجد قال الشيخ أبو بكر « ان المذهب الشافعي لايبيح صلاة النساء في المسجد ، لذلك فانهن يصلين في بيوتهن ، وأضاف بأن من بين المصلين تجد الشيخ والكهل والشاب

في بيت عائلة شاشانية :

استضافنا السيد جمال ليلى في بيته بمدينة غودرمس ، رجل تجاوز الستين من عمره ، له ولدان وبنت واحدة ، كلهم متزوجون ، فالفتاة تزوجت من رجل يقيم في اقليم ستفربول القريب (وهو يقع في الشمال الغربي من الجمهورية ، وتقع أوسيتا الشمالية في الغرب منها ، وفي جنوبها داغستان وجورجيا ، وفي الشمال منها داغستان واقليم ستافربول وجانب من أوسيتا الشمالية ، وفي شرقها داغستان)

وقد أحيل هذا الرجل على التقاعد بعد [illegible] الستين ، فيما استمرت زوجته بالعمل ، وهو [illegible] الآن لحسابه الخاص « سباكا » ، وكان آخر معاش حصل عليه هو ١٦٠ روبلا

وعن بيته المبني من طابقين قال لقد بنيت البيت بعد أن وفرت مبالغ قليلة من عملي وعمل امرأتي ، وحصلت على قرض من البنك بمبلغ ألف روبل ، مدة سداده عشر سنوات ، بدون فوائد خلال السنوات الثلاث الأولى ، والفائدة السنوية في السنوات اللاحقة هي ٢/١ في المائة ، وقد حصلت على قرض آخر من بعض الأصدقاء ، كما ساهم بعضهم في البناء ، وهذه طريقة متعارف عليها في بلادنا ، نسميها (بلحي) ، حيث يساهم مجموعة من الأصدقاء في مساعدة بعضهم البعض في أية ضائقة تصيبهم أو احتياجات يحتاجونها وبالقرب من بيتي بنى الولدان بيتهما بعد زواجهما ، أحدهما يعمل في مزرعة تعاونية ، ويتقاضى ٢٥٠ شهريا روبلا ، والآخر يعمل سائقا ويتقاضى ١٥٠ روبلا ، وزوجتاهما تعملان في التمريض ، أما أطفالهما الصغار فان بعضهم مسجل في الروضات ، والكبار منهم في المدارس الابتدائية

* وعن زواجه بواحدة قال انني متزوج امرأة واحدة فقد كانت القوانين السائدة قبل الثورة تبيح الزواج بأكثر من واحدة ، أما القانون السوفييتي فانه لايبيح الزواج بأكثر من زوجة واحدة

وحول موضوع المواريث قال ان الارث الأ[illegible] يوزع على الابناء والبنات بالتساوي ، ومن عاداتنا أن البيت يؤول بعد وفاة صاحبه الى أصغر الأبناء ، ويزوره الأبناء الآخرون أو البنات بصفته بيت العائلة ، واذا لم يكن هناك أولاد أو بنات من صلب الرجل ، فان البيت يمكن توريثه بعد ستة أشهر من وفاة صاحبه الى أقرب الأقارب ، واذا كان غير موجود فانه يؤول الى الحكومة

* هل تصلي ياسيد جمال ؟ (وانضم الينا في هذه اللحظة السيدان أحمد وعبد الوهاب برجحي) فقالوا جميعا نعم نصلي ، لكن الدين لايتدخل في تسيير حياتنا ، والأبناء يمكن أن نوجههم نحو مانعتقد أنه مناسب لهم ، لكنهم أحرار في اتخاذ الموقف المناسب لهم « لا اكراه في الدين »

* من هو صاحب القرار في البيت ؟

أجاب السيد جمال طبعا الرجل

ونظرت لأحد الأبناء وسألته . ماذا تقول ؟

فأجاب ان الأمر يتم من خلال المشاور[illegible]

اولة بين الزوج وروجته ، مادام الأمر يتعلق
ياء ومواقف تهمهما سويا ، ان للمرأة رأيها كما أن
حل رأيه

* كيف تنظرون الينا ؟ وماهي انطباعاتكم عن
رب ؟

قال الرحال الثلاثة بعد تمعن ولحظة صمت
صكم أرض مقدسة ، انها وطن الدين والاسلام ،
نمني لهذه الأرض السلام والصفاء ، وكل الخير
المحبة لشعبها

ملحق -

أثناء زيارة بعثة مجلة العربي لمدينة عمان ارتأت
عائلة بعض الشاشان فيها للاستيضاح عن بعض
علومات المتعلقة بعاداتهم وتقاليدهم ، فكان لقاء
السيد موسى بيبو رئيس بلدية بلدة صويلح - القريبة
ن عمان - سابقا ، وبأخيه المهندس سعيد ورير
لأشغال الأسبق وبعض أولادهم وبناتهم قالوا
لقد جاء آباؤنا الى صويلح حوالي سنة ١٩٠٤م -
السيد موسى من مواليد سنة ١٩١٣ ، والسيد سعيد
من مواليد سنة ١٩٢٧ - وقد جاء معهم ناس من
الشاشان الى الزرقاء سنة ١٩٠٣م

وأضافوا أصلنا من بلدة بينا - والألف تلفظ
واوا عندنا - وهي تبعد حوالي ٨٠ كيلو مترا عن
العاصمة عروزني من ناحية الحدود الداغستانية
وقد زار أناس كثيرون من شاشان المملكة الأردنية
الهاشمية بلادهم الأصلية في كثير من المناسبات ،
وبعض الطلبة الشاشانيين يذهبون للدراسة هناك ،
واشاروا الى احدى فتيات العائلة وقالوا بأنها مازالت
تدرس هناك في جامعة مدينة عروزني

وعن بعض العادات والتقاليد قالوا

« فعلا ان المدخنين قلة نادرة في شعبنا ، واحترام
الكبير واجب عندنا ، وعندما دخل السيد موسى
وقف كل من كان موجودا في الغرفة احتراما له ،
وهذا أمر تشترك فيه المجتمعات الاسلامية
والشرقية أما بالنسبة لصلاة المرأة - حسب المذهب
الشافعي - فانهم أكدوا بأنها يمكن أن تصلي في
المساجد

أما بالنسبة للعلاقة بين الأب والابن فقالوا اننا
كمجتمع جبلي لانحبذ العاطفية الزائدة وان الطفل
اذا ما كبا وتعثر بحضور الجد أو الاب - على سبيل
المثال فان الأب لايمكن أن يقيله من عثرته ، بل
يترك الأمر للمرأة ، كما أنه لايستحسن اصطحاب
الرجل لأبنائه في رواحه وغدواته حتى ولو كان ذلك
الى المسجد ، وان عالم الرحال عندنا عالم منفصل عن
عالم المرأة والأولاد ، وانها بعض العادات التي مايزال
بعضها مطبقا حتى الآن

لاينتهي عند عتبة الباب :

آثرنا أن ننتقل بالسيارة بدلا من الطائرة عند انتهاء
رحلتنا الى بلاد الشاشان والانغوش ، وقلنا ان
الطريق البري يطلعنا على بعض المعالم في البلاد ،
(تبعد عروزني عن أقرب نقطة حدود من ناحية
داغستان حوالي ١٥٠ كيلو مترا) وهكذا كان ،
فرأينا الأرض الزراعية الشاسعة ، وخضرة الحقول
المزروعة بالفواكه والخضراوات ترافقنا الطريق ،
وأحيانا ترافقنا صفرتها بعد تمام حصاد القمح أو الذرة
فيها ، وأحيانا أخرى يرافقنا منها الأخضر والأصفر
معا وذلك إذا ما كانت الحقول مزروعة بنبات دوار
الشمس ، فالحقول المزروعة به كثيرة

أصر السيد واحة والسائق على توصيلنا الى مدينة
محتشكلا عاصمة الداغستان ، على اعتبار أن ذلك هو
أحد التقاليد المرعية في بلادهم وعلى نقطة الحدود التي
لا يوجد عليها الا لوحة تشير الى ذلك استقبلتنا
مجموعة من الرجال ، ورتبوا لنا جلسة ود بالقرب من
مزرعة لكروم العنب وأصروا على أن نتناول بعض
المأكولات والفواكه - قال لنا المرافق ان ذلك
تقليد ، ويجب أن تخضعوا لطقوسه ، ثم قالوا لنا
كلمات مليئة بالحب والتعاطف والاخاء ، فأخذناهم
بكلمات تقطر شكرا وعرفانا لانهم سهلوا مهمتنا ،
وتبادلنا معهم الأمنيات برفاه كل الشعوب وتقدمها
وسيادة السلام العادل لكل أقطار العالم

وبرز الخنجر الفضي لامعا بيد مستقبلنا
الداغستاني سلطان ، وقال هذا تقليد جبلي
داغستاني انه لكم ، نهديكم اياه ، وهو رمز للدفاع
عن الوطن - فعبرنا له عن شكرنا وتقديرنا ، وكان
لابد من وداع ، ولسان حالنا يقول قد نلتقي وقد
لانلتقي ، لكننا أعطيناكم بعض مانعرف عن بلادنا
وأودعتمونا بعض ماتعرفون عن بلادكم ونأمل أن
تتسع جسور المعرفة بيننا،وفي تلك اللحظة تذكرت
قولاً للشاعرة الشاشانية السوفيتية رئيسة احماتوفا ،
تقول فيه « منذ القديم والقرويون الجبليون في
بلدي يعتبرون أن الوطن يبدأ دائما عند عتبة باب
البيت ، واليوم يقولون ان الوطن يبدأ عند عتبة
الباب ، لكنه ولأي سبب كان قد لاينتهي
هناك » □

أرض عربية

بقلم : الدكتور خالد محمد نعيم

عادت مشكلة سبتة ومليلية المغربيتين والواقعتين تحت الاحتلال الاسباني الى الظهور على سطح الأحداث ، ومع بداية العام الحالي بدأت حركة عصيان مدني تصحبها اشتباكات دامية بين قوات الاحتلال والسكان المغاربة الذين يتطلعون الى التخلص من نير الاستعمار .

أعلن الشيخ « عمر محمد دودوح » زعيم المسلمين المغاربة في مدينة (مليلية) المغربية ، الواقعة تحت سيطرة الاستعمار الاسباني في يوم ٨ فبراير من هذا العام (١٩٨٧) - بأن المغاربة في المدينة قرروا تنظيم حركة عصيان مدني ضد سلطات الاحتلال الاسباني ، وان العصيان سيشمل الام‍ـ‍ـاع عن دفع الضرائب ومقاطعة جميع المحال التجار‍ية ووسائل النقل والأماكن العامة والخاصة في المد‍ينة وان هذا العصيان سيستمر حتى يتم اطلاق سر‍اح المسلمين (العرب) التسعة الذين اعتقـ‍ـلتهم

..لحوت وسمك الصيد تملأ المياه
..حرم منها أهل البلاد المغاربة

مسجد مليلة الوحيد

سلطات الاسبانية ، فى أعقاب حوادث العنف ، ..لتى تصاعدت فى مليلية الاسبوع الماضى .

وكانت مليلية قد شهدت ليلة ١٨ ديسمبر ١٩٨٦ ..شتباكات دامية ، بين المتظاهرين ، من السكان ..لمغاربة المسلمين ، وبين سلطات بوليس الاحتلال الاسبانى مما أدى الى اصابة سبعة من رجال البوليس وأحد المتظاهرين ، وكانت هذه المظاهرات قد ..ت إثر اعتقال سلطات البوليس الاسبانى ..(الش..ح عبد الرحمن محمد) ، أحد الزعماء المسلمين ومعه ..مانية من رفاقه الذين يقودون فصائل حركة المقاو.. الاسلامية ضد الوجود الامبريالى الاسبانى فى مليلـ.. ، ووجهت اليهم جميعا تهمة تهديد أحد أص..ب المتاجر لرفضه الاشتراك فى اضراب عام كان.. قيادات فصائل حركة المقاومة الاسلامية قد دع.. اليه يوم ١٥ ديسمبر ١٩٨٦

..تبر الشيخ عبد الرحمن محمد ، امام المسجد الوحيد فى مليلية من أبرز الزعامات الدينية ، فى المدينة ، التى تناهض المحاولات المتكررة والمستمرة من جانب الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية ، لتحويل المسلمين المغاربة الى النصرانية

وبذلك عادت مسألة (بقايا المستعمرات الاسبانية فى الوطن العربى) لتحتل واجهة الصدارة فى اهتمامات وسائل الاعلام العالمية ، بعد غيبة طويلة ، وكانت وكالات الأنباء العالمية ، خلال شهر اغسطس ١٩٨٦ ، قد طيرت خبرا ، بأن الحكومة الاسبانية سوف تعين ـ فى وقت قريب جدا ـ مندوبا حديدا فى مدينة (مليلية) خلفا للجنرال الاسبانى (أندريه مورينوحويار) ، الذى تتهمه الأوساط الاسبانية المتطرفة (اليمين الاسبانى) بتعاطفه مع المغاربة المسلمين فى المدينة المحتلة ، هذا فى الوقت الذى ماتزال (مليلية) تعيش مضاعفات ـ ردود فعل ـ اغتيال المناضل المغربى (محمد احريقة) ، على

أيدى اثنين من رجال البوليس الاسبان ، فى شهر يوليو ١٩٨٦ ، وسيطرت بوادر القلق والتوتر على جو العلاقات المغربية الاسبانية ، وخاصة بعد تطبيق (قانون الأجانب) على المغاربة أصحاب الأرض .

وأمام تصاعد عمل فصائل حركة المقاومة الاسلامية ، داخل مليلية ، حاولت الأوساط الاسبانية أن تحتوى الأزمة القائمة فى المدينة « بأن أصدرت وزارة الداخلية الاسبانية فى ٢ سبتمبر ١٩٨٦ قرارا بتعيين (الشيخ عمر محمدى دودوح) زعيم الجالية الاسلامية فى مليلية ، مستشارا لوزير الداخلية الاسبانية ، لشئون الأقليات فى محاولة من جانب حكومة مدريد لتفريغ المقاومة الاسلامية بالمدينة ، ويلاحظ ان هذا المنصب مستحدث ، وتعد هذه هى المرة الأولى ، التى يتم فيها تعيين أحد المسلمين المغاربة ، فى مليلية ، بمنصب مهم

وكان الشيخ عمر دودوح ، قد تزعم حركة احتجاجات عنيفة ، خلال الأشهر القليلة الماضية (يوليو أغسطس ١٩٨٦) ، للاعتراض على (قانون الأجانب) الذى عرَّض معظم سكان مليلية ـ البالغ عددهم عشرين ألفا من المسلمين المغاربة ـ للطرد من المدينة ، وكان الشيخ عمر دودوح ، قد حصل على تعهد من حكومة مدريد ، بعمل احصاء دقيق للأفراد المسلمين ، المستحقين للجنسية الاسبانية . !

ورغم أن الأحداث الأخيرة التى جرت تكشف بوضوح عن أنه لم يحدث أى تغيير فى سياسة اسبانيا الاستعمارية تجاه الوطنيين المسلمين فى مليلية ، وأن الاسباب التى فجرتها الأحداث مشابهة للأسباب القديمة ، غير أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام ، هى تزامن هذه الأحداث الأخيرة فى مليلية ، مع انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى فى الكويت ، فى أواخر شهر يناير ١٩٨٧

الأصول التاريخية لمسألة مليلية وسبتة

وترجع الجذور التاريخية لهذه المشكلة ، الى نهاية القرن الخامس عشر والسنوات الأولى من القرن السادس عشر ، حيث إن هذه السنوات قد شهدت مرحلة تطور وتحول خطيرين للبلاد المغربية ، وكانت سنوات النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، قد شهدت تطورات كبيرة ـ أيضا ـ فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، أثرت على مستقبل المغرب الكبير ، وعلى مستقبل سكانه ، ومستقبل المسلمين الموجودين فيه ، والمسلمين المغاربة فى كل شمال افريقية

واذا كان فرسان ونبلاء ـ العصور الوسطى ـ قد حاولوا التغلب على الأقطار العربية والاسلامية عن طريق البر ، فإن العصور الحديثة قد شهدت محاولات متصلة من جانب أبناء الطبقات الوسطى الأوروبية ، للسيطرة على الأقطار العربية الاسلامية ، بقوة السفن ، وبقوة رؤوس الأموال ، وبقوة التجارة ، وهى الوسائل العملية الجديدة ، فى بداية العصور الحديثة

لقد كان اتجاه (فرديناند وايزابيلا) الى توحيد اسبانيا ، يعنى انتزاع السلطة من أيدى المسلمين فى الأندلس ، ولذلك فقد كانت معركة دامية بين الاسبانيين وبين المسلمين ، حيث استخدم الاسبانيون فيها كل شدة ممكنة ، وكل تعصب يمكن تصوره ، وعندما حاولت القيادات الاسلامية الموجودة فى شمال افريقية ـ فى ذلك الوقت ـ ارسال بعض النجدات للمسلمين فى الأندلس ، كانت هذه النجدات غير فعالة ، ولم تؤد الى نتيجة لها قيمتها ، حيث كانت القوى الكاثوليكية متفوقة فى النواحى الاقتصادية والعسكرية وفى الجانب الآخر ، كانت عوامل الضعف قد أخذت تعمل فى الامارات الاسلامية فى بلاد المغرب الكبير ، ونتج عن هذه العملية ، وعن القسوة والوحشية التى ارتبطت بها ، تدعيم نظام محاكم التفتيش فى الأندلس ، وبشكل كان يجبر المسلمين على قبول التعميد ، أو الخروج من البلاد ، وفى فترات محددة وقصيرة .

أهداف تآمرية

وكان لقرب الامارات الاسلامية المغربية ، من شبه الجزيرة الأيبيرية ، وارتباط المعركة بمسألة طرد (الموريسكيين) من الأندلس أن تبلور الصراع بين الصليب والهلال ، وحتى اذا كان هدف ملوك اسبانيا من وراء هذا الصراع ـ كما يدعون ـ توجيه الرأى العام بعيدا عن المشكلات الداخلية ، وخصوصا أمام عملية بناء سلطة الدولة الحديثة ، فان هذه العملية كانت توصل ـ فى نفس الوقت ـ الى زيادة روح العداء بين المسيحيين والمسلمين المغاربة ، ونعمل بالتالى على استمرارية حالات التوتر بين الطرفين

من هنا تجمعت الدوافع التى سيَّرت العلاقات العربية الأندلسية أو الاسلامية الكاثوليكية صوب اصطدام مسلح ، وفى كل النقط التى يحدث فيها الالتقاء

ولقد اشتملت خطة الاسبان والبرتغاليين ، على تطويق أقاليم المغرب الاسلامية ، ثم احتلال موانئه المطلة على البحر المتوسط ، وتحويلها الى المسيحية ، لقد دعيت (الملكة ايزابيلا) الكاثوليكية الى أنها كتب في وصيتها ، « ضرورة قيام الكاثوليكيين بغزو بلاد المغرب ، وتحويل المغاربة المسلمين الى الدين المسيحي ، ورفع علم الصليب الاسباني عليه ، بدلا من اعلام الهلال »

لقد قام البرتغاليون باحتلال بعض موانىء المغرب ، فاحتلوا (سبتة) عام ١٤١٦ ، ثم أخذ الاسبانيون في احتلال (مليلية) في عام ٨٧٦هـ - ١٤٩٦هـ) التي كانت جزءا من مملكة تلمسان ، وراح الاسبانيون ينفذون وصية (ايزابيلا) ، باحتلال شمال افريقية ، لتحويل سكانه الى المسيحية ، فاحتلوا (المرسى الكبير) ، في عام ١٥٠٥م ، وبعد أن سقطت البرتغال في يد الاسبانيين ، أصبحت (سبتة) من ممتلكات التاج الاسباني منذ عام ١٧٣٥م ، وهكذا غدا للاسبانيين عدة جيوب متناثرة على الساحل الغربي الممتد من المحيط الأطلسي حتى طرابلس الغرب

موقع مليلية وجغرافيتها

ومليلية التي تسمى عند البربر (تامليلت) ، أي « البيضاء » مدينة تقبع على ساحل البحر المتوسط ، وأحد جانبها المحادي للبحر شكل قوس نصف دائري ، ومساحتها تصل الى ١٢,٣ كيلومترا مربعا ، ويقطنها - اليوم - حوالي ١٠٠ ألف نسمة ، وهي تبعد عن الحدود المغربية الجزائرية بنحو ١٢ ميلا ، وقد تحول أهلها الوطنيون الى أقلية ، ويصل عددهم فيها الى ٢٠ ألف نسمة من المسلمين المغاربة

ويصور (الحسن الوزان) المأساة التي حلت بمليلية يوم أن احتلها الاسبان في عام ١٤٩٦ ، فيقول « بعث ملك اسبانيا أسطولا » بقيادة دوق (مرديناسيدونيا) ، لحصارها ، لكن السكان شعروا به قبل وصوله ، فاستصرخوا ملك فاس ، الا أنه كان مشغولا بحرب القبائل فلم يبعث لهم الا بفئة خفيفة ، مما جعل أهل مليلية - الذين كانوا على علم بضخامة الأسطول الاسباني - يتوقعون العجز عن الصمود ، فأخلوا المدينة وفروا بأمتعتهم الى (بطيوه) ، وأمام هذا الأمر أضرم قبطان الملك النيران في جميع الدور ، وأحرق المدينة ، إما عقابا للسكان وإما نكاية بالغزاة ، ووصل الأسطول

خريطة تبين موقع كل من سبته ومليلة في المغرب

الاسباني بعد الحريق ، ووجم الغزاة ، ولكنهم عزموا على عدم التخلي عن المدينة ، وأقاموا منها حصنا ، وبنوا الأسوار من حوله ، واتخذوا منه قاعدة حربية للهجوم - بعد ذلك - على الشاطىء الافريقي ، ولضربه بالقنابل

ومنذ ذلك التاريخ ومليلية تحت نير الاستعمار الاسباني !!

المشكلة عبر التاريخ

ومنذ عام ١٦٨٥ ، ومحاولات المغرب لا تتوقف لاسترداد الأراضي المغتصبة ، غير أن معاهدة لشبونة في عام ١٦٨٨ قد أقرت ملكية اسبانيا لمليلية وسبتة وملحقاتها ، ومع مرور القرون - على تلك الملكية - تصور البعض أنه كان من الصعب على المغرب استرجاع مليلية وسبتة ، وذلك لادعاءات المستعمر الاسباني المتكررة بأنها أصبحتا أرضا اسبانية خالصة ، وبالتالي غدا الدفاع عنها دفاعا عن العمق الاستراتيجي لاسبانيا ، مع الأخذ في الاعتبار ان المدينتين يمثلان من وجهة النظر السياسية والجغرافية - امتدادا طبيعيا للتراب المغربي ، خصوصا أن المغرب يمتلك من المبررات التاريخية ما يؤكد أحقيته في استردادهما ، في حين أن المستعمر الاسباني يعتبر (مليلية) من وجهة النظر القانونية « منطقة اسبانية في الجسم المغربي الأم »

وكان المغرب - ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر - يرغب في تحرير مليلية ، ورؤية بقية

أقاليمه الأخرى محررة ، خصوصا أن هذه المستعمرات الاسبانية - قد تحولت الى قواعد استراتيجية ، لذلك فان حكومة مدريد كانت تقلق من هيئة الحكومة المغربية تجاه الأهالى ، بينما كانت اسبانيا ترى - وخصوصا بعد احتلال فرنسا للجزائر فى عام ١٨٣٠م - ضرورة توسعها فى الأقاليم الشمالية من المغرب كذلك ، والحصول على مركز متميز عن كل من فرنسا التى احتلت الجزائر ، وانجلترا القابعة فى قلعة جبل طارق ، الأرض الاسبانية !!

الحرب الأسبانية المغربية

ولما كان من الصعب على اسبانيا أن تسترجع قلعة جبل طارق من انجلترا ، فانها حاولت أن تحصل على نجاح متميز فى شمال المغرب ، قبالة جبل طارق ، يعوض فشلها فى بلادها ، لذلك أخذت حكومة مدريد ، ومنذ عام ١٨٥٨ ، تهدد باحتلال المغرب ، ثم ساقت الظروف حادثة أسر رجال الريف المغاربة لاحدى السفن الاسبانية ، فاستغلتها مدريد ، وجعلت منها ذريعة أرسلت على أثرها أسطولها أمام طنجة ، كما أخذت ترسل الامدادات الحربية الى قواعدها فى سبتة ومليلية

وعلى الرغم من أن رجال الريف ، تركوا السفينة الاسبانية ومن عليها ، الا أن اسبانيا أعلنت الحرب على المغرب ، فى ٢٤ اكتوبر عام ١٨٥٩ ، وأيدها فى ذلك كل الرأى العام الأوروبى ، وانتشرت الحماسة مع روح صليبية فى كل اسبانيا ، وأخذ الناس يتبرعون بما يملكون للمساهمة فى مواصلة نشر (الايمان الصحيح) - المسيحية الكاثوليكية - بين سكان شمال افريقيا ، وجددت الملكة (ايزابيلا الثانية) ما قامت به (ايزابيلا الكاثوليكية) ، من منح جواهرها ومصاغها (لهذه الحرب الصليبية) فقد كانت أياما مليئة ومشحونة بالعواطف والتعصب ، وعادت بكل من اسبانيا والمغرب الى نهاية القرن الخامس عشر

وتحرك الأسطول الاسبانى ، فى شكل طابور من أربع عشرة سفينة حربية ، تم استئجار معظمها من فرنسا وبريطانيا ، على ظهرها ٤٤ ألف مقاتل ، قاصدا شمال المغرب ، فاحتل (تطوان) فى ٦ فبراير عام ١٨٦٠ ومع أن القوات المغربية ، بقيادة شقيقي السلطان ، لم تستسلم فى هذه الحرب رغم الخسائر الجسيمة التى وقعت فيها ، فان توقف الحرب جاء نتيجة للضائقة المالية التى وقعت فيها كل من المغرب واسبانيا ، وهى التى حالت دون مواصلة العمليات الحربية

تزايد نفوذ اسبانيا فى مليلية

وعرضت حكومة مدريد الصلح على المغرب ، فى ١٦ مارس ١٨٦٠م ، ووافق المغرب فى ٢٥ مارس ، ووقعت بين الطرفين معاهدة ، كان من ضمن بنودها شروط خاصة بتوسيع أراضى القواعد الاسبانية فى مليلية وسبتة ، والتنازل عن قطعة أرض بجوار (سيدى ايعيس) ، والسماح لاسبانيا بارسال (رجال بعثات التبشير) الكاثوليك الى المغرب

غير ان الموقف ازداد تعقيدا ، بين المغرب واسبانيا ، عندما علمت حكومة المغرب الاسلامية بتحويل الاسبانيين لأحد مساجد مليلية الى كنيسة ، وبطريقة تعطى للاحتلال الاسبانى المؤقت للقواعد الشمالية المغربية شكلا دائما ، وظهر أن الطريقة الوحيدة أمام المغاربة هى الاستمرار فى الحرب ، التى لم تكن فى ذلك الوقت ، فى صالحهم

وأخذت حكومة مدريد ، تتودد للمغاربة ، لاحتواء أزمة الكنيسة ، بعقد معاهدة تجارية مع المغرب فى ٢٠ نوفمبر عام ١٨٦٠م وصل بها المغرب الى نقطة تحول خطيرة فى تاريخ علاقاته باسبانيا فقد كان من نتائج هذه المعاهدة تعيين عدد من الموظفين الاسبانيين فى الموانىء المغربية للاشراف على ايرادات الجمارك ، كما عينت اسبانيا عددا من القناصل فى الموانىء ، وأصبح هناك اتصال يومى بين هؤلاء الموظفين الاسبان الذين كانوا يتمتعون بحصانة دبلوماسية ، وبين الموظفين المغاربة ، فى مليلية ، وقد سمح وجودهم بمجىء جالية اسبانية كبيرة وأعقبها وفود جاليات أجنبية أخرى

وتتالت الأحداث بسرعة ، بعد نشوب ثورة ١٨٦٨م فى اسبانيا ، وأدت هذه الحوادث الى الاسراع فى تقليل دور اسبانيا فى المغرب ، وبشكل واضح ، غير أن اسبانيا حاولت جاهدة مع الدبلوماسية الفرنسية ، الابقاء على وجودها فى مليلية وسبتة وملحقاتها ، ونجحت فعلا فى ذلك ، ففى ٣ اكتوبر عام ١٩٠٤ تم توقيع الاتفاق الفرنسى الاسبانى ، بشأن المغرب ، احتفظت اسبانيا بمقتضاه ، بنفوذها غير منقوص فى منطقة البحر المتوسط الشمالية ومنذ ذلك الوقت غدت مليلية وسبتة وملحقاتها ، مناطق نفوذ اسبانية (مستعمرات اسبانية) معترف بها دوليا .

الوجه القبيح للوجود العسكري الاسباني امام قلعة مليلة

المحاولات المغربية لاسترداد مليلية وسبتة

كان هذا الاتفاق قد صعد عمليات المقاومة داخل مليلية وسبتة ، اعتبارا من يوليو وحتى اكتوبر عام ١٩٠٩ ، فقد شن لفيف من زعماء الريف غارات منظمة على قوات الاحتلال الاسبانية فى مليلية ، وألحقوا خسائر بها ، ومع جسامة الخسائر فى الجانب الاسبانى لم تتوقف عمليات التوسع فى المنطقة المحيطة بمليلية ، ولكن روح الثورة انتشرت بين رجال الريف ، بمجرد أن بدأت السلطات الاسبانية تعمل على التوغل داخل المنطقة لحمايتها ، وأدى ذلك الى اصطدامات مسلحة .

لقد كان الاستعمار الاسبانى ، يميز بين نوعين من الاحتلال ـ عندما خيم على المغرب العربى النظام الاستعمارى ـ فالقسم الشمالى يعرف بمنطقة الريف ، وكان قد أخضع لنظام الحماية ، والمناطق الأخرى المتمثلة فى الجيوب الساحلية والصحراء يدعى أن وجوده فى مناطق الحماية يستند الى معاهدات بين فرنسا ومدريد ، ولذا انسحبت اسبانيا من منطقة الريف فى مارس ١٩٥٦ ، وانسحبت كذلك ـ فى وقت لاحق ـ من مناطق طرفاية والصحراء ، أما القسم الثانى ، فقد اعتبره المستعمر الاسبانى أرضا اسبانية ، بدعوى طول الفترة التى مارست خلالها اسبانيا ادارة هذه الجيوب الساحلية ، التى احتلتها عن طريق (الغزو) ، وتعتبر مليلية وسبتة ـ فى رأى الاسبانيين ـ أرضا اسبانية لدرجة أن القارىء للدليل السياحى الاسبانى يقرأ ان « مليلية » هى أجمل المدن الاسبانية فى افريقيا

والحقيقة أن المغرب لم يتخل عن اهتمامه وعزمه على استرداد مليلية وسبتة ، وملحقاتها ، حتى يحقق وحدة التراب المغربى ، وكان الاتفاق المغربى ـ الاسبانى فى عام ١٩٥٦ ، وما تلاه من مفاوضات ، بمثابة خطوة ايجابية فى طريق التحرر من الاستعمار الاسبانى الذى يجثم على انفاس المسلمين المغاربة فى مليلية وسبتة ، حدث ذلك فى عهد الدكتاتور فرانكو ، ولكن بعد أن تحولت اسبانيا الى الملكية الديمقراطية ، اخذ المتشددون وهم من انصار اليمين الاسبانى ، ينادون بعدم التخلى عن المدينتين ، ويطالبون بالتمسك بهما ، مع استمرار طمس كل ما

يتعلق بالتراث المغربي الاسلامي ، وبالهوية العربية ، وذلك تحسبا لأي تحكيم دولي يحتم اجراء استفتاء لسكان المدينتين ، لاختيار انتمائهم لأي من اسبانيا أو المغرب .

ولذلك بدأت - ومنذ عام ١٩٥٧ - بطريقة مكثفة ، عمليات توطين مستمرة من جانب الاسبانيين ، في محاولة لقلب الميزان السكاني في مليلية وسبتة ، وتغليب عدد الاسبانيين فيهما على عدد المغاربة المسلمين ، وفي المقابل تجري عملية ترحيل دائمة أيضا ، من جانب السلطات الاسبانية لسكان مليلية وسبتة الى المغرب الأم ، بغرض تفريغ الهوية العربية الاسلامية ، وإحداث خفض جوهري في عدد السكان الأصليين ، لأن حكومة اسبانيا تدرك جيدا أن المغاربة المسلمين الحاصلين على الجنسية الاسبانية ، سوف يختارون الانتماء للمغرب العربي في أي استفتاء يجري هناك ، وهذا الاعتبار هو الذي أوجد التوتر والقلق بين كلا الجانبين في مليلية إن آخر المحاولات التي قام بها أبناء مليلية أنفسهم ، لتخليص المدينة من نير الامبريالية الاسبانية كانت في ابريل عام ١٩٧٥ ، وجاءت من داخل (المسجد) حيث التنظيم السياسي والديني الوحيد المسموح به لأبناء مليلية ، فالسلطات الاسبانية تحرم على المسلمين المغاربة هناك ، تنظيم أنفسهم في نواد أو نقابات أو أحزاب سياسية ، وعندما انفجرت قنبلة في أحد شوارع مليلية في أغسطس ١٩٧٥ ، وقتلت شخصا وجرحت عددا من رجال البوليس الاسباني - تعبيرا عن احتجاج الأهالي ، أحدث سلطات الاحتلال ، هذه الحادثة ذريعة لطرد عشرات من الأسر المسلمة المغربية من مليلية ، فطردت ٦٠٠ فرد ، واعتقلت السلطات الاسبانية ما يزيد عن ٤٠٠ مغربي من المقيمين بالمدينة ، وخيرتهم بين التجنس أو الطرد من مليلية .

هكذا يعيش المغاربة المسلمون في مليلية ، غرباء في وطنهم ، تحت تسلط الامبريالية ، محرومين من حقوق الممارسة السياسية ، والمشاركة الفعلية في ادارة مدينتهم ، لأنهم - أصلا - محرومون من حق المواطنة ، انهم مواطنون من الدرجة العاشرة ، .

ان سكان مليلية يخضعون لقانون الأحوال الشخصية الاسلامي ، وهم في نفس الوقت ، مطاردون من سلطات الاحتلال ، حيث تطبق عليهم السلطات الاسبانية قوانين عديدة تجيز لهم (التنصير) - التحول عن الاسلام الى النصرانية - وتمنعهم من التنقل من منطقة الى أخرى ، فهل نحن فاعلون من أجل اخواننا العرب المسلمين في الوطن العربي ؟

الأهمية الاستراتيجية لمليلية

لقد شكل قرب (سبتة) من قلعة جبل طارق ، الخاضعة لسيطرة بريطانيا ، أهمية خاصة ، فهي تعتبر نقطة انطلاق اسباني ، لمراقبة ساحلي البحر المتوسط في أقصى الغرب ، وفي نفس الوقت ، تمثل قاعدة متقدمة تشرف على شمال المغرب ، ومعظم الجزر المتناثرة في حوض البحر المتوسط ، بينما تؤمن (مليلية) تغطية عسكرية لمنطقة غرب الجزائر من ناحية وهران ، وتشكل مع (سبتة) هلالا يحكم منه الاسبان مراقبتهم لمنطقة شمال افريقيا

من هنا تعتبر مليلية وسبتة - اليوم - قواعد عسكرية اسبانية كبيرة ، وعلى درجة عالية من الأهمية الاستراتيجية ، بالنسبة لاسبانيا في مواجهة جبل طارق ، ولذلك لم تتوقف نشاطات السلطات الاسبانية عن تشييد الاستحكامات العسكرية في المدينتين ، وهي مستمرة في مضاعفة اعداد قواتها العسكرية هناك ، حتى أن بعض التقارير تذكر « أن عديدتي مليلية وسبتة ٣٠ ألف جندي اسباني » كما تتخذ الفرقة المدرعة الاسبانية - وهي أقوى قوة ضاربة من الجيش الاسباني - من المدينتين قاعدة لنشاطها العسكري وتدريباتها المتواصلة . ويوجد الآلاف من أفرادها هناك ، وخلال ديسمبر عام ١٩٨٦ ، تم تزويد المدينتين بمعدات ثقيلة وأنظمة عسكرية متقدمة للرادار

ان مليلية ، التي أدت دورا مهما خلال الحرب الأهلية الاسبانية عام ١٩٣٦ ، مدينة مغربية عربية اسلامية ، فعندما نشبت الحرب الأهلية في اسبانيا ، كانت الشرارة الأولى قد انطلقت من مليلية ، عندما تمردت الحامية الاسبانية فيها بقيادة الجنرال فرانكو ، ضد حكومة الجبهة الشعبية الجمهورية ، ومن مليلية انطلق فرانكو الى الحكم في اسبانيا وظل يحكم قرابة أربعين عاما ، لقد شارك عشرات المئات من أبناء مليلية المسلمين في هذه الحرب الى جوار قوات فرانكو الاسبانية ، وسقطوا بالمئات قتلى بسبب حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان عدد المغاربة الذين جندوا في قوات الجنرال فرانكو ، كان يزيد عن ١٤٪ من عدد سكان هذه البلاد ، فقد كان تعداد سكان منطقة

الريف يتجاوز المليون نسمة بقليل ، (حسب احصاء عام ١٩٣٤) ، وهذا العدد لا يمكن بأي حال من الأحوال ، أن يخرج من الرجال الحاهرين للقتال ، أكثر من ١٧٥ ألف رجل ، ولكن القيادة العامة لجيوش فرانكو ، كانت قد أصدرت بيانا في يناير عام ١٩٣٧ حددت فيه عدد الجنود المغاربة ، في كافة المواقع الحربية المختلفة داخل اسبانيا ، ـ ٥١٠٠ جندي فقط ، بالاضافة الى طابور كامل من الحرس الخليفي ، حرس خليفة صاحب الجلالة سلطان المغرب ، الذى كان يتألف من ألف جندي وضابط كلهم من المغاربة

واستمر فرانكو في تجنيد المغاربة ، حتى وصل عددهم في جيوشه إلى ١٣٥ ألف جندي وضابط ، حسب احصاء يناير عام ١٩٣٨ ، وهذه الأرقام حقيقية ، لأنها مأخوذة من احصاءات الاسبانيين أنفسهم

وتحدث كثير من الناس عن قبول المغاربة للتجنيد ، في صفوف قوات الجنرال فرانكو ، وقالوا « ان المغاربة يساعدون فرانكو رغبة في تخليص بلادهم من الاستعمار الاسباني ، اعتمادا على الثوار الاسبان في هذه الغاية » فقد كان فرانكو قد وعدهم بالاستقلال اذا ما تولى هو السلطة في اسبانيا ، ولم يحدث أن أوفى فرانكو بوعده ، ومازالت (مليلية) التى صنعت تاريخ اسبانيا خلال عقد كامل ، مستعمرة اسبانية ، وكأنهم يعاقبونها على سماحها لفرانكو أن يتحرك منها ، وبعديد من رجالها ، ليصنعوا التاريخ في اسبانيا !!

لقد تحولت (مليلية) اليوم الى (واحة للهدوء) بالنسبة للاسبان ، ان مليلية وسبتة ، وجزيرة حجر باديس ، وجزيرة الحسيمة ، والجزر الجعفرية ، كلها أراض مغربية ، وسكانها من المسلمين ، أسهمت بقدر متفاوت في صنع التاريخ الاسباني في خلال عقد من الزمن ، ومع ذلك لا تزال تعيش تحت السلطة الامبريالية الاسبانية ، انها آخر معاقل الاستعمار الأوروبي التقليدي في الوطن العربي ، فمتى تتحرر وتحصل على استقلالها وتعود الى وحدة التراب المغربي ؟

ـ العرب والمسلمين عامة ، وكذلك فرنسا ، يؤيدون (الحركة الوطنية الاسلامية داخل مليلية) ، ولكن التأييد وحده لا يكفي ، فهل من عمل ايجابي لتحرير هذه المستعمرات المغربية العربية الاسلامية ؟ □

مراحل محاولات استعادة سبتة ومليلية

لم ينقطع المغرب أبدا عن المطالبة باسترداد مدينتي سبتة ومليلية والجزر المحتلة

في مارس ١٩٥٦ طالب المغرب باسترجاع الجيوب المحتلة ، وحدد طلبه رسميا عام ١٩٦٠ ، طالبا الدخول في مفاوضات مع اسبانيا وكان رد اسبانيا أن لها حق الملكية على الجيوب بحجة الاستيلاء عليها عن طريق الغزو أولا ، ثم تعزيز هذا الواقع بمعاهدات واتفاقيات مع المغرب ثانيا

ادعاءات اسبانيا لا ترتكز على أي اساس قانوني ، حيث ان احتلالها للثغور هو احتلال استعماري محض قام به البرتغاليون قبلها ، وحتى الاتفاقيات التى انتزعتها اسبانيا من المغرب بالقوة ، وفي ظروف صعبة من تاريخه لم تحترمها ، اضافة الى أن الأراضي المحتلة توحد داخل التراب المغربي ، وتكون الحدود الطبيعية لترابه الممتد على سواحل البحر الأبيض المتوسط

لا يمكن بأي حال اعتبار السكان الجدد الذين دفعتهم اسبانيا الى هذه المناطق لاستيطانها سكانا أصليين ، بناء على الفصل ٧٣ من ميثاق منظمة هيئة الأمم المتحدة

تغيير الطابع العرقي للجيوب المحتلة ، سواء عن طريق الطرد ، أو تغيير الجنسية ، أو التنقل ، لا يمكن أن يشكل قاعدة لتطبيق مبدأ حرية تقرير المصير

هناك اتجاهان متعارضان ، فبالنسبة للجانب المغربي يجدد التعبير في كل مناسبة عن مغربية المدينتين ، ويربط استعادتها على الصعيد الرسمي ، بموضوع استعادة اسبانيا لجبل طارق من انجلترا ، وتصفية الجيوب المحتلة يعتبرها المغرب حقا شرعيا ثابتا ضمن اطار الاراضي التى لم تزل خاضعة للاستعمار ، ويجب تحريرها تنفيذا لمبدأ استكمال وحدة التراب المغربي

ابتداء من سنة ١٩٥٦ صدرت من القاهرة عدة بلاغات عن لجنة المغرب العربي تطالب اسبانيا برد مجموع الاراضي المغربية المحتلة

أكد الملك محمد الخامس مرات عديدة أن المغرب متمسك باسترداد أراضيه التى انتزعت منه في أحوال

استثنائية ، أو بمقتضى اتفاقيات دبرت في الخفاء

أول مطلب رسمي قدمه المغرب لاسترجاع ما تسميه اسبانيا باراضي السيادة ، يرجع تاريخه الى عام ١٩٦٠ ، حيث قام ممثل المغرب بالأمم المتحدة وطلب من المنظمة الدولية الاعتراف بحقوقه المشروعة حول مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لهما

في شهر سبتمبر ١٩٦١ صرح الملك الحسن الثاني في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في بلغراد « ان المستعمر الاسباني ما زال يحتل أقاليم كاملة محسوبة أرضنا وأراضي وقواعد بالشمال سبتة ومليلية » وعلى اثر هذا التصريح قامت الدوائر الاسبانية بعدة اجراءات تعسفية ضد المغاربة المقيمين بالمدينتين ، وكذلك بحملات مسعورة ضد المغرب ، مما جعل حكومة المغرب تصدر بلاغا يوم ٢٩ يونيو ١٩٦٢ تؤكد فيه عزم المغرب القوي لاستعادة مدينتي سبتة ومليلية للسيادة المغربية

بعد أن تيقن المغرب أنه لا مفر من اللجوء الى المجتمع الدولي ، رفع الى هيئة الأمم المتحدة شكواه ضد اسبانيا في فبراير ١٩٧٥ مطالبا اسبانيا بالتخلي عن أجزائه المحتلة ، وتابعها بمذكرة جديدة في ٧ مارس ، ليزيد مطلبه توضيحا وردا على محاولات اسبانيا قلب الحقائق وتزوير التاريخ

وسط هذا الجو المتأزم أرسلت اسبانيا باخرتين حربيتين وباخرتين عسكريتين محملتين بالجنود الى المدينتين ، بالاضافة الى غواصات ومصفحات وطائرات هيلوكوبتر ، واستنكر الرأي العام المغربي هذه الأعمال الارهابية ، وصادفت هذه الأحداث انعقاد مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية بأديس أبابا حيث عرض وزير خارجية المغرب عرضا مفصلا لأعمال اسبانيا التعسفية ، وتدخل كل رؤساء الوفود مؤيدين وجهة نظر المغرب

في أغسطس ١٩٧٥ تأزم الوضع بالمدينتين ، ووقعت مظاهرات وانفجارات خلفت عددا من القتلى والجرحى بمدينة سبتة ، وقامت سلطات المدينة باعتقال ٤٠٠ مغربي ، وخيرت قياداتهم بين اختيار الجنسية الاسبانية أو مغادرة المدينة ، وبالفعل تم طرد عشرات العائلات الذين لجأوا الى تطوان وضواحيها

في الجلسة الثلاثين لاجتماع الأمم المتحدة في اكتوبر ١٩٧٥ ، طلب رئيس الوفد المغربي بفتح مفاوضات مباشرة بين مدريد والرباط ، قائلا ان اسبانيا لا يمكن أن ترفض هذا الحوار ، لا سيما أنها تطلب نهج نفس الطريق لايجاد حل لمشكلة جبل طارق

أكد الملك الحسن في مناسبات عديدة مطالبة المغرب باسترجاع سبتة ومليلية والجزر ، وصرح في ندوة بواشنطن في ١٥ نوفمبر ١٩٧٨ ، ردا على سؤال حول المدينتين « ان سبتة ومليلية مدينتان مغربيتان ، ويجب أن أتفاوض مع اسبانيا في جو ملؤه السلم والتفاهم وحسن الجوار والصداقة »

انتقد وزير الدولة المغربي للشئون الخارجية أمام مجلس النواب في ديسمبر ١٩٨٠ زيارة رئيس الحكومة الاسبانية للمدينتين المحتلتين ، وقال « ان المغرب سيعمل للقضاء على رواسب الاستعمار بالوسائل السلمية ، وان المغرب لن يتخلى عن سبتة ومليلية مهما كانت نوعية التعاون الاسباني المغربي »

قال الملك الحسن ردا على سؤال بتاريخ ٩ يناير ١٩٨٥ « ان الحل لمشكلة سبتة ومليلية لا يمكن أن يكون الا حلا سياسيا ، والدليل على هذا أن المجموعة الأوروبية وضعت تحفظا فيما يخص قضية سبتة ومليلية عند دخول اسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة ، ان الحل لا يمكن أن يكون الا حلا سلميا ، اللهم الا اذا كان للاسبانيين مبادرة غير سلمية ، أي مبادرة عسكرية ، وآنذاك سيضطر المغرب للدفاع عن نفسه »

من أبرز تصريحات الملك الحسن،ما أعلنه في ندوته الصحفية يوم ٧ مارس ١٩٨٦ حين قال « ان المغرب هو الذي يحرر بلده ، وان الأرض مغربية ، والمغرب هو الذي سيحررها ونؤكد أننا نريد أن نسترجع سبتة ومليلية بالطرق السلمية ، قبل أن يتطور الأمر الى أبعد من ذلك »

مسجد سيدي مبارك الحصن الاخير في الدفاع عن سبتة قبل ان يغزوها الاسبان

العربي
مجلة الأسرة والمجتمع
ذات
الرّداء
الأبيَض
داء القطط
أكثر الأمراض
انتشارًا

ذات الرداء الأبيض

استطلاع : وفاء طه ناجي

تصــوير : طالب الحسيني

على الرعم مس أن التمريض جزء لا يتجرأ مس حياة الأسرة في كل مكان من العالم . وعلى الرعم من حاجتنا جميعا ـ عند المرص ـ الى يد حانية ترعانا . وقلب عطوف . . يبعث فينا الأمل . . ويبشرنا بالشفاء ، إلا أن الممرضة مازالت تعاني ـ في مجتمعنا العربي ـ من النظرة السلبية الى دورها في حدمة المريص

وفي الكويت مرت على مسيرة التمريض عشرون عاما أو تزيد ، لم يكن الدرب فيها ممهدا أمام الفتاة الكويتية التي اختارت ان تلبس الرداء الأبيض وتعمل في تلك المهنة النبيلة .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

في بداية الستينيات لم يكن سهلا على الفتاة الكويتية أن تتقدم لدراسة التمريض ، فقد ن الاشتغال بتلك المهنة ـ لما فيها من اختلاط رباء ، واضطرار للسهر في نوبات الخفارة ـ يعني وحا على التقاليد العربية المحافظة وكانت معظم ائلات الكويتية تنظر الى العمل التمريضي على أنه سلة من المتاعب النفسية والجسدية ، فتشفق على نها من الالتحاق به أما اليوم فقد تغير الحال ، ـدمت الفتاة الكويتية لتنهل من ينابيع العلوم 'داب ما شاءت ، وتشهد مقاعد الدراسة ريضية أعداداً من الطالبات تزداد عاما بعد عام ، قبال جيد إذا ما قورن بالوضع الذي كان سائدا عشرين عاما ، وقد أصبح في الكويت الآن أكثر مصدر لتخريج الكوادر التمريضية ، فبالإضافة معهد التمريض هناك قسم للتمريض في معهد لوم الصحية للبنات يتبع التعليم التطبيقي ، كما ئت مؤخرا كلية للعلوم الطبية المساعدة تتبع عليم الأكاديمي الجامعي ، ويدرس فيها طلاب من سين

وفي السنوات الأخيرة خصصت الكويت وعا للتمريض ، نحتفل به في شهر مايو من كل م ، مما يدل على زيادة الاهتمام بالعاملين عاملات في هذا الميدان المهم من ميادين الخدمات ية

فما هي قصة التمريض في الكويت ؟ للاجابة عن ا السؤال ، قامت « العربي » بجولة في بعض افق الصحية ، وكان لنا أكثر من لقاء مع مسئولين لمين في هذا الميدان

هد التمريض

في البداية كان لقاؤنا مع شيخة المدن مديرة هد التمريض والحاصلة على درجة الماجستير في ريض ، وهي أول مديرة كويتية للمعهد سا عن رحلتها مع المهنة والمعهد فقالت « عندما ت للأسرة عن رغبتي في دراسة التمريض ، لم تلك الرغبة التشجيع الكافي ، فلم يكن مفهوم ل التمريضي واضحا لدى الأهل في ذلك الوقت ، وظل أبي يردد على مسمعي المتاعب التي تنتظرني بمجرد أن أتسلم العمل ، ثم مالبث أن وافق على التحاقي بمعهد التمريض ، وكان ذلك في عام ١٩٦٣ ، أي بعد عام واحد من انشاء المعهد وتخرجت ضمن الدفعة الثانية التي لم يزد عدد الكويتيات فيها عن سبع فتيات خريجات

وبعد أن قضيت فترة في العمل ممرضة في قسم الأطفال بمستشفى الصباح ، قررت استكمال دراستي ، وتغلبت على العقبة الأولى التي واجهتني ـ حينئذ ـ وهي صعوبة الحصول على إجازة دراسية من وزارة الصحة،فاستقلت من عملي بعد سبعة أشهر فقط من بدايته ، أما العقبة الثانية فقد تمثلت في ضرورة اجتياز امتحان معادلة شهادتي بشهادة الثانوية العامة ، وبعد نجاحي في الامتحان سافرت الى مصر ، وحصلت على درجة البكالوريوس في التمريض من جامعة القاهرة عام ١٩٧٤

وعدت للعمل ـ مرة أخرى ـ في قسم الأطفال في مستشفى الصباح بالكويت،ثم رغبت في اتمام دراستي العليا ، فغادرت الى الولايات المتحدة وحصلت على درجة الماجستير في التمريض سنة ١٩٨٠ وعملت بعد عودتي نائبة لمديرة معهد التمريض لمدة أربع سنوات،ثم أنيطت بي ادارة المعهد في عام ١٩٨٤

المرضة « وجه مشرق ، وابتسامة صافية »

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

وتسأل « العربي » شيخة المذن عن الدراسة في المعهد فتقول

« بالاضافة الى دراسة العلوم التمريضية ، ندرس الآن مواداً ثقافية عامة موازية للمواد المقررة في المدارس الثانوية العامة ، مما يتيح لطالبة المعهد أن تعادل شهادتها بالثانوية العامة وتتابع دراستها الجامعية بعد التخرج. فتلك هي العقبة الوحيدة - تقريبا - أمام خريجات معهد التمريض المتوسط لاستكمال تعليمهن الجامعي - أما تلك المواد فهي الاجتماعيات واللغة العربية ، وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية الاسلامية ، بالاضافة الى مادتي الكيمياء والفيزياء . وستتخرج أول دفعة تتبع ذلك النظام في العام الدراسي ٨٨/ ٨٩ ، ونأمل ان تتمكن المتخرجة من الحصول على شهادة المعادلة مع الدبلوم فتكون بذلك مؤهلة للدراسة الجامعية دون صعوبات

وتتابع الأخت شيخة حديثها قائلة: وبالنسبة للمواد التمريضية ، فان برنامجنا التعليمي يقدم مواد دراسية على مستوى عال وبارز بين برامج التعليم التمريضي التي تدرس في منطقة الخليج العربي ، وقد استحدثت مواد اختصاصية جديدة بدأ تدريسها منذ عام ١٩٨٤ وهي: التمريض الجراحي ، وتمريض أمراض النساء والولادة ، وصحة المجتمع التي تشتمل على برنامج تعليمي واسع في الطب الوقائي ، أما بالنسبة للقبول في المعهد فالباب مفتوح لكل من أنهت دراستها الاعدادية. وهذا حسب قرار الأمانة العامة الصحية لدول الخليج العربي. وبعد اضافة المواد الدراسية التي تدرس للصف الأول الثانوي العام - التربية - أصبح من الممكن قبول المتقدمة من الصف الأول الثانوي في الصف الأول - تمريض - ويشترط المعهد عند القبول أن تتعهد الفتاة بعد التخرج بالعمل في الجهة التي تحددها لها وزارة الصحة ، وحسب احتياجات المستشفيات والمستوصفات

وتسأل « العربي » شيخة المذن عن أفضل وسيلة لتشجيع الفتاة الكويتية على دراسة التمريض مما يفي باحتياجات البلاد في هذا المجال الحيوي

فتجيب: « ان أفضل طريقة لمضاعفة عدد طالبات التمريض تكمن في تعزيز ثقتهن بقيمة المهنة ونشر الوعي بأهمية الممرضة،وفتح المجال أمامهن للدراسة والتزود بالمعلومات التمريضية الحديثة فكلما ارتفع المستوى العلمي والثقافي للممرضة ، ارتقت مكانتها في المجتمع ، مما يدفع الكثيرات الى دراسة التمريض. أما من يعتقد في جدوى المكافأة المالية التي تمنح للطالبة الكويتية فهو مخطىء. وقد أثبتت التجربة ذلك ، ان مهنتنا تحتاج لمن يحبها ويؤمن بها،ويطمح الى تطوير نفسه طوال مزاولته لها

وفي نهاية لقائنا تحدثت شيخة المذن عن المشروعات الجديدة لتطوير الخدمات التمريضية ، من خلال المعهد وتطبيقها في المستشفيات فقالت: ان مشاريع التمريض تنبع من متطلبات الخدمات التمريضية ، ومن زيادة الاهتمام بصحة المجتمع ،

فنحن نعد مزيدا من برامج الطب الوقائي ، للتوسع في هذا العلم الحيوي ، هذا بالاضافة الى تعليم طالباتنا أحدث الطرق التمريضية وفق برامج متطورة نقوم بتنفيذها بعد التخرج. وتنتظم الخريجة الجديدة في دورة تدريبية قبل التحاقها بالعمل وقد أنشئت وحدة خاصة لهذا الغرض تتبع وزارة الصحة العامة

وقبل ان نغادر المعهد الى الوحدة التدريسية قالت لنا احدى الطالبات الكويتيات: « رغم انني الآن في السنة الثانية بالمعهد ، إلا ان والدي مازال يأمل أن أترك دراسة التمريض وأبدأ من جديد في إحدى المدارس الثانوية العامة » وهذا يؤكد أن المسيرة مستمرة رغم النظرة الباهتة التي ينظر بها بعض الآباء الى عمل الممرضة

وحسب آخر الاحصائيات في المعهد فقد ارتفعت نسبة الكويتيات كثيرا في السنوات الأخيرة ، ففي العام الدراسي ٨٦/ ٨٧ بلغ عدد الكويتيات حوالي مائة طالبة بعد أن كان لا يزيد عن ثماني طالبات عند افتتاح المعهد في عام ١٩٦٢ .

المرصة هي « أم » تمنح الصغير الأمان بلا حدود

« التدريب . . . أولا »

وفي وحدة التدريب التمريضي حيث تصنع الممرضة قدميها على بداية الطريق ، التقت العربي بالآنسة عواطف القطان رئيسة الوحدة والحاصلة على الماجستير في التخطيط الصحي ، لتحدثنا عن طبيعة عملها في التدريب فقالت « أنشئت الوحدة التدريبية في عام ١٩٧٦ ، بهدف أساسي هو اعداد الممرضة نفسيا للتعامل الأفضل مع المرضى ، وتدريبها عمليا داخل المستشفى والمستوصف وفق برنامج - دقيق - يختلف حسب نوع التخصص ، بالاضافة الى محاضرات خاصة للتعريف بالبيئة الكويتية ، وطبيعة أهلها وعاداتهم وتقاليدهم - وتعقد للممرضات غير الكويتيات - قبل تسلمهن العمل فمازالت مهنة التمريض في الكويت تعتمد على نسبة كبيرة من العمالة غير الكويتية ، ونحن نأمل - في القريب العاجل - أن نرى تزايداً في عدد الكفاءات الوطنية ، وذلك لن يتم إلا بتشجيع من الأهل لبناتهم الراغبات في دراسة التمريض ، وتفهم الزوج لطبيعة العمل التي تقتضي أحيانا بقاء زوجته خارج المنزل أثناء « الدوام » الليلي ، فالأمر ليس معيبا ولكل عمل ضروراته الموجبة ولو فكر كل منا في أن المريض قد يكون واحدا من ذويه ، كأن يكون والده ، أو والدته أو أي فرد من أفراد أسرته ، فلابد حينئذ أن يشعر بالامتنان لمن يسهر على راحة مريضه أما النظرة السلبية لدور الممرضة ، فلا تعني إلا مزيدا من الاعتماد على الغير ، هؤلاء اللاتي لا تربطهن صلة بعاداتنا وتقاليدنا ، بل ولا يتكلمن لغتنا العربية التي تعد عاملاً أساسياً في خلق جسور الود والاطمئنان بين المريض والممرضة

وتسأل « العربي » الأخت عواطف القطان عن أنواع التدريب داخل الوحدة فتجيب « إن برامج تدريب الخريجات هنا تنقسم الى نوعين

أولا برامج تدريبية تشرح مبادىء العمل التمريضي ، وحلقات نقاش يطرح فيها موضوع واحد - وهو غالبا ما يكون عن مرض معينه - يشترك في مناقشته أطباء وممرضات ويحاولون الإجابة عن الاستفسارات التي تثار بشأنه ، ولا تزيد مدة تلك الحلقة عن يومين وتتكرر في العام الواحد حسب الحاجة وقد بلغ عدد اللاتي اشتركن في حلقات العام الماضي أكثر من ٥٠٠ ممرضة ومن المنتظر أن يرتفع هذا العدد في العام القادم الى حوالي ٨٠٠ ممرضة

ثانيا برامج عملية تدرب فيها ممرضات على طبيعة عملهن قبل ممارسته بشكل نهائي ويتم ذلك بالتعاون مع المستشفيات والمستوصفات القائمة في أنحاء متفرقة من الكويت

وتنهي عواطف القطان حديثها قائلة ، ونحن حاليا ننظم ندوات تنشيطية مخصصة بهدف تحديد معلومات الممرضة وتطويرها لكي تساير التقدم الذي يشهده العالم في هذا المجال وندينا من ناحية أخرى برامج لـ « الادارة الوسطى » مهمتها إعداد ممرضات لتقلد مناصب قيادية كمساعدات رئيسات ، أو مشرفات فنيات أو مسئولات أجنحة وهي أحدث برامج الوحدة - تقريبا - التي تنتظم فيها الممرضة قبل تسلمها العمل القيادي ، وقد زودت قاعات

ابنة الكويت تتخطى « الحواجز » وتثبت كفاءتها

المحاضرات والمختبرات في الوحدة بأحدث الوسائل البصرية والسمعية التي تساعد المتدربات على حسن الاستيعاب. ورغم ذلك فإن بعض الخريجات كن لا يصلن الى تلك القاعات، ويمكثن في البيت بعد الحصول على الشهادة. قالت لي إحدى المتدربات في مهنة « دستورها » العطاء بلا حدود يتردد البعض في المسير ويسمي هذا العطاء الانساني « متاعب ».

هموم الملائكة

وكان لابد أن نلتقي « بملائكة الرحمة » ونتعرف على شئونهن وشجونهن مع مهنة التمريض.

وفي المستشفى الأميري - أقدم مستشفيات الكويت تقريبا كان « للعربي » لقاء مع السيدة لطيفة الحمدان رئيسة الممرضات، التي عملت ممرضة في جناح الأمراض الباطنية (نساء) فترة من الزمن قبل تسلمها الادارة لتحدثنا عن بعض المتاعب التي صادفتها أثناء عملها فقالت:

« إن أكثر متاعبنا تأتي من الرؤية السلبية لدى الأهل في تقويمهم لعمل الممرضة،تلك الرؤية التي تنتقل عدواها الى الفريق الطبي أثناء العمل - أقول هذا وأنا على يقين من أن حالنا اليوم أفضل كثيرا مما كان عليه في الماضي - ، وأحب أن أؤكد ان أخطاء البعض يجب ألا يعاقب عليها الكل ، وهذا مبدأ ينطبق على كل المهن دون استثناء،فالحكم على الممرضة - الذي قد يصل الى حد القسوة أحيانا - يدفع الكثيرات الى الانسحاب من العمل. وهنا تتضاعف المشكلة،والنتيجة اننا نخسر العناصر الوطنية التي تَبْذُل الجهد الكبير من أجل انضمامها الى أسرة التمريض. وإن كانت لي أمنية في هذا المجال، فهي أن تحظى الممرضة بالتقدير الكافي الذي يتيح لها ان تحقق الهدف النبيل لعملها في خدمة المرضى وخاصة ان الباب مفتوح امام بنات الكويت لتنمية قدراتهن والارتقاء بمستوى المهنة.

ويقول عبدالنبي حجي من المستشفى الاميري: كثيرا ما يتعرض الممرض أو الممرضة الى مطالبة ملحة من المريض بملازمة فراشه دون باقي المرضى مهما كانت حاجة الآخرين للرعاية. فإذا لم يلب طلبه، غضب وسخط ، وأذكر أنني حملت مريضا على كتفي الى قاعة التصوير بالاشعة حتى أشعره بمدى اهتمامي به بعد ان تأخرت عليه بسبب استقبال مريض جديد.

اما الأخت صفيه عبدالله، رئيسة ممرضات ، الفروانية فتقول: يطلب - احيانا - بعض اهالي المرضى امتيازاً خاصاً بزيارة مريضهم دون التقيد بمواعيد الزيارة الرسمية ، وكثيرا ما تحدث احتكاكات بسبب ذلك. قد يبدو الامر في نظر البعض بسيطا ولكن بسبب اصرار مسئول الزيارة على الالتزام بالمواعيد ، يغضب كثيرون.

التمريض .. والعلوم التطبيقية

ومن متاعب المهنة ، نعود الى مقاعد الدراسة مرة أخرى في قسم التمريض بكلية العلوم الصحية،وهو أحد الأبواب المفتوحة امام الفتاة الكويتية لخوض ميدان الدراسة العملية ، حيث التعليم الذي يجمع بين النظرية والتطبيق،ويشكل أولوية في خطة التنمية الحديثة التي تطمح إلى توفير أيدٍ عاملة وطنية. وتلتقي « العربي » بعميد الكلية د. عبدالرحمن المحيلان الحاصل على الدكتوراة في « فسيولوجيا الاجهاد الجسماني » ليحدثنا عن أهداف ومسار الدراسة في القسم فقال: « أنشيء المعهد في عام ١٩٧٤ بهدف رئيسي لكل اقسامه وهو توفير الكو

في التمريض « الحب » دستور المهنه

لبية لسد حاجة البلاد في مجال الخدمات
حية ، وفي عام ١٩٧٨ أنشئت شعبة التمريض ،
ل الطالبات الحاصلات على الثانوية العامة
ميها العلمي والأدبي،ليتخرجن فيها ممرضات

ات على العمل في جميع المجالات الصحية في
ق الدولة المختلفة أما نظام الدراسة في القسم
يا،فهو يعتمد تدريس المواد النظرية الاكاديمية
علمية التطبيقية ، ويتم التدريب العملي للطالبات
مختبرات الكلية ، اما التدريب الميداني فيتم في
ستشفيات والمؤسسات الصحية والعدائية

تحصل الخريجة على شهادة « دبلوم كلية العلوم
الصحية » وهو أعلى من دبلوم معهد التمريض
توسط التابع لوزارة الصحة العامة الذي يخرج
وادر تمريضية متوسطة والدولة في حاجة ماسة
مستويين ، واذكر هنا ان خريجة معهد التمريض
يمكنها الالتحاق بقسم التمريض في الكلية لاستكمال
راستها ، والحصول على مستوى أعلى

وتسأل « العربي » ، د المحيلان عن رأيه في
تردد الفتاة الكويتية في الاشتغال بالتمريض ، وكيف
يمكن التغلب على ذلك ؟ فيقول علينا أن نلوم
انفسنا أولا ـ كمجتمع يرى الممرضة في صورة باهتة ـ
وكأن لها دوراً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه ، أو أن
عليها ان ترضى بقدرها في أن تعمل دون تقدير
لجهدها اذا تغيرت تلك النظرة فلن تكون
هناك مشكلة تردد الكويتيات في قبول العمل
التمريضي

وعن المشروعات الجديدة الخاصة بالتمريض في
الكلية يقول د المحيلان نحن بصدد انشاء
احدث شعبة في الكلية وهي « شعبة التمريض
المدرسي » حيث تتضاعف الحاجة الى ممرضة أو
ص المدرسة ، الذي يعد محورا اساسيا في مجال
خدمة الوقائية والعلاجية في محيط المدرسة ،
تطعيم والاشراف الصحي على الطلاب ، وسوف
افتتاح هذه الشعبة بالتنسيق والتعاون بين الهيئة
امة للتعليم التطبيقي ووزارة الصحة العامة

وفي نهاية حديثه قال د عبدالرحمن المحيلان
« يبقى لدى طموح شخصي وهو أملي في أن يتم
توحيد الجهد في مجال التعليم التمريضي ولن يكون
ذلك الا بانشاء كلية واحدة متخصصة للتمريض ،
تجمع بين مستويات التعليم المختلفة ـ المتوسط
والثانوي والجامعي ـ ويكون على الممرضة بعد
التخرج أن تحصل على اذن « بمزاولة المهنة يجدد كل مدة
معينة ، ولا يجدد لذلك الا اذا اضافت الممرضة

ـديدا الى معلوماتها مما يسهم في تطوير عملها ـمريضي ، سواء كان ذلك الجديد هو الحصول على ؤهل أعلى أو حضور مؤتمر له علاقة اساسية بمهنتها أو اعداد دراسة حديثة ذات فائدة في مجال ـمريض وهو حلم أرجو ان نتعاون لكي نحمل منه معا»

وقبل أن نترك الكلية لاحظنا ان معظم المتقدمات ، هن من الطالبات اللاتي لم يحصلن على درجات عالية في الثانوية العامة ، وبعد أن اغلق التعليم الثانوي العام ابوابه ، امامهن ، فتح لهن التعليم الصحي ذراعيه اكدت لنا مجموعة من الطالبات ان التمريض في كلية العلوم الصحية ستقبلهن أحسن استقبال فأصبح حلم كل واحدة منهن ان ترد الجميل باستكمال دراستها والعمل أقصى طاقتها في ميدانه ، بعد ان تأكد لها من خلال الدراسة انه ـ أي التمريض ـ مهنة انسانية « تستحق ان تحرص كل فتاة على العمل بها »

امتيازات خاصة

وفي نهاية الجولة ، كان « للعربي » حديث مع د نائل النقيب وكيل وزارة الصحة ، عن دور الوزارة في احتذاب العناصر الوطنية،وما يقدمه المسئولون لتطوير العمل التمريضي في الكويت فقال

« اذا نظرنا الى واقع التمريض في الكويت اليوم سنجد انه مثل بقية الخدمات الصحية الاخرى ـ قد قفز قفزة هائلة على طريق التطوير مقارنة بما كان عليه الحال منذ عشرين عاما ومازالت امامنا على الطريق خطوات كثيرة حتى يكون للتمريض ـ بصفة خاصة ـ المكانة اللائقة به كمهنة لها اهميتها ، أما ما نقدمه في وزارة الصحة اليوم فهو كثير ، كالامتيازات المادية والمعنوية للفتاة اثناء الدراسة وبعد التخرج وأقصد بتلك الامتيازات المكافآت المالية التي تحصل عليها الطالبات في معهد التمريض ، والزيادة في اجور العاملات بالمستشفيات والمستوصفات في المناطق النائية ، اضافة الى الفرص التي تتيحها الوزارة للمرضات والممرضين الكويتيين لاستكمال دراساتهم العليا في جامعات عالمية متخصصة ، وارسالهم لحضور المؤتمرات التي تبحث في موضوعات ذات علاقة وطيدة بمهنة التمريض اما ما يتردد احيانا من اقتراحات باعفاء الممرضة الكويتية من بعض الواجبات الوظيفية (مثل « دوام » الليل ـ أو العمل في المناطق النائية) كتشجيع لها على الانخراط في العمل بعد التخرج ، فهذا ما أرفضه تماما ان مهنة التمريض مهنة متميزة ، وللعمل بها « طبيعة خاصة » ولا يجوز إلغاؤها أو حذف جزء منها

والذي أتمناه هو ان يتقبل الناس في مجتمعنا العربي تلك المهنة السامية ويكفي ان الانسان- أشرف المخلوقات ـ محور العمل فيها

ويمضي د نائل حديثه قائلا ويقع علينا ـ نحن المسئولين ـ عبء تطوير أية مهنة ـ والتمريض احداها ـ فاذا ركزنا جهدنا على اتاحة فرص التعليم حسب احتياجات الدولة وليس خضوعا لرغبة الاشخاص ، عندئذ يكون الأمل كبيرا في تغيير النظرة نحو التمريض وتوفير الكوادر الوطنية اللازمة من الممرضين والممرضات

بقي لنا ان نؤكد على ان التمريض في الكويت جزء اساسي من الخدمات الصحية التي تقدمت كثيرا في السنوات الاخيرة ، وأن الجهد الذي تقوم به الممرضة هو « توأم » لمهمة الطبيب ـ وقد أكد لي طبيب كبير أن نجاح عملية جراحية يصبح بلا قيمة اذا تعرض المريض للاهمال اثناء العناية التمريضية

فأذا أقبلت الفتاة الكويتية على دراسة التمريض ، فذلك ليس خروجا على التقاليد العربية الاسلامية المحافظة ، وانما هو استكمال للدور الذي لعبته المرأة المسلمة منذ عهد الرسول الكريم (ﷺ) فقد كانت رفيدة الأسلمية أول مسلمة تضمد جراح المصابين في غزوة أحد ، وكانت نسيبة بنت كعب تسقي العطشى وتداوي الجرحى في معركتي بدر وأحد .

والفتاة الكويتية عندما تعمل اليوم بالتمريض فهي تكمل المسيرة وتدخل الميدان وهي مسلحة بالعلم والثقافة ، فتشارك بوجودها في تنمية قطاع من أهم الخدمات في الكويت الحديثة

هو..

خيـــال

● شيء رائع ومهم أن نتمتع بسعة الخيال ، وقديما قال أحدهم عبارة قرأتها يوما في احدى المجلات وما زلت أؤمن بها ، قال ان الانسانية تدين بتطورها لبشر ذوي خيال واسع وخصب .

وأنا قد منحني الله قدرا من سعة الخيال والذكاء ، لكن شأن كل الذين غيروا تاريخ الانسانية ، من أصحاب الخيال الواسع اصطدموا بجامدي العقول وكذلك ـ أعيش أنا ، فبيني وبين زوجي خلافات لا تنتهي بسبب ما أسميه سعة خيال

عالمنا الذي نعيش فيه اليوم عالم يهتم بالمظاهر . ويفتن بها ، ولأنني أدرك هذه الحقيقة ، وأعرف أن الناس تمنح قدرا أكبر من الاحترام للذين تحيط بهم هالة كبيرة من المظاهر ، فقد حاولت بسعة خيالي أن أحيط أسرتي الصغيرة بهذا القدر الذي منحنا مكانة وهيبة لدى الناس ، فصار أقربائي من أكبر العائلات ، وأهلنا ذوي مناصب رفيعة ، وبعض أصحاب النفوذ أقارب لوالدتي وكثير من الاملاك والعقارات الشهيرة صارت ملكا لأقارب لنا ولأنني أقول هذا بثقة كبيرة وشديدة ، وأتعمد أن أدس حكاية ما هنا . وواقعة طريفة هناك ، وأقحم فيها بعض الأسماء المعروفة والمشهورة ، فقد أصبحت هذه الحكايات التي ابتكرها خيالي الخصب حقيقة في حياتنا ، وأنا أدرك أن الناس تصدق بسهولة ، وأن أحدا منهم لن يذهب لشخص أو عائلة ندعي قرابتها ليسألها ، وبدأ كثير من أصدقائي يطلبون مني وساطات أو خدمات ، ولا أجد حرجا في أن أعتذر لهم جميعا ، فأقاربي لا يحبذون الوساطة ، بل ان أحدهم قد أحرجني يوما عندما طلبت منه أن ينقل شقيق صديقة لي من مكان ناءٍ الى قلب العاصمة ، فما كان منه الا أن نقله الى مكان أبعد ، ومن بعدها أقسمت أنني لن أحرج نفسي مع صديقة ، وبدلا من أن يستاء مني الناس والأصدقاء لخذلانهم فانهم يكبرون في هذه الصراحة وهكذا بقدر قليل من سعة الخيال وخصوبته ، تمتعت وسط أصدقائي بقدر من الثناء والاكبار ونظرات الاعجاب والانبهار الدائمة في عيونهم ، وتكالبهم على توثيق علاقتهم بأسرة تنتمي الى فئة علية المجتمع .

هـ . أ

هي..

كذب

● اسوأ ما يمكن أن يصيبنا أن نغير مسمى الأشياء لكي ننفي عن أنفسنا نقيصة الخطأ ، فنسمي النفاق مجاملة ، والكذب سعة خيال ، والأشد سوءا أننا نظل نمارس كذبنا حتى نصدق أنفسنا

وتمارس زوجتي لعبتها هذه ، موهمة نفسها أن الأمر مجرد سعة خيال ونوع من اكتساب الوجاهة والجاه ، وحاولت كثيرا أن أقول لها ان هذا ليس الا كذبا ، وأن الكذب نقيصة تصيب كرامة الانسان ، وأننا عندما ننسب لأنفسنا ما ليس لنا فإننا ندين أنفسنا ، وكأننا نقول أن وضعنا الحقيقي به عيب ، أو أننا نشعر بالدونية تجاه أنفسنا ، وفوق كل هذا ، حاولت أن أشرح لها وأوضح هذا التغيير الذي حدث لمجتمعنا العربي ، وكيف أن الوجاهة الاجتماعية المستمدة من الانتماء للأسر لم تعد شديدة الأهمية ، وأن الثقافة الاجتماعية العربية بدأت أشكالا من الاحترام الاجتماعي لعائلات رصيدها سمعة طيبة أو مكانة علمية ، أو أخلاق عالية يتميز بها أفرادها ، وأن مظاهر الجاه المستمدة من الثراء فقدت بريقها ، خصوصا بعد أن ظهر عديد من المهن الهامشية التي أصبحت تثرى وتحقق مالا وفيرا بأقل قدر من الجهد ، ولكنها لم تتفهم هذا أبدا ظلت أفكارها حبيسة الجاه الاجتماعي والوجاهة الاجتماعية ، الى أن حدث أن تزوج زميل لي في العمل ودعوته هو وعروسه الى العشاء في المنزل عندي احتفاء بهم وجاء العروسان وجلسنا معا ، وبدأت زوجتي تسرد على مسامع الضيوف قصصا وحكايات عن أقربائها الوهميين ، وعن أملاكهم من عقارات وأراض وتطرقت بالحديث الى التفاصيل التي يمدها بها (خيالها الواسع) ، فبدأت تسمي أسماء أشخاص رجال وسيدات ، وتنبهت الى أنني قد نسيت أن أقول لها ان العروس ابنة واحدة من العائلات الشهيرة التي تدعي زوجتي قرابتها ، وبدأت أحاول أن أثني زوجتي بلباقة عن الاستطراد في الحديث ، أو تغيير مسار الحديث ولكنها ـ كعادتها ـ لم تترك لي فرصة ، واستمرت في روايتها العجيبة . وبدأت ألحظ علامات الدهشة على وجوه الضيوف وفجأة انفجرت العروس في ضحك هيستيري لم تقدم له سببا فيما بعد وبعد انصراف ضيوفنا قلت لزوجتي ما أعرف فثارت وبكت واتهمتني انني قد دبرت هذا المقلب ، لضيقي من سعة خيالها ، ولأن عقلي جامد وأفقي محدود . ولم تقلع بعد

هو

بقلم
الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

داء القط
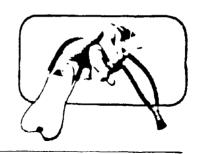
أكثر الأمراض انتشارًا

ربما كان اسم (التوكسلابلازما) غامضا على الناس ، غير مألوف في مسامعهم ، لكنه اسم لمرض من أكثر الأمراض انتشارا بين الانسان والحيوان على السواء ، أما الاسم المتفق عليه في محافل اللغة العربية ومجامعها فهو (المصورات الذيمانية) ، وقد أجرى استقصاء في جواتيمالا بشأن هذا المرض ظهر منه أن ٩٤ بالمئة من سكانها مصابون بعدوى هذا المرض ، كما ظهر من استقصاء آخر في بريطانيا أن خمسين بالمئة من المتبرعين بالدم الذين فحصت دماؤهم مصابون بعدواه أيضا ، وهو ينتشر بين عامة السكان بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ و ٣٠٪ ، وهو مرض غامض الهوية ، غير واضح المعالم ، نظرا لحداثة اكتشافه ، ولأنه ينتشر بين الناس دون أن يؤدي إلى أعراض ظاهرة للمريض أو الطبيب على السواء ووجه الخطر فيه عندما يتسلل من الأم الحامل التي قد تصاب به خلال شهور الحمل الستة الأخيرة ، فيتسرب طفيل هذا المرض عبر حاجز المشيمة ، ليتوطن خلايا الجنين النامية ، فيدمرها وبخاصة خلايا العين أو المخ أو الكبد أو الرئتين ، مما يؤدي إلى مرض خلقي معوق خطير كالتسلل الدماغي أو التخلف العقلي أو العمى أو ما إلى ذلك

و (التوكسلابلازما) الذي كانت بداية كشف أسراره عام ١٩٠٨ عبارة عن طفيل من فصيلة وحيد الخلية ، أو مايعرف علميا باسم « البروتوزوا » ، وهو يشبه في تركيبه طفيليات الأميبا المسببة للدسنتاريا أو بلازموديوم الملاريا ، وشكل هذا الطفيل هلالي ، وحجمه صغير لايتجاوز ٢٤ ميكرونا طولا ، وسعة ميكرونات عرضا ، (الميكرون = جزء من ألف من المليمتر) ، كانت بداية اكتشافه في حيوان أمريكي قارض يسمونه (جونداي) Gondi ، ولهذا اكتسب هذا الطفيل اسم Toxoples Magondii وبعلاج هذا الطفيل ثبت أنه يصيب أغلب الحيوانات

بالاضافة إلى الانسان ، إذ قد يصيب الكلاب والأغنام والأبقار والأرانب ، بل قد وحدوه في العصافير أيضا ، لكن الانسان يصاب به عبر الحيوانات ، وبخاصة القطط المريضة التي يعشش هذا الطفيل في أمعائها ، ويتوالد ، ويتكاثر حسبيا بالتراوح ، ثم ينطلق مختلطا ببراز هذه القطط ، ولهذا سماه بعضهم (داء القطط) ، لأنها المصدر الأهم الذي ينقل عدواه إلى الانسان ، لكن الانسان لايعدي غيره من البشر باستثناء الأم المصابة التي تعدي جنينها إذا ما كانت حاملا في فترة العدوى النشطة وطفيل هذا المرض يدخل الجوف مختلطا بالطعام أو الشراب ، وسرعان مايتسلل إلى الدم ليعشش فيه مدة أسبوعين أو ثلاثة ، ثم يمتد إلى داخل الخلايا الحية للأنسجة ، ويستقر داخلها ، ليكاثر وينمو ، إلى أن يموت أو يبقى مدى الحياة ، فإذا ما مات فإنه يتكلس ويتحجر ، وإذا قدرت له الحياة فانه ينتقل الى خلية أخرى ليستعمرها ، ويدمرها ، وفي كلا الحالين يثير في الجسم حساسية ونزعة إلى مقاومته ، فتتولى الأنسجة المناعية المختصة إنتاج أجسام مضادة له ، هي السر في بلواه

هذا المرض لايظهر أعراضا سريرية ، تدل عليه ، ولذا يصعب كشفه ، غير أن وجه الخطورة - كما أشرنا - هو عندما يداهم خلايا الجنين ، فيولد الطفل وهو يحمل أسباب العدوى، لكنه عند الولادة لا تبدو عليه أي أعراض واضحة ، بل تظهر أعراض

فيما بعد على صورة تبقعات دموية ، ونزيف تحت الجلد ، وهو ما يعرف باسم مرض المرقرية (purputa) كما تتضخم الكبد ، ويبدو على الطفل اصفرار الجلد والعينين ، وهو ما يعرف باليرقان ، ثم ينتهي الأمر بضعف البصر ، من جراء التهاب الشبكية ، أو ربما بضمور إحدى العينين ، وبعض الأطفال قد ينتهي به الأمر إلى ضعف عقلي ، أو شلل دماغي ، وربما تخشبات ونوبات صرعية ، غير أن الملامح الأولية التي قد يلاحظها الآباء والأمهات هي تأخر ظهور الاستجابات العاطفية عند الطفل ، مع نوبات من التشنج بين حين وآخر دون سبب أو مبرر

ولسنا بصدد الحديث عن وسائل تشخيص المرض مخبريا ولا الخوض في أنواع العلاج ، لأن الأهم هو أسباب الوقاية منه ، وبخاصة أن أهل الاختصاص يؤكدون أن نسبة تتراوح بين ربع سكان العالم ونصفهم يقعون تحت رحمة هذا المرض دون إدراك ولما كانت القطط التي تعاشر الناس وتشاركهم أسباب حياتهم هي مصدر الخطر الأول والأهم في نقل العدوى ، كان من الأوجب تحاشي تربية القطط ، أو اللعب معها لأن المرض أكثر انتشاراً في المناطق التي تصحب فيها الحيوانات عامة والقطط خاصة الإنسان ، كما في الريف مثلا الذي تزيد نسبة الاصابة فيه عن المدن ، وكما في المناطق الحارة التي ينتشر فيها هذا المرض ، بينما يصبح نادراً عند سكان المناطق الثلجية كالاسكيمو مثلا ، وهكذا

لقد أصبح مرض (التوكسلابلازما) في عرف الطب مبررا لاجهاض الحامل قانونا ، إذا ثبتت الاصابة به ، كما هو الحال مع الحصبة الألمانية ، وذلك احترازا من احتمال ولادة إنسان معوق ، يكون عالة على المجتمع ، لانفع منه ولا فيه

طبيب الأسرة

ردود سريعة :

● السيد ج ع أ - عمان - الأردن
- لاعلاقة لارتداء النظارة أو العادة السرية أو الاسراف في القراءة بضعف البصر وهو أمر في الغالب خلقي أو موروث ننصحك باستشارة طبيب مختص ماهر في العيون

● السيد ج م - عمان - الأردن
- الذكاء أمر موروث ، تصقله التربية ، وقد يؤثر عليه المرض الذي يصيب الدماغ مباشرة أو بطريق غير مباشرة ، وماعدا ذلك فلا قيمة له

● السيد وهده احميدو - الحسيمة - المغرب
- لايتوفر أي علاج لما تسأل عنه فلا تشغل نفسك بالأمور التافهة

● السيد س هـ هـ - القاهرة - مصر
- يبدو أنك مشغول بأمور جانبية بعيدة عن واجباتك التي تتناسب مع سنك ، وهذا سر معاناتك

● الأخ المعذب - البقاع - لبنان
- البواسير لها درجات متفاوتة ، ولكل منها علاج مناسب ، والطبيب الجراح هو المختص القادر على تحديد العلاج المناسب ، بعد الكشف على المريض ، ومن المؤكد أن العمليات الجراحية هي آخر المطاف في سلسلة العلاج ، وقد حققت نجاحا كبيرا في استئصال المشكلة

● السيد ز ش ي - ادلب - سوريا
- هناك معاهد ومراكز صحية لعلاج عيوب النطق ، ولا بد من فحصك بواسطة لجنة طبية مختصة لتقصي سبب المعاناة ، وبعد ذلك يسهل العلاج ، وتنتهي معاناتك بإذن الله

● السيد ع ن - القاهرة - مصر
- قصر القامة أمر موروث غالبا ، ويتأثر بالحالة الصحية للطفل ، وبتوازن تغديته ، ويتوقف النمو في الطول غالبا في سن العشرين

وإن القول بأن الرياضة تزيد طول الانسان قول لايعتمد على أساس من الصحة

● الآنسة ع م - دمشق - سوريا
- ربما كانت ظاهرة زيادة الشعر أمرا موروثا ، ونحن لانعرف له علاجا حاسما ، وإنما ننصح باستشارة طبيب الأمراض الجلدية مادام الافراز الهرموني طبيعيا

● السيد حمعان مقبل بن كدة - حضرموت - اليمن الديمقراطية

مرض السكر بدرجات متفاوتة ، لكنه مرض مزمن ، بينما التهاب الكبد مرض عابر ، والأفضل هو مراجعة طبيب السكر المختص لتنظيم الغذاء بما يناسب درجة السكر وحدة إصابة الكبد ، وهذا أمر شخصي جدا

● الآنسة الهام - المغرب
- نأسف إذ لايوجد عقار لازالة الشعر أبديا ، وننصحك بمراجعة اختصاصيي الأمراض الجلدية ، فهم يلجأون إلى إزالة الشعر بالكهرباء بين حين وآخر

● السيد / م م ع - مصر
- إن ما تعاني منه هو رد فعل نفسي ، ووهم لا علاقة له بأية عادة تمارسها أو مارستها من قبل ، فاستشر طبيباً ، واطمئن ، فإن ماتعانيه عارض عابر

الحب في زمن الكوليرا

أحبها وهو في التاسعة عشرة من عمره ، كان فتى فقيرا غاية الفقر ، يعمل في مكتب برقيات على جهاز لاسلكي ، وكانت هي في السابعة عشرة من عمرها ، طالبة بالمدرسة أنفق أياما طوالا وهو يسير خلفها في رحلة الذهاب ورحلة الاياب ، وقضى أوقاتا طوالا أمام بيتها ، يرقبها وهو جالس تحت شجرة ممسكا في يده ديوان شعر وعندما تمكن من أن يعطيها أول رسالة له فوجئت أنها تقع في سبعين ورقة ، ولم يتجاوز حبهما هذا سوى تبادل الرسائل إلى أن علم والدها بالأمر ، فثار جنونه ، فقد كان حلمه دوما أن يزوجها زواجا يتحرك بها من طبقتها هذه إلى طبقة أخرى ، وتحققت أمنية والدها فتزوجت طبيبا من إحدى الأسر العريقة ورغم كل العذاب الذي عاشه موظف « التلغراف » البسيط فقد أخذ على نفسه عهدا أن ينتظرها ، ممنيا نفسه بأن زواجها سيفشل ، أو يتوفى زوجها ـ موفور الصحة ـ قضاء وقدرا ، وظل ينتظرها خمسين عاما

زمن الانتظار هذا هو نسيج الرواية الرائعة « الحب في زمن الكوليرا » ، آخر ما أبدعه (غابرييل جارسيا ماركيز) ، وقد قدم ماركيز خلال رحلة الخمسين عاماالتي ظل فيها بطل روايته ينتظر القضاء والقدر ـ عرضا مذهلا في دقته ودفئه وصدقه عن الشوارع العفنة ، وأصداء رصاص الحرب الأهلية ، والتخلف ، والفقر ، وغاص في قاع المجتمع فقدم شرائحه ، وقصص حب لا تنتهي ، وعذابات لا آخر لها ، وأحلاماً ، وسلطة ، وتجارة ، وصعّد مشاعر أبطاله الذين نسجهم ببراعة فائقة إلى قمم الأمل ، ثم إلى قاع اليأس ، حتى لحظات الحزن الحقيقية عندما انتابت بطلة روايته بموت زوجها ـ بعد خمسين عاما ـ قدمها ماركيز بدقة جراح . قد تعامل مع المشاعر وفق القانون الانساني كيف بدأ حزنها عظيما ، وكيف أحست أن زوجها الراحل يقطن داخلها ، ثم شروعها في التخلص من حاجاته لكي تتخلص من مطاردته لها ، وكيف تأجج الحزن ليخمد ، ويورثها الوحدة والفراغ اللانهائي ، حتى مشاعرها عندما عاد ذلك الفتى الفقير الذي كان سيدخل حياتها من جديد كصديق لم يقدمها ماركيز بسهولة ليحل عقدة روايته

الرواية في جملتها عمل إبداعي رائع ، ثري بالمشاعر والدفء ، فيه لوحة رائعة متكاملة عن الحياة في مجتمع أمريكا اللاتينية ، إنها شهادة صـ ـقة على عصرها وزمانها ، وإبداع جديد يضاف الى رصيد روائع الأدب العالمي ، ويُفجر داخلنا أحاسيس ومشاعر رائعة ، وقدرا من المعايشة يصل بالقارىء الى حد يجعله يشعر أنه يتنفس في المكان ويراه ويمشي به

سبق صحفي

قصة الكاتب التركي الساخر : عزيز نسين

ترجمة : عبد المطيف عبد الحميد

اقتحم كلب باب هيئة تحرير أكثر الصحف شهرة في البلد وبما أن العاملين لم يعتادوا على دخول الكلاب الى هيئة التحرير ، هكذا وبكل بساطة ، لذا فقد اندفعوا وراءه أما الكلب فسرعان ما أدرك أنهم سيمسكون به ، ويقذفون به خارج الباب ، لذلك توقف وقال

ـ دقيقة ، من فضلكم ياسادة

انعقدت ألسنة المتعقبين وراءه ، فما الذي يمكن فعله مع كلب يتحدث بصوت انساني ؟ هل عليهم أن يتحدثوا معه كالكلاب ، أم بشكل انساني ، وباحترام ؟

وعلى أي حال سألوا الكلب عما يريد ، فأجابهم بأنه يريد مقابلة رئيس هيئة التحرير

ـ انه في الاجتماع

ـ اذن مع صاحب الجريدة

ـ هو الآخر في الاجتماع

ـ اذن مع أحد الموظفين المسؤولين

كان الجميع في الاجتماع الصباحي ، يناقشون العدد الأخير للجريدة أعلن الكلب أن لديه خبرا خارقا وعاجلا ، وألح كي يسمحوا له بالدخول الى قاعة الاجتماع

ودفع أحد المستخدمين الباب ، فدخل الى قاعة الاجتماع ، وقد جلس أعضاء هيئة التحرير ـ وعددهم أربعة عشر عضوا ـ حول طاولة ، وتوجه المستخدم لصاحب الجريدة قائلا .

ـ هناك كلب يرغب في الحديث اليكم ياسيدي

فصرخ صاحب الجريدة مع أنه انسان مترن جدا

ـ أي كلاب أخرى بعد !؟

أجاب المستخدم باحترام

ـ لا أعرف من أي سلالة هو ، انه كلب جميل ، ذو شعر متجعد ، يحمل طوقا في عنقه ، وهذا يعني أن له صاحبا ، وهو من الجنس اللطيف ، هكذا بالضبط أي أنه كلبة

فضحك الجميع ماعدا صاحب الجريدة ، فقد حافظ على هيبته الجدية

ـ أنت تعرف بأن لدينا اجتماعا

ـ لقد شرحنا لها كل شيء لكنها تقول ان لديها خبرا هاما وخارقا ، وأنها ترغب في مقابلتكم بأسرع مايمكن

ـ دعها تدخل

فتح المستخدم الباب ، وأدخل الكلبة ، فقالت

ـ اعذروني لهذا الازعاج ، لو سمحتم ، لقد جئتكم بخبر هام جدا

وعند عبارة « خبر هام » استعد الجالسون ـ وكلهم صحفيون محنكون وبارعون في العمل الصحفي ـ للاستماع ، حتى أنهم نسوا دهشتهم من قدرة الكلبة على الحديث بصوت انساني . وسأل رئيس التحرير ما هو خبرك ؟

ـ لقد عضني انسان !!

وقهقه جميع الحاضرين ، بما فيهم صاحب الجريدة

ـ يبدو أنك لا تعرفين لغة البشر وحسب ، بل وقوانين الصحافة أيضا

واستدارت الكلبة الى الوراء ، وهي تشير الى أثر العض على فخدها الأيسر . وعلق رئيس التحرير

ـ هذا معروف للجميع منذ أمد بعيد

واندهشت الكلبة قائلة

ـ ما المعروف ؟

ـ ان الجريدة يهمها واقعة عض الانسان للكلب ، لكن لا يهمها عض الكلب للانسان .

« ولم يسمح صاحب الجريدة للكلبة بأن تواصل حديثها ، بل قاطعها قائلا

ـ مثل هذه الحيل لاتنطلي علينا ، فمن الواضح أنك تبحثين عن الشهرة ، ولعلك تحلمين بنشر صورتك في الجريدة ، لا جدوى من ذلك يابنيتي

وعند قوله للكلبة « يابنيتي » أمام أعضاء هيئة التحرير احمر وجهه رغما عنه ، لأنه اعتاد أن يخاطب النساء العاملات في الجريدة بهذه الكلمة ، ثم تابع حديثه بعد لحظات من الارتباك .

ـ نعم ، هكذا اذن ، كفاك أن تنبحي كذبا ـ انسان يعض كلبه ؟! أي جريدة ستنشر مثل هذا الخبر ؟! . . . على أي حال باستطاعتك أن تنشري اعلانا اذا كان لديك نقود

ـ انك مخطىء في ظنك بي تماما ياسيد ، فأنا لا أسعى اطلاقا الى الشهرة ، ولست متعطشة لاثارة ضجة ، صدقني من فضلك ، لقد عضني انسان فعلا

ـ وما الذي تبغينه اذن ؟

ـ ألا يجوز أن يكون الانسان الذي عضني مسعورا ؟ وربما يعض كلابا أخرى ، فإذا نشرت الجريدة مثل هذا الخبر كان ذلك بمثابة تحذير للسكان من الخطر ، ومن عضات جديدة ، ثم ألا يجوز أن يكون هناك وقت كاف ليتم انقاذ ذلك الانسان ، وتقديم اللقاح له

ـ وكيف نعثر عليه ؟

ـ انه صاحبي

ـ صاحبك ؟ واعترت صاحب الجريدة الدهشة

ـ نعم ياسيد

ـ عجيب !! ، ومن سيصدقك ؟

ـ انني أقول الحقيقة ، وبإمكانك أن تجري اختبارا

ـ يبدو أنك أغضبت صاحبك الى درجة لا يستطيع معها تمالك أعصابه ، فعضك

ـ لم يعضني وحدي فقط ، بل لقد عض زوجته أيضا .

وتوجه صاحب الجريدة بالكلام الى الجالسين قائلا

ـ أعتقد ، أن من حق الانسان أن يعض زوجته ، أو أي امرأة تنوب عنها ، أليس ذلك صحيحا يا أصدقائي ؟

ورد عليه أحد أعضاء هيئة التحرير على الفور قائلا

ـ طبعا ، يمكن أن تحدث بين الزوج والزوجة أشياء أكثر تطرفا .

وسألها أحد الحاضرين قائلا :

ـ وهل عض صاحبك زوجته في غرفة النوم ؟

ـ لا ، بل بعد خروجها من (المرحاض) مباشرة

وعلق صاحب الجريدة قائلا

ـ هذه المسألة لاتخضع للزمان أو للمكان

وقالت الكلبة بلغة تنم عن التأكيد

ـ لقد هجم عليها كالمسعور ، وعضها

وتابعت الكلبة حديثها

ـ لكن لعابه قد سال

وقال رئيس هيئة التحرير محاولا الاقناع .

ـ ان لعاب الانسان يمكن أن يسيل في مثل تلك الحالات

ثم قال وهو يحاول حسم النقاش

ـ لاياسادة ، لايمكن أن يكون هذا الخبر مادة صحفية ، فالجميع يعرفون

وقاطعته الكلبة قائلة

ـ أنا أدرك أن الناس مقتنعون بأن الانسان لايمكن أن يعض الكلاب ، وعندما يعض الكلب الانسان لايعتبر ذلك سوى ظاهرة عادية لكن فكروا ، ألا يمكن أن يحدث العكس، لتكن تلك من أندر الحوادث ، لكن أليس من الجائز أن يحدث ذلك فجأة ؟

ـ ماقصدك ؟

ـ أن يسعر الانسان ، ويعض الكلاب

وابتسم صاحب الجريدة برفق وقال

ـ كفاك خداعا .

وتدخل رئيس التحرير في الحديث قائلا .

ـ وهل تخافين أن تصبحي مسعورة بعد ذلك ؟

ـ انني لست خائفة على نفسي ، فصاحبي قد اهتم بي وأعطاني لقاحا ، ولن أصبح مسعورة ، لكنني اخاف على الكلاب الأخرى ، واذا كان الناس ، لكم لايصدقون بأن الانسان يمكن أن يصبح مسعورا ، ويعض الكلاب ، واذا كانوا مثلكم لايشكون بمعلوماتهم ، واذا كانوا واثقين من معرفتهم بكل الأشياء ، فإن أحوالنا ـ نحن الكلاب ـ ستكون سيئة ، كالعادة ، وستبدأ المعركة ضد الكلب ، ثم يقتلون الكلاب

وبالرغم من تأكيدات الكلبة لم يرغب صاحب الجريدة بنشر الخبر وطرد الحيوان المسكين الى الخارج

فاتجهت الكلبة الى جريدة أخرى ، ليست شهيرة ، لكنها رصينة ذات ميول فلسفية ، وقد قوبلت الكلبة بعدم فهمهم لها حتى في هذه الجريدة

وطافت الكلبة بكل الجرائد والمجلات ، لكنها لم تتمكن من اقناع أحد ، بأن انسانا قد عضها ، بل لقد اتفق الجميع على رأي يقضي بأن الكلبة تريد أن تصبح مشهورة

وبعد أن فقدت الأمل في ايجاد من يفهمها في عالم الصحافة ، توجهت كلبتنا الى مدير الاذاعة ، رغبة منها في انقاذ الكلاب من الهلاك ، لكنه لم يرغب حتى في سماع مالديها ، اذ أعلن فورا بأنه لم يسمع في حياته مايشبه ذلك ، ولهذا السبب فان أحدا لن يصدق خبرا عن انسان يعض كلبة ولم تستطع الكلبة أن تبرهن له ، مع أن كل ماتريده فقط هو منع انتشار وباء الكلب

وأخيرا فقد مدير الاذاعة صبره وصرخ قائلا

ـ اذا كنت ترغبين بنشر خبرك ، فادفعي المال لقاء ذلك ، وليكن خبرك في قسم الدعايات ، لا في قسم الحوادث !!

ـ وهل يصدق الناس الدعايات أكثر من الأخبار ؟

ـ لا ، طبعا ، لكن المستمعين سيعتبرون ذلك فكاهة ، والفكاهة تجتذب الناس دائما

ـ فقالت الكلبة بحزن ومن أين لي بالمال ؟ المال عند الناس ، لاعند الحيوانات ، وهنا يكمن الفرق بين البشر والحيوانات ، فالانسان حيوان مالي

أما رأي مدير التلفاز فكان . ان أحدا في البلد لن يصدق امكانية عض الانسان للكلب ، فالجميع يعرفون أن مايحدث عادة هو العكس

واعـ صت الكلبة قائلة

ـ لكن . لماذا أنتم ـ بني البشر ـ لاتشكون فيما معروفه غير قابل للجدل ؟ ألا يمكن أن تكونوا مخطئين ؟ وهل من الصعب جدا أن تهتموا ببحث موضوع تعتقدون دائما ، أنكم تعرفونه جيدا ؟

ـ ولماذا نضيع الوقت في البحث أو الشك في مسألة ما ، خاصة اذا كنا نعرفها ؟

فكرت الكلبة طويلا عما يجب أن تفعله ، وفي آخر الأمر ذهبت الى وزير الصحة ، ولو لم تتمكن الكلبة من الكلام ، لما استطاعت الدخول الى الوزارة بأي حال من الأحوال ، وحدثت الكلبة الوزير بالتفصيل عن جوهر القضية ، وشرحت له كل شيء ، وأخبرته بأنه يجب اتخاذ اجراءات فورية ، والا فإن وباء الكلب سينتشر ، وستهلك كلاب لاذنب لها مطلقا

فابتسم الوزير بعد سماعه كلامها وقال

ـ حتى أنت أدركت أن الواقعة ذاتها ـ وهي عندما يعض الانسان الكلب تعتبر سبقا صحفيا ؟ هل معقول ـ ياترى ـ أن الناس أغبى منك ؟

وفجأة قطب الوزير حاجبيه بشكل مرعب وصرخ

ـ انقلعي !! انقلعي من هنا !

لوت الكلبة ذيلها ، وقفزت الى الشارع ، وذهبت الى وزارة الثروة الحيوانية ، ثم الى الادارة المركزية للخدمات البيطرية ، والعيادات البيطرية بل لقد ذهبت حتى الى مستشفى المصابين بداء الكلب وفي كل مكان ، كانوا يقولون لها نفس القول

ـ من قديم الزمان والجميع يعرفون ، ولن يصدقك أحد،وعادت الكلبة حزينة الى البيت ، وخلال ذلك الوقت انتشر وباء الكلب في المنطقة ، وأصبح من الصعب التمييز بين العاض والمعضوض ،وهل الناس عضت الكلاب ، أم الكلاب هي التي عضت الناس ، أم أن الجميع قد عض بعضهم بعضا ؟

واتخذت السلطات الرسمية الاجراءات اللازمة فقامت بتلقيح الناس ، أما الكلاب فصارت السلطات تقضي عليها ، وأصبح بيت تلك الكلبة خاليا ، فصاحب البيت وزوجته لم يأخذا اللقاح في الوقت المناسب فمرضا ونقلا الى المستشفى .

في عتمة الليل هربت كلبتنا من المدينة ، محاولة ألا يراها أحد ، وفي الطريق صادفت الكلبة بيتا يسكنه عالم طاعن في السن ، وعند هذا العالم كلب حبيب مسن ،وبما أن هذا الكلب قد ترعرع في كنف صاحبه العالم ، فقد أصبح ذكيا ومشهورا وسط الكلاب،وقد كان يلقب بلقب (المفكر) بين تلك الكلاب

نظر الكلب (المفكر) عبر النافذة الى الطريق ، فرأى الكلبة ، وكانا يعرفان بعضهما سابقا ، ثم نبح مناديا اياها

ـ الى أين تركضين ؟

ـ أريد الحصول على تأشيرة خروج للسفر الى الخارج !!

ـ ألا يعجبك العيش هنا ؟

ـ وكيف لا ، انه وطني ، لكن من الغباء أن أموت بسبب حماقة لاشأن لي بها

ـ اذا كنت تخافين من أن يصطادوك فإن كل شيء سينتهي قريبا ، وبإمكانك أن تنتظري اما في بيتك ، أو هنا

ـ لا ، لست هاربة من الموت ولامن الخوف

ـ ماذا اذن ؟

ـ المسألة هي أن الجميع هنا يعتقدون بأنهم يعرفون كل شيء

ـ هذا يمكن أن يعني بأن أحدا لايعرف شيئا

ونبح « المفكر » بتأمل وسأل

والى أين ستذهبين ؟

ـ بودي ، لو أجد مكانا يكون فيه الناس لايعرفون كل شيء ، وما يزالون يشكون في معلوماتهم

وانتعش (المفكر) وقال :

ـ لعلها مسألة مثيرة ، ان لدى صاحبي مكتبة جيدة ، تعالي نبحث في المعاجم والخرائط والمصورات عن مكان كهذا ، يسكنه أناس بمقدورهم أن يشكوا .

وبحثا طويلا في المكتبة ، لكنهما لم يجدا المكان المطلوب ، فقال المفكر وهو يغلق آخر مجلد للمعجم

ـ لايوجد على الأرض مثل هذه الأماكن .

ـ وما العمل اذن ؟ .

ـ يبدو أنه يجب علينا أن نذهب الى أفراد سلالتنا ، واذا نجونا ننتظر بصبر تلك الأوقات التي سيبدأ الناس فيها بالشك في معارفهم المطلقة . □

لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

أسـئلة وأجوبـة

في صفحتنا اللغوية السابقة (العربي/ العدد/ ٣٤١/ ابريل سنة ١٩٨٧) أجبنا عن سؤالين آخرين من خمسة اسئلة وجهها الينا السيد/ أحمد عبدالله حمدان العوريفي (الزرقاء/ الأردن) ، وهنا نلخص السؤال الأخير ، ونجيب عنه

الأنانية والأنوية :

قرأت في مرجع لأحد الباحثين الضليعين عندنا في الاردن اعتراضا على استعمال كلمة « الانانية » التي يراد بها حب الذات وايثار النفس ، وصحّحها باستعمال كلمة « الأنوية » المأخوذة من « أنا » وقد خطّأ بشكل سافر التلفظ بـ (الأنانية) واعتبرها غريبة عن العربية ، فما وجه الصواب ؟

- ونسرع فنقول . الكلمتان « الأنوية » و « الأنانية » كلتاهما مصدران صناعيان فصيحان في النسبة الى «أنا» ، وينبغي ان نفرق معيّ بين كلمتين هنا ، هما « حب الذات » و« إيثار النفس » ، فحب الذات فطرة في كل كائن حي ، وهو قوامه في الحياة ومساكه بها ، فهو الذى يحفزه الى حفظ كيانه ، ويغريه بالتآلف مع نوعه ، بل غير نوعه في الأحياء الراقية ، وهو - لذلك - فضيلة حيوية طبيعية سوية ، ثم أخلاقية ، وقد أحسن حكيمنا المتنبي حين فسر بها النقيضين الأخلاقيين · شجاعة الشجاع وجبن الجبان معا ، وفطن بنفاذ بصيرته الى مالم يفطن اليه كثير من المثقفين المحدثين الذين يقفون عند المظاهر ، فقال

اري كلنا يبغى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبًّا
فحبُّ الجبان النفسَ أورده التقى
وحبُّ الشجاع النفسَ أورده الحربا
ويختلف الرزقان والأمر واحد
الى أن يُرى إحسانُ هذا لذا ذنبا

ومن هنا نعرف أن كلمة « نكران الذات » كلمة « خنفشارية » لا حقيقة لها في الحياة ، حتى عند المتحررين ، أو عند الفدائيين

ولكن فطرة حب الذات قد تنحرف عن سوائها أو تختل لسبب ما ، فينشأ عن ذلك انحصارها في حدودها ، ويتعطل فيها الاحساس بالواجب الاخلاقي نحو الغير فيما يتنابه من نفع وضر ، أو خير وشر ، وهذه هي الأثرة ، وهي مرض أخلاقي أو حيوى يستحق العلاج ، ان كان ذلك في وسع الطب ، ولا سيما حين يكون واجبُ الفرد الأخلاقي واجبَ جماعته كلها كما هو الحال في الجماعات القبلية و الريفية ، قبل ظهور الحقوق الفردية

الشعوبية ثم انتشارها في المجتمع عند الأمم المتحضرة

والأمر أسهل من ذلك لغويا في بيان فصاحة «الأنوية» و «الانانية» فكل كلمة ثالثها الف تقلب ألفها واوا عند النسب، فيقال أنا انوى وأنوية، كما يقال «نوى ونووى ونووية»، واما زيادة النون مع الف عند النسب الى كلمة، فكثيرة في لغتنا وينبغي ان يلاحظ ان العرب توسعوا كثيرا في التصرف عند النسب فقالوا مثلا روحية وروحانية، وصمدية وصمدانية كما قالوا برانية وحوانية ووحدانية. واذن فلا داعي للتعجل في رفض كلمة ومطاردتها لا سيما حين تكون عربية الأصل والصيغة والمهم هو معنى الكلمة هنا وموضع استعمالها اصطلاحيا وقد وضحنا ذلك في صفحة لغوية عنوانها «الأنانية والأثرة» نشرت في العدد ٢٩١ (فبراير سنة ١٩٨٣)

وجاءتنا اسئلة من السيد/ فخري رمضان محمد الأغا (دبي/ دولة الامارات العربية المتحدة) وهذان سؤالان منها، ومع كل سؤال جوابه

طاق وأطاق

١ - «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» ما معنى يُطيق، وما الفرق بين «طاق وأطاق»

هذا نص قرآني في موضوع الصيام، ومعظم المفسرين يرون أن الآية نزلت في حق الشيخ الهرم والمرأة العجوز، وقاس عليهما الفقهاء الحامل والمرضع إذا خافت على نفسها أو رضيعها، والله [illegible] كما قال في الآية «يريد الله بكم اليسر ولا يريد [illegible] العسر»، ولذلك أباح الإفطار في الفريضة ([illegible]صيام رمضان) للمريض والمسافر، وأباحه للعاجز [illegible] بسبب الشيخوخة، ولمن تحس أنه يضرها أو يضر صغيرها من حامل ومرضع ولا شك أن الصيام مجهد لكل نسبة حية على كل حال، ولكن الصحيح المقيم يستطيعه وإن أجهده، ولا يضره شيئا وإن ضايقه

والطاقة لغة هي الاستطاعة أو الوُسع أو الإمكان، ولكن هذه كلها نسبية، ولهذا يرى بعض المفسرين أن الوسع يعني القدرة على العمل في سهولة، والطاقة تعني القدرة عليه مع الشدة «المشقة»، فالمراد في الآية من يقدرون على الصيام مع المشقة والعنت، وهذا الرأي أدنى إلى القبول لاتفاقه مع اليسر دون العسر

وقد فسرت «الفدية» في الآية بأنها «طعام مسكين»

وهذا هو المختصر المفيد لمعنى هذا النص القرآني، وهناك أكثر من قراءة له، ثم إن للمفسرين كلاما طويلا في تفسيره يملأ صفحات (يراجع ذلك في موقع الآية من التفاسير الآتية

(جامع البيان للطبري، والتبيان للطوسي، ومجمع البيان للطبرسي، والكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للرازي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وروح المعاني للألوسي)

ولا فرق في المعنى بين «طاق» و «أطاق»، تقول طاق الشيء، يطوقه، طوقا، وطاقة، كما تقول أطاقه، إطاقة - بمعنى قدر عليه □

رئيس ورئيسي

٢ - متى نقول «رئيسة» ومتى نقول «رئيسية»؟

هاتان الصفتان صحيحتان على سواء، وإن كان بعض المتشددين من معاصرينا ينكرون الثانية بمعنى الأولى، وقد كتبنا في تصويب ذلك «صفحة لغوية» ذكرنا فيها أكثر من خمسين شاهداً فصيحاً (العربي العدد ٣٠٧/ يونية سنة ١٩٨٤)

هكذا غنى الآباء
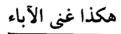
زلزال

لحافظ ابراهيم

حافظ ابراهيم شاعر قومي ، كان يلقب « شاعر النيل » ولد نحو سنة ١٨٧٢، كان وحيد أبويه ، وحين كان في الرابعة توفي أبوه دون ثروة ، فذاق آلام اليتم والفقر ، وقد كفله مع أمه خاله دخل في صباه بعض الكتاتيب ثم مدرسة ابتدائية ، وقبل ان يتم المرحلة الثانوية في المدرسة الخديوية اشتغل كاتبا عند بعض المحامين ، ثم دخل المدرسة الحربية،وعقب تخرجه فيها اشتغل في وزارة الحربية ثم الداخلية ، ونقل الى السودان حين كان الجيش المصري هناك ، فلما حدثت ثورة السودان سنة ١٨٩٩ اتهم فيها فأُحِيل على الاستيداع ، ثم المعاش ، واتصل عندئذ بالاستاذ الامام محمد عبده فنال كثيرا من عطفه وعلمه ، ثم عين مديرا للقسم الادبي بدار الكتب المصرية سنة ١٩١١ وبقي فيها الى ما قبل وفاته بشهور سنة ١٩٣٢

ترجم رواية « البؤساء » لفكتور هيجو ، وكتابا في الاقتصاد بمشاركة الشاعر خليل مطران ، وله ديوان طبع كاملا بعد وفاته عدة طبعات

كان واسع الاطلاع على الادب العربي ، غزير المحفوظ من شعر القدماء ، كثير الاستشهاد به في احاديثه ، كما كان من أمراء النكتة والفكاهة بين معاصريه في مصر ، فكانت مجالسه موضع اعجاب وسرور من اخوانه « ومسينا » التي يتوجع الشاعر لها هنا ـ بلدة في جنوبي ايطاليا ، وقع زلزالها سنة ١٩٠٨ وقصيدته فيها ٥٩ بيتا ، احتزأنا منها بما أوردناه ونلاحظ فيها رنة خطابية ، وقد كان شاعرنا من اجمل الناس القاء للشعر ، ومن الافضل أن تردّد الأبيات جهرا ، ولا تُعبر في صمت

نَبِّئاني إن كُنْتُما تَعْلَمان ... ما دَهى الكَوْنَ أيُّها الفَرْقَدانِ(١)

غَضَبَ اللهِ أم تَمَرَّدتِ الأر ... ضُ فأنْحَتْ على بني الإنسانِ ؟(٢)

ليسَ هذا سُبْحانَ رَبي ، ولا ذا ... كَ ، ولكنْ طَبيعةُ الأكوانِ

غَلَيانٌ في الأرضِ نَفَّسَ عنه ... ثَورانٌ في البَحْرِ و (البُرْكانِ)

رَب ، أينَ المفرُّ والبَحْرُ والبرُّ على الكَيْدِ للوَرى عامِلانِ ؟

ـ (لمتّين) ؟ عُوجِلَت في صِباهَا ... ودَعاها من الرّدَى داعيان
خَسفَتْ ، ثم أغرِقَتْ ، ثمّ بادَتْ ... قُضي الأمرُ كلُّه في ثواني
وأتى أمرُها فأضحَتْ كأنْ لم ... تَكُ بالأمس زينةَ البُلْدَانِ
ـمتِ الأرضُ والجبالُ عليها ... وطَغَى البحرُ أيما طُغيان
تلك تَغلي حِقداً عليها فتنشَـ ... ـقُّ انشِقاقاً من كثرَة الغليان
ـشجيبُ الجبالُ رَجماً وقَذفاً ... بشُواظٍ من مارِجٍ ودُخان[3]
وتَسُوقُ البِحار رداً عليها ... جيشَ مَوجٍ نائي الجناحين دَاني[4]
ـاستحالَ النّجاءُ ، واستَحكَمَ اليأ ... سُ ، وخارَتْ عَزائمُ الشُّجعانِ[5]
وشفَى الموتُ غِلّهُ من نفوسٍ ... لا تُباليه في مجال الطّعان[6]
رُبّ طفلٍ قد ساخَ في باطن الأر ... ض يُنادي « أمي ! أبي ! أدرِكاني ! »
وفتاةٍ هَيفاءَ تُشوَى على الجمـ ... ـر تُعاني من حَرِّه ما تُعاني
وأبٍ داهلٍ ، إلى النّار يَمشي ... مُستميتاً تُمتدُّ منه اليدان
باحثاً عن بَناتِه وبَنيه ... مُسرِع الخطو مُستطِير الجَنان[7]
تأكُل النّارُ منه ، لا هُو ناجٍ ... من لَظاها ، ولا اللّظى عنه واني[8]
غَصّت الأرضُ ، أتخمَ البحرُ مما ... طَوياهُ من هذه الأبدان[9]
وشكا الحوتُ للنُّسورِ شَكاةً ... رَدّدَتها النُّسورُ للحيتان
قد أغارَا على أكُفٍّ بَراها ... بارِيءُ الكائنات للإتقان[10]
كيف لم يَرحَما أنامِلَها الغُـ ... ـرَّ ، ولَمْ يَرفُقا بِتلْكَ البَنانِ ؟[11]
لَهفَ نَفسي وألفَ لَهفٍ عليها ... مِنْ أكُفٍّ كانتْ صَناعَ الزَّمان[12]
مُولَعاتٍ بصَيد كلِّ جميل ... ناصِباتٍ حَبائِلَ الألوانِ[13]
حافراتٍ في الصّخرِ أو ناقِشاتٍ ... شائِداتٍ رَوائعَ البُنيانِ
مُنطِقاتٍ لِسانَ كلِّ جَمادٍ ... مُفحِماتٍ سَواجعَ الأفنانِ[14]
مُلهَماتٍ من دقّة الصُّنع ما لا ... يُلهَمُ الشّعرُ منْ دَقيقِ المعاني[15]
فَسلامٌ عليكِ يومَ تَوَلّيْـ ... ـتِ بما فيك منْ مَغانٍ حِسانِ !
وَسلامٌ عليكِ يومَ تَعُودينَ كما كنت جَنّةَ الطُّلْيانِ !

---

(١) المرقدان نحمان (٢) أنحت على بني الانسان ـ جاءتهم بالعذاب (٣) الشواظ لهب لا دخان فيه والمارج الشعلة الملتهبة (٤) نائي الجناحين : بعيد الجانبين الداني القريب (٥) استحكم اشتد خارت ضعفت (٦) الغل الحقد (٧) مستطير الجنان . ذاهب القلب (٨) اللظى حر النار وان بطيء (٩) غصت امتلأت اتخم امتلأ جوفه (١٠) براها خلقها (١١) البنان ـ الأصابع (١٢) الصناع الماهرة في العمل (١٣) الحبائل · الأشراك (١٤) سواجع الافنان الحمائم المغردة فوق الأغصان (١٥) اشتهرت ايطاليا بالبراعة في الفنون التشكيلية الجميلة المشار اليها هنا من رسم ونحت وعمارة

الكلمات المتقاطعة

	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
١										
٢										
٣	■							■		
٤				■	■		■			
٥	■								■	■
٦		■	■							
٧					■		■			
٨				■						
٩					■					
١٠						■		■		

يهدف هذا اللغز الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك ، وربطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقابلة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم

الكلمات الأفقية

١ بلدة حدث فيها التحكيم بين الامام علي ومعاوية
٢ من أسماء بئر زمزم
٣ للنداء ، جحود او عناد
٤ عامية بمعنى قوي أو شديد ، نقطة في القبة السماوية
٥ جبان للنسوة
٦ شاعر فارس عاصر المتنبي
٧ رفع صوته بالبكاء مقلوبة ، حقير
٨ انتشرت مبعثرة ، قدم وَوَرَد رسولاً
٩. لطيطلة ، مظلم
١٠ ضمير إشارة ، من بني عامر

الكلمات الرأسية

١. مشي على اليدين والرجلين ، ملك يمني جاهلي
٢ موافقة او مودّة ، قصير
٣ علقم ، سلطنة شمال غربي بورنيو
٤ مشى على غير هدى ، امتنع عما لا يجمل ، شَقّ
٥. اقليم عربي سليب
٦ بمعنى لم ، اي معكوسة
٧ تَنَقّل في البلاد ، كثير السمن ، تجدها في غاب
٨ كن في عجلة من أمرهن ، هيام
٩ تهيئة مقلوبة ، ينهى الصوم
١٠ . حرف مكرر ، صفة لنسيج فاخر

حل مسابقة العدد ٣٤١ ابريل ١٩٨٧

	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
١	ه	ي	ح	ي	ب	ا	ر	ت	س	ا
٢	■	س	و	ر	ع	ل	ا	ح	ا	ب
٣	د	ا	ن	■	ن	ف	د	ا	ر	ي
٤	■	و	■	ر	ف	ص	ي	■	ت	ل
٥	ق	ر	■	ى	ن	ا	و	ح	ر	ا
٦	ي	■	ن	ا	■	م	م	ر	■	■
٧	ص	■	ع	ص	ب	■	■	و	ش	ح
٨	ر	و	م	ي	ت	د	و	م	ح	م
٩	[illegible]	[illegible]	■	■	[illegible]	[illegible]	[illegible]	■	ر	ر

يقال ان جاليليو في أواخر أيامه ذكر أنه في حالة وجود عقبات بين نقطتين فان أقصر خط بينهما قد يكون متعرجا ، وهي مقولة فيها الكثير من المرارة والسخرية ، ولكن استعارتها بحذافيرها تبقى أمرا مقبولا في العلوم السياسية الدولية ولكن هل تصلح هذه المقولة لقضايا حرجة أخرى ؟؟ والسياسة نفسها أليست تطبيقا لأهداف ومبادىء يفترض فيها الوضوح والمصداقية حتى لا تحتمل أي تفسير ثالث ؟

إن المبادىء دائما واضحة ناصعة ، ولكن تبقى النظريات شيئا والتطبيق شيئا آخر ، حتى الأهداف النبيلة تتخذ في مسارها قنوات أخرى مغايرة تبدو نتائجها وكأنها النقيض تماما لتلك الأهداف والنوايا قنوات يختلط فيها الحلم مع الوهم ، والمطلق والنسبي مع الحقائق وأنصافها ويظل عالمنا المتناقض رغم ذلك سجلا لأهداف تتحقق ، وأنظمة تقام ، وقوانين تصاغ وقيم تكرس

الطبقي والقومي :

في بداية هذه الدراسة عن أيديولوجية الفكر القومي في العالم الثالث ممثلة في التجربة الهندية ، يلمح المؤلف « بارثا شاترجي » الى صعوبة فهمها اذا استعملنا في تحليلاتنا الطريقة الرياضية البحتة ـ طريقة النقطتين الثابتتين والربط بينهما بخط مستقيم .

لقد عرف العالم نمطا طبقيا من الثورات ، كالثورة البرجوازية الفرنسية ، والثورة الروسية البروليتارية ، ولكن ماذا عن ثورات العالم الثالث من أجل الاستقلال والبناء الداخلي معا ؟ انها ثورة على جبهتين ، ضد الاستعمار من جهة ، وضد قوى التخلف من جهة أخرى احتلف المفكرون والفلاسفة في تفسير ظاهرة نشوء القوميات ، بالرغم من مساوئها في الغرب حيث كرست معاني التنافس والصراع ومفاهيم العنصرية والشوفينية وصولا الى الاستعمار والامبريالية وأدت بالتالي الى ظهور النازية والفاشية

ولكن ماذا عن الشرق ؟ هل القوميات فيه مجرد تقليد أعمى لبدعة غربية ؟ أم ضرورة تاريخية وحتمية ؟ يقول « جون بلا منتار » هناك نوعان من القوميات ، تبدو القومية في كليهما وكأنها ظاهرة فكرية ، ولكنها لا تلبث أن تتخذ طابعا سياسيا ، النوع الأول هو ما يعرف بقوميات أوروبا الغربية عموما والثاني قوميات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية فمع التقدم السياسي والفكري والاقتصادي في بريطانيا وفرنسا بدأت الشعوب الأوروبية تنظر بعين الاعجاب ثم الحسد الى هاتين الدولتين ، ثم تطور الاعجاب الى نوع من التعصب والشوفينية في مجال التنافس الدولي لقد كانت مفاهيم التقدم الفكري والحضاري وراء انبعاث هذه الحركات الأوروبية ، وبدأت كل أمة تفتش في تاريخها عن موطىء قدم صلب تستطيع الارتكاز عليه للانطلاق من جديد ، وأصبح مفهوم التقدم شعارا عالميا لمعظم الحركات القومية في القرن التاسع عشر ، أما القوميات الشرقية التي كانت حديثة العهد بالتقدم الحضاري فكان صراعها مزدوجا ، فالجهل والتخلف يجب أن يتحولا الى مادة حضارية تساعد في عملية التحول السياسي والحضاري ، لأن العملية ليست تقليدية بحتة ، فذلك يعني طمس شخصيتها القومية المميزة تماما عندئذ .

يقول بعض الرافضين ان القوميات هي مجرد مذهب سياسي ابتدعته أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر ولظروف اقتصادية بحتة ، وهذه الأفكار تبدو شاذة بالنسبة للعالم الثالث،وغريبة عن تطرتها وطبيعتها،وتبقى مجرد أفكار مستوردة تماما كغيرها من السلع الأوروبية الأخرى . ان المذاهب القومية في نظرهم ليست الا تكريسا للعنف والتعصب وسياسة العداء والكراهية للاخرين ، وممارسة لمفاهيم الاستعلاء والفوقية التي تدعيها كل أمة وكأنها هي الأفضل والأرقى من بين أمم الأرض وشعوبها . ولكن يبقى من الظلم ربط هذه العلاقة التعسفية بين قوميات نشأت على التنافس والتناحر الاقتصادي ، وانتهت بمحاولة تدمير العالم على يد النازية ، وبين قوميات تريد الحرية لشعوبها .

ان القوميات العربية قامت من أجل مصالح الطبقات المالية التي أرادت توحيد مجتمعاتها سعيا وراء اقامة قوة سياسية مركزية لحماية أهدافها التجارية والمالية ، فهذه الطموحات الصناعية الكبيرة لا يمكن أن تقوم داخل مجتمعات مفككة مشتتة ، بل لا بد من ضم الصفوف لحماية هذه الطموحات ، ولكن القوميات في العالم الثالث كانت على عكس هذه المفاهيم تماما ، فقد كانت ضرورة الزامية وحتمية للتحرر الوطني ، وليس لاستغلال غيرها من الشعوب . فلا يمكن لأمة مشتتة مبعثرة أن تقوى على النهوض لمقاومة الاستعمار بغير توحيد أوصال هذا الجسد الممزق . فالدعوة التوحيدية كانت لأهداف نبيلة ، وليس من أجل استعمار الاخرين ونهب خيراتهم .

رحلة البحث عن الذات :

لقد انتهجت التجربة الوطنية في الهند طريقا جديدا للتحرر . فلقد بدأ العالم الثالث رحلة البحث عن الذات في أعماق تاريخه وتراثه وصولا الى الركائز الأيديولوجية الخاصة بهذه القومية أو تلك ، وتبلورت هذه النظرية الهندية عبر ثلاثة رموز فكرية وسياسية ، كان الرمز الأول لهذه الأيديولوجية القومية المفكر الهندي « بانكيم شاندرا » (١٨٣٨ - ١٨٩٤) والذي يعتبر بحق الأب الروحي للفكر القومي الهندي ، وعلى غرار المفكرين الاصلاحيين بدأ « شاندرا » يبحث عن أصل الداء لهذا الضعف الذي أصاب أمته ، وجعلها أمة مستضعفة مغلوبة على أمرها ، فقد بدأ بتفنيد المزاعم الغربية عن افتقار الأمة الهندية للقوة والشجاعة ، فالقضية في رأيه أبعد من ذلك ، فهناك - حسب اعتقاده - سببان رئيسيان وراء تخلف الهند وضعفها . أولهما افتقار الهنود الى الرغبة الجادة في التحرر ، ويعتبر « شاندرا » تاريخ الهند مجرد سلسلة من الصراعات - بين ملوك وأمراء - بعيدة كل البعد عن المشاركة الجماهيرية لتلك الصراعات ، ولا نستطيع القول ان الأمة الهندية قد هزمت في تلك المعارك ، لأنها لم تشارك أصلا فيها ، فلم تكن في يوم ما طرفا فاعلا في هذه الأحداث ، أما السبب الثاني فهو كثرة الانقسامات الطائفية والدينية داخل المجتمع الهندي الواحد . والسبب في خضوع الهند ليس افتقارها الى القوة « المادية » كما يقولون ، بل الى القوة الفكرية والثقافية . ان الفلسفة الدينية الهندوسية قامت اساسا على مبدأين خطيرين يشكلان معا الموقف السلوكي الرافض للقوة ، والمتمثل في مبدأ الايمان المطلق بالحياة الأخرى ، وهذا التخاذل والتكاسل والعزوف عن العمل الدنيوي يعزى الى هذا السلوك الديني المبالغ فيه . ثم مبدأ الجبرية والايمان الاعمى بالقضاء والقدر الذي يلغي أي دور انساني ولو بسيط لمعنى المسؤولية الشخصية . فكل شيء مقدر ولا خيار للانسان . وهذا المفهوم المتطرف أفقد الانسان الهندي معنى الالتزام وحرمه من حق الرفض لمعاني القهر والاضطهاد،وهكذا أصبحت الهند بلا تاريخ بشري . فالاحداث تصنعها الآلهة ، والقوى الخارقة الأخرى ولا دخل للانسان فيها .

بريق الغرب المزيف :

ثم جاء « غاندي » ليكمل مابدأه « شاندرا » بمحاولة الاجابة عن نفس السؤال اللغز ، لماذا الهند أمة مستضعفة ؟ ولكن بتركيز اكثر على الضعف الهندي ، وليس فقط بوضع اللوم على الغزاة الفاتحين ، كما فعل سلفه « بانكيم شاندرا » .

يقول غاندي ان الانجليز لم يستولوا على الهند ولكن نحن قدمناها لهم ، بتمرقنا وبصراعاتنا الداخلية التي أنهكت قوانا ، وجعلتنا أمة مغلوبة على أمرها . فالتخلف وعدم التكيف الحضاري ليسا وراء هزيمتنا ، ولكنه ذلك الوهج الأوروبي الساطع الذي أعمى بصيرة البعض في الهند ، فانساقوا وراءه فاصبحوا خاضعين له . لقد كان غاندي رافضا لكل اوجه الحضارة الغربية ، وبكافة صورها وجوانبها ، وظل يعتبرها المصدر الرئيسي لكل ويلات العالم وشروره وآثامه .

يقول غاندي « حتى لو نجح هؤلاء في طرد الانجليز من الهند واصبحت بلادنا مستقلة فان الحكم سيبقى انجليزيا ، بفضل هؤلاء الغافلين المبهورين ببريق الغرب المزيف » . لقد رفض غاندي « كل المفاهيم الغربية عن التقدم والتمدن واعتبرها مصدرا لشقاء الانسان ، لأنها بدورها قد جعلت الانسان عبدا لشهواته ، وترفه ، واشباع رغباته الخاصة التي لن تنتهي ابدا ، فلقد حولته الى مجرد مستهلك جشع وأيقظت في داخله روح الوحش ، وذلك بتغذية مفاهيم التنافس والصراع وماسينتج عن ذلك من حروب ومعاناة وامراض .

إن هذه النظرة الاستغلالية قد فتحت الباب على مصراعيه للانتاج الصناعي الهائل الذي أصبح مصدرا للظلم الاجتماعي والاصطهاد الطبقي . لقد نظر غاندي الى الآلة كمجسم بشع للانسان ، ورفض فكرة التصنيع الآلي فهي على حد قوله احدى أدوات القهر الطبقي والتدمير الاساسي ، وقد بالغ غاندي في ذلك كثيرا ، منساقا وراء شفافية احلامه ورؤاه « اني ابكي كلما قرأت تاريخ الهند الاقتصادي ، ويعتصر قلبي ألما كلما فكرت فيه من جديد » لقد كانت الآلة وراء افقار الهند ، ومن الصعب تقدير الاضرار التي سببتها لنا « مانشستر » . لقد كانت مانشستر وراء انقراض الحرف اليدوية الهندية « ومن أجل الخلاص من هذه الشرور الاجتماعية للصناعات لم ينتقد غاندي سلبياتها وعيوبها فقط ، بل رفض الفكرة من اساسها ، ودعا بالمقابل الى تغيير شامل في المعايير الاخلاقية التي بدورها ستغير من مفاهيمنا الاستهلاكية ـ « يجب أن يكون هناك حد لجشع الانسان ونهمه » . ويعتبر غاندي الاستعمار وجها آخر لعملية الانتاج المتصاعد الذي أصبح يبحث عن اسواق جديدة لانتاجه ، والمواد الأولية لزيادة هذا الانتاج ، فليس الاستعمار مجرد حروب من اجل المجد الوطني والمغامرات والتباهي ، فلقد خضعت الأخلاق في العهد الامبريالي الى معايير اقتصادية بحتة . كما أن التصنيع سوف يفسد في النهاية هذا التوازن القائم بين القرية والمدينة ، وسوف يغير من طبيعة العلاقة بينهما . ولن يكون هذا التغيير لصالح القرية طبعا . إن المدينة ستفقد القرية استقلالها وتجردها من قدرتها الانتاجية«ويقول إن نهرو يؤيد فكرة التصنيع ، لأن التأميم سوف يحميها من شرور الرأسمالية ، ولكن هذه المساويء ستبقى صفات لازمة للصناعة ، مهما حاولت الاشتراكية القضاء عليها . ويرفض غاندي مايعرف بالمدنية

الحديثة ، وهو في الحقيقة رفض للمجتمع الرحواري القائم على مبدأ الملكية الفردية ، ومبدأ الطبقة ، وعلى مبادىء وقوانين « ماندفيل » و « سمث » الاقتصادية

أما الرمز الثالث فكان الباندبت نهرو الذي كان أقل تطرفا من « شاندرا » في آرائه التراثية والأصولية كما كان اكثر عمقا ، وبعدا عن روحانيات غاندي ونزعاته العاطفية. لقد كان نهرو أول من ربط بين القضايا السياسية والاقتصادية للمجتمع الهندي فاذا لم تكن الأهداف السياسية واضحة وحاسمة في اذهان الجماهير فأي محاولة اصلاحية لن يكتب لها النجاح ، وسيكون مصيرها الفشل ، ولقد اتسمت اراء نهرو بالنضوج السياسي والاجتماعي

بدعة امبريالية

وفي كتابه « تاريخ الهند » يقول : « ان الهند لم تركع يوما للغزاة الفاتحين عبر تاريخها الطويل بل كانت تقاوم ، تنجح مرة وتفشل أخرى ، وكانت مقاومتها ذات شقين : طرد من تستطيع طردهم واستيعاب من لا تستطيع » كما رفض نهرو فكرة تقسيم العالم الى شرق وغرب واعتبر ذلك بدعة امبريالية صرفة ، فبعض مفكري الغرب ، حتى المحدثين منهم ، مازالوا يبشرون بهذه النظرية المححفة ، معتبرين الفكر اليوناني القديم هو التراث العالمي الوحيد والأصيل للحضارة الغربية ، رافضين ومسفهين كل فكر آسيوي قديم ، رغم أن الحضارة الهيلينية كانت اقرب الى مثيلاتها في الهند والصين من أي بلد أوروبي آخر. فقد كانت لها جميعا نفس الرؤية الوثنية القديمة للامور من حب للطبيعة ومباهج الحياة ، وحب الفن والحكمة. ان الفرق الوحيد بين الشرق والغرب اليوم هو ان الغرب مجتمع صناعي ، والشرق مجتمع متخلف

يقسم نهرو تاريخ الهند الى مرحلتين مهمتين اولها حضارة « وادي اندوس » القديمة التي استمرت حتى القرن الحادي عشر وتميزت بنهضة شاملة في حقول المعرفة كالفلسفة والآداب والفنون والرياضيات ، وكان للهند وقتها علاقات تجارية وثقافية مع معظم بلدان العالم. ثم بدأ الوهن والضعف تدريجيا ، وان كان اثره واضحا في الشمال اكثر من الجنوب ، اما المرحلة الثانية فتبدأ مع الفتح الاسلامي في القرن الحادي عشر ، وبلغت هذه المرحلة ذروتها ابان حكم الامبراطور المغولي « اكبر ». لقد بدأ في الهند في عهده مجتمع جديد قائم على تعدد الثقافات والأجناس من عربية وفارسية وتركية وافغانية ، وشهدت هذه المرحلة ازدهارا عظيما في الهندسة المعمارية والآداب والموسيقا وحتى في العلوم الفلسفية والدينية

وقد تحقق الحلم الهندي القديم بتوحيد البلاد شعبا وحكومة ، ولأول مرة على يد الامبراطور « أكبر » ولكن هذه التعددية الثقافية الجديدة لم تستطع ان تغير الكثير من البنية الاجتماعية الهندية لأن هذا الحماس كان مرتبطا بشخص هذا الامبراطور الديناميكي الذي عادت الهند بعد وفاته الى جمودها وسباتها العميق ، فيما كانت اوروبا تشهد يقظة ثورية وجذرية في مجتمعها خلال هذه الفترة الزمنية نفسها

ان مايلزم الهند هو أن تتفهم روح العصر وتعايشه ـ فعلى الهند أن تتعلم من الحضارة الغربية ، ففيها الكثير ، وعلى الغرب أن يتعلم أيضا دروس الحياة ، فاوروبا ليست كل العالم. لقد كان نهرو كغيره من مفكري الشرق ـ يحلم بهذا التزاوج المثالي بين العلم والاخلاق ، بين الأصالة والتحديث بين الاقتصاد والديمقراطية ، وكان يرى في هذه الايديولوجية العلاج الشافي لكل أمراض الهند من فقر وجهل وطائفية. واذا كانت هذه الأيديولوجية الوطنية قد تحولت فيما بعد الى ايديولوجيات حكومية على يد بعض الطبقات الحاكمة فان مرحلة مابعد الاستعمار سوف تتجاوز حتما هذا النمط من التنظيرات الأيديولوجية ، بحثا عن طريق جديد آخر للحياة □

من المكتبة العربية

الحكايات الشعبية الكويتية

بقلم :
الدكتور عبدالحميد يونس

أتيح لى أن أحضر ندوة خاصة بتجديد التراث القومى ، وأن أشارك مجموعة من المتخصصين فى الفروع المختلفة ، التى تبرز ملامح تراثنا العربى وأدركت مدى الاهتمام بالجانب الشعبى من هذا التراث ، الذى أصبحت له المراكز ، التى تعمل على جمع المواد ، التى حقق بها الشعب العربى ، على اختلاف ربوعه وأوطانه ، ملامح قوميته ، على مدى العصور وهى ملامح لها عراقتها ومسايرتها للتطور ، وتوسعها فى الوطن العربى بأسره

ولقد أفدت من تجربتى فى مواجهة التراث الشعبى ، وأدركت مكانته من ذخيرة الحضارة الانسانية ، بصفة عامة ، والعربية ، بصفة خاصة وكلما واجهت بيئة ، عملت على التقاء الشعوب اتضح لى قوة التشبث بالقومية ، بل وفطنت الى وجود فرص ومناسبات تجعل هذا التراث الشعبى يتمثل الكثير من الزاد الثقافى ، الذى تثمره الأسمار والرحلات وما إليها وهذه « الكويت » تكشف عن وجود المحلية والقومية والعالمية فى تراثها الشعبى

وأصبح المركز الخاص بتراثها الشعبى من أوضح الملامح التى تشخص هذه الظاهرة واهتمامى بكتاب « الحكايات الشعبية الكويتية » لا يعود الى موضوعه فحسب ، وانما يعود الى أن مؤلفه صفوت كمال سار معى على الدرب نفسه ، فقد بدأنا خطواتنا الأولى فى الاهتمام بالتراث الشعبى وكانت دراسته لعلوم الاجتماع والنفس ، والأنثروبولوجيا ، دافعا للتركيز على الأدب الشعبى ، باعتباره وثيقة عريقة وحية فى تأكيد الجانب ، الذى يعنى بالفولكلور وقد أوفدته الدولة الى بولندا للتخصص فى مناهج البحث وعاد ليعمل مشرفا على البحوث الميدانية فى المركز وواصل جهده فى جمع وتسجيل وتصنيف ودراسة الفنون الشعبية ثم أعير الى دولة الكويت عام ١٩٦٦ خبيرا للفنون الشعبية

وقد أصدر عدة دراسات منها « مدخل لدراسة الفولكلور الكويتى » ، وكتاب « الأمثال الكويتية » مع دراسة مقارنة بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ أ- البشر الرومى ، وقد صدر فى أربعة مجلدات وـ

دنه في مصر عام ١٩٨٤ عكف على تأليف كتابه
، لحكايات الشعبية الكويتية » بعد أن عمل على
ع المادة من الرواة وتصنيفها ودراستها بالمنهج
رن

كز لقاء حضاري

ومشاركتي مع صموت كمال حملتي أشفق على
يـاره للحكايات الشعبية الكويتية ، وجميع
حصصين يكادون يجمعون على أن هذا التخصص
قدر من المجازفة ، لأنه يعتمد على المواجهة
قعية من ناحية ، والرواية الشفوية ، من ناحية
ى والكويت دولة عربية لها سيادتها ومكانتها في
لم العربي وموضعها الجغرافي جعلها كغيرها
البيئات التي تجاور شعوبا أخرى تختلف عنها ،
يث بانتمائها الى العروبة ويعترف
ف ، وهو يكشف عن مقومات الحكايات
بية الكويتية بهذه الحقيقة ويقول « فالبيئة
بية جغرافيا وتاريخيا ، كانت ـ ومازالت ـ مركز
حضاري على مر العصور ، منذ أقدم حقب
ان الى الآن ، سواء كان ذلك متمثلا في حضارة
فدين والنيل أو حضارة ديلمون واليمن أو
ارة فينيقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط أو
ـارة جزيرة العرب والحضارة الاسلامية في
رب الكبير فقد ظلت تلك الحضارات في
صل ثقافي حي و تزواج بشري ، بعضها مع
ن ، وبعضها مع غيرها من حضارات الهند
س واليونان ، وما انبثق عن تلك الحضارات من
اعات ثقافية وتتابع حضاري وتواصل ثقافي ،
ت ذاكرة الشعوب تحفظها وتحافظ عليها »
رتتسم الحكايات الشعبية في العالم كله بغلبة الخيال
الواقع ، سواء أكان ذلك في تتبع التاريخ ، أو
ر الطبيعة الجغرافية ، مع تنوع ظواهرها من
ر وسهول وجبال ولعل البحر يعد من أبرز
مات الخيال الشعبي في الكويت ، ذلك لأن حياة

الانسان على سطح البحر ، إنما يكتنفها الغموض
وتصبح مجموعة من العجائب والغرائب وتظل فيها
ملامح أسطورية ، تعيش في ذاكرته ، ويصدرعنها في
تصوراته ، وقد تتشابه في آداب الشعوب ، على
تباعد أوطانها ، وقد تنتقل من مكان الى آخر ،
ويسجل المؤلف أن هذه التصورات لا تعتمد على
تجارب الانسان الواقعية وإنما تعتمد كل الاعتماد على
موروثه الثقافي ، وحسبنا أن نذكر شاهدين ، أولهما
حكاية « البحار الغريق » وهي من أقدم الحكايات
المصرية ، ومدونة على بردية محفوظة الآن بمتحف
لينينجراد وثانيهما حكاية البحار الكويتي ، التي
يذهب الرواة الى أنها حكاية واقعية حدثت بالفعل ،
وكان لأبطالها وجود في الواقع مثل أحداثها ، ومما
يثبت أهمية الدراسة المقارنة ما نجده في آداب
الشعوب من أخيلة ، حجزت لها مكانا بارزا في روائع
الابداع الأدبي في مجال القصص العالمية ، ففي
المأثورات الشعبية موضوعات عديدة عن كائنات
البحر ، سواء كانت من عرائس البحر التي نصفها
من أعلى نصف حسناء ، ونصفها الأسفل سمكة أو
غير ذلك من كائنات خرافية كما تروى حكايات
عن حيات البحر وملكة البحور السبعة ، وعن
عشق البحارة لجنيات البحر ، وعشق جنيات البحر
وملكة البحر للبحارة والصيادين »
ويرى الكاتب الكبير الأستاذ حسين فوزي أن
القصة البحرية هي « حكاية يصور المؤلف حدوثها في
داخل البحر أو فوق سطحه ، أو على سواحله
وجزائره ، يكون البحر حاضرا في ذهن المؤلف
والقارىء وأشخاص القصة كلهم أو بعضهم ،
وللبحر أثر واضح في حوادثها وعلى أشخاصها »

البحث عن طائر مفقود

وليست هذه المجموعة المنوعة والكثيرة من
الحكايات الشعبية الا تركيزا لآفاق بعيدة ارتادها
رحالة مغامرون ، ومن أهم المحاور التي لابد من

اكتشافها ، الاعراب عن الحياة عبر الزمان والمكان ، وهي الأسطورة والرمز والتشبيه ، عندما يواجه المرء العجب والاعجاب في وقت واحد وفي الخيال الشعبي رموز للحيوانات ، التي تصور سلوك كل جنس منها كالسبع والنمر والذئب وكالنسور والعصافير وفي الحكايات الشعبية والكويتية نجد تشخيص عالم الحيوان ، لكي يشارك في أحداث الحكايات ولكي يوجه الانسان التوجيه الأخلاقي المنشود ، ونجد في هذه الحكايات ما يشبه المناظرة ، وما يستهدف الاختبار في حياة الانسان وهذه الظواهر موجودة عند كل الشعوب ، ويكفينا أن نذكر الأسفار الخمسة أو « البانجاتنترا » وكليلة ودمنة

ولقد عرض صفوت كمال لهذه الظاهرة في دراسته المقارنة بين الحكايات الشعبية كما سجلها في الكويت ، وكما وازن بينها وبين ما اشتهر منها في الأدب العربي بخاصة ولم يكتف المؤلف بالمصادر والرواة ، ولكنه أفاد أيضا ممن قصوا في الكويت فترة من الزمن وهو يسجل حكاية رواها له المرحوم الأستاذ زكي طليمات وكانت عن حكاية ديك وانتهى الى أن هذه الحكايات الشعبية لها طابع انساني فان « علاقة الانسان بطائر أو حيوان تدور حولها حكايات كثيرة ، فهروب طائر أو غيابه هو عنصر موجود في أكثر من حكاية لأكثر من مجتمع كما أن « البحث عن طائر مفقود » هو عنصر شائع أيضا في كثير من الحكايات التي تدور أحداثها حول الطيور كما أن الديك يقوم بدور أساسي في حكايات عديدة عالمية سواء في انقاذ أهل الدار بتنبيههم عن قدوم لص أو انقاذ الغنم من ذئب يسعى للهجوم عليها ، أو تنبيه قوم الى قدوم أعداء لهم ، وغير ذلك من عناصر يلعب فيها الديك دور البطولة » ولم يفت مؤلف « الحكايات الشعبية الكويتية » أن يفيد من هذه الأصول الشرقية المتنوعة ، وأن يتعرف على الملامح ، التي تدل على هذه الأصول في التراث القصصي الكويتي.

وأكدت « الحكايات الشعبية الكويتية » أنها مثل مجموعة ألف ليلة وليلة لا تستهدف السمر ، ولا اجتذاب المستمعين لها بالغرابة والخروج على الواقع أو المعقول ، ولكنها تقصد أهدافا يتطلبها المجتمع واستخلص المؤلف من دراسته التحليلية ما يمكن أن يصور « أنماطا من السلوك الاجتماعي للانسان »

كما تقدم تلك الحكايات صوراً متنوعة من أنماط العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة ، سواء كان ذلك فيما ينشأ بين الأم (الحماة) وزوجة ابنها (الكنة) من أشكال الصراع النفسي والاجتماعي ، أو ما ينشأ بين الاخوة وبخاصة أخوات الزوج من الغيرة بينهن وبين زوجة الأخ أو ما يحدث بين الزوج وزوجته من سوء فهم نتيجة مكيدة تدبرها زوجاته الأخريات ، أو ما تزرعه امرأة عجوز في نفس الزوج من سوء ظن وشك بزوجته كما تحمل تلك الحكايات أيضا مضامين اجتماعية ترتبط بأحكام القيم التي تسود أنماط السلوك الاجتماعي والأخلاقي »

وأدبنا المعاصر ينزع الى الحداثة ، وينظر الى تأثير الأدب الغربي في تحقيق هذه الغاية ومن هنا نجد أن الكثيرين من النقاد ، عندما يعرضون لرواية أو قصة أو دراما تستهدف ظواهر أو مشكلات اجتماعية ، يتصورون أن ذلك إنما كان من تأثير الأدب الغربي ، مع أن تراثنا العربي يحفل بكل هذه القضايا . والتفت القليلون الى الأنماط الاجتماعية الشعبية ، فاستلهموها ، وكانوا بذلك يجمعون بين الأصالة ، من ناحية ، وبين الحداثة ، من ناحية أخرى

الشطار

ويقول المؤلف ان هذه الحكايات تعتمد « في وجودها الفني والانساني على فعل الانسان نفسه ، وما يضمره من دوافع خلف هذا الفعل »

وفي الحكايات الشعبية العربية ما يشخص الحيلة

البراعة في تحقيق الهدف ، وعرفت هذه الحكايات أبها بعرض لمن كانوا يعرفون باسم « الشطار » وقد غلب هذا اللقب على كثيرين من الأبطال واشتهر الكثيرون منهم في بغداد والقاهرة ومن النماذج التي تتماثل في حبكتها الفنية مع حكايات الشطار وخدعهم ، كما يقول صفوت كمال ، قصة « حرامي بغداد » و « الحماة والكنة »

ومايزال للحكايات الشعبية هدف ايجابي وهو « العظة » لأنها كانت ، ومازال ، من أهم الأجناس الأدبية في المأثور الشعبي ونجد ذلك واضحا في الحكايات الشعبية الكويتية ، ويفرد لها الاستاذ صفوت كمال صفحات من كتابه ويقرر ان « هذا النمط من القصص الوعظي ، الذي يعطي تصويرا للمقولات الدينية هو من أهم جوانب الحكايات الشعبية ، وكان له قصاصون متخصصون وقام بدور كبير في نشر التعاليم الدينية الاسلامية وقد ارتبط هذا الشكل من القصص أيضا بالوعظ ، فالواعظ هو القاص ، وكان لا يمكن تصور قصصي بغير وعظ ، حتى وان كان الوعظ مجرد تبرير للقاص ، كي يجمع الناس اليه ليقص عليهم »

وهذه الدراسة ، التي سجلت جانبا من التراث الشعبي الكويتي ، عملت على التحليل الفني ، الذي كشف عن جانب مهم من جوانب النفسية الجماعية ولقد عرض لظاهرة لها أهميتها في هذا الجنس الأدبي ، وهي أن معظم الحكايات الشعبية يعتمد على بطل واحد رئيسي ، حوله أو معه أبطال آخرون مساعدون له

كما تتشكل أحداثها أيضا من أفعال هؤلاء الأبطال والابطال المساعدون في الحكايات الشعبية ، كغيرهم في الروائع العالمية المشهورة « قد يكونون من عالم الانسان أو من عالم الجان او عالم الحيوان وقد تتحول عناصر الربط أو الأبطال المساعدون في بعض الحكايات الى عناصر أساسية والى أبطال أساسيين في حكايات جديدة تتداخل فيها عناصر ثانوية من حكاية أخرى »

وهذا الجهد الكبير الذي قام به الاستاذ صفوت كمال في الجمع والتصنيف والدراسة المقارنة ، للحكايات الشعبية الكويتية لا يدل على الهواية والمثابرة وحدهما ، وانما يدل على التخصص الدقيق في مجال « الفولكلور »

وليس يكفي أن نعرض له في مقال واحد ، لأنه يتطلب تأملا ، يستوعب المقومات الثقافية والاجتماعية والفنية ، لهذا الجنس الأدبي الحي المتطور والمشكلة الاساسية التي أشار اليها المؤلف لابد من العناية بها في هذه المرحلة التي تحولت فيها الحياة الانسانية من التطور الى الطفرة وهذه المشكلة هي معاونة الشعب على تنقية تراثه من الشوائب ، ومن التشبث في الفكر بالخرافة وعما يثير السلوك بالانحراف عن مسايرة العصر ان الخروج على المعقول يجب أن يعي لمتلقي الحكاية الشعبية أنه مجرد أسلوب فني يضاف الى هذا كله أن يدرك ما في الحكايات الشعبية من رموز تتجاوز الخيال ومنهج الدارس المتخصص للتراث الشعبي أن ينقب عن التراث وأن يسجله وأن يجمعه ، كما يفعل دارس الآثار ، لاستكمال البنية الثقافية للمجتمع ، وأن يقدمه للنقاد وللمبدعين الذين يتخبون منه ما يستحق الاستلهام □

● كل آمالي معقودة على أن أنسى الناس ، وأن ينساني الناس !

(شارلي شابلن)

مكتبة العربي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مختارات

الكتاب آثار الأندلس
المؤلف طارق خالد الحجي
الناشر دار المنار للنشر ـ الكويت
عدد الصفحات ١٥٨
سنة النشر ١٩٨٥

يضم هذا الكتاب الى جانب مادته الفنية والتاريخية عددا كبيرا من الصور لآثار العرب في أسبانيا

ورغم أن عنوان الكتاب يوحي بالحديث عن الآثار التاريخية الموجودة في منطقة الاندلس ، جنوبي اسبانيا الا أن مادة الكتاب لاتنسى الآثار العربية والاسلامية الأخرى ، سواء في وسط وشمالي أسبانيا أو البرتغال

ويقدم الكاتب عرضا لأهم مراحل التاريخ العربي حتى خروج العرب من الاندلس ، ومعلومات مبسطة عن أهم المعالم الأثرية التي خلفوها

■■

الكتاب . ساطع الحصري رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي
المؤلفة . تاتيانا تيحونوها
الناشر : دار التقدم ـ موسكو
سنة النشر . ١٩٨٧

يتناول هذا الكتاب الصادر في الاتحاد السوفيتي باللغة العربية فكر المفكر القومي العربي الكبير ساطع الحصري وعمله ، وقد قامت الكاتبة بتأليفه ابتداء كأطروحة دكتوراة ، ثم نشرته ككتاب ، والكات تعمل باحثة في معهد الاستشراق بموسكو

وقد قدمت فكر ساطع الحصر (١٨٨٠-١٩٦٨) بمنهجية جديدة من منظور ما ك عليه الفكر الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي بداية هذا القرن ، كما ناقشت في فصول أربعة ح هذا المفكر العربي وأعماله ، ومقومات الأمة ك يراها ، ثم فصل رائع في الوحدة والقومية ـ النظرية والتطبيق ، ثم راوية ساطع الحصري ا سمتها المؤلفة الزاوية الجديدة في المجتمع والثقافة

ولا شك أن هذا الكتاب ـ ان لم يكن عاد فبمنهجه ـ يبحث راوية جديدة غير مطروقة في ف ساطع الحصري وعمله

■■

الكتاب . محمود بيرم التونسي في تونس ـ مد عام لحياته وآثاره
المؤلف حساوي الزارعي
الناشر على نفقة المؤلف (تونس)
عدد الصفحات ١٦٠ صفحة
سنة النشر ١٩٨٦

يبحث هذا الكتاب فترة مهمة من حياة محمود التونسي ، هي فترة اقامته الأولى في تونس من (أغسطس) الى كانون الأول (ديسمبر) ٩١٩ وفترة اقامته الثانية فيها من كانون الثاني (ديسم ١٩٣٢ الى نيسان (ابريل) ١٩٣٧ ، ويبحث الفصل الثالث عناصر « بيوغرافية » في حياة ب

تونس الثلاثينيات ، أما الفصل الرابع الذي يحمل عنوان « الانتاج البيرمي فكرا وفنا » فيقدم حصرا للصحف التي نشر فيها بيرم ، ولآثاره الابداعية ، وتحديدا شاملا للمصادر والمراجع التي تناولت سيرته ، أو جوانب من فنه ، ويحلل المؤلف البيئة الثقافية والسياسية التي عاش فيها بيرم خلال فترتي إقامته ، الأولى والثانية ، أي فترة ما بعد الحرب الأولى ، وفترة الثلاثينيات ، ليستخلص أن بيرم التونسي هو فنان ملتزم بقضايا واقعه الاجتماعي والسياسي التزاما لا حد له ، ولأنه كذلك فإن الانطباع الذي يظل دائما عالقا بأذهاننا هو أن آثار هذا الفنان تكاد تكون مرآة صافية الصورة لعصره بكل أضوائه وظلاله ، ولشخصيته بكل تجلياتها وخفاياها »

■■

الكتاب نحو توازن بين السياحة والبيئة
تأليف أرتور هولو
ترجمة عصام عسيران
الناشر ادارة السياحة في وزارة الاعلام / الكويت
سنة النشر ١٩٨٦
عدد الصفحات ١٧١ من القطع الكبير

أصل هذا الكتاب رسالة جامعية حصل بها المؤلف على شهادة الدكتوراة ، بعد خبرة طويلة حصلها خلال سنوات عمله الطويل في مجال السياحة في بلده بلجيكا

وخلال بحثه عن توازن بين السياحة والبيئة يدخل المؤلف في نقاشات وسجالات مع السياحة لمفهومها التقليدي ، ويحاول أن يرسي « علما » ، أو على الأقل منهجيا بعناصر السياحة ، لتخليصها من المفهوم التجاري النفعي الذي التصق بها ، ويستحضر كذلك عددا من الأمثلة التي لبعضها صلة بوطننا العربي ، مما يجعل نقله الى العربية اضافة مهمة الى أدبيات السياحة التي تشكو من نقص في لغتنا العربية

■■

الكتاب لقاح
المؤلف رشيد بوجدرة
الناشر مجلة آمال الجزائرية ـ الجزائر
سنة النشر ١٩٨٦

رشيد بوجدرة روائي جزائري كبير معروف ، كتب رواياته باللغة الفرنسية ، ثم ترجمت الى اللغة العربية وفي هذه المجموعة الشعرية التي تحمل عنوان « لقاح » ، والتي تضم ٤٧ قصيدة ينتقل بوجدرة من كتابة الرواية الى الشعر ، مؤكدا بذلك تمرسه بأساليب الكتابة ، وحذقه بأكثر من لون أدبي

تحمل قصائد « لقاح » قيمة ابداعية متميزة ، فهي تنسجم مع الخط الواقعي النقدي الذي سار عليه في رواياته الناجحة ، لكنها تنفرد بأسلوبها الشاعري الصافي الذي يكشف عن شاعر كبير في ثوب ذلك الروائي الذي نعرفه

■■

الكتاب خطوات في التيه ـ مجموعة قصصية
المؤلف محمد زنيبر
الناشر دار النشر المغربية ـ الرباط
عدد الصفحات ١٣٢ صفحة
سنة النشر ١٩٨٦

مؤلف هذا الكتاب روائي ، وقاص مغربي معروف ، صدرت له عدة أعمال ، أهمها مجموعته « الهواء الجديد » ، وهو أيضا مؤرخ ، كتب عدة أبحاث ودراسات تاريخية يؤكد محمد زنيبر في هذه المجموعة التي تضم سبع قصص قصيرة انتماءه الى المدرسة الواقعية في الكتابة القصصية ، وهو يلتصق بالبيئة الشعبية وبالنماذج البشرية الفقيرة المثقلة بالقلق والأسئلة حول واقعها اليومي ومصيرها . □

العربي - العدد ٣٤٢ - مايو ١٩٨٧

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٤٢
مايو ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 - الكويت . « مسابقة العربي العدد ٣٤٢ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يونيو ١٩٨٧ .

ارفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٤٢

(الصحة والغذاء)

١ - يتردد ذكر الثريد في كتب الأدب العربي ، القديمة منها خاصة ، ترى ماالمقصود بالثريد على وجه الدقة

* الحساء أو الشوربة
* فتة الخبز بالمرق
* فتة الخبز بالمرق - مع الارز

٢ - من المعروف أن تدخين السجاير قد يؤدي الى الاصابة باحدى مجموعتين من الامراض أو بكلتيهما مجموعة أمراض القلب ومجموعة أمراض السرطان ومن المعروف أيضا أن السجاير تحتوي على النيكوتين والقطران ترى أي هاتين المادتين هي المسؤولة عن الاصابة بامراض القلب ، وأيهما المسؤولة عن الاصابة بامراض السرطان ؟

٣ - الليمون والجزر والبقدونس اي هذه الخضراوات هي الاغنى بالفيتامين أ وأيها الاغنى بفيتامين ج ، وأيها الاغنى بالحديد ؟

٤ - لم ينصح الاطباء بأكل الجزر ؟

* لانه يشفي من آفة بعد النظر
* لانه يشفي من افة قرب النظر
* لانه يحسن القدرة على الرؤية في الظلام ، وقد يشفي مما يعرف بآفة عمى الليل

٥ - الخبز الأبيض والخبز الأسمر أيهما يفوق الاخر من حيث فوائده الغذائية ؟

* لا فرق بين الاثنين
* الخبز الابيض فهو خال من الشوائب

وشحومها ودهونها ولكنهم أقل الشعوب تعرضا للاصابة بأمراض القلب حسبما اثبتت البحوث العلمية الحديثة ترى ما السبب في ذلك ؟

* البرد القارس هو الذي يقيهم شر اللحوم والشحوم التي يأكلون
* الحركة فهم في حركة دائمة يبحثون عن الاسماك وحيوانات البحر
* شحوم الاسماك لا تضر كشحوم الماشية وحيوانات البر

١٠ ـ دلت الاحصائيات على أن سكان ولاية يوتا في الولايات المتحدة الامريكية اقل عرضة للاصابة بالسرطان من سكان سائر الولايات لماذا ؟

* لانهم دوو بني صحمة وقوية ويتمتعون بمناعة فائقة
* لانهم يسكنون مناطق جبلية ذات جو لطيف وبعيد عن التلوث
* لانهم يمتنعون عن التدخين والكحول

١١ ـ ماالفائدة التي يجنيها الجسم من الفيتامينات ؟

* تسهم في بناء الانسجة
* تمد الجسم بالطاقة التي يحتاجها
* تساعد الجسم على اداء وظائفه بصورة فعالة

١٢ ـ كان الفالودج من الوان الطعام المحببة الى الكثير من السلف الصالح ترى هل كان من الحلويات ام من الوان الطعام الدسمة ؟

* الخبز الاسمر فهو يحتوي على مزيد من الفيتامينات والحديد والالياف الهاضمة

٦ ـ الحليب والجبن (الهولندي) أيهما يحتوى على نحو خمسة اضعاف ما يحتويه الاخر من السعرات الحرارية ؟

٧ ـ بيض الدجاج والكستناء أيهما يحتوي على نحو خمسة أضعاف ما يحتويه الآخر من السعرات الحرارية ؟

٨ الشاي والقهوة ايهما أكثر تنبيها ويحتوي على المزيد من المادة المنبهة (الكافيين) ؟

٩ من المعروف أن الاسكيمو سكان اصقاع الشمال يكثرون من أكل لحوم الأسماك

حل مسابقة العدد ٣٣٩

١ - القارات ليست ثابتة بل إنها تتحرك ولو ببطء إذ لاتزيد سرعتها على سنتمترين في السنة كلها ، ومع ذلك فقد ترتب على تلك الحركة البطيئة أن انفصلت القارات الخمس بعضها عن بعض ، حتى أصبحت في الأماكن التي هي فيها حاليا وذلك في غضون ٢٠٠ مليون سنة حين كانت كتلة واحدة

٢ - الزفت مادة سوداء صلبة تسيلها السخونة ، تتخلف من تقطير المواد القطرانية
القطران عصارة شجر الارز والاثل تطبخ ثم تطلى بها الابل شديدة الاشتعال
مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما بالتقطير الجاف ، وتستعمل لحفظ الخشب من التسوس ، والحديد من الصدأ
القار الزفت

٣ - كوكب الزهرة هو الأشد حرارة فغلافه الجوي يضاعف حرارته على نحو ما تفعل البيوت الزجاجية او البلاستيكية التي يستعملها المزارعون على سطح الارض وتبلغ درجة الحرارة على كوكب الزهرة حوالي ٤٧٥ درجة مئوية وهي كافية لاذابة بعض المعادن كالرصاص والقصدير والزنك

٤ - لها يلهو لهوا ولهوا لها به : أولع
لهي يلهى لها لهى عنه : سلا عنه وغفل وأعرض

٥ - الناشر هو برج بيزا المائل . لأنه ليس من الصروح القديمة ولا من عجائب الدنيا السبع

٦ - لا تستطيع أن ترى السماء بالعين المجردة أكثر من ٤٠٠٠ نجم ، ولو كانت الارض مبسطة لا كروية لتضاعف العدد ليصبح ٨٠٠٠ نجم ، أما بواسطة التلسكوب ، تلسكوب مرصد بالومار في كاليفورنيا مثلا ، ففي استطاعة العلماء ان يروا ويصوروا أكثر من ألف مليون نجم

٧ - جبل أوليمبوس هو أعلى جبل عرفه الانسان يقع على سطح كوكب المريخ لا الكرة الارضية ولا كوكب الزهرة ، ويبلغ ارتفاع جبل أوليمبوس هذا ٢٩٠٠٠ متر او مايعادل ٩٥٠٠٠ قدم اي أنه يبلغ أضعاف جبل افرست ارتفاعا

٨ - أسم أرض النار أطلقه على الجزر التي تقع في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية المكتشف فرديناند ماجلان عام ١٥٢٠ ، فقد اتفق ان كانت النيران مشتعلة هناك فظنها ماجلان نارا طبيعية او بركانية ، ولم يخطر بباله أن أهالي تلك البلد هم الذين أشعلوها لذلك سماها أرض النار . هذا الاسم المضلل الذي لا يتفق وبرودة المنطقة الشديدة

٩ - ٣٠,٠٠٠ قدم أو بالضبط ٢٦,٩٠٠ قدم في بارنا

فبراير ١٩٨٧

..رست تقريبا حيث شاهد المتسلقون الطيور كذلك شاهد الطيارون الطيور على ارتفاع ٣٠.. قدم

..ن قصيدة للسموأل في الفخر

..ثمر الحر

١٢ ـ الزهرة (وأوراقها الخضراء بالذات) هي أغنى المواد المذكورة بالحديد فهي تحتوي على ٤٠ ملغراما منه ، بينما لايزيد مقدار الحديد الذي يحتويه الكبد على ١٠,٣ ملغرامات اما السبانخ فمقدار الحديد فيه اقل من ذلك باستثناء السبانخ الصيني الذي يحتوي على ٢٥,٥ ملغم حديد

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٩ فبراير ١٩٨٧

الجائزة الاولى السيد / سامي بن صالح / صفاقس / الجمهورية التونسية

الجائزة الثانية يوسف محمد عبد الله العامر / الرياض / المملكة العربية السعودية

الجائزة الثالثة محمد مصطفى السمري / الابراهيمية / الاسكندرية / جمهورية مصر العربية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد ادريس السندي / الجامعة الاسلامية ارشاد العلوم / سند / باكستان

٢ ـ ليلى اومولبد / الحي المحمدي / مراكش / المملكة المغربية

٣ ـ محمد علي ابراهيم / الخرطوم / ادارة المحاكم المدنية / السودان

٤ ـ سيل تللو / دمشق / الجمهورية العربية السورية

٥ ـ عبد السلام علي صالح / محافظة الانبار / الجمهورية العراقية

٦ ـ جميلة احمد السيلاوي / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية

٧ ـ ..حاة بدر محمد البيلي / الرميثية / دولة الكويت

٨ ـ ..ريم محمد آل بن علي / الحد / دولة البحرين
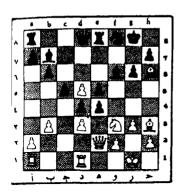
بلغ عدد الدول العربية المشاركة في أولمبياد الشطرنج السابع والعشرين المقام في دبي ست عشرة دولة ، وقد أثبتت الدول العربية وجودها بجدارة في هذا المهرجان الدولي الهام .

وقد احتلت العراق المركز الأول بين الدول العربية برصيد ٣٠ نقطة ، وكان ترتيبها الحادية والثلاثين بين دول العالم البالغة ١٠٧ دول ، وفي المرتبة الخامسة بين الدول العربية .

واحتلت مصر المركز الثاني بين الدول العربية برصيد (٢٩,٥ نقطة) وقد كانت تحتل المرتبة الثالثة بين الدول العربية في الاولمبياد السابق ، وجاءت لبنان وتونس في المرتبة الثالثة (٢٩ نقطة) ، وسوريا والمغرب واليمن الجنوبي وفلسطين في المرتبة الخامسة (٢٧,٥ نقطة) ، والأردن في المرتبة التاسعة (٢٧ نقطة) ، وتليها الإمارات العربية المتحدة (٢٦,٥ نقطة) ثم الجزائر وليبيا والبحرين (٢٦ نقطة) ، فاليمن الشمالي فالسودان ، وجاءت قطر في المرتبة الأخيرة بين الدول العربية (٢٣ نقطة) واحتلت المرتبة ٩٩ بين دول العالم

أما ترتيب الفرق العربية للسيدات بين الفرق التسع والأربعين المشاركة في المهرجان فقد جاءت الإمارات العربية في المرتبة الأولى بين الدول العر (٢٠,٥) نقطة،وفي المرتبة التاسعة والعشرين دول العالم ، وفي المرتبة الثانية العراق (٢٠ نقد وفي المرتبة الثالثة سوريا (١٩,٥ نقطة)

ومن الأبطال العرب الذين حققوا انتصار مشرّفة على أبطال دوليين يفوقونهم في المر والتصنيف الدوليين الاستاذ الدولي التونسي ـ أبو عريز (٢٣٨٠ نقطة) الذي تغلّب على الا البرازيلي الكبير حايميه سونييه (٢٥١٥ نقطة والاستاذ الاتحادي السوري عزت قصبة (٨٥ نقطة) الذي هزم الاستاذ الدولي الصيني حي لي (٢٤٢٥ نقطة) كما سنرى في الدور التالي

□ عزت قصبة	■ حي ليانغ
٢٢ ـ د × هـ ٤	ف ـ ز ٧
٢٣ ـ ف ـ ز ٥	ف ـ و ٦
٢٤ ـ ف ـ حـ ٦	ف ـ ز ٧
٢٥ ـ ف ـ ز ٥	و ـ حـ ٧
٢٦ ـ ر (أ) ـ جـ ١	ف ـ جـ ٨
٢٧ ـ ف × حـ ٨	ر (أ) × حـ ٨
٢٨ ـ ح ـ هـ ١	و ـ ب ٧
٢٩ ـ ح ـ د ٣	ح ـ د ٧

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٣٩ فبراير ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ محمد فكري ـ ج م ع
٢ ـ حسن محمد عمر ـ ليبيا
٣ ـ بلال أبوخضير ـ الامارات
٤ ـ فوزية العمران ـ السعودية
٥ ـ سليم عمر الرقم ـ القيطرة / المغرب

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ محمد إمام ـ الصفاة / الكويت
٢ ـ عمر البارودي ـ مكيبو / الدنمرك
٣ ـ فراس فياض ـ معان / الاردن
٤ ـ محمد أيمن نصري ـ دمشق / سوريا
٥ ـ حسن ابراهيم محمد ـ الخيره / ج م ع

---

٣٠ ـ ر ـ حـ ٢	ب ٥
٣١ ـ ر (د) ـ جـ ١	ف ـ و ٨
٣٢ ـ ح ـ ب ٢	أ ٦
٣٣ ـ ف ـ د ٢	ف ـ د ٦
٣٤ ـ حـ ٤	ح ـ ب ٦
٣٥ ـ أ ٤	ح ـ د ٧
٣٦ ـ أ × ب ٥	أ × ب ٥
٣٧ ـ حـ ٥	ر ـ أ ٨
٣٨ ـ حـ × ز ٦	حـ × ز ٦
٣٩ ـ و ـ ر ٤	م ـ ز ٧
٤٠ ـ ف ـ ز ٥	ر ـ أ ٣
٤١ ـ و ـ حـ ٣	ح ـ و ٨
٤٢ ـ ح ـ د ٣	جـ ٤
٤٣ ـ ب × حـ ٤	ر × د ٣
٤٤ ـ حـ ٥	ف ـ ب ٨
٤٥ ـ حـ ٦	و ـ حـ ٨
٤٦ ـ و ـ حـ ٦+	م ـ و ٧
٤٧ ـ حـ ٧	ف ـ أ ٧
٤٨ ـ ر ـ جـ ٦	ر ـ و ٣
٤٩ ـ ر × ز ٧	يستسلم

لو أخذ بالحصان لمات في نقلتين

مسألة العدد
مات ٢

مهداة عزام درويش (سوريا)

حل مسألة عدد مارس ٨٧
(العدد ٣٤٠)

١ ـ ر × أ ٧ +	ف × أ ٧
٢ ـ ر × أ ٧ +	ح × أ ٧
٣ ـ و ـ ب ٨ +	ر × ب ٨
٤ ـ ح ـ حـ ٧ مات	

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

صفحات جديدة لحوار القراء

عزيزي القارىء

لعلك لاحظت منذ بداية العام الجديد (١٩٨٧) أن باب « حوار القراء » قد أصبح أربع صفحات بشكل دائم ، بعد أن كان يتراوح بين ثلاث وأربع صفحات في حركة مد وجزر مع صفحات الاعلانات

وسوف تلاحظ ابتداء من هذا العدد (مايو سنة ١٩٨٧) زيادة جديدة في صفحات هذا الباب ، لانريد أن نحددها سلفا بشكل نهائي ، حتى يبقى الباب مفتوحا ، لك ولنا ، مرتبطا بجهدك وجهدنا

إن الفضل في هذه الزيادة يرجع إليك أنت إذ ليس من الممكن أمام تطور إسهامك في الحوار الجاد مع مجلتك أن يبقى الباب محدود الصفحات ، وأن تطول المسافة الزمنية أكثر بين المادة المنشورة والحوار الذي يدور حولها

كان لابد أن نلتقي معك في منتصف الطريق ، وأن نستجيب ـ في الوقت ذاته ـ لايقاع العصر الذي نعيش فيه ، فنحن نعيش في عصر ثورة المعلومات ، ونتطلع إلى آفاق جديدة لمفهوم الديمقراطية ، فلم يعد الكاتب إنسانا من نوع خاص ، يجلس في برج عاجي ، ويرسل بفيض إلهامه إلى القراء ، حيث لايملكون سوى دور المتلقي أو المتقبل

إن الكاتب ـ كما قال (سارتر) في منتصف هذا القرن ـ هو صورة قارئه ، ولا نبالغ إذا عممنا هذا القول على السياسي ، والمفكر ، ورجل الدولة ، والفنان

فلم يعد دور المجلة الثقافية مقصوراً على تقريب المسافة بين الكاتب والقارىء العادي فحسب ، بل تقريبها كذلك بين ذوي التخصصات المختلفة من المثقفين ، بين الطبيب والمعلم والمهندس والزراعي والتقني ، فمن ضمن معاني الثقافة تنمية القدر المشترك بين كل هؤلاء

والمتابع لما ينشر في حوار القراء يمكن أن يلاحظ إلى أي مدى يجري تفاعل إيجابي بين كل هذه العناصر وبينهم ، وبين كتاب المجلة ومحرريها

وحين يكتب الكاتب وهو يعيش عمق هذا التفاعل فإن النتيجة الحتمية هي ارتقاء الكاتب والقارىء والمجلة جميعا

رسالة من الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

● الأخ الفاضل / الدكتور محمد الرميحي المحترم

تحية أخوية

أهدي لك أحر التحيات

وصلني العدد الأخير من مجلة العربي (فبراير ١٩٨٧) ، وعكفت على قراءته ، فوجدته حافلا بالبحوث والمعلومات والأخبار ، وقد شدني هذا العدد ، وشعرت بزهو عظيم وأنا أقلب صفحاته ، فلقد احتل مستوى رفيعا في عالم المجلات ، واستطعت أيها الأخ العزيز أن تنقل العربي إلى صحوة نوعية ، ستبقى محل اعتزاز القارىء العربي بك أولا ، ومن يعاونك في إخراجها بهذه الحالة المتقدمة ، فبوركت جهودك وثق أنني فخور بك ، وأقسم لك أنك أرجعت للعربي مكانتها ، بل وزدت عليها ، فلا يخسر قارئها وقتا يعطيه لها ، بل يخرج وهو جذل مما قرأ ، ماذا أقول لك أيها الأخ الكريم وأنت تنهض بهذه المجلة ، بهذه الطريقة ، في هذا الزمن الصعب الذي تردت فيه الثقافات ، وتدهورت منه الدوريات ، ورخصت فيه قضايا الأمة ، إني أهنئك من كل قلبي ، وباسم المؤرخين أشد على يدك داعيا من الله أن يحفظك ذخرا للكويت والعروبة والاسلام ، فلقد أثبتت الأيام أنك مخلص في سبيل حياك الله وحفظك ورعاك ودمت ذخرا للمثقفين .

الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب ـ بغداد

العربي

ـ لا نملك حيال هذه المشاعر الطيبة ، والسند المعنوي الكبير الذي يقدمه الأخ الكريم الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب لمجلة « العربي » وللعاملين فيها إلا أن نشعر بعمق المسئولية التي تضعها على عواتقنا مثل هذه المشاعر الكريمة ، مواصل الطريق آملين أن نكون دائما عند هذه الثقة العالية التي ستبقى من أجمل وأنبل دوافعنا للاستمرار والعمل

قضية التعريب : الوجه الآخر

● وصلتنا رسالتان ، الأولى من السيد محمد بشار حاج قدور ، بكلية الطب البشري بجامعة حلب والثانية من السيد خليل بحري ، مدرس بتزنيت ، في المغرب ، ومما جاء في الرسالة الأولى « لندع العواطف جانبا ، ونفكر بواقعية ، فالتعريب في ضوء ظروفنا الراهنة سوف يؤثر سلبا على مستوى العلم في بلادنا ، ولسنا من الذين يتهمون اللغة العربية بالقصور والعجز ، بل بالعكس فإننا نثق في قدرة اللغة العربية على استيعاب التقنية الحديثة ، لكن المشكلة في ضوء الواقع الراهن تكمن في فقر مكتبتنا العربية في المراجع العلمية المترجمة ، فمدرس المادة في الكلية يقوم بترجمة حرفية لأحد المصادر الأجنبية في مادته ، أو يلجأ لتأليف كتاب معتمدا على خبرته واطلاعه وأحيانا تأتي تلك الكتب ناقصة ، أو تختلف ترجمة المصطلحات بينها ، مما يؤدي إلى بلبلة لدى الطلاب ، فتظهر ضرورة الاستعانة ببعض المراجع الأجنبية .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

ومما جاء في الرسالة الثانية

« أين الطريق لطالب درس العلوم أو الطب باللغة العربية إذا ما أراد إكمال تخصصه ؟

صحيح أن هناك جامعات بها فروع عربية في إطار الدراسات العليا ، لكن هناك جامعات أخرى لا تضم مثل هذه التخصصات في أقسام الدراسات العليا ، ويطرح بعضهم الترجمة كحل ، لكن المتابع للكتب العلمية يدرك القصور الواضح في ترجمة كثير من الكتب الهامة الحديثة التي صدرت في مختلف المجالات العلمية ، وبخاصة الطبية منها وهناك صعوبات حقيقية في ترجمة الكتب العلمية ، من أهمها عدم وضع المصطلحات العلمية المناسبة وعدم توافرها ، وعدم وجود تنسيق بين جهود المجامع العلمية العربية في وضع مثل هذه المصطلحات ، وعدم تشجيع الحكومات العربية لمثل هذا النوع من الترجمة ، إذن ليس عيبا أن ندرس العلوم بلغات أجنبية ، وبخاصة أننا نعرف أن الدول التي نقرأ هذه العلوم بلغاتها ترصد ملايين الدولارات لتطوير البحوث العلمية ـ الأمر الذي لانقدر على مثله في بلادنا ـ وبذلك يتاح لنا أن نتابع التطور العلمي في الخارج بدلا من أن نبقى بعيدين عنه ونبقى في الوقت ذاته عاجزين عن تحقيق مثله في بلادنا

العربي

ـ لشعورنا بأهمية هذه القضية وخطورتها فقد أجرت « العربي » مناقشة جديدة حول هذه التساؤلات المطروحة في رسالتي القارئين العزيزين ، وغيرهما ، مع عدد من الاساتذة في جامعة دمشق ، وهي الجامعة التي تتبنى بقوة قضية التعريب ، وسينشر إن شاء الله هذا الحوار في عدد قادم من مجلة « العربي » ، ونرجو أن يجد القراء في نتائجه مايؤدي إلى الاقتراب رؤية واضحة وموضوعية لهذه القضية ، فالعلو معظم أقطار العالم تدرس باللغة القومية السائد هذا القطر أو ذاك ، وعلينا أن نعمل لحل الصعوبات لا أن نتخذ منها مبررات للاستمرار و الطريق الطبيعي

أفران الغاز حقيقة أم أسطورة ؟

● في العدد ٣٣٩ من مجلة « العربي » الصاد فبراير ١٩٨٧ لفت نظري مقال بعنوان « هل أ الغاز النازية حقيقة مرعبة أم أكذوبة صهيونية » في منتدى « العربي » بقلم منذر الأسعد ، و بدأت في قراءته شعرت أنه سبق لي أن طالعت هذا الموضوع ، وللتأكد من صحة هذا الث سارعت بالبحث في مكتبتي ، فعثرت في العد من مجلة « الدوحة » الصادر في اكتوبر ١٩٨١ في « قضية الشهر » وتحت عنوان « رئيس المحاكما هزت فرنسا » بقلم عبود عطية وعناوين جانبية « « عالم فرنسي يكشف أكاذيب الصهيونيـ « وغرف الغاز أكذوبة تاريخية لا أساس ا الصحة »

وحين بدأت أعيد قراءة الموضوع لاحظت كبيرا في المحتوى ، بل حتى في بعض المفردات . هناك اختلافا في ترتيب المعلومات ، وطـ معالجتها ، كما أن مانشرته « الدوحة » كـا شمولا ، فالمقال عبارة عن رسالة من بـار ومتابعة حقيقية لمحاكمة البروفيسور الـ « روبير فوريسون » ، وتطور القضية عبر الـ العالمية

إنه ـ دو لي أن كاتب المقال في مجلة « العربي » قد اطلع على ماصدر في مجلة « الدوحة » ، أو بعض ما كتب في الصحافة اللبنانية سنة ١٩٨١ ، ولا أدري لماذا انتظر مرور أكثر من خمس سنوات على تلك القضية ليتحدث عنها ، إن إعادة طرح الموضوع أمر مهم جدا ، وبخاصة أنه قد شمله تقييم إعلامي عربي لم يجد الصدى المناسب في الوطن العربي ، وقد كان الأجدر بالسيد مندر الأسعد أن يشير إلى المصادر التي اعتمدها ، ويضيف ما يمكن أن يكون قد ظهر بعد ذلك من معلومات جديدة عقب الضجة التي أثارتها محاكمة (فوريسون) سنة ١٩٨١

مصطفى بن علي العريبي

صفاقس ـ تونس

العربي

ـ بالرجوع إلى مجلة « الدوحة » تبين لنا أن ما أشار إليه القارىء الكريم من وجود تشابه كبير بين الموضوعين صحيح في جملته مع وجود اختلاف واضح في طريقة التناول ، وبعض التفاصيل ، على أنه من المحتمل أن يكون الاستاذ مندر الأسعد قد اعتمد على كل المصادر التي استند إليها الاستاذ عبود عطية أو على بعضها وتبقى ملاحظة القارىء الهامة التي معادها أنه كان من المفيد أن يضيف السيد مندر الأسعد ما يمكن أن يكون قد وجد بعد هذه القضية المثيرة من معلومات قد تكاثرت بعد مرور حوالي خمس سنوات على هذه المحاكمة

حول الصحراء المغربية

خطأ غير مقصود

● رسائل عديدة وصلتنا من إخوة أعزاء في المملكة المغربية الشقيقة ، تعلق كلها على ماورد في خريطة العالم الاسلامي ـ وهي هدية العدد الممتاز ٣٣٨ يناير سنة ١٩٨٧ ـ لورود اسم « الصحراء المغربية » ضمن أقطار إفريقية ذات سيادة ، ونختار من بين هذه الرسائل رسالة السيد المحترم عبدالله الحريزي المدير العام للشركة الشريفية للتوزيع والصحف بالدار البيضاء بالمملكة المغربية ، لأنها ـ فضلا عن إشارتها إلى ما ورد في الخريطة ـ أشارت أيضا إلى ما ورد في العدد ٣٣٧ (في الصفحة ١٨١ في السؤال ١١ في المسابقة الثقافية) من تسمية الصحراء المغربية ـ وهي من أقاليم المغرب ـ باسم الصحراء الاسبانية

ونود أن نوضح بعض الملابسات التي شابت ورود هذه التسمية بهذه الصورة ، ليس في مجال التبرير ، بل في مجال الاعتذار عن خطأ غير مقصود ، نأسف له ، وحتى تفهم الأمور في حجمها الطبيعي .

فبالنسبة لما ورد في الخريطة نود أن نشير إلى أن الخريطة لم تذكر البلدان أو المناطق التي يعيش فيها المسلمون باعتبارها دولا ذات سيادة ، بل بوصفها أقاليم ووحدات « ديموغرافية » ، لمعرفة أعداد المسلمين فيها ، بدليل أننا ذكرنا ضمن تلك المناطق « الضفة الغربية » «وغزة»، وهي مناطق محتلة كما هو معروف

وبالنسبة لماورد في المسابقة ، فقد جاء في إطار الاشارة إلى مشروع شهدته الصحراء المغربية في مطلع السبعينيات ، حينما كانت هذه الصحراء تحت نير الاستعمار الاسباني ، أي قبل المسيرة المباركة ، هكذا كان اجتهاد المحرر ، وهو اجتهاد قد يخطيء وقد يصيب .

وكما أسلفنا فنحن لانقدم تبريرا ، لكننا نأمل أن يجد القراء العاتبون في هذا التوضيح ما يدل على حسن النية ، فالعربي التي من أعز أهدافها خدمة مشروع الوحدة العربية المأمولة لايمكن أن تقصد إلى شيء يكون ضداً للوحدة الوطنية أو للقومية ، وإذا كان ثمة خطأ فهو خطأ من يجتهد فيدرك التوفيق أو يجانبه ، والكمال لله وحده ونحن شاكرون لكل من كتب حول هذا الموضوع متابعته الكريمة .

حوار القراء..

جهود في تعريب الطب

● نشرتم في باب « حوار القراء » حديثا عن تعريب الطب ، وبدايته ، وأود أن ألفت النظر إلى أنني أول من قام بتعريب الطب ، وذلك على النحو التالي

« قمت بتعريب كتاب « التشريح العملي كننجهام » بأجزائه الثلاثة ، وهو كتاب عالمي ، يدرس بالسنتين الأولى والثانية بكليات الطب ، وقد ظهر الجزء الأول منه عام ١٩٦١ ، والجزء الثاني عام ١٩٦٢ ، والجزء الثالث عام ١٩٦٥ ، وهو بالألوان الطبيعية وقد قامت بنشره مكتبة النهضة المصرية ، وقمت بعمل « قاموس خليفة الطبي » (انجليزي - عربي) ، وقد صدر عام ١٩٧٧ عن الهيئة العامة للكتاب ، ويحتوي على جميع المصطلحات الطبية العالمية باللغة العربية ، وهو بذلك يسبق أي إعداد آخر لتلك المصطلحات الطبية ، وقمت كذلك بعمل « قاموس خليفة التشريحي » وقد صدر أيضا عن الهيئة العامة للكتاب (انجليزي - عربي) ، ويحتوي على جميع المصطلحات التشريحية لجسم الانسان كله باللغة العربية

وقد كرمتني الدولة لهذه الجهود التي وضعت أول أساس لدراسة الطب باللغة العربية ، فمنحتني وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، في يوم الطبيب عام ١٩٨١ ، ويتبين من هذا أن تعريب الطب قد بدأ منذ أكثر من عشرين عاما في مصر ، وأني أول من سبق إلى تعريب الطب ، ومراجعه العالمية ، ولعل هناك كثيرين لايعلمون بذلك ، ولهذا فإني أضع الحقيقة أمامكم ، ليأخذ كل ذي حق حقه ، مع التحية

د حسين خليفة / جراح
مصر الحديدة - القاهرة

العربي

- ننشر هذه الرسالة لأنها تشير إلى جهود قام بها عالم فاضل وجراح ، في ميدان تعريب الطب ، أما مسألة أسبقية جهوده في هذا الميدان فهو يقدم فيها وجهة نظره ، وهذا حقه ، وإن كنا نعلم أن لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، ولغيره من المجامع في الأقطار العربية جهودا سابقة بوضع بدايات لمعاجم متخصصة في مختلف العلوم ، وخصوصا في الطب ، ومايزال العمل في هذه المعاجم قائما ، يلاحق التطور ، ورغم كانت هذه المعاجم لاتنتشر بالشكل المطلوب على كل حال تبقى مسألة الأسبقية مطروحة ، وقد يملك غيره من وسائل القطع في هذه المسألة مالانملكه أثناء كتابة هذه السطور

دول الكومنولث

● اسمحوا لي أن أسألكم عن منظمة الكومنولث ، ماهي ؟ وما الدول التي تنخرط فيها ؟ وماذا يربط بين هذه الدول ؟ إلخ

هاني صيرفي
سوريا - حلب

العربي

- دول الكومنولث هي مجموعة دول تدخل مع بريطانيا في نوع من العلاقة القائمة على درجة من التنسيق بين هذه الدول وبين بريطانيا ، وخصوصا في السياسة الخارجية ، ومن هذه الدول المملكة المتحدة ، وكندا واستراليا ، ونيوزيلنده ، واتحاد جنوب افريقية ، والهند ، وباكستان ، وسيلان ، واتحاد روديسيا ونيسالاند الفيدرالي .

والعلاقة بين هذه الدول لاتنفي أن كل واحدة ... تحكم نفسها حكما ذاتيا تاما أو جزئيا

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

مايو ١٩٨٧ م

الفكر التربوي العربي الحديث

تأليف: د. سعيد إسماعيل علي

الكتاب ١١٣

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

بنك الكويت الوطني
بنك تعرفه وتثق به منذ عام ١٩٥٢

العدد ٣٤٣ السنة الثلاثون يونيو ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 343 June 1987 P.O.Box : 784
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات: ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة:

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٣٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

علاج قصر النظر ص٤٠

طابور الجياع يتقدم ص٥١

عبقري العمارة الاسبانية ص٨٨

■ حديث الشهر :

عشرون عاما على الهزيمة - د . محمد الرميحي ٨

■ ابن خلدون مفكراً اقتصاديا - د . ابراهيم عويس ١٨

■ هل أدب العبث عبث ؟ فتحي رضوان ٢٣

■ بين الحب والحرية . (قصيدة) - فاروق شوشة ٢٨

■ هذا الثالوث الماسي الذي انكسر ! - د . شاكر مصطفى ٣٠

■ في جميع الخالدين - عبد الرزاق البصير ٣٦

■ علاج قصر النظر بالعمليات الجراحية - د . سعيد السماعيجي ٤٠

■ للمناقشة : التشدد يحسنه كل أحد - فهمي هويدي ٤٦

■ طابور الجياع يتقدم ! - فوزي عبد القادر الفيشاوي ٥١

■ الخوف (قصة) - محمد عبد الملك . . ٥٦

■ رؤية فنية لما بعد الموت - أبو المعاطي أبو النجا ٦٢

■ انطونيو غاودي عبقري العمارة الإسبانية - طارق خالد الحبجي ٨٨

■ هل دخل السرطان مرحلة الاستحضار ؟ - د . عماد شمسي باشا ١٠٣

■ التعلم عن بعد . . الجامعة المفتوحة - توفيق أبو بكر ١٠٨

■ الكسب الحرام في الإسلام - د . توفيق محمد شاهين ١١٢

■ الشعب (قصة مترجمة) - يوسف حلاق ١٢٥

صورة الغلاف

على ضفاف النيل الخالد وعند بحيرة السد العالي في أسوان نقرأ سطور ملحمة خطها أهالي النوبة أرض الذهب وشعب المأساة (طالع ص ١٣٢)

رسول حمزاتوف

سليمان الشيخ

استطلاعات ومقابلات

■ باكستان .. سنوات الصراع والأحلام - محمود عبد الوهاب ٦٨

■ وجها لوجه : رسول حمزاتوف - سليمان الشيخ ٩٧

■ « النوبة » : أرض الذهب وشعب المأساة - سليمان مظهر ١٣٢

■ صناعة الألبان في الكويت خطوة نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي - ريم الكلاوي - [illegible] ١٠٦

باكستان .. سنوات الصراع والأحلام ص ٦٨

صناعة الألبان في الكويت ص ١٠٦

المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والمجلة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القارىء ٧

■ أرقام : المائدة العربية والأطباق متصلحة الجنسية - محمود المراغي .. ٦٠

■ منتدى العربي :

- قضية : نحن والتراث - فاروق خورشيد ١١٦

- تعقيب : الإسلام والتراث الإسلامي - د . عجيل النشمي ١٢١

■ الجديد في العلم والطب - إعداد : يوسف زعبلاوي ١٢٨

■ سلامة البشرية في سلامة البيئة . ١٣٠

■ جمال العربية :

- صفحة لغة : أسئلة وأجوبة - محمد خليفة التونسي ١٨٢

- صفحة شعر : هكذا غنى الآباء ، لواعج الحب ، لابن الدمينة .. ١٨٤

■ الكلمات المتقاطعة ١٨٦

■ مكتبة العربي :

- كتاب الشهر : من حقك أن تكون ذكيا ! - د . عادل عبد الكريم ياسين ١٨٧

- من المكتبة العربية : الإرهاب السياسي : بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية - محمد وليد جداع ١٩٢

- من مكتبة العربي : عناوين .. ١٩٦

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨

■ حل مسابقة العدد (٣٤٠) ٢٠٠

■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٢

■ حوار القراء ٢٠٤

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ رسوم الأطفال دلالات عنهم ، وفرص لتوجيه سلوكهم - رينب الكردي .. ١٦٨

■ هل هناك خطورة في استعمال حبوب منع الحمل ؟ - د . نجم عبد الله عبد الواحد ١٧٢

■ هو ... هي ١٧٦

■ طبيب الأسرة : للحذاء مع القدم حكاية ! - (الأيس كريم) ومرض السكر ١٧٨

■ مساحة ود ... في الوطن متسع للجميع - محمود عبد الوهاب ١٨١

عزيزي القارئ

هناك مفاهيم كثيرة خاطئة في صراعنا مع العدو الاسرائيلي ، فصراع العرب والمسلمين مع المغتصبين صراع حضاري ، وبمناسبة مرور عشرين عاما على هزيمة حزيران ، ١٩٦٧ ، والتطورات السريعة على الساحة العربية التي حدثت بعد ذلك ، يتناول « العربي » هذا الموضوع المهم في حديث الشهر

وفي هذا العدد أيضا ذكريات مؤرخ وأديب ، هو الدكتور شاكر مصطفى ، عن مسيرة الثلاثي الماسي الذي ملأ آفاق الفن في وطننا العربي ، ثم جاءت لحظة انكسر فيها أحد أركان هذا الثلاثي ، بل وغاب عن الوجود ، إنه الثلاثي الرحباني

كما يساهم الأستاذ فتحي رضوان بموضوع جديد ، قد يبدو غريبا ، وهو هل أدب العبث عبث ؟

يعتقد الكاتب أن في جوانب الحياة كثيرا مما يمكن أن يسجل في خانة العبث ، فهل لو عبر الأدب عن ذلك يكون عبثا ؟

وعن مجمع الخالدين بالقاهرة الذي عقد اجتماعاته قبل فترة قريبة يكتب لنا الاستاذ عبد الرزاق البصير عما دار فيه من نقاش حول اللغة العربية ، ومواكبتها للعصر وأحداثه .

في الاستطلاعات تزور « العربي » جمهورية باكستان ، وتسجل بالقلم وبالصوره كثيرا من الوقائع والأحداث ، وسنوات الصراع والأحلام والطموحات

كما تذهب « العربي » إلى أقصى الجنوب في جمهورية مصر العربية ، حيث أرض النوبة ، وشعبها الذي ما زال يعيش آثار مأساة التهجير والانتقال من موطن إلى آخر

أما في الطب فإن « العربي » تطرح موضوعا يتعلق بمصير السرطان ، وهل دخل في مرحلة الاحتضار ؟ الدكتور عماد شمسي باشا يجيب باستفاضة عن هذا السؤال المصيري ، وفي الموضوعات العامة تنقل لك « العربي » بعض الوقائع والحقائق عن التعلم عن بعد أو الجامعات المفتوحة

وتدخل « العربي » إلى بيت الشاعر السوفيتي الداغستاني الكبير رسول حمزاتوف في مدينة ماختشكلا ، وتحاوره حول كثير من القضايا الثقافية

كما تنقل إليك ملخص تجربة مهمة من تجارب عالمنا الثالث ، تتمثل في حق كل إنسان بأن يكون ذكيا .

و « العربي » وهي تقوم بدورها في رفد الثقافة العربية بكل ما هو جديد ومفيد تقدم هذا العدد لقرائها ، وهي تستعد أيضا لتقديم باقة جديدة من الثقافة في فصل الصيف القادم .

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

عشرون عاماً على الهزيمة

نظرة إلى الخلف ، وأخرى إلى الأمام

في هذا الشهر من هذا العام (يونيو ١٩٨٧) تمر على هزيمة العرب الكبرى في هذا العصر عشرون عاما بالتمام والكمال

وخلال هذه الأعوام العشرين جرت مياه كثيرة في النهر العربي والنهر الاقليمي والدولي ، وأصبحت هزيمة حزيران ـ أو كادت تصبح ـ محجا للبكاء العربي ، كلما صادفت في التاريخ حلقة مفردة ، كعشرين شهرا وعشر سنوات ، وأخيرا عشرين سنة ، وأحسب أن هذا الموضوع سوف يعود اليه كثيرون بعد هذا التاريخ .

لا أريد في هذا الحديث أن أكرر ماحَفَّظْناه لأبنائنا ـ عن القضية الام ـ قضية فلسطين ـ لكنني أرجو أن أضع بين يدي القاريء العربي صياغة قد

تكون جديدة لدروس تلك السنوات العشرين الماضية ـ كما راقبتها ـ محاولا الوصول الى نتائج أحسب أنها ستؤثر علينا جميعا عربا ومسلمين في القادم من السنين

الهزيمة العربية في سنة ١٩٦٧ ـ في تقديري ـ كانت أكبر وأعمق من الهزيمة الاولى في ١٩٤٨ ، واذا كانت هزيمة ١٩٤٨ قد جرى حسم البحث عن اسبابها لدى كثيرين ، ووضعت على عاتق الأنظمة العربية حينذاك ، ثم جرى التخلص من كثير منها في وقت لاحق ، وجاءت الخمسينيات والستينيات لتقول إننا قد تجاوزنا الأسباب ، وهاهي ذي أنظمة جديدة تأخذ مكانها في الساحة العربية ، وتستطيع أن تقف بصلابة في وجه التحدي الاسرائيلي ثم جاءت هزيمة ١٩٦٧ لتقول لنا أشياء كثيرة وعميقة أيضا ، وبعيدة عن التفسير المبسط

فقد قالت لنا ان « اسرائيل » قد توسعت أكبر من ثلاثة اضعاف مساحتها قبل ١٩٦٧ ، وقالت لنا أيضا ان قضية المواجهة معها أكبر من تغيير نظام ، أو تشكيل علم ، أو معزوفة نشيد وطني

مايجري حقا أننا ـ نحن العرب ـ قد طفقنا نبحث من جديد عن كبش فداء ، نلقي عليه أسباب تلك الهزيمة ، وتفرقت بنا السبل الاجتهادية و« الايديولجية » خلال السنوات العشرين الماضيه ، وأصبح بعضنا خصما لبعضنا الآخر ، يخاصمه حتى الموت على قضايا ـ هي في تقديري ـ جانبية ، وليست جوهرية ، ان دققنا فيها النظر ، وعلينا المصلحة القومية ، وحسابها ميزان مايضمر لنا الاعداء ويظهرون ، متحدثين بكثرة عن النيات ، ومتجاورين الأعمال وقدرتها على المواجهة وتغيير الصورة

وحتى لا آخذ القارىء في طريق يطول ، وتتشعب مخارجه ، أقول · ان هناك أربع حقائق جوهرية برزت منذ ١٩٦٧ وحتى اليوم .

● الحقيقة الاولى أن كثيرا مما نعانيه اليوم « نحن العرب » ، هو نتيجة لصراعنا مع « اسرائيل » وقدرتها على الاستمرار بالعمل « كقوة تشتيت »

● والحقيقة الثانية هي أن العرب منذ ١٩٦٧ اتسموا بردود فعل ، لا بمبادرة و فعل

● والحقيقة الثالثة أن العمل الفلسطيني ـ نتيجة للحقيقتين السابقتين ودخلات أخرى ـ أصيب بكثير من العطل .

● والحقيقة الرابعة أن المستقبل العربي مرهون ـ شئنا أم أبينا ـ بمستقبل القضية الجوهرية وهي « القضية الفلسطينية » .

ولنعد الى تفصيل ما أوجزنا هنا .

سر "قرار الحرب" الإسرائيلي الذي كُشف بعد العدوان بخمس سنوات

أولاً . السياسة الصهيونية :

■ لعل بعضنا قد غفل عن حقيقة أساسية - في خضم خلافاتنا مع بعضنا البعض - هي أن « اسرائيل » ومن قبلها السياسات الصهيونية التي مهدت لها ، تسير نحو هدف محدد ، وهو أن تكون عامل عدم استقرار في المنطقة ماأمكنها ذلك وبأي الطرق الممكنة .

قبل قيام « اسرائيل » ، وبعد قيامها ، كانت هناك سياسات صهيونية واضحة المعالم تجاه العرب ، كل العرب ، وهذا ليس كلاما انشائيا أو عاطفيا ، ولاحتى تبريريا ، انه واقع بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى وتؤيده الوثائق . فالهدف المستمر والواضح « لاسرائيل » هو تغيير الحكومات والحكام ، واضعاف الأقطار العربيةالمحيطة بها ، والبعيدة عنها ، والتغلغل بنفوذها المباشر وغير المباشر للسيطرة على هذه المنطقة ، وضمان تحطيم عناصر مقاومتها .

وليس ضرب الطائرات الاسرائيلية في يونيو ١٩٨١ للمفاعل النووي العراقي الا علامة واحدة على ذلك ، وليس ضرب الطائرات الاسرائيلية لتونس في اكتوبر ١٩٨٥ الا علامة أخرى ، مرورا باجتياح لبنان فيما بين العمليتين . وعمليات أخرى ظاهرة وباطنة يشمل مسرح عملياتها كل منطقة الشرق الاوسط .

تلك علامات فقط ، فرغم الاختلاف في المسميات الحاكمة فإن الزعامات الاسرائيلية الحاكمة كانت دائما - مهما اختلفت المظلة السياسية التي تستظل بها - قد خدمت تحت هذا النظام الاسرائيلي أو ذاك سنوات طويلة ، سواء كانوا عسكريين أو سياسيين ، وقد مثلوا بهذه الصفة كل السياسات الاسرائيلية .

اتسمنا ببرد الفعل.. دون المبادرة والفعل!

اسحق شامير عمل لمدة ستة عشر عاما في الموساد (المخابرات الاسرائيلية) ، تحت قيادة (ليفي اشكول) ، و (بن جوريون) .

ايريل شارون ، رجل المذابح الشهير ، كان من المقربين من الأخير مناحيم بيجن الذي عاش في المعارضة فترة طويلة كان يعرف كل سياسات « اسرائيل » تحت حكم تحالف حزب العمل ، ويباركها ، بل المعروف أن (ليفي اشكول) قد أجرى تعديلا وزاريا قبل أيام قليلة من حرب ١٩٦٧ (في ١/٦/١٩٦٧) أدخل فيه موشي ديان ، ومناحيم بيجن

وكذلك يوسف سابير ، أي أدخل فيه المعارضة في حكومة تكتل وطني ، وذلك من أجل شن تلك الحرب على العرب .

سر « قرار الحرب » الإسرائيلي :

■ حرب ١٩٦٧ نفسها ـ كما تحدثت عنها المصادر الاسرائيلية بعد ذلك ـ كانت حربا قد حطط لها ثم شنت ضد العرب بتصميم سابق ، واستفادت القيادة الاسرائيلية من أخطائها في ١٩٥٦ عسكريا وسياسيا ، عسكريا بقيامها بالحرب دون شركاء ، وسياسيا بالظهور بمظهر المعرض للتهديد أمام العالم !

وقد اقدمت الحكومة الاسرائيلية على سابقة لانظير لها تاريخيا ، عندما أفرجت يوم الاحد ٤ حزيران ١٩٧٢ عن نص القرار الذي اتخذته قبل خمس سنوات وهو (قرار الحرب) .

يقول القرار (ان الحكومة الاسرائيلية ـ بعد أن استمعت الى التقارير التي رفعها كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الدفاع ورئيس الأركان العامة والمخابرات العسكرية حول الوضع العسكري والسياسي ـ قررت اتخاذ الخطوات والاجراءات العسكرية اللازمة لتحرير « اسرائيل » من ربقة العدوان ، وتفوض الحكومة رئيسها ووزير الدفاع ، وهيئة الأركان ، صلاحية تعيين موعد البدء في العمليات العسكرية . . .)

حرب ١٩٦٧ لعبتها « اسرائيل » مدّعية أنها مهددة بالابادة من العرب ! والوثائق الاسرائيلية اليوم تؤكد لنا ـ كما أكد لندون جونسون الرئيس الامريكي وقتها بعد ذلك في مذكراته ـ أنه لاهو ولا وزارة الدفاع الامريكية اعتقدا جديا بالخطر العربي !

لقد قرر (عاموس ايلون) في كتابه الشهير « الاسرائيليون . . المؤسسون والأبناء » : ان قول الاسرائيليين عن اسباب حرب حزيران ١٩٦٧ بأنها كانت نتيجة تعرض « اسرائيل » (للإباده) هو خدعة ولدت ونمت بعد الحرب !

حقيقة الأمر أن هناك وفاقا بين الأطراف السياسية الاسرائيلية والصهيونية قبلها وبين حلفائهم تجاه الوطن العربي ، وقليلا مايختلف على هذا الوفاق أو يكون موضع تهديد . هذا الوفاق أحد مكونات قوة « اسرائيل » ، والهدف هو السيطرة على المنطقة ، وهذه السيطرة لاتظهر تجاه فلسطين أو الفلسطينيين فقط ، ولكنها تتوجه الى أبعد من ذلك ، الى مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان ثم الى مناطق عربية أخرى .

التاريخ المقيت للحركة الصهيونية :

■ وهذا هو تاريخ الحركة الصهيونية ، ففي العشرينيات ـ على سبيل المثال ـ ركز الجهد الصهيوني جل نشاطه في بريطانيا ضد الحركة الوطنية المصرية التي كان يقودها سعد زغلول وحزب الوفد ، يذكر لنا كرستوفر ماهيو ـ ومن الوثائق البريطانية ـ أن حاييم وايزمان وفلاديمير جابوتنسكي ، الصهيونيين العتيدين ، عارضا (التنازلات البريطانية للحركة الوطنية المصرية !) وايزمان عارض كل حركة عربية وقد فعل ذلك بشراعة ، ودعا بشكل من أشكال العنصرية ضد العرب لدى أصدقائه البريطانيين . كتب وايزمان في ٣٠ مايو ١٩١٨

(العرب الذين يبدو أنهم أذكياء ظاهريا يعبدون شيئا واحدا ، وشيئا واحدا فقط ، هو السلطة والنجاح ، والسلطة البريطانية تعرف الطبيعة الغادرة للعرب ، وعليها أن تتابع نشاطهم بدقة ، حتى لايعطوا الفرصة لضرب الجيش البريطاني من الخلف ، فكلما أراد النظام الانجليزي أن يزداد عدلا أصبح العربي أكثر تكبرا) !

ولانستطيع ان نقرأ التاريخ الحديث إلا ونجد دلائل لاتقبل الشك على هذا الخط الاسرائيلي لإشاعة عدم الاستقرار ومايتبعه من نزع سبل المقاومة لدى العرب . ففي فضيحة لافون التي أصبحت مشهورة اليوم ، حاولت الاجهزة الاسرائيلية ضرب بعض المنشآت الاجنبية في مصر ، حتى يظهر المصريون بمظهر (الارهابيين) ، وهو المفهوم الذي وسعته أجهزة الدعاية الصهيونية بعد ذلك ويكاد اليوم أن يكون لصيقا بالعرب في كل مكان .

لوفا الياف ـ اعترف في سنة ١٩٧٢ أنه رأس مجموعة عمل بالتعاون مع الفرنسيين وبعض يهود مصر للقيام بانقلاب في ١٩٥٦ ، ولم توقف الخطة الا عندما اكتشف الانجليز أنها دبرت من وراء ظهورهم

ونظام حسني الزعيم في سوريا (٤٩ ـ ٥٠) الذي كان يعتمد على قاعدة اجتماعية ضيقة قرر أن يحصل على دعم أمريكي للبقاء في منصبه ، وكانت الطريقة أنه اقترح استيعاب الفلسطينيين وتوطينهم بعيدا عن فلسطين والخطة كانت سارية حتى سقط حسني الزعيم مقتولا ، في دمشق ، وتزامن ذلك مع وجود عضو من المخابرات الامريكية يمثل الاسرائيليين ، لاتمام التفاوض على الخطة ، فقد دخلت اسرائيل ـ كما هي دائما ـ على الخط للسيطرة على نظام ضعيف ، والملفت للنظر أنه عندما ظهرت وثائق هذه القضية من الارشيف الاسرائيلي ـ حسب النظام المعمول به باذاعة الوثائق بعد ثلاثين

عَلينا أن نَعي دروسَ الماضي.. لنستخلصَ عِبرَ المستقبل

عاما ـ قامت حملة في الصحف الاسرائيلية ـ ربيع ١٩٨٥ ـ منتقدة بن جوريون رئيس الحكومة الاسرائيلية وقتها ومتهمة إياه أنه لم يتابع الموضوع متابعة جادة !

وقصة يهود العراق وخروجهم منه في أوائل الخمسينيات دليل آخر على تلك السياسة الاسرائيلية المستمرة ، ومن وثائق الأرشيف الاسرائيلي أيضا تأكد ماكان في اطار الاحتمال في السابق ، وهو أن هذا الخروج كان بالتعاون التام مع عملاء اسرائيليين كانوا وقتها في بغداد وتفاوضوا مع الحاكم العراقي الأقوى نورى السعيد ، وربما كان أحد أسباب سقوط النظام العراقي في ١٩٥٨ علاقته المريبة باسرائيل .

بعد مارس ١٩٧٩ ـ أي بعد اتفاقية السلام المصرية/ الاسرائيلية ـ بدأت « اسرائيل » حملة منظمة للتوسع في بناء المستعمرات في الضفة العربية ، ولان الصراع العربي الاسرائيلي يدور حول الارض ، فان هدف الاسرائيليين هو خلق واقع جديد على الارض وإزاحة معالم قديمة ، وفي سبتمبر ١٩٧٩ اشتركت « اسرائيل » مع جنوب افريقيا في تجربة تفجير نووي في جنوب المحيط الاطلسي . وبعد ذلك بعامين تقريبا ـ في ديسمبر ١٩٨١ ـ أعلنت اسرائيل تطبيق القانون والسيادة الاسرائيلية على مرتفعات الجولان السورية ، وبعد أيام قليلة فقط من توقيعها لاتفاق أمني مع الولايات المتحدة .

وبين يوليو ١٩٦٧ وفبراير ١٩٨٦ ، تقول لنا الاحصائيات الاسرائيلية أن الجيش الاسرائيلي والأمن الاسرائيلي قد اقتلع من فلسطين (٢٠٦١) شخصا بما فيهم رؤساء بلديات وأعضاء اتحادات وسياسيين ، وقد سحب للتحقيق ٢٥٠,٠٠٠ شخص ، وهدم ١٤٢٥ بيتا لشكوك في أن سكانها لهم علاقة بالمقاومة . . ! وأحسب أن الأرقام الحقيقية اكبر من ذلك بكثير .

خلاصة الحديث أن اسرائيل طوال السنوات العشرين الماضية ، سائرة لتحقيق أهدافها في السيطرة على المنطقة بشكل مباشر أو غير مباشر . . إما بالطائرات العسكرية ، أو بالتوسع الاستيطاني ، مرورا بالاستفادة من أي صراع أو حلاف بين العرب وجيرانهم أو بين العرب بعضهم بعضا.إنها (قوة شتيت) اقليمية بكل ما تعنيه الكلمة .

ردود الفعل العربية على هزيمة ١٩٦٧ :

عدم استيعاب (الخطر الصهيوني) بشكل علمي ومنظم على المستوى ومي ، وفهم دوره (كقوة تشتيت) يقودنا الى الحقيقة الجوهرية الثانية في يثنا هذا ، وهو ردود الفعل العربية .

لقد استجاب العرب لفعل الصهاينة اليهود بردود فعل على مرحلتين مرحلة ما بعد ١٩٤٨ ، ومرحلة ما بعد ١٩٦٧

الظاهرة الاولى في فترة ٤٨ - ١٩٦٧ هي تنامي الموقف الدولي العربي تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، ولعل التصريح الثلاثي الفرنسي البريطاني الامريكي في سنة ١٩٥٠ بتحجيم الصراع واحتوائه - إن أمكن - كان بدء الدخول في اللعبة الدولية ، وسرعان ما تنامت هذه اللعبة لتدخل في صراع الجبارين خاصة بعد ١٩٦٧ .

ردود الفعل العربية على الهزيمة الاولى كانت نظرة داخلية انتهت بمجموعة من التغييرات الداخلية - كما أسلفنا - على رأسها ما حدث في مصر وبين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ شهدت الساحة العربية مجموعة من التغييرات الهيكلية في الحكم على امتداد معظم الساحة العربية ، وقدمت الوعود على أن المرحلة مرحلة انتظار فقط سرعان ما تنتهي بحل عادل ومشرف .

واختلطت أمور كثيرة في هذه المرحلة . اختلطت مواجهة « اسرائيل » والقضية الفلسطينية من جهة بقضايا الصراع الاجتماعي والاقتصادي الداخلي ، واختلطت بقضايا مواجهة بقايا الاستعمار القديم وأشكال الاستعمار الحديد ، واختلطت أيضا بعقبة كأداء هي الخلاف العربي/ العربي ، فكانت مرحلة شديدة الاضطراب ، ويمكن الآن تبين الاختلاف بين الرؤ ية الاسرائيلية والرؤ ية العربية في تلك الفترة .

الرؤ ية الاسرائيلية - كما أسلفنا سابقا - كانت مكوناتها ثابتة : التوسع العسكري والنفوذ السياسي ما أمكن مع الاحتفاظ بالمبادرة دائما . وكانت الرؤ ية العربية - في تقديري - تجاه القضية متذبذبة آنية لم تحكمها استراتيجية محددة المعالم ، أي الاجابة عن سؤ ال : ماذا نريد بالضبط ؟ وما هي قدرتنا على تحقيق ما نريد ؟

■ الرؤية الإسرائيلية ثابتة تحتفظ بالمبادرة .. بينما الرؤية العربية آنية ومتذبذبة

وعندما جاءت الهزيمة الثانية ، وقعت وقع الصاعقة على النسج الاجتماعي والسياسي العربي ومازالت تفعل . .

والسبب في تقديري أن العلاقة العربية بالواقع الاسرائيلي لم تحسم نظريا على الأقل . فقد تتجمد ، وتتأزم ، وقد تنفرج قليلا ، ولكنها لم تحسم ،

والأطراف العربية القليلة التي كانت لها رؤية واضحة تغلبت تكتيكاتها السياسية الآنية على النظرة الاستراتيجية البعيدة فجاءت نتائج أعمالها كنتائج اعمال من افتقد الرؤية الواضحة

حجر الزاوية هو توازن استراتيجي حضاري وعسكري ، قاعدته العربية الدنيا (توافق عربي) وهذا بالضبط ماهو غائب

في غياب ذلك ـ وأحسب أن غيابه سيطول لفترة ـ سيظل المواطن العربي المجروح بالهزيمة هائما على وجهه ، تتصيده الأطروحات المطرية هنا وهناك ، إما أطروحات مزايدة أو مغالية . . وتظل أهداف « اسرائيل » ـ من خلال تعذر هذا التوافق العربي ـ محققة

على الساحة الدولية ظل بعضنا يتأرجح كبندول الساعة تارة غربا وأخرى شرقا ، وفوتنا على أنفسنا أهم درس في ١٩٥٦ عندما اقتنع السوفييت من جهة والأمريكان من جهة أخرى بعدالة قضيتنا . الدرس الذي وعته اسرائيل ومازالت تجاهد حتى لا يتكرر ، هو منع الوفاق الدولي .

تآكل حقوق الفلسطينيين :

■ يبدو أن الزمن أحد العناصر التي لا يحسب حسابها ، ففي سنة ١٩٤٨ وقعت ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية تحت الاحتلال الاسرائيلي ، ومن ضمن العرب الفلسطينيين وقتها أصبح ٦٠٪ من بينهم لاجئين ، إما في فلسطين نفسها أو في الأقطار العربية المجاورة . . كما اقتلع ما بين ٨٣٪ و ٩٣٪ من السكان العرب في المنطقة المحتلة في « اسرائيل » من أماكنهم وأبعدوا الى المنفى ، وفي ١٩٦٧ أصبح معظم اللاجئين الفلسطينيين لاجئين للمرة الثانية .

وفي السنوات العشرين الماضية تبين ـ لأي مراقب منصف ـ أن أحد لمكونات الصعبة في الصراع العربي الاسرائيلي هو مكون الفلسطينيين نفسهم !

كيف ذلك ؟

لقد وقع الفلسطينيون في مرحلة من أصعب مراحل التقلصات والشد الجذب بين (الشعور القومي) والواقع (الاقليمي العربي) . القضية لفلسطينية قضية قومية . . نعم . ولكن الدور العربي ليس موحدا ، تلك حقيقة ، والأقطار العربية لها اجتهادات وتلك حقيقة أخرى . لذلك شهدت

كيف استمرت "إسرائيل" قادرة على العمل "كقوة تشتيت" للعرب ؟

سنوات ما قبل ١٩٦٧ تنافسا بين الهيكل الرسمي الفلسطيني (منظمة التحرير بقيادة الشقيري كما اعترف بها مؤتمر القمة العربي الثاني في ديسمبر ١٩٦٤) والمنظمات الفدائية المتنامية والكثيرة (العمل الشعبي الفلسطيني) وأصبحت الهوية الفلسطينية تسير في مسارين متوازيين تقريبا ، أحدهما منظمة التحرير والثاني المقاومة الفلسطينية وقد هيأت هزيمة ١٩٦٧ المناخ الموضوعي لسمو المقاومة ، وجاءت معركة الكرامة في أعقاب الهزيمة فزادت من شعبية المقاومة أضعافا مضاعفة ، وما أن جاء فبراير ١٩٦٩ حتى أصبح ياسر عرفات زعيم فتح كبرى حركات المقاومة رئيسا للمنظمة ، وتوحد الخطان المتوازيان ، ولكن ليس دون تقلصات جديدة

أثرت هزيمة ١٩٦٧ أيضا على الحركةالسياسية العربية عموما وبالأخص الجناح الفلسطيني منها ، فتحول ذلك الجناح من حركة القوميين العرب الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وسرعان ما انشقت من حديد لتولد الجبهة الشعبية الديمقراطية .

أصوات فلسطينية عربية عديدة ارتفعت وقتها - ونتيجة لهول الصدمة - تدعو الفلسطينيين لتبني طريقة النضال الكوبي ، أو الطريقة الفيتنامية ، أو الجزائرية ، ولكن الجغرافيا السياسية - وان سمحت بسيطرة (المقاومين) على المنظمة - لم تسمح بأكثر من ذلك ، ونظر الى الفلسطينيين المقاومين على أنهم فروخ طائر « الوقواق »

وتركت منذ ذلك الوقت العلاقة المعقدة بين حرب عربية نظامية للتحرير وحرب مقاومة لم تولد شروطها بعد .

وتحولت تدريجيا على مدى السنوات الماضية المطالب اللاحقة لسنة ١٩٤٨ من التحرير الكامل ، الى تحرير الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ ، بأشكال الصياغات المختلفة

المطالب قبل ١٩٤٨ التي كانت واضحة بسيطة يفهمها الجميع وغير قابلة للمزايدة أصبحت معقدة ، أما المطالب بعد ١٩٦٧ ولأنها ظهرت في ظروف موضوعية قاسية فقد اختلفت ، فاختلف فلسطينيو الخارج - على الأقل - عليها ، وأصبح الدم الفلسطيني مباحا بين الإخوة ، كما هو مباح للأعداء

حرب ١٩٧٣ أضافت أبعادا أخرى دولية واقليمية على حركة الفلسطينيين وموقف الأقطار العربية منهم وكذلك معاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية لقد ظهر أن حقوق الفلسطينيين في الداخل أيضا بدأت تتآكل لشراسة الاحتلال الاسرائيلي

مبادرة برحيف ١٩٨١ وقرارات فاس (٢) في عام ١٩٨٢ حددت الاطار الذي يمكن أن يتحرك فيه الفلسطينيون سياسيا ، وبقي تحريك ما بداحل الاطار ، إلا أن الاجتياح الاسرائيلي للبنان عصف بالحدود الدنيا من الوفاق الفلسطيني / الفلسطيني الذى كان من الممكن ان يشكل أحد آليات دفع المقاومة الى الامام الا ان الخلاف الفلسطيني / الفلسطيني والعربي مرر خمس سنوات عجاف على العمل الفلسطيني المقاوم ، وعلى الجهد العربي السياسي ، واختلطت بمقدرات اقليمية بالغة الصعوبة ، ونزفت دماء فلسطينية وعربية عزيزة وعزيزة .

ووحدت فصائل المقاومة الفلسطينية نفسها في ابريل الماضي ، فهي تعود الى بعضها تدفعها الحاجة المشتركة للتقارب ، واذا كانت هذه الفصائل بعودتها الى منظمة التحرير لا تستطيع أن تهرب من أثقال الماضي بمرارته ، الا أنها تستطيع على ضوء دروس الماضي القريب أن تؤثر في المستقبل .

المستقبل :

■ دروس الماضي نذكرها كي نستخلص عبرا للمستقبل

والدروس تقول لنا بوضوح شديد ان الصراع هو صراع حضاري فيه ثقل الماضي وشراسة الاستعمار الجديد ، وبدون تحديد الأولويات بدقة ومرونة ندخل في الحلقة الخبيثة

وفي اعتقادي أن « اسرائيل » تعتبر أن أي قوة عربية خارج (نطاق أحصر) تقرره هي ، يجب ضربها في التو واللحظة ، وأن أي وفاق دولي عادل يجردها من طموحاتها ، وأن مقاومة صلبة - كما حدث في جنوب لبنان - توجعها . وأن أي وفاق عربي يحجمها ، وفوق ذلك أي تحرك داخلي لأهلنا العرب هناك يصيبها بالاضطراب تلك حلقات منطقية في تقديري يجب أن يبنى عليها العمل المقاوم القادم ، ولا يعني ذلك أنه لا يوجد لاسرائيل خطواتها المضادة لتلك الحلقات ، ولكن يعني أن الصبر الطويل للجماهير العربية بعد عشرين عاما من هزيمة ١٩٦٧ ، وما يقارب الاربعين عاما من الهزيمة الأولى ، قد يفقدها الصبر الجميل الذي تلتحف به

فهل نعي دروس التاريخ !

ابن خلدون مفكرًا اقتصاديًا

بقلم : الدكتور ابراهيم عويس*

هذه وقفة مع نزاهة البحث العلمي وأمانته ، ودعوة متواضعة لرد الاعتبار إلى الحقيقة بشأن شخصية علمية فذة ، كاد المؤرخ أن يهملها أو يظلمها .

كلنا نعرف شيئا كثيرا أو قليلا عن ابن حلدون كمؤسس لعلم الاجتماع ، لكن ماذا عن ابن خلدون المفكر الاقتصادي ؟ وما هو إنجازه في هذا الحقل ؟ المقال التالي اجتهاد خاص للكاتب في هذا المجال .

طرح ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) في مقدمته الشهيرة كثيراً من المبادىء والأسس لكافة فروع العلم والمعرفة ، لكن أفكاره العظيمة في الاقتصاديات تجعله - بحق وبجدارة - أبا لهذا العلم ، لكن هذا اللقب التشريفي قد منح لآدم سميث ، ذلك المفكر الذي عرفه العالم بعد ابن خلدون بأكثر من ٣٧٠ عاما

إن ابن خلدون لم يطرح البذرة الأولى لعلم الاقتصاد التقليدي في مجالات الانتاج والعرض والتكلفة فحسب ، بل إن أفكاره كانت رائدة أيضا في مفاهيم الاستهلاك والمنفعة والطلب التي تعتبر حجر الزاوية في نظريات علم الاقتصاد الحديث

ومن المعروف أن بعض الفلاسفة الأقدمين قد تناولوا هذا الموضوع إلا أن أفكارهم كانت بسيطة ساذجة بدائية ، فقد تحدث أفلاطون - مثلا - عن مبدأ التخصص ، وتقسيم العمل ، واستطاع المصريون

* أستاذ الاقتصاد في جامعة جورج تاون

القدماء أن يطبقوا هذه المقولة عمليا في نحتهم المسلات ، خصوصا في عهد الأسرة الثامنة عشرة قبل الميلاد ، وذلك برفعهم مستوى الانتاجية لساعة العمل الواحدة ، كما حاول ارسطو أن يعرف علم الاقتصاد ويحدده ، ويطرح بعض التحليلات في استعمال المال ومبدأ التبادل

لكن ابن خلدون استطاع في نظريته الضرائبية أن يطور أفكار طاهر بن الحسين (٧٧٥ ـ ٨٢٢) التي كان قد كتبها لابنه ـ حاكم خراسان في ذلك الوقت ـ وأوصاه أن يعمل بها

وقد كان لهذه النظرية أثرها البالغ على سياسة الاقتصاد المعاصر حتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، ولعل هذه الدراسة المتواضعة تكون مجرد محاولة جادة لرد الاعتبار لهذه الشخصية العربية الفذة التي كان علم الاقتصاد قبلها مجرد مجموعة من الأفكار المشتتة الساذجة المبعثرة التي حولها ابن خلدون إلى ثروة فكرية منظومة

ابن خلدون وفائض القيمة

باستثناء جوزيف سكوجيترا الذي اكتشف ابن خلدون مؤخرا فإن معظم مفكري الغرب الاقتصاديين ـ وعلى رأسهم جوزيف سبينجلر ـ يرجعون فضل اكتشاف نظرية القيمة إلى « آدم سميث » ، وإلى « دافيد ريكاردو » ، باعتبارهما أول من حاول تفسير ذلك اللغز المحير لمفهوم القيمة ، فقد ذكرا ـ كلاهما ـ أن القيمة التبادلية للأشياء يجب أن تكون مساوية للوقت المستهلك في إنتاجها ، ومن هذا المنطلق ذكر ماركس « أن أجور العمل يجب أن تكون مساوية لانتاج هذا العمل نفسه ، ثم خرج بمقولته الثورية القائلة بأن قيمة الفائض ليست إلا ثمنا ... علاليا ـ لايمكن تبريره ـ تكسبه الرأسمالية المستغلة على حساب عرق الكادحين من (البروليتاريا)

في هذا المجال نستطيع القول أن ابن خلدون كان أول من اكتشف نظرية القيمة للعمل قبل كارل ماركس ، فالعمل بالنسبة لابن خلدون هو مصدر القيمة وأساسها ، وهو أول من فسر ذلك تفصيليا في الجزء الثاني من مقدمته ، وقد وجدنا ذكر هذا المفهوم لدى « دافيدهيوم » في محاضراته السياسية المنشورة سنة ١٧٥٢ قال « إن كل شيء في العالم يمكن شراؤه بالعمل » وقد ذكر هذا المفهوم آدم سميث قائلا « إن ما يشتري بالمال أو بسلعة أخرى يمكن شراؤه بالعمل ، فالمال يحتوي على القيمة الفعلية لانتاج عمل ما،والقيمة يمكن استبدالها بقيمة أخرى مساوية لها من حيث الكم ، لأن قيمة أي سلعة يمتلكها إنسان ما،ولا ينوي الاحتفاظ بها أو استعمالها لأغراضه الشخصية ، لكنه يريد استبدالها بسلعة أخرى ، هي ـ في الحقيقة ـ مساوية تماما مقدار العمل المبذول فيها ، وهذا ما يمكنه فيما بعد من شرائها أو استحقاقها ، إذن فالمال هو المعيار الحقيقي للقيمة التبادلية بين السلع المختلفة

ولو حللنا هذه العبارة المنشورة عام ١٧٦٦ م لوجدنا بذورها الأولية في الجزء الثاني من مقدمة ابن خلدون ، لكن ابن خلدون يجعل هذا الدخل المالي في فئتين اثنتين ، إحداهما الربح ، وهو الدخل الكلي الشامل ، وأخراهما الكسب ، وهو ما يفي بكسب معيشتنا وقوت يومنا والربح يمكن أن يتخذ شكلا ماديا آخر عندما يعمل الانسان مستقلاً عن غيره ، ثم يبيع منتجاته للآخرين ، فالقيمة عندئذ تشمل المواد الخام والموارد الطبيعية الأخرى ، بينما الكسب هو الدخل المالي المكتسب حين يعمل الانسان لدى الآخرين لقاء أجر معين

وابن خلدون هو أول من حاول تفسير ظاهرة الفروقات المالية في الدخل ، وعزاها إلى الفروقات النوعية في المهارة ، وحجم السوق ، والمكان ، والحرفة نفسها ، وعزاها أيضا إلى الطبقات القادرة ، باعتبارها القوة الاستهلاكية الوحيدة لهذه النوعية من

الانتاج ، فكلما زاد الطلب على سلعة ارتفع دخل صانعها ، لكن ارتفاع الدخل لمهنة ما يجذب ، بالضرورة ـ العديد لممارسة هذه المهنة ، ومن ثم الزيادة الملحوظة لمنتجات هذه المهنة ، ووفرتها في السوق ، مما يؤدي ـ حتما ـ إلى تقليص أرباحها فيما بعد ، وهذا ما انتبه له ابن خلدون في تحليلاته للتعديلات الطارئة على المهن والحرف من وقت إلى آخر ، ومن ثم التغيرات التي تحصل على طبيعة الحرفة الواحدة نفسها

الاقتصاد الحر

كذلك سبق ابن خلدون « آدم سميث » باعتباره العمل وسيلة بناء ثروة الأمة وحضارتها ، وباعتباره زيادة الانتاج وزيادة التبادل التجاري هما الركنان الأساسيان لرفعة الأمة وازدهارها ، وأن أي هبوط في معدلات الانتاج يعني حتمية التقهقر والتخلف على المستويين الاقتصادي والمالي

بالاضافة إلى إسهامات ابن خلدون في دراسة قيمة العمل وتحليلها قام بتحليل أدوات الاقتصاد الأخرى ، كالعرض والطلب والأسعار والأرباح ، فقد شرح كيف أن الطلب على سلعة ما يعني ـ أساسا ـ المنفعة المكتسبة من هذه السلعة ، وليس بالضرورة الحاجة إليها ، فالمنفعة إذن هي المحرك القوي للطلب ، وهي التي تخلق الحوافز الشرائية لدى المستهلكين لقد كان ابن خلدون أول من طرح أسس هذه النظرية الحديثة التي طورها وتوسع فيها كل من « روبرت مالتوس » ، و « الفرد مارشال » ، و « جون هيكز » ، وآخرون وعا أن السلعة المرغوبة يعنى بها مستهلكون كثيرون فإن ذلك يؤدي إلى تصاعد حتمي في السعر وفي النوعية أيضا ، وبالمقابل فإن أي تناقص في الطلب على حرفة ما سيؤدي إلى هبوط مبيعاتها ، وذلك يعني تدني أسعارها

إن هذه العلاقة الجدلية بين السلعة والحرفة قد انتبه لها ابن خلدون حين قال « إن الحرف تنمو وتتحسن مع زيادة الطلب على منتجاتها ، وإ زيادة الطلب على حرفة ما يأتي من خلال زيادة الطلب على منتجاتها في الأسواق » وكما هو معروف حاليا فإن نظرية الأسعار الحديثة تكشف لنا أن التكلفة هي العمود الفقري لنظرية العرض .

كما بين ابن خلدون أن هناك عوامل أخرى تؤثر على الأسعار أو الأجور ، منها درجة الانتعاش الاقتصادي وازدهاره في مجتمع ما ، ودرجة تمركز الثروة ، ثم سياسة الضرائب والرسوم التي تفرضها الجهات الحكومية ورعاياها من أصحاب الطبقة الوسطى وطبقة التجار إن العلاقة بين الدخل والاستهلاك ـ كما قدمها ابن خلدون ـ قد مهدت الطريق أمام نظرية الاستهلاك الحديثة

ثمن المخاطرة

لقد عرف الاقتصاديون ـ في أدبياتهم ـ الربح بأنه ثمن المخاطرة ، وقد أرسى قواعد هذه النظرية « فرانك نايت » في كتاباته المنشورة عام ١٩٢١ ، لكن ابن خلدون كان قد سبقه حين قال

« إن التجارة تعني شراء البضائع والسلع ، ثم تخزينها بانتظار تقلبات السوق ، من أجل سعر أعلى لبضائعهم ، وهذا هو الربح بعينه » وفي فصل آخر قال « إن الأذكياء وذوي الخبرة من أهل المدن يعلمون بأنه ليس من الحكمة خزن الحنطة بانتظار سعر أعلى ، لأنهم بذلك سيخسرون كل شيء وبصفة عامة قد يكون الربح ثمنا لمخاطرة ما ، فقد يتعرض هؤلاء المغامرون للخسارة بدل الربح المتوقع ، وسواء كان ربحا أو خسارة فإن كليهما يكون نتيجة تكهنات أو حسابات خاصة ، يقوم بها هؤلاء المغامرون

ونظرة ابن خلدون إلى الأسعار المتدنية جدا تماما كنظرته للأسعار الفاحشة جدا ، فكلاهما يشكل إرباكا وتخلخلا اقتصاديا خطيرا ، وينصح الحكومات بعدم التدخل العشوائي لابقاء هذه

الأسعار المتدنية ، وذلك عن طريق المساعدات المالية ، أو التدخلات الاقتصادية الأخرى ، لأن هذه السياسية التعسفية قد تكون كارثة بشكل أو بآخر ، لأن تطبيقها يعني اختفاء هذه السلع من السوق ، دون أي حوافز لدى الموردين لانتاجها ، لأن بيع المزيد مهاوبهذه الصورة قد يؤثر على أرباحهم وكذلك يلعب ارتفاع الأسعار الدور التحريبي نفسه ، لأن عدم البيع يعني التكديس ، والتأثير ـ بالتالي ـ على حركة السوق وتنشيطه

إن التطور الاقتصادي ـ بموجب هذا المفهوم ـ يبقى رهن الجهود الانسانية « الاستثنائية » التي توفر ذلك الفائض المالي المحرك للتطور وتلعب الحكومات الدور الأكبر في عملية الاغناء والتطور الاقتصادي من خلال مصروفاتها الواسعة ، وخدماتها ، وسياستها الضريبية ، وإنفاقها العام ، فالحكومات هي التي بمقدورها خلق الحافز الوظيفي لدى المواطنين ، وخلق الانتعاش المطلوب لرعاياها ، وذلك بتهيئة الفرص الوظيفية ضمن برامجها السنوية ، وخططها الاقتصادية الدورية ، ومن هذا المنطلق نستطيع القول ان النظام القمعي التسلطي يحمل في أحشائه بذور الاجهاض هذه الفرص المتاحة للعمالة المنتجة ، وهي أشبه ما تكون بالهزيمة الذاتية لذلك المجتمع على المدى البعيد إن الانفاق الحكومي هو المحرك الأساسي للعملية الاقتصادية ، وذلك عن طريق زيادة الدخل الذي يقوم تلقائيا بالتأثر بعملية الانتاج نفسها والتأثير بها ، فبالاضافة إلى المساعدات التي يجب أن توفرها لطبقة الفقراء والمعوزين والمعوقين يجب أن تقوم الحكومات بإنفاق ما تجنيه من ضرائب ورسوم لتحسين أوضاع مواطنيها ، ودفع الأذى عنهم

ولعلنا نجد أصداء لما قاله ابن خلدون في رأي رئيس الأميركي الراحل جون كندي الذي قال في إحدى المناسبات : « إن الاختيار الصحيح ليس بين تخفيض الضرائب من ناحية وتفادينا لعجز فيدرالي من ناحية أخرى ، فإن الاقتصاد الذي يتبناه نظام ضرائبي واهن لن يكون قادرا على توفير المبالغ اللازمة لمواكبة الميزانية الطموحة ، وهذا يعني بأنه لن يكون قادرا على توفير الوظائف المطلوبة أو الانتاجية الكافية »

قال كندي هذه الكلمات ردا على بعض الأصوات المطالبة بتعليق قيمة الضرائب ، وكأنه كان يردد نفس العبارات التي قالها ابن خلدون والتي مازال صداها يتردد منذ ستة قرون يقول ابن خلدون « بمقدور النظام الضريبي جباية مبالغ كبيرة من خلال الرسوم القليلة ، ولكنه سيتوفر له جباية قليلة من خلال الضرائب الكبيرة » ، وكأنه يريد أن يقول بأنه كلما زادت حدة الضرائب قلت العائدات ، وكلما قلت الرسوم وانخفضت زادت العائدات الضريبية ، فإن العائدات تزداد تلقائيا من خلال الازدهار التجاري ، ومن خلال تجنب الضرائب الفاحشة التي تعيق حركة الانسان وإبداعاته ، فكلما انخفضت الرسوم والضرائب تصاعدت الطاقات والرغبة في الابداع ، والعمل لدى المواطنين ، مما يساعد على نمو المشاريع ، واتساع حركة العمران المدني

أما إذا كانت السياسة الضريبية في غير محلها ، وليست بناء على خطة مرسومة ، فإن النتائج تكون على حساب التقدم العمراني ، تكريسا لأسباب الانحدار التي تحرم ـ مستقبلا ـ الحكومة من عائدات إضافية ، كان بالامكان جبايتها والاستفادة منها إن ابن خلدون ضد العشوائية في هذا الموضوع الحساس والحرج ، لكنه يدعو دائما إلى نظام مثالي موضوعي في قضية الضرائب ، ونستطيع القول ان نظرية « لافير » الضريبية ليست إلا تجمعا منسقا لأفكار وآراء وضعها ابن خلدون في القرن الرابع عشر

الملكية الخاصة

لقد كان ابن خلدون من أنصار الملكية الخاصة للانسان ، يدعو دائما لعدم التعرض لها بأي شكل من الأشكال ، لأنه يعتبر ذلك إهداراً للحوافز الفردية ،

وخنقا لها ، مما يؤدي ـ في النهاية ـ إلى الانهيار التام للنظام ، كما يعتبر نزع الملكية أشبه بعملية انتحار ذاتي وجماعي للنظام نفسه ، لأن ذلك ـ حسب مفهومه ـ يعتبر شكلا من أشكال القمع والاضطهاد والتخريب الاقتصادي

كما كان لابن خلدون أيضا إسهامات كثيرة في نظرية المال ، فالمال في نظره لايعني الثروة إطلاقا . كما أنه ليس شكلا من أشكال الغنى ، بل مجرد أداة ، يستطيع الانسان بها اكتساب الكثير ، وكان ابن خلدون أول من عرف الوظيفة المالية كقيمة معيارية فقط

إن (الليبرالية) الاقتصادية الحديثة التي تنسب إلى آدم سميث ماهي ـ في حقيقتها ـ إلا صورة محددة لفلسفة حرية الاختيار التي نادى بها ابن خلدون قبل « سميث » بأربعة قرون ، والغريب أن آدم سميث لم يتطرق في كتاباته إلى ذكر اسم ابن خلدون كأحد الذين أخذ عنهم أو اقتبس منهم رغم أن كافة الشواهد التاريخية تقول بحتمية تعرفه عليه ، سواء أثناء عمله الطويل في مكتبة (اكسفورد) مدة ست سنوات ، قضاها باحثا منقبا ، وهي مكتبة حافلة بمنجزات الفكر الانساني القديم ، أو عن طريق أستاذه « فرانسيس هاتشسون » في جامعة « جلاسكو » ، ـ حيث تخرج سميث ـ وكان أستاذه متأثرا في « انتوني اشلي كوبر » أحد أعمدة حركة التنوير (الليبرالية) في القرن الثامن عشر التي قامت ـ أساسا ـ بطريقة أو بأخرى على أفكار ابن خلدون

وقد يكون عذر آدم سميث أن العادة القديمة في النقل أو الاقتباس كانت تكتفي بذكر الأفكار دون نسبتها إلى أصحابها ، أو لعل الحروب الصليبية قد أحدثت تلك الجفوة أو العداء لكل اسم عربي مسلم إنه من المستحيل أن يكون مفكر كآدم سميث جاهلا باسم ابن خلدون، أو لم يسمع به ولو مرة واحدة في حياته ، خصوصا بعد جولته الثقافية الأوروبية ، والتقائه برموز الثقافة العالمية آنذاك ، أمثال « كويسني » ، ذلك الفيلسوف الفرنسي الذي يذكر التاريخ مدى تأثره بأفكار ابن خلدون ، ويحق لنا التساؤل عن سبب عدم وصول اسم ابن خلدون إليهم خلال الهيمنة العثمانية على جنوب شرق أوروبا التي بلغت أوجها خلال القرن السادس عشر ، أو على الأقل من خلال الجسور الثقافية المعروفة بين أوروبا ومصر التي أصبحت جزءا من الامبراطورية العثمانية عام ١٥١٧ م

وأخيرا بالرغم من أن آدم سميث لم يذكر اسم ابن خلدون من قريب أو من بعيد لكن أفكار ابن خلدون الاقتصادية تبقى هي الأسس الأولى لعلم الاقتصاد التقليدي ، والنظريات الاقتصادية الحديثة ، فقد كان ابن خلدون أبا لعلم الاجتماع ، وكان أيضا ـ كما يقول المؤرخ « ارنولد توينبي » ـ الرائد الذي لم يسبقه أحد في الميدان الفكري ، فلقد استطاع ابن خلدون من خلال مقدمته لتاريخ العالم أن يدرك فلسفة خاصة لعلم التاريخ ويحددها ، وهي تعتبر ـ بحق ـ أعظم إنجاز فكري من نوعه في العالم ، لم يسبقه في هذا المجال أي مفكر آخر في أي زمان أومكان ، من خلال إحساسه العظيم ، ومن خلال معرفته الدقيقة بالتاريخ جنبا إلى جنب مع ملاحظاته المجهرية الدقيقة للرحال والأزمنة والأماكن ، فقد استخدم ابن خلدون أسلوبا تجريبيا ملهما في تحليله للأفكار الاقتصادية الأصيلة وصياغته لها ، وإن عمق إسهاماته النقدية لمفهوم القيمة وعلاقتها بالعمل ، وتحليلاته لنظرية التراكم الرأسمالي ، ومدى علاقتها بنهوض الأمم ، وانهيارها ، وآرائه الجادة في (ديناميكية) العرض والطلب والأسعار والأرباح ومعالجته لمواضيع المال ، والدور الحكومي المطلوب ، وكذلك نظريته الخاصة بالضرائب ، هذه المفاهيم الرائدة ـ كما يسجلها التاريخ ـ تجعل ابن خلدون ـ بحق وبجدارة ـ أبا لعلم الاقتصاد أيضا .

هل أدب العبث

بقلم : فتحي رضوان

ليس هناك نشاط انساني أكثر تفاعلا مع حياة الناس من الأدب بصنوفه ومختلف أساليبه ، فالأدب هو ثمرة انفعال بما يضطرب فيه الناس من آلام ومشكلات ، وما يخالج نفوسهم من آمال وأوهام ، وما يساور تلك النفوس من طموح وأشواق ، والأدب في الوقت نفسه مؤثر كبير الى أقصى الغاية في حياة الآدميين يحاول أن يصوغها ويغير فيها ، وهو إن نجح بقي أثره في عقول الناس وأفكارهم ، وإن فشل بقيت محاولاته تصاحب الانسان في نومه ويقظته ، توحي اليه ، وتهدي خاطره ، وتثير شجونه ، فالأدب امتداد للحياة وانعكاس لها وصدى لضوضائها .

وأدب العبث هو أدب من الأدب ، لا يختلف عن الأدب في كله وجزئه ، الرائج منه والكاسد ، والمحبوب والمرفوض ، والمعروف والمجهول . لكن ، هل هو أدب لأنه يصطنع أس يب الادباء ، وينهج مناهجهم ، ويحاول محار نهم ، أم لأنه يحتوي على مضمون الأدب ، ويط م بين دفتيه جوهره ؟

الأ ـ صورة الحياة

، أدب وإن اختلفت التعاريف ، هو صورة الحيا وعاولة مضينة للوقوف على سرها ، واكتناه حقيقة ، وتفسير غوامضها ، وتبرير متناقضاتها ، وهو محاولة للاستزادة من قوة الحياة ، والنجاة من الميل لرفضها ، أو الاستهانة بها أو الاقرار بعدم جدواها ، وباستحالة فهمها ولكنها محاولة مقترنة بالابتعاد للانصراف عنها وتبرئتها والتنكر لها ، واتهامها بالعبث والفوضى . والأدب بين الاتجاهين ، يخرج روائعه ، ويقدم للناس مفاتنه ، ويستحثهم للثبات والتشبث بالأمل ، كجذوة نار تتقد في يده وتشتعل في قلبه ، وهي نار تقوى ولا تضعف ، وتستحث الخطا ولا تُيئس ، وتدعو الى مزيد من التأمل والتفكر ، ولا تبعث على القنوط وحب الهزيمة .

ولكن ما الذي أفضى بنا الى (أدب العبث) ؟ هل اضطربت الصلة بين النفس الانسانية والأدب كوسيلة للتعبير عنها ؟ أم أن النفس الانسانية اضطربت فأصبح من العسير أن تصدر نتاجا يتسق مع القوالب الموروثة ، والصيغ المألوفة ؟ أم أن الدنيا دخلت في دور جديد ، يختلف تماما عن السابق من عصور دنيانا ، حتى أصبح كل ما ورثناه وانتقل الينا عن الآباء والأجداد لا يصلح لما خلق له ، ولا ينفع فيما عرفه وحفظه ؟

والجواب عن هذا السؤال ، ليس بالشيء السهل ، لأن له قصة طويلة صاحبت تاريخ الانسان منذ البداوة الاولى ، والانسان بعد لم يتحضّر ، وكان كل ما يصدر عنه قريبا مما يصدر عن الحيوان فعيشه في كهوف شبيهة بكهوف الوحوش ، وكان عاريا يسترسل شعره حتى يلامس كتفيه أو يصل الى منتصف ظهره ، ويأكل طعامه نيئا فلما خطا خطواته نحو بدايات الحضارة ، بدت الفوارق ، ولاحت بوادر المجتمع ومواصفاته لقد كان الانسان الاول شاعرا بالغربة في هذا الكون الذي لا يكاد يعرف شيئا من ظواهره التي تدهشه حينا ، وتقذف في قلبه بالرعب والخوف أحيانا فالوحش يخيفه ويتهدده ، والبرق والرعد والعواصف وسيول الامطار ، كلها تؤكد له ضعفه وعجزه ، واستعصاء الطبيعة التي يعيش في جوفها عليه ، فكان الخوف اعظم مشاعره ، والرهبة من الكون أوضح احساساته ، وطلب الحماية والأمن ، أعظم حاجاته

فلما تخلق المجتمع ، وبدت بوادر طبقاته ، كان أعظم نشاطه متجها الى إدراك مقتضيات هذه الطبقات ، ومضت قرون طويلة ، حتى تكامل المجتمع ، وأصبحت هذه الطبقات جزءا من نظامه ، وحاول الانسان أن يتحرر من تلك الطبقات ، وارهقت هذه المحاولة جوارح الانسان وأطلقت طاقاته ، وكلما ازداد ألفة مع الكون وخصائص الطبيعة ، زاد رغبة في التحرر من هذه الطبقات ، وخلق أوضاعا تزيد من قدرته على الحركة والابداع ، والتحكم في الطبيعة ، واخضاعها لارادته ، وظهر بداءة بعد شيوعه بزمن طويل ، نظام رأسمالي ، فبدأ الانسان يتكيف مع هذا النظام ويتمتع بنتاجه الوفير ، وبما يمنحه الانسان من وسائل تخفيف خضوعه للطبيعة وتطويعها لارادته

القانون وسيلة جديدة

توالت تطورات الاقتصاد الانساني وأنظمته المختلفة ، وازدادت حركة الانسان ، وتعاظمت ثروته ، وتأكدت سيادته وزادت الفوارق بين الطبقات ، ووصل بعض هذه الطبقات الى الثراء الفاحش ، والى الترف الباذخ ، وحاجته الى عمل عدد أكبر من أصحاب المهارات اليدوية، والطاقات الجسمية ، وأصبحت عبودية الانسان لفريق من الناس عرف كيف يستزيد من القوة والثروة والنفوذ،وظهر القانون وسيلة جديدة ترسم حدودا، لأناس بعينهم ، ونشأت الحكومات ، وازدادت قوتها وغلبتها ، وأصبح القانون وسيلة قهر تغني عن القوة البدنية التي لجأ اليها الانسان أول الامر ، ولم يعد القانون أمرا فرديا يصدر من انسان لانسان ، إذ اختفى الانسان الذي يصدره ولم يعد أحد يقابله ، أو يناقشه أو يستفسر منه عن غايات القانون وأهدافه ، وكأن القانون يخرج بفعل ساحر ، فالانسان يستيقظ في الصباح ، فيعرف أن هناك أشياء أصبحت محرمة ، وأشياء يحرم الانسان من الاستمتاع بها ، لسرّ غير معلن ، وسبب غير مفهوم وأدرك الانسان أن هناك شيئا جديدا قد وصل اليه ، هو المدنية . وعرف أن أول ما أصابه من هذه المدنية هو خضوعه لقوى خفية ، أكثر سلطانا عليه من الطبيعة برعودها وبروقها ، وزلازلها وبراكينها ، انه لا يرى من حوله إلا أناسا مثله يخضعون لهذه القوى وإن كانوا يشكون من بطشها ، ومن

اورها للحدود التي أعلنت في السابق أنها حدود
ِسة ، وكان لمجاوزها جريمة عقابها في أحيان كثيرة
م الرقبة بالمقصلة ، أو إزهاق الروح على المشنقة
وأدرك الانسان أن الحكم ضرورة لا غنى عنها ،
، العيب ليس في فكرة الحكم إذ لا تستقيم حياته
غيره من أشباهه وأنداده من البشر إلا بسلطة
لوه وتعلو غيره ، لا لتبسط سلطانها ولا لتقود
اس كالاغنام بل لتوفر لهم الامن ، وتقوم عنهم
طائف لا يمكن أن يقوموا بها جميعا ، اذ لا مفر من
ختيار أناس للنهوض بها ، إنما العيب كامن في أن
لذي يختار للحكم يسلح بسلطة ، وجهها ضد
ناس ، حتى يألفوا الخوف منه والاذعان له ،
عدها يأخذ لنفسه أكثر مما يحتاج ، وبعد قليل
صور هذا الحاكم أنه من طبيعة مخالفة لطبيعة
محكومين ، وأن السلطة ميّزة يستحقها ، وعندها
أ كفاح طويل،الغاية منه الوقوف في وجه الحكام
وسائل عديدة ، وفي مواضع مختلفة ، وكان الادب
معظم أسلحة الانسان في هذا الصراع الدامي
لطويل ، وما زالت المعارك تتوالى ويكتب فيها
لانسان النصر حينا والهزيمة أحيانا ، والأدب يأخذ
مكانا عاليا جدا في القتال ، فهو يسبقه ويمهد له
طويلا ، ثم هو يذهب مع الانسان الى معارك هذا
لقتال ويبقى معه يثبته إذا ضعف ، ويزيد أمله إذا
ئس ، ويبشره بالنصر إذا قاوم ، فإذا انتهت المعركة
ىور الانسان ، سجل هذا الفوز ، ولا يلبث حتى
ياوده الحنين الى القتال ليرى ان ما حصل عليه
لانسان شيء قليل ، فيدعوه الى صراع جديد ،
ستعد ، ويغريه به ، حتى يحسب الانسان
سانه ، تدى درعه ، ويمتطي حصانه ، فيلازمه
دب لا عه لحظة ، وبعد معارك طويلة ،
ىلدة ... دة ، قنع الانسان من حكامه بنظام
ماه (الديم طية) . وهي ليست نقضا كاملا
لكم ، ولا غا لقواعده ، ولكن هي قواعد
سوعة من ... لا هي من الحديد أو الصلب ، ولا

هي من المطاط ، إنما هي شيء بين بين متينة
كالصلب لا تقتلع ، ومرنة تتسع لما يجد من الاوضاع
والحاجات

وظن الناس أنهم قد وصلوا الى الغاية وأنهم
يستطيعون الاكتفاء بها

ويعود القتال من جديد

ولكن الأدب لم يقلع عن عادته ، فهو لا يهدأ
أبدا ، وكلما رأى الانسان راضيا قانعا ، لم يزل به
حتى ينفره من الوضع الذي هو فيه ، ويكرهه في
القواعد والانظمة التي ركن اليها حتى يدفعه الى
قتال ذي معارك وفي هذه المرة تكون المعارك أكثر
ضراوة ، والخسائر أعظم فداحة ، ذلك لأن
المتقاتلين الجدد بعد عهدهم بالبداوة وبحروب
السيف والخنجر والسهم والحربة ، فقد جدت
صنوف جديدة من الاسلحة ، تبيد المدن ، وتدك
الحصون ، وتقذف بأسباب الهلاك من السماء ، فإذا
مئات الالوف قد فارقوا الحياة ، ومئات الالوف
صرعى أشبه بالموتى ، فقدوا قدرتهم على السير أو
الحركة

وكان حافز الانسان للقتال أنه اكتشف حقيقة
مروعة ،وهي أن نظام الحكم الذي قاتل البشر من
أجله أحقابا متوالية ، حتى ثبت له المقام ، لم يكن هو
ما تمناه إذ تبين الناس أن الحرية التي منحها لهم هذا
النظام البديع مفتوحة ، فالديمقراطية ، لا تمحو
الفقر ، انما تساوي بين الناس ، ولا شأن لها
بأرزاقهم ، فقد يتساوى الناس في الفقر ، وقد يكون
لكل فرد في ظل هذا النظام الجديد صوت في إدارة
بلاده ، ولكنه لا يمنح طعاما ، ولا يكسو عريا ، ولا
يمحو جهلا ، ولا يشفي من علة ، ونشأت أنظمة
جديدة حاولت أن تساوي الناس في الرزق ، وتوفر
لهم مسكنا طيبا ، وعلاجا مضمونا ، ومدرسة
بالمجان ، ولكن بقي الناس ، أشقياء ، ورأوا أن ما
أخذ منهم لتشتريه الدولة مدافع وطائرات وتصنع به

مخلوقات عجيبة اسمها غواصات ودبابات ، هو أكثر مما ينفق على طعامهم وشرابهم ، وكسوتهم والترفيه عنهم .

وجاء الادب - كعادته - ليزهدنا في هذه الحياة الجديدة ، وليدعونا لان نلقي بالسلاح كله في البحر ، ونقيم حكما يجعل الحروب بين الشعوب ، بلا موضوع ولا جدوى ، ولكن فوجيء البشر ، أن الحرب التي كانوا يخوضون معامعها في الماضي قد استحالت، إذ ان الحرب أصبحت تسمى (نووية) ، وأصبح السلاح النووي قادرا على أن يمحو البشرية كلها في دقائق قنبلة من هنا وقنبلة من هناك ، وتصبح الانسانية عدنها وحضارتها وفنونها وعلومها أطلالا تنعق عليها الغربان والبوم دقائق ثم تموت بدورها

استحالة التغيير

ماذا يفعل البشر إذن ؟ كانت الحرب وسيلتهم للتغيير ، وقد استحالت هذه الوسيلة ، فماذا تكون النتيجة ؟ النتيجة هي أن يبقى كل شيء على حاله والتغيير لن يزيد عما يعرفه رجال الرياضة أي (محلك سر) !

كان الادب المتجدد الرغبة في التغيير لا ينقطع عن الكلام الجميل ، شعرا ونثرا وقصة ورواية وزجلا وخطبة ، لأنه لا يطيق الركود ولايحتمل الجمود حتى الأشياء الجميلة لا يقنع أو يكتفي بها فالجمال في رأي الادب وراءه جمال أعظم ، والأثر الرائع يمكن لتجاوزه الى ما هو أروع وأعظم .

ولذلك كانت صدمة الادب هائلة حينما علم أن حالة جديدة نشأت اسمها توازن الرعب ، أو التوازن النووي . وان مؤدى هاتين العبارتين ، أن قوى التغيير لابد أن تسلم بالامر الواقع ، وأن تدرك ان عملية الاهابة والاستحثاث والتحريض أصبحت مستحيلة ، فليس وراء تحريض احدى القوتين الكبيرتين التي تملك قياد الأمور ، سوى حرب نووية ، وحرب نووية هنا معناها حولة سر... ة عابث السرعة من التخريب والتدمير تحمل نصف ...عالم كما سبق القول اطلالا ليس فيها آدمي ، ولا ...ى من طوبتين ، ولا شجرة مورقة ، ولا زهرة يانعة ، ولا تمثال قائم على قواعد ، ولا نهر ولا بحر ولا جدول ، فالمسطحات المائية ستغرق ما حولها وما الى جوارها من عمران ، يصبح طوفان نوح جزءا من طوفان الحرب الذرية ثم تأتي من الجانب الآخر قنبلة ذرية لا يطلقها آدمي ، بل تنطلق من تلقاء ذاتها ، كأن عفريتا من الجن بقي على قيد الحياة ، ليطلق القنبلة الاخيرة ثم يكون ختام الدنيا ونهاية البشرية

الحرب الذرية والحرب المحدودة

اذن وصل الانسان الى طريق مسدود ، إذا ما ساورت خياله رغبة في تغيير هذا العالم ونقض قواعده

فالحرب شبه الذرية التي وقعت بين البشر ... سبتمبر سنة ١٩٣٩ واستمرت حتى مايو سنة ١٩٤٥ كانت آخر الحروب العالمية التقليدية ، وأصبح المتاح للانسان الذي كانت الحرب وسيلته المفضلة للتغيير وقد غير فعلا مرارا بهذه الوسيلة التي كانت أول الأمر تجري خارج المدن ، وكأنها مباراة كرة قدم في ملعب ، ثم دخلت المدن في المجزرة البشرية الاخيرة فكانت مأساة مروعة لم ينجح كاتب في وصفها فقامت أشرطة الصور المتحركة بتسجيل هذا الجنون البشري المروع ، ثم ختمت بقنبلتين نوويتين على مدينتين في مكان اعتبر نائيا يومذاك ، وهما هيروشيما ونجازاكي ، وقد كانتا مجرد نموذج (عينة) لما يمكن أن تكون عليه حرب القنابل الذرية والصواريخ حاملة الرؤوس النووية ، وأدرك الانسان ... الموعظة وقرر الا تقوم حرب الذرة أبدا ... بالحروب المحلية المحدودة النطاق ، وقد وقعت ... الحروب كلها لسوء الحظ في الوطن العربي ، فكـ... الحرب الايرانية - العراقية ، وحرب لبنان ، و...

.. حرب في أفريقيا هي حرب تشاد ، بعد ان قامت .. ب البوليساريو ولك أن تحسب حرب الابادة .. يهمية التي تجري في جنوب أفريقيا هي أيضا من .. روب المحدودة النطاق

ولكن للأسف هذه الحروب لا تحقق التغيير على .. جه الذي فعلته الحروب العالمية ، لا في السياسة .. نون الحرب فحسب ، بل في الجراحة والطب .. الصناعة والمستوى التقني ، بل في الأخلاق والتربية .. الفنون أيضا ، ولهذا كله سكت الادب .

استغفر الله ، لم يسكت الادب بل استمر .. كلم ، ولكن ماذا يقول ؟ لم تعد هنا لغة يمكن أن .. يهمها الجميع ، كلغة الحرب التي تحدثت الى البشر .. رات عديدة وكانت لغتها آية في البلاغة والاقناع .. التأثير ، فقد تولى ترجمتها الادب الناطق قصة .. قصيدة ، والفن الآخذ بالالباب لوحة أو بناء .. معماريا ، وأفكارا فتية لم تتجسد بعد .

نطق الادب باللغة التي تتناسب مع هذه الحقيقة التي تخرس الالسنة وتكتم الاصوات النتيجة القاتلة : لا تغيير بعد اليوم ، فالعالم تحرسه الان وسائل الهلاك التي تحصد الدول والشعوب والمدن والقارات ، فماذا إذن يقول الادب ؟

لم يبق الا هذا الذي نحسبه عبثا . والذي يبدو في الفن التشكيلي فيما نسميه التكعيبية والقرمزية ، وما تلا ذلك في الفن بالطبيعة حتى دخلنا في مرحلة العبث .

هذا العبث هو لغة الادب اللائقة بالانسانية بعد الوصول الى مرحلة توازن الرعب ، أو توازن الذرة ، إنه كلام يتصور صاحبه الخراب الذي ينتظر العالم عند أول قنبلة تنطلق فهو كلام الرعب المحكوم عليه بأن يبقى في القمقم ، الرعب الذي لن يبقى بعده قلم ولا ورق ولا صورة ولا تحفة ، بهذه اللغة التي نعدها هذيانا يعلم الله وحده هل سيفك طلاسمها ويحل غوامضها الجيل الذي قد ينجو من الحرب الذرية ؟ ولعله الجيل الذي سيبدأ من البداية أنا لا أعني أدبا بعينه ، فليس في خاطري صمويل بكيت ، ولا يونسكو ، ولاكافكا ، ولا براندللو إنما هو أدب العبث ككل ، كظاهرة ، كتطور له أسبابه ودواعيه . أدب كأخطر ما يكون الأدب ،وكأبلغ ما يكون التعبير ، ولكن الذي يعبر عنه غير مفهوم الآن ، وقد يبقى غير مفهوم إلى ان تقع الحرب الذرية وينجو منها حفنة من الناس فهل يحدث هذا ؟؟؟ □

برنارد شــو وتعــدد الزوجــات

● في المقدمة التي كتبها شو لمسرحية الاستعداد للزواج ، وناقش فيها قضية الزواج من جميع وجوهها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والجنسية ، حاول شو أن يدلل على صحة نظرياته بقوله ولو أن حربا ما قضت على ثلاثة أرباع الذكور في بلادنا ، لوجب علينا في تلك الحالة الأخذ بالطريقة الاسلامية التي تبيح للرحل الزواج من أربع نساء هذا اذا أردنا أن نقي أمتنا خطر الانحلال والفناء ، بينما على العكس لو قضت الحرب على ثلاثة أرباع النساء لوجدنا أنفسنا في مأزق حرج يهدد كياننا ووجودنا ، ومن هنا جاء مصدر النظرية الأساسية في عدم الزج بالنساء في ميادين القتال ، بدافع حفظ النسل لا بدافع من عواطف الشرف والفروسية كما يدعي عامة الناس

والحريــة

[illegible]

[illegible] البلد

وأنا [illegible] التي تصبح من بعد

[illegible]

أو أنا قد تجاوزنا حيث القيد والقضبان ،

والقهر وأحزان المنية

واخترقنا الحاجز الماثل ما بين ارتعاش الظل ،

والنفس الحزينة ،

فـإذا نحن صغيـران ،

كـبيران ، بحجم الكون .. نجتاز .. ونعبر .

ألأني حين أحببتك .. أحببت جناحين يطيران ،

فلا تجسر ريح أن تقاوم ..

لا ، ولا عاصفة مسكـونة بـالرعـد يومـا ، أن

تصادم .

لا ، ولا قضبان هذا العالم المملوء جورا ، وقتامة

أن تزاحم .

ألأني حـين أحببتــك ،

واجهت جحـيمي ، وتنفست نسيمي ،

[illegible] التي [illegible]

عندما يهل هذا الكوكب الأسى

فأنشق حجازا وتهامة ،

برزخي أنت

وفي دربك من عمري علامة .

كيف ألقاك هروبا وانهزاما ؟

وأنا الضارب في الارض ،

بهذا الحب أقوى ،

بهذا الفيض أبقى ،

ساريا في عبق الطين دما ،

صاعدا في ألق الجو غمامة ،

ذائبا في النيل ، شطّآه امتداداتي ،

نداءاتي موجاتٌ « سجينات »

وروحي في قيود الأسر ،

تحليقٌ مدمىً ، وارتطامه ،

داخلي ذرٌّ من الصحراء ،

ممزوج بطمي النيل ،

* * * *

ولكنْ

ما الذي يبقى من العمر

إذا ماكان هذا العمر سجنا ،

والمدى المسدود حبنا ،

والربيع الطلق حزنا ؟

ولكن

ما الذي نصنع بالحب اذا كان اغتيالا للحلايا ،

وانطفاء للذي يلمع في عين الصبايا ،

وانغماسا في سراديب الحكايا ؟

دون أن يرتجّ فينا كل بركان الحنايا ،

نرى الميلاد في قلب المنايا ،

والمدى المنسوج من عزف الشظايا ،

والغد الطالع من عُرس النهار ،

ساطعا ، بيّان ،

أو منكسرا فوق المرايا ؟

* * * *

مالل ي يجعل صحراءً إذا امتدت حوالينا بساتين

ورْ ؟

أمطرت في سنة العين عواصف انعطاف ؟

ما الذي يطلق في دجو أعاصير الطريق

عاصفا مشتعلا بالصبوات ،

يتخطى كلّ ذرات الرمال الهوج ،

مدفوعا الى عينيه ؟

غاصت فيها ومضة حب واختطاف ،

تعبت أسئلتي . . فلتتوقف

إنني أعرف مابعد لماذا . .

ولهذا . .

كلما امتدت ذراعاي . . وأوشكتُ ،

تناءيت

تناءى الحلم ، وازداد الغد المأمول بُعدا .

آه لو تدرين آه ،

إن كيمياء الشرايين تزيد القلب صهدا ،

أمطري ياغيمتي نارا وشهدا ،

إن لي في مقبل التاريخ وعدا ،

إن لي في فحمة النيران وقدا .

وأنا المشدود كالأوتار ، كالاعصار ، كالتيار شدا .

ولقد قاربت جدا

إنني قاربت . . جدّا !

بمناسبة مرور سنة على وفاة عـاصي الرحباني

هذا الثالوث الماسي الذي انكسر !

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

ماذا يقول الكاتب والصديق والمؤرخ .. عندما يفقد صديقه الفنان . لنقرأ .. هذه التذكارات .. ففيها صوت وصدى أنغام ما زالت تغمر أرواحنا بالفرح أو ما يشبه الفرح .

عن عاصي الرحباني ، وكُرمى لعينيه اللتين غابتا الى الأبد ، أكتب

وان كنت لا أستطيع أن أصدق لا أحرؤ أن أصدق هل غاب حقا ؟ ومنذ عام ؟ إن الثالوث الماسي فيرور - عاصي - منصور الرحباني ما يزال يعيش ، يتوهج ، يغني في كل بيت على كل لهاة عند بوابات المدن العتيقة ، وفي ساحة الضيعة الملفوفة بالغيم فكيف ينكسر هذا الثالوث ؟ كيف يموت بعضه ؟ قد يكون الجسد هو الذي انكسر ولكن هل تنكسر الروح ؟ ونظل لا نصدق الواقع .. حتى تنكسر الجباه على صخرة الواقع !

وتعود بي الذكرى الى بعض أيام سنة ١٩٥٠ باقة من خمسة أو ستة أصدقاء في حلقة الشعر يتطاير فيها كالفراش الملون والحديث المعجون بالغناء ، والضحك ملء الصدر ، ودندنة العرف باقة أصدقاء باعوا أعمارهم كلها لقمرٍ مجروح وهمسة حمال ويصمت الجميع فجأة الفتاة من بينهم تغني ما كان في جسمها المعروق ولا في وجهها الحجول الحزين ما ينم عن الصوت الملائكي الذي حين ينبعث منها يحولها الى كائن أثيري يشف يشف حتى يكاد يغيب صوت فيه كل [illegible] العليق البري والزعتر الجبلي والبلوط العتيق وراء [illegible] التراب الحي وفيه ما لست تدري من [illegible]

● فيروز

● عاصي الرحباني

● منصور الرحباني

الكـاري والكـرواں والشحـرور أم من همس السموات العلي ؟ أم صراخ الأرض

« وبتحس عـاصوت الصـدى المـربـاں

« وديان عم تركض ورا وديـاں »

كل دلك في أعنية مختصرة لأربع دقائق أو خمس الساعة من النشـوة كالبـرق وتنتهي الأعنية دفقة من السعادة والوجد تصلك بسدرة المنتهى لحظة ثم تختفي . وكنا نبهت لينابيـع الفرح الـداخلي بعمرنا فلا نصفق ولا نتكلم ولكنا نتـأمل في صمت ولا ندري ما نقول ! أربعة أمور من تقاليد الأغنيـة الكلثومية كانت تتحـطم مـع هـده الفتـاة الحـول الـطول ، والنعم التقليـدي المكـرر ساعات والكلمـات المـألـوفـة حبي ، قلبي ، العذاب ، والسقم ، وسلبية الحب ! وأخيرا الخروج من الغناء الطبقي ، غناء الآذان المحملية الى الغناء الشعبي للجميع ! طعم الأغنية كان جديداً كله !

وتحمسنا لهذا اللون الجديد الذي يُلتَهم كالشطائر في نصمتين ، ويخلف من الفرح المتدفق ما لا ينتهي ! وكتبت يومها بحماسة عن القادمين الجدد ، ويبدو أنا لم نكن وحدنـا الذين ننتـظر هؤلاء القادمين . الوطن العـربي كله كـان ينتـظر ! ومن هنـا انطلقت فيروز . لكنهـا لم تكن صنع نفسهـا كانت ركنا في ثالوث ماسي .

منصـور الرحبـاني يكتب الشعـر ، ويشتـرك في اللحن . وأي شعر حلو ؟ !

عاصي الرحباني يصنع اللحن ويشترك في الشعر وأي لحن حلو ؟ !

وفيروز حداد تطلق الأغنية حتى الملائكة !

وأي صوت ؟ !

المؤثرات الأولى

سلخ الثالوث نشـأته الأولى بين الشويـر وعين السنـديانـة وانـطلياس بلدات صغيـرة تنتشر كالأزهار على السفوح الحلية اللبنانية ذات الحصرة السوداء ! مطلة على زرقة البحر وزرقة السماء ولا شيء غير ذلك سوى ما تختزن الذات من الأسـرار وعصف الجمـال لم ينبـع الشعـر ولا اللحن ولا الحنجرة الذهبية نبعا عفويا في هذا الثلاثي قبل ان يختـار الأخـوان رحبـاني المستوى العـام لشعـراء وأصحـاب الألحـان ، وقبـل ان يصقـلا الصـوت الفيروزي صقل الماس ، وقبل أن يقدما أي عطاء ، كانا قد قطعا أشواطاً بعد أشواط من المعاناة والتجربة والقـراءة وحرق الأعصـاب لم يجاوزا الصفـوف الثانوية الأولى في الدراسة حصبهما الـداخلي هـو الـذي دلهّما عـلى الطريق وسلكـاه راكضين دون إخوتهما الآخرين القسيس الذي علمهما ألف باء المـوسيقا في الكنيسـة علمهما معهـا أسرار الـوتر القراءات المكثفة التي عكفا عليها في الادب والشعر أعـطتهما الاداة ، ولكنهما تعلما الشعـر نفســه من الحسون والقنطرة العتيقة وأدغال العليق اللحن

الشعبي الذي خالط منها الدماء والأعصاب علمها التمرد على الموال والعتابا والميجانا المكرورة غير أن كل ذلك لم يشفع للأخوين عند أبيهما ، صاحب المقهى في فوار انطلياس الذي كان يتباهى ببطولة الجسد أكثر مما كان يهمه تثقيف أولاده ، ولم يشفع لهما لدى الحكومة حين كبرا لم يظفرا منها بأكثر من وظيفة « حلوار » بلدية ، أي شرطي محلي لمراقبة القمامة وبروز الشرفات ومخالفات البناء ! وكانا يدندنان وهما يجمعان ضريبة الرصيف في انطلياس وقد ينسيانها ان التقيا بصوت يطلق سحبة ميجانا من الصميم ! تمتد من الوادي الى البحر وكان الشعر والنغم دانيين ومن حواصر البيت وقد عرفا بالحس الجمالي الرهيف الرائع ، ان غابات البلوط والصوبر وحقول العصافير المملوءة « بالحلول » و « كبوش » التوت ما تزال تختزن مع الميجانا والعتابا لحونا أخرى ما تزال في ضمير العيب ، تنتظر من يفجرها

ومن رائحة « الطيون » وعلى ورق التين والجور العتيق كان الشعر يكتب ، والألحان توضع ، والأغنية تنطلق تركض ، تعربد ، صَبيَّةً تتوهج من بيت لبيت ، لتمشي فيما بعد في أزقة المدن العربية كلها !

مولد الحب بين قلبين

شبابا صغارا كنا في الخمسينيات الأولى ننتقل من دمشق الى بيروت لنحضر ميلاد كل أغنية ، أي أغنية ، لنستمع الى أغنية من خمس دقائق لكن كنا نتناقش فيها أياماً وذات يوم كنا في بيروت في غرفة التسجيل تحت المسرح ، نستمع مع عاصي لأغنية جديدة وانطلقت الأغنية كانت فيرور تغني ولكن عاصي قاطعها مرة واثنتين وثلاثا وطلب الاعادة مرة ومرة ومرة ومللنا لم نجد فيها ما يستوجب الاعادة وانفلت عاصي من غرفة التسجيل وصعد المسرح وأقبلنا نستمع رق الصوت حتى أصبح له هسيس الملائكة ، ودبيب الربيع في الشرايين فاجأتنا الروعة العد كله رف رفيف الحرير ! كأن فيروز أخرى غير الأولى هي التي كانت تغني الآن ! وخرجتُ الى المسرح أنظر ما الذي تبدل ؟ فاذا عاصي أمام فيرور يلوح بعصاه الموسيقية ينظر في عينيها وتنظر في عينيه وهما في عالم آخر ! هكذا كانت تولد أغنيات فيرور والأخوين رحباني ! من مولد الحب بين قلبين !

طريق مسدود

وذات يوم من صيف ١٩٥٤ علم الرحبانيان أن في مؤتمر الأدباء الأول في بيت مرى وجاءا عاتبين واضطررت الى ترك المؤتمر مع أبي أحمد مطمب لأرافقهما الى بيروت وحمما الفرقة التي ألفاها في تلك الفترة لتعرف سمفونية تجريبية يضعانها وكنت في المسرح المستمع الوحيد وتناقشنا في التجربة التي كانا يحاولان فيها طريقا جديدا ولم نرض عن التجربة كانت في بعضها تقليدا ، وفي بعضها الآخر محاولة توفيق ! ولم يعد الأخوان اليها بعد ذلك عبرا الطريق كله طريق التقليد العربي كان الطريق المسدود ! السمفونية لا حدود لها فينا ، ولم تؤثر والصوت الأوبرالي العربي صوت مصطنع وانما يهزنا الصوت الذي يتردد بين القمم والوديان والذي « يتعمشق » كالأزهار البرية على السفوح للشمس والنور الضاحك واكتفيا بالغنى من اللحن الشعبي العريق ! لا يأخذان من ألحان الدنيا الا ما ينسجم معه هكذا كانت تولد لديهم الألحان بنت الأرض التي يعيشان عليها وصدى لمرح الناس

على أن اللحن لم يطغ لديهما على الشعر عبر حتى الأعماق قيمة الحرف الموسق أدركا قيمة الكلمة الشعرية ، وأنها بدورها متصلة بالأرض وبحياة الناس العاديين وكانا يلتقطانها بموهبة عجيبة عاصي يصطاد فكرة فيكملها منصور ويضع منصور شطرا ، فيكمله عاصي ويزيد عليه أشعارهما الأولى كالأخيرة ظلت مشتركة ومميزة

بكنا حين نستمع الى الصوت الماسي نعرف أننا
قرب معه للشعر الجديد وقد نحار أي الأثنين أشد
سرا وادا لم يعرف الناس عنها الشعر فلأن قوافيها
من لغو طفل ومن تغريد عصفور » كانت تدوب في
الماء . وتعطي الصوت الفيروزي نكهته الخاصة
بلون عينيه ! واقترح صديق ان نطبع هدا الشعر
وتعهدت على الفور بالأمر وجاءت المجموعة
الشعرية أسرع مما تصورت قرأت ما أدهشني
قضيت شهرين أتردد على الرسام المرحوم أدهم
اسماعيل أناقشه في القصائد والرسوم وكتبت
مقدمة الديوان وأعطيته اسم « سمراء مها » ، على
اسم الأغنية التي كانت قد شاعت في تلك الأونة
حمل اسم فيروز الى كل قلب وهكدا ولد أول
آخر ديوان شعر للأخوين رحباني ! وان كانا قبله
وبعده شاعرين لا أحلى ولا أروع

رحلة الى القمة

وقبل أن يشيع التلفزيون في الستينيات ، ويضع
الرحبانيان جهدهما في المسرحية الغنائية كانا يفرغان
جهدهما في الاداعة المسموعة « أوبريت » مملوءة حنانا
انسانية وشعرا من الشعر وكثيرون ما يزالون
يحفظون من دلك العهد بعضها كانت أكثر عفوية
أبسط ألوانا من العروض المسرحية التي تلت ،
أقل تعقيدا في التوزيع الموسيقي ولكنها كانت
رحلة من مراحل الأخوين في القفز الى القمة

أهو تاريخ قديم كل هدا ؟ بلى ! قد يكون
لكنها ملامح ضرورية لفهم هده الظاهرة التي
سميناها بالأخوين رحباني الربع الأول من هدا
القرن كان فيه سيد درويش الربع الثاني تألق فيه
شـ.. عبدالوهاب وأم كلثوم ، الربع الثالث احتله
ثلاثي « فيروز والأخوين رحباني » الدي حول
الأغنية العربية من مجرد تطريب سكوني الى موقف
.. حي ، الى لحظة سعادة تضج في الشرايين ! قالوا
.. أنهم نزحوا الموسيقا البيزنطية الكنسية الى
.. بية ولكن متى كانت الموسيقا تنتمي لأي
عصر ولأي شعب ؟ ومن دا الدي قال إن الموسيقا
البيزنطية القديمة ليست في جانب كبير منها بنت أرضنا
وبلادنا وناسنا نحن ؟ أليست العبقرية في ان تجدد من
خلال الاصالة التراثية ؟ في ان لا تترك القوالب
القديمة « تقولب » التفتح الجديد وهي تغذّيه ؟
الموسيقا العربية ورثت الكثير عن الموسيقا السابقة
لهده الأرض ولكنها تتعفن إن بقيت في الأكياس
العتيقة تموت ان بقيت في حدود « القدود » و
« الموال » ومدائح الادكار وموشحات ورقص
السماح صحيح ان الأخوين قد يكونان ساقا
الخمر القديمة في زجاجات جديدة ولكن هل سمعتم
بقصة كولومبوس ؟ كشف هدا الرجل أمريكا وعاد
تاركا لأوروبا أنهار الدهب تتدفق عليها نتيجة هدا
الكشف وحسده الحساد ودات يوم كان في الحانة
وسمع قائلا يقول وماذا فعل كولومبوس ؟ انه لم
يزد على أن أبحر غربا غربا حتى وصل ! ولم يعر
كولومبوس أدنه للاستهزاء المرير ووقف على
منصدته وقال إنه تعلم في البلاد الجديدة لعبة
وتحدى من يستطيعها وأتى ببيضة وتحدى أحدا
يستطيع ايقاف البيضة على أحد رأسيها وحاول
الجميع دلك عبثا حين فشلوا أخد كولومبوس
البيضة وضربها على وجه الطاولة فانكسرت ووقفت
على قاعدتها وصاح الجميع

ـ ولكن هذا سهل ، كل انسان يستطيعه !

ـ قال حسنا ! ولكن هل فكر أحدكم فيه ؟

دستور العرب

الاخوان الرحباني حالة غنائية لأنها في الأصل حالة
ايديولوجية ولهما في التحليل الأخير فلسفتهما
الفكرية وموقفهما المميز كانا يعتبران أن الأغنية
أفضل حالة ايديولوجية ، وان الفنانين هم فلاسفة
العرب وان الأغنية دستور العرب الجامع وكانوا
يهدمون ويبنون الأفكار بمتفجرات من الألحان ،
وبأفكار توغل مع الغناء لتحكي ما تريد للناس ،

وهي تركض عفوا على الألسن ، مقالب مختار الصيعة للاحتفاظ بمنصبه وسيطرته وبالمتملقين،أليست تحكى ، في قالب اللهو البريء ، قصة كل النظم ؟ وحين تغني فيرور

« هالسيارة مش عم تمشي
بدها حدا يدفشها دفشة
بيحكوا عن ورشة تصليح
وما عرفنا وين هيِّ الورشة !! »

أليس يحكي الأحوال في هده الكلمات كل قصة الحيرة العربية ؟ وحين ينطلق صوت فيروز رقيقا كالنسيم حادا كالسيف ، مؤثرا حتى في الحجر

ما في حدا لا تندهي ما في حدا
عتم ، وطريق ، وطير طاير هالهدا
بابهم مسكر والعشب عطا الدراجْ
شو قولكن شو قولكن صاروا صدى وما في حدا !

ألم يكن الاخوان يرسمان مبكرين حالة اليأس التي انتهى اليها الوطن العربي ؟ ما في حدا !

وهل بكى القدس احد ، بكاء الصلوات الخاشعة والأمل البعيد ، كبكائهم وصلواتهم وأملهم
للقدس سلام دائم !
وبأيدينا سنعيد سلام القدس !

أجراس وضمائر

فيروز والأخوان رحباني نقلوا هموم المتعبين والمكدودين من الأزقة الى كل لهاة حاولوا تسويق الهموم الكبرى من خلال هموم الوجوه المعروقة وهمس البسطاء ، كانوا واثقين من ان النذر التي أطلقوها في الأغاني ستظل تقرع الضمائر كالأجراس كلما تحركت الألسن بالأغنية ، وفي كل مكان أليست هذه رسالة الفنان ؟

إنهم أكثر من هذا كانوا ينشرون بين الناس الفرح يقولون · نحن نعاني نعاني من نقص في الفرح . يجب ان يستورد التاجر ، مع الرز والسكر والقمح بضعة أطنان من الفرح لتتوازن الحـ ان في حياتنا من الهموم والبؤس أضعاف ما ء بها من الأمل ويجب أن ينتهي العذاب والسقم والصـ والصبر السلبي من الأغنية ليحتل محلها البهجة وثورة الحياة وعواصف القمم

وأحب الأحاديث الى الأخوين ، والى عاصي بالذات ، حديث العدم والوجود والحياة والموت كان يجد لذة خاصة في العودة مرة أخرى الى « الميتافيزيك » كان يجد فيه ذاته وموسيقا والشعر ، وما وراء الذات والموسيقا والشعر وكان الرمس هاجسه الذي يركض في كل أغانيه ، وحين كان يتمايل كالقصبة الراعشة وهو يسمع الموشحات كانت الأزمان تختلط أمام عينيه أيها السيد زرياب أنت مدعو للعشاء عندنا الليلة ! الأرموي سيكون أيضا معنا وسلامة ! لا تتأخر !

وهكذا اعتمد الثالوث الماسي في موسيقاه ثلاث قيم الجمال أولاً والتراث والعصر وعبَّر عن ذلك من خلال ثلاثة محاور . فولكلور القرية قضايا الناس العاديين ، والشعر البسيط الزحلي في معظم الأحيان أعطوا اللحن الشعبي القروي قيمة عربية ورعوه على الأرض العربية كلها ، باعوه لكل العرب وبذلك فهو ملك الجميع حتى اللهجة العامية اللبنانية صارت لهجة عربية محببة مفهومة بوضوح في المغرب كما في السودان واليمن كانوا يعبرون بذلك عن الرابطة الثقافية التي تشـ الوطن العربي بعضه الى بعض ولم يكونوا يمثلون فترة الأوج في العطاء اللبناني ، ولكن فترة الأوج في وحدة المشاعر العربية فترة عبدالناصر ولم يخلقوا لبنان آخر هو النقيض للبنان الحالي ! ـ ينتحر ولكن وطنا عربيا موحدا آخر تبنيه الأر ـ الموحدة وراء هذا التمرق ، ورغم هذا الـ ـ الرديء ! ويستعينون على ذلك بكل المواهب ، ـ ـ عقل بثقله الشعري كان يرفدهم فترة من الزمن نصري شمس الدين بصوته الرجولي ، فيلمون و

بهرله الموسيقي ، كانت الحماعة تبحث بكل مكان عن الكلمة الحميلة الحملة الموسيقية الرائعة ، الحبكة الحلوة التي تربط رسالتها من الفكر والغناء بهذه الصاعة دحلت فيرور كل مدن العرب وكل أرياته صارت حرءا من عالم الغناء العربي ، حرحت من الظل الرمادي لتصبح فرحا ومحدا وبطولات حيث حط حاثر المهر وليصبح « المير » نشير و « المير » فحر الـدين حرءا من التـراث الثقافي للماس

وأهم ما في الأحوين رحباني على المستوى الانساني هي السجايا الرائعة

انهما فنانان ، فيهما كل رؤى الفنان وسماحته وكرمه والعطاء الاحلاق كـانت ميزتهما ، كانا ينفقان ٩٠٪ من دحلهما الكبير على العمل الموسيقي والباقي ينفقه عاصي في سياق داته كانا مثال « لسان الكرامة والشعب العنيد » أنفقا على صقل فيـرور الكثير ، وعـلى الـدعـوات الكثـير ، وعلى الفن الكثير ويوم انفجر في عاصي الشريان الدماعي من كثرة العمل قبل ثلاث عشرة سنة لم يكن لـديه شيء ، لم ينجده في المرض الا هبة شخصية من رئيس الجمهورية العربية السورية وصلت في حقيبة مسرعة

حين انكسر الثالوث

يومها فحع الجميع لأنهم شعروا ان الثالوث الماسي انكسر فقد قاعدته ! ومع ان عاصي أنقذ ، عاد حسدا يتحرك ويعمل ولكنه وحده لم يدرك ان عاصي العبقري قد مات ، وهذا عاصي آحر بقايا حسدية محطمة ، الذين حوله وضعوا أيديهم على قلوبهم ، وبكوا في صمت وتابع الثلاثي العبقري الطريق ، ولكنه كـان يعرج ، يحشـرج حشرجة الموت الثالوث كان وحدة واحدة يتمم حانب منها الحانب الأخر . واذا فقـد أحد أركـانه فقـد كله . حين كانت ذرة الدم المتجمدة تغلق شريان عاصي لم تكن تعلم أنها تغلق باب الفرح تنهي عبقـرية ، تختم عصرا من الغناء وتطفيء القنديل الأحير !

عاصي في الواقع مات ثلاث مرات جاءه الموت مسجاً مقطعاً على مراحل

مات منذ ١٣ سنة حين فقد الدماغ الذي يبتكر حيويته وآليته المبدعة كل عشاق اللحن والشعر تابعوا لحظة لحظة عملية الانقاذ وأنقذ الحسد لكن عبقرية اللحن دهبت الى عير رجعة

ثم مات مرة أحرى في مطلع السنة الماضية ، ووقف على عتبة العالم الآحر يتحول مع الغيبوبة الدائمة الى حثة تتنفس في غرفة بمستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت

ثم مات مرة ثالثة يوم عبر المعابر المحرمة ، في بيروت من حاحز الى حاجز ، هو الدي عبرت ألحانه جميع الحدود العربيه دون حاحز ، ليصل الى انطلياس ثم الى المقر الأحير !

واذا ظل منصور ، (أبو عدي) يبكي طويلا فلأنه كان أيضا يبكي نفسه ، كيف يعتاد الابداع المفرد وهو الذي ظل دهرا يكتب ويلحن وينظر في أعماق الصوت واللحن والشعر مردوجا بأخيه ؟

وتوقفت فيرور تعيش على أمحاد الماضي وحبر الماضي ، وبأي لحن تصدح بعد ان غاصت حولها الألحان !

أهو رثاء لعاصي ، هده الكلمات ، أم رثاء للثلاثي كله ؟ لست أدري ولكي أقول لأخي منصور ، أيتها السنديانة الحبية الصامدة يا أبا عدي ، أنت قلت لي مرة لست أنسى أنك أول من كتب كلمة طية عنا اني سعيد أني لن أكون كاتب الكلمة الأخيرة لا لأني لا أستطيع كتابتها فحسب ، ولكن لأنه ما من أحد يستطيعها ، إن الآلاف سيكتبونها

لقد مضى عاصي في جنازة رسمية

لا موسيقاه رافقته ولا الموسيقا الجنائزية ودعته الى مقره الأحير وحدها رافقته القلوب الدامعة .

كانت تبكي الفرح الذي فقدته ! □

في مجمع الخالدين

بقلم : عبد الرزاق البصير

ليس من المبالغة في شيء إذا اعتبرنا مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق والأردن وبغداد من أهم المراكز التي تستحق كل ما ينفق من جهد معنوي ومادي في سبيلها ، لأنها هي القلاع الحصينة التي تحمي لغة القرآن من الضياع ، وهي المراكز التي تنمي اللغة العربية وتعززها ولسنا في حاجة إلى القول بأن اللغة هي الركن الذي تعتمد عليه الأمة في حياتها الفكرية ، كما أن اللغة هي المرآة التي ينعكس عليها ما تصل إليه الأمة من رقي وملاءمة للعصر الذي تعيش فيه وقد يسأل القارىء

« لماذا تتعدد مجامع لغتنا ؟ أليس من الأفضل أن يكون لها مجمع واحد ؟ » ويأتي الجواب إن طبيعة عمل المجامع تقتضي أن تتعدد المجامع ، لأنها بمثابة نهر عظيم ، له فروع تعمل جميعا لاغناء اللغة بما تتوصل إليه تلك الفروع من تعريب للمصطلحات الأجنبية ، ثم تتجمع كلها لتصب في أصل ذلك النهر ، وبذلك تزدهر لغة القرآن ازدهارا يجعلها قادرة على احتواء ما يجد في حياتنا المتسارعة من أسماء لا تحصى لما يكتشف في الطب والفلسفة والهندسة والاجتماع والمسرح ، وما إلى ذلك من فنون ومعارف وعلوم .

التعددية والقضية والواحدة

وتتمثل صحة ما ذكرناه في ذلك المقر الذي أطلق عليه « اتحاد مجامع اللغة العربية الموجود في القاهرة » فهذه التعددية في المجامع لا تعني الاختلاف في العمل ، إذ أن مجامع اللغة تعمل لقضية واحدة ، وهي تنمية اللغة العربية وتعريبها ، لهذا نجد المشاركين في المؤتمر السنوي العام للمجمع ينتمون إلى مشرق الوطن العربي ومغربه ، ومهمة هذا المؤتمر عرض ما يتوصل إليه أعضاء المجمع في القاهرة على بقية الأعضاء ، لأخذ رأيهم في تلك المصطلحات

فلا يعتبر أي مصطلح صالحا لوضعه في المعاجم التي يصدرها المجمع إلا بعد الموافقة عليه من جميع الأعضاء ، ولو أن جميع المؤتمرات العربية التي تعالج قضايا التربية والاقتصاد والاجتماع وغيرها من أمور تسلك مسلك مجامع اللغة العربية لأصبحت حال الأمة العربية أفضل بكثير مما هي عليه الآن

لم يحدث في أي مؤتمر من المؤتمرات أن وجد اختلاف بين المؤتمرين ، يعود سببه إلى إصرار هذا العضو أو ذاك على رأيه ، ذلك أن كل فرد من المؤتمرين يعرف ما تبذله لجان المجمع من جهود مضنية في اختيار المفردات للمصطلحات التي تشمل العلوم النظرية والتطبيقية ، وقد شكلت في المجمع لجان من الأطباء لدراسة المصطلحات الطبية ، ولجان من المهندسين لدراسة المصطلحات الهندسية ، ولجان من الصيادلة تدرس المصطلحات الصيدلية ، ولجان من المتخصصين في المسرح لدراسة المصطلحات المسرحية ، ويقال مثل ذلك في بقية الفنون والعلوم والمعارف

وهذا لا يعني أن مسيرة المجامع مبرأة من الأخطاء ، فإن الكمال لله وحده ، وإن الذي لا يعمل

هو الذي لا يخطىء ، ويكفي أن نعرف بأن النيات صادقة ، والجهود مبذولة لتنمية اللغة العربية وتقويتها ، واللجان المختلفة في المجمع لا تقر أي مصطلح إلا بعد الدراسة المستفيضة الدقيقة ، لهذا قد يبدو لبعض الأعضاء أن خبراء اللجان يتمسكون بما توصلوا إليه ، وعلى كل حال فإن لآراء المؤتمرين كل الاعتبار في إقرار المصطلحات التي تشمل مختلف المعارف والفنون

من هنا يتضح أن التعددية في المجامع ليست إلا كما قال الشاعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل إلى ذاك الجمال يشير

وربما يتصور الكثيرون أن جلسات المؤتمر السنوي للمجمع جلسات جافة خشنة ، لأنها مخصصة لدراسة المصطلحات اللغوية ، لكن هذا التصور بعيد عن الواقع ، فالمنظمون للمؤتمر قد أدركوا أن القلوب إذا كلّت عميت ، وهذا يعني أن المؤتمرين ليس في إمكانهم أن ينفقوا قرابة نصف شهر في معالجة قضايا اللغة فقط ، لهذا نجد خطاب الدعوة إلى كل عضو لحضور المؤتمر يحتوي على طلب من العضو أن يكتب بحثا يعالج فيه قضية فكرية أو أدبية أو تاريخية ، وكثيرا ما يتطوع العضو بأن يكتب أكثر من بحث ، يتحدث فيه عما يهتم به من قضايا يبدي فيها آراءه وأفكاره ، ويجد الشعراء في هذا المؤتمر فرصة ، يعبرون فيها عن تقديرهم لأعمال المجمع ، أو يرثون من يرحل إلى الآخرة من أعضائه ، فأنت ترى من هذا أن المجال يضيق عن رسم صورة متكاملة لما يحدث من نشاط في المؤتمر السنوي للمجتمعين ، وأنا مضطر إذن أن أقتطف من ثمرات المؤتمر لهذه السنة ما يحتمله هذا المجال

وجوب تقوية التواصل العربي :

أول ما أود أن أقف عنده في هذه الكلمة هو هذا البحث القيم الذي كتبه الأستاذ محمد الفاسي ـ عضو المجمع ـ وأشار فيه إلى أن « العلاقة الثقافية بين مشرق الوطن العربي ومغربه كانت أقوى مما هي عليه الآن ، فقد كان علماء المغرب عندما يقصدون البلاد المقدسة لأداء فريضة الحج يتوقفون في مدن العلم ومراكز الثقافة ، ويلتقون بالعلماء والأدباء ، ويأخذون عنهم ، ويستجيزونهم لهم ، ولمن طلب منهم ذلك من زملائهم الذين لم يتيسر لهم بعد القيام بأداء فريضة الحج ، وينقلون معهم ما استجد من تآليف المعاربة في شتى العلوم والفنون ، كما يأخذون معهم إجازات علماء المغرب لمن طلبها من أهل المشرق ، وعند الرجوع يقومون بهذه الاتصالات نفسها ، ويحملون مؤلفات المشارقة إلى المغرب ، وإجازات علمائه إلى من طلبها من أهل المغرب

وهكذا كان التعارف تاما بين جناحي الوطن العربي ، إذ بمكة يلتقي المغاربة بمن يحج من علماء البلاد الاسلامية الأخرى ، وزيادة على ذلك أنهم كانوا ينتهزون هذه الفرصة الثمينة لزيارة بلاد الشام والعراق واليمن ، فكان العلماء في كل الأقطار الاسلامية بفضل هذه المؤسسة الاسلامية الفريدة ـ حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه السلام ـ مطلعين على كل أحوال إخوانهم في كل ناحية من نواحي العالم الاسلامي،يعرفون بدقة أخبار الحركة العلمية ويظهر هذا في كتب الطبقات التي كانت تؤلف بالمشرق والمغرب ، حيث كانت الوحدة الاسلامية حقيقة واقعة ، مما تضاءل شأنه في عصرنا هذا ، عصر السرعة والاتصال المباشر بواسطة الطيران ، فقلّ الاتصال ، وضعف التعارف ، ولولا ما تتصف به الحضارة الحالية من تنظيم المؤتمرات والندوات واللقاءات لكانت القطيعة أعمق ، لكنها مع ذلك لم تقم تماما مقام السفر إلى الحج »

هذه الفكرة الوحدوية التي شغلت أستاذنا الشيخ محمد الفاسي ـ المغربي ـ كانت في الوقت نفسه تشغل الأستاذ الدكتور ابراهيم الدمرداش ، ومن المحقق أنها تشغل كل عربي مثقف يؤمن بأن قوة اللغة العربية تكمن في وحدة الأمة العربية وتضامنها

التضامن العلمي العربي

فقد دعا في كلمته التي ألقاها بالمجمع إلى تضامن الأقطار العربية في الناحية العلمية التقنية ، والخطوة الأولى في طريق التضامن العلمي العربي هي أن يعقد مؤتمر للتضامن العلمي التقني نظريا وعمليا يضم وفودا من جميع الدول ، فإن هذا المؤتمر إن لم يسفر عن شيء سوى التعارف بيننا لكفى ، لما لهذا التعارف من فائدة في الحاضر والمستقبل في تبادل الرأي والمشاورة وجمع الشمل والمراسلة ، وإنك لتجد بين الكثيرين منا من يعرف زملاءه العربيين ولا يعرف إخوانه العرب مع ما بيننا من روابط الجوار والتاريخ ، وما بين أيدينا في لغة القرآن الكريم من لسان عربي مبين ، يجمع شملنا أجمعين ، فالأمر الذي لا شك فيه هو أن عالمنا اليوم عالم تقني ، تقوم حضارته على الانجازات العلمية والمهارات ، ومدنيته بلا شك مدنية صناعية إنتاجية ، فهل يا ترى نقبع في صفوف الأدباء ، ونقنع بنصيب النظارة الغرباء عن العلم الحديث وأهله ، ونتخلف عن الركب ، ونترك لغيرنا قصب السبق ؟ كلا ! بل لا بد لنا من الأخذ بأهداب العلم ، وأسباب المعرفة ، وأن نجيد الصنعة ، ونتقن الحرفة ، حتى نصبح قادة في ركب الحضارة قولا وفعلا وعلما وعملا إن شاء الله

ويؤكد الدكتور أن جامعاتنا لا تصدر أدلة واضحة المعالم تهديك إلى نظمها ومناهجها وكلياتها وأقسام الدراسة والتخصص فيها ، وبيان أساتذتها ، وهيئة التدريس فيها إلى غير ذلك مما يظهر سنويا لكل جامعة أو معهد في البلاد الأجنبية ، فضلا عن أننا لا ننشر أبحاثنا بانتظام ، وليس لنا إلا النزر اليسير من المجلات العلمية والدوريات ، مع أنها لغة التخاطب بين العلماء والباحثين

ويقول الدكتور الدمرداش « إن الحقيقة التي لامرية فيها هي أننا نعيش في قطيعة علمية ، وكل ما في الأمر أن بعض الدول المتجاورة منا تركن لاستكمال ما تحتاجه لهيئة التدريس إلى جاراتها بطريقة مبتسرة واتصال فردي ، وكثيرا ما تستعين بالمنظمات الأجنبية في هذا السبيل ، فإذا ما قامت هيئة كالتي ننشدها أمكنها مساعدة الطالب و... المطلوب ، كما يمكنها أن تسهم في تنظيم الزيارات العلمية والاعارات ، واستقدام الأساتذة الزائرين ، وتبادل الطلاب للدراسة والتدريب الفني إلى غير ذلك »

ومن المؤسف حقا أن من المشاهد أن كل دولة ما تود أن تلحق وتسبق دفعة واحدة ، وليس هذا من شأن العلم الذي يقوم بنيانه على أساس متين ، ولا من طبيعة التقنية التي ترتكز على قواعد شتى ، وتحتاج إلى خبرة ودراية ومران ، وطموح مطلوب ، فالطفرة لا تحقق الهدف ، بل لا بد لتطور العلم والتقنية من تخطيط سليم ، وخطة محكمة ، ولا يتفق ذلك مع العجلة

كيف تكون الدراسة عملية

ويرى الدكتور الدمرداش أن المدارس الصناعية ينبغي أن تكون متوافقة مع إقامة المصانع ، لتكون المدارس الصناعية مدارس عملية لا مدارس نظرية ، بمعنى أن الطلاب إذا تخرجوا في مدارسهم الصناعية يجدون المجال الذي تخصصوا فيه ، كذلك تجد المصانع القوة البشرية التي تسير آلاتها ، أما إذا أقيمت المدارس الصناعية بغير مصانع فإن الاقبال على التعليم الفني يصبح ضعيفا ، وينصب الاقبال على التعليم العام النظري ، وهذا اتجاه لا يتفق مع حاجاتنا إلى الناحية الفنية ، وعند ذلك تزيد أعداد الجامعيين ، وتقل نسبة الفنيين والمهنيين ، وينقلب الوضع السليم . ولقد أفاض الدكتور الدمرداش في دعوته المخلصة إلى التضامن العلمي العربي في هذه الناحية،مشيرا إلى عدم التخطيط العربي في النواحي الفنية والمهنية وإننا لنأمل أن تجد هذه الدعوة الصادقة آذانا صاغية من المسئولين عن اتخاذ القرارات في القضايا المهمة ، فإن كثيرا من الأدباء والمفكرين في مشرق الوطن العربي ومغربه قد رفعوا أصواتهم بالدعوة إلى التناسق العربي في مجال التربية والعلو

أخذت هذه الصورة في مجمع اللغة العربية بالدورة ٥٣ لانعقاده

والفنون والاقتصاد ، كما رفعوا أصواتهم في وجوب تعريب التعليم في جميع مراحل الدراسة من الروضة حتى الجامعة ، وقد كتبوا في ذلك بحوثا كثيرة ، عالجوا فيها كل المعوقات ، وفندوا جميع حجج الذين يشككون في إمكانية التناسق العربي ، وما من مؤتمر من مؤتمرات المجمع إلا ويعالج بعض أعضائه هذه القضايا ، فضلا عن القضايا الأدبية والاجتماعية

من هنا يتضح أن جلسات المؤتمر في كل عام جلسات خصبة ، يجد كل فرد من المؤتمرين في البحوث والمحاضرات ما تميل إليه نفسه

تحية المجتمعين :

وقد يكون من الخير أن نختم هذه الكلمة الموجزة بأبيات من قصيدة ألقاها الأستاذ حسن القرشي ، سفير المملكة العربية السعودية في موريتانيا ، وقد نالت استحسان المجمعيين

يقول .

عيدٌ يحفّكَ بَعْدَ عيد
يا موئلَ الفصحى العتيدْ
منارها أرْبَى على الـ
خمسين وهو فتى جديدْ
مرّت عهودٌ وهو مِلـ
ءُ القلبِ ذو العزم الشديدْ
نفض الغُبارَ عن الجوا
هرِ فهْيَ كالحَبّ الحصيدْ
ونضا عن الذَّهَبِ الرُّكَا
مَ فرنَّ كاللحنِ المريدْ
فُرْسانُه حَمَلُوا اللّوا
ءَ وكلهم فَذٌّ رشيدْ
واستبسلوا فإذا هُمُو
لظواهرِ العصرِ الشهودْ
لانَ الكلامُ لَهُمْ كما
(داودُ) لانَ لَهُ الحديدْ
مِنْ طَارِفٍ حيّ يُسا
وِقُ روعةَ الحيّ التليدْ
قد ألهَمُوا سِرَّ اللُّؤلؤ
ب وفَنَّ تَرْصِيعِ العُقُودْ
مرحى لما بَذَلُوا وأهـ
ـلاً بالطارفةِ الأسودْ
يا فَخْرَ أجدادٍ لنا
رَسَمُوا رسالاتِ الخلودْ
يا صَرْحَنا المرموقَ شُيِّـ
ـدَ بالعقولِ فلَنْ يَميدْ.

علاج قصر النظر بالعمليات الجراحية

بقلم : الدكتور سعيد السماهيجى*

قطع علم أمراض العيون شوطا متقدما عن بقية علوم الأمراض بسبب تطور جراحة العيون وتقدمها ، خصوصاً على القرنية ، باستخدام الميكروسكوب والخيوط والإبر الدقيقة جدا ، وكذلك التطور الذي جرى في مجال تقويم القرنية والصلبة ، باستخدام المواد المنقولة من الجنين المتوفى ، أو من الميت ، أو المشيمة من المرأة الوالدة حديثا . وكل ذلك له قصة .

يعتبر قصر النظر العالي والمستمر وكذلك مضاعفاته على العين من الأسباب الرئيسية لقصور وكف البصر ، ويؤدى بالتالي لعجز الانسان عن العمل في مرحلة مبكرة من العمر ، وبالذات في مرحلة الشباب ، ولهذا السبب تضع الدول المتقدمة في أولوياتها - وعلى المستوى القومي - مهمة اتخاذ الوسائل الضرورية للحد من مضاعفات قصر النظر الشديد ، لما له من مردود سيء على التنمية والاقتصاد الوطني .

ان قصار النظر يرون الأشياء عن قرب شديد بدون استخدام النظارة ، والمسافة بين العين والكتاب لاتزيد عن بعض سنتمترات (عند الانسان السليم هذه المسافة لاتقل عن ٢٥ سم) بسبب كبر حجم العين ، بحيث يصبح طول محورها الأمامي

* احصائى امراض وجراحة العيون

الحلقي أكبر من الطبيعي ، وبذلك لاتصل الاشعة المنكسرة داخل العين للشبكية،ويتنج عن ذلك أن الانسان لايرى الأشياء البعيدة الا بواسطة نظارة مناسبة ، وتستخدم لعلاج قصر النظر العدسة المقعرة التي تبعد بؤرة الأشعة الى الشبكية ، وبالعكس ستخدم العدسة المحدبة لبعد النظر التي تقرب بؤرة الأشعة الى الشبكية .

لاث درجات لقصر النظر

يختلف طول العين عند الأطفال باختلاف عمر لطفل ، فكلما كبر ، كبرت معه العين ، فنلاحظ أن نصر طول للعين يكون عند المولود الجديد ، يكتمل نمو العين في سن الثانية عشرة ، ويصبح لولها ٢٥ ملليمتراً بينما يكون طولها عند المولود ١٨,٠ ملليمتراً ، لذا نرى أنه لدى الأطفال تكون وة تقارب العينين أقوى من الانسان البالغ ، ويتجلى لك عندما يريد الطفل رؤية الأشياء القريبة .

هناك ثلاث درجات لقصر النظر ، الدرجة لبسيطة · اذا كان قصر النظر أقل من ٣ ديوبتر د)) والدرجة المتوسطة اذا كان أقل من ٦ د.،

والدرجة العالية · اذا كان أكثر من ٦ د وكذلك هناك نوعان من قصر النظر : ثابت وبسيط ، فلا يحتاج المريض لتغيير نظارته دوريا وباستمرار وعند

بسها تصل درجة بصره الى المستوى الطبيعي ، النوع الآخر قصر النظر المتقدم أو الشديد ، يحتاج يه المريض لتغيير درجة نظارته ، ومع لبس النظارة لإن النظر لايصل الى المستوى المطلوب ، بسبب لتغييرات المصاحبة التي تحدث في العين ، مثل الخلل في التغذية بالشبكية ، والتغييرات في عصب العين ، تراجع العين الى الخلف وغيرها . وقد يصاحب

للك العين وجود أخطاء أخرى مثل اللابؤرية ، لعدم نتظام تحدب القرنية ، أو حَوَلٌ مرافق ، كما يلاحظ عند هؤلاء المرضى تكوين المياه البيضاء مبكرا .

العوامل الوراثية

وتلعب العوامل الوراثية دورا في استعداد الشخص لتطور المرض ، واستمرار درجته بعينه ، حتى أن هؤلاء ينصحون بعدم الزواج خصوصاً اذا كان الزوجان من الأقارب ، ونجد أن ١٥٪ من الأوروبيين مصابون بقصر النظر ، وترتفع هذه النسبة في اليابان الى ٨٥٪ للأسباب التي ذكرناها سابقا

وقد تسهم ظروف العمل في الاصابة بقصر النظر ، وحصوصا العمل من قرب ، ولمدة طويلة في البوك أمام شاشة الكمبيوتر ، ولو أن هذا ليس له سند علمي الى الآن يتزايد قصر النظر في أغلب

الأحيان في مرحلة النمو ، لذا من المستحسن استخدام النظارة في سن مبكرة ، حتى لايحدث حوَلٌ أو كسل بالعين ، ولانتقاء نظارة مناسبة يجب إزالة تشنج العضلات الهدبية وظاهرة الارهاق العضلي

باستخدام قطور خاص لهذا الغرض يوسع حدقة العين ، وكذلك يستخدم هذا القطور لتقوية عضلات العين عند قصار النظر ، خصوصا عند الأطفال ، بممارستهم للألعاب الصغيرة والدقيقة ، مثل العمل بالابر والخياطة وغيرها

أهمية العملية الجراحية

لايقاف تزايد قصر النظر يحتاج المرضى لاجراء عملية جراحية ضرورية تمنع تزايد حجم مقلة العين الى الخلف ، فاقترح العالم ليندز عام ١٩٥٠ ـ لايقاف تزايد قصر النظر ـ طريقة جذم الصلبة بتصغير حجم مقلة العين باستئصال جزء من بياض العين أو الصلبة ، حينما أعلن عن ٣ عمليات تسمى الجذم الثاقب لصلبة العين .

وكانت درجة قصر النظر في عملية العين الأولى « ١٩ ديوبتر » وكانت مصابة بالانفصال الشبكي ، لوحظ أن درجة قصر النظر انخفضت الى ١٢ د . اما

العمليتان الأخريان اللتان أجريتا كانت درجتها ٢٠ د بدون انفصال الشبكية ، فانخفضت درجة قصر النظر بعد العملية الى ١٣,٥ د ولكن هذه العملية لم تنل الانتشار الواسع بسبب صعوبة وخطورة اجرائها تقنيا

وعلى الرغم من ان العالمين شابلاند وبانتيك قد طورا عملية حدم الصلبة عبر الثاقب عام ١٩٥١ الا أن لها مضاعفات كثيرة ، لذا فهي لم تنل الانتشار أيضا ، وأهم هذه المضاعفات اصابة الوريد الدوارى الذي يوحد داخل الصلبة في الجزء العلوى والذي يجمع الدم عبر المؤكسد من العين ويصب في الوريد العام ، وعند اصابته تصاب العين بالالتهابات المزمنة مما يودى بحياة الانسان الى الخطر اذا لم تستأصل العين

وفي عام ١٩٧١ طورا العالمان ايروشيمسكي وبانفيلوفا فكرة عملية الحدم الصلة الى فكرة تقويم الصلبة ، باستخدام الصفائح الواسعة لعضلة الفحد التي تغطى الجزء الخلفي من مقلة العين لايقاف تقدمه الى الخلف

وأجرى البروفسور فلاديمير سير عيميش بلياييف عام ١٩٧٤ التحسين على هذه العملية باستخدام الشريط الرقيق من صلبة (بياض) العين ، من المتوفى على شكل الحرفين اللاتينيين Y, X وتم ذلك في مركز العيون للبحوث العلمية الذي يقوده البروفسور بلياييف منذ عام ١٩٦٦ ، ودافع في عام ١٩٦٥ عن رسالته للدكتوراه في البحث الذي أجراه موضحا فيه أفضلية استخدام قرنية الجنين أو المولود الحديد المتوفيين لتقويم القرنية ، ويقوم هذا المركز بمعالجة ما يتصل بتقويم القرنية التي يجرى بين طبقاتها الرقيقة ، مستخدماً قرنية الجنين التي يحصل عليها بسهولة في معظم أقطار العالم دون استثناء ، وله ٧٠ بحثا مكرسا لعلاج أمراض القرنية بتقويم القرنية من الجنين وتصحيح درجة انحراف الأشعة الاكلينيكية بالعين ، وقد قدم مساهمة عظيمة وجبارة في بحث عن أمراض تأثير الجهاز العصبي للعين في نشوء أمراض العيون المختلفة كما قدم بحثا عن أمراض السرطان في العين وكذلك علاج قصر النظر العالى الشديد وأمراض العيون في المناطق الحارة وغيرها،وهو يشغل حاليا منصب نائب الرئيس للمجلة العلمية التي تسمى « مبشر علم امراض العيون » ومحررا في قسم العيون للموسوعة الطبية السوفيتية الضخمة

وقد تم اجراء ٧٠٠ عملية تقويم للصلبة بطريقة بلياييف في مركزه حتى عام ١٩٧٩ ، وكانت أعمار المرضى تتروأح بين ٨,٥ سنة و ٧١ سنة

تقويم الصلبة

هناك طرق أخرى بسيطة جدا لاجراء نفس العملية باستخدام شريط واحد من صلبة العين للمتوفى ، ويبلغ طول الشريط ٤ سم ، ويدخل هذا خلف العين من جهة واحدة دون ربطه بالخط من الطرف الخلفي ، أو يستخدم شريطين من الجهتين أو أربعة أشرطة من الجهات الأربع

وتجرى في نفس هذا المركز عملية تقويم الصلبة ـ الغضروف ـ التي اقترحها البروفسور بلياييف عام ١٩٨٢ ، وهذه العملية لاتزال تحت البحث العلمي حاليا يؤخذ الغضروف من عظم الصدر للمتوفى ، أو غضروف أذن المريض ويطحن ويضاف اليه محلول مطهر ويجمع في ابرة خاصة،ويقذف به الى خلف كيس ملتحمة العين الذي يجهز قبل العملية ، ولاتجرى هذه العملية لعين درجة قصر نظرها أكثر من ١٢ ديوبتر

كما تجرى في نفس المركز عملية تقويم الصلبة ـ المشيمة ـ التي اقترحها أيضا البروفسور بلياييف عام ١٩٨٣ ولا تزال كذلك هذه العملية تحت البحث العلمي في الوقت الحاضر ، وتستخدم مادة المشيمة على شكل الحرف اللاتيني (Y) بنفس طريقته التقويمية ، اعتقد أن هذه العملية تصلح لبلداننا العربية والاسلامية لتوفر وسهولة الحصول على

المشيمة للمرأة الوالدة ، لأن استئصال العين من المتوفى يتعارض مع الدين الاسلامي الحنيف والتقاليد الاجتماعية،ففي البحرين نحصل على العيون من بنك العيون في دولة سريلانكا لاجراء عملية تقويم القرنية الثاقب

وأعتقد بعد تجاربي وممارستي العملية في هذا المجال أن عملية تقويم الصلبة أفضل وسيلة لعلاج قصر النظر العالي الشديد لما تعطيه من النتائج الجيدة لقيام العين بوظيفتها وتحسين جهازها العصبي وتعتمد عليها اعادة الأوعية الدموية بواسطة ادخال قطعة من الملتحمة مافوق الصلبة الى خلف العين ، وربطها في الصلبة المزروعة ، فتتكون أوعية دموية جديدة تنمو في صلبة العين للانسان من الخلف وتصل الى الشبكية أمام النقطة التي تصل اليها صورة العالم الخارجي ، مما يحسن نظر المريض،كما تجرى هذه العملية للانسان المصاب بمرض الاحتصاب (الصباغ) الشبكي الخلفي كما يسمى بالعامية مرضى العشى الليلي الذي يضعف النظر مع غروب الشمس حتى شروقها وكذلك لأمراض سوء التغذية في الشبكية وغيرها

أما العمليات الجراحية الدقيقة لتغيير حنية (تقوس) القرنية للتخلص من النظارة نهائيا ، فتسمى بتقويم القرنية بطريقة عدم تغيير سمكها وذلك بتغيير حنية جميع طبقاتها فقط ، وهي التي اقترحها العالم الياباني ساتو عام ١٩٥٠

عملية شطب القرنية

في عام ١٩٧٩ قدم العالم فيودوروف بحثا عن ٦٧٥ عملية شطب للقرنية اجراها بطريقته حيث تسم المرضى الى فئتين وكان عدد المرضى في الفئة الأولى ١٣٠ مريضا ، ودرجة قصر نظرهم تتراوح مابين ١ ـ ٣ د وقد أشارت النتائج أن عدد المرضى الذين تخلصوا من النظارة كان ١٠١ مريض تعادل ٧٧٪ كما حصلت عند ١٢ مريضا النتيجة عكسية ، حيث أصبحوا من بعاد النظر بدرجة مابين ١ ـ ٥ د وبقيت لدى ١٦ مريضا درجة قصر النظر كما هي قبل العملية ، بل زادت عند بعضهم الى الضعفين ، وكان عدد المرضى من الفئة الثانية ٥٤٦ مريضا ، ودرجة قصر النظر تتراوح مابين ٣ ـ ٦ د وأشارت النتائج بأن ١١٤ مريضا أي مايعادل ٢٠٪ قد تخلصوا من النظارة وحصلت لدى ٢٤ مريضا النتيجة العكسية حيث أنهم أصبحوا من بعاد النظر.أما عن البقية وهم ٤٠٨ مرضى قد عاد لهم قصر النظر ومن ضمنهم ١٩٣ مريضا عاد لهم قصر النظر بدرجة ٠,٥ د ولدى ١٧٣ مريضا عاد اليهم قصر النظر بدرجة ١,٥ د ، والى ٤٢ مريضا بدرجة ٣ د

ويقول البروفسور الياباني ناتاجيا في صدد مضاعفات عملية شطب القرنية ، في بحثه عام ١٩٧٩ عن النتائج البعيدة ! « بأنه منذ ٢٠ عاما أجريت في اليابان أكثر من ٢٨٠ عملية (شطب القرنية) بطريقة ساتو ومن ضمنهم أكثر من ٦٠ عينا في الوقت الراهن تعاني من عتامة القرنية ، وهي لاتستجيب للعلاج الطبيعي ، ولا للعملية الجراحية ، وذلك حسب ماقدمه من الدلائل والمعطيات الاكلينيكية والنسيجية ، وكما يبدو أن القرنية تفقد خواصها البيولوجية بعدم القدرة على التحام آثار الجروح ويعيش المرضى في حالة نفسية سيئة للغاية »

وبعد قراءة النتائج التي حصل عليها العلماء لابد أن نشير لقصار النظر ، والى ضرورة اختيارهم ، بعد أن يستقر قصر نظرهم مدة لاتقل عن سنتين

بحوث جديدة

يواصل مركز البحث العلمي لأمراض العيون الذي يقوده البروفسور كراسنوف بحوثه في هذا المجال من التجديدات التي اقترحها في عملية الشطب ، بوضع قطعة حديدية بحجم العدسة اللاصقة على الجفن بعد العملية ، وبقوة تضمد العين يومين ، فنحصل بذلك على حنية للقرنية اكثر

تسطحا وثباتا ، غير أن عملية الشطب لاتجرى لقصار النظر الذين لديهم درجة الابصار اكثر من ١٢ ديوبتر ، وتشير بعض النتائج الاكلينيكية لهذه العملية على أنها أفضل المحاولات التي تعطى الفرصة لقصار النظر للتخلص من نظاراتهم السميكة ، ولكن اعتقد أنها لايمكن أن تنتشر على المستوى التطبيقى الواسع اللهم الا اذا اثبتت نتائجها الجيدة بتجارب الباحثين الآخرين ، فمن المبكر جدا اعطاء الرأي الحازم بنتائجها لأسباب تتعلق بما يمكن أن تجره هذه العملية على العين وشبكيتها لاحقا

طريقة جامعة

واقترح البروفسور بليابيف عام ١٩٨١ لعلاج قصر النظر العالى الشديد ، طريقة تجمع بين تقويم الصلبة واستئصال عدسة العين الشفافة وشطب القرنية ، ففى عام ١٧٧٥ اقترح ديزمونكوز فكرة

جراحة استئصال العدسة الشفافة عن العين لعلاج قصر النظر العالى ، ولكنها لم تدخل في مجال العمل التطبيقي مدة اكثر من ١٠٠ عام لأسباب تتعلق بالالتهابات التي كانت تصاب بها العين في تلك الفترة

الا أنه في الخمسينيات تشجع عدد من جراحي العيون لاجراء هذه الطريقة ، ولعل النجاح الذي لاقته في الخمسينيات جاء من التطور الذي طرأ لازالة المياه ، مما أدى الى تحسن النتائج وقلة المضاعفات الآنية وقت ازالة العدسة وعلى المدى الطويل

واعتبر جيلبرت عام ١٩٥٠ أنه من المستحسن أن تجرى هذه العملية لقصار النظر العالى المستمر بدرجة ١٨ - ٢٠ د ولقصار النظر العالى المستمر بدرجة ١٦ ديوبتر ، حيث تتحسن حدة النظر دون استخدام النظارة وكانت ازالة العدسة في السابق يصاحبها فقد السيولة الزجاجية التي خلفها ، بسبب التغيرات الناتجة من قصر النظر نفسه

أما الآن فلا تزُال عدسة كاملة ، انما الذي يزال فقط الجزء الأمامى من محفظتها ومحتوياتها ، ويترك الجزء الخلفى من المحفظة ليمنع انسياب السيولة الزجاجية الى خارج العين ، واحتمال الانفصال الشبكى مستقبلا

الا أن هذه العملية قد تؤدي الى تكوين التكيف ببقاء العدسة مما يؤدى الى تدهور قوة الابصار بعد زمن ، الا أنه مع وجود الليزر فانه يمكن ازالة هذه العتامات من محور الرؤية دون التحذير ودون اللجوء الى الجراحة ، ويميل عديد من الجراحين في الدول الشرقية لاجراء عملية تقويم الصلبة قبل ازالة العدسة الشفافة ، أو عملية التشطيب التي تناولناها سابقا ، ومن هؤلاء العلماء البروفسور بليابيف عام ١٩٨٠

تغيير تقوس القرنية

وهناك طريقة اخرى للعمليات الجراحية الدقيقة لتغيير حنية (تقوس) القرنية للتخلص من النظارة نهائيا بتغيير سمكها ، تسمى تقويم الانحراف الاكلينيكى بين طبقات القرنية الرقيقة ، وهي عبارة عن نقل القرنية من المتوفى أو من الجنين والمولود الجديد المتوفيين الى وسط طبقات القرنية الشفافة ،

وبهذه الطريقة تغير درجة انحرافها الاكلينيكى للاشعة المنكسرة من الوسط الخارجي

وتحفظ عيون المتوفيين في الخزان المجمد تحت درجة حرارة تصل الى الصفر ، ولمدة تصل الى ٥ أيام في حالة عدم توفر العيون في المراكز بصورة مستمرة

بسبب عدم وجود (مشرحة تتبع للمركز)،وفي حالة تواجد المشرحة للمركز فإنه بامكاننا استعمال قرنية المتوفى مباشرة ، دون حاجتنا الى عملية التجميد والتخزين للعيون ، ويسمح باستخدام عين المتوفى للبحث العلمى والعلاج في البلدان المتقدمة ، بقرار وزارى من وزارة الصحة ، والمصدق عليه من مجلس

الشكل التوضيحي لتقويم الصلبة بطريقة مليابيف لقصر النظر العالى المستمر ١ ، ٢ ، ٤ ، عضلات العين - العصب البصرى - الصلبة المزروعة .

الوزراء ، حيث تقطع القرنية بسمك حسب احتياجات المريض لتصحيح درجة قصر النظر

تجرى هذه العملية على مرحلتين في المرحلة الأولى تنقل القرنية على شكل سالب الى حيب القرنية العامل لدى المريض وتوضع في مركز القرنية مقابل الحدقة ، وتثبت القرنية المزروعة بدون خيوط غير أنه لوحظ أن الطبقة السطحية للقرنية غير قابلة للتمدد ،

وتكون مشدودة جدا وعكس ذلك فإن الطبقة السفلية تكون مرنة وقابلة للتمدد الى جهة الحجرة الأمامية ، وبذلك تفقد القرنية درجة الحنية وقوة الانصار التي احزناها خلال العملية لذا تثقب بعد ٢ - ٣ أسابيع الطبقة العلوية للقرنية على حدود العضو المزروع على شكل دائرى ، لتقليل الضغط على القرنية المزروعة من قبل الطبقة السطحية ، فتأخذ مكانها الطبيعى في القرنية للانسان

وهناك عملية لنفس الغرض،حيث تستأصل طبقة القرنية السطحية ، وتجمد وتصقل حسب درجة الحنية المطلوبة،وتعاد الى قرنية المريض مرة ثانية وننصح الذين يرغبون باجراء مثل هذه العمليات بما يلي .

١ - أن يحرصوا على الاكتشاف المبكر لقصر النظر ، وعنايتهم بنظام الفحص المركز وخصوصا عند الاطفال قبل سن المدرسة وكذلك التلاميذ

٢ - استعمال النظارة الطبية المناسبة .

٣ - خلق الظروف الصحية في الشغل (الانارة الجيدة المتساوية لأماكن العمل والدراسة)

٤ - العمل على حفظ صحة الجسم باكتشاف وعلاج الأمراض والتشنجات المرنة ، وكذلك الاحتفاظ بمعلومات كافية عن مقدار درجة التدهور خلال سنتين على الأقل،حتى يستطيع الاخصائى بعد الفحص أن يقرر صلاحيتهم للعملية .

٥ - تقليل الجهد البصري بحيث يتناسب مع العمل والراحة ☐

بقلم : فهمي هويدي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

التشددُ يُحسنهُ كلُّ أحدٍ !

لايحتاج التشدد إلى فقه أو عمق في المعرفة ، إنما الفقه الحق يكون في الترخص الأمين الذي ييسر على الناس ، ويرضي الله وإذا استخدمنا منطوق إمام جليل مثل سفيان الثوري فقد نردد معه مقولته الذهبية إنما الفقه الرخصة من ثقة ، أما التشدد فيحسنه كل أحد !

وهي كلمة صائبة ، جديرة بأن تبقى على مر الأزمنة ، معلقة على الجبين الاسلامي ، هادية للعقل المسلم ، ومرشدة لكافة أهل الدعوة والفقه ، في زمن اتسعت فيه دائرة التشدد والغلو الذي نراه اليوم ، وبات من المهم أن يستجلى هذا المعنى إلى أبعد مدى ، حتى نفتح صفحة الاعتدال واليسر التي طويت ، وكادت تطمس معالمها ، بفعل ادعاءات وممارسات عديدة ، وحتى نبريء تعاليم الاسلام من تلك القساوة والجهامة التي تنسب إليه ظلما وبهتانا

نعم ، إن التشدد يحسنه كل أحد ، ممن ضاقت معارفهم ، أو ضاقت صدورهم ، فما أسهل الجنوح إلى المبالغة والتزيد باسم الحذر والحيطة ، وما أيسر المبادرة إلى الرفض والتحريم أخذا بالشبهات ، واحتجاجا بسد الذرائع إنما التحدي الحقيقي ، والفقه الأصيل ، يتمثل إما في ضبط ميزان الاعتدال في العبادة والسلوك ، أو في ذلك الجهد الذي يفتح الأبواب على مصارعها لكل خير ممكن ، أو لأقل قدر من المفاسد والشرور ، ذلك أن كفاءة الفقيه لاتقاس فقط بقدرته على الاختيار بين الخير والشر ، لكنها تقاس أحيانا ببصره الثاقب في التمييز بين درجات متفاوتة من الشرور ، وقبول أقل قدر من المفاسد ، درءا لما هو أكبر ، وأملاً في تجاوز المفسدة إلى مصلحة في نهاية الأمر

آيات بينات وأحاديث صريحة

صفحة اليسر في التفكير الاسلامي تقوم على عدد من التوجيهات القرآنية والنبوية التي لاتخطئها عين منصفة ، منها على سبيل المثال .

- « يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر (البقرة ١٨٥)
- « فقل لهم قولا ميسورا » (الاسراء ـ ٢٨)
- « مايريد الله ليجعل عليكم من حرج » (المائدة ٦)

« ما جعل عليكم في الدين من حرج » (الحج - ٧٨)

« يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا » (النساء - ٢٨)

« فاتقوا الله ما استطعتم » (التغابن - ١٦)

ومن الأحاديث النبوية قوله عليه الصلاة والسلام « يسروا ، ولا تعسروا ، وبشروا ، ولا تنفروا » ، ومما روته السيدة عائشة في هذا الصدد أن النبي صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما ، وفي نهيه عن التشدد قال عليه السلام « إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين »

وعندما أطال معاذ بن جبل القراءة وهو يؤم الناس أثناء الصلاة ، عاتبه النبي عليه السلام قائلا « أفتان أنت يامعاذ ؟ وكررها ثلاثا ، مما يوحي بأن مثل ذلك التشديد على الناس وأخذهم بالعزائم يفتح باب الفتنة عليهم ، ثم قال عليه السلام « ان منكم منفرين ، فأيكم ماصلى بالناس فليتجوز ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة »

(وروي عن النبي عليه السلام قوله أيضا « عليكم من الأعمال ماتطيقونه ، فإن الله لايمل حتى تملوا » ، وقوله « إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى)

وإزاء الأهمية الواضحة لهذا البعد في التعامل مع الأحكام الشرعية ، فإن الامام أبا اسحاق الشاطبي ، الفقيه الأصولي الكبير ، اعتبره أحد مقاصد وضع الشريعة للتكليف في كتابه الشهير « الموافقات » (جـ) ص ١٣٦)

وفي هذا الصدد قال ما نصه « إن الحرج مرفوع للمكلف لوجهين ، أحدهما الخوف من الانقطاع في الطريق ، وبغض العبادة ، وكراهة التكليف . ويندرج تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه ، في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله ، ذلك أن الله وضع هذه الشريعة المباركة حنيفة سمحة سهلة ، حفظ فيها على الخلق قلوبهم ، وحببها إليهم بذلك ، فلو عملوا على خلاف السماح والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا به مالا تخلص به أعمالهم

الأمر الثاني أن المكلف مطالب بأعمال ووظائف شرعية ، لابد له منها ، ولا محيص له عنها ، يقوم فيها بحق ربه تعالى ، فإذا أوغل في عمل شاق ، فربما قطعه عن غيره ، ولاسيما حقوق الغير التي تتعلق به ، فتكون عبادته أو عمله الداخل فيه قاطعا عما كلفه الله به ، فيقصر فيه ، فيكون ملوما غير معذور ، إذ المراد منه القيام بالأعمال على وجه لايخل بواحدة منها ، ولا بحال من أحوالها

رفع الحرج عن الناس

الدكتور محمد يوسف موسى - من فقهائنا المعاصرين - حدد أسسا ثلاثة للتشريع الاسلامي في كتابه « الاسلام وحاجة الانسانية إليه » - (ص ٢١٢) وأول هذه الأسس عدم الحرج ، ورفع المشقة ، وثانيها رعاية مصالح الناس ، وثالثها تحقيق العدل ، بل العدالة الشاملة

بالنسبة للأساس الأول الذي يهمنا في السياق فإنه استعرض النصوص الشرعية التي ذكرناها ، وقال إن الله سبحانه خالق الكون الرحمن الرحيم ، العالم بتفاوت أحوال الخلق وقدراتهم ، قد رفع الحرج عن الناس ، ودفع عنهم المشقة ، مما نلمسه في أمور العبادات والمعاملات والعقوبات

ففي العبادات نرى أولا عدم كثرة التكاليف التي جاءت بالقرآن ، حتى صار من اليسر القيام بها دون عنت أو مشقة ، كما نرى إباحة قصر الصلاة حال السفر ، والفطر للصائم إذا كان مريضا أو على سفر ، وإباحة التيمم بدل الوضوء للصلاة لمن لم يجد الماء ، أو كان في استعماله ضرر وقد فرض الصيام شهرا واحدا في العام ، وأبيح الفطر لمن لا يحتمله ،

والحج قد فرض مرة واحدة في العمر ، ولم يكلف به إلا من استطاع إليه سبيلا ، والأمر كذلك في الزكاة التي لم تفرض إلا على القادر الذي يفيض ماله عن حاجته ، وفي ناحية المعاملات نجد اليسر شاملا ، فليس هناك إجراءات رسمية أو شكلية يجب اتباعها ليكون العقد صحيحا ، كما كان الأمر عند الرومان ، بل تكفي في هذا رغبة المتعاقدين فقط ، ومن ثم فلا نجد في القرآن في جوار العقود إلا شرط الرضا ، ومن باب التيسير في المعاملات أيضا ابتناء كثير من الأحكام على العرف الصحيح شرعا ، وفي باب العقوبات فإن التوجيه النبوي في شأن الحدود يحث المسلمين على الترفق والتيسير ، في مثل قوله عليه الصلاة والسلام « ادرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم » ، وفي بعض الروايات « ادرأوا عن المسلمين ما استطعتم ، فإن وجدتم للمسلم مخرجا فحلوا سبيله فإن الامام إن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة

الشيخ عبدالعزيز جاويش صاحب كتاب « الاسلام دين الفطرة والحرية » يحدد أحدعشر أصلا للاسلام ، أولها الاجتهاد ، وثانيها القصد في الأعمال ، وإقامة ما لايشق على النفوس من التكاليف » وقد كتب في هذا المعنى يقول « فكل ماليس في وسع الانسان أن يقوم به فلا تكليف فيه والمراد بالوسع في الآية « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » أن يكون العمل حيث لايجهد صاحبه ، ولا يوقعه في العناء والتعب .

ثم قال « واعلم أن المتغالين في دينهم أقرب الناس إلى العجز في القيام به ، واحتمال تكاليفه » وفي الحديث النبوي « أحب الأعمال إلى الله أدومها ، وإن قلّ » (ص ٧١) ومما ذكره الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه « الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف » في توجيهه لشباب الجماعات الاسلامية المعاصرة « أن يتخلوا عن التشدد ، والغلو ، ويلزموا جانب الاعتدال واليسر ، خصوصا مع عموم الناس الذين لايطيقون ما يطيقه الخواص من أهل الورع والتقوى ولا بأس بأن يأخذ المسلم في مسألة أو جملة مسائل بالأحوط والأسلم ، ولكن إذا ترك دائما الأيسر ، واتبع دائما الأحوط ، أصبح الدين في النهاية « مجموعة أحوطيات » لا تمثل إلا الشدة والعسر ، والله يريد بعباده السعة واليسر »

ثم أضاف « ولئن كان التيسير مطلوبا في كل زمن ، فإنه في زماننا ألزم ، وأكثر تطلبا ، نظرا لما نراه ونلمسه من رقة الدين ، وضعف اليقين ، وغلبة الحياة المادية على الناس ، وعموم البلوى بكثير من المشكلات ، حتى أصبحت كأنها القاعدة في الحياة ، وما عداها هو الشاذ ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وكل هذا يقتضي التسهيل والتيسير ، ولهذا قرر الفقهاء أن المشقة تجلب التيسير ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن عموم البلوى من موجبات التخفيف »

الاعتدال في الفهم

ثمة أمر جدير بالانتباه هنا ، وهو أن التيسير المطلوب لايكون بتطويع الأحكام الشرعية ، لتكون في خدمة الواقع ، أيا كان ، بحيث يتم قبول كل ما هو قائم أو تبريره وإضفاء غطاء أو رداء شرعي له ، ذلك أمر مرفوض بطبيعة الحال ، ولا محل لمناقشته ، من حيث انه يفتح الباب للانخلاع من الشريعة تدريجياً ، لكن الذي نسعى إليه ، ونلح عليه ، هو أولا الاعتدال في فهم النصوص ، وتناولها بصورة لاتشق على الناس ، ولا تحملهم حرجا ، ولا عَنَتاً يفوق طاقتهم ، وهو ثانيا الاهتداء بالمصالح المشروعة في استنباط الأحكام الشرعية الجديدة انطلاقا من فهم رحب للنصوص القائمة ، والمقاصد المستهدفة

وليس خافيا أن الاعتدال المطلوب في تعاطي النصوص الشرعية ينسحب على العبادات والمعاملات

في ـ واحد ، أما استنباط الأحكام في ضوء متغيرات الواقع ومستجداته فينصب على المعاملات بالدرجة الأولى

هنا نذكر بالقاعدة الشرعية التي تقول بأن الأصل في الأشياء الاباحة والحل ، وما لم يقم دليل شرعي على التقييد أو المنع فلكل مسلم أن يباشر مختلف التصرفات ، وهو آمن النفس ، مستريح الضمير ، وإذا كانت المقولة الشائعة تعتبر أن الناس أعداء ما جهلوا ، فان تعاليم الاسلام تحثنا على أن نتحلى عن ذلك الموقف المتحفظ أو المعادي ، وتقرر بوضوح أن الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فهو أحق الناس بها كما يقول الحديث النبوي الشريف

وقد كان علم أصول الفقه الذي وضع أسسه العقل الاسلامي المبير منذ بداية المسيرة ، هو سبيل فقهائنا إلى التعامل مع مختلف مستجدات الواقع بثقة ويسر ، وفي إطار الالتزام المطلوب بنصوص الشريعة ومقاصدها

وإذا دعونا إلى استبعاد منهج ملاحقة النصوص للواقع وتبريرها له ، فإننا نستبعد في الوقت ذاته موقف انفصال النصوص عن الواقع وانعزالها عن مختلف متغيراته ، لكننا ندعو إلى تفاعل صحي وإيجابي بين النصوص والواقع ، محكوم بأصول الدين ومقاصده ، ومستهدف لتحقيق المصالحة الدائمة بين الدين والواقع ، بما يقرب ذلك الواقع إلى الاسلام كلما كان ذلك ممكنا

أطباء الأديان والأبدان

وإن وجهت دعوة التيسير والاعتدال إلى عامة المسلمين ، إلا أن الخطاب موجه بشكل أخص إلى أهل الدعوة والفتوى ، بحسبان أنهم هم الذين يقودون جماهير المسلمين ، أو يرشدون عامتهم

فلأجل هؤلاء كتب الشاطبي يقول في « الموافقات » إن المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط ، فيما يليق بالجمهور ، فلا يميل بهم مذهب الشدة ، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال ، فذلك هو الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ، من حيث أن مقصد الشارع حمل الناس على التوسط ، من غير إفراط ، ولا تفريط ، وخروج المفتي عن تلك الحدود خروج عن مقصد الشرع » ، ولذلك كان كل ما خرج عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين

ومما قال في هذا الصدد . « إن الخروج عن الوسط خارج عن العدل ، ولا تقوم به مصلحة الخلق ، أما طرف التشديد فإنه مهلكة ، وأما في طرف الانحلال فكذلك أيضا ، لأن المستفتي إذا ذهب به مذهب العنت والحرج بغض إليه الدين » (جـ ٤ ص ٢٥٨)

وذكر ابن القيم في « إعلام الموقعين » أن من فقه المفتي ونصحه إذا سأله المستفتي فمنعه منه ، وكانت حاجته تدعوه إليه أن يدله على بديل مباح ، فيسد عليه باب المحظور ، ويفتح له باب المباح ، وهذا لايتأتى إلا من عالم ناصح مشفق ، قد تاجر الله وعامله بعلمه ، فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء ، يحمي العليل عما يضره ، ويصف له ما ينفعه فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان في الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « مابعث الله من نبيّ إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » ونقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه كان يتحرى ذلك في فتاويه ما أمكنه (جـ ٤ ص ١٥٩) وحذر الامام القرافي صاحب « الأحكام » من أن يكون في المسألة قولان ، أحدهما فيه تشديد ، والآخر فيه تخفيف ، فيفتي للعامة بالتشديد ، وللخواص من ولاة الأمور بالتخفيف ، فذلك قريب من الفسوق والخيانة في الدين ، والتلاعب بالمسلمين ، ودليل فراغ القلب من تعظيم الله تعالى وإجلاله وتقواه ، وعمارته باللعب وحب

الرياسة ، والتقرب إلى الخلق دون الخالق ، (ص ٢٧)

فهم الواقع وملابساته

يعد الاختيار بين درجات متفاوتة من المفاسد تحديا آخر ، يواجه الفقيه الحق ، إذ بوسع أي أحد أن يرفض المفاسد جملة ، مما قد يرتب حرجا أكبر ، أو مفاسد أعظم ، وحتى يحسم الفقيه ذلك الخيار فهو مطالب ليس فقط بالتمكن من الأدلة الشرعية ، ومعرفة أسرارها ، ولكنه مطالب أيضا بفهم عميق للواقع وملابساته ولابن القيم - صاحب إعلام الموقعين - رأي سديد في هذا الأمر ، يقول فيه إن النبي صلى الله عليه وسلم ، شرع لأمته إنكار المنكر ، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان انكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله ، فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ، ويمقت أهله .

ويضيف ابن القيم أن من تأمل ماجرى على الاسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، وعدم الصبر على منكر ، فطلب إزالته ، فتولد منه ما هو أكبر منه ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله مكة ، وصارت دار إسلام ، عزم على تغيير البيت ، ورده على قواعد ابراهيم عليه السلام ، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه ، خشية وقوع ما هو أعظم منه ، من عدم احتمال قريش لذلك ، لقرب عهدهم بالاسلام ، وكونهم حديثي عهد بكفر

ومن الأمثلة التي يضربها في هذا الصدد قوله إذ رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب ، فإن نقلتهم إلى طاعة الله فهو المراد ، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هوأعظم منه وكم كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها ، وخشي من نقله عنها إلى كتب البدع والضلال والسحر ، فدعه وكتبه الأولى

ثم ضرب مثلا بموقف ابن تيمية في زمن التتار ، إذ مر وبعض صحبه على جند منهم ، يشربون الخمر ، فأنكر عليهم صاحبه ذلك ، ولكن ابن تيمية استنكر موقف صاحبه ، وقال له إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدّهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم على حالهم

السكوت على عبادة العجل !

وفي القرآن الكريم يذكر الله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام أن أخاه هارون سكت على عبادة قومه للعجل الذي صنعه لهم السامري ، وفتنهم به ، حتى يعود موسى ويفصل في الأمر ، وفي هذا يذكر القرآن حوار الاثنين كما يلي « قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ، ألا تتبعن أفعصيت أمري ، قال يا ابن أُمّ لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرّقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي » (سورة طه ٩٢ - ٩٤)

ولم يعترض موسى عليه السلام على احتجاج أخيه بهذا العذر ، مما يدل على إقراره وموافقته ، وليس شيء أعظم من السكوت على عبادة عجل ذهب من دون الله (حفاظا على وحدة القوم) ، ولكنه سكوت موقوت ، لاعتبار مقبول ، وذلك من الحكمة وبعد النظر

ومثل هذا العمق في التقدير والنظر لايتوفر لكل أحد

---

* ما مات أحد في حب أمة حتى أحبته

(جمال الدين الأفغاني)

وَجبَةعِلميَّةخفيفة

بقلم : ... الـ...

... طابور ... طويل ... الجياع ، بين ... ، ... شاب ... وانبعـ... ، ... صدره ورجل ... يحاول جاهدا ... ، ... صامت طلبا ... الخبز ، ... في التراب ... بعض حبات القمح المتناثرة بين شقوق تلك الأرض الجدباء القاحلة التي ... ت فيها رائحة الجفاف برائحة الموت ، ويتقدم الطابور ... تساقط ألوف من الضحايا .

مع طلوع أول شعاع للشمس يتساقط ... يوم ـ أكثر من مائة ألف ... سان ... يودع الحياة ... ثمانين ألفا ومائة ... أمراض سوء ... يقضي ... آخر ... من البشر ... الجسماني العقلي الناتج عن ... ع المزمن

كما تتمثل مشكلة الغذاء بالنسبة لحوالي ٤٠٠ مليون نسمة في عدم حصولهم على القدر الكافي من السعرات الحرارية اللازمة للجسم .

وقد وصلت قمة المأساة في السبعينيات حينما تأثر أكثر من ٤٥٠ مليون إنسان بالمجاعة ، وقد ورد في تقرير أخير للجنة « برانت » عن الشمال والجنوب أن هناك ٨٠٠ مليون نسمة في العالم الثالث لا يجدون طعاما كافيا

كما تؤكد مصادر الأمم المتحدة وجود حوالي ٥٠٠ مليون نسمة يعانون من نقص التغذية ، ومثلهم

يعانون من سوء التغذية،أي أن واحدا من كل أربعة تواجهه مشكلة الغذاء .

بؤرة الجوع

وتشير الدراسات إلى أن بؤر الجوع تتركز في العالم الثالث ، ففي أفريقيا قدر أن ستة من بين كل عشرة أفراد ينامون جوعى ، وفي آسيا ذكر أن هناك ٤٦٠ مليون نسمة لم يحصلوا على غذاء كاف عام ١٩٧٧ م .

وتفيد التقارير الرسمية أن في أفريقيا ستة وعشرين بلداً تعاني من نقص حاد في الغذاء ، ومن الممكن أن تصبح خمسة وثلاثين ، أي أكثر من نصف بلدان أفريقيا

ولعل أخطر جوانب مشكلة الغذاء ، هو ما يتعلق بالأطفال ، حيث يترتب على عدم تناولهم كفايتهم من (البروتين) تلف في خلايا المخ ، وهي مأساة إذا حلت لا يمكن إصلاحها ، مما يعني الحكم على هؤلاء الأبرياء بقضاء البقية الباقية من أعمارهم أسرى للتخلف العقلي ، أو تجعلهم يقضون حياتهم في شبه غيبوبة ، أو أنصاف نائمين ، بحيث يعجزون عن التفكير السليم أو العمل المنتج ، وتعتبر الحياة بالنسبة لهم مجرد فترة انتظار للموت .

وقد توصلت التقديرات إلى أن نصف عدد الأطفال الأحياء اليوم لن يعيشوا إلى سن البلوغ ، كما وجد أن ٢٢ مليون طفل من أصل ١٢٢ مليون طفل في العالم الثالث يعانون من نقص ملموس في أوزانهم عند الولادة ، وذكرت منظمة (اليونسيف) أنه في كل صباح يموت أكثر من ٤٠ ألف طفل ، لم يحتفل بعد أي منهم بعيد ميلاده الأول . !!

إن طابور الجياع يتزايد سنة بعد سنة ، مما يجعلنا ملزمين بمواجهة أصعب مهمة ، ألا وهي توفير الغذاء لستة بلايين نسمة عام ٢٠٠٠ ، أي حوالي ضعف عدد الأفواه في عام ١٩٧٠ .

إن غياب بعض شروط الحياة لم يدفع الجماهير العربية إلى الاضراب والتذمر ، كما فعلت قرارات رفع أسعار الغذاء ، بل إن رفع سعر رغيف الخبز قرشا سوريا واحدا في الثلاثينيات قد أدى إلى سقوط جمهورية تاج الدين الحسني ، حين سارت المظاهرات تطالب بإسقاطه ، وتندد بسياسته ، لأنه رفع سعر الخبز .

ولعل مكمن الخطر في الوطن العربي يتمثل في حاجتنا الملحة - إلى حد التبعية - للمواد الغذائية ، حيث تنخفض مستويات الاكتفاء الذاتي في إنتاج السلع الغذائية (دون استثناء) ، بحيث أصبحنا نستورد الآن نصف ما نستهلكه من الحبوب ، وثلثي استهلاكنا من القمح ، وثلاثة أرباع حاجتنا من السكر ، وحوالي ثلث استهلاكنا من اللحوم ، وما يقرب من نصف احتياجاتنا من الألبان ، وبذلك أصبحت الواردات الغذائية تمثل أعباء مالية باهظة ، حيث تستنزف كافة حصيلة مصر من صادراتها الزراعية أو غير الزراعية (حيث مثلت نسبة ٩٩٪ منها عام ١٩٨١) ، وتجاوزت ١٠٠٪ في اليمن الشمالي وجيبوتي ، وتراوحت بين ٤٥٪ - ٩٠٪ في كل من الأردن والمغرب والصومال والسودان ولبنان ذكرت مجلة (نيوزويك) الأمريكية عام ١٩٨٢ أن مصر تستورد من الطعام ما قيمته ٨ ملايين دولار في اليوم الواحد

وقد انعكست الأزمات الغذائية في الوطن العربي على مستويات التغذية لدى المواطن العربي ، فقد قدر أن ٣٨٪ من وطننا العربي يعاني من نقص غذائي بشكل أو بآخر .

المشكلة كيف ولماذا ؟

يرى المحللون الغربيون أن هناك عدداً من العوامل التي أدت بالعالم إلى مثل هذه الأوضاع المتردية ، ويمكننا تصنيفها في مجموعتين : أولاهما التغيرات الطارئة في المناخ والعوامل الطبيعية الأخرى التي أدت إلى ظاهرة الجفاف والتصحر .

ثانيتهما ، مسئولية المجتمعات النامية نفسها في تفاقم الأزمة الغذائية التي تتمثل في الحروب وفي

الأشجار ، بالاضافة إلى فشل السياسات الاقتصادية في تلك الدول ، وسوء الادارة ، إلى جانب الانفجار السكاني الذي يعتبره الكتاب الغربيون من أهم العوامل المسببة لانتشار المجاعات في الدول النامية

سوف نستعرض بعضاً من تلك العوامل على ضوء الدور الذي تلعبه الدول المتقدمة في تعميق وترسيخ هذه المفاهيم في العالم

بداية نذكر أن التحليل العميق للمشكلة يؤكد أن ظاهرة الجفاف في العالم ليست جديدة ، فعلى مقربة من شلال النيل الأبيض يقف أول شاهد ، يسجل جذور المجاعة في التاريخ القديم ، حيث تقول كتابة باللغة (الهيروغليفية) . « أنا أبكي من فوق عرشي على المصيبة الكبرى ، لقد أخلف فيضان النيل مدة سبع سنوات ، مما أدى إلى اختفاء المحاصيل الزراعية ، وأصبح كل رجل لصا في نظر جاره ، والأطفال يصيحون من الجوع ، والكبار لا يستطيعون السير ، والمسنون نفوسهم منكسرة ، يجرون أرجلهم بصعوبة على الأرض ، والخزائن خاوية ، لقد فرغ كل شيء »

كما استدل العلماء من دراسة التأخر في نمو حلقات الأشجار على حدوث موجات جفاف قاسية ، مرات عديدة على مدى القرون الثلاثة الماضية ، إلا أن التاريخ يؤكد أن الافريقيين قد اكتسبوا ـ عبر السنين ـ وسائل خاصة لمقاومة مثل هذه الموجات . ويبقى لدينا سؤال الآن وهو :

ماذا حدث لنظام تطور عبر قرون لمواجهة الجفاف الدوري ؟ ولماذا تحول الجفاف الأخير إلى كارثة ؟

إن تحليل ذلك الوضع يستلزم عرض الحقائق التالية :

إن ظاهرة الجفاف يصعب عزلها عن تدهور التربة أثناء الاستعمار ، نتيجة للزراعة الكثيفة للمحاصيل التي تخدم أهداف الاقتصاد الاستعماري ، وعندما تدهور التربة يظهر التصحّر ، أي تختفي النباتات ، ويزحف الصحراء .

من الخطأ النظر إلى مأساة الجفاف والمجاعة كما لو كانت كارثة طبيعية مثل الزلازل والبراكين والأعاصير ، فالجفاف وزحف الصحراء لا يدخلان ضمن الكوارث الطبيعية ، بل يحدثان نتيجة لسوء استخدام الناس للطبيعة أو عجزهم عن التغلب على ظواهر قابلة للسيطرة

إن الجفاف ليس السبب الرئيسي للمجاعة ، بل إن التخريب الاستعماري الاستعبادي الطويل هو السبب ، ولذا فمحاولة التركيز على الجفاف وحده ، مع تجاهل النظام السياسي والاقتصادي للاستعمار القديم لا يساعد على المواجهة الجادة لهذه المشكلة ، وسبر أغوارها

استغلال الشمال للجنوب

في كتاب « كيف يموت النصف الآخر من العالم ؟ » تقول (سوزان جورج) « إن الكوارث الغذائية في العالم الثالث ليست ـ كما يصور بعضهم ـ راجعة إلى ضيق مساحة الأرض ، كما لا ترجع إلى سوء المناخ ، وإنما ترجع إلى خضوع الغذاء لسيطرة الأغنياء ، مما يجعل الشعوب الفقيرة وحدها تعاني من هذه الأزمة » .

ويؤكد هذه النظرية (ادريس كوكس) في كتابه « النصف الجائع » عندما يؤكد أن هناك استغلالا واستنزافا حقيقيا من جانب الغرب لشعوب العالم الثالث ، مما يؤدي لاستنزاف ثروات « الفقراء » مرتين ، إحداهما باستيراد المواد الخام بأبخس الأثمان ، والثانية بتصدير السلع المصنوعة بأغلى الأثمان .

ويضيف (نيجيل هاريس) في كتابه « الخبز والمدافع » أن المجاعة في الدول النامية تحدث عندما تحافظ الدول المتقدمة على أسعار مرتفعة لصادراتها الغذائية . ومعنى ذلك أن للنظام الاقتصادي العالمي دورا لا يستهان به في تفاقم المجاعات في العالم الثالث ، حيث لا تجد تلك الدول مفراً من طلب

المساعدات والقروض من الدول المتقدمة فيقل اقتصادها بالديون التي قدرت عام ١٩٨٣ بحوالي (٦٠٠ - ١٠٠٠) مليار دولار ولعل أطرف الأمثلة عما تفعله المعونات الخارجية هو قصة صندوق النقد الدولي مع مصر في الفترة من عام ١٩٧٨ إلى ١٩٨١ ، فقد كان هدف « الصندوق » المعلن هو إخراج مصر من أزمتها الاقتصادية ، بيد أنه - من واقع الدراسة التي أجراها معهد التخطيط القومي المصري - ظهر أن « الصندوق » دخل مصر عام ١٩٧٨ وهي مدينة بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار ، وخرج منها عام ١٩٨١ وهي مدينة بأكثر من ١٨٠٠٠ مليون دولار ، أي أن كل مواطن مصري قد أصبح مدينا عالميا بحوالي ٤٤٢ دولاراً ، بينما دخل الفرد لا يتعدى ٤٦٠ دولار في السنة . وهكذا تقفل الدائرة تماماً ، مما يزيد الأمر سوءا على سوء

غذاء الكلب ، وغذاء الانسان

إن المتتبع لسيل الكتابات الغربية ، وكثير من الأقلام في العالم الثالث يلاحظ مقدار ما توليه تلك الكتابات لزيادة السكان في الدول النامية ، وعلاقة ذلك بالمشكلة الغذائية ، حيث يدعي (نيجيل هاريس) في كتابه « كيف نطعم البلايين الجوعى في العالم ؟ » أن الطريقة الوحيدة لايقاف المجاعة تكمن في منع الانجاب كلية ولو بالاجبار ، غير أن التحليل العميق ، يؤكد أن المشكلة السكانية ليست بهذا الحجم الذي تضخمه الكتابات الغربية ، كما أن هذا العامل ليس وحده مسئولا عن الأزمة الغذائية ، حيث تتداخل إلى جانبه عوامل أخرى ، بعضها قد يكون أكثر خطورة .

وفي ذلك يقول المفكر الفرنسي المعاصر (رجاء جارودي) : « من العار أن نسمع المؤتمر السكاني في (بوخارست) يقول فيما يتعلق بالسكان : ان الزيادة في عدد سكان العالم الفقير هي سبب مشاكل الجوع ، ونقص الغذاء ، وأن تحديدهم للنسل سوف يجنب العالم مشاكل الجوع في الوقت الذي نعرف فيه أن فلاحا باكستانيا أو هنديا يستهلك أقل مما يستهلكه زميله الأمريكي في (كاليفورنيا) بأربعمائة مرة ، وهذا يعني ببساطة أن عشرة آلاف من المواليد الأمريكيين أكثر خطورة على التوازن الغذائي العالمي من أربعة ملايين من المواليد الباكستانيين أو الهنود والمسألة ليست في تحديد النسل كما طلب المؤتمر ، لأن الداء قائم في أسلوب النمو الاقتصادي الموحود في الغرب ومعطه ، بينما يكمن الدواء والحل في ضرورة تغيير تصرفات العالم الغربي وأهدافه » .

وهاهي الدراسات تؤكد ارتفاع مستوى الوجبة الأمريكية مقارنة بغيرها في العالم ، بحيث لو أخذت هذه الوجبة الغذائية في الاعتبار لوجدنا أن كل مصادر الغذاء في العالم لا تكفي إلا لتغذية ثلث سكان العالم فقط

وقد علق أحد علماء التغذية قائلا بأن ما يستهلكه ٢١٠ مليون أمريكي من غذاء يمكن أن يتعدى عليه « ١,٥ بليون » صيني ، حسب متوسط التغذية في الصين ، وليس بغريب عندئذ أن تتهم الدول المتقدمة بأنها لا تستخدم مصادرها الغذائية بالطرق الفاعلة ، فاستهلاك الأمريكي للحبوب يتمثل في تحويلها إلى ماشية ودواجن ، وقد وصل استهلاك اللحوم إلى درجة مرتفعة ، تزيد عن الاحتياج الجسماني ، ولعل الكاتب الانجليزي (نيجيل هاريس) في كتابه « الخبز والمدافع » يزيد هذه النقطة وضوحا عندما يقول : إن جزءاً واحدا من عشرين من كمية الحبوب التي أطعمتها الدول الأكثر نموا لمواشيها كانت كافية لانقاذ أولئك الذين هلكوا من الجوع في بلدان العالم الثالث .

والأغرب من هذا أن ما يأكله كلب عند عائلة أمريكية أو أوروبية مثلا يبلغ ثلاثة أضعاف ما يأكله إنسان في بعض نواحي الهند أو بنجلاديش ، وفوق ذلك يكون غذاء الكلب متزنا حاويا على جميع العناصر الغذائية ، بينما غذاء الانسان . فضلا عن قلة كميته - غير متزن في عناصره الغذائية .

● طابور الجياع يتقدم

والآن نستطيع ـ في ضوء هذا الاستعراض المبسط لجوانب المشكلة الغذائية ـ التوكيد على مجموعة من الحقائق المجردة

لا شك أن واقع الجفاف والتصحر في الدول النامية يشير إلى فعل الظواهر الطبيعية ، إلا أنها من صنع الانسان سواء المتقدم المستغل أو النامي المقهور

إن للمشكلة الاقتصادية العالمية دورا لا يمكن إغفاله ، وعندئذ يجب أن نسلم بالدور غير المنصف للدول المتقدمة

لا يمكن أن نخلي أسلوب الادارة والحكم في بلدان العالم النامي من مسئولياته ، خاصة ما يتعلق بالتسليح

لا نستطيع أن نهمل تماما دور الزيادة السكانية ، لكن دورها ليس بهذا الحجم الذي تضخمه الكتابات الغربية ، غير أننا يجب أن نعترف أن العالم يواجه أزمة غذائية حقيقية ، وأن على العالم أن يحقق زيادة في إنتاج الغذاء ، تصل إلى ١٥٠٪ في الدول المتقدمة و ٢٠٠٪ في الدول النامية من كمية الانتاج الحالي ، ومن ثم فإن زيادة عدد الهياكل العظمية الحية في العالم الثالث ـ في ظل الظروف الحالية من نقص الموارد الغذائية ـ يعتبر وضعا لا يمكن التعاطف معه على طول الخط ـ وبالتالي يصبح أحد الحلول المتواصمة ضرورة التركيز على نوعية البشر ، لتعويض خفض الأعداد ، على أن يتم ذلك عن قناعة دونما إجبار

ضرورة الايمان ـ جديا ـ بدور العلم في مواجهة زحف الجياع

وفي ذلك يقول « نيجيل هاريس » إنه على الرغم من أن العلم لم يسبق أن ووجه بمثل هذا التحدي ، لكننا من جهة أخرى نجد أن العلم لم يكن من قبل مسلحا بكل تلك الأسلحة التي أصبح من الممكن استخدامها لمحاربة الجوع ، وهو ـ بلا شك ـ التحدي الأكبر الذي يواجهنا ، ولن يتأتى لنا ذلك إلا بالادارة الجادة ، والعمل الدءوب المخلص .

وتلك هي المشكلة . . !! □

الخوف

قصة قصيرة بقلم : محمد عبدالملك

جاء الموظف هـ م . ن الى العمل هذا الصباح وهو مضطرب للغاية تناول كوب شايه على عجل ، ووضع السيجارة من مقدمتها في فمه ، وأشعل عقبها ! ثم اعتذر ! وتمتم ! ولم يكن هناك أحد في المكان ! كان وحده يلفه صمت شتائى مبكر وكانت الغيوم تغطي السماء من خارج النافذة الزجاجية ومن ثم عاد وأشعل سيجارة أخرى وكان عليه أن يبحث قبل ذلك عن علبة الكبريت التي وجدها بعد بحث طويل ملقاة أمامه ! . . كان الموظف هـ م ن قد أمضى ليلة مضنية في فراشه ، يصغى الى نداء خفى مجهول ، وقد حدث نفسه طوال الوقت وكاد يوقظ زوجته عدة مرات ثم لم يفعل ، وكان على أ أن يزوره النوم وتهرب من مخيلته تلك الخيالا المخيفة

وفي النهاية أدركه الصباح وأدرك هـ م أنه لم يمت الليلة الماضية كما توقع ، أو كما حيل له ذ النداء في الليلة ذاتها اعتقد هـ م ن أنه ا أعمص عينيه فانه لن يفتحهما ثانية ورغم ذل حاول النوم لكن دون جدوى ! ولم يعبأ بـ زوجته التي طلبت منه ان يخلع « البيجامة » قـ ارتداء البدلة ! وان يمشط شعره بعناية قـ الخروج وان يعيد فرشاة الاسنان التي تركها فو سريره الى الحمام ! وان يشرب كوب الشاي ع

مهل و رال الدخان يتصاعد منه ، والساعة مازالت
دل السادسة ، والدوام يبدأ بعد ساعة فيما الداعي
لكل هذه العجلة ؟! وفي صالة البيت المظلمة التي
لا يزورها الشمس جلس هـ م ن يفكر تأمل
بدلته الرمادية الوحيدة التي اشتراها ليلة عرسه قبل
عشرة أعوام قبل أن ينتشله صوت زوجته وهي
تلقي عليه تحية الصباح
وكانت تبتسم لتخفف من عبء الهموم التي أنبأتها
عنها حدة عينيه واضطرابه ، وكان كل ما فعله هو
التفاتة ، التفاتة صغيرة فحسب ، اذ لم يستطع حتى
الآن أن يرتب تفكيره ، فمازال الوقت مبكرا لم
يذهب الليل بالمرة ولم يأت النهار ثم انه بحاجة
لاستعادة ماحدث الليلة الماضية ! وكانت زوجته
سرت على كتفه فيقفز ثم يجلس ثم ينهض ويعيد
نظارته الى مكانها ويتمتم ، وبالكاد يسمع صوت
زوجته
- هل تشعر ببرد ؟!
وفي اضطراب وهو يحاول أن يحتوي ارتباكه كرر
عدة مرات
- أتظنين ذلك ؟!
- لست على مايرام !
- ابدا ! ابدا !
- جسدك في ارتعاش !
- لاأعلم ! ربما ! أرتجف ! أبدا
وفي الحال احضرت مقياس الحرارة فشعر
بالخوف لم تكن أوهاما فحسب ! انها حقيقة
تتحول وتتجول في رأسه وجسده في الليل والنهار
وهي تنبئه بالنهاية بأشكال مختلفة ! . وحين نزعت
زوجته مقياس الحرارة من فمه سمعها هذه المرة
بوضوح تقول
- ره ! يجب ان تسترخي في السرير !
لكنه جمع قواه وقال
- بأس ! . لابأس !
- ل ستداوم هذا النهار ؟
- لا شك فالمدير الجديد صارم شأن المدراء الجدد

ثم انني لم أتغيب عن العمل منذ عشرين عاما
حين لفظ « عشرين عاما » تذكر الاقسام التي تنقل
عبرها ينشد الترقية دون جدوى رأى أترابه
ينتقلون من مقعد خشبي صغير الى مقاعد جلدية
كبيرة تدور من غرف عارية الى غرف مفروشة
ومزروعة بالورود والرياحين أصبحوا مدراء
ومراقبين ومشرفين من ذوي الأمر والنهي
والوجاهة
وهـ م ن لم يتغير تحركت السنين ودارت
الكواكب والافلاك والنجوم وهو لم يتحرك
تغيرت المباني والازمان والبشر ، والطقس تغير ،
واللغة ، والبحر ، والصحاري والمركبات تغيرت ،
وهو لم يتغير دارت الحياة من حوله كما تدور الكرة
الارضية حول الشمس ، وظل في محوره ينظر الى
الدنيا الجديدة مدهوشا ويدور معها وفي دورانه
كان رأسه يدور،فوتيرة دوران الحياة اسرع من حركته
في المراقبة،حتى بات يشعر بالاعياء والسقوط في أي
لحظة ! ظل هـ م ن هو نفسه موظفا
شديد الحساسية بالغ الخجل ، لا يدخن أمام
النساء،لايضحك أمام غريب،ولايصدر أمره حتى
للفراشين ، وذلك ما أساء الى سمعته في العمل ،
عجزه عن الأمر ، تردده في اتخاذ القرار
وخوفه وارتباكه وقد سمع بأذنيه هاتين رئيسه
في العمل يقول لزميله ، هـ م ن ضعيف !
صحيح انه طيب الى أبعد حد صحيح انه مخلص
في عمله ، لكنه شديد الخجل منطو ويرتبك لأتفه
الأسباب ، والمراكز القيادية تحتاج الى الثقة والقوة
والأوامر ! هكذا وجد هـ م ن نفسه
مأمورا منذ أن ولدته أمه ، وجاء الى هذا الكون ،
حتى تزوج ، وحينما تزوج كانت زوجته تأمره في
البداية انتظرت صدور الأوامر منه . باتت تتمنى
أمرا واحدا فحسب ، وحين يئست بدأت هي تصدر
الأوامر وحتى أطفاله تعلموا كيف يصدرون
الأوامر له هو نفسه ! لكنه لم يحرك ساكنا لم
يغير طبعه ، وربما كان الأمر خارج ارادته ، فـ

هـ م ن كان منطويا ، وهو يحب الحيوانات ويرأف بحال الفقراء وحين يشاهد شحاذا في الطريق يذرف دموعا حقيقية تسقط على الأرض ! وفي هذه الحالة ، وقبل أن يمسح دموعه بكم معطفه القديم ، يكون قد أخرج كل ما في جيبه بما في دلك القطع النقدية الصغيرة ، ومصاريف البيت ناسيا وعيد زوجته وتهديدها له بالطلاق على هذا العمل الأحمق !

وتيقن هـ م ن هذه اللحظات بأنه في العمل ، وحاول ان يتذكر كيف قطع المسافة من البيت الى الوزارة غير عابىء بالأمطار والبرد ، وتذكر انه لم ينظف حذاءه المتسخ بالماء والطين ، وقد عبر الاشارة الضوئية الحمراء ! وكادت شاحنة ضخمة كبيرة تلتهمه في الطريق

وتذكر انه لم يرتبك من عبور الشاحنة السريعة ، كان مشغولا بالخوف ! الخوف الذي داهمه ليلة البارحة واستمر معه هدا الصباح وتابع خطاه الى الوزارة الخوف الذي توارثه منذ الولادة ، وفي عمر الشباب ، وربما ورثه عن أبيه وجد جده الخوف ذلك الكائن الذي لايمكن السيطرة عليه لصعوبة معرفته وسهولة مروره الى القلب كمرور الهواء في الرئة وركبته الهواجس وفكر كيف سيتعامل مع الأرقام والبشر والمعاملات وهو على هذه الحالة من الاضطراب ؟! وفكر أن يجيز نفسه من العمل هذا اليوم ، ولكن مادا عن الأيام القادمة ؟! سينال جزاءه بالحتم ! اذن يجب ان يقطع دابر الخوف والهواجس من الأساس ! وقبل أن يتفاقم الأمر ، فمازال في البداية ! . . ولكن كيف ستمضي به الأمور وهو في قسم المحاسبة وأي غلطة صغيرة كفيلة بقطع راتبه ؟! ومن يعلم قد يكون في ذلك قطع رزقه ! . واعترته الهواجس من جديد ! هل يعود ادراجه الى البيت وقد وقع ورقة الحضور ؟! هل يبقى في مقعده وقد حان موعد حضور

الجميع ؟! . وتمنى هـ م . ن الايأتي احد أن يبقى وحده كما هو مع المقاعد والـ[illegible] والورق وحده بلا عين تلحظه أو رقيب يحـ[illegible] حركته ، لكنه سمع وقع خطوات قادمة . وتلـ[illegible] أول تحية صباحية ردها على عجل ، وبسرعـ[illegible] وكأ[illegible] يريد الخلاص من الحديث ، ثم طلب القهوة وفتح رباط عنقه ، وأشعل سيجارة بطريقة سـ[illegible] هذه المرة وتقاطر الموظفون ، وعمت الحركـ[illegible] ودارت فناجين القهوة ، وتبادلوا الحديث في الطقـ[illegible] والبرودة والمطر ، وتذكروا حر الصيف ومباريـ[illegible] كرة القدم وسباق الخيل ، وفتحوا راديو ترانز[illegible] صغيرا واستمعوا الى اغنية هابطة ، ثم فتحوا لفا[illegible] الأكل واللب وعلب المشروبات الغازية ، وتد[illegible] ضحكات خفيفة ، وهمسات وبدأوا يستقبـ[illegible] الصباح بمرحهم المعهود وكانوا جميعا اصغر بأعوام ولم يمنعهم دلك من التندر عليه خاصة - يرتبك أمام المدير في جولاته التفتيشية وا[illegible] كانوا يتحدثون عن معطفه ، وساعة جيبه ، وطر[illegible] تدخينه ، وخجله أمام البنات وتيقن هـ م [illegible] أن لا مفر من مواجهة الموقف بحزم وارادة ! ما عليه هو النسيان والا يتذكر ماحدث البا[illegible] وهذا الصباح والايفكر في المستقبل بالمرة [illegible] يوزع راتبه في عقله آلاف المرات قرر هـ ن أن يعيش بعفوية وأن يجوع بعفوية يموت بعفوية ! فقد يكون ذلك احدى ! تنتهي مشكلته وفكر هـ م ن وقـ[illegible] الايفكر ! وجاء الى القسم شيخ الفراشين ثان حـ[illegible] حمحمة ، يحمل ورقة جمع تبرعات لعلاج مو[illegible] مريض فأخرج هـ م ن كل ما في جيبه ، وكـ[illegible] في جدول الأسماء فاعل خير ! وسحب سيـ[illegible] أخرى وطلب القهوة من جديد ، وبدأ يستـ[illegible] المتعاملين ويسلم أوراقا ويتسلم ، ثم نهض و[illegible] نكتة ! وضحك وحده ! ثم ضحك عـ[illegible] الجميع ! ثم ابتسم ابتسامة صفراء ، كان

الالتئام ، وكأن حرحا طريا قد ألم به
حزا عن الاستمرار في الحديث ، لكنه
بالاة وضحك صحك دونما سبب ظنا
زالوا يضحكون ، فضحكوا من جديد
حكاً جماعياً ، همجياً ، منطلقا ، وكان
.لى من الحانبين ولم يسعفه الوقت
ر التفكير حيث فاحأه ثاني خميس حمعة
لورق احتوت على فواتير الكهرباء والماء
انذار بالقطع ! واخطار عن اهمال في
ودعوة من المدير لحصوره الى المكتب على
كشوفات آخر الشهر ! واضطرب من
نقر على مقعده ، وكاد يغوص في المقعد ،
نرته على حافة المقعد ، وغاص رأسه في
تل كتفه في صدره ، وسقط بطنه بين
ان هـ م ن يبدو كعجينة متحركة
ثم عاوده الخوف الخوف ! وفكر
ر مادا لو عبرت حسده الشاحنة الكبيرة
اح ومات ؟! مادا لو توى بالسكتة
اذا لو فصل من العمل ؟! وسمع هدير
اور فاستيقظ ، ظن انهم يضحكون
رعما كان يفكر بصوت مسموع ثم ان
عد ذاتها مدرة للضحك ! ودخلت
ي مقتبل العمر ، فتذكر يوم زواجه وكيف
ة السعادة مليئا بالتفاؤل فلم يفكر كيف
ن الأبيض لليوم الأسود ! . وأي يوم
كانت الشمس ما تزال خلف الغيوم تلد
لزن والسكون . ورأى مطرا يضرب
نافذته فتحسر على اشياء لايذكرها
سيغادر هذه الدنيا الجميلة وحاول
كاره من جديد وأن يستعيد آماله
لتي كانت تحتويه بسعادة عند نزول المطر
اء كان المطر مؤلما كالنزيف ! . وكان
، . يدخن سيجارة عاشرة ، ويشرب كوبا
الشاي الأحمر ، ويزيح معطفه عن صدره
رغم برودة الطقس ويفكر ! ثم مال لونه
للاصفرار ، وازداد ارتباكه في العمل ، ورن جرس
« التليفون » كان سكرتير المدير يستعجل
حضوره ! ثم نال توبيخات بالحملة ! وانذارات
متلاحقة ! وتكررت اخطاء كبيرة في الحسابات !
وارداد حوفه ، أصبح هـ م ن يخاف الخروج
من البيت بعد العمل ! ويخاف الذهاب الى البيت بعد
العمل ! ويخاف مذيعي نشرات الانباء ، والفواتير
المندسة تحت الباب ، ويخاف الخوف ! أصبحت
الحياة حوفا في خوف ، تـوارثت نفسه الخوف ،
أصبح الخوف يلازمه في كل مكان ، وفي كل حطوة
فقد ترل قدمه وتبتلعه المجاري العميقة ، أو يتوقف
نبض قلبه ، وربما تطارده الشاحنات الصحمة لتمر
على حسده دون رحمة ! ، ثم رأى حسده مهروسا مع
عظامه ، ثم رأى زوجته تنعاه ثم كان منقولا على
نقالة ! ولم يكن ثمة وقت استراحة من الخوف فكل
خوف يهيىء لخوف أكبر ! وكل لحظة تلد آلاف
الاسباب للخوف أصبحت الحياة خوفا في خوف
في خوف،بعد أيام نُقل هـ م ن الى مستشفى
الأمراض النفسية والعصبية اعطوه رقما
وسريرا ابيض باردا ، وشراشف بيضاء باردة وغرفة
بيضاء باردة ، وارسل تقريره الطبي الى الوزارة
مباشرة في ظرف سري يقول السيد هـ م . ن
مصاب باكتئاب نفسي شديد نتيجة لضغوط متنوعة ،
ولعدم شعوره بالأمان وسيكون تحت الرعاية
الطبية الدقيقة كما وان شفاءه رهن بزوال مسببات
المرض ، وفي غرفته العالية السقف كان البلاط
الابيض يشعره بفكرة طرأت له فجأة ، فبات يعتقد
انه محاط بكفن ابيض فضفاض ! . واستطاع معطفه
القديم الداكن المركون على شماعة فقط اخراجه من
هذا التصور ، فاستذكر كفاحه الطويل وسعيه المر في
الحياة .

ولم يأت أحد لزيارته باستثناء زوجته
وأولاده □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

المائدة العربية ..
والأطباق متعددة الجنسية

تقول التوقعات ان الشرق الأوسط سوف يصبح أكبر مستورد للغذاءفي العالم كله خلال سنوات قليلة ، أي أن بلدان العالم كلها - وبدرجات متفاوتة - سوف تصبح قادرة على توفير قدر اكبر من غذائها ويتخلف عن ذلك مجموعة أساسية هي المجموعة العربية ويقولون . إن اخطار هذا الوضع قد لا تتمثل في العبء المالي المترتب على ذلك ،لكنها تتمثل في الأزمة التي تنشأ حين يقل المعروض من الغذاء بشكل عام وحين يصبح تداوله أمرا عزيز المنال ، ويدخل في باب الاستراتيجيات العليا التي تحدد : لمن نعطي . وعمن نمنع ، فيكون العطاء لدوائر تابعة لهذا المركز أو ذاك ، ويكون المنع عن الذين يرفضون التبعية .

المقدمات والنتائج تحوي قدراً كبيرا من الاثارة ، فالأرقام تقول إن استيراد البلدان العربية من المواد الزراعية قد تضاعف ثلاث مرات بين منتصف السبعينيات واوائل الثمانينيات . كان حجم الاستيراد (٨) مليارات دولار فأصبح (٢٣) مليارا طبقا لما اذيع في ندوةالبحوث الزراعية التي عقدها اخيرا الصندوق العربي للانماء والمركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة .

الأرقام مثيرة ، فالاحتياجات تضاعفت ثلاث مرات في أقل من عشر سنوات والغذاء وحده يحتل ٥٦٪ من مجمل هذه الواردات ، واللحوم تحتل ثلث القائمة بينما تحتل الحبوب النصف

في التحليل نقول إن الزيادة السكانية تلعب دورا ، لكنه دور محدود فالسكان لا يزيدون بهذا القدر ، بل إن زيادتهم لا تتجاوز الـ (٣٠ - ٤٠) بالمائة خلال عشر سنوات

هناك اذن أسباب اخرى ، من بينها تزايد الأسعار ، و بينها تزايد الدخول والاستهلاك في المنطقة العربية ، وهو ما يفسر أن تحتل مجموعة اللحوم هذا المكان البارز في قائمة الاستيراد ثم .. وهو الأهم هناك ضعف الانتاج الزراعي صحيح أن بعض المناطق العربية قد تعرضت للجفاف ، لكن هذه المناطق تشمل كل السنوات ، ولم تشمل غالبية البلدان .

إن عنصر الجفاف قائم لكنه ذو اثر محدود

القضية اذن تتعلق بهيكل الاقتصاد العربي وماذا يفرز ؟ وماذا يقدم للمستهلك ؟

● ● هذه الأولويات المختلة

طبقا لأرقام نفس الندوة فان المتاح زراعته حاليا في الوطن العربي لا يتجاوز ٤٪ من مساحة البلدان

العربية أي اننا نعيش في صحراء شاسعة تتخللها
مع ـصراء ، وعند الحديث عن هـذه البقع
ـوبخلاف المراعي والغابات نجد أن (١٦) بالمائة
تقريبا تتوافر له نظم الري . (٨٤) بالمائة يعيش
على المطر

نحن إذن نعيش الخطر ، ولم تستطع آلاف
السنوات من الخبرة الزراعية ، ولم تستطع آلاف
الملايين من الدولارات التي نجنيها من أنشطة اخرى
أن تحدث التغيير المطلوب ، أو تزيد مساحة اللون
الاخضر او تساعدنا على اللحاق بالنمو السكاني .

والوضع خطير لان جهدا لا يبذل لتخطي
الأزمة ، والعودة للاعتماد على الذات في أبسط
السلع رغيف الخبز !

لقد تغنى شعراء العرب بوادي النيل ، ووادي
الفرات ، والمروج الخضر في ربوع الشام واليمن ،
وحدائق المغرب الغناء ، فهل اصبح كل ذلك دون
المطلوب ؟

الاجابة بالأرقام نعم

والاجابة بالارقام تضعنا على حافة الحقيقة دون
الخوض في قلبها لان متغيرات القرن الواحد
والعشرين ، والسباق الدائر بين الموارد وزيادة أعداد
البشر ، وتراجع ظروف البيئة وأثره على الانسان
والنبات والحيوان كل ذلك يصعب قياسه في الوقت
الراهن ، لكن الأكيد أن السباق بين النمو الزراعي
بشقيه : النبات والحيوان . وبين النمو البشري بما
يعنيه من زيادة في الاعداد ، وارتفاع في مستوى
الاستهلاك هذا السباق ليس لصالح الانسان
العربي

أما اذا سألنا عن السبب فسوف يقول الخبراء ندرة
في الماء وندرة في الأرض الخصبة . . وسوف يزيدون
أن اطراف المنطقة العربية ينحسر منها اللون الاخضر
الذي عاش آلاف السنوات ، فالتصحر ظاهرة تسري
وتـ ـري اثرها .

ولكن . . اليس من اسباب اخرى أكثر الحاحاً ؟

اظن أن السبب الرئيسي أو المتغير الرئيسي الذي
نستطيع أن نتحكم فيه هو . سلم الأولويات
العربية . . اننا نستورد من السلاح ما يزيد عن
وارداتنا من الغذاء . . ننفق على بناء المدن اكثر مما
ننفق على اقامة المزارع . تتعجل الزيادة في
الاستهلاك بأكثر مما نتعجل الزيادة في الاستثمار ،
وانتظار عائده نحن نفكر بعقلية اليوم ، وننسى في
كثير من الأحوال احتياجات الغد

وخلال ذلك تظهر التناقضات . بلدان عربية
زراعية تستورد الغذاء حتى اصبحت المائدة
العربية في كثير من الاحوال مائدة اوروبية امريكية
ـ استرالية حتى التكامل العربي لم ننجزه لتصبح
وارداتنا العربية البسيطة . عربية ايضا يستوي
في ذلك الفقراء والاغنياء ، بلدان الوفرة الزراعية
وبلدان الندرة الزراعية فالكل يستورد مناطق
الجفاف ، والمناطق التي كانت في موقع العطاء

●● علم الاختيار

المهمة عاجلة علينا أن نواجه ذلك ، واولى
خطوات المواجهة الرجوع الى البديهيات . فاذا
كان التخطيط هو علم الاختيار بعد التنبؤ،واذا كان
القرار السياسي هو اختيار مصير امة وطريقة
عيشها . . فان المهمة الاولى لمتخذي القرار في الوطن
العربي أن تأخذ الزراعة وأن يأخذ الغذاء أولوية في
الاهتمام .

بعد ذلك سوف تبقى معضلة اسمها . الريف
والمدينة ، فحين يكون الاهتمام الاول بالمدينة ،
وحين تشجع أنشطة الدولة نزوع الافراد للهجرة الى
المناطق الحضرية ، وحين تكون الفروق في مستوى
المعيشة ، ومستوى الرفاهية ، ومستوى الثقافة
واضحة جلية بين القرية والمدينة ، بل وحين يضطهد
الاقتصاديون الانتاج الزراعي ليأخذوا منه « الأكثر
دائماً ويعطوه الأقل دائماً » في الأسعار والدعم
والرعاية ، حين يحدث كل ذلك ، هل نتوقع حماسا
واقبالا على العمل في قطاع الفلاحة ؟ □

رؤية فنية لما بعد الموت..

بقلم : ابو المعاطي ابو النجا

كانت « فكرة ماذا بعد الموت » ـ ولاتزال ـ تستهوي وتجتذب أقلام المفكرين والفنانين والأدباء منذ مختلف الأزمنة .

فالسؤ ال « ماذا بعد الموت » ؟ وكيف ؟ كامن في أغوار العقل الانساني كمون الحياة ذاتها ، تتحدث الأديان ، ويكتب الفلاسفة والمفكرون والعلماء ، ويتخيل الادباء ويرسم الفنانون ، لكل نقطة انطلاقه ، ولكل منهجه وادواته ولكل غايته ومتلقيه ، ورغم أوجه الاختلاف هذه ، فان جوهر الخبرة الانسانية التي يقتربون منها ، ويحاولون اكتناه سرها العميق ، واحد ، مثلما الانسانية واحدة ، فالذين يبحثون عن معنى الموت وماذا بعده ، انما يبحثون في الوقت ذاته عن معنى الحياة ، وماذا ينبغي أن تكون ؟ وهم ـ قصدوا أولم يقصدوا ـ متأثرون في بحثهم عن معنى الموت بفكرتهم عن معنى الحياة ، وخبرتهم بها ، بعمق هذه الفكرة وهذه الخبرة .

بعضهم قصد بتصوير مايجري بعد الموت مجرد التعليق على ماجرى في الحياة ، هناك من ختار أسلوب التهكم والسخرية والمفارقة ، وهناك ن قصد التماس الحكمة والعبرة ، هناك من لق بجناح الخيال والاسطورة،وهناك من استوحى وروث الديني ليكون اطارا ينسج خلاله رؤيته لخاصة عن الحياة ، وكيف ينبغي أن تعاش عارس ، ومن هذا النوع الاخير عبد الحكيم قاسم روايته الأخيرة « طرف من خبر الآخرة »

ن الكاتب وتجاربه

عبد الحكيم قاسم روائي عربي من مصر قدم لنا السيتنيات روايته الاولى التي لفتت إليه الانظار قوة - « أيام الانسان السبعة » ثم تابع بعدها - قبل أثناء هجرته الى المانيا خلال السبعينيات لمدة عشر سنوات - تقديم رواياته « محاولة للخروج » و المهدي »،« وقدر الغرف المقبضة » بالاضافة الى مجموعاته القصصية ، ومن قرأ هذه الاعمال سوف لمس في بعضها على الاقل ، وبخاصة في روايته لاولى تأثير التراث الديني والشعبي الواضح في ختيار الكاتب لمادة روايته،وهو تأثير يمتد الى روايته لأخيرة ، مع أن الرؤية التي تحملها هاتان الروايتان ي في صميمها رؤية عصرية عقلانية ، تنزع نحو لروح العلمي الا انه نزوع لاتضعف معه الصلات ن تلك المناطق المجهولة في الذات الانسانية ، والتي 'نزال نعتمد في التعرف عليها على الحدس الفني ، سين تلك المناطق التي يلقي عليها علم النفس لحديث،وعلم الطب النفسي الكثير من أضوائه ، يكاد يخضعها للبحث والتجريب

رواية أم مجرد نص أدبي

قد يختلف النقاد حول تحديد هوية هذا العمل لأدبي « طرف من خبر الآخرة » فيرفض البعض عتباره رواية بالمعنى أو المعاني المعروفة للرواية ، يقولون ان الطابع الفكري الحاد ، وشكل الحوار في لفصلين الثالث والرابع « الملكان » ، و« الحساب »

، سلان من هذين الفصلين ، حلقتين من حلقات ا رس والمناقشة اكثر من كونهما فصلين في رواية ، وقد يتحدثون عن ضعف الصلة العضوية بين الفصول « الثاني ، والثالث،والرابع » من جهة ، وبين الفصل الاول « الموت » والاخير « النشور » من جهة اخرى . ومع ذلك فقد عقدت العزم على أن أفرح بهذه الصلة التي تبدو واهنة ، وان اعتبر هذا العمل رواية فنية ، فيها بناء وشخصيات ودراما ونسيج رقيق تتحرك فيه هذه العناصر في وحدة رائعة هي التي تجعل من الرواية رواية ، اصدر في هذا التوجه عن تقدير لطبيعة الخبرة الشائقة والشائكة التي يقترب منها الكاتب ، ولخوضه هذه المغامرة في ضوء مايريد أن يتلمس السبيل اليه ، في مناطق غير مأهولة ، وغير منزوعة السلاح ، لكن لماذا لا نبدأ من البداية ؟

بناء الرواية

يقوم بناء هذه الرواية على خمسة فصول ، يتوافق ترتيبها في الكتابة مع ترتيب وقوعها الزمني ، وهي « الموت » ، « القبر » ، « الملكان » ،« الحساب » « النشور »

الموت

في هذا الفصل ، نلتقي بحفيد وجدّ ، الحفيد صبي يمكن أن نراه رمزا لطفولة أي انسان ، فهو ليس صبيا بعينه ، لكنه يحمل كل خصائص الطفولة ، فيه تلك الاندفاعة القوية الخصبة للحياة ، رغم أنه يعيش في قرية تشبه قرى الريف في مصر ، ملأى بمعوقات الحياة ، الا ان هذه المعوقات لم تفسد بعد رغبته البكر في أن يحس ويدرك ، ويعرف ويتعلم .

« الجد » عجوز متوحد يعيش في بيت منعزل رغم أنه في قلب القرية ، وكل الطرق تؤدي اليه ، دائما يعرف الحفيد طريقه الى بيت الجد مدفوعا بقوة غامضة لاتقاوم ، ويمكن أن نرى هذا الجد بدوره رمزا للماضي ، للتاريخ ، فإليه تنتسب كل عائلات القرية ، كل مايفعله الجد في عزلته هو أنه يقرأ كل كتب الماضين ، ويسجل في دفاتره وقائع الميلاد والموت ، الجد صامت غامض مشوه (ربما هكذا التاريخ) ولكن لا فكاك امام الناس في القرية من الرجوع اليه ، في لحظات الأزمة والخراب . والتواصل مع الجد ليس طريقه القرابة ، بل الحب والقراءة ، لكنه طريق قد يستغرق الحياة كلها(ربما

هكذا التاريخ) ، يكتشف الحفيد خلال محاولاته الاتصال بالجد أن ثمة امرأة ترعاه ، وتتفاهم معه دون لغة ، ربما بالنظر والتلامس ، فيتأكد له بأنه كان للانسان من الحواس ماهو قبل الحواس ، ومن اللغة ماهو قبل اللغة (ربما ذلك جوهر علاقة المرأة بالحياة ، ورعايتها لها حتى قبل اللغة)

ثم يقع ذلك الحادث العادي دائما ، وغير العادي كذلك ، يموت أحد الناس في القرية ، ويعرف الحفيد أن عملا من أعمال الجد سوف يبدأ ، اذ لابد أن يسجل اسم الميت ، فيترك الجد ليقوم بعمله بمساعدة المرأة ، ويذهب هو الى دار الميت ، نرى من خلال عيني الحفيد طقوس الموت في القرية ، ونرى من خلال وعيه التشوف الى ادراك معنى أن يموت انسان ؟ وأن تتجاور قريتان ، قرية للأحياء ، وقرية للموتى ، « وفي البعد القليل بينهما يدور الناس دائخين محاولين في صبر استئناس العماء بسر التلاوة »

ومعنى أن تتجاور في دفاتر جده أسماء من يولدون ، واسماء من يموتون ، وكأن الحياة والموت شيء واحد ، أو شيئان لاسبيل لأن يفهم احدهما دون فهم الآخر

كان هذا التشوف هو ثمرة علاقة الحفيد بالجد ، وهي العلاقة التي ينضجها الفصل الاول من الرواية وكأن وعي معنى الموت مرتبط بوعي فكرة التاريخ ، فالحيوانات لاتعي فكرة الموت لأنها لاتعي فكرة التاريخ

حين يعود المشيعون بعد دفن الميت ، يبقى الحفيد بجوار المقبرة وكأنه بهذا البقاء سوف يدرك مالايدركه العائدون من أهل قريته وتبقى زوجة الميت ايضا ، وهي امرأة كانت تحنو على الحفيد حنوا رقيقا في حنان ، (هل هي حاجة كل انسان حين يتأهب لأمر خطير الى حنان امرأة ؟ وهل تكون هذه المرأة للحفيد مثل المرأة التي ترعى الجد ، وتتفاهم معه بلغة ماقبل الحواس ؟

القبر

في القبر ، نلتقي بصورتين للموت ، الصورة الظاهرة ، كما كان يراها اللحاد ، جثث بادت ، ينحي جانبا ماتبقى منها ليفسح مكانا لجثة في طريقها الى أن تبيد ، والصورة الخفية أو الحقيقية ، كما يراها الميت حين يتم تحرره من عنصر الجسد حينئذ يحضره عمره كله على ظهر الدنيا « كل الأسماء ، وكل الاوقات ، وكل الناس ، من مات منهم ومن لم يزل على قيد الحياة ، حضور مطلق ، لايثير دهشة ، ولايصنع فرحا ، ولايوجع شماتة ولاندما ولاحفيظة ، وانما يكون معرفة »

ها هو الميت يرى الآن ـ ونرى معه ـ أحداث حياته كلها ، في فيض هذه المعرفة الشاملة

« كان جنينا في بطن أمه حين انفصلت أمه عن أبيه لخلاف بين والده وخاله ، فعاش مع أمه في بيت خاله ، عاش حياته كلها يكره هذا الخال لاعتقاده أنه هو السبب في حرمانه من العيش مع أبيه ، الآن يعرف أن خاله كان يحبه ، ويتمنى أن يتخذه ولدا لأنه حرم من الولد ، ويعرف أن الخلاف بين الأب والخال كان مسئولية الاثنين وانه لم يكن مما يصعب حله ، لقد دفع هو ، كما دفعت أمه التي ماتت كمدا ثمنا عاليا ، لهذا الخلاف ، لأن الاب والخال عجزا عن أن يدفعا الثمن الأقل ، عاش يحمل في جسده عجز أمه ورعبها ، وما بين أبيه وخاله من تمزق وصعبية

هكذا يمضي الميت في رؤية أحداث حياته في لحظاتها الفاصلة فيدرك « أنه جاء الى الدنيا بتكوين عاجز شأنه ، ولم تكن الدنيا بقادرة على أن تمرض هذا الكيان ، بل انها زادت من نقصه حدة ، وعليه فقد عاش دائرا بين عنف الحب وعنف الكراهية (وها هو يدرك الآن) أنهما عاطفتان جوهرهما واحد هو الخوف ، يختلف اتجاهه لكنه لايكون أبدا غيرة أو اثرة أو مراعاة »

وهكذا حين يجيء الملكان في الفصل الثالث يبدو أن كل شيء قد انضج ذلك السؤال الكبير وفق أي معايير سوف يحاسب ذلك الانسان ذو التكوين العاجز والمعرفة الناقصة ؟

يجيء الملكان في صورة تستمد بعض ملامحها من التراث الديني ومن خلال الحوار الممتد بين الملكين والميت بغير لغة ، نتعرف على معايير الحساب ، هي معايير تنأى عن كل مايتصل بنقص المعرفة بسبب قصور الجسد الانساني وعجزه ، وتقوم على أساس قديم جديد ، فحيث ان كل فعل انساني بته من بالضرورة حكمة منه ، فعلى الانسان أن يكون في حالة تمحيص دائم لأفعاله ، حتى يدرأ الاحتلال س

عل و كمة الفعل
بأي وسيلة يتم هذا التمحيص ، ويتم تقدير
لحكمة بعقل الفرد ؟ أم بعقل الجماعة ؟ هكذا
أل الميت
ويرد الملكان
« ليس عقل الفرد ولا عقل الجماعة ، فكلاهما يرد
له شرط العجز،وليست الحكمة المطلقة بل هي
كمة فعل محدد ، في ظروف محددة ، وهي حكمة
عقق نتيجة محاولة المرء استكناه الاتجاه الحقيقي
ص الذات في حالة تحرره من الخوف أو الطموح أو
شهوة . واختيار الفعل أو الامتناع عنه ، الذي
كد وجود الفاعل ولا يحطر ترقيه ، ويؤكد وجود
حرين ولا يحظر ترقيهم
« هل يجعل الملكان الأمر اكثر صعوبة ؟
هكذا يبدو على الميت أنه يشعر ويجيب الملكان
« ان الاحتلال بين الفعل وحكمته يؤدي الى ابتعاد
رد عن الانسان الحقيقي الى الانسان الدور أو
طيفة ، وما يكون في ذلك من مسخ للفطرة ،
ساءل الميت كمن وجد حبل نجاة ، من المهم اذن
نعرف كيف نفهم الفطرة ؟
« انها رغبة كل كائن في البقاء والترقي بدءا من
ر صور الحياة بدائية
« الا تؤدي هذه الرغبة الى المزاحمة حتى يكون
ط بقاء الواحد قتل الآخر
« قد تكون المزاحمة هي الصورة البدائية للفطرة ،
ن الفطرة تتجه دائما لتصحيح ذاتها ، حتى يكون
الها في الانسان الذي يكون شرط بقائه وترقيه بقاء
حر وترقية كذلك ، فاستنكار كل صور القتل
لاصرار هو جوهر كل شريعة
« هل تكون الشريعة تعبيرا دائما عن الفطرة ؟
« الزمن الذهبي لكل رسالة حيث يكون الانطباق
ا بين الشريعة والفطرة » كيف يحدث الاختلال
ن اذن ؟
تقوم المؤسسات بتجميد حركة الشريعة فلا
ا ر حركة الزمن بناسه
يمضي الحوار بين الملكين والميت ، يتحدثان عن
المؤسسات في ايجاد ذلك الهرم الاجتماعي ،
ث يكون القهر عنصرا لازما لتماسكه،ونوع

الناس الذين يؤلفون قاعدته وقمته ، وكيف تحت وطأة ذلك الهرم الاجتماعي تتحول نزعة البقاء والترقي الى قانون البقاء للأصلح ويصبح ذلك القانون تبريرا للقتل في كل صورة من صوره ، ويصبح دور المؤسسات إعادة صياغة الفرد ليصبح لبنة في بناء هرمي ما ، تقليل حماسته لأن يكون بشريا ، واذكاء حماسته ليكون نمطا

« كيف يستخلص الانسان نفسه من هذه القبضة ؟

« بأن يملك الواحد حياته ، تكون لوحة يرسمها لا حطة يبحث عن تفاصيلها في سفر من الاسفار .

« لكن الضجيج عال حتى لايكاد احد يسمع صوتَ داخله ، مهما علا الضجيج لايسعه أن يكتم صوت الداخل .

ويبدأ الحساب وفق ذلك المعيار في أي المواقف من حياة ذلك الميت أهدر صوت داخله ؟

الحساب

لقد اختار الملكان من طفولة الميت لحظة كانت فيها فعاله مطابقة لفطرته لاعتبارها ميلادا حقيقيا له

قالا له تلك اللحظة التي وقفت فيها في المحكمة أمام القاضي تجيب عن سؤاله . إن كان ذاك اباك ؟ وان كنت تريد غير مرغم ولامكره أن تعيش في كنفه فقلت بصوت قوى واضح نعم

لم يستطع كل ما كان حولك من جو غريب ، جهامة القاضي وصيحات الحاجب ، وعسف الحراس ، وغضب الخال ، وارتياع الاب والجدة أن يشوه رغبتك الحقيقية التي نبعت من اعماقك ، كان ذلك شيئا عظيما

واذا كانت تلك هي لحظة الميلاد لانسان ، فثمة لحظة أحرى كانت هي لحظة الميلاد للانسان الذي تخالف فعاله فطرته .

كانت تلك اللحظة حين هرب من المدرسة لأول مرة وعاد الى القرية ، كان رفضه للمدرسة رفضا صحيحا لنوع من التعليم لايهدف الا لتحويل الطفل الى كمية لينة من الطاعة والخضوع ، ولكنه أمام غضب أبيه عاد الى المدرسة التي لم يكن يحبها .

« نسألك الآن لماذا عدت ؟

« لم يسعني أن أخالف أبي

« لقد خالفت خالك في المحكمة ، وكانت سطوته

عليك أكبر من سطوة أبيك
« ربما يرجع ذلك الى قوة أبي ، الى عرف الوقت الذي يجعل طاعة الأب واجبة
« تكون » لا » ممكنة في كل الاحوال ، لامبرر ابدا لأن يجحد الانسان صوت داخله

مقبرة أم عيادة طبيب نفسي ؟

ويستمر الحساب عبر مواقف مماثلة في حياته كلها ، فلا تدرى أهو حساب ملكين في مقبرة أم حوار بين طبيب نفسي ومريضه في عيادة فالحساب كله ارتياد شجاع لطبقات النفس الاكثر خفاء لاكتشاف تلك الخارطة المجهولة لما أسماه الكاتب

« الاتجاه الحقيقي لنبض الذات في حالة تحرره من الخوف أو الطموح أو الشهوة،واختيار الفعل الذي يؤكد وجود الفاعل ولايحظر ترقيه،ويؤكد وجود الآخرين ولايحظر ترقيهم

ويكشف الكاتب خلال تلك الرحلة عن أن لاتكون ممكنة دائما كما يحفر عميقا من خلال الحوار عن دوافع الاحجام عن نطقها ، على أن الكاتب هنا يوحي بأن بمقدور أي انسان ، بل ومن واجبه لو أحسن الاستماع لصوت داخله ، أن يصل الى معرفة الاتجاه الحقيقي لنبض ذاته

النشور

في بداية الفصل الاخير ، نلتقي بالحفيد الذي تركناه في نهاية الفصل الاول بجوار المقبرة « لايدري منذ متى وهو جالس هنا تحت الشمس ، أتراه أخذته سنة من النوم جنب الشاهد والصبارة ؟ وفي النوم طافت به الاحلام العجيبة » ؟

يبدو الحفيد هنا كأنه واحد من أهل الكهف ، يبعث من موت أو من نوم يشبه الموت

يبدو الحفيد هنا وكأنه هو الذي يتحقق النشور من خلال يقظته،وكأنه كان هناك طول الوقت داخل المقبرة يرى ويسمع ، وكأن الكاتب يوحي لنا بأن التشوف للمعرفة - وهو هاجس داخلي اصيل - مكافأته الوصول الى درجة ارقى من المعرفة ، وتلك هى العلاقة العضوية التي قد يراها البعض واهنة بين الفصل الأول والأخير ، وبقية فصول الرواية

هل يكون هذا الفصل هو محاولة الحفيد رقا وعى الدرس - أن يعيش الحياة الممكنة التي سمح للانسان أن يعيشها ؟

يوتوبيا عبد الحكيم قاسم

يذهب الحفيد ليتعلم فماذا يجري ؟
« إن وافق ميل نفسه ان يسمع في الفقه أو البلا أو الاصول ذهب الى شيوخ هذه العلوم ، وإن اطر ان يشارك في تجارب الكيمياء أو علم الحيل مال حيث هوى نفسه »
(اعلاء لميول الفرد) ولكن هذا كله في النها لايروق لشيوخه فيرحل عنهم قائلا
« بعد القراءة تكون « الرحلة ، انها السكنى للحب »

(امتزاج المعرفة بالخبرة) يقفل راجعا ا القرية ، يقرىء السلام،يفرح برد السلام ، وا ماحل بامرأة طيبة أو رجل كريم ، جلس صامت منصتا يسمع عن الارض والزرع ، عن البذا والحصاد ، عن نجاة المحصول وعن نزول الآفة يسمع عن البهائم التي هي صحبة الانسان ، يسم عن حرسها ، وعن لغة شكايتها الصامت والمواجع »
(تعلم جديد من الواقع المعاش ، اقتراب ود متفاهم من الناس ومن الطبيعة)

« جلس قدام دارهم يقرأ ، قال لأبيه يا أ سأعمل بطعامي وبثمن كتبي هل تأجرني بشرطى ؟
(تطور علاقة البنوة من الاعتماد الى الاستقلال الأجير هو الذي يضع شروط عمله ، وهي شرو تعني الوفاء بالحاجات الأصيلة للانسان ، المحاف على البقاء بالطعام وتحقيق التطور من خلا المعرفة)

« لما مات أبوه ورث قطعة أرض ، قال في نفسه ينبغي أن يعرف الزراعة ويتعلم من الزراعة (وك الأباء في القرية قد دفعوا اليه بأولادهم ليعلمهم علمه) ، ولما حسن المحصول اكثر ، جمع تلام وسألهم ماذا يفعل فيه ؟ قالوا له لاتعط الفقراء بل أوقف مالك على المسجد ، انه مؤسسة صا انه الدار والمدرسة منذ الزمن الاول ، وان عل يكون خادما للمسجد ، لا مالكا للارض »

يموت الجد ، بعد أن يبدو أن الحفيد قد استوعب خبرة الحياة والموت وحكمة التاريخ ، ليصبح الحفيد جدا وتمضي الدورة

تقويم تجربة

تدخل هذه المغامرة الأدبية عالم الرواية من اوسع ابوابها فثمة تلك الوحدة الفكرية والروحية والنفسية التي تجمع عناصر التجربة ، من الجد الى الحفيد الى المرأة الى الميت الى الملكين،وثمة،تلك الخلفية الواحدة من اهل القرية ، ودورها ، ومقابرها ، وحقولها واطياف المدن ، باختلاف درجاتها في وعي خبرة الموت والحياة وهو الاختلاف الذي يكشف عن منحنى التطور في وعي الفرد ووعي الجماعة

وثمة وحدة التجربة ذاتها بمختلف مراحلها،تتنوع الادوار ولكنها تتكامل في النهاية كسمفونية يشترك في أدائها عشرات العازفين ، تبدأ بوعي فكرة الموت من خلال خبرة التاريخ ، وتمر بخبرة حياة الميت حين يمر بامتحان الموت والحساب ثم يأتي نشور الحفيد في الدنيا ليكتمل البناء ، ويتم استيعاب الخبرة

على أن الوحدة العظمى على تلك التي تنبع من لغة الرواية وهي لغة خاصة جدا ، اختار الكاتب فيها كل جملة ، وكل كلمة ، وكل حرف .

وهي مثل أي رواية ، رغم النزعة العقلانية في بعض فصولها تومىء الى اتجاهات اكثر مما تشير الى حلول . فالحلول دائما تبقي مسئولية اصحاب المواقف في كل جيل ، وفق تقديرهم الخاص لواقع ظروفهم

على ان الاتجاه الى ضرورة الانصات لصوت الداخل والاهتمام بالآخر ، والاقتراب الحميم من عالم الطبيعة ودفء الناس ، هو اكثر مانحتاجه في عصر المؤسسات العملاقة التي تسحق نبض الفرد ، وتعمل على تنميطه وصياغة حاجاته وفق حاجاتها

مخاطر التبسيط

لكن يبقى السؤال او الاسئلة ألا تحمل مثل هذه الرؤى مخاطر تبسيط المعقد ، والنأى عن مواجهة تعقيدات الواقع ، وهي تتكلم بلغة الفن المدجنة) ؟ .

فهل يمكن أن نتحدث عن صوت الداخل وكأنه صوت واحد نقي واضح يمكن الاستماع اليه دائما مهما علا الصخب والضجيج من حولنا او مهما اشتد به الوهن والضعف ؟

فالفطرة ـ بغض النظر عن أي تعريفات لها هي خامة الحياة الاولى ، ومصدر الطاقة والحيوية ، ومن هنا فهي تنطوى على كل متناقضات الحياة وشتى نوازعها ، وما يصدر عنها ليس ابدا صوتا واحدا بل هو جوقة هائلة من الاصوات ، فاذا كان ثمة صوت يخدم نزعة الارتقاء فهناك صوت يعبر عن الرغبة في الانسحاب والموت (فرويد) والكاتب نفسه يلاحظ ملاحظة هامة حول تطور الفطرة من مرحلة شائهة يكون فيها التعبير عن نزعة الارتقاء بقتل الآخر الى مرحلة يكون فيها ارتقاؤها مشروطاً بارتقاء الآخر ، فكيف يتم هذا التطور ؟ انه يتم عبر جدل طويل وعميق بين الداخل والخارج ، فالفطرة لاتتطور عبر مونولوج داخلى ، بل عبر حوارها مع فطرة الآخر في الخارج ، وشرط تصحيح الفطرة لذاتها هو تصحيح تواصلها مع الخارج ومع الآخر في الخارج ، فمقابل الصوت الداخلي الصحيح صوت خارجي صحيح يدعمه ، ومقابل الصوت الداخلي الخاطىء صوت خارجي خاطىء يدعمه كذلك .

هل من المناسب ان نناقش عملا فنيا بهذه الطريقة ؟ ربما مادام ذلك العمل الفني قد اختار هذا المنحى الصعب للسير فيه ؟ ومن هنا فاننا نستطرد في التساؤل هل الصعوبة تكمن فقط في تبين صوت الداخل الصحيح الذي يخدم الارتقاء والتطور ، أم المشكلة أننا احيانا ندرك الصوت الصحيح ولكننا نحجم عن متابعته بسبب الثمن الغالي الذي يتطلبه لأنه ثمن التطور ؟ الثمن الذي يدفعه البعض مرة ومرات ثم يحل به التعب فيستجيب لصوت الانسحاب والموت وهو ايضا يأتي من الداخل .

قد لايتسع المجال هنا لمتابعة الحوار مع هذا العمل الرائع مع كل جوانبه الثرية والخصبة ، وما تثير من تساؤلات وتبتعث من افكار ، ولعل أخطر ما في هذا العمل أنه يجيء في وقت يعلو فيه ضجيج الأصوات الخاسرة ، فيبدو ، وكأنه صوتنا الداخلي الصحيح ، وما أجدرنا بأن نحسن الاستماع اليه والحوار معه . □

باكستان سنوات الصراع والأحلام

استطلاع :
محمود عبد الوهاب
تصوير : طالب الحسيني

« أربعون عاماً انقضت منذ تأسست باكستان ، ومنذ ذلك اليوم وهي تعيش متناقضات التاريخ والثروة والسلطة والقوميات والانفصال ، ورغم ذلك فان الكثيرين يرون أن باكستان مؤهلة لتلعب دوراً أكثر أهمية من دورها الآن . وفي وسط ذروة من ذرا تصاعد الأحداث طارت بعثة العربي إلى هناك لتراقب وترصد وتنقل .

هبطنا مطار كراتشي في ساعات الصباح الأولى ، كانت صحف الصباح تحمل أخبارا عن حشود عسكرية على الحدود بين الهند وباكستان ، وفي برقيات وكالات الأنباء تأكيد يفيد أن الهند قد حشدت أكثر من ٨٠ بالمائة من قواتها العسكرية ووضعتها في حالة التأهب وأن إطلاق النار قد حدث بين دوريتين ، وفي نفس الصحف أخبار أخرى عن حالات شغب في منطقة بلوشستان ، ورغم كل هذه الأخبار فإن الحياة كانت تسير بشكلها اليومي ، لأن الباكستانيين - على ما يبدو - قد تعودوا على هذه الحالات منذ سنوات طويلة

فور دخولنا الى مبنى المطار كان مرافقنا ينتظرنا ، تبادلنا التحية « السلام عليكم » بالعربية ، ثم انتقل الحديث الى اللغة الانجليزية ، أثناء انتظارنا للطائرة التي ستنقلنا من كراتشي الى العاصمة الجديدة (اسلام أباد) أخذت أرقب حركة المسافرين ورغم أن الساعة لم تتجاوز السادسة صباحاً فالمطار مزدحم ، وحركة الطيران بين المدن الباكستانية الكبرى لا تهدأ ، وبين كل فينة وأخرى يأتي صوت مذيعة المطار الداخلية ليعلن عن اقلاع أو هبوط رحلات بادئة إعلانها بالسلام عليكم ، ثم تذيع الاعلان باللغة الأوردية ، وفي نهاية الاعلان تتلو آية من القرآن الكريم ثم تنتقل الى الاعلان باللغة الانجليزية ، ووسط لوحات الاعلانات التجارية الكثيرة والمتنوعة داخل المطار لوحات أخرى منقوش عليها آيات من القرآن الكريم وعبارات مأثورة تمجد الاسلام والمسلمين

مدينــة الســـلام

وصلنا اسلام آباد الشوارع متسعة . الخضرة تكسو جوانبها المباني أنيقة نظيفة بيضاء ، وإسلام آباد هي العاصمة الجديدة،بدأ التخطيط لبنائها في عام ١٩٥٨ وأصبحت العاصمة الرسمية اعتباراً من العام التالي ، وقد صممت المدينة كمقر للحكومة المركزية وأجهزة الدولة ، بها مقر الرئيس ، والحكومة والبرلمان ، والوزراء والادارات المركزية ومساكن العاملين بهذه الأجهزة على جميع مستوياتهم الادارية بدءاً من مناصب الادارة العليا وحتى الأعمال الحديثة ، ووسط كل مجموعة من المنازل التي تشكل حياً سكنياً سوق يضم العديد من المحلات للأعراض المختلفة ، ولذلك فان تعداد المدينة لا يتجاوز ٣٥٠ الف نسمة فقط ، على عكس كل مدن باكستان المكتظة بالسكان ، فكراتشي مثلا يقارب عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، ويرجع سبب قلة عدد سكان إسلام آباد لكون المدينة بلا فرص عمل فإما أن يكون القاطن بها يعمل بالحكومة او بالتجارة في بعض المحلات القليلة العدد ، أو بعض البائعين الذين يهبطون سوق المدينة يبيعون الخضار والفاكهة في يوم واحد من كل اسبوع

وتعد إسلام آباد بذلك مدينة موظفي المكاتب (البيروقراط) ، وبرغم أن كثيرا من دارسي تخطيط المدن ينادون بأن تبدأ كل بلدان العالم الثالث المكتظة بالسكان في نقل العاصمة ، الى مكان جديد مثلما فعلت باكستان والبرازيل من قبل ، ويرون أن النقل هذا يحل مشكلة الجذب نحو العاصمة والهجرة اليها ، الا أن بعض الساسة يرى أن نقل العواصم فيه ميزة أمنية ، حيث يمكن وضع الدولة (المؤسسات) تحت الحراسة المأمونة ويسهل في مدن جديدة وصغيرة أن يتم تأمينها ضد نزعات المغامرين

ولأن وصولنا الى العاصمة كان يوم جمعة ، فقد صحبنا مرافقنا الى المسجد لأداء الصلاة وطوال الطريق أخذ يحدثنا عن المسجد الجديد وعن روعة التصميم وجمال التشييد وفخامة التأثيث وكيف أن المسجد سيكون بمثابة مركز اسلامي به جامعة للدراسة ومكان للصلاة ووصلنا الى طريق المسجد الناس يتوافدون اليه رجالاً ونساءً وأطفالاً الباعة جالسون أمام الباب . يبيعون رؤوس الفجل المغموسة بالفلفل والملح ، وأمام المسجد كانت المفاجأة فقد كان حديث مرافقنا غير دقيق ، فالمسجد لم يكن جميلاً ورائعاً فقط بل كان تحفة معمارية لا يضاهيها في الجمال والروعة مبنى آخر

المسجد عبارة عن مجمع إسلامي،يسع صحن المسجد وحده ١٥ الف مصل،و ١٥٠٠ مكان لصلاة النساء في مقصورة علوية،ولكن المنطقة المحيطة بالمسجد تتسع لحوالي ٣٠٠ الف مصل،أي أن

. ـسجد يسع كل سكان إسلام آباد ، ويعتبر صحن
. ـسجد ـ كما قال لنا المهندس التركي الذي وضع
التصميم ـ أكبر صحن مسجد في العالم بدون أعمدة
على الاطلاق ، وحول المبنى الرئيسي من الخارج
وضع المصمم قناة مفتوحة من الرخام ـ وفوقها على
سطح القناة مباشرة فتحات تهوية بحيث يكمل
جريان الماء في القناة مع فتحات التهوية تلطيف درجة
حرارة المسجد وتهويته ، وكل ما في المسجد جديد
ومبتكر ورائع ، المنبر من الرخام الفاخر ، ولا يزيد
ارتفاعه عن خمس درجات فقط ويمثل المنبر وحده
قطعة تشكيلية واحدة ، المحراب قطعة فنية أخرى
وهو عبارة عن لفظ الجلالة مكتوب بالفسيفساء على
واجهة المحراب وبجواره ـ بحجم أصغر ـ مكتوب
اسم النبي الكريم محمد ﷺ » وتعليقا على شكل
المحراب المبتكر قال المهندس التركي فيدات
دالوكاي « في كل المساجد يوضع على المحراب
اسم الجلالة واسم الرسول ﷺ وأسماء عدد من
الصحابة ، ومع تقديرنا للصحابة جميعاً رضوان الله
عليهم « ومع حبنا وتوقيرنا العميق للرسول
الكريم الا أنه لا أحد من هؤلاء جميعاً مساو لله عز
وجل حتى يقرن اسمه باسمه ، ولذلك فعندتصميمي
للمحراب وضعت اسم الجلالة وحده،وبعده يأتي
اسم رسولنا الكريم » وفي منتصف سقف المسجد
تتدلى ثريا بالغة الروعة والدقة والبساطة ، وقد
صنعت الثريا خصيصاً في المانيا الغربية ، وتزن قرابة
٦ أطنان ونصف ، وعلى يمين الداخل من الباب
الرئيسي ، وفي المنتصف ، توجد منصة المقرئ،
وخلفه لوحة فنية رائعة مصممة على الرخام الملون ،
مكتوب عليها الآية الكريمة « إن هذه أمتكم أمة
واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وقد بلغت تكلفة
المسجد قرابة الـ ٤٥ مليون دولار ، وقد تقاضى
المهندس ـ الذي فاز تصميمه في المسابقة العالمية التي
أجريت عند التفكير في إنشاء المسجد ـ ٥ بالمائة من
إجمالي التكلفة النهائية للمشروع

أزمات الأرض الطاهرة

ظهرت باكستان في البدء كفكرة في عقل الشاعر
الكبير محمد إقبال ، وباكستان ـ لغة ـ تعني الأرض
الطاهرة ، ويبدو أن اختيار هذا الاسم كان مناسباً

● خريطة باكستان يتضح فيها الموقع والجيران

ومناسقاً مع التي أعلنها الشاعر الكبير لأول مرة
بشكل علني في خطاب عام له في مدينة الله آباد عام
١٩٣٠ فطرح في خطبته الشهيرة هذه فكرة تقسيم
الهند ، لأن الاختلاف واضح بين المسلمين
والهندوس من حيث الدين والمعتقدات ، ولأن
المسلمين أمة منفصلة عن غيرها فانه يجب أن تتمتع
بدولة مستقلة ، هذا هو جوهر فكرة إقبال التي تنبع
جذورها من أفكار « الجماعة الاسلامية » التي كانت
في ذلك الحين حركة تحديثية تستقي مبادئها من أفكار
إقبال،وسيد أحمد خان ، وشبلي نعمان ، وغيرهم من
المفكرين الاسلاميين المحدثين ، وتحولت الفكرة إلى
حركة سياسية قادها مؤسس الباكستان محمد علي
جناح ، وسرعان ما لاقت الدعوة إقبالاً من كثير من
المسلمين الذين كانوا يعانون افتقاد معنى العدل في
ظل احتكار الهندوس للسلطة والثروة في الهند .

وشهدت الفترة من عامي ١٩٣٨ الى ١٩٤٤ تنامي
الحركة الباكستانية من مجرد تكتل يعبر عن مصالح
أقلية مسلمة الى حركة لأغلبية المسلمين تبحث في
جوهرها عن المساواة الاقتصادية والاجتماعية ،

• الى أقصى اليسار
مطر عام لمى الحامع
الكبير في إسلام اباد ،
والى اليمين بالترتيب
من أعلى صحن المسجد ،
والثريا الماحرة ،
ثم مستشمى
الشيح رايد في
لاهور ، ثم فصل
دراسي في مدرسة
في عرص الطريق
تاقصات
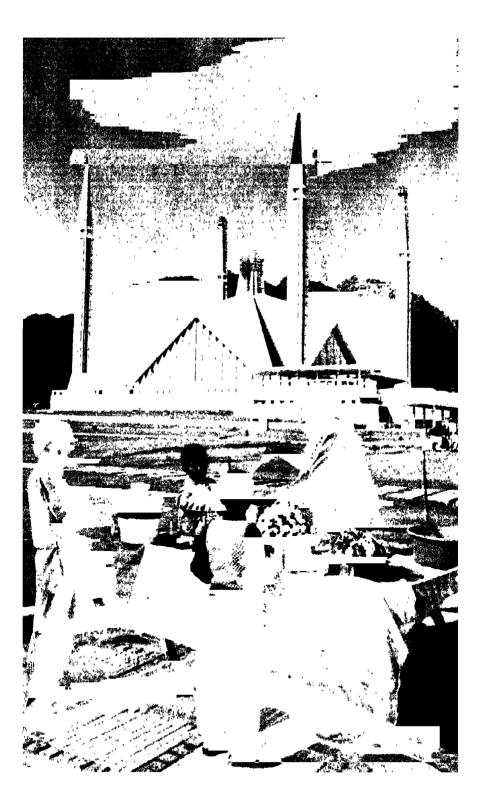
ولذلك فانه من الثابت تاريخياً أن بداية الحركة الاسلامية وانتصارها في أول معاركها كان في بنجالاديش (باكستان الشرقية سابقاً) حيث كانت السلطة والثروة في يد الملاك الهندوس أما باقي المسلمين فهم فقراء مقهورون

المهم أن البريطانيين ـ حكام الهند في ذلك الوقت ـ إستمروا هذا التناقض ، وكانت حركة انفصال باكستان تقف في مواجهة دعوات غاندي ثم نهرو ، وحزب الرابطة الاسلامية يواجه حزب المؤتمر ، وفجأة أعلن البريطانيون استقلال الهند وإنشاء دولة باكستان في ١٥ أغسطس ١٩٤٧ وتم رسم حدود الدولة الجديدة وفق الأقاليم التي بها أغلبية مسلمة ولم يراع البريطانيون أية عوامل أخرى اقتصادية أو ثقافية أو جغرافية ، وهكذا ظهرت في نهاية الأربعينيات باكستان ـ بقسميها الشرقي والغربي ـ ولكنها منذ اليوم الأول وهي تحمل داخلها ألغام موقوتة تهدد بالانفجار

ومنذ الاستقلال وحتى الآن خاضت باكستان ثلاث حروب مع الهند منيت في الحرب الأخيرة ١٩٧١ بهزيمة عسكرية خسرت فيها شطرها الشرقي باكستان الشرقية (بنجالاديش حالياً) ، وأكثر من نصف سكانها،وأكثر من ٩٠ ألف ضابط وجندي وقعوا في الأسر ، وشهدت أيضاً ثلاث فترات من الأحكام العرفية ، وتم وضع خمسة مشروعات لدساتير صدر ثلاثة منها (١٩٥٦ ، ١٩٦٢ ، ١٩٧٣) ، بالاضافة الى عديد من أحداث التمرد والعصيان التي تتراوح فتراتها بين أشهر وأعوام ، وأشهرها العصيان القبلي الواسع في بلوشستان الذي حدث بين عامي ١٩٧٣و١٩٧٧ ، وقدر عدد الذين اشتركوا فيه الى ما يصل الى ٥٥ ألفاً من رجال القبائل في مواجهة قوة حكومية يصل قوامها الى ٧٠ ألف جندي

وعلى مدى الأربعين عاماًـهي تاريخ باكستانـلم تشهد انتقالاً للسلطة بشكل سلمي وطبيعي الا مرة واحدةحين تولى فيها ذو الفقار علي بوتو الحكم عقب انفصال بنجالاديش

فعقب وفاة محمد علي جناح في عام ١٩٤٨ تولى السلطة رئيس الوزراء ياقوت علي خان،الذي اغتيل في أكتوبر ١٩٥١ ، ثم اندلعت الحرب الأهلية ، وفي أعوام ١٩٥٧ و ١٩٥٨ اشتدت الصراعات الاقل[illegible] وتدهورت الأوضاع مما أدى بالجيش الى التدخل في [illegible] أكتوبر ١٩٥٨ وسلم السلطة الى محمد أيوب خان واستمرت فترة حكم محمد أيوب خان قرابة عشر سنوات ، وفي عام ١٩٦٩ انفجرت المعارضة [illegible] على شكل أعمال عنف انتهت باستقالته في ٢٥ مارس من العام نفسه،واستيلاء الجنرال يحيى خان رئيس هيئة أركان الجيش على الحكم ، فألغى الدستور وفرض الأحكام العرفية ، ولكن الاضطرابات لم تهدأ وانتهت بانفصال (الجزء الشرقي) بنجالاديش بعد حرب تدخلت فيها الهند الى جانب بنجالاديش واستمرت اسبوعين وعقب الحرب سلم العسكريون السلطة إلى ذو الفقار علي بوتو الذي بدأ في طرح شعارات شعبية،وحاول في مفاوضات مع الهند وضع حد للتوتر بينها ، ولكن الاضطرابات الداخلية وعدم تحقيق بوتو ما وعد به بالاضافة الى المعارضة الاسلامية من جانب بعض الحركات الأصولية لأفكاره الاشتراكية أدت الى انفجار أعمال عنف بالاضافة الى الاضطرابات التي تفجرت في منطقة اقليم بلوشستان مما دفع بالجيش مرة أخرى الى الاستيلاء بالقوة على الحكم ، وأعلن الجنرال ضياء الحق في ٥ يوليو سنة ١٩٧٧ استيلاء الجيش على الحكم إنقاذاً للبلاد ، وأعلن الأحكام العرفية وألقي القبض على ذو الفقار علي بوتو ثم أعدم بعد محاكمته ! ! وتحت حكم الجنرال ضياء الحق ، بدأت باكستان تعيش حالة من الاستقرار النسبي حتى الآن ، وبدأت تدريجياً في العودة الى حكم دستوري تحت إشراف الجيش

الجـــــــذور

هذا التاريخ من الصراع والاضطرابات ليس وليد صدفة ولا نتيجة حالات مزاجية ، ولكن تعبيراً عن تناقضات اجتماعية واقتصادية تضمنها النموذج الباكستاني منذ اليوم الأول لتأسيس الدولة ، وكانت أكثر المشاكل التهاباً ـ وما زالت ـ مشكلة القوميات ، فبينما كان الجزء الشرقي من الدولة في ذلك الوقت (بنجالاديش حالياً) يمثل تجانساً قومياً حيث أن ٩٨ بالمائة من السكان من البنغاليين وهم شعب ذو ثقافة قديمة عريقة،ولم يكن لديهم في الجزء الشرقي مشاكل

* جناح العلاج المجاني في مستشفى الشيخ زايد عناية فائقة ونظافة تامة

قوميات تذكر، اذ لا يتجاوز عدد الأقليات القومية ٢٥٠ الف نسمة ، كانت مشكلة القوميات الحقيقة - وما زالت - في الجزء العربي من الدولة عند التأسيس وهي ما يعرف حالياً بباكستان - موضوعنا في هذا الاستطلاع - فهي تحتوي على أربعة أقاليم أساسية وبعض الولايات وكانت هذه الأقاليم تمثل قوميات مختلفة ومتمايزة ، وهكذا فقد أصبحت الدولة تضم أربع قوميات متباينة يمثلون سكان مناطق « البنجاب ، والسند ، والباختون ، والبلوش ، ومنذ قيام باكستان والبنجابيون هم المجموعة الأكثر سيطرة ، فهم الأكثر من الناحية العددية ، والمسيطرون من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فهم يشكلون نحو ٦٠ بالمائة من إجمالي السكان بينما يشكلون ٨٠ بالمئة من القوات المسلحة ، وما يتراوح بين ٨٠ ، و ٨٥ في المئة من الوظائف الادارية العليا ، وحوالي ٨٠ بالمئة من فئة رجال الأعمال ، وهم أصحاب الثروة والسلطة

وبجانب البنجابيين هناك القومية الثانية من حيث العدد وهي السند ، ثم الباختون الذين يعيشون في منطقة الحدود الباكستانية المشتركة مع أفغانستان والاتحاد السوفيتي ، ثم أخيراً البلوش الذين يعيشون في منطقة بلوشستان

وكما تقول دراسة دكتوراة أعدها خاقان مظفر وقدمت لجامعة ميامي عام ١٩٨٠ وتناول موضوعها سياسة تكوين المجالس الوزارية في باكستان (٤٧ - ١٩٧٧) فقد تعرضت الدراسة إلى وضع القوميات ومدى مشاركتهم في المناصب العامة فتقول من بين ١٧٩ شخصاً تولوا مناصب وزارية في باكستان خلال ثلاثين سنة لم يكن منهم سوى أربعة فقط من البلوش،هذا على مستوى الوزارة المركزية ، أما على مستوى الحكومات المحلية في الأقاليم فقد ظل البلوش مستبعدين بصورة تكاد أن تكون كاملة عن مواقع اتخاذ القرار ، وعلى سبيل المثال تقول نفس الدراسة أنه في عام ١٩٧٢ كان في بلوشستان حوالي ٤٠ ألف موظف مدني ، وكان منهم الفان فقط ، أي ٥ بالمائة - من البلوش،وحتى هذا العدد الضئيل كان معظمه يعمل في وظائف متدنية

وقد كان من الممكن تفادي صدام الأقليات ، ولكن توالي الحكومات العسكرية وعدم وجود مجموعة من القيم السياسية المهيمنة،ساعد

انتسامة صافية لفتاة
من باكستان في يوم
عيد الزهور ،
والى اسفل
اسرة في نزهة

• شارع في قلب الحي
التجاري في لاهور
زحام خانق وترهل
المدينة يتضح من الوهلة
الاولى - الى اسفل
جانب من حدائق
شاليمار التاريخية
الشهيرة
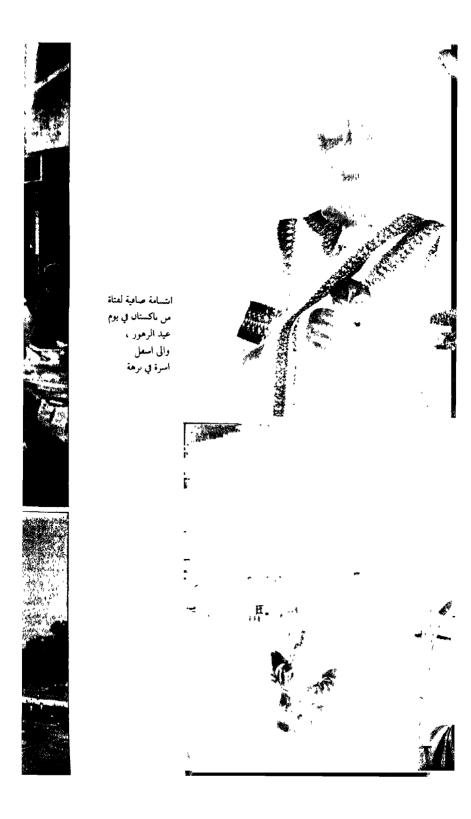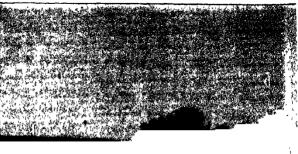
على انفجار الأزمات، خصوصا بعدما تلاشت أحلام السنوات الثلاث الأولى بعد التأسيس، والتي كانت تأمل بحياة عادلة تتسم بالمساواة والعدل والحرية وظلت التجربة الاسلامية منذ بدء الدولة وحتى عام ١٩٥٨ بلا مضمون اجتماعي أو اقتصادي، ولذلك فعندما جاء أيوب خان الى السلطة حاول انقاذ الموقف بطرح ما يمكن تسميته بقومية التنمية وبدأ يطرح أفكاره عن التنمية والنمو الاقتصادي . وعند قراءة خطب أيوب خان الرسمية سرعان ما نكتشف أنه يستشهد بفقرات مطولة من كتاب « مراحل التنمية لوالت روستو » الذي عمل مستشاراً لفترة مع الرئيس الأمريكي كنيدي

ولم يكن تنازع القوميات وسوء المعاملة والحكومات العسكرية المتعاقبة وراء انفجارات الصراعات القبلية والعرقية ، فقد ساعد على ذلك أيضاً متاعب البداية الاقتصادية ، فبعد تقسيم الهند وتأسيس باكستان لم يراع أحد - كما قلنا - الظروف الجغرافية والاقتصادية، وكان نصيب الدولة الجديدة أقاليم تتسم بالانخفاض الشديد في مستوى التطور الاقتصادي فكان ٨٥,٢ في المئة من سكان باكستان يعيشون في الريف ولم يكن نصيب باكستان الحالية من المشروعات الصناعية الموجودة في شبه القارة الهندية الا ١٠٧٩ مشروعاً من بين (١٤٦٧٧ مشروعاً) ، وكانت المشروعات الصناعية الصغيرة التي وجدت في باكستان بعد التقسيم عاجزة عن توفير أبسط احتياجات البلاد من السلع الصناعية ، كما تأثر الوضع الاقتصادي للدولة على نحو سلبي من جراء ضرورة تخصيص عشرات الملايين من الروبيات سنوياً من ميزانيتها لتسدد لبريطانيا ثمن نظام الري والسكك الحديدية التي آلت الى ملكية باكستان بعد التقسيم ، وكانت هذه المدفوعات تزيد على ٥٥ مليون روبية سنوياً منها (٤٠) مليوناً سداداً للدين الأصلي و (١٥ مليونا) كفوائد ، وكان الانتاج الزراعي يتم بوسائل بدائية ، وكان توزيع الملكية في المجتمع معقداً فقد كان هناك (٦٠٦٠) من كبار الملاك يمتلكون من الأراضي أكثر مما تمتلكه « ٣,٣ مليون » عائلة من الفلاحين ، وكان أكثر من نصف الأراضي الزراعية تزرع بواسطة حائزين لا يتمتعون بأية حقوق على الاطلاق - كما تأثرت كثير من المحاصيل التي كانت قبل التقسيم تزرع في باكستان وتصنع في الهند ، مثل الجوت الذي كانت مساحته المزروعة تزيد على مليون فدان بالاضافة الى نقص الطاقة الكهربائية ونقص العمالة الفنية المدربة، وبالاضافة الى استمرار الاحتكارات البريطانية في قطاعات المصارف والنقل البحري، والوكالات التجارية والتجارة الخارجية وغير ذلك من أفرع الاقتصاد الوطني

لكل ذلك، لم تكن البداية سهلة ولا ميسرة بحيث يعوض النمو الاقتصادي مصاعب تعدد القوميات وافتقاد العدالة الاجتماعية . وهكذا تفاعلت جذور عديدة سياسية واقتصادية وعرقية، لتصوغ حقل الألغام الذي سارت فوقه باكستان طوال أربعين عاما مضت ، كانت قمته انفصال القسم الشرقي (بنجلاديش) عن الغربي (باكستان)

بؤرة ساخنة

كأن ما في داخل باكستان لا يكفيها فيأتي موقعها الجغرافي وسط مجموعة من الجيران يمثلون نقاط التقاء ملتهبة ، فيحدها من الغرب إيران وأفغانستان ويمتد خط الحدود بين باكستان وأفغانستان ، حتى يصل الى أضيق مساحة له ، وهي نقطة الحدود المشتركة بين الصين وأفغانستان والاتحاد السوفيتي ، ومن الشمال الشرقي الصين الشعبية ، ومن الشرق الهند ومن الشمال الشرقي أيضاً ولايتا كشمير وجامو المتنازع عليهما بين الهند وباكستان

وتبلغ مساحة باكستان حوالي (٨٠٤) آلاف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها وفق آخر إحصاء (٩٣,٤) مليون نسمة ، ويبلغ إجمالي الناتج المحلي حوالي (٢٧٧٣٠) مليون دولار تمثل الزراعة منه ٢٤ بالمائة ، والصناعة ٢٩ بالمائة ، والصناعة التحويلية ٢٠ بالمائة ، والخدمات ٤٧ بالمائة

وقد كان لحساسية موقع باكستان الجغرافي سبب في اهتمام كثير من القوى بها ، وبالفعل تمكنت باكستان من عقد علاقة ذات طبيعة خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ومنذ عهد أيوب خان وكثير من المساعدات الأمريكية تقدم الى باكستان في مجالات مختلفة، وقد وضع أيوب خان أول خطوات بلاده على طريق الصداقة الأمريكية ، وألف كتاباً

مو . « أصدقاء   لا سادة » قال فيه ان بلاده تختار
غربي المصالح المشتركة مع أمريكا وبالتالي فالبلدان
ربط بينها صداقة ومصالح مشتركة ، ورغم أن
لمساعدات المدنية الأمريكية لا تمثل أثراً بالغاً ، الا أن
باكستان لديها مشروعات تطوير جيدة ـ وتغذي هذه
لمشروعات الحلم بغد أفضل

بعد الطبيعة الباكستانية بيئة متنوعة ، فهي تضم
لجبال الشاهقة والسهول الشاسعة ، والصحاري
القاحلة والوديان الخصيبة وتشغل الجبال وأشباه
الصحاري جزءا كبيراً من البلاد ، وكقاعدة فانه لا
يمكن القيام بالزراعة دون وسائل ري صناعية ولأهمية
الزراعة في الاقتصاد الباكستاني التقينا بوزير الزراعة
وألقينا أمامه بتساؤلات عن موقف انتاج الغذاء
والمشكلات الزراعية المختلفة ؟ قال الوزير

تعد الزراعة هي المكون الرئيسي للاقتصاد
القومي ، وتأتي الصناعة في المرتبة الثانية ، وقد
ساعدتنا الطبيعة بأن منحتنا خمسة أنهار،ورغم ذلك
فان المشكلة الأساسة أن مياه الأنهار ، لا تصل الى كل
الأراضي القابلة للزراعة ، ولذلك فنحن نفتح نظام
قنوات الري،والذي يعيقنا أحياناً هو طبيعة الأراضي
واختلافها ، لذلك فنحن لدينا الآن مثلا أراض قابلة
للزراعة ، ولكنها غير مزروعة ، لأن توصيل قنوات
الري اليها يحتاج الى استثمارات كبيرة ، أما عن
موقف الغذاء ، فنحن ننتج زراعات الأغذية في
المنطقة الوسطى ، ومنذ عام ١٩٨١ ونحن نحقق
الاكتفاء الذاتي من مواد الطعام،واستيرادنا في المواد
الغذائية محدد بمواد معينة ، فنحن نستورد
سكرا بعض الأعوام،وزيت الطعام والشاي
والحليب المجفف ، وهذه السلع ترتبط بالسلوك
الاجتماعي والثقافي للسكان،فاستخدام الزيت في
الطعام والطهو عادة اجتماعية ، ونمط لا نستطيع
تغييره في يوم وليلة ، وبذلك فان استيرادنا للزيت
يتزايد عاماً بعد عام وكذلك السكر ، أما الحليب
فانتاجنا ولسنوات طويلة ضعيف جداً

وعلى مستوى آخر فنحن نصدر سنوياً سبعة
ملايين بالة قطن ، كما نصدر كميات كبيرة من الأرز
وكميات معقولة من الفاكهة

وبرغم ذلك فنحن لدينا مشروعات لتنمية قطاع
الزراعة مثل مشروع التغلب على أخطار المياه
الجوفية،وذلك باتباع نظم صرف حديدة تهدف
لامتصاص الآثار الجانبية للمياه الجوفية،ومشروع
الأبحاث الزراعية كجزء من تنمية قطاع الزراعة ،
ولدينا ثلاث كليات زراعية متخصصة أشهرها في
فيصل اباد والثانية في السند والثالثة في شاور

وجزء من مشكلتنا في قطاع الزراعة عدم وجود
الكوادر البشرية أو ما نسميه بعنصر الارشاد
الزراعي وعدم كفايته وكفاءته،بالاضافة الى معاناتنا
شأن بلدان العالم الثالث من هجرة السكان من الريف
الى المدن ، فالحياة لدينا في الريف مأساة كاملة ،
ولذلك فنحن نحاول أن نقيم بعض الصناعات
الصغيرة في القرى التي يسهل الاتصال بها عبر طرق
المواصلات مثل صناعات الفاكهة وتعليب
الخضروات أو أن نحول الريف الى مدن صغيرة ،
ولكن كل هذه المشروعات تحتاج الى تمويل ضخم لأن
الطبيعة الجغرافية لدينا في باكستان شديدة القسوة
وبرغم ذلك فان الصورة ليست قاتمة تماماً وخاصة
أننا في منطقة أمان نسبي من حيث تلبية الحاجات
وعلى عكس كثير من بلدان العالم الثالث فإن معدل
زيادة السكان لا يلتهم زيادة الانتاج ، فنحن نزداد
سكانيا بمعدل ٣,١ بالمائة سنوياً ، بينما يزيد الانتاج
الزراعي بمعدل ٥ بالمائة كل عام

اعـداد للبشر

في مركز الأبحاث الزراعية يحدثنا الدكتور رحمن
خان مدير المركز فيقول «تأسس المركز عام١٩٧٥ ،
والمركز يقدم التسهيلات العلمية والفنية ، كما يقوم
بالأبحاث الخاصة بالزراعة والثروة الحيوانية وفي
المركز هنا لدينا أقسام وادارات مختلفة ، فلدينا معامل
لدراسة التربة ، ومعامل استنبات للأصناف
الجديدة ، ومعامل مختبرات لفحص الأمراض
والآفات التي تصيب النبات ، كما لدينا مساحة من
أراض تستعمل كمزارع نموذجية ، يجري فيها
الباحثون تجاربهم وأبحاثهم ، ويستخدم المركز
التقنية الحديثة،ومعظم التحاليل لدينا والمعامل
تستخدم الكمبيوتر في التحليل وحفظ المعلومات

كما لدينا بالمركز معهد تدريب للفلاحين
والمرشدين الزراعيين ، فمنذ شهور مثلاً اشترى
المركز آلات حرث حديدة ، وجمع ٦٠ مرشداً زراعياً

• سد ترابيلام احد المشروعات الكبرى لتسطيم استعلال
المياه لضمان توصيلها الى الارضي الزراعية

• ما زالت الزراعة تعتمد كثيرا على الايدي العاملة ،وميكنة الزراعه ستحقق نتائج أفضل ولكن المشكلة تكمن في التمو

ليأ تدربوا لمدة اسبوعين على استخدام الآلة ، ثم
نبوا مع آلاتهم الى مختلف مقاطعات باكستان ولدينا
تمرات دورية وسنوية للمرشدين الزراعيين ، يأتي
يها المرشدون ليتحدثوا معاً عن تجارهم ومشاكلهم
يدير الحوار معهم خبراء من أوروبا وأمريكا
مشرفون من المركز ، وفي مثل هذه اللقاءات يتم
بادل الخبرات ، أو تقديم أسلوب علمي جديد لحل
شكلة طارئة غير مألوفة لم يتمكن المرشد من حلها
على مدى السنوات الماضية فقد نجح المركز في
دريب وإعداد ٣٣٠٠ مرشد زراعي

ويثير نظام عمل مركز الأبحاث الزراعية وإعداده
لكوادر حماسنا فنحاول أن نتعرف بصورة شاملة على
نظام التعليم في باكستان

وجمعنا أوراقنا وغادرنا إسلام آباد العاصمة الى
لاهور ، وفي جامعة لاهور التقينا بالدكتور رفيق
أحمد عضو مجلس الجامعة ، ومدير ادارة التعليم
الآسيوي واستمعنا له

« جامعة لاهور من الجامعات العريقة ، وقد
قدمت خدماتها - وما زالت - للكثيرين من أبناء الهند
وبنجلاديش ونيبال ، كما تخدم أبناء منطقة البنجاب
في باكستان ، ويبدأ نظام التعليم في باكستان بالمرحلة
الابتدائية ومدتها ٥ سنوات - وهي الزامية - ثم
المتوسطة أربع سنوات،ثم العالية ١٠ سنوات ، بعد
ذلك يصبح الطالب مؤهلاً للالتحاق بالتعليم
الجامعي لنيل درجة جامعية ، وكل هذه المراحل
مجانية عدا مرحلة التعليم الجامعي ، ورغم ذلك
فهناك عديد من المنح تقدم للطلاب الفقراء
والمحتاجين ، منح من البنوك ، ومنح من أموال
الزكاة ، وهناك القرض الحسن الذي يمنح بلا
فوائد للطلاب من أجل مصاريف التعليم ، ولا
يسدد الا بعد التخرج والعمل ، وفي باكستان ٨٢
ألف مدرسة للتعليم الابتدائي يدرس بها ٧,٧
ملايين تلميذ وتلميذة ، وخمسة آلاف كلية وجامعة
يدرس بها مليون طالب ، ونحن نطبق النظام
البريطاني في التعليم وفي الدرجات العلمية
والتعليم كله باللغة الانجليزية ، رغم أن اللغة
الأوردية هي اللغة الرسمية ، ولكن الانجليزية هي
اللغة العالمية للعلوم والتقنية

وبالنسبة لنا في جامعة لاهور فنحن لدينا ما يزيد عن
١٠٠ ألف طالب وطالبة ، والجامعة بها كافة
التخصصات ، فلدينا كليات للطب والهندسة وكلية
تربية لاعداد المعلمين ، وكلية قانون ، وصيدلة ،
وتجارة ، وكلية شريعة إسلامية ومركز تعليم
(كمبيوتر)، وتم مؤخراً إفتتاح قسم جديد في كلية
الهندسة للطاقة الشمسية ، ومن أبرز نشاطات
الجامعة نشرنا لموسوعة الاسلام التي تكونت من ٢٢
جزءاً ونحاول الآن ترجمتها الى العربية
والانجليزية

الجمـــال المختنـــق

غادرنا جامعة لاهور ، انطلقت بنا السيارة نحو
الشوارع والطرقات الزحام خانق ، المباني
قديمة ، كل وسائل المواصلات بلا استثناء تحتشد في
الطرقات وتريد كلها أن تسير في وقت واحد ، في
احياء المدينة تلمس وجه الفقر والاهمال لاهور
المدينة الكبيرة الجميلة الرائعة ترهلت وأصابتها
الشيخوخة ، وهرمها الزمن ، فصارت مهملة
فقيرة

الطرق التي تقودك الى معالم لاهور التاريخية
أصبحت أحياء مكتظة بالسكان شديدة القذارة
فلا تصدق في النهاية عندما تصل الى قلعتها أو الى
مسجدها الشهير أو الى حدائق شاليمار ان هذه
الروائع في نهاية هذه الطرق

لاهور مدينة التاريخ والامبراطوريات
والأساطير من هنا انطلق الاسلام الى كل
الهند وهنا كانت عاصمة الغزنويين
وأمبراطوريات المغول وبرغم تعدد آثار حضارة
المغول الاسلامية في لاهور الا أن القلعة والمسجد
وحدائق شاليمار هي أبرز ما يذكر من هذه الآثار التي
تعد تحفة معمارية وفنية ما زالت قائمة وشاهدا حيا
على حضارة سابقة

وتعد لاهور قلب اقليم البنجاب ، وهي مدينة
تتجمع بها صناعات عديدة ، وحول أطرافها تنتشر
القرى ، وفوق ذلك فهي مركز تجاري مهم وفي
أسواق لاهور تلتقط عيناك كل شيء من الجرارات
الزراعية المصنعة محلياً الى المشغولات اليدوية من
تحف خشبية وسجاد

وتعد لاهور عاصمة السينما الباكستانية ، ففيها

ـد الأكبر من استديوهات التصوير السينمائي في كستان كلها ، وبها أكبر تجمع للسينمائيين في ـستان

وتعد السينما مجال الترفيه الوحيد المتاح لسكان كستان ، ففي مدينة لاهور وحدها يوجد ٧٥ دار ينما،وفي كل باكستان حوالي (٦٠٠) دار سينما ، هو رقم كبير بلا شك ، وتمثل صناعة السينما كل ـمات المجتمع الباكستاني ، فتنتج الأفلام باللغات لمختلفة التي تمثل القوميات المتعددة ، ـالاوردية ولغة الباشتو ، ولغات البنجاب السند ، وأكبر أسواق السينما الباكستانية في ـحالاديش ونيبال ومانيلا وتايلاند وسريلانكا وتركيا

والسينما الباكستانية ، رغم سنوات بدايتها القريبة ، الا أنها ازدهرت حسابياً وتعتمد قصصها على الميلودراما العنيفة ، وعلى التقابل بين الأضداد ، الخير ضد الشر ، والفقر ضد الغنى و وهكذا ، وكما يحدثنا غلام محيى الدين الفني الأول في السينما الباكستانية ، فان انتاج الفيلم وتصويره « لا يستغرق أكثر من شهر في حالة توافر التمويل والتسهيلات من حجز كاميرات واستديوهات » ولذلك فلن نصاب بالدهشة اذا ادركنا أن استديوهات لاهور تنتج وحدها ١٢٠ فيلماً سنوياً ، وتبلغ تكلفة الفيلم في حدود ٣ ـ ٤ ملايين روبية ، ولكن عائد الفيلم من التوزيع الداخلي فقط يعطي تكاليفه ، دون الاعتماد على التسويق الخارجي ، ويساعد في ذلك كما أوضحنا كثافة عدد السكان ، وافتقادهم لوسائل الترويح ، ويبدو أن ادراك الحكومة لذلك هو السبب في فرض ضرائب تصل الى ٥٠ بالمائة على كل تذكرة تباع في السينما ، ورغم ذلك فأسعار التذاكر رخيصة تماماً ، ويعوض رخص ثمنها الإقبال الكبير والتردد المستمر ، الذي يحقق عائد بيع مرتفع يغطي رخص ثمن التذكرة

ولذا فمن المألوف في بعض الأحيان أن يستمر عرض بعض الأفلام الجيدة لأكثر من عامين وثلاثة أعوام ، رغم أن كل دور السينما تقدم يومياً ٣ حفلات ، وفي أيام المناسبات والأعياد تقدم ما بين ٤ الى ٥ عروض يومياً ، ولذلك فان نجوم السينما

* مدير مستشفى الشيخ زايد * وزير الزراعة
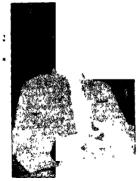
يمثلون شريحة خاصة في المجتمع ، ونتيجة ارتفاع أجورهم فان العمل في مجال السينما أصبح حلماً يراود كثيراً من أبناء الطبقة المتوسطة

وفي أحد استديوهات التصوير وفي فترة راحة بين تصوير المشاهد ، سألت دوردنا رحمن واحدة من أشهر ممثلات السينما الباكستانية عن مستوى تحصيلها العلمي ، فوجئت أن النجمة البطلة لا تعرف كلمة واحدة من الانجليزية وتولى مرافقنا الترجمة ، فقال لنا انها هجرت المدرسة قبل أن تتم المرحلة المتوسطة ، وعندما سألتها عن دخلها مقارنة بدخل زملائها الذين كانوا معها بالمدرسة ؟قالت انها تحقق دخلاً يفوق ما يمكن أن يحصل عليه زملاء فصلها كلهم ، حتى لو كانوا قد اتموا تعليمهم الجامعي

واجهة مشرقة

وفي وسط الترهل الذي أصاب لاهور بفعل الزمن والأزمات يظل مجمع الشيخ زايد آل نهيان الطبي كواجهة مشرقة مضيئة ، وقد بني المجمع الطبي الشامل بتمويل يكاد أن يكون كاملاً من الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، كهدية منه الى شعب باكستان وكانت زيارتنا للمجمع بمثابة النهاية السعيدة ـ على طريقة السينما الميلودرامية ـ لرحلتنا الى باكستان ، فالمجمع وخدماته انجاز بالغ الروعة .

يحدثنا الفريق أول دكتور محمد أبو ظفر محيي الدين مدير المجمع فيقول : ـ
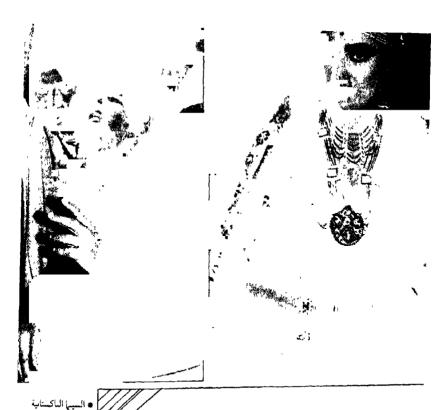
● السيما الباكستانية وسيلة الترويح الوحيدة الى اقصى اليمين (اعلى) دودما رحمن أشهر ممثلات باكستان ، ثم الياس كشيمر ممثل محصرم اثناء تأدية دوره ، ثم مشهد اثناء التصوير والى اسفل الى اليمين اعلانات الافلام تملأ الشوارع ، والى اليسار مشهد في فيلم آخر وازدهار صناعة السيما جعل من الاستوديوهات خلايا نحل تعمل يوميا حوالى ١٤ ساعة والاسقية للحجر
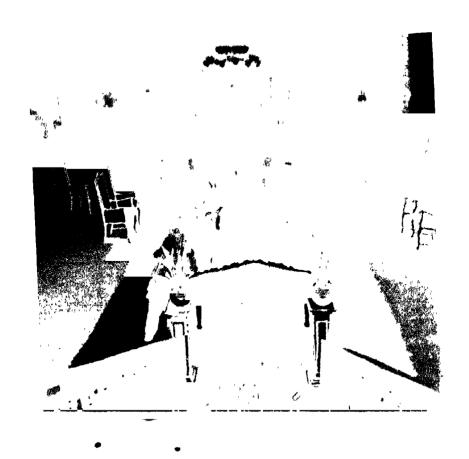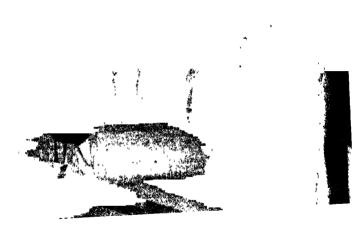
* مصنع أحذية في لاهور   احد التوكيلات لشركة عالمية كبرى هو جزء من نشاطات القطاع الخاص

« بنى المجمع على مساحة ٥٠ هكتاراً ، وهو يضم ثلاثة مجمعات ، الأول مستشفى الشيخ زايد ، والثاني معهد فيدرالي لدراسة الطب ، والثالث مركز بحوث اكلينيكية متطورة. ويقدم المجمع خدمات طبية متطورة وجديدة ، وما زلنا في المراحل الأخيرة من مشروع استكمال خدمات المجمع

ونستطيع أن نقول اننا استكملنا كل الخدمات الأساسية ، سواء أقسام المرضى وكلية الطب أو مركز الأبحاث ، وتعمل كل هذه الأقسام وتؤدي خدماتها الآن ، ولكن هدفنا في هذه المرحلة هو تطوير وتوسيع نطاق هذه الخدمات

فعلى سبيل المثال في المستشفى ٣٦٠ سريراً ، نأمل أن تصل الى ٥٠٠ سرير ، وكل مريض يأتي الى المستشفى هو مريض مهم ، ونقدم له الخدمات الطبية مجاناً ، فقط يقدم المريض ورقة يقول فيها أنه فقير ، ولا نتقاضى منه سوى رسم دخول لا يتجاوز خمس روبيات ، أي ما يعادل ربع دولار ، ونقدم له بعد ذلك كل الرعاية من فحص وعلاج ودواء وجراحة مجاناً ، باستثناء رسم القلب فيسدد عنه رسم مقداره عشر روبيات ، رغم أنه في كل باكستان يكلف هذا النوع من الخدمة ما بين حوالي ٥٠ ـ ٧٠ روبية

وبجانب الخدمة الطبية المجانية لدينا عدد من الأسرة نتقاضى عنها رسوماً وذلك من القادرين ، وهي مائة سرير للعلاج الاقتصادي ، يدفع المريض ١٠٠ روبية في اليوم ، تمثل تكاليف إقامته وعلاجه كاملة ، ولدينا نظام غرف آخر مخصص له ٦٠ سريراً موزعة على غرف خاصة نتقاضى عنها ٣٠٠ روبية في اليوم ، وكل العلاج والاستشارات يدفع المريض تكاليفها. أي إننا نطبق نظاماً يدفع فيه القادرون كي نتمكن من علاج المحتاجين والفقراء وما أكثرهم

وبجانب المستشفى فان الكلية تقدم التأهيل العالي ، وجميع أساتذة الكلية أطباء في نفس الوقت بالمستشفى ، ونخطط الآن لبدء مرحلة الدراسات العليا في الكلية لمنح الدبلوم والماجستير والدكتوراة

أما مركز الأبحاث فهو يضم نخبة الباحثين في المجالات الطبية المختلفة والطاقم العلمي بأكمله مؤهل بأعلى درجات التأهيل ، وينقسم عمل المركز الى قسم يقدم خدمات البحث والتحليل للمستشفى ، وقسم بحوث علمية لديه خطط بحوث في مجال العلوم الطبية ، والقسم الثالث والأخير هو قسم الباحثين الجدد ، وفيه يتم تدريب الباحثين بعد تخرجهم ، أو تأهيل الطلاب المسافرين الى الخارج للحصول على درجات علمية ، بحيث يسافر الطالب بعد فترة تأهيل وتدريب مكثفتين ، لكي يحقق أفضل نتائج ممكنة في بعثته

ولدينا خطط في المركز والمستشفى تشغل بالنا ،

مثل ـمية الاسهام في حل المشكلة الصحية في باكستان ، المتمثلة في انتشار الملاريا والتيفود في كل الريف الباكستاني ، وكيفية تقديم الخدمة الصحية المباشرة على مستوى الوحدات الصغيرة ، بحيث تصل الى كل تجمع سكاني . وأتصور ان هذين المحورين ـ بالاضافة الى نشر الوعي الصحي ـ سيسهمان كثيرا في تخفيف وطأة المشكلة الصحية

وقد ساعدتنا ظروف كثيرة في هذا المجمع ، فنحن لم نبدأ كمستشفى صغير ، بل منذ اليوم الأول ونحن نعمل بنظم احدث المستشفيات العالمية ، ونستخدم ارقى ما وصل اليه العالم من تقنية في الادارة والطب ، وهذا يسهل علينا كثيرا كل عمليات التطوير ، لأن الاساس متطور وقائم على قواعد علمية

كاهوتا

رغم بطء نمو بعض القطاعات الاقتصادية والصناعية في باكستان ، وتخلف البعض الآخر ، فالدى باكستان قطاعاً بالغ التطور والتقدم ، وتحيطه بكامل الرعاية الممكنة والسرية المطلقة ، ونعني به نطاع البرنامج النووي ، ويقع المفاعل النووي الباكستاني في منطقة كاهوتا ، وقد بدأ البرنامج منذ فترة زمنية طويلة قدمت فيها الولايات المتحدة الأمريكية في البداية مساعدات معقولة إلى باكستان ، ولكن الحكومات العسكرية المتعاقبة لم تعتمد فقط على الولايات المتحدة ، وانتهجت سياسات لتطوير برنامجها النووي ، بعيدا عن الاعتماد على مصدر واحد ، وكان الخيار الباكستاني مطلقا ، ففي تصور واضعي السياسة الباكستانية وخاصة من النخبة العسكرية ان امتلاك القوة النووية أمر لا يمكن التنازل عنه في مواجهة الهند بالدرجة الأولى ، وفي مواجهة جيرانها الأقوياء ، وتحسبا لدورها الاقليمي كما تتصوره

ولذلك فقد أعلنت باكستان أكثر من مرة أن أي إعتداء من قبل الهند على منشآت برنامجها النووي يعني الحرب بين الجارتين

ويظل موضوع الاعتداء على هذه المنشآت هاجس الباكستانيين الدائم ، ولكن بعد عودتنا بأيام قليلة تناقلت وكالات الأنباء خبرا عن بدء المحادثات بين الهند وباكستان للتوصل الى حل لهذه المشكلة وذلك عن طريق عقد اتفاقية عدم اعتداء على المنشآت النووية بين الهند وباكستان

أضغـــاث أحـــلام

بعيداً عن المدن بقليل تتناثر قرى الريف الباكستاني ، والحياة فيها صعبة قاسية ، في جولتنا حول المدن رأينا الطلاب يجلسون في الأرض العراء ومعهم المعلمون ، وعندما سألنا مرافقنا قال لنا ان هذه هي احدى مدارس الريف ، سألناه وماذا يفعلون عندما يهبط المطر ، قال بابتسامة عريضة تتوقف الدراسة ، كما تتوقف المواصلات

وبرغم كل هذه الحياة التي يحياها ريف باكستان ، فانه يحمل داخله إمكانية للتطوير ، فالأراضي القابلة للزراعة في باكستان تقترب من ٢٢ مليون فدان ، يزرع منها الآن ما لايزيد عن ١١ مليون فدان ، ومتوسط غلة الفدان في محصول كالقمح تبلغ « ٢,٤ طن » ، بينما المتوسط العالمي العادي يقترب من ٣,٥ أطنان ، وكما يقول أحد كبار خبراء الزراعة العرب ان زراعة جميع الاراضي في باكستان ، مع قدر من التطوير وتحسين أساليب وأدوات الانتاج الزراعي ، سيرفع معدل غلة الفدان الى ٣ أطنان ولو حسبنا انتاج جميع الاراضي القابلة للزراعة هناك لأصبح ما يقترب من ٦٠ مليون طن قمح ، أي ثلاثة أضعاف ما يستورده الوطن العربي كله من القمح

وتذكرت ان تكاليف انشاء المسجد الكبير الفخم الضخم كانت قادرة ان تمول هذا المشروع ، او على الاقل تبني مدارس لهؤلاء الاطفال وتذكرت ان احلام الناس بالعدل قد ولت مع السنوات الأولى ، وأن تطبيق الحلول المثالية بدأ بالحدود ولم يبدأ بالكفاية والمشاركة

وهربا من كل تواليات الصورة فتحت أوراقي وأخذت أقرأ بعض أشعار الشاعر محمد إقبال ـ رحمه الله وغفر له ـ وبدأت أستعرض أحلام الشعراء وأفعال الساسة !!

وعندما انطلقت بنا السيارة إلى المطار أخذت أقطع الوقت بمحاولة قراءة الآيات القرآنية والشعارات الدينية المكتوبة بالعربية والأوردية وأحاول أن أكتشف الخطوط المتماثلة والمتشابهة بين الاثنين

عبقري العمارة الإسبانية

بقلم : طارق خالد الحجي

المدينة كالرجل ، لها شخصيتها ، وطابعها ، ومعالمها المميزة ، وإن كان صناع المدينة هم الناس العاديون فإن ملامحها ومعالمها المميزة يبنيها المعماريون والفنانون والعباقرة منهم ، المقال التالي محاولة لالقاء الضوء على علاقة فريدة ، جمعت بين رجل ومدينة ، الرجل هو انطونيو غاودي ، أما المدينة فبرشلونة .

يعتبر انطونيو غاودي أشهر مهندس معماري في اسبانيا ، بل إنه يعتبر من عمالقة الفن المعماري على المستوى العالمي ، وبالرغم من شهرة غاودي في بلاده ، خاصة في مدينة برشلونة ، حيث درس هذا الفن ، وعمل طول حياته ، فإن شهرته في البلاد الأخرى محدودة ، وذلك لأن غاودي نفسه كان يكره الشهرة ، ولم يندفع وراء مغرياتها ، وآثر الحياة البسيطة المتواضعة ، خاصة خلال الحقبة الأخيرة من حياته ، فقد توصل من هم أقل منه نبوغا وإبداعا إ شهرة عالمية واسعة بسعيهم وراء تلك الشهرة وماتجلبه لهم من جاه وثروة ، أما غاودي فقد رفض بريق الشهرة والمال ، وكرس نفسه ووقته لأعماله المعمارية الرائعة التي لم يجاره فيها أحد ، لما فيها من أصالة وإبداع

كان وراء تميز غاودي عن الآخرين عوامل وأحداث كثيرة ، شكلت تلك الشخصية ، وعدت
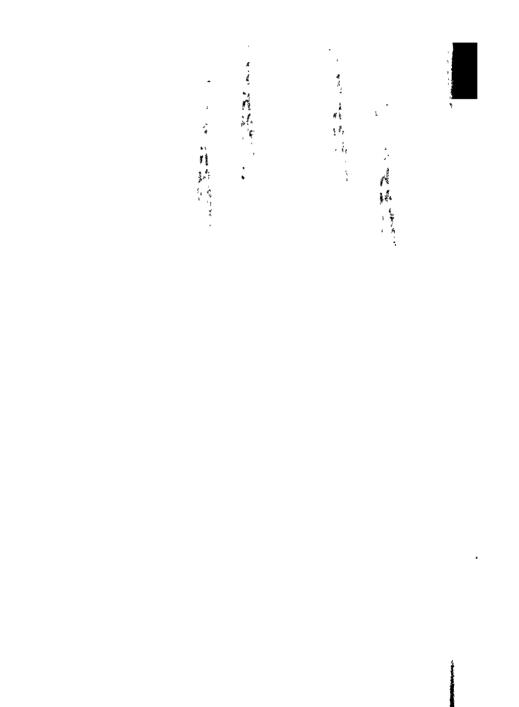
حدود تكوينها منذ الطفولة حتى الشيخوخة ، فقد عاش حياة مثيرة ، وأنتج أعمالا معمارية فريدة بطابعها وأسلوب بنائها ، فانعكست فيها شخصيته ، وأفكاره ، وفلسفته في الحياة وقد مر عاودي بمراحل مختلفة ، دفعته ـ فيما بعد ـ إلى الاهتمام العميق بالنواحي الدينية ، فكان كلما تقدم في السن ازداد زهدا ، حتى أنه عاش العقد الأخير من حياته كناسك فقير ، حيث نبذ كثيرا من المظاهر الدنيوية والنواحي المادية ، خاصة بعد أن فقد جميع أفراد أسرته على فترات متفاوتة خلال مراحل حياته

ومما يزيد من اهتمامنا بهذا الفنان المعماري العظيم أنه استعمل في أعماله بعض العناصر المعمارية ذات الطابع العربي التي أضافت الكثير إلى أسلوبه المعماري

نفس حزينة

ولد انطونيو عاودي عام ١٨٥٢ م في أسرة متواضعة ، في قرية بالقرب من مدينة طرّقونة ، الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، إلى الجنوب من مدينة برشلونة ، في اسبانيا ، وبعد إتمام دراسته الثانوية انتقل إلى المدينة ، ليلتحق بكلية الفنون المعمارية ، وقد عاش في برشلونة بقية حياته ، وأصبح أحد أشهر أبنائها ، لما قام به من أعمال معمارية عظيمة فيها ، وفي مناطق أخرى متعددة

اهتم عاودي بالفنون والفلسفة ، بالاضافة إلى أوضاع بلاده الاجتماعية والسياسية ، إذ كانت اسبانيا تمر بحالات من التوتر والخلافات الداخلية التي سبقت الحرب الأهلية الاسبانية في ثلاثينيات هذا القرن ، وكان النزاع قائما على أشده ، خاصة بين برشلونة عاصمة القطر الكاتالوني ـ ومدريد ـ عاصمة البلاد المركزية ، وكان غاودي من المتحمسين ضد سلطة مدريد المركزية ، كما كان حال معظم سكان كتالونيا

ومن أهم الأحداث التي أثرت على شخصية عاودي خلال مراحل تكوينها وفاة والدته وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وهو أصغر خمسة إخوة توفي بعضهم وهم صغار ، وتوفي الآخرون في سن الشباب ، ولم يبق له بعد ذلك في الدنيا غير والده وابنة أخته التي كانت بمثابة ابنته ، وقد رافقته وخدمته فترة طويلة من حياته العملية ، حتى توفيت وهي مازالت في مقتبل العمر

كان لهذه الأحداث المحزنة أثر بليغ في نفس غاودي ، وتكوين شخصيته ، وقد ظهرت نتائجها فيما بعد ، فمن الواضح أن وفاة جميع أفراد أسرته بالاضافة إلى وفاة بعض أصدقائه المقربين قد أدى به إلى نبذ هذه الحياة بمظاهرها المادية ، فنبذ حتى الزواج ، وأخذ يهتم أكثر بالمعاني العميقة ، والنواحي الروحية في الحياة ، فكانت النتيجة أنه اتجه إلى الأفكار الدينية ، ليجد فيها الدواء ، لما كان يعانيه من حزن وأسى لموت أقاربه وأحبائه

عندما بدأ عاودي أعماله المعمارية الأولى ظن بعضهم أنه مصاب بشيء من الجنون ، لما بدا في تلك الأعمال من غرابة في الشكل تخرج بها عن نطاق المألوف وماكان متعارفا عليه ، لكن ثقته بنفسه وعمله مكنته من الصمود ، وكسب تأييد بعض المعجبين بأعماله ، وكان من أبرز الشخصيات التي ساندته وشجعته على الاستمرار في شق هذا الطريق الجديد عدد من الأثرياء ، على رأسهم ثري يسمى (جيل) ، كان له نفوذ كبير في مدينة برشلونة وقد طلب عدد من هؤلاء ـ وبخاصة ذلك الثري جيل ـ أن يقوم غاودي بتصميم مبان سكنية لهم ، أو بعض المشروعات المعمارية الأخرى ، تشجيعا له ولقدراته الفنية ، وذلك عندما بدأ نجمه بالظهور ، وقد أصبحت جميع هذه المباني ـ فيما بعد ـ من أهم معالم مدينة برشلونة المعمارية ، وهكذا دخل غاودي إلى عالم الشهرة الذي رفض منه جميع صور الثراء والترف ، فعلى الرغم من تعرفه على علية القوم ـ

حد المباني الخاصة التي يكثر فيها استعمال السيراميك على الجدران الخارجية
(من اول المباني التي صممها عاودي)

خلال مراحل عمله ـ وارتباطه بصداقة بعض كبار الأثرياء أثر أن لايسلك مسلكهم ، وألايكرس نفسه لجمع المال والثروة ، بل إنه حول تطلعاته وآماله إلى النواحي الروحية والفكرية ، وكرس حياته للنبوغ بفنه المعماري

فن العمارة العربية .

استمد عاودي العناصر الفنية التي تكون منها أسلوبه المعماري من ثلاثة مصادر ، هي الطبيعة بكل ما فيها من أشكال وألوان ، حيث استوحى منها عناصر كثيرة ، غذت نشاطه الابداعي ، وإنتاجه العلمي ، دون حدود ، كما استمد عناصر كثيرة من فنون العمارة الأوروبية (الكلاسيكية) منها والقوطية ، وصبغها بطابعه الخاص ، وخرج بها من قوالبها الجامدة ، والمصدر الثالث الأخير هو فن العمارة العربية التي ازدهرت خلال العصور الاسلامية في اسبانيا ، والتي مازالت آثارها موجودة في بعض مناطق اسبانيا حتى اليوم ، خاصة في جنوب تلك البلاد ، وقد استمد منها عاودي عناصر فنية مختلفة ، استخدمها في مبانيه الأولى ، لاسيما في تزيين الحجرات الداخلية ، بالاضافة إلى الأشكال الخارجية وهكذا ابتكر عاودي طابعه المعماري الخاص به ، منذ البداية ، بحيث يمكن تمييز طابعه هذا عن سواه ، ثم تطور فأصبح أسلوبه هذا مدرسة جديدة في عالم فنون العمارة

وقد أدت المواهب الفنية التي كان يتمتع بها إلى فهمه العميق لأصول التكوين والانشاء المتعددة في الظواهر الطبيعية وأساليبها ، بالاضافة إلى تعرفه على خواص مواد البناء من حجر وآجر وغيرها من المواد المختلفة ، وفهمه الكامل لحركة الضوء في الطبيعة ، وانعكاسه على الأشكال والسطوح الهندسية ، وعلاقته بالألوان ، ولأن جميع هذه الأمور تعتبر من الضروريات لعملية الابتكار والتصميم والبناء كان يتعامل معها جميعا ، ويطبقها عمليا ، وكأنها جزء من كيانه وفكره وروحه ، لأن مواهبه كانت تمكنه من أن يرى تلك الصلة ـ الخفية أحيانا ـ بين الانسان والطبيعة من حوله ، بكل أعماقها وتفرعاتها ، وتشابك تلك الفروع ، فتبدو أعماله المعمارية كأنها قطع فنية هائلة ، قامت بنحتها يد فنان مبدع ، بكل أناة وصبر ، وهذا مما أدى إلى تأثر بعض كبار فناني عصرنا الحديث بهذه الأعمال المعمارية البديعة ، وإن يستمد بعضهم الالهام لأعمالهم الفنية المختلفة منها .

معبد العائلة المقدسة :

أهم أعمال عاودي المعمارية كنيسة ضخمة في برشلونة ، تسمى « معبد العائلة المقدسة » ، بدأ العمل فيها قبل أكثر من مئة عام (١٨٨٢ م) ، ولم يكتمل بناء نصفها حتى الآن ، وقد يتطلب إنجازها

العمارة السكنية التي صممها عاودي وقد اطلق عليها الناس اسم « مقلع الحجارة » لغرابة شكلها الخارجي

قرنا آخر من الزمان

لقد امضى عاودي أربعين عاما من عمره يعمل في هذا المشروع الضخم حتى يوم وفاته (١٩٢٦) ، وفي ذلك دليل على تفانيه في عمله ، وإخلاصه إلى أبعد الحدود ، وهذه إحدى الصفات النادرة التي تميز بها عن غيره من العاملين في هذا المجال ، سواء من معاصريه أو من الأجيال اللاحقة ، حيث تحولت هذه الأعمال إلى مجالات تجارية بحتة

ومما يميز هذه الكنيسة الضخمة أبراجها العالية الغريبة الشكل التي يزيد علو بعضها على مائة متر ، وقد أنجز منها حتى الآن ثمانية أبراج ، وبعد تكامل البناء سيزيد عددها على اثني عشر برجا

صممها عاودي على النمط القوطي الحديث ، وستكون من أضخم المباني في العالم بعد اكتمالها

ومن مميزات أسلوبه المعماري أنه لم يكن يكتفي بتصميم المبنى والاشراف على بنائه فقط ، بل إنه كان في كثير من الحالات يصمم فيه كل صغيرة وكبيرة ، حتى قطع الأثاث في كل حجرة ، والنوافذ والأبواب بخشبها وزجاجها التي تصنع خصيصا ليتكامل التناسق والانسجام بين جميع الأجزاء بدون استثناء

ولايمكننا هنا إلا ذكر بعض أعماله المعمارية ، فنذكر منها أشهرها وأكثرها غرابة ، ولأنه لايمكننا أن نعرض الأجزاء الداخلية من هذه المباني نكتفي بالأشكال الخارجية فقط

المباني السكنية

من أهم المباني السكنية التي صممها عاودي في برشلونة عمارة سكنية ، تسمى (كازا ميلا) . وتسمى كذلك بما معناه « مقلع الحجارة » ، بسبب شكلها الخارجي الذي يجعلها تبدو كأنها جزء من جبل صخري ، نحتت جوانبه ، وهي عبارة عن بناية من الحجر المنحوت يدويا ، وتحتوي هذه البناية على شقق سكنية مكونة من جزأين ، لكل جزء منهما مدخل وهو خاص به ، وقد بدأ العمل بها عام ١٩٠٥ وانتهى عام ١٩١٠ م

ومن أعماله المعمارية الأخرى بناية تسمى بيت الشرفات (كازا باتيو) ، ويسميها سكان برشلونة « ذات الأقنعة » ، وذلك بسبب شكلها الخارجي ، ومافيه من شرفات صغيرة تشبه الأقنعة ، وقد كانت - أصلا - بناية قديمة ، قام عاودي بإعادة تصميمها عام ١٩٠٥ ، فكساها ثوبا مميزا لامثيل له ، وغير من شكلها الخارجي والداخلي ، فبدت كأنها بناية جديدة حلت مكان القديمة ، وهذا مثال آخر على مقدرته الفنية ، وموهبته التي تتعدى الحدود المألوفة ، بل قد تدخل إلى عالم الخيال والابتكار .

بالاضافة إلى المباني المختلفة التى صممها غاودي خلال حياته العملية طلب منه الثري (جيل) عام ١٩٠٠ أن يصمم له ضاحية ، خارج مدينة برشلونة ، فوق بعض المرتفعات المطلة على المدينة ، تتكون من منازل سكنية متباعدة ، تحيط بها الأشجار والحدائق ، داخل سور له بوابات متعددة ، فكرس غاودي سنوات طويلة من حياته لتصميم هذا المشروع ، والاشراف على تنفيذه ، ولظروف قاهرة اضطر صاحب المشروع إلى التخلي عن الفكرة الأولى ، والاكتفاء بجعل هذا المكان متنزها خاصا ، يحتوي على الحدائق الجميلة ، والممرات الملتوية ، والمباني ذات الأشكال الغريبة ، وقد تم بناء أهم أجزاء هذا المتنزه عام ١٩١٤

لقد أبدع غاودي في هذا المشروع ، وأطلق العنان لخياله الخصب ، وحاكى الطبيعة بلا قيود ، فالموقع خارج المدينة قد هيأ له المجال لتطبيق كثير من الأفكار والابتكارات التي طالما طافت بمخيلته ، ومكنه الفضاء الرحب أن يصمم ويشيد المباني التي تنبع أشكالها من فكره ووجدانه

ومما يلفت النظر في هذا المتنزه الجميل الطريقة التي استخدم بها غاودي مواد البناء الطبيعية من حجر وغيره ، خاصة استعماله لقطع (السيراميك) الملونة التي كانت مخلفات مكسرة ، جمعها وكسا بها الجدران والمساحات الخارجية في كثير من أنحاء هذا المتنزه ، لاسيما الجزء الذي يتوسط الحدائق ، وهو عبارة عن مقعد حجري ملتوٍ ضخم ، يحيط بساحة واسعة مكشوفة للعب الأطفال ، وقد استعمل غاودي قطع (السيراميك) الملونة بأسلوبه الخاص في كثير من أعماله المعمارية بشكل مدهش ، مما جعلها جزءا من طابعه المعماري المميز

والآن بعد أن توسعت مدينة برشلونة ، وأصبح عدد سكانها بالملايين ، فإن كثيرين منهم ـ إضافة إلى أعداد كبيرة من السائحين ـ يجدون متعة كبيرة بقضاء بعض الوقت في أحضان الطبيعة ، داخل هذا المكان الذي تحول إلى متنزه عام ، ويسمى الآن حديقة (جيل) ، نسبة إلى ذلك الثري الشهير

حين فقدت برشلونة ابنها

هذه بعض الأمثلة القليلة من أعمال غاودي المعمارية التي قد يجد فيها الفنان العربي مصدرا للالهام ، بعد فهم أسرارها وخباياها التي تتطلب دراسة متعمقة وافية ، فوراء جميع تلك الأشكال الهندسية الظاهرة للعين تكمن أسس وقواعد ونظريات فنية ومعمارية وعلمية ، خرج بها غاودي بعد دراسة عميقة لأصول الانشاء والتكوين ، ولما في الطبيعة من ظواهر وأسرار ، أهلته مواهبه الفطرية لفهمها وتطبيقها لقد غاص هذا الفنان إلى الأعماق الدفينة ، بينما ظل كثيرون من دعاة الفن في العرب ينبشون القشور

يعتبر هذا المهندس المبتكر قدوة لكل فنان ومهندس بعمله المتواصل ، وتفانيه إلى أقصى الدرجات ، ليس طمعا في جائزة أو مال ، بل ليرضي نزعته ، وليضيف إلى تراث البشرية الكثير

توفي انطونيو غاودي سنة ١٩٢٦ ، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين ، في حادث دهس ، في أحد شوارع برشلونة ، فقد صدمه قطار كهربائي ، نقل على أثر ذلك إلى المستشفى دون أن يدري أحد أنه ابن برشلونة الشهير ، وذلك لأنه كان يلبس ملابس متواضعة جدا ، فحسبه الناس أحد الفقراء ، لكن أصدقاءه المقربين وجدوه في المستشفى بعد البحث والتدقيق ، وقد توفي بعد ثلاثة أيام من إصابته ، ودفن داخل الكنيسة العظيمة التي قضى أكثر من أربعين عاما يعمل على إنشائها ، وقد شاركت جماهير برشلونة كبار المسئولين في تشييع جنازته وهكذا فقدت برشلونة ـ بل اسبانيا كلها ـ أحد أعظم أبنائها ، ذلك الفنان الذي خلف ثروة معمارية وفنية عظيمة ، لاتقدر بأي ثمن ، لكنها تحمل ذكراه إلى الأبد ، وتذكر الأجيال بفنه المميز الأصيل □

دقة. مهارة. توقيت. رولكس.

قُدامى المتنافسين في السباق يتصادم بعضهم مع بعض، والاسماء الصاعِدة تأتي بمفاجآت جديدة لم تكن في الحسبان مسرح الأحداث يقوم قبالة ستارة خلفية لمشهد يأخذ بمجامع الألباب الاثواب عمومية، غنية بالألوان، حديثة الزي أنيقة.

الوقت هو رولكس

آلية الحركة الدقيقة في ساعة رولكس أويستر محمية داخل علبة أويستر محارية صلدة.

بالنسبة للطاقم والملاحين على السواء، الحاجة ملحة إلى الدقة والاعتمادية في كل مرحلة.

رولكس معترف بها أداة توقيت جوهرية لأحداث بمثل هذا المستوى من المكانة والاعتبار.

ROLEX
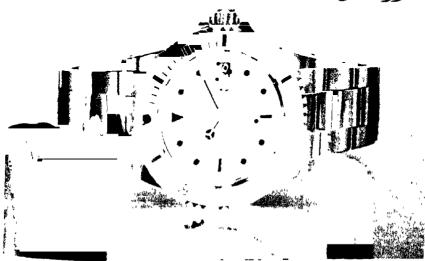
رولكس

رولكس صبماريز كرونومتر من الفولاذ والذهب متوفرة أيضاً من الذهب عيار ١٨ قيراطاً أو من الفولاذ المقاوم للصدأ.

وجهاً لوجه

رسول حمزاتوف ⊙ سليمان الشيخ

■ كل اللغات جيدة وعظيمة لشعوبها . ■ « ألف ليلة وليلة » كانت كتابا دائما على مائدة حياتنا ■ كان أبي يكتب بعض شعره باللغة العربية . ■ لقد « أنسنت » الأشياء . لأرد « دين » بلدي علي ! ■ اذا شد صديق طيب على يدك ، فان يدك لا تذوب في يده . ■ أحب بعض شعر المتنبي ودرويش وبسيسو والقاسم ■ يحارب الرجال من أجل الوطن . . ومن أجل المرأة أيضاً . ■ « شملة » شامل كانت رمزاً للدفاع عن الأفكار الوطنية ■ علاقة الشاعر بالناقد كعلاقة السائق بالشرطي ! ■ الشعر موهبة لا تنتقل بعدوى المعايشة

« اللوتس » كانت آخر جائزة ينالها الكاتب الداغستاني السوفييتي رسول حمزاتوف ، وقد منحتها اياه منظمة كتّاب آسيا وافريقيا في نهاية سنة ١٩٨٦م ، وتعتبر الجائزة من الجوائز المهمة على الصعيد الأدبي العالمي

قبل ذلك كان حمزاتوف قد حصل على جائزة لينين ، وجائزة الدولة ، ولقب شاعر الشعب الداغستاني .

له في الشعر والنثر حوالي ٥٠ كتاباً ، ترجمت الى الكثير من لغات بلدان الدنيا ، وقد صدر كتابه المشهور « بلدي » مترجما الى العربية سنة ١٩٧٩ ، وهو الكتاب الذي ضمنه خلاصة حكمة أهل بلاده وعاداتهم وتقاليدهم وتجليات حياتهم الثقافية

ولو راجع أي متابع أعداد مجلاتنا الثقافية العربية خصوصاً الشهرية والفصلية منها، سيكتشف أن حظ نتاجات حمزاتوف في الترجمة والنشر أكثر بكثير من حظ نشر بعض نتاجات شعرائنا العرب

وقد أجرى معه هذا الحوار سليمان الشيخ المحرر في « العربي » في « ماختشكلا » عاصمة داغستان

رسول حمزاتوف شاعر شعب صغير في داغستان (يوجد في داغستان أكثر من ٥٠ لغة ولساناً) هو الشعب الافاري الذي لا يصل تعداده الى نصف مليون انسان ، ومع ذلك فان عشرات المجيدين في الشعر وفي غيره برزوا من بين أبناء هذا الشعب

حمزة تسادسا ـ على سبيل المثال ـ والد رسول أطلقوا عليه لقب شاعر الشعب من قبل ، ونال جوائز كثيرة قبل ابنه رسول ، وبعض شعره كتبه بالعربية (توفي سنة ١٩٥١) وكذلك الشاعر محمود ، وغيرهما وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن كثرة الشعب أو قلته ليست معياراً وحافزا لبروز أدباء مجيدين من بينه

رسول الشاعر الذي أخذ يدق أبواب الخامسة والستين من عمره ، زار معظم بلاد الدنيا ، ومنها بعض أقطارنا العربية ، ولكنه كان يعني بعد أن يعود

« البلاد الأخرى جيدة جدا لكن داغستان أغلاها على النفس »

هو من بلدة (تسادا) القائمة على رؤوس الجبال والوهاد قريبة من بلدة (غمرا) التي ولد فيها الشيخ « الأفاري شامل » الذي أشعل الثورة في الكثير من بلاد القفقاس ضد الهيمنة القيصرية الروسية ، اعتبارا من ثلاثينيات القرن الماضي ، واستمر فيها الى نهاية الخمسينيات من ذلك القرن

له بيتان في ماختشكلا (هناك امتيازات خاصة لبعض كبار الأدباء في الاتحاد السوفيتي) عاصمة داغستان ، الجمهورية ذات الحكم الذاتي في الاتحاد السوفييتي ، احدهما لا يفصله عن معانقة شواطىء بحر قزوين الا طريق ضيق ، ذهبنا اليه في إحدى ليالي صيف العام الماضي ، كانت حوقة الليل تملأ المكان بغنائها وأصواتها ، الضفادع والحشرات وطيور الأشجار ، وأمواج البحر لا تكف عن

تناجي ، الأضواء خافتة ، ووقتنا الضيق يضيق خناقه علينا

خرجت لنا فاطمة امرأة ذات شخصية قوية وجسم عمّي تماما كجسم حمزاتوف ، انها زوجته ، قامت بالضيافة المعتادة - الشرقية - ثم اعتذرت عن الشاعر لكونه كان نائما ومتعبا ، اتفقنا معها على موعد في اليوم التالي ببيته في داخل العاصمة

وجدناه في اليوم التالي حسب الموعد ببيته في ماختشكلا ، معه فاطمة زوجته ، وبعض البنات وبنات البنات (له ثلاث بنات هن زريمة « زهرة » وفاطمة أيضا وصالحة)

« بلدي » وألف ليلة وليلة

قلت دعني في البداية أعبر لك عن التقدير الكبير الذي يكنه بعض المثقفين العرب لشخصك وبتاجك ، ان شعرك ومواقفك يصلان الينا دائما ، وفيهما نجد الكلمة الصادقة ، والمواقف التي تراعي الحق والحقيقة فشكرا لك ألف شكر

- علّق « ان أحد طموحات الشاعر هو وصول كلماته ومواقفه الى أكبر عدد من الناس ، وها أنت تبلغني أن كلماتي تصلكم أنتم العرب ، وهذا شيء أعتز به وأفخر ، وأشكر زملائي المترجمين عليه ، ولكنه لمزيد الأسف لا يصلني ، أو على الأصح ان قليله يصلني »

* كتابك « بلدي » مترجم الى العربية

- قاطعني وقال « عندي نسخة منه »

* قلت ان اسلوب الكتابة فيه يشبه أسلوب القص في « ألف ليلة وليلة » فهل اطلعت عليها من قبل ، وتأثرت بها ؟

- علق · « ان قلت لك اني لم أقرأ « ألف ليلة وليلة » فانني أكون غير صادق معك . نعم قرأت « ألف ليلة وليلة » لقد كان هذا الكتاب على « طاولة » حياتنا ، وأبي كان يعرف العربية ويقرأها ، بل ويكتب بعض شعره بها ، ومع ذلك فانني أعتقد بأن تشابه الاسلوب بين كتابي وكتاب « ألف ليلة وليلة » هو تشابه مصادفة

ان مادة الكتاب هي التي فرضت أسلوب المعالجة الذي جاء في الكتاب ، وهي مادة ابداعية ، لا هي من جنس الشعر بمفرده ، ولا من جنس النثر بمفرده ، بل تجمع كليهما »

* ألم تعرف أنت العربية ، وهل تمنيت الكتابة بها ؟

- كل اللغات جيدة لشعوبها ، واللغة العربية كانت لغة علوم عظيمة ، وشعراء عظام ، وكنت أتمنى لو واتتني الفرص كوالدي لأتعلم العربية وأتحدث بها وأكتب ، لكنني في طفولتي نهلت من نبع اللغة الأفارية - لغة شعبي - وها أنا مازلت أتحدث وأكتب بها منذ أن وعيت على الحياة

أنسنة الأشياء

* قلت مساكما يقولون عن أدبك انك « أنسنت » فيه الأشياء ، وأعليت فيه الحيوات الصغيرة ، ورفعتها الى مصاف ماهو عزيز وحبيب الى القلب ، أو ربما كأنه منتزع من القلب ، وها أنا في بلادك ، لقد رأيت سهولك وجبالك ووديانك وأنهارك وبحرك وناسك وشجرك وتربتك ، فوجدتها كلها تشبه الكثير مما هو موجود في بلاد الدنيا ، ان لم تفقها جمالا ، فعلام كل هذا الدفق والتسامي فيما يخص « داغستانك » ؟

- استقبل السؤال برد فعل عادي وعلق . « أفهم سؤالك جيدا ، لكنك تعرف انني داغستاني ، في هذه البلاد عشت طفولتي ، واغتنت ثقافتي البصرية والسمعية والعقلية والشعورية بكل ماني هذه البلاد من أشياء وقيم ورموز وتعبيرات ، لذلك فانني أعيد لبلادي بعض ما منحتني اياه ، واذا ماكنت غير مطلع على كتاب « بلدي » فانني أنصحك بالاطلاع عليه ، لأنه يحتوي على أجوبة كثيرة على سؤالك وأسئلة غيرك »

* علقت : هي مساكفة ليس الا أردت من ورائها الاستزادة في هذا المحال ، واذا ما مثلت « ألف ليلة وليلة » رادا ثقافيا للجيل الذي سبق جيلكم ، فان كتاب « بلدي » هو راد للكثير من مثقفي أقطارنا العربية

ـ أعلن عن شكره وتقديره لما علقت به

الوطني والقومي والانساني

* أنت تنتمي الى منطقة يسكنها شعب آفاري - وهو قليل عدديا ـ وهذه المنطقة موجودة داخل الجمهورية الداغستانية ، التي هي بدورها موجودة ضمن الاتحاد السوفييتي فكيف توفق في التعبير عن هذه « الانتماءات » ؟ دون أن تجد تعارضا بينها ؟

ـ « دعني أتذكر كلمات شاعرنا الداغستاني أبي طالب قال « نحن لا نحول لغاتنا الى دئاب ، وهي لا تتعارك ، عني البيت يشنع على جيرانه ، وعني القرية يشنع على القرى المجاورة ، وعني قومية ما يشنع على البلدان الأخرى ، ان الذي يتناول بالسوء لغة أخرى لا يحسب عندنا انسانا »

وأنا لا يسعني الا أن أعيد ما كتبت « اللغة في بلادنا لا تعادي لغة أخرى ، والأغنية لا تقتل الأخرى ، ولأن بوشكين أتى الى داغستان ، فلا يجب على محمود ـ أحد شعراء داغستان ـ أن يغادر ربوعها ، ليس هناك من معنى لأن يحل ليرمنتوف محل باتيراي ـ أحد شعراء داغستان أيضا ـ اذا شد صديق طيب على يدك ، فان يدك لا تذوب في يده ، بل تصبح أكثر دفئا وقوة ، اللغات مصابيح حياة وعندي مصباحان أحدهما كان ينير لي الدرب في نافذة بيت والدي ، كانت أمي هي التي أشعلته كي لا أضل الطريق ، اذا انطفأ هذا المصباح ، ستغرق حياتي في الظلمة ، حتى ولو لم أمت جسديا ، والمصباح الثاني أشعله بلدي العظيم ، وطني الكبير ، الاتحاد السوفييتي ، كي لا أتيه في طريقي الى العالم الكبير »

الباقي والمستمر

* لك أصدقاء كثيرون من بين شعرائنا العرب . فهل اطلعت على شعرهم ، ومن هو الأفضل من بينهم ؟

ـ « كما قلت لك أنا لا أعرف العربية ، لكنني أرتاح وأعجب بموسيقا شعركم ، وبخاصة الكلاسيكي منه ، وأرتاح لشعر المتنبي على سبيل المثال

وعليَّ أن أقول بأن ما يترجم من شعركم لا يصلني بشكل مناسب ، انني أجد فيه قصورا ، مع ذلك فانني أجد أن بعض النتاجات الشعرية لبعض الشعراء الفلسطينيين هي الأفضل من بين ما يصلني ، أو على الأصح في مقدمة ما يصلني

ان شعر محمود درويش ومعين بسيسو وسميح القاسم وغيرهم يستفيد من الحالة النضالية السائدة لدى قطاعات كثيرة من الشعب الفلسطيني ، ويحاولون اغناءه واشاعة مضامين انسانية مؤثرة »

* ألا تجد في بعض الشعر الذي قرأته للشعراء الفلسطينيين أولئك وغيرهم حالة تعبير مرحلية قد يتم تجاوزها لاحقا ؟

ـ « ما تقوله صحيح ، ومع ذلك فان بعض شعرهم يحمل نفسا نضاليا انسانيا يبقى ويستمر الى مراحل لاحقة »

الشعر الوجداني

* قبل وصولنا الى (ماخشكلا) ، قابلنا في (غروزني) الشاعرة الشاشانية رئيسة احماتوفا ـ احمد ـ وقد لفتت نظرنا الى أنك أصبحت تميل الى كتابة الشعر الغزلي ، والكتابة عن المرأة والحب الخ ، فهل ستستمر في هذه الاتجاه ؟ والى أين ستصل به ؟ وهل هو تعبير عن حالة معينة تعيشها ؟

ـ « ان مجمل شعري يركز على موضوعات أعتبرها مهمة ، من بينها الوطن ، والمرأة والحب ، وطبعا

لا يمكن فصل هذه الموضوعات عن بعضها البعض ، فحب الوطن لا يمكن النظر اليه خارج نطاق حب الأم والحبيبة الخ

وعليَّ أن أعترف أن نتاجي الشعري فيه القليل عن المرأة ، لذلك فانني أجد نفسي مدفوعا للكتابة عن المرأة والطفل أيضا هناك قول داغستاني يفيد .

« يحارب الرجال من أجل الوطن ، ومن أجل المرأة أيضا » ولا أدري هل الضحايا الذين سقطوا من أجل الوطن هم أقل من ضحايا المنافسة على النساء أم أكثر ؟

اني بصدد كتابة كتاب عن هذا الموضوع ، وسيكون ككتاب « بلدي » متضمنا الكثير من دروس التاريخ والعادات والذكريات والحكم وغيرها ، الحب في الحياة كالملح في الطعام ، بدونه لا نحس بالطعم أو المذاق »

ثورة شامل

* هناك اجتهادات متعددة ومختلفة حول ثورة الشيخ شامل في داغستان ضد السلطة القيصرية الروسية ، كيف تنظر وتقوِّم هذه الثورة بعد مضي هذه السنين عليها ؟

ـ « دعني أبسط الأمر قليلا ، لقد لبس شامل اللباس الوطني التقليدي ، وحمل معه الخنجر التقليدي الداغستاني

الخنجر هو رمز الدفاع عن الوطن ، والشملة ـ غطاء الرأس ـ كانت رمزا للدفاع عن الأفكار الوطنية ، لقد كانت ثورته تتجه الى توحيد الشعب الداغستاني ، وتحقيق استقلاله عن شتى القوى »

* والمناداة بإقامة حكومة دينية ترددت في بعض الأحيان ضمن ما كان يطرحه الشيخ كيف تنظر الى ذلك ، وماهو رأيك فيها ؟

ـ « ان تركيز الشيخ شامل على الاسلام ، كان نابعا من ادراكه لحقيقة معروفة للجميع ، تفيد بأن الاسلام كان منتشرا في جميع أنحاء داغستان ، كما ان الكثير من اللغات الداغستانية كانت تكتب بحروف عربية ـ لغة القرآن ـ وبما أن هذه البلاد يسكنها عشرات القوميات والشعوب ، لذلك فإن « الاسلام » هو ما كان يوحدها في تلك المرحلة ـ منتصف ثلاثينيات القرن الماضي

* والعامل الوطني والقومي هل أهمله شامل ؟

ـ لا لم يغفله شامل ، بل هو باعتقادي كان سبب ثورته ، ان الثورة كانت تدعو لتوحيد الداغستانيين ضد الغزاة ، بغض النظر عن انتمائهم لقوميات وشعوب مختلفة ، وبغض النظر ان كان هؤلاء الغزاة من الروس أو الفرس أو الأتراك

ثورة شامل لم تكن ضد المسيحية كدين ، بل كانت ضد الغزاة الروس وغيرهم ، لقد حارب شامل قبائل اسلامية وقفت بوجه الثورة أيضا

صحيح ان النهاية كانت فاجعة لهذه الثورة وناسها وقائدها وصحيح أن الأهداف الاستراتيجية أصبحت غائمة في ذهن الشيخ شامل في أيامه الأخيرة قبل هزيمته واعتقاله ، ومع ذلك فان الثورة كانت ثورة وطنية ديموقراطية لتحقيق استقلال ووحدة شعوب داغستان

الشاعر .. البحر .. والطفل أيضا

شُغل الشاعر بأمر طارىء ، فانتهزت الفرصة ووجهت بعض الأسئلة الى زوجته فاطمة

* هل تواجهين صعوبات معينة من كونك زوجة لشاعر مشهور ؟

ـ علقت لا شك في ذلك ، وكما أن للأمر محاسنه فان له سيئاته أيضا ان زوجات الرجال الآخرين يواجهن مصاعب أيضا ، وواجبات الحياة كثيرة والطلبات لا تنتهي ، ونحن النساء علينا أن نقوم بأدوارنا في الحياة بصور حسنة ، الشاعر كالبحر وكالأطفال ، وامرأته عليها أن تتعامل مع هذا الوضع

* تعيين أن الشاعر رسول مازالت فيه حواس من عهد الطفولة ؟

- نعم فيه جوانب عديدة من عهد الطفولة

* ألم تنتقل اليك عدوى الشعر ، بعد هذا العمر الطويل مع شاعر كرسول ؟

- انا لست شاعرة - الشعر موهبة لا تنتقل بعدوى المعايشة

* هل عرتك الغيرة يوما بسبب وجود شخصية نسائية في شعر زوجك تعاطف معها ووصف محاسنها ؟

- سكتت للحظات تمعنت واستعادت بعض الذكريات ثم علقت

لا أتذكر شيئا من ذلك قد حدث معي ، ومع ذلك فالانسان لا يخلو من ردود فعل عادية وفطرية

* هل تقرئين قصائد زوجك قبل نشرها وهل يستمع الى ملاحظاتك حولها ؟

- انني أطلع على الكثير من قصائد زوجي قبل نشرها ، وأكوّن بعض الملاحظات حولها وأبدي رأيي فيها

* هل يستمع لملاحظاتك ويعدل بالقصائد حسب ما تقترحين ؟

- ليس دائما ، يستمع نعم ، لكنه لا يأخذ بكل الملاحظات

شرطة الأدب

عاد الشاعر فسألته هل تعتبر زوجتك فاطمة الناقدة الأولى لشعرك ؟

ابتسم ابتسامة خفيفة وأجاب

- ان علاقتي بالنقاد هي كعلاقة السائق بالشرطي هم يريدونني أن أتقيد « بالقوانين » حسبما يفهمونها ، وأنا أتفلت في الكثير من الأحيان من هذه القوانين

لكل حالة قانونها عندي ، وهم يمكسون مساطر لا تتوافق أحيانا مع الولادات والمناخات الجديدة التي تولد بولادة القصيدة

أما عن رأي زوجتي فاطمة ونقدها . فهي تبد[ي] بعض الانطباعات الأولية التي ربما آخ[ذ] ببعضها وربما لا آخذ

اضطررت الى طرح السؤال الأخير بعد أ[ن] لفت نظري مترجمنا المرافق الى أن موعد طائرة المغادر[ة] قد أخذ يدخل في ساعاته الأخيرة والحرجة قلت

* كيف تنظر السيدة فاطمة لعمل المرأة بع[د] مضي هذه السنين من صدور قوانين المساواة ؟

- لا شك ان الدستور السوفيتي قدم الكثير م[ن] المكتسبات للمرأة في مجتمعاتنا التي كانت تحسب عل[ى] « الشرق » بما فيه من تخلف ، لقد انتهت الأمية [في] داغستان منذ زمن طويل ، وتساوت المرأة بالرجل [في] الحقوق والواجبات

لكنني أصدقك القول بأن ساعات الراح[ة] أصبحت قليلة

أنا أعمل مديرة للمتحف الوطني في ماحتشكلا أحب عملي وأخلص له ، لكنني أشتاق لبنا[تي] ولأولادهن والساعات التي أقضيها معهن أعتبر[ها] قليلة يبدو أن لكل شيء ثمنا ومع ذلك فا[ن] وضعنا نحن النساء الآن أفضل بكثير مما كنا عليه [في] العهود السابقة

أو لنقل انه لا يمكن المقارنة بين ما كنا عليه كحريم - وبين ما نحن فيه الآن من مساو[اة] واحترام

قبل أن أطوي أوراقي سألت الشاعـ[ـر] رسول ماهي القصيدة التي تحب ان تهديها للقر[اء] العرب ؟

حك رأسه وأجاب بسرعة وحسم « اللغ[ة] الأم » وهذه مقاطع منها

قد تشفي بعضهم لغة أخرى ،
لكي لا أستطيع ان أغني بها ،
وإذا كانت لغتي ستضمحل غدا ،
فأنا مستعد أن أموت اليوم

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

« السرطان ! هذا الرعب الذي أقض مضجع الانسانية أجيالا طويلة ، هذه المعاناة التي عاش الناس منها فيما يشبه الموت قبل أن تحين ساعات الموت ، سواء في ذلك الضحية نفسها أو أهلها القريبون منها ، هـذا المرض الخبيث الماكر الذي صال وجال في طيش وعنفوان ، هل آن الأوان ليختفي من حياة الناس ؟ وهل يقدر لجيلنا أن يشهد الساعات التي يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة ؟

رغم كـل الانجازات المهمـة ، والتـطورات الكبيرة التي حدثت في السنوات القليلة الماضية في مجال علاج السرطان بمختلف أنواعه وأشكاله ، وبرغم كل الأسلحة التي استخدمها الطب الحديث في صراعه مع هذا المرض ، من علاج جراحي باتر ، إلى مـداواة كيماويـة معقدة ، إلى معـالجة شعـاعية مركزة ، إلا أن الســرطان مـا يزال مـرضـا سيّء السمعة لدى كل من الطبيب والمريض على السواء ، ولقد أنفقت أموال طائلة ، وبذلت جهود مضنية ، وأجريت بحوث مطولة في هذا المضمار ، وما تزال هنالك أسئلة أسـاسية ومبـدئية تبحث عن جـواب يكشف الغموض ويبدد الحيرة ، لكن الليل لا يدوم سـرمـدا ، ولا بـد للشمس أن تـطلع من جـوف الظلام ، فها هي بوادر جديدة مشجعة تبدأ في الظهور مبشرة بأمل طال انتظاره ، ألا وهو القضاء الكامل على هذا المرض الوبيل .

هذه البوادر الجديدة تتمثل في مفهومين حديثين ، تبـين أن لهما أهميـة كبيرة في مجـال إدراك السبب في حـدوث السرطـان عمومـا ، وفي مجـال التشخيص المبكر له ، ومن ثم في مجال المعالجة المجدية لأنواعه المختلفة . ولم يكن لهذه البوادر الجديدة أن تظهر لولا هذا التطور الكبير الذي حدث في مجال « البيولوجيا » الجـزيئية ، وفي مجـال التقنية المـرتبطة بهـا ، ولقـد عـرضت هذه المعلومـات الحـديثـة عن السـرطـان تشخيصا وعلاجا في المؤتمر السنوي السابع والعشرين للجمعية الأمريكية للسرطان الذي عقد مؤخرا .

هذه البوادر الجديدة التي تحمل الأمل وتلوح به تتلخص في نقطتين اثنتين ، أولاهما مفهوم مورثات

« جينات » الأورام « ONCOGENES» ، والثانية تتعلق بموضوع الأجسام المضادة وحيدة السلالة « Monoclonal-AB » ، وسأحاول في الأسطر التالية من هذا المقال أن أقدم فكرة كافية عن هذين الاكتشافين الحديثين ، وعن أهميتهما ، وعن الأمل المرجو من إدخالهما حيز التطبيق العملي

مورثات الأورام

يعلم معظم من له اطلاع على علوم الحياة أن الصفات والوظائف التي تتميز بها الكائنات الحية عامة ، بدءا من أبسط الخلايا النباتية ، وانتهاء بالكائن البشري المعقد التكوين ، إنما تعود إلى وجود ما يسمى الجينات أو المورثات في خلايا تلك الكائنات ، وأن الجينات هي التي تستوعب السمات والمظاهر التي يتمتع بها أي كائن حي ، كما أنها هي التي تتحكم في انتقالها بصورة محكمة ودقيقة من جيل إلى آخر ، عبر سلالات متعاقبة لا محدودة ، وأن هذه الأجزاء المتناهية في الصغر التي نسميها « جينات » لا تعدو أن تكون جزيئات كيماوية ، متجاورة ، وفق ترتيب خاص ، اصطلح على تسميتها حملة حمض (D . N . A .)

والآن مادا يعني مفهوم مورّثات الأورام أو جيناتها ؟

الحق أن الأمر في حالة مورثات الأورام ليس على صورة التوارث السابق الذكر تماما ، إلا أنه يمت إلى هذه الصورة بصلة ما فمورثات الأورام توجد في خلايا الانسان جميعها ، كغيرها من المورثات الأخرى ، وهي موجودة في هذه الخلايا منذ اللحظات الأولى لتشكله داخل الرحم ، إضافة إلى أن هذه المورثات تملك القدرة أو الامكانية على أن تحول الخلية الحاوية لها من خلية طبيعية سليمة ـ تنمو وتتكاثر ضمن نظام منضبط ـ إلى خلية أخرى ، لا يحكمها ـ في نموها وتكاثرها ـ أي نظام ، وبمعنى آخر تحولها إلى خلية سرطانية

ظواهر ملفتة للنظر

من الظواهر الملفتة للنظر أن مورثات الأورام هذه تظل بلا فاعلية ، وبدون أي نشاط ، حتى يتوافر لها ما يبعث فيها الحيوية ، وما يوحي إليها بالانطلاق ، وحينئذ تنطلق إشارتها الخبيثة إلى خليتها لتعلن عصيانها على الناموس المنظم لحركتها ، ولتبدأ تكاثرها السرطاني اللامحدود

لقد بات كثير من العلماء في الوقت الحاضر يعتقدون أن مورثات الأورام تلعب دورا أساسيا مهما في كافة أنواع السرطان ، وأن كل الأسباب التي نعلم أن لها دورا في إحداث المرض كالتدخين والتعرض للاشعاع وبعض أنواع (الفيروسات) إنما يقتصر عملها وتأثيرها على تنشيط أو تشغيل تلك « المفاتيح » الخلوية المسئولة عن الأورام ، وأعني بها مورثات الأورام

المفهوم الثاني في هذا المجال الذي ازداد الاهتمام بتطبيقاته في السنوات القليلة الماضية هو موضوع استخدام الأجسام المضادة كاحدى الوسائل الناجعة في علاج السرطان والأجسام المضادة ما هي إلا مواد كيماوية حيوية ، يشكلها الجسم حين يتعرض لأي « غزو » خارجي على شكل عدوى جرثومية أو فيروسية ، وهذه الأجسام المضادة المتكونة تتميز بصفة مهمة وحيوية ، وهي صفة « الخصوصية » أو « الفردية » ، بمعنى أنها لا تهاجم إلا « العدو » الذي أنتجت للقضاء عليه

هذا المفهوم السابق الذكر للأجسام المضادة شُرع في تطبيقه واستخدامه في مجال مكافحة الأورام وعلاجها مؤخرا ، إذ تبين أن للأجسام المضادة قدرة على مهاجمة الخلايا السرطانية الشاذة ، بنفس قدرتها على مهاجمة أي جرثوم أو فيروس ، لأن كل خلية سرطانية وكل جرثوم عبارة عن عنصر غريب عن الجسم في صفاته وخواصه وتركيبه ، ولذلك يستحق نفس الاستعداد ونفس التأهب للمهاجمة والصد ، فالأجسام المضادة لسرطان القولون مثلا تهاجم الخلايا

سرطانية فيه وحدها على الرغم من وجود خلايا ولونية سليمة مجاورة لها ، وهذه الخصوصية في الأجسام المضادة هي ما يعطيها أهميتها الكبرى في مجال كبح جماح السرطان وفي أن تكون واحدة من بوارق الأمل في القضاء عليه

التكلفة باهظة !

على الرغم من أنه قد تم تحضير أجسام مضادة خاصة لعشرة أنواع من السرطان الأكثر حدوثا ، وأنها أصبحت جاهزة لادخالها حيز الاختبار السريري والتطبيقي على المصابين بهذه السرطانات ، إلا أن تحضير كميات كافية من هذه الأجسام المضادة التي تسمح بإجراء الفحوص اللازمة على عدد كبير من المصابين ما يزال بحاجة إلى وقت طويل ومال كثير ، ولقد قدرت تكاليف اختبار نوع واحد فقط من الأجسام المضادة تلك بحوالي ٢٠ مليون دولار ، كما أن جراما واحدا منها تبلغ تكاليف تحضيره مبلغاً لا يقل عن سبعة آلاف دولار ، فإذا علمنا أن تجربة عملية سريرية واحدة تحتاج إلى عدة آلاف من الجرامات أدركنا مقدار التكلفة الباهظة التي يواجهها العاملون في هذا المجال ، لكن يعتقد كثيرون أن هذه التكاليف ستنخفض بشكل ملموس حينما يشرعون بإنتاج تلك المواد الكيماوية بأساليب أخرى وكميات كبيرة ، وذلك بعد إثبات فاعليتها بشكل قاطع ، وبعد التأكد من أن أثرها في المعالجة أثر جذري

وعلى الرغم من ضخامة التكاليف المادية بدأ أحد المراكز الطبية المتخصصة بأبحاث السرطان وعلاجه في فيلادلفيا بتجربة الأجسام المضادة كعلاج لسرطان القولون الذي فشل فيه التدخل الجراحي ، وكانت النتائج المبدئية لهذه المعالجة مشجعة غاية التشجيع ، مما يبشر بخير كثير في مجال علاج السرطان

من المشاكل الكبيرة التي تواجه الأطباء في مجال علاج السرطان عموما مشكلة التأثيرات الجانبية الشديدة للأدوية المستخدمة في العلاج ، فبعض هذه الأدوية يحدث تَقَيُّؤاً وإسهالاً شديدين ، وبعضها يسبب آلاما عصبية مستمرة ، أو يؤدي إلى تساقط شعر البدن ، ومنها ـ أيضا ما يوقف عمل نخاع العظم المسئول عن توليد كريات الدم الحمراء والبيضاء ، وغير ذلك من التأثيرات المختلفة ، وكثيرا ما تكون هذه الأدوية بالنسبة للمصابين مصدر معاناة تفوق بكثير معاناتهم من مرضهم الخبيث

ومع تطوير أسلوب المعالجة بالأجسام المضادة أصبحت مشكلة التأثيرات الجانبية قليلة العبء على المريض ، إن لم تكن قد أخذت طريقها إلى الحل الكامل فما حقيقة الأمر في ذلك ؟

إن معظم تأثيرات أدوية السرطان الضارة يعود إلى كونها تدمر خلايا سليمة إلى جانب تدميرها خلايا سرطانية ، فهي سلاح عشوائي أعمى يجرب كل خلية يصادفها ، بغض النظر عن هويتها ، وهذه التأثيرات الجانبية هي الثمن الفادح الذي يدفعه المريض من جسمه في سعيه للتخلص من آفته الخبيثة ، أو للتخفيف من آلامه المبرحة ، أما مع الأسلوب الجديد المطروح للمعالجة ـ وأعني به أسلوب المعالجة بالأجسام المضادة ـ فالأمر يختلف كثيرا ، إذ يمكن « تحميل » هذه الأجسام المضادة بالدواء المطلوب ، ثم إرسالها إلى داخل الجسم ، بواسطة الحقن الاعتيادي ، ثم تركها لتكمل المهمة بمفردها ، إنها عندئذ ستتجه ـ تلقائيا ـ إلى الخلايا الخبيثة ، وكأنها تبحث عنها بعين مبصرة ثم تفرغ حمولتها من الدواء عند تلك الخلايا دون سواها ، وكأنها صواريخ موجهة ، وبهذا تظل الخلايا السليمة في أجزاء الجسم الأخرى في منأى عن أثر ذلك الدواء المدمر

ومن الجميل أن إمكانية « تحميل » تلك الأجسام المضادة الموجهة ضد السرطانات لا تقتصر على الأدوية وحدها وإنما يمكن توسيع المجال ليشمل النظائر المشعة ، وفي هذه الحالة يتم استبدال العنصر المشع بالدواء ، الأمر الذي يجعل أثر الاشعاع المخرب مقصورا على الخلية السرطانية دون سواها ،

وهذا ما تم تطبيقه بالفعل ، وأصبح إشراك النظائر المشعة مع الأجسام المضادة من الطرق المستخدمة حاليا في علاج بعض أنواع السرطان

ومن ضمن الفوائد التي يمكن تحقيقها من إدخال طريقة الأجسام المضادة مجال التطبيق الواسع استخدامها في علاج الحالات المتقدمة من السرطان ، حيث تكون بذور المرض قد تغلغلت في أعضاء الجسم المختلفة ، إذ يمكن بواسطة تلك الأجسام المضادة المحملة بأسلحتها مهاجمة الخلايا الخبيثة أينما وجدت ، ومن ثم الفتك بها ، والقضاء عليها .

ولكي تكون الصورة المتعلقة بموضوع الأجسام المضادة تامة الوضوح لا بد لنا من التعرف على بعض العقبات التي ما تزال تواجه الباحثين في هذا المضمار ، فمن هذه العقبات مثلا أن الخلايا الخبيثة المسببة لنوع من أنواع السرطان قد لا تتماثل أو يتشابه بعضها ببعض مائة بالمائة ، بل قد يكون هنالك اختلاف بين بعض هذه الخلايا وبعضها الآخر ، ولهذا فالأجسام المضادة المستخدمة تجاه « تركيبة » معينة من الخلايا قد لا تصيب هذه الفئة الشاذة المختلفة عنها ، وهذا يعني أن هذه الفئة ستنجو من الملاحقة ، ومن ثم تكون الفرصة سانحة أمامها لتبدأ هجمة جديدة شرسة ، إلا أن هذه العقبة ليست بالمشكلة المستعصية الحل ، إذ يمكن ـ نظريا ـ تطوير الأجسام المضادة أو تعزيزها بأجسام مضادة أخرى تكون قادرة على مجابهة هذه الفئة الضئيلة الشاردة من مجموع الخلايا السرطانية المعروفة

ومن هذه العقبات أيضا عقبة تبدو كأنها نقيضة للعقبة السابقة ، أعني بذلك أن بعض الخلايا السليمة المعافاة تتشابه في تركيبها مع بعض الخلايا السرطانية ، ولذلك فالأجسام المضادة للسرطان سوف يلتبس عليها الأمر ، فتهاجم خلايا سليمة في نفس الوقت الذي تتجه فيه إلى تلك الخلايا السرطانية ، ومع اعتراف معظم العاملين في هذا المجال بما تسببه لهم هذه العقبات من تعويق وإحباط إلا أنهم يجمعون على أن المشكلة تظل ـ في نظرهم ـ أقل سوءا من المعالجة بالأدوية المعتادة ، أو بالنظائر المشعة ، بدون الاستعانة بالأجسام المضادة ، فالضرر الناجم عن مهاجمة الخلايا السليمة حين تطبيق الطريقة المعتادة أشد بكثير من الضرر الناجم عن استخدام الأسلوب الجديد في العلاج

هذه العقبات وغيرها لابد من أن توجد لها حلول مناسبة من خلال التجارب الميدانية الواسعة التي تستعد لها المراكز الطبية المتخصصة المتعددة .

عودة إلى مورثات الأورام

على الرغم من التفاؤل الكبير الذي يرافق الأسلوب الجديد في المعالجة ، والذي يقوم على استخدام الأجسام المضادة المناسبة ، إلا أن الحل النهائي لمشكلة السرطان سيكون ـ فيما بعد ـ على أيدي علماء « البيولوجيا » الجزيئية ، وليس على أيدي الأطباء المعالجين ، فهؤلاء العلماء ينظرون بتجرد كبير إلى الخلية وأقسامها وجزيئاتها الكيماوية وتفاعلاتها ، ويحاولون الامساك ببداية الخيط الذي سيوصلهم ـ في النهاية ـ إلى غايتهم المنشودة ، وهي معرفة سر السرطان ، وكيفية تطوره ، ومن ثم التدخل للحيلولة دون هذا التطور أو التكامل ، اعتمادا على أسس خلوية وكيماوية بحتة

ويبدو أن هؤلاء العلماء قد وصلوا إلى ما يمكن تسميته ببداية النهاية في هذا المضمار ، وذلك باكتشافهم مورثات الأورام ، تلك التي تحدثنا عنها في بداية المقال ، إلا أننا سنضيف هنا أن مورثات الأورام تؤلف نسبة ضئيلة جدا من العدد الكلي لمجمل المورثات التي تقدر بحوالي خمسين ألف مورّثة ، ويعتقد العلماء أن عدد مورثات الأورام قد قدر بخمسين مورثة تَمّ الكشف عن عشرين منها حتى الآن

وحتى وقت قريب كانت نظرية مورثات الأورام ودورها الأساسي في تحويل الخلية السليمة إلى خلية سرطانية شاذة تدور في مجال التصور والافتراض ،

إلى أن تمكن العلماء في العام الماضي من تشغيل تلك المورثات الكامنة ، الأمر الذي أدى إلى تحويل الخلية الطبيعية إلى خلية سرطانية بالفعل ، ثم جاءت التجارب لتؤكد صحة نظرية المورثات ، لا سيما التجارب التي أجريت في مختبرات جامعة (هارفارد) ، حيث أمكن نقل الاستعداد للاصابة بسرطان الثدي عند الفئران بنقل مورثات الأورام من سلالة مصابة بسرطان الثدي إلى سلالة أخرى سليمة ، ومن ثم رفع فاعلية هذه المورثات وتنشيطها بواسطة الهرمونات ، فكانت النتيجة إصابة الفئران السليمة بسرطان الثدي ، على أن دور مورثات الأورام لا يقتصر على كونها خطوة البداية في تشكل الأورام عموما ، لكن يبدو أن لعددها أهميته في هذا المجال ، فكلما ازداد عدد هذه المورثات في الخلايا كانت أكثر شراسة وعنفا ، وبالتالي فإن معرفة عدد المورثات الموجودة سوف تحدد طريقة العلاج الأمثل منذ البداية ، وهذا في الواقع ما نرجو تحققه في المستقبل القريب

لا شك أن الحدث الأعظم في مجال مورثات الأورام سيكون في التوصل إلى طريقة ، يتم بواسطتها إعادة إيقاف فاعلية المورثات ، بعد أن تكون قد رفعت فاعليتها لسبب ما ، وحينئذ نكون قد وضعنا أيدينا على الحل النهائي لمشكلة السرطان ، وهذا يتطلب ـ بلا شك ـ مزيدا من التقدم في مجال تقنية « البيولوجيا » الجزيئية ، وما نظن أن العلماء ستفتر هممهم عن تحقيق هذا الأمل المنشود .

تفاؤل حذر

إن المتتبع للمراحل التي مرت بها عملية البحث عن سبب السرطان وعلاجه لابد أن يعتريه شيء من التفاؤل الحذر إزاء نظرية مورثات الأورام ، فقد مرت مسيرة البحث بمحطات كثيرة ، يعتقد أن كل واحدة منها هي نهاية المطاف في مأساة السرطان ، ثم يأتي الواقع ليقول إن الطريق ما يزال طويلا ، وأن الرحلة لم تنته بعد ، فمن مرحلة تميزت باكتشاف عديد من المواد الكيماوية المحدثة للسرطان ، إلى مرحلة برز فيها دور (الفيروسات) كعامل محتمل للاصابة ، إلى مرحلة ثالثة توجه البحث فيها ناحية المناعة ودورها حين تصاب بالضعف أثناء الاصابة بالسرطان ، اضافة إلى نظريات أخرى تحدثت عن أهمية مادة « الانترفيرون » INTERFERON في علاج أنواع مختلفة من السرطان ، لكن من المعتقد أن المحطة الجديدة مختلفة عن كل ما سبقها ، وأن موضوع مورثات الأورام سيكون هو الاطار الذي سيؤلف بين شتات « القصة » المتناثرة ، حيث يضع كل عنصر من هذه العناصر في مكانه الصحيح من هيكل « القصة » ، فالعوامل المختلفة التي تساعد على حدوث السرطان كالفيروسات والاشعاعات والمواد الكيماوية تؤثر ـ مجتمعة أو منفردة ـ على مورثات الأورام الكامنة ـ أساسا ـ في الخلايا ، وحين تتفاعل تلك المورثات تؤدي إلى تشكل مواد « بروتينية » خاصة ، تعمل ـ بدورها ـ على إحداث تبدلات أساسية في صفات الخلية ووظائفها ، وتحيلها إلى خلية أخرى مختلفة ، أي خلية سرطانية ، وهنا ينشط الجهاز المناعي السليم في الجسم لتشكيل أجسام مضادة تتصدى لهذه الخلايا المنحرفة ، فإن كانت له الغلبة تَمّ القضاء على المرض في مهده ، وإن فشل في مهمته نما هذا « النبت الشيطاني » ، وأطل بوجهه القبيح سرطانا شرسا

وفي ختام هذه الجولة التي تناولت نقطتين جديدتين مهمتين ، توجهت إليهما أنظار العلماء في الأشهر القليلة الماضية ، واعتبرتا نصرين حاسمين في حلبة الصراع العنيد مع السرطان ، أحب أن أقول إن شمس الأمل قد سطعت ، وان نهاية النفق المظلم قد قربت ، وإن كانت قد بقيت هناك معارك جانبية لابد من خوضها لتطهير الساحة تماما من فلول معتد مرعب ، أقضّ مضجع الانسانية أجيالا طويلة . □
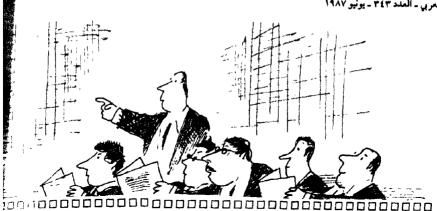
التعلم عن بعد..
الجامعة المفتوحة

بقلم : توفيق أبو بكر

يواجه التعليم التقليدي في وطننا العربي تحديات كبيرة ، ليس أقلها ارتفاع نسبة الأمية في كافة افكاره فحسب ، بل في المهمات المستقبلية الحسيمة التي تتطلب معالجات تربوية مبتكرة ، بينها نظام التعلم عن بعد .

منذ وقت مبكر من هذا القرن لجأ عدد من دول العالم ـ المتقدم ، والنامي على حد سواء ، الراسمالية والاشتراكية ـ إلى استخدام أسلوب متطور في التعليم ، يعرف بالتعليم عن بعد ، وذلك لتحقيق مبدأين أساسيين ، الأول مبدأ الديمقراطية في التعلم ، وذلك لاتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من المواطنين الذين فاتهم قطار التعليم ، أو انقطعوا عن الدراسة والتدريب للاستمرار في تلقي العلم ، والثاني مبدأ التحديث عبر استثمار أوسع في إنجازات العلم والتقنية التي يمكن الافادة منها في هذا الأسلوب التعليمي ، بدرجة أوسع مما يحصل في التعلم التقليدي

ولذلك تنتشر اليوم في العالم أكثر من خمسمائة جامعة مفتوحة ، تقدم الخدمة التعليمية بأسلوب « التعلم عن بعد » الذي تقوم فلسفته ـ بشكل عام ـ على الانتقال إلى الدارس ، بدلا من التعلم المباشر الذي ينتقل فيه الدارس إلى الجامعة ، والذي تقوم فلسفته على تقديم كم من المواد التعليمية المكتوبة التي

يشترك في انتاجها فريق كبير من العلماء والمربين والفنيين والمحررين ، وليس عالما واحدا كما هو سائد في الجامعات التقليدية أو الجامعات التي تقبل الدراسة بالانتساب ، يشتركون فيه من البداية حتى النهاية ، وكذلك المواد التعليمية المسموعة ، عبر الأشرطة والاذاعة ، والمرئية عبر أشرطة (الفيديو) ، وبرامج التلفاز ، إضافة لوسائل أخرى ، كاستخدام الهاتف ، كما هو سائد في بريطانيا وأمريكا والسويد ، واستخدام مراكز الارشاد الفرعية في أماكن وجود الطلبة وأبنية الجامعات التقليدية مساء ، ومختبراتها ، والدورات الصيفية ، والدوام المباشر لمن يستطيع من الطلبة .

وقد أثبتت الدراسات التربوية أنه بالرغم من البعد بين الدارس والمعلم في التعليم المفتوح ، فإن توفير رزمة تعليمية متعددة الوسائط في أكثر من اتجاه يمكن أن تحدث تفاعلا بين المتعلم والمادة التعليمية ، موازيا لما يحصل في الجامعات التقليدية ، وإذا كان عدد من دول العالم قد لجأ لأسلوب التعلم عن بعد ، كنظام مؤازر للتعليم التقليدي ، يستجيب لعدد من التحديات السكانية التقنية ، لايستطيع أن يصمد في مواجهتها التعليم التقليدي بإنجازاته المحدودة ، فإن الوطن العربي أحوج مايكون لتبني هذا النظام ، لمواجهة نفس التحديات التي تتفاقم في بعض أقطاره سنة بعد أخرى

نسبة أمية خطيرة

التعليم التقليدي في الوطن العربي يواجه عددا م التحديات القائمة والمستقبلية التي تتطلب الأخ بنظام « التعلم عن بعد » ومن أهم هذه التحديات

أولا نسبة الأمية في الوطن العربي التي مازالـ مرتفعة جدا رغم النجاحات النسبية البطيئة في مجا محو الأمية ، عبر مراكز تعليم الكبار ، بالأساليـ التقليدية ، فالمتوسط العام للأمية حسب إحصاءا ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ تبلغ نسبته ٦٩٪ في مجمل الوط العربي ، لكن هذه النسبة تصل في الصومال مثلا إ ٩٣,٥٪ ، وفي اليمن الشمالي ـ طبقا لما جاء ا التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨٥ ـ تصـ نسبته إلى ٩١,٤٪ ، وفي المغرب ـ حسب تقريـ اليوسكو لعام ١٩٨٤ ـ تصل نسبته إلى ٧٨,٥٪ وأكثر التقديرات تفاؤلا حول نجاح خطط محو الأمـ في الوطن العربي تشير إلى أنه رغم ذلك سيكون هنا في عام ٢٠٠٠ م ١١٥ مليون أمي عربي وهـ الأرقام المستقبلية مرعبة ، تتطلب ـ بالضرورة أساليب تربوية حديثة لمعالجتها ، وإلا فإن التقد العربي سيبقى محكوما عليه بالفشل ، وهذه النسـ العالية من الأمية تزداد في أوساط البنات في الأقطا العربية ، حيث تغادر الفتيات المدارس للزواج ، أ لأسباب اجتماعية مختلفة تقول الاحصاءات ـ طبـ للمصادر التي أشرنا إليها سابقا ـ إن نسبة أميـ الفتيات في بلد كسوريا وصلت إلى ٨٠٪ ، في وقـ تنخفض فيه هذه النسبة إلى النصف تماما ، حيـ يتعلق الأمر بالذكور ، فنسبة أمية الذكور في سور في نفس العام هي ٤٠,٤٪ فقط ، والفجوة نفسهـ تتكرر في لبنان الذي بلغت فيه هذه النسبة ـ حسـ إحصاء ٨٠/ ٨٢ لأمية الفتيات ـ مامقداره ٤٢,١٪ وأمية الذكور مامقداره ٢١,٥٪ أي النصف ، ونفس الفجوة موجودة بدرجات متفاوتة في الأقطار العربيـ الأخرى ، ففيما تزيد نسبة الأمية للاناث في المغر والصومال واليمنين ، الشمالي والجنوبي عن ٩٠٪

ومن البديهي أنه لايمكن لمجتمع أن يتقدم مادام نصفه يعيش الأمية الأبجدية ، بهذا الشكل الصارخ الذي يعبر عن تخلف حضاري مرعب . ولهذا فإن نظام « التعلم عن بعد » الذي لايشترط حضور الدارس للجامعة قد يكون أحد أهم الأساليب لانتشال المجتمع من أمراض الأمية المتفشية

أمية المواكبة

إضافة لهذه الأمية الأبجدية المباشرة هناك « أمية المواكبة » ، وهو تعبير سمعته من أحد المشاركين في ندوة عمان « جامعة القدس المفتوحة والتعلم عن بعد » ، ويقصد به انقطاع المتخرج عن العلم تماما بعد تخرجه ، ودخوله سوق العمل ، فهناك كثيرون يؤرخون لتاريخ تخرجهم ، باعتباره النقطة الفاصلة ـ في نظرهم ـ بين حياة الدراسة والعلم والحياة العملية ، متجاهلين علاقة العلم المثمرة بالعمل

وهؤلاء الذين يصابون « بأمية المواكبة » يشكلون ـ مع مرور الزمن ـ « بطالة هيكلية » ، كما أنهم يسهمون في تخلف المجتمع العربي ، إذا كانوا عاملين في المجالات العلمية والتقنية على الأخص ، لأنهم لايتابعون الثورة الهائلة في هذه المجالات ، ولايفيدون منها لاختصار الهوة الواسعة التي تفصلنا عن العالم المتقدم ، وأنظمة « التعلم عن بعد » ، بما توفره من برامج لاعادة التدريب ، وللانعاش العلمي للعاملين أثناء عملهم دون حاجة للتفرغ إنها فرصة ثمينة ، تسهم في زيادة الاستثمار في رأس المال البشري

التحديات الديموغرافية

في الوطن العربي طفرة سكانية هائلة ، لايستطيع التعلم التقليدي أن يستجيب لتحدياتها ، وبخاصة أن هذه الزيادة السكانية الهائلة تتركز في أوساط الفئة العمرية (٢٠ ـ ٢٤) ، والفئة العمرية للأطفال ، أي في أوساط الفئات التي تحتاج للدراسة والعلم

وحسب الأرقام التي جاءت في دراسة للدكتور أحمد محمود الخطيب ، الخبير بمكتب التربية العربية لدول الخليج ، قدمت لندوة عمان ، فإن إحصاءات اليونسكو تشير إلى أن عدد السكان في الأقطار العربية قد بلغ عام ١٩٨٥ : ١٩٠ مليون نسمة ، وبلغ عدد السكان في الفئة العمرية (٢٠ ـ ٢٤) ١٧ مليون نسمة ، وتشير التقديرات الى أن عدد السكان في الوطن العربي سيقفز عام ٢٠٠٠ إلى ٢٨٨ مليون نسمة ، بزيادة سنوية تصل إلى ٣,٢٪ ـ وهي من أعلى النسب في العالم ـ فيما سيقفز عدد السكان في الفئة العمرية (٢٠ ـ ٢٤) إلى ٢٦,٥ مليون طالب وطالبة ، وإذا علمنا أنه يوجد في الوطن العربي الآن سبعون جامعة ، تضم مليوني طالب وطالبة ، فهذا يعني أن هناك جامعة لكل نصف مليون نسمة من الفئة العمرية السابقة الذكر ، وهي نسبة ضئيلة جدا رغم التقدم الكبير في مجال إنشاء الجامعات في الوطن العربي

وهذه الفجوة ـ حسب الاحصاءات السابقة ـ ستزداد عام ٢٠٠٠ م كثيرا إن لم يتم تدارك الأمر بأساليب تعليمية غير تقليدية ، فمن المنتظر أن يكون عدد الطلاب الجامعيين في الوطن العربي عام ٢٠٠٠ ٦,٣ ملايين طالب ، يستهلكون ٢٦٪ من تكاليف التعليم العام في الوطن العربي ، بينما يستهلكون الآن أقل من ١٧٪ من النسبة العامة للتعليم العام ، وهذا يشير إلى التكاليف الاقتصادية الباهظة للتعليم العالي في وطننا العربي في العقدين القادمين ، وهذه التكاليف يمكن توفير جزء كبير منها بتبني أساليب « التعلم عن بعد » ، فحسب الأرقام التي نشرتها الجامعة البريطانية المفتوحة ، وهي أنجح الجامعات المفتوحة في العالم تبلغ تكلفة الطالب في التعلم الجامعي المفتوح ٢٦,٥٪ من تكلفة الطالب في الجامعة التقليدية حتى (البكالوريوس) ، و ٥٠٪ في مرحلة ما بعد (البكالوريوس) ، وتنخفض هذه النسبة مرة أخرى إذا ازداد عدد الطلاب في الجامعة

المفتوحة ، فيما يحدث العكس تماما في الجامعة التقليدية

التسرب من المدارس

يترك ملايين من الطلاب العرب مدارسهم لأسباب مختلفة

تقول الأرقام إن ٥٪ فقط من الطلاب العرب في المرحلة الابتدائية يدخلون الجامعة ، و ٣٧٪ من طلاب المرحلة الثانوية يدخلون الجامعة وهذه نسبة متدنية جدا ويشكل التسرب الجزء الأكبر من انخفاض عدد الطلاب في مراحل التعليم العالية ،

بالاضافة لعدم قدرة الجامعات العربية على الاستيعاب ، رغم أن تقدما كبيرا قد حصل في هذا المجال تقول الاحصاءات التي أوردها د منذر صلاح رئيس جامعة النجاح (المبعد) في ندوة عمان ـ سابقة الذكر ـ ونقلها عن دراسة الجدوى التي أعدتها اليونسكو لاقامة جامعة فلسطينية مفتوحة عام ١٩٨٠ إن الجامعات العربية لن تستوعب أكثر من ٣٠٪ من الطلاب الفلسطينيين الذين يتخرجون من الثانوية العامة في فترة (١٩٨٥ ـ ١٩٩٠ م) وفي بلد كالأردن فإن ٥٥٪ من الطلبة الذين حصلوا على الثانوية العامة يمكنهم الالتحاق بالجامعة إذا حددت نسبة القبول بمقدار ٧٠٪ كحد أدنى

ونسبة ما تقبله الجامعات العربية لعدد السكان هو ٨٪ من الفئة العمرية (١٨ ـ ٢٣) ، وهي نسبة ضئيلة بكل المقاييس

وحسب التوقعات التي أوردها د تيسير عبدالجابر في دراسته المقدمة للندوة المذكورة وهي بعنوان « ديمقراطية التعلم وأنظمة التعلم عن بعد » فإنه سيكون هناك في عام ٢٠٠٠ م ١٨ مليون طفل عربي ـ من الفئة العمرية (١٦ ـ ١١) سنة ـ خارج المدارس ـ مع الأخذ بعين الاعتبار إمكانية نجاح خطط محو الأمية في تخفيض النسبة إلى ٤٠٪ عام ٢٠٠٠ ، وهذه أكثر التوقعات تفاؤلا

إن علاج الرصيد المتراكم من المتسربين لن يتم من خلال إجبارهم على العودة لنظام التعليم التقليدي ، فالأمر غير ممكن أصلا للاعتبارات السابقة ، بل من خلال أساليب جديدة ، يقف في مقدمتها « التعلم عن بعد »

ديمقراطية التعلم

ولهذه الأسباب مجتمعة فإن « التعلم عن بعد » يسهم بقدر أو بآخر في تحقيق ديمقراطية التعلم ، حين يتيح المجال لمن فاتهم قطار التعليم من اللحاق به ، وحين يتيح مجال التدريب،وإعادة التدريب والتعلم لمن دخلوا قطاعات الانتاج قبل استكمال دراستهم في مراحل الدراسة المختلفة ، وللأطفال في سن التعليم الذين لم يلتحقوا بالمدارس لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو لقصور في النظام التعليمي ، وللاناث اللواتي لم يتعلمن على نفس المستوى الذي أتيح للذكور ، ولمن لم يدخلوا الجامعات بسبب سياسات القبول ، وعدم توفر المقاعد ، ولفئة كبار السن ، ولكل القوى العاملة في المجتمع التي تحتاج لاكتساب مهارات جديدة

إن المجتمع العربي بحاجة لنظام « التعلم عن بعد » بمقدار حاجته للنظام التعليمي التقليدي ، إذ إن كليهما يدعم الآخر ويؤازره ، وليس بديلا منه ، وليس أي منهما بديلا عن الآخر

كل هذه الاحترازات السابقة صحيحة إذا وضعت في إطارها الموضوعي ، لكن تقدم الأمم في مجالات متعددة لايتم بالتقدم في المجال الأول من الصفر حتى المائة ، ثم يبدأ المجال رقم (٢) وهكذا إنه انطلاق في كل الاتجاهات، ومحاربة صبورة لكل عوامل التخلف ، لتحقيق الديمقراطية العامة في كل مجال ، وبموازرة المجال الآخر ، أو بالتقدم عنه خطوة ، أو التأخر عنه بعض خطوات ، وكل ماعدا ذلك فهو هروب للأمام بالاختفاء وراء شعارات صحيحة ، وكثيرا مايقوم بعض المثقفين في العالم الثالث بهذه العملية الهروبية □
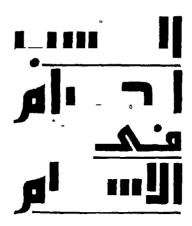
بقلم . الدكتور توفيق محمد شاهين*

الإسلام دين يكرم الإنسان ، ويحثه على الاعتماد على النفس ، وكسب الرزق بطريق حلال وقد أحل الله سبحانه الحلال وما أوسع دائرته ، وحرم الخبائث التي تضر الانسان في دينه ودنياه ، وهي قليلة . فماذا عن الكسب الحرام وكيف التعرف عليه ؟

العمل في الاسلام للقادر شرط لشرف النفس ، وكرامة الشخص ، ونفع الأسرة والإنسانية ، كما أن التعب في طلب الرزق الحلال يكفر ذنوبا ارتكبها الانسان ، كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام

والنصوص في هذا كثيرة متوافرة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، منها -

قول الله تعالى ، في طلب الرزق الحلال والأكل منه ، والتمتع به

« فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ، وإليه النشور » الملك / ١٥ »

وقوله سبحانه

« فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون » - النحل / ١١٤ »

ويرشدنا الرسول - ﷺ - الى أن الله تعالى يحب المؤمن القوي في دينه ، وخلقه ، وماله ، وعلمه ، وجسده ، بقوله « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف »

وهذه النصوص من الآيات الكريمة والحديث الشريف تبين أن الله سبحانه يحب للإنسان ان يعمل ، وان يكسب رزقه حلالا ، وأن ينفع نفسه وغيره في هذه الحياة ، ومتى قصد بكل ذلك وجه الله تعالى كان عمله للدنيا وللآخرة معا ، وييسره الله بفضله وكرمه .

* المركز الاسلامي - اوتاوا - كندا

وقد سأل كثيرون من الإخوة والأخوات عن حكم الله تعالى في طرق كسب مشبوهة ، وغير مشروعة في الإسلام ، مثل .

(اليانصيب) ، و(اللوتر) ، والسباق ، ولعب الورق (الكارد) ، والقمار ، والربا ، والسحر ، والرهان ، والتجارة في الخمر ، والحشيش ، وكل أنواع المخدرات الخ

ونود أن نفيد بأن كل هذا الكسب حرام ، وفيه أكل لأموال الناس بالباطل ، وهو سحت ، ومن الكبائر التي حرمها الله تعالى على عباده المؤمنين ، لأنها من الكسب الخبيث لا الطيب ولا الحلال ، وكل جسم تغذى منها ، وكل انسان انتفع بها قاصدا ، وكل إنسان تعود على ذلك ولم يتب إلى الله فله النار ، وهي أولى به

والنصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهي تدل على تحريم ذلك الكسب الخبيث الذي لا يرضاه العقل السليم ، ولا تقبله الفطرة المستقيمة ، لأنه كسب حرام مشبوه ، أتى بطريق سهل ، وبالباطل لا بالحق

يقول الله تعالى في تحريم هذا الكسب الخبيث

« يا أيها الذين آمنوا ، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » المائدة / ٩٠ ـ ٩٢ » .

ويقول الله تعالى .

« الذين يأكلون الربا لا يقومون (أي بين يدي الله سبحانه يوم القيامة) إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ (أي كالمصروع) ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » البقرة / ٢٧٥ »

ويقول سبحانه .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون » البقرة / ٢٧٨ ، ٢٧٩ » .

ويقول سبحانه « إنما حَرَّمَ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » [أي لحمه وشحمه ودمه وكل شيء فيه] ـ البقرة / ١٧٣ »

فقد حرم الله تعالى في هذه الآيات الكريمة

« الميسر » وهو المقامرة بكل أنواعها ، ومنه لعب الصبيان بالجوز ، ولعب الورق وغيره ، وكذلك لعب الطاولة ، و« الأنصاب » حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها ، تقربا الى الأصنام ، و« الأزلام » لون من ألوان القمار ، وبقية الآيات واضحة المعنى

وكل ذلك شر من عمل الشيطان ، ومباشرها ، والآكل منها بعيد عن رحمة الله ، ولا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة ، ويعيش في غضب الله تعالى محاربا عاصيا أوامره ، وآكلا لأموال الناس بالباطل

ولو استعرضنا بعض أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ في هذا الجانب ، لوجدناها مؤيدة وموافقة لآيات القرآن الكريم في حرمة ذلك ، حرمة لا شك فيها ·

يقول الرسول ـ ﷺ ـ

« مثل الذي يلعب بالنرد (أي الزهر والورق والكارت والطاولة وما أشبه ذلك) ثم يقوم فيصلي ، مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي »

وقال الرسول ـ ﷺ ـ .

« ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه (أي العاصي والمؤذي لهما) ، والمدمن الخمر ، والمنان بما أعطى ومن تاب تاب الله عليه »

ويروي معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال

« ما تزال قدما عبد (أي لا تتحرك) يوم القيامة حتى يسأل عن أربع · عن عمره فيما أفناه ، وعن

شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن عمله ماذا عمل فيه ».

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه. والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه (أي غشه وظلمه) ، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار. إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث ». صدق رسول الله.

والآن ، ماذا يعمل من معه مال حرام

يقول العلماء في القديم والحديث ، بأن من معه مال حرام ، وأراد التوبة منه والبراءة ، فإن كان له مالك معين وجب صرفه إليه.

فإن كان لمالك لا يعرفه ، ويئس من معرفته (بأن حاول معرفته ولم يستطع) فينبغي أن يصرفه في مصالح المسلمين العامة كالقناطر (الجسور) والربط (أي حماية الثغور وحدود الدولة والدفاع عنها) وغير ذلك مما يشترك فيه المسلمون ، مثل:

إقامة المدارس ، والمستشفيات ، والمساجد ، والصرف عليها ، أو يتصدق به على فقراء أو لاجئين ، أو من نزلت بهم كوارث ، وله أن يصرف منه على نفسه وعياله ، إن كانوا في حالة فقر شديد ، وليكن الصرف في أضيق الحدود الممكنة ، بما يزيل الضرر والهلاك فقط ، فله أن يأكل منه فقط ، وليس له أن يشتري منه ما يركبه ، لأنه لا ضرورة في ذلك.

وهذا الذي ذكرناه قاله بعض علماء الشافعية ، ومنهم الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، والإمام الغزالي نقل ذلك عن علماء السلف ، ومنهم: معاوية ، والإمام أحمد بن حنبل ، والحارث المحاسبي وغيرهم من أهل الورع. رضي الله عنهم أجمعين.

وقال بعض علماء الحنابلة: يجوز الصرف على المسجد من المال النجس . لأن المال الحرام لا يتعدى الذمتين. فهو حرام في اليد الأولى قطعا ، ولا ثواب ولا أجر للمتصدق بهذا المال ، لأنه حرام في الأصل ، ولكنا نرجو أن يتوب الله عليه اذا تاب توبة صادقة ، وندم على ما بدر منه ، ولم يعد إليه ثانية.

ولا يجوز إتلاف هذا المال ، أو رميه في البحر ، أو ترك الفائدة (للبنك) إن كان المال موضوعا بالفائدة ، وإنما يصرف في مصالح المسلمين العامة.

بذلك أفتت لجنة الفتوى بالأزهر ، ودار الفتوى في لبنان ، ويضيف سماحة الشيخ حسن خالد مفتي لبنان الأكبر ـ أطال الله في عمره ـ قوله:

(وعليه فإن على من بيده مال حرام ، ويئس من معرفة مالكه ، أن يتوب الى الله تعالى ، ويبرأ من هذا المال ، ويصرفه في مصالح المسلمين العامة ، كما ذكره الغزالي ، ونقله النووي عن الشافعية ، وعليه ان يسعى لكسب عيشه ، وعيش أهله من الحلال الطيب ، فإن كان مضطرا الى ذلك ـ كما ذكر ـ فإنه يمكنه الإنفاق منه في حدود دفع الضرر والهلاك عنه وعن عياله ، ويدفع الباقي في المصالح العامة ، كما ذكر ، ولا يجوز له شراء ما يركبه من هذا المال ، ولا أن يعمل به في تجارة او غيرها. وهذا كله متى قصد البراءة والتوبة ، وعدم معاودة الحرام ، والا فلا يحل له شيء من ذلك ، والله أعلم) اهـ.

وتذكر لجنة الفتوى بالأزهر: (أن الأئمة الأربعة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ يرون أن الأموال التي تكتسب من غير الطرق المشروعة في الإسلام يجوز صرفها فيما يعود على جماعة المسلمين بالنفع العام ، مثل الصرف على المسجد ، والمدرسة ، والملجأ ، والمصنع. وجوز الإمام ابن تيمية ، وكذلك ابن القيم صرف هذه المبالغ أو بعضها للفقراء والمساكين متى تحقق فيهم شرط الفقر والله أعلم) . □

اقــرأ في العـدد القـادم من العـربي

عدد يوليو ١٩٨٧

استطلاعات

- اللاذقية موطن للجمال .. بين البحر والجبل — أبو المعاطي أبو النجا
- نيويورك .. تفاحة عسيرة الهضم ! — صلاح حزين
- السياحة في بلد حار — سليمان الشيخ

حطين أخرى قبل حطين !	الأبعاد الأربعة في نهج الإسلام	الانجاز الاقتصادي الياباني وأبعاده الثقافية
د. شاكر مصطفى	د. عبدالعزيز كامل	وحيد عبدالمجيد

- الدخول في دائرة الحداثة / د. عبدالرحمن ياغي
- حركات الاصلاح الحديثة / د. المنجي الكعبي
- الصليبيون في الشرق / محسن خضر
- بوكوك الانجليزي يكتب شعراً بالعربية ! / د. نبيل مطر
- ماذا جاء في "الاعتبار" ؟ / جمال الغيطاني
- الطيران حول العالم دون توقف / سعد شعبان
- نظرة على الفيلم الروائي المغربي / علاء الدين محسن
- وقفة مع الكحالين العرب / د. سري سبع العيش
- وجهاً لوجه : نعمان عاشور وزينب الكردي

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. محمد حسن عبدالله - د. علياء شكري - د. حسين العروة
د. عبده بدوي - د. محمود الشلبي - د. جليل العطية - رجب سعد
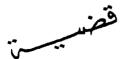
نحن والتراث

بقلم : فاروق خورشيد

في حديثنا عن التراث نسأل أنفسنا : هل نحن نتحدث عن شيء واحد مفهوم ، أم نحن نتحدث عن عدة مفهومات متغيرة ، قد لا تتكامل ، بل قد تتناقض في أحيان كثيرة ؟

فالكلمة تناولتها أقلام كثيرة ، ومفاهيم متعددة ، حتى غدا تحديد وجود متكامل لها شيئا مثيرا بالفعل .

ذهب كثيرون إلى أن التراث هو ماتركه السلف الصالح من عطاءات متراكمة لمعنى الأحكام والقياسات ، والاجتهادات الاسلامية القديمة ، حتى عصور النهضة الفكرية ، أي حتى القرن الرابع ، حيث انتهى التراث إلى اجتهادات واضحة صريحة لا لبس فيها ، وإلى هنا ينتهي التراث ، ولا شيء بعده ، ولا شيء يليه إلا التفسيرات والشروح والحواشي ، وكل ماعداه مدسوس مرفوض من حيث المبدأ ، ومن حيث الوجود نفسه هذه النظرة إلى التراث حصرت حصيلتنا من عطاء الحضارة الاسلامية كلها في حدود المفاهيم الشرعية السلفية للدين ، وهي نظر محدودة ، تعرف ما تريد ، وتفهم ماتجد ، ولا تتور عن رفض كل ما لاترى فيه ما تريد ، أو ماتفهم تراث .

ولسنا نريد أن ندخل مع هذا الاتجاه في جدل فهو صحيح وسليم في حدود رؤيته ومنهجه ورسالته لكنه شيء من أشياء

التراث والدين

لكن الاشكال الأكبر أن كلمة التراث لاعلاقة بالدين ، ولا بمعطياته ، فهي أكبر وأشمل من

هذا ، وهي تتجاوزه إلى العطاء الانساني الرحب الذي لا يرتبط إلا بمعنى الانسان وفكره وتراثه الوحداني وعطائه العقلي في كل زمان ومكان

فعلوم البحار وعلوم الجغرافيا وعلوم التاريخ ، وعلوم الطبيعة ، وعلوم الطب ، وعلوم الصيدلة تراث ، وكل مادوّن فيها جزء من تراثنا ، وجزء من وجودنا الانساني العظيم

ونستطيع أن نعمم نفس هذه المقولة على العطاء الانساني في الفنون عامة ، وفي فنون القول من شعر وقصة وملاحم خاصة

وقد برع الانسان منذ اخترع الكتابة في تدوين حصيلته من المعرفة ، ومن الفن ، على السواء ، لينقلها من جيل إلى جيل ، ومن مكان إلى مكان ، ولعله كان يتحدى بهذا الفناء والمحدودية الانسانية ، فعن طريق هذه المعرفة المتوارثة لا يكرر الانسان نفسه ، وإنما يبدأ من حيث انتهى كل من سبقوه ، ليتحقق بهذا معنى استمرار الحضارة ، ومعنى تطورها إلى الأحسن والأكمل بصورة متتابعة مستمرة ،وبهذا فإن مفهوم التراث عند حدود العطاءات والاجتهادات الدينية الموروثة مفهوم خاطىء ، أو هو على أقل تقدير مفهوم قاصر فكل الترجمات التي نقلناها في عصور النهضة العلمية غدت جزءا من تراثنا نحن وكل الاجتهادات في كل مناحي العلم والفن هي بالقطع جزء من تراثنا نحن بصرف النظر عن رضا البعض عن مضمونه أو عدم رضاهم وقد كان أبناء هذه المنطقة حريصين ... الحرص على هذه المدونات المتوارثة ، فتناقلوها ، و ... رت مخطوطاتها في المكتبات العامة ، ومكتبات ... حد والمعابد والأديرة كما اهتم الاثرياء باقتناء ... من كل مخطوط جديد يظهر إما مؤلفا في ... رهم ، واما مكتشفا عند أصحاب المكتبات ... وثة وغدت مهنة الوراق من أهم المهن في حياة هذه المنطقة ، وغدا الزهو بحجم المكتبة التي بها كل ثري مجالا للتنافس والمفاخرة .

وحين دخل المستعمرون بلادنا كان همهم الاول هو نهب هذه المخطوطات وغيرها من معالم الآثار الى بلادهم ولعل همهم الأول منذ العصور الوسطى كان تجريد هذه المنطقة من موروثها المدوّن . وحملت سفن قراصنة الغرب ، وحملت جيوشهم ، الآلاف المؤلفة من هذه المخطوطات لتهدى الى الجامعات والمكتبات ، ولتوضع تحت أيدي المترجمين والباحثين في كل فرع من فروع المعرفة الانسانية وواضح أن هذا النهب المنظم هو سر النقلة الحضارية التي خرجت بها أوروبا من عصور الظلام الى عصور المدنية والنور وواضح ان هذه المخطوطات كانت طريقهم الى التعرف على فكر الانسانية كله كما دونه العرب المسلمون ـ العرب لغة والمسلمون دينا ـ بعد أن أضافوا اليه عبقريتهم بابحاثهم الجديدة ، واجتهاداتهم الصادقة . وواضح أيضا أن أوروبا حرصت أن تنكر هذه الحقيقة تماما فبعض علمائهم ـ وبالذات بعض أهل الاستشراق منهم ـ يحسون بالحسد والغيره من هذا الدور الإسلامي الهام ، وبدلا من أن يرجعوه الى طبيعة تتابع الحضارات الانسانية ، وتلقائية أخذها وتفاعلها مع الحضارات السابقة ، دخل التعصب ليجعلهم يأخذون بإنكار ، ويقتبسون في تعال ، ويسرقون في تبجح يفوق الوصف فليس في التاريخ كله سرقة كهذه السرقة ، ولا في التاريخ كله قرصنة كهذه القرصنة

غزتنا أوروبا بأساطيلها ومدافعها و (القنبر) ، والعلم العسكرى المتطور ، فهزمنا البرتغاليون في المحيط الهندي وحطموا أسطولنا ، وهزمنا الفرنسيون في مصر ودمروا فرساننا ، وهزمنا الانجليز في التل الكبير واجهزوا على معنى انتمائنا وثقتنا بأنفسنا ورجالنا ، واحاطت اساطيل كل دول العالم باسطولنا البحري في نفارين وفرضوا شروطهم الباغية وخصعنا ، واستدار التاريخ ليشهد دمارنا في ١٩٦٧ ، ونكسنا الرؤوس خجلا وحياء ونفورا من

مواجهة الحقيقة .

ولكن كل هذا شيء ملموس مفهوم ومتوقع ـ جيوش حاربت ، وجيوش بذلت كل ما عندها ، لكنها هزمت . من جيوش المهدي في السودان أمام غوردون ، الى جيوش عرابي في مصر أمام خيانة توفيق ، الى جيوش عبد الناصر في ٥٦ , ٦٧ ، الى غزو بيروت ودمار الكرامة والتمزق في حيرتنا أمام لغز الحروب المستعرة الآن في المنطقة ، كلها أشياء مرة ولكنها اخر الامر مواجهات بين رجال ورجال ، وبين سلاح وسلاح ، وبين ذكاء وذكاء وبين مصالح ومصالح ، وبين أطماع وأطماع

مؤامرة على الوجدان

أما ماحدث لتراثنا فشيء آخر القوة العاشمة تفعل فعلها لحظات في عمق التاريخ ، ثم تنحسر والمؤامرات الخبيثة تسود لحظات في وجود انسان العصر ، ثم تنكشف وتختبيء وتتوارى ولكن التآمر على عقل شعب ووجدان شعب ، شيء آخر تماما

جريمة ارتكبها الغزاة في وضح النهار وأمام كل شهود التاريخ وخرجوا منها بنقل عقل أمة الى أمة أخرى ، وبنقل وجود أمة الى أمم أخرى وصمت التاريخ وشوهت الحقائق ، ولم يتحدث أحد

لايستطيع دارس منا الآن أن يدرس شيئا في اللغة أو في التشريع الاسلامي ، او في المعاني الفلسفية للدين ، أو في الفلسفة الاسلامية أو في تاريخ حضارتنا كلها ، وأدبنا كله ـ الا اذا رجع الى مكتبات أوروبا ، والا إذا رجع الى المخطوطات المحفوظة في دور الآثار والكتب والجامعات الأوروبية .

ولا يستطيع دارس منا الآن أن يدرس الطب أو الهندسة أو العلوم الا بلغاتهم هم وبمناهجهم هم . ومن كتبهم هم . وكأنهم هم الذين أوجدوا هذه العلوم من عدم ، وكأنهم هم أصحاب الفضل الأول والأخير في البحث العلمي المنظم ، وفي التجريب المنهج ، وفي تقديم حصيلة كل هذا الى البشر خيرا وتقدما وحضارة

والحقيقة التي غابت تقول انهم أقاموا علمهم على ماسبق أن أخذوه من علوم ، كما أقام العرب فكرهم وعلمهم على ماسبق أن ترجموه وأخذوه وطوروه في مرحلة من مراحل الحضارة الانسانية .

ولكن العرب اعترفوا بمصادر حضارتهم ، وأقروا بها ، ودفعوا أسماء أرسطو وبطليموس الى مرتبة الاستادية ، وأسندوا لهم من الفضل ما هو حق لهم أما الغرب فقد سكت عما أخذ ، وأسند الكثيرون من أبنائه لأنفسهم الفضل في كل ما ترجموه ونسبوه الى أنفسهم من علم الاجتماع الى علوم البحار الى علوم الطب والكيمياء ثم ساروا في رحلة التطور الطبيعية التي يفرضها التقدم الانساني

وكما خانت أوروبا الذاكرة خانت المسلمين وأصحاب الحضارة العربية ذاكرتهم أيضا ، فنسوا أنهم اشتغلوا بكل العلوم قبل غيرهم ، ونسوا أنهم أنشأوا المعامل والمستشفيات والمراصد ، والمصانع قبل غيرهم بكثير ، وساعدهم على النسيان شيئان رئيسيان

الأول أن العثمانيين لم يرتبطوا بالمعنى العربي لانتمائهم واكتفوا بشعار الخلافة الاسلامية لما كان يضفيه على سيطرتهم على مقدرات المنطقة كلها من شرعية ، ونقلوا كل معالم المعرفة وكل رجالها الى الأناضول لتبدأ من هناك رحلة حضارية جديدة ، بينما تركت المنطقة لتخلفها التدريجي المتعمد ، واكتفوا بأن يتركوا لأهلها من كل تراثهم المعنى الديني وحده ، والدين في الاسلام عبادة وعمل ، وما التقوى وعمل الصالحات الا الاستمرار في الحفاظ على عقل الأمة ونمائها ، والاستمرار في العمل الصالح من أجل ازدهار الانسان المسلم وتحضره ، وتحت حكمهم انهار كل شيء الا معنى العودة الى الماضي ، والتدين المتخلف الذي أخذ يتجه تدريجيا

الى ماحاربه الاسلام من كهانة وأساطير وخرافات ، وممارسات الجهالة والجاهليين .

والثاني أن أهل الغرب أدركوا منذ الحروب الاسلامية الأولى أن وحدة هذه المنطقة تحت أي شعار تهديد حقيقي ومباشر للثروات المتدفقة من آسيا وأفريقيا ، وتهديد أيضا لاستمرار سيطرتهم على البحار الدافئة في الجنوب ، وعلى الأرض البكر في عمق أفريقيا والهند ، وتقاسم الاستعمار الغربي المنطقة لتتنافر في ثقافتها ، وفي مصادرها الحديدة للمعرفة ، ولتغير انتمائها الموحد الى انتماءات متعددة بتعدد الدول المستعمرة ، وتعدد اللغات الوافدة بموروثها الفكري والمعرفي المختلف ، وكان يستهدف في هذا كله انسان المنطقة نفسه ، فطالما ظل هذا الانسان معزولا عن ماضيه ، وبعيدا عن ممارسة أي نشاط موحد ، فهو أداة طيعة في يد الاستعمار الغربي ، ووريث الروم والصليبيين أعداء المنطقة التقليديين

محاور على مر الزمن

وقد سار الاستعمار في تحقيق هذا على عدة محاور تختلف على مر الزمن وان تطورت في أشكالها وممارساتها . ومن هذه المحاور الاستقطاب الثقافي الذي تحدثنا عنه ، ومنها تغير الهوية بمحاربة الثقافة القديمة التي وجدت وجمعت،ومن هنا كانت حملة التغريب أو محاولة محو اللغة العربية بكل تراثها من الوجود كمحور رئيسي في الاستمرارية الفكرية العلمية الموحدة ، وغدت اللغة الفرنسية في الشام والمغرب اللغة الأم ، وغزت الانجليزية العراق ومصر ، واستقلت عرقيات بلغاتها القديمة ، فعاد الايرانيون الى الفارسية ، وعاد الأتراك الى التركية ، وتضاءل زحف العربية في الدول الاسلامية الأسيوية والافريقية ، لتحل محلها لغات محلية شديدة المحلية مع سيادة الانجليزية والفرنسية كلغة رئيسية ، بل وصل الأمر الى محاولة عزل المغرب العربي ، وبخاصة الجزائر عن جذورها اللغويه عزلا كليا فاللغة هنا ليست مجرد أداة تعامل ، وانما هي أداة تحضر وأداة معرفة وثقافة ، وموروث العربية منها هو كل موروث العالم قبل انهيار الامبراطوريه الاسلامية في قمة عطائها الحضاري الرائد

ومن هذه المحاور أن ينغلق الانسان في المنطقة على انتماءاته الضيقة المحدودة بتشجيع الاقليات العرقية والمذهبية من ناحية ، وبالقفز بالفكر عند أبناء هذه المنطقة الى ماقبل توحدهم الاسلامي وتحقيقا للمقولة الأولى ظهرت مشكلات الأقليات القومية والعرقية والطائفية وتحقيقا للمقولة الثانية ظهرت قضايا الفرعونية والحزبرية واليمنية والفينقية والآشورية ، كما تحددت قضية الوطنية الضيقة في كل اقليم على حدة وهذه الولاءات الضيقة ترسب تدريجيا معنى الانفصال عن الولاء العام ، فلم يصبح التنافس من أجل قضية موحدة ، ولا في مواجهة عدو واحد ، ولا تحسبا لمؤامرة واسعة تشمل المجموع وانما غدا التنافس عاملا ممزقا لكيان ظل موحدا في عهود تفوقه ، وفي عهود اظلامه على السواء وفي عهود التفوق كان خطرا واضحا بارزا للعيان يمنع الغرب من ابتلاع الكيان العالمي كله ليحدم تفوقه وثراءه ، وفي عهود اظلامه كان خطرا كامنا يهدد باليقظة من حين الى حين ، ويردع عسكريا مرة بعد مرة ، ويردع بالتآمر عليه والتوحد ضده حتى من أعتى الاعداء الخصماء والذين ينسون في مواجهته كل خلافاتهم وصراعاتهم ليعيدوا المارد الى القمقم ، ثم يعودوا بعد هذا الى تصفية حساباتهم هم فيما بينهم

فصل العقل العربي

ولكن أخطر هذه المحاور وأكثرها فعالية كان ومايزال هو فصل العقل العربي عن ماضيه وعن حاضره على السواء ، وذلك بأن يقر في ضميره بكل الوسائل من التعليم الى الاعلام الى الثقافة والأدب انه لا يملك من موروث الدنيا الحضارى الا ما يتعلق

بالدين واللغة ، كدين وكلغة بعيدا عن كل معنى حضاري وفلسفي وثقافي فيها ، وانه مدين للغرب بكل معطيات العلم والحضارة ، وانه تابع لا اصل له في الوجود الانساني كله

وقد نجحت هذه المحاور في فعلها ، وكان أخطرها نجاحا هو المحور الأخير لاشك ، وليس أدل على نجاحه من مقولة الغزو الثقافي أو الغزو الفكري التي انتشرت بيننا فنحن ـ بحكم هذه المقولة ـ لا علاقة لنا بالعطاءات العلمية والفلسفية المعاصرة ، لأنها غربية عنا وغربية عن وجودنا وموروثنا ، فكل هذه العطاءات غربية وغريبة عنا ، ونحن ينبغي أن نبتعد عنها لأنها تمثل غزوا لعقولنا وغزوا لفكرنا والحقيقة أن هذه كلها بضاعتنا أخذت منا سلبا ، وأنسينا أصلها وحقيقتها ، وطوروها هم كما طورنا نحن في مطلع وجودنا الحضاري عمن سبقونا ، ويجب أن نعود اليها في صورتها الراهنة المتطورة ، كما يجب أن نعود اليها في جذورها الأولى التي حملت سماتنا وعقليتنا وطريقة تفكيرنا ، لنعيد من جديد احتواءها وتمثلها ، ثم لنقوم بدورنا الواحد في تطويرها والاضافة اليها ، ليكون لنا دور ما في الوجود الحضاري الانساني المعاصر

إن هذا التراث الانساني في العلم والمعرفة في الفكر والفلسفة في الأدب والابداع ملك لنا بحكم أننا جزء من هذا العالم الذي أنتجه وأبدعه ، وهو ملك لنا بحكم أننا أصحاب كلمة هامة فيه ، في مرحلة نامت فيها البشرية ، وحملنا الأمانة فحملناها بكل صدق وشجاعة

ان الاسلام لم يقدم لنا العبادات وحسب ، وإنما قدم لنا حين ساد ماحوله ، فكر وثقافة وعلم البشرية قبله والاسلام لم يحملنا امانة العبادات وحدها ، وإنما حملنا أمانة معرفة البشرية وعلمها،نطلبها ولو في الصين لتستكمل البشرية مسيرتها ، وقد فعلنا

وآن لنا أن ندرك أن المقولات التي تسود بيننا حـ[...] التراث مقولات زرعها الاستعمار الذي سلبنا بلا[...] كما سلبنا عقولنا ، ويريد أن يسلبنا حاضر[...] ومستقبلنا معا كما آن لنا أن ندرك أن الفعل الثقا[...] هو الفعل الحقيقي ، فمنه تنبع قوة الانسان ، وقو[...] الأمة ، منه تنبع قوة الجيوش وقوة الأسلحة وقو[...] العقل ان أردنا معنى القوة كما آن لنا أيضا أ[...] ندرك أن لعبة السياسة التي ننغمس فيها في إطا[...] الاقليمية المحدودة ، والانتماءات الضيقة ، ومعار[...] الأقليات ليست شيئا طبيعيا جاءنا بالضرورة ، وإ[...] هي معارك تولدت عن فعل استعماري منظم درس[...] وفهم كل مناطق ضعفنا ثم دفعنا اليها دفعا بالتآمر[...] المبني على أساس من العلم والمعرفة ، ولن يتوقف[...] هذا كله إلا أذا فهمنا ان جيوشهم حين غزت أرضنا [...] تكن تستهدف الأرض والثروة وحسب ، وانما كانت[...] تستهدف الثقافة والعلم والمعرفة والفكر ، واننا حين[...] سرقنا توقفنا ، وان لصوص التراث هؤلاء ساروا [...] سرقوا خطوات خطيرة في تاريخ الحضارة الانسانية وأنهم يغرسون فينا من المقولات عن طريـ[...] المخدوعين البسطاء أو عن طريق العملاء والخو[...] معنى الدونية تجاه صرح حضارتهم المعاصرة ويغرسون فينا معنى التشرذم والاقليمية لنظل [...] تطاحن يستريحون اليه ويستهدفونه ، كما يغرسو[...] فينا الخوف من المعرفة والنفور من العطاءات العلمية[...] بدعوى أن لنا تراثنا ولهم تراثهم ، وماتراثهم هذا كله[...] الا ما ترجموا وطوروا من اصل تراثنا نحن المسروق

نحن حيث أرادونا من فهمنا للتراث ومن فهمـ[...] لمكاننا من المعرفة ، فهل نظل فيما نحن فيه ، أ[...] عودتنا الى أصولنا تعني معرفتنا ان نتاج هذه الأصو[...] هو تراث البشرية المعاصر كله ، وانه ملكنا نحن [...] هو ملك الآخرين ؟

لو قفزنا على مرحلة التجهيل والتعصب والانانـ[...] وتضخم الذات ، ربما وجدنا الاجابة ، وعرفـ[...] الطريق]

العربي - العدد ٣٤١ - ابريل ١٩٨٧

تعقيبات

ملاحظات على مقال

الإسلام والتراث الإسلامي

بقلم : الدكتور عجيل النشمي*

في مقال الدكتور محمد أحمد خلف الله بعنوان (الاسلام والتراث الاسلامي) المنشور في العدد ٣٣٧ يناير ١٩٨٧ ، يمكن أن نصنف الموضوعات التي أثارها ورام الوصول اليها كنتائج علمية في الآتي

● القضية الأولى الاسلام شيء ، والتراث الاسلامي شيء آخر

يفرق الدكتور بين الاسلام والتراث الاسلامي ، بطريقة خاطئة من الناحية العلمية ، حيث يذكر الدعوى ، ثم يستدل على صحتها من نفس ما ادعاه ، فقد وضع هو عنوان « الاسلام والتراث الاسلامي » ، ثم قال إن العطف بالواو يقتضي المغايرة ، فهما عنصران متغايران ، وهذه مصادرة على المطلوب ، لا يصح بحال أن تكون الدعوى أو جزء منها دليلا على نفس الدعوى .

ثم يعرف الاسلام بالمعنى العام تعريفا سليما ، لكنه حين عرف التراث لم يصب السلامة حين قال (والتراث الاسلامي هو ما ورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم في تفاعلها مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية)

وهذا تعريف غير سليم في جملته ، فإن قيل إن كل ما خلفه فقهاؤنا ، وعلماؤنا ، وفلاسفتنا ، وكل ما خلفه غيرهم من علمائنا تراث فهذا صحيح ، لكن لا يصح وصف ذلك كله بأنه (نتاج عقولهم) ، فإن من ذلك الفقه الاسلامي - وسياق الكلام يعنيه - وهو لا يعبر عنه بهذا التعبير غير الدقيق (نتاج عقولهم) ، وإنما يعبر عنه بمثل فهم الفقهاء للنصوص ، فهو كذا ، أو اجتهاد الفقهاء فهو كذا ، لأن قول الفقيه لا يرجع - في حقيقته - الى محض عقله وفكره ، بمعنى أن يكون من بنات أفكاره ، لأن النصوص الشرعية حاكمة على الفقيه وعقله ، وقد يوافق العقل ما يقتضيه الشرع ، وقد لا يوافقه ، بمعنى أن لا تظهر له الحكمة فيه ، ومع ذلك يسلم الفقيه بمقتضى الشرع ، ويكون الحكم له ، فهل يقال لهذا أنه من نتاج عقولهم ؟

ثم أراد الدكتور خلف الله أن يستدل على هذه التفرقة من جهة أن مصدر الاسلام يختلف عن مصدر التراث ، وقوة الالزام بينهما تختلف فقال · إن مصدر الاسلام هو المولى سبحانه وتعالى ، ومصدر التراث الاسلامي هو العقل البشري الذي تفاعل مع الاسلام

* عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة الكويت

باعتباره ديانة سماوية

ونحن نقول : إن قوله بأن مصدر الاسلام هو الله تبارك وتعالى ، حق لا يماري فيه أحد ، ومن هنا كان التشريع ملزما ومقدسا

لكن مناظرة ذلك ومقابلته بالدعوى الثانية غير مسلم به على إطلاقه ، لأن قول الفقيه المجتهد إذا كان كاشفا لمدلول النص وفق قواعد الاستنباط وأصوله بحيث لا يختلف فيه الفقهاء المجتهدون فهو ملزم ، لأنه ليس تشريعا جديدا ، ولا رأيا من بنات أفكار الفقهاء ، وإنما هو فهم سليم لمراد النص

ثم انتقل الدكتور خلف الله الى قضية الالزام ، فقال : « الذي يملك قوة الالزام الديني هو ما يكون دينا ، هو ما يكون مقدسا . أما غير الدين فيملك قوة إلزام أخرى هو الالزام الأدبي »

ونقول : إن قضية الالزام راجعة عند فقهاء المسلمين ـ دون شذوذ من أحد ـ الى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كأدلة متفق عليها ، ويلحق بها ـ كأدلة متفق عليها أيضا ـ الاجماع والقياس ، ودور الفقهاء المجتهدين في ذلك بيان المراد من النص ، أو تحقيق أن القضية مجمع عليها ، وإثبات ذلك ، أو أن شروط القياس المعتبرة متحققة في الفرع تحققها في الأصل

حتى في دائرة الفروع الفقهية لم يقل أحد أن إلزامية الأحكام فيها أدبي ، بل هو إلزام شرعي ، وغاية ما هنالك أن فيه سعة في التخيير بين هذا الحكم عند هذا الفقيه المجتهد أو الحكم عند مجتهد آخر ، تبعا لقوة دليل كل منهما .

● القضية الثانية : أن الشريعة ملزمة ، والتشريع غير ملزم .

يميز الدكتور خلف الله بين الشريعة والتشريع ويفرق بينهما ، فيعتبر الشريعة هي ما كان من وحي الله وبيان النبي صلى الله عليه وسلم ، مما هو نص قطعي الدلالة ، وأما التشريع فيكون فيما لا نص فيه ، وهو محل الاجتهاد العقلي المحض ، وهذه تفرقة لم نعرفها في الفقه أو أصول الفقه الاسلامي ، بل المعروف عند الفقهاء الأقدمين والمحدثين أن المراد بالشريعة هو الأحكام التي سنها الله تعالى لعباده على لسان رسول من رسله ، وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي شاملة لما يدخل في دائرة الأفعال والعقائد والأخلاق

واشتق من لفظ الشريعة كلمة (شرع) بمعنى أنشأ الشريعة أو سن الشريعة ، وإذا فهمنا كلمة الشريعة كما ذكر الدكتور حلف الله ، أي فيما هو نص صريح قطعي الدلالة ، فإن قسما كبيرا من القرآن الكريم ليس كذلك ، إذ أن دلالة ألفاظ القرآن قد تكون قطعية وقد تكون ظنية

وقد اعتبر الدكتور الاجماع والقياس من قبيل ما لم يرد به نص ، وبالتالي للعقل البشري أن يرد من الأحكام ما كان مستنده ودليله الاجماع والقياس ، باعتباره نتاج عقول بشرية

والصواب في ذلك أن الاجماع والقياس دليلان مرجعهما إلى اعتبار الكتاب والسنة ، ولذا فهما بإجماع الأصوليين من الأدلة المعتبرة ، وتثبت بهما الأحكام الشرعية ، فما كان دليله لا يرد باعتباره نتاج عقول بشرية كما ذكر .

● القضية الثالثة : تعديل النص والاجتهاد مطلق في المعاملات .

ثم يتناول الدكتور خلف الله قضية دقيقة هامة ، وهي إمكان تغيير ما ورد فيه نص قطعي من القرآن الكريم أو تبديله ، وقد استخدم لهذا الغرض عبارة « تعديل » ، وهو تعبير غير موفق ، لما يحمله من افتراض وجود خطأ أو عدم ملاءمة أو اعوجاج في النص القرآن القطعي ، وأن دور العقل حينئذ هو تعديل ذلك النص .

وإذا أمكن القول بهذا ، فإنه لم يبق للنص مزية ، ولا حجية ، ولا قدسية . وأتى هذا بالنقض على أصل الأدلة الشرعية المعتبرة ، وهو القرآن الكريم

يقول الدكتور خلف الله : « لا حق لنا في إدخال أي

.. بل على الحكم الذي ورد فيه نص صريح قطعي ..لالة وارد مورد التكليف ، وهذا هو الأصل تشريعي . لكن هذا لن يحول بيننا وبين أن ندرس قضية على أساس آخر ، هو قدرة العقل البشري في حال التعديلات ، فهل يستطيع ذلك ؟ » .

) القضية الرابعة : إذا عارض النص المصلحة يؤخذ لمصلحة ويقدم العقل على النقل

ولقد أخطأ الدكتور خلف الله في هذه الدعوى في ..اث قضايا علمية :

) في المراد بكلمة المصلحة في الشريعة الاسلامية

فمما لا شك فيه ولا خلاف أن الشريعة الاسلامية جميع أحكامها الكلية والتفصيلية قد راعت تحقيق مصالح العباد في أمور دنياهم وآخرتهم وهدفت إلى ..ك ، إلا أن ما ينبغي أن يعلم على وجه اليقين هو أن مصلحة ليست دليلا منفصلا ، أو مستقلا عن أدلة شريعة الأخرى ، إذ لو كانت المصلحة دليلا مستقلا كانت وحدها كافية في بناء الأحكام الشرعية عليها ، كان العقل مستقلا بتشريع الأحكام

ولكي لا تكون المصلحة قضية عامة غير منضبطة .د وضع لها الأصوليون الضوابط التالية

١ ـ ألا تعارض المصلحة الكتاب الكريم أو السنة طهرة

٢ ـ ألا تعارض المصلحة القياس

٣ ـ ألا تفوت المصلحة مصلحة أهم منها ، أو ..اوية لها .

) في معنى تغير الأحكام بتغير الأزمان ، وبالتالي ..ر المصالح :

أما هذا الموضوع فقد فهمه الدكتور خلف على .. المعنى العلمي المراد منه ، فهم منه أنه مادامت .. حكام مربوطة بالمصالح ومنوطة بها ، والمصالح ..ير من زمن إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر ، فان .. حكام تتغير حينئذ بتغير الزمن .

لقد قعّد علماء أصول الفقه هذا الموضوع ، ..ضعوا له قاعدة مستقلة برأسها ، هي قاعدة (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان) .

وقد حدد الفقهاء وعلماء أصول الفقه الاطار العام لما تنطبق عليه هذه القاعدة أو لا تنطبق ، فاتفقوا على أن ما تنطبق عليه القاعدة هو القضايا الاجتهادية التي بنيت على أساس من القياس ، أو على أساس من المصلحة

(٣) استناده إلى رأي (الطوفي) في تقديم العقل على النقل إذا عارضت المصلحة النص

استند الدكتور خلف الله لتأييد رأيه في أن المصلحة مقدمة على النص إذا تعارضا إلى رأي نجم الدين سليمان بن عبدالقوي الطوفي .

وقد أجمع علماء الفقه والأصول على أن رأي (الطوفي) شاذ ، خرق به إجماع الأئمة ، والشاذ لا يبنى عليه رأي ، وقد ناقشه كثير من العلماء ، وردوا عليه ، وفندوا رأيه وأدلته ، وأصبح من المستقر عندهم أن قوله هذا لا يعول عليه

وأما قضية أن العقل مقدم على النص فهذا قول من جنس سابقه ، والقول به يبطل الشريعة في نصوصها المحكمة قطعية الثبوت والدلالة ، وهذا مالا يقبل من أحد . يقول الامام الشاطبي : « لو جاز للعقل تخطي مأخذ النقل لجاز إبطال الشريعة بالعقل ، وهذا محال باطل » .

ثم بدأ الدكتور خلف الله بذكر ثلاثة أمثلة للاستدلال على أن العقل يحكم بحكم الاستمساك بالنص قد يكون فيه إضرار بالصالح العام ، ولذلك ينبغي أن يقدم حكم العقل ، ويبطل حكم النص .

المثال الأول : ما ورد بشأن توزيع الغنائم في قوله تعالى . « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

فيرى الدكتور أن نظام توزيع الغنائم نظام مناسب للزمن السابق ، حيث كان القتال تطوعيا ، أما الآن فالدولة هي التي تنظم هذا الأمر ، فينبغي تعديل الآية لذلك .

ونقول ردا على ذلك إنه لا يمكن أن تكون النصوص القرآنية مصادمة لمصلحة حقيقية ، وحين يضع القرآن نظاما ما فإنه لا يضعه لزمن دون زمن ، ولا لمكان دون مكان

وينبغي أن يعرف هنا · أن الشارع الحكيم قد راعى من وراء نظام توزيع الغنائم تحقيق مصالح فردية واجتماعية ، فجعل مصرف الخمس لمصلحة الدولة ، تنفقه فيما يعود عليها في مرافقها أو جيشها بالاصلاح ، أو القوة والمنعة ، وهذا معنى « فإن لله خمسه وللرسول . » فما كان لله ولرسوله فمرجعه إلى مصالح الدولة الاسلامية

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع رأي الصحابة على أن يجعلوا سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوي القربى في الخيل والعدة في سبيل الله

وإعطاء الغانمين من الغنيمة راجع إلى أصل عظيم في الاسلام ، وهو أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الدين

وهذا المعنى الايماني إنما يناسبه التجرد من الأجر المادي في الدنيا ، وليس هو طريقا للتكسب ، وإنما هو طريق للجهاد

المثال الثاني أبطل الدكتور الآيات التي أنزلت بشأن الرق ، بدعوى أن الرق لم يعد موجودا الآن ، وينبغي أن تعدل الآيات التي تعتبر الرق كفارة عن بعض الأمور ، ويترتب على قوله هذا إبطال الآيات الواردة في سورة النساء آية ٩٢ ، وفي المائدة ٨٩ ، والمجادلة ٣ ، ٤ ، والبلد ١٢ ، ١٣

ولا شك أن تعديل أو تعطيل هذه الآيات دعوى لا يمكن أن تقبل من أي وجه كان ذلك في المقاييس الاعتقادية الاسلامية

والذي يثبته التاريخ أن الاسلام حين أطل على البشرية كان الرق يملأ طباق الأرض ، فبدأ بعلاج تلك البلوى العالمية بطريقة تدريجية ناجحة ، فعمل على تخفيف مصادر الرق ، وفي نفس الوقت وسع طرق تحرير الأرقاء وأكثرها

والاسلام حين عالج قضية الرق راعى في علاه وحكمه استمرار مطاردة الرق في كل زمان ومكان لعلمه تبارك وتعالى أن الرق لا ينفك منه البشر وهو موجود في كل زمان ، وإن انقطع في زمن ما - ولو انقطع - فإنه يعود في زمن لاحق

وأما كون العتق كفارة من الكفارات فليس في هذا إشكال مع عدم وجود الرق ، لأن العتق ككفارة إنما طلبه الشارع عند وجوده ، وجعل الأمر فيه راجعا إلى خيار من عليه الكفارة ، فإن لم يوجد أو لم يختره انتقل إلى غيره ، كما هو منصوص في الآيات الكريمة ، وليس هناك ما يستدعي تعديل أو تعطيل الآية لمجرد تغير الزمان ، وندرة الرقيق أو انعدامه

المثال الثالث بشأن الآيات الواردة في عقوبة جريمة الزنا قال الدكتور خلف الله . « إن جريمة الزنا لا يمكن إثباتها اليوم عن طريق الشهود الذين يرون العملية رأي العين » ويترتب على قوله هذا إبطال الآية الثالثة من سورة النور في عقوبة الزاني غير المحصن وعقوبة الراجم للزاني المحصن ، الواردة في السنة

لقد اعتبر الاسلام جريمة الزنا من أكبر الجرائم وأخطرها ، لأنها تدخل في دائرة الأعراض التي اعتبرها الاسلام إحدى الضرورات الخمس ، وهي الدين والنفس والمال والعرض والعقل ، ولكن لما كانت هذه العقوبة شديدة ناسبها أن يشدد الاسلام في طرق إثباتها

ولا يعني تشديد الاسلام في وسائل الاثبات ترك الجريمة تستشري في المجتمع المسلم ، لكن اعتبر الجانب الوقائي في قضايا الأعراض أهم من الجانب العقابي لأن جريمة الزنا والجرائم الأخلاقية في جملتها جرائم خفية ، لا تقع إلا في أماكن آمنة كالبيوت التي لا يمكن دخولها لغير أهلها ، ولو تساهل في وسائل إثباتها - والحال هذه - لتناول أناس أعراض آخرين ، ولشاع فحش القول في المجتمع . ولذا اهتم الاسلام بالجانب الوقائي الناجع ، فسد الذرائع والطرق المؤدية إلى وقوع هذه الجريمة □

قصة الكاتب الروسي : آ. كوبرين *

ترجمة : يوسف حلاق

أشرف عام مائتين من العهد الجديد على نهايته ، ولم يبق إلا خمس عشرة دقيقة حتى ذلك الشهر، وذلك اليوم ، تلك الساعة التي قررت فيها ألمانيا - آخر بلد تقوم على أرضه دولة ، وأغنى بلاد الدنيا وأكثرها محافظة - التخلي عن وجودها القومي المتآكل المضحك والانضمام فرحة - والأرض كلها تهلل لها - إلى الاتحاد العالمي للناس الأحرار .

حسب التقويم الميلادي القديم نحن الآن على عتبة عام ٢٩٠٦ ، لم يستقبل هذا العام الجديد بمثل هذه الاحتفالات النابضة بالفخار والاعتزاز ، كما استقبل في القطبين الشمالي والجنوبي ، وفي المحطات الرئيسية بشركة الكهرباء المغناطيسية العظيمة .

لقد عمل على مدى ثلاثين سنة ماضية آلاف من الفنيين والمهندسين والفلكيين والرياضيين والمعماريين وغيرهم من الاختصاصيين على تحقيق أكثر أفكار القرن الثاني إقداما وبطولة ، ألا وهي تحويل الكرة الأرضية إلى وشيعة مغناطيسية جبارة ، لفوها من الشمال إلى الجنوب (حلزونيا) بحبل فولاذي ، مغطى بعازل ، يقارب طوله أربعة مليارات من الكيلومترات ، ورفعوا في القطبين محطات استقبال ذات قوة خارقة ، وأخيراً ربطوا أطراف الأرض كلها فيما بينها بأسلاك لا حد لها ، ولم يكن أهل الأرض وحدهم هم الذين يتابعون بقلق هذه المغامرة المذهلة ، بل كان يشاركهم في ذلك كل من يقطن النجوم الأخرى التي يربطها بالأرض اتصال دائم ، ووجد كثيرون ، بعضهم ينظر إلى عزم الشركة نظرة عدم ثقة ، وبعضهم الآخر ينظر نظرة خوف ورعب .

لكن العام المنصرم كان عاماً حافلا بالنصر الباهر للشركة على المشككين ، إذ حركت قوة الأرض المغناطيسية التي لا تنضب كل المعامل والمصانع وآلات الزراعة والخطوط الحديدية والبواخر ، وأضاءت كل الشوارع والبيوت ، وبعثت الدفء في المنازل ، فانتفت الحاجة إلى الفحم الحجري الذي

* الكاتب هو ألكسندر كوبرين (١٨٧٠ - ١٩٣٨) أحد كبار كتاب القصة والرواية الروس في مطلع هذا القرن ، عرف بتعاطفه مع الإنسان الصغير المسحوق ، وبسخطه على مشوهي هذا الإنسان . ومن أعماله الروائية المعروفة «المبارزة» و«سولاميث» ، كما له عدد كبير من القصص القصيرة منها «العنب» ، التي نقدم للقراء العرب ترجمتها .

تضمنت مكانته منذ أمد بعيد ، ومحت من على سطح الأرض المداخن الكريهة المسممة للهواء ، فأنقذت الأزهار والأعشاب والأشجار ، هذه هي الفرحة الحقيقية للأرض ، فقد أمنت خطر الذبول والموات ، وأعطت أخيرا نتائج لم تسمع بها أذن قط في الزراعة ، إذ رفعت إنتاج الأرض في كل مكان إلى أربعة أضعافه تقريبا .

نهض أحد مهندسي المحطة الشمالية من مكانه وكان قد انتخب رئيسا - هذا اليوم - ورفع كأسه عاليا فخيم الصمت على الجميع وقال : أيها الزملاء ، إذا كنتم توافقونني فإني سأتصل فورا بمساعدينا الأعزاء الذين يعملون في المحطة الجنوبية ، فهم قد اتصلوا بنا منذ برهة وجيزة جداً .

كانت قاعة الاجتماع الضخمة التي تترامى أطرافها الى البعيد في غير نهاية قاعة رائعة من البلور والمرمر والحديد ، يزين كل ما فيها أزهار نادرة ، وأشجار زاهية ، جعلتها أشبه ببستان منها بمكان اجتماع ، وفي الخارج كان أشبه بليل قطبي ، ولكن بفضل المكثفات كان ضوء الشمس الباهر يغمر خضرة النباتات والطاولات ووجوه آلاف المحتفلين والأعمدة الرشيقة واللوحات الرائعة والتماثيل ، وكان ثلاثة من جدران القاعة شفافة أما الجدار الرابع الذي كان يدير الرئيس إليه ظهره فقد كان على شكل (شاشة) مربعة الزوايا من زجاج لامع وناعم جدا .

وبعد أن نال اقتراح الرئيس الموافقة لمس بأصبعه زراً صغيرا في الطاولة ، وفي الحال أضاء الشاشة نور داخلي ، يبهر الأبصار ، لكنه ما لبث أن تلاشى ليكشف عن قصر بلوري ، لا يقل عن الأول روعة وضخامة .

وفي الطرف الآخر - تماما كما في القاعة الأولى - كان يجلس وراء الطاولات أناس أقوياء ، وسيمون، ذوو وجوه مشرقة ، وهم يرتدون ملابس خفيفة لامعة ، وكان أولئك يتعرفون على بعضهم

البعض من على بعد عشرين ألف فرسخ ، ويتبسمون لبعضهم البعض ، رافعين كؤوسهم للتحية ، لكنهم لم يكونوا يسمعون أصوات أصدقائهم البعيدين ، بسبب الضحك والهتافات .

نهض الرئيس من جديد وبدأ كلامه ، فصمت أصدقاؤه ومعاونوه على طرفي الكرة ، قال : إخوتي وأخواتي الأعزاء ، وأنتن أيتها النساء الرائعات ، وأنتن أيتها الأخوات اللواتي أحببتني قبلا ، إن قلبي مفعم بالشكر ، لكن ، اصغوا إلي ، فالمجد للحياة الشابة دوما ، الحياة الرائعة ، الحياة التي لا تنضب ،

والمجد للمسيطر على الأرض ، وهو الانسان ، فلنمجد أفراح جسده كلها ، ولنتحن أمام عقله الخالد ، هاأنذا أتطلع إليكم ، عزيزين ، شجعانا ، متساوين ، فرحين ، فيشتعل قلبي بمحبتكم ! ولا حدود لعقلنا ، ولا حدود لرغباتنا ، فنحن لا نعرف الخضوع ولا السلطة ولا الحسد ولا العداوة ولا العنف ولا الخداع ، وكل يوم يحمل إلينا أبعادا لا حد لها من أسرار العالم ، ونحي كل يوم - وبسرور أكبر - مدى المعرفة وقدرتها ،وحتى الموت نفسه لم يعد يرهبنا ، فنحن لا نترك لهذه الحياة أن تشوهنا بالشيخوخة ، وبالرعب الوحشي في أحداقنا وباللعنة على شفاهنا ، بل إننا نغمض أعيننا في هدوء كأننا مسافرون تعبون ، فعملنا متعة ، وحبنا الخالص البعيد عن كل قيود العبودية والتفاهة يضاهي حب الزهور ، إنه حر ورائع .

أصدقائي ، أتفوه بأشياء معروفة منذ القديم ، لكني لا أستطيع غير ذلك ، فاليوم كنت أقرأ منذ الصباح وبدون توقف كتابا رائعا ومرعبا ، إنه تاريخ ثورات القرن العشرين ، وكثيرا ما كانت تراودني فكرة أني أقرأ أسطورة ، فلقد بدت لي حياة أجدادنا الذين عاشوا قبلنا منذ تسعة قرون متوحشة وبلا معنى وغير حقيقية

لقد كانوا ضعفاء ، قذرين ، سقيمين ، مشوهين وجبناء ، أشبه بحيوانات قذرة في قفص ، كان واحدهم يسرق قطعة الخبز من الآخر ، ثم يحملها إلى زاوية مظلمة ، ويرتمي عليها كي لا يراها غيره ،وآخر يغتصب المسكن والخشب والماء والأرض والهواء من أخيه ، أكوام من الشرهين ، والفاجرين ، يسعى لارضائهم المراؤون واللصوص والمخاتلون والمغتصبون ، كانوا يخيفون جهورا من العبيد السكارى وجهورا آخر من البلهاء ، وكانوا يعيشون طفيليين على صديد التفسخ الاجتماعي ، وكانت الأرض على رحبها وروعتها ضيقة بالناس كسجن ،وخانقة كمدفن .

ولكن حتى في ذلك الزمن برفع أناس عزيزون أنقون أبطال ذوو نفوس كريمة ، رءوسهم من بين هذه الحيوانات المستسلمة ، ومن بين هؤلاء العبيد الزاحفين على الأرض كالأفاعي ، كيف ولدوا في هذا العصر السافل الجبان ، لست أفهم ذلك ؟ كانوا يخرجون إلى الساحات وإلى مفارق الطرق صارخين : فلتحيا الحرية ، وفي ذلك الزمن الدموي المرعب حين لم يكن أي بيت يمثل ملجأ أمينا ، وحين كان الملوك يحكمون بالعنف والقتل والتعذيب ، كان هؤلاء الناس يمضون في جنون مقدس : ليسقط الطغاة لقد أغرق هؤلاء الناس الأرصفة بالدم الحار الزكي القاني ، وكانوا يموتون على أعواد المشانق أو رميا بالرصاص،وكانوا يمتنعون بملء رغبتهم عن كل ملذات الحياة إلا واحدة ، ألا وهي الموت في سبيل حياة حرة للانسانية العتيدة .

يا أصدقائي : أحقا أنكم لا ترون هذا الجسر من الجثث البشرية الذي يصل حاضرنا المشرق بالماضي المرعب ؟ ألا تشعرون حقا بنهر الدم الذي حمل البشرية كلها إلى هذا البحر الفسيح المشرق من السعادة العارمة ، لتبق ذكراكم إلى الأبد أيها الغائبون ، يا أيها الشهداء الصامتون ، فحين كنتم تصعدون أنفاسكم ، كانت ابتسامة تشع من عيونكم الثابتة الشاردة إلى أعماق القرون ، وكنتم ترونتا ، نحن المتحررين الأقوياء المنتصرين ، وكنتم تبعثون إلينا ببركتكم في لحظة استشهادكم العظيمة . يا أصدقائي ، ليشرب كلنا بهدوء وخشوع كأسه تخليدا لهؤلاء الشهداء ، وليشعر كل منا بنظرتهم الوادعة المباركة إليه !

وشرب الجميع في صمت ، لكن امرأة خارقة الجمال ، كانت تجلس قرب الرئيس ، ألقت فجأة برأسها إلى صدره ، وبكت في صمت ، وحين سئلت عن سبب دموعها أجابت بصوت يكاد لا يسمع : ومع ذلك كم وددت لو أني عشت في ذلك الزمن معهم ، معهم ، معهم . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوى

جبال ووديان في باطن الكرة الأرضية

● عقد اتحاد علماء الجيوفيزياء الامريكيين اجتماعا هاما لهم في مدينة سان فرانسيسكو في الأيام الأخيرة من السنة الماضية (١٩٨٦) وشهد هذا الاجتماع من المناقشات والنتائج ما يحمل على الشعور بأن قصص الخيال العلمي التي برز في كتابتها حول فيرن حول باطن الأرض قد أصبحت حقيقة واقعة ، أو كادت فالنظرية الجيولوجية القائلة بأن باطن الأرض مكون من نواة تلفها عباءة ، وهذه العباءة تلفها القشرة الأرضية التي نعيش فوقها ، وأن سطح النواة والعباءة مستوية ويحادي بعضها بعضا » دونما تداخل ، وهي النظرية التي سادت على مدى القرون ، والتي سلم بصحتها الجميع ، قد انهارت في اجتماع العلماء المذكور ، على أن انهيارها لا يعزى الى نظرية أخرى مثلها ابتدعها أحد العلماء ، وإنما الى الرسوم والخرائط التي ساعدت على وضعها أجهزة جيوفيزيائية متطورة ، وتعرف هذه الأجهزة الحديثة باسم Seismic-Tomography Scans انها الشق الآخر لأجهزة التصوير الطبي (CAT Scanner) التي أحدثت ضجة كبيرة ، وفتحت صفحة جديدة في عالم الطب أما الأمواج أو الاهتزازات التي اعتمدتها الأجهزة الجيوفيزيائية الحديثة لاستكشاف مجاهل باطن الأرض، فهي الأمواج الزلزالية Seismic التي تحدثها الزلازل فقد عكف عدد من العلماء العاملين في معهد التقنية في كاليفورنيا عكفوا على دراسة الأمواج والاهتزازات التي أحدثتها مجموعة كبيرة من الزلازل بالتحديد (٢٥٠٠٠) زلزال ، كانت كلها بقوة تزيد على (٤,٥ رختر) وراحوا يراقبون كيف تغيرت سرعة تلك الأمواج ، واين وعلى مدى آلاف الأميال التي قطعتها في باطن الأرض وهكذا اتضح لهم أن مركز الأرض أو ان شئت النواة تتداخل وعباءتها وأن في كل منها نتوءات وفجوات وتتداخل النتوءات في كل منها مع الفجوات في الأخرى وبالعكس ولا يخفى أن هذه النتوءات والفجوات لابد وأن تكون صحمة بضخامة السطوح التي تنتمي اليها سطح النواة وسطح العباءة في باطن الكرة الأرضية ، فهي إذن جبال شاهقة ووديان سحيقة ، تمحو النظرية السابقة التي اعتبرت سطحي النواة والعباءة مستويين
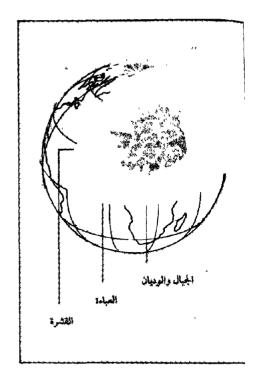
عمهدين يحادي أحدهما الآحر أو يلامسه

ولم تقف الأحهرة الحديثة عند رسم تلك الحبال والوديان بل دهبت الى تحديد أمعادها ، وقد استطاعت تحديد ارتفاع بعض حبال النواة بحو ١٨٠٠ ميل وتقع الحبال المذكورة تحت قارة استراليا (الى الشرق) وتحت المحيط الأطلسي الى الشمال وفي مواقع مختلفة أما الوديان العميقة فتقع في العالم تحت أوروبا والمكسيك وتحت الجنوب الغربي في المحيط الهادي ، وتبين الخرائط الغربية الحديدة حزر الهند الشرقية عائمة فوق واد عملاق سحيق يبلغ عمقه (٦) أميال أو يزيد

على أن هذه النظرية الحديدة لا تعدو كونها (نظرية) بالرغم من أنها مستمدة من تقارير ورسوم وصمتها أجهزة متطورة وحديثة ، إلا أنها أكثر موضوعية ووحاهة من النظرية القديمة وقد استحلصت مما سجلته تلك الأحهزة في رسوم ومعلومات ، ولعلها هي النظرية الصادقة التي ستصمد على الزمن كصمود نظرية الحاذبة مثلا

والحدير بالذكر أن للنظرية الحديدة مرايا هامة ، فهي تساعد على تفسير بعض الألعاز التي لم تستطع تفسيرها النظرية القديمة ، من ذلك طول اليوم الذي كان ـ ومازال ـ يتعير كل عشر سنوات أو نحو ذلك عقدار (٥) أحراء من ألف حزء من الثانية فلعل الاحتكاك الدي يحدث بين سطح النواة وسطح العباءة بين حين وآحر هو الذي يتسبب لدوران الأرض حول نفسها بأن يحتلف قليلا فيحتلف معه طول اليوم ومن الألعاز التي تفسرها النظرية الحديدة أيضا لعز رحرحة القارات وهذا هو ما يتوحاه العلماء في هذه النظرية في مستقبل قريب

بقي أن نشير الى أن حبال باطن الأرض ووديانه انما تنشأ تبعا لحركة تحدث داخل العباءة فهده مكونة من صهير أو صحور ذائبة ذات بنية منسجمة ، فادا ما وقعت مادة باردة على ذلك الصهير غاصت فيه وكونت الوديان،أما ادا تعرض الى تيارات ساخنة،بل قل جحيمية انبثقت القمم ، وارتفعت الحبال هدا على الأقل هو التفسير الذي قدمه أنصار النظرية الجديدة في الاحتماع المدكور

سلامة البشرية في سلامة البيئة

تجربة رائدة في أعمال حماية البيئة

● يعجب المرء للحماسة التي يقبل بها البيئيون في الغرب على أعمال حماية البيئة ومكافحة التلوث ، فنحن لم نألف مثل هذه الحماسة الا في أعمالنا الخاصة التي قد تعود علينا بالفائدة المادية ، أو تضمن اشباع لذاتنا أو غرورنا اما المشاريع البيئية التي قد تكبدنا المشاق او تكلفنا الخسائر والتضحيات ، والتي لاتطمح الى اكثر من تنظيف ماء بحيرة هنا ، أو انقاذ قطيع من الماشية هناك ، فلا تلقى منا في الغالب الا القصور هذا اذا أقدمنا عليها أو أسهمنا بها أصلا

البروفسور دافيد جانزن استاذ يدرس البيولوجيا في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكية أشرف على الخمسين من العمر وعرف عنه الشغف بالعلم والبحث ، حتى أنه آثر العزلة واتخذ من مكتبه في الجامعة سكنا له ، وقضى معظم فراغه في جمع البذور والديدان ، ومراقبة الفئران ، والتجول في الحقول المهجورة ، الى آخر ماهنالك من هواياته العلمية والبيئية .

فوقاية البيئة ، وحماية أحيائها البرية ، والمحافظة على توازن منظوماتها ، أصبحت تحتل مكان الصدارة بين اهتمامات جانزن . وذلك منذ نحو ١٥ عاما ، فقد راعه ماحل بالسلامة البيئية ، لا في بنسلفانيا حيث يعمل ويعيش ، ولكن في كوستاريكا ، في أمريكا الوسطى ، وعلى شواطئها الغربية بالذات ، شواطىء المحيط الهادي حيث توجد حديقة الحيوان الوطنية الشهيرة (سنتارور) ذلك أن المناطق المحيطة بتلك الحديقة فقدت حيويتها ، فاختل التوازن في منظوماتها البيئية وتحولت بالتالي من غابات استوائية ممطرة الى غابات استوائية جافة وهكذا أصبحت امطارها موسمية تشح بل تتوقف تماما طوال ٥ - ٦ شهور ، من شهر ديسمبر حتى شهر مايو ، وأجدبت تلك المناطق وفقدت عطاءها ، سواء من النبات او الحيوان ، حتى ضاق الفلاحون ذرعا بأراضيهم وأصبحوا يرحبون ببيعها بأبخس الاثمان

ولم يدر أولئك الفلاحون انهم كانوا السبب الاول فيما حل بمنطقتهم من دمار ، فقد بالغوا في التحطيب وقطع الأشجار ، وجاروا في الرعي والصيد ، وواصلوا اشعال الحرائق بعد المواسم بقصد تنظيف الحقول مما تراكم عليها من شوائب ، ولم يخطر لهم ببال أن اعمالهم تلك انما كانت بمثابة جريمة اغتيال ارتكبوها لابحق بيئتهم فحسب ، ولكن بحق أنفسهم وذويهم ايضا

ودرس جانزن هذه المشاكل جميعا بتفصيل فوجد أن في الامكان انقاذ تلك المناطق مما حل بها على مدى

هي الأرض التي ماتت بيئتها ثم اصلحت
وهذا هو العالم الذي أصلحها

عاما ، وذلك اذا توافر المال الكافي للقيام
والمشاريع التي يتطلبها انقاذها ، وشعر
ر بالتحدي وقرر الاسهام شخصيا لا في
لانقاذ فحسب ولكن في جهود جمع الاموال
بها تلك الاعمال ايضا ، وقد قدرها نحو
ن دولار ، ومضى جانزن في جمع المال حتى
ه منه حتى الآن « ١,٣ مليون دولار »
على شراء الارض اذ لا سبيل الى القيام
لانقاذ المرجوة مالم تتوافر له حرية التصرف
ون الا في امتلاك الارض ، وتبين له ان الحد
المساحة المطلوبة لمشروعه البيئي النموذجي
١ ميلا مربعا على وجه التحديد وبلغ
دي طلبه اصحاب الاراضي للتخلي عن
٢٠٠ - ٣٠٠ دولار للهكتار الواحد

• وواصل الشراء حتى بلغت مساحة الاراضي التي يمتلكها مشروعه نحوا من ١٥ ميلا مربعا واطلق على مشروعه اسم (جوانا كاست) وهو اسم شجرة اشتهرت بها تلك المنطقة وتتميز هذه الشجرة بضخامتها فهي تغطي بشتى اغصانها وفروعها أكثر من فدان من الارض وترتفع في الجو اكثر من ١٠٠ قدم

وأقام استاذ البيولوجيا لنفسه في المنطقة حجرة خشبية متواضعة جعل سقفها من تنك وسمح لبعض المزارعين بالعيش على ارض المشروع والقيام بأعمال زراعية وفق مخططه على ألا يقوموا بأي عمل من الأعمال التخريبية التي أدت الى تلف المنطقة ولعل الامتناع عن هذه الاعمال وهي التحطيب الجائر والرعي الجائر والصيد الجائر هو اهم اعمال الانقاذ التي يقوم بها جانزن

وقد أثمرت هذه الاعمال التي مضى على مباشرتها نحو ١٥ عاما واخذت الحياة تعود الى التربة والاشجار والمراعي ، وبدأت الأحياء البرية التي كانت هجرت المنطقة بالعودة اليها وتشمل هذه الأحياء فيما تشمل ١٧٠ فصيلة طيور و (١٣٠٠٠) فصيلة حشرات و ١٠٠ فصيلة زواحف و ١١٥ فصيلة حيوانات لبون ناهيك عن النباتات ، وقد بلغت ٧٠٠ فصيلة وذلك وفق الدراسات المتصلة التي أجراها استاذ البيولوجيا

وتشير الدلائل الى أن شهر فبراير المقبل (١٩٨٨) سيشهد استكمال جمع الاموال والتبرعات ، واستكمال شراء الأراضي التي يتطلبها المشروع كلها وقد لاتحل سنة ١٩٩٠ حتى تعود الحياة البيئية الى المنطقة وذلك بفضل مشروع (جوانا كاست) بالتخصيص

وتجدر الاشارة الى أن بعض الهيئات البيئية قد تعاونت مع البروفسور جانزن ، وأن أهالي المنطقة قدروا له مشاريعه حق التقدير ، وأسهموا في تنفيذها الى حد كبير □

النوبة

أرض الذهب وشعب المأساة
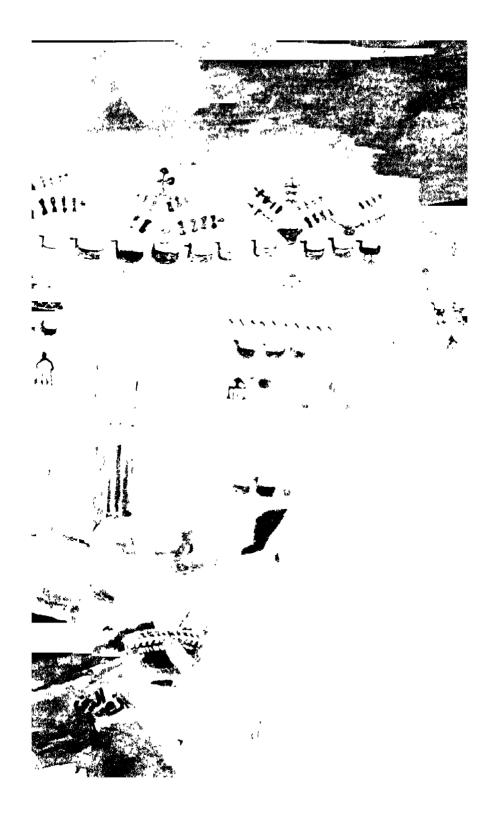
البداية من أسوان . قلب الصقر النوبي بجناحيه القديم والجديد وعند
جنوبها عند الشلال الأول للنيل ، تمتد النوبة القديمة حتى الشلال الثاني عند حدود
السودان . . وإلى شمالها تمتد النوبة الحديدة الى مابعد كوم امبو وحتى أقصى قراها في
دابود . . ومن بوابات سدها العالي تمتد أشهر بحيرة صنعها الانسان لتحرير ميا
الحياة التي غمرت أرض الذهب والصبر . . ومن عيون أنفاقها تنطلق اكبر الطاقات
لتضفي الخير والقوة والري والنماء على الأرض الطيبة
والتاريخ . . شاهد كل العصور .

من فوق أعلى قمة في أسوان نقرأ سطور تاريخ مجيد كتبه الانسان على صفحات المكان والزمان
إنها قمة نصب تذكاري شامخ بارتفاع الهرم الاكبر شيد رمزا للصداقة والتعاون ، على شكل زهرة اللوتس من خمسة أفرع ، يتوسطه من أعلاه ترس الصناعة ، وتتصدر واجهته لوحة محفورة بارتفاع النصب ، تمثل الامطار الهابطة من السماء ، وكفين يتلقيان فيض الخير ، وتتوسطه آية كريمة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » من فوق هذا النصب الرمزي نشهد معجزة صنعتها الأيادي المتلاحمة لتحول مجرى النيل الخالد وتشييد أضخم سد شهده التاريخ اشترك في بنائه على مدى أحد عشر عاما بدأت عام ١٩٦٠ ما لا يقل عن ٣٥ ألف خبير وعامل مصري يعاونهم في عملية التصميم والانشاء خمسة الآف خبير سوفيتي ولا ينسى صانع هذا الرمز التذكاري جمال عبد الناصر باني السد أن يخلد قيمة التضحية الكبيرة التي قدمها أهل النوبة ،

فيسجل على أحد فروع الرمز التذكاري وبارتفاعه لوحة محفورة ، خلفيتها من رسوم لوحدات زخرفية هندسية من ورق البردي وزهرة اللوتس ، وواجهتها لفلاحة نوبية في زي فرعوني وإلى جانبها رسم يمثل الاطباق الخوصية والأبراش المزخرفة الملونة التي اشتهرت بها بلاد النوبة ودلك رمز إشادة وتقدير للنوبيين الذين ضحوا بأراضيهم وقبلوا التهجير الى النوبة الجديدة بعيدا عن موطنهم الاصلي ، الذي غمرته مياه أكبر بحيرة صناعية في العالم ، تبدو شاسعة الأطراف ممتدة الى الجنوب بسعة ١٦٢ بليون متر مكعب على منسوب ١٨٢ مترا وبطول ٥٠٠ كم وبعرض عشرة كيلومترات مغطية مساحة ٥٠٠٠ كم² وراء السد العملاق

السد العالي وترويض النهر

نطل الى السد العالي ونتذكر
لقد كان النيل دائما مصدر الخير لمصر يمنحها عاما حين يفيض فيبشر الخير هنا وهناك ويمنعها عاما آخر حين يغيض فيعم القحط والحرمان وهو عملاق في شهور الفيضان يجري بما يزيد عن الحاجة طوال ثلاثة شهور ، وشحيح قزم في أشهر الصيف يحمل مالايدرأ الظمأ أو يكفل الرزق وهولا يستقر على حال ، إنما يختلف إيراده يوما عن يوم وشهرا عن شهر وموسما عن موسم وسنة عن سنة وكان لابد من معالجة طبيعة النهر وترويضه والسيطرة عليه
فبدأت مشروعات التخزين السنوي ببناء خزان أسوان عام ١٩٠٢ مع مجموعات القناطر على النيل لتنظيم الري إلا أن التخزين الموسمي لم يكن إلا علاجا جزئيا برغم أن تعلية سد أسوان تمت بعد ذلك مرتين عامي ١٩١٢ و ١٩٣٧ ، فقد ظل التفاوت الكبير في إيراد النهر يختلف من عام الى عام وتضيع من مياهه ٤٠٪ يلقى بها في البحر رغم شدة الحاجة اليها ومنذ قيام ثورة ١٩٥٢ بدأت دراسة فكرة إنشاء سد عال للتخزين على منسوب مرتفع يكفل تزويد مصر سنويا بتصرف ثابت من مياه النيل ، ويسمح بالتوسع الزراعي في مساحات جديدة ، ويقي البلاد غوائل الفيضانات العالية ، ويزودها في نفس الوقت بطاقة كهربائية كبيرة تكون الركيزة الأساسية للتنمية الزراعية والصناعية للبلاد
وبرغم معوقات كثيرة واجهت إنشاء السد

العالي ، إلا أن التنفيذ كان لابد منه ، حيث بذلت جهود كبيرة لاقامته ، وتم تحويل مجرى النهر في عام ١٩٦٤ وحفرت قناة بالجانب الشرقي للنيل لتصريف المياه ، مزودة بستة أنفاق رئيسية ، يتفرع كل منها إلى فرعين مركب على كل منها توربينة لتوليد الكهرباء ، مشكلة ١٢ توربينة قدرتها الكلية تزيد عن مليون كيلوات تولد سنويا ١٠ مليارات كيلوات ساعة

ويبلغ ارتفاع السد من متوسط سطح النهر الى القمة ١١١ مترا وطوله من السد الى نهايته ٣٨٣٥ مترا أي حوالي ٤ كيلومترات وهو يأخذ شكل القوس حتى لا تشكل كمية المياه المخزونة في البحيرة ضغطا على جسم السد ، الذي يقف على قاعدة صلبة حدا مساحتها عند القاع ٩٨٠ مترا بحيث تتحمل أي ضغط عليها ، كما تتحمل جسم السد والانفاق وقناة التحويل

تضحيات أهل النوبة

ونلتقي بالمهندس صلاح شهاب رئيس هيئة السد العالي ، ونسمع منه الكثير

ليس هناك من ينكر أن تضحية أهل النوبة كانت وراء قيام هذا البناء الشامخ فقد ضحوا بالأرض والزرع والنفس من أجل أن يصنعوا الحياة والسعادة والرخاء للآخرين

والواقع ان السد العالي أدى الى طفرة وتطور كبير ، وأصبح دعامة أساسية للنهضة الصناعية والزراعية والاقتصادية والحديثة في مصر ، وهو يعتبر حجر الزاوية في المشروعات الانتاجية جميعا ، كما أنه وحيد نسيجه بين جميع مشروعات الري الكبرى في العالم ، بل إن العائد منه يفوق أي مشروع آخر ويكفي أن نقول أن إجمالي تكاليف إقامة السد ومحطة الكهرباء والمشروعات المترتبة على مرور خطوط الكهرباء قدر بمبلغ ٤٥٠ مليون جنيه وقد أتى بتكاليفه في أقل من عامين إذ بلغ العائد الاقتصادي خلال عشر سنوات منذ إنشائه مالا يقل تقديره عن عشرة الآف مليون من الجنيهات أي عشرين ضعفا لما أنفق عليه

وينفرد السد العالي بظاهرة عجيبة ، وهي أنه مشروع يعم أثره ويفيض خيره على أرض مصر جميعها ويتعدى ذلك ليعم السودان أيضا وهو متعدد الاغراض لاتقتصر أغراضه على الري فحسب ولا على توليد الطاقة الكهربائية فقط . وإنما تمتد

● النوبة القديمة والجديدة وموقع السد العالي و
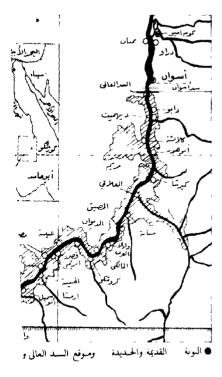
لتشمل فوق ذلك القوى الكهربائية وتحسن الملاحة والوقاية من الفيضانات العالية وتأمين محاصيل البلاد في جميع السنين ولاشك أنه كان الأصل أيضا في خلق مجتمعات جديدة ، لانه لولا الكهرباء وقوة العمل التي يمكن استغلالها ، ما كان من الممكن

إنشاء المصانع في المجتمعات الجديدة وخاصة أنه أدى كذلك الى تحديث وتطوير القرى المصرية وأذكر من فوائده أيضا تحويل ري الحياض الى ري دائم مع خطة ماتزال مستمرة لاستصلاح الاراضي الصحراوية تحقق مع التخطيط السليم زيادة في مساحة الأرض الزراعية تصل الى ٣,٢ ملايين فدان

من أمثلتها تنفيذ مشروعات منطقة النوبارية في البحيرة والاسكندرية استصلح خلالها ٣٠٠ الف فدان ، كما تم استصلاح ١٩٠ الف فدان في صحرا الصالحية كل ذلك خلاف زيادة الثروة السمكية حيث تعطينا بحيرة ناصر حوالي ٣٥ الف طن من السمك سنويا

● السد العالى وبحيرة ناصر ومجرى النيل في لقطة شاملة من فوق الرمز التذكارى (الى اليسار) والرمز على شكل زهرة اللوتس مفروعة الخمسة (الى اليمين) يحكى قصة الصداقة والتعاون خلال بناء السد العظيم

● لوحة تمثل وجه عبد الناصر بانى السد ، محفور على الجدار الداخلى للرمز التذكارى ، وقد نحتت نصف رأسه صورة بارزة رسمت لحلمه السادات تماما كما كان الحلم في مصر القديمة يحت تمثال السلف

● مجرى النيل عند الشلال الأول ومدخل مقبرة الأديب عباس محمود العقاد أشهر من أنجبته أسوان (الى اليسار) .

عباس محمود العقاد

لا مجال لأوهام المتشائمين

ويثور سؤال ولكن ماذا عن موجات الهجوم والانتقادات المستمرة على السد وآثاره الجانبية التي سمعنا منها الكثير ؟

ويأتي الجواب الحديث عن الآثار الجانبية هو في الحقيقة أمر يجانبه الصواب الى حد كبير وقد حققته أوهام المتشائمين فأما عن حرمان الأرض من الطمي ، فحسب الأرقام كان النيل يحمل إلى الجمهورية حوالي ١٠٠ مليون طن اثناء الفيضان ، ولكن لم يكن يستهلك منها إلا الربع ، لان ثلاثة أرباع كمية الطمي كانت تذهب الى البحر هذه الكمية ثبت علميا إمكان تعويضها بالمخصبات أسوة بجميع دول العالم التي لا تقدم لها أنهارها طميا وقالوا إن المياه الرائقة ستنحر في جوانب النهر والقناطر المقامة عليه وقد أظهرت النتائج الفعلية التي حدثت خلال ١٥ سنة منذ بناء السد أن تقديرات العلماء التي كانت متوقعة والتي درست مع إنشاء السد كان مبالغا فيها ، إذ أن ما تحقق بالفعل لا يتجاوز حسب ما كانت عليه التقديرات السابقة ومسألة النحر أمر طبيعي وتعالج بالطرق الهندسية المختلفة وكانت موضوعة في الحسبان منذ الانشاء أما القول بتسرب المياه وضياع المخزون بحرا فالرد الواضح أنه امكن تحرير مخزون مياه تجاوز خلال السنوات الست الاخيرة وحدها ٦٠ مليون متر مكعب ، وقد أنقذت هذه الكمية مصر من مجاعة وقحط كانا متوقعين كما حدث في عدد من الدول الافريقية وحسبنا أن نذكر أن السد العالي قد كفى مصر أو حماها من أربعة أعوام رهيبة جاء أولها بفيضان خطر عام ١٩٦٤ ، وثانيها بفيضان قحط عام ١٩٧٢ ، وثالثها بفيضان بالغ الخطورة عام ١٩٧٥ ، ورابعها بفيضان قحط عام ١٩٨٢ ، وقد توالت سلسلة من الفيضانات المنخفضة خلال الفترة من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٤ ، ورغم ذلك لم تتأثر الزراعة في البلاد ، فقد تمت زراعة المليون فدان من الأرز ، والمليون فدان من القطن ، وربع المليون فدان من القصب ، ولم يحدث أي تخفيض في إنتاج المساحات الزراعية ولاشك أن السد ومخزونه من الماء أظهر كفاءة وفعالية خلال سنوات الجفاف

والواقع أن السد العالي لم يفقد أرض مصر خصوبتها ، ولم ينحر قاع النهر ، ولم تتهالك جوانبه ، ولم يتصدع أو يهبط جسمه ، ولم تتسرب مياهه أو يضيع مخزونه بحرا ، أو تسربا وكل ماتركه السد العالي من آثار وما صاحبه من ظواهر كان أمرا طبيعيا في حدود المسموح بل دون المقدر له بكثير وتتحطم على مر السنين من بدء تشغيل السد أوهام المتشائمين ، ويبرر بصدق توهج آثاره المضيئة لتبدد ظلمة صور قاتمة رسمت في تجسيم كل أثر طبيعي للسد العالي

● المهندس صلاح شهاب رئيس هيئة السد

قبل أن نمضي ومع سطرات أمل كبير نحو السد وبحيرة ناصر يقول رئيس هيئة السد العالي . أحب أن أضيف شيئا

فرغم كل هذا الذي يحدث فإننا لم ننس النوبة الاصلية أبدا فبحيرة ناصر التي غمرت الارض القديمة بمياهها سيتم في القريب زراعة ضفافها وقد بدأت بالفعل في بعض مناطق بلاد النوبة الاصلية على الجانبين تجربة زراعة بعض النباتات والخضر والفاكهة بما يحقق مستقبلا زراعيا لهذه المنطقة كما سيتم إنشاء مراع للاغنام والابقار وزراعة غابات للأشجار الخشبية التي يمكن الاستغناء بها عن استيراد الكثير من أنواع الأخشاب وعلى جانب البحيرة قرب السد أنشأنا مصنعا لتجفيف الاسماك بالتعاون مع اليابان ، وسيتم في الخطة الخمسية القادمة توسيع المصنع ليتم تعليب الاسماك لتدعيم عملية الامن الغذائي ، وستكون أبواب العمل مفتوحة لمن يريد من أبناء النوبة للمشاركة في العمل ومن المشروعات الجديدة بناء ميناء في ابو سمبل لتسهيل التكامل بين مصر والسودان من أبرز موقع في أرض النوبة الاصلية ، كما يجري إنشاء طرق ومراس على النيل النوبي بين أبو سمبل وأسوان حيث ماتزال هناك مجموعة من المعابد لتسهيل النشاط السياحي الى معابد

بو سمبل وعمدا والسبوع والدكة

ولا أخفيكم أن بعض أبناء النوبة قد بدأوا يعودون الى بعض المناطق المطلة على قراهم الاصلية ويقيموها من جديد وقد بدأوا الاقامة بالفعل قرب أبو سمبل حيث أخذوا ينشئون قرية جديدة ، كما فعلوا مثل ذلك في موقع بلانة والقسطل وأدندان وقد يكون ذلك إيذانا بإعادة تعمير جديد للأرض النوبية على أيدي أبنائها النوبيين الذين مايزالون في شوق الى وطنهم الأم

النوبة الأم

الحق أن أمل العودة الى الموطن الأصلي مايزال يعتمل في أعماق الكثيرين من الجيل القديم من أهالي النوبة القديمة

واحد من هؤلاء ـ الحاج أحمد حاد ـ قال لنا حين التقيناه في مقر المكتب الاعلامي بأسوان

لا أستطيع أن أنكر أني كنت من ضمن المجموعات الاولى التي عادت الى النوبة الاصلية عام ١٩٨٠ عدت الى ابو سمبل الأصلية وبنيت لنفسي بيتا هناك ولعل الدافع الذي حدا بي الى التمسك بالعودة الى موطني الاصلي هو إرضاء النفس والحنين الى الماضي وأكثر من ذلك هو أني لم أحس بالراحة النفسية عندما ذهبت الى النوبة الجديدة في كوم امبو

والحقيقة أننا ذهبنا إلى موطننا الجديد نحمل عاداتنا وتقاليدنا ولكني ـ وأقولها عن نفسي ، والبعض من رفاقي ـ أحسسنا أن هذه العادات والتقاليد بدأت تختلف بتغيير الارض أولا وبالبيوت ثانيا وبالاختلاط بالاجناس الأخرى ثالثا بدأنا نحس بضيق نفسي مع ضيق المساحة التي نقلنا إليها بالنسبة الى الأرض البارحة الواسعة التي كان عليها موطننا الاصلي الهواء النقي والنور والنخيل والهدوء واتساع المسافات بين البيوت والاطلالة على مياه النيل كان يشعرنا براحة كبيرة عما أصبحنا عليه ، لم نكن نصاب بالامراض أو اعتلال الصحة النفس ، وهناك دافع الحنين الى الارض التي عاش فيها الآباء والاجداد ولو أردت الموازنة فإن قريتي أبو سمبل القديمة كانت تمتد على مساحة ٣٦ كم ، بينما هنا في الأرض الجديدة نجد أن القرية على مساحة كيلو مترين فقط تضم ٢٥٠٠ بيت . الازدحام والتكدس غير أخلاق الناس صحيح أننا في الأرض القديمة كانت حياتنا وإمكانياتنا صعبة ، ولكننا كنا نحس بالراحة النفسية وسأننا بعض من أراضينا ووطننا وترابنا في النوبة الأم الوطن القديم هو الأم الاصلية ، أما التي هجرنا إليها فهي حالة وليست اما ، أو على الاقل زوجة أب ، وما أكثر الفارق بين الام وبين الحالة او زوجة الاب !

النوبة الام ، اشتق اسمها من كلمة « نوب » وتعني عند المصريين القدماء « أرض الذهب » وكانوا يطلقون عليها أيضا اسم « الأرض المقوسة » أو « أرض القوس » وكانت أرض النوبة مقسمة بين الشمال والجنوب ، فالنوبة السفلى وطولها ٣٥٠ كيلومترا تمتد من الشلال أو الجندل الاول عند اسوان إلى أدندان قرب الحدود المصرية عند وادي حلفا وتعتبر جزءا من مصر وكانت تسمى « واوات » أما النوبة العليا وطولها ١٥٠ كيلومترا فتمتد بين أدندان ودنقلة عند الجندل الرابع في السودان وكانت تسمى « كوش » ، وكوش هو الجد الأعلى للنوبيين « وأخ مصرايم » الجد الاعلى للمصريين ، وكلاهما من حام « ابن نوح » وتبدي الآثار الموجودة من بدايات العصر الفرعوني أن سكان منطقة واوات كانوا عادة لا يميلون للحرب ، بينما كان أهل « كوش » محاربين أشداء ، لهذا استعان بهم المصريون في النوبة وفي مصر نفسها وجندوهم في الجيش الفرعوني وخاصة في عصر الامبراطورية ، كما استعانوا بهم في حفظ النظام داخل مصر ، وفي محاربة الاعداء في الخارج ورد المعتدين

بين مصر والنوبة

يقول التاريخ ان مصر اهتمت ببلاد النوبة لوقوعها على طريق القوافل التي تجلب اليها صادرات الجنوب وبلاد بونت (الصومال) وكان النوبيون يتولون القيام بهذه المهمة ، فكانوا يحملون موارد بلادهم وموارد الجنوب والصومال من العاج والابنوس وريش النعام وجلود الحيوانات والبخور والمر والذهب والصموغ والمواد العطرية الى مصر ، ويعودون منها بالأنسجة والخرز والعسل والطيب والخزف المدهون وغير ذلك من السلع

وفي عهد الدولة الوسطى في مصر وجه ملوكها ثلاث حملات الى بلاد النوبة وبفضل هذه الحملات تمكنت مصر من احتلالها وضمها الى بلادها نهائيا ، حيث قامت هناك حضارة مصرية محلية ملائمة لها متأثرة ببيئتها وحوالي عام ١٧٣٠ ق . م أغار

● قصة معابد فيله وحكاية ايزيس وأوزوريس وحورس يمكن متابعتها على الأبنية والأعمدة واللوحات والتماثيل على جدران المعابد التى شهدت كل مراحل تاريخ مصر القديمة وحكت قصة أسس الوجود من العصر الماضى أما الصورة الى اليسار فهى للمسلة الناقصة التى ماتزال راقدة في سطح الجبل بأسوان
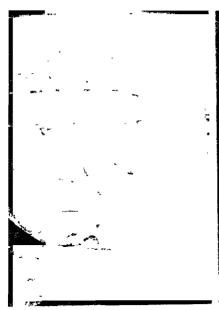
الهكسوس على مصر واستولوا عليها فهاجر كثير من المصريين الى بلاد النوبة وانشأوا مواطن لهم والى هؤلاء المهاجرين يرجع الفصل الاول في ربط العلاقات المصرية النوبية

وعندما تمكن أحمس أمير طيبة من طرد الهكسوس أعلن نفسه ملكا على مصر المتحدة من العاصمة طيبة وأصبح إلهها آمون رع معبود مصر كلها وقاد أحمس حملة عسكرية الى بلاد النوبة وكان يصحب معه عددا من الصناع والكهنة والجنود المصريين وأسكنهم هناك ، فأدخلوا عبادة آمون رع ونشروا الحضارة المصرية بين السكان ومن ذلك الوقت اتخذ النوبيون آمون رع من معبوداتهم ، وأنشأ المصريون معابد على طول البلاد في كلابشة وجرف حسين والسبوع والدر وابريم وابو سمبل وحلفا ، وصارت هذه الاماكن مراكز لنشر الحضارة المصرية التي تأثر بها النوبيون ، وتوطدت العلاقات بينهم وبين المصريين ، وأصبحت البلاد قسما من أقسام مصر سياسيا ودينيا واداريا

وفي حوالي ٧٥٠ ق م قامت في بلاد النوبة مملكة مستقلة امتد سلطان ملوكها حتى شمل صعيد مصر ، بل وغزوا مصر نفسها وأسسوا الاسرة الخامسة والعشرين ولكن لم يكد عام ٢٩ ق م يأتي حتى خضعت النوبة لنفوذ الرومان الذين غزوا مصر ومنذ القرن الاول الميلادي ابتدأت المسيحية تنتشر في مصر ، ولاقى المسيحيون في اول عهدهم اضطهادا شديدا اضطر معه الكثيرون الى الهجرة الى بلاد النوبة فرارا من ظلم الرومان والتماسا للنجاة وهناك تهيأ لهم الجو الملائم لنشر المسيحية بين السكان حتى صارت هي الدين الرسمي للنوبة

وقد عني المسيحيون في النوبة ، بأقامة الكنائس والاديرة مستغلين في كثير من الاحيان مباني المعابد المصرية القديمة لتحويلها الى كنائس واديرة ، كما حدث في معابد فيلة وابريم ودنقله ، وقد طلوا النقوش الهيرغليفية والصور القديمة بالطين ورسموا على الطلاء صور المسيح والقديسين

ثم جاء الاسلام على أيدي العرب ، وكان العرب قبل ظهور الاسلام يعرفون بلاد النوبة ، وكان التجار العرب يعبرون البحر الاحمر وبوغاز باب المندب في طلب العاج والذهب والعبيد والبهارات ، وكثر ذلك في عصري البطالمة والرومان ولاشك ان بعض هؤلاء قد فضلوا الاقامة في النوبة على العودة الى بلادهم وعندما فتح المسلمون مصر حوالى عام (٦٤٠م) ، غزا حكام مصر النوبة عدة مرات ولم يهتموا بالاستيلاء عليها ، واكتفوا بما يحصلون عليه من الجزية ، حتى اتفق فيما بينهم بعد ذلك بأن تدفع النوبة لبيت مال المسلمين ما يسمى « بالبقط » وهو لم يكن جزية بقدر ما كان رمزا للأمان والهدنة ، وكان المسلمون يقابلون هذا بمثله ، فيرسلون من مصر الي النوبة الحبوب والثياب والخيل ، وسميت في العهد المكتوب « صدقة جارية »

ومنذ ذلك الوقت أخذ الاسلام يتسرب تدريجيا عن طريق النيل وعن طريق البحر الاحمر الى بلاد النوبة أرض الصقر الذهبي

فيلة بين ايزيس وأنس الوجود

وبدأ مسيرتنا مع النوبة القديمة ، من آخر حدودها عند أسوان ، حيث نشأت بداية التاريخ المصرى المعروف مع ظهور أوروريس سيد الأرض الطيبة

كان أوروريس فيما يروى المصريون الأقدمون هو الذى علم سكان مصر الزرع والرى والحصاد وكانت جزيرة فيلة المستلقية وسط مياه النهر عند الجندل الأول هى النقطة التى ينبع منها نهر النيل ومن نقطة البداية انطلقت ايزيس مع زوجها الملك الطيب الذى خرج ينشر الخير والحب بين الناس ويعلمهم كيف يزرعون الأرض ويحترمون قانون السماء

وفى الفناء الرئيسى لمعابد ايزيس فى فيلة ـ لؤلؤة مصر ـ نتتبع مع مرافقنا الاعلامى محمد حسين قصة البداية

كلمة « فيلة » جاءت من كلمة فيلاى أو بيلاك ، وكتبها الأغريق فيلا بمعنى المحبوب أو المكان المرغوب ، وسماها العرب « أنس الوجود » نسبة الى إحدى قصص ألف ليلة وليلة ، أما المصريون فنطقوها فيلة ومعناها بالهيروغليفية « الطرف » أو « البداية » وذلك باعتبارها بوابة مصر وكان القدماء يحجون الى هذا المكان باعتباره منبع نهر الخير ، وتقديسا للإلهة ايزيس وزوجها أوزوريس وابنهما حورس الإله الصقر

تحكي الأسطورة المسجلة على جدران معبد إيزيس أنه فى قديم الزمان كان يحكم هذه البلاد ملك اسمه « حب » ، وكان له ولدان من الذكور واثنتين من الاناث وزوج الملك ابنه أوزوريس من أخته

ايريس كما زوج ابنه ست من أخته نفتيس ولأن أوزوريس كان طيب القلب عادلا ملكه أبوه الوديان الخضراء والسهول والأنهار ، أما ست الذى كان شريرا حاقدا فقد ملكه أبوه أرض الصحارى القاحلة والرمال القفراء وكان أوزوريس موسيقيا بارعا أحبه الناس فحقد عليه اخوه ست وتآمر مع آخرين حتى صنع صندوقا من الذهب الخالص بحجم أوزوريس زعم فى حفل أقامه أنه يهديه لمن يتسع له

وهنا على أرض جزيرة فيلة وعلى ساحة هذا المعبد بالذات ، أقيمت المأدبة

لم يتسع الصندوق لغير أوزوريس الذى كان طويل القامة وعندما استلقى فى الصندوق أسرع ست فأمر رجاله بإغلاق الغطاء وإلقائه فى النيل وراحت أمواج النهر تتقاذف الصندوق حتى بلغ مصب رشيد ثم تناقلته أمواج البحر حتى بلغت به شواطىء جبيل (بيلوس بلبنان) حيث كان قد توفى وهو داخل التابوت

جدت إيزيس المخلصة الوفية فى البحث عن جثة زوجها ، ووظفت مالديها من علوم السحر الذى برع فيه المصريون حتى عرفت المكان الذى استقر فيه الصندوق فركبت سفينة انطلقت بها الى بيلوس حيث حلمت بأن الصندوق داخل شجرة أرز كان الملك قد قطعها وأقامها عمودا ودعامة فى قصره وتحايلت إيزيس على ملك بيلوس بعد أن كشفت له عن شخصيتها وأماطت اللثام عن سيدها ، فسمح لها باسترداد الصندوق وإذ حل عليها المساء نامت فوق تابوت زوجها فجاءتها الرؤيا وهى نائمة بأنها حملت من روح زوجها أوزوريس ، وعندما عادت الى مصر اختفت ومعها الصندوق فى جزيرة فيله خوفا عليه من ست الذى قتله من قبل وظلت مختفية حتى ولدت حورس بينما كان ست فى ذلك الوقت يواصل البحث حتى استطاع أن يعثر على جسد أوزوريس . وانتهز فرصة غياب إيزيس وقطع الجثة الى ستة عشر قسما بعثرها فى جميع مقاطعات مصر وعادت هى لتواصل البحث من جديد حتى عثرت على الأجزاء جميعا عدا جزء واحد هو قدم أوزوريس اليمنى . فقد كانت قد استقرت فى جزيرة بيجة المقابلة لجزيرة فيلة ، وكانت المياه تنساب من بين أصابعها محملة بالخصب والطمى لتنمو ربوع مصر بالخير من فيضان النهر ومنذ تلك اللحظة صار أوزوريس ملكا للموتى يتولى حسابهم فى الآخرة أما حورس الابن الذى غذت فيه أمه روح الانتقام فقد خاض صراعا مريرا مع عمه حتى انتصر عليه وجلس الابن على عرش أبيه وتوج بالتاج الأبيض فى مقر حكمه بالمدينة الصغيرة على جزيرة فيلة المقدسة ليصبح من بعد هو الاله حورس برأس الصقر الذهبى

تلك هى معابد فيلة حيث وقفنا فى فناء المعبد الذى شيد لعبادة ايزيس وإبنها حورس ، بعد أن نقلت المعابد بمعاونة اليونسكو الى جزيرة إيجيلكا الأكثر ارتفاعا ، وبعد ان تعاقب عليها الغرق والظهور لأكثر من ستين عاما ، كانت المدينة حولها قد فقدت مبانيها المشيدة باللبن اذ تلاشت بفعل المياه عندما بنى خزان اسوان ، واختفت معها معالم تاريخية وأثرية كان لها أهمية كبيرة لدارس تاريخ النوبة المتأخر فى عصر ما يسمى « النوباد » الذين أتوا ليعبدوا الالهة إيزيس وليأخذوا تمثالها للزيارة السنوية الى بلادهم فى الجنوب !

وقد كان أول من بنى معبدا تقربا لإيزيس هو الملك « طهارقة » النوبى أحد ملوك النوبة السفلى . وكانت النوبة فى ذلك الوقت ممالك مستقلة ولها ديانة قائمة بذاتها بعيدة عن الديانة المصرية القديمة بعد طهارقة جاء الملك « نكتانبو » وحكم مصر بين ٣٩٠ و ٣٢٠ ق م ، وهذا الملك اشتهر بثورته ضد الفرس فبنى لإيزيس هذا المعبد وبوابة تقربا إليها

بعد الملك « نكتانبو » يجىء البطالمة أو الأغريق ليحكموا مصر بين سنتى ٣٢٢ و ٣٢ ق م وقد بنى بطليموس لإيزيس مجموعة من المعابد تمجيدا لها ولزوجها أوزوريس وابنها حورس ثم يأتى بعد ذلك الرومان ويبنون المعابد تمجيدا لإيزيس ، وفى خلال فترة الحكم الرومانى يأتى التبشير المسيحى فى عهد الامبراطور « جستنيان » وتصدر مراسيم بأن تحول جميع المعابد الى كنائس وهكذا تحولت جميع المعابد فى مصر الى كنائس ماعدا معبد فيله ، حيث كان للكهنة نفوذ وسيطرة على جميع المعابد وعندما رفضوا أن يحولوا المعبد الى كنيسة عمد المسيحيون الى إزالة النقوش حتى رضخ كهنة المعبد لتحويله الى كنيسة !

ويجىء العصر الاسلامى الى مصر . وخلال أيام العباسيين تأتى قصة « أنس الوجود » .

كان لأحد الوزراء ابنة تسمى « زهرة الورد » غاية فى الجمال ، أحبها أحد حراس القصر واسمه أنس الوجود وأحبت الفتاة فيه الأخلاق النبيلة العالية

● الملكة نفرتارى زوجة رمسيس الثانى السوبية حميلة الجميلات

● واجهة معبد رمسيس الثانى أكبر معبد محبوت في الصحر في العالم حيث تقوم على الواجهة أربعة تماثيل للملك يرتفع كل منها عشرين مترا يظهر في الصورة اثنان منها (الى اليمين) أما الصورة السفلى الى اليسار فتمثل الأعجوبة الهندسية الملكية التى ترتبط بالمعبد حيث تخترق أشعة الشمس قاعاته لتتعامد على وجه رمسيس الثانى يومين في السنة هما عيد ميلاده وعيد تتويجه

التي لم تجدها في أبناء الملوك و الأمراء. ووجد أبوها أن هذه العلاقة غير متكافئة ، فطرد أنس الوجود من أرض فيلة ، وحبس ابنته في القصر ، وأحاط هذه الجزيرة بمجموعة كبيرة من التماسيح حتى لا يقترب منها أنس الوجود. وأخذ أنس الوجود يجوب البلاد ويبحث عن حبيبته « زهرة الورد » وراحت البلابل تتغنى له والطيور تتراص فوقه لتكون مظلة تحميه من الشمس. واستأنست له الوحوش حتى وصل الى الجزء الشرقي من شلال جزيرة فيلة. وظل الفتى يواصل الغناء ويحكي حكايته حتى أنست له التماسيح وحمله تمساح كبير على ظهره وأتى به الى شاطىء الجزيرة. وكان لا بد أن يرضخ الوزير في النهاية ويزوج الفتى من ابنته زهرة الورد إذ وجد فيه إنسانا يتسم بالأخلاق العالية والنبل والشهامة. وهكذا سمي هذا المعبد بقصر « أنس الوجود ».

أبو سمبل.. مفخرة النوبة

كانت أرض النوبة موطنا لعبادة الكثير من الآلهة طوال العصور الفرعونية والرومانية والمسيحية. وكان النوبيون يعتزون اعتزازا كبيرا بالمعابد التي كانت ـ قبل أن يغمرها الماء ـ تمتد على طول الجانبين الشرقي والغربي من دابود الى ادندان.

وحين بدأت عمليات بناء السد العالي بذلت كل الجهود العالمية لانقاذ معابد النوبة لما لها من أهمية تاريخية كبيرة. وأسهمت مختلف دول العالم بإرسال بعثاتها لعمليات الانقاذ والتنقيب عن آثار النوبة قبل أن تغمرها المياه ، خاصة بعد أن أعلنت حكومتا مصر والسودان أن المنقب له الحق في نصف حصة نتائج أعماله. وطمعت المتاحف الأجنبية بعثاتها الخاصة الى وادي النيل بهدف زيادة المعرفة بهذا التراث التاريخي الهام ، بالاضافة الى اكتساب قطع جديدة لمجموعاتها. بل لقد وافقت مصر على أن تمنح بعثات الدول المشاركة حقا في نقل المعبد الذي تنقذه ليقام في بلادها.

على أن أهم ما تم إنقاذه من المعابد هو معبد رمسيس الثاني ومعبد زوجته الملكة نفرتاري في أبو سمبل.

معبد أبو سمبل بالنوبة. أكبر معبد منحوت في الصخر في العالم. وهو آية في العمارة والهندسة القديمة إذ نحت في عمق جبل صخري لمسافة ٦٢ مترا على الضفة العربية للنيل أمام قرية « فارك » في الضفة الشرقية ، وفي منطقة كانت سكنية في عصر رمسيس الثاني. يقول النص المسجل على الجدار الداخلي أسرى الحرب قاموا ببناء المعبد الذي كرس لعبـ « رع حور اختي » مثل بقية المعابد في النوبة. ومـ الاله حورس الذي اندمج مع الشمس « رع » ويصور عادة على هيئة بشرية برأس صقر مرتديـ قرص الشمس.

وهناك أعجوبة هندسية وفلكية ترتبط بهذا المعبد. فأشعة الشمس تدخل من باب المعبد وتخترق القاعات التي صفت على محور واحد يتفق فلكيا مع خط عرض معين ، بحيث تتعامد عليه الشمس مرتين في السنة يوم ٢٢ فبراير عيد مولد الملك ويوم ٢٢ اكتوبر عيد تتويجه حسب تعامدها على مداري السرطان والجدي. وعندما تتعامد الشمس على خط المحور يدخل أول شعاع لها من الباب عند الشروق ويستقر على تماثيل الآلهة الأربعة في صدر قدس الأقداس في نهاية المعبد. وقد ضبط الباب بحيث يبدأ سقوط أشعة الشمس أولا على وجهي آمون وبتاح ، ثم على وجهي بتاح ورمسيس ، ثم تنتقل الى وجهي رمسيس ورع حور اختي. ويستمر الانتقال خطوة خطوة لفترة تمتد الى ٢٥ دقيقة من شروق الشمس!

أهم ملامح المعبد واجهته التي ترتفع ٣٢ مترا بعرض ٣٥ مترا حيث تقوم تماثيل أربعة لرمسيس الثاني ارتفاع كل منها حوالي ٢٠ مترا ، وهي منحوتة في صخور الجبل ، اثنان من التماثيل على كل جانب من المدخل ، وهي تمثل الملك وهو جالس وعلى رأسه التاج المزدوج لمصر العليا والسفلى ، وعلى جانبي كل تمثال وبين الأرجل نرى تماثيل تمثل الملكة نفرتاري ، وبعض الأبناء الملكيين. وكل من المجموعات الأربع تقوم على قاعدة عالية نقش عليها خرطوش رمسيس ومجموعة من الأسرى الأسيويين والزنوج. أما المنظر الخلفي للواجهة فقد نحت على شكل صرح ذي كورنيش نقش عليه صف من القرود رافعة الأذرع الى أعلى وهي تعبد الشمس. وفوق المدخل يقوم تمثال للاله رع حور اختي برأس الصقر الذي خصص له المعبد.

وندلف الى داخل المعبد. يقودنا الاثري عطية رضوان رئيس تفتيش آثار أبو سمبل الى بهو كبير به صفان من أربعة أعمدة تتكىء عليها تماثيل ضخمة للملك واقفا وعلى رأسه التاج المزدوج ، حاملا « العصا والمذبة ». وقد كسيت الأعمدة وجدران البهو الذي يصل ارتفاعه الى ٨ أمتار بمناظر ونصوص

واجهة المعبد الصغير للملكة نفرتارى « جميلة الجميلات »

دينية مع رسوم لأعمال الملك الحربية فى معاركه ضد الحيثيين فى سوريا والكوشيين فى السودان كما تمثل انتصاره فى معركة قادش . أما السقف فمرين بمناظر تقليدية من الخرطوش والعقاب ذى الجناحين الممدودين .

بعد مجموعة من الأبهاء ننتقل الى بهو يقود الى غرفة تستند الى محور المعبد وتوصل الى غرفة قدس الأقداس التى تتصدرها تماثيل جالسة نحتت فى الصخر تمثل معبودات المعبد ، وهى بتاح وآمون ورمسيس نفسه ورع حور اختى . وفى وسط الغرفة تقوم مائدة غير منقوشة كانت تقدم عليها الأضحيات والقرابين ، عندما كانت أشعة الشمس المشرقة تدخل بعد الفجر . أما فى غير ذلك الوقت فكان يوضع عليها نموذج لمركب الشمس .

جميلة الجميلات . . نوبية

على مسافة قريبة شمال المعبد الكبير نحت رمسيس الثانى معبدا صخريا صغيرا لملكته نفرتارى ومعناها « جميلة الجميلات » . وكرس المعبد لعبادة حاتحور ربة الجمال والحب والرقص والموسيقا . ومع أن عظمة المعبد الكبير حجبت معبد نفرتارى ، إلا أنه يعتبر أحد العمائر ذات الجمال الرائع فى النوبة .

المعبد شيده الملك هدية لزوجته المحبوبة نفرتارى ، وكانت هى أول زوجة تزوجها من بين ٦٧ زوجة . وكانت ابنة أحد كبار ضباطه من عامة الشعب فى منطقة النوبة .

فالملكة نفرتارى « جميلة الجميلات » نوبية ومن أجل أن يتزوجها عدل الملك القوانين التى كانت تمنع الملوك من الزواج من عامة الشعب . وبعد أن تم الزواج وتحقق عاد الملك فألغى التعديل وأعاد القانون الى أصله . من هنا بالغ رمسيس فى تكريم نفرتارى ، وليجعلها فى نظر الشعب مقدسة أعطاها الصفة الالهية .

واجهة معبد نفرتارى على شكل بيلون ، وكانت تنتهى أصلا على شكل كورنيش . وعلى كل جانب من جانبى المدخل نجد ثلاث مشكاوات محفورة تقف فيها تماثيل ضخمة يصل ارتفاعها الى عشرة أمتار وهى أربعة للملك واثنان للملكة . ونلاحظ هنا أن تمثال الملكة بنفس حجم تمثال الملك ، وهى أول مرة فى التاريخ الفرعونى والحضارة المصرية القديمة يكون فيها تمثال الملكة فى حجم تمثال الملك !

الى جانب كل تمثال نجد تمثالين صغيرين يمثلان طفلين ملكيين هما أبناء أو أقرباء الملك من الأمراء ، وبنات أو قريبات الملكة من الأميرات . أما فى الداخل فنجد أن جدران الصالة العرضية وقدس الأقداس قد نقشت عليها مناظر دينية ، منها نقش عليه منظر بارز للربة حاتحور على هيئة رأس البقرة ورمزها « الشخشيخة » ويقف الملك تحت رأسها .

المعجزة الرئيسية الجديدة التى تمت هنا هى كيفية إنقاذ المعبدين قبل أن تغمرهما مياه السد . نسمع التفاصيل من المهندس عطية رضوان بعد أن ينتقل بنا الى القبة الخرسانية التى يستند إليها المعبدان . قال :

لنترك الآن ما خلفه الأجداد ونتحدث عن حضارة أحفاد الأحفاد . فما فعله المصريون فى العصر

الحديث لا يقل عظمة عما فعله الأجداد

لقد كانت عملية إنقاذ معابد أبو سمبل معجزة بكل المقاييس ، سواء في ذلك إزالة الجبل وتقطيع أجزاء المعبد الصخرى أو إعادة رفعه وبنائه بنفس المسافات والمقاييس وبدون أن يفقد منه حجر أو نقش واحد . ويضاف الى ذلك إقامة هذه القبة الخرسانية التى تعتبر معجزة وحدها هذه القبة كان الغرض منها حماية المعبد وإعادة شكل الجبل الذى كان موجودا قبل عملية الانقاذ

فقد كان من المستحيل إعادة بناء الجبل فوق المعبدين ، لأن ذلك يمثل خطورة من الناحية الجيولوجية والطبيعية ، وخاصة أن هذه المنطقة منطقة زلازل قد يؤدى حدوثها الى سقوط المعبدين وانهيارهما فكان لابد من الاستعاضة عن ذلك بانشاء هذه القبة الخرسانية فوق المعبد الكبير وقبة أخرى فوق المعبد الصغير تمتد القبة ٥٦ مترا بعرض ٦٠ مترا وارتفاع من أسفل الى أعلى يصل الى ٣٨ مترا ، وسمك الخرسانة من المركز ١٤٠ سنتيمترا ومن الجانبين حوالى مترين وقد تم تركيب ستين جهازا فى سقف القبة وأنحائها لاعطاء كل القياسات المطلوبة للمحافظة على القبة والمعبد بحيث يتم اكتشاف أى شروخ أو هزات أو تمتت فى الصخور

أما عملية الانقاذ نفسها التى جرت فى عام ١٩٦٣ فقد بدأت باحاطة المعبدين بسد يعزلهما عن مياه النهر ، ثم جرى رفع الجبل وإزالته بعد ذلك تم تقطيع المعبدين بجدرانهما مع تقسيم الجدران الى أجزاء لا تتعارض مع سلامة النقوش ، واستخدم فى ذلك المنشار اليدوى الدقيق من الامام والمنشار الكهربائى من الخلف ، وتم بذلك تقطيع كل أجزاء المعبد وترقيمها ثم نقلها الى الموقع الجديد ، حيث أعيد بناؤه وتركيب أحجاره مع المحافظة على الاتجاهات الهندسية التى كان مقاما عليها أما هذا المكان الجديد فهو فوق مستوى سطح البحر بارتفاع ١٨٩ مترا بعد أن روعى أن أعلى منسوب يمكن أن تصل إليه مياه السد هو ١٨٣ مترا ، وبذلك يصبح من المستحيل أن تصل المياه الى المعبدين

المجتمع النوبى

بين أرض النوبة القديمة والنوبة الجديدة نلتقى بأبناء المجتمع النوبى ونتنقل بين قراهم الثلاث والأربعين

والنوبة الجديدة تقع فى منطقة أراضى الاستصلاح الزراعى الجديدة بمنطقة كوم امبو فى محافظة اسوان ، على بعد حوالى ٥٠ كيلو مترا الى الشمال من مدينة اسوان ، وتمتد على طول المنطقة شمال وشرق مدينة كوم امبو فى شكل يقارب نصف الدائرة ، ويتخللها طريق ممهد للمواصلات يربط جميع القرى النوبية بعضها ببعض ويمتد بين اسوان وكوم امبو وطريق اخر يمتد بين مدينة نصر النوبة ومدينة كوم امبو وذلك على العكس مما كانت عليه القرى فى منطقة النوبة الاصلية حيث لم يكن هناك الا النيل طريقا للمواصلات

وتضم بلاد النوبة ثلاث جماعات الكنوز والعرب والنوبيين فالكنوز يقيمون فى القسم الشمالى من المنطقة ويشمل ١٧ قرية ويقيم العرب فى القسم الأوسط ويشمل خمس قرى ويقيم النوبيون فى القسم الجنوبى ويضم ١٨ قرية فالاقليم النوبى ينقسم الى ثلاث مناطق وفقا للتقسيم الأصلى فى المنطقة الأصلية وتتوسطه الآن مدينة نصر العاصمة الجديدة التى تضم ست قرى هى كورسكو والريقة وابو حنضل والدر والديوان وقته ولم تكن نصر موجودة فى النوبة الأصلية حيث كانت عنيبة هى العاصمة وتحمل القرى أسماء نظائرها فى النوبة الأصلية

وعلى نفس هذا التقسيم الثلاثى تنقسم أيضا اللغة التى يتحدث بها أبناء الجماعات الثلاث فالأهالى النوبيون من أدندان وأبو سمبل وحتى كورسكو يتكلمون اللغة النوبية وهى المسماه (المجكة) أو (المحسى)

ومن كورسكو الى فورته وحتى أسوان وهم الكنوز يتكلمون حتى اليوم باللهجة المعروفة باسم « كنوز » أو اللغة الماتوكية وقليل من الكنوز ومن النوبيين من يعرف لغة الآخر ، وكل من اللغتين تسمى « الرطان » وتنتمى الى اللغة النوبية القديمة . أما فى المناطق الأخرى بوادى العرب فهم يتحدثون العربية ولا يعرفون « الرطان »

كان النوبيون فى أول أمرهم يتخذون الهيروغليفية لغة للكتابة والتسجيل بجانب لغتهم الخاصة التى كانوا يستعملونها فى أحاديثهم العادية فلما انفصلت النوبة عن مصر أهملوا الهيروغليفية وكتبوا لغتهم بأحرف محلية جديدة وفى العصر المسيحى استخدمت الحروف القبطية فى كتابة اللغة النوبية ، واستمر ذلك حتى انتشر الاسلام وخضعت النوبة
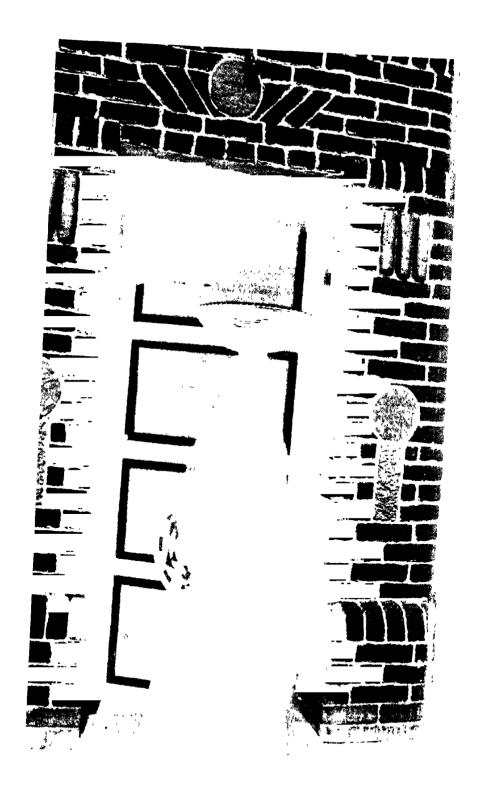
لنفوذ العرب المسلمين فبطل استعمال الحروف القبطية وكتابة اللغة النوبية نهائيا

الأصول النوبية

في ذلك الوقت كانت أبواب النوبة قد أصبحت مفتوحة أمام طوائف المسلمين العرب الذين هاجروا إليها واستقروا فيها وصاهروا سكانها وأسسوا لهم منازل وقرى في صميم البلاد ولأن الاسلام دين سمح فان السكان الأصليين من أهل النوبة لم يشعروا بعداء نحو الوافدين عليهم من المسلمين فتركوهم يعيشون بينهم

وإذا تتبعنا أصول الجماعات النوبية فسنجد - كما يقول الدكتور السيد أحمد حامد في كتابه « النوبة الجديدة » - أن النوبيين الحاليين ينحدرون الى حد كبير من نسل هؤلاء الذين عاشوا في هذه المنطقة من وادي النيل في عصر فراعنة الدولة الوسطى . وكما كان الحال في العصور القديمة نجد أن النوبي المعاصر يختلف جنسيا عن المصري وقد كان المهاجرون الى بلاد النوبة الأصلية يستقرون في القرى ولا يجدون ما يمنعهم من الزواج بالنوبيات وهكذا امتص المجتمع النوبي تلك العناصر الغريبة دون التأثير في لغته وثقافته . فالزوجات النوبيات والأولاد ينشأون ويعيشون داخل المجتمع النوبي وقد أدى ذلك الى تعدد القبائل وكثرتها واختلاف أصولها القبلية التي تعتبر إحدى المميزات الرئيسية التي يتميز بها المجتمع النوبي

وقد أدى تعدد الغزوات والهجرات الى غلبة القبائل التي تكونت في الأصل من أصول عربية ويسمون أنفسهم الأنصار في الكنوز ، وغلبة قبائل الكشاف في النوبيين بينما يقول العرب انهم من عرب « العليقات »

وتوجد قبائل أخرى الى جانب هذه القبائل في كل إقليم من الاقاليم الثلاثة الكنزية والعربية والنوبية .

كما توجد جماعات عائلية من أهالي قرى الصعيد وبخاصة في القرى التي انشئت فيها مشروعات الري في المنطقة الأصلية حيث يتزايد عددها عن بقية القرى ، وقد تكونت في الأصل من الافراد الذين كانوا يحضرون الى تلك القرى في موسم الزراعة للعمل مقابل الأجر النقدي ومنهم من تزوج من النوبيات واستقر في القرى

ومن الواضح أن هناك تشابها بين الكنوز والعرب والنوبيين من حيث القبائل التي تتألف كلّ جماعة منها ، رغم اختلاف في أصول القبائل في كل جماعة فهناك القبائل الكبيرة الحجم التي كانت تملك غالبية الأراضي الزراعية ، والقبائل الصغيرة الغريبة ، والنوبيون الأصليون ، وجماعات الصعايدة ولكن على الرغم من اختلاف وتعدد الأصول القبلية التي تتألف منها كل جماعة من الجماعات الثلاث الكنزية والعربية والنوبية ، وتأثير ذلك في مدى التقارب والتباعد في العلاقات بين القبائل . وعلى الرغم من استقلال القرية كوحدة اجتماعية قائمة بذاتها وانعدام الاتصال بينها وبين غيرها من القرى في المكان الأصلي الى حد كبير فإن كل جماعة تعتبر وحدة كلية واحدة في علاقاتها مع كل من الجماعتين الأخريين

الآن وبعد انتقال الجميع الى الارض الجديدة والتقارب المكاني بين قرى كل جماعة وأخرى مع سهولة الاتصال فيما بينهم ، ما يزال هناك تباعد في العلاقات بين الكنوز والعرب والنوبيين فيما لا يزال التبادل الاقتصادي ضعيفا بين سكان كل قرية وأخرى نتيجة لعدم استكمال استصلاح الاراضي الزراعية ولقلة حجم نتاج الاراضي التي وزعت فضلا عن زراعة نصف مساحة الاراضي في الزراعة الكلية قصبا ويعني ذلك عدم وجود مصالح مشتركة اقتصادية تؤدي حتما الى إقامة علاقات اقتصادية بين الكنوز والعرب والنوبيين ، مما يخفف من حدة التباعد بينهم وذلك على الرغم من ظهور نوع من المشاركة أو الاتفاق الجماعي بين جميع سكان القرى نتج عن المشكلات التي تتعلق بالزراعة ، مثل عدم توفر المياه للري ، واختيار نوع من المحصول الذي يفضلون زراعته وعدم توفر الآلات الزراعية مثل الجرارات لتسوية الارض ، وغيرها من المسائل التي تهم جميع السكان والتي تتعلق بالاسكان والاعاشة فهذه المشكلات أدت الى مثل هذا الاتفاق على أساس أنها تتعلق بحياتهم ومعيشتهم وأنها تتطلب من السكان جميعا الوقوف الى جانب بعضهم البعض حتى تمتثل الادارات الحكومية لرغباتهم وتحقق مطالبهم ويتضح ذلك من مناقشات المجالس والمؤتمرات العامة ومجلس مدينة نصر ومحافظة اسوان حيث يسود الاتفاق الجماعي العام بين الكنوز والعرب والنوبيين - دون اعتبار لما بينهم من تباعد - على حلول ايجابية لحل مشاكلهم مما يتفق والظروف العامة لمجتمعهم الناشيء عن عمليات التهجير .

ى « مضيفة » بيت النوبة النموذجي ضمنا لقاء مع دد من المدرسين وأعضاء الوحدة المحلية شباب . . كنا ما نكاد نذكر اسم أحد من أبناء بة الذين نلتقي بهم في قطاعات العمل المختلفة لذين توزعوا خارج بلادهم ، حتى نكتشف أن ميع يعرفون بعضهم بعضا حتى ولو كان سم . . فقد هاجر الكثيرون للعمل في المدن بلاد البعيدة ، ومع هذا ظلوا مرتبطين بجذورهم أرض النوبة ، القديمة والحديدة ، فعقيدتهم أن طن مهما تغيرت معالمه فسيبقى بالنسبة اليهم أحب راضي في العالم كله . فإليها سيرجعون في كل صة سانحة وهم إذا مرضوا أو تقدمت بهم ن فإن أملهم الوحيد هو الرجوع إلى ارضهم التي بتهم الحياة

كان محور الحوار هو . ما الذى يدفع هؤلاء الناس ترك وطنهم الذي يكنون له هذا الحب ويعيشون دا عنه لفترات طويلة ؟ وكانت الاجابة حاضرة يا ، فالبيئة الطبيعية لم تكن توفر ـ حتى قبل بناء ان اسوان ـ الموارد الاقتصادية أو تسمح بزراعة ق الاكتفاء الذاتي من المحاصيل المعيشية وكان اجها أقل من المستوى الفعلي لحاجات الأسرة أبناء . وثمة سبب آخر هو أن النوبيين يحبون بيعتهم السمر والتجوال ولديهم حب استطلاع س له نهاية لمعرفة بلاد جديدة وشعوب جديدة كر بعضهم ان هناك نوبيين يعيشون في دول امريكا روبا ويعملون ميكانيكيين وبحارة وطهاة على واخر وفي المطاعم الفاخرة والفنادق المنتشرة في كل ان

فإذا ربطنا بين السببين ، وأضفنا إليهما عدم قيام ناعات بالمنطقة الأصلية ، نجد أنه كان لزاما على حال الأشداء والشباب أن يبحثوا لهم عن مهنة في دن المصرية والسودانية الكبيرة وبدأوا نسبون عيشهم من أعمالهم في الحراسة وأعمال لهى والبحر ، خاصة مع ما يتمتعون به في كل ان ذهبوا إليه من سمعة طيبة وأمانة وطهارة . . وفي الحقيقة ان من يتعمق في التعرف على اتهم وتميزهم يجد فيهم الصديق الوفى الذى لا ى الجميل أبدا

قال لنا ناظر المدرسة

لقد اتسع نطاق الهجرة وراء العمل مع توالى غمر ه للأراضي النوبية ، وعلى مختلف المراحل منذ رت بلاد النوبة خزانا للمياه لصالح الاراضى الزراعية في شمالها بعد بناء خزان اسوان ومع توالى ارتفاعات مناسيب المياه مع تعليات الخزان غرقت كل الاراضي الواقعة تحت المنسوب المائي ، وتوقفت نتيجة الزراعة النيلية على مدى انكشاف الاراضي وانحسار المياه عنها ، وإن استثنى من ذلك القرى التي انشئت بها جسور واقية ، وهي أبو سمبل وبلانة وأدندان وقسطل ، مما أدى الى احتفاظها بمعظم الأراضى التى تعتمد الزراعة فيها على الرى باستخدام السواقي ، كما استثنى منها القرى التي انشئت بها مشروعات الري الدائم والموسمى وغيرها في المنطقة الكنزية . ونتيجة لكل ذلك تعرضت بلاد النوبة لخسائر كبيرة في الأراضي الزراعية والسواقي وأشجار النخيل وغيرها من الأشجار والمساكن في كل مرحلة من مراحل بناء وتعلية خزان اسوان وتأثرت بالتالي تربية الماشية نتيجة لارتباطها بالزراعة ومن ثم لم تكن الخسارة مقتصرة على الأراضي الزراعية وإنما كانت أيضا بالنسبة لمصدرين مهمين من مصادر الدخل هما النخيل الذى كان يحقق دخولا طيبة تغطى إلى حد كبير النقص في نتاج الاراضي الزراعية ، وتربية الماشية وهكذا كانت الاستجابة الطبيعية لهذه الظروف الاقتصادية هي زيادة معدل الهجرة للعمل في المدن

المهاجرون الأوائل

الحقيقة أن كل من كان يقدر على العمل في المدينة كان يهاجر اليها دون أن يقيد الآباء رغبته لضرورة بقائه في القرية لوجود غيره من أعضاء عائلته خارج المجتمع النوبي ، فقد كان من الضروري بقاء أحد أفرادها الذكور الذين يستطيعون الاشراف على مختلف شئون العائلة وقد تميزت هجرة النوبيين بطابع معين من حيث الاتجاه الى المدن التي يتحدها النوبيون مراكز للعمل ، وبالتالي للاقامة والاستقرار فيها فسكان كل قرية مرتبطون بمدينة معينة من المدن المصرية والسودانية يتجه إليها كل من يرغب من سكانها في الهجرة للعمل ، فالمهاجرون مثلا من قرى معينة كانوا يتجهون الى الاسكندرية ، بينما من قرى أخرى يتجهون الى القاهرة وغيرهم إلى السودان ويرجع هذا التحديد لاتجاه الهجرة للعمل من القرى النوبية الى المهاجرين الاوائل . فالشخص من مهاجري الجيل الأول يعتبر نقطة ارتكاز أو مركز جذب لأعضاء مجتمعه المحلي تجاه المدينة التي يعمل بها

● إحدى فتيات النوبة تعمل أمام لوحة النسيج

● سيدة نوبية تعد الطعام أمام « مصطبة » الدار

فلم تكن التزامات الشخص الذي يعمل في المدينة مقصورة على تقديم المساعدات المالية والعينية لاقاربه في القرية ، وإنما كان لزاما عليه مساعدة الغير في البحث عن العمل ، سواء من أقاربه أو من سكان قريته حين يلتجيء اليه ويرغب في العمل ، فضلا عن تحمل عبء إقامته الى حين تسلم العمل . ولم يكن المهاجرون الأوائل ينتظرون التجاء القادمين اليهم أو ابداء الرغبة في العمل عن طريق المراسلة ، وان كان الشخص المقيم يرسل في طلب حضوره الى المدينة عندما تكون هناك فرصة للعمل . وكان من السهل على المهاجرين الأوائل إيجاد العمل لغيرهم لأن أعمالهم كانت حراسة المنازل والخدمة فيها وفي المحلات العامة والأندية . فكثيرا ما يشمل مكان العمل الواحد عددا من مختلف هذه المهن تربطهم روابط القرابة أو رابطة الانتماء الى مجتمع محلي

ويتضح هذا من السبب الاساسي الذى أدى بالنوبيين الى تكوين جمعية القرية في المدينة ، إذ كان الغرض الرئيسي من إنشائها هو توفير مكان لاستخدامه مقرا لاقامة الوافدين من القرية الى حين الالتحاق بالعمل . وهكذا أصبحت هناك مدن بالذات مركز تجمع واقامة لاشخاص من قرية واحدة . ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد ، وإنما تتكتل مساكنهم في حي واحد من احياء المدينة

ويعتبر هذا التجمع والتكتل السكني لأعضاء المجتمع القروي الواحد احد العوامل الرئيسية لاستمرار علاقاتهم ببعضهم البعض ، خاصة أن هذا التجمع ناتج في الأصل عن التعاون لايجاد العمل المناسب للفرد ، ويعتبر استمرار العلاقات بين المهاجرين أساس ارتباطهم الوثيق بمجتمعهم المحلي ، وبالتالي لخضوعهم لمختلف الالتزامات الاجتماعية تجاه أقاربهم وغيرهم المقيمين في القرية .

ايجابيات وسلبيات

ونواصل تجوالنا في قرى النوبة الجديدة . أول ما يلفت النظر هو التوسع الأفقي للمباني وكلها ذات طابق واحد ، ويندر أن يكون هناك بيت من طابقين . وقد تم بناء المساكن وفق أربعة نماذج تتفق وعدد أفراد الأسرة عند بداية التهجير . فأحدها يتكون من حجرة واحدة لفرد واحد ، والثاني من حجرتين لفردين أو ثلاثة ، والثالث من ثلاث حجرات للاسرة التى تضم ٦ افراد ، والرابع من أربع حجرات لمن يتجاوز عددهم ستة أفراد . وكل

● مجموعة من الفتيات يحملن صفائح الماء لترويد البيوت بمياه الشرب

من هذه المساكن بملحقاتها معها حظيرة للحيوانات والدواجن وتتكتل مساكن كل نموذج في قطاع واحد مما أدى الى ان تتميز القرية بثلاثة أو اربعة أقسام سكنية واضحة

ولكن هذا لم يمنع الأهالي من التوسع العمراني بالجهود الذاتية التي يقولون انها أدت الى إضافات تجاوزت ٧٥٪ مما كان عليه الحال عند التهجير فقد قام الأهالي بتوسيع بعض البيوت واستغلال الارض الفضاء المجاورة لها بين كل مسكن وآخر كما أن البعض استغل مساحات من الأراضي لاقامة مساكن أخرى على نفس النمط الذي كان سائدا في الوطن الأصلي بحيث أصبحت هذه المساكن بيوتا نموذجية تمثل الصورة التي كانت عليها النوبة القديمة من أمثلة هذه البيوت النموذجية دخلنا البيت النموذجي الذي دعانا إليه المهندس عمر محمدين رئيس الوحدة المحلية لقرية ابو سمبل .

البيت يتكون من مدخل يفتح على مضيفة رئيسية واسعة أو « ديوان » كما يسمونها ، وهي مفتوحة من الناحية البحرية لتستقبل ريح الشمال والى الجانب الأيمن مجموعة من الحجرات لبيت الضيوف . . ويفتح الباب الداخلي بعد ذلك على فناء واسع مفتوح على حوانبه عدد من الحجرات

والبيت على بساطته نظيف لا ترى فيه من فتحات سوى الأبواب ونوافذ صغيرة للتهوية في أعلى الجدران أما الواجهات فمزخرفة بنقوش من الجير أو بقوالب من الأحجار تبرز من الجدار في أشكال مثلثة أو مربعة . أما السقوف فهي من الطوب حيث يتجنبون استعمال الخشب خوفا من حشرة « القرضة » ذات النهم الى أكل الأخشاب وهذه السقوف تتخذ شكل قبو يكبر أو يصغر بحسب مساحة « الغرف » ، أما الجدران الداخلية فتزين بأطباق مصنوعة من الصيني وغالبا ما تحتوى على زخرفة ملونة أصلا أو تزين بأطباق من القش والخوص الملون و« الشعاليج » والأبراش والمعلقات أو الخرز والأحجبة ، الى جانب الوحدات الهندسية المرسومة بالالوان . وتتميز بعض البيوت بالنحت الزخرفي البارز في تزيين حوائط الديوان الثلاثة مع زخرفة المزالج الخشبية للأبواب بوحدات هندسية تتراوح بين الدائرة والمثلث . . وهذه الوحدات الزخرفية المستخدمة تعتبر استمرارا وتأثرا بفن الزخرفة المصرية القديمة

على ان هذه الزخارف والزينات تفتقر إليها اغلب

البيوت في القرى . . ولم تعد الصورة المميزة التى شهدناها قبل سنوات التهجير في النوبة الأصلية موجودة بشكلها التقليدي البارز في المساكن الحالية فقد شملها التغيير الذى تأثرت به المجتمعات الثلاثة في الأرض الجديدة

عن الزراعة نجد أن الارض الزراعية خصص جزء منها للتوزيع والتمليك على النوبيين في حين عرضت بقية الأراضي للبيع لهم ولغيرهم من سكان القرى والعزب الصعيدية المجاورة وقد تجاوزت مساحة الاراضى الزراعية ١٥٠ الف فدان ممتدة إلى مسافة ٨٠ كيلومترا داخل صحراء كوم امبو الشرقية وقد تم توريع الاراضي ثم تمليكها للاسر النوبية ، وخصصت لتمليك أصحاب الاراضى الزراعية في القرى الاصلية ارض تساوي في مساحتها الأراضى محل التعويض ، أما الأسر التى لم تكن تملك أرضا رراعية وكانت تعمل بالزراعة فخصصت لها مساحة من الارض تم تقديرها بالنسبة لعدد أفراد الأسرة وبحد أدنى فدان واحد قد تصل الى فدانين

وتسدد أثمان الأراضي والمساكن المملكة على أقساط سنوية لمدة أربعين عاما وبدون فوائد

وقد روعي عند توريع الأراضي التى تم استصلاحها أن يقتصر التوريع على الأسر المعدمة التى ليس لها مصدر للررق إلا الزراعة ، واقتصر توزيع المعونة المالية والعينية التى حصصت لكل اسرة على تلك الاسر فقط أما بقية الأسر من تجار وموظفين فجرى تسليمهم الأراضي بعد انتهاء التوريع بالنسبة للاسر الرراعية وتخضع الزراعة لنظام الدورة الرراعية التى يوجهها قصب السكر باعتباره المحصول الرئيسي

في مدينة نصر العاصمة الجديدة أنشىء مستشفى عام وأقيمت مجموعات صحية في بعض القرى بالاضافة إلى وحدات اجتماعية قروية ولا تخلو قرية من قرى النوبة من مركز تدريب على الصناعات الريفية والبيئية والمشغولات ، مع مشغل في كل قرية لتعليم الفتيات تلك الصناعات وأعمال التطريز ، وألحقت بكل وحدة اجتماعية دار للحضانة ومركز لتنظيم الأسرة وتنفيذ برامج التوعية الاسرية ، واختيرت رائدات للقرى دربن على مختلف الاعمال ، وكذلك أقيمت مراكز لأعمال التجارة وصناعة السجاد والاجهزة لتدريب الفتيات اللاتى يمنحن مكافآت شهرية وقد تم إنشاء وتوزيع شبكة للمياه النقية لتوفير مياه الشرب النقية داخل القرى وأنشئت في القرى مراكز للشـ[...] لتدريبهم على القيام بالاشراف والتوجيه في [...] نواحي النشاط واختيار القادة المحليين منهم و[...] كل قرية أنشئت جمعية للاصلاح الاجتماعي تقتصر المضوية فيها على سكان القرية ويختار أعضاء مجلس إدارتها من بين هؤلاء الاعضاء حتى يمكن لسكان كل قرية تنظيم وتوجيه الحياة الاجتماعية داخل قريتهم على أن يقتصر دور موظفى الادارة على الارشاد والتوجيه فقط

لماذا القلق ؟

على ان كل ذلك لم يمنع ان تسود في أعماق الكثيرين مشاعر القلق وعدم الطمأنينة سمع ذلك من الكثيرين ممن التقيناهم وخاصة في قرية أبو سمبل الجديدة قال لنا سيد مكى احد كبار أبنائها

لاشك أننا وجدنا مزايا في موطننا الجديد كما كانت هناك مزايا أخرى في أرضنا الأم

ورغم أنه مضت علينا سنوات عديدة من عام ١٩٦٤ الى ٨٦ إلا أن الكبار الذين عاشوا حياتهم السابقة في الوطن الأصيل عجزوا تماما عن التكيف مع البيئة الجديدة ومع ذلك فنحن لا ننكر الميزات التى نلقاها هنا وخاصة من الناحية التعليمية لقد كان التعليم هناك بسيطا وكانت لدينا مدارس ابتدائية قليلة العدد تتباعد بعضها عن بعض في القرى المترامية وكانت هناك مدرسة ثانوية واحدة الآن توجد مدارس ثانوية ومدارس اعدادية وابتدائية وبعدد كبير كل أنواع المدارس موجودةوفي متناول أيدى كل سكان القرى وعلى بعد خطوات منهم وفي محيط كل قريتين أو ثلاث توجد مدرسة ثانوية ، كما توجد مدرسة صناعية ومدرسة زراعية في مدينة نصر وفي عنيبة ، علاوة على المدارس الصناعية والزراعية القريبة من كوم امبو وأسوان ، وقد يسرت المواصلات عملية التعليم بشكل كبير

علاوة على ذلك فالأراضي الزراعية في متناول الجميع كل مزارع يملك فدانا واثنين وحتى خمسة بينما لم يكن أي منهم يملك في الارض القد[...] إلا قراريط

رغم كل ذلك ما زلنا نشعر بالكثير من الق[...] بالنسبة للحياة الجديدة التى لم نتكيف عليها بعد برغم أن أبناء الجيل الجديد لا يحبذون العودة ا[...] الأرض القديمة ، وهم يتمتعون الآن بمظاهر الحضارة الجديدة التي يجدونها هنا .

التنمية والتغيير

عكس ذلك بالضبط نسمعه من المهندس الزراعي عمدين عثمان رئيس الوحدة المحلية لقرية ابو سمبل

لقد كانت الحياة في النوبة الأصلية تتسم بالبساطة فالأعمال التي كان يتطلبها أي نشاط انتاجي قليلة فضلا عن عدم وجود درجة كبيرة من التمايز فيما بينها ، وكان الانتاج يعتمد على مهارة عدد قليل من المنتجين إن لم يتول أحدهم العمل من بدايته إلى نهايته ، ويرتبط كل ذلك بالتقسيم الطبيعي للجنس والعمر

أما عملية التنمية الاقتصادية فتفرض تنظيما جديدا للعمل وتقسيمه نتيجة للعمليات الجديدة التي تستخدم بها الآلات والأدوات والأساليب الفنية ، وهذا كفيل بأن يؤدى الى إحداث تغيرات في المجتمع ، لعل أهمها زيادة التخصص وتقسيم العمل وظهور ظروف جديدة للحياة وامكانات جديدة لاستخدام الموارد الطبيعية لتقابل حاجة المجتمع وشعبها ثم إن ازدياد حجم السلع والسوق الجديد يؤدى الى مجموعة من العلاقات غير المباشرة التي تتميز بالفائدة والربح وهي لا تخضع لاعتبارات المركز والاعراف والاخلاقيات

وقد أدى انتقال القرى النوبية الى اختلاف الظروف البيئية والجغرافية للمنطقة الجديدة عما كانت عليه تلك الظروف القديمة التي كانت تحكم بناء المجتمع النوبي في المنطقة الاصلية

كما أدى ذلك الانتقال الى تغير التوزيع الاقليمي للقرى وتكتل وتجمع سكان القرية في مكان واحد ، وتلاشى انقسامها الى وحدات اقليمية اجتماعية هي (النجوع) ، واختفاء التكتل السكني المرتبط بالقرابة كما أدى الى سهولة اتصال سكان القرى خاصة القرى المتجاورة بعضهم ببعض وأدى ذلك بطبيعة الحال الى احداث تغيرات في المجتمع النوبي إذ أن الظروف البيئية تؤثر في دائرة العلاقات الاجتماعية وكثافتها ودرجة قوتها داخل المجتمع

و ا من شك أن عملية التهجير أدت الى تعرض ... النوبي لعملية تنمية اقتصادية واجتماعية ، ... متضاها الاقتصاد النوبي من اقتصاد المعيشة ... الذي لا يقتصر على الاكتفاء الذاتي وإنما ... حجم الانتاج الزراعي نتيجة لربطه ... مي

والتنمية الاقتصادية يتعدى تأثيرها التأثير المباشر على المجالات الأخرى

ولكن الاقتصاد بطبيعته مصدر للتغيرات الهائلة التي تطرأ على بناء المجتمع حيث يرتبط استمرار وتطور البناء الاجتماعي ارتباطا وثيقا بما يحدث من تغيرات هامة في المجال الاقتصادي وعملية التنمية الاقتصادية تؤدى إلى خلق مجالات جديدة للعمل وتغيير موقف أفراد المجتمع من الاستهلاك وعلاقاتهم بمصادر الثروة ، الأمر الذى يؤدى في النهاية الى تكوين قيم جديدة ، وبالتالي ظهور العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الاقتصادي البحت وعندئذ يتعرض المجتمع للتغير

وأدى انتقال القرى النوبية واختلاف الظروف البيئية والجغرافية للمنطقة الجديدة إلى تغير في شكل النظم والعلاقات الاجتماعية في المجتمع النوبي عما كان عليه في المنطقة الاصلية

نداء وأمل

في نهاية حديثه يقول رئيس وحدة ابو سمبل

الأمور الآن تسير بشكل يبعث على الرضا ويبشر بمستقبل طيب ، خاصة إذا أمكن الاستفادة بجهود وأموال أبناء النوبة الذين يعملون في أنحاء الوطن العربي ولدينا مثل في منطقة أدندان وقسطل ونحن نسميها منطقة « الاوبك » فكل من بنوا فيها بيوتا يشتغلون في الأقطار العربية البترولية لهذا سميت بمنطقة الاوبك وقد أمكن لهؤلاء تعمير قراهم بشكل يستحق الاعتزاز كما تملكوا أراض زراعية جديدة ينفقون على استصلاحها ويشاركون بأموالهم في المشروعات الحيوية في القرى .

وكل هذا هو ما نتمنى ان يتم في كل مكان في النوبة الجديدة وما أكثر المشروعات التي يمكن أن يسهم فيها أبناؤنا الموجودون بالخارج إنهم يستطيعون استثمار أموالهم هنا في استصلاح الأراضى وفي مشروعات مصانع الملابس الجاهزة وتربية الأغنام والعجول وتسمينها ، وكذلك تربية الكتاكيت والحمام والارانب ولدينا مشروعات صناعية كثيرة تحتاج الى التمويل واستثمار الاخوة النوبيين لأموالهم في موطنهم بدلا من الاستثمار بعيدا عنه سيفيدهم ويفيد الآخرين . ولو أسهم الجميع بجهودهم وأموالهم فستعود النوبة لتصبح في موطنها الجديد . . . أرض الذهب . والتعاون . والحب . . . . □

في مصنع الشركة الألبان الدانماركية ، ينجز العمل باهتمام وحرص شديدين بدون كلل أو ملل ، وتسير جميع عمليات التصنيع بداية بالخلط ، وانتهاء بالتعليب والتوزيع ، وفق نظام آلي ومخبري يضمن للمستهلك سلامة المنتجات .

صناعة الألبان في الكويت

استطلاع - ريم الكيلاني
ثريا البقصمي
تصوير : سليمان حيدر
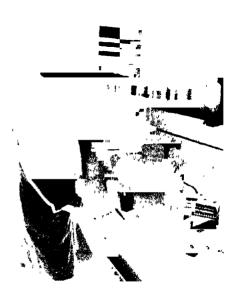
يبقى الغذاء حاجة أساسية وضرورة قصوى للانسان في كل مكان وعبر كل الأزمنة ، وأية أمة تسعى نحو الأفضل فإنها تدرك أهمية الغذاء وتعمل قدر المستطاع على توفيره واستمرار وجوده وتكامله ، ونقف هنا برهة لنتساءل : هل تستطيع دولة كالكويت بظروفهاالبيئية المعروفة أن توفر عنصرا أساسيا منه كالحليب مثلا ؟ وهل هي مضطرة لايجاد صناعة في هذا المجال ومنتجاتها في النفط توفر لها إمكانية استيراد أنواع الأغذية المختلفة ومنها الحليب ومشتقاته ؟ .

إن الكويت برغم مداخيلها المالية العالية تبقى ذات مساحة وكثافة سكانية قليلتين نسبيا، ومن ثم فإنه يبدو من الصعب أن تنتج غذاء من أهم أنواع الأغذية وهي لا تكاد تمتلك من مقومات الزراعة إلا القليل. قد يبدو الأمر للوهلة الأولى لغزا يصعب حله ، ولكن هناك قضية مهمة لابد من توكيدها ، تتمثل في المحاولة الحقيقية والجريئة التي تم اتخاذها في الكويت من أجل بلوغ كثير من الأهداف دون الاعتماد على النفط كمصدر وحيد للحياة

القضية المهمة

يدور الحديث دائما في عصرنا هذا حول الأمن الغذائي ، وحول ضرورة توفيره في أقطار العالم الثالث فماذا يعني الأمن الغذائي ؟ وهل تستطيع كل دولة أن توفر كل ما يحتاجه أبناؤها من الغذاء ؟

قد يكون ذلك ممكنا بشكل أو بآخر في الدول التي تجري فيها الأنهار وتسقط الأمطار فيها بغزارة ، وتحظى بتربة صالحة للزراعة ، فكيف يتحقق الامن الغذائي في بلد مثل الكويت بصيفها القائظ وشتائها الذي تقل فيه الأمطار ؟

يقول الدكتور توحيد الصمي خبير الاقتصاد الزراعي في المعهد العربي للتخطيط

قد يكون البحث في قضية الأمن الغذائي أمرا شديد التعقيد،ولكننا لو عرفنا ما لهذه المشكلة من أبعاد وآثار ناجمة عن عدم التوازن بين الموارد الطبيعية وبين السكان لوجدنا ضرورة القيام بدراسة مستفيضة من شأنها حل مشكلة الغذاء خاصة في الدول النامية قالوا قديما « ان الحاجة أم الاختراع » والكون مليء بالموارد المكتشفة والكامنة والمهم دائما هو كيف يمكن للانسان أن يوفر أفضل استخدام واستثمار ممكن للموارد المتاحة بشرية كانت أو مادية

إن اعتمادنا كأقطار نامية ـ على الواردات يعني بالتأكيد أن أمننا الغذائي في خطر لارتباطنا بانتاج ومخزون الاقطار المتقدمة

ويستطرد الدكتور الصمي قائلا

« إذا أردنا التحدث عن هذه القضية فلابد ان نذكر أولا أن الأمن الغذائي هو قدرة الدولة على مقابلة مستويات مستهدفة من الغذاء في فترة مستقبلية

والكويت من خلال دعمها للانتاج المحلي لبعض السلع الغذائية الرئيسية وحرصها على توفير مستلزمات الانتاج ، ستساعد على ايجاد وفرة من تلك السلع الغذائية ، التي هي محل اهتمام مما يؤدي الى زيادة الاقبال على ما هو معروض منها محليا ومنها منتجات الألبان

وهذا يعكس قدرة الدولة على تحقيق جزء من الأمن الغذائي في تلك السلعة وخاصة أن الكويت بلد صحراوي يكاد يكون إنتاجه الزراعي محدودا جدا صحيح أن الطقس والمناخ هما عاملان من

عوامل كثيرة متشابكة تؤثر على الانتاج الزراعي ، ولكن هناك أيضا الامكانيات الزراعية والكلفة الاقتصادية،وهما عاملان رئيسيان في قضية الأمن الغذائي،هذا إلى جانب العمالة ورؤوس الأموال والمحصنات،والآلات والتطبيق الناجح للقواعد المتبقية في الزراعة،ونوعية المشروع والبحث العلمي الذي من شأنه رفع الانتاجية الزراعية ، ولكننا للاسف ما زال نعتمد على المعطيات الطبيعية كالتربة والمناخ والموارد المائية المتوفرة وهذا هو الفرق بين الدول المتقدمة وأقطارنا النامية

وقد حظيت مشكلة إنتاج الغذاء باهتمام بالغ في الكويت حتى أن الدولة باتت تنفق أموالا كبيرة لتسويق المنتجات المحلية ودعمها وتشجيع المنتجين على الاستمرار في إنتاجهم مما يشكل حافزا قويا لاصحاب المزارع والشركات لزيادة الانتاج،ولقد تحققت زيادة الانتاج من ناحيتين زاد عدد المنتجين اولا ثم ازدادت كميات الانتاج من الحليب والالبان الطازجة ومشتقاتها

ويضيف الدكتور الصفي

إن لدى الكويت بعض المزايا النسبية التي تستطيع بواسطتها أن تحقق أمنا غذائيا . وذلك من خلال استثمار الثروة السمكية المتاحة وخاصة أن للكويت شواطيء ممتدة أما بالنسبة لجانب الانتاج الحيواني ، فإن الحكومة تدعم الجهود الانتاجية لتطوير الثروة الحيوانية ومنتجات الألبان الطازجة منها على وجه الخصوص وهي تحاول أن توفر خبرات فنية وتستخدم تقنيات حديثة مثل الزراعة المحمية والزراعة بدون تربة لاستزراع بعض السلع التي يتم إنتاجها محليا ، كما توسعت في استخدام تلك الأساليب بعدما تأكدت من الجدوى الاقتصادية لمثل ذلك التوسع وينهي الدكتور الصفي حديثه قائلا .

« إن إمكانيات تحقيق الأمن الغذائي متوفرة بالنسبة لدولة الكويت في بعض السلع الغذائية ، وأن امكانية الاستثمار الزراعي من خلال مشاريع عربية مشتركة سواء في إطار دول مجلس التعاون الخليجي أو على المستوى العربي بوجه عام قائمة أيضا مما يؤدي إلى زيادة الفرص المتاحة لضمان الأمن الغذائي ، وأن توفر العوائد المعطية يعد عاملا مهما في تطوير المشاريع القائمة أو إقامة مشاريع جديدة في اطار استخدام التقنية الحديثة بحيث يتم تحقيق مستويات إنتاجية عالية

مفخرة صناعية

كانت عملية تربية الأبقار وإنتاج الحليب الطازج أمرا أشبه بالمستحيل ، فكيف لدولة كالكويت بظروفها البيئية والمناخية أن تمتلك قطعانا من الأبقار المنتجة أو الحلوبة طوال العام تكفي لتغطية حاجات المواطنين من تلك المادة الضرورية وهي الحليب ؟

ماكان موجوداً لم يكن يتعدى عددا بسيطا من الأبقار ترى في المنازل،وتحلب بالطريقة التقليدية اليدوية دون مراعاة لظروف النظافة والسلامة في بعض الأحيان

البقرة الميكانيكية

يقول السيد / عزت جعفر المؤسس الأول لصناعة الألبان في الكويت ورئيس مجلس إدارة شركة الألبان الكويتية الدانماركية كان لابد أن نجد مخرجا لهذه الأزمة ، وعدد الأبقار المصابة بالبروسيلا (١) في تزايد ، وكنت أبحث دائما عن وسيلة من شأنها أن توفر لنا هذا النوع من الغذاء بعيدا عن الجراثيم وبأسلوب صحي عصري

وبينما كنت أتصفح احدى المجلات الأجنبية قرأت موضوعا بعنوان « البقرة الميكانيكية » ، ولما كان اهتمامي منصبا على صناعة الحليب فقد أخذت في متابعة الموضوع حتى آخر كلمة فيه .

كان يحكي قصة إعادة تكوين الحليب باستعمال الحليب المجفف والمقشود وكانت هذه القراءة هي نقطة البداية،والخطوة الأولى التي بدأنا
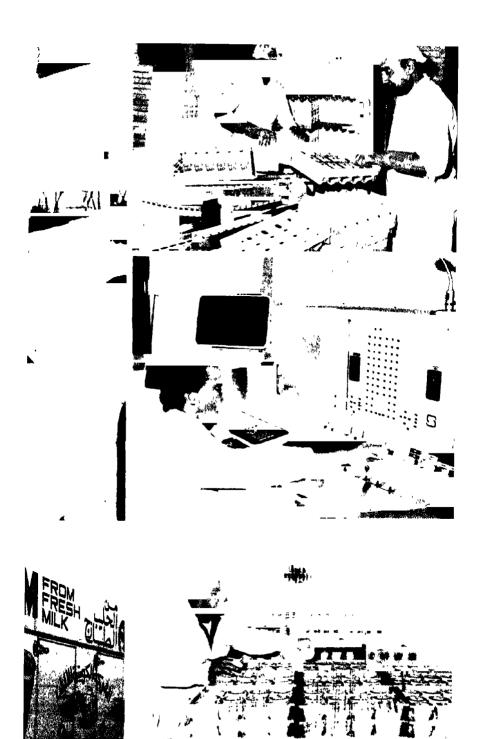
الشركة الكويتية للألبان الطازجة ، مزارع حديثة للأبقار ، مراقبة الكترونية متطورة ، حاصات روب مبردة ، وخدمة منزلية لكي يكون كأس الحليب الدافىء على مائدتك صباحا

منها هذا المشوار الطويل

كانت بداية المشوار في عام ١٩٦٢ حين تأسست شركة الألبان الدانماركية الكويتية برأسمال كويتي دانماركي مقداره ٢٠٠ الف دينار ولما كانت خبرتنا في هذا المجال ضئيلة فقد اتجهنا للاستعانة بخبرات الشريك الأجنبي في مجال إنتاج الألبان لاقامة هذا المشروع الذي كان يعد الأول من نوعه تقريبا في أقطار الوطن العربي

كانت البداية مصنعا صغيرا في الشويخ للحليب واللبن والمثلجات (الأيس كريم) ولكن الطموح كان أبعد من ذلك بكثير كان لابد من توسيع هذه الصناعة وتطويرها والارتقاء إلى المستوى الذي يتناسب وحاجة الأفراد ، فقمنا ببناء مصنع جديد لزيادة وتنويع الانتاج ، ومع اكتساب الخبرة أمكن الاستغناء عن الشريك الأجنبي لتصبح الشركة كويتية تماما عام ١٩٨٣

للشركة اليوم مصنعان، أحدهما لصناعة منتجات الألبان ويقع في منطقة صبحان الصناعية على أرض تبلغ مساحتها ٣٤٠٠٠م٢ وهو متخصص في إنتاج الألبان والأجبان وعصير الفواكه الطبيعي ، ومصنع للبلاستيك لصناعة العبوات اللازمة للألبان والأجبان والمثلجات بمختلف الأحجام والأشكال ، وكانت تلك خطوة ضرورية لتوفير الوقت وتقليل نفقات استيراد هذه العبوات

وعليه فقد قمنا باستيراد آلة صنع هذه العبوات وتركيبها، كما عملنا على شراء المتاح من المواد الخام بحيث يصبح المصنع قادرا على تغطية الحاجة الحقيقية للشركة من الأوعية البلاستيكية وهي ٢٫٥٠ مليون كوب في السنة ، أي أننا ننتج ٣٠٠ قطعة في الساعة قياس « ١ و ٢ و ٤ و ٦ ليتر » كذلك ألحقنا بمصانعنا وحدة متخصصة لتنقية وتقطير المياه اللازمة للانتاج ، وتخضع هذه المياه قبل استعمالها إلى فحوص مخبرية للتأكد من سلامتها ونقائها

والمصنع الثاني خاص بصناعة المثلجات « وأقماع » البسكويت ويقع في منطقة الشويخ الصناعية على أرض تبلغ مساحتها ١١٢٥٠م٢ ، والمصنعان مجهزان بأحدث المعدات والآلات

إن ما يميز منتجاتنا ويجعلها صالحة لمدة أطول أنها جميعا معبأة بعبوات مغطاة بصفائح من الألمنيوم تمنع دخول الهواء والبكتريا الضارة إليها ، مما يساعد هذه المنتجات على الاحتفاظ بجميع خصائصها الغذائية

إنتاج متنوع لأذواق مختلفة

ويحدثنا السيد جراهام بوليتي مدير الانتاج بشكل أكثر تفصيلا عن العمل الانتاجي في الشركة يقول السيد بوليتي

« إنتاجنا من الألبان يعتمد على ذوق المستهلك ولا نبالغ إذا ما قلنا اننا نمتلك القدرة والامكانية لانتاج كل ما تحتاجه البلاد من الألبان حيث اننا نتسلم اسبوعيا من دائرة المبيعات قائمة بحاجة السوق من منتجات الشركة ونقوم بتلبيتها جميعها

إنتاجنا الرئيسي في الشركة هو الحليب المعقم والقشدة ، ولدينا قسم لانتاج سبعة أنواع من المشروبات الخفيفة والطبيعية لتلائم رغبات المستهلك يوجد كذلك قسم خاص للمنتجات التحويلية كاللبن الرائب والزبدة ، وقسم آخر لمنتجات الأجبان الطرية « وأجبان » البحر المتوسط » « واللبنة » . إن آخر وأنجح منتجاتنا هو معجون الطماطم الذي راعينا في انتاجه جودة المذاق والتعليب

وقد بدأت الشركة عملها بطاقة انتاجية لا تزيد عن ٢٠٠ ليتر يوميا زادت إلى أن وصلت اليوم إلى ٢٠٠,٠٠٠ ليتر يوميا كحد أقصى للانتاج ، وهذا يعني توسعا كبيرا في الطاقة الانتاجية للمصنع

ونحن في الشركة نقدم كل يوم دراسة جديدة ، وبحثا علميا لنعمل على تطوير العمل وتحسين الانتاج ومن أهم البحوث التي قدمت ولاقت نجاحا كبيرا وحازت على رضا المستهلك دراسة حول

انتاج الحليب السائل ليصبح صالحا لمدة طويلة لا تقل عن ستة أشهر دون الحاجة إلى تخزينه في مبردات . وكان تركيب وحدة التحكم بالكمبيوتر من أهم وأجرأ الخطوات التي اتخذت ، وهي الكفيلة بتأدية جميع عمليات التصنيع من مزج وخلط وتوزيع لكميات المياه،ودرجات الحرارة بواسطة شاشات جهاز الفيديو الذي يوضح للفني كل ما يجري في المصنع ، وهو في غرفة بعيدة كما يطلق هذا الجهاز إنذارا في حالة حدوث أي خلل في أي مرحلة من مراحل التصنيع .

مادتنا الخام في المصنع حليب الأبقار المجفف ، وهو من أجود الأنواع حيث اننا ننقيه من مصادره الطبيعية ، وفي كل الحالات نعمل على مضاعفة البسترة حيث يتم تعريض الحليب لدرجة حرارة عالية تصل إلى ١٤٥ مْ لمدة لا تتجاوز أربع ثوان ، وهذه الفترة كافية تماما للتخلص من كل البكتريا الضارة

وللحفاظ على سلامة منتجاتنا وملاءمتها للاستعمال الآدمي نقوم بعملية التعليب رفق نظام دقيق ومتطور لمعدات التعبئة حيث يتم استعمال نوع خاص من الورق المقوى المكسو بطبقة من صفائح الألمنيوم ، وهي عبوات محكمة الاغلاق تماما ، وتؤمن حماية جيدة للمنتجات

تقنية عالية

ولما كان الحاسب الآلي « الكمبيوتر » هو الرئة التي من خلالها يتنفس مصنع شركة الألبان ، فقد كان لابد من الاطلاع على الآلات والأجهزة المستخدمة في التصنيع التي يعتبرها كل العاملين الشريان النابض بحياة وصحة كل المنتجات يقول السيد معتز جعفر مدير الحاسب الآلي في الشركة « قبل تشغيل أية آلة تصنيع أو انتاج نقوم بالتأكد من سلامة المواد الخام حتى لا تسبب عطبا في الآلات،ويتم الاشراف على العمل الآلي في الشركة فنيا بواسطة أجهزة الحاسب الآلي حيث يمر هذا النظام بثماني مراحل ، إذ يعطى كل جهاز معلوماته إلى الجهاز التالي إلى أن يصل إلى الجهاز الأخير ، حيث تكون كل المعلومات المطلوبة عن سير الانتاج قد بلغت النهاية مما يؤكد سلامة سير العمل وعدم وقوع أي خطأ »

وقد قمنا بجولة في أرجاء المصنع اطلعنا خلالها على كيفية سير العمل،وبمرورنا على الأجهزة التي تشرف على مراحل التصنيع وجدنا وضوح صور الانتاج على شاشات تليفزيونية ، فلا تترك مجالا من مجالات الاشراف الفني إلا وتتابعه بدقة من أول مرحلة من مراحل الانتاج إلى أن يخرج معلبا جاهزا للتوزيع

ولا تقتصر المراقبة على الانتاج فقط بل تشمل مرحلة ما قبل الانتاج وما بعده

ويضيف السيد معتز « نحن مثلا نراقب كمية المياه التي نستعملها كما نراقب كمية الانتاج التي تخرج من الآلات خلال كل دقيقة لنتعرف على مستواها وصحة تركيبها ، فإن حدث ما يخل بمستوى الانتاج وتم اكتشافه في مرحلة متأخرة قمنا فورا بوقف العمل وبحثنا عن أسباب الخلل وعملنا على إصلاحه

ونقوم باستبعاد كل المنتجات التي يقل مستوى جودتها عن المقاييس والمعايير التي وضعتها الشركة لمنتجاتها

ولما كانت أنظمتنا وأجهزتنا من أرقى وأحدث ما أنتج في العالم،إضافة الى نظام الصيانة المستمرة من قبل الفنيين ، فإن منتجاتنا تتمتع بجودة عالية خالية من أية شوائب أو بكتريا ضارة

فلو حدث خلل في خزان الماء أو العصير أو أن غطاء أحد الخزانات لم يكن محكما أو مكشوفا ومعرضا للتأثر بالأحوال الجوية ، فسرعان ما يعطي الحاسب إنذارا للمشرف ليقوم بوقف عملية الانتاج فورا وإصلاح الخلل حيث يوجد،قبل وقوع أية خسائر أو أضرار

يبدأ العمل في المصنع مثلا في ساعة مبكرة ويستمر الى الثامنة مساء حيث تبدأ بعدها عمليات إعداد وصيانة بعض الآلات لليوم التالي

مراقبة صحية

من المعروف ان المستهلك هو الحكم الأول والأخير في تقدير مدى نجاح اية سلعة ، وكلما كانت السلعة تتمتع بمذاق جيد وقيمة غذائية عالية زاد عليها الاقبال عليها وارتفعت معدلات الاستهلاك ، ومن ثم الانتاج ، ولما كانت شركة الألبان الكويتية الدانماركية شديدة الحرص على سلامة منتجاتها لتظل محل اهتمام وطلب ، فقد اوجدت قسما خاصا لمراقبة الانتاج والاشراف على جميع منتجات الشركة للتأكد من سلامة المواد الخام ومواكبة عملية التصنيع والتعبئة والتخزين قبل التوزيع

يقول السيد راي جودفري مسئول المختبر الكيميائي في الشركة « نحن نقوم بفحص عينة من كل منتج للتأكد من ملاءمته وتطابقه مع أذواق المستهلكين وتجري كل فحوصنا الصحية والمخبرية على المنتجات قبل توزيعها على السوق

ولا أنكر أن مصاعب كثيرة كانت تواجهها عند اكتشاف أي خطأ حتى ولو كان بسيطا في أي من منتجاتنا ولكننا لا نتوانى عن تصحيح الخطأ أو التغلب عليه وغالبا ما نقوم باتلاف المنتج اذا تعذر ، تلافي ما وقع من اخطاء أثناء انتاجه ولابد أن أشير هنا الى ان كل منتجاتنا تتم آليا ولا تمسها يد بشرية

ان تسرب أي نوع من البكتريا من خلال الآلات إلى المنتجات يعني فساد المنتج ، وفي مثل هذه الحالة نوقف العمل إلى أن يتم إعادة إصلاح الآلة وتعقيمها قبل استعمالها ثانية

إن عملنا هو آلي على درجة عالية من التقنية العلمية ونحن نتابع العمل بكفاءة عالية على المستويين الصحي والكيميائي ، وفنيا على المستوى الميكانيكي المتطور والعاملون في المختبر جميعهم من خريجي الجامعات المتخصصة في هذا النوع من التحليلات وهم على درجة عالية من الكفاءة

قامت صناعة الألبان في الكويت على الحليب المجفف بعد أن كانت إمكانية توفير الكميات المناسبة من الحليب الطازج أمرا يكاد يكون مستحيلا حيث ان ظروف البيئة لم تكن تساعد على توفير الكميات الكافية منه وكانت الأبقار القليلة العدد التي تربى في المنازل ، لاتفي بحاجة السكان من الحليب وتشكل خطورة في نقل الأمراض المختلفة الى الناس احيانا

لقد كان أمر اقامة صناعة ألبان من الحليب الطازج حلما طالما راود خيال بعض أبناء الكويت ، ولكنه كان حلما مستحيلا أثر الزيارة التي قامت بها مجموعة من الخبراء الأجانب اطلعوا من خلالها على البيئة الكويتية،وظروفها المناخية وقرروا استحالة إقامة هذه الصناعة ، وكان هذا يعني أن تستمر الكويت في الاعتماد على استيراد الحليب ، وهو من أهم المصادر الغذائية والحقيقة أن مثل هذا القرار لم يكن يحمل في طياته إلا أطماعا استعمارية بغيضة

ولم تفتر همة الكويتيين برغم كل المعوقات التي ذكرها الخبراء الأجانب ، بل واصلوا مسيرة التحدي محاولين إقامة مزارع للأبقار تقوم على منتجاتها صناعة الألبان فيما بعد

بدأت الفكرة في الستينيات بعدد قليل من الأبقار لم يكن يتجاوز المائة بقرة تأسس بعد ذلك اتحاد منتجي مزارع الألبان في عام ١٩٧٨ الذي وضع قانونا صارما في مجال تربية وحلب الأبقار

وكان من أهم شروطه عدم السماح لأي حليب بالدخول الى المصنع واستعماله ، دون أن يكون تابعا للاتحاد ، كما فرضت ضرورة تقديم أجود أنواع الأعلاف وأفضلها وقام أعضاء اتحاد منتجي مزارع الألبان باستيراد الأبقار من هولندة ونيوزيلندة وأمريكا

ـ الدكتور عبد الرحمن السلمان

ـ السيد ياسر حمداش

التجربة والقرار

ما هي قصة هذا الاتحاد ، وكيف استطاع القائمون عليه أن يحققوا ما كان يوما مستحيلا ؟

يقول الدكتور عبد الرحمن السلمان من أوائل الذين احتضنوا فكرة تربية المواشي وتحمس لها التقيت صدفة عام ١٩٥٩ في الجامعة الأمريكية ببيروت بالأستاذ يحيى عنام المسئول عن الزراعة في الكويت ، والذي حدثني عن زيارة مجموعة من الخبراء الدانماركيين للكويت وقرارهم الذي أصدروه باستحالة إقامة صناعة ألبان ولما كانت دراستي ذات صلة وثيقة بعلاقة الحيوان بالبيئة وبالمؤثرات المناخية فقد عملت على وضع المعادلة التالية

على الرغم من الظروف البيئية القاسية فإن الانسان مايزال يعيش في الكويت وبما أن الحيوان يوجد حينما يوجد الإنسان ، إذن فلابد من وجود الحيوان ، وقررت أن أتحدى كل مخططات الاستعمار الذي يهدف دائما الى إبقاء بلداننا سوقا رائجة لمنتجاته

قامت تربية المواشي في بداية الستينات وكانت تابعة آنذاك لقسم الزراعة في وزارة الأشغال ، حيث تم استيراد عشرين بقرة من هولندا من نوع « حيرسي » « وفريزين »وتأسست بعدها لشركة الكويتية للألبان التي قامت بدورها باستيراد خمسين بقرة من النوع الدانماركي الأحمر

لم تكن البداية ناجحة تماما ، وتعثرت مسيرة الاتحاد بعض الشيء لأسباب عديدة منها عدم توفر حظائر عصرية واسعة وعدم إلمام العاملين بأفضل طرق التربية وأنواع العلف وأساليب الحلب ، ولقد كان لابد للمحافظة على المواشي الموجودة وزيادة تناسلها من تنظيم حملات للتوعية واستمرار الفحص البيطري على الأبقار للتأكد من سلامتها وخلوها من أية أمراض وبائية وتطعيمها

كما تم تنظيم برامج خاصة بيّنا فيها الطرق الصحية في الحلب وتعقيم الحليب ، وقد زاد بناء على ذلك ـ عدد المزارع في عام ١٩٦٨ وانتشرت في عدة مناطق في الكويت (خيطان ـ الشويخ ـ الفروانية) ولقد ارتأى الاتحاد ضرورة ضم هذه المزارع وجمعها في مكان واحد واختيار منطقة الصليبية لتكون موطنا للأبقار .

ولقد كادت أن تقع كارثة حقيقية عندما أصيبت الأبقار بمرض الطاعون البقري ، وأنقذت المواشي بإحصار لقاح خاص أسهم في الحد من انتشار الوباء

تطورت بعد ذلك عملية تربية الأبقار وخاصة بعد ما أبدت الحكومة استعدادها الكامل لدعم المربين والمنتجين للأبقار والحليب،فزاد عدد الأبقار من ألف الى ١٧ ألف رأس من البقر وازدادت المزارع من ٧ الى ٢٤ مزرعة وكان السبب الرئيسي في هذه الزيادة المطردة اختيار أنواع من الأبقار تستطيع أن تتلاءم مع ظروف الكويت المناخية

ويستطرد الدكتور السلمان كان الحليب آنذاك يسوّق في مزرعة واحدة وينقل في عبوات بدون تعقيم ، وفي عام ١٩٦٤ بدأنا بتعبئة الحليب في زجاجات ، وهي اليوم تعبأ في عبوات كرتونية ذات أوصاف عالمية

إن عملية البسترة والتعقيم التي تقوم على حليب الأبقار تضمن بلاشك سلامة الحليب وارتفاع قيمته الغذائية

الشركة الكويتية للألبان

بعد أن عشنا قصة التجربة كان لابد لنا من الاطلاع على ثمرة ذلك الانجاز الرائع

وعلى الجهود الانسانية المكثفة التي وضعت لتوفير عناصر غذائية هامة لاستمرار بقاء الانسان ووجوده ، ولهذا قمنا بزيارة الشركة الكويتية للألبان بمنطقة الصليبية حيث التقينا بالأستاذ « ياسر حداش » ، نائب المدير العام للشركة الذي حدثنا عن فكرة تأسيس هذه الشركة التي انطلقت بعد أن تأسس اتحاد منتجي الألبان الطازجة

في عام ١٩٧٨ وقد كان تعداد الأبقار في ذلك الوقت ٨,٥٠٠ بقرة بينما هو في الوقت الراهن ١٥,٠٠٠ بقرة حلوب وقد بلغ انتاجها في تلك السنوات ١٨,٠٠٠ ليتر ووصل حاليا الى ١٠٠,٠٠٠ ليتر وشركة الألبان هي الشركة الوحيدة التي تنتج الحليب الطازج ومشتقاته،وهذه المشتقات هي اللبن الخاثر ، والمجفف والقشدة والروب بأنواعه والمثلجات والجبنة ذات القشدة المضاعفة والجبنة المغلية بأنواعها واللبنة الحامدة ، وينتج الحليب بنكهات الفواكه المختلفة،والحليب بنوعيه الدسم والخالي من الدسم

عمليات البسترة

ويمر الحليب الطازج بعمليات بسترة وتعقيم ينتفي بعدها وجود أي نوع من الميكروبات إن الرقابة البيطرية الحكومية للأبقار وعمليات التطعيم واستبعاد الأبقار المريضة في حالة اكتشاف المرض ، كل ذلك يضمن للمستهلك سلامة الحليب الذي ينقل مباشرة من المزارع المحيطة بالمصنع ، ويخضع لعدد من الفحوص المخبرية للتأكد من سلامته

ترفع درجة حرارة الحليب الى ٧٥ درجة مئوية وتثبت لمدة ١٨ ثانية ثم تخفض الى درجة ٢ مئوية ، وهذا كفيل بالقضاء على الميكروبات الموجودة في الحليب،ثم يعلب في عبوات لها مواصفات عالمية ومحلية سهلة الاستعمال والفتح ، ويتم تعليب الحليب ومنتجاته آليا ، ويعمل في المصنع ٧٥ عاملا و ٣٠ فنيا ، وفي المصنع غرفة تحكم الكترونية يراقب الفنيون من خلالها كميات الحليب المصنع وعمليات تخمير الروب ، في الحاضنات الالكترونية

تتعاون وزارة الصحة معنا بشكل منتظم فتأخذ عينات من منتجاتنا يوميا ليتم فحصها في مختبراتها ، وكذلك يزورنا مندوبون من وزارة الصحة الوقائية باستمرار للتأكد من نظافة عمال المصنع

هل يتحقق الأمل ؟

ويبقى أمامنا الايمان بهدفنا والتخطيط له ومن ثم العمل على إنجاحه ، ويظل الأمل في تحقيق أمن غذائي محلي وعربي حلم كل عربي يدرك أهمية هذا الهدف ويعي الأزمة الاقتصادية التي تطرق بعنف أبواب القرن الحادي والعشرين □

البيت
العربى
مجلة الأسرة والمجتمع
● رسو
الأطفال
دلالات عن
● حبو
منع الح

قبل أن تعاقبي طفلك

رسوم الأطفال..

دلالات عنهم وفرص لتوجيه سلوكهم

إعداد : زينب الكردي

« نحطيء كثيرا عندما لا نرى في رسوم أطفالنا إلا أنها مجرد خطوط بلا معنى ، ونظل نطاردهم كي لا يلوثوا جدران البيت بهذه الرسوم ، فرسوم الأطفال هذه أكثر جدية وأهمية مما نظن »

أي مشاعر غصة نقية تلك التي تدفع بطفل لم يتجاوز الرابعة من عمره بعد،لأن ينقب هنا ، أو هناك عن قلم أو قطعة طباشير ، ليرسم بها « ماما » أو « بابا » أو « قطة» الجيران ؟ !

أي نوعية من العمليات النفسية أو العقلية تلك التي تفور داخله وهو مستغرق تماما مع خطوطه التي ينقشها فوق الجدران ، وجوانب الخزانات وخلفيات المقاعد ؟ !

تأمله وهو يقوم بعمله ، فالوجه منه حاد ، والأصابع التي تتحرك بحيوية وجرأة ، لتحط على الورق ، قد تبدو لنا نحن الكبار مفرطة في السذاجة ، إلا أنها مفعمة بسحر الألوان ، وبراءة الفؤاد . وبعد أن ينتهي يتراجع قليلا إلى الخلف ، ليتأمل خطوطه بإعجاب ، ثم يسرع إلى أمه ، ويجذبها في إصرار لتشاركه مشاعر الزهو والرضا ، فإذا بالأم تحملق في إحباط ، وقد تصرخ في وجهه

غاضبة وهي تغمغم متهمة إياه بالقذارة ، وسوء السلوك ، وتعب القلب

ويبكي الطفل بخيبة أمل ، ومرارة ، فقد عوقب في اللحظة التي كان يتوقع فيها الثناء ، أو على الأقل كلمة إعجاب ، إنه لا يفهم ـ بالضبط ـ لماذا ثارت أمه ، لكنه يدرك جيدا أن تلك الخطوط التي عوقب بسببها كانت في لحظة ما وسيلته الوحيدة في التعبير عن نفسه ، وعن رؤيته الطفلية لهذا العالم الذي يعيشه ، ويحاول اكتشاف تفاصيله ، ومصرداته ، وبلغته الوحيدة التي يجيدها في مرحلة لا يعرف فيها قراءة ولا كتابة

مثل هذه النوعية من الأمهات والآباء تتجاهل في غمرة ردود أفعالها الغاضبة أن الطفل قد يبدو ـ ظاهريا ـ أنه يرسم بدافع اللهو ، وأن خطوطه ليست أكثر من مجرد خطوط عشوائية لا معنى لها ، إلا أن الحقيقة هي أن كل خط يقوم برسمه ما هو إلا رمز من رموز لها دلالاتها التي تعبر بصدق عن طبيعته وما يشعر به أو يفكر فيه

تعبير عن رؤيته للعالم

الطفل في عملية إدراكه الكلي لحقائق العالم الذي يعيش فيه ولا يفهم تفاصيله،يلجأ إلى عملية التعميم الفني ، فيُسقِط الصفات الثانوية ، ويؤكد على الصفات الجوهرية المشتركة فقط ، بخطوط حرة حريئة ، لم تعرف الخوف بعد ، ولا تتقيد بحدود الزمان أو المكان ، وهو يتخذ من ذلك وسيلة فعالة ، يحقق بها عملية التكيف الاجتماعي ، فالرسم عند الطفل لغة تعبير ، وليست وسيلة لخلق شيء جميل ، ولعل هذا يفسر اهتمام الدول المتحضرة برسوم الأطفال ، واعتبارها وسيلة عملية مهمة في تكوين شخصية الطفل ، بل وتقويمه ، هذا الاهتمام الذي بلغ حد إعتبار هذه الرسوم سجلا كاملا ، يمكن الرجوع إليه لتشخيص أمراض الطفل النفسية ، وإحدى الوسائل في قياس درجة ذكائه ، ومعرفة قدراته النفسية والحسية والعقلية

فالطفل ـ خصوصا في مراحله الأولى ـ لا يهتم برسم ما يراه ، بل رسم انطباعه لما يراه هو ، أي رسم صورة انطباع الشيء في ذهنه ، وليس صورة الشيء نفسه ، ولهذا نراه ـ في تلك المرحلة ـ يهتم بالتفاصيل ، ثم يلجأ ـ في مرحلة تالية ـ إلى التسطيح ، وبعدها يتدرج بالخبرة والممارسة والثقافة البصرية المستمرة إلى الاهتمام بالنسب والزوايا والأبعاد

ما الذي يعنيه هذا الكلام بتوضيح وتركيز أكثر ؟

انه يعني أن رسوم الأطفال تخضع ـ كفن خاص بالأطفال ـ لتقاليد وقواعد خاصة ، فالطفل في سن الثانية مثلا وبسبب رغبته في تقليد الكبار يقوم برسم خطوط مشوشة وغير منظمة في البداية ، لكنها بمرور الوقت تأخذ اتجاهات مختلفة ، دافعها الإحساس العضلي ، بمعنى أنه يحرك يديه وأصابعه ، ويحاول السيطرة على الأداة التي يرسم بها ، ويمسك بها بين أصابعه ، وتتجه ـ عادة ـ خطوطه من اليمين إلى اليسار ، أو تأخذ ميلا واضحا ، وبالتدريج أيضا تبدأ خطوطه بأخذ شكل أفقي أو رأسي أو دائري ، وهذه التطورات لا تتم خلال أيام أو حتى شهور ، بل تأخذ وقتها اللازم حتى يصل إلى سن الرابعة ، وهي السن التي يبدأ فيها الاعتماد قليلا على خياله ، ثم يزداد هذا الاعتماد ، فنراه يحاول تجسيد تصوراته بهيئة رموز لها دلالات خاصة لديه ، ولهذا يتحمس لها ويطلق عليها أسماء خاصة

ومن المتابعات التربوية المستمرة لرسوم الأطفال لوحظ أن الطفل يبدأ ـ فيما بين الرابعة والخامسة ـ

برسم الانسان بشكل بدائي ، دون تفاصيل جوهرية أو ثانوية ، كما لوحظ أيضا أنه في تلك المرحلة يصبح أكثر نضجا من الناحية العقلية والبدنية والجسمية والاجتماعية ، وهذا ينعكس بالطبع على رسومه ، فنجدها ذات دلالات رمزية ، لكن بوعي أكثر ، إلا أنه رغم هذا النضج الذى بلغه يظل إحساسه بالزمان والمكان ذاتيا محضا ، ويظل استعماله للألوان ذاتيا ، بمعنى أنه يلجأ إليها لمجرد التفرقة والمتعة ، ويختار الألوان التي يريدها هو ، وليست تلك الألوان الموجودة في الطبيعة ، والتي يراها بعينيه ، إلا أنه بشكل عام - كلما تقدم في العمر ازداد تحكما في عضلاته وحركات أصابعه ، وعندما يصل إلى سن الخامسة - وهي السن التي يكون فيها مهيئا لدخول المدرسة - يصبح الانسان هو موضوعه المفضل في كل ما يبدع من رسوم ، كذلك نلاحظ أنه يحاول أن يكيف الخطوط محاولا الحصول على تأثير خاص ، كبداية لاتخاذه من الرمز وسيلة تعبيرية.وحتى سن الثامنة نرى أنه يرسم مايعرفه لا مايراه ، إلا أنه أكثر احساسا وصدقا في تسجيل التفاصيل

تطور الرؤية وتطور الأداء

لكن ماالذي تصبح عليه رسومه فيما بين التاسعة والحادية عشرة من عمره ؟

في هذه السن نلاحظ أنه قد تطور كثيرا من حيث قدرته على التحكم في الخط ، وفي رسمه للتفاصيل ، ومراعاته للنسب ، والأبعاد ، وأصبح يستعمل ألوانه باقتدار أكثر ، كما نلاحظ أن خطوطه تتسم بالحرية ، والتلقائية التي ينحني أمام شفافيتها وصدقها كبار رسامي العالم وفنانيه ، بل إن معظمهم يعترف بصراحة بأنه يتمنى أن يدفع نصف عمره ثمنا ، مقابل أن يرتد إلى التلقائية ولو للحظة ، والمؤلم أننا - آباء ومعلمين - نفسد هذه التلقائية ، ونقضي عليها تماما بحسن نية أحيانا ، أو بدافع الجهل في أغلب الأحيان كيف يكون ذلك ؟

ان الطفل في هذه المرحلة - وهذا يتوقف على تركيبته النفسية ، وظروفه ، ومستوى نضجه بالنسبة لعمره - يلجأ إلى التكرار والمبالغة ، ويلجأ أيضا إلى الجمع بين المسطحات المختلفة في حيز واحد وأهم تغيير يطرأ على رسومه في هذه المرحلة هو أنه يبدأ في النقل من الطبيعة ، ويرسم ما يراه وليس ما يعرفه ، ويتجه انتباهه للأشكال المتداخلة ، ويلاحظ المنظور ، ويبدأ في إستخدام التظليل ، لكن الغريب أنه فيما بين الحادية عشرة والرابعة عشرة تفتر الصلة بينه وبين الانسان في رسومه،وتتوثق أكثر مع الطبيعة بكل مافيها من سحر ، وغموض ، وجمال ، وكائنات حية . بدأ يتخلى عن نظرته الذاتية للأشياء ، وإن كان في رسومه يحاول أن يؤكد الحس الذي ينتمي إليه ، وبدأ أيضا يميز بين ماهو بعيد وماهو قريب بالخطوط والألوان ، ولم يعد يلجأ إلى المبالغة أو الحذف إلا مضطرا ، كما أحدث تلك الشفافية الرائعة التى كانت تضيء جوانب لوحاته تختفي بالتدريج ، لتحل محلها رؤية واقعية في اللون والمضمون

المساعدة وليس الضغط

يجب ألا نضغط على الطفل لكي يكون رساما بارعا ، لأن هذا ليس هو الهدف من التربية الفنية ،

بل يجب أن يكون هذا آخر شيء نفكر فيه ، فالطفل يرسم ليعبر عن نفسه أولاً ، ومهمة المشرفين على توجيهه هي تدريبه على الخامات الموجودة بين يديه ، وليس التدخل في أسلوبه بالتعبير ، فنحن نعطيه الخامة سواءً كانت ألوانا جافة أو ألوانا مائية ، كما نعطيه بعض عيدان الكبريت وعلبه ، أو أعواداً من القش ، وأوراق القص واللزق ، أو القواقع البحرية ، ونطلب منه أن يتصرف فيها بالشكل الذي يراه ، ولا نتدخل أو نفرض عليه أسلوباً معينا ، لكن علينا أن نساعده على الابداع بطريقته هو ، وبالشكل الذي يراه ، وليس بالشكل الذي نراه نحن ، وأيا كانت النتيجة يجب أن نظهر له الاعجاب ، ونثني على جهده ، فالتربية الفنية وسيلتنا لنحلق منه - على المدى البعيد - مواطنا صالحا ، يضيف للحياة ويثريها ، بدلا من أن يتقاعس بحجة عدم الامكانيات ،ولا يشمر عن ساعده مستغلا كل الامكانيات الموجودة لديه مهما كانت ضئيلة أو عديمة النفع ، وندربه منذ الصغر على أنه هو الذي يجعل للأشياء معنى وقيمة ، وأن بإمكانه حتى لو أصبح طبيبا أو مهندسا أن يقوم في بيته بدور النجار ، والسباك ومصلح الأحذية والصباغ الذي يحيل بيته إلى جنة ، لكن هذا لايعني أن نتخذ موقفا سلبيا منه ، بل علينا أن نشجعه ، ونظهر فرحتنا بأي إنجاز يقوم به ، وخلال عملية الابداع يجب ألا نتدخل بالنقد ، ولا نحاول التصليح بحجة التوجيه ، كما يجب ألا تبدو منا أي إشارة أو نظرة تعطيه انطباعا بالاستخفاف ، فعلينا أن ندرك أنه يعبر عن عالمه هو ، لا عالمنا نحن ، وأنه وهو يقوم بذلك صادق تماما ، وعلينا أن ندرك أيضا أن عملية التعبير ذاتها هي أهم ما في الموضوع ، بغض النظر عن النتائج ، فالطفل الذي يكون إحساسه الوجداني غير مكتمل سيكون تكيفه مع مجتمعه أيضا غير مكتمل ، وبالتالي فإن انتماءه وإحساسه بالمسئولية تجاه هذا المجتمع سيكون إحساسا ضعيفا باهتا في ذهنه وضميره

إن الطفل عندما يشرع في العمل - أي عمل - ينهمك ويستغرق فيه بمتعة فائقة ، لمجرد أن يرضي نفسه فقط أولاً وأخيراً ، ومن ابتسامة أمه المشجعة ونظرة الاعجاب من أبيه وعمه ، وأصدقاء أسرته يتأكد في أعماقه أن ما يقوم به شيء مهم ورائع ، مما يجعله يستمر في العمل محاولاً انتزاع مزيد من الاعجاب ، وبقدر ردة الفعل تكون توقعات النجاح ، والتفرد ، والابداع . وقد أكد علماء النفس والتربية هذه الحقيقة عندما قالوا بأن الانسان الناجح في حياته العملية هو ذلك الشخص الذي يمارس عمله بروح اللاعب العاشق للعبته ،وكلما أكدنا لدى الصغار هذه الروح كلما شبوا وهم يعشقون العمل كقيمة بغض النظر عن النتائج

في مراحل الطفولة المبكرة يُتاح للأم أو للمعلم أن يوجه الطفل الوجهة الاجتماعية والنفسية السليمة ، من خلال متابعة رسومه وتحليلها ، كما يمكنه تعديل سلوكه ، وتلقينه قيما أكثر فعالية ، وأكثر سموا من خلال ما يرسم لكل هذه الأسباب أهمس إليك عزيزتي الأم وأهمس إليك عزيزي الأب بألا تنهرا صغيركما إذا ما ضبطتماه متلبسا بالتخطيط على الجدران ، بل أعطياه أكبر مجموعة من الورق الأبيض، أو كراسة مع بعض الألوان ، وقولا له بحنان حقيقي . « ارسم هنا لتظهر الخطوط بشكل أوضح ، ولنستطيع أن نحتفظ بها ، ونعلقها لك في مكان بارز ، حتى نريها للأصدقاء والأقارب ليتأكدوا أن لدينا فنانا رائعا ، سيبهر العالم بفنه بعد أن يكبر □

هل هناك خطورة .. في استعمال حبوب منع الحمل ؟

بقلم : الدكتور نجم عبدالله عبدالواحد

« رغم أن استخدام حبوب مبع الحمل قد أصبح وسيلة أكثر شهرة وسهولة لدى كثير من النساء ، إلا أن كثيرا من المخاوف تنتاب بعض الناس من أن تكون هذه الحبوب مصدر خطر صحيٍ وطبيٍ .

لكن لا يوجد دليل طبي واحد على صحة هذه المحاوف » .

منذ أن ظهرت حبوب منع الحمل في أوائل الستينيات سرت شائعات حول خطورة هذه الحبوب ، ونظرا لتوفر الأدلة العلمية الصحيحة أصبح في مقدورنا الآن أن نتوصل إلى حكم صحيح ، ومما يجعلنا في موقع يسهل علينا القيام بدراسة آثار استعمال هذه الحبوب هو انتشار استعمالها ، فقد بلغ عدد النساء اللواتي استعملنها حوالي ١٥٠ مليون امرأة ، وذلك منذ بداية ظهور هذه الحبوب حتى الآن ، وخلال مدة زمنية مقدارها ٣٠ سنة ، كما أن عدد النساء اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل حاليا يقدر بحوالي ٦٠ ـ ٨٠ مليون امرأة ، وأن كثيرا منهن قد استعملن هذه الحبوب فترة قد تصل إلى عشر سنوات متتالية أو أكثر ومما يعزز البحث والتمحيص هو توفر الدراسات الميدانية الكثيرة المنشورة في المجلات الطبية ، وأهمها ثلاث دراسات إحصائية ميدانية متخصصة واسعة ، واحدة في أمريكا ، واثنتان في بريطانيا ، وكل واحدة من هذه الدراسات قد أجريت على عدد كثير من النساء فترة طويلة من الزمن بدأت منذ عام ١٩٦٨ .

إن هذه الشائعات التي تتحدث عن الخطورة المفترضة نستطيع نقلها من كتابات كثير من الاختصاصيين التي تداولتها الدوريات الطبية ، ويمكن تلخيصها بقولنا ان هذه الحبوب قد تضعف خصوبة المرأة ، وأنها قد تحدث السرطان ، كما أنها ذات آثار جانبية ، تسبب أضرارا للجسم .

ولهذا كانت هذه الخطورة المفترضة محط اهتمام الاختصاصيين ، منذ بداية استعمال هذه الحبوب ، لكن المتتبع لكل ما نشر في الدوريات الطبية العالمية خلال الـ ٢٢ سنة الماضية لا يستطيع أن يجد دليلا واحدا قاطعا بزيادة احتمال حدوث السرطان ، نتيجة لاستعمال حبوب منع الحمل ، وهذا ينطبق على كل ما نشر عن سرطان الثدي ، وسرطان الرحم ، وسرطان عنق الرحم ، وسرطان الكبد ، أما الثلاث دراسات الميدانية الواسعة التي ذكرناها فكلها لم توضح أي دليل على صحة هذه الشائعات ، أو الخطورة المفترضة ، كما لم توضح أنه ليس هناك علاقة مباشرة بين حبوب منع الحمل وبين أي نوع من أنواع السرطان

والطريف في الأمر أن هناك دراسات تشير إلى وجود عوامل أخرى لها علاقة مباشرة بحدوث السرطان ، سواء كانت حبوب منع الحمل مستعملة أو غير مستعملة ، وعلى سبيل المثال هناك ثلاثة عوامل تزيد من احتمال حدوث سرطان عنق الرحم عند النساء

١ ـ إذا مارسن الجنس وهن صغيرات في السن .

٢ ـ إذا مارسن الجنس مع عدد كثير من الرجال .

ضعف الخصوبة .

إذا نظرنا إلى خصوبة النساء ، واسترجاعهن القدرة على الحمل ـ وذلك بين النساء اللواتي توقفن عن استعمال حبوب منع الحمل أو اللولب ـ نجد أن رجوع الخصوبة للنساء اللواتي استعملن اللولب أسرع من رجوعها إلى النساء اللواتي استعملن حبوب منع الحمل ، وهذه الملاحظة متوقعة وبديهية ، حيث أن حبوب منع الحمل تعتمد على إخلال التوازن بين هرمونات الدماغ وهرمونات المبايض ، ولذلك لا بد من مرور بعض الوقت حتى يرجع التوازن الطبيعي بإفراز البويضة كل شهر ، بينما نجد عند استعمال اللولب أن الدورة الشهرية الذاتية تبقى منتظمة ، لأن منع الحمل يتم بواسطة منع البويضة الملقحة من العلوق في الرحم ، وعند إزالة هذا العائق (وهو اللولب) تصبح الدورة الشهرية القادمة خصبة ، واحتمال الحمل واردا

وعلى الرغم من وجود هذا الفرق البديهي فإن الاحصائيات تدل على أن جميع النساء اللواتي توقفن عن استخدام كل وسائل منع الحمل ، ـ سواء في ذلك حبوب منع الحمل أو اللولب أو غيرها ـ تكون نسبة الحمل لديهن واحدة ، ولا يوجد هناك فرق بين هذه الطريقة وتلك ، وأن معدل مدة تأخير حدوث الحمل هي خمسة أشهر ونصف ، لذلك فإن النتيجة واحدة ، ولا يوجد هناك خطر على خصوبة المرأة ، كما أن حبوب منع الحمل لا تسبب تبكير سن اليأس ، ومن ناحية ثانية أثبتت الدراسات الطبية أن انقطاع الدورة الشهرية بعد التوقف عن استعمال حبوب منع الحمل عند بعض النساء يرجع في الغالب لأسباب عضوية ، موجودة ـ أصلا ـ قبل استعمال حبوب منع الحمل ، ولذلك لا يوجد دليل إحصائي أو طبي يؤكد أن حبوب منع الحمل هي السبب المباشر لحصول انقطاع الدورة الشهرية بعد التوقف عن استعمال هذه الحبوب

وكذلك نجد أن نسبة الاجهاض عند النساء الحوامل بعد توقفهن عن استعمال حبوب منع الحمل

مثل نسبته عند النساء اللواتي لم يتعاطين تلك الحبوب ، وكذلك الحال بالنسبة لمن استخدمن وسائل أخرى لمنع الحمل ، كما أن نسبة التشوهات الخلقية في حديثي الولادة واحدة عند كل النساء أيضا

أضرار أخرى :

نستطيع تقسيم الأضرار التي تصيب أجسام النساء اللواتي يتعاطين حبوب منع الحمل إلى قسمين هما

أ ـ الجلطة

ب ـ الآثار الجانبية

أ ـ الجلطة :

إن الدراسات والاحصائيات في جميع أنحاء العالم تتفق على أن هناك خطورة من حدوث الجلطة عند النساء اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل وأعمارهن أكثر من ٣٥ سنة ، وذلك إذا كن يدخن السجائر ، أو كن مصابات بارتفاع ضغط الدم ، أو بمرض السكري ، أو بمرض زيادة الدهنيات بالدم ، وبخاصة الكوليسترول

أما ما عدا هذه الشريحة من النساء فلا يوجد أي دليل على حدوث مثل هذه المضاعفات لديهن ، لذلك نستطيع القول بأن النساء اللواتي لم تبلغ أعمارهن ٣٥ سنة يستطعن استعمال حبوب منع الحمل دون خوف ، حتى وإن كن يدخن السجائر أما النساء اللواتي بلغت أعمارهن أكثر من ٣٥ سنة فيستطعن استعمال حبوب منع الحمل إذا كن لا يدخن السجائر ، وليس هناك ما يثبت أن لديهن ارتفاعا في ضغط الدم ، ولسن مصابات بالسكري ، أو بزيادة الدهنيات في الدم كما أثبتت الدراسات أنه ليس هناك خوف من الاصابة بالجلطة عند استعمال حبوب منع الحمل مدة طويلة من الزمن ، قد تصل إلى عشر سنوات متتالية

ب ـ الآثار الجانبية :

لقد تناولت كتابات كثيرة ـ عربية وأجنبية ـ هذه الآثار الجانبية ، وأستطيع القول بأن هذه الآثار الجانبية تختلف من امرأة إلى أخرى ، وأنها تقل إذا كان الاختيار لنوع هذه الحبوب موفقا ، لا سيما أن القاعدة الأساسية تقول بأن أقل جرعة ممكنة من هذه الحبوب هي الأنسب،والأقل تسببا لهذه الآثار الجانبية ، وعلاوة على ذلك فهناك أنواع جديدة متوفرة بالأسواق ، تتميز بجرعات مختلفة لكل شهر (Triphasic pills) ، وهذه الجرعات المختلفة تعتبر أقرب إلى التكوين الوظيفي الطبيعي للدورة الشهرية للمرأة ، وبالتالي فإن الآثار الجانبية تكاد تكون مختفية تماما إذا قارنا بينها وبين حبوب منع الحمل المستعملة في أوائل الستينيات ، والتي كانت تحتوي على جرعات عالية من الاستروجين والبروجسترون

- وخلاصة القول أنه لا داعي للقلق أو الخوف عند استعمال حبوب منع الحمل ، خصوصا بعد الخبرة الواسعة في استعمالها ، فالدراسات الشاملة أصبحت كثيرة ، وكلها مطمئنة ، هذا بالاضافة الى معرفة حقيقة مكمن الخطر في بعض الحالات

ولتحقيق السلامة للنساء اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل يجب عليهن مراجعة الأطباء ، واستشارتهم قبل الشروع في استعمالها ، تفاديا للخطر ، ومنعا لحدوث الآثار الجانبية ، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج □

هو..

ليس الموت، لكنه امرأة!

● لا أدري ماذا أصابه ؟ هل هو داء الوسوسة ، أم خوف الموت ؟ رغم أن سن عمره لا تتجاوز الخامسة والأربعين ، لكنه أصبح شديد الحيطة والخوف من كل عارض يصيبه ، أو يطرأ عليه

بدأ منذ عامين يلزم البيت بنظام غذائي ، أو على الأقل لا يأكل هو إلا وفقا لذلك النظام ، ومن غير المنطقي طبعا أن أطهو الطعام بطريقتين ، فصرنا جميعا نأكل معه طعامه الصحي ، كما يحلو له أن يسميه ، وعرف طريق الزيارات الدورية للأطباء ، وإجراء الفحوصات والتحاليل

وتحول ركن من البيت إلى صيدلية ، تحوي قدرا كبيرا من الأدوية المختلفة ، فيتامينات ومقويات ، و و ، وكلما أتى بدواء جديد نزع منه نشرته الطبية الداخلية ، كي لا أعرف لماذا يتعاطى هذا الدواء أو ذاك ؟ وامتلأت أرفف البيت بتقارير أطباء ، وصور (أشعة) ، ونتائج تحاليل طبية ، ويوم ذهابه للطبيب يقلب البيت رأسا على عقب ، يبحث عن هذا التقرير أو ذاك ، وبدأت أحاديثنا تتعرض لترتيبات حياتنا فيما لو توفي هو ، وأحاول جاهدة أن أقول له إن الأعمار بيد الله ، وأنه لو ظل مستسلما لفكرة الموت التي تسيطر عليه لتحولت حياتنا إلى جحيم ، وأنه من المهم أن نتذكر الموت كعظة ونهاية ، ولكن لا نجلس بانتظاره

وآخر تقاليعه التي زرعت الريبة في نفسي هي بداية نشاطاته الرياضية ، فقد بدأ مؤخرا يستيقظ مبكرا ، ويمارس بعض التمرينات الرياضية ، قد خصص يومين في الاسبوع يهبط إلى الشارع فيهما ويجري ، ثم يعود ليستحم ، ويتناول إفطاره ، ثم يذهب إلى عمله في البداية قلت إنها حالة طارئة ، لن تستمر ، لكن استمراره بها فترة زادت عن أربعة أشهر جعلني أصاب بالقلق ، وخاصة أن قوامه عاد رشيقا ، والترهل الذي قد بدأ يصيبه تلاشى ، واسترد حيوية سنوات مضت ، وانخفض معدل تدخينه ، وهنا تحولت ريبتي إلى شك ، وبدأت أفتش في جيوبه ، وأتعقب ملابسه ، وأتشمم رائحته ، فلم يعد ينطلي علي ما يقوله ، بأن هذا كله إنما هو خوف من الموت والمرض ، فالحقيقة التي وصل إليها قلبي ، الذي لا يخطيء ـ هي أن في الأمر امرأة أخرى ، وخاصة بعد أن مر علينا جميعا زمن طويل يحاول هو أن يوقفه

هي

هي..

ماذا لو ذهب الجمال ؟

● حكمة قديمة ، لكنها ما زالت صحيحة ، فهي حتى لو كانت في طريقها إلى حبل المشنقة ، فإنها سوف تطلب « أحمر شفاه » أتعامل مع هذه الحكمة بشكل يومي ، منذ فترة قرأت في مجلة طبية متخصصة انه يستحسن للانسان بعد سن الأربعين أن يتحكم في نظامه الغذائي ، ويمارس قدرا من الرياضة ، لأن استعداده للاصابة بأمراض القلب وضغط الدم كبير ، وبالفعل دعوت الأسرة إلى مراعاة قليل من القواعد الصحية في الطعام ، وكأني يوم حديثي هذا فاجأت زوجتي ، فقد ذهلت عندما أدركت أنها تقترب من الأربعين ، منذ ذلك اليوم بدأت مشاهــدات وطرائف لا تقل عن أي مشهد (سيرك) محترف في العالم ، أصحو من النوم ليلا فأجدها واقفة أمام المرآة ، تتأمل جسدها ، ولترى أي الأماكن فيه قد ترهلت ، وأدخل عليها الغرفة عصرا فأجدها ممسكة بمرآة ، تتأمل التجعيدات تحت جفنها ، وحول رقبتها ، ومع مضي الوقت نسيت هي النظام الغذائي وضرورة (التخسيس)

قبل أن تمارس الرياضة المنزلية التي تكفل للدورة الدموية قدرا من الحركة والنشاط لم يكن همها إلا وجهها والتجعيدات التي تصيبه ، ومع انتظامي في برنامجي الذي ألزمت نفسي به ، وبدأت أجني ثماره متمثلة في مرونة وحيوية ، وقدرة على الحركة ، وانتظام نشاط ، بدأت هي تدخل في طور متابعة المجلات النسائية ، وتجربة وصفات محاربة التجاعيد ، وبدأت أحاديثنا تشهد حوارا عجيبا ماذا لو تسللت التجاعيد إلى وجهي ، وخاصة أن المرأة يصيبها الكبر قبل الرجل ؟ هل ستتزوج ؟ وهل سترتبط بسيدة أخرى ؟ وكلما ضحكت من أفكارها ازدادت حدة ، وأخذت تتساءل لماذا إذن تهتم بنفسك كل هذا القدر من الاهتمام ؟! ولماذا تخاف على صحتك ؟ ولماذا تنتظم في ممارسة الرياضة ؟ لا بد أن في حياتك سيدة أخرى ، ويمر الوقت وهي تزداد هلعـاً ، تراقب وجهها ، وتفتش ورائي ، وأقول لها إن عناية الانسان بصحته في سن معين أمر حيوي وضروري ، وخاصة أننا لم نكن معتادين أن نعتني بأنفسنا منذ الصغر ، وأن عاداتنا الغذائية القديمة قد أفسدتنا ، لكنها لا تسمع كل هذا ، ولا ترى إلا شبح الزمن ، يهبط عليها ، يملأها خوفا من أن يضيع جمالها ، ويتشوه وجهها ، وأنني سأنصرف عنها إلى امرأة أخرى - أرأيتم مثل هذه الفكاهة من قبل ؟

هو

قضايا منزلية

للحذاء مع القدم حكاية !

لو تحاورنا دور الحماية الذي تقوم به الأحذية للأقدام من عوادي البيئة ، والاصابات ، فإن القول بأن الحذاء عبء على القدم يصبح صحيحا ، أو - على الأقل - أن الحذاء لا يقدم خدمة صحية تذكر ، وإنما قد يكون سببا في المرض

فالأصل في القدم أن تكون حافية ، عارية ، دون قيد ، شأن كافة المخلوقات ، بل لعل أفضل رياضة للقدم هي السير على أرض لينة ، ودون حذاء ، لأن الحذاء ظاهرة حضارية فرضتها طبيعة الحياة العصرية ، ومتطلبات (الموضة) ، ومنذ استخدم الانسان الحذاء،بدأت مشاكل الأقدام تشكل عبئا على صاحبها إذا لم يحسن اختيار ما يتوافق مع طبيعة قدمه وحجمها ووظيفتها وقد تبدأ عادة استخدام الأحذية للأطفال قبل البدء في المشي ، وهنا لا بد من الحرص على اختيار حذاء مناسب ، من القماش ، لا ضيق فيه ولا ضغط ، حتى يسمح بالنمو الطبيعي ، ودورةالدم الطبيعية في القدم وتعود بنا الذاكرة إلى الأحذية الحديدية التي كان أهل الصين يستعملونها لأطفالهم ، وما كانت تتركه من تشوه للأقدام ، فقد كانوا يتوهمون أنها تحافظ على جمال الأقدام ، وإبقائها صغيرة دقيقة

عند الابتداء في المشي يفضل استخدام الحذاء المصنوع من جلد لين ، أو قماش ، لا كعب له ، ولا تقوس فيه ، ويجب التحذير من محاكاة أحذية الكبار ، والحرص على تغيير الحذاء كل ثلاثة أشهر ، لتتناسب مع حجم القدم النامية ، دون اعتبار للحذاء القديم أو سلامته

أما أحذية الكبار ومشاكل أقدامهم فإن فهمها يبدأ بفهم تركيب القدم ، ووظيفتها

أولا إن القدم هي التي تتحمل ثقل الجسم، فقد جعلها الخالق في عدد من العظام والمفاصل والعضلات والأربطة ، بنظام خاص

في كل قدم حوالي ٢٦ عظمة وعظيمة ، مختلفة طولا وشكلا ، تتجمع ويتصل بعضها ببعض في ٣٣

مفصلا ، تربطها أربطة مرنة مطاطة ، قد تزيد عن المائة عدداً ، ويحكم حركتها حوالي ١٩ عضلة مختلفة

وهنا نرى أن تركيب العظام في القدم يتشكل على هيئة قوسين ، أحدهما طولي الاتجاه ، والثاني عرضي الاتجاه ، وهما متعامدان ، فإذا فقدت القدم أحد تقوساتها حدث لها ما يسمى تفرطح القدم

وسوء احتيار الأحدية ، والتأثيرات الضارة نتيجة لذلك ، تنعكس على تركيب القدم الطبيعية ، وسلامة تأديتها لوظيفتها

وأهم المشاكل تنشأ غالبا عن عدم توافق مقاس الحذاء مع حجم القدم ، وعدم تناسب ارتفاع الحذاء عن الارض مع طبيعة تقوس العظام ، فالحذاء الضيق يضغط على أصابع القدم ، فيعاني صاحبها من التواء الأصابع ، كما يضغط على الجلد فيؤدي إلى ظهور ما يعرف بعين السمكة ، أو (الكالو) ، وهو زيادة سماكة الجلد وموته في مواضع معينة منه

أما التواء الأصابع فإنه يؤدي إلى حالة تعرف في الطب باسم الابهام الأروح ، أو تراكم الأصابع ، وننصح في مثل هذه الحال باختيار حذاء أطول من طول القدم بما يتراوح بين سنتيمتر واحد إلى سنتيمترين ، وقد ينصح بعضهم بشراء الحذاء في فترة المساء حيث تكون القدم قد تضخمت ، وأصبحت في أكبر حجم لها ، بتأثير العمل والمشي اللذين أديا إلى احتقانها ، فقد قدر أن حجم القدم في المساء يزيد (نمرة) واحدة عن حجمها في الصباح ، ويجب الحرص على تجربة الحذاء في القدمين معا ، حيث أن قدمي الانسان غير متساويتين تماما ، وعلى عكس ما يتوهم الناس

لكن مشكلة ارتفاع الكعب تعتبر قضية نسائية غالبا ، ويعتبر الكعب مرتفعا إذا زاد ارتفاعه عن خمسة سنتيمترات ، وبالكعب المرتفع يندفع ثقل الجسم إلى الأمام فتتحمله أطراف الأصابع ، بدلا من توزيعه على القدم كلها ، بل إن نصيب الابهام في القدم من ثقل الجسم ينتقل إلى السلاميات في الأصابع الأخرى ، وهذا يؤدي إلى شعور بالتعب ، ووجع في الظهر ، وصداع في الرأس ، والنتيجة معاناة شبه عامة عند أغلب السيدات من مستعملات الكعب العالي

وأهم مشاكل الأقدام بسبب الأحذية غير المناسبة كما يلي

أولا : الابهام الأروح

هو انحناء الابهام ، وتضخم مفصله ، مما يضغط على الأصابع الأخرى ، وربما أدى إلى ركوب الأصبع الثاني على الثالث ، و هو أمر يؤدي إلى الألم والتشوه والتورم

ثانيا . الابهام المتصلب

ضيق الحذاء قد يؤدي إلى التهاب مفاصل الأصابع ، وبخاصة الابهام ، فبعد وقت طويل يصاب بالتليف ، ثم التصلب ، وصعوبة الحركة

ثالثا : الابهام المطرقة

وهو تصلب الأصبع في وضع الأنحناء ، بسبب ضيق الحذاء ، وقصر طوله عن طول القدم

رابعا : الظفر المنغرس

قد يؤدي ضيق الحذاء إلى ضغط على ظفر الأصبع ، وانغراز طرفه في اللحم ، فينشأ الالتهاب والورم الذي يصاحبه ألم شديد ، لا ينفع فيه سوى عملية جراحية ، يستأصل فيها الظفر ، أو جزء كبير منه

خامسا : عين السمكة (الكالو) والقروح

سادسا الغنغرينا أو الموت و يصاب بها خاصة مرضى السكر ، بسبب انحباس الدورة الدموية

طبيب الأسرة

الآيس كريم ومرض السكر
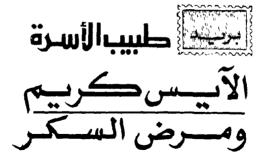
○ كنت أحب أكل الآيس كريم كثيراً إلى أن أصبت بمرض السكر ونصحني الأطباء بتجنب الحلويات. فهل هذا يعني حرماني من تناول هذه الحلوى قطعيا ؟

س . أ . ن
الكويت

ـ مرض السكر يعني عجز البنكرياس عن إفراز هرمون الأنسولين بما يكفي للتعامل الطبيعي مع سكر الدم ، المعروف بالجلوكوز ، من حيث حرقه أو خزنه ، وبالتالي فإن مريض السكر يعاني من تراكم سكر الجلوكوز في الدم ، غير أن علاج السكر بالعقاقير المنشطة أو بوساطة حقن الأنسولين يعادل من هذا الضعف ، ويتغلب على هذا الخلل ،

والأطباء بأسلوبهم التقليدي يحظرون على مريض السكر أي إسراف في تناول الحلوى والنشويات التي تتحول بعد هضمها إلى سكر الجلوكوز ، ولما كان الآيس كريم حلوى غنية بالسكريات والدهنيات فمن الطبيعي أن يشملها الحظر والتقييد ، مما ينعكس حرمانا نفسيا واجتماعيا ، وهو الأمر الذي دفع بمجموعة من الباحثين إلى دراسة تأثير تناول الآيس كريم على مريض السكر ، حتى لا يشعر بالحرمان مما يتمتع به الأصحاء .

إن الاسراف في تناول الآيس كريم لا جدال في ضرره على مريض السكر ، غير أن تناول كمية متوسطة في حدود مائة جرام ، وفي ظروف مريض بالسكر تحت العلاج المتوزان ، يؤدي إلى رفع مستوى سكر الدم مائة مللجرام خلال ساعة أو ساعة ونصف ، وهذا هو نفس مستوى السكر لدى الانسان الصحيح ، مما اعتبره الباحثون أمرا طبيعيا ، لا يصح أن يحرم مريض السكر بسببه من متعة لا تضره ضررا بالغاً ، وبخاصة إذا كان ملتزما بالعلاج الدقيق. ويا حبذا لو تعاطى مريض السكر حقنة صغيرة من الأنسولين الذائب قبل تعاطي الآيس كريم بنصف ساعة تقريبا ، فإن هذا يضمن عدم اختلال مستوى السكر في الدم.

إن الأساس الحديث لعلاج الأمراض المزمنة ـ بما فيها مرض السكر ـ هو عدم عزل المريض عن مجتمعه ، وعدم إشعاره بالحرمان من متع الحياة وطيباتها ، مراعاة لردود الفعل النفسية الضارة التي تصاحب الحرمان.

لهذا لا مانع من تناول قدر معقول من الآيس كريم ، مع الحرص على اعتباره جزءا من الطاقة التي تحددها ظروف المرض ، على أن تحسب من مقادير الطعام المسموح بها .
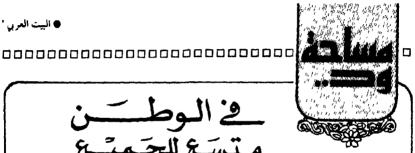
كان وطننا العربي لا يكفيه مابه ، وكأن تحدي التنمية الذي يواجه وطننا ليس جديرا بأن يجعل كل أبناء الوطن يتكاتفون للخروج به من المأزق الذي يواجهه ، فنحن في نهاية الثمانينيات غرقى في الديون ، باستثناء قطرين أو ثلاثة ، هياكل اقتصادياتنا عاجزة عن الوفاء بحاجات السكان ، واعتمادنا على الواردات يتزايد ، وحتى طعامنا فاننا عاجزون عن إنتاجه ، واعتمادنا على الغير يتعاظم ، وأطماع قوى العصر من حولنا في المكان العربي والثروات العربية تزداد شراسة .

وسط كل هذا ـ وهذا كله كفيل بأن يرفع نداء أن الوطن في خطر ـ تتهدد الفتنة وطننا ، وبدأنا ـ في السنوات العشر الماضية ـ نسمع عن تعصبات عرقية أو دينية أو مذهبية ، تعصف بالوطن ، وتشرخ جداراً من الاخوّة والمحبة ، ظل قائما قرونا عديدة ، فتاريخ الوطن العربي قائم على قدرته العظيمة على التآلف والتآخي والسماحة ، واتساع قلب الوطن ، لكي يضم كل أبنائه دونما نظر إلى عرق أودين أو مذهب ، وتاريخ الوطن الذي يلوثه بعضهم ـ للأسف ـ يزخر بميراث عبقري هائل من الانجاز الحضاري الانساني ، وإن البشر الذين أنتجوا هذا الرقي والجمال لا يمكن أن يلوثوه بالدم والكراهية اليوم

والغريب أنه في الوقت الذي يسود العالم كله اتجاه نحو التكتلات ، وتذويب الخلافات ، ويشهد قدرا من اتفاق الفرماء ، وتحالفات أعداء الأمس الذين أصبحوا أصدقاء اليوم ، في هذا الوقت ننغمس نحن في تمزيق الوشائج بين اخوة وأصدقاء أمس واليوم ، لكي يصبحوا أعداء الغد إن العالم قد أدرك أن الخروج من أزماته لا يمكن أن يتم إلا بالحوار بين كل أبناء الوطن الواحد ، وتكاتف كل أبناء الوطن الواحد

لكن يبدو أن معنى الوطن لدى بعضنا غائب ، وإحساسه بعمق أزمتنا مفقود ، وإصراره على خوض معارك صغيرة لأسباب واهية كبير ، وفي تقديري أن تجاوز هذه الأزمة التي تعصف بالوطن كله يبدأ بعمل ، يسهم فيه رجال السياسة والاعلام والفن والفكر ، كما يسهم فيه البيت والمدرسة والمصنع ، وأن ننشد جميعا ـ من جديد ـ لحنا واحدا ، يتغنى للوطن ، فالوطن فوق كل صغائرنا ، وأن ندرك كلنا أن في الوطن متسعا للجميع ، وأن السماحة التي كانت تراثا مميزا لنا هي بوابة الخلاص من هذا الليل الأسود الذي يوشك أن يلفنا جميعا □

محمود عبدالوهاب

بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة

هذا هو السؤال الثالث من أسئلة السيد/ فخري رمضان محمد الأغا (دبي/ دولة الامارات العربية المتحدة)

السِّياقة لا السِّواقة

١ - أيها أصحّ . معاهد السياقة أم معاهد السواقة ولماذا ؟

هذه قضية صوتية صرفية ، والمعروف صرفيا أن المصدر الدالّ على حرفة يكون على وزن (فِعالة) مثل زراعة ، وتجارة ، ونساجة . وعلى هذا القياس يكون المصدر الدالّ على الحرفة من الأصل « س و ق » هو « سياقة » مع أن هذا الأصل واويّ الجوف أو العين/ ويلاحظ أن الياء حرف لين ، وهي أنسب للكسرة قبلها صوتيا في مثل هذا المصدر ونحوه غالبا ، لتخفيف الجهد العضلي على جهاز النطق ، ولو كان جوف الأصل واويا . وعلى ذلك نقول « ساق ، يسوق ، سياقة ، وحاك ، يحوك ، حياكة ، وقاد ، يقود ، قيادة ، وساد ، يسود ، سيادة . وساس . يسوس ، سياسة ، وعاد ، يعود/عيادة ، وزار ، يزور ، زيارة ، وقام ، يقوم ، قيامة . وكذلك نقول ثوب ، وثياب . وحوص ، وحياص ، وكذلك نقول في الياء اذا كانت حرف مد ، مثل حوص ، وحيصان . وعود ، وعيدان . ومثله ورن ، وميران . ووعد ، وميعاد

ونقول إن ذلك يجري غالبا ، فقد تسبق الكسرة الواو وتبقى الواو كما هي ، مثل « سِواك ، جِوار ، جِوار ، قِوام » ، ولكن الأخف والأنسب صوتيا أن تكون مع الواو (حرف لين) ضمة قبلها ، مثل « خُوار ، صُوَاع ، دُوار ، عُوادة » وكذلك مع الواو (حرف مد) مثل « سُوق وعُود ، وبُوق » .

ولا أعرف في لغتنا « سواقة » (بكسر السين أو ضمها)

العرب عاملوا المثنى كالجمع :

ومن السيد/ شتوح احمد (الجلفة/ البيرين/ الجزائر) جاء هذا السؤال

في سورة الحج جاءت هذه الآية الكريمة « هذان

حصمان احتصموا في ربهم » فلماذا لم يقل « هذا خصمان اختصما » ؟ .

ـ من المعروف أن القرآن الكريم نزل عربيا على النبي عليه السلام فهو يجري على اساليب العرب في لغتهم وان كان في المنزلة العليا من البلاغة ، وقد جرى العرب احيانا على معاملة المثنى معاملة الجمع في الشعر والنثر ، سواء كان مفرد المثنى دالاً على واحد ، او على جمع ، ومن شواهد ذلك ماذكره الثعالبي في كتابه « فقه اللغة وسر العربية » من ان الامام الشعبي فقيه العراق كان في مجلس عبدالملك بن مروان فقال «رجلان جاءوني » فقال عبدالملك « لحنت ياشعبي » ، فأجابه « يا أمير المؤمنين ، لم ألحن ، مع قول الله تعالى هذان خصمان احتصموا في ربهم » فقال عبدالملك « لله درك ، يافقيه العراقين ، قد شفيت وكفيت »

ومثل هذا في القرآن الكريم قوله تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما »

و « الخصم » مفرد لفظا ولكنه يدل على المفرد وعلى الجمع معنى ، ومثله كثير في تراثنا القديم كلمة « الطفل » في قوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » وقوله « ثم نخرجكم طفلا » أي أطفالا ، وكقول السمهري بن بشر العجلي (من الشعراء اللصوص في بداية العصر الأموي)

ولــو أن ليــلَى أبصــرتنيَ غُــدوةً
وصحبيَ والصفُّ الــذين أمارس

اذن لبكت ليلى عليَّ ، وأعــولت
وما نالت الشوبَ الذي أنا لابس

ففي الآية وصف « الطفل » بالذين « وكذلك في البيت الأول هنا وصف « الصف » بالذين

ويلاحظ هنا أن « المثنى » يكاد يكون خاصا بلغتنا العربية ، ولا يوجد في اللغات الأخرى غالبا الا المفرد والجمع ، ويلاحظ أيضا في الضمائر الشخصية للمتكلم أن احدها للمتكلم وحده (انا) والثاني للمتكلم مع غيره وهو (نحن) وهكذا بقية ضمائر التكلم وليس للاثنين المتكلمين ضمير خاص ، كما يلاحظ أن التقسيم الى مفرد ومثنى وجمع تقسيم نحوي ، ولكن التقسيم اللغوي مفرد وجمع ، أو مفرد وغير مفرد ، ويدخل في غير المفرد الاثنان والجمع

للمتكلم مع غيره وهو (نحن) وليس للاثنين المتكلمين ضمير خاص .

ومن طريف الملاحظات في لغتنا بعامة قول العلامة ابن جنى « القوم (العرب) كانوا يعتبرون المعاني ، فاذا حصّنوها تساهلوا في العبارة عنها »

وقد وضحنا معاملة العرب للمثنى معاملة الجمع في بحثين سابقين في العربي (العدد ٢٠٠ ص ٥٨ ـ ٥٩/ يولية سنة ١٩٧٥ ، والعدد ٢٠٩ ص ١١٨ ـ ١١٩/ ابريل سنة ١٩٧٦)

المتوفِّي والمتوفَّى صحيحان :

ومن الاستاذ ابراهيم عبدالكريم ناصر ، المحرر بجريدة الاهرام (القاهرة/ مصر) جاءنا بحث طويل في تصويب كلمة « المتوفِّي » (الفاعل) وصفا للميت ، كما أن « المتوفَّى » (المفعول) صواب ايضا ، وكانت العربي (العدد ٣٣٦) قد نشرت بحثا لغويا بعنوان « أخطاء شائعة » ذكر فيه كاتبه ان من الخطأ وصف الميت بأنه « المتوفِّي » (الفاعل) وان الصواب وصفه بأنه المتوفَّى (المفعول) ورأى الاستاذ ابراهيم هو الصحيح ، وتوضيح المسألة يظهر من ان الفعل « توفَّى » ينظر فيه الى ناحيتين .

يقال « توفَّى الله فلانا » فالله هو المتوفِّي (الفاعل) ، وفلان هو المتوفَّى (المفعول)

ويقال توفَّى فلانٌ عمره ، اي استوفاه ، فهنا فلان هو المتوفِّي اي المتوفِّي أجله (فاعل) والعمر هو المتوفَّى اي المستوفَى (المفعول) ، ومن هذا التوجيه يظهر أن الكلمتين ـ وصفا للميت ـ صواب □

هكذا غنى الآباء

لواعج الحب
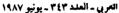
لابن الدُّمَيْنة

شاعر رقيق النسيب اشتهر بكنيته « ابن الدمينة » ، نسبة إلى أمه « الدمينة » وكانت من بني سلول ، واسمه عبيد الله بن عبد الله بن عمرو بن مالك من بني خَثعَم المشهورين بالبأس في الجاهلية ، وكانوا ينزلون في عصره جنوبي الحجاز مما يلي اليمن ، على طريق مكة ، عند بيشة ووادي تُرَبَة (من بلاد عسير اليوم) . وقد كانت قبيلتا أبيه وأمه من اليمن وقد عاشتا متجاورتين منذ الجاهلية الى أيام العباسيين

كان الشاعر يعيش في أواخر الدولة الأموية ، وقد مات قتيلا نحو سنة ١٨٠هـ في عهد هارون الرشيد العباسي ، وكان من أجمل الرجال وأشدهم بأسا وأنفة وغيرة وأفصحهم لسانا مع حُسْن الحديث واللباقة في تصريفه ، مما جعله محببا إلى النساء ، وكان هو يحب الحديث إليهن وكان من شقائه أن اتهم امرأته بخيانته مع رجل من سلول فقتلها وقتل ابنته منها ، فاضطر إلى التوحش في البادية حذرا من الثأر ، وكان الناس في عهده يستحسنون شعره ويرددونه ، وكان معظمه في النسيب ، ولا سيما حبه « أميمة » التي بلغت من قلبه مالم تبلغه امرأة غيرها ممن أحبهن في فترات مختلفة ، وأكثر نسيبه فيها ، وله فيه نسيب وقد تزوجها أخيرا ، ومات عنها

وإذا ميزنا بين أنواع التّشبيب في الشعر وجدناها ثلاثة

(١) النسيب ، وهو شعر الحب ، كما هو عند العذريين جميل بثينة وكثير عزة ، ومجنون ليلى ، (٢) شعر الغزل ، وهو شعر المولعين بالنساء كافة أو طبقة منهن ، ومن هؤلاء امرؤ القيس وخاله المهلهل بن ربيعة ، والأحوص وبشار (٣) التصابي ، وأصحابه يتظاهرون بالصبوة إلى النساء ويتحدثون بها ، وهو كثير في مقدمات القصائد التي تنظم في أغراض أخرى كالمدح والفخر ، كما هو كثير

في غير هذه القصائد

وإذا تأملنا شعر ابن الدمينة في التشبيب وجدنا أنه يصدر عن قلب جرب الحب وكابد لواعجه كما تدلنا أبياته هنا وكثير غيرها من شعره

وقد نسبت هذه القصيدة إليه وإلى غيره ولا سيما « ابن الطثرية » ، ونرجح لأسبابنا أن صاحبها هو ابن « الدمينة » ، وقد آثرنا في اختيار أبياتها وترتيبها أشهر الروايات وآنسها ألفاظا

للشاعر ديوان مطبوع أشرف على تحقيقه العلامة الجليل الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، وكتب له مقدمة مطولة في حياة الشاعر،ومصادر ترجمته ومنهجه في التحقيق

ألا ، يا صَبا نجدٍ ، متى هِجْتَ من نجد ؟ — فقد زادني مَسْراكَ وَجْداً على وجْد
أإن هتفت ورقاءُ في رونقِ الضحى — على فَنَنٍ غضِّ النباتِ من الرَّنْد (١)
بكيتَ كما يبكي الوليدُ ، ولم تكنْ — جليداً ، وأبديتَ الذي لم يكنْ تُبْدي ؟
ألا هل من البينِ المفرِّق من بُدٍّ — وهل لليالٍ قد تسلَّفن من رَدٍّ ؟
وهل مِثْلُ أيامٍ بِنَعْفِ سُوَيْقةٍ — رواجع أيامٌ كما كنَّ بالسعْد ؟(٢)
وهلْ أخواكَ اليومَ ـ إن قلتَ « عرِّجا — على الأثْلِ من وَدَّان والمشرب البرد »(٣)
مُقِيمانِ حتّى يقضيا من لُبانةٍ — فَيَسْتَوْجِبا أُخرى ، ويَسْتكْمِلا حمدي ؟ (٤)
وإن لا فسيرا ، فالسّلام عليكما — فما لكما غَيِّي ، وما لكما رُشدي
وَمَا بيديَّ اليومَ من حَبْلِيَ الذي — أُنازَعُ من إرحائه ، لا ، ولا شدِّي
ولكنْ بِكَفَّيْ أمِّ عمرو ، فليتها — إذا وَلِيَتْ رَهْناً تَلي الرَّهْن بالقصد
ألا ، لَيْت شعري ما الذي تُحْدِثَنَّ لي — نوى غربة الدارِ المشتّةِ والبعد (٥)
نوى أمِّ عمرو ، حيثُ تقتربُ النوى — بها ، ثمّ يخلو الكاشِحون بها بعدي ؟ (٦)
أتصرم للائي الذين هم العِدا — لتُشمِتهمْ بي ، أم تدومُ على وُدِّي ؟ (٧)
وَظَنِّي بها ، والله،أن لن يَضيرني — وُشاةٌ لَدَيْها لا يَضِيروها عِنْدي (٨)
وَقدْ زَعَمُوا أنّ المُحِبَّ إذا دَنا — يَملُّ ، وَأنّ النّأي يَشفي من الوَجدِ (٩)
بِكُلٍّ تَداوَيْنا ، فَلَمْ يُشْفَ ما بِنا — عَلى أنّ قُرْبَ الدّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
عَلَى أنَّ قربَ الدارِ ليسَ بنافعٍ — إذا كان من تهواهُ ليس بذي وُدِّ
هَوَايَ بهذا الغَوْرِ غَوْرِ تِهامَةٍ — وَلَيْس بهذا الحيِّ من مستوى نَجْد
فَوَالله رَبِّ البيتِ لا تَجِدينَني — تَطَلَّبْتُ قَطْع الحبل منكِ على عَمْد
وَلَا أشْتَري أمراً يكون قطيعةً — لِما بَيْنَنا ، حتّى أُغَيَّبَ في لحدي
فَمِنْ حُبِّها أَحْبَبْتُ من لا يُحِبّني — وصانَعْتُ من قد كُنْتُ أُبْعِدُهُ جُهدي
ألا ربَّما أهْدَى لِيَ الشَّوْقَ والجَوى — على النَّأْيِ منها ذُكْرةٌ قلّما تُجْدي

---

(١) فنن غصن (٢) نعف سويقة موضع في اليمامة
(٣) عرجا عليه ميلا اليه الأثل شجر ودان موضع بين مكة والمدينة
(٤) اللبانة الحاجة (٥) نوى فراق ـ المشتة المفرقة (٦) الكاشح العدو المضمر للبغض
(٧) الشماتة الفرح بمصيبة العدو (٨) ضاره آذاه (٩) النأي البعد

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

كلمات أفقية

١ ـ فرعون اكتشفت مومياؤه حديثا
٢ ـ ينحب ، عطاء ، الثوب القديم
٣ ـ عكسها صلابة ، محترم
٤ ـ لمعان خفيف ، حيوان بحري لبون
٥ ـ سنافر مورعة ، رصاص مورعة
٦ ـ بمعنى إذا ، عاقل ، الأمر من نام
٧ ـ شلل مقلوبة ، بمعنى عرّاب مورّعة
٨ ـ حرفان متشابهان ، غير عسكري ، تجدها في واحد
٩ ـ عكسها لاهوت ، امتلأ واحتشد
١٠ ـ يقال إنها أقدم مدينة ، سيد أو عبد

كلمات رأسية

١ ـ فاتح مغولي مسلم
٢ ـ روائي أمريكي حصل على جائزة نوبل عام ١٩٤٩
٣ ـ كتابه ، أعيي
٤ ـ المرض الشديد ، أزال
٥ ـ لفت النظر ، مدّوا يد العوْن
٦ ـ (تناول) في صيغة الأمر ، أصبحت سهلة أو رخيصة
٧ ـ مؤرخ عربي صاحب « السلوك لمعرفة دول الملوك »
٨ ـ لمع ، تجدها في صوت
٩ ـ رحل بشّر بنبوّة محمد (صلعم)
١٠ ـ صنو الشعْر ، كل ما أملك

حل مسابقة العدد الماضي مايو ١٩٨٧

كتاب الشهر
The Right to be Intelligent
Luis Alberto Machado

الذكاء كلمة سحرية براقة ، ومع ذلك ما تزال غامضة بما هو أضخم بكثير من سحرها وبريقها، ما يزال الجدل يحتدم حول هذا المفهوم . ومن لقناعات الراسخة بين عدد من الناس تلك التي تقول أن الذكاء وراثي أو « بيولوجي » .

وقد وصل هذا إلى صعيد الأمم لتعتقد أمة بأنها تميز عن غيرها ، بسبب « صفات وراثية » خاصة.

ويدرك « ماتشادو » الفيلسوف الشاعر مدى صعوبة اقتلاع موروثة رسخت في الذهن حول وراثية الذكاء التي لها نتائج خطيرة على المجتمع ، فنجده يواصل - بإلحاح - دحض هذه الدعوى في سبيل بناء مجتمع جديد ذكي .وينطلق من القناعة بأنه يمكن لكل فرد أن يكون ذكياً ، وأن الذكاء مهارة قابلة للاكتساب ، ومن ثم فإن الذكاء حق طبيعي لكل فرد

يقع الكتاب في ٦٣ صفحة ، ويشتمل على ٧٨ فقرة من شعر منثور أو نثر يحمل روح الشاعر الفيلسوف في طياته ، وهو يدافع عن القضية التي يعرضها بمنطق المحامي وحماسه - وهو محام فعلاً - يؤمن بعدالة ما يدعو اليه ، ويبدأ كتابه بتحديد صلب لموقفه الرافض لمقولة الذكاء الوراثي ، وذلك في الفقرة الأولى ، ونصها

« الذكاء هبة الوراثة : هذا ما اعتقدته البشرية طوال الوقت ، إلا أن أحداً لم يستطع تقديم دليل علمي واحد يؤيد هذا الاعتقاد ، فإن جاء شخص ما وقدم في يوم ما مثل هذا الدليل فقد هذا الكتاب قيمته بصورة تامة » .

فإذا كانت نوازع البشر مقدرة منذ لحظة الولادة فما الذي يبقى للحرية ؟ وإذا كان الذكاء وراثياً فهل نستطيع أن نكون حقاً سادة أقدارنا ؟ وليس من معنى لوجود رجل حر إذا كان الذكاء فطرياً ، وإذا كان الناس مختلفين جذرياً في ذكائهم فإنه لن يستقيم أي معنى للمطالبة « بالديمقراطية » ، وإذا كان الناس غير متساوين في عنصر أساسي من التكوين الإنساني بفعل الوراثة فإنه لا يسمح أي منطق بأن تكون لهم أصوات متساوية ، فإذا كانت المساواة فإن الديمقراطية مستحيلة كذلك

وينتقل « ماتشادو » لتنفيذ هذه الآراء والنتائج المترتبة عليها ليقول بأن التساوي بين الناس لا يعني تماثل الكيانات العضوية لهم ، لكن ذلك يعني بأن الإمكانيات متماثلة ، فما دام البشر بشراً فلا بد أن تتماثل إمكانياتهم ، أما إذا كانوا غير متساوين ضمن هذا المفهوم فيتعين أن يكون هناك حق للبعض لأن يكون أسعد من الآخرين ، يفعل ما يستطيعه لإشباع ذلك الحق حتى لو كان على حساب الباقين الذين يختلفون عنه في الإمكانيات ولقد حدث هذا على الدوام على مر العصور ، بل إن أجزاء كبيرة من جدران قلعة التاريخ قد شيدت بطين ماؤه من عرق ذلك الاعتقاد ومن دمه

ويعود « ماتشادو » إلى العلم لدحض هذه الفرضيات ، إذ يتزايد الوضوح في العلوم « البيولوجية » على عدم وجود رجال متفوقين ، فلم يستطع أحد تقديم دليل علمي يقول بأن جنساً ما أكمل من جنس آخر « فالبيولوجيا » تسير خطوة خطوة لتدمير العناصر التي قامت عليها ادعاءات أي نمط عنصري ، ومع أن العلم قد أدان العنصرية مراراً وتكراراً إلا أنها تعود على الدوام لترفع رأسها من جديد ، ومن ثم فهو يرى في الاعتقاد بالذكاء الوراثي « جرعة عنصرية » ، إذ سيقود ذلك حتماً إلى الاعتقاد بتفوق جنس على آخر ، ومثل هذا التفوق ينسجم مع تدبير الطبيعة ، فتسيء البشرية لنفسها بإنجاب أفراد أقل ذكاء ، وسيقود هذا الأمر إلى نوع من « العنصرية الاجتماعية » التي يعتبرها المؤلف أخطر من العنصرية العرقية

قهر التعصب :

فإذا أردنا أن نقهر التعصب وجب أن لا نقبل بفرضية أن الطبيعة هي أول من يتعصب ، وذلك بجعلها هي المسئولة الأولى عن اختلاف الناس في ذكائهم ، إذ سيكون الظلم الطبيعي بديلاً للظلم الاجتماعي ، ومن ثم فإن الخطوة الأولى في قهر الظلم تبدأ بالإنسان نفسه ، فهو لم يتغير « بيولوجياً » منذ أكثر من أربعين ألف عام ، ولم يتغير دماغه منذ نهاية العصر الحجري القديم ، وبالدماغ نفسه تزايد الرجال المبدعون كماً ونوعاً ، وهنا يؤكد « ماتشادو » على التربية .

فمن الذي ينتج هؤلاء « الكرموسومات » أم التربية ؟ لقد ظل تطور الإنسان ثابتاً على الدوام ، وظل الإنسان ينمو ، وليست العوامل الوراثية هي التي تفعل ذلك ، فدماغ الإنسان باق كما هو ، لكن حياة الإنسان هي التي طرأ عليها تغير جذري وأسباب هذا التغير ليست « بيولوجية » ، إذن فالتربية هي المفتاح ، والذي تغير وكان سبباً في هذا التغير هو التربية لا الدماغ ، فلقد ظل الدماغ والجسم على حالها على الدوام ، لكن الإنسان استمر في تطوره

فالعملية التربوية ثورة الإنسان بفعل الحاجة ، إنها انتصار الثقافة على « البيولوجيا »

تعلـــم الحريـــــة :

العقلانية ليست ضرباً من الذكاء البسيط ، بل هي ذكاء حر ، في كائن حر ، ويسمى ذكاء الإنسان ليظل حراً ، فالخاصة الرئيسية للإنسانية هي الحرية ، وليست الذكاء ، وهذا هو الاختلاف الجوهري بين الإنسان والآلة والحيوان ، فإذا انعدمت حرية الإنسان فلن يختلف عن أي منهما ، ولعله يكون أكثر ذكاء فقط ، فالحرية مقصورة على الإنسان ، وهي الحقيقة التي تجعله عظيماً ، فهي جوهره الخاص

والحرية قابلة للتعلم ، فالحرية الحقيقية تكمن في وضع الإنسان لنفسه .

وفي الحقيقة أننا ما نزال عاجزين عن فهم الكيفية التي وجدت فيها العبودية ، لتبقى مقبولة إلى عهد قريب ، وإذا كان الأمر يبدو مستهجناً وهو للأسف كذلك ، فلم يتضح لأساقفة المسيحية كيف أن إله العدل يجعل الناس غير متساوين ، ولم يقم الصراع ضد الظلم على أساس من تطابق الناس ، بل قام على أساس أنه ليس هناك إنسان أرفع من إنسان ، فاذا اختلف الناس بسبب الفروق البدنية أو البيئية فلا يعني ذلك أن هناك إنساناً « أوضع » من آخر ، وليست الطبيعة هي الإثم ، فالإثم يكمن في الناس أنفسهم وبمن أشرفوا على تربيتهم ، فالحياة ـ وليست الطبيعة ـ هي التي تنتج الفروق الاجتماعية بين الناس

ويطرح « ماتشادو » السؤال . كيف نتجنب فرص الاستغلال ؟ ويجيب عنه بأن التربية هي المفتاح السحري لتحقيق الذكاء الجماعي للأمة ، إلا أنه يلقي ضوءاً ساطعاً على موروثة تربوية ، تعيق مثل هذا التقدم : « لقد شيد النظام التربوي حتى اليوم على افتراض أنه لا يمكن تعليم الكائن الإنساني الذكاء بطريقة محددة ، كل بنية اجتماعية على مثيل هذا الأساس

وفي الحقيقة أن الأذكياء قلة وإذا لم نعدل في هذا الواقع فإنه لن يطاق انفاق المصادر الضرورية لتقديم فرص تربوية متساوية للمواطنين قاطبة ، وطبقاً للنظام الحالي فإن درجة ذكاء الطالب تبقى راسخة الاختلاف ، ومع ذلك فإن نسق الأسلوب بقي قائماً للكل

من يستحق التربية :

وإذا كان الافتراض المسبق صحيحاً فإن مثل هذه العملية ستكون خرقاء ، ولن يكون هناك مبرر للنفقات المتماثلة في التربية للطفل غير القادر على الإفادة من هذا الاستثمار ، وفي التربية للطفل الذي له إنتاجية عالية مضمونة مسبقاً ، ويبدو الأمر في

النهاية وكأن من ولدوا للإفادة من التربية هم الذين يستحقونها بصفة خاصة »

وهو يرى في النظام التربوي القائم نظاماً خاملاً ، لا يوقظ أي نوع من الفضول ، أو لا يقدر على إشباعه ، ومع أن هناك دولاً رفيعة في المستوى الثقافي فإنها تتردى تحت زوبعة من العنف ، والبنى التربوية هناك مسئولة عن ذلك

لقد تعلم « اينشتاين » الذكاء بالطريقة التي بمقدور المرء أن يتعلم فيها العزف على البيانو ، أي بالأذن ، « فأين سيكون « اينيشتاين » ، أو أي شخص آخر ، لو أنه تعلم الذكاء نظامياً في مجرى تثقيفه الكلي ؟

بدلاً من أن تهتم الدولة بشؤون الأمن والكبت عليها أن تنزع فتيل العدوان بالعمل على رفع مستوى ذكاء الإنسان بالتطوير التربوي ، لكي يشاد المجتمع على أساس ما يكونه الإنسان حقاً ، ويتعين على السياسي الاقتراب من العلم من أجل المبادىء الأساسية للتوجه الاجتماعي ، فالسياسة تصبح مستحيلة دون مشاركة أساسية من العقل « الألكتروني » ، وأي جهل من السياسيين بتقدم العلم ليس إلا ضرباً من الغباء

فالمسألة إذن سياسية ، ولا مفر من إقناع الدولة بالواجب الذي لا فكاك لها منه ، وهو الاضطلاع بمسئوليتها في الإصلاح العاجل للنظام بانتشاله من القاع ، « والمهمة الأساسية للدولة هي التربية ، والحكم هو التربية ، وليس بالمستطاع أن تكون هناك مهمة للحكومة أعظم شأناً من الكفاح لرفع مستوى ذكاء الشعب ، ومن ثم فإنه يتوجب أن يكون تعلم الذكاء هو شعارها اليوم ، ويتعين أن تكون الأفضلية الأولى لكل تحرك اجتماعي هو تحقيق هذا الهدف ، أي الزيادة الجوهرية في معامل ذكاء الشعب ، فإذا توفر الذكاء للقلة كان ذلك أشد أدوات الابتزاز

ويتساءل « ماتشادو » عن أسباب تفوق من يدرسون الرياضيات في بوسطن على أقرانهم ممن يدرسونها في بونيسايرس والقاهرة ، كما يتساءل عن الأسباب التي تحمل عدداً غفيراً ممن تشكلوا في الجامعات المتطورة أكثر إسهاماً في التطور العلمي ، ويجيب عن ذلك بأن الموقف ثمرة لعملية مسبقة مبدعة في المجتمع المتطور ، « فليس كل اختراع أو اكتشاف إلا نتيجة لدراسة تأملية لفرد أو مجموعة من الأفراد الذين لهم قدرة على الإبداع ، وليست هناك استثناءات ، ولا مفر من الحقيقة »

أما السر الحقيقي فإنه يكمن في التربية ، فالذين أبدعو قد تعلموا مسبقاً كيف يفكرون ، وهنا مكمن الإبداع »

ويفترض « ماتشادو » أنه لا يوجد شعب أذكى من شعب آخر ، ولا يوجد شعب غير مؤهل للإبداع ، وكل ما في الأمر هو أن هناك شعوباً لم يتح لها تطوير ملكاتها العقلية ، ومع ذلك فإن عليها أن تمحو مهويتها ، وأن تحافظ عليها ، وأن ترفض التمتع بثمار العلم دون مساهمة فيه ، « ولكي يتوفر هذا ، فإنه يتعذر على أي شخص التخلف عن الإسهام في خطة تطوير الفكر » ، ويتوجب على الدول المتخلفة أن لا تستسلم فتتخلف عن مسيرة العلم والتقنية ، فالقرار قرارهم وحدهم ، فمن الممكن التمتع - بطريقة أو بأخرى - بثمار العلم دون مشاركة في إبداعه ، إلا أن في هذا مدعاة للخجل

ويلح « ماتشادو » على الدولة لكي تتدخل ، لمنع استغلال القوي للضعيف ، وتمتنع عن استغلالها للمجتمع إذ أنها أقوى من الجميع ، « ونظرياً فإنه يمكن حجب الاستغلال عن الآخرين ، لكن كيف يمكننا أن نتحكم بذلك إذا ما كانت سلطة أي حاكم

حالي تفوق حتى تلك التي كانت « للويس » الرابع عشر ؟ » ، ولا سبيل لذلك إلا بالعمل على رفع مستوى الذكاء الجماعي ، لتخليص الأفراد من كل أنواع الاستغلال ، فالذكاء الجماعي يفرض أخلاقية ومواقف شريفة على الدوام ، ولا يمكن وصف حكومة « بالديموقراطية » إلا إذا سارت في هذا الاتجاه

الذي يفكر والذي لا يفكر :

ولعلنا نفهم جيداً كيف يرغب بعض القادة في إبقاء شعوبهم متخلفة الذكاء ، حتى لو أبدعت في مجال آخر كالاقتصاد مثلاً ، ولا عجب أن هتلر قد قال بأنه « لمن دواعي الحظ أن تكون الجماهير لا تفكر ، وإلا لاحتمت الانسانية من الوجود » ولسنا ندري من الذي يفعل ذلك أهي الشعوب التي لا تفكر ، أم المستبدون الذين يصرون على احتكار التفكير

فالحقوق المتساوية التي يولد بها الناس شروط أساسية للمثل « الديموقراطية » السامية ولا معنى للتساوي دون أن يوجد ذلك التساوي عملياً ، فالحرية كانت مثلاً أسمى في التاريخ ، ومع ذلك فقد كانت عبئاً لا يطيقه كل الناس ، ولكل امرىء الحق في أن يكون حراً أو لا يكون كذلك ، ولكن « ما نفع حرية الفكر إذا لم يتيسر التعليم للناس لإنتاج أفكارهم الخاصة ؟

ويجب لحرية التفكير منح فرص التفكير ، فباستخدام الذكاء نرفع من مستوى إعداد المرء للحرية ، والحرية هي كل ما هو ضروري ، ونحن نملك كل شيء إذا ما بقيت لنا حرية أما الذكاء فهو أداة الحرية ، بل إنه السبب الوحيد لوجودها

ويؤمن « ماتشادو » بالدور الذي يجب أن يلعبه الشعب لتأكيد حريته ، لأن الشعوب كافحت من أجل الحرية والعدل وما تزال كذلك « فلا حدود لطاقات الناس في العمل من أجل التحولات العظيمة ، كما أن كفاح من يسعون لتحقيق المجتمع الأفضل لن يكون دون جدوى ، وإلا خلا الكفاح من المعنى».

« والتطوير بوعي وتنسيق لذكاء الأفراد في كل الأمم يعني بلوغ الحقوق التي تقرها كل المبادىء المعلنة رسمياً ، وتنفيذ تلك المسلمات تحت أي لون « أيديولوجي » يعني الاعتراف بالحق في تطوير الهوية الشخصية ، وهذا هو الطريق إلى الضروري ، بل إنه الانبثاق العموي (للرجل الجديد) الذي طال البحث عنه في الدروب المسدودة ، وهو الحلم بمجتمع عادل يوقظ ضمير الشعب ويجعله حقيقة ملموسة

هذا هو ما يمكننا أن نطلق عليه « مانيفستو » ، أو « بيان الذكاء لماتشادو » ، وقد كان يحلم بأن بلاده ستتصدر العالم في الذكاء إذا ما قدر لبرنامجه الطموح أن يحقق أهدافه

وأخيراً يتعين علينا إعادة النظر بصورة جذرية في النظام التربوي إذا كنا نرغب ـ حقاً ـ ببناء مجتمع أكثر منعة ، لمجابهة تحديات المستقبل ، كما يتعين علينا بأن يكون « برنامج تعليم التفكير » في قمة أولوياتنا . إننا ندعو للإفادة من « برامج تعليم التفكير » أو تعليم الذكاء ـ كما يقول ماتشادو ـ كتلك البرامج المتوفرة في فنزويلا وكمبردج وهارفارد وغيرها ، وإلا فإن الهوة ستزداد متسارعة بيننا وبين الأمم الطموحة ، والمستقبل لا يحمل في طياته مكاناً لمن يتخلف ذكاؤهم

ولقد خطت كلية الطب في جامعة الكويت ما أراه فألا حسناً في تنظيمها لمشروع تخطيط المنهج في يونيو ١٩٨٦ ، إذ لاحظت اهتمام المشروع بطريقة بناء التفكير . فهل تعمم مثل هذه الخطوة لبناء المعلم الذي يفكر جيداً ، والطالب الذي يفكر جيداً ، « لنعيش في قلب العصر وليس على جوانبه » . □

من المكتبة العربية

الإرهاب السياسي

بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الانسانية

تأليف : د. أدونيس العكره

عرض وتعليق : محمد وليد جداع

الارهاب اليوم حديث الناس في كل مكان ، حديث الحكومات والمنظمات ، وحديث الارهابيين ، وحديث من يقع عليهم الارهاب . . لكن الارهاب ، أو الارهاب السياسي ، يستأهل من البحث أكثر من مجرد التحليلات الصحفية والأخبار . . هو ظاهرة إنسانية قائمة منذ زمن بعيد . . وجديرة بأن يخصص لها باحث معروف ، مثل الدكتور أدونيس العكره ، كتاباً من حجم كبير .

الارهاب يحمل عنفاً ، بل قد لا يفرق الناس بينه وبين العنف ، وهما مرتبطان في النهاية بمعنى القوة ، ولذا فإن الكاتب يبدأ في تحليل علاقة القوة بالأفكار ، فيقول . إن مشكلة العالم الحديث ، أنه يرفض الاعتراف بحقائق اجتماعية سياسية ، ولا يقرُّ بها إلا بلغة القوة ولأن الحقيقة الاجتماعية ـ السياسية تتجسد في مجموعة من الناس تطالب بها ، فلابد لتحقيقها من ضربة قوية ضد الرافضين لها وهكذا فالوجود السياسي ، يفترض وجود نزاع من شأنه أن يخلق حالة مستمرة من العنف ، تغري الدول القوية فتستعمله علناً أو خفية ، من أجل ترسيخ سيطرتها ، وتوسيعها على الكيانات السياسية الأقل نمواً وتقدماً فالدول القوية وصلت أصلاً الى ما هي عليه باستعمالها للعنف ، وتنظيمها له ، وجعله يشيع ويمتد في طرق التفكير والعمل ، والانتاج ، والمؤسسات

فالعنف السياسي أضحى جزءاً لا يتجزأ من الاستراتيجية السياسية التي تمارسها الحكومات ، ليس ضد العدو الخارجي فحسب ، وإنما في مجريات السياسة الداخلية ، وضمن الكيان السياسي الواحد ، حيث تحتكره الدولة ، وتجعله إجراء قانونياً شرعياً منظماً ، يكسبه صفة الضرورة في بعض الأحيان

ولكن الكاتب يشك في فعالية العنف ، فإذا نجح العنف أحياناً في حل المشكلات الاجتماعية والسياسية المطروحة ، وذلك نظراً لفعاليته

الفورية ، فهذا لا يعني أنه قد نجح بشكل نهائي ، بل لابد للعنف أن يزيد في حدة الظروف السياسية ، والأوضاع الاجتماعية العامة فالعنف في النهاية يدعو للعنف المضاد

ويميز المؤلف بين الارهاب السياسي ، والارهاب الفردي المتعلق بالحق العام فالارهاب السياسي يرتكز على معطيات اجتماعية وسياسية ، ويرمي الى بلوغ هدف سياسي يتعلق بحياة الجماعة أو المجتمع ، بينما ينطلق الثاني من دوافع فردية شخصية لتحقيق الثروة أو الانتقام ، وهو عمل إجرامي لا مكان له في هذه الدراسة .

ولا يريد الباحث أن يكون حكماً على الارهاب السياسي ، مؤيداً أو معارضاً بل يهدف الى استخراج المعنى السياسي من الأحداث التاريخية ، وربطها منطقياً بالواقع الاجتماعي والسياسي الذي ينشأ فيه الارهاب ومنهجه هو اعتبار الارهاب السياسي ظاهرة من الظواهر السياسية ، بطريقة غير منحازة الى التأييد أو المعارضة ، دون أن يعني ذلك موقف اللامبالاة

خصوصيات الارهاب السياسي

وللارهاب السياسي عند الكاتب خصوصيات ، فهو ليس حرباً بالمعنى الشائع ، حيث للحرب قواعد وتقنيات ، وهو يختلف عن حرب العصابات التي يفترض تمتعها بالتأييد الشعبي . والارهاب ليس الاغتيال فقط ، وإن كان الاغتيال احدى وسائله . والارهاب عموماً ، سواء كان ارهاب ضعفاء أو أقوياء ، يتضمن استعمال العنف ، تهديداً أو تنفيذاً ، ويتميز بتضمنه عنصر الترهيب والتخويف ، فالسلاح الفعال الذي يتميز به الارهاب هو السلاح النفسي ، وحالة الرعب التي يصنعها ، بالرغم من الاخفاق العملياتي أحياناً .

يقدم الكاتب عدداً لا بأس به من التعريفات المتداولة للارهاب السياسي ولكنه يعتبر أن تقديم تعريف نهائي ليس مستطاعاً ؛ لاحتمال ظهور عناصر وتفصيلات لم يستطع التعريف أن يشملها إلا أنه يقترح أخيراً التعريف التالي [الارهاب السياسي منهج نزاع عنيف ، يرمي الفاعل بمقتضاه ، وبواسطة الرهبة الناجمة عن العنف ، إلى تغليب رأيه السياسي ، أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة ، من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة ، أو من أجل تغييرها ، أو تدميرها]

يرى الكاتب أن الارهاب يندرج في مجال الصراع السياسي ، على اعتباره فعلاً عنيفاً ، يهدف إلى إرغام العدو ، على تحقيق المطالب التي يرغب الفاعل في تحقيقها ، وهو حالة خاصة من حالات الصراع إنه نوعية قصوى من اللجوء إلى العنف فهو - عند مسوغيه - آخر الدواء والارهاب لا يتخذ صفة (السياسي) إلا عندما يكون له معنى معين في مجال السياسة فهو لا يتوقف عند حد القتل ، ولا يقتصر هدفه على ذلك إنه حاسم ومثير للغاية ، وهذا ما يسهل إمكانية استغلاله في حقل السياسة إنه وسيلة بامكانها أن تلعب دوراً مهماً في إيجاد مخرج للنزاعات السياسية القائمة على العنف وهو يقدم عنصراً مسانداً لمجموع إجراءات الصراع ضد العدو السياسي

فالارهاب السياسي عند الكاتب ، لا يرمي في الواقع إلى بلوغ الهدف النهائي للسياسة ، بل يرمي إلى ايجاد مخرج لنزاع قائم بين طرفين ، لم يستطع أي منهما أن يجد هذا المخرج ، بالوسائل والاجراءات القانونية والعادية ، ودوره هو متابعة الصراع السياسي بوسائل أكثر فعالية بل إنه في بعض الأحيان ، يتبنى وحده مهمة القيام بمقتضيات الصراع ضد العدو السياسي ويلاحظ الكاتب (ميزة جوهرية) للارهاب ، فهو إجراء خاص استثنائي ، يدخل في مجال السياسة من خارج قواعدها وأصولها العادية

للارهاب السياسي أسباب يدعوها الكاتب (عينية مباشرة) ، أولها . إرهاب الدولة ، فهو -

نظراً لشراسته ، وتأثيره الواضح - يشكل السبب الرئيسي لنشوء العنف عند الأفراد ، وبالتالي لنشوء إرهاب (الضعفاء) فطالما أن هناك حكومات قادرة على التفرغ لممارسة الارهاب ، فإن الارهاب المضاد يبقى الرد الوحيد الممكن من قبل ضحاياها

وهناك أيضاً الاستعمار ، فالحال أننا نعاين أحياناً أشكالاً عدة مختلفة من الاستعمار ، علنية أحياناً ومستترة أحياناً أخرى ، لا ينتج عنها سوى التنكر لحق الشعوب الشرعي ، في تقرير مصيرها واستقلالها ، وفي التنكر لحقوق الانسان ، وحرياته الأساسية فالمستعمِر ، ثم المستعمَر ، يمارسان الارهاب ، مع فارق أن الأول يهدف إلى تحقيق مصالحه على حساب الآخرين ، بينما الثاني يهدف إلى استعادة حقوقه الحياتية غير القابلة للتنازل عنها

ولعل إعلان الجزائريين في مواجهتهم للفرنسيين ، يعبر عن هذا المعنى أوضح تعبير « إن الحصول على بندقية ، والانضمام إلى جيش التحرير الوطني ، هما الحظ الوحيد الذي يبقى للجزائري في إعطاء معنى لموته لقد أصبحت الحياة منذ زمن بعيد ، فارغة من معناها ، بسبب السيطرة الفرنسية »

ومن الأسباب أيضاً : الأنظمة السياسية القائمة على الدكتاتورية من جميع وجوهها ، ولا سيما الدكتاتورية العسكرية ، التي هي الشكل الحديث المتطور للاستبداد والطغيان السياسيين والأنظمة هذه - مُعلنةً الديمقراطية أو متسترة بردائها - تضرب المعارضة السياسية بعنف ، بحيث لا يبقى أمام الشعب أية إمكانية حرة للاختيار وينشأ ثَمَّ العنف ، أو الارهاب المضاد للارهاب الحكومي

والأسباب المباشرة هذه ، إنما تحدد الظروف الموضوعية ، التي تثير الدوافع التحتية الكامنة ، وتقودها إلى تفجير الارهاب ، وإعطائه معناه السياسي والأخلاقي ولكن هناك بعداً أعمق للارهاب السياسي ، يشرحه الكاتب بالحديث عن الارادة في اكتساب قدرة سياسية ، تستطيع تغليب وجهة نظر سياسية وفرضها ، وهذا يصح على مستوى الحكام ، وعلى مستوى المحكومين ، الذين يسعون باسم حقوقهم التي يعتبرونها شرعية ، إلى تحقيق قدرة سياسية ، تتيح لحقوقهم إمكانية صيرورتها شرعية قانونية .

في جوَّانية الارهاب

يبدو - للوهلة الأولى - لمن يراقب الأعمال الارهابية التي تحصل اليوم ، في مختلف أنحاء العالم ، أن طبيعة هذه الظاهرة تختلف اختلافاً جذرياً ، عن المناخ الحضاري الذي نشأت وتطورت فيه وهذا الانطباع لا يخلو في رأي الكاتب من بعض الأسس والمسوغات ، ذلك أنه في حين تتجه حضارة اليوم نحو تحسين الحياة الانسانية ، وتخفيف وطأتها على الفرد والجماعة معاً ، يصبح من البديهي أن يعتبر غريباً ، كل ما يسيء إلى هذا التطور ، وأن يواجه على اعتباره عائقاً خارجياً طارئاً ، يجب التخلص منه بكل الوسائل إن الكاتب يرى أنه من خلال نظرة شاملة إلى مسيرة الحضارة الطويلة ، يظهر واضحاً أن الحضارة تنجب حُفَّار قبرها بنفسها !

إن موضع القلب من مسألة الارهاب السياسي ، يبرز لنا بشكل حاد ، في ارهاب الضعفاء ، أي الشعوب والأقليات المضطهدة والمقهورة فهؤلاء لا يملكون وسائل القوة والسيطرة ، كما يملكها الأقوياء بمؤسساتهم وقواهم العسكرية ولكنهم يملكون بالمقابل ، قضية يعتبرونها عادلة ، وجديرة بالدفاع عنها ، عن طريق الكفاح المسلح ، وهو كفاح شرعي

ففي مناخ الارهاب ، حيث حرية الأقليات والشعوب المتمردة مدجنة مقهورة ، وحقوقها في الحياة السياسية الكاملة ، وفي نمو شخصيتها المعنوية والاجتماعية - على مستوى المواطنية - مهضومة مطموسة ، وحيث يفرض الأقوياء نظاماً يجعلون فيه قوانين وضعية ، تجعل المخالف لها مجرماً خارجاً عن القانون والنظام العام في هذا الوضع ، يجد

الضعفاء أنفسهم مضطرين لايجاد منطلقات وقوانين خاصة مهم ، يتبعونها من أجل تحقيق عدالة ، هم يريدونها ويرتضونها

والكاتب الدكتور أدونيس العكرة يبدي تفهماً واضحاً ، وتعاطفاً ، مع ارهاب (الضعفاء)

ويقول إن ما نراه (لا عقلانية) في الفعل السياسي عند الضعفاء ، هو المميزات التي يتفرد بها الارهاب الذي يقوم به الضعفاء هذا الارهاب الذي يفعل كل شيء ، ولا يتوانى عن أي شيء ، من أجل انتصار قضيته ، إذ ما حيلة المستعبد عندما يصار إلى اتفاق عام ـ حفي وعلني ـ على استعباده ؟ ولكن يجب أن يفهم أن الارهاب لا يخلق القضايا العادلة ، بل القضايا العادلة هي التي تقود إلى الارهاب ، عندما تعلن بقية الوسائل عن إفلاسها وعدم جدواها

وإنه ، في عالم لا تجد فيه الجماعات مكاناً لقيمها ، وحرياتها ، وحقوقها المشروعة في الأرض والانتهاء وتقرير المصير ، والحياة السياسية الكاملة ؛ لا يسعها إلا أن تجد في قضيتها الحقيقة المطلقة ، فتنقاد إلى استعمال الارهاب ، كحل أخير تلوح فيه بوارق الأمل

ويمضي الكاتب في التفصيل وتحليل الارهاب عند (الضعفاء) مناقشاً مسألة الهوية ، وما تفرضه من سلوك فالهوية تحتل المرتبة الأولى في لائحة مطالب الشعوب والجماعات ، إذ لا شيء يعني الانسان الفرد ، عن هاجس السعي إلى تحقيق وجوده الجماعي فالهوية تشكل بحد داتها ، دافعاً رئيسيا يدعو إلى النضال بعنف من أجل تحقيقها ، أو المحافظة عليها فمن أجل الهوية ، تصبح أعمال العنف ، ليست مسوغة قانوناً وعرفاً وأخلاقاً فحسب ، بل تصبح حقاً طبيعياً لا يمكن التنازل عنه . وبقدر ما تتهدد الهوية ، يكون العنف شرس ، وأكثر جنوناً ولا عقلانية .

أخلاقية الارهاب السياسي

إنه بسبب القضية التي يحملها الارهاب السياسي ، المتمثلة بتقويض ما يعتبره مصدر الشرور وتدميره تدميراً كاملاً ، يستحيل فهم موقف الارهاب بالنسبة للأخلاق المجردة ، المبنية على الخير أو الشر ، إذ ليس بإمكان هذه الأخلاق أن تسوغ العنف ، وإلا وقعت في التناقض إلا أن الارهاب من شأنه أن يستعيد لنفسه بعض المدلولات الأخلاقية ، بسبب القضية التي يحملها وينقل الكاتب عن روبسبير وتروتسكي رأيهما في أن الهدف حين يكون خيرا أخلاقياً ، فإن الوسيلة تكتسب بعداً أخلاقياً ، بفعل كونها مرتبطة جوهرياً وعملياً بهدف خيرٍ

وعلى صعيد إرهاب الضعفاء ، تظهر هذه الناحية بشكل أكثر إثارة وحدة فالحياة السياسية الحرة العامة ، تأتي بالنسبة إلى الضعفاء ، قبل الأخلاق العامة فأخلاقية الضعفاء تقوم بالأساس على البحث عن هويتهم بجميع الوسائل الفعالة كما أنه ليست أخلاق الآخرين هي التي تحدد لهم قضيتهم ، بل إن قضيتهم هي التي تملي عليهم أخلاقها وإذا لم يكن إنقاذ الحرية بجميع الوسائل الممكنة ، ضرورة منطقية ، فهو على كل حال واجب أخلاقي

ويتراجع الكاتب عن هذا الحماس قليلاً ، ويقول إن (المناقضة) بين العنف والأخلاق لا يمكن تجاوزها ، ولذا فلابد من تحاشي الموازنة بين أخلاقية الارهاب السياسي والأخلاق المجردة ويبقى الارهاب وسيلة ، ينظر إليها من ناحية فعاليتها ، وليس من ناحية أخلاقيتها

بل يتراجع الكاتب أكثر قليلاً حين يقول بينما ينتهي إرهاب الأقوياء ، إلى نقض مبادئه وقيمه وأخلاقياته ، بسبب مبدأ الاتهام العام ، فإن إرهاب الضعفاء يفقد قيمه وينقض أخلاقياته ، بسبب مبدأ عدم التمييز بين الأهداف ، أو بسبب مبدأ الضربة العمياء . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب : تراث البادية
المؤلف : مجموعة من الباحثين باشراف . ألطاف الصباح
تقديم . د أحمد أبوزيد
الناشر : مطابع كويت تايمز التجارية - الكويت
عدد الصفحات · ٢١٤ من القطع الكبير
سنة النشر · ١٩٨٧

هذا الكتاب المتخصص هو حصيلة جهد جماعي على أكثر من مستوى فهو يضم بحوثا تتناول جوانب مختلفة من حياة البادية ، ألقيت في ندوة نظمها بيت السدو في الكويت بالتعاون مع جامعة الكويت ، بهدف التعريف العلمي بتراث البادية الذي ظل الى وقت قريب مرتبطا بانطباعات الرحالين الأجانب الذين فتنهم جو الصحراء المترامي

كما ضم الكتاب الذي قدم له الدكتور أحمد أبوزيد ببليوغرافيا مختارة عن البدو تعتبر دليلاً مفيدا للقاريء العربي والباحث في هذا المجال

■ ■

الكتاب / لعبة النسيان (رواية)
المؤلف / محمد برادة
عدد الصفحات / ١٤٩ صفحة
سنة النشر / ١٩٨٧م
الناشر / دار الأمان - الرباط - المغرب

خلفية رواية الناقد المغربي محمد برادة الجديدة هي مدينتا فاس والرباط ، أما حيزها الزمني فهو المغرب ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ويمتد هذا الفضاء إلى الفترة الراهنة

الشخصية الرئيسية في هذه الرواية هي « الهادي » ، ويمكن استبدال هذا الاسم « بالدليل » ، أو « الزعيم » ، حسب التسميات الراهنة ، ويوحي اسم « الطايع » شقيق الهادي بدلالات مناقضة ، كالخضوع والتبعية ، وفي آخر الرواية ينجب « الطايع » شخصية متمردة هي ابنه « فتاح » ، وتنتهي الرواية باعتقال « فتاح » من أجل أفكاره

تحتل الأم في رواية « برادة » مكانة مركزية ، والاحالة على الأم ضمن الرواية متواترة ، إلى درجة يحق لنا معها أن نتساءل عما إذا لم تكن تمثل الركيزة التي تزود العالم والموجودات بالتوازن ؟ وينتقي الكاتب شخوص روايته من العالم الذي ينهار ، والذي تنتشل الرواية أشلاءه من تراب النسيان ، فمحمد برادة يفتح هنا باب الذاكرة ، فيعود السرد ، وتتابع الصور ، كما في الشعر ، وعندئذ يستجيب البناء الروائي لفضاء فاس

■ ■

الكتاب . بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام
الكاتب . د وحيد قدورة
الناشر المعهد الأعلى للتوثيق - تونس
سنة النشر · ١٩٨٥
الحجم : ٣١٧ صفحة من القطع الكبير
اللغة · الفرنسية مع ملخص باللغة العربية

يحاول المؤرخ التونسي د وحيد قدورة في كتابه الجديد « بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام » أن يؤكد أن الوطن العربي عرف المطبعة سنة ١٧٠٦ أي قبل نحو تسعين سنة من حملة نابليون على مصر ، ويوضح المؤلف أن فن الطباعة بالحروف العربية لم يظهر في المشرق الا بعد نحو قرنين ونصف

من ظهوره في أوروبا ، وقد بادرت الطائفة الأرثوذكسية في سوريا بتأسيس أول مطبعة عربية سنة ١١١٨ هـ/ ١٧٠٦ م في حلب ثم تلاها المسلمون سنة ١١٤٠ هـ/ ١٧٢٦ م بإنشاء مطبعة بالحرف العربي في استانبول ، وظهرت بعد ذلك مطبعتان مسيحيتان أخريان في جبل لبنان (في الشوير) سنة ١١٤٧ هـ/ ١٧٣٤ م وبيروت سنة ١١٦٥ هـ/ ١٧٥١ م

وينصب اهتمام المؤلف في هذا الكتاب على تحليل الظروف التي حفت بنشأة المطبعة العربية في المشرق ، وأسباب تأخير ظهورها بالنسبة لأوروبا ، وتناول الباحث أيضا مضمون الحرف العربي المطبوع ، وتأثيره على مجرى الحياة الثقافية في القرن الثامن عشر الميلادي

■ ■

الكتاب مدخل الى نظرية القصة
المؤلف سمير المرزوقي وجميل شاكر
الناشر الدار التوسية للنشر
سنة النشر ١٩٨٥
عدد الصفحات ٢٤٢ صفحة من القطع الوسط

للقصة اليوم من النظريات الحديثة ما لم يعد جائزا تجاهله ، والهدف من كتاب الباحثين التونسيين سمير المرزوقي وجميل شاكر هو عرض أهم نظريات القصة في الغرب ، وخصوصا عند أحد اعلام مدرسة الشكلانيين الروس فلاديمير بروب ، الذي اهتم بدراسة مجموعة من الحكايات الشعبية العجيبة الروسية ، واعتمد في دراسته هذه أساسا النظرة البنيوية الوصفية ، فالحكاية عنده هيكل وبنية معقدة يمكن تفكيك واستنباط العلاقات التي تربط بين مختلف وظائفها في مسار قصصي معين .

ولكن المؤلفين لا يكتفيان بعرض نظرية « بروب » وانما يبينان أيضا حدودها وسلبياتها ، ثم ينتقلان الى تحليل النص القصصي (الحكاية ، السرد ، الترتيب الزمني ، التواتر ، الديمومة ، التوقف)

■ ■

الكتاب جذور لسماتي - شعر
المؤلفة نجاة العدواني
الناشر . دار العودة - بيروت
عدد الصفحات ١٠١ من القطع الصغير
سنة النشر . ١٩٨٦

يضم هذا الكتاب الشعري الصغير مجموعة من قصائد تنتمي الى ما اصطلح على تسميته قصيدة النثر وهي قصائد تتحدث عن أكثر من هم ، وأكثر من موضوع ، وان يكن هم الاغتراب المتمثل في الرحيل المتواصل هو الغالب على قصائد الديوان .

وتتراوح القصائد من حيث موضوعاتها بين الخاطرة الخفيفة والتعبير عن الاحساس بدقائق الحياة الصغيرة ، وبين الموضوعات ذات العمق الثقافي

■ ■

الكتاب خير الزاد من حكايات شهر زاد
المؤلف . بو علي ياسين
الناشر . دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية
عدد الصفحات . ٣٤٣ من القطع الكبير

كما جاء في العنوان الفرعي لهذا الكتاب فانه « دراسة في مجتمع ألف ليلة وليلة » حيث يفترض المؤلف وجود مجتمع شهرزاد ومدينة شهرزاد ودولة شهرزاد ثم يبدأ بدراسة دور الحكاية والعلاقات الجنسية ، والنظرة الى العالم ، ونظام الحكم والطبقات في هذا المجتمع ، والدولة والمدينة .

ويقول المؤلف انه فوجىء بأن مجتمع شهرزاد يتطابق الى حد بعيد مع مجتمعنا العربي الماضي ، ومع مجتمعنا الشعبي الحالي ومن خلال هذه الملاحظات يقدم لنا بوعلي ياسين كتابا مهما عن هذا الأثر الأدبي العظيم الذي نكاد نعرفه دون غيره في العالم . □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٤٣
يونيو ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير .

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الاجابات على العنوان التالي
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٤٣ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يوليو ١٩٨٧ .

١ ـ تحدث السلف الصالح عن (مجريط و (اقريطش) وبلاد الكرج . فأي البلدان قصدوا بهذه التسميات ؟

٢ ـ الهند والبرازيل ترى أيهما أكبر مساحة ؟

* البرازيل وتبلغ مساحتها نحو ضعفي ونصف ضعف مساحة الهند .

* الهند وتبلغ مساحتها نحو ضعفي ونصف ضعف مساحة البرازيل .

* متساويتا المساحة تقريبا

٣ ـ احدى الدول الاوروبية مكونة من
٦ ـ جمهوريات وتشمل
٥ ـ قوميات وتتكلم ٤ لغات وتدين ٣ أديان

فأي دولة تلك ؟

٤ ـ دولة أفريقية سموها مجددا باسم بوركينا فاسو فما اسمها القديم ؟ ودولة افريقية أخرى كان اسمها القديم داهومي فما اسمها الجديد ؟

٥ ـ سميت بحيرة (نيازا) سنة ١٨٥٩ ولكنهم غيروا اسمها واستبدلوا به اسما آخر سنة ١٩٦٤ ترى ماهو هذا الاسم الآخر الذي يطلق حاليا على بحيرة نيازا ؟

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٤٣
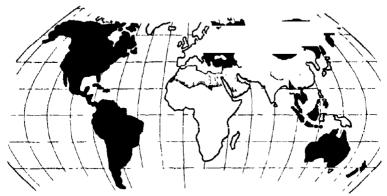
٦ ـ « البندقية الصغيرة » هو الاسم الذي تعرف به احدى دول امريكا الجنوبية ترى أي دولة تلك ؟

٧ ـ باراجواي هي الدولة الوحيدة في العالم التي يختلف وجه علمها عن ظهره فما هو هذا الاختلاف ؟

٨ ـ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي تقصر المسافة الفاصلة بين حدودهما حتى تبلغ ٤ كيلومترات فقط ، وذلك عند جزيرتين صغيرتين احداهما امريكية والاخرى سوفياتية ترى ماإسم هاتين الجزيرتين ؟

٩ ـ أي دولة اوروبية سبق أن اختفت من الوجود تماما طوال القرن التاسع عشر ولم تعد الى الحياة ثانية الا في مطلع القرن العشرين سنة ١٩١٨ بالتحديد ، علما بأنها كانت في طليعة الدول الاوروبية مساحة وعدد سكان ، حتى اواخر القرن الثامن عشر حين قامت الحروب بينها وبين جاراتها ، وأدت الى ابتلاع هذه الجارات لكافة اراضيها ؟

١٠ ـ احدى دول امريكا الجنوبية بلغت مساحتها عند استقلالها سنة ١٨٢٥ حوالي ضعفي مساحتها الحالية البالغة نحو مليون كيلومتر مربع أو تزيد قليلا ، وقد تقلصت مساحتها بهذا القدر نتيجة الحروب التي نشبت بينها وبين جاراتها تشيلي والبرازيل وبراجواي فأي دولة تلك ؟

١١ ـ فانوتو هي مجموعة جزر تقع في جنوب غرب المحيط الهادي ترى ماهي عاصمتها ؟

١٢ ـ « أحشنة » قرية صغيرة ولكنها اشتهرت بأن الشيخ الرئيس ابن سينا ولد فيها فأين تقع قرية أحشنة هذه ؟

حل مسابقة العدد ٣٤٠

١ ـ الكعب ليس العقب كما يظن الكثيرون ولا هو الرسغ وانما هو الكاحل .

٢ ـ يصاب المرء بالدوار اذا هو اكثر من الدوران حول نفسه ، لأن السائل الموجود في داخل الأذن العميقة أو الداخلية . يتحرك عندما يتحرك جسم الانسان ، فاذا فقد السائل توازنه في أقنيته فقد الجسم توازنه وشعر صاحبه بالدوار

٣ ـ يبكي المولود عقب ولادته ليتمكن من مباشرة التنفس .

٤ ـ يذوق المرء طعم الحلاوة بمقدمة اللسان ، ويذوق طعم المرارة بمؤخرته أما طعم الملوحة وطعم الحموضة فيذوقهما بجانبي اللسان وتتم عملية التذوق هذه بواسطة حليمات التذوق المنتشرة على ظهارة اللسان في المواقع الأربعة المذكورة ويبلغ عدد هذه الحليمات نحو (٨٠٠٠) حليمة وذلك في سن الشباب وتنقص حتى تبلغ (٦٥٠٠) حليمة في سن الاربعين

٥ ـ جوزة العنق تؤوي أو تحفظ الحبال الصوتية ، ولا يخفى أن هذه الحبال الصوتية هي التي ننطق ونتكلم بواسطتها

٦ ـ قلب الطفل هو الاسرع ، يليه قلب المرأة فقلب الرجل فبينما ينبض قلب الرجل بمعدل ٧٠ ـ ٧٢ نبضة . في الدقيقة ، وينبض قلب المرأة بمعدل ٧٨ ـ ٨٢ نبضة،نرى أن قلب الطفل ينبض بمعدل ١٣٠ ـ ١٤٠ نبضة في الدقيقة ومن طريف مايذكر ان مجموع ماينبضه قلب الانسان على مدى الحياة يبلغ بالمتوسط حوالي (٢٠٠٠) مليون نبضة !

٧ ـ طبلة الأذن تقع في الأذن

٨ ـ يتميز جنس الجنين فيعرف أنه ذكر أو انثى لدى بلوغه ٨ ـ ١٠ اسابيع من العمر وتجدر الاشارة الى ان الجنين مدين بجنسه الى الأب لا الأم فالموروثات او الكروموزومات التي تحدد جنسه انما يتلقاها من ابيه لا من امه

٩ ـ احماض المعدة لاتستطيع اذابة بطانة المعدة لان هذه البطانة تتجدد خلاياها باستمرار ، وبأسرع مما يسمح للأحماض بالعبث بها . . وغني عن البيان ان حامض الهيدروكلوريك هو احد الاحماض التي تفرزها المعدة ، ان لم نقل اهمها . ويقدر العلماء السرعة التي تتجدد بها خلايا بطانة المعدة بحوالي نصف مليون خلية في الدقيقة الواحدة

١٠ ـ عظم الانسان هو الأقوى . فهو يفوق الاسمنت المسلح بأربع مرات من حيث قوة الاحتمال . وقد اجرى العلماء تجاربهم على قطعة من العظم بحجم علبة الكبريت فبلغت قوة

مـــارس ١٩٨٧

احتمالها (٩) اطنان اي مايعـادل الجرانيت من حيث القوة .

١١ ـ مقدار الحديد في الجسم البشري يكفي لصنع دبوس او مسـمـار بطول ٢٥ مليمتـرا أو مايبلغ ورنه ٤ ـ ٥ جرامات ، دلـك أن الجسم البشري الكامل النمو يحتوي على ٤ ـ ٥ جرامات من الحديد

١٢ ـ القفاء (بفتح القاف) لايقع في أسفل الظهر وفوق الساقين ، كما يظن الكثيرون ، وانما في أعلى الظهر وخلف الرقبة مباشرة

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٠ مـــارس ١٩٨٧

الجائزة الاولى : سيف بن عامر بن سيف الجهضمي/ المنطقة الوسطى/ ولاية المصيبي/ سلطنة عمان

الجائزة الثانية : عبدالله أحمد عباد العرامي/ ص.ب ٧٠٥/ صنعاء/ الجمهورية العربية اليمنية .

الجائزة الثالثة · مسقم رشيد/ فاس/ المملكة المغربية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ روضة الزيتوني/ حي عين ماخ/ الجمهورية التونسية

٢ ـ سميرة مصطفى هجرس/ العمرانية الشرقية/ الحيرة/ جمهورية مصر العربية .

٣ ـ منيرة محمود حامد/ دولة الكويت .

٤ ـ عطا محمد الأعرج/ طرابلس/ ليبيا

٥ ـ فرحان سعد يونس/ الحسكة/ عامودا/ الجمهورية العربية السورية

٦ ـ علي حسين عيدان الحدباني/ الدمام/ المملكة العربية السعودية .

٧ ـ شحاتة رفاعي اسماعيل/ بروكسل/ بلجيكا

٨ ـ جيلدة رزيقة/ ولاية تيازة/ الجزائر .
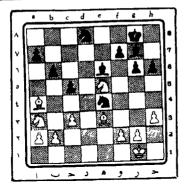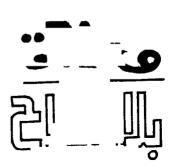
أقيمت البطولة العربية الفردية الرابعة للشطرنج في العاصمة التونسيّة ، فيما بين ٢٧ ديسمبر و٨ يناير من العام الحالي ، في أعقاب الأولمبياد الشطرنجي الضخم الذي عقد في مدينة دبي (من ١٤ نوفمبر الى ١ ديسمبر ١٩٨٦) ، والذي اشتركت فيه سبع عشرة دولة عربية ، تصدرتها العراق برصيد قدره ٣٠ نقطة ، وتلتها مصر (٢٩,٥ نقطة) ، ثم لبنان وتونس (٢٩ نقطة) ، ثم سوريا والمغرب واليمن الجنوبي وفلسطين (٢٧,٥ نقطة) غير أن عدد الدول العربية المشتركة في بطولة العرب الرابعة لم يتجاوز إحدى عشرة دولة ، مَثّل كل دولة منها لاعب واحد ، عدا الدولة المضيفة التي مثلها ثلاثة لاعبين ، هم الاستاد الدولي سليم بوعزيز ، والاستاذ الدولي صلاح الدين حمادي ، واللاعب فارابي مالك ، وقد فاز أولهم ببطولة العرب الرابعة (٧ نقاط) ، وفاز الثاني بالمرتبة الثانية (٦,٥ نقاط) ، في حين جاء اللاعب السوري ميكائيل شادوروفيان في المرتبة الثالثة (٦,٥ نقاط) .

ومن الجدير بالملاحظة أن اللاعب السوري المذكور قد أثبت حضوراً أفضل في مهرجان دبي ، حيث حقق أفضل النتائج الفنية التي حققها أي لاعب عربي في الأولمبياد بفوره على نخبة من الأساتذة الدوليين والاساتذة الكبار الذين يفوقونه في الرتبة والتصنيف الدولي ، من أمثال الاستاذ الكبير زاباتا

والدور التالي هو الدور الذي لعبه الفائز ببطولة العرب سليم بوعزيز مع مواطنه صلاح الدين حمادي ، الذي يعتبر من أفضل أدوار المباراة وأكثرها إثارة (انظر الشكل أعلاه)

	□ سليم بوعزيز	■ صلاح الدين حمادي
٢١	ح - جـ ٦	ح × جـ ٦
٢٢	ف × جـ ٦	ح - د٦
٢٣	ف - و٤	ف - و٨
٢٤	ح - ب٥	ح × ب٥
٢٥	ف × ب٥	ف -جـ٨
٢٦	ف - جـ ٦	ف - هـ ٧؟

متخلياً عن البيدق ومن ثَمّ الدور

٢٧	أ ٤	ف - د٨
٢٨	ف × حـ ٦	ز ٥

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج
العدد ٣٤٠ مارس ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ـ د هالة السعيد ـ القادسية/ الكويت
٢ـ محمود مسلمي ـ الزقازيق/ ج م ع
٣ـ أمين كيوان ـ دمشق/ سوريا
٤ـ د ليا القاي ـ موسكو/ الاتحاد السوفييتي
٥ـ عبد الرحمن التميمي ـ سورابايا/ اندونيسيا

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ـ أحمد العاقب ـ الخرطوم/ السودان
٢ـ علي الحمراوي ـ القيروان/ تونس
٣ـ فؤاد سلامة ـ عمان/ الأردن
٤ـ عبد السلام عليو ـ الرياض/ السعودية
٥ـ صلاح المبروك ـ صرمان/ الجماهيرية

لحصر الفيل ثم أخذه ولكن هيهات

٢٩	و ٤ !	و ٦
٣٠	و × ز٥	و × ز٥
٣١	ف – د٥+	م – حـ ٧
٣٢	ف – و٨	ف – د٧
٣٣	أ٥ (لتحطيم هيكل البيادق)	م – ز٦
٣٤	ف – د٦	م – و٥
٣٥	م – و٢	ف – هـ ٦
٣٦	ف – و٣	ف – جـ ٤
٣٧	أ × ب٦	أ × ب ٦
٣٨	م – هـ ٣	ف – و ١
٣٩	ف – ز٤+	م – ز٦
٤٠	ز ٣	ف – و٦ ؟
٤١ .	ف – د٧	م – و٧
٤٢	ف – ز٤	ف – ز٢
٤٣ .	م – د٣	ف – و١+ (يائسة)
٤٤	م – هـ ٤	ف – ز٢+
٤٥ .	م – و٥	ف – ب ٧ ؟

كان الأجدر به الفرار بالفيل الأسود

٤٦ .	ف – حـ٥+ !	م – ز٧
٤٧ .	ف – و٨ +	يستسلم

مسألة العدد ٣٤٣ يونيو ١٩٨٧

مات ٣

من إعداد القاريء عاطف سالم (القاهرة)

حل مسألة العدد ٣٤١
(ابريل ١٩٨٧)

و – هـ ٥ ثم « كش مات » في النقلة التالية

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"
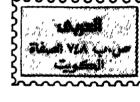
حوار القراء ..

« تعقيب من سفارة بوتان »

تعقيبا على استطلاع « بوتان الحياة وسط المتناقضات » المنشور في عدد مارس ١٩٨٧ أرسل سعادة سفير مملكة « بوتان » لدى الكويت إيضاحا حول عدد من الأمور التي تناولها الاستطلاع .

يقول السفير : إن « بوتان » لم تخضع لحكم مهراجانات الهند ولا للاحتلال البريطاني ، لكن كان هناك مواجهة رئيسية بين « بوتان » والهند البريطانية عام ١٨٦٤ م وذلك عندما اضطرت « بوتان » إلى الدخول في حرب من أجل السيطرة على سهول ديور ، وقد تخلت « بوتان » عن هذه المقاطعات مقابل تقديم بريطانيا مساعدة سنوية لبوتان ، لتعويضها عن خسارتها في تلك المقاطعات .

وعلى عكس ما أورد الاستطلاع فإن سياسة « بوتان » الخارجية مستقلة تماما ، وأن كل ما يربطها بالهند هو علاقات الصداقة الحميمة ، والتعاون ، وروح حسن الجوار .

ولبوتان خمسة سفراء في العالم كما أورد الاستطلاع ، هم : ممثلها الدائم في الأمم المتحدة في « نيويورك » ، وممثلها في « جنيف » ، وسفراؤها في الهند والكويت و « دكا » ، وليس الصين ، وأخيرا أكد سفير مملكة « بوتان » أن البوتانيين هم من البوذيين الأتقياء ، وأن للدين دورا مهما في حياتهم ، ورغم ذلك فإن رجال الدين لا يتمتعون بأي سلطة داخل الدولة ، بل تنحصر وظائفهم في القضايا ذات الطبيعة الدينية فقط .

« أنت تسأل ونحن نجيب »

من الواضح أن مجلة العربي قد قفزت في السنوات الأخيرة قفزة نوعية في الشكل والمضمون ، وزادت رونقا وجمالا ، ولا أظن أني بهذا أضيف جديدا ، إلا أن التعبير عن هذا المعنى يلح أحيانا على القارىء ، كلما أراد أن يكتب ناقدا لشيء أو معلنا فقده لشيء في مجلته ، فرغم أنكم تعلنون مرارا وتكرارا بأنكم تلبون رغبات القراء في كل ما يتصل بتحرير المجلة وتبويبها ، إلا أنني لاحظت أن واقع المجلة يختلف عن ذلك ، فمثلا استحدثتم أبوابا بالمجلة لا أظنها تليق بمجلة ثقافية ، مثل « الشطرنج » ، « والكلمات المتقاطعة » ، فهل تم ذلك باستشارة القراء ، في حين أنني قد كتبت إليكم مرارا أطالب بإعادة باب « أنت تسأل ونحن نجيب » وإعادة نشر صورة « الصفحة الثانية » لكنكم لم تلبوا طلباتنا ، فلماذا ؟

محمد تيوسارين

الجزائر / مدينة المديّة

العربي

نشكر للقارىء العزيز ثقته وملاحظته معا ، ونود في البداية أن نوضح أننا لا نعد بتلبية كل مطالب القراء ، بل نقول دائما بأننا ندرس اقتراحات القراء بعناية ، نضعها دائما محل الاعتبار ، وننفذ منها ما هو أكثر ملاءمة وإمكانية

أما بالنسبة لبابي « الشطرنج » و « الكلمات المتقاطعة » فقد تكون ملاحظة القارىء صحيحة إلى حد ما ، لكن استحداث هذين البابين تم بناء على رغبة كاسحة من محبي هذين البابين ، وهذا يدل على أننا نأخذ بعين الاعتبار رغبات القراء ، بالاضافة إلى يسر إمكانية تنفيذ البابين و صغر المساحة المخصصة لهما نسبيا

أما فيما يتصل بباب « أنت تسأل ونحن نجيب » فنحن نناقش مدى الحاجة إلى مثل هذا الباب ؟ وكيف سيكون ؟ وبخاصة في عصرنا هذا ، وهو عصر تفجر المعرفة وتعقدها في وقت واحد ، فثمة صعوبات وإشكالات تتصل بإمكانية تنفيذه على الوجه الصحيح ، وبنوع المعلومات التي يمكن أن يقدمها

ثم إننا لسنا في عصر الكاتب الموسوعي الذي يمكن أن يجيب عن أسئلة من القراء في شتى المجالات ، مثلما كان يفعل الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في بابه الشهير « يسألونك »

فقد أصبح توفير المعلومة في عصرنا مهمة من مهام المكتبات العامة أو المتخصصة ، حيث يقوم أمين المكتبة ـ مستعينا بما لديه من مراجع وفهارس وأحيانا « كمبيوتر » ـ بتوفير المعلومة أو مصدرها ، ثم تصويرها وتقديمها لمن يحتاجها وفق نظام معين ميسر .

ثم إن المجلة ـ أيضا ـ لا تملك جهازا متفرغا ، يقوم باستلام أسئلة القراء ، وتوزيعها على متخصصين ، ليجيبوا عنها ، ثم يقوم بنشر ردودهم عليها حين تصله تلك الردود في حينها ، هذا فضلا عن صعوبة متابعة مثل هؤلاء المتخصصين للحصول على إجاباتهم في الوقت والحجم المناسبين

في ضوء هذه الاعتبارات كلها يبقى أن نقول بأن المجلة يمكنها أن تنشر من أسئلة القراء ما يتصل بما ينشر فيها على الأقل ، أو بالقضايا التي تملك بشأنها مراجع أو مواقف واتجاهات ، وتجيب عنها ، وهذا ما يتحقق بشكل ما في باب « حوار القراء » .

ومع ذلك فالموضوع كله ما يزال قيد الدراسة والبحث ، ولعلنا نصل بشأنه إلى ما يرضي القارىء ، ويسهم في تحقيق أهداف المجلة الثقافية

حول « مقال التغذية والأسنان »

بادىء ذي بدء اسمحوا لي أن أعرب عن عميق تقديري لمجلتكم « العربي » ، لما تبثه من ثقافة علمية وأدبية وفكرية ، تسهم في تعزيز أواصر رابطة العروبة ، وتغذي الشعور بالاعتزاز بلغتنا وثقافتنا العربيتين .

واسمحوا لي أن ألفت النظر إلى موضوع قرأته في العدد ٣٣٩/ شباط/ ١٩٨٧ ، تحت عنوان (التغذية والأسنان) ، بقلم الدكتور محمد محمد منصور ، على صفحة ٦٥ ، وحيث انني طبيب أسنان ، أسهم في تحرير مجلة « طب الفم » السورية ، فقد سمحت لنفسي أن أبدي ملاحظاتي على بعض ما ورد في ذلك المقال .

أولا بما أن مجلتنا « العربي » تعتمد اللغة العربية أساسا لإيصال كل ما هو مفيد ، إلى كل عربي ، فقد راعني أن أجد في المقال كلمات أجنبية ، مخطوطة بالحروف العربية ، وبشكل مشوه ، يستحيل على

حوار القراء..

القارىء العادي أن يفهم معناها ، ومقصدها ، وبالتالي يتعذر عليه فهم المقال بالصورة المطلوبة ، مثل .

١ - كلمة (الأنامل) وقد قصد بها كلمة ENAMEL بالأجنبية التي يقابلها في اللغة العربية عبارة « طبقة الميناء » ، أي ميناء الأسنان

٢ - كلمة (الأسمنت) ، وقد قصد بها CEMENTUM بالأجنبية التي يقابلها في العربية كلمة « الملاط » .

٣ - كلمة « الدنتين) ويقصد بها DENTINE بالأجنبية التي يقابلها في العربية كلمة « العاج »

٤ - كلمة (ميتابلزم) ويقصد بها METABOL-ISM بالأجنبية ، ويقابلها في العربية « الأيض » أو الاستقلاب »

٥ - كلمة (الكربوهيدرات) ويقابلها بالعربية « مائيات الفحم » .

وكلمات أخرى لم أشأ ذكرها منعا للاطالة

ثانيا : من حيث الأرقام الواردة تحت عنوان « عناصر تركيب الأسنان » فأفيد بأن « طبقة ميناء الأسنان » تحتوي - وزنيا - على ٩٦٪ مواد غير عضوية (معدنية) ، و ١٪ مواد عضوية ، و ٣٪ ماء ، أما طبقة العاج فتحتوي على ٧٠٪ مواد غير عضوية (معدنية) ، و ١٨٪ مواد عضوية « كولاجينية » ، و ١٢٪ ماء . وأما الملاط فيحتوي على ٦٥٪ مواد معدنية (غير عضوية) ، و ٢٣٪ مواد عضوية « كولاجينية » ، و ١٢٪ ماء .

ثالثا : إن المادة العضوية الموجودة في « طبقة الميناء » هي نوع خاص من البروتين (الأجين) ، وليست الكيراتين وذلك حسب المرجع (ORAL ANATOMY) .

رابعا : إن للسن قدرة محدودة على تجديد نسيجه العاجي ، أو زيادته ، وهو ما يسمى العاج الثانوي DENTINE SECONDARY الذي يتشكل بصورة طبيعية بعد بزوغ السن والعاج الثالثي أو المرمم ، والذي يتشكل كرد فعل دفاعي تجاه النخر ، والعوامل المؤذية لسطح السن ، كالسحل والتآكل

خامسا . وعلى كل حال فإننا نثمن غاليا ذلك المقال ، لأن أمراض الفم والأسنان تعتبر من الأمراض الواسعة الانتشار في الأقطار العربية ، مع ملاحظة وجود جهل كبير بمبادىء المحافظة على صحة تلك اللآلىء .

سادسا : تطويراً لرسالة مجلة « العربي » أقترح إدراج باب جديد بعنوان « التعريب » ، تنشر به المصطلحات اللغوية الأجنبية ، ويذكر ما يقابلها في لغتنا من مصطلحات عربية ، أقرتها المجامع اللغوية ، بحيث تتناول كل حلقة فرعا أو تخصصا علميا ، وبشكل متناوب

سابعا : أقترح - أيضا - قبل نشر أي موضوع ذي صبغة متخصصة أن يعرض على ذوي الاختصاص ، للتأكد من خلوه من الثغرات ، حرصا على الأداء الكامل للرسالة . وشكرا .

د/ عزمي عبد الكريم فريد

سوريا/ الزبداني

العربي

نشكر للقارىء العزيز اهتمامه ومتابعته ، وبالنسبة لاقتراحه بتقديم باب حديد بعنوان « التعريب » فمع إدراكنا لأهمية نشر المصطلحات العلمية الجديدة باللغة العربية مع مقابلها الأجنبي ، إلا أننا نرى أن هذا يخرج - نوعا ما - عن مهمة مجلة « العربي » ،

فهذه المصطلحات تهم بالدرجة الأولى الاختصاصيين الذين بإمكانهم الحصول عليها - بشكل أفضل - من المعاجم العربية المتخصصة

أما بالنسبة لعرض الموضوعات على ذوي الاختصاص مما يرد على المجلة من مقالات متخصصة ، فمع أن من يكتبها - أصلا - من المتخصصين أنفسهم ، إلا أننا نقوم بمثل هذا العرض أحيانا ، حين نشعر بمثل هذه الحاجة ، وعند توافر الامكانية ، وجدير بالذكر أنه وصلتنا رسالة أيضا من الدكتور محمد الحكم طليمات ، من كلية الطب ، بجامعة حلب ، تتضمن بعض ما ورد في الرسالة السالفة الذكر من ملاحظات ، لذا اكتفينا بنشر الرسالة الأولى .

« العربي » باللغة التركية

أنا محاضر في لغة القرآن الكريم ، في كلية الالهيات ، بجامعة أنقرة ، وبحكم هذا التخصص يجب علي الوقوف على كل ما يمت إلى العرب والعربية بصلة ، وبخاصة ما يستجد في تعلمها ، وتعليمها ، وفي منشوراتكم التي أراها أحيانا ، وأسمع عنها كثيرا ، أجد النافذة المثالية المطلة على العالم العربي . فنهيب بكم يا أبناء الضاد إرسال كل ما يمت إلى العربية بصلة ، وبخاصة مجلة « العربي » الغراء ، وأيضا مجلة « عالم الفكر » ، كما أقترح فتح مكتب للعربي في أنقرة ، لاصدار مجلة « العربي » باللغة التركية ، وأعتقد أن ذلك سيحقق نتائج طيبة .

مساعد رئيس قسم اللغة العربية

سليمان بايبارا

أنقرة/تركيا

العربي

نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، وقد أرسلنا إليه - على عنوانه الذي في رسالته - بعض أعداد مجلة « العربي » الأخيرة ، وكتاب « العربي » .

ويمكنه بالنسبة لمجلة « عالم الفكر » أن يكتب للسيد رئيس تحرير المجلة ، لعلهم يوافونه بما يلبي حاجته منها ، أما فيما يتصل باقتراحه بفتح مكتب في أنقرة ، لاصدار مجلة « العربي » باللغة التركية فلا نظن أنه من المقترحات الممكنة - على الأقل - في الوقت الحاضر

الوجود العلمي العربي في الخارج

إنها لفكرة رائعة من مجلة « العربي » أن تطرق باب الوجود العربي في دول الغرب ، وذلك من خلال الاستطلاع المصور الذي قدمه صلاح حزين عن الوجود العربي في أمريكا

وبهذه المناسبة أرجو أن تطرق المجلة باب الوجود العلمي العربي في تلك الدول ، وبخاصة أننا نسمع كثيرا عن علماء عرب ، لهم بصمات جيدة في المجالات العلمية المختلفة في الغرب ، وفي أمريكا ، مثل الدكتور فاروق الباز ، وغيره .

إن مناقشة هؤلاء في الظروف التي دفعتهم إلى الهجرة من بلادهم ، والنجاح الذي أحرزوه في الخارج ، قد تكون من أفضل السبل لدفع بلادنا إلى تقديم رعاية أكبر للنابغين من أبنائها ، كما أنها تدعم الثقة بقدرة الانسان العربي على الابداع والانجاز إذا ما توفرت له الظروف المناسبة ، وشكرا .

منتصر قطان

حلب / سوريا

العربي

نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ونعده بأن تكون وجهة نظره ، محل دراسة في مجلس التحرير .

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يونيو ١٩٨٧ م

الرياضيّات في حياتنا

تأليف : زلاتكا شبورير

ترجمة : د. فاطمة عبد القادر المما

الكتاب ١١٤

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

عالم المعرفة

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢١٣ أول يونيو ١٩٨٧

سيدات متقاعدات

تأليف : إدوارد بيرسي ، ريجنالد دنهام

ترجمة : سالم علي سالم

مراجعة وتقديم : د. أحمد النادي